

أَيُّوب



القمص تادرس يعقوب، مابطن

[القائمة الرئيسية](#)

سوف تجد نتيجة البحث مظلة بلون مختلف

لإلغاء البحث اضغط F5

اضغط مفتاحي + / - علي لوحة المفاتيح

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

أيوب

2005

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

قام الأخ المبارك **الدكتور ناجي الفونس** بالمشركة في المقدمة، كما قام الكثير من الأحباء بالكتابة على الكمبيوتر.

الأسفار الشعريّة والحكميّة

في أسفار موسى الخمسة يكتشف الإنسان رعاية الله القنوس للإنسان، فيشتهي أن يكون مقدسًا كما أنه هو قدوس. لكن لا يوجد إنسان واحد قادر أن يحفظ الشريعة تمامًا، فسقط الكل تحت لعنة الناموس، وصلت الحاجة ماسة إلي مخلص ينقذ النفوس من الفساد.

وفي الأسفار التاريخية يدرك المؤمن خطة الله ضابط التريخ، والذي يهيئ البشوية لقبول المخلص القادم، والذي بحبه يصير ابنًا لواء، خاضعًا لؤمن الذي خلقه!

والآن في الأسفار الشعريّة والحكميّة يتعرف المؤمن على المفهوم الروحي للعبادة. إنها علاقة حب متبادل، مع تقديس كل عاطفة وموهبة ليكون المؤمن بكل كيانه للرب، ويتمتع باقتناء محبوبه السموي العجيب.

ففي سفر أيوب روى وسط جهاده المر في وادي الألم والدووع كيف يتعدى عالم البشر لوى قيام معركة بين الله إلهه وبين عدو الخير إبليس لحسابه، تنتهي بسمو المؤمن، وارتفاع قلبه فوق الوغنيات ليرتمي في الحضن الإلهي.

وفي سفر الأمثال يقدم الأب كما الأم لابنهما "سليمان" خورتها في الوب بأمثال يمكن أن يحفظها عن ظهر قلب، تصير علامات روحية في طريقة الروحي كما الزمنى. هذه الأمثال يحتاج إليها الملك العظيم الممجد كما العامل الفقير البسيط، والمتعلم كما الأمي.

وينشد سفر الجامعة قصيدة تكشف عن حقيقة العالم الحاضر، بكونه "باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح"، لا لكي تفسد سعادة المؤمن، وإنما لكي تجنبه الاتحاد بالباطل فيصير باطلاً، وتدفعه إلي الالتصاق بالحق السموي ليحيا إلي الأبد.

وجاء سفر ابن سواخ يكشف عن حياة المؤمن في أمثال، تعتبر امتدادًا وشوًا لما ورد في سفر الأمثال.

ويصور لنا سفر الحكمة الحاجة إلي الاتحاد مع حكمة الله كما العروس بعريسها، لتكون رفيقًا للمؤمن، فيسلك ببرّ الله، ويأنف من الشر ولا يطيقه.

أما سفر الزوامير فهو سفر الموتل الحلو المتألم، كيف يتحول الألم في حياة المؤمن إلى أنشودة تملأ النفس عنوبة وسلاماً في الرب، وتقديم ذبائح تسبيح موضع سرور الله.

أخوًا، ففي نشيد الأناشيد ترتفع النفس بروح الله إلي أحضانه الإلهية، لتنتعم بعوسٍ أبدي لا يشيخ!

الأسفار الحكيمية أو الشعرية

"الحكمة" في العوبة تزجم "مهلة في الحياة"، إذ يتطلع اليهود إلى الحكمة لا كأفكارٍ فلسفيةٍ مجردة، بل إمكانية حياة. لذا فإن "الله" هو مركز الحكمة ومصوها (أم:1:7). تحوي الأسفار الحكيمية الآتي:

- 1 - أمثال شعبية تعين الإنسان على الحياة اليومية المقدسة في الرب.
- 2 - تشبيهات لها معانٍ روحية.
- 3- مناقشات تعالج مشاكل الحياة.

المسيح حكمتنا الحقيقية

1. الألم هو مدرسة الحكمة أو معركة الحكمة، تتجلى هذه المعركة في سفر أيوب.

❖ لتكن آلامك كتبًا تتصحك.

❖ يوجد فح هو أسي، إذ يخفي فيه بؤسًا. ويوجد بؤس نافع، هو ينوع أواح العالم الجديد.

مار أرقام السرياني

❖ التألم من أجل المسيح هو نعمة، هو عطية النعمة، نعمة مجانية. إذن لا تخجلوا من عطية النعمة، فإنها أكثر عجبًا من قرة إقامة الموتى وصنع العجائب. فإنني بهذه أنا مدين، أما هنا (بالألم) فالمسيح مدين لي. لهذا يليق بنا ليس فقط ألا نخجل، بل نوح بنوالنا هذه العطية ^[1].

❖ يقيس الله الألم حسب الاحتياج إليه.

❖ بيت الحزن يعلم العطف والحكمة.

❖ وُلد الحزن والموت من الخطية، وهما يفترسان الخطية.

❖ يُعطى الحزن لنا عن قصدٍ، لكي يشفيانا من الخطية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ابن الله تألم ليجعلنا أبناء لله، وابن الإنسان (نحن البشر) يوفض أن يتألم لكي تستمر بنوته لله!

الشهيد كبريانوس

❖ بدون تجرب لا يخلص أحد.

القديس أوغريس

2. لا يفقد الألم سلام المؤمن ولا فرحه الداخلي، فقد حولت الآلام شخصية دلود إلى "موتل إسرائيل الحلو"، كما يظهر في سفر الزوامير.

3. يقدم لنا سليمان الحكيم الحكمة كشخصٍ يوفعنا من الأرض، ليدخل بنا إلى الأحضان الإلهية.

❖ ففي سفر الأمثال يؤكد أن بدء الحكمة هي مخافة الرب.

❖ إذ يقتني المؤمن مخافة الرب ويبرك أهوة الله الحانية التي تقوده في كل جوانب حياته يصغر العالم جدًا في عينيه، فوى "باطل الأباطيل الكل باطل

وقبض الريح". ليس من جديد في العالم، ولا ما يشبع النفس. هذا هو موضوع سفر الجامعة.

❖ أخوًا تصعد النفس على سلم الحكمة لتجد من يشبعها، العريس السملوي، الحكمة الإلهي نفسه، فنتغنى بتسبحة نشيد الأناشيد، تسبحة العوس الأبدية. هكذا تبدأ الأسفار الحكمية بمعركة الأمل والصواع مع عدو الحكمة وتنتهي بأغنية العوس الموحدة. تبدأ بالإعلان عن الحاجة إلى المخلص قائد المعركة ضد إبليس، وواهب الحكمة بلا انقطاع، وتنتهي بأن يحملنا فوق كل أحداث العالم، لندخل في حجال عوسه، ونشركه أمجاده الأبدية. أنها أسفار مسيانية، موكها المسيح حكمة الله الألي.

مقدمة

الباب الأول

الأصحاح الأول (شهادة الله لأيوب)

الأصحاح الثاني (جولة جديدة)

الباب الثاني

الأصحاح الثالث (موتة أيوب)

الباب الثالث

الأصحاح الرابع (الحديث الأول لأليفاز التيماني)

الأصحاح الخامس (كيف يمكنك أن تطوب؟)

الأصحاح السادس (حاجة المتألم إلى مواساة أصحابه)

الأصحاح السابع (شهوة الموت)

الأصحاح الثامن (حكمة القدامى)

الأصحاح التاسع (الحاجة إلى مصالحي وسيط)

الأصحاح العاشر (هل التفكير في المصير هو الحل؟)

الأصحاح الحادي عشر (نظريات وحقائق!)

الأصحاح الثاني عشر (نظريات وحقائق)

الأصحاح الثالث عشر (عتاب حويء)

الأصحاح الرابع عشر (حياتنا وقتية)

الأصحاح الخامس عشر (بدء الدورة الثانية)

الأصحاح السادس عشر (موتة مع الرجاء في الوسيط!)

الأصحاح الثاني والعشرون

الأصحاح الثالث والعشرون (صمت الله!)

الأصحاح الرابع والعشرون (ألا من محكمة لتقديم التماس!)

الأصحاح الخامس والعشرون (آخر هجوم ضد أيوب)

الأصحاح السادس والعشرون (أيوب يؤكد علي عظمة الله)

الأصحاح السابع والعشرون (أيوب يؤكد واعته)

الأصحاح الثامن والعشرون (الحكمة: من يبركها؟)

الأصحاح التاسع والعشرون (الإنسان الصالح كرمز للمسيا)

الأصحاح الثلاثون (موتة هوة)

الأصحاح الحادي والثلاثون (فحص النفس)

الباب الرابع

الأصحاح الثاني والثلاثون (ليتحدث أيضًا الشاب!)

الأصحاح الثالث والثلاثون (الوسيط الواحد!)

الأصحاح الرابع والثلاثون (الحديث الثاني لأيهو)

الأصحاح الخامس والثلاثون (حديث أليهو الثالث)

الأصحاح السادس والثلاثون (حديث أليهو الرابع)

الأصحاح السابع والثلاثون (الله في العاصفة)

الباب الخامس

الأصحاح الثامن والثلاثون (الخليقة الجامدة)

الأصحاح التاسع والثلاثون (حيوانات البرية والطيور الجلحة)

الأَصْحَاحُ الأَبْعُونَ (هزيمة إبليس "بهيموث" المتشامخ)

الأَصْحَاحُ الحَادِي والأَبْعُونَ (التنين الذي لا يُروض)

- الباب السادس

الأَصْحَاحُ الثَّانِي والأَبْعُونَ (عودة أيوب إلى المجد!)

الأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشْرَ (الرجاء في الوسيط الإلهي!)

الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشْرَ (صورة مؤفة للدمار)

الأَصْحَاحُ التَّاسِعُ عَشْرَ (هل الله عنوي؟)

الأَصْحَاحُ العِشْرُونَ (صورة بشعة للشير)

الأَصْحَاحُ الحَادِي والعِشْرُونَ (خاء الأشرار في هذا العالم)

مقدمة

في

سفر أيوب

سفر كل عصر

سفر أيوب هو سفر كل عصر، حيث يعالج مشكلة الألم الذي يحتمله الإنسان ولا يفهم ما وراء الشر الذي يضايقه. يقدم لنا هذا السفر نموذجاً لاحتمال الأوار آلام الجسد في صبر. وكما يقول يعقوب الرسول: "خفوا يا إخوتي مثلاً لاحتمال المشقات والأناة... ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب" (يع 5: 10-11). تكشف لنا تجربة أيوب عن طرق معاملات الله مع البشر.

أيوب الأُمِّي

كان أيوب وأصدقؤه من أبناء الشوق، يعيشون على حدود الجزوة العربية وبلاد أنوم التي هي أرض الحكماء، في أرض عوص. اسم عوص مشتق من كلمة "يعص"، وتعني بالعربية "يعظ"، وقد اشتهر سكان تلك المنطقة بالكلام والوعظ والحكمة. ظهر غالباً في أيام يعقوب، إذ لا نسمع في السفر عن الخروج، كما كان أيوب يقوم بالعمل الكهنوتي عن العائلة، ولا يذكر شيئاً عن العبادة الوثنية سوى عبادة الأملاك السماوية، وهي من أقدم العبادات.

كان بكر ناحور شقيق إواهم ويدعى عوص. واحتفظ نسله بعبادة الله، ودُعي الله إله ناحور (تك 31: 53). رى البعض أنه من نسل إواهم لكنه لم يأت من نسل إ. سحق، بل من أبناء قطورة زوجة إواهم الذين صوفهم شرقاً إلى بلاد المشوق وبالإجمال لم يكن أيوب إسرائيلي بل أمميًا، ومع ذلك لم يكن في الأرض نظوه في التقوى. وهكذا أظهر سفر أيوب وجود أشخاص أوار أمام الله ليسوا من إسرائيل.

❖ ليس لأن عيسو قدرُفض دين نسله الخلجون منه، فزى يعقوب المخادع له أبناء غير مؤمنين، وكان لعيسو أبناء مؤمنون وأغواء لدى الله. ليس من شك أنه يوجد كثيرون غير مؤمنين من أبناء يعقوب، فإن اليهود جميعهم، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين يرجع أصلهم إليه، كما يوجد أبناء لعيسو صالحون وأمناء كما يدل على ذلك أيوب كمثال الذي هو من نسل عيسو [2].

الأب إمبوسياستر

معنى اسم أيوب العواني الأصل لا يُعرف على وجه التحقيق، فالبعض يظن أنه يعني "راجع" أو "تائب"، أيضاً "المُبتلى" أو "المُجرب" و"الصابر"، وأيضاً "هدف العدو". وى البعض أن معناه "مكروه"، لذا يظن بعض الدارسين أنه أخذ هذا اللقب بعد دخوله في التجربة، وتحول أصدقائه إلى مقاومته. ويظن البعض أن هذا الاسم مشتق من "يأب" العبرية ومعناها "محب". وآخرون قالوا إنه من أصل عربي من "أب يؤوب" أي بمعنى "الراجع إلى الله".

وى البعض - بناء على ما جاء في رسائل تل العملقنة وغيرها من النصوص المصوية والحثية القديمة - أنه كان اسماً شائعاً في الألف الثانية قبل الميلاد، وأن الصيغة الأصلية للاسم هي "أياب" التي قد تعني "أين أبي؟" أو "بلا أب"، أي "يتيم".
جاء في النص السبعيني ملاحظة أن أيوب حسب التقليد هو يوباب الملك الثاني لأثوم، الورد في تكوين 36: 33.

كيف يبدو سفر أيوب؟

بالرغم من أن سفر أيوب هو من الأسفار الإلهية إلا أنه يحوي حوراً مستفيضاً بين شخصيات السفر. هذا الحوار ليس هو كلام الله نفسه، لكنه منون بإلهام من الله. وبعض قوات من الحوار أظهر الله عدم رضاه عنها كقوله: "من هذا الذي يظلم القضاء بلا معرفة؟" (أي 2:38). ولكن السفر يذكرها كما قيلت لمنفعتنا.

يقدم لنا الكاتب في أسلوبٍ نثريٍّ خبر رجل مستقيم (1:1) لا عيب فيه، يتقي الله، ويحيد عن الشر. يعيش وسط أبنائه ونويه حياة سعيدة، سمح الله له بضوياتٍ من الشيطان، فخسر خواته، ثم فقد بنيه وبناته، وأخوفاً أصابته قروح خبيثة، غير أنه تحمّل كل هذا خاضعاً لإرادة الله بواقع: "الرب أعطى، والرب أخذ، فليكن اسم الرب مبركاً" (21:1). أنقبل السعادة من الله ولا نقبل منه الشقاء؟ (راجع 10:2) وكانت النتيجة: في هذا كله لم يخطئ أيوب بشفتيه (10:2).

جاء إلى أيوب ثلاثة أصدقاء يعزونه هم: أليفاز التيماني، وبلد الشوحي، وصوفر النعماتي. وجلسوا معه على الأرض صامتين سبعة أيام وسبع ليالٍ، بعد هذا فتح أيوب فاه ليكشف عن العورة التي بداخله. فبدأ حوار بين أيوب وأصدقائه، أكد أيوب أنه ويء، وظل منذهاً أمام الشرور التي تنصب عليه. أما الأصدقاء فتصوفوا كمتلين مؤتمنين على اللاهوت التقليدي في هذا الوقت، وهو أن الله يعاقب في هذه الحياة الأشرار، ويجزي الأوار بحسب أعمالهم، فرسال المصائب دليل على وجود خطيئة سابقة. ويمتد هذا الحوار على ثلاث دورات. يتكلم على التوالي كل من أصدقاء أيوب ويجيبهم أيوب. بعد هذا يدخل أليهو بن برخئيل البيزي من عشوة رام ليقدم واهين تيرر تصوف الله في خلائقه. وأخوفاً يظهر الله في العاصفة ووسط جو مهيب، ويستعرض أمام أيوب بعض الخلائق العجيبة وبعض أسوار الكون. ويسأل أيوب:

"أين كنت حينما أسست الأرض؟

هل تعلم من حدد أبعادها؟

هل تعلم من مدّ عليها الخيط (المطمار) ليقبسها؟

إلى أي شيء تستند العواميد؟

من وضع حجرزوايتها؟" [6-4:38]

لم يجد أيوب جواباً، فاستسلم وركع في التراب والرماد تائباً نادماً (6:42). وإن كان أيوب وسط هولرة نفسه تفوه بكلماتٍ قاسية، لكنه لم يكف عن أن يلقي بنفسه على الله، وسوعان ما يتأسف على ما صدر منه من كلمات.

عاد أيوب إلى ما كان له من كرامة، وعادت إليه خواته مضاعفة، وأعطيت له عائلة كبيرة قبل أن يموت شيخاً شعبان الأيام (42: 16).

تسؤلات حول السفر

رواسة أسلوب سفر أيوب على ما هو عليه الآن أثرت العديد من الأسئلة منها:

ما هي العلاقة بين المقدمة والخاتمة النثرية بالحوار الشعوي؟

هل أحاديث يهوه جزء أصيل في مكونات السفر، أم يوجد لها أكثر من وثيقة مختلفة؟

هل تلك الأحاديث أصلية في السفر، أم أضيفت إليه بعد ذلك؟

هل أحاديث أليهو أصلية؟

هل أضيفت قصيدة الحكمة؟

هل عدم وجود حديث ثالث لصوفر يعني فقدان ذلك الحديث، أم أنه مقصود؟

أجاب كل درس على هذه الأسئلة بطريقته الخاصة المختلفة عن الأخرى، حتى أن عدد الآراء التي قيلت في هذا الموضوع يفوق الحصر.

غاية السفر

إن كان سفر إستير يعلن عن عناية الله بشعبه في أرض السبي، فإن أيوب يعلن عن رعايته لرجل أممي، إن صح التعبير، أحب الله، واستحق تسجيل اسمه وسيرته في الكتاب المقدس. كشف أيضاً عن جوانب من سرّ الألم في حياة القديسين، ويوضح الفرق بين تعزيات البشر وتعزيات الله. يقدم لنا السفر شخصية أيوب كمثالٍ حيٍّ للمؤمن الذي يثق في رعاية الله وعنايته بالرغم من عدم معرفته ما وراء الستار. إنه بار في عيني الله، لكنه ليس بدون خطية أو أخطاء.

أوضح القديس أمبروسيوس في كتابه "صلاة أيوب وداود" غاية هذا السفر، فقال:

❖ يوهن كتاب الله المقدس في عدة عبارات أنه لا بد للإنسان أن يعاني هنا من اضطراباتٍ في هذه الحياة، كما تُتاح له تعزيات كثرة أيضاً. وفي وسط تلك الأمور جميعها، فإن روحاً تتسم بالغريمة القوية واليقظة وإراك الصواب (الحق) يجب أن تغلب الضيقات الراهنة، وتتطلع إلى تلك الوعود بالفوح الأبدي.

حقاً وبالفعل تفوق التعزيات الضيقات والأتعاب، لأنها تمنح الهوء والطمأنينة وسط الصعاب الحالية، وتعطي الرجاء في الأمور العتيدة. لهذا يقول بولس الرسول أيضاً: "إن آلام الزمان الحاضر، لا تُقاس بالمجد العتيد" (رو 8:18).
حقاً إنها لا تستحق أن تُقلن بالتعزية. ناهيك عن الحديث عن ثروة الفداء [3].

❖ على هذا الأساس، شهد القديس داود بحقٍ، في كل أعماله، وخصوصاً في الزمور الواحد والأربعين (42) أنه كان يسوع إلى المجد، لأنه قال: "متى أجيء وأترأى قدام الله؟" (مز 42:2). وقد صور في هذا الزمور تصوراً بليغاً الاضطرابات التي يسببها ضعف الإنسان من جهة، والتعزيات التي من الرب من جهة أخرى. وفيه يصلي أيضاً داود لله عنا، كأن الله نسي عمله الخاص والفيض والوفرة والنعمة التي وهبها للإنسان. فقد هجر الإنسان الذي قرر أن يحميه ويكرمه، وألقى به في الهلاك، ضعيفاً ومحطماً بضغفات متنوعة (مز 42:10-11).

وفعل القديس أيوب نفس الشيء قبل داود، لكن كان الأخير يركز بالأكثر على الدروس الأخلاقية (moral)، أما الأول فبأكثر شدة وعنفاً! لهذا وضعت في قلبي أن أتأمل صلوات كليهما معاً، لأن فيهما تصوّراً لطبيعة الحياة الإنسانية، ودفاعاً عن قضية الإنسان، ويظهر منهما الوضع المتميز لتلك الطبيعة البشرية. لهذا يجب أن نهتم بهذه الصلوات بالترتيب [4].

القديس أمبروسيوس

❖ لنقتدِ الآن بأيوب الفريد في استقامته وتوّاه، الذي يحيد عن كل شرٍ، والذي أغار الشيطان مسلكه، وسوعان ما استثنوى ضده، فتساقطت السهام كالبرد حتى فوغت جعبته. وتلقاها ذلك البطل دون أن يكبو. لو جمعنا كل محن العالم وويلاته التي يمكن أن تحل بإنسان في حياته من فقرٍ ومريضٍ

وموت أبنائه، وانتقام الأعداء، ووجود الأصدقاء والوع والسخرية والإهانات والافزوات... وصببناها على رأس شخصٍ واحدٍ كما انصبت على رأس أيوب البار لعرفنا قيمته وجَدَه [5].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ هذا ما نتعلمه من حالة أيوب. يضع الله القارين أن يحتملوا التجربة حتى الموت أمام الضعفاء كنموذجٍ لهم [6].
- ❖ يتعلم (الإنسان) الاحتمال من أيوب، هذا الذي ليس فقط عندما بدأت ظروف الحياة أن تتقلب ضده، ففي لحظة اندفع من الغنى إلى الفقر المدقع، ومن كونه أبًا لأبناء فاضلين تحول إلى التكل (الحرمان من الأبناء)، ومع هذا بقي كما هو، محتفظاً بتدبير نفسه نون أن يتحطم. بل ولم يثر في غضب ضد أصدقائه الذين جاؤوا لتعزيته فوطؤوا عليه بأقدامهم، فتفاقت متاعبه [7].

القديس باسيليوس الكبير

- ❖ لست أعرف بأي لقب أدعو هذا البار.
هل أدعوه مصلحًا؟ إنه يفوق ذلك، بنواله مثل هذا العدد من الأكاليل!
هل أدعوه صخرة؟ إنني أراه أكثر صلابة منها.
هل جنديًا؟ أترك أنه أكثر قوة في جَلده.
هل أدعوه رجلاً؟ ولكنه يقوم في الحكمة؟
هل أدعوه شجرة؟ أراه أكثر سخاء منها.
هل ثرة؟ يظهر أنه أكثر جمالاً منها.
هل كزًا؟ يُعرف بأنه أكثر غنى من هذا.
بهذا فإنني لا أجد لقبًا أدعو به هذا القديس [8].

الأب قيصريوس أسقف آرل

- ❖ إنني أصعد المنبر لا لأمدح أيوب وحده. يوجد فيكم أيوبون كثيرون أمتدحهم. في كل واحدٍ منكم أيوب جديد، حيث يظهر صبر هذا القديس وبسالته من جديد [9].

القديس أمبروسيوس

- ❖ استخدم الشيطان كل حيله الثروة ضد أيوب الطوبوي محولاً أن يفرض عليه شر الخطية، فلم يقطع عنه فقط الاحتياجات الوهمية، بل وحاول أن وُعبه بكل مصائب الحرمان التي لم تكن متوقعة، كموت ولادة السبعة (وبناته الثلاث)، وإصابته بقروح مميتة، وعذابات لا تُطاق من رأسه حتى أخصم قدميه، لكن أيوب بقي في هذا كله ثابتًا غير مجذّب [10].
- ❖ صبر أيوب وانتقاعه بالتجرب التي بها زداد صلاحًا لم ينتفع به الشيطان، بل أيوب وحده لأنه احتمل بصبر [11].
- ❖ فإننا نؤا عن المكافأة التي نالها الطوبوي أيوب، والذي نُوج بالنصرة من الناحية اليمينية، لأنه إذ كان أبًا لسبعة بنين (وبناته الثلاث) وكان غنيًا وصاحب ثروة طائلة، كان يقدم كل يوم ذبائح لله لأجل تطهروهم، وذلك لشغفه أن يكونوا مقبولين وأغواء لدى الله أكثر منه. وكان يفتح بابيه لكل غريبٍ إذ كان: "عيونًا للعمي ورُجلًا للوج" (أي 15:29)، وكسا أكتاف التعابي بصوف غنمه. وكان أبًا للأيتام وزوجًا للأرامل، ولم يكن يوح قط لسقوط عدوٍ له. وقد بقي نفس الرجل في حياة الفضيلة بصورة أعظم عندما انتصر على المصائب من الناحية اليسارية، عندما أخذ منه ولادة السبعة (وثلاثة بنات) في لحظة، فإنه كأب لم يتغلب عليه الحزن المرّ، بل كخادمٍ حقيقي لله ابتهج بإرادة خالقه.

وإذ صار فقيراً بعدما كان صاحب ثروة، ومُعدماً بعد أن كان غنياً، وهزلاً بعدما كان قوياً، ومؤدباً وموفلاً بعدما كان مشهوراً وصاحب شرف، في كل هذا احتفظ بثبات عقله من غير أي اضطراب.

وأخيراً إذ تجرد من كل شيء جلس وسط الرمام وكان يحك جسده بسبب ما أصابه، زأواً بتنهيدات حلوة، ومع هذا لم يسقط في اليأس ولا جدف أو تدمر على خالقه [12].

الأب ثيودور

سمات السفر

بالإضافة إلى أنه سفر موحى به، فإنه أحد القطع الأدبية الرائعة في العالم [13]. بجانب ما حمله السفر من حقائق علمية اكتشفت حديثاً، فهو قطعة شعرية رائعة من أعظم ما عرفه الأدب القديم والحديث، يتنوعها من يواها في لغته الأصلية. كقصة متماسكة متصلة تتوفر فيها كل عناصر الحكمة القصصية وانسجام الشخصيات مع سياق القصة، وكلها دلائل على الفن القصصي الرفيع.

1. يكمن مفتاح السفر في الآيات ١: ٩-١١؛ ٢: ٤-٥، حيث **وى الشيطان أن الإنسان يخدم الله من أجل هباته**. فإن رُعت عنه هذه الهبات وحلت به الضيقات، يعطي الإنسان القفا لله.

2. من أبرز ما قدمه السفر **الكشف عن مفهوم العقيدة الإيمانية**. فقد كان الأصدقاء الثلاثة فلاسفة، علماء لاهوت، أصحاب معرفة، متدينين، يجيبون معرفة صفات الله، خاصة العدل الإلهي، لكن معرفتهم نظرية عقلانية، قدموا حقائق لاهوتية أكدها صادقة وهامة، لكنهم لم يتمتعوا بالحقائق والأسوار الإلهية كحياة يتمتعون بها في سلوكهم اليومي. جاءت عقائدهم جافة بلا روح، بل ومدورة لهم ولمن حولهم.

3. **طابع السفر** ولغته وما ورد فيه من عادات وأفكار تكشف عن قديم السفر. طول عمر أيوب يكشف عن أنه ينتمي إلى عصر الآباء قبل موسى النبي. لا يشير إلى النظام اللاوي للذبايح والكهنوت، ولا عن وجود أمة إسرائيل. هذا كله جعل أغلب الدارسين يعتقدون أنه أقدم أسفار الكتاب المقدس.

4. **الله محب للحوار**: يقدم لنا سفر أيوب صورة رائعة عن معاملات الله مع خليقته. فمع أنه الله القدير، خالق السماء والأرض، لكنه يقدر حرية الإرادة. أعطى حتى للشيطان المقوم والمفتري والمضل فرصة للحوار بكل حرية، ومع شهادة الله لعبيده البار أيوب استمع لاتهام الشيطان ضده بطول أناة حتى يكتشف المضل نفسه برّ أيوب. مع ما حمله حواره مع الله من لوم لله أحياناً، إلا أن الله يعمل في القلب المفوح الصريح.

يظهر الله في هذا السفر، سواء في حواره مع الشيطان، أو مع أيوب أنه محب للحوار، وليس لإصدار أوامرٍ ونواهٍ لكي تُنفذ إواماً دون اعتراض. إنه أب يعلمنا كيف نتعامل حتى مع مقاومينا، نستمتع بطول أناة لأولادنا ومرؤوسينا والمقاومين لنا، ونعطيهم فرصتهم للتعبير عن أنفسهم.

5. **الله قريب من أولاده، خاصة وهم في أتون التجرب**، سواء خلال أعماله الظاهرة أو الخفية. إنه يخفي أحياناً عن الأعين حضوته في وسط أولاده حتى يزيكهم في إيمانهم. الله ليس مصدر الألم والشقاء والضيق، لكنه يسمح به، لتوكية قديسيه.

❖ أيها الأحباء، هل التجربة صعبة؟ دعونا نحتمل المصاعب، لأنه ليس أحد يتجنب الرماح وتواب المعركة يفوز بالإكليل. هل العدو يخدعكم، وحربه بلا فائدة...؟

هذه التجرب ضعيفة، لأن الرب قد فوج شهم بالضعف. لكن دعونا نحذر من صواخنا بصوت عالٍ بسبب ألمٍ قليلٍ. إننا بهذا نكون مدانين. إذ تحرمون أنفسكم من المكافأة الأبدية التي تُعطى للأوار.

أنتم أبناء الذين اعترفوا بالمسيح. أنتم أبناء الشهداء. لقد قلوبوا حتى الدم ضد الخطية. لذلك اجعلوا أمثلة من هؤلاء قريبة وغزوة لديكم لتصبوا شجعان لأجل مسيحيتكم.

ليس فينا من يُوع جلد من جسده... لم يعان أحد منا من مصاورة مسكنه... لم نُسق إلي المنفى، لم نسجن... إذن ما هو حجم المعاناة التي

[14]

تكذبناها؟... حقيقة ربما نعتبر مصدر ألمنا هو أننا لم نعان شيئاً. وأننا غير مستحقين لآلام المسيح .

القديس باسيليوس الكبير

❖ كُوب هو الطريق الذي يدخل بنا إلى الحياة، وضيق أيضاً، لكن المكافأة رائعة وعظيمة إذ ندخله في مجد! [15]

القديس كيريانوس

6 . تقدم لنا هذه القصيدة الشعبية في عبرات واضحة الحقائق الخمس:

أ- فِكرة عن علم اللاهوت البدائي : تم البحث في هذا السفر بغاية الوضوح والإسهاب والوقار والفصاحة الروحية عن وجود الله، وصفاته المجيدة وكمالاته، وحكمته التي لا تُوصف، وقدرته التي لا تُقاوم، ومجده الذي لا يُترك، وعدله الذي لا يُلغى، وعظمته التي لا يُعبر عنها.

ب- يقدم لنا عينة من تقوى بعض الأُميين ، فأَيُوب لم يكن من شعب الله الخاص، لم يكن إسرائيليّاً، ولا دخيلاً على إسرائييل، ومع ذلك لم يكن هناك نظير له في التقوى.

ج- يقدم لنا نقسوراً للمشككتين الغامضتين، وهما نجاح الأَشوار أحياناً ونكبات الأَوار . يطمئنا القديس أغسطينوس أنه وإن وُجدت الحنطة مختلطة بالتبن هنا، لكن هذا لن يؤدي الحنطة ولا يفقد إكليلها، فسيأتي الوقت المعين لعزلها عن التبن، حيث يُحرق التبن في النار: [هذا التبن لا يُهلك من هم حنطة الوب، والذين هم قليلون إن قورنوا بالآخرين، لكنهم هم جمع عظيم. لا يهلك مختارو الله الذين يُجمعون من أقاصي العالم، من أربعة رياح، من أقصى السماء إلى أقصاها (مت 24: 31) .] ويصوح المختارون قائلين: " خَلَّص يارب، لأنه قد انقوض النقي، لأنه قد انقطع الأماناء من بني البشر" (مز 12: 1) . فيقول لهم الرب: "من يصبر إلى المنتهى (حيث يُقيد الشر) فهذا يخلص" (مت 24: 13) [16].

د- يقدم لنا مثلاً عظيماً للصبر والاتصال الوثيق بالله وسط النكبات الشديدة.

هـ- يقدم لنا رُفُؤاً للسيد المسيح ، وبصفة عامة نقول إن أيوب كابد الآلام الشديدة ، وأخلى نفسه وتواضع، من أجل هذا نال مجداً عظيماً. وهكذا وضع المسيح نفسه لكي ترتفع نحن. قال القديس جيروم إن أيوب كان رُفُؤاً للمسيح، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب (عب 2: 12) واضطهده الناس والشيطان وقتياً، وبدا أيضاً كأن الله قد تركه. لكنه قام من الأموات أخراً، لكي يشفع حتى من أجل خاصته الذين أضافوا ضيقاً على ضيقاته.

7. كمال أيوب: كان القديس يوحنا الذهبي الفم أسوأً لشخصيتين من الكتاب المقدس، يعشقهما، حتى متى أشار إلى إحداهما لا يقدر أن يكمل ما كان يكتبه أو يتحدث عنه، بل يسترسل في الحديث عن هذه الشخصية العجيبة ليعود بعد فترة معتوفاً أنه قد ابتعد عن موضوع كتابته أو حديثه. هاتان الشخصيتان هما أيوب البار من العهد القديم، وبولس الرسول من العهد الجديد!

كان أيوب كاملاً في فضائله. تعني كلمة 'كامل' " في لغة السفر مستقيماً، أو يسير على خط مستقيم، وليس فيه غش أو دوران. كان مستقيماً في سائر معاملته، أميناً في وعوده، ليس قدام الناس فحسب، بل وأمام الله الذي يشهد لكماله. وسرّ كمال أيوب واستقامته هو أنه يتقي الله ويحيد عن الشر. نُكّر في الكتاب المقدس ضمن ثلاثة رجال مبركين هم: فوح ودانيال وأيوب (حز 14: 14-20).

لقد كرّر القديس أغسطينوس في مواضع كثيرة قول القديس أمبروسيوس: [ليس أحد في العالم بلا خطيئة [17].] لك ننا مدعوون لنكون قديسين كاملين بشوكتنا الحية العملية مع يسوع المسيح ربنا.

❖ ليس من يدعو نفسه قديساً هو قديس، بل ذاك الذي يؤمن بالرب يسوع، ويعيش حسب تعليمه [18].

ثيودوروت أسقف قورش

❖ كل مؤمن هو قديس بالوغم من كونه إنساناً يعيش في العالم، إذ يقول (الرسول) "لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، والوأة غير المؤمنة

مقدسة في الرجل" (١ كو ٧: ١٤). أنظر كيف يقيم الإيمان القداسة؟ فإن رأينا علمانياً (واحدًا من الشعب) في ضيقة يؤمننا أن نمد يدينا إليه، فلا نكون غيرين تجاه سكان الجبال وهدمهم، فإن هؤلاء بحق هم قديسون في سلوكهم كما بالإيمان، أما الأولون فقديسون بإيمانهم والكثير منهم بالسلوك أيضًا. إذن ليتنا لا نذهب إلى راهبٍ ملقى في السجن، بينما نمتنع عن الذهاب إلى واحدٍ من الشعب. فالأخير قديس وأخ [19].

❖ هو نفسه جعلنا قديسين، لكننا مدعوون أن نبقي قديسين. القديس هو من يحيا في الإيمان، ويسلك حياة بلا لوم [20].

القديس يوحنا الذهبي الفم

8. **أيوب والبر الذاتي:** وى البعض أنه لم تكن توجد خطورة من كمال أيوب و قداسته سوى معرفته بكماله، وقد ملأت أفكار البر الذاتي حياة أيوب ولازمته طويلاً. من هنا استطاع المحروب أن يجد فيه مكاناً ليشتكى عليه، مما جعل الله يقبل طلب إبليس ويتركه ليحرب أيوب! ولم يكن هذا الكلام تجنيًا على أيوب البار، بل يظهر من تصوفاته وأقواله صدق هذا الكلام. فمنذ البداية يذكر الكتاب المقدس عن أيوب أنه قدم ذبائح عن بنيه قائلًا ربما أخطأ، أو هم يحتاجون إلى ذبائح دونه، لأنه اعتبر نفسه غير محتاج مثلهم. وزاه يقول عن نفسه: "كامل أنا، لا أبالي بنفسي، رذلت صباي". وفي الحقيقة كان أيوب يتطلع إلى وه في وسط جبلٍ موجٍ ضالٍ، ولكن حين رأى الله أخيرًا عرف حقيقة نفسه حيث يضع نفسه في الزاب والرماد.

تمسك أيوب بوجه كني في العهد القديم يحمل إينارزاً ولو ضئيلاً لكمال السيد المسيح الذي وحده بلا خطية.

❖ الله وحده هو البار والذي يبر، يهب الإنسان البر. إنهم يطلبون أن يُثبوا بر أنفسهم، بمعنى أنهم يظنون بأن الصلاح هو من عندهم لا عطية إلهية. بهذا "لم يخضعوا لبر الله" (رو 10: 3)، لأنهم متكبرون ويحسبون أنهم قادرين على لضاء الله بذواتهم لا بما لله [21].

القديس أغسطينوس

9 . كانت الحياة تبدو سهلة أمام أيوب، هينة مبهجة، يعيش في الفودوس نون أن يدخل مطلقًا إلى بستان جثسيماني، كأنه ينصب لنفسه خيمة على جبل التجلي! كان كمن يعيش إلى جوار شجرة الحياة، ولم يتعود حمل الصليب بعد. كان من الذين يريدون أن يدخلوا إلى ملكوت الله من الباب الواسع والطريق الوحب، ولقد أراد الله له أن يجرب الطريق الضيق، والصليب والجلجثة، يجرب الأخوان والضيقات ليأخذ بركة الضيقات.

10 . لم يقدر أصدقاء أيوب أن يعزوه للأسباب التالية:

أ- لم يأثروا ليعزوه بل ليدينوه.

ب- لم يتركوا معنى التجرب ولم يختبروها.

ج- كلماتهم بشرية، وليست من الله.

11 . اتجاهات أصدقاء أيوب:

أ- سار ألباز في أقواله طريق الاختبار الشخصي (أي 28:41).

ب- انقاد بلدد بالعنف والشدة نحو التقليد البشري وحجة القدامى (أي 8:8).

ج- تبع صوفر طريق الناموس القديم الحرفي (أي 14:11-15).

د- أليهو: روحاني، وهو رمز الوسيط الإلهي.

12 . يوبخ الله أيوب، قائلاً له: "من هذا الذي يظلم القضاء بلا معرفة؟" (أي 1:38). هنا يعاتب الله أيوب لكونه يتظلم على قضاء الله، وكأنه

يريد أن يقول لأيوب.

* أه يا أيوب لو كان لديك معرفة بأسوار الكون والخلائق غير المنظورة، لما شكوت من قضائي.

* إنني يا أيوب أريد أن أحرص الشيطان المدعي عليك لكي تدخل معي إلى الأبدية وأنت موكي، لا يسيطر شيطان عليك.

* كل ما زعه الشيطان في حقه وحسده سرده لك مضاعفًا، فهل هذا قضاء ظالم؟

ما يعوق عمل روح الله فينا، هو إننا نريد أن نرض عليه مشيئتنا، ولا نريد أن نخضع نحن لمشيئته. ليتنا نتعلم أن نعيش في روعة التسليم

للمشيئة الإلهية.

❖ "المجد لله في كل شيء". فإني لن أكف عن القول بهذا مهما حلّ بي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يحدث شيء بدون الله: نحن نعلم ذلك من مصادر كثيرة. كل من يتحقق أن الله هو العقل والحكمة والصلاح الكامل والحق، وأنه لا يسمح بشيء ليس صالحًا وبه الحق الذي له. لهذا فإن من يتحقق هذا يدرك أن تدابير الله ليس فيها عنصر المصادفة أو التشويش... إنها تتناسب، ونعرف أن هذه الأمور تحدث للأفضل.

القديس غريغوريوس النيسي

13. لن ييأس إبليس من مقاومة الله في أولاده ، لكن قدر ما يثابر على مقاومتهم يمتلئ كأس شوه، وتكمل هزيمته، وتتحول مقاومته إلى بركات

للأولاد الله.

❖ ما يقوله سفر أيوب عنه هو مخيف وموعب (أي 40: 18؛ 41: 7). جنباه نحاس، وظهوره حديد مسبوك، أحشؤه من حجارة صنفرة. هذا وأكثر منه

يقول عنه الكتاب المقدس. هذا هو قائد الفرق الشيطانية العظيم والقدير. ولكن ماذا يدعوه صاحب القوة والفريد؟ إنه "ثعلب صغير!" (نش 2:

[22]

15). كل الذين مع الشيطان، قواته بكاملها هي موضع سخريّة. الله يدعوهم بذات الاسم "الثعالب الصغرة" ويحث الصيادين ضدّهم .

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لا تخافوا مطلقًا تهديدات الشيطان، فإنّه مشلول كأعصاب ميّت [23].

هرماس

الإطار الذي دُون فيه سفر أيوب وقيّمته

قصة أيوب إحدى القصص الأدبية العظيمة في الأدب العوي، ولعل هذا ما ساعد على أن يكون لها مثل هذا الانتشار الواسع في كل العالم.

عالج السفر مشكلة طالما تتن منها الشعوب عبر الأجيال، وهي:

أ- التعليم التقليدي عن المجزأة الإلهية : في العهد القديم نرى الله يتعامل مع الشعب، لكنه لا يتجاهل الفرد. فتحدث لرميا (31: 29-30)

وحزقيال (14: 12-18: 1) (عن مسئولية الإنسان الشخصية والمجزأة الإلهية سواء كانت مكافأة لأعمال خيرة، أو عقابًا لأعمال شرة حسب التصرف

الشخصي. قال حزقيال بلسان الرب: الإنسان الذي يخطئ هو الذي يموت (حز 15: 2-4)، واستند هذا التعليم إلى أسس ثابتة، فأعلن أن الله العادل (إر

10: 17؛ مز 7: 36)، يجزي كل واحدٍ حسب أعماله (أم 3: 24). لكن عدالة الله هذه تتم على الأرض، لأن الشعب العواني لم يكن يؤمن بعد بوضوح

بقيامته الموتى وخلود النفس، لم يكن ينشغل بحياة ثانية بعد الموت. وبما أنهم لا يهتمون بعدالة الله في العالم الآخر، يرون ضرورة أن تتم على هذه

الأرض، والرب يعطي الإنسان أجرته في هذه الدنيا، يجعل البار سعيدًا والشور شقيًا.

ب- الاختبار اليومي يكذب هذه النظرية : يوجد صديقون يصيبهم ما يليق بعمل الأثوار، ويوجد أثوار يصيبهم ما يليق بعمل الصديقين. من

جانِبٍ آخر يقول سفر الجامعة (9: 2-3) كل الناس لهم مصير واحد، البار والشورير.

يتشكك المؤمنون حينما يرون الأثوار في أمان، لهذا توصل الحكماء إلى الأوار بأن لا يتمثلوا بالأثوار ولا يسيروا في طرقهم (أم 3: 31)،

17:23 مز 1:37). قال الحكماء بأن للألم مكانة في خطة الله، وهو يساعد على التكفير عن خطايانا، وأن المحنة ليست عقاباً من الله، بل هي نعمة من لدنه، وهو يؤدب الأبناء الذين يجبهم (أم 3:11-12). تعطي المحنة قوة ونقوة، تشبه النار التي تنقي الذهب. بهذا يطمئن البار بأنه سيخرج من المحنة وتعود إليه السعادة مضاعفة، أما الثيرير فلن يفلت من العقاب (مز 11:21)، وإن نسله سيصيبه الشقاء.

حاول الحكماء أن يدافعوا عن عدالة الله، ويؤكدوا للمؤمنين أنهم هم الواحون في النهاية، ولكنهم نسوا الواقع اليومي. فجاء سفر أيوب يفتح عيونهم على ما يصيب الناس في هذا العالم، ويفتح قلوبهم إلى الإيمان بالله يريد أن يرفعا على مستوى العطاء المجاني إلى مستوى الإيمان المطلق الذي يسير على هدى كلمة الله بالرغم من الظلام المحيط به.

آلام أيوب التي نتجت عن ادعاءات الشيطان ضد تقوى أيوب وعن الإذن الإلهي بذلك تثبت أنها ليست وهائاً على لعنة القضاء الإلهي على أيوب، كما حاول أصحابه أن يثبتوا. إنما هي وهان على الثقة الإلهية فيه، وتحدي الرب للشيطان، ليثبت له برّ أيوب. فسفر أيوب تفسير بليغ لعدم كفاءة العقل البشري على الإجابة على الأسئلة البشوية، فظهور الأصدقاء لنصح أيوب يؤدي إلى الجدال والأمل الكاذب واليأس، بينما ظهور الله يؤدي إلى الخضوع والإيمان والشجاعة. كلمة الإنسان عاجزة عن اختراق ظلمة عقل أيوب، أما كلمة الله فتجلب النور الدائم. ويتطلع سفر أيوب إلى السيد المسيح، فتثار المشاكل وتُسمع أنات التوجع، وهذه كلها يستطيع ربنا يسوع وحده أن يعالجها. في القلب البشري فراغ لا يستطيع إلهنا يسوع المسيح وحده أن يملأه.

كاتب السفر وتاريخ كتابته

غير معروف على وجه التحقيق اسم كاتب هذا السفر. فيما يلي بعض الآراء:

1. روى البعض أن هذا السفر سُجل في نفس عصر الحدث نفسه بواسطة أيوب نفسه، أو أليهو أحد أصدقائه الأربعة.

2. روى كثير من الآباء أن موسى النبي كتبه وهو في مديان لتغذية الشعب الساقط تحت العبودية، وليتقوا في عمل الله معهم. وبميل الربيون

[24]

إلى نسب السفر إلى موسى النبي. وكان رئيس الكهنة يوقاً سفر أيوب للتغذية قبل يوم كبير .

3. روى البعض أن أليهو هو كاتب المناقشات، وأن موسى النبي كتب الأصحاحين الأولين والأصحاح الأخير ، إذ دُعي الله "يهوه" في هذه

الأصحاحات الثلاثة، ولم يُذكر إلا مرة واحدة في المناقشات (أي 12: 9)، وهو الاسم الذي لم يعرفه الآباء الأولون قبل موسى (خر 6: 3). إذ كان الله يعرف بالقدير (شاداي)، وقد ذكر في السفر أكثر من ثلاثين مرة.

واضح أن السفر كُتب قبل موسى النبي، حيث لم يشر إلى خروج إسرائيل من مصر حيث خلصهم الله من مرارة عبودية فعون، ولا أشار إلى

الناموس.

لم يُوجه السفر إلى شعبٍ معين، لكنه وُجد بين أسفار العهد القديم، موحى به من الله. يعتقد البعض أنه كُتب للشعب اليهودي كنسٍ لهم عن عناية الله الفائقة لمحبيه وسط آلامهم وتجربهم، غير أن طابع السفر جامعي، يحدث كل إنسان في البشوية دون تقيّد بجنسٍ معين. إنه كتاب كل عصر لكل إنسان وكل أمة، تحتاج إليه كل البشوية في كل حين لتتلمس خطة الله من نحو الإنسان، ورعايته له.

4. روى البعض أن الكاتب هو أحد العوانيين الملمين بأداب بلادهم ، وهو شاعر عبوي ومفكر عميق، انفتح على سرّ الله، ولربط بمثال

أخلاقي سامٍ، وأحس بشقاء الناس وبالضيق الذي يعيشون فيه.

5. سُجل في عصر سليمان؛ أخذ بهذا لوثر و Franz Delitzsch وآخرون. يستحسن بعض الدالسين هذا الرأي، لأن سليمان الحكيم كان

مهتمًا بمعالجة المشاكل الواقعية في الحياة، وأن سفر الأمثال إلى حدٍ ما حمل ذات الفكر الذي لسفر أيوب. كل من السفين يهتم بالحكمة كأمرٍ جوهري وحيوي في حياة المؤمن. هذا وإن كان سليمان نفسه أو أحد معاصريه قد سجل السفر، فهذا يتفق مع انفتاح شخصية سليمان على الشعوب والأمم الأخرى.

6. كاتب السفر هو **إشعيا** أو **حزقيا** أو **باروخ** صديق لرميا. ووى البعض أنه سُجِّل في وقت السبي، إما قبله مباشرة أو بعده، ربما في أيام حكم منسى. يعتمد أصحاب هذا الرأي على أن السفر جاء نتيجة تشكك البعض في عناية الله الذي سمح لإسائيل بالهزيمة وحوث كورث على نطاق واسع. لكن بعض الدارسين رفضوا هذا، لأن السفر لم يعالج مشكلة الألم أو الكورث على مستوى الجماعة أو الشعب، إنما على مستوى الفرد. ولأن ما حواه السفر سواء من جهة النظرة إلى الله أو إلى السلوكيات ليس أكثر تقدماً مما كان للذين في عهد سليمان. وى البعض أن سمو شخصية أيوب يمكن مقلنتها بشخصية ملكي صادق الذي التقى معه إواهم.

7. للأسف **يعتقد بعض النقاد أن سفر أيوب هذا لم يُكتب بيدٍ واحدةٍ بل شكلت المقدمة (1:1-13:2) والخاتمة (42:7-17) خواراً فولكلوريا** يتحدث عن سمورجل عاش في أرض عوص، فاشتهر في الشوق، وتنقل هذا الخبر على ألسنة الحكماء في الألف الثاني ووصل إلى أرض كنعان في أيام صموئيل ودود وسليمان، أي في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م، أي قبل السبي. ولما حلت الكثرة بأورشليم سنة 587 ق.م خسر بنو يهوذا كل شيء، فدفعهم الضياع الذي وقعوا فيه إلى التساؤل عن معنى وجودهم وعن صحة إيمانهم بربّ الله وقداسته وعدله. فعاد أحد شعراء الفوج الثاني فوضع قصيدة (3:1-31 - 40؛ 38:10 - 42:6) وطبعها بالطابع النوي. قدم لنا بطلاً يتألم، ولا يعرف لماذا يتألم، وأصدقاء ثلاثة تجادلوا معه في معنى الوجود، وفي حقوق الإنسان تجاه عدالة البشر وعدالة الله (31:35 - 37). وبعد هذا جاء تلميذ لكاتب سفر أيوب فؤاد خطبه أليهو (23:1 - 37:34) يدافع أيضاً عن الله، ويبني قيمة الألم الذي يؤدب الإنسان.

كان هناك أناس يحسون بالمرارة (3:15) والغضب تجاه إله لم يف بمواعيده، فسُود لهم خبر أيوب الذي تألم كما تألم بنو يهوذا. كان الشعب يعتبر أن له حقوقاً على الله، فأعلن سفر أيوب أن الله ليس تاحراً نعطيهِ فيعطينا، لأن الإيمان الحقيقي يعلمنا المجانية.

[25] **أيوب في أدب الحاخامات Rabbinical Literature**

لم يكن سفر أيوب من الأسفار المقرر قراءتها قاءة عامة في المجمع اليهودية، مثل أسفار موسى الخمسة والأنبياء، أو في المناسبات الدينية في الأعياد مثل كتب "المجلوت" (الوج) الخمسة، وهي: نشيد الأناشيد وراعت وراثي رميا والجامعة وإستير. لكنه كان كتاباً للقراءة الخاصة، فهو كتاب يعالج موضوعاً عميقاً بروق للطبقات المثقفة الواعية.

نظراً لأهمية سفر أيوب اهتم التلموديون *Talmudists* اهتماماً ائداً بالشخصية الرئيسية للسفر. كل الحاخامات باستثناء اثنين فقط يؤكفون أن أيوب شخصية تاريخية واقعية، وإن كانوا قد اختلفوا في تحديد الزمن الذي عاش فيه كما اختلفوا في تحديد جنسيته.

1. وى بار كابرا *Bar Kappara* أن أيوب عاش في عصر إواهم.
2. وى أبا كاهانا *Abba Kahana* أنه عاش في أيام يعقوب، وأنه تزوج دينة ابنته.
3. ر. ليفي *R. Levi* قال بأنه عاش في أيام أبناء يعقوب، كما قال على لسان يوسي هالافتا *Yose b. Halafta* أن أيوب وُلد أثناء ذهاب يعقوب إلى مصر، وأنه مات عند خروج إسائيل من مصر.

وى البعض أن ما حلّ بأيوب علته أن فوعن طلب المشورة من يثرون وبلعام وأيوب كيف يعمل على تقليل عدد شعب إسائيل، وقد ضُوب أيوب بالضيق لأنه وقف صامتاً. وردت هذه القصة في سفر ياشر [26] *Sefer ha-Yashar*، إذ جاء فيه الآتي: كان أيوب أحد خصيان فوعن ومشوريه الذي أشاروا إليه بقتل الأطفال الذكور (خر 1:16). وإذ رأى فوعن في حلم ينذر بميلاد مُعين *helper* عندئذ عاد يطلب مشورة أيوب من جديد، فأجابته بطريقة غامضة: **"ليفعل الملك ما يسره"** [27]. وى البعض أن موسى النبي التقى بأيوب أثناء تجواله في البرية قبل ذهابه إلى مصر لينقذ الشعب من عبودية فوعن.

4. وى *Levi b. Lahama* ليفي ب. لاهاما أن أيوب عاش في أيام موسى الذي قام بكتابة السفر. وى بعض الحاخامات أن أيوب كان أحد

خدام فوعن الذي كان يهاب كلمة الله (خر 9: 20).

5 . وى رابا *Raba* أن أيوب عاش في أيام الجواسيس الذي أرسلهم موسى لفحص أرض كنعان. وكان أيوب أمميًا تقياً، أحد أنبياء الأمم.

6 . وى بعض الحاخامات أيوب إسوئيلياً، ووى البعض أنه أحد العائدين من السبي.

أيوب قصة تاريخية واقعية

يظن البعض أنه من الصعب أن نقطع بما إذا كان أيوب شخصية حقيقية أم لا، ولكن لا بد من وجود أساس واقعي للقصة، جعل لها كل هذه القوة والتأثير، فأأيوب يعيش في قلوب الناس - وإن تكن لها صورة الأسطورة - لا يمكن إلا أن تكون شخصية حقيقية، وليس من طبيعة الكتاب العوانيين أن يستوحوا أبطال قصصهم من محض الخيال، بل يبنوها دائماً على أسس صحيحة من الواقع.

1 . حدد الموضع الذي كان فيه أيوب وهو عوص، وسنتحدث عن هذا الموقع في الأصحاح الأول.

2 . حدد شخصيات أصدقائه: أليفاز من نسل عيسو (تك 36: 11)، وبلدد من نسل إواهم وقطورة (تك 25: 2)، وصوفر من مكان لم يحدد.

وأليهو من نسل ناحور، أخ إواهم (تك 22: 21).

3 . أما الحوار بين الله والشيطان، فقد تعرف عليه الكاتب خلال إعلان إلهي، كما في كثير من أسفار الأنبياء.

أيوب والأسفار المقدسة

مع عدم محبة بعض اليهود لشخصية أيوب، لأنه ليس من رعية إسوئيل، إلا أنهم كأمناء على كلمة الله احتفظوا به كسفرٍ مقدسٍ، كُتب يوحى الروح القدس. أشار إليه يعقوب الرسول (يع 5: 11)، واقتبس منه الرسول بولس (1 كو 3: 19، أي 5: 13).

موضعه في الأسفار العبرية القانونية، يتفق مع ما له من تقديرٍ كبيرٍ، فهو يقع في القسم الثالث، الذي يسمى في العبرية "كتبهيم" أي "الكتابات المقدسة"، والتي تعرف في اليونانية باسم "الهاجيوغرافيا" - بعد سفر الزامير وسفر الأمثال، ولكنه وُضع في الترجمة السبعينية في مقدمة الأسفار الشعورية، وهو ما سلت عليه الترجمات الحديثة.

وسفر أيوب واحد من ثلاثة كتب (مع الزامير والأمثال) وضع لها علماء اللاهوت العوي (المأسورين) نظاماً خاصاً لعلامات التقييم لإظهار سماتها الشعورية.

كرم أيوب

اهتم التلموديون *Talmudists* بشخصية أيوب وتقواه، وحسبوه أكثر البشر كرمًا. وأنه مثل إواهم بنى فندقاً في مفترق الطرق، له أربعة أبواب، كل باب من ناحية معينة، حتى لا يجد عابرو السبيل صعوبة في إيجاد مدخل إليه. كان مشهوراً بحبه وحنوه، يفتقد الموضى والمتألمين، ويهتم بالأيتام. كان إواهم يعبد الله بتقوى، مقدماً صلوات طاهرة. ومثل ملكي صادق وأخوخ يسلك بلا لوم، بعيداً عن كل تصوفٍ مشينٍ.

بحسب الترجوم كان اسم أيوب أحد سبعة أسماء منقوشة على السبعة فروع للمنزلة الذهبية.

رأى بعض الربيين أن هذه السمات تجعله يفوق شخصية إواهم. لذلك حاول آخرون الكشف عن سمو شخصية إواهم التي تفوق شخصية أيوب. قال يوحنا زاكاي *Yohanan b. Zakkai* إن كل تقوى أيوب كانت صاورة عن الخوف من العقاب. وجاء في *R. N. Recension* أنه مع ما بلغه أيوب من كرمٍ عظيم إذ سقط في أخزان اشتكى بأنه ظلم، وأن الله قال له: " كرمك هذا لم يبلغ بعد نصف كرم إواهم".

يميل الأدب التلمودي إلي اعتبار أيوب مخطئاً، أو كما قيل إنه "قد تمرد" [281] "وولا تمرد لالتوم الشعب أن يردد في صلواته: "إله أيوب"، كما

يرددون: "إله إواهم وإسحق ويعقوب". ووى رابا *Raba* أن أيوب قد أنكر القيامة [29].

بين السيد المسيح وأيوب

يقول John Howard Raven بأن سفر أيوب هو أفضل عرض نوامي لمشكلة آلام الأورار، لا يمكن مضاهاته في كل الأدب. حل المشكلة اللائق مثالي يقترب جدًا من حل العهد الجديد بطويقة واقعية. أيوب المتألم البار هو ظل للمسيح المتألم البار. والبركات المتدفقة بسبب آلام أيوب هي ظلال للبركات غير المحصية التي لآلام المسيح. يسند هذا الفكر ما ورد في يعقوب ^[30] 11:5.

واضح أن أيوب وهو ليس إسرائيليًا كان على واية بالوعد الإلهية الخاصة بالخلص والتمتع بالقيامة والمجد معه (أي 19: 25-27)، تسلمها بالتقليد الشفوي.

- 1 . تعرض كل من السيد المسيح وأيوب في زمانه أكثر من غوه لتجرب الشيطان وانتصر عليها.
- 2 . كل من السيد المسيح وأيوب تخلى عنه أصحابه أبان تجربه.
- 3 . من إجابة أيوب على أصحابه قال مشورًا ضمناً إلى المصالحة التي صنعها السيد المسيح. "لأنه ليس هو إنسانًا مثلي فأجابه، فنأتي جميعًا إلى المحاكمة. ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا" (أي 9: 32-33). وقد رادت الكنيسة بتلاوتها ميمر أيوب يوم رُبعاء البصخة أن تبين لنا أن المصالح الذي تكلم عنه أيوب في السفر قد وُجد فعلاً، وهو السيد المسيح الذي بدأت آلامه بخيانة تلميذه له في يوم الأربعاء.
- 4 . كل من السيد المسيح وأيوب انتصر في النهاية على التجربة، فیسوع المسيح صُلب ومات ولكنه قام حيًا. وأيوب قيل عنه: برك الرب أخوة أيوب أكثر من وُلاه، ومات شيخًا وشبعان أيامًا.
- 5 . بالرغم من أن أيوب عاش العصر الأول في العهد القديم إلا إنه قدم مثلاً واضحًا عن السيد المسيح، حين قدم نفسه للتحري مستهينًا بالعار، مُضطهدًا ومرفولًا من الناس والشيطان، ثم مات ودفن وقام معلنا القيامة، وقد شفع فينا بالدم الكريم. هكذا أيوب أيضًا قدم شفاعة عن مضطهديه وقدم الذبائح عنهم.

يقول Franz Delitzsch [المحتويات الحقيقية لسفر أيوب هي سر الصليب : صليب الجلجثة هو الحل للغز كل صليب، سفر أيوب هو نوبة عن هذا الحل النهائي ^[31]].

رعوع أيوب

قيل أن هذا النبات هو الذي استعمله أيوب حينما استحم ورأ. وهو عيلة عن عشب من فصيلة النعناع الأخضر وفي حجمه وشكله وله رائحة عطرية هادئة (الويحان)، ويُجمع حزمًا في يوم الأربعاء ليستعمل في الاستحمام مع الماء لما يعتقد من خاصية الشفاء فيه.

أيوب في الكنيسة القبطية

- ❖ **تعيد الكنيسة القبطية لأيوب** في أول توت تذكار شفائه من موضه العضال بعدما استحم بالماء، وفي 2 بشنس تذكار نياحته.
- ❖ تُؤأ نواته في فترة الصوم الكبير، ويُذكر في طقس سر مسحة الموضى حتى لا يبيأس أحد من شدة موضه.
- ❖ **يذكر اسمه في التسبحة:** فنصلي في مجمع قائلين: اطلوا عنا يا صفوف الأنبياء والأورار والصديقون، أطلب عنا أيها الصديق أيوب. اطلوا من الرب عنا يا يواقيم وحنة ويوسف والشيخ والصدیق أيوب ويوسف ونيقوديموس، ليغفر لنا خطايانا.
- ❖ ويذكر اسمه أيضا في ثيوطوكية الأحد وفي الشوات حيث تسبح الكنيسة قائلة: السلام لك يا مريم ثبات أيوب البار...
- ❖ وفي ذكولوجية الصوم المقدس حيث تقول: بالصوم والصلاة وراعف الله على عبده أيوب ومنحه الشفاء.
- ❖ **تذكار أيوب في البصخة المقدسة:** يعرف يوم رُبعاء البصخة باسم (رُبعاء أيوب)... لأنه فيه يُتلى ميمر هذا البار الذي كان رمزًا للسيد المسيح في آلامه الشديدة وتجربه كما بالنهاية السعيدة التي حُتمت بها حياته. وقد ترتبت الكنيسة قاءة ميمر أيوب يوم الأربعاء، لأن فيه بدأ تدبير المؤاودة على

وحدة السفر

يعترض البعض على وحدة السفر بالآتي:

1. أن أحاديث أليهو (أصحاحات 32-37) تبدو أنها وُضعت مؤخرًا ، إذ لم يُذكر أليهو في مقدمة السفر ولا في خاتمته، وأن مناقشته لم تختلف عن الأصدقاء الثلاثة لأيوب، ف جاء حواره يعترض انسجام هذه القطعة الشعرية بلا معنى، خاصة وأن يهوه أجاب أيوب وليس أليهو (1:38).
يود على ذلك بالآتي:

أ. لم يُذكر أليهو في المقدمة، لأنه لم يدخل في المناقشات حتى المرحلة الأخيرة. ولم يذكر في خاتمة السفر، لأن دوره كسابق ليهوه يهيئ الطريق في أذهانهم قد تحقق.

ب. دان أليهو أيوب على اتهامه الله بالظلم، غير أنه حاول أن يبرر موقف أيوب (32:33).

ج. لم يكن هدفه مناقشة مشكلة الألم بالنسبة للأوار قدر ما كان يُعد الطريق لحديث الله مع أيوب في العاصفة.

د. أجاب الله أيوب لا أليهو، لأن موضوع السفر هو أيوب البار المتألم، كما لم يوجد في أحاديث أليهو ما يُدان عليه.

هـ. بدون حوار أليهو تكون الإجابة من العاصفة مبتورة [32].

2. روى بعض النقاد أن ما ورد عن هولث الأشرار (7:27 الخ) لا موضع له في هذا المكان، إذ جاء الحديث مشابهًا لما ورد في أصحاب

20.

يود على ذلك أن الحديث متناغم مع ما جاء قبله ويجعله واضحًا. لقد أكد الأصدقاء الثلاثة عدوتهم لأيوب. فبنفسه المحطمة زاد أيوب تأديبهم على هذه العدوة الموجهة ضده بلا سبب. لقد توقع أيوب أن الله حتمًا يتدخل ليرد له موقفه.

3. ما ورد في الأصحاح 28 عن الحكمة قطع العلاقة بين الأصحاحين 28

و29 ، وأنه حديث غريب عما سبق فقله أيوب، وعما يعانیه من حزنٍ وورلةٍ.

يود على ذلك بأن الأصدقاء الثلاثة ظنوا أنهم أصحاب حكمة، فزاد أيوب تأكيد أنهم لم يقتنوا الحكمة، بل هم مستحقون التأديب الإلهي بسبب عدوتهم له الباطلة. يبرز هذا الأصحاح حال أيوب كيف كان يمر بفترات يأس مؤه، لكن يشوق عليه الرجاء في عمل الله الأكيد وخلصه، فيمتلئ رجاءً.

4. يدعى بعض الدارسين أن افتتاحية السفر وخاتمته وُضعتا مؤخرًا في وقت لاحق للسفر. يود على ذلك أنه بدون المقدمة والخاتمة لا معنى

للحوار كله، وليس من حلٍّ للمشكلة ذاتها.

5. استخف Cheyne بما ورد من أقوال القدير (ص 38-41)، خاصة وصف بهيموث (40: 15-41: 34)، كعنصر موبك في السفر لا

لزوم له. ويؤيد على ذلك أن السفر يحمل انسجامًا وتناغمًا أدبيًا عجيبيًا. وأنه إن حذف أقوال يهوه من العاصفة تبقى مشكلة الألم بلا حل، ويفقد السفر

أجمل فصل فيه [33].

الهيكل العام للسفر

ولاً: بين السماء والأرض ص 1، 2:

❖ إن كان الله يوح بأولاده الصالحين ويعتز بهم (1: 8)، فإن العدو بدوره لا يكف عن الشكوى ضدهم لعله يجد فرصته ليحربهم بالآلام.

❖ يسمح الله لإبليس بذلك لكي يمتلئ كأسه ويتركى أولاد الله.

1. أيوب قبل التجربة 1: 1-5.

2. الشيطان والألم 1: 6- ص 2.

ثانياً: تعزيات بشرية ص 3

جاء أصدقؤه يعزونه، فتمررت نفسه بالأكثر، وسبّ اليوم الذي وُلد فيه، واشتهى الموت. "معزون متعبون كلكم". لم يقف الأمر عند العجز عن الواء، إنما صلروا يدينونه ويثيرون مباحثات نظرية تحطم نفسه.

ثالثاً: مباحثات نظرية حول الألم ص 4- 37

1- المباحثة الأولى 4- 14 تنتهي كل مناقشة بطلب من أيوب أن يتوب.

2- المباحثة الثانية 15- 21 تعالج كل مناقشة الألم ونهاية الأثوار.

3- المباحثة الثالثة 22- 31 مثل المباحثة الأولى.

4- أليهو الحكيم 32- 37.

❖ الألم في ذهن أصدقائه علامة غضب الله، لذلك حسوا أيوب إنساناً أثيماً مراثياً.

❖ استنبط أليغاز التيماني واهينه عن دروس تعلمها في حلم أو رؤيا، وبلدد الشوحي عن أمثال قديمة (8: 2- 13)، وصوفر نعماتي عن الخوة والعقل.

❖ دافع أيوب عن نفسه، وفي ص 21 قدم وهائناً جديداً أن الأثوار غالباً ما يعيشون في وسع.

❖ انتظر أليهو الشاب الحكيم إلى النهاية مظهراً أن الألم لتأديب النفس، كما أعلن الحاجة إلى الفادي الوسيط للتبرير (33: 23- 28)، كما كشف عن سمو حكمة الله (37: 11- 13).

رابعاً: الله والألم ص 38- 42

❖ اظهر الله لأيوب جهله بأمور كثيرة تنور حوله، فكيف يبرك أسوار الله؟

❖ يوري ص 38 معلومات لم يبركها الإنسان إلا في القون الـ 20.

❖ أوضح الله حكمته في التجربة:

1. بهارأي أيوب الله. "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني" (42: 5).

2. بها نال أيوب كرامة، فطلب الله من أصدقائه أن يسأوه الصلاة عنهم والشفاعة من أجلهم.

3. ردّ له الراكات مضاعفة.

4. أكدّ له أن ولاده لم يموتوا.

أقسام سفر أيوب

1. مقدمة 1-2.

2. مراثاة أيوب 3.

3. حوار شوي بين أيوب وأصدقائه 4-31.

أ- الدورة الأولى للحوار 4-14.

ب- الدورة الثانية للحوار 15-21.

ج- الدورة الثالثة للحوار 22-31.

4. **خطب شعرية يلقبها أليهو** 32-37.
5. **حوار شعوي بين الرب وأيوب** 38-42.
- أ- **الرب يرد على أيوب** 38-41.
- ب- **إجابة أيوب على الكلمة الإلهية** 42: 1-6.
6. **أيوب يستعيد ضعف ما فقد** 42: 7-17.

ملاحظة

أهم الآباء الذين فسروا سفر أيوب هم:

1. القديس يوحنا الذهبي الفم

Jean Chryostome: Commentaire sur Job, tome 1 (ch. 1-14), tome 2 (ch 15- 42). trans. into French, by Henri Sorlin (Source Chrétienne, No 346, Paris 1988.

[34]

2. البابا غريغوريوس (الكبير)

Morals on the Book of Job, Oxford, London 1845, 1847 (John H. Parker J. Rivringion).

3. الأب هيسخيوس الأورشليمي

Hésychius de Jérusalem: Homélie sur Job. Vol. 1, 2. by Charles Renoux, F. Graffin. Patrolog. Orientalis, tome 42, Fascicule 1, No 190, Fas 2-191. Belgium 1983.

تتيح هذا الأب حوالي عام 450 م، وهو كاتب ومفسر للكتاب المقدس. بدأ حياته المبكرة راهبًا. وفي عام 412 سيم كاهنًا في أورشليم حسب قول ثيوفان المعترف. لا نعرف عنه شيئًا سوى ما قيل عنه أنه فسر الكتاب المقدس كله. ويظهر مما تبقي من تفاسيره وتعليقاته أنه أخذ المنهج السكندري في التفسير، ودافع عن الإيمان الأرثوذكسي ضد الأريوسيين وأتباع أبوليناريوس وأتباع ماني وغوهم. نُشر عمل باسم "القرن Centuries" وهو عمل نسكي تحت اسمه، غير أنه هو للأب هيسخيوس السينائي (القرن السادس/ السابع) تعيد له الكنيسة اليونانية في 25 مارس [35].

وُجدت تَرجمات كثيرة لهذه النصوص.

من وحي سفر أيوب

بأي لقب أدعوك يا أيها البار؟

❖ عشت أمميًا بلا ناموس مكتوب،

فسبقت بعذوبة تقواك كثوين من شعب الله!

لم يكن معك كتاب مقدس، ولا مرشد أو معين،

لكن قلبك ارتفع ليشرك السمائيين تسابيحهم!

❖ حياتك صلت إنجيلًا مفتوحًا، يؤاه كل إنسان،

فيتلامس مع حب الله للبشر.

حياتك تشهد لله الذي ليس عنده محاباة،
يحب كل إنسان، ويشتهي خلاص الكل!
اسمك سبق الكثيرين، يُسجل في سفر الحياة.
سمعت عن الله، ورأته عيناك،
وَأَيُّ مَنْ مِنْ رِجَالِ اللَّهِ يَبْلُغُ مَقَامَكَ؟

❖ سيرتك هي سورة القلب المفوح،
سورة الأوبة الصادقة لكل إنسان!
في غناك لم تغلق بابك أمام المحتاجين،
وفي فوقك فتحت أبواب الرجاء لكل المرابين!

❖ على المزبلة تمجدت أكثر من آدم أبيك في الفؤوس!
في حديثك مع زوجتك، لم تتحن للغواية كأبيك،
بل جذبتها لتتعمع معك بالخوات والبوكات.

❖ في صواعك مع التجرب المتنوعة تكلفت وتمجدت.
في حورك مع أصدقائك، لم تطلب تغوية بشوية.
وفي حورك مع الله تواضعت فتمجدت!

❖ لم يبأس إبليس من مقاومتك!
لكنك كنت مختفياً في صخر الدهور.
تكسوت سهام إبليس، وصار في حوري!
وتركيت أمام الله، وصوت في مجد!
صورك حطم كل حيل العدو!

❖ طوباك يا أيوب، صوت رجزاً لمسيحنا!
جُربت وكُللت، وجُرب هو ليكلنا فيه!
تخلى عنك أصحابك، وطودته خاصته خولج المحلة!
شفعت في أصدقائك الذين عادوك،
وشفع مسيحنا بدمه الثمين فينا ونحن أعداء!

- ❖ صوت كميّة في مزبلة، وقمت متهللاً بروية إلهك!
- ومات مسيحنا ودفن، وأقامنا معه لوى الأحضان الإلهية.
- طوباك ثم طوباك يا من صوت مثلاً رائعا عبر الأجيال.
- بأي لقب ندعوك يا أيها البار؟

ملحق خاص بالثلاث مباحثات

المباحثة الأولى 4-11

أليفاز 4-5

1. اعتمد على الخبرة وملاحظاته الشخصية ورؤيا بالليل.
2. أكرهم سناً: القائد والمتقدم في كل حوار.
3. هيا الجو لأصدقائه بتقديم نظريته : يوجد ارتباط حاضر بين الخطية والألم. فالبرّ يجلب سعادة زمنية، والخطية تجلب نكبات زمنية، وقام بتطبيقها على أيوب.

في مباحثته الأولى حسب آلام أيوب بسيطة تتناسب مع شروبه، لكنه قدم اللوم لأيوب من أجل خطايا العظمى:

1. كاتبته (4:2-11) لشعوره بالظلم من قبل الله.
2. عدم صوره (4:12-7:59).
3. عدم توبته عن خطايا الخفية (5:8-27).

رد أيوب 6-7

- ❖ حضور الفلاسفة وعرض نظرياتهم دفعه للتساؤل عن عدل الله، دون الدخول في حوار لاهوتي.
- ❖ عبّر عن ثورته الداخلية: ليس من خطية غير عادية - وإن كان يعترف بخطايا.
- ❖ توبيخه لأصدقائه على اتجاههم غير المتوفّق (6:14-30).
- ❖ وجه نظره لله ليجدد موثاته (7:1-21).

بلدد 8

- ❖ اعتمد على التقليد البشري وحجة القدامى.
- ❖ عدم مبالاته ببؤس صديقه.
- ❖ استخفاف بدفاع أيوب عن شكواه.
- ❖ تجاهل نقد أيوب لهم لعدم ترفقهم به.
- ❖ أكد نظرية أليفاز [عدالة الله].
- ❖ ذلّ حديثه بكلمة مختصرة مبهجة لكن بطريقة غير لائقة (20-22).

رد أيوب

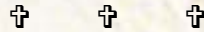
- ❖ مثل إجابته الأولى على أليفاز قدم نفسه لأصدقائه وعندئذ وجه حديثه لله.
- ❖ سخر بافتتاحية بلدد، ثم عرض بشدة خاتمة بلدد.
- ❖ توجه إلى الله يشكو، مجاهدًا في الطلبة ومعاتبًا في صداقة نون تجديف.
- ❖ لم يستطع الشيطان أن يدفعه من يد الله ليجدف عليه.

صوفر 11

- ❖ اعتمد على الناموس القديم الحرفي.
- ❖ في إجابة أيوب على أليفاز وبلدد دافع بقوة عن واءته، مما أثار الثلاثة.
- ❖ هنا باسم الثلاثة يدين أيوب بعنفٍ شديدٍ، متهمًا إياه بالشر.
- ❖ ختم حديثه بإمكانية الإصلاح وضمأن الوفاء من جديد بالتوبة.

رد أيوب 12-14

- ❖ هاجم جهالة مشوريه، منتقدًا إياهم.
- ❖ أبرز حق الصداقة في التعزية عوض التحطيم، لكن سوعان ما اتجه نحو الله مباشرة (21:14-20:13).
- ❖ وسط هذه الاستغاثة بالله، أشوق الرجاء على نفس أيوب وراء الجحيم. واضح من إجابته هنا أن إيمانه تحدى الهاوية بروح الرجاء والنصرة.



المباحثة الثانية 15-21

أليفاز 15

- ❖ خلقت المناظر السابقة الجافة جواً من الجفاء عوض الصداقة.
- ❖ نسي أليفاز الفيلسوف الأستواطي مبادئ الكياسة البدائية.
- ❖ ملرس دوره ليبرز فلسفته وحكمته ويضيف اتهامات جديدة ضد أيوب.

رد أيوب 16-17

- إذ كانت كلثة الإيمان تقترب، لم يعد أيوب يعطي اهتمامًا كبيرًا لهم، بل تحول من الحوار إلى الحديث مع الله، كما إليهم نون رغبة في الحوار الباطل. "معزون متعبون كلكم" (2:6).

بلدد 18

- حط من قدر أيوب، فحسبه مفترسًا لنفسه بالغيظ، ويدفع نفسه وجليه إلى الشبكة، ويلحق به الموت، أي يسقط تحت ويلات الأثوار.

رد أيوب 19

- إذ سقط تحت إحكام وحشية من أصدقائه لم يجد له ملجأ سواء الله، الصديق السلمي المتعاطف معه (29-23).

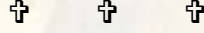
صوفر 20

- إذ ضوب أيوب على أوتار الحق الخلاصي كمن يود أن يثير الملائكة، إذ بصوفر في حديثه الثاني له أذنين ولا تسمعان. إنه يكمل ما قاله بلدد

في تناغم، لينشدا قصيدة عن الرجل الشوير أوحيت إليهما خلال تطلعاتهما إلى المذبلة حيث وجدا الشوير أيوب - في نظهما.

رد أيوب 21

إذ أُصيب المتهمون بالعمى، لم ينظروا إخلاص أيوب وأمانته، فجحونه وهم يتطلعون إلى كورثه عوض إيجاد تفسير لها. لكن أيوب الآن يتحصن بالأكثر بروح الرجاء، فانفتحت عيناه لوى أولًا متألّمين وأثورًا متنعمين في الحياة الأمنية، فيصعب فصلهم (26).



المباحثة الثالثة 22-40

أليغاز 22

قدم في حديثه الأخير في غير حياء موحًا لاتهاماتهم في صراحة وليس تلميحًا. فبينما يدافعون عن عدالة الله في تصوفاتهم مع البشر صلوا حلفاء إبليس، مصممين أن ذلك الذي شهد الله أن عبده الأمين، ليس مثله على الأرض، هو أداة إبليس. يطالب أيوب بالتوبة.

إجابة أيوب 23-25

- ❖ فنّد أيوب أقوال أليغاز بأنها اتهام لا أساس له، ولخص ما سبق أن قاله (ص 21).
- ❖ يفكر متأملًا عدالة الله غير المتوركة في معاملته معه كرجلٍ بارٍ (ص 23)، ومع الشوير (ص 24).

بلدد 25

- ❖ تحاشى الدخول في حوار والود علي حديث أيوب (25:24).
- ❖ عاد يكرر بلدد ما قاله هؤلاء الفلاسفة، إن الإنسان لن يتوكى إمام الله.
- ❖ قدم حديثًا وقرًا، لكنه لا يمس الموضوع.

إجابة أيوب 26

يجيب أيوب بقوة، مؤكدًا حكمة الله في كل طوقه. لكن أوضح أن ما نطق به بلدد إنما كأداة لإبليس وليس دفاعًا عن الله.

تعليم أيوب للأصدقاء الصامتين 27-28

صمت صوفر وتعليم أيوب: فشل صوفر، وتوقف الحوار المشترك، وبدأ مع صمتهم يقدم أيوب تعليمًا، متحدًا كمعلم. أبرز أن اتهاماتهم هي من وحي الشيطان وليست من قبل الله

اعتراض أيوب ص 29-31



الباب الأول

المقدمة النظرية

أيوب 1-2



الأصاحح الأول

شهادة الله لأيوب

يبدأ المشهد في منطقة أوم، لوجلي بار يعبد الله الحقيقي، مثل الآباء البطركة يملس العمل الكهنوتي لحساب أسرته.

يليه مشهد آخر في السماء، لم يعرفه أيوب نفسه، لكن الله أعلنه لكاتب السفر. فيه يعلن الله عن اهتمامه ببني البشر، خاصة المؤمنين به.

يبرز الكتاب المقدس، خاصة في هذا السفر أن الشيطان كائن لا يعرف الخمول، لكن يبذل كل الجهد لمقاومة الله في البشرية المتعبدة له. إنه لا

يكف عن الشكوى ضد المؤمنين، بينما يأخذ الله موقف الدفاع عنهم. إنهم موضع عنايته الإلهية ورعايته الفائقة، لكن قد يسمح لهم بالتجرب لكي تتلأأ

بالأكثر أكابيلهم.

1 . تقوى أيوب وغناه 3-1.

2 . ولام أسرية 5-4.

3 . شكوى إبليس 12-6.

4 . نكبات متلاحفة 13-19.

1. تقوى أيوب وغانه

"كَانَ رَجُلٌ فِي رُضٍ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ.
وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا،
يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" [1].

وى كثير من الآباء أن السفر يُفتح بمدح عظيم له بقوله: "كان رجل". وكما يقول العلامة أوريجينوس إن كثيرين يُدعون بشوا، لكنهم يسلكون كحيوانات مفترسة أو حيوانات غبية أو زواحف أو طيور وليس كبشر حسبما خلقهم الله محب البشر.

❖ هذا الاسم "رجل" لا نعرفه حسبما يعرفه الذين هم في الخراج، بل حسبما يعرفه الكتاب المقدس. فالإنسان ليس هو كل من له يدا إنسان وقدماه، ولا من كان عاقلاً فحسب، بل من يملس التقوى والفضيلة بشجاعة [36].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كثيرون يدعون أنفسهم "رجالاً" (أناساً)، لكنهم هم ليسوا بالحق هكذا. فالبعض يعيشون بسلوك بهيمي، بينما آخرون بسلوك الزواحف، يبثون حقهم كوحوش مفترسة. لهذا يقول داود نفسه: "والإنسان في كرامة لا يبيت، يشبه البهائم" (مز 49: 12)...

لكن بالتأكيد تُستخدم كلمة "إنسان" على من يحمل صورة الله (تك 1: 27)، هذا الذي يحمي كرامته بطويقة لائقة، ويضع الخيار بين الخير والشر، ويهب مجده لخليقته التي تتبجح به، وتجد مسوتها فيه (مز 104: 31).

هكذا "كان رجل في أرض عوص". فقد كانت المنطقة قوًا موحشًا، لكن به غوس... كان أيوب كزًا لا ينقصه شيء. كان مملوءً من عنب الحصاد المغروس. كان كاملاً (حقيقياً true) كخليقة الإله الحق، إذ استخدم فضائله لحساب الحق بغير رياء، متممًا وصايا الله... فقد عبد الله حسبما يريد الله [37].

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

كان بنو أدوم يسكنون في "عوص" في أيام رميا النبي (هوا 4: 21). يُعتقد أنها كانت بين دمشق وأدوم، في الصحراء السورية. وهناك من يعتقد أنها هي حوران. تقع ما بين فلسطين والعربية، شمال شوقي نهر الفوات، في طريق القوافل ما بين مصر وبابل. وى التقليد أن حوران هي وطن أيوب، شوق بحر الجليل. وهي منطقة كانت خصبة للغاية، وكانت تضم حوالي 300 مدينة صغيرة.

ولعل عوص كانت لا تبعد كثيرًا عن أور الكلدانيين التي دُعي منها إواهم. فإن كان الله قد دعا إواهم ليقم من نسله شعبًا مختلًا، لكن له بقية تشهد له وسط الأمم. وتحقق خطة الله نحو البشرية حين نشترك مع القديس يوحنا في تمتعنا بهذا المنظر: "وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبايل والشعوب والألسنة واقفون أمام العوش" (رؤ 7: 9).

لقد أخرج الله إواهم من تلك الأرض الفاسدة حيث يدعو الله مختلبيه اعترال الشر. وسمح ببقاء أيوب لكي يكون شاهدًا بنوره الإلهي وسط الظلام الدامس، كالكاكب وسط ظلمة الليل.

❖ لكي يكشف عن استحقاق فضيلته أخرجنا أين قطن الرجل القديس، لأنه من لا يعرف أن عوص هي بلد أممي؟ كان العالم الأممي تحت سلطان الشوير؛ وبالتالي كانت عيناه مغلفتين عن معرفة خالقه. إذن نُخبر أين قطن، فإن في هذا مدح له. كان رجلًا صالحًا يقطن بين أناسٍ أشوار. إنه لمديح ليس بعظيم أن تكون صالحًا في صحبة الصالحين، وإنما أن تكون صالحًا ساكنًا وسط أشوار، فهذه شهادة لا يُمكن قياسها...

فقد قيل: "وأنفذ لوطًا البار مغلوبًا من سوة الأردياء في الدعرة، إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يُعذب يومًا فيومًا نفسه البرة

بالأفعال الأثيمة" (2 بط 2: 7-8)...

وهكذا يقول بولس لتلاميذه: "في وسط جيلٍ موجٍ وملتو تضيئون بينهم كأثوارٍ في العالم" (في 2: 15).

وقيل لملاك كنيسة وجامس : "أنا عرف أعمالك، وأين تسكن، حيث كرسي الشيطان، وأنت متمسك باسمي ولم تتكر إيماني" (رؤ 2: 13).

هكذا مُدحت الكنيسة بصوت العريس، قائلاً في نشيد الحب: "كالموسنة بين الشوك، كذلك حبيبتي بين البنات" (نش 2: 2)...

بحق قيل عنه إنه كان "يحيّد عن الشر" فقد كُتب: "حد عن الشر، وأفعل الخير" (مز 37: 27). فإنه بالحق الأعمال الصالحة تكون غير مقبولة

لدى الله إن كانت في عينيه ملطخة بعجزها بأعمال شوية، وذلك كما قيل بسليمان: "من يخطئ في أمرٍ واحدٍ يُفسد خيراً جزيلاً" (راجع جا 9: 18).

يشهد يعقوب لذلك، قائلاً: "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرمًا في الكل" (يع 2: 10). بولس يقول: "خموة صغيرة تخمر

العجين كله" (1 كو 5: 6).

إذن كان لا تفتأ أن يُشار كيف كان يحيّد عن الأعمال الشوية لإظهار كيف كان الطوبوي أوب بلا غضن ثابتًا في أعماله الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تشهد كلمة الله بكمال أوب، "وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ".

1. كاملاً: وهو كمال نسبي، فلا يعني أنه بلا خطية، وإنما يطلب الكمال، ويجد في بلوغه حسب استطاعته.

❖ يتحدث الرسول عن نفسه أنه كامل وغير كامل. فيحسب نفسه غير كامل، متطلعًا كم من برّ لا زال ينقصه، لكنه كامل حيث لا يستحي من أن

يعترف بعدم كماله، وأنه يتقدم لكي يبلغ الكمال [38].

القديس أغسطينوس

❖ يوجد شكلان للكمال، شكل عادي، وآخر علوي. واحد يُقتني هنا، والآخر فيما بعد. واحد حسب القوات البشوية، والآخر خاص بكمال العالم العتيدي،

أما الله فعادل خلال الكل، حكيم فوق الكل، كامل في الكل [39].

القديس أمبروسيوس

1. مستقيمًا: في معاملته مع الله والناس، أي يحمل روح البساطة التي بلا التواء ولا انخفاف داخلي. ما يملسه يكشف عما في قلبه بغير

خبث. مستقيم في سلوكه، يدقق في أفكاره وكلماته وتصرفاته، أمين في وقته ومواعيده والوزنات الموهوبة له.

2. تقياً: يعبد الله بروح نقوي، لا في شكليات جافة بلا روح. يسعى أن يتم مشيئة الله، بمعنى آخر يتناغم سلوكه مع عبادته الله، يخشى الله لئلا

يسيء إلى جلاله وحبه.

3. يحيّد عن الشر: مخافة الرب سور تحوط به، فلا يسمح للشر أن يتسلل إلى فكه أو قلبه أو سلوكه.

❖ قيل إنه كان مستقيماً 'بلا عيب'، ولم يقل 'بلا خطية'... لماذا كان بلا عيب؟ لأنه كان مستقيماً.

كان "حقاً true" لأن الناس كانوا (مز 62: 9).

كان "حقاً"، لا في الكلمات فقط، وإنما في الأعمال أيضاً. بهذا فهو "رجل حق". لأن "فلنسمع ختام الأمر كله، أتق الله وأحفظ وصاياها، لأن هذا هو

الإنسان كله" (جا 12: 13). كان أوب غيراً نحو التصوفات الخالصة، لهذا يقول النص إنه كان "تقياً وحقاً" وقد أبرز علة كل فضائله أنه يتقّي الله...

معرفة الله تُعلُن في حياة الشخص، وتصير حافظة للحياة...

لم يقل: "لم يرتكب شوا"، بل "يحيّد عن الشر" ... في عبلة أخرى: "لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب؟" (أم 30: 9). ها أنتم ترون أنه ما لم

يكن الإنسان حوياً، فإن التخمّة هي أساس الخداع. لكن لم يكن حال أوب هكذا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةٌ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ" [2].

مع كثرة نسله لم يشغل أيوب البار بممتلكاته ليقدم موائماً عظيماً لكل ابن أو ابنة له، لكن ما كان يشغله هو تقديم موائم ضخم من الصلوات والتسابيح والذبايح الروحية والمحركات كسند لهم.

رى العلامة أوريجينوس في البنين والبنات رمزاً لعمل الروح القدس في حياة المؤمن، حيث ينبج أو يثمر، خلال نفسه كما خلال جسده، ثملاً روحية مقدسة للرب، فالإنسان النقي كأيوب يعمل فيه روح الله، فتتناغم النفس مع الجسد، حيث يكون بكلية تحت قيادة الروح القدس. ويقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) في تفصيل ويتوسع تفسيرا رمزية للسبعة بنين والثلاث بنات، نقطف القليل جداً منها.

❖ ماذا يقدم لنا رقم 7 سوى نروة الكمال؟... فالسبعة بنين يمثلون تدبير الكارزين، والثلاث بنات يمكن أن يشون إلي الثلاث فئات من المؤمنين في حياة الكنيسة... الرعاة والبتوليين والمتزوجين.

يولد لنا سبعة بنين، حين نحبل بالنية الصالحة، فتولد فينا سبعة فضائل الروح القدس. فقد اهتم النبي بهذا النسل الروحي على وجه الخصوص حين يجعل الروح القدس الذهن مثوياً بهذه الكلمات: "ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ويملاه روح مخافة الرب" (اجع إش 11: 2). فعندما تتولد في كل منا عند حلول الروح القدس الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة والتقوى ومخافة الرب، يكون قد وُلد نسل في الذهن، يحفظ سلالة شرفنا العلوي في الحياة، حيث تتحالف بالأكثر مع المحبة الأبدية.

بالتأكيد السبعة بنين فينا لهم ثلاث أخوات، حيث كل منهم (البنين) يعمل بنزوح (جولية) بميول فاضلة، فيتحد مع الإيمان والرجاء والمحبة. فإن رقم 7 لن يبلغ كمال رقم 10 ما لم يفعلوا كل شيء بإيمان ورجاء ومحبة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بعدها تحدث عن غناه الداخلي الخاص بالنفس حيث كان له سبعة بنين، أي عطايا الروح القدس مع ثلاث بنات، أي الإيمان والرجاء والمحبة، تحدث عن غناه الجسدي. فالأبناء يشيرون إلي غنى الروح، والحيوانات تشير إلي غنى الجسد المقدس في الرب. فلا يعاني من عوزٍ روحي، ولا من عوزٍ جسدي، مادام خالق النفس والجسد يُشبع كل كيانه.

وَكَانَتْ مَوَاشِيَهُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْغَنَمِ،

وَثَلَاثَةَ آلَافٍ جَمَلٍ،

وَخَمْسَ مِئَةِ زَوْجِ بَقَرٍ،

وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ،

وَخَدَمَهُ كَثِيرِينَ جِدًّا.

فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَكْثَرَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ" [3].

مع ثروته الضخمة اتسم بالبر، وقد قدم الغنم والجمال لأنها كانت لازمة للعائلات: "الحملان للباسك... لبن المعز لطعامك لقوت بيتك ومعيشة فتياتك" (أم 27: 26-27). وكان خدمه كثيرون، الكل يخدمه هو وبيته.

من بين العادات التي لا زال قائمة بين الرعاة ومجتمعات البدو تقدير ثروات الشخص وغناه ليس حسب أرضه ولا بيوته، وإنما حسب المواشي التي يملكها. فكان إواهم غنياً جداً من جهة قطيعه (تك 13: 2). وكان للوط أيضاً قطعانه (تك 13: 5). هكذا يُقدر غنى أيوب بعدد حيواناته التي يملكها. وقد ذكر أناث الحمير (الأتن)، لأنها كانت قيمتها أكثر من الذكور بكثير بسبب اللبن الذي كان يُستخدم للشرب [40].

رى البعض أن غنم أيوب وجماله تشير إلي إتحاد عصر الناموس بعصر النعمة، فالسبعة آلاف من الغنم تشير إلي موعى الناموس الذي يصير كاملاً باللمسات الروحية (رقم ألف) عوض الحرف؛ ينضم إلي هذا الموعى الثلاثة آلاف من الجمال حيث تأتي شعوب الأمم لتتضم إلي موعى الناموس

الروحي، ويكون الكل رعية واحدة لواع واحد.

❖ كان أيوب غنياً، لكنه لم يقض حياته في ترف بلا حنو (على الآخرين). كان بيته مفتوحاً لكل محتاج برادته المملوءة حباً. لم يعامل أحداً بظلم، بل ساعد الذين كانوا يعانون من الظلم؛ كان يقدم الاحتياجات اللازمة للأمل والأيتام. فإن هذه هي أعمال البر للغني البار [41].

العلامة أوريجينوس

2. ولائم أسرية

وَكَانَ بَنُوهُ يَدْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيْمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ،
وَيُسَلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمُ الثَّلَاثَ،
لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ" [4].

صورة رائعة لرجل غني جداً لم يشغله ولا يشغله أبناءه الغنى والثروة، بل يجتمع الكل بروح الحب والوحدة مع التدبير الحسن، فيقيمون وليمة في بيت كل ابنٍ بالتتابع مع شوكة مع الأخوات! كان بنوه يقومون بعمل ولائم نورية، بروح المحبة والوحدة. فكان كل ابنٍ يقيم الوليمة في بوره، حيث يجمع إخوته وأخواته. يقول الموتل: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً" (مز 133: 1).
ويلاحظ في هذه اللائم الآتي:

- 1 . كانت تقام في البيوت، لا في أماكن عامة، ربما لكي تحتفظ الأسرة بطابعها المقدس حتى في اللائم ووسط المسوات.
- 2 . دعوة الأخوات مؤشر على أن اللائم كانت عائلية، وغالباً ما كانت قاصرة على أسرة أيوب.
- 3 . لم يذهب أيوب إلى اللائم، ليس عن تومت، فهو يطلب مسوة ولأده وبهجته مادامت في الرب، فوجوده وهو شيخ ربما يكون فيه نوع من عدم إعطاء الحرية للشبان أن يعرخوا بعد، حتى وإن كان في الرب.

❖ الغنى العظيم يكون عادة علة للخلافات بين الإخوة. يا له من مديح لا يُقدر لتربية أب كهذا! لقد أعلن عن غنى الأب وسلام الإخوة معاً، فبينما تُزع الثروة بينهم لم ينقسم الحب، بل يملأ قلوب الكل!

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَكَانَ لَمَّا دَلَّتْ أَيَّامَ الْوَلِيْمَةِ،
أَنَّ أَيُّوبَ لَسَلَ فَقَدَسَهُمْ،
وَبَكَرَ فِي الْغَدِّ،
وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلَّهُمْ،
لَأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: رَبُّمَا أَخْطَأَ بَيْتِي، وَجَدُّهُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ.
هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْأَيَّامِ" [5].

مع عدم اشتراك أيوب في اللائم جسدياً اشترك بروح الأيوه الحانية والحب روحياً. كان غيراً على خلاص نفوسهم، يخشى لئلا يتجسوا ولو بالفكر، بهذا يُحسبون كمجدفين على القديس.
خشي لئلا يفكر أحدهم في أعماقه قائلاً: "قوتي وقوة يدي اصطنعت لي هذه الثروة" (تث 8: 17). أو كما يقول الحكيم: "لئلا أشبع وأكفر، وأقول: من هو الرب؟" (أم 30: 9).

كان أيوب كاهن الأسرة، يؤمن أنه يعجز عن تقديس ولأده، وإنما هذا من عمل الله، لذا كان يقدم محرقات على عددهم. كان يفعل هذا لا في بدأ

الوليمة فحسب، ولا في نهايتها فقط، بل كل أيام الوليمة، وكل أيام السنة. "هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام". ولعله كان يقدم ذبيحة محرقة عن كل العائلة كل يوم، أما في أيام الملائم، فكان يقدم محرقة عن كل واحد، لأن الخطايا - خاصة بالفكر - تجد في الملائم جواً مناسباً للتسلل إلى الداخل.

❖ إن كان الحكم على الخطايا التي تُرتكب بجهلٍ أنها هكذا عنيفة وتحتاج إلى ذبيحة للتكفير عنها، هذه الحقيقة التي شهد لها أيوب بتقديمه ذبيحة عن ولاده، فماذا يُقال عن الذين يتكفرون بالخطية بمعرفة، أو الذين في صمتهم يذعنون إلى السلوك المخطئ الذي للآخرين؟ [42]

القديس باسيليوس الكبير

❖ قدم ذبائحه من أجل خطاياهم الخفية، وأخطائهم التي لم يعرفوها بها. إن كان أيوب يأخذ حذره هكذا من جهة الخطايا الخفية التي بغير معرفة، فكم تظن بالنسبة للأخطاء الظاهرة. لاحظوا كيف يتوجم كلمات الرسول إلي عمل: "وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره" (أف 6: 4)، أي يهتم الشخص بولاده. إنها ممرسة للحماية الوالدية. لاحظوا إلي أي مستوى من الكمال أراد أن يفودهم...

فبالنسبة للأخطاء الظاهرة كان يمكنه أن يصلحها، ولكنه ماذا يمكنه أن يفعل بالنسبة للخطايا السوية؟ مع هذا قيل لموسى: "السواثر للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا إلي الأبد" (تث 29: 29). على أي الأحوال لم يتجاهل أيوب حتى الأخطاء السوية في علاقته بالله، بل أؤم نفسه أن يصحح الموقف شخصياً بوسيلة علاجية. فإن هذه الوسيلة تسمح له أن يضوب بالأخطاء فينبؤ عنها، وأن يعلم ولاده أيضاً...

ها أنتم ترون أنه لم يصح من تقصواتهم في الأعمال فحسب، ولكن أيضاً ما يخص الأفكار، متممين عملياً كلمات المسيح: "لأن من القلب تخرج أفكار شوية... هذه هي التي تتجس الإنسان" (مت 15: 19-20). ... ها أنتم ترون هنا تطهروا ليس موسيواً، ولا بالناموس، بل بطريقة رسولية حيث يطلب تطهير أفكارهم يومياً، ليس فقط بنصحهم وتقديم المشورة لهم، وإنما أيضاً بحمايتهم والصلاة لله عنهم. هذا ليس عمل الأب فقط بل وعمل الكاهن، وإن كنا نعلم أنه لم يكن يوجد كاهن بعد...

وى البعض أنه كان يوجد كهنة في تلك الأيام أيضاً مثل ملكي صادق لم يختوهم الشعب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تشير نفس كلمات الكتاب إلي أن الجهل خطية. هذا هو السبب الذي لأجله يقدم أيوب محرقات عن أبنائه لئلا يكونوا قد أخطوا سهواً في الفكر. [43]

القديس جبروم

❖ تنسب هذه العبارة لأيوب تقوى عظيمة للغاية. فإن أناساً كثيرين اعتادوا أن يبكروا لممرسة أعمال رضية وكل ما يفكرون فيه خلال الليل هو الوسيلة لتكديس ثروة أو مجدٍ أو كرامات، فيسوعون في القيام لتحقيق أفكارهم عملياً. يعبر النبي في أشودة مراثاة ما يلزم أن يُقال عن هؤلاء: "ويل للمفتكرين بالبطل، والصانعين الشر على مضاجعهم، في نور الصباح يفعلونه" (مي 2: 1). أما عن أيوب فلم ينشغل بهذا، وإنما كان في الفجر يقدم لله خدمة، هذا الذي يجعل النور مشوقاً... فإن الذبيحة الحقيقية هي حفظ الناموس وممرسة الفضائل (ابن سواخ 35: 1-3). نخدمنا في هذا كلمات رسالة بولس إلي العوانيين كمثال: "فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح... ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسر الله" (عب 13: 15-16).

" لأن أيوب قال ربما أخطأ بني، وجدفوا على الله في قلوبهم" [5]. استقامة أيوب واضحة! يكمل وه نحو الصلاح. إنه أب حكيم وسيد مختبر، رج (من الكواكب) يتسم بالتعقل، مرشد صالح كمن يمسك بلباس خرجي ليلجم الشهوات الداخلية... لم يقتنع داود بالتورم بتلك الكلمات: "السواثر من يشعر بها؟ من الخطايا المستورة أوثني" (مز 19: 12)، وإنما وضع أيضاً وصية الإنجيل في العمل. نقول بأن أيوب سلك حسب الناموس والنعمة، وحسب وصية الإنجيل: "...الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح" (لو 8: 15). إنه لم يكن مستهيناً بذلك. لقد كتب يوحنا اللاهوتي في هذا: "سكن قلوبنا قدامه، لأنه إن لامتنا قلوبنا، فإله أعظم من قلوبنا، ويعلم كل شيء. أيها الأحباء، إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله" (1 يو 3: 19-12) والرب نفسه يقول: "لأن من القلب تخرج أفكار شوية: قتل زني فسق سوقة شهادة زور تجديف، هذه التي تتجس الإنسان، وأما الأكل بأيدي غير

مغسولة فلا يُنجس الإنسان" (مت 15: 19-20). إذن ننتظر من هذه الأفعال. لنطلب كل يوم الثمر من نفوسنا، فقد كان أيوب "حقًا وبلا لوم"، متطوعين أيضًا إلي ما كُتب: "هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" [5].

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ [44] هكذا طهر أيوب ولأده، لأن من يقدم ذبائح عن الخطايا السوية، كم بالأكثر يهتم بخصوص الخطايا الظاهرة؟

❖ [45] استخدم أيوب علاجًا حتى عن أفكار بنيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "وبكر في الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم" [5]. عرف القديس أنه يندر إقامة وليمة نون وجود معصية. عرف أنه يجب تطهير روح الولايم بالذبائح. وما قد ارتكبه الأبناء من وصمات في أشخاصهم أثناء ولايمهم قام الأب بغسلها بتقديم ذبيحة... إذ غالبًا ما تصحب الحفلات الشهوات، فإذ يكون الجسم في زاخ بالملذات يخضع القلب للوح الباطل. فقد كُتب: "جلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب" (خر 32: 6).

البابا غريغوريوس (الكبير)

كان أيوب مستريحًا لتصرفات بنيه وبناته من جهة محبتهم لبعضهم البعض ووحداية الروح والانسجام معًا، كما كان مطمئنًا لتصرفاتهم وكلماتهم، لكنه لا يعلم ما يدور في أفكلهم وقلوبهم. إنه لم يقف موقف الديان، فيحكم على ما في داخلهم، كما لم يقف في تهاون، معتوًا نفسه غير مسئول عما في قلوبهم، إنما في حب مملوء حكمة التجأ لله بتقديم ذبائح روحية ومحرقات عن كل واحد منهم. فهو وحده علف بالأسوار الخفية، وقادر على تقديس الأعماق.

❖ "هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" [5]. لم يتوقف أيوب عن تقديم ذبيحة دائمة، وذلك كما يقدم مخلصنا محرقة عنا بلا انقطاع. هذا الذي يُظهر تجسده أمام الآب لأجلنا نون توقف. فإن تجسده ذاته هو تقدمه لأجل تطهيرنا؛ وبينما يُظهر نفسه كإنسان يكون شفيعًا يغسل أدناس الإنسان، مقدمًا بسرّ بشويته ذبيحة دائمة...

باطل هو الصلاح الذي نمرسه إن توقف قبل نهاية الحياة، وذلك أنه باطل لمن يركض سويعًا أن يتوقف قبل بلوغه الهدف. عن هذا قبل التوبيخ: "ويل لكم أيها الذين فقتوا الصبر" (ابن سواخ 2: 14). وهكذا يقول الحق لمختلبيه: "أنتم الذين ثبتوا معي في تجلبي" (لو 22: 28)... هكذا فرض موسى أن يُقدم ذيل الذبيحة على المذبح، بمعنى أن كل عمل صالح نبدأه نكمله بمثاوة حتى النهاية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ على وجه العموم، وصايا كل القديسين تحثنا على ذلك بالقوة، وذلك كما استعمل سليمان الأمثال قائلاً: "اسمعوا أيها البنون تأديب الرب، أصغوا لأجل معرفة بفهم، لأنني أعطيتكم تعليمًا صالحًا فلا تتركوا شويعتي. فإني كنت ابنًا لأبي غضًا ووحيدًا عند أمي" (أم 1: 4). لأن الأب البار يربي ولأده تويبة حسنة، إذ يجتهد في تعليم الآخرين بسويته المستقيمة الفاضلة. حتى إذا ما حدثت مقالومة، لا يخجل من سماعه هذا القول: "فأنت الذي تُعلم غيوك، ألسنت تعلم نفسك" (رو 21: 2)، إنما يكون بالحري مثل خادم أمين يقدر أن يخلص نفسه ويربح الآخرين. وإذ تتضاعف النعمة المعهودة إليه يستطيع أن يسمع ذلك القول: "نعمًا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فوح سيدك" (مت 21: 25) [46].

القديس أثناسيوس الرسولي

3. شكوى إبليس

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَنُّوا أَمَامَ الرَّبِّ،

وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ" [6].

جاء في التّوجوم الأورشليمي *Targum Yerushalmi* أن المجلسين اللذين تما في السماء أحدهما في روش هاشاناه *Rosh ha- Shanah*، والثاني في اليوم الكبير *Yom Kippur*.

كان الملائكة - بنو الله - يجتمعون معاً أمام الله يقدمون له التسبيح اللائق من أجل محبته للسمايين والأرضيين، ويقدمون أيضاً صلوات المؤمنين، ويتوقون أية رسالية يتمونها، إذ هم خدام للعبيدين أن يوثوا الخلاص (عب 1: 14).
تسلل بينهم الشيطان المتكبر والمضل لكي يشتكي على البشرية، خاصة المؤمنين، ففي حسده لا يطيق أن يرى إنساناً تائباً ينمو في الروح، وينطلق كما بجناحي حمامة إلى السماء.

كل الأمور مكشوفة أمام الله، فهو ليس في حاجة إلى ملائكة تحمل إليه صلوات مؤمنيه، ولا إلى الشيطان ليكشف عن فساد مؤمنٍ ما. لكن الله في محبته للسمايين يهبهم عمل المحبة سواء بتقديم الصلوات أو إتمام رساليته. كما في عدله يترك للشيطان الحرية ليشتكي على من يريد. إنه يقدر حرية الإرادة في المخلوقات العاقلة، سواء على مستوى الطغمة السماوية أو القوات الروحية في الشر، أو البشر.
لا نعجب من هذا، ففي رؤيا زكريا النبي إذ شاهد كلمة الله نفسه كرئيس كهنة يحمل خطايانا كثوبٍ قدر، كان الشيطان قائماً ليقولمه (رك 3: 2-1).

يسألنا القديس يوحنا الذهبي الفم ألا ندهش من أن يقف المتود وسط الملائكة، فإن ما يقدمه السفر هو بصورة بشرية لكي نتفهم الموقف بفكرنا البشري.

❖ جاءت الملائكة - حسب النص - وجاء معهم الشيطان، إذ كان يطوف الأرض، ويسير فيما هو تحت السماء. ماذا نفهم من هذا؟ إن الأرض مملوءة بالشياطين والملائكة، والكل تحت سلطة قوة الله، وأن الملائكة يقفون أمام الله حيث يتقبلون منه الأوامر. ولا يقدر الشيطان أن يفعل شيئاً يسوه ما لم ينل سماحاً من فوق... بالقول: "جاء الشيطان أيضاً في وسطهم" [6] لا يعني سوى أنه هو أيضاً لا يقدر أن يفعل شيئاً بدون سماح الله.
❖ ماذا يعني هذا التعبير؟ إنه معهم في العالم، فكما أن البشر المخادعين والصالحين ممتوجون معاً هكذا الملائكة والشياطين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لعلّ أقصى ما يشتهي الإنسان أن يتمتع بالمجد السموي بالوقوف وسط الطغمة السماوية وينعم بروية الله، فكيف يقف الشيطان هكذا لوى الله ويدخل معه في حوار؟ بلاشك أن الوقوف هنا لا يحمل المعنى الحرفي، إنّما سُمح له الله بالحوار من أجل العدالة الإلهية وتأكيد حرية الخليقة العاقلة حتى بالنسبة للشيطان وجنوده الأشرار. وقف الشيطان كما وسط الملائكة يُسمح له بالحديث مع الله، لكنّه لم يتمتع بروية مجد الله، ولا أُشرق عليه بهاء المجد الإلهي، ولا اختبر عنوبة صوت الله كمصدر لذّة وفرح وسلام حقيقي!

هكذا في يوم الرب العظيم يرى المؤمنون الحقيقيون في عيني المسيح يسوع حمامة ودیعة، وفي أحضانه أمجاداً لا يُعبّر عنها، أمّا الأشرار فيرون عينيه لهيب نار، فلا يحتملون رؤيته.

وكما قيل هنا عن الشيطان أنه وقف ممتثلاً أمام الله دون أن يتمتع ببهاء مجده، قيل في موضع آخر عن الملائكة أنهم أرواح خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العبيدين أن يوثوا الخلاص" (عب 1: 14)، لكن رسالهم للخدمة لا يحرمهم من التمتع بالحضرة الإلهية وإشراق البهاء الإلهي عليهم.

❖ ربما يتساءل البعض: كيف يمكن للشيطان وقد سقط عن رتبته بسبب كبريائه أن يقف أمام الرب بين الملائكة؟
هل يُمكن له معاينة الرب وهو غير طاهر؟

لقد سقط إبليس وجنوده ولم يعد من حقه رؤية الله، لكن بحسب طبيعته كروح يمكن المثل أمام الله دون معاينته. هكذا كان ماثلاً يشتكي علينا دون رؤية الله، لأنه غير طاهر.

لاحظ أنه قيل أنه جاء أمام الرب، ولم يُقل أنه رأى الرب . فقد جاء لكي وى لا لكي وى . كان أمام عيني الرب، ولم يكن الرب أمام عيني، وذلك كما يقف أعمى أمام الشمس، فهو نفسه غرق في أشعة النور، لكنه لا وى شيئاً من النور البهي... فإن قوة الله، بنظوه يخترق كل الأشياء، فوى الروح القدس الذي لا واه. فإنه حتى الأشياء نفسها التي تهرب من وجه الله لا يمكنها أن تكون مختفية، فالكل عريان أمام نظر العلي. فالشيطان الغائب جاء إلى ذلك الذي هو حاضر.

❖ من هم الذين يُدعون بني الله إلا الملائكة المختارون؟ وكما نعرف عنهم أنهم يتطلعون إلى عيني عظمتهم. يليق بنا أن نتساءل: من أين جاؤا ليمثلوا أمام الله؟ فقد قيل عنهم بصوت الحق: "إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات" (مت 10:18). ويقول عنهم النبي: "أوف أوف تخدمه، ورويات رويات ووقف قدامه" (دا 10:7). فإن كانوا دائماً ينظرون ويقفون بجوله، يؤمننا بحرص وتدقيق أن زاعي من أين جاؤا، فإنهم لا يفارقونه قط ، لكن إذ يقول عنهم بولس: "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُوسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟" (عب 14:1)، من هذا نتعلم أنهم مُسلون ونكتشف من أين جاؤا...

إنهم لا يذهبون بطريقة يُحرمون فيها من رؤية الله ، فتتوَّع عنهم أواح التأمل الداخلي، فلو أن برسالمهم يفقدون رؤية خالقهم لا يقرون أن يُقيموا الساقطين، ولا أن يعلنوا للذين في الجهالة عن الحق، وما كانوا يستطيعون قط أن يقدموا للعميان ما حُرِّموا به بتوكلهم مصدر النور.

تختلف طبيعة الملائكة عن حال طبيعتنا الحاضرة، حيث نحن مقيون بالمكان ومحدودون بعمى الجهالة، أما أرواح الملائكة فمع كونها محدودة بمكان، لكن معرفتهم ترتفع عنا جداً، دون وجه للمقارنة، لهم معرفة ممتدة خرجياً وداخلياً، إذ يتأملون ذات مصدر المعرفة نفسه...

وكما أن أرواحهم ذاتها إن قرنت بأجسادنا فهم أرواح، هكذا إن قرنوا بالروح السامي غير المركب يُحسبون جسداً. لذلك فهم مُسلون منه، وواقفون أمامه أيضاً، إذ في هذا هم مقيون أن يُسلوا، وفي نفس الوقت حاضران بالكامل لن يفرقوه.

هكذا في نفس الوقت يرون وجه الأب دائماً، ومع هذا يأتون إلينا، حيث يُسلون خلال سمة التأمل الداخلي. يمكن إذن أن يُقال: "جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب"، إذ وجعون إلى هناك بعودة الروح، إلى حيث لم يفرقوه قط بعدم انسحاب العقل عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟

فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ،

وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا " [7].

بقوله: " من الجولان في الأرض " يشير أنه لم يتعدَّ حدوده، لأن "التنين العظيم طُوح إلى الأرض" (رؤ 12: 6). وى كثير من آباء الكنيسة الأولين أن الأرض في الكتاب المقدس تشير إلى الإنسان الترابي الجسداني الذي لا ينشغل إلا بالأرضيات، هكذا يجول عدو الخير كما في ملكه. بينما تشير السماء إلى الإنسان الروحي الذي ينشغل بالأبديات. فالشيطان لا يقدر أن يتسلل إلى قلب الإنسان الروحي، لكنه يجول بلا ضابط في قلب الإنسان الجسداني.

عدو الخير لا يعوف الخمول، فإنه لا يهدأ ليلاً ونهلاً عن الجولان في الأرض ليغوي أولاد الله على ترك مملكة النور والانشغال بالخطايا.

❖ " من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها" [7]. ها أنتم ترون أن السماء متعورة بالنسبة للشيطان الشرير. فإن قلتم: "حسناً! السماء غير متاحة له، لكن العالم وحب به. نعم فإن هذا لصالحكم، فإنه إن كنتم حتى وأنتم مع عدو يقظ هكذا لا تهتمون بإصلاح أنفسكم، فيا لكم من أناس حاملين؟..."

أنصت إلى بولس وهو يقول: "اللذان أسلمتهما للشيطان، لكي يؤدبا حتى لا يجدفا" (1 تي 20:1).

أوتيون أن تسمعوا نصاً آخر؟ ألا ترون المُعذِّبِينَ الذين واقفون المسؤولين؟ هكذا يستخدم بولس الشياطين. أما النتائج الصالحة فهي ليست من

عمل الشيطان، بل من حب الله للإنسان حيث يستخدم الشيطان لهذا الغرض.

❖ ماذا إذن أن يُقال للشيطان: "من أين جئت؟" إلا لكي يدين طوقه كما لو كانت غير معروفة. فنور الحق لا يعرف شيئاً عن الظلمة، هذه التي يوبخها، وعن طرق الشيطان التي يدينها كديان. يليق أن يُسال عنها كما لو كانت مجهولة. ولهذا قيل لآدم وهو في خطيته بصوت خالقه: "آدم، أين أنت؟" (تك 9:3)، فإن القوة الإلهية لم تجهل الموضع الخفي الذي هرب إليه عبده عند عصيانه، لكنه رأى أن الساقط في خطيته مختفياً عن عيني الحق تحت الخطية...

إنه يدين الشيطان، لذا فُحص طوقه، أما الملائكة المختارون فلا يحتاجون أن يُسألوا من أين جاؤا، إذ طرقهم معروفة لله. إنهم كمن يمثلون حركته، إذ هم خاضعون لإرادته وحدها، ولا يمكن أن يكونوا غير معروفين له.

❖ يجول إبليس في الأرض، إذ استخف بالسكنى في سلام في أعالي السماء. وإذا هو كمن يُبلغ بأنه لم يُطرز بل مشى، يُظهر ثقل الخطية التي تجعله دائماً في الأسفل...

يتحدث الله مع الملائكة حينما تُعلن لهم رادته الداخلية كموضوع إواكهم، وأما الملائكة فيتحدثون مع الرب متى كانوا بهذا يتأملون فيما هو فوقهم، ويقفون أمامه في دهشة. وهكذا يتحدث الله مع نفوس قديسيه بطريقة ما، وهم يتحدثون معه بطريقة أخرى... زاهم في الرؤيا: "صوخوا بصوتٍ عظيم قائلين: حتى متى أيها السيد القنوس والحق لا تقضي وتنتقم لدماننا من الساكنين على الأرض؟... وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسواً" (رؤ 9:10-10).

يتحدث الله مع الشيطان برُبع طرق: فهو يشجب طوقه الظالمة، ويوبخه ببرّ قديسيه، ويسمح له أن يجرب واءتهم، وأحياناً يوقفه عن أن يجربهم...

إنه يوبخه ببرّ مختلبيه، إذ يقول: "هل جعلت قلبك على عبيدي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض (كلها)". لقد سمح له أن يضع وه موضعه اختبره عندما قال له: "هوذا كل ما له في يدك" [12]. مرة أخرى منعه من أن يجربه عندما قال: "وانما إليه لا تمد يدك" [12].

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ:

هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عِبْدِي أَيُّوبَ؟

لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ.

رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ،

يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" [8].

في حديث الله مع الشيطان يُظهر مدى اعزّله بأبواب عبده، "لأنه ليس مثله في الأرض" في الاستقامة والتقى. خلال علاقة الحب المتبادلة بين الله والمؤمن الحقيقي، يقول الأخير: "من مثلك بين الآلهة يارب؟ من مثلك معوّاً في القداسة، مخوّفاً بالتساويح، صانعاً عجائب؟" (خر 15: 11) "من هو إله مثلك غافر الإثم، وصافح عن الذنب لبقية موائه؟" (مي 7: 18). وفي الوقت نفسه يعتز الله بمؤمنيه في إيمانهم، كما مع أيوب (أي 1: 8) وقائد المئة والبرأة الكنعانية، والعجيب أن جميعهم أمميون.

❖ كان الصبر بالفعل في أيوب، الأمر الذي كان يعلمه الله، وقد شهد له، لكنه صار معروفاً للبشر خلال اختبار التجربة. فما كان مخفياً في الداخل وغير ظاهر كثورة، ظهر بواسطة ما حدث وصار في الخرج [47].

القديس أغسطينوس

❖ اعترّم الشيطان على الدخول في صواع، ليس مع أيوب بل مع الله، أما الطوبوي أيوب فكان بينهما موضوع النزاع...

ولاً أن الله يعلم أن أيوب يستمر في استقامته بالتأكيد لما سلمه للشيطان. إنه لم يسلمه له لكي يهلكه بالتجربة... وقد التهب نوان الحسد في

ذهن المجرب من أجل مديح الله له.

إذ يفشل العدو القديم في اكتشاف أي شر يمكن أن يتهمنا به، يتجه نحو النقط الصالحة ليحولها للشر، وإذ ينهزم بالأعمال يتطلع إلى كلماتنا ليجد مجالاً للاتهام.

إنه يصلح لكي يُظلم نية القلب حتى لا تصدر أعمالنا الصالحة عن ذهنٍ صالح، وبهذا لا تُعتبر صالحة في عيني الديان. فإنه حتى إن رأى ثوراً على شحوة خضواء في الحر يبحث عن نودة تفسد الجنور.

❖ لاحظوا غبولة الشيطان ومكره. يشهد الله أن أيوب بلا لوم، فهل تود (أيها الشيطان) أن تتوَع شهادة الله...؟

إذ يقول الله: "عدي أيوب"، ففي هذا الكفاية في تحديد فضيلته...

لقد هاج (الشيطان) في الحال إذ سمع الله يدعو أيوب عبده، فبالنسبة له حُسب هذا توبيخاً له فأثره للهجوم.

لقد كنت (أيها الشيطان) قبلاً عبداً... هذا ما عناه بولس: "أستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة" (1 كو 3:6).

لقد بلغ أيوب إلى هذه الدرجة حتى أضاف الله: "رجل كامل، ومستقيم، وحق، يتقي الله". "رجل مستقيم" أما أنت على العكس، وإن كنت لست إنساناً، لكنك لم تتأبر على الفضيلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "هل تفكرت ملياً في عدي أيوب؟" [8]. في نفس الوقت يعني بدقة أن الخائن (إبليس) يحمل نية خبيثة نحو أولئك الذين يحسبهم خطاة من أجل رذائلهم وأوراً خلال خداعه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

"فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ:

هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهِ؟" [9].

لم يحتمل عدو الخير أن يسمع كلمة مديح تُقال في شخص آخر غيره، حتى وإن صرحت من الله فاحص القلوب والعالم بالأفكار وكل الأسوار. هكذا لم يحتمل شلول الملك النساء يمدحن الصبي داود الذي أنقذه هو وكل جيشه وشعبه من جليات الجبار وجيشه (1 صم 18: 6-9). ولم يحتمل رؤساء الكهنة والكتبة الأطفال يسبحون السيد المسيح في الهيكل (مت 21: 15 الخ).

❖ يُدعى الشيطان أو المفتري بسبب افتراءاته، فإنه يفترى على الإنسان أمام الله، قائلاً: "هل مجاناً يتقي أيوب الله؟" ... ويفترى على الله أمام الإنسان، قائلاً: "نار الله سقطت من السماء، فأحرقت الغنم" (أي 16: 1). فكان متلهفاً على إثرتة بأن الكرثة حلت من السماء من فوق، فيجعل العبد في زاع مع السيد، والسيد مع عبده. في الواقع لم يجعلهما في زاع، لكنه حاول ذلك وكان عاجزاً [48].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يقضي لمساكين الشعب، يخلص بني البائسين، ويسحق المفتري" (مز 72: 4). بحق يُدعى الشيطان "المفتري"، فقد افتري على كل من الله حيث ادعى أن الله منع الأخذ من شحوة (معرفة الخير والشر) بسبب الحسد، وافتري على أيوب بأكاذيب، قائلاً "هل حقاً مجاناً يتقي أيوب الله؟... أبسط يدك الآن، ومس كل ما له، فإنه في وجهك يجدف" (أي 1: 9، 11). في الغمور الثامن أعطاه اسمي "عدو ومنتمقم"، بينما هنا (مز 72: 4) فيدعوه مفترياً [49].

ثيودورت أسقف قورش

❖ بالتأكيد الشيطان هو مُوجه الاتهام ضد القديسين. إنه لا يقدر في حصة ديان كهذا أن ينسب اتهاماً خاطئاً، فهو يعرف مع من يتكلم. لهذا فإنه إذ يعلم عذره عن تقديم اتهام باطل ضدنا يلجأ إلي القول بشيء صادق. لهذا فإن خصمنا الذي يحسدنا على وجودنا في ملكوت السموات، ولا يريدنا أن نكون

هناك حيث طُود هو منه، يقول: "هل مجاناً يعبد أيوب الله؟" (أي 1: 9)...

يليق بنا أن نحوص على حبنا لله ليس من أجل مكافأة. فإنه أيّ نوع من المكافأة هذه التي يعطيك الله إياها؟

مهما أعطاك فهي أقل من ذاته. لا تعبد الله لكي ما تقبل منه شيئاً. اعبده دون توجي في مقابل، وعندئذ تتقبله هو، فإن الله يحفظ نفسه لك

لنتمتع به.

إن كنت تحب ما خلقه، فكم يكون خالق العالم؟ ازع من قلبك محبة المخلوقات، لكي ما تلتصق بالخالق، وعندئذ تقول ما جاء في المزمور:

"خير لي أن ألتصق بإلهي" (مز 72: 28) [50].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ يقول الشيطان: "هل مجاناً يتقي أيوب الله؟" لماذا تُعجب من أيوب؟ لماذا تدلي بتصريحات غير عادية بخصوص رجل مستقيم؟ فإنك أنت نفسك

تصمم على وهّ وهذا إنما بسبب عطاياك التي نالها بسخاءٍ عظيمٍ مقابل فضيلته. صار له فيض في كل شيء، إنه مُتخَم في كل شيء، ليس لديه قلق،

ليس ما يجعله يخطئ. بيته مبني حسناً، ملوء بالخوات. كل ممتلكاته مسيجةً بسياج الوركات. أبنؤه يحيطون به مثل إكليل يتوجه. لماذا لا يكون

أيوب مستقيماً؟ لماذا لا يكون تقياً؟ أي الوصايا يلتزم بأن يهملها؟ فمن لم يذق الفقر، لماذا يسرق؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ في وقاحة دخل مع الله في جدال (أي 1: 9). هذا ليس اتجاه الشيطان وحده، بل اتجاه الناس الأثوار. ألم يفعل ذلك من ورد عنه في الإنجيل:

"عرفت أنك إنسان قاسٍ، تحصد حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تذر" (مت 24: 25)...

كان يسعى في تشويه دافع أيوب... يود الله يوماً أن يصدر حُكمه من كلمات أعدائه، حتى لا يتروك لهم مجالاً لأي عذرٍ، وذلك كما قيل في

العبرة: "من فمك أدينك أيها العبد الشرير" (لو 22: 19)... بهذا يُمسك الخداع يوماً في شباكه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ،

وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟

بَلَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ،

فَأَنْتَشَرْتَ مَوَاشِيَهُ فِي الْأَرْضِ!" [10].

استنتج الربّي يوسى حانينا *Yose b. Hanina* من أي 1: 10 أن ماعز أيوب كان قاوياً على قتل الذئب. واستنتج الربّي يوحنا *R. Yohanan*

من أي 1: 14 أن الله وهب أيوب أن يتنوق الحياة الفودوسية، فحسده الشيطان، وبدأ يحلّبه مفقوياً عليه بخصوص وهّ.

يلقي الشيطان باللوم على الله: "أليس أنك سيجت حوله وحول بيته، وحول كل ما له من كل ناحية؟" حقاً لقد سيّج الله حوله لحمايته وحماية بيته،

ووهبه النجاح والغنى، وبارك أعماله، لكنه لم يفعل ذلك في محاباة، إذ لم يتسم أيوب بالبلادة والوخوة.

يكشف حديث الشيطان عن بذله كل الجهد ليجد ثغرة يدخل منها إلى قلب أيوب أو فكه ليجتذبه إلى مملكته، فلم يجد.

❖ "لأنك قلت: أنت يارب ملجأ، جعلت العلي مسكنك" (مز 91: 9). لكي تتمتع بهذه العناية الإلهية يقول: لتختبر الرجاء في الرب، ولتجعله ملجأ

لك... "لا يلاقك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك" (مز 91: 10). إنك ستثبت أمام رماح الشيطان، فلن تؤذيك في شيء. بهذا حوطت النعمة الإلهية

حول بيت أيوب، هذه التي شهد لها العدو صلحاً بصوت عالٍ: "أليس أنك سيّجت حوله وحول بيته؟" وعندما سمح له (أن يجربه) أظهر من الجانب

[51]

الآخر شوه، وكلل الديان العادل المصلوع المنتصر.

ثيودورت أسقف قورش

❖ " أليس أنك سيّجت حوله؟ " ألا تلاحظون أنه حتى الشيطان يدرك تمامًا أن كل أمان أيوب يأتي من قبل الله. يقول: "بركت أعمال يديه، انتشرت مواشيه في الأرض". ألا ترون أن ثروته هي هبة من الله؟ ألا ترون أنها ليست ثروة ظلم (أو اغتصاب)؟...
 " ولكن أبسط يدك الآن، ومس كل ما له، فإنه في وجهك يبلكك (أي يجدف عليك)" [11]. لقد أراد واشتهى أن ينال هذا السلطان منه، لكنه لم يجسر أن ينطق بهذا.

❖ ما هو عمل الله الخاص إن لم يكن هكذا، أن يعمل صلاحًا لكل البشرية، بالتأديبات كما بالمسرات تمامًا؟ لیتنا إذن نشكر ليس فقط حين نكون في رخاء، فإن هذا ليس بالأمر العظيم. هذا ما يعرفه الشيطان أيضًا حسنًا، لذلك قال: "هل مجانًا يتقي أيوب الله؟ أليس أنك سيّجت حوله وحول كل ما له من كل ناحية؟" (أي 1: 10) [52]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يعرف داود الطوبولي بأن هذا الترك المؤقت من جانب الله تجاهنا أحيانًا يكون لصالحنا، وفي صلاته طلب أن لا يكون ذلك على الدوام (لأنه يعلم أن ترك الله للإنسان فيه ضرر حيث تعجز الطبيعة البشرية عن السلوك نحو الكمال)، لذلك توسّل بأن يكون ذلك في حدود معينة قائلًا: "لا تتركني إلى الغاية" (مز 8: 119). بمعنى آخر يقول: إنني أعلم أنك تترك قديسيك لأجل فائدتهم وذلك لامتحانهم... لذلك لست أسألك ألا تتركني، لأنه ليس من المفيد لي ألا أشعر بضغفي (لذلك قال "خيرٌ لي أني تذلتت" مز 71: 119)، ولا من النافع لي ألا تتاح لي فوصة للحرب. وهذه الفوصة لن تتاح لي بالتأكيد مادمت أمتلئ بحماية الله الدائمة. فالشيطان لا يتجاسر ويحربني مادمت مستندًا على حمايتك، فيقدم معترضًا ومشتكيًا ضدي وضدك: "هل مجانًا يتقي أيوب الله؟ أليس أنك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية؟" (أي 1: 9-10). ألتمس منك أن تتركني، لكن ليس إلى الغاية" (اللفظ اليوناني "ليس كثوًا") وذلك لأنه مفيد لي أن تتركني قليلًا، حتى يُمتحن ثبات حبي" [53].

الأب دانيال

❖ كلماتك تضربني بشدة في صوري، وتسيج حولي من كل جانب [54].

القديس أغسطينوس

"وَلَكِنْ أَبْسِطْ يَدَكَ الْآنَ،
وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ،

فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ" [11].

في حديث لثيودورت أسقف قورش عن العناية الإلهية آثار اعراض البعض: لماذا يحيا غالبية الأغنياء في حياة تتسم بالظلم؟ لماذا لا يطلبون العدل؟ ولعله استقى مثل هذا الاعراض من فيلون السكنوري ومن بعض الرواقيين. يجيب ثيودورت [بوة أخوي إنكم تتسون أن للإنسان رادة حوة. إنكم بهذا تحرمونه من المجد الذي أعطي له من صانعه. هذا بجانب أن صانعي الشر يجنون أساسًا قويا للدفاع عن أنفسهم لو أن الديان زرع الثروة على الأوار وحدهم في الحياة الحاضرة. فيقولون ما قاله سيدهم عن أيوب: "سيّجت حولهم وحول بيوتهم. ضاعفت محاصيلهم وكرومهم. لكن أبسط يدك ومس كل ما لهم، فإنهم يبلكون (يجدفون عليك) في وجهك" هذا ما يقوله الخطاة القساة لو أن ممرسي الفضيلة نالوا وحدهم عطية الغنى [55].

وي القديس أغسطينوس أن المؤمن الحقيقي مثل أيوب هو بوق ممتد، وأن التجرب أشبه بالطرق بمطرقة، متى ضربت البوق أصدر أصوات تسبيح موحدة. هكذا المطرقة التي تحطم غير المؤمن تكشف عن سلام وتهليل المؤمن فتوكيه أمام الله [56].

❖ لو كان في استطاعة (الشيطان) أما كان ينتقم لنفسه؟ لكن لا يُسمح له بذلك. فعندما أراد أن يحرب أيوب سأل أن ينال سلطانًا ليفعل ذلك، ولم يكن قاورًا أن يفعل شيئًا لم ينل به سلطانًا. فلماذا لا تعبدون الله بدون خوف، ذاك الذي بدونه لن يؤذيكم أحد، وبسماح منه تؤدبون لكن لا تُهزمون؟ [57]

❖ استطاع (الشیطان) أن یحسد الرجل القديس (أيوب)، لكن هل استطاع أن يؤذیه؟

أمكنه أن یتهمه، لكن هل استطاع أن یدینه؟

هل استطاع أن ینزع منه شيئاً أو يؤذیه، ولو بقدر ظفر إصبع أو شوة من رأسه، نون أن یقول الله: "ابسط یدك"؟
أعطني سلطاناً. لقد أعطي له.

واحد حُرّب، والآخر حُرّب. لكن الذي حُرّب غلب، والذي قام بالتحربة انهزم.

فالله الذي سمح للشیطان أن یسحب كل ما له لم يتخل عنه داخلياً بكونه خادمه. جعل من نفس خادمه سيقاً به انهزم الشيطان.

وما هي المحصلة؟ أظن أنها لنفع البشوية عامة. الإنسان التي انهزم في الفروس صار غالباً وهو على المزبلة. في موضع هزمه إبليس خلال امرأة، وفي موضع آخر غلب إبليس والوأة معاً [58].

القديس أغسطينوس

[59]

❖ يهیی الشيطان التجربة، فإن رأى شخصاً ضعيفاً یقوم بالهجوم علیه، أما إذراه قویاً يتوقف.

القديس یوحنا الذهبي الفم

❖ هذا أيضاً ما نقوا عنه، أن البرّ الإلهي قد أعان أيوب الأمين بحق في مصلحته، عندما ناهضه الشيطان في معركة فريدة. لكن لو تقدم أيوب ضد عدوه، ليس بقوته، إنما بحماية نعمة الله مسنوداً بالعون الإلهي من غير مملسة أي احتمال من جانبه، فإنه في خضوعه لهذه التجربة المتعددة...
... يكون للشیطان أن ینطق بعدلٍ، مقتریاً بما سبق أن قاله قبلاً: "هل مجاناً ینقي أيوب الله؟! أليس أنك سیجت حوله حول كل ما له من كل ناحية؟! ولكن ابسط یدك الآن"، أي اسمح لي أن أحربه "فإنه في وجهك یجذب" (أي 11-9).

لكن لم یستطع العدو المقتری أن یحتج بهذا بعد المعركة، لأنه انهزم بقوة أيوب وليس بقوة الله [60]، لا بمعنى أن نعمة الله فرقت أيوب، لأنها هي التي أعطت للمجرب سلطاناً أن یجرب في الحدود التي كانت توی فيها أن أيوب یقدر أن یقومها، وفي نفس الوقت لم تحمه النعمة من هجمات العدو بطريقة تتوع فيها فضيلته وجهاده، إنما تعينه. بمعنى أنها لا تسمح لذلك العدو الذي هو في غاية القسوة أن یزع عنه عقله أو یغوقه أثناء ضعفه ببث أفكار فوق طاقته أو النزول معه في زاع غير متساوٍ معه [61].

الأب شيريمون

[62]

❖ غالباً ما تسمح العناية الإلهية أن يواجه المؤمن مضيقات لكن ما یظهر للآخرين الفضيلة المخفية فيه، هكذا كان الحال بالنسبة لأيوب.

الأب یوحنا الدمشقي

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ:

هُؤَدَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ،

وَإِنَّمَا إِلَهِهِ لَا تَمُدُّ يَدَكَ.

ثُمَّ حَوَّجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ " [12].

لقد سمح الله للشیطان أن یجرب أيوب، كما سمح أن یغوبل بطرس الرسول، لكن حرص ألا یفنی إيمانه (لو 22: 32)، فإن التجربة تتوّل للمدح والكرامة والمجد (1 بط 1: 7).

التصريح الذي سمح به الرب للشیطان يعطي المؤمن طمأنينة وسلاماً، فعند الخير لا یقدر أن یمس مؤمناً دون إذن إلهه، حتى أملاكه لا یقدر أن یقترب إليها بدون سماح إلهه. أما الله فهو الأب القدير المحب الحكيم، يعطي السماح بالقدر الذي نحتلمه، وبما یؤول إلى مجدنا إن كنا أمناء.

قيل عن عدو الخير: " **خروج الشيطان من أمام وجه الرب** " كما قيل عن قايين (تك 4: 16)، إذ لا يحتمل الشر الوجود في الحضوة الإلهية. أما بنو الله الماثلون أمام الله فلم يُقل عنهم أنهم خرجوا من وجه الرب. هكذا يبقى المؤمنون في حضوة الرب حتى في لحظات نومهم! لقد سمح الله للشيطان بأن ينال سلطانًا لتجربة أيوب البار حسب الحدود التي وضعها له. هنا يميز البابا غريغوريوس (الكبير) بين رادة الشيطان وسلطانه. فمن جهة رادته فهي دومًا شورة، أما سلطانه الذي يُسمح له به من قبل الله فلن يكون فيه ظلم، لأنه بسماح إلهي لأجل توكيتنا وبنياننا. لهذا لا نعجب مما ورد في (1 صم 10:18) "الروح الوديء من قبل الله اقتحم شاول، وحن في وسط البيت". فهو روح شوير، أما القول: "من قبل الله"، فلأنه ما كان يمكنه أن يقتحم شاول بدون نوال سلطان من الله العادل. يقول القديس بولس: "لم تصبكم تجربة إلا بشوية، ولكن الله أمين، الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون" (1 كو 13:10). لذا يقول داود الموثل: "جربني يا رب، وامتنحي" (مز 26:2).

وي القديس أغسطينوس أن الله يسمح للشيطان أن يُسقط عليهم الضيقات، إما لأجل تأديبهم كما سلم شعبه للسبي بواسطة الغزاة؛ وإما للامتحان كي يتروا كما سمح لأيوب أن يُجرب، وإما لبيعته بهم إلي نوال الإكليل كما سمح لشهداء أن يُضطهروا [63].

❖ بالحقيقة عندما سأل الشيطان أن يُعطى له سلطان ضد أيوب، كان هجومه عليه سببًا في نوال أيوب مجدًا مضاعفًا بعد نصرته. نواله ضعف ما فقده في الحاضر أظهر بالحقيقة أنه سينال بلا شك بنفس الطريقة في المواضع السماوية. يقول الرسول إنه: "إن كان أحد يجاهد لا يُكلل إن لم يجاهد قانونيًا" (2 تي 2: 5).

بالحقيقة كيف يوجد جهاد إن لم يوجد من يقاوم؟
يا لعظمة جمال النور وبهائه الذي لا يمكن تبيينه إن لم تعترضه ظلمة الليل.
لماذا يُمدح البعض لأجل الطهارة، إلا لأن آخرين يدانون على وقاحتهم؟
لماذا يتمجد الأقوياء إلا لأنه يوجد جنباء؟
عندما تستخدم ما هو مُر، عندئذ يصير لك الخلو مستحقًا للمديح بالأكثر [64].

العلامة أوريجينوس

❖ نوا في سفر أيوب كيف أن الشيطان نفسه الذي يظهر كمن له كل السلطة إلي حين لا يقدر أن يفعل شيئًا بدون سماح. لقد نال سلطانًا على الأشياء الدنيا، وفقد سلطانه على كل ما هو أعظم وأسمى. سلطانه هذا ليس كمن يصدر عقوبة، بل العقوبة حالة به هو نفسه [65].

❖ لقد سمح الله للمجرب، لا لكي يعرف ما هو بالفعل يعرفه (عن أيوب)، وإنما لكي نعرف نحن ونقتدي به. لقد سلم للمجرب، فسلب كل شيء. وبقي الرجل مسلوبًا من ممتلكاته ومن أسوته ومن ولاده، لكنه كان ممثلًا من الله [66].

❖ سُمح للمجرب أن يجرب إنسانًا قديسًا، أيوب. في لحظة واحدة زع كل الأشياء، زال كل ما كان يملكه، زع المراث، وقتل الولدتين. لم يحدث هذا شيئًا فشيئًا، بل جملة معًا، بضربة واحدة... فأعلن عن الكل بإعلان مفاجئ. حين أُزيل كل شيء بقي أيوب وحده، لكن بقيت فيه نذور التسبيح التي [67] يوردها الله.

❖ استجاب الله (لشعبه) طلبتهم، أعطاهم ملكًا حسب قلبهم - كما هو مكتوب - وليس حسب قلبه هو. لقد وهب أيضًا ما سأله إياه الشيطان أن يجرب خادمه لكي يتروكى [68].

القديس أغسطينوس

❖ ألا ترون الحدود التي وضعت في الاختبار؟ أما تلاحظون أن الشيطان ما كان يمكنه أن يلمس حتى القطيع لو لم ينل سلطانًا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يُسمح للشيطان المحرب أن يثير حرباً على القديسين بكل طرق التجربة، حتى يتوكى حبههم لله، ولكي يكون ذلك شاهداً. وذلك عندما يُوع عنهم أو يرمون أو يصيرون في عز ومعدمين من الأمور الحسية، بينما يبقون محبين لله، ثابتين في محبته، يحبون بالحق. وبينما يحاول (الشيطان) إغواءهم يبقون غير منغمزين، ولا يغيرون محبتهم لله...

فالعُدو رغب بقوة أن يحرب كل إنسان، إن كان ذلك ممكناً له، ويسأل الله من أجل الكل لكي يجربهم كما سأل من أجل الرجل البار أيوب... وإذ نال في وقت قصير سماحاً اقترب الشيطان فوراً حسب قوة من سيرجه. هكذا يصلح الشرير معهم حسب شهوته. بهذه الوسائل، أولئك الذين هم مستقيمون وثابتون في حب الله يتركون عندما يستخفون بكل شيء ويحسبونه كلاً شيء بجوار حبههم لله [69].

مار اسحق السرياني

❖ يُعطى السلطان ضدنا في شكلين، إما للعقاب عندما نخطئ، أو للمجد عندما نتوكى، كما نرى في حالة أيوب [70].

الشهيد كبريانوس

❖ "هوذا كل ما له في يدك، وإنما إليه لا تمد يدك" [12]، يمكن أن يكون لها معنى آخر. لقد عرف الرب حقاً أن جنديه كان شجاعاً، وأن النصوة أكيدة تحت كل الظروف لهذا المصلوع الصامد. وأن العدو سيعود إلى الرب مهزوماً من صواع واحد. عندئذ يسمح له بمعركة أخرى لكي يُهزم للوة الأخرى، ويصير هذا الذي يتبعه بأمانة منتصراً بالأكثر بطريقة لا تُقلن على العدو المنهزم الذي استعاد قواه للحروب الجديدة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ما كُتب عن أيوب ليس بدون معنى، إذ يتضح من الكتاب أن الشيطان طلبه وسعي إليه. فإن الشيطان لا يستطيع أن يعمل شيئاً من ذاته بدون إذن من الله.

ماذا يقول الشيطان للوب؟ "سلمه ليدي، فإنه في وجهك سيجد عليك" (أي 1: 12) ولا زال أيوب كما هو إلى الآن، وهكذا الله أيضاً، وكذلك الشيطان. لذلك فبقدر ذلك يطلبه الشيطان ويقول للوب: "إنما هو يخدمك، لأنك تساعد وتحميه وتعينه، ولكن ابسط يدك الآن وسلمه لي، فإنه في وجهك يجدف عليك".

باختصار إذ يكون الشخص حاصلاً على الغواء بالنعمة، تتسحب النعمة قليلاً حتى يمكن أن يُسلم للتجرب. ويأتي الشيطان ويحضر معه آلاف من الشرور كتجرب للإنسان، مثل اليأس والارتداد والأفكار الودينة، ليعذب بها النفس، لكي يضعفها ويفصلها من الوجود في الرب [71].

القديس مقاريوس الكبير

❖ [لا تدخلنا في تجربة] الصلاة هنا ليست لكي لا نُجرب، بل لكي لا ندخل (ننقاد) في تجربة. فإذا يؤم لكل إنسان أن يُمتحن بالنار، عليه ألا يصلي trail of tribulation لكي لا تمسه النار، بل لكي لا يهلك. لأن آنية الخرف تُختبر بالأتون، والإنسان يُمتحن بالضيق (حكمة يشوع 6: 27). يوسف أمتحن بغواية الزنا، لكنه لم يدخل في تجربة (تك 39: 7-12).

وسوسة جُربت أيضاً دون أن تدخل في تجربة (دا 22: 19).

وكثيرون من كلا الجنسين جُروا دون أن يدخلوا في تجربة.

أما أيوب فأعظمهم، لأنه ثبت ثابتاً عجيباً في الرب إليه [72].

القديس أغسطينوس

❖ ليس لدى (الشياطين) سلطان ولا قوة يملونها ضد أحد ما لم ينالوا سماحاً من الله حسب تدبوره. مثال ذلك ما حدث ضد أيوب (أي 1: 2)، و ضد الخنزير المذكورة في الأناجيل (مر 5: 13) [73].

الأب يوحنا الدمشقي

❖ ليس للأرواح الشوية السلطان أن تضر أحدًا، يظهر ذلك بوضوح في حالة الطوبوي أيوب، حيث لم يتجاسر العدو أن يجربه إلا حسبما سمح الله به... وقد اعترفت الأرواح نفسها بذلك كما جاء في الإنجيل، إذ قالت: "إن كنت تُخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنزير" (مت). فإن كان ليس لديهم السلطان أن يدخلوا الحيوانات النجسة العُجم إلا بسماح من الله، فكم بالحوي يعجزون عن الدخول في الإنسان المخلوق علي صورة الله؟! [74]

الأب سيرينوس

4. نكبات متلاحقة

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَوْهُ وَيَتَاتُهُ
يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ حَفْرًا،
فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الْأَكْبَرِ" [13].

❖ يلومنا ملاحظة التوقيت الذي حلت به التجرب ، فقد اختار الشيطان وقت التجربة عندما كان أبناء الطوبوي أيوب منشغلين في وليمة (أي 1: 13). فإن المقولم لم يبحث فقط ماذا يفعل، وإنما متى يفعل هذا. فمع نواله السماح، إلا أنه بحث عن التوقيت المناسب ليملس تدموه. وبترتيب الله كان الهدف هو تسجيل هذا لنفعنا، فإن التمتع بالملذات الكاملة هو تهيئة لحلول البلياء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"أَنْ رَسُولًا جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ:
الْبَقْرُ كَانَتْ تَحْرُثُ،
وَالْأْتُنُ وَعَى بِجَانِبِهَا" [14].

جاء في الترجمة السبعينية " الأتن مع صغرها "، ففي حذاقة شديدة أراد العدو أن يزيد من مورة الكرثة، فقد سبى السبئيون البقر النافعة، إذ كانت تحرث الأرض، والأتن المخصبة، إذ كان معها صغرها. بهذا أراد العدو أن يضرب بعنفٍ ليجعل الجرح في نفس البار أيوب أكثر مورة. هذا بجانب سقوط الكورث متلاحقة وبسوعة بالغة.

فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبْيِيُّونَ وَأَخْخَوْهَا،
وَضَرَبُوا الْعُلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ،
وَنَجَوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخِيكَ [15].

إذ أخذ الشيطان إذنا بالتجربة لم تعزه الإرادة التي ينفذ بها خطته، فإن الأثوار يتممون مشورة أبيهم الشوير . وكما قال السيد المسيح لليهود في عصوه: "أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو 8: 44). فإنه هو "الروح الذي يعمل في أبناء المعصية" (أف 2: 2).

❖ ألا ترون سوعة الضربة... مثل هذا لم يحدث قط من قبل، ولا سمع أحد عن أمر كهذا. أضف إلى هذا أنه لم يُعد ممكناً حرث الأرض بعد، وفي لحظة جُرد أيوب من كل ممتلكاته. رؤية هلاك القطيع مؤلمة دائمًا، خاصة إن حدث في وقت يعتمد الإنسان تمامًا عليه... أضف إلى ذلك فإن حدوث قتلٍ وسط الدمار يجعل الصواع غير محتمل، حيث تظهر الوحشية والهمجية. إنها كرثة مزوجة، القتل والحملات الهجومية، مع الهوال المتبقي مضافًا إلى المحن التي لحقت به، حيث لم تعد تجعله جاهلاً بهول طبيعة الكرثة التي للحدث.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يؤكد القديس أمبروسيوس أن كثرةً من الأمور التي تبدو شورة وردية ونحن نعاني منها تصير فرصة لنمو فضائلنا، كما حدث مع أيوب في

❖ أما كان (أيوب) يصير في حالٍ أقلّ تطويلاً لو لم يعاني من هذه الأمور التي بها بالحقيقة قد تركى؟ [75]

القديس أمبروسوس

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذْ جَاءَ آخَرُ، وَقَالَ:

نَارُ اللَّهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ،

فَأَحْرَقَتْ الْغَنَمَ وَالْعِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ،

وَنَجَوْتُ أَنَا وَخَدِي لِأَخِيرِكَ" [16].

تلاحقت النكبات في لحظات وبسعة فائقة، ولعل العدو تعمد ذلك لكي لا يترك لأيوب فرصة للتفكير المتون، بل مع تلاحق الكوارث يظن أن غضب الله قد حلّ عليه، وأنه لن يتوقف. كانت التجرب كأموح لا تهدأ. "عمر ينادي غموا" (مز 42: 7).

العجيب في الرسل القادمين إلى أيوب أنهم يؤكدون أن البقر كانت تحرث، والأتن توعى. وكأنه حتى الحيوانات كانت تقوم بدورها، فليس من لوم على الأبناء، ولا الخدم، ولا الحيوانات، وكان اللوم كله ينصب على الله وحده دون غيره. لقد كانت خطة الشيطان محكمة للغاية، ليضرب قلب أيوب حتى يحول كل مشاعوه وأفكره نحو التجديف على الله.

بينما كنت أسجل هذا التفسير إذا بشاب يموت فجأة، فصار صديقه العزيز عليه جداً يجدف: "لماذا أخذ الله أعز صديق لدي؟" ورفض أية تغوية... بل وأحياناً يتمتم: "أين هو الله؟ وإن وُجد، فأين رحمته ورعايته؟" وكان عدو الخير في كل جبل يبذل كل الجهد لتحويل طاقات البشرية نحو التجديف على الله.

لم يعطِ عدو الخير الفرصة لأيوب كي يفكر في القيام بحرب ضد السبئيين ورد ممتلكاته، إذ جاء الخبر التالي يعلن أن نارا من السماء تزلت من عند الله فأحرقت الغنم والعلمان وأكلتهم. فإن كان يريد أن يحرب السبئيين، فمن أين يأتي وجاله للقتال وقد أحرقتهم نار إلهية. ثم هل يحرب الله؟ وكيف يبلغ إليه؟... وكأنه لم يعد في متناول يد أيوب غير لسانه ليجدف على الله كظالمٍ عنيفٍ لا يعرف الرحمة.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن بقوله: "نار الله سقطت من السماء"، أراد العدو أن يوحي لأيوب أن ما يحل به ليس بضوابط بشوية بل من قبل الله، وموجهة ضده وحده دون بقية المحيطين به. ولعله بهذا أراد تشويه صورة الله في عينيه. فمع عدم ارتكابه خطايا عظمى وعدم إهماله في العبادة لله، إلا أن الله حلّ بغضبه عليه دون غيره، مما يثير فيه الدافع نحو التجديف على الله كظالمٍ. إذ أحرق الله الغنم التي اختار أفضلها ليقدمها محرقات لله، فإن الله يبدو كمن لا يسر بمحرقاته، ولا يقبل عبادته، أو كأن "عبادة الله باطلة" (مل 3: 14).

لم يُسمع عن احتراق صادر من السماء منذ حرق سنوم وعمورة، لذا يقول أيوب: "لأن الوار من الوبر عب علي" (أي 31: 23).

❖ لئلا لا يثوره فقدان ممتلكاته بحزنٍ كافٍ عند سماعه الخبر حث مشاعوه بكلمات الرسول ذاتها.

لاحظوا كيف بمكرٍ قيل "نار الله"، كما لو قيل إنك تعاني من افتقاد ذلك الذي تريد أن تسترضيه بدبائح كثرة هكذا. ها أنت ساقط تحت غضب ذلك الذي تشغل نفسك بخدمته كل يوم...

هذه هي الغاية أن يستعيد في ذاكرته خدماته الماضية، ويحسب أنه باطلاً قد خدم، وكأنه قد أراد أن يثير فيه الشعور بظلم الخالق.

فإن الذهن التقى إذ يجد نفسه يواجه حمل صلبان من يدي إنسان يطلب التغويات من العناية الإلهية. وعندما وى عاصفة التجربة تستمد قوتها من الخرج، يطلب أن يغطيها بالثقة في الرب، ويلجأ داخلياً إلى ميناء الضمير. لكن ذلك الخصم الماكر أراد أن يحطم في ذات اللحظة قلب هذا القديس الشجاع، وذلك بضوابط موجهة من إنسان وبالأيأس من الله.

جاء إليه بأخبار أولاً عن السبائيين الذين قاموا بالنهب، وفي الحال جاء النبأ عن نار الله التي سقطت من السماء، حتى يغلق الباب تماماً عن

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذْ جَاءَ آخَرُ، وَقَالَ:
الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ،
فَهَجَمُوا عَلَى الْجَمَالِ وَأَخْنَوْهَا،
وَضَرَبُوا الْعُلَمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ،
وَنَجَّوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخِيرِكَ" [17].

لم يتركه العدو ليفكر لماذا سقطت النار من السماء كما بأمر إلهي، إذ جاءه رسول آخر يخوه بضوبة جديدة من فعل الكلدانيين. وهو في هذا يريد أن يريك فكر أيوب. فإن كانت النار قد حلت من قبل الله، فلعل أيوب يظن أنها ضوبة لتأديبه، لكن إذ يجد حتى البشر يسقطون عليه، فبماذا يبرر هذا؟

للمرة الثالثة تحل به نكبة خاطوة، وقد جاءت عن طريق ثلاث فرق من الكلدانيين، في وقت فقد فيه أيوب كل إمكانية للمقاومة. ولعل العدو أراد بهذه الضربة أن يصوخ أيوب في قلبه: "لماذا ينجح الرب طريق الأشرار؟"

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذْ جَاءَ آخَرُ، وَقَالَ:
بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا،
فِي بَيْتِ أَخِيهِمُ الْكَبِيرِ" [18].
وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَيْرِ الْفَقْرِ،
وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الْأَبْعِ،
فَسَقَطَ عَلَى الْعُلَمَانَ فَمَاتُوا،
وَنَجَّوْتُ أَنَا وَحَدِي لِأَخِيرِكَ" [19].

لكي يزيد من مورة الكثرة، بعث إليه بخبيرٍ خطيرٍ وهو أن الطبيعة أيضًا تأوّه ضده، فريح شديدة هزت البيت وقتلت ولاده وبناته، حتى يصعب عليه أن يخرج جثثهم سليمة! سيكون منظهم بشعًا للغاية. هذا بجانب لرباك فكر أيوب: كيف تتكاتف السماء والأرض معًا ضده، الله والبشر والطبيعة يقاومونه ، لماذا؟ ماذا فعل ليسقط تحت هذه الكوارث المتلاحقة من مصادر مختلفة؟ هذه أمر الضربات تركها العدو في النهاية، حتى يصوب سهمًا قاتلاً في قلب أيوب، إذ مات ولاده وبناته جميعًا في لحظات تحت الانقراض. إنها خسرة بالغة جدًا. عندما مرض الابن الوحيد لداود لم يحتمل المورة، بل صار يسير ذهابًا وإيابًا يصوخ، فماذا يكون حاول أيوب الذي فقد كل ولاده وبناته فجأة.

كان أيوب في حاجة إلى ولاده يعزوه في كل ما فقد، لكن موتهم، خاصة بهذه الطريقة، حتمًا جعله ينسى كل التجارب السابقة ليسقط في مورة لا تُحتمل.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه في الكوارث السابقة ربما يوجد ما يبرر قول الرسول: " ونجوت أنا وحدي "، حيث هرب ما لحق بحيوانات أيوب، أما أن ينجو هذا الرسول الأخير من سقوط البيت بينما يموت كل أبناء وبنات أيوب معًا، فهذا أمر غير طبيعي، فما هو السر؟ وى الذهبي الفم أن هذا الرسول لم يكن إنسانًا بل الشيطان نفسه، لأنه كيف ينجو من يخدم أبناء وبنات أيوب تونهم وهو معهم في ذات البيت الذي سقط وأهلك من فيه؟ هل فقدت طفلاً! إنك لم تفقده؟ لا تقل هذا، إنه نائم، وليس ميتًا، لقد تحرك ولم يتدمر، إنه في رحلة من حال سيئ إلى ما هو أفضل.



لا تثر الله ليغضب، بل استعطفه. فإنك إن احتملت هذا بنبلٍ، فإن الواحة تتضاعف بالنسبة للإحل كما بالنسبة لك. أما إن حدث العكس فإنك تلهب بالأكثر غضب الله...

قدم شكراً فإنه بهذا تتبدد سحابة الحزن عنك. قل مع أيوب: "الرب قد أعطى، الرب أخذ" (أي 1:21) [76].

القديس يوحنا الذهبي الفم

5. أيوب الشاكر

"فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَرَّقَ جَبَّتَهُ،

وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ،

وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ وَسَجَدَ " [20].

لو لم يتصرف أيوب هكذا لحُسب إنساناً بليد الحس، جامداً، غير طبيعي وغيبياً، لم يتأثر بموت بنيه وخدمه. لقد كشف بهذا التصرف عن مورة نفسه دون الخروج عن حدود اللياقة ، وذلك بالنسبة لكثرة التجرب المتلاحقة وبشاعته.

بجانب هذا فإن ما فعله كان يناسب العادات المتبعة في ذلك الحين. تصرفه لا يعني أنه فقد سلامه الداخلي أو شجاعته وصوره وقوة احتماله. وى بعض المفسرين أنه التجأ إلى هذا، لأن عدو الخير حاول أن ييبث أفكار التجديف على الله. فتمزيق الثياب وجز الشعر هما علامة على إصوره على رفض هذه الأفكار. لأن تمزيق الثياب علامة الـغبة في رفض التجديف، وذلك كما فعل رئيس الكهنة، حينما ظن في يسوع المسيح أنه قد جدف.

سجوده حتى الأرض علامة على إخلاصه مع نفسه، إذ شعر أنه خاطي، وأن نفسه قد انحطت حتى التواب.

وى الأب هيسخيوس الأورشليمي أن أيوب قام بتمزيق ثيابه كما بجز شعر رأسه من أجل الحزن، لكن بالأكثر لكي يتعوى من كل شيء، حتى من ثوبه وشعر رأسه، فلا يجد عدو الخير شيئاً يمكنه أن يجوبه فيه. كما في تواضع أمام الله سقط على الأرض.

❖ "سجد" ليقنع الخائن أنه باطلاً يفوز عليه أمام الله. فإن ذاك الذي قال عنه (الشيطان) أنه سيجدف (1:11؛ 2:5) ها هو يسجد. الشخص الذي قال عنه أنه متى دُمرت ممتلكاته سيظهر جحوداً أمام الله، ها هو يقدم شكراً أكثر من قبل.

❖ البعض يحسبونها نوجة عالية من فلسفة النبات أنهم متى سقطوا تحت تأديب قاسٍ، يكونوا بليدين في إحساسهم بالضربات، وفي ألم الجلدات. والبعض يبالغون في حساسيتهم لألم الضربات...

يقول النبي: "ضربتهم فلم يتوجعوا؛ أفنيتهم وأوا قبول التأديب" (إر 3:5). مقابل هذا الحوار القلبي في الإحساس بالتأديب يقول المرتل: "لن يثبوا في المحنة" (مز 10:140 الفولجاتا). فإنهم يثبتون في المحنة إن احتملوا بصبر.

❖ كانت العادة في العصور القديمة أن يحتفظ كل واحدٍ بمظهر شخصه بترك شوه ينمو، ليقصه في أوقات الحزن.

إذ فقد الرجل القديس كل شيء في وقت محنته بواسطة الخصم، أدرك أن الشيطان ليس له سلطان عليه أن يجوبه بدون سماح الرب، لهذا لم يقل: "الرب أعطى، والشيطان أخذ"... فإنه يكون الأمر محزوناً إن كان ما يعطيه الخالق يأخذه منه العدو. لكن الذي يأخذه ليس أحد آخر إلا ذاك الذي

أعطى، حيث استود ما له، ولم يأخذ ما هو لنا. فإن كل ما نستخدمه في حياتنا الحاضرة يأتي من عنده، فلماذا نحزن إن كنا نود إليه ما اقترضناه منه

خلال سخائه؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يا لشجاعة أيوب التي تفوق كل ما يُخبر به! يا للتواضع! يا لحب الله!...

هل ظن العدو أن أيوب لا يبالي بالقر، ولا يهتم بالأتن، وحسب القطيع أورا ليس بذي قيمة، والجمال كأنها لا شيء، وكل ممتلكاته أمورا

يُستهان بها؟

ماذا بخصوص الحزن على موت بنيه وبناته، كيف لم يُسقطه في رعبٍ؟...

ذاك الذي كان أبًا لأبناء كثوين لم يعد أحدٍ ما يدعوه "أبي".

لم يقل الله: "آية خطايا كثوة لتكبتها أيوب حتى يُحسب غير أهلٍ أن يحتضن أبنائه عند موتهم، ولا يكون قارواً أن يكرمهم بدفنهم في قبرٍ، ولا

في استطاعته أن يتغوى بدوع كعادة طبيعية كاملة، ولا في قدرته أن يقود موكب جنازي، كما يفعل عادة الآباء والأصدقاء؟...

إذن ليترككم لا تغضبون حينما تُردون من ممتلكاتكم، وتُرمون من الكوامات الزمنية، وتُغزلون عن الأبناء أو الآباء.

حين تفقدونهم حسب ناموس الطبيعة، لا ترتكبوا...

فلا يُمكن أن يُسلب منكم غناكم الحقيقي الذي هو التسبيح لله، الأمر الذي يجعلكم أقوىاء تتحدون كل الأحداث.

هل العبد يقدم اتهامًا عندما يُطالب بالوزنات التي أودعه إياها سيده؟ (مت 19:25)

أو إذ أخذ قرصًا، فهل يضطرب عندما يرده؟...

نعم، إذ نعطي ما هو ليس لنا، ليتنا نتقدم لله بكونه مستحقًا الشكر، عندما يعطي كما عندما يأخذ.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " فقام أيوب، ومزق جبته، وجز شعر رأسه" [20]. لا تظنوا أيها الأحياء أن هذه الإيماءة علامة هزيمة، بل هي على وجه الخصوص إشارة إلى

النصرة. فلو لم يتصرف قط لحسب أنه كان في حالة ذهول ، لكنه بالحق أظهر نفسه حكيماً وأباً تقياً في نفس الوقت. فإنه آية خسرة هذه التي لحقت

به؟ إنه لم يحزن فقط على فقدان أبنائه وأيضاً حيواناته، وإنما على الطريقة التي ماتوا بها. من لا يتحطم أمام هذه الأحداث؟ أي رجل حديدي لا يتأثر

بها؟

بولس أيضاً كانت له هذه المشاعر في مواجهة الدوع، إذ يقول: "ماذا تفعلون، تبكون وتكسرون قلبي؟" (أع 13:21) وهو بهذا كان موضوع

إعجاب! هكذا أيوب يستحق الإعجاب، لأنه بالرغم من المشاعر التي دفعته إلى هذا التحرك عبّر عنها بطريقة ليس فيها أي شيء غير لائق نهائياً...

موسى (النبي) كسر (لوحى الناموس)، ويشوع مزق ثيابه (خر 15:32-20؛ يش 6:7)، فلو أن أيوب لم يمزق ثيابه لقل أن الله خلقه بطبيعة لا

تتأثر (جامدة)، لكنه قبل الآلام التي تحل بالأوار حتى تركوا أنه التزم أن يكون حكيماً حتى في حزنه.

❖ " وخر على الأرض وسجد" [20]. لكي لا تظنوا أن تمزيق ثيابه يعني تجديفاً، وأنه في حالة غضب على الأحداث أنصتوا إلى ما يقوله. لقد تنازل

عن ثوبه للشيطان. يقول النص: " وجز شعر رأسه... وقال: عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى هناك ". هوة أخوى يتكلم حسناً. فإنه

منذ ذلك الحين يواجه الصواع ملقياً بنفسه عرياناً.

لقد سقط على الأرض وأسقط الشيطان. لقد أظهر مشاعره وأوضح تقواه...

لاحظوا كيف أنه بتصرفاته هذه أعلن عن كلمات الرسول: "لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء" (1 تي

7:6).

لاحظوا كيف أن كلماته التي نطق بها خدمته، ليس هو وحده فقط، بل وستخدمنا نحن أيضاً.

هذه الممتلكات فوق كل شيء هل هي ملكي؟ هل أنا الذي جبلتها؟

هذه الثروة، أليست هي وديعة؟ إنها غريبة عني، إذ لم وافقني عند دخولي هذا العالم، لا وافقني عند خروجي...

ليتنا نكون متبلدين من جهة الغنى. لهذا خلقنا الله عواة منذ البداية، وجعلنا قابلين للموت.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما مات أبناء أيوب وجنوا مقوة عامة تحت أنقاض بيته، وكل ما استطاع أن يفعله هو إظهار عاطفته الوالدية بتزيق ثيابه وسقوطه على الأرض والسجود قائلاً: "عريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود إلى هناك، الرب أعطى، والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركا" (أي 1: 20) [77].

القديس جيروم

وَقَالَ: عُرِيَانَا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي،

وَعُرِيَانَا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ.

الرَّبُّ أَعْطَى، وَالرَّبُّ أَخَذَ،

فَلْيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا" [21].

لم يذكر الكتاب المقدس أية تسبحة تغنى بها آدم وحواء في الفردوس وسط كل العطايا والبركات الفائقة التي تمتعا بها. لكن سجل لنا سفر أيوب تسبحة قصوة تفوق الكثير من التسابيح، تسبحة توح قلب الله وقلوب السمايين، وتبقى منقوشة كما على صخر تتغنى بها الأجيال، ويجد فيها البشر عبر الأجيال تزيان إلهية. هكذا ما كنا نتمتع بالزامير وحياة التهليل الداخلي لو لم يكن داود النبي رجل الآلام، وما كنا نتغنى بتسبحة الثلاثة فتية القديسين لو لم يلقوا في أتون النار.

بقوله هذا يعلن أيوب عن عودته إلى أصله، وكما يقول الحكيم: "رجع الزّاب إلى الأرض كما كان" (جا 12: 7). عوايا نعود حيث فوجع إلى الزّاب الذي أخذنا منه (أي 23: 6). جاء المثل اللاتيني بأنه "لا يمكن أن يبلغ أحد إلى حالة من الفقر المدقع أكثر مما كان عليه حين وُلد".

ظهرت أمانة أيوب على غير ما ادعي الشيطان، فعوض أن يجدف على الله بركه، معترفًا بالعناية الإلهية مهما حلّ به من ضيقات. لم يقل الله أعطى والسبائيون والكلدانيون أخنوا، ولا قال الله أعطاني والرب أفقرني، وإنما قال بأن الله الذي أعطى من حقه أن يأخذ. إنه لم يخسر شيئاً، لأن كل ما لديه حتى ولأده هم ملك الله، هم عطيته.

بلك الله الذي أعطى، ويبلرکه لأنه أخذ، لأن بقاء العطايا ولو إلى حين هو من قبيل محبة الله لنا. ولأن الله الكلي الحكمة والحب والفقرة يعرف ما لبنياننا وبالقدر الذي فيه نفعنا، لذا حتى الأخذ منا هو لخبرنا.

❖ عندما جاء الرسل إلى الطوبوي أيوب واحد يلي الآخر، وسمعهم يعلنون عن أخبار مميتة، مضافاً إلى ذلك دمار أبنائه الذي لا يُحتمل، لم يصوخ ولا تتهد، بل التجأ إلى الصلاة وقدم شكراً للرب؛ فلتتمثلوا به [78].

❖ أيوب ليس فقط لم يجدف، بل وبلرک! لم يكتفِ أن يحتمل كلرثته في صمته، بل مجد الله، ليس فقط في ذلك الحين، وإنما في المستقبل أيضاً.

❖ إن كنا نمرس هذه الحكمة الروحية (الشكر الدائم)، فلن نختبر أي شر، حتى إن سقطنا تحت آلام لا حصر لها، بل يكون الريح أعظم من الخسلة، ويطغى الخير على الشر. بهذه الكلمات تجعل الله رحوماً نوحك، ويدافع عنك ضد طغيان إبليس. ما أن ينطق لسانك بهذه الكلمات، حتى يهرب الشيطان منك سريعاً [79].

❖ حينما كان (أيوب) محاطاً بالتمام بتلك الثروة، لم يكن ظاهراً لكثيرين أي رجل كان هذا. ولكن عندما أتت ثيابه كمنصوع وألقاها جانباً، وجاء عرياناً للمصلعات لأجل التقوى، أدهش كل الذين رأوه. حتى أن مسوح الملائكة صوخوا عندما شاهدوا نفسه الثابتة في جلد، وامتدوه بكونه قد كسب الإكليل. وكما سبق فلاحظت أنه لم يكن راه البشر حسناً حينما كان ملتحقاً بكل الثروة مثلما رأوه حينما طرحتها كنوب، وظهر كعريان على خشبة المسوح وسط العالم، فدهش الكل لقوة نفسه. لقد شهوا له ليس بكونه تجرد من كل شيء، وإنما بكونه في صواعه احتمل بصبر ضعفاته [80].

❖ " الرب أعطى، والرب أخذ" [21]، ليفعل ما يحسن لدى الرب. أنظروا فقد آمن أن الله هو الذي أخذ... أي شيء يمكن مقلنته بهذا الاتجاه؟ إنه لم

يطلب أن يعرف عن حب استطلاع، ولم يقل: لماذا يعطيني الله؟ ولماذا يأخذ؟

" فليكن اسم الرب مبلرًا" [21]. لاحظوا بأية وسيلة يتمتع بتغرية...

إنه الرب هو الذي قرر. تقولون: لماذا قرر الله بهذه الطريقة؟... عندما جعلني غنياً لم أبحث عن معرفة لماذا أعطاني الغنى، والآن لا أريد أن أعرف لماذا أخذه مني. لأنه هل أعطاني هذا عن استحقاق من جانبي؟ هل أعطاني هذا مقابل أعمال صالحة؟ لقد قرر أن يعطيني، وفعل ذلك. لقد قرر أن يأخذ، وهو يفعل هذا.

إنها علامة على الروح التقوية أن نصنع كل شيء حسب رادة الله، ولا نطلب منه حساباً، ولا تفسيراً لما يفعله.

❖ إنه لأمر عظيم إن استطعنا أن نقدم الشكر بوجع عظيم. لكن تقديم الشكر عن خوف شيء، وتقديم الشكر أثناء الحزن شيء آخر. هذا ما فعله أيوب عندما شكر الله.. لا يقل أحد إنه لم يحزن على ما حلّ به أو أنه لم يتأثر به في أعماقه. لا توقع عنه المديح العظيم لوه... يؤذينا الشيطان لا لكي يسحب ما لنا ويتركنا معدمين، وإنما لأنه عندما يحدث هذا يؤمننا أن نجدف على الله [81].

❖ ووجع أيوب وصار مشهوراً، ليس لأنه لم يهتز بالوجع من التجرب غير المحصاة التي أهدقت به، وبالوجع من مقاومة زوجته له، وإنما استمر في شكوه للرب على كل حال ليس عندما كان غنياً فقط، وإنما عند صار فقيراً أيضاً، ليس عندما كان في صحة، بل وعندما ضوب جسمه (بالقروح) أيضاً، ليس عندما حلت به هذه الأمور ببطء، وإنما عندما حلت به عاصفة عنيفة، حلت ببيته كما بشخصه بالكامل أيضاً [82].

❖ يسبب لنا الشيطان خسائر، لا لكي يزع عنا خواتنا فحسب، إذ هو يعلم أن هذه كلا شيء، إنما لكي يؤمننا بهذا أن ننطق بالتجديف. هكذا في حالة الطوبوي أيوب لم يجاهد ليحمله فقراً فحسب وإنما ليحمله أيضاً مجدفاً [83].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [84] وإن كان قد حسب أنه صاحب ثروات عظيمة، لكن الاختبار الذي قدم له من الرب أظهر بوضوح أنه لم يكن يقتني سوى الله وحده.

القديس مقاريوس الكبير

❖ سبحوا الرب على القبيثة. إن صار لكم فيض من الأرضيات قدموا شكراً للعاطي. إن كان هناك عوز أو سلبتم مما لكم، اعزفوا على القبيثة بوجع. لأنكم لم تُعرموا من العاطي، وإن كنتم قد حُرمت من العطية التي وهبكم إياها. هكذا أكرر، اعزفوا ببهجة. بثقة كاملة في إلهكم، امسكوا بأوتار قلوبكم كما بقبيثة، لتتوي أصواتكم إلي أعماقها صلحين: "الرب أعطى، الرب أخذ" [85].

❖ هنا نجد مثلاً للإنسان الذي يبيلك الرب في كل الأوقات [86].

❖ ليأخذ ما قد أعطاه، لكن هل فقدت العاطي؟... كأنه يقول: أخذ الكل وليأخذ كل شيء، وليوسلني عرياناً، لكن لأحتفظ به هو نفسه، ماذا ينقصني إن اقتنيت الله؟ أو ما هو نفع كل شيء لي إن كنت لا أقتني الله؟ [87]

❖ كان يمكنه القول: "الرب أعطى، الرب أخذ. الذي أخذه الرب يمكنه أن يعطي مرة أخرى، ويرد أكثر مما أخذ". لكنه لم يقل هذا، بل قال: "ما يحسن لدى الرب فليكن". إذ ما يسوه يسوني. ليت ما يسر الرب الصالح لا يحزن العبد الخاضع، ما يسر الطبيب لا يحزن المريض [88].

❖ من أين جاءت مثل هذه الجواهر التي لمديح الله؟ أنظروا إنساناً كان من الخراج فقراً، لكن في الداخل كان غنياً. هل كان يمكن لمثل هذه الجواهر أن تصدر عن شفثيه لو لم يحمل كوزاً مخفياً في قلبه؟ [89]

❖ [90] يا للغنى الداخلي الذي لا يقدر لص أن يقرب إليه! الله أعطاه نفسه. لقد أغناه إذ قدم له نفسه، بما يحبه.

❖ أنت تأخذ ما لدي، أنت لا تأخذ ما في داخلي. فإنه لن يصير فقراً القائل: "الرب أعطى الرب أخذ، ليفعل ما يحسن في عينيه، مبلر اسم

الرب" [91].

❖ مال الظلم هو كل غنى هذا العالم، أيا كان مصوره. إذ يجمع الغني، إنما يجمع مال الظلم أي غنى الظلم... إن أردنا الغنى الحقيقي فهو مختلف عن هذا الغنى. هذا الغنى كان بؤفة، فإذا كان أيوب عريانًا كان قلبه مملوء بالإلهيات، يفيض بالتسابيح كأثمن جواهر مُقدمة لإلهه، وذلك عندما فقد كل ما لديه [92].

❖ إذ تسمعون هذا وجهوا قلوبكم نحو الله. لا تخذعوا نفوسكم.

أطلوا أنفسكم... سواء كنتم تحبون العالم أو لا تحبونه، وتعلموا أن تدعوه وحل أمامكم قبل أن ترحلوا أنتم. ماذا يعني أنكم تدعونه وحل؟ أي لا تتعلق قلوبكم به.

عندما يكون لديكم شيء ما مما ستفقونه يومًا، سواء وأنتم في الحياة أو بالموت، دعوه وحل، فإنه لن يقدر أن وافقكم على الوام.

تهيئوا لإرادة الله وتعلقوا به. تمسكوا به هذا الذي لا يمكن أن تفقوه بدون رادتكم. فإن حانت فرصة لفقدان الرغبات، قولوا: "الرب أعطى،

الرب أخذ." [93]

❖ وُجد أيوب يتعبد لله من أجل الله نفسه، يحبه لأجل ذاته، وليس لأنه أعطاه ما يؤممه، وإنما لأنه لم يزع الله نفسه عنه... لقد اقتربت نوان التجربة منه، لكن وجدته ذهبًا وليس قشًا. زعت عنه الوغل، ولم تحوله إلى رماد! [94]

❖ إن أخطأت فلتخزن على فقدان كترك الداخلي. ليس لديك شيء في بيتك، لكن قد يكون قلبك أكثر فراغًا. ولكن إن كان قلبك مملوء بصلاحه، مملوء بإلهك، فلماذا لا تقول: " الرب أعطى، الرب أخذ، ما يحسن لدى الرب فليكن! مبارك هو اسم الرب! " ما الذي يُحزن الله؟ هل من الضربات وهو نفسه [95] قد ضُرب؟ حاشا!

❖ يا لجواهر التسبيح لله، فقد احضوها من كنوزه الداخلية! هذه هي ثروته! أخرج تسبحة عذبة تمجد الله وتوحي أيوب [96].

❖ يا له من صوت شجاع عذب! من لا يستيقظ على هذا الصوت من النوم؟ من لا يثق في الله في يقظة، ليسير في المعركة بلا خوف ضد إبليس، محاربًا لا بقوته الذاتية، بل بقوة ذاك الذي يزيه [97].

القديس أغسطينوس

❖ كيف أتأهل أن أكون في صحبة أيوب، أنا الذي لا أقبل المحن العادية بشكر؟ [98]

❖ واضح أن الفضائل تصير ممتلكاتنا ، عندما تصير عمليًا منسوجة في طبيعتنا. إنها لا تتركنا ونحن نجاهد على هذه الأرض، ما لم نظودها نحن برادتنا ونؤمها بذلك، وذلك بفتح الباب للوذيلة لتدخل.

إنها تحوي بنا مثلثة كلما أسوعنا نحو العالم الآخر.

إنها تقيم من يمتلكونها في رتبة الملائكة، وتشرق أبدًا في عيني الخالق.

أما الغنى والسلطة واللذة وكل حشد مثل هذه الغلوات التي تزايد يوميًا بسبب غلوتنا، هذه لا تدخل معنا في هذه الحياة ولا تصحب أحدًا عند توكه هذا العالم. فإن قول الرجل البار قديمًا: "عريانا خرجت من بطن أُمي، وعريانا أعود إلى هناك" (أي 1: 21) هو قول بحقٍ راسخٍ سائدٍ بالنسبة لكل إنسانٍ [99].

❖ بين الرجال القدامى والمعاصرين يُفترض أن كل واحدٍ منهم تمتع بنجاحٍ معينٍ، إذ يتمتع كل بفضيلةٍ معينة: أيوب نال صوابًا لا ينهزم وسط المحنة، وموسى ودود الوداعة، وصموئيل النبوة متطلعًا إلى المستقبل، وفينحاس الغورة (عد 7:35)... وبطرس وبولس الغورة في الكورة (غل 2:7)، وابنا

[100] زبدي بفخامة الأسلوب، فدُعيا ابني الاعد (مر 17:3).

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ كان هذا أشبه بصوخة منه: "كنت أدعى أبًا إلى زمن طويل، إذ أراد من خلقتني أن أكون هكذا. لقد أراد بهوره أن يزوع عني إكليل النسل. لا أقولمه فيما يخصه. ما يحسن في عينيه فليتحقق. إنه خالق أبنائي، أما أنا فأداة. لماذا وأنا العبد استسلم لحزنٍ غير نافعٍ وشكوى موهنة ضد واربٍ عبثاً أستطيع أن أتجنبه؟" يمثل هذه الكلمات طرح الشيطان رُضاً [101].

القديس باسيليوس الكبير

❖ هل رأيتم السهام التي صوبها الخائن؟

العدو نفسه سلب، وقد ارتبك باطلاً. فإن أيوب لم يتأثر قط بالأحداث، منصتاً إلى أحاديث الشرور الساقطة عليه كما لو كانت تخص غيره، وأما هو فكصوة تصد الأمواج التي تتخبط عليها.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إن كان أحد يحتمل تدبير الرب بصبرٍ، فيقول عندما يفقد شيئاً: "الرب أعطي، الرب أخذ..."، فإنه يتقبل إكليلاً على صوه الذي يسر الله إن كان بلاً، وغواناً إن كان خاطئاً [102].

❖ الإنسان البار الذي يعاني من التحطيم (للأمور المادية) هو غني وعريان. كان القديس أيوب مملوءاً من هذا الغنى... لقد فقد كل تلك الأشياء التي وهبه الله إياها، لكنه اقتنى الله نفسه واهبها [103].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ أنظروا كيف يختم كل ما شعر به بحق بمبركته الرب. بهذا أترك العدو الحري، وحُسب له ذلك عقوبة وهزيمة. فإنه هو نفسه وإن كان قد خُلق في بركةٍ إلا إنه تمرد على الرب، بينما ذاك الذي هو مائت ينطق بتسبحة المجد حتى وهو تحت تأديباته... بكلمات الصبر سبَّح الله عندما ضُرب. لقد صوّب سهاماً كثرة في صدر خصمه، وأصابه بجراحات أكثر مورة من التي سقط هو تحتها. فإنه بمحنته فقد الأرضيات، وباحتماله لها بواقِع ضاعف بركاته السلموية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يقول الكتاب المقدس: "لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء". (1 تي 6: 7) الذين يطلبون أن يكونوا أغنياء يسقطون في شهوات عديدة غير نافعة. التلميذ الذي صار خائناً هو وهان واضح لهذا، فقد هلك من أجل مالٍ قليل بائس [104].

القديس كيرلس الكبير

❖ نحن سادة أنفسنا، لنا أن نؤذي أنفسنا أو لا نؤذيها... (إن سُوفت كل كنوزنا) فبالحقيقة لهو أمر محزن، ويبدو أنه خسرة. لكن يبقى الأمر متوقفاً عليك فتستطيع أن تجعل منه خسرة أوروباً لك. تقول: "وكيف يمكن أن يكون هذارباً؟" إنني أسعى لأظهر لك كيف هذا، فإنك إن أردت سيكون ذلك لك رباً عظيماً، وإن لم ترد فالخسرة ستكون أقسى من خسرة ما قد أخذ منك. فانه كما في حالة الفنانين عندما توضع المواد الخام أمامهم، فمن كان منهم ماهراً في فنه يستخدم المواد في هدفٍ صالح، أما غير الماهر فيفسد المواد وتصير بالنسبة له خسرة. هكذا الأمر هنا كيف تصير هذه رباً؟ إن قدمت شكواً لله، إن كنت لا تنتحب بمررة، إن نطقت بكلمات أيوب: "الرب أعطي، الرب أخذ..." [105]

❖ من يحتمل بهوء أن يرى طفلاً وحيداً له مطروحاً كجثة هامة؟ إنه يحتاج إلى نفسٍ كالولاد لاحتمال ذلك. مثل هذا يؤمه أن يستويح من تنهدات الطبيعة، وأن يتوى لينطق كلمات أيوب: "الرب أعطي، الرب أخذ" (أي 1: 21). فبهذه الكلمات وحدها يقف مع إراهيم نفسه وأيوب ليعلن عنه أنه غالب. وإن منع نحيب النساء وقام بتفويج جماعات النائحين ليقمهم للتغني بمجد الله، فإنه ينال فوق الكل مكافآت لا حصر لها، يندهش منه البشر، وتمتدحه الملائكة، ويتوجه الله. [106]

[107]

❖ هذه كلمات نفسٍ حيّةٍ، نفسٌ تؤدي دورها اللائق بها.

❖ لنفوس أن شخصًا فقد ابنه، وآخر كل ممتلكاته... فإنه يمكن اقتناء ثمر من المحنة حتى وإن كان لا يمكن علاجها، وذلك باحتمال الظروف بنبلٍ، وعض استخدام كلمات تجديف، تقدم كلمات شكر للرب، بهذا فإن الشور التي تُجلب عليكم بغير رادتكُم تصير أعمالاً صالحة باختيلكم. [108]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الله صالح، وكل ما يفعله يؤم أن يكون صالحًا أيضًا.

هل قرر أنه يجب أن أفقد زوجي؟ اندب خسلتي، لكن مادامت هذه هي رادته احتملها بتسليم.

هل يختطف مني الابن الوحيد؟ الضربة القاسية، لكن يمكن احتمالها، لأن الذي يأخذ هو نفسه الذي أعطي.

إن صوت أعمى فواعة صديقي تغني.

[109]

إن صوت أصم اهرب من سماع الكلمات الثيرة، وتتركز أفكاري في الله وحده.

القديس جيروم

"فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يَخْطِئْ أَيُّوبُ،

وَلَمْ يَنْسِبْ لِهَّ جَهَالَةً" [22].

هذه شهادة حية يقدمها لنا الروح القدس عن حسن تصرفه وسط الضيق. لقد اجتاز التجربة في نجاحٍ ونصرةٍ صادقةٍ.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم في تعبير "لم ينسب لله جهالة" "أنه لم يتهم الله بالظلم، ولا حسب أن ما حلَّ به هو وليد صدفة، ولا تدمر قائلاً

بأنه لم يخطئ فلماذا حلت به الشرور، ألا يبالي الله بأموه. مثل هذه الأفكار تحل بالبعض حينما تحل بهم التجرب بينما يرون غوهم يتمتعون ببركات

زمنية.

❖ حرب الشيطان (أيوب) بنباتٍ، لكنه عجز عن النصرة على مصراع الله.

لقد وَّعَّ جعبة أسهمه، لكنه لم يستطع أن يروح مقاتله الشجاع الباسل.

أثار أمواجًا ضخمة، لكنه لم يقدر أن يحرك الصخرة الثابتة.

استخدم حيله، لكنه لم يقدر أن يهدم الوج القوي.

هزَّ الشجرة، لكنه لم يحطم الثرة.

لقد كسَّر الأغصان، لكنه لم يوذِ الجذر.

لقد اخترق السور، لكنه لم يحمل الكنز.

الآن أقول إن هذا الكنز الذي أشير إليه ليس من ذهبٍ ولا فضةٍ، بل إيمان الرجل البار. فإن الشيطان أراد تحطيم هذا الكنز عندما هيَّج عليه

[110]

بلاء لا يُحتمل بعد أن زوع عنه كل ثروته... ها أنتم ترون الله يتمجد والشيطان يخوى.

الأب قيصريوس أسقف آرل

[111]

❖ فشل الشيطان وملائكته أن ينتصروا على أيوب عندما أطلقوا هجماتهم عليه. كان هو الرجل الذي يقف مقدامًا، لن يهتز في إيمانه الثابت.

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا كيف يوصف أيوب أنه صار إلى حالٍ أعظم خلال التجربة، بينما سقط داود بالتجربة رُضًا. لهذا فإن فضائل أسلافنا قد تعزز رجاءنا،

وسقوطهم يدعم حزننا بالتواضع، فبينما بالأولى توتقع إلى الوح، نبقى بالثانية في مخاوف.

❖

'في كل هذا لم يخطئ أيوب، ولم ينسب لله جهالة' [22]... إذ لم ينطق بشيء فيه غلوة، حافظاً لسانه من الإثم، بينما قيل: "لم يخطئ"، فيظهر أنه استبعد عنه خطأ التذمر حتى من فكه، فلم يخطئ، ولا تكلم بجهالة، ولا ثار السخط في شعره الصامت، ولا انحل لسانه بالسب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[112]

❖ لتشكر الله ولتسبح ذاك الذي يختوك في الأتون. لتتلق بالتسبيح عوض التجديف هذا هو الطويق الذي به عبّر ذاك الطوبوي عن نفسه .

[113]

❖ هذا هو الطويق الذي به قدم أيوب ذبيحة (تسبيح) بالرغم من الأخوان الموعبة التي فوق الطاقة البشوية قد حلت به.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أي 1

تسبحة وسط الضيق!

❖ هب لي يارب بنعمتك أن أنعم بالغنى الروحي!

أكون في عينيك كاملاً، يا من تتسب لملائكتك حماقة!

وتحسبني مستقيماً، من أجل عمل روحك في!

سمرٌ خوفك في قلبي، فأحيا بالتقوى.

وليشوق نورك في داخلي،

فلا احتمل السلوك في ظلمة الشر.

❖ هب لكنيستك أن تكون كأسوة أيوب،

أيامها أعياد وولاتم روحية لا تنقطع!

سمتها الحب الأخوي والاتفاق بغير انشقاق.

تعرف سيمفونية الحب التي توح السمايين!

في وسط أواحي لا تفرقني ذبيحة صليبيك!

أطلب عن إخوتي كما عن حفرتي،

لئلا في جهالة أو بمعوفة أخطئ إليك.

❖ ليشتك إبليس عليّ أمامك،

فإنني تحت ظل جناحيك أحتمي!

ليس من يسندني سواك!

❖

ليجودني إبليس من كل شيء!
لكنني أقتنيك، فلن يسحبني منك.
أنت غناي وسعادتي وكفايتي في كل شيء!

❖ وسط الضيق نفسي تشكوك وتسبحك،

لأن قلبي مرتفع إليك!

ليس له موضع في العالم،

ولا للعالم موضع فيه!

<<

الأصاح الثاني

جولة جديدة

إن كان الملائكة، أبناء الله، يظهرون أمام الله مشتاقين إلى خدمته في محبوبيه البشر، فإن عدو الخير أيضًا لا يقف في سلبية مكتوف الأيدي، بل يجول في كل الأرض معلنا الحرب ضد الله في البشرية.

في الأصاح الأول قدم الكاتب الجولة الأولى للمعركة التي دلت بين الشيطان وأيوب، وخرج أيوب غالبًا. والآن يُصِرُّ عدو الخير على الدخول في جولة جديدة، فهو لا يكف عن تصويب سهامه ضد أبناء الله حتى وإن رتدت إليه.

مست التجربة الأولى ممتلكات أيوب وبنيه وبناته، الآن تمس التجربة جسمه كله ماعدا لسانه، واستخدم امرأته كما سبق فاستخدم حواء في الجنة لإغواء آدم، وأخيرا بدأ يستخدم أصدقاءه الذين جاؤا لكي يرثوا له ويعزوه.

1. الدخول في جولة جديدة 1-6.

2. آدم آخر في وسط الرماد 7-8.

3. زوجة أيوب تجربه 9-10 .

4. افتقاد أصحابه الثلاثة له 11-13.

1. الدخول في جولة جديدة

وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَنُّوا أَمَامَ الرَّبِّ،

وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ لِيَمْتَنِّلَ أَمَامَ الرَّبِّ [1].

جاء العدو لينال إذنا بتجربٍ أفسى وأمر، فإن التتين "يشتكى عليهم أمام إلهنا نهرا وليلا" (رؤ 12: 10).

❖ " وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمتنوا أمام الرب" [1]. لماذا يقدم الكاتب فكرة حضورهم بهذه الطريقة في كل يوم؟

لكي نترك أن الحدث ذاته لا يفلت من العناية الإلهية، وأن الملائكة يقدمون حسابًا عن أحداث كل يوم، وأنهم في كل يوم يُسَلون لحسم الأمور حتى حينما نفشل نحن في إرواك هذا، فقد خُلقوا لهذا. هذا هو عملهم، كما يقول بولس: " (أليس جميعهم أرواحًا) خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن

يروثوا الخلاص؟" (عب 1:14)...

ها أنتم ترون بأي هدف كان الملائكة حاضرين، أما هو (الشيطان) فما هو هدفه؟ أن يجرب أيوب، وأن تسير الأمور لتحقيق هذا الهدف.

لماذا أستجوب مرة أخرى أمام الملائكة؟ لقد تحتم عليه هكذا، فقد سبق فقال أمامهم: "إنه حتماً في وجهك يجدف عليك" (راجع أي 11:1). يا

لخزيه! كيف تجاسر وعاد ليقف بينهم؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ:

مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟

فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ:

مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ،

وَمِنَ التَّمَشُّي فِيهَا" [2].

جاءت إجابته كالموة الأولى تماماً، وكأنه لم يؤذِ أحداً قط، بل ومن حقه أن يسيء إلى الغير. إنه لم يعترف أنه أخطأ!

❖ كان الهدف في تجلبه تصويبه (أيوب) نحو الموت، وإذ به ينال نمواً في حياته بذات الضربة. لقد حزن عدونا القديم أن فضائل أيوب تضاعفت

بذات الوسيلة التي كان يهدف بها نحو ووعها عنه. ومع كونه قدرأى أنه انهزم في الحلقة الأولى أعد نفسه لتصويب هجمات من التجرب جديدة،

وكان لا زال له الجسلة أن ينطق بالشر على ذاك القديس. فإن الشوير لا يستطيع أن يؤمن بوجود الخير حتى وإن توهن بالخوة...

"من أين جئت؟" ... (أي 2: 2) كأن صوت الله يقول له بصراحة: "أنظر لقد غلبك إنسان واحد، غلبك بالرغم مما يعانیه من ضعفات الجسد، يا

من تصرع لتقف أمامي أنا خالق الكل".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "عندئذ أجاب " هذا يعني أنه عندما نال سلطاناً أن يتكلم، عندما أعطى الرب سماحاً للعبد الشوير أن يفتح فمه أمامه، عندما أمر ذاك الذي أمسك

بلسانه كعمودٍ لا يتحرك. يقول: "لقد لاحظت بسوعة كل الأرض، ونصبت شباكاً في كل موضع، وهيأت مصائد. كل المواقع مملوءة بمصائدي، الكل

قد ضاق بشباكي، وأمسكوا في تعبي. ليس من طريقٍ للهروب من سببي، فإن خططي الاستراتيجية لها أشكال كثيرة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ لاحظوا أنه يطوف في كل لحظة في العالم. يعلمنا زكريا أن الملائكة تجول على الأرض (رك 10:1-11). أما هذا البائس فلا يكتفي بالطواف، فإن

العناية الإلهية أيضاً تملس هذا العمل، إنما يطوف لكي يُدان بالأكثر (شوره)، ولكي نكون نحن في أكثر حذرٍ. لهذا السبب دُعي رئيس ظلمة هذا

الدهر" (أف 12:6)؛ أي رئيس الشر.

تكلم أيها الشيطان، ماذا فعلت؟

يقول: لقد قمت بجولة في الأرض، لقد توت فيها، وها أنا هنا.

ماذا جلبت؟

لم يجلب شيئاً نافعاً أو صالحاً، لهذا لم يجب لماذا قام بالجولة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عِبْدِي أَيُّوبَ،

لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ؟

رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ،

يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ.

وَالِي الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ،

وَقَدْ هَيَّجَتْنِي عَلَيْهِ لِأَبْتَلَعَهُ بِلا سَبَبٍ" [3].

مرة أخرى يدافع الديان نفسه عن المتهم، ويمتدحه.

❖ إذ (الله) عادل لم يكن ممكناً أن يهيج عليه بدون سبب. مرة أخرى إذ هو حق لم يكن ممكناً إلا أن ينطق بهذه الكيفية، إنه فعلاً هاج عليه بلا سبب. لكن الأمرين يتلزمان معاً بكونه عادلاً وحقاً، فهو ينطق بالحق ولا يفعل ظلماً. لنتحقق أن الطوبوي أيوب كان من جهته قد ضُوب بلا سبب، وأيضاً بمعنى آخر لا يُضوب بدون سبب ... لأنه ما كان يمكن أن يُقدم للآخرين مثلاً للفضيلة لو لم يُجرب...

البابا غريغوريوس (الكبير)

[114]

❖ لم يهتز أيوب، إذ لم يراجع عن ثبات إيمانه.

القديس أغسطينوس

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب يرمز لشخص السيد المسيح الذي قَبِلَ الألم "الغضب" بلا سبب، تألم بلا سبب، وكمخلصٍ وشفيعٍ كفريٍ عنا تألم بسببٍ، لكي يطهرونا بدمه من خطايانا.

❖ لماذا يعود ليهاجم؟ ماذا نتعلم من هذا؟ فإننا وإن سقطنا ألف مرة، فإن الشيطان لن يتوقف، بل يستمر في الحرب دون أي تردد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ:

جِدْ بِجِدِّ،

وَكُلْ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لِأَجْلِ نَفْسِهِ" [4].

كان هذا المثل شائعاً في القديم، في أيام أيوب، وهو يُعبر عن تقدير حياة الإنسان فوق كل شيء في العالم، وقد وُجدت تفسير كثيرة له.

ربما يشير إلي عادة قديمة خاصة بمقايسة جلود الحيوانات القتيلة التي يطردها الصيادون. فالصياد الجائع يقدم جلود الحيوان الذي اصطاده مقابل نوال طعام، وإذا ترم الأمر واشتد به الجوع يقدم كل ما لديه من جلود الحيوانات التي اصطادها مقابل الخبز لإنقاذ حياته. وكان هذا المثل يعبر عن قبول الإنسان أقصى ما يمكن من الخسائر لكي لا يفقد ما هو أعظم ألا وهي حياته. وجاء المثل التركي: "يليق بنا أن نقدم لحيتنا لننقذ رؤوسنا" [115].

رأد الشيطان أن يسحق شخصية أيوب بقوله: "جلد بجلد"، فإنه مهما فقد حتى ولو كان الأبناء مادام هو في صحته، ليس من يمس جلده، لا بيالي. لا يهتم بحياة ولاده، وإنما يثور ويفقد إيمانه وصوابه إن لمس أحد جلده. إنه كالنعامة التي تقسو على صغرها كأنها ليست لها (أي 36: 16). إنه أناني، محب لذاته، تشغله صحته وراحته وسلامة جسدي ليس إلا؟

❖ ما يعنيه بقوله هذا أن أهم ما لدى الإنسان هو نفسه. كل البقية أمور ثانوية... على هذا الأساس رُغب في أن اصطاده هو، فالغنى ليس بذي قيمة عظيمة في أعين البشر.

لننصت أياً الأحباء، حتى وإن كنا نستحي من أن نتعلم من الشيطان، وهو أنه يليق بالإنسان أن يبذل كل شيء من أجل حياته. وأنه لأمر طبيعي للبشر، فإنه لا يُسمح لنا بأي تهاون عندما نجدف بسبب الغنى. يقول إن الغنى لا يمثل شيئاً، فنبدله تماماً من أجل حياتنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا مكر الخصم، وكيف كان عنيفاً في الخطية... إنه يعرف الفرق بين الأمور الخرجية والداخلية. إنه يعرف أنه حتى فلاسفة هذا العالم يدعون

adiafora الأمور الأولى (الخرجية) بلا قيمة، وأن كمال الفضيلة لا يقوم على فقدان هذه الأمور والاستخفاف بها. وأن الأمور الأخوة أي الداخلية هو الأفضل، بفقدانها يحدث غم لا يمكن التخلص منه. لهذا بجسرة ناقض ما قاله الله، وأعلن أن أيوب لا يستحق مديحاً على الإطلاق، حيث لم يخضع لتجربة تمسه، هو بل تمس ما هو خرج عنه. فقد أعطى جلده عوض جلد ولأده، وفقد فقط ماله ليضمن صحة جسمه ^[116].

القديس جيروم

وَلَكِنْ ابْسِطِ الْآنَ يَدَكَ،

وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ،

فَاتَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ" [5].

طلب الشيطان أن يمد الله نفسه يده ليضرب عظمه ولحمه، فإن شوكة الجسد قاسية للغاية، يصعب احتمالها بدون نعمة المسيح (2 كو 12: 7-

9).

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ:

هَا هُوَ فِي يَدِكَ،

وَلَكِنْ احْفَظْ نَفْسَهُ" [6].

يمكن أن نفهم عبارة: "ولكن احفظ نفسه"، بمعنى أن تكون للتجربة حدود، وهي حفظ نفسه لا تحطيمها. بمعنى أن التجربة تكشف عن ضعف الإنسان، فيتواضع أمام الله، وتُحفظ نفسه من الكبرياء. أما إذا تعدت حدود طاقة الإنسان، فيسقط في اليأس ويصيبها الإحباط، فتهلك نفسه بسبب عدم إيمانه.

وضع الرب حداً للتجربة: "ولكن احفظ نفسه"، أي لا يبلغ به إلى الموت. كان يطمع الشيطان أن يميته في إحدى لحظات ضعفه بعدما يدفعه إلى التجديف. لكن الله قيّد الشيطان فلا يقتله.

يفسر البعض التعبير "احفظ نفسه" بأنه "احفظ عقله"، بمعنى أنه سمح له بأمراض الجسد دون فقدان قنوته على التعقل والتفكير.

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة ليظهر مدى ضعف الشيطان، فمع أنه كوحش كاسرٍ، وبلا جسدٍ، لكنه لا يقدر أن يقترب ليحرب إنساناً يحمل جسداً إلا بإسماح من الله.

❖ "احفظ نفسه"، بمعنى لا تميته. بهذا ليس له سلطان على ذلك ما لم ينل سماحاً به... نفهم من ذلك أن سلطانه مشروط بالسماح له أو الرفض... تعبير "احفظ نفسه" أقوى من "لا تمس حياته".

❖ لا تخف إذن من الشيطان، حتى وهو بلا جسد، حين يقترب من الجسد. فإنه ليس من هو أضعف من ذلك الذي يقترب بهذه الكيفية مع أنه غير ملتحفٍ بجسدٍ، وليس أقوى من ذلك الشجاع الجريء حتى وإن حمل جسمًا قابلاً للموت! ^[117]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قيل للعدو عندما طلبه: "ها هو في يدك". (أي 2: 6) الشخص نفسه في يد الله وفي نفس الوقت في يد الشيطان...

لكن كيف يُقال للشيطان: "لكن احفظ نفسه"؟ إذ كيف يحفظ ذلك الذي يتوق دوماً إلى تحطيم الأمور المحفوظة؟ حفظ الشيطان له هنا بمعنى عدم تجاوزه على التحطيم. وذلك كما نتحدث مع الأب في الصلاة طالبين: "لا تدخلنا في تجربة"، لأن الله لن يدخل أحدًا في التجربة، إذ يظل دائماً وحمته على عبيده ليحميهم من التجربة. مع هذا إن لم يحمنا من إغواءات التجربة يكون كما لو أنه يدخلنا في التجربة. بهذا فإنه بعدم السماح لنا أن نُحرب فوق ما نحتمل يكون كأنه لا يدخلنا في شباك التجربة.

بنفس الطريقة كما يقال لله: "لا تدخلنا في تجربة" إن سمح لخصمنا أن يدخلنا فيها، هكذا يُقال عن خصمنا أنه "يحفظ نفسه" متى التزم ألا يُقهرنا

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الآن أعطيك الحق أن تقلب الأمور رأساً على عقب. إني أسلمه إليك (أي 2: 6)، لا لكي تغير روحه (فكره)، ولا لكي يكون لك سلطان على رادته، ولا أن تحطم حريته في قراره، لأنك لو استخدمت ضغطاً على هذه الأمور بسهولة تنتصر عليه، وتكون المعركة غير عادلة... بالتأكيد تود أن تقرب من "حياة" الإنسان البار، لكنك لا تستطيع ذلك، لأن ناموس الملك العظيم ينتقم لهذا، وإلا يكون حرس القطيع قد أطلق العنان للذئب. أسلمك حياة الذين تحسدكم، لا لتفعل ما شاء لك، وإنما في خشية نواميسي وإرادتي الإلهية...

إنك تعجز عن أن تقول بأن آخر يهاجم حياة أيوب، لأنك أنت تهاجمه يا من أقيمك حافظاً له. ستكون مدانا إن وضعت كميئاً لحياته.

❖ هنا الحماية الواقية تسير جنباً إلى جنب مع السماح بالضرب، ويتحقق التدبير الإلهي خلال الحماية، وخلال التخلي عن العبد المختار، فبينما يتخلى عنه يورسه... هكذا سلم القديس في يد الخصم (أي 2: 6)، أما نفسه فمحفوظة في يد (الله) معينه، فإنه من ضمن القطيع الذي قال عنه الحق في الإنجيل: "لا يخطفها أحد من يدي" (يو 10: 28).

علاوة على هذا، فإنهم لا يرون لوسيفر يقوم، هذا الذي قال عنه إشعياء: "الوسيفر الذي قام في الصباح"، ثم يكمل "قُطِعَ إلى الأرض" (إش 12: 14)، مشيراً إلى أنه لا يعود يستعيد كرامته السابقة. بسقوطه من السماء على الأرض رُاد دمار الإنسان، لكن الله يُعطي من لا يُخدع سلطاناً أن يدوس على الخائن بقدميه، ويحطمه إلى أجزاء.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ليس للروح النجس سلطان علي البشر. هذا يظهر عند صواحه ضد أيوب الطوبوي فقد أخذ السلطان علي جسده من قبل الرب، إذ قال له: "ها هو 6:2 في يدك، ولكن احفظ نفسك" (أي). أي لا تُضعفُ روحه، وتجعله مجنوناً، وتتسلط علي ذاكرته وعقله، خانقاً قوته الداخلية [118].

الأب سيرينوس

❖ وضع جسم القديس في يدي الشيطان، لكن قواته الحيوية حُجرت عنه. فلو أن الشيطان ضرب ما تعتمد عليه أحاسيسه وقوته العقلية لقامت الخطية الصاورة عن سوء استخدام القوات وبقيت على بابه، ليس وغبته في ارتكابها وإنما بسبب اختلال وزن عقله [119].

القديس جيروم

يقدم لنا القديس أمبروسوس تفسيراً رائعاً لهذه العبرة، في حديثه عن تشبه القديس بولس بالله:

❖ كل من يؤمن بقبله الرب، لكنه يؤدب كل ابن يقبله (عب 12: 6). وفي تأديبه له لا يسلمه للموت. لأنه مكتوب: "أدباً أدبني الرب، وإلى الموت لا يسلمني" (مز 118: 18).

يعلمنا بولس الرسول ألا نهجر أولئك الذين ارتكوا خطية للموت، إنما نؤمهم بخبز الدوموع (التي للتوبة)، لكن ليكن حزنهم معتدلاً. وهذا هو ما تعنيه عبلة "سقيتهم الدوموع بالكيل" (مز 130: 5). فحزنهم يجب أن يكون بكيل، لئلا يبتلع التائب من فوط الحزن. وذلك كما قال لأهل كورنثوس: "ماذا تريدون أبعصا آتي إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة؟!" (1 كو 21: 4). إنه يستخدم العصا، لكن بغير قسوة، إذ قيل: "تضربه أنت بعضا، فتنقذ نفسه من الهالوية" (أم 14: 23).

وماذا يقصد الرسول بالعصا، ظهر عند طعنه خطية الزنا (1 كو 1: 5)، منوراً ضد الفسق بالأقرباء المحرم الزواج بهم، معنفاً كريباءهم، إذ تكبر هؤلاء الذين كان يؤمهم أن يحزنوا. وأخيراً في حديثه عن المذنب أمر بغزله عن الجماعة وتسليمه للشيطان، ليس لأجل هلاك نفسه بل لهلاك جسده.

وبولس في هذا يقتدي بالله الذي لم يعط للشيطان سلطاناً على روح أيوب الطوبوي، بل سمح له بإبلاء جسده (أي 2: 6). فبولس سلم الخاطي

إلى الشيطان لهلاك الجسد، حتى تلحس الحية زاب جسده (مي 17:7) أما روحه فلا تضوها...

وإذا أردنا أن نشوح ما يعنيه بولس الرسول، نتأمل كلماته ذاتها، بأي معنى قال بأن يسلمه إلى الشيطان لهلاك الجسد، لأن الشيطان هو الذي يجربنا، إذ يجلب عللاً وأراضاً لأجسادنا. فالشيطان ضرب الطوبوي أيوب بقروح مبروة من القدم إلى الرأس، لأنه نال سلطاناً لهلاك جسده، عندما قال له الرب: "ها هو في يدك، ولكن **أحفظ نفسه**" (أي 2:6). هذا أيضاً ما أخذ به الرسول بنفس الكلمات، مسلماً إراني إلى الشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص روحه في يوم الرب يسوع (1 كو 5:5).

عظيم هو هذا السلطان!! وعظيمة هي هذه العطية، التي بها يهلك الشيطان ذاته بذاته، وذلك بحثه على تجربة الإنسان، إذ يجعله قوياً بالروح بدلاً من أن يكون ضعيفاً. فإذا يضعف جسده تقوى روحه، لأن ضعف الجسد يقاوم الخطية، أما تتعمه فيشعل نار الخطية.

لقد خُذع الشيطان، إذ جرح نفسه بضربات التي وجهها ضد نفسه، محارباً نفسه بتفكوه في إضعاف الخاطي. هكذا سلح الشيطان أيوب أكثر عندما جرحه. فإذا بلى جسده كله بالقروح، احتمل بالحق ضربة الشيطان دون أن يصيبه شيء من سُمه، وهكذا بحق قيل عنه: "أما لويثان أفتمسكه بشصي... أتلاعبه كالعصفور، وتأبوه لعبة لجوليك.. ضع يدك عليه" (أي 41:5).

أنظر كيف سخر بولس بالشيطان، فصار كالطفل المذكور في النبوة الذي وضع يده على الحية دون أن تضره. لقد سحبه من خباياه وحول سمة إلى ترياق روحي ضد السموم. موهلاً السم نواءً للسم الذي يُستخدم لهلاك الجسد صار علاجاً للروح!
إذن لأتوك الحية تضرب ما هو أرضى في (جسدي)، أتوكها تعض جسدي، وتسبب أزرقاً في، فسيقول لها البرّ عني: "ها هو في يدك، ولكن **أحفظ نفسه**" (أي 2:6).

يا لقوة الله!! إنه يسلم حفظ نفس الإنسان في يد الشيطان الذي يريد هلاكه!!... فيوصايا السيد جعل الشيطان حافظاً لغنمه، فيغير رادته صار ينفذ وصايا السماء، ويقسوته يطيع وصايا الوداعة!^[120]

القديس أمبروسيوس

2 . آدم آخر في وسط الرماد

"فَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ،
وَضْرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ،
مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ" [7].

ما أن نال الشيطان الإذن حتى انقض على جسم أيوب ليضربه بعرضٍ عنيفٍ للغاية. لم يضربه بوحّةٍ واحدةٍ، ولا عدة قروح، إنما بقروحٍ من باطن قدمه حتى يعجز عن المشي إلى هامته. لا يقدر أن ينام على أحد جانبيه ولا على ظهره أو حتى بطنه، ولا أن يجلس، ولا أن يقف، فكل جسمه باستثناء لسانه كان مملوءاً بالقروح. لم يجد حتى الكلاب لتلحس قروحه، كما حدث مع لعازر المسكين (لو 16: 21).

يلق العلامة أوريجينوس على الوعد الإلهي: " إن كنت تسمع لصوت المحب إليك، وتصغ إلي وصاياها، وتحفظ جميع فوائده، فموضاً ما مما وضعت على المصريين لا أضع عليك" (خر 15: 26). [إذ كانت أحد أمراضهم هي القروح، فلماذا سقط أيوب في هذا المرض؟ قروح المصريين الوثنيين هي ضعفاتهم تجاه محبة العالم وما فيه. هذا ما يشفينا الرب منه، ولا يضعه علينا^[121].]

❖ "كل الأمور تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو 8: 28). جُوب أيوب الرجل المقدس. فقد بنيه وبناته، وسقط بيته في دمار، وفقد كل ما كان لديه، فجأة كل شيء قد ذهب! لم يعد أباً ولا سيدياً، ولم يعد في جسمه عضو سليم سوى لسانه الذي يُمكن به أن يجدف. أنظروا المحرب، إذ يقول الكتاب المقدس: "ضرب أيوب بقروحٍ ردي من باطن قدمه إلى هامته" (أي 2: 7)...

ترك لسانه فقط لكي ما يكون قاورًا على التجديف على إلهه. "في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه" (أي 1: 22).

فقط تحققوا من هول التجربة. تأملوا عظم فضيلته. تأملوا حسنًا وتفهموا، كيف تحقق قول الرسول: "كل الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبون

الله"... قبل التجربة لم يتكلم الله معه قط؛ وبعدما جُرب جاء إليه الله، وتحدث معه رافعًا الكلفة، كصديق مع صديقه.

[122]

لنضوب الكثرة، وليحل كل نوع من الكورث مادام المسيح يأتي بعد الكثرة .

القديس جيروم

❖ ربما لأن إلهنا يعرف إني ضعيف للغاية لم يعطه سلطانًا على جسمي. وإن كنت أنا نفسي اشتهي ذلك. فمع أنني أقدم نفسي (لأقبل تجربة في الجسد)،

[123]

لكن الله حسبي غير أهلٍ لهذا الصواع، وامتحنني بمتاعبٍ مختلفةٍ. أما أيوب فلم يبدأ بهذا الصواع بل انتهى به .

القديس أمبروسيوس

"فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَفَقَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا،

وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسْطِ الرَّمَادِ" [8].

ما هي هذه الشفقة (كسرٌ وأني فخرية) التي يحك بها جسمه المبتلى بالقروح إلا استخدام الوسائل الأرضية أو الوهمية لشفاء النفس. عوض

تقديم تعويضات صادقة وشفاء حقيقي، يستخدم الشخص شفقة تسبب بالأكثر تلوثًا للقروح، وتحطم الجسم، هكذا إذ نمد أيدينا لعلاج أمراضنا الروحية بطرقٍ

بشويةٍ خرج نعمة الله نحطم نفوسنا بالأكثر ونهلكها.

صار أيوب رمزًا للسيد المسيح، إذ لم يجد أيوب موضعًا ليسانده في رأسه، ليس أمامه إلا أن يجلس على مزبلة وسط قروح ملأت كل جسمه،

يسخر به حتى أصدقؤه. هكذا ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه، ليس له إلا أن يرتفع على الصليب وسط آلام جسمه كله، لم تقبله خاصته (يو 1: 11).

لم يصعد أيوب على جبلٍ، بل جلس على مزبلة، لينعم فيها بالنصوة على عدو الخير مجددًا الله إلهه. هكذا مسيحننا مخلص العالم يستريح في

المواضعين ومنسحقين القلوب ليقوم منهم هيكلًا له. اختار الجهال ليخزي بهم الحكماء، والضعفاء ليخزي بهم الأثوياء، والثوروى وغير الموجود ليبطل

الموجود (1 كو 1: 27-28).

لم يجد أيوب أحدًا يعطف عليه، ولا من يضمده قروحه، ولعل أصدقاءه خشوا العدو أو لم يحتملوا رائحة نتانة القروح. لم يجد قطعة قماش ينظف

بها جروحه، بل كان يحكها بشفقة فخرية، فكان العلاج أشد ألمًا من الموض نفسه. ليس من يدهن حواحات القروح بمواد مطهورة ولا يدهن يهدئ من

الألم! لقد اشتكى فيما بعد قائلاً إن لحمه لبسه الدود مع الزباب (أي 7: 5).

أما جلوسه في الرماد وكل جسمه مملوء بالقروح، فيزيد من تلوث حواحاته عوض تطهورها. ولعله فعل هذا علامة تواضعه وندامته وتوبته.

جاءت في الترجمة السبعينية: "جلس فوق مزبلة خرج المدينة".

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) إننا لا نعجب إن كان ذلك الذي مدحه الله نفسه يسمح له بالتجربة حتى يجلس في وسط الرماد، كما سمح

للقدس يوحنا المعمدان الذي شهد له أنه ليس من بين مواليد النساء من هو أعظم منه أن تُدفع حياته ثمنًا لرقصة ماجنة.

❖ ألا (يسمح بهذا) لكي ما يضغط عليهم إلى أسفل حتى يكافئهم في الأعلى؟

إنه يقول بهم إلى أسفل من الخراج إلى مستوى الزواء، حتى يقودهم من الداخل إلى العلويات التي لا تُترك.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[124]

❖ إذ لم تستطع الأتوية البشوية أن تشفيه شفاء الصبر والإيمان. لقد جلس في كومة مزبلة، أما نفسه فكانت تتجول في الغردوس .

القديس جيروم

❖ أتوله من الكرسي الملوكي ليجلس في مزبلة. ومع مقاومته بالويلات التي أشرت إليها حالاً بقي سليماً. تنزق جسمه، لكنه احتفظ في أعماق نفسه

القديس باسيليوس الكبير

❖ يا لك من إنسان فاسد (جسدياً)، لكنك ويء! يا لك من كائن موصوم (بالقروح)، لكنك جميل! مجروح، لكن نفسك مملوءة صحة! تجلس على مزبلة، وتملك في السماء!

إن كنا نحب فلنقتد به، ولنجاهد لنتبع مثاله [126]

الأب قيصر يوس أسقف آرل

❖ ألا ترونه بالحق قد جاء إلى أقصى الفقر المدقع، حتى يستحيل أن تجنوا شخصاً تقلرونه به؟ لأنه كيف يمكن أن يوجد من هو أكثر قواً من إنسانٍ عارٍ ليس لديه سقف يؤى تحته؟ نعم، ولم يكن في قدرته أن يتمتع حتى بالأرض بل **جلس في مزبلة**.

لهذا حينما تجدون أنفسكم قد بلغت إلى الفقر، تأملوا آلام البار، وللحال تقومون وتنفضون عنكم كل فكر للقنوط.

تبدو هذه المحنة للبشر القاعدة لكل الآلام مجتمعة معاً. أما المحنة الثانية التي تليها، بل بالحري تسبقها فهي أخزان الجسد. من صار هكذا معاقاً مثله؟ من احتمل مرضاً كهذا؟ من قبل أو سمع عن أحد سقط تحت أخزانٍ عظيمة هكذا؟ لا أحد.

كان جسمه يبلى قليلاً قليلاً، وسيل من الدود يصدر عن أعضائه من كل جانب، يفيض هذا السيل الجلف بلا توقف، وتحيط به الرائحة النتنة بقوة، ويتدمر الجسم شيئاً فشيئاً، وجعل الفساد مع عفونة كهذه طعامه مرّاً، وصار الروع بالنسبة له غريباً وفذاً.

لم يكن قارواً أن يتمتع حتى بقوتٍ يُقدّم له، إذ يقول: "لرى طعامي قد صار كريبها" (7:6). حينما تسقط تحت ضعفٍ يا إنسان، تذكر ذاك الجسم المقدس. فقد كان جسداً مقدساً وطاهراً حتى وهو مُصاب بجراحات كهذه...

لكن قد يقول أحد، كانت له تغذية عظيمة وراحة، إذ عرف أن الله هو الذي جلب هذه المتاعب عليه. هذا في الواقع يجعل اضطرابه أشد وأكثر رتباكاً، أن الله البار الذي خدمه بكل وسيلة دخل في حرب معه... يقول: "تستذنبني لكي تتبرر أنت" (8:40).

إذ شعر بالذنب قال: "وضعت يدي على فمي. مرة تكلمت، فلا أجب، ومرتين، فلا أزيد" (5:40). مرة أخرى يقول: "بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأيتك عيني. لذلك رُفض وأندم في التراب والرماد" (6-5:42).

لكنك إن كنت تفكر أن في هذا كفاية للتغذية، فإنك قادر أن تختبر ذات التغذية. وإن كنت لا تعاني شيئاً من هذا من يدي الله، بل من غطوسة البشر، فلتشكر الله ولا تجدف على ذاك القادر أن يمنعم بالحق. وإن كان قد سمح لهم بذلك فلأجل امتحانك، فمن يتألم بالآلام من يدي الله يُكلل. هكذا أنت أيضاً تُكلل، لأنك تحتمل المصائب بتقوى، تلك التي جلبها الناس عليك، شاكراً ذاك القادر أن يصدهم عن ذلك، لكنه لم يرد ذلك [127]

❖ **صارت جراحات الرجل البار (أيوب) أكثر نفعاً من اللآلى...**

صوّروا هذا المصلوع أمامكم، وتخليوه في الحمأة، جالساً في وسطها.

يا له من تمثالٍ ذهبيٍّ موصع بالجوهر!

لست أعرف كيف أُعبر عن هذا، فإنني عاجز عن إيجاد مادة ثمينة هكذا لأقلرنها بهذا الجسم الملطخ بالدماء. إنه أثنى بكثير من أية مادة، مهما بلغت تكلفتها، فإن طبيعة ذاك الجسد ثمينة بما لا يُقَلن بأي شيء، وتلك الجراحات أكثر إثراقاً من أشعة الشمس، فإنها تنير عيون الجسد، أما تلك فتنير

عيون النفس! إنها تضوب الشيطان بعمى كلي مطبق [128]

❖ هل تتركون أيها الأحباء كم كانت عظمة المكافأة التي للتجربة؟

كان جسمه رشيقياً وسليماً، لكنه صار أكثر وقلراً عندما طُعِن بالجراحات!...

الملك الجالس على العرش ليس في شهوة هذا الرجل وهو جالس في الحمأة بمكانة عظيمة... فإنه بعد العرش الملوكي يحل الموت، ولكن بعد

❖ لماذا جلس على مزبلة؟ ليخفي على كومة النفايات سقوطه (حتى الموت).

لماذا خرج خلج الأبواب؟ لكي يجد شيئاً من الراحة، فإنه لو بقي في حجرة مغلقة، مهما كان هواء الحجرة نقياً يفسد، ويختنق هو نفسه من الرائحة الفاسدة.

في اعتقادي أن آلامه ليس فيها علة بشوية نهائياً، وقد أترك أن الله يود أن يقدم رسماً بما حدث له، فلم يشعر بخزي ولا لرتباك، بل كشف عن نفسه أنه صار أضحوكة للجميع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ على أي الأحوال لقد أحسن أيوب الفعل إذ جلس على مزبلة... لأن جسمه البالي صار نفاية. لقد تذكر أن الجسم يحوي ذات مكونات (المزبلة).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

3. زوجة أيوب تجربه

"فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:

أَنْتِ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ!

جَدَّفَ [130] عَلَى اللَّهِ وَمُتْ!" [9].

جاءت الترجمة السبعينية: "وإذ عبر وقت طويل، قالت له امرأته: إلى متى أنت تحتل، قائلاً: ها أنا انتظر قليلاً متوقعاً الرجاء في خلاصي!" [9]

(أ)

جاء أيضاً في الترجمة السبعينية أن امرأة أيوب كانت تجول من بيت إلى بيت لعلها تجد ملجأ تؤوي فيه.

وي بعض اليهود أن زوجة أيوب هي دينة ابنة يعقوب.

اعتاد العدو أن يضوب المؤمنين بأهل بيوتهم، كما فعل مع آدم مستخدماً حواء، ودود مستخدماً زوجته ميكال التي هأت بدود رجلها، بل ورأد أن يستخدم بطوس الرسول ليضوب به السيد المسيح عندما تحدث عن الصلب فقال له: "حاشاك يارب، لا يكون لك هذا" (مت 16: 22). فالتفت وقال لبطوس: "أذهب عني يا شيطان، أنت معوّة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت 16: 23).

عبر البار أيوب عن نظرة امرأته إليه، فقال: "نكهتي مكروهة عند امرأتي، وخممت (صوت ننتأ) عند أبناء أحشائي" (أي 19: 17).

❖ لم يتوك له الشيطان شيئاً سوى لسانه وزوجته. فبزوجته يجربه، ولسانه يمكنه أن يجدف. لم ينس الشيطان خداعه القديم الذي به خدع آدم خلال امرأة، لذلك هاجم أيوب خلال زوجته، حاسباً أنه قادر على اللوام أن يخدعه باوأة، غير متوك أنه إن كان رجل واحد قد حوج حوجاً مميئاً باوأة، الآن العالم كله قد خلص خلال امرأة.

أنتم تذكرون حواء، تأملوا في مريم.

الأولى طردتنا خلج الفوس، والأخوة قادتنا (بالمسيح ابنها) إلى السماء [131].

القديس جيروم

❖ LXX وإذ عبر وقت طويل" (أي 2: 9) ... لقد استبقى الروح العبرات واضحة تماماً لمنفعتنا، إذ لم يعلن عن طول هذه المدة. فلو أنه أوضح الشهور والسنوات، فإن الذين يوضعون تحت التجربة في المستقبل يُحبطون قبل بلوغهم نهاية المدة. فيُحسون الليالي والساعات، ويكرزون على هذا الزمن. يسقط كل منهم في اليأس الشديد بأن يد الله لم تتدخل، وأنه لم ينل عوناً من السموات كما نال أيوب في وقتٍ محدد.

في الواقع قال الروح: "وقت طويل". قد عبّر هكذا لكي تعرف أن أيوب وُجد أقوى، لا من العوض والقروح الكثوة فقط، بل ومن الزمن.

لقد صلح لُومين طويل في عذاباتٍ ومتاعبٍ جسديةٍ، ومع هذا بقي لا يقهر في المعرك.

بهذا يعزينا الروح أنه مهما طال زمن التجربة لا يضعف قلبنا، فإن يد الله تحل وتكون يمينه لحسابنا (مز 18:35)، فقد خلص أيوب من أتون

التجربة بعد زمنٍ طويل.

❖ إذ لم يجد الخصم أن المقاتل قد لان، جند زوجته. ربما قال في نفسه: هذا الشخص (أيوب) لن يكون أقوى من آدم. إن كان غنيًا، لكن ليس لديه

"قوس الله" (كآدم في الجنة). ومع أنه بار، لكنه لم يحرز "شوة الحياة". ومع أنه تقي، لكن آدم تمتع بالحوار مع الله. هذا الشخص (أيوب) لديه

مواشٍ كثرة، أما آدم فكل حيوانات الأرض خضعت له. لهذا إن كنت قد استطعت أن أفقده هذا خلال حوار زوجته، ربما هذا لا يقدر أن يقاوم

هجمات زوجته. بهذا الفكر أثار الشيطان زوجة أيوب ضده.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

[132]

❖ ترك له زوجته وحدها، ليست كمعزٍ، بل بالحي حليفة الشيطان.

القديس أغسطينوس

جاءت تكملة الآية في الترجمة السبعينية: " أنظر لقد مُحي ذكرك من الأرض، حتى أولادك وبناتك الذين هم آلام طلقي، ومتاعب رحمي، الذين

أنجبتهم بالأخوان باطلاً، وها أنت تجلس لتقضي لياليك في الهواء الطلق وسط فساد النود، وصوت أنا متجولة وعبدة، انتقل من موضع إلى موضع،

ومن بيتٍ إلى بيتٍ، أترقب غروب الشمس كي أستريح من أتعابي وآلامي التي أهدقت بي، قل كلمة ضد الله ومت" (أي 2: 9-ب).

❖ تصور أنك فقدت ثروتك التي بسببها كنت مشهوراً. نفس الأمر إن كنت قد حرمت من نصيبك في الأبناء، كيف يمكن أن تبقى ذكراك على الأرض

بعد ذلك الحين؟ خواتك قد سُوت، ومقتنياتك قد دُموت، لم يعد بعد يوجد أبناء، ولم تبق بعد بنات، ولن يكون أطفال (أحفاد) إذ فقد الأبناء.

(كأن زوجة أيوب تقول لزوجها): باطلاً قد زرعت حقل رحمي.

أنت نفسك قد حرمت مما قد غرسته، أما أنا أيضاً فقد فقدت ثمر أخواني وتعب ثديي، وخوة رحم النساء الحوامل، آلام الطلق التي لا تُحتمل،

والتي تحسب كذكوى رهيبه.

إذن، هل هو حزن واحد أم أخوان كثرة...؟

لقد بلغ الموت أبناء رحمي، وهلكت ثوة جسمي في الهلوية.

هل يمكنني أن أتجى أن أحبل بأطفالٍ آخرين؟

كيف؟ أين؟ فإن الورع الذي هو أنت قد تدمرت وهلكت، وصوت أنت نفسك طعاماً للهوام.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كلما كثرت النكبات التي جلبها عليه رآه في أكثر قوة. لذلك كما تعرفون بعد أن استخدم كل السبل أخواً استخدم آتته، فإذا لم يجد له طريقاً جرى إلى

سلاحه القديم، المرأة، ورتدى قناع الاهتمام، وقدم صورة مأسوية عن كورثه بنغمة غاية في الحنو، وتحت النظار بؤالة شوه قدم مشورة قاتلة

(العين الوب ومت). لكنه ولا بهذا غلب، بلى لأن ذاك الرجل العجيب قد أترك خداعه، الذي بحكمة عظيمة كتم فم المرأة التي كانت تتكلم بتحريض

[133]

منه.

❖ انظروا كيف حاولت ببلاغتها أن تبلغ حتى النهاية. فإن لديها كثرة من الحجج تقنعه بها.

من جهة طول الزمن، إذ لم يعبر يوم ولا اثنين ولا ثلاثة أيام، بل عدد كبير من الشهور. إلى متى تحتمل...؟

لاحظوا الخدعة الشيطانية، فقد فكر في حوار. يقول: ها أنت التي جعلت الإنسان الأول يسقط يمكنك أن تنتهي حياة أيوب.

لكنها كانت غبية وفقوة، إذ وجدت آدم غير قادرٍ أن يتغلب على ضعفه، استطاعت أن تضع السم في طعامٍ صالحٍ.

ها أنتم ترون أيوب - على النقيض - كان إنسانًا حكيمًا منتصوًا حتى على طبيعته... فلا تظنوا إذن أن الأمر خاص بالمرأة أو توصياتها...
الآن اقترح علي شعبنا ألا يضعوا في الاعتبار كرامة الأشخاص، بل بالحري طبيعة النصيحة.

فالمرأة جاءت لتعين الرجل لا لتكون عثرة له... إنه يتوقع تغرًا، شيئًا يدل على إيمان سليم ورجاء نبيل، إنه يعرف حنو الله.

هكذا وُضعت الخطوط الرئيسية لأساس شقاوتها. إنها لم تقل: "قد ماتوا" حسب التعبير الجلي للإشارة عن الحزن العام بين كل البشر، فإنها لم

تستخدم التعبير العادي. إنما ماذا قالت؟ "لقد مُحي ذكرك..."

في رأيي قد رُادت أن تيرر عنف المحنة بنطقها هكذا.

هذا ما رُادت أن تقول له: "أي نوع من التغيير تترجى أن يحدث؟ هل يمكن أن تعود إلى ما كنت عليه بعد كل ما حدث، لأن ما قد تلاشى تمامًا

هل يعود إلى الحياة؟

فإننا نرغب في أطفال، غالبًا لكي ما يموتوا بطريقة لا تتروّل. بالتأكيد أن أهم شيء يطلبه البشر هو أن يتوكلوا ذكريات بعدهم. تقول له:

إنك أنت نفسك ميت بفقدانك أبنائك، فبدون نوية وبدون أطفال أنت تبديد.

لاحظوا إلى أي مستوى قدمت هذه المشورة الهيبة، لا لتحته على الغضب، وإنما لتتحرف به إلى رثاء ذاته...

تقول: ليلًا ونهلاً لا تجد من يشركك سقف بيتك، ليس من يواسيك، ليس من يشفق عليك، ليس من يشركك آلامك...

يا لها من شقوة! ليس من يشفق على زوجته، ولا يهدئ من ظروفها، والتي كانت في صحبة الملك صلت عبدة تعيش في الواء تحت

النجوم... فإنني بدون بيت ولا مدينة، ولا منزل، أجول في المدينة... ليس من بيتٍ واحدٍ يخفف من عار حالي، وفي كل موضع أتقبل سخوية وإهانة من

العامّة".

لم تقل له: "جذف"، بل قالت: "العن الله... لماذا؟ هكذا أنت تعرف أنك إذ تفعل هذا تموت، أما عن موتي فأية تغوية يمكن له أن يجلبه عليك؟

أي تصحيح للوضع بموتي؟...

ماذا تقولين يا امرأة؟ عندما يتطلب الأمر أن نوجو الله ليهب خوات، عندما يلزم الأمر استعطافه استعدادين أن تتثريه! إن كان الله هو مصدر هذه

المتاعب، فالأمر يتطلب التوسل إليه لا التجديف عليه. ومن جانب آخر، إن كان ليس هو مصورها، فلا يُجذف عليه!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ فقد أيوب أولاده وكل ما يملكه ماعدا زوجته! (أي 13:1-19)، التي حُفظت وحدها لأجل تجربته! (أي 2:9-10). وكان آنذاك قد تغطى كله

بالقروح المميّنة (أي 2:7)، وأرّك أن أصدقاءه لم يأثروا لتغويته، بل لزيادة آلامه وتضخيمها!

لاحظ السلطان الذي أعطي للخصم بواسطة الرب لمحاكمته (أي 2:1-6). ومع أنه شعر بأن سهام الرب كانت في جسده، وقال إنها قد اخترقت

جسده (أي 6:4)، إلا أنه كمصلوحٍ صالحٍ لم يستسلم للألم، ولا رفض صعاب الصواع بل استمر.

وإذ قد بدأ الرب، فليجرحني، لكن لا تطعني (تهلكني) في النهاية، لأنه ما هي قوتي حتى أصمت (انتظر)؟

وما هي نهايتي حتى تحتل نفسي؟

هل قوتي قوة الحجلة، وهل لحمي من نحاس؟

ليس لي اتكال عليه؟ لكن المعونة توكتني، وافقاده قد احتقوني" (أي 6:9، 11-14 LXX) [134].

القديس أمبروسيوس

❖ بالحقيقة كانت زوجته وحدها قد تُوكت حتى ذلك اليوم. كل ما كان لديه قد دُمر تمامًا، كل أولاده وممتلكاته وحتى جسمه، وتوكت هي للتجربة لتكون

فخًا له.

هذا هو بالحقيقة السبب لماذا لم يدمرها الشيطان مع الأبناء، ولم يطلب موتها، إذ توقع أنها ستساهم بالأكثر في إسقاط الرجل القديس في الفخ. لذلك تركها كوعٍ من الأداة العرعبة في يده.

لقد قال: "إن كان حتى في الفودوس طردت البشوية بواسطتها، كم بالأكثر أستطيع أن أطرحه وهو على المزبلة!" [135]

❖ كان المبني هو عينه (ذاك الذي على الصخر، وذاك الذي على الرمل) والتجرب هي عينها، لكن النهاية ليست عينها، لأن الأساس مختلف. حدث سقوط المبني بسبب غلوة البناء وليس بسبب طبيعة التجرب،... لا تظن أن هذه الأمور قيلت عن مجرد المبني، إنما الحديث يخص النفس، مؤكدًا أن بأعمالها تسمع الكلمة الإلهية أو ترفضها. هكذا بنى أيوب نفسه.

قول المطر، لأن نرًا تولت من السماء والتهمت كل قطعانه، والفيضانات حلت، حيث جاء إليه الرسل المخوين بالكورث بالنتابع بطريقة مستورة يخبرونه عن دمار قطعانه، وجماله وبنيه. وهبت الريح، الذي هو كلمات زوجته المرة، قائلة: "العن الله وموت". ومع هذا لم يسقط المتول. نفسه لم تهتز من مكانها، والبار لم يجدف، بل شكر الله، قائلاً: "الرب أعطى، الرب أخذ، ما يحسن في عينيه يفعل" [136].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حرب الخصم أيوب خلال أبنائه وممتلكاته (أي 1: 13)، وإذ لم يستطيع أن ينتصر عليه احضر له عدته، جاء محضواً معه ابنة حواء التي أغرقت آدم، وخلال فمها قال لأيوب، الزوج البار: "العن الله"، لكن أيوب رفض المشورة. أيضاً انتصر الملك آسا على المأبوينين من الأرض عندما جاء إليه (الشيطان) ليحزبه خلال أمه (1 مل 15: 12-13). عرف آسا مكوه، وخلع أمه من موكها المرتفع (ملكة)، وقطع تمثالها وطوحه.

يوحنا كان أعظم من كل الأنبياء، لكن هيرودس ذبحه من أجل رقصة ابنة حواء (مت 11: 11، 14 الخ). هامان كان غنياً، الثالث في الكرامة من الملك، لكن أشلرت عليه زوجته أن يقتل اليهود (أس 6: 13).

زوي كان رأس سبط شمعون، إلا أن كربي بنت رئيس قبائل ديان طوحته، ومن أجل امرأة واحدة سقط في يوم واحد أربعة وعشرون شخصاً من إسوائيل (عد 25: 6-15) [137].

القديس أفواهاط

"فَقَالَ لَهَا: تَتَكَلَّمِينَ كَلَامًا كَأَحَدِي الْأَجَاهِلَاتِ!

أَلْخَيْرَ نَقَبُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،

وَالشَّرَّ لَا نَقَبُلُ؟

فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُّوبُ بِشَفْتَيْهِ" [10].

❖ كان أيوب في ساعات حزنه أكثر حنواً من آدم في عرش سعادته.

واحد انهزم وسط السموات، والآخر غلب وسط الآلام.

واحد وافق على ما يبدو ممتعاً، والآخر لم يذبل في الأم غاية في الرعب...

لقد احتمل في جسمه ألمه، واحتمل في قلبه أخطاء الآخرين، موبخاً زوجته على غلوتها، معلماً أصحابه الحكمة، محتفظاً بالصبر في كل

الأحوال [138].

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا أيها الإخوة الأحباء، إنه لم يقل قط: "هذا عمل الشيطان".

انسوا التأديب لإلهكم مباشرة، لأن الشيطان لا يفعل شيئاً بدون سماح من ذلك الذي يدبر أموركم بقوة سلطانه، سواء للعقوبة أو التعليم؛ للعقوبة بالنسبة للأشوار والتعليم للابن. "فإنه يجلد كل ابن يقبله" (عب 12: 6).

أنتم تحتاجون ألا تهربوا من العصا، اللهم إلا إذا لم ترونوا أن توثوا [\[139\]](#).

❖ عندما تغطي جسمه بالقروح جاءتته امرأته التي تُوكت له كهراء أخرى، لتكون زميلة الشيطان عوض أن تكون معينة لجلها. كانت توبخه يوماً وبشدة لتهزولاءه قائلة: "قل كلمة ضد الله ومت".

لكن آدم الذي على المذبة كان أكثر حكمة من آدم الذي كان في الفردوس.

آدم في الفردوس أعطى أذنه للمرأة، ليطردا من الفردوس. وآدم على المذبة طرد المرأة جانباً فقط لكي يدخل الفردوس.

وماذا كان لآدم الذي على المذبة؟ من الداخل يلد خلوداً، من الخارج كان طعاماً للود.

ماذا قال لزوجته؟ "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. أألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟" (أي 2: 10).

إنه يكرر بأنه يد الله عليه حينما كان الشيطان يضوب، لأنه لم يتطلع إلي من يصوب إليه الضربة، بل إلي ذلك الذي أعطاه السلطان.

فإن الشيطان نفسه بدوره دعا ذلك السلطان الذي شحذه من يد الرب [\[140\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ إنني أختار أن يفتقد الرب خطاياي، ويصلح معاصي، هنا في هذا العالم، حتى يقول لي إواهم هناك ما قاله عن لعازر المسكين في حديثه مع الغني:

"يا ابني أذكر أنك استوفيت خواتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتغوى وأنت تتعذب" (لو 16: 25).

لهذا السبب عندما يوبخنا الرب، عندما يؤدبنا، يؤمننا ألا نكون جاحدين.

لندرك أن توبيخنا في الوقت الحاضر إذن لكي ننال تغوية في المستقبل. وكما يقول الرسول: "إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب، لكي لا نُدان مع

العالم" (1 كو 11: 32). لهذا السبب قبل أيوب أيضاً برادته كل آلامه قائلاً: "أألخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل؟" [\[141\]](#)

العلامة أوريجينوس

❖ صار مبلراً أكثر من كل أحد، فإنه ليس فقط لم يفعل شيئاً يجعله يؤل، بل ملس ما جعله أكثر ثباتاً. زوجته ضايقتة مع كل هلاء، ومع هذا فقد

تلاً في كل شيء [\[142\]](#).

❖ الزوجة صلاح عظيم كما أيضاً يمكن أن تكون شواً خطواً. فإن الزوجة عظيمة؛ لاحظوا من أية نقطة أراد الشيطان أن يدخل خلال السور

القوي [\[143\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

جاءت الترجمة السبعينية: "لكنه تطلع إليها وقال لها: تتكلمين كإحدى الجاهلات" (أي 2: 10).

❖ بمعنى: إنك لا تتكلمين بما يليق بك، ولا بتعليمك، ولا بالبنية التي تقبلتها مني.

هذه الكلمات لا تليق بك.

لم يرد أن يوبخها بعنف، بل أن يردها عن هذا التفكير الفاسد.

"إن كنا نقبل الخوات من يد الله، ألا نحتمل الشور؟" بمعنى إن كان بالحق ليست هذه الأمور إلا شورا فلنحتملها.

إنه الرب والسيد، أليس لديه سلطان على كل شيء يرسله علينا؟

لماذا أعطانا خوات؟ ليس عن استحقاق من جانبنا.

ليتنا لا نقلق بعد اليوم بالتفكير أننا نتألم عن عدم استحقاق.

إنه حر تمامًا، حتى إن قدم لنا فقط الشورر.

إن كان يقدم لنا أيضًا الخوات، فلماذا نشتكى؟

لاحظوا إنه لم يتكلم قط عن معاصي، ولا عن أعمال صالحة، إنما تكلم فقط عن الله صاحب السلطان أن يفعل ما يشاء.

تذكروني خواتك السابقة فلا تجدي صعوبة في احتمال المشاكل الحالية. يكفي لنا لكي نتغوى أن نترك أن الرب قد أرسلها إلينا. لا تتحدثي عن

عدالة أو ظلم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **LXX** "تطلع إليها" (أي 2: 10)، تطلع إلى زوجته، لكي يميز ذلك الذي يتكلم فيها، ويحتوس من الحية المختفية في حديث زوجته.

❖ ألا نقدم صبرنا ذبيحة مقبولة (رو 1: 12)) خلالها نستعيد ما فقدناه، وننال بركات أخرى أكثر منها؟

❖ "في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه". هل سلم الله أيوب لهذا الصواع باطلاً؟ ألم يعرف بالحق مقاتله؟ ألم يعرف الملك جنديه؟...

أما بالنسبة لنا، فلنتمثل بصوه. لنحرب بدمائة، لنمرس صوه، ونعادل في ثقته بالله.

لنتشكل حسب إيمانه نون فشل، ولنكن ثابتين في روحه، في صدق كلماته، في صواحه مع عدو غير منظور، في عزله، وفي تجربه، في

هوانه، في مواجهة كل ما يثور، لنبقى أقباء وموطدي العزم.

في كل الآلام لنكن أقباء ونتم امتحاننا. فإننا بهذا نشترك في الأكاليل، ونكون شركاء في نصرته، ويكون الله شاهداً لونا. المجد له مدى

الدور أمين.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ليُستدعَ القدير لعونكم ضد مكائد الشيطان.

ليسكن فيكم، هذا الذي لا يمكن أن يغلب، فإنكم حتماً تغلبون ذلك الذي اعتاد أن يغلب. لكنه يغلب من؟ أولئك الذين لا يسكن الله فيهم.

فإنكم أيها الإخوة تعلمون هذا أن آدم في الفردوس احتقر وصية الله، ورفع عنقه، كمن أراد أن يكون سيد نفسه، ونفر من الخضوع لمشية الله.

هكذا سقط من الخلود والطوبوية.

لكن وجد إنسان، مختبر باهر، مع أنه قابل للموت بمولده، ومع أنه جلس على مزبلة وفساد بالود، غلب الشيطان.

نعم، آدم نفسه قد غلب حتى في أيوب، لأن أيوب من جنسه.

لقد هزم آدم في الفردوس، وغلب على المزبلة.

بكونه في الفردوس، أعطى أذنه لاقتناع المرأة التي دخلها الشيطان، أما وهو على المزبلة قال لهواء: "تتكلمين كإحدى الجاهلات".

هناك أعلاها أذناً، هنا قدم لها إجابة.

عندما كان سعيداً أصغى، وعندما أبغى غلب.

لهذا انظروا ماذا تبع هذا يا إختوتي في الرسالة (1 يو 2: 9). لأن هذا ما يجب أن نضعه في قلوبنا إننا نغلب الشيطان حقاً، لكن ليس بنواتنا،

إذ يقول: "إن علمتم أنه بار، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" [144].

القديس أغسطينوس

❖ مكتوب: "أعداء الإنسان أهل بيته" (مت 10:36)، فإنه إذ وى الخصم الماكر أنه قد انسحب من قلوب الصالحين يبحث عن هم محبوبون جداً لهم، ويتحدث إليهم بعنوبة بكلمات محبوبة جداً لديهم، حتى إذ تتسلل قوة الحب إلى القلب يمكن لسيف إقناعه أن يقتحم الطريق بسهولة إلى مناطق الدفاع الداخلية للأوار.

❖ يقصد بالخير هنا إما عطايا الله الوهمية أو الأبدية، وبالشر ضربات الزمن الحاضر، هذه التي قال عنها الرب بالنبي: "أنا الرب وليس آخر، مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر". (إش 45:6-7) لا يقصد الشر الذي ليس له جوهر بطبيعته أنه مخلوق بالله. بل يُحسب الرب نفسه كخالق الشر (الضيق) عندما يحول الشر إلى عقوبة (أو تأديب)، فتكون هذه الأمور شواً للعصاة باحتمالهم الألم، وفي نفس الوقت صلاحاً بطبيعتها... إنه عواء قدير لتجربنا، متى احتملنا أحوالنا، وتذكرنا عطايا خالقنا لنا... فقد قيل: "في يوم الخوات لا تتسّ البلايا، وفي يوم البلايا لا تتسّ الخوات" (سواخ 11:25).

فإن من يتقبل عطايا الله في موسم العطايا ولا يخشى الضربات يسقط بوجهه في تيه فكه، ومن يعاني من العقوبات، ومع هذا ففي موسم العقوبات يتجاهل تويته بالعطايا التي كان قد نالها، يسقط من ثبات فكه باليأس من كل جانب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لقد سخرت به اهواته لأجل بساطته وتعلقه بالأبديات، وحسبت هذه البساطة غلوة وجهلاً وحرماناً من الحياة والسعادة. لهذارت موته أفضل بكثير من حياته، والتجديف على الله أوجب من العبادة له مع المعاناة من الآلام.

❖ كأنه يقول: إن كنا نميل إلى البركات الأبدية، فأى عجب إن كنا نواجه شهوراً زمنية؟ لقد ركز بولس عينيه على هذه البركات باهتمام شديد عندما خضع بفكه للشور الحالة به. يقول: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو 8:18).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لم يخطئ أيوب بفمه، إذ لم ينطق بكلمة لا تليق به كمؤمن. يحزننا القديس بطرس الرسول من الخطأ بالفم، قائلاً: "فلا يتألم أحدكم كقاتل، أو سارق، أو متكلم بالشر" (1 بط 4:15).

4. افتقاد أصحابه الثلاثة له

"فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلَاثَةَ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ،

جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ:

أَلَيْفَازُ التِّيمَانِيُّ وَبَلْدُدُ الشُّوْحِيُّ وَصُوفَرُ النِّعْمَاتِيِّ،

وَتَوَاعَلُوا أَنْ يَأْتُوا لِيُرَوْا لَهُ وَيَعَزُّوهُ" [11].

ذكر هنا أسماء أصدقائه الثلاثة الذين جاؤوا بوثون له ويعزونه. ربما كان حاضراً معهم الشاب أليهو، وقد استمع إلى المناقشات، ويبدو أنه لم يكن صديقاً لأيوب لأنه كان يصوفه جداً في السن، لكنه حضر كمستمع. ربما كان يحب مجالسة الشيوخ، ولعل منظر أيوب في مأساته قد جذبته، فاشتاق أن يقدم له خدمة ما أو كلمة تعزية.

أما الأصدقاء الثلاثة فكانوا متقدمين في السن، بل كانوا شيوخاً، اشتهروا بالمعروف والحكمة والصلاح، وكان لهم تقديروهم وكانت رؤهم تُقابل بالاحترام (أي 32:6). ربما كانوا يحتلون مراكز رفيعة في الدولة، كأهواء أو رؤساء. ربما كانوا أقرباء له، إذ كان الثلاثة أحفاد إواهم، غالباً ما ورثوا عنه بعض التعاليم والثمار الصالحة. فأليفاز التيماني ملك التيمن كان ابن تيمان حفيد عيسو (تك 36:11). وى البعض أن أليفاز هنا ليس الابن الأكبر لعيسو بل حفيده الذي دُعي على اسمه. وكان بلد الشوحي ابن شوح الذي ولدته قطورة لإواهم (تك 25:2). وصوفر النعماتي على ما يُظن هو

صفوا حفيد عيسو (تك 36: 11). كان ثلاثتهم من الأمم، حملوا بعض الجوانب الطيبة، منها أنهم دون غوهم من غالبية الأصدقاء لم يتوكوا أيوب في محنته، بل صاروا يشاطرونه أجزائه كما شاطروه قبلاً في مساوته.

جاءوا ليس حباً في الاستطلاع، ولا بدعوة من أحدٍ، إنما اتفقوا معاً في عمل الخير. كانوا مخلصين في رغبتهم في التعزية، وإن اتضح أنهم كانوا مغزين متعبين بسبب عدم حكمتهم في معالجة الأمر.

لم نسمع عن المساكين والمحتاجين الذين يعولهم، ولا الأيتام والأرامل الذين كان يهتم بهم، قد جاء واحد منهم يسأل عنه في محنته. لعلمهم سمعوا بالنكبات المتواليه فسقطوا فيما سقط فيه هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، وحسوا أنه كان شرواً أخفى شوه بالعطايا الظاهرة والاهتمام المظهري.

عدم حضور أحدهم بلا شك كان له أثره السيئ على نفسية أيوب، إذ حسبهم قد تعزوا في شخصه.

وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ،

فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوا،

وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ،

وَنَزَرُوا رُؤُوسَهُمْ نَحْوَ السَّمَاءِ" [12].

كثيراً ما يفسد الحزن والحرارة شكل الإنسان حتى أن أصدقاءه الشيوخ لم يعرفوه، لأن قروحه شوهت جسمه، وحرارة نفسه زعت عنه بشاشته. هذا ما حدث مع نعمى حين أفسد الحزن هيئتها، فعندما عادت إلى بلدها تساعل أهل المدينة: "أهذه نعمى؟" (ا 1: 19).

لم يتمالك الشيوخ أنفسهم، فرفعوا أصواتهم كالأطفال وبكوا، كما مزق كل واحد جبته، ونزروا رؤوسهم. وجلسوا معه على الأرض. وكأنهم شلوكه مثلته.

لم يلتقوا معه على مستوى المجاملات الرسمية، إنما كأحباء يشلكونه حرارة نفسه. كشركاء في الضيقة القاسية لم يستطيعوا أن يفتحوا فمهم لمدة سبعة أيام وسبع ليالٍ، صمقوا وهم في دهشة. جاء في المثل اللاتيني: "أجزاننا الخفيفة نتكلم، أما الثقيلة فتعقد اللسان".

تحاشوا في البداية الكلام لئلا يتقوا عليه التجربة، وربما لأنهم رأوا التآني حتى يبحث كل منهم هذا اللغز المحير، فإنهم يركون أعمال محبته العظيمة التي كان الكل يشهد لها، لكن هل من خطية خفية سببت له كل هذه الكوارث؟ هل يود الله أن يكشف له عما أخفاه في قلبه وفكره أو من أعمال لا يعرفها أحد؟

❖ لم يعرفه أصحاب أيوب، إذ لم يروا الثوب الأجراني ولا العرش المرتفع، ولا التاج الملوكي والجند في الخدمة، ولا العبيد في أعمالهم. عوض العرش كان له الأرض القاسية، المزبلة عوض السوير، وعوض البيت الهواء الطلق.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

وَقَعُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ،

وَلَمْ يَكَلِّمُهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ،

لَأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَاتِبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا" [13].

لقد تواعوا أن يأتوا ويلتقوا معاً عند أيوب، لكن ما يدهشنا أنهم بقوا صامتين سبعة أيام وسبع ليالٍ دون أن ينطقوا بكلمة، وعندما تكلموا هاجموا بعنفٍ شديدٍ، كما وأيٍ واحدٍ.

اظهروا في البداية حرناً مُبالغ فيه، تبعه خصومة ومناقشات مرة وسط الآلامه.

أي حب هذا دفعهم للاتفاق معاً والجلوس حوله وسط رائحة النتانة التي لا تُحتمل ولمدة أسوع كامل؟ ولماذا التغير المفاجئ، على النقيض

تماماً؟

وَأَيْ هَلْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ، لَكِنَّمْ قَدَّمُوا حَبًا بَلَا تَمْيِيزَ؟ أَمْ كَانَتْ النِّيَّةُ شَوْءَ مَخْفِيَةٍ تَحْتِ سِتَارِ الحَزْنِ الشَّدِيدِ، فَانفَجَرَ مَا فِي دَاخِلِهِمْ؟ وَبِالْبَابِ غِرْيَورِيُوسُ (الْكَبِيرِ) أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءَ يُؤَمَّرُونَ إِلَى الْهَوَاطِقَةِ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ فِي الْبَدَايَةِ حَثَوَاتًا، وَمَعَ صَدَقِ نِيَّتِهِمْ لِلْعَمَلِ إِلَّا أَنَّهُ يَنْقُصُهُمْ رُوحَ التَّمْيِيزِ. لِهَذَا يَقُولُ لَهُمْ أَيُوبُ: "أَمَا أَنْتُمْ فَمَلَّفَقُوا كَذِبًا، أَطِبَاءَ بَطَالُونَ كُلِّكُمْ" (أَي 13:3-4).

لَقَدْ جَاءُوا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ (11:2)، وَمَكَانُ الْهَوَاطِقَةِ هُوَ الْكَبْرِيَاءُ نَفْسَهُ. جَاءُوا عَلَى مَوْعِدٍ فِي انْتِفَاقٍ تَحْتِ سِتَارِ الْحُبِّ وَالصِّدَاقَةِ.

هَكَذَا كَثُرَ مَا يَتَّفَقُ الْهَوَاطِقَةُ مَعًا عَلَى كَنِيسَةِ اللَّهِ، وَيَحْمِلُونَ مِزَاجَ الصِّدَاقَةِ وَالخِدْمَةِ وَالسُّلُوكِ بِالْفَضِيلَةِ.

أَخْرَجُوا فَكَرَّ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّ يَسْأَلُوا أَيُوبَ أَنْ يَصَلِّيَ عَنْهُمْ، وَيُقَدِّمُ ذَبِيحَةً لِأَجْلِهِمْ، هَكَذَا لَا تَكْفُ الْكَنِيسَةُ عَنْ أَنْ تَصَلِّيَ مِنْ أَجْلِ الْهَوَاطِقَةِ كَيْ يَتَحَوَّلُوا عَنِ الْمَقَاوِمِ، وَيَسْتَوْفُوا عَضُوبَتَهُمُ الْكَنِيسِيَّةَ، وَيَتَمَتَّعُوا بِالْحَيَاةِ الْكَنِيسِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ.

❖ كُلُّ هَذِهِ الْإِيمَاءَاتِ حَسَنَةٌ وَوَلَائِقَةٌ بِأَصْدِقَاءِ يَكشِفُونَ عَنْ تَعَاظِفِهِمْ مَعَهُ، لَكِنْ مَا جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ عَلَى النَّقِيضِ. لَمْ يَكُنْ مِنْ نَفْسِ الْوَجْعِ، بَلْ عَلَى النَّقِيضِ تَمَامًا وَرَدِيًّا. أَنْظَرُوا مَاذَا حَدَثَ. إِنَّهُ لِأَمْرِ لَا يُصَدَّقُ، تَحَدَّثُوا كَخُصُومٍ حَاقِدِينَ.

❖ عِنْدَمَا تَمْتَلئُ النَفْسُ بِالْقَنُوطِ لِلْحَالِ لَا تَمِيلُ إِلَى سَمَاعِ شَيْءٍ مِمَّا يُقَالُ. لِهَذَا عِنْدَمَا جَاءَ أَصْدِقَاءُ أَيُوبَ وَرَأَوْا كِلِثَّةَ بَيْتِهِ، وَالبَّارِ جَالِسًا فِي الْحَمَاءَةِ، وَقَدْ تَغَطَّى بِالْفَرْجِ، مَزَقُوا ثِيَابَهُمْ وَتَنَهَوُا، وَجَلَسُوا بِجُورِهِ فِي صَمْتٍ، مَظْهَرِينَ أَنَّهُ لَيْسَ مَا يَلِيقُ تَقْدِيمِهِ بِالْمَتَأَلَّمِ هَكَذَا سِوَى الْهَدْوِ وَالسُّكُونِ. إِذْ كَانَتْ التَّجْرِبَةُ أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا تَغْيِيَةٌ [145].

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أيوب 2

آدم في المذبذبة!

❖ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا لِإِبْلِيسِ أَنْ يَصْمِتَ، وَقَدَرَأَى الْإِنْسَانَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ يَنْعَمُ بِكَ أَنْتِ فُودُوسَةُ! اقْتَرِبْ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْحَيَّةِ، وَتَجَاسَّرَ وَاسْتَحْدَمَ فَمَ حَوَاءَ. وَبِحُسْدِهِ طَرَدَ آدَمَ وَحَوَاءَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبِالْخَطِيئَةِ مَلَكَ الْمَوْتَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَسْلِهِمَا!

❖ الْآنَ وَقَدَرَأَى فِي كُلِّ إِنْسَانٍ آدَمَ الْمُنْكَسِرَ. ظَنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْطِمَ أَيُوبَ كَمَا حَطَمَ أَبَاهُ الْأَوَّلَ. لَمْ يَتَحَدَّثْ مَعَهُ خِلَالِ الْحَيَّةِ، بَلْ تَجَاسَّرَ وَاسْتَحْكَاهُ أَمَامَكَ يَا خَالِقَ الْكُلِّ!

❖ فِي كُورِيَاءَ أُعْلِنُ أَنَّهُ كَانَ يَجُولُ فِي الْأَرْضِ،

ويمشي عليها، وكأنه ملك صاحب سلطان!

نعم، لتتزع عنا وابنا فلا نبقي لرضا،

ولا يقدر أن يتمشى في قلوبنا!

وانا سماءً ثانيةً، فيهرب من أمامنا.

نُجلسنا أنت في السماويات،

فلا يقدر أن يتسلل إلينا!

❖ يا للعجب أنت القنوس وحدك تمدحنا!

وإبليس الشوير يشتكى علينا!

هل يغير على القداسة، فيشتكينا على ضعفنا؟

في شوه يود أن يحطم الكل،

فيشركه تجديفه عليك، يا أيها القنوس وحدك!

❖ صوب كل سهامه النزية ضد أيوب المسكين!

ذاك الذي كان كوكب الصبح يقف أمام إنسانٍ أعزل!

لم يهدأ له بال حتى يضوب كل جسده!

بسماحٍ منك قتل كل بنيه وبناته، وتوك زوجته ليستخدمها ضده.

ضوب كل جسمه، وتوك له لسانه لعله يجدف عليك!

في مكرٍ شديدٍ بذل كل جهده ليحطم المؤمن بك،

ولم يترك أن سهامه توتد عليه!

❖ آدم في الجنة مال بأذنه ليرسم مشورة العدو،

خلال حواء معينته!

أيوب في وسط الرماذ، فتح فمه ليُيكم المشورة الشيطانية!

صمت آدم صمتاً خاطئاً، وكسر وصيتك الإلهية.

ونطق أيوب بكلامٍ صالحٍ، وأنقذ زوجته من الحيل الشيطانية!

تعوى آدم في الجنة، ولم تقدر أوراق التين أن تسوته!

ولبس أيوب ثوباً من النود، كان أروع جمالاً من ثوب الملوك!

لرعب آدم وحواء حين سمعا صوتك!

ووقف السماويون في دهشة أمام تسايح الجالس وسط الرماذ!

ظن آدم أن حرمانه من الأكل من شجرة المعرفة ظلماً وحرماناً.
وحسب أيوب أن كل ما سُلِب منه هو بِسماحٍ منك لخبره!
وسط كل بركات الجنة وإمكانياتها تركت عيننا آدم على شجرة واحدة!
وسط كل التجارب التي لا تُحتمل تركت عيننا أيوب عليك يا صانع الخرات!
فتح آدم فمه ليبرر نفسه،
وفتح أيوب فمه ولم يخطئ بشفتيه!

❖ جاء الأصدقاء، كل واحدٍ من مكانه،

ويا ليتهم ما جاعوا!

رأوا أن يعزوه بأفكلهم البشوية، فقدموا له مولاة!
أظهروا كل مشاعر الحنو والمشاركة في الآلام،
لكن لم يقدموك إليه يا أيها المغوي السموي!

❖ أنت صديقي السموي،

احملي إليك، إلى مكانك، فأستريح في حضن أبيك!
لقد تولت إليّ،
وجربت لكي تعين المحربين!
لنكن أنت هو سرّ تغريتي وسلامي وفوحي الحقيقي!

ملحق للأصاح الثاني

في مجلس الصامتين

(صمت أصدقاء أيوب)

السكون والصمت

يظن كثيرون أن الراهب هو فقط الذي يبتعد عن العالم وينزل. هذا ضروري ولكن القديس باسيليوس الكبير يشدّد على أن الانسحاب الحقيقي من العالم هو [أن نقطع الحبال التي تربطنا به وبهمومه ومشاكله]. فالهوء الذي نحصل عليه في الدير [هو بدء تطهير الذات، وبدء الاكوثا بأمور الدنيا بدء الاهتمام بأمور الله]. والوحدة [هي نواء للأهواء والشهوات، لأنها تهدئنا وتقوّبنا لله، وخاصة عندما تكون مقرونة بالصلوات والوأنيم]. وهذه يجب أن وُافقنا دائماً لأنها [تتّبّت النفس في الفوح وتخرجها من الأخران]. [146]

والقديس باسيليوس بالرغم من أنه من دعاة الحياة المشتركة، لا يكف عن التشديد على الصمت، وعلى الاكوثا بالخوة والهوء. فهذا هو الشوط الذي بونه لا تستقيم الحياة الراهبية، إذ كيف يمكن للراهب أن يصلّي مرّاً في النهار، وأن يدرس ويطالع الكتاب المقدس وأن يعكف على

اكتشاف نفسه إذا كانت الضوضاء تملأ نفسه، وتملاً لرجاء الدير [147].

يقول القديس باسيليوس [الهوء هو الخطوة الأولى في تقديسنا، فيتطهر اللسان من ثرؤة العالم، ولا تُثار العين بالألوان الجميلة ولا بالأشكال الوسيمة، ولا تنوع الأذن لنغمة الذهن التي للأغاني الشهوانية، بالأدوية التي تصدر على وجه الخصوص من أحاديث أصحاب التمثيلات الهولية والمهوجين].

❖ أقول الحق: إن كنت تتطق مثل مار يوحنا (الذهبي الفم) ومثل مار أوام القديس، ومثل مار باسيليوس الإلهي ومار غيغوريوس (التريوي) ومار غيغوريوس (النيسي)، وبقية الملافة (المعلمين) الكبار، لما كنت تفيد بكلمات الذين يلتفون بك كما يفيد الآن صمتك مشاهدتك [148].

القديس مار يعقوب السروجي

حوة بين الصمت المقدس والكلام المقدس!

❖ أنت هو الكلمة التي تعطي كلمة للمتكلمين،

بك يتكلم جميع المتكلمين من أجلك.

شعاعاً وإشراقاً ونوراً عظيماً أشوق في فأنظر إليك.

فينظري لك تستضيء النفس، فتقتني الصلاح.

وحين تبتعد منك النفس تمتلئ ظلاماً، وإذا ما توسست فيك لبست النور لتتطق بكلام خورك...

الصمت والكلام قائمان علي يطالبانني.

يارب دبر حياتي كل أدتك.

إن صمت أدهش، إذ أشعر بعدم كفايتي في (الكلام). أصمت في دهشة، وليس بطغيان باطل.

وإن تكلمت تكون كلمتي حسب مجدك ولأجلك.

عندما تمتلئ النفس بالصمت في دهش بك، يكون هذا الصمت حديثاً مملوء بكل منفعة. وإذا ما تحركت النفس لتمجيدك بمحبة... فبالحب أتحرك،

وأتحرك لأمدك. وفي دهش أصمت ولا اهدأ من تمجيدك.

هب لي يارب الدهش (بالصمت) والكلمة فأغتنني. وفي كل يوم أدهش، وفي كل يوم أتحرك بالكلام!

القديس مار يعقوب السروجي

للكلام وقت وللصمت وقت!

❖ يصمت البار إذ يُعلم أن للسكوت وقت وللحلم وقت (جا 3: 7)، لكنّه لا يصير أبكم. إنّما هذه سمة خاصة بالصدوقيين - وكل من يُعلم بالباطل، إذ

هم بيكمون ولا يصمتون. فإنهم وإن كانوا بكمًا عن الحق لكنهم غير صامتين، هكذا قال الرب للبحر وليس للإنسان أن بيكم، منتوًا إياه إذ كان

عاصفًا [149].

العلامة أوريجينوس

❖ باطلاً نجم أسننتنا، إن كان صمتنا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به الصواخ [150].

الأب يوسف

❖ تكلم زكويّا (الكاهن) في موضع كان يؤم فيه الصمت، وتكلمت مريم، وحسناً كان كلامها.

سكتت حواء وفي الحال صلت مؤنولة، وإذ لم تتكلم حزنّت، وماتت بسبب صمتها.

غشّتها الحية، وأعطتها بشرة مملوءة موتاً، ووعدها بالأوهية، ولم تفحصها.

قالت الحية: يوم تأكلان من الشجرة تصوان كالله، فصدقته. وفي هذا الوضع وفي ذلك الوقت حيث الخداع كان يؤم السؤال والكلام والواسة. كان يليق بهواء أن ترد على الكذاب وتدرس الأمر نتمعن. لو درسته لهوب الكذاب منها. فإنه اذ يُظهر الحق ذاته تجاه الكذب يهوب الخير. لو تكلمت هواء مقابل ذلك الكذاب لما أستطاع أن يبيت الخبر الذي بدأ به... وإذ لم تتكلم هدمتها الحية في عمق الهلوية.

إذ يوجد وقت يلتزم فيه الإنسان بالكلام، ويوجد وقت يلتزم فيه الصمت بإواز. كان يليق فكرياً أن يصمت في قدس الأقداس عندما بشوه الملاك بميلاد يوحنا. وإذ لم يصمت جعله الملاك يصمت بغير رادته، لأنه يحبه، فربنه بالصمت اللائق به.

حزنت الیصابات بصمت رجلها.

صمت الكاهن، ومضى إلى بيته ولم يتكلم.

لم يعرفوا لماذا صمت نطقه.

حزن أحياء الكاهن بصمته، ولم يعرفوا ما هو سبب صمته.

وحزنت الیصابات على شريك حياتها، لأن فمه صمت، وصوته خرس، ولم يتكلم.

لعل اللوية قالت في حزنها على رجلها الكاهن الشيخ الصامت: ماذا أعمل؟

لقد ضوب البيت بسبب العقر، وأحاط بي حزنان: أنا عاقر، وفم الشيخ صار عاقواً، ليس لي ولد، وليس له كلمة يتغوى بها.

كثر حزن بيت الكاهن من الجانبين: الوأة عاقر، وهو صامت.

العجوز حبلت من الزواج بطريقة مدهشة عظيمة...

بميلاد (يوحنا) انفتح رحم أمه، وانفتح فم أبيه.

بيوحنا ولدت العاقر، وتكلم الأخرس.

به أنصلح الرحم العاقر، والفم الأخرس، والمكان الخرب.

مبلك هو الذي اختزه وأكثر جماله. له المجد دائماً وعلناً. أمين.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ من يريد أن يلازم السكوت من غير أن يقطع علل الآلام فهو أعمى [151].

مار إسحق

❖ إن الصمت من أجل الله جيد، كما أن الكلام من أجل الله جيد [152].

الأب بيمين

<<

الباب الثاني

مرثاة أيوب

أيوب 3



الأصحاح الثالث

مرثاة أيوب

جلس الأصدقاء الثلاثة حول أيوب لمدة أسوع، الكل في دهشةٍ وصمتٍ من هول الكولث التي حلت به. غالبًا لم يشعر أيوب بؤلاء الصامتين، أو لم ينشغل بوجودهم. فجأة عبّر أيوب عن العورة التي في أعماقه، فقدم مناجاة أو مرثاة. **لعلها أبلغ مرثاة سُجّلت في التاريخ البشري تحمل يأسًا رهيبًا.**

يصوخ أيوب في مورة لكنه لم يسب الله. إنه مثل رميا يسب يوم ميلاده (إر ٢٠: ١٤-١٨). الموت يعني التحرر من الآلام الجسمانية التي في هذه الحياة. اشتهى أيوب الموت، فهو أفضل من الحياة، لكنه لم يفكر في الانتحار، إنما يطلب من الله أن يتدخل لرحمته من الحياة الحاضرة. حقًا لم ينطق أيوب بكلمة ضد الله، إذ لم يسبه، إنما سب حياته منذ حُبَل به، ليس من أجل حاضره، ولا خشية ما سيحل به في المستقبل، وإنما امتد به اليأس ليكره حياته حتى وهو في رحم أمه. أي ووجع بفكره إلى الماضي الذي لن يعود، ولا يمكن تغييره.

احتفظ هؤلاء الأصدقاء بصدقتهم مع أيوب في أيام شدته في الوقت الذي تخلى عنه أغلب أصدقائه. جلس أصدقاء أيوب بجانبه صامتين سبعة أيام وسبع ليالٍ، بعد هذا فتح أيوب فاه وأخذ يتكلم. تنقسم كلماته إلى ثلاث أقسام:

10-1

1 - سبه ليوم ولادته وتمنيه لو لم يولد

19-11

2- أنشودة الموت وعذوبته

26-20

3 - لغز بقاء الذين يشتهون الموت

1 . سبه ليوم ولادته وتمنيه لو لم يولد

كان ذلك ضعفاً في حياته أن يسب أيوب الحبل به . فمع وصفه أنه مستقيم لعن يومه، لكنه لم يجدف على الله.

بَعْدَ هَذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاةَ،

وَسَبَّ أَيُّوبُ يَوْمَهُ. [1]

جلس حزقيال في أرض السبي، وكانت نفسه تئن من أجل ما بلغ إليه الشعب ومدينته والهيكل من دمار وخراب. صمت سبعة أيام وهو متحير، فصلت إليه كلمة الرب (حز 3: 15-16). وجلس أيوب وسط أصدقائه، وكانت نفسه تئن مما حلّ به، لذا فتح فمه بعد الصمت الطويل ليسب يوم الحبل به ويوم مولده وأيام تجربته.

صمت الاثنان: حزقيال وأيوب، الأول كان ينشغل بما هو لله وشعبه وهيكله ومدينته، والثاني بما هو لنفسه وما يفكر الناس فيه عنه. الأول تمتع بكلمة الله الفاتقة، والثاني انحدر إلى اليأس والورلة وسب حياته.

نحتاج أن نجلس صامتين ، لكن نرتفع فوق الأنا لننشغل بما لله والناس لا بما لنواتنا وكرامتنا، حينئذ يوفعنا روح الله القوس كما إلى السماء، فنسمع الصوت الإلهي ونكتشف الأسوار الإلهية الواهبة الرجاء الحي.

للأسف تطلع أيوب إلى يوم الحبل به كأسوأ يوم في التاريخ، وحسبه بدء انطلاقة لآلامه التي لا تحتمل. لقد نسي ما تمتع به من خوات. لقد التهمت السنوات العجاف السنوات المملوءة بالبركات. صار فكه سجين المر الذي يعيش فيه، فتطلع إلى حياته كلها بمنظار قائم للغاية. ما حلّ بأيوب يحل بالكثيرين حين تطول بهم أيام الضيق. فنسمع رميا النبي يصوح: "ويل لي يا أمي لأنك ولدتني" (إر 15: 10)؛ "ملعون اليوم الذي وُلِدْتُ فيه" (إر 20: 14).

حينما يغيب عن أعيننا يوم لقائنا الأبدى مع مسيحننا على السحاب ولو إلى لحظات يضيق العالم بنا ونحسب حتى خلقتنا باطلة. "حتى متى يارب تختبئ كل الاختباء؟... إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم؟" (مز 89: 46-47).

هنا نقف قليلاً أمام اهتمام البشرية بأعياد الميلاد منذ قديم الزمان، فنجد الأثوار يجنون في هذا اليوم الفوصة للتعبير عما في قلوبهم من لهو ورغبة جادة في التسلط على الغير، بينما يقف أولاد الله في جدية يتطلعون إلى دخولهم في طريق الآلام. يحسبون يوم ميلادهم هو يوم دخولهم وادي الدوع، ولكن في رجاء حي موح أنهم يعبرون إلى الحياة السماوية الجديدة.

❖ في أعياد الميلاد حيث تسيطر على (الأثوار) الرغبة في الكلمة المتسلطة، وبقصون ليغبروا بحركات أجسامهم عن هذه الكلمة.

لاحظ أحدهم أنه جاء في سفر التكوين عن عيد ميلاد فوعون (تك 20: 40) حيث يُقال إن الرجل الجامح محب للأمر المتعلقة بأعياد الميلاد. وقد اقتبست عنه ذلك فلم أجد في الكتاب المقدس بولاً ما صنع عيد ميلاد له. فقد كان هيودس أكثر ظلماً من فوعون المشهور هذا. فالأخير قتل رئيس الخبزين في الاحتفال بعيد ميلاده، أما الأول فقتل يوحنا [153].

العلامة أوريجينوس

أفاض العلامة أوريجينوس في تعليقه علي كلمات رميا النبي: "ويل لي يا أمي، لأنك ولدتني إنسان خصام" (إر 15: 10) ، وقد سبق لي عرضها في تفسير سفر رميا. هنا أقتبس قوات صغيرة:

❖ من أنا حتى لا أولد إلا لأكون محكوماً علي، وأكون مُخاصماً من الناس بسبب عتابي ولومي لهم، وبسبب تعاليمي التي أعلمها لكل سكان الأرض [154].

العلامة أوريجينوس

حقاً من اختبر يوم ميلاده الثاني بالماء والروح وصار ابناً لله لا يسب حتى يوم ميلاده الجسدي، حاسباً كل آلامه صلماً ودفناً مع مسيحه، وطريقاً

ضيقةً يدخل به إلى أبواب السماء المفتوحة، وبهجة القيامة الأبدية.

هنا يُزمننا ألا ننكر أنه مع ما بلغه أيوب من مولاة حتى سب يوم الحبل به، لم يجدف على الله، ولا ندم على تعبد له. مع ما نطق به يكشف عن مولاة نفسه، لكنه خضع لمشيئة الله. إنه تحت الآلام مثلنا!

❖ بماذا يفهم: "بعد هذا؟" "بعد وصول أصحابه... لأن هؤلاء الذين اقتربوا لم يحوه كمصراع ولم يسألوه: كيف حالك؟ لم يقدموا أنوية للفرح، ولا وقفوا على الثمن الذي ناله أيوب عن كنز فضائله. لم يقولوا له: لا تثبط همتك، فإن مغريك قريب منك، لا تخف فإن عدوك ينهزم. لا تحزى، لأن النهاية ليست ببعيدة، والنصرة على الأبواب.

❖ ليته هلك اليوم الذي وُلدت فيه "، ليس اليوم الذي خُلِق فيه، بل الذي وُلد فيه... فإن الله خلقتي بالصلاح، لكن حواء التي عصت ولدتني في متاعب (تك3: 16). لم يجهل داود ذلك، بل بالروح فهم وقال في مزموه نوي: "بالآثام حبلت بي أمي، وفي الخطية ولدتني" (مز 51: 5).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يا للعجب الذي يفوق الطبيعة حقاً! وقائع مذهلة!

الموت الممقوت والمشجوب قبلاً، قد أحاطت به المدائح واعُتبر سعيداً! فبعد أن كان يجلب الحداد والحزن والدموع والغم الكئيب، ها قد ظهر علة فوح ومحط عيد احتفالي!

بالنسبة إلى جميع خدام الله أعلن موتهم سروراً! فإن خاتمة حياتهم هي وحدها تعطيم اليقين بأنهم قُبِلوا من الله. لهذا طُوب موتهم، لأنه يختم كمالهم، ويُظهر غبظتهم؟، حيث يطغي عليهم رُوح الفضيلة كقول الوحي: "لا تعتبر أحداً سعيداً قبل موته" (سواخ 11 : 28). لا نطبق عليك (يا مريم) هذا القول، لأن غبظتك لا تأتي من الموت، وموتك لم يتم كمالك... ليس عند موتك، بل منذ هذا الحبل عينه تُغبطين من جميع الأجيال. لا، ليس الموت أبداً هو الذي جعلك مغبوظة، بل أنتِ طرحتِ الموت وبددتِ كآبته وأظهرتِ أنه فوح (بالمسيح المولود منك) [155].

الأب يوحنا الدمشقي

❖ أليس من المخجل أنك تئن بسبب الموت، بينما يتهد بولس بسبب الحياة الحاضرة، فيكتب إلى أهل رومية: "الخليقة تئن وتتمخض معاً... بل نحن لنا 22:8-23 باكرة الروح نحن أنفسنا أيضاً تئن في أنفسنا" (رو). ينطق بهذا لا ليدين الأمور الحاضرة، بل شوقاً نحو الأمور المقبلة [156].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: [2]

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن صمت الأصدقاء طوال الأسوع يكشف عن هول ما حدث، وأنهم لم يكونوا قادرين أن ينطقوا بكلمة ما لم يبدأ هو أولاً بالحديث.

لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمَ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ،

وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ:

قَدْ حُبِلَ بِوَجَلٍ! [3]

غالبًا ما كان أيوب ملكاً أو رئيساً، وكان يوم ميلاده يوماً يعتز به الشعب، لذا انتهى لو مُحي هذا اليوم، وطُرح في بحر النسيان، حيث صار منظرًا لليؤس والشقاء.

❖ عرف أيوب أن ولادته هي بداية لكل الويلات، لهذا اشتاق لو هلك ذلك اليوم الذي فيه وُلد حتى يُزع أصل كل المتاعب. لقد انتهى أن يهلك يوم ميلاده لكي يتقبل يوم القيامة. فقد سمع سليمان قول أبيه: "عوفني يارب نهايتي ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل". (مز 4: 39) فقد عرف داود أنه لا يمكن الاستحواذ على ما هو كامل هنا، لهذا كان مسوعاً نحو الأمور العتيدة. الآن نعرف بعض المعرفة، لكن سيكون ممكناً نوال الكمال

عندما تبدأ الحقيقة - لا الظل - للعظمة الإلهية والأبدية أن تشرق، فواها بوجه مكشوف (1 كو 12:8) [157].

❖ لقد سحبنا اللذة الجسدية والمتعة في هذا الحياة، وصونا نخشى أن نكمل هذه الرحلة التي سيكون فيها مورا أكثر منها مسورة. أما القديسون والحكماء فوثوا طول العمر في هذه الرحلة، إذ حسوا الانطلاق ليكونوا مع المسيح أكثر مجدًا (في 1: 23). إنهم لم يلعبوا يوم ميلادهم كما فعل أحدهم: "ليته هلك اليوم الذي وُلدت فيه" (أي 3: 3) [158].

القديس أمبروسوس

❖ هذا ما قاله أيضًا الكارز (الجامعة): "فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عاثشون بعد" (جا 4: 2)... إنها كلمات تُعلن عن نفسٍ مثبطة الهمة ومتأثرة للغاية. إذ يقول داود أيضًا: "قلت في حورتي (خوفي الشديد)... (مز 31: 22)... وفي عبلة أخرى: "وأنا قلت في طمأنينتي لا أترزع إلى الأبد" (مز 30: 6). هذا أيضًا ما قاله أيوب في حزنه. ألا ترون يا أحبائي أن الذين يصيبهم أذى يصرون صرخات قوية؟ هل تلوونهم؟ لا بل نغفون عنهم! فلو أنهم لم يُعبروا عن أنفسهم بهذه الوسيلة يبدو كما لو كانوا لا يشعرون في الطبيعة البشرية. أما تسمعون موسى يقول: "إن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً" (عد 11: 15)...

❖ لا تصفوا إلى الكلمات مجردة، بل ابحثوا عن أساس الفكر. فقد سمعتم أن أيوب "لم يخطئ بشفتيه" (أي 2: 10)، لكنه لم يخطئ حتى بعدما نطق بتلك الكلمات. ها أنتم تسمعون الله نفسه يقول مرة أخرى: "أعتقد إنني أسلك معك بطريقٍ آخر سوى أن أعلن برك؟" (أي 40: 3 LXX)

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ربما تقولون إن الله هو خالق العالم وبانيه (عب 11: 10) [فلماذا لا نحب العالم؟] إنكم تتكلمون بالحق. لكن حاملي الله يستهينون بالعالم، ليس العالم الذي خلقه الله من العناصر، والذي شكَّله، بل ذاك نحن صنعناه بسلوكنا - إنه عالم مختلف، فاسد، والذي جعلنا العدو المخادع رئيسه (يو 12: 31؛ 14: 30؛ 16: 11). هذا ما يؤكد الرب بدقة، إذ قال هذا لتلاميذه: "لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء". (يو 14: 30) إنه ليس بدون سبب يقول: "رئيس هذا العالم"، بل قال هكذا لكي لا تظن أنه يتحدث عن هذه الخليقة المنظورة، فإن عدونا ليس رئيس هذا العالم، والخائن ليس له أدنى سلطان على العناصر.

❖ بأي معنى يقول: "رئيس هذا العالم يأتي"، سوى العالم الذي نصنعه نحن لا حسب مشيئة الله، والذي به نعطي أساسًا لعدم الإيمان والعصيان والفوضى وكل أنواع الخطايا؟

❖ إلى هذا العالم يشير بولس بوضوح طبقًا لكلمة الرب، إذ يقول في رسالته إلى أهل أفسس: "وأنتم إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا، التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف 2: 1-2). هكذا نحن شكَّنا عالمًا شويًا، وفي هذا العالم جعلنا أنفسنا أغنياء عن الآخرين من مصادر فاسدة...

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ليقل: ليت هلك اليوم الذي وُلدت فيه، والليل الذي قال حبل وجل" [3]، وكأنه يقول: لتهلك البهجة التي تُسوع بالإنسان إلى الخطية، وضعف فوه المتسبب الذي به يصير أعمى كمن قد بلغ إلى الظلمة الموافقة على الشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَكُنْ ذَلِكَ الْيَوْمُ ظَلَامًا.

لَا يَعْتَنِ بِهِ اللَّهُ مِنْ فَوْقُ،

وَلَا يَشْرِقُ عَلَيْهِ نَهَارٌ [4].

كان يود لو أن يوم ميلاده كان ظلامًا، لأن نور حياته قد انطفأ، والشمس قد غابت عنه، ولعله أراد أن تكون حياته كلها ليلاً، فينام ولا يقوم.
مع ما بلغه أيوب من تقوى واستقامة وإيمان، إلا أن السفر لا يخفي ضعفاته البشرية، فلا نعجب إن موت به أفكار اليأس مشتتاً لو لم يولد.
وقد حزننا الآباء من الخوف الخاطئ الذي يدفع إلى اليأس.

❖ يوجد انسحاق للقلب، وروحي ومفيد، وهذا يلمس القلب في أعماقه. ويوجد انسحاق آخر، مضر ومقلق، هذا يقوده إلى الهزيمة فقط (كالْيَأْس) [159].

القديس مرقس الناسك

❖ إذا ما أنهكنا العمل (في حفظ الأفكار الصالحة) نسقط في اليأس، لهذا ليتنا نسرع إلى صخرة المعرفة ونتلو الزمير ونعرف الفضائل على أوتار
قيثارة المعرفة [160].

الأب أوغريس الواهب

لِيَمْلِكَهُ الظَّلَامُ وَظِلُّ المَوْتِ.

لِيَحُلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ.

لِتُؤْعَبَهُ كَاسِفَاتُ (سواد) النَّهَارِ [5].

❖ " لِيَمْلِكَهُ الظَّلَامُ وَظِلُّ المَوْتِ " ، حيث أن الظلام بالحقيقة هو عدونا، كما أن المسيح هو النور (يو 8 : 12 ، 9 : 5 ، 12 : 46) . لهذا السبب عينه
(الخائن) هو الظلام.

وكما أن المسيح هو البَر (1 كو 1 : 30) هكذا (الخائن) هو خطية.

وكما أنه هو أساس الحياة (مز 36 : 9) ورسم جوهره، هكذا الخائن هو " ظل الموت " (عب 1 : 3)

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ هل يوجد ما هو مرعب أكثر من الشيطان؟ نعم، فإننا في مقاومته لا نجد ورعاً سوى الإيمان (1 بط 5 : 9) ، إذ هو ترس خفي ضد عدو غير
منظور، يرشق سهاماً متنوعة في ليل بهيم (مز 11 : 2) ، تجاه غير المتيقظين. فإذا لنا عدو غير منظور يؤرنا الإيمان كعدة حربية قوية، إذ يقول
الرسول: " حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدر أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة " (أف 6 : 16) . فإذا يصوب إبليس سهم الشهوة
الدنس الملتهب، يُقدم الإيمان صورة الدينونة فيبرد الذهن، وينطفئ السهم [161].

القديس كيرلس الأورشليمي

أَمَّا ذَلِكَ اللَّيْلُ فَلْيُمْسِكْهُ الدَّجَى،

وَلَا يَفُوحَ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ،

وَلَا يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ [6].

يميز الأب هيسيخيوس بين يومين: يوم المعصية الذي حلّ بالظلام علينا، ويوم المخلص الذي فيه يقول: "اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم
(لو 4 : 21) . اليوم الأول جلب الظلمة والحزن على البشرية، والثاني يوم الخلاص الموح حيث تحققت نوة إشعياء النبي (إش 61 : 1-2) . فإذا نلتقي
بالمخلص لا تعود نُقلن أيامنا الإنجيلية الموححة بأيام الظلمة القابضة والمفسدة للحياة. لهذا طلب أيوب أن يُعلن يوم ميلاده في الخطية ويستبعد تماماً ولا
يُحسب في عداد أيامه في الرب.

❖ لَيْتَهُ يُلْعَنَ ذَلِكَ النَّهَارُ وَاللَّيْلُ، وَلِيَحْمِلَهُمَا الظَّلَامُ بَعِيداً، لَا يَدْخُلُ فِي عَدَادِ أَيَّامِ الشُّهُورِ... لَيْتَ هَذَا اليَوْمِ، يَوْمَ المَعْصِيَةِ، لَا يُحْصَى بَيْنَ المَنَافِعِ الَّتِي
تُعْطَى لَنَا بِوَسْطَةِ المَخْلُصِ. لَيْتَهُ لَا يَمْوِجُ حَزْنَ (الظلام) القَادِمِ مِنَ اليَوْمِ بِالْبُوكَاتِ الَّتِي يَهْبِنَا بِإِيَّاهَا المَخْلُصُ، وَلَا تَفْسِدُهَا اللَعْنَةُ.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

هُوَذَا ذَلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِبًا!

لَا يُسْمَعُ فِيهِ هُتَافٌ [7].

لم تعد أذناه تحتلان صوت موسيقى أو هتاف وتهليل، لأنه لا موضع للسرور في أعماقه. وكأنه فقد رجاءه إلى حين.

يشبه القديس أغسطينوس الرجاء بالبيضة التي تحمل في داخلها حياة تقدمها خلال دفء الضيقات والآلام، إذ يقول: [إنها بيضة، وليس بعد

(كنتوت). إنها مغلفة بقتوة، لكن لا تنتظر إليها هكذا، بل انتظر في صبر، ولتجعلها في دفء فستقدم حياة. اضغط عليها [162].

❖ الرجاء يدفع الإنسان تجاه الأبدية نحو المستقبل، في إيمان عملي، ومثاورة مع فوح وبهجة وسط الآلام [163].

❖ لنصغ ولنبتهج في الرجاء حتى وإن كان الحاضر حياة لا تُحب وإنما نُحتمل، إذ تكون لك القوة على احتمال كل تجربها [164].

❖ فوح بالرجاء متطلعين إلى الراحة المقبلة، بهذا نسلك ببهجة وسط المتاعب [165].

القديس أغسطينوس

❖ الشخص الذي لا يتطلع إلى ما يمكن أن يُرى، بل ينتظر بشغفٍ ما لا يمكن أن يُرى، هذا يفوح في رجاء [166].

العلامة أوريجينوس

❖ ما هو رجاء الإنجيل إلا المسيح؟ فإنه هو سلامنا، الذي يعمل كل هذه الأمور... ومن لا يؤمن بالمسيح يفقد كل شيء [167].

❖ الرجاء بالتأكيد يشبه حبلاً قوياً مُدلى من السموات يُعين أرواحنا، رافعاً من يمسك به بثبات فوق هذا العالم وتجرب هذه الحياة الثورية، فإن كان

الإنسان ضعيفاً وترك هذا الهلب المقدس، يسقط في الحال، ويختنق في هوة الشر [168].

❖ ليس شيء يجعل النفس شجاعة هكذا ومحبة للمخاطرة مثل الرجاء! وقبل نوالنا الأمور التي نرجاها يقدم لنا مكافأة هي: "صابرين في التجرب". قبل

نوالنا الأمور المقبلة تتمتع في الحياة الحاضرة بصلاح عظيم خلال التجرب إذ تصير إنساناً صبوراً ومجرباً...

الحب يجعل الأمور سهلة، والروح يعين، والرجاء ينير، والتجرب تصقلك، فتجعلك مجرباً قاوراً على احتمال كل شيء بشهامة، وافق هذا كله

سلاح عظيم جداً هو الصلاة [169].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ صبر الإنسان يلد الرجاء، والرجاء الصالح يمجّد الإنسان.

القديس أغريغوريوس

لِيَلْعَنَهُ لَاعِنُو الْيَوْمِ،

الْمُسْتَعِدُونَ لِإِيقَاطِ التَّنِينِ [8].

كما أن النادبات يحضون الجنزات ويندبن مع أهل الميت وأصدقائه، هكذا حسب يوم ميلاده جنزة هرة، فيطلب من اللاعنين أن يتقدموا

ويشتركوا معه في لعن هذا اليوم.

وي البعض أن بعض صيادي التماسيح كانوا يلعبون التماسيح بأشد اللعنت، مؤملين أن يصير التماسيح بلغعاتهم وتعالويزهم ضعيفاً فيتسلطون

عليه.

جاعت الترجمة اليسوعية "لويثان" عوض "التنين"، وكما سئى في وصفه في الإصحاح الحادي والأربعين أنه ينطبق على التماسيح، فيقصد هنا

اللعنت التي يستخدمها السحرة والمنجمون لإثارة الشيطان.

يحنرنا القديس غريغوريوس النريوي من مقلنة الأمور حسب حجمها أو وزنها. فلا نعجب إن ظهر الروح القدس على شكل حمامة، ودعى

السيد المسيح حملاً (إش 7:53) ولؤلؤة (مت 13:46) وندى (مز 72:6)، بينما دُعي الخصم جبلاً عظيماً (زك 4:7)، ولويثان (أي 3:8، 20:40) والملك الذي يعيش في المياه. لا نحتقر ملكوت السموات لأنه شبه بحبة خردل (مت 13:31) [\[170\]](#).

لِنُظَلِّمِ نَجُومَ عَشَائِهِ.

لِيَنْتَظِرَ النُّورَ وَلَا يَكُنْ،

لَا يَرِ هُدْبَ الصُّبْحِ [9]

❖ **LXX** "لتظلم نجوم عشائه (مسانئه)... ولا يورى لوسيفر يقوم" (3:9). ذُكرت نجوم الليل هنا بنور رديء، إشارة إلى الشياطين. إذ يأخنون شكل ملاك نور، ولكن عند شروق النور الحقيقي (يو 1:9) يظلمون، ويستمررون في انحرافهم.

هذا ما يقوله النص: "لتبقى مظلمة". لكنهم لا يأتون إلى النور، إذ لا يستطيعون أن يستردوا طغيانهم.

علوة على هذا فإنهم سوف لا يرون لوسيفر قائماً، هذا الذي قال عنه إشعياء: "لوسيفر الذي قام في الصباح" (إش 14:12). بعد ذلك يقول

"انسحق على الأرض" ليشير إلى أنه لا يقدر بعد أن يقوم ووجع إلى كرامته السابقة.

بسقوطه من السماء إلى الأرض رُاد أن يحطم الإنسان، لكن الله يعطي من لا يُخدع، سلطاناً أن يسحق المضل تحت قدميه، وأن يحطمه قطعاً

قطعاً.

لكن لماذا يلعنه أيوب؟

لسبب حسن لا يخفيه (وهو ما ورد في العبرتين 10 و11).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

يحدثنا القديس أغسطينوس عن هزيمة إبليس الشرير الذي انطفأ نوره الغزيف بقتله السيد المسيح حسب الجسد، النور الحقيقي، البار الذي يبدد

الظلمة. لقد ظن أنه قادر أن يبده كما حطم آدم الأول، فإذا به يحطم نفسه.

❖ أي شيء يمكن أن يكون أكثر واً من البلوغ حتى موت الصليب من أجل البرّ؟

وأي عمل أعظم سلطاناً من القيامة من الأموات، والصعود إلى السماء بذات الجسد الذي فيه قد قُتل؟

ولاً غلب البرّ الشيطان، وبعد ذلك نال السلطان!

ينتصر البرّ لأن ليس فيه خطية، وقد مات ظلماً بواسطة الشيطان!

ينال السلطان، لأنه عاش ثانية بعد الموت، ولن يموت بعد...

لقد هُزم الشيطان بذات نصرته...

[\[171\]](#) بخداعه الإنسان الأول ذبحه، وبذبحه للإنسان الأخير فقد الإنسان الأول من شبكته!

القديس أغسطينوس

❖ في الكتاب المقدس يُستخدم لقب "النجوم" أحياناً بخصوص برّ القديسين المُشوق في ظلمة هذه الحياة، وأحياناً عن المظهر الباطل للمرائين، الذين

يمارسون كل صلاح من أجل مديح الناس. فلو أن صانعي الخير ليسوا كراكب ما كان لبولس أن يقول لتلميذه: "في وسط جبلٍ موجٍ وملتو تضيئون

بينهم كأنوار في العالم" (في 2:15).

مرة أخرى لو لم يوجد بين (أعضاء الكنيسة) من يبدو حسب الظاهر أنهم سالكون بالاستقامة لما وجد البعض الذين بسلوكهم ينالون تكريم الناس

لهم، ولما رأى يوحنا النجوم تسقط من السماء، عندما قال: "وذنبت التين يجر ثلث نجوم السماء، فطرحها" (رؤ 4:12).

❖ "بروز الفجر" هو بدء الكنيسة في النور، حيث لا يمكن رؤية الأثوار، إذ يُغلق عليهم، ويُرمون بالانحدار إلى الظلمة خلال ثقل أعمالهم الشريرة،

فلا يرون الديان البار. هكذا بحق قيل بالنبي: لئِذِوع الشوير من الطويق، فلا وى مجد الله (إش 10:26 LXX).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنَّهُ لَمْ يُغْلَقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي،

وَلَمْ يَسْتُرِ الشَّقْوَةَ عَنْ عَيْنِي [10].

لقد خانتته حكمته، فاشتهدى أبواب أمِّه غاية في القسوة، وهو لو أن أمه ولدته قبل الموعد، فانفتح رحمها ليخوج سقطاً ميتاً، وتتعرض هي للخطر بل وللموت. صورة مؤلمة للغاية بسبب التذمر!

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيراً رمزياً رائعاً لهذه العيلة حيث وى المؤمن يعود إلى الأيوين الأولين وهما في الفودس كما في

رحم الأم، وكان يود أن يولد هناك ولا تتفتح أبواب الفودس لطوده بواسطة الحية. يقول إن الحية قد فتحت فم هذا الرحم ليخوج الإنسان من الجنة المفوحة، ويحيا في وادي الموت. إنه يشتهي لو أن باب الفودس الأول بقي مغلقاً لتُولد البشرية وتتكاثر في فُوحِ سملوي موحٍ.

2 . تعجبه لماذا لم يموت ويمضي إلى القبر حالما ولد

تمنى لو كان قد مات عقب ولادته مباشرة، فهو يعتقد أن هذا كان أفضل له، فسيكون مع "ملوك ومشوي الأرض"، في راحة وهوء في القبر. فالموت أفضل من الحياة.

3 . أنشودة الموت وعنوبته

إذ قدم موثاة، مشتهدياً لو كان قد مات في الرحم، تطلع إلى حياته بآلامها ونكباتها فاستعذب الموت، مقدماً قصيدة عن الموت الأكثر عنوبة من الحياة الومنية إن صح التعبير. رأى في الهاوية خلاصاً مما يعنيه على الأرض.

قدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) في إسهاب تفسيراً رمزياً لأنشودة الموت وعنوبته، فأى في أبواب أنه اشتهدى أن يموت في الرحم، أي مع

أبويه آدم وحواء في الفودس قبل خروجه إلى العالم الذي وُضع في الشوير، كما رأينا. ووى في لقائه في القبر مع الملوك ومشوي الأرض لقاء مع جباوة الإيمان والقادة الروحيين، حيث يستريح الكل بحياة أبدية واحدة، ليس فيها من يئن أو يتألم، ولا من صغير يحسد كبير "الأسوي يطمنون، ولا

يسمعون صوت المُسخر، الصغير كما الكبير هناك، والعبد حُرٌّ من سيده" (19-18:3).

لَمْ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ؟

عِنْدَمَا حَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ،

لَمْ لَمْ أَسْلِمِ الرُّوحَ؟ [11]

ربما أدرك أبواب خطأه حين اشتهدى لو تعرضت أمه للخطر بنزوله سقطاً قبل مواعده ميلاده، عاد ليصحح الأمر، فاشتهدى لو أنه وُلد ومات فوراً بعد خروجه من رحم أمه.

تطلع أبواب إلى الحياة منذ ولادته أنها لعنة ونكبة له، وحسب الموت أعظم بركة كانت تحل عليه. على عكس هذا يقدم لميا النبي وسط موثاته البرة تسبحة شكر لله على "عطية الحياة"، فيقول: "إنه من احسانات الرب أننا لم نموت من الرحم، ولم نفن" (هوا 3: 22).

جاء في قصة خرافية أن شخصاً متقدماً في السن تعب جداً من حمله شيئاً ثقيلاً، فطوح الحمل على الأرض، وفي يأسه استدعى الموت. وإذ جاء الموت وسأله ماذا يطلب ظاناً أنه يطلب أن يأخذ نفسه ويموت، فوجئ به يقول: "أرجو أن تساعدني على حمل حملي الثقيل" [172].

قدم لنا أبواب موثاة يتغنى فيها بعشقه للموت المبكر منذ لحظات ولادته ويمتدح فيها القبر. وكأن الموت والقبر قد صورا صديقين حميمين له. أما وقد جاء السيد المسيح برادته وسلطانه إلى الموت والقبر محولاً ذلك إلى أغنية مفوحة، لا يتورنم بها اليائسون، بل المملئون رجاء في السماويات، طالبو

الشركة في المجد الأبدي، والمشتهون للالتقاء بأصدقائهم السمايين، يشركونهم تسابيحهم.

بالمسيح يسوع المصلوب واهب القيامة نتغنى: "إن عشنا فللوب نعيش، وإن متنا فللوب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللوب نحن" (رو 14: 8).

لِمَاذَا أَعَانْتَنِي الرَّكْبُ،

وَلِمَ الثُّدِي حَتَّى رُضِعَ؟ [12]

يوفض البابا غريغوريوس (الكبير) التفسير الحرفي للعبرتين 11-12 ، متطلعاً إلى أيوب الطوبوي الذي وُهب معرفة روحية سامية هكذا، وقدم تسابيح للديان في أعماقه لا يمكن أن يشتهي لو مات خلال الإجهاض، أو عند ولادته مباشرة. إنما وى في هاتين العبرتين أيوب البار وهو ينتحب سواء لارتكابه الخطية في القلب أو مملستها عملياً. يقول أنه يوجد أربع طرق لارتكاب الخطية قلبياً، وأربع طرق مماثلة لارتكابها عملياً، مشتبهياً لو أنها بادت في مراحلها قبل أن تبلغ نضوجها الكامل. هذه المراحل الأربع هي:

أ. الحبل بها في الرحم : وهي المرحلة الأولى حيث تبدأ في القلب بتقديم الاقتراح، أما من جهة العمل فالممارسة تتم خفية.

ب. خروجها من الرحم أو ولادتها: وهي المرحلة الثانية، حيث يتحول الاقتراح إلى لذة في القلب ، أما من جهة العمل فتتحول من ممارسة خفية إلى ممارسة علنية أمام أعين الناس بلا حياء.

ج. إعانة الركب لها : المرحلة الثالثة حيث تتحول من اللذة القلبية إلى الموافقة والقبول الداخلي. أما من جهة العمل فتتحول من ممارسة علنية إلى عادة يُستعبد لها الخاطي.

د. الرضاعة من الثدي : المرحلة الأخيرة، حيث تتحول من القبول للخطية إلى الدفاع عما يرتكب الخاطي كمن لم يخطئ. وبالنسبة للعمل تتحول من عادة إلى نضوج كامل في ممارسة الخطية.

المراحل الأربع	الخطية في القلب	الخطية بالعمل
(1) الحبل بها في الرحم	اقتراح الخطية	ارتكابها خفية
(2) الخروج من الرحم أو ولادتها	لذة قلبية	ارتكابها علناً بلا حياء
(3) مساندة الركب لها	موافقة قلبية داخلية	تحولها إلى عادة
(4) إعالة الثديين للطفل أو الرضاعة	الدفاع عن الخطأ	نموها ونضوجها

يختم البابا غريغوريوس حديثه هذا قائلاً:

إليق بنا أيضاً أن نعرف أن الطرق (المراحل الثلاثة الأولى) يمكن إصلاحها بسهولة... أما (المرحلة) الرابعة فلا يمكن إصلاحها إلا بصعوبة.

هكذا أقام مخلصنا الصبية في البيت، والشاب خرج الباب، أما لعازر فأقامه في القبر. فمن يرتكب الخطية سواً يكون كميتٍ ملقى في البيت. أما الذي يرتكب الخطية علانية فيكون قد حُمل خرج الباب، يرتكب الخطية في غير خجل علانية. أما من يرتكب الخطية مرة ومرة تحت ضغط العادة فيكون قد سقط في كومة القبر.

ومع هذا فإن هؤلاء جميعاً يودهم المخلص وحمته إلى الحياة، إذ غالباً ما تشرق النعمة في هذه الحالة بنورها على الأموات ليس بالخطايا الخفية فحسب، بل وعلى من يملسها علانية، ومن يسقط تحت ضغط العادة...

لكن مخلصنا لا يقيم أصحاب الطريق الرابع إلى الحياة. حقاً إنه يصعب على الذي يستمر في عادته الشويرة، متمسكاً بالسنة المتملقين (مدافعاً عن الخطأ) أن يُشفى من موت النفس. عن هذا قيل: "دع الموتى يدفنون موتاهم" (لو 9:60). فالموتى يدفنون موتاهم.

هكذا روى البابا غريغوريوس في الموحلة الرابعة من الخطية وهي الدفاع عن الخطأ والتستر عليه، هو بلوغها إلى النضوج وعدم إمكانية القيامة من موتها حتى يعترف الخاطي بخطيته ولا يبرر خطاه أو يعطي لنفسه عذراً كما فعل كل من آدم وحواء.

لَأَنِّي قَدْ كُنْتُ الْآنَ مُضْطَجِعًا سَاكِنًا.

حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحًا [13]

يقدم لنا البابا غريغوريوس تروواً لمرارة نفس أيوب. إنه يتطلع إلى ما كان يمكن للإنسان أن يبلغ إليه لو لم تدخل الخطية إلى حياته. يقول: "وضع الإنسان في الفردوس، وقد التصقت به قيود الحب ليتبع خالقه في طاعة، بهذا كان يمكن أن يُنقل يوماً ما إلى مدينة الملائكة السمائية حتى بدون موت الجسد. فقد خُلق خالداً بطريقة يمكن بها أن يموت إن أخطأ، فيصير قابلاً للموت. أما لو لم يخطئ فكان يمكنه أن يبقى بدون موت، وبكامل حريته ينال الطوبى التي لعالم ليس فيه إمكانية الخطأ ولا الموت.

منذ وقت الفداء يُوسل المختارون خلال موت أجسادهم إلى ذات الموضع الذي كان يجب أن يبلغه الأيوان الأولان دون موت الجسد لو أنهما بقيا ثابتين فيما خُلقا عليه. بهذا لبقى الإنسان "مضطجعاً مستريحاً"، يبلغ مدينته الأبدية في راحة. لكان قد وجد فيها موضع راحة وسكون من صخب الضعف البشري...

هذا السكون الذي للسلام تمتع به الإنسان عندما خُلق وتقبل حرية رادته لواجه عوه. لكنه إذ خضع له ببلادته، للحال وُجد الضعف البشري حالاً فيه. فمع أنه قد خُلق بواسطة خالقه في حالة سكون مملوء سلاماً، لكنه ما أن انحنى تحت عوه ببلادته حتى سقط تحت صخب الحرب. صلت اقتراحات الجسد نفسه نوعاً من الصرخة ضد راحة الذهن، الأمر الذي لم يكن يعرفه الإنسان قبل العصيان، ذلك لأنه لم يكن يوجد وربط نفسه بخطاياها صار يخدمه في أمور بغير رادته، وعانى من صخب الفكر، إذ يصلح الجسد ضد الروح.

❖ الفوح بخلقة الله أمر مرغوب فيه، أن يصير الشخص رجلاً (ناضجاً) يتقبل صورة الله فهذه سعادة. أما التسكع في الحياة الدنسة، والافتتان من أجل أناسٍ كثيرين، فهذا يبعثه الأوار.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

مَعَ مُلُوكِ وَمَشْيُورِي الْأَرْضِ،

الَّذِينَ بَنُوا أَرْهَامًا لِأَنْفُسِهِمْ [14]

حسب أيوب الموت راحة مع ملوك الأرض ومشويهم، هؤلاء الذين رأوا تخليد ذكواهم ببناء الأهرامات والمدافن الضخمة الفاخرة، لكن أحداً ما لم يعد قادراً على التمييز بين توابهم. فالأهرامات والذهب والفضة وكل ما خلفوه لم يعد يمثل شيئاً.

وى البابا غريغوريوس أن الملوك هنا هم الأرواح الملائكية التي كوست طاقتها لخدمة خالق كل الكائنات التي تخضع لهم. وهم أيضاً يدعون مشويين لأنهم يقدمون مشورة للعالم الروحي حيث يضموننا إليهم كشركاء معهم في الملكوت.

أَوْ مَعَ رُؤَسَاءِ لَهُمْ ذَهَبُ الْمَالِيِّينَ بِيُوتِهِمْ فِضَّةً [15]

كان من عادة الملوك والعظماء أن يضعوا ذهباً وفضة في مقاوهم كوع من التكريم حتى بعد الموت، وربما لكي لا تختلط جثثهم بجثث الفؤاء. لكن الموت لا يميز بين عظيمٍ وحقيرٍ، غنيٍ وفقيرٍ، سيدٍ وعبدٍ. كما يقول الحكيم: "الغني والفقير يلتقيان" (أم 22:2).

وى البابا غريغوريوس أن الرؤساء هم قادة الكنيسة المقدسة يملأون بيوتهم بكلمة الله، الذهب المنقى بالنار (مز 6:12).

أَوْ كَسَفْطٍ مَطْمُورٍ،

فَلَمْ أَكُنْ كَأَجْنَةٍ لَمْ يَرَوْا نُورًا [16].

في القبر بعد انحلال الجسم ليس من يقدر أن يميز بين تَاب ملك أو عظيم أو سقط مطمور لم يخرج قط إلى الحياة في العالم. روى أيوب أن الأجنة التي ماتت قبل أن ترى نور الحياة هي في راحة أسعد مما هو عليه، إذ يشتهي النوم ليستريح فلا يجده. اشتهي أيوب النوم ولو كجنين لم ينظر العالم، ولم يدرك أن الراحة الحقيقية هو في المسيح يسوع الذي فيه وحده ننام - أي ندفن معه - لنقوم إلى الحياة الأبدية في مجدٍ فائق لا يُعبر عنه.

روى البابا غريغوريوس أن السقط المطمور الذي يستريح هم المختارون منذ بدء العالم وعاشوا قبل الخلاص ومع ذلك ماتوا عن العالم، هؤلاء الذين لم يكن لهم لوحا الشريعة، فماتوا كما في الرحم، وخشوا الله خلال الناموس الطبيعي. لقد آمنوا أن الشفيق قادم، فجاهنوا ما استطاعوا؛ أماوا أنفسهم عن المذات، وحفظوا المفاهيم التي لم تكن بعد قد سجلها الناموس. هذه الفتوة ما قيل الناموس قدمت لنا آباءنا أمواتًا من أجل هذه الحياة، كانوا أشبه بأجنةٍ قد ماتت في الرحم.

قدم لنا هذا البابا أمثلة السقط:

أ. هابيل: الذي لم نؤأ عنه أنه قاوم أخاه حين قتله.

ب. أخنوخ: الذي تركى، فسار مع الله وانتقل.

ج. فوح: الذي بحكمٍ إلهي صار الوحيد (مع أسوته) حيًا.

د. إوابهيم: سائح في العالم، لأنه خليل الله.

هـ. اسحق: سائح بعينيه الجسديتين الضعيفتين بسبب الشيخوخة، لم يرَ الأمور الحاضرة، وإنما استنار بروح النبوة، لوى الأمور المقبلة ببصيرةٍ فائقةٍ فوق العادة.

و. يعقوب : في تواضع هرب من سخط أخيه، وبلطفه غلبه. كان مثوًا في نسله، وأكثر إثمًا في غنى الروح، فربط نسله بقيود النبوة.

هُنَاكَ يَكُفُّ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّعْبِ،

وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتَعَبُونَ [17].

يضع الموت حدًا نهائيًا لظلم الأشرار الذين لا يكونوا عن مقاومة الحق واضطهاد أولاد الله، فالموت أنهى ما فعله هيرودس مضطهد الكنيسة (أي 12: 1-6، 23). والموت يهب راحة صادقة للذين احتملوا الاضطهاد بشكرٍ من أجل الله. "اكتب طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح، لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تتبعهم." (رؤ 14: 13). "من وجه الشر يُضم الصديق، يدخل السلام، يستريحون في مضاجعهم" (إش 57: 1-2).

❖ يأتي عندئذ المديح للموت، فشكوا له، إذ يؤع البعض عن الشر، ويتحرر آخرون من يؤسهم، هؤلاء الذين يجنون فيه ملجأ ضد شرورهم، وأولئك يجنون فيه عائقًا يمنع خبثهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الْأَسْرَى يَطْمَئِنُّونَ جَمِيعًا.

لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمُسَخَّرِ [18].

كثيرًا ما يشتهي الأسرى الموت ليستريحوا من المذلة. وقد فضل شمشون أن يموت مع كل الذين كانوا يسخرون به عن أن يعيش يطحن "في بيت السجن" (قض 16: 21).

❖ يبطل الموت كل شيء. ليس فقط لا تعود توجد إمكانية لمساندة الشر، وإنما لا يعود حتى مجرد صوت الشر يصل إلى الأذنين.

بالموت يتسلى الكل المُسخر مع الذي تحت السخرة، الكبير مع الصغير. وقد الكل معاً في القبر الذي لا يميز بين هذا وذلك.

❖ لا يستطيع أحد أن يفلت من سلطانه، ليس عبد ولا حر. كل الأمور البشرية تبيد بالموت: الغنى كما الكرامة. عدم التسلي في هذه الحياة الحاضرة ضخم. عظيمة هي الحرية بعد رحلتنا إلى هناك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أضيف: "والعبد حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ"، إذ مكتوب: "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو 8:34). ... في هذه الحياة الحاضرة يهوب العبد بالفعل من سيده، لكنه ليس حراً منه... أما هناك فالعبد حر من سيده. هناك لا يعود يوجد شك من جهة غفوان الخطية، عندما لا يعود تُذكر الخطية يدين النفس. تصير النفس في أمان، فلا يرتعب الضمير بسبب الشعور بالجريمة، وإنما يتهلل بالغفوان وتمتعه بالحرية،

البابا غريغوريوس (الكبير)

[173]

❖ يقود الموت إليه عبيداً وسادتهم، وهناك لا يكوم السادة أكثر من خدمهم.

القديس أواهاظ

3. لغز بقاء الذين يشتهون الموت

في دهشة يتطلع أيوب إلى الذين يشتهون الموت فلا يجدونه، فإن الله يحوط حولهم كما بسياج، ليملسوا حياة الألم دون اوارك خطة الله من

نورهم.

عندما وجد أيوب أنه لا يجديه أن يتمنى لو لم يولد، أو لو كان قد مات حالماً وُلد، زاه يشكو هنا من أن حياته استمرت باقية دون أن تُقطع،

صوخ لطول فؤة التجربة. وقد برر رغبته الشديدة في الموت بالآتي:

1 - كان يحس بصفة مستورة بالتعب وسط ضيقاته الشديدة التي كانت تبدو إنها ستظل مستورة.

2 - حتى في أيام رخصته الأولى كان يوماً يخاف من المتاعب، ولذلك لم يكن قط يحس بالراحة، ولذلك قال "لم أطمئن، لم أسكن، لم استرح".

مع شهادة يعقوب الرسول لأيوب "قد سمعتم بصبر أيوب" (يع 5: 11)، ومع احتمال كل هذه التجارب دون أن يخطئ، ومع مارآه على ملامح

أصدقائه من حزنٍ شديدٍ على حاله فتح فاه لينطق. بدأ يشتكي من أنه وُلد، وأنه لم يمته حين وُلد، وأن حياته طالت في محنته. لقد صبر طويلاً، لكن لم

يعد بعد يحتمل. فإنه مهما بلغ صبر الإنسان فليبرك أنه ضعيف ومعرض للسقوط. وكأن السفر ينترنا مع الرسول بولس: "من يظن أنه قائم فليُنظر لئلا

يسقط" (1 كو 10: 12).

لَمْ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ،

وَحَيَاةٌ لِوَيْيِ النَّفْسِ؟ [20]

يشكو أيوب هنا من أن حياته استمرت ولم تتقطع. إنه يتعجل الموت مرحباً بقدمه. مع أن النور عطية صالحة، لكن في وسط مولته حسب

هذا النور يزيد من شقائه. شمعة حياته، وهبت له لكي وى ما عليه من شقاء، وكان خير له لو لم يكن له هذا النور.

❖ كل الأوار في أخران في هذه الحياة (مز 19: 34)، هؤلاء الذين قيل عنهم: "بضيقات كثرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع 21: 14). "أكلوا الرمام

مثل الخبز، ومزجوا شوابهم بالدوع" (راجع مز 9: 102). وغبون في العبور خلال التجارب هنا شاكرين هذه الوسائل. إنهم هكذا في حزنٍ كداود

يعلنون بمثل هذه العبارات: "أعوم في كل ليلة سروي، بدموعي أنوب فواشي" (مز 6:6).

أما أن الأوار يشتهون الموت، إذ "ينقبون عنه كما عن كنوز"، فإن إيليا يؤكد لي ذلك بالعبارات: "كفى الآن يارب، خذ نفسي لأنني لست خوّاً من آبائي" (1 مل 4:19).

أيضاً صادق بولس على هذا عندما رآد تلاميذ قيصرية أن يمنعه من الصعود إلى أورشليم، إذ قال: "ماذا تفعلون؟ تبكون وتكسرون قلبي، لأنني مستعد ليس أن أربط فقط، بل أن أموت أيضاً في أورشليم (أع 13:21).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ الذين يعيشون في الملذات يهابون الموت ، أما الخزاني فيؤجونه لكي يرحلوا سريعاً.

الأغنياء يهابون الموت، والفقراء يشتهونه لكي يستريحوا من أتعابهم.

[174]

الأقوياء يرتعون عندما يذكرونه، والموضى يتطلعون إليه في رجاء ليستريحوا من آلامهم .

الأب أفاهات

❖ عندما يُصاب الصالحون بشرور والأشوار بالخوات، هذاربما لأجل نفع الصالحين كي ينالوا عقوبة (تأديباً) هنا إن كانوا قد أخطأوا في شيء، حتى

يتحرروا تماماً من الدينونة الأبدية. ويجد الأشوار خوات هنا تُقدم خلاصاً لهم في هذه الحياة حتى يُسحبوا إلى العذابات القادمة الكاملة. لهذا قيل للغني وهو يحترق في جهنم: " يا ابني اذكر إنك استوفيت خواتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا" (لو 16: 25)... يسير القديسون في رعبٍ أعظم خائفين من ترف هذا العالم أكثر من المخاطر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من جهة الواحة، ماذا نجد في العالم سوى حرباً دائمة مع الشيطان ، وصواعاً في معركة دائمة ضد سهامه وسيوفه؟! حربنا قائمة ضد محبة المال

والكبرياء والغضب وحب الظهور، وصواعنا دائم ضد الشهوات الجسدية وإغواءات العالم.

ففكر الإنسان يحاصره العدو من كل جانب، وتحقق به هجمات الشيطان من كل ناحية. وبالجهد يقدر للفكر أن يدافع، وبالكاد يستطيع أن يُقاوم في كل بقعة. فإن استهان بحب المال، ثلثت فيه الشهوات. وإن غلب الشهوات انبتق حب الظهور. وإن انتصر علي حب الظهور اشتعل فيه الغضب والكبرياء، وأغواه السكر بالخمير، ومزق الحسد وفاقه مع الآخرين، وأفسدت الغوة صداقاته.

هكذا تعاني الروح كل يوم من اضطهاداتٍ كثرةٍ كهذه ومن مخاطرٍ عظيمةٍ كهذه تضايق القلب ، ومع هذا لا زال القلب يبتهج ببقائه كثراً هنا

بين حروب الشيطان! مع أنه كان الأجدر بنا أن تنصب اشتياقاتنا ورجباتنا في الإسراع بالذهاب عند المسيح ، عن طريق الموت المعجل. إذ علمنا الرب نفسه قائلاً: "الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتوحدون والعالم يوح؛ أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلي فوح" (يو 16:20).

من ممّا لا وغب في أن يكون بلا حزن!؟

من ممّا لا يتوق إلى الإسراع لنوال الفوح!؟

لقد أعلن الرب نفسه أيضاً عن وقت تحويل حزننا إلي فوح بقوله: "ولكن سرّاًكم أيضاً فتوح قلوبكم ولا يزع أحد فوحكم منكم" (يو 16:20).

مادام فرحنا يكمن في رؤية المسيح... فأى عمى يُصيب فكرنا، و سخافة تتنابنا متى أحببنا أوزان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الإسراع نحو الفوح

[175]

الذي لا يتوق عنا!؟

❖ يا له من نفع نفقتيه بخروجنا من هذا العالم!

لقد حزن التلاميذ، عندما أعلن لهم المسيح أنه سينطلق، فقال لهم: "لو كنتم تحبونني لكنتم توحون لأنني قلت أمضي إلي الآب" (يو 14:28)،

معلماً إيانا أن نوح عندرحيل أحد أحبائنا من هذا العالم ولا نحزن، متذكورين حقاً قول الرسول الطوبولي بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت هوربح"

نحسب في الموت أعظم ربح، الأمر الذي لا نقدر أن نقتنيه بواسطة شباك هذا العالم أو نجتنيه بواسطة خطايا الجسد وراثته. فبالموت نترك الأتعاب المؤلمة ونتخلص من أنياب الشيطان السامة، لنذهب إلى دعوة المسيح لنا متهللين بالخلال الأبدى [176].

الشهيد كيريانوس

الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ وَلَيْسَ هُوَ،

وَيَحْفَرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُنُوزِ [21]

بقوله : "يحفرون عليه أكثر من الكنوز" يكشف عن استعدادة لبذل كل إمكانية للبحث عن الموت كمن يبحث عن أعظم كنز يقتنيه.

لم يفكر أيوب قط في الانتحار بالرغم من بحثه عن الموت بأية تكلفة، فإن حياته في يد إلهه، ليس له أن ينهيها بنفسه.

❖ أولئك الذين يطلبون الإماتة بكمال يبحثون عنه كمن ينقبون عن كنوز خفية، فكلما اقتربوا بالأكثر إلى هدفهم أظهروا غوة أعظم في العمل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن موت الأوار صار رقادًا، بل صار هو الحياة.

القديس باسيلوس الكبير

تطلع القديس غريغوريوس النزيوي إلى أخته الأكبر منه القديسة جورجونيا كنموذج حي للمسيحي، وقد تأثر بها جدًا إذ كان مغومًا بتقواها وورعها. وأوضح كيف استعدت للموت بلا خوف، بل اشتاقت إليه:

❖ موطن جورجونيا كان أورشليم العليا (عب 22:12، 23) ... التي يقطنها المسيح، ويشركه المجمع وكنيسة الأبرار المكتوبين في السماء...

❖ كل ما استطاعت أن تتوَّعه من رئيس هذا العالم أودعته في أماكن أمينة. لم تترك شيئًا وراءها سوى جسدها. لقد فرقت كل شيء من أجل الرجاء العلوي. الثروة الوحيدة التي تركتها لأبنائها هي الإقتداء بمثالها، وأن يتمتعوا بما استحقته.

❖ هنا أتكلم عن موتها وما تميزت به وقتئذٍ لأوفيتها حقًا... اشتاقت كثيرًا لوقت انحلالها، لأنها علمت بمن دعاها وفضلت أن تكون مع المسيح أكثر من أي شيء آخر على الأرض (في 1:23).

تأقت هذه القديسة إلى التحرر من قيود الجسد والهروب من وحل هذا العالم الذي نعيش فيه. والأمر الفائق بالأكثر أنها تنوقت جمال حبيبها المسيح إذ كانت دائمة التأمل فيه.

كانت تعلم مسبقًا ساعة رحيلها عن هذا العالم، الأمر الذي ضاعف من فحتها. ويبدو أن الله أعلمها به حتى تستعدولا تضطرب حينئذٍ.

قضت كل حياتها لتغتسل من الخطية وتسعى لإرواك الكمال. ونالت موهبة التجديد المستمر بالروح القدس وصلرت ثابتة فيه بحسب استحقاق

حياتها الأولى...

لم تغفل عن التذوق من أجل زوجها أيضًا حتى يُترك الكمال، وقد استجاب الله لطلبها إذ رادت أن يكون كل ما يمت لها بصلة في حالة

الكمال الذي يريده الله منا، فلا يكون شيء ناقصًا أمام المسيح من جهتها.

وإذ جاءت النهاية أدلت بوصيتها لزوجها وأولادها وأصدقائها كما هو المتوقع من مثل هذه القديسة المحبة للجميع.

كان يومها الأخير على الأرض يوم احتفال مهيبًا، ولا نقول أنها ماتت شعبانة من أيام بني البشر، فلم تكن هذهرغبته، إذ عوفت أنها أيام شوية

تلك التي بحسب الجسد وما هي سوى زاب وسواب. وبالأحرى كانت شعبانة من أيام الله... وهكذا تحررت، بل الأفضل أن نقول أنها أخذت إلى إلهها

أو هربت أو غيرت مسكنها أو أسلمت وديعتها عاجلاً.

في وقت نياحتها خيم صمت مهيب، وكأن مماتها كان بمثابة مراسم دينية.

رقد جسدها وكأنه في حالة شلل بعد أن فرقتة الروح، فصار بلا حراك.

لكن أباهم الروحي الذي كان يلاحظها جيداً أثناء هذا المنظر الرائع شعر بها تتمتع واستوق السمع، وإذ به يسمعها تتلو كلمات الموتل: "بسلامة اضطلع أيضاً وأنام" (مز 4:8). مبرك هو من يرقد وفي فمه هذه الكلمات.

هكذا تونمت أيتها الجميلة بين النساء، وصلت الترنيمة حقيقة. ودخلت إلى السلام العذب بعد الألم، ووقدت كما يحق للإنسانة المحبوبة لدى الله التي عاشت وتنيحت وسط كلمات الصلاح.

كم ثمين هو نصيبك! إنه يفوق ما تراه العين في وسط حشد من الملائكة والقوات السمائية، إنه مملوء بهاءً ونقوةً وكمالاً! يفوق كل هذا رؤيتها للثالوث القدوس، فلم يعد ذلك بعيداً عن الإبرك والحس اللذان كانا قبلاً محدودين تحت أسر الجسد. رجو أن تقبل روحك هذا المديح مني كما فعلت مع أخي قيصوريوس. فقد حرصت على النطق بالمديح لإخوتي.

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ الموت بالنسبة للذين يفهمونه خلود، أما بالنسبة للبلهاء الذين لا يفهمونه فهو موت.

يجب علينا ألا نخاف هذا الموت، بل نخاف هلاك النفس الذي هو عدم معرفة الله. هذا هو ما رعب النفس بحق!

❖ يستحيل علينا أن نهرب من الموت بأية وسيلة. وإذ يعرف العقلاء بحق هذا، يملسون الفضائل ويفكرون في حب الله، ويواجهون الموت بلا تنهدات أو خوف أو دوع، مفكرين في أن الموت أمرٌ محتّم من جهة، ومن جهة أخرى أنه يحررنا من الأمراض التي نخضع لها في هذه الحياة.

القديس أنطونيوس الكبير

المَسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهَجُوا الْفَرِحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَوًّا [22].

❖ هكذا كان بولس وى أولئك التلاميذ كأموات وكمن دُفِنوا في قبر التأمل، هؤلاء الذين قال لهم: " قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو 3:3). من يبحث عن الموت يبتهج عندما يجد القبر، لأن من وغب في الإمامة يتهلل بالأكثر عندما يجدراحة التأمل، فإنه إذ يموت عن العالم، يستتر ويخفي نفسه في حضن الحب الداخلي عن كل اضطرابات الأمور الخرجية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ،

وَقَدْ سَيَّحَ اللَّهُ حَوْلَهُ [23].

لم يكن له أمل في تحسين حاله؛ لم يرَ باباً للنجاة، ولا طريقاً يسلكه، إذ كان الله قد سيَّحَ حوله، فصار كمن في موضعه عاجزاً عن الحركة. وكما قيل في هوشع: "هأنذا أسيح طريقك بالشوك، وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها" (هو 2:6). وكما صوخ لميا: "سيَّحَ طريقي بحجلة منحوتة، قلب سبلي" (إرا 3:9).

❖ حتى الموت دخل كثرة للخطية، ومع هذا فإن سمو الله وحقوه وعنايته الفائقة حولت هذا لصالح جنسنا. أي ثقل يحمله الموت، أخوني؟ أليس هذا هو تحرر من المتاعب؟ أليس الموت تحرراً من الاهتمامات؟ أما تسمع أيوب يمدحه بالكلمات: الموت هو نجدة للإنسان، طريقة مخفية [177].

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ " قد خفي عليه طريقه "، بمعنى سوف لا يعرف متى أو بأية وسيلة يكون رحيله من هنا. فإن الله يخفي عنه هذه المعرفة. بمعنى أنه لا يسمح له بالمعرفة، حتى ينتظر البشر الموت كل أيامهم. وبهذا يستعدون. يخفي الله هذا لأجل نفعنا العظيم، لكي يهبنا الفرصة أن نتمم ما أمر به تلاميذه: "اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" (مت 24:42).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ أغواهي الإخوة الأحباء ... يؤمننا أن نأخذ في اعتبرنا أننا نتأمل إلى ما شاء الله لنا أن نترك العالم، فإننا نعيش الآن كضيوفاً وغوياً.

لينا نحب اليوم المعين لنا، الذي فيه نتحرر من فخاخ العالم، ونعود إلى الفردوس والملوكوت...

لأنه أي إنسان وُضع في بلدٍ غريبٍ أما يريد أن يسوع في العودة إلى بلده؟! ومن من الذين يسعون في العودة (بجواً) إلى أصدقائهم لا وغبون في ربح موافقة حتى يلتقوا سريعاً بأولئك الذين هم أعواء عليهم؟!
إننا نتطلع إلى الفردوس كبلدنا... والآباء (البطركة) كأباء لنا، فلماذا لا نسوع بل ونحري، لكي ننظر مدينتنا ونحبي آباءنا؟! فإن لنا أعواء كثوين جداً ينتظروننا. لذلك أية سعادة تغمونا وإياهم عندما نجتمع سوياً؟!

أي سرور في الملوكوت السموي حيث لا نعود زهب الموت؟! وأية سعادة لذيدة دائمة بحياة أبدية؟!

هناك توجد الشوكة المجيدة مع الوسل، هناك يوجد جوقة الأنبياء المتهللين، هناك جوع الشهداء غير المحصنين، المتوجين بالنصوة في صواعهم ضد الشهوات، هناك جوع البتوليين الفاترون الذين قهروا شهوات الجسد بعفتهم... هناك الرحماء مكالين، هؤلاء الذين صنعوا البرّ بإطعامهم الفقير ومساعدتهم له، وقد حفظوا وصايا الرب، وحوّلوا ممتلكاتهم الأرضية إلى كنوز سماوية.
إن لنسوع إلى هؤلاء الإخوة الأحباء بشوقٍ عظيم. لينا نود الوجود معهم ونسوع بالمجيء إلى المسيح.

لينظر الله إلى شوقنا العظيم، ولينطلع المسيح الرب إلى هدف ذهننا وإيماننا، هذا الذي يقدم الخزاء العظيم الذي لمجده للذين لهم رغبة عظيمة في

[178]

تكويمه .

الشهيد كبريانوس

لأنه مثل خُوي يأتي أيني،

ومثل المياه تنسكب زفرتي [24]

صار أنين أيوب الخبز اليومي الضروري، لا يعيش بدونه. أخوانه تتكرر بانتظام وكأنها وجبات طعام يفتات بها. صلت تهدياته أشبه بنهرٍ ممتلي يفيض بالأخوان بلا توقف.

❖ إن كانت كل الخليقة ستحل وهيئة هذا العالم تتغير، فلماذا نتعجب ونحن جزء من الخليقة أن نشعر بألمٍ عامٍ شديدٍ ونسلم لأخوان يسمح لنا بها إلهنا حسب قياس قوتنا، ولا يسمح لنا أن نُجرب فوق ما نستطيع، بل مع التجربة يعطينا المنفذ لنستطيع أن نحتملها؟ [179]

❖ يأمر الرب: "لكل شيء مقابيس وأوزان" (حكمة 11: 20)، ويجلب علينا تجلب لا تويد عن قوتنا في الاحتمال، إنما يجرب كل الذين يحربون في طريق الدين الحقيقي بالحزن، ولا يسمح لهم بالتجربة فوق ما يقرون أن يحتملوا. يعطي دموعاً للشرب بمقياس عظيم (مز 80: 5) لكل الذين ينبغي أن يظهروا أنهم وسط أخوانهم يحفظون شكرهم له [180].

[181]

❖ إنني مقتنع أنه إن وُجد صوت يحرك الله الصالح فإنه لن يجعل رحمته بعيدة، بل يعطي مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا [181].

القديس باسيليوس الكبير

لأنني رتعباً رتعبت فأتاني،

والذي وُعت منه جاء علي [25].

يبدو أنه كان في أيام رخائه يخشى أن تحل به الكوارث، لذا يقول: "رتعباً رتعبت فأتاني، والذي وُعت منه جاء علي" [25].

❖ مادمت أنا هنا، مادمت في هذا العالم، مادمت أحمل جسداً مائتاً، مادمت أنتهد بين علل العصيان، مادمت وأنا واقف أكون "في خوف لئلا أسقط"،

[182]

مادام صلاحي وشوري مهددة بعدم الاستوار، فإن حياة الإنسان كلها مَعاً باطلة.

القديس أغسطينوس

❖ لو حُصِر رجاء المسيحيين في حدود هذه الحياة لكان نصيبنا مؤلاً بحق، إذ يحصر في الجسد قبل الأوان (أو الأبدية)، أما إن كانت لهم محبة الله وتعول نفوسهم قيود الجسد، فإنهم يحسبون ذلك بداية الحياة الحقيقية، فلماذا تحزن كمن لا رجاء لهم؟ إذن فلتستوح ولا تسقط تحت متاعبك، وإنما لتظهر نفسك أسمى من المتاعب ومترفع فوقها [183].

❖ أيها الأحباء، هل التجربة صعبة؟ دعونا نحتمل المصاعب، لأنه ليس أحد يتجنب الرماح وواب المعركة يفوز بالإكليل. هل العدو يخدعكم، وحربه بلا فائدة؟...

❖ هذه التجارب متعبة، لأنها تخدم الرب. إنها ضعيفة، لأن الرب قد مزج شوهم بالضعف. لكن دعونا نحذر من صواخنا بصوت عالٍ بسبب ألم قليل. إننا بهذا نكون مدانين. إذ ترمون أنفسكم من المكافأة الأبدية التي تُعطى للأوار.

أنتم أبناء الذين اعترفوا بالمسيح. أنتم أبناء الشهداء. لقد قلوبوا حتى الدم ضد الخطية. لذلك اجعلوا أمثلة من هؤلاء قوية وغزوة لديكم لتصبحوا شجعان لأجل مسيحتكم.

ليس فينا من يُقطع جسده من الجلد... لم يعان أحد منا من مصاورة مسكنه... لم نُسَق إلي المنفى، لم نسجن... إذن ما حجم المعاناة التي تكبدناها... حقيقة ربما نعتبر مصدر ألمنا هو أننا لم نعان شيئاً. وأننا غير مستحقين لآلام المسيح [184].

القديس باسيليوس الكبير

لَمْ أَطْمئنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَوْحِ،
وَقَدْ جَاءَ الْغَضَبُ [26].

رجع بذكواته إلى ما قبل التجربة لوى أنه لم يكن مطمئناً، إذ كان يخشى أن تحل به كلثة، لكن هذا لم يدفعه إلى الاستكانة ولا إلى الخمول، بل كان يعمل ساهواً في جدية.

❖ الإنسان غير الحذر الذي يتمتع بالرخاء، ويسود على أعدائه، ويُمتدح ويُعجب منهم، يحتاج إلى من يشفق عليه أكثر من أي إنسان آخر. في الحقيقة إذ لا يتوقع أي تغير لا يقدر أن يواجه حتى مشكلات الرخاء بلياقة. فعندما تحل به أوقات صعبة يرتبك ويحبط بسبب عدم حزمه ولأنه غير عملي. أما أيوب فعلي العكس لم يكن هكذا، بل حتى في رخائه كان يتوقع كل يوم الأوقات الصعبة... يقول آخر: "في وقت الشبع أذكر وقت الجوع، وفي أيام الغنى أذكر الفقر والعوز". (سواخ 18: 25). [185]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما حزن عليه أيوب ليس الأمور التي تخيلها أصحابه، إنما كانت نفسه في رعبٍ آخر، من عدم معرفة إن كان العدو يسلبه غناه الداخلي، إن كان قد استطاع أن ينهب منه الأمور الصالحة، التجريد الذي يُحسب كلثة عظيمة. من أجل هذا شهد أيوب علانية: "لم اطمئن ولم أسكن، ولم أستوح، وقد جاء الزجر عليّ" [26]. إنه لم يعرف السلام، إذ كان مضطرباً بسبب ولاده. "لم يكن في هوء (سكون)" إذ قدم كل يوم ذبائح عنهم (أي 1: 5). لقد حل الزجر (السخط) عليه، إذ فقد أبناءه في وقت واحد وثروته وصحته الجسدية. فإنه حتى عندما يكون البار بلا جذاً، إن كان يُسر الله في كل الأمور، يستحيل عليه أن يعيش دون أن يتعرف على التجارب في هذا العالم (يع 1: 2). لا يقدر أن يوجد دون أن يعرف حزن هذا العالم، وذلك كما قال الرب لوسله (يو 6: 16-22). يقول بولس نفسه: "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون" (2 تي 3: 12).. وقال المسيح من جانبه: "تقوا، أنا قد غلبت العالم" (يو 16: 33). مرة أخرى قال: "من يصبر إلى المنتهى يحيا" (راجع مت 10: 22، 24: 23)، بقوة الآب والابن والروح القدس.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

لم تعد شهوة الموت صاورة عن الهروب من الضيق والتجرب. فالمسيحي الحقيقي كعضوٍ حيّ مرتبطٍ بالرأس يسوع المسيح، يقبل سمات المسيح المصلوب الذي قبل الموت برادته، فيعشق الألم ويبحث عنه ويشتهي حتى الموت، لا لأجل الألم في ذاته، ولا هروباً من العالم، بل لأنه علامة شركة الحب الحقيقي والوحدة بين العريس المتألم المصلوب وعروسه. هكذا انطلق الصليب بالألم كما بالموت بالنسبة للمؤمن الحقيقي من كونه علامة الخطية ودلالة حجب الإنسان وحرمانه من الله مصدر السعادة ليصير علامة حب وشركة. فيقول الرسول بولس: "حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع" (2كو4:10). ويؤكد أنها آلام المسيح: "لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (2 كو 1:5).

❖ إذ بسط يديه على الصليب طرح رئيس سلطان الهواء الذي يعمل في أبناء المعصية (أف 2:2)، مهيباً لنا طريق السموات.
❖ حين رُفِع جسده إلى العلأ ظهرت الأمور التي في السماء [186].

❖ بعد قيامة مخلصنا الجسدية، لم يعد يوجد سبب للخوف من الموت. الذين يؤمنون بالمسيح يطأون على الموت كأنه لا شيء، مفضلين أن يموتوا بالحوي عن أن ينكروا الإيمان بالمسيح. فإنهم مقتنعون أن الموت لا يعني دماً بل حياة، خلال القيامة يصيرون غير قابلين للدمار...

الدليل الواضح على هذا هو أنه قبل الإيمان بالمسيح كان الناس يتطلعون إلى الموت كموضوعٍ مرعبٍ، كشيءٍ يجعلهم جنباء. وما أن قبلوا الإيمان وتعليم المسيح، حتى صاروا على العكس يحسبون الموت أمراً صغيراً يوسون عليه، ويجعلهم شهوداً للقيامة التي حققها المخلص ضد الموت [187].

البابا أنثاسيوس الرسولي

❖ بعد أن جاء المسيح ومات لأجل حياة العالم لم يعد يُدعى الموت موتاً بل نوماً ونيحاً [188].
❖ أما تعرف كيف أصلح الصليب أخطاء كثرة؟ ألم يحطم الموت، ويمسح الخطية، وينهي قوة الشيطان، ويُشبع كيان جسدنا الصالح؟ ألم يصلح العالم كله، ومع هذا لا تثق أنت فيه؟ [189]

❖ 2:105 من يخبر عن أعمال الرب القدوة؟ (مز) من الموت صرنا خالدين، هل فهمتم النصوة والطريق التي بلغت؟ تعلموا كيف أقتنيت هذه الغلبة بدون تعب وعرق. لم تتلطح أسلحتنا بالدماء ولا وقفنا في خط المعركة، ولا جُرحنا، ولا رأينا المعركة لكننا اقتنينا المعركة. الجهاد هو مسيحننا، وإكليل النصوة هو لنا.

ما دامت النصوة هي لنا، إذن يليق بنا كجنودٍ أن نوتل اليوم بأصوات موحية بتسابيح الغلبة. لنسبح سيدنا قائلين: "قد أبتلع الموت إلى غلبة. أين غلبتك يا موت أين شوكتك يا هاربة؟" (1كو 15:55-54) [190].

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أيوب 3

لأمت، فأحيا معك!

❖ رُى في كل مولودٍ حديثٍ صورة حية لميلادي،
يُولد ليصوخ مع دخوله العالم،
وكأنه قد خرج إلى وادي الدوع!
مَنْ من البشرية لا يحمل نوّاً؟
أيوب البار سبّ يوم ميلاده،

ولرميا صوخ: "ويل لي يا أمي لأنك ولدتي".
والمرتل يثن قائلاً: "إلى أي باطل خلقت بني البشر؟"
إن كانت هذه صوخت رجال الله الأتقياء،
فماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟

❖ طُودنا من الفردوس المبهج،
وصونا كمن في ظلمة ليلٍ لا تروى.
انقطع رجائنا في أن يشوق علينا نور النهار.
صلت أيامنا مملوءة بالأنين.
كثروا ما نصوخ مع البار أيوب:
لماذا لم نمت، ونحن بعد في الرحم؟
لماذا لم نسلم الروح حالما وُلدنا؟

❖ شكوا لك يا شمس البرّ العجيب!
أشوقت على الجالسين في الظلمة.
بل وتولت إلى أرضنا وشركتنا آلامنا.
الآن فيما أنت هو مُجرب تعين المحربين!
لأحمل الصليب مادمت قد حملته!
لأقبل العار، وأطرد خراج المحلة،
فأجدك هناك مصلوبًا بين لصين،
محصيًّا بين الأئمة،
وأنت القنوس وحدك!
تأذي لي الآلام مادمت أنت معي،
ويتحول لي القبر سماءً، مادمت سكنته!

❖ لأمت، فأحيا معك.
الآن فيك تستويح نفسي!
أنت سعادتي وبهجة قلبي.
أنت فوحي وسلامي وكوتي!
أنت هو الكل لي.

حوار شعوي بين أيوب وأصدقائه

أيوب 4-31

محور أحاديث الأصدقاء الثلاثة

إذ عبّر أيوب عن مودة نفسه حتى بدا كمن فقد رجاءه وسقط في اليأس، وجد أصدقائه الثلاثة فرصتهم للإفصاح عما في قلوبهم، وهو الشعور بأنه رجل هوائي . لعلمهم ناقشوا الأمر فيما بينهم ووصلوا إلى هذه النتيجة، لكنهم أمام هول التجربة لم ينطقوا، حتى بدأ هو بالتعبير عما في داخله. ظهر الأصدقاء الشيوخ كخصوم، وتحول أيوب إلى مُتهم، وكان أليهو مستمعاً وصار وسيطاً فيما بعد. وأخيراً تدخل الله ليقيم لكل أمرهم. حُطب أصحاب أيوب الثلاثة الأولى مغاها إن كل بلية هي ثمرة الخطيئة ، وأن البعد بين الله والإنسان غير محدود، وأن أيوب خاطئ، ويمكنه عند التوبة الحصول على الرجاء بأنه يعود فيفوز بالرضا الإلهي. يجب أيوب على هذا كله بالتفصيل ويرد على كل المتكلمين. تمسك أصحابه بأن الكورث قصاص عادل على جرم أيوب الخفي، وقد قدم أصدقاء أيوب واهين:

وَأولاً: مصير الأثوار الكورث المتوالية.

ثانياً: الأوار سعادة.

ثالثاً: ما من أحدٍ طاهرٍ أمام الله.

وكل هذا مبني على مبدئين: الله يجزي الإنسان حتى في هذا العالم قبل مجيئه في ملكوته الأبدى، وأن الله في عدلٍ يوزي بين الأعمال

والمجلاة.

حين تمنى أيوب الموت ليستريح من عذابه وآلامه بكونه مهروباً من الحياة، إذا بأصدقاء أيوب يتكلمون عن الله، أما هو فيكلم الله، وهذا يجعله أكثرهم صدقاً في السفر.

<<

الأصحاح الرابع

الحديث الأول لأليفاز التيماني

خوة دينية بلا روح!

حديث أليفاز الأول

كل صديقٍ منهم كان له إيمان حقيقي بالله، الذي يؤم أن نمجده بالسلوك في البر. كل منهم عبّر عن إيمانه من زاوية مختلفة، وربما أليفاز كان أكثرهم خوة وعمقاً، وإن كان قد شعر بالعجز عن تفسير أعمال الله خلال العقل والتفكير المجرد. يليق بالإنسان أن يبرك أنه أصغر من أن يفسر خطة الله ومعاملاته، ولا يبرك أسوار الله، إلا أنه يجب تقديم ذبائح له من أجل غوان الخطايا [١: ٥].

كان أليفاز يعتز بخوته الشخصية مع الرؤى والأحلام لمعرفة صوت الله. الآن وقد صار بين أيدينا الكتاب المقدس، لسنا محتاجين إلى الرؤى والأحلام.

أبرز أليفاز جلال الله وقداسته وأيضاً ضعف الإنسان وفشله إن سلك أو فكّر خوج دائرة معونة الله. الكتاب المقدس هو سجل المصالحة بين الله والإنسان، مع عجز الإنسان عن تحقيق ذلك بذاته. إنه يعجز عن التمتع بالخلاص بقوته البشرية كما لا يتمتع بالحكمة والحياة من ذاته، مثله مثل الملائكة.

بدأ أليفاز الحديث (ص 4-5)، والتوجع أنه كان أكثرهم سناً، وأفضلهم أخلاقاً. افتتح أليفاز المناقشة بكلام بليغ وأسلوب شعوي جميل، وتحدث بمنتهى الأدب والاحتشام عن نفسه وعن مسعاه.

ويمكن أن يقسم حديثه إلى أربعة أقسام:

1- يتعجب من أيوب مؤي الآخرين كيف يقع في يأس مثل هذا. فبحسب خوته الشخصية عبر كل حياته كشيخٍ مختبرٍ ليس من بارٍ قد هلك". وأهم ما قاله هنا هو: تواق هي معتمدك ورجاؤك كمال طوقك.

2- رؤيا أليفاز ص 4:8 - 7:5. وفيها الود على انتقادات أيوب. يتكلم هنا عن قداسة الله وحماسة الناس والملائكة، وهو يحاول أن يوقظ في أيوب الشعور بنقطة الله السامية وضعف جميع خلائقه الذي لم يكن أيوب سوى واحد منهم، فهم عضة للخطأ (ص 4:17-19)، فلماذا يتذمر أيوب على الله؟ فإن كان ولاده هلكوا وسُلبت أملاكه، فهذا نتيجة خطيئته، لأن الذين يزرعون شراً فيأيه يحصون (ص 4:8)، ثم يحاول أن يغوي أيوب بفكرة أن التعب يعم الناس أجمع، فكيف ينتظر أن يُعفى منه، كان يجب أن يحتمله بخضوعٍ وصبرٍ.

3 - يخوه ماذا كان يفعل أليفاز لو كان في موضع أيوب (ص 5:8)، مع حث أيوب على رفع دعواه إلى الله. وكان كلامه مملوءً من التبصر والعطف، وفيه يمدح صفات أيوب السامية ص 4:3-5. ولكن المبدأ المبني عليه كان ضعيفاً. فآثار في أيوب روح المقاومة (ص 6-7). يذكر هنا ما

كان يفعله لو كان في مكان أيوب، ويصوح بأنه كان يسلم أمره إلى الله العظيم القوة، والعجيب في كل طوقه، الذي يرفع المتواضعين، ويأتي بالخوف إلى الأمان، وينجي الفقير والبائس.

4 . لماذا يتذمر أيوب على تأديبات الرب له مع أن تأديباته هي بركة لمن يحتملها؟ لأن التقدير يروح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان.

أقسامه:

- 1 . استئذانه أيوب للكلام 1-2 .
- 2 . مدحه أيوب 3-4 .
- 3 . توبيخه على عدم ثباته 5-6 .
- 4 . مبدأ لاهوتي عام 7-11 .
- 5 . تعزيز رأيه برويا 12 : 21 .

1 . استئذانه أيوب للكلام

فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التِّيمَانِيُّ: [1]

تكشف هذه المقدمة أن الأصدقاء الثلاثة قد تحولوا معاً واتفقوا على مواجهة أيوب بأسلوبٍ جادٍ، إذ حسوه أنه قد خدعهم وخدع الشعب بما أظوه من تقوى وعبادة وعتاء للغير. وأن ظاهره يخفي شريراً خفية لا يعملها أحد سوى الله.

يقول الأب هيسخيوس الأورشليمي بأن أليفاز تحدث في غير محلٍ مع أيوب بروحٍ غير لائقة، فكان كمن يود أن يطيح بهذا الراج الثابت القوي والراسخ. وقد لاحظ أن أيوب فتح فاه (3 : 1)، أما أليفاز فأجاب (4 : 1). الأول تحدث في واء، فتح فاه لينطق بكلمات لكي يجد في أصدقائه تعزية لما حلَّ به، أما أليفاز فأجاب كمن حمل هو وأصدقائه في داخلهم صواعاً مرواً، مشتبهين أن يحطموه. جاءت كلمات أليفاز إجابة على تساؤلات في نفسه وثرة في داخله!

إِنْ ائْتَحَنَ أَحَدٌ كَلِمَةً مَعَكَ فَهَلْ تَسْتَأْ؟

وَلَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ الإِمْتِنَاعَ عَنِ الْكَلَامِ! [2]

يبدو أن الأصدقاء بالرغم من صمتهم كانوا يحملون في داخلهم كبتاً لغليان في قلوبهم. يتطلعون إلى أيوب في المذبذبة لا بعيني الشفقة، بل بضيقٍ شديدٍ أنه خدعهم وخدع كل من هم حوله، لكن لم يكن ممكناً للخداع أن يدوم، إذ فضحه الله على شروره وخداعه.

إذ فتح أيوب فمه وتذمر، حسوا أنه قد تجاوز الحدَّ جدًّا، ولن يستطيعوا بعد الصمت. إنهم احتملوه طوال الأسوع حين كان صامتاً، واحتملوا خداعه. الآن بعد أن تدمر وسبَّ يوم ميلاده يحسبون أنفسهم رجال الله المدافعين عن عدل الله ورؤه!

حسوا تدمر أيوب وتساؤلاته فيها إهانة لعدل الله، لذا وجب عليهم أن يجيبوا على تساؤلاته في حزم.

يبدأ حديثه بقوله: إن فحص أحد الأمر وتحدث معك بكلمة صريحة، فهل تستاء؟ ولكن حتى إن استأنت فإننا لا نستطيع الصمت. يبدو كمن في أدبٍ واحتشامٍ يستأذن أن يتكلم الكل معه. وفي صراحة يحدثه بأنهم مع شعورهم بالآلامه غير أنهم لا يستطيعون أن يداهونه أو يتملقوه. ربما أراد أليفاز أن يطلب من أيوب ألا يسيء فهمهم، فيظن أنهم يقسون عليه، أو أنهم لا يبالون بما يعانیه، فهم لا يريدون أن يضيفوا على أحواله أحوالاً، بل أن يجنوا الباب السليم لعلاج الموقف.

❖ أليفاز بالكلمات التي ينطق بها يضرب كما ببوق ليعلم الحرب ضد أيوب.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ ليس كل أحدٍ قاورًا على معرفة كيف يخدم من هم في مثل هذه المحن. كثيرون غالبًا ما يضيفون آلامًا إلى الألم، البعض بخسةٍ، وآخرون بغبولةٍ. من الواضح أن هؤلاء الذين تعهوا بتقديم كلماتٍ تعزية كانوا بلا خوة في هذا الأمر، وذلك كالأطباء الذين يؤيئون الجراحات. لذلك استحقوا بالحق أن يُدعوا من أيوب أطباءً أشورًا (راجع أي 13:4)، هؤلاء الذين ألهموا الحرح عن حقدٍ فيهم. إنه نوع من الخسةٍ أن يظهروا حقدًا بثورةٍ عنيفةٍ، وأن يحسبوا إنسانًا كان منطرحًا على الأرض، ويلقون به في مصاعبٍ لا حصر لها، ذلك الذي كان مستحقًا أن يكون موضع توفيقٍ. لاحظوا كيف كانت كلماتهم ليست فقط خالية من التعزية، بل وسببت إحباطًا خطوًا. أثروا مناقشاتٍ طويلة باتهاماتٍ متجددة. لهذا قيل: "لا تضيف متاعب أكثر لقلبٍ متضايقٍ" (ابن سواخ 3:4).

القديس يوحنا الذهبي الفم

جاءت الترجمة السبعينية: "هل تتكلم كثوًا في أسى؟" رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الأسى هنا يقصد بها "الخطية"، وكأنه يقول له: "تحت لسانك مشقة وألم". (راجع مز 10: 7)

❖ لم يقل أليفاز: هل ترتكب أعمالاً شوية؟ وإنما قال: "هل تتكلم؟" لأن شهوة حياته كانت مشوقة في طول الأرض وعوضها، ففي كل موضع توجد شهادات عن فضيلته. لم يقل له: لا تقل إن أعمالك صالحة، لأن الخطية أحيانًا تتبع من الكلمات.

❖ "من يحتمل عنف كلماتك" (الترجمة السبعينية)... ماذا قال أيوب؟ لقد ورجى الموت والخلص من الحياة الحاضرة. هل قال: "لقد لحقت بي شرور كثوة هكذا بالرغم من وي وفضائلي العظيمة؟" لا، بل قال هكذا: أتوق أن أخنقي مع الأشوار، مع خدامي، مع السقط، لأنال ذات ما ناله الأشوار. لم يقل: أنا الذي لي مثل هذه السمات وهذه الأهمية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. مدحه أيوب

بدأ أليفاز بمدحه لأيوب من جهة تعليمه وارشاده وعطائه للكثوين، وكان لابد أن يبدأ هكذا، لأن حياته العملية تشهد بذلك. فمن جهة أراد أن يبرز أنه إنسان عادل لا يغالط الواقع، ومن جانب آخر أراد أن يستخدم هذا المديح للهجوم على أيوب كرجلٍ باطلٍ. على أي الأحوال كلمات أليفاز كشفت لنا عن شخصية أيوب كقائدٍ حي يحمل روح الأوبة من جهة اهتمامه بلرشاده للكثوين، وسخائه في العطاء.

هَأَنْتَ قَدْ زُشِدْتَ كَثِيرِينَ،
وَشَدَّدْتَ أَيَادِي مُوتَحِيَّةً [3].

يمتدحه كمعلمٍ وموَشِدٍ عملي، فقد علم الكثوين وشَدَّدَ الأيادي المونخية لكي تعمل وتخدم. لكنه كمن يقول له: إن كنت قد شددت الآخرين بغناك، فلماذا لا تقدر أن تشدد نفسك؟

❖ لتأمل العلو الشاهق الذي بلغه الرجل، بلرشاده الجهلاء، ومساندته للضعفاء، وتشديده للمواخين، وذلك وسط اهتمامات بيته، والتزاماته المتعددة، وقلقه نحو ولاده، ومتابعة أعمال كثوة، فقد كرس نفسه أن يضع الآخرين على الطريق المستقيم. لكن كل الهواطقة والأشوار إذ يسجلون سمو الصالحين يحولون هذا سمو إلى اتهامات.. هكذا يبحث (أليفاز) عن فوصة ليسب الطوبوي أيوب من نفس الواوبة التي يروي فيها عن أمور ممنوحة عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

شكواً لأليفاز الذي - وإن كان عن علة وليس عن حب - قدم لنا جانباً رائعاً من جوانب شخصية أيوب. فإنه كملكٍ أو حاكمٍ أو رئيس قبيلةٍ لم يكن بالرجل المحب للسلطة يأمر وينهي، لكنه في أوبةٍ يروشد وينصح ويشدد الأيادي المتخية.

فإنه يوجد مشدون كثيرون لكنهم لا يسندون الضعفاء، ولا يحملون روح الأوبة. يقول القديس بولس: "لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (1 كو 15:4). المرشد الروحي الحقيقي يحمل روح الحق، الروح القدس، روح الحب، الذي يقول عنه السيد المسيح: "متى جاء ذلك روح الحق، فهو يروشدكم إلى جميع الحق" (يو 16:13). من يحمل روح الحق يقدم مع الإرشاد عوناً عملياً، مشدداً الأيادي المتخية، وكما يقول الرسول: "شجعوا صغار النفوس، أسننوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (1 تس 5:14).

رى القديس أغسطينوس أن هذا هو أسلوب من يقدم الدواء لمواطني مدينة الله أثناء رحلتهم على الأرض، لكي يعمل الروح القدس، واهباً الشفاء للنفوس المريضة حتى تتمتع بالبلوغ إلى الوطن السموي [191].

❖ إن كنا نبغض الأثوار والعصاة، فإننا بالتالي نكوه الخطة. هكذا، فإنه بالتبعية تجد أنك قد قطعت نفسك من أغلب اخوتك، بالحقيقة تقطعها من الجميع، فإنه لا يوجد أحد بلا خطية.

إن كان يؤمننا أن نكوه أعداء الله أشد من الوحوش المفترسة، فإننا نأنف من الكل وننتفخ بالكوياء مثل الفويسي.

يأمرنا بولس بغير هذا: "أنزروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، أسننوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (1 تس 5: 14) [192].

❖ وإن كان لكم ربوات من المرشدين... لكن ليس آباء كثيرون" (1 كو 15:4)... لا يطلب بولس هنا أية كرامة، بل بالحوي يظهر عمق حبه. فالكرامة خاصة بالمرشد، والحب علامة الأب [193].

القديس يوحنا ذهبي الفم

قَدْ أَقَامَ كَلَامَكَ الْعَائِرُ،

وَتَبَّتْ الرُّكْبُ الْمُتَعَشَّةُ [4].

كم شدد أيوب الأيادي المتخية للعمل اللائق، أمسك بأيدي المتعثرين ورفعهم من التواب، وشدّ دركهم لتحملهم على السير في طريق الحياة بقوة الله. هكذا مدحه أليفاز حتى متى وبخه لا يظن أيوب أنه متحامل عليه، أو متجاهل ماضيه بكل حسناته. لقد غوى أيوب الكثوبين، فيستحق أن يجد من يغويه.

رى بعض المفسرين أن أليفاز أورد هذا لتوبيخ أيوب، وكأنه يقول له:

[أنت الذي لشدت الكثوبين، لماذا لا توشد نفسك؟

وشددت أيادي متواخية، فلماذا لم تجدراحة لضعفك؟

وإن كنت قد اعنت العائرين بالكلام، فلماذا أنت منطوح على الأرض بجسدك كما بنفسك؟

إن كنت قد تبّت الركب المتعشّة، فلماذا لم تشجع نفسك، بل أنت منهار أمام الأرواح التي حلت بك، سالكاً كما لو كنت مفوجاً؟

أليس هذا دليلاً على ريانك، لأنك تقدم النواء لغويك وتوفض أنت أن تقبله للشفاء من مرضك؟ الذي تعلم غويك ألا ينهلوا هل أنت تتهار؟ أيها

الطبيب أشف نفسك" (لو 4: 22).

أنظر فإن حديثك السابق ربما كان باطلاً، أما الخير الذي فعلته ففيه غبوة!!

❖ إن إهمالنا لاختوتنا ليس بالخطأ الهين، إنما يجلب علينا عقوبة عظيمة وتأديباً بغير رحمة...

مدلومة النصيحة والتعليم تجعل الإنسان مجتهداً، وتصوه إلى حال أفضل، وفي هذا اقتبس المثل العام الذي يؤكد هذه الحقيقة وهو أن "قطرات

الماء المتواترة تشقق الصخر".

أي شيء ألبين من الماء؟! وأي شيء أصلب من الصخر؟! ومع هذا موالاة العمل باستتوار يغلب الطبيعة. فإن كان هذا بالنسبة للطبيعة، أليس بالأولى تغلب الطبيعة البشرية؟!...

يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة يشبه الميت الذي بلا حراك!!

تقولون: وماذا يخلصنا نحن في هذا؟

إن لديكم إمكانية عظمي بخصوص إخوانكم. فإنكم مسئولون إن كنتم لا تتصونهم، وتصنون عنهم الشر، وتجذبونهم إلى هنا بقوة، وتسحبونهم من تراخيهم الشديد. لأنه هل يليق بالإنسان أن يكون نافعاً لنفسه وحده، ولا يكون نافعاً لنفسه ولكثيرين أيضاً؟
لقد أوضح السيد المسيح ذلك عندما دعانا "ملحاً" (مت 5: 13)، و "خموة" (مت 13: 33)، و "توراً" (مت 5: 14)، لأن هذه الأشياء مفيدة للغير ونافعة لهم.

فالمصباح لا يضيء لذاته بل للجالسين في الظلمة. وأنت مصباح، لا لتمتع بالنور وحدك، إنما لتؤد إنساناً ضل، لأنه أي نفع لمسيحي لا يفيد غيره؟! ولا يرد أحداً إلى الفضيلة؟!!

مرة أخرى، الملح لا يخلص نفسه بل يصلح الطعام لئلا يفسد ويهلك... هكذا جعلك الله ملحاً روحياً، لتربط الأعضاء الفاسدة أي الأخوة المتكاسلين المتواخين، وتشددهم وتقتدهم من الكسل كما من الفساد، وتربطهم مع بقية جسد الكنيسة.

وهذا هو السبب الذي لأجله دعانا الرب "خموة"، لأن الخموة أيضاً لا تخمر ذاتها، لكن بالرغم من صوغها فإنها تخمر العجين كله مهما بلغ حجمه. هكذا افعلوا أنتم أيضاً. فإنكم وإن كنتم قليلين من جهة العدد، لكن كونوا كثيرين وأقرباء في الإيمان والغوة نحو الله. وكما أن الخموة ليست ضعيفة بالنسبة لصوغها، إذ لها قوة وإمكانية من جهة طبيعتها... هكذا يمكنكم إن أردتم أن تجتذبوا أعداداً أكثر منكم ويكون لهم نفس المستوى من جهة الغوة...

من أجل هذا لا تجتمعوا هنا باطلاً. بل لا أكف عن أن أتوسل إليكم بكل غوة كما كنت أفعل من قبل قائلاً: "تعالوا بإخوانكم إلى هنا. أرشوا إلى هنا. أرشوا الضالين. علموهم بالعمل لا بالكلام فقط"...

ليت إله السلام والمحبة، الذي يزع عن أرواحنا كل حنقٍ وهرلةٍ وغضبٍ، ينتزل ويهبنا - بلرباطنا مع بعضنا البعض في وحدة تامة كما تربط الأعضاء مع بعضها البعض (أف 4: 16) - أن نقدم له باتفاقٍ واحدٍ وفيم واحدٍ وروحٍ واحدٍ تسبيح شكونا الواجبة له [194].

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن تجاهلنا نية أليفاز فإننا نجد شهادة حية لرجل تقي لا ينتسب لإسحق بن إواهيم، ملك وليس كاهناً لشعبٍ ما، ومع هذا فقد وضع في قلبه النقي مساندة المتعثرين وتشديد الوركب الموتعة. إنه سيدين الكثيرين من خدام الله وكهنته في العهد القديم كما في العهد الجديد. فليس من عملٍ رعيٍّ أعظم من الانحناء نحو الساقطين رُضاً لنمسك بأيديهم ونقوم معهم. فإن كان الكلمة الإلهي قد تجسد وتول إلى أرضنا في تواضع، وحملنا فيه إلى السماء، هكذا يليق بكل خادمٍ، بل وبكل مؤمنٍ أن يسند ويعين حتى يتمتع الكل بالشركة مع الله.

لقد قدم لنا أليفاز بوضه لسمات أيوب منهجاً حياً للرعاية بل وللحياة الإيمانية، وكيف يهتم كل مؤمن بحياة أخيه خلال الحب، دون تجاهل لاهتمامه بخلص نفسه وخلص أهل بيته.

3. توبيخه على عدم ثباته

والآن إذ جاء عليك ضجرت!

إذ مسك لتتعت! [5]

يويخ أليفاز أيوب قائلاً له إنه إذ جاء بوره ليشوب كأس الضيق خَرّ وضجر ورتعب. هنا يبدأ الهجوم لئتهمه بالرياء. كأنه يقول له: حين كنت في رخاء كنت تجيد التعليم، لكن إذ سقطت فيما يسقط فيه غيرك انفضح ضعفك، ونقد صورك.

❖ يحرب أصحاب الأذهان المولعة بالجدال حياة الأوار بطريقتين. إ ما بتأكيد أن ما ينطقون به خطأ، أو أنهم ينطقون بالحق الذي لا يلاحظونه في سلوكهم. هكذا وبخ الطوبوي أيوب من أصحابه على طريقة حديثه. يشجعونه لأنه ينطق بأمر صادقة، لكنه لا يحفظها هو... لاحظوا كيف امتدوه أولاً على لسانه، ثم اشتكوا من ضعف حياته. فإن الأثوار لكي لا يُظهروا أنفسهم أنهم أشوار يقولون أحياناً أموراً صالحة عن الأوار، إذ يعلمون أن الغير يعرفون عنهم هذا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بيرر القديس يوحنا ذهبي الفم ضيق أيوب وتصرفاته، إذ هي رد فعل طبيعي لكثرة الكوارث وشدتها وسوعة حوثها فجأة، هذا بجانب تصورات أصدقائه واتهاماتهم له بطريقة مثوة.

❖ لا يمكننا ان نتجاهل أنه يليق بالقائد وهو في مركز القائد والموشد والأب ألا يضطوب سويماً أمام المحن، ليكون سر قوة وتغوية لغوه. ليس هناك من يلحق الأذى بالكنيسة أكثر من أولئك الذين لهم صورة القداسة ولقبها ولكنهم يتصرفون تصرفاً فاسداً. ومن الخطأ الفادح أن نعهد بمكانة الرعاية إلى شخصٍ مقصرٍ حيث أن الرعاية هي القوة. إساءة اختيار الوعي ينتج عنه عواقب وخيمة، إذ أنه وهو في الخطية، يأخذ كرامة من أجل هذه المكانة التي أخذها . فليبوب كل إنسان غير مستحق من ثقل هذا الإثم العظيم وليتأمل مصغياً بأذني قلبه لهذا الصوت القائل: "ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخير له أن يُعلق في عنقه حجر الوحي، ويغرق في لجة البحر." (مت 18: 6، لو 17: 2). هنا يرمز حجر الوحي إلى وامة الحياة، وتشير لجة البحر إلى الهلاك الأبدي. إنه من الأفضل كثراً أن يهلك إنسان علماني بمفوده لبس ثوب القداسة صورياً من أن يخلع هذا الإنسان على نفسه ثوب الرعاية ويهلك الآخرين بقوته الشووة. وإني على يقين من أن عقاب الجحيم سيكون أخف وطأة لو سقط هذا الإنسان فيه بمفوده نون أن يكون سبباً في سقوط آخرين معه [195].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بالوغم من أنه قد يحفظ الإنسان نفسه نقيّة من الخطية. ولو في درجات سامية، لكنني أعرف أن من كان هذا حاله لا يقدر أن يقود الآخرين إلى الفضيلة. فمن تسلّم رعاية شعب لا يكفيه التحرر من الخطية... بل يؤمه أن يرتفع في صنع الخير كقول الوصيّة "حد عن الشر وافعل الخير" (مز 37: 27).

فينبغي عليه، لا أن تُمسح آثار الذيلة من روحه فقط، بل وتكون مزودة بالفضائل، حتى يفوقهم بالحري في الفضيلة أكثر من سموه عليهم من جهة الكرامة.

يؤمه ألا يعرف حدوداً لصنع الخير أو النمو الروحي، ولا يظنه ربحاً عظيماً مجرد توقعه على العاديين. يجب ألا يقيس نفسه بالآخرين، أشولاً كانوا أو إلى حد ما متقدمين روحياً، بل يقيس نفسه على ضوء الوصايا. فلا يقيس الفضيلة في موزان صغير، طالما هي تابعة من الله الأعظم إذ "منه وبه وله كل الأشياء" (رو 11: 36).

القديس غريغوريوس النريوي

أَلَيْسَتْ تَفَوَّكَ هِيَ مُعْتَمَدُكَ،

وَرَجَاؤُكَ كَمَا لَطُوقُكَ؟ [6]

هنا يوبخه على ما أظهره من تقوى أثناء رخائه، فأين هذه التقوى؟ وأين رجائك واستقامة طريقك؟ أليست هذه كلها ادعاءات باطلة لا جنور لها

في أعماقك؟

لقد تم أليفاز عمل الشيطان وخدم مصالحه، إذ أراد أن يثير أيوب على التجديف على الله، باتهامه بالرياء، وأن تقواه ورجاءه واستقامته هذه كلها كانت مظاهر باظلة.

❖ " أليست تقواك قامت على الغلوة، وأيضاً رجاؤك وكمال طريقك؟" (LXX) بهذا يطلب أن يشوه أعماله الفاضلة السابقة... إنه يطعن في نية أيوب وهو يعمل. إنه يعني إما أنك لم تعمل أو أن حياتك مملوءة خداعاً، أو أنك لم تتق الله بنية مستقيمة، بل كان كله كلاماً مجرداً. رجاؤك بلا تعقل، إنه مملوء غلوة... لو إن أعمالك صادقة، وحياتك نقية، ما كنت تخشى هذه الشرور...

ها أنتم ترون كيف يهاجمه أليفاز، يصلعه، ويبذل كل الجهود ليوهن أن حماقته جلبت عليه هذه الأتعاب...

" بوصايا الرب يبيدون" (LXX 9). لاحظوا أمراً آخر. يقول: لا تظنوا أن الشياطين والناس الأشرار المملوئين حقاً مسئولون عما حلّ بك. فإن الله يؤدبك، لهذا فإن التأديب عن عدلٍ نون جدال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يلق البابا غريغوريوس (الكبير) على هذه العبرة: "أين خوفك (تقواك) ، وقوتك، وصبرك، وكمال طرقك؟" بأنه وإن كان قد سبّه عن غير حقٍ إلا أنه وصف بدقة تدبير الفضائل وسلّمها أو درجاتها ، وهو مخافة الرب، ثم الثقة في الله، فالصبر، وأخيراً بلوغ الكمال: أ. المخافة الربانية أو التقوى هي بدء الطريق. "في مخافة الرب ثقة شديدة" (أم 14: 26).

[196]

❖ ليتنا لا نحسب الغنى أمراً صالحاً للغاية، فإن الصلاح العظيم، لا أن تملك مالاً، بل تقتني مخافة الرب وكل دروب التقوى .

❖ الخوف ليس بأقل من السور والحماية والوج المنيع [197].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. خلال مخافة الرب نعبر إلى القوة أو "الثقة القوية في الله" هذه التي لا تظهر إلا في المحنة.

❖ مخافة الرب تحوي كل تلك المتطلبات (للروح المستمر). لأن الإنسان الذي يخاف الرب كما يليق، ويثق فيه، يجمع كل مصادر السعادة، ويقتني النيوع الكامل للبهجة. كما أن نقطة ماء تسقط في محيط متسع سرعان ما تختفي، هكذا مهما حلّ بمن يخاف الرب يتبدد ويزول في محيط الفرح الهائل.

حقاً إنه لأمر عجيب للغاية، فإنه مع وجود ما يسبب الحزن تجد الإنسان متهلاً. فإنه إذ لا يوجد شيء ما يجلب حزناً، فإن هذا المر يكون بلا قيمة عنده مقابل تمتعه بالفرح الدائم [198].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ج. خلال الثقة في الرب يتمتع المؤمن بالصبر. فالإنسان يتركى بمعنى الكلمة وينمو في القوة باحتماله أخطاء الغير. فمن لا يقدر على مواجهة من يعرضه يُوح بسيف الجُبِن.

❖ لمدة أربعة أيام نحن مشغولون في شوح مثل لعازر (والغني)، مقدمين الكنز الذي نجده في جسم مُغطى بالقروح. كنز ليس من ذهب وفضة، بل من الحكمة والتجدد، من الصبر والاحتمال [199].

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. أما الصبر فيقود إلى الكمال. فالإنسان يكون بالحق كاملاً متى كان طويل الأناة على ضعفات الغير. " بصوكم تقتنون أنفسكم" (لو 21: 19). هذا هو سلم الكمال: مخافة الرب وتقواه تهينا الثقة فيه، وهذه تهينا قوة وسط المحن ، هذه القوة تقدم لنا صوراً في احتمال الغير بضعفاتهم، وبهذا الصبر نبلغ طرق الكمال.

❖

يوجد شكلان للكمال، شكل عادي، وآخر علوي. واحد يُقتني هنا، والآخر فيما بعد. واحد حسب القدرات البشرية، والآخر خاص بكمال العالم العتيد، أما الله فعادل خلال الكل، حكيم فوق الكل، كامل في الكل [200].

القديس أمبروسيوس

❖ يتحدث الرسول عن نفسه أنه كامل وغير كامل. فيحسب نفسه غير كامل، متطلعاً كم من بر لا زال ينقصه، لكنه كامل حيث لا يستحي من أن يعترف بعدم كماله وأنه يتقدم لكي يبلغ الكمال [201].

القديس أغسطينوس

4. مبدأ لاهوتي عام

أُذْكَرُ مِنْ هَلْكَ وَهُوَ وَيَّءٌ،

وَأَيْنَ أَيْدِ الْمُسْتَقِيمُونَ؟ [7]

يقدم أليفاز وهاناً عملياً على ما وجهه إليه من اتهام. فإنه - في رأى أليفاز - لا يوجد إنسان بار قد هلك، ولا مستقيم قد أُبيد. يطلب منه مثلاً واحداً خلال خوة أبواب الطويلة في كل عوره عن بارٍ أو مستقيمٍ قد حلَّ به ما حلَّ بأيوب.

هذا مبدأ لاهوتي أخلاقي كان سائداً في أذهان الكثيرين، فإنه حتى بعد الشريعة كان داود يدهش معاتباً الرب كيف يُنجح طريق الأثوار، ويسمح بالضيقات للأوار. لكن سوعان ما يكتشف الحقيقة، فإنه حتماً ينال الأوار مكافأتهم السماوية، ويسقط الأثوار المصورون على شوهم تحت الدينونة. يقول الموتل: "لا تغر من الأثوار، ولا تحسد عمال الإثم، فإنهم مثل الحشيش سويغاً يُقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون... قدرأيت الشوير عاتياً ورفاً مثل شجرة ناضوة، عبر فإذا هو ليس بموجود، التمسته فلم يوجد... أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب، حصنهم في زمان الضيق" (مز 37).

حديث أليفاز صادق لو أنه قصد بالهلاك والإبادة ما هو أبدي، أما أن يطبقه على النكبات الزمنية فغير صحيح. لهذا فإن حديثه لا ينطبق على أيوب إذ لم يكن قد هلك أبدياً.

يقول النبي: "باد الصديق" (إش 57: 1). ويقول الحكيم: "حادثة واحدة للصديق وللشوير" (جا 9: 2)، حتى تنتهي الحياة الزمنية وفي يوم الرب ينفصل هذا عن ذلك.

❖ " أي ويء يهلك؟ وأين يببب المستقيمون؟" لكن غالباً ما يحدث في هذه الحياة أن يهلك الويء، ويببب المستقيمون تماماً، لكن في هلاكهم يُحفظون للمجد الأبدي. لو أن ليس من ويء يهلك، لما قال النبي: "باد الصديق، وليس أحد يضع ذلك في قلبه" (إش 57: 1). لو أن الله في عنايته لم يببب المستقيمين لما قالت الحكمة عن الصديق: " نعم بسوة قد أخذ، لتلا يحول الشر فهمه" (حك 4: 11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

[202]

❖ الإنسان الشوير غير المؤمن حتى إن افترضنا أنه يلتحف بجسم سموي ببقى علياً لأنه لا يفعل شيئاً لينال رداء الإنسان الداخلي.

القديس ديديموس الضيرير

❖ يا لنفع التجرب والآلام التي يحسبها البعض شورة، فلا يحاول القديسون تجنبها، بل بالحق يطلبونها بكل قوتهم، محتملين إياها بشجاعة، وبهذا يصيرون أحباء لله، ويحصلون على إكليل الحياة الأبدية... ويتغنى الرسول الطوبوي قائلاً: "أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والضيقات لأجل المسيح. لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي" (٢ كو ١٢: ١٠) [203].

الأب تادرس

كَمَا قَدْرَأَيْتَ أَنَّ الْحَلْثِينَ إِثْمًا

وَأُولَئِكَ شَقَوَةٌ يَخْصُونَهُمَا [8].

يعتمد أليفاز في حججه على عاملين رئيسيين: خبرته وملاحظاته الشخصية: "كما قدرأيت" [8]، ورؤى الليل [13 الخ].

ظن أليفاز أنه خلال ملاحظاته يقدم نظرية دقيقة، فقد وجد خلال إحصائياته أن الأثوار تحل بهم الكورث بما يتناسب مع شرورهم أي في عدالة، لكن أيوب كدّب هذه النظرية (17:21 الخ).

يبدو أن أليفاز لم يتفاعل مع شدة الضيق الذي حلّ بأيوب، فحسب أن ما حلّ به آلام بسيطة تتناسب مع شروره الخفية، أما شره الخطير فهو مبالغته في التذمر على الله.

بهذا كان أليفاز يترجى أن يقدم أيوب توبة عن شروره الخفية فتزول عنه الضيقات، أما سبه ليوم ميلاده، فهذا ما يحطمه تمامًا!

يتحقق هذا يوميًا فما يزرعه الإنسان إياه يحصد، وكما كتب الرسول بولس: "إذ هو عادل عند الله أن الذين يضابقونكم يجزيهم ضيقًا" (2 تس 1: 6). وقيل: "إن كان أحد يجمع سيئًا، فإلى السبي يذهب، وإن كان أحد يقتل بالسيف، فينبغي أن يُقتل بالسيف" (رؤ 13: 10). لكن الله في طول أناته ينتظر توبة الأثوار، وفي محبته يسمح بالضيق للأوار لكي يتوبوا.

كان أصدقاء أيوب يضغطون عليه، أولئك الذين جاؤا لتعزيته! وكأعداء كانوا زعجونه بكلمات مرة.

❖ التعزية الوحيدة للذين يجنون أنفسهم في بؤسٍ وحرزٍ، هي أن يتولوا من الذنب، حتى لا يظهروا وقد حملوا آلامهم ومصائبهم كعقابٍ للخطية. لكن كان يبدو على أصدقائه أنهم يحاولون زع حتى هذه التعزية من القديس أيوب، ليبدو أنه هو المسبب لتعاسته، كمن جلب غضب الرب بآثامه الخطوة، وأنه يتكبد تلك الضيقات ثمنًا لأعماله الشريرة! وقد وصفوا عقوبات الأثوار (قابل أي 4: 8-9)، الذين غسوارذائل، فحصوا أحرانًا لأنفسهم! هؤلاء هلوكوا بأمر الله، لأنهم ففوا بنسمة غضبه، التي هبت على الساكنين بيوتًا من طين فذبوا (قابل أي 4: 19، 21)، وينبذ الله تخطيطات الماكر، ويسد فم الشوير (قابل أي 5: 13، 16LXX)، ومازعه الأصدقاء كان صحيحًا فيما يختص بقوة الرب، لكنه غير صحيح بالنسبة لاستحقاقات ذلك الإنسان العظيم البيرة [204].

القديس أمبروسوس

بِنَسْمَةِ اللَّهِ يَبِيدُونَ،

وَبِرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنُونَ [9].

كل ما يدوه الأثوار ويخططون له يبيد بنسمة من الله، فتفتش كل تدابوهم الشريرة. هذه حقيقة، إن الله يطيل أناته على الأثوار كما أطال أناته على فوعن مصر أيام موسى النبي، لكن إذ يمتلى كأس شوره يبيدهم حتى لا تستقر عصا الخطاة على الصديقين، فأهلك فوعن وجيشه في بحر سوف. هذا لا ينطبق على أيوب، لأن ما حلّ به كان لتوكيته وليس لأبادته.

رأد أليفاز أن وعب أيوب أن ما حلّ به من كورث مرة ليست إلا البداية، وأنه إن لم يعترف بشروره الخفية، ويوزع عن كرياتنه فمصوره الإبادة والفناء.

❖ (كأن أليفاز يتهمه هكذا:) إنك لست كما تظن في نفسك، في كرياتك، فإنك تسعى بالخداع أن تجعل الآخرين يحسونك هكذا. أنظر ما قد صنعت حقًا كما هو واضح من فساد جسدك. كما هلك نسلك أيضًا، وأفضل ثروتك، وكل مالك، وتاج موائك. فإنك بالحق لست طاهرًا، وحقًا كما تظن. يا لك من مريض في هذا الأمر... فإنه ليس ظلمًا وبلا سبب قد ابتلعتك هذه المصائب، وإنما هي متناغمة مع العدالة، إذ صوبها الله عليك.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

على كل الأحوال، إن كان كل من الصديق والشوير يتعرض للتجرب والضيقات، فإن الأول تتهلل نفسه داخله وسط الآلام لأنه يتقبل الضيقات من يدي الله لتقويته وتوكيته. أما الشوير فإنه يئن في داخله، ويجد نفسه كمن سقط في شبكة، وله أن واجع نفسه فيرجع إلى الرب مخلصه، أو يصمم في

غبلوة وعناء على شوه، فيسقط في مورة في هذا العالم كما في الدهر الآتي.

❖ "الرب يمتحن الصديق، أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه" (مز 5:11) ... إنه يوكي صديقيه بامتحانهم، أما الأثوار فيبغضهم. نفسه تمقت الأثوار المحبين للظلم...

إنه ديان للصدّيقين والأثوار، فيدان الأثوار لأنهم بحبهم للظلم يمتقون أنفسهم... وكما يقول سليمان في الأمثال: "من يرفض التأديب يوذّل نفسه" (أم 32:15). إن كان الذي يحب الظلم يحتقر نفسه، فإن من يحب البرّ يحب نفسه؛ وهذا يتناغم مع المثل: "من يقتني الحكمة يحب نفسه" (راجع أم 8:19)...

"يمطر على الأثوار فإخًا" (مز 6:11). بلا شك، لأنه الرب الذي يقيم فإخًا للخطاة أنفسهم، لكي يصطاد هؤلاء الذين أفسدوا حريتهم ويؤمهم أن يسلكوا الطريق المستقيم تحت لجامه، فيعطيهم إمكانية التقدم بالقائل: "أنا هو الطريق" (يو 6:14) [205].

❖ "ما أحلى مساكنك يارب الجنود!" (مز 84:1)، ففيها يتحول سكن الإنسان من الأرض إلى السماء... العقل والقلب المملوءان بالشوق إلى مسكن الرب مثوان وسعيدان! عندما يحل الموت بالخطي لا يجد فكه مشغولاً بهذا المسكن بل بالعقوبات. إنه لا يتأمل في ملكوت السموات، بل في رعب لهيب جهنم [206].

❖ "الأثوار كالتواب الذي يذريه الريح" (مز 4:1). يقول الكتاب المقدس إن الشرير سيكون بائسًا، فلا يكون حتى كواب الأرض. فالتواب يبدو كأن ليس له كيان، لكن حتمًا له نوع من الوجود في ذاته... إنه يتبعثر هنا وهناك وليس له موضع واحد بل يجرّفه الريح، وليس له قوة للمقاومة. نفس الأمر بالنسبة للشرير. ما أن ينكر الله حتى تجرفه نسمة الشيطان بالضلال ويلقيه أينما أراد [207].

❖ بائس هو الإنسان الذي له أقتعة للشر، وسعيد هو الإنسان الذي له أقتعة كثرة للصلاح [208].

القديس جيروم

زَمْجُورَةُ الْأَسَدِ وَصَوْتُ الرَّئِيرِ،

وَأَنْبِيَابُ الْأَشْبَالِ تَكَسَّرَتْ [10].

يشبه الظالمين والمضطهدين القساة بأسود زمجورة زائرة. خلال العدالة الإلهية يتوقف صوت زئوهم، فلا يعود صوتهم رعب في البرية أو الغابات. وأسنانهم تتكسر فيعجزون عن التمزيق، أي يزع الله عنهم سلاحهم، ولا يعودون بعد قائلين على الافتراض [11] فيموتون جوعًا، ولا يتوكون أشبالاً تخلفهم.

ربما أراد أليفاز أن يتهم أيوب بطريقة غير مباشرة، فيعلن له أنه كان كأسد مفترس، ليس في المنطقة من يقف أمام سطوته. كلماته كانت كزئير الأسد الوعب، ينهب ويفترس في ظلم واستبداد. لكن هوذا سطوته قد زالت، وثروته تبددت وأسوته قد ضاعت، ولا يوجد له ابن واحد كشبل يحتل مركزه.

هكذا تحول أليفاز من المدح إلى الذم.

اللَيْثُ هَالِكٌ لِعَدَمِ الْفَرِيَسَةِ،

وَأَشْبَالُ اللَّوْءَةِ تَبَدَّدَتْ [11].

❖ من الأهون على الأسد أن يجبن عن أن يسلك البار حياة سهلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقلن أليفاز أيوب بأسد بسبب قوته الملوكية، لكنه بحق يضيف: "زَمْجُورَةُ اللَّوْءَةِ" (الزَمْجُورَةُ السَّبْعِينِيَّةُ)، ملمحًا إلى عظمة فضيلة أيوب. أيضًا أضاف

" غطوسة التنانين " إذ رأدت أن تتحدث عن روحه، إذ دعا هذا الوحش (التنين) ملكاً بين الزواحف. على أي الأحوال يقول أليفاز إن هذا كله ينكسر، إنها تطأ على آلام البار...

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

5 . تعزيز رأيه برؤيا

ثُمَّ إِلَيَّ تَسَلَّلْتَ كَلِمَةً،

فَقَبِلْتِ أَدْنَى مِنْهَا هَمْسًا [12].

يرى هنا أليفاز لأيوب رؤيا شاهدها، يقدمها لإدانتته. وي البعض أن الله قد وهب أليفاز هذه الرؤيا ليهدئ نفسه، عندما سمع عما حلّ بأيوب. وأن هذه الرؤيا شاهدها قبل التقائه بأيوب المُجرب. قدمت له هذه الرؤيا سراً ككلمة تسللت إليه، كمن يهمس في أذنيه.

في تواضع اعترف أليفاز أنه قبل نصيباً قليلاً من السرّ الإلهي ولم يدرك الرؤيا كلها كما ينبغي.

فِي الْهَوَاجِسِ مِنْ رُؤَى اللَّيْلِ،

عِنْدَ وَقُوعِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ [13].

في وسط الليل حين هدأ الناس ووقعوا في سبات، أي ناموا، كان أليفاز منشغلاً بما هو وراء ما حدث لأيوب، فأظهر له الله هذه الرؤيا. يدعونا المونث داود أن نتكلم في قلوبنا مع الله، ونصمت حتى يتكلم الله معنا: "تكلّموا في قلوبكم على مضاجعكم، واسكّوا" (مز 4: 4). وكما يقول القديس مار اسحق السرياني: "ليسكت فمك، فيتكلم قلبك، وليسكت قلبك فيتكلم الله".

يليق بنا في الليل أن نذكر الله ونلهج بشريعته فيعلن لنا أسوره وحكمته. "إذا ذكرك على فاشي، في السهد ألهج بك" (مز 63: 6).

أَصَابَتِي رُعْبٌ وَرَعْدَةٌ،

فَرَجَعْتُ كُلَّ عِظَامِي [14].

يبدو أنه قبل أن يشاهد الرؤيا شعر وعدة تهز كل عظامه. امتلأ قلبه بمخافة الرب، وأدرك عظمته، وشعر بأنه أصغر من أن يعاتب الله. بهذا تهباً لقبول الرسالة الإلهية. يحثنا المونث: "اعبوا الرب بخوفٍ واهتفوا وعدة" (مز 2: 11).

فَمَوَتْ رُوحٌ عَلَى وَجْهِي.

أَقْشَعَرْتُ شَعْرُ جَسَدِي [15].

مرّ بأليفاز روح، غالباً ما كان ملاكاً موسلاً من قبل الله، لخدمة الكلمة. وقد اقشعر شعر جلده، إذ صار السمائيون موضع رعب للإنسان منذ سقوط آدم، يخشى بلوغه رسالة مؤلمة، لا يتوقع أخباراً طيبة.

في القديم الترم اللاويون أن يخلقوا كل شعر أجسادهم (عد 8: 7) بكونه يمثل أموراً جسدية لا لزوم لها. هكذا أليفاز إذ يحمل شواً نحو أيوب، لم يحتمل الروح يمر أمام وجهه، ففقد سلامه واضطرب كل كيانه حتى اقشعر شعر جسمه، علامة كمال اضطرابه حتى بالنسبة لما هوزاند في جسمه.

وَقَفْتُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَنْظَرَهَا.

شِبْهَةٌ قُدَامَ عَيْنِي [16].

رأى أليفاز الملاك بصورة جليلة، جاز به قدمه كما لو كان خيالاً، "شبهه قدام عيني"، أو كمن وى في مرآة، لا يقدر أن يصفه "لم أعرف

منظرها".

جاءه الصوت خفياً، فإننا لا نسمع صوت الله الهادئ وسط الضجيج. فلم يلتقي إيليا بالله وسط العاصفة، وإنما خلال الريح الهادئ الخفيف (1 مل 19: 11-13).

حمل أليفاز أفكاراً جسدية مؤمة من نحو أيوب، لذلك إذ عبر به الروح لم يستطع بفكره الجسداني أن يرى الأمور الروحية، إنما رأى ما هو أشبه بخيالات، ولم يقدر أن يميز صوت الروح الذي كان منخفضاً، لم تقدر أذناه على تمييزه. هكذا اعترف أليفاز دون أن يبري أنه فقد سلامه، فصلت رؤى الليل هواجس مزعجة. لم يستطع أن ينام ويستريح بينما كان البشر نائمين في سبات. ارتجفت عظامه، واقتشر شعر جسمه، ولربك ذهنه بخيالات. هذا ثمر الإنسان الفاسد الذي يحول الحق إلى باطل، ويفتري على إخوته ظلماً.

سَمِعْتُ صَوْتًا مُنْخَفِضًا:

أَلْإِنْسَانَ أَبْرَ مِنْ اللَّهِ،

أَمْ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟ [17]

جاءت الرسالة لتوبيخ أيوب بسبب تدهوره، فهو لا يجسر أن يدعي بأنه أبر من الله، ولا أظهر منه.

"ويل لمن يخاصم جابله... هل يقول الطين لجابله: ماذا تصنع؟" (إش 45: 9).

"أبر أنت يارب من أن أخاصمك" (إر 1: 12).

"لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2).

"ليكن الله صادقاً، وكل إنسان كاذباً، كما هو مكتوب لكي تتبرر في كلامك وتغلب متى حوكت" (رو 4: 3).

"لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رو 3: 20).

❖ لكي يكون الإنسان براً يؤمه أن يحفظ الناموس في كل شيء، الأمر الذي يكاد يكون مستحيلًا أن تحققه الطبيعة البشرية. فإذ كل إنسان كاذب، لهذا فإنه في ذلك اليوم حين يأتي الرب ليدين البشرية، هو وحده يتبرر فيما يقوله، إذ كلماته حق في كل شيء، هي كلمات الحق [209].

العلامة أوريجينوس

❖ إنني لا أثق في نفسي، بل أطلب الواح التي للحق والعدل الذي لك. "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك" (مز 143: 2). كيف يعلن النبي بكل وضوح ثقته في حنو المسيح، عندما يقول: "لا تستدع عبدك للمحاكمة أمامك" [210].

القديس جيروم

❖ إن كان كل إنسان كاذباً، والله وحده هو حق، ماذا يليق بنا نحن خدام الله وأساقفته أن نفعل سوى أن ننذ الأخطاء البشرية ونطيع وصايا الرب؟ [211]

الشهيد كيريانوس

هُؤذَا عِبْدُهُ لَا يَأْتَمِنُهُمْ،

وَأَلِي مَلَائِكَتِهِ يَنْسِبُ حَمَاقَةً [18].

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم إنه يتحدث هنا عن القوات السمائية، فإن الله لا ياتمنهم بمعنى أن طبيعتهم غير معصومة من الخطأ. يقول القديس باسيليوس في رسالته إلى أمفيليكوس إن للقوات السمائية حرية الإرادة ويمكن أن يميلوا إلى الخير أو إلى الشر، لذا فهم في حاجة إلى مساعدة الروح.

كما يقول في مقاله الثالث ضد أونوميوس إن السلاطين والرؤساء الخ. لهم القداسة من جهادهم وتأملهم المستمر في الله، وليسوا قديسين من طبيعتهم الذاتية، وإنما إذ يتوقون إلى الصلاح، ينالون القداسة حسب رغبة محبتهم الخالصة لله.

وفي مقاله عن الثالث يقول إن هؤلاء العلويين يستمدون القداسة من الروح القدس حسب رتبة كلٍ منهم. بهذا يظهر أنهم ليسوا صالحين بالطبيعة، بل بالحوية التي تجتذبهم إلى الصلاح والنعمة.

ما يحفظ الملائكة الآن من السقوط هو أن تأملهم في الله ينمو ويؤايد، والأمر الثاني إواكهم للتجربة التي حلت بالطغمت الملائكية الساقطة بسبب كبرياتهم، هذا مع مقاومتهم المستورة للملائكة الأشرار يزيدهم شوقاً للصلاح وتذكية أمام الله.

❖ تمثل الزنابق جمال الملائكة السمائيين البهي، الذين ألبسهم الله بهاء مجده. إنهم لم يتعوا ولا غرلوا، إذ تقبلوا من البدء ما هم عليه دائماً. وإذ في القيامة يصير الناس كالملائكة أراد أن نترجى جمال الثوب السموي، فنكون كالملائكة في البهاء [212].

القديس هيلاري

❖ حقاً يُحسب الناس والملائكة قساة إن قرنوا بك، فأنت وحدك الملك الكلي الحنو... نسألك أن تكون أنت الديان، لأنك تحنو على جميع الأمم! [213]

القديس جيروم

❖ طبيعة الملاك ناطقة وعاقلة وحرّة، قابلة للتغير، أي متحوّلة الإادة. فإن كل مخلوق متحوّل، وغير المخلوق وحده لا يتحوّل. وكل ناطقٍ حرّ. بما أن طبيعته ناطقة وعاقلة فهي حرّة، وبما أنها مخلوقة فهي متحوّلة (متغيرة)، لها القدرة على البقاء والتقدم في الصلاح، وعلى التحول إلى الشر... والملاك خالد ليس بالطبيعة بل بالنعمة [214].

الأب يوحنا الدمشقي

يبدو أن العبارات التالية ليست جزءاً من الرؤيا، وإنما هو تعليق أليفاز.

حتى الملائكة مع أنها كائنات مقدسة لكنها لا تؤتمن على أسرار الله، بل يكشفها الله لمن يشاء. الله هو الراعي الصالح الذي يتعهد كرمه بنفسه، لا يسلم شؤونه بالكامل في أيدي السمائيين أو الأرضيين، مهما بلغت طهرتهم أو قداستهم. فالملائكة أن قرنوا بالله حسوا حمقي، وإن قرنوا بحكمته حسوا جهلاء.

❖ ليس من حاجة أن تخبر كيف لما عصى موسى وهرون أمر الله عند ماء العويبة لم يدخلوا أرض الموعد (عد10:13)، فإن الطوبوي أيوب يروي أن الملائكة وكل خليفة يمكن أن تخطئ" (أي 4:18- المتكلم اليفاز) [215].

القديس جيروم

فَكَمْ بِالْحَوِيِّ سَكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينٍ،

الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ فِي الْوَابِ،

وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟ [19]

بمقرنة حكمة الملائكة بحكمة الله تُحسب الأولى حماقة، وبمقرنة حياة الإنسان الترابي بحياة الملائكة تحسب الأولى عبثاً.

إن كان هذا بالنسبة للملائكة الساكنين في السماء، فماذا يكون الأمر بالنسبة للبشر سكان بيوتٍ من طين؟ لعله يقصد بالبيوت هنا الأجساد التي خلقت من وّاب. الملائكة لا يموتون، بينما البشر يُسحقون مثل العث بين أصابع اليد بسهولة وسوعة. فإن كان الله لا يَأتمن ملائكته الساكنين معه في

السماء، الأرواح النقية، والخالدين، فهل يَأتمن الإنسان الذي يسكن على الأرض، المخلوق من وّاب، ويموت لأنفه الأسباب كما يُسحق العث؟

❖ إننا نسكن بيوتاً من طين، إذ نحن نوجد في أجسام رضية. إذ تأمل بولس ذلك حسناً قال: "ولكن لنا هذا الكنز في وّابٍ خرفية" وأيضاً: "لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من بيت الله بيت غير مصوّع بيدٍ" (2 كو 4: 7؛ 5:1).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖

واضح أن الله لم يأت من الأوار كما تثق أنت في نفسك، إذ يعرف الله طبيعتهم وميل أجسادهم للسقوط. الملائكة الساقطون يدفعون (الله) أن يرفض الثقة، إذ يدرك فيهم فسادهم. لقد زعمهم عن كرامتهم الأصلية ورتبهم، وجعلهم منحطين، لأنهم فكروا بالشر عليه. إن كان الأمر هكذا بالنسبة لأولئك الذين لهم هذه الطبيعة وقد سكنوا في الأعالي بين القوات الفاضلة، إن كان هذا أمر الملائكة الذين بطبيعتهم أسمى منا، فماذا نقول عن الآخرين، عن البشر الذين لا زالون خطاة؟ طبيعتهم ليست فقط وآبًا، ومساكنهم بين الخلائق مصنوعة من الطين (تك 2: 7) هؤلاء الذين بسهولة يفسدون كخطاة، كثوب يأكله العث (يع 5:2).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ يُحَطِّمُونَ،

بُدُونِ مُنْتَبِهٍ إِلَيْهِمْ إِلَى الْأَبَدِ يَبِيدُونَ [20].

ليس للإنسان أن يفخر على الله، ولا يظن أنه صاحب معرفة، فربما بين صباح ومساء قبل عبور اليوم يموت الإنسان ولا يعود بعد يُوجد على الأرض. في كل يوم، بل مع كل دقيقة يموت بشر على وجه الأرض، ومع هذا لا يفكر أحد في موته، ليس من ينتبه إلى هذه الحقيقة ولا من يتعظ في جدية.

❖ يُقَطِّعُ الخاطي من الصباح وإلى المساء، أي من بدء حياته إلى نهايتها يُوح بل تكابه الخطية... على عكس هذا بحق يحثنا بولس قائلًا: "مفتدين الوقت، لأن الأيام شريرة" (أف 5: 16). نفتدي الوقت إن كنا بالدروع نصلح حياتنا الماضية، هذه التي فقدناها بالاستهتار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَمَا انْتَوَعَتْ جِبَالُ خِيَامِهِمْ؟

يَمُوتُونَ بِلا حِكْمَةٍ [21].

تُوع عنهم حكمتهم البشوية التي يعترفون بها، فيموتون وتموت معهم حكمتهم وتدابيرهم الحمقاء..

❖ يقدم أليفاز اتهامًا ضد كل الخطاة بصفة عامة، ولم يخجل من أن يضع أيوب في عدادهم.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كأنه يقول: هؤلاء الذين قلت عنهم "بلا فهم يهلكون إلى الأبد"، هؤلاء بالتأكيد يموتون بلا حكمة... إذ ينظر الأشرار إلى المختلرين بطريقة منحطة لأنهم سائرون نحو حياة غير منظورة خلال الموت المنظور، لذلك قيل هنا حسنًا: "يموتون بلا حكمة" .. ولأن أليفاز قال هذه الأمور الصادقة في معناها وهي ضد الأشرار، إلا أنه حسب الطوبولي أيوب مستحقًا للوم، وتعالى في تشامخ بالحكمة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هذا ما بلغ إليه الإنسان بسبب الخطية، لكن تجسد الكلمة الإلهي وتقديم الخلاص غير الموقف تمامًا.

❖ لقد نلنا هذا بسبب "الجسد" الذي قدمه الرب، لقد قدم للآب بكر طبيعتنا . وبسبب كرامة المُقدم وكمال قابل التقدم، وجد الآب "العطية" مقبولة، فاستلمها بيده وضمها لنفسه وقال (للب المتجسد): "اجلس عن يميني" (مز 10:68).

ألم يرتفع (الناسوت المتحد باللاهوت) إلى فوق السموات!؟

أليست هذه كرامة بلا قياس!؟

لقد ارتفعت (طبيعتنا) في شخص الإله المتجسد) فوق السموات، وسمت فوق الملائكة. لقد عبرت فوق رؤساء الملائكة والشاروبيم، وحلقت فوق السوافيم، عالية أكثر من كل القوات السماوية، واستواحت في العرش الإلهي الحقيقي وحده...

إن سلوك جنسنا كان هكذا شرورًا في الماضي، حتى كان الأمر في خطر من أن يباد كل الجنس البشري عن وجه الأرض. والآن نحن الذي قبلًا

حسبنا غير متأهلين للبقاء في الأرض رفعنا إلى السموات.

نحن الذين كان قبلاً غير مستحقين للمجد الأرضي، نصعد الآن إلى ملكوت السموات، وندخل السموات، ونأخذ مكاننا أمام العرش الإلهي.

هذه الطبيعة التي لنا، التي كان الشاروبيم يحرس أبواب الفردوس منها، هوذا اليوم ترتفع فوق الشاروبيم!

كيف يمكننا أن نعبر على حدث عظيم (عيد الصعود) هكذا عبوراً سريعاً؟!

لأنه نحن الذين أسأنا إلى مثل هذه العواحم العظيمة، حتى صونا غير مستحقين للأرض ذاتها، وسقطنا من كل سلطان وكرامة، بأي استحقاق

ترتفع إلى كرامة علوية كهذه؟!

كيف انتهى الصواع؟!

لماذا زال غضب الله؟...

فإن هذا هو بحق عجيب: إن السلام قد حلّ، لا بعمل قام به الذين أثروا غضب الله... بل الذي غضب علينا بحق هو نفسه يدعونا إلى السلام.

إذ يقول الرسول: "إذاً نسعى كسواء عن المسيح كأن الله يعظ بنا" (2 كو 5:20). وماذا يعني هذا؟ أنه بالرغم من أننا أسأنا إليه، فإنه هو الذي يسعى إلينا ويدعونا إلى السلام. إنه حقاً هكذا، فإن هو الله، وهو الإله المحب يدعونا إليه [\[216\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يعرف وهن الطبيعة البثوية ينال خوة قوة الله.

الأب مكسيموس المعترف

❖ عندما تسمع أن الجلالة الإلهية أسمى من السموات، وأن مجدها لا يُعبر عنه، وجمالها لا يُصِف، وطبيعتها لا يُقْتَرَب منها، لا تَبْأَس من أن ترى ما تشتهيه. إنه في مقدورك، ففي داخلك المستوى الذي به تتمكن من إرواك الإلهيات. فإن الذي خلَقك وهبِك في نفس الوقت هذا السمو العجيب.

القديس غريغوريوس النيسي

من وحي أيوب 4

لتمسح كلماتي بمسحة الحب!

❖ وضع أصحاب أيوب في قلوبهم أن يحطموه!

ظفوا أمر لحظات نكباته فوصة سانحة للهجوم عليه!

لكن ليهجم العالم كله ضده،

ماذا يصيبه، مادمت أنت في جانبه!

ماذا يهينه، مادمت أنت تشهد له!

❖ كثراً ما أظن في نفسي حكيمًا،

وأحسب كلماتي صادقة.

لكن ما نفع الفهم والحكمة بلا حب؟

لتمسح شفتي بمسحة روحك القُدوس،

ولتقم حرساً على فمي،
فلا أنطق إلا بما يحمله قلبي من فيض حبك!
لأحبك، فأحب خليقتك،
وعوض النقد اللاذع أملاً كل نفسٍ بالرجاء فيك!
❖ رأى أليفاز في أيوب البار إنساناً ورائياً،
ما حلّ عليه من نكبات لا تُحتمل،
هي ثرة طبيعية لخطاياها الخفية.
حسب أيوب حكيمًا في أعين الناس،
يعلم الآخريين ويرشدهم،
وواه عاجزاً عن رشاد نفسه.
واه إنساناً غير قادرٍ على تنفيذ ما يوصى به!
❖ هب لي عينين مقدستين،
فلا أنظر بعيني أليفاز المملوء حقداً،
والمتبص لأخيه البار،
كي يقدم ضده اتهامات باطلة!
❖ هب لي عينين متوفقتين بإخوتي،
يصوخ قلبي في داخلي:
من يضعف وأنا لا أضعف؟
من يعثر وأنا لا أتهب؟
❖ في أهوة حانية لم يعرف أيوب السلطة،
ولم يكن الأمر الناهي لمن هم تحت سلطانه،
بل في أهوة حانية لرشد الكثرين.
لم يكن ما يشغله كل أيام حياته،
سوى خلاص كل نفسٍ حتى أواد أسرته!
كان سنذاً للضعفاء،
يشدد أياديهم الموتخية،
ويرفعهم من السقوط،
ويثبت الوُكْب المرتعشة!
حمل صورتك يا محب البشر!
وأبى أن يعمل إلا حسب مسوتك الإلهية!
❖ أحاطت به التجارب لكي تتلعه،

وتوالت الكوارث المفاجئة بلارحمة،
وبدأ أيوب كمن فقد كل شيء حتى صحته!
لكنه كإنسان صوخ إليك في أنات مرة،
أما قلبه فلم ينحرف،
وشفتاه لم تتطفا بكلمة تجديف.

حسب أنه لم يفقد شيئاً،
لأنك أنت كزوه، ومصدر صلاحه وخواته!
لم يفقد شيئاً، لأنه اقتتاك!
❖ وجد أليفاز فرصته،

فاستعرض حكيمته وفهمه اللاهوتي.
قال: ليس من بارٍ يحل به ما حلَّ بأيوب،
ولا بمستقيمٍ يهلك كهلاكه!
إنما هذه شهادة إلهية لشر أيوب الخفي!
وإذ لم يحل بأحد في التلويح كله ما حلَّ به،
فهو أشر الأشرار،
ورئيس كل الخطاة والوراثين.

تطلع إلى أيوب كأسدٍ كان يجول زأواً وعب ويهدد،
وها هو الآن يموت جوعاً، ليس لديه فيسة.
فقد كل بنييه، لم يعد له شبل!
صار الأسد سخرية الأطفال والعبوة لا حول لها!

❖ رأى أليفاز رؤيا سماوية،
وعوض أن يوتدع لرتجف وخاف،
وعاد يؤكد ان أيوب ليس أبرّ من الملائكة،
فإن الله ينسب لملائكته حماقة!

من هو أيوب الزّاب والوماد لبيبر نفسه أمام الله!
هوذا قد نُعت خيمته،

وصار موته عزاً وخزياً أمام الكل!
❖ في طول أناة ترك الله أليفاز وأصحابه يسخرون،
وبحكيمته السماوية سمح لأيوب أن يُهان منهم.
لكن هوذا الإهانة تصير له رصيد مجد رُضي وسموي.
وكل اتهام ضده يتحول إلى إكليلٍ أبدي!

ليتهم الأثوار وُلاد الله ظلماً،
لكن لن يسمح لعصاهم أن تستقر على صديقيه!
❖ حقاً لن يتبرر كائن ما أمامك!
أنت وحدك القنوس!
أمام نور بهائك، تختفي كل الأوار!
أمام برك، لن تتبرر خليفة ما!
❖ إن كنت وأنت الديان،
أتيت لتخلص لا لتدين،
فكيف أجسر وأدين أخي؟
كيف أسلبك عرشك يا فاحص القلوب؟
هب لي مع الحكمة حباً،
ومع شوقي لخلاص الجميع قلباً مترفقاً!
[<<](#)

الأصاح الخامس

كيف يمكنك أن تطوّب؟

بعد أن دعم أليفاز حجته بخبرته الشخصية وبرؤيا إلهية سماوية، الآن في هذا الأصحاح يقدم القديسين كشهوداً أمناءً لحق الله. وفي تلميحٍ يوضح لأيوب أنه ليس من جماعة القديسين. كما يوضح الحقائق التالية:

- ❖ أن الذين يتهمون الله هم جهلاء (مز ١٤ : ١).
- ❖ يبدو الأغبياء كأنهم في رخاءٍ ولكن إلى حين، وفجأةً تنبدد ممتلكاتهم، إذ أن الله يلعنهم.
- ❖ لا ينمو الألم مثل الورود، لكن البشر يجلبونه لأنفسهم خلال غبوتهم الثروة، وتظهر من فوق كالورق.

بلا شك نطق أصدقاء أيوب ببعض الحقائق الصادقة، وأيوب البار نطق أيضاً ببعض الحقائق الصادقة وأحياناً بعبارات لا تمثل الحق. هذا إن درسنا كلماتهم منفصلة عن الأحداث، وبعيداً عن النيات التي في قلوبهم وأفكرهم.

أخيراً يقول أليفاز لأيوب: لو كنت في موضعك، لرجعت إلى الله، الذي يسحق الأثوار ويبارك المساكين والأوار. فإنه هو وحده يصلح أمرك، ويهبك كل بركة مادية تشتهيها [١٧-٢٧].

1. القديسون شهود على حكمة الله
 2. الخطية تقتل الأغبياء
 3. الإنسان مولود للمشقة
 4. الله ملجأ المتضايقين
- 1-5
6-7
8-16

1. القديسون شهود على حكمة الله

أَدْعُ الْآنَ، فَهَلْ لَكَ مِنْ مُجِيبٍ؟

وَأَلَى أَيِّ الْقَدِيسِينَ تَلْتَفِتُ؟ [1]

كان أليفاز واثقًا جدًا من موقفه، لذا وضع أمام أيوب أن يختار المُحَكِّمِينَ. يقول له: "أدع الآن، فهل لك من مجيب؟" بمعنى فلتفتش بنفسك في كل العالم، هل يوجد من بلغت به الكوارث مثلك؟

هل من قديس في وسط كل البشرية لحق به ما لحق بك؟ لم يتعامل الله مع أي قديس بهذه الصورة، فحتمًا أنت لست منهم.

هل يوجد بين القديسين من سب يوم ميلاده كما فعلت؟

هل ثار قديس ما ثورتك، وتوسع في الحكم هكذا؟

"إلى أي القديسين تلتفت؟" أنهم جميعًا يوافقوني على رأيي. كلهم يقفون في صفي، ويؤيدون ما أقوله.

نطق أليفاز بهذه العبارات، حاسبًا أن أيوب مستحق للوم. لقد انتفخ بكبرياء الحكمة.

❖ **وَأَلَى أَيِّ الْقَدِيسِينَ تَلْتَفِتُ؟** . إنه ينطق بهذا في سخرية: إنك لا تقدر أن تقتني القديسين لمساندتك في ضيقك، هؤلاء الذين لم ترد أن يكونوا في صحبتك وأنت في وسعك.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ **LXX "أدع الآن، فهل لك من مجيب؟ وأي الملائكة القديسين تنظر؟" ()** كأن أليفاز يقول: إنك تلهو بنفسك عندما تظن أن الله شاهد معك، وأنت عاجز عن التمتع بزيارة ملاك لك في صلواتك. لقد التقيت بمحتالٍ خدعك، وأفتعك أنه مُوسل من الله. جعلك تعتقد بهذا، لكن من الواضح أن الله لم يقدم شهادة بذلك لك.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

أما عن فاعلية صلوات القديسين، فقد جاء في سفر الأعمال أن ملاكًا ظهر في رؤيا للقديس بولس، وقال له: "لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر، وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك" (أع 27: 24).

❖ إن كان هنا وُجِدَت سفينة في خطر تعاني من الغرق وقد خلص المساجين من أجل بولس (أع 27: 24)، تأملوا ماذا يكون الأمر بالنسبة للشخص القديس في بيته، فإنه كثرة هي التجارب التي تهاجمنا، تجلب أكثر خطورة من تجارب الطبيعة، لكن الله قادر أن يهبنا أن نخلص إن كنا فقط نطيع القديسين كما فعل الذين في السفينة، إن كنا نتم ما يأمرنا به. فإنهم ليس فقط خلصوا، وإنما ساهموا في إيمان آخرين.

بينما كان القديس في قيود صنع أعمالاً أعظم ممن هم في حرية.

انظروا فإن الحال هنا هو هكذا: كان قائد المائة الحر في حاجة إلى سجينه المقيد، كان ربان السفينة الماهر في عوزٍ إلى من لم يكن ربانًا، بل بالحري كان هو الربان الحقيقي. فإنه قاد كروبان سفينة ليست من هذا النوع (رُضِيَّة) بل كنيسة العالم كله، متعلمًا من ذلك الذي هورب البحر أيضًا.

قادها لا بفنٍ بشوي، بل بحكمة الروح. في هذه السفينة يوجد تحطيم كثير للسفن، أمواج كثرة، أرواح شر "من خلج خصومات، من داخل مخلوف" (2 كو 7: 5)؛ فكان هو الربان الحقيقي [217].

❖ لتحت أولئك الذين لهم حديث ودي مع الله ليقدموا صلوات أكثر، بأكثر مفاوة لكي تهدأ العاصفة التي تحطم العالم كله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ العالم مستمر في الوجود فقط من أجل الصلوات المقدمة من المسيحيين.

أريستيدس من أثينا

- ❖ صلواتنا عامة وعلنية؛ حينما نصلي لا نصلي من أجل شخصٍ واحدٍ، بل من أجل كل الشعب، لأننا نحن جميعنا الشعب كله هو واحد.
- ❖ لئنه لا تتوقف الصلوات من أجل الإخوة والأخوات في حضوة وراحم الآب.

الشهيد كبريانوس

2. الخطية تقتل الأغبياء

لأنَّ الْغَيْظَ يَقْتُلُ الْغَبِيَّ،

وَالْغَوْزَةُ تُمِيتُ الْأَحْمَقَ [2].

يُحَسِبُ الْخَطَاةَ أَغْبِيَاءَ، إِذْ لَا يَقْبَلُونَ حِكْمَةَ اللَّهِ. هَؤُلَاءِ يَقْتُلُهُمُ الْغَضَبُ، وَتُفْسِدُ الْغَوْزَةُ عِظَامَهُمْ. لَعَلَّ أَلْفِازَ يَقْصِدُ بِهَذَا أَنْ مَا يَحِلُّ بِأَيُّوبَ إِنَّمَا ثَمَرٌ طَبِيعِي لُغَاوَتِهِ، نَاسِبًا لَهُ الْحِمَاةُ وَالْغَبْلَةُ.

يقول بأن المحتال خدعه فأنثر فيه الغضب، وأنه سخر به ليقتل أيوب نفسه. وفي هذا يود أن يبرر نفسه لكن قد ظهرت غباوته.

- ❖ "الغضب يقتل الغبي، والحسد يميت الطفل" (راجع أي 2:5). يؤم ملاحظة أن الذي يغضب هو غبي، والذي يحسد يُحَسِبُ طفلاً. لأن الأول ليس بدون مبررٍ يعلن عن أنه غبي، إذ يجلب الموت على نفسه بإرادته، ويتوك نفسه تُثَارُ بالغضب. والأخير يوهن بحسده على أنه طفل غير ناضج، لأنه حين يكون حاسداً يشهد بأن من كان في وسعٍ يعذبه وهو أعظم منه [218].

القديس يوحنا كاسيان

- ❖ لا يوجد شيء يفوق الحب، وبالتالي لا يوجد شيء أدنى من الغضب. يؤمنا ألا نهتم بشيء مهما بدا نافعاً وضرورياً حتى نتجنب الغضب الذي يسبب اضطراباً، ولا نرتبك بالأمر حتى التي نحسبها ليست كمالية حتى نحفظ هوء الحب والسلام بغير نقصٍ، لأنه يؤمنا أن نترك أن لا شيء مهلك مثل الغضب والتكدر، وليس شيء مفيداً مثل الحب [219].

الأب يوسف

❖ ليس شيء أكثر خطورة من الحنق، ولا أفسى من الغضب!

❖ يوجد سُكْرٌ بِالْغَضَبِ أَكْثَرَ خَطَرَةً مِنَ السُّكْرِ بِالْخَمْرِ! [220]

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لنتأمل في مدى خطورة خطية الغضب (الغيظ)، التي بها نفصل عن الحنو، وتفسد التشبه بصورة العلي.
- ❖ **بالغضب تُطْرَدُ الْحِكْمَةُ** ، فنبقى في جهالة في كل ما نفعل، وما نلتزم بعمله، كما هو مكتوب: "الغضب يستقر في حزن الجهال" (جا 7 : 9). فبانسحاب نور الفهم يُفْسِدُ الهياج الذهن.

بالغضب تضيع الحياة ، حتى الحكمة تبدو محتزرة. كما هو مكتوب: "الغضب يحطم الحكماء" (أم 1:15)...

بالغضب يبطل البّر، كما هو مكتوب: "غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع 20:1)...

من لا يضبط مشاعوه بالتعقل اللائق بالإنسان يؤمه أن يعيش في عزلة كحيوان.

بالغضب يفسد الانسجام ، كما هو مكتوب: "الرجل الغضوب يهيج الخصومة، وبطيء الغضب يسكن الخصام" (أم 15:18)...

بالغضب يُفْقَدُ نور الحق . كما هو مكتوب: "لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف 26:4). لأن الغضب يجلب ظلمة التشويش. يخفي الله عنه أشعة

معرفة نفسه. بالغضب يُغْلِقُ على بهاء الروح القدس. من الجانب الآخر كُتِبَ حسب ترجمة قديمة: "على من يستقر روجي، إلا على من هو متواضع

ومسالمة والمتعب من كلامي" (إش 2:66).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن كان الشخص يغضب بكونه إنسانًا، فإنه يضع حدًا للغضب بكونه مسيحيًا.

القديس إيرونيموس

❖ من كان غضوبًا فهو خالٍ من طول الأناة والمحبة، يلقى سريعًا من الأقوال التافهة، ويثير الخصام لأمر يسير حقير، وحيثما لا يكون له مكان يطرح نفسه... فمن لا يوح على مثل هذا؟ فهو مرنول عند الله والناس.

مار أفرام السرياني

❖ يُسمى الروح القدس سلام الروح، ويُدعى الغضب قلق النفس، فلذا يجب أن نستنتج أن لا شيء يُبعد عنا حضور (عمل) الروح مثل الغضب.

القديس يوحنا الدرجي

❖ ليس بالأمر العجيب أن يتهم أليفاز أيوب بالغوة أو الحسد وهما خطيئة أليفاز، إذ يُسقط أخطاءه عليه قائلاً: "وَالْغَوَّةُ تُمِيتُ الْأَحْمَقَ" [2].

❖ لا يعتبر الحسد الكورث التي تحل به محنة، بل المحنة بالنسبة له هي الخير الذي يحل على غوه، وبالعكس النجاح ليس هو أن يكون سعيدًا، بل أن تحل المحن بغوه. يحزن الحاسد لرؤية الأعمال الطيبة للناس، ويُسّر بالكورث التي تحل بهم. ويقال إن الجورح التي تلتهم الجثث الميتة تقضي عليها الرائحة الطيبة (العطر)، فإن طبيعتها تتفق مع ما هو شير وفساد. وأي شخص يقع تحت سيطرة هذا المرض (الحسد) تقضي عليه سعادة أقرائه وجوانته، ولكنه إذا رأى تجربة شوية يطير إليها ويضع منقره الموح فيها ويخوج الكورث المخفية [221].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ قبل كل شيء يلبق بالإنسان الذي وُضع عليه النير أن يكون ثابتًا في إيمانه... ليطرد عنه الحسد والغضب، ويزوع الشفاه المخادعة [222].

القديس أفواط الحكيم الفلسي

❖ يكون الضرر تافهًا والخطر بسيطًا عندما تُجرح الأطراف بسيفٍ، فيكون الشفاء هيئًا مادام الجرح واضحًا ويُستخدم الدواء. فالقوة التي تُرى يُمكن علاجها بسهولة. أما جراحات الحاسدين فهي خفية وسوية، ولا تقبل علاجًا لشفائها، فتعلق على نفسها آلامًا مخفية داخل مكامن الضمير.

❖ مثل هؤلاء لا يهنأون بطعامٍ أو يتمتعون بشوابٍ. إنهم على النوام يتؤهون ويتنهون ويحزنون، فطالما لا يُطرد الحسد تتعرق قلوبهم نهزًا وليلاً بلا انقطاع.

❖ كل الشور لها حدود، وكل خطأ ينتهي بارتكاب الجريمة. فالزاني تنتهي معصيته عند حد ارتكاب التعدي، واللص تقف جريمته عندما يقتل، والسالب يضع حدًا لجشعه، والمخادع يضع نهاية لغشه، أما الحسد فليست له حدود.

❖ إنه شر يعمل على النوام، وخطية ليس لها نهاية.

الشهيد كبريانوس

❖ "little one" الحسد يميت الضعيف (الأقل) (راجع أي 5: 2). يستحيل علينا أن نحسد إلا من نظن أنهم أفضل منا في جانبٍ معين. لذلك قيل "الأقل" يقتله الحسد. فإن الحاسد يحمل شهادة ضد نفسه أنه أقل من غوه، حيث يعذبه الحسد منه...

❖ هكذا كان قايين الذي انحدر ليقتل أخاه، فقد جُن حين رُفضت تقدمته، من ذاك الذي قبل الله تقدمته وأفضل عنه (تك 4)...

❖ وهكذا التهب عيسو باضطهاد أخيه، لأنه فقد بركة الباكورية، إذ حرم منها من أجل طبخة عدس (خضار) (تك 27: 38؛ 29: 25)...

❖ وهكذا باع الاخوة يوسف للإسماعيليين العاوين، إذ أخفي عنهم سر الإعلان، فوضعوا أنفسهم في موقف المقاومة لتقدمه، فلا يكون رئيسًا عليهم (تك 37: 5-11).

❖ وهكذا اضطهد شاول خادمه داود بأن رماه برمحٍ، إذ خشي أن يبلغ الرجل إلى قمة أعظم منه، إذ أدرك بلوغه النمو اليومي في الفضيلة (1 ص

فمن يقتله الحسد إنما هو الضعيف(الأقل)، فإنه لو لم يشعر بأنه الأقل لما حزن على صلاح الآخرين. إذ يُفسد الحسد الذهن يقتل كل ما يجده صالحًا. قال سليمان: "حياة الجسد هوء (سلام) القلب، ونخر العظام الحسد" (أم 30:14)...

فمن اشتاق أن يكون كاملاً وصحيحاً فليتنجب سم الحسد، ويركز عاطفه على الموات الذي لا يقل بكثرة الولثين، هذا الذي هو موات واحد للكل، وكامل بالنسبة لكل أحد. والذي يظهر مواتاً أعظم كلما زاد عدد الذين يمنونه... فحينما لا يشتاق الشخص إلى الأمور الودينة لا يوجد شيء يقف أمام الحب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْبِيَّ يَتَأَصَّلُ،

وَبَغْتَةً لَعْنَتْ مُرْبِضَهُ [3].

وي أليفاز أن أيوب سبق فتأصل ونجح، لكن إذ هو غبي لم يدم حاله. وها هو يلعن موبضه. وكان أليفاز يقدم اتهاماً جديداً ضد أيوب، فجاناب اتهامه بالرياء، وأنه يخفي وراء أعماله التي تبدو صالحة شروراً خفية لا يعلمها غير الله، لهذا حلت به كوارث لم يُسمع عنها في تاريخ البشرية، فإنه كان غيبياً يجوي وراء الغنى ومحبة العالم. اتهام أبعد ما يكون عن حياة هذا البار!

ربما لا يعني هذا أن أليفاز اشتهد دمار أيوب، وإنما إذ اكتشف - حسب فكره - أن ما حل به هو من قبيل غضب الله عليه بكونه شروراً، أرك أن هذا من قبيل عدل الله أن يسقط أيوب تحت اللعنة، ليستأصله من هذا العالم وكل غناه، لأن قلبه ارتبط به.

يحزننا الكتاب من محبة العالم والتعلق به. "لا تحوا العالم، ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب، لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم" (1 يو 2: 15-16). "أيها الزناة والزواني، أما تعلمون أن محبة العالم عدوة لله، فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" (يع 4: 4).

❖ يتأصل الغبي في الأرض ويتمسك بها، إذ هو متمسك بحب الأرض بكل شهوة قلبه. إنه يتشامخ بتأصله، عندما يتشبث في هذا العالم بالخوات الزمنية، حتى ينال ما رغبه، ولا يخضع لسلطان، ويسود على الضعفاء نون مقومة، ويقاوم الذين يملسون السلطة حسناً، ويبلغ ظروفًا أفضل بوسائل شريرة، حتى أنه بتوكة الحياة الحقيقية، يعيش هذا المؤمن في أكثر سعادة.

لكن إذ وي الضعفاء أن الأشرار يدهرون، يصيرون في ذعرٍ ويضطربون داخلياً، بما للخطة من وسع، وتونح خطوات ذهنهم.

بنفس الطريقة أعلن الموتل: "أما أنا فكادت تُزل قدمي، لولا قليل لولقت خطواتي، لأنني غرت من المتكبرين، إذ رأيت سلامة الأشرار" (مز

(3-2:73).

ولكن عندما وي الأقوياء مجدهم للحال يثبتون أذهانهم على العقوبة (التأديب) الذي يتبعه المجد. وبفكر داخلي عميق للقلب يودرون بالأمور التي تبئلع المتكبرين من الخراج بزيادة الغرور الباطل. حسناً قيل: " رأيت الغبي يتأصل، وبغته لعنت جماله ". فإن لعن جمال الغبي هو إدانة مجده بحكم مدروس، فإنه قدر ما يغرق في العذابات يتعالى بالأكثر في الخطية. فإن تشامخه مؤقت، لكن عقوبته دائمة.

من يبدأ طريقه بالكرامة ينتهي بالدينونة. على كل حالٍ كلما أوجد الشوير له طويلاً في هذا العالم سحب عددًا أكثر إلى الدمار، لذلك بحق قيل:

" بنوه بعيدون عن الأمن ". فإن أبناء الغبي هم الذين يقتنون به، يوللون في طوح هذا العالم. إنهم بعيدون عن الأمن، خاصة بالنسبة لمملستهم الشر إن قورن بتحمرهم من الضعف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تريد الآن أن توث الأرض، حذار من أن توتك الأرض.

إن كنت وديعاً ورتتها، أو قاسياً ورتتك...

سوف توث الأرض حقاً متى تمسكت بصانع السماء والأرض!

القديس أغسطينوس

[223]

❖ من ذاق حلوة ثمار شجرة الحياة، ويريد أن يجري نحو ثمار (محبة) العالم النتنة؟

[224]

❖ كما أن النار لا تثبت في الماء، هكذا معرفة الله لا تثبت في القلب المشتبك بشهوات العالم .

[225]

❖ ليس من رذل العالم بالكمال، إلا ذاك الذي تتقد فيه نرك دائماً يارب .

القديس يوحنا سابا

❖ النفس التي أوشكت أن تقبل الكلمة اللوغوس، يجدر بها أن تموت عن العالم (غل6:14) وتُدفن في المسيح (رو 4:6، كو 12:2)، فلا تجد إلا

[226]

المسيح، فهذا هو الاستقبال اللائق الذي يطلبه منها لنفسه .

القديس أمبروسيو

بِنُوهُ بَعِيدُونَ عَنِ الْأَمْنِ،

وَقَدْ تَحَطَّمُوا فِي الْبَابِ، وَلَا مُنْقَذَ [4].

ربما كان الباب مرتفعاً فسقط على بني أيوب ومن في الوليمة يحسبون أنهم في سلام وأمان. سقط بنقله فسحقهم تحته، ولم يوجد من ينقذ. فشر

أيوب - في رأي أليفاز - قد حلّ على بنيه وأهلكهم.

❖ هذا معناه: لماذا أنت مرتعب من موت ولادك؟ فإن أبناء الأغبياء لا يهلكون بسبب عدم الخلاص، وإنما يحزنون وهم في الحياة... وليس من أحدٍ

ينقذهم، إذ بعدلٍ جزأهم الله. أيضاً ربهم الذي نالوه ظلماً يأخذهم منهم الأوار، مادام لا يوجد من يخلصهم من الشر، وتضيع قوتهم كلها في الملمات

وتتفد، تهلك بأمر الله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

من هم الذين يظنون أنهم في أمان، قائلون داخل بيت به باب مغلق، ليس من يقدر أن يفتحه ليؤذيهم؟ في نظر أليفاز ولاد وبنات أيوب الذين

- في رأيهم - هم أشوار وراعون كأبيهم، وها هم يظنون أنهم سعداء في الوليمة، لا يتوقعون ضرراً يتسلل إليهم. إنهم في أمان، داخل الباب، وتحت

حراسة خدمهم وعبدهم! لكنهم ليسوا في أمان، بل الباب الذي هو مصدر أمانهم يسقط عليهم فيهلكهم.

لقد حمل هذا القول نوبة عن السيد المسيح القائل: "أنا هو الباب، إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد روعى" (يو 10:9). هذا الباب

آمن به الأمم فدخلوا إلى الإيمان، وخرجوا إلى الحياة السماوية، فوجئوا روعى إلهياً. صار هذا الباب عينه عثرة لمن ظنوا أنهم في أمان، حيث تمسكوا

بحرف الناموس، وظنوا أنهم نون غروهم داخل الأبواب الإلهية.

لقد رفضوا الإيمان بالسيد المسيح، فصار الباب - مدخل المؤمنين - عثرة لهم، إذ يقول: "لو لم أكن قد جننت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما

الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15:22)

❖ ليتنا لا نرتكب أيها الإخوة في فهمه، إذ يحمل تشبيهات بكونه هو الباب وأيضاً الواب. لأنه ما هو الباب؟ طريق الدخول. من هو الواب؟ ذاك الذي

[227]

يفتح الباب. إذن من هو ذاك الذي يفتحه إلا هو نفسه حيث يكشف عن ذاته لوى؟

❖ هذه الخطية العظمى هي عدم إيمانهم بالمسيح الذي جاء خصيصاً لكي يجدد إيمانهم. لو لم يأت لتحرروا من هذه الخطية.

بمجيئه صلت حياة غير المؤمنين بالأكثر محفوفة بالدمار كما صلت لخلاص الذين يؤمنون. فإنه هورأس الواسل ورئيسهم، صار كما أعلنوا:

[228]

"البعض رائحة حياة حياة، والبعض رائحة موت لموت" (٢ كو ٢: ١٦) .

القديس أغسطينوس

❖ "وقد تحطموا في الباب... " كما أن مدخل المدينة يُدعى بابًا، هكذا في يوم الدينونة هو باب الملكوت، حيث يدخل منه كل المختارين إلى مجد مدينتهم السماوية... "ولا منقذ لهم" [4]. فإن الحق يخلص من الويل الأبدي هؤلاء الذين في حالتهم المؤقتة قد تضايقوا بالتأديب. من يرفض الضيق يُترك في ذلك الحين دون وجود وسائل للخلاص. فبالنسبة له (للمخلص) لم يهتموا أن يقبلوه أبا لهم يتربهم، لذلك فإن الأثوار في وقت محنتهم لن يجنوه منقذًا لهم يعينهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الآن فلنتأمل ما تقوله الأناجيل في ضوء الوعود بالخوات. ولابد لنا من القول: إن الخوات التي يعلن عنها الوسل في هذه الأناجيل هي ببساطة "يسوع".

أحد الخوات التي يعلنون عنها هي القيامة. ولكن القيامة، على وجه ما، هي يسوع، فهو القائل: "أنا هو القيامة"...

كما يقول إشعياء: "ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين بالخير" (إش 7:52). إنه رى كم هو جميل وملثم إعلان الوسل الذين قد سلروا (في المسيح)، وهو القائل: "أنا هو الطريق". يمتدح أقدام السائرين في الطريق المفكرين في يسوع المسيح، ويذهبون من خلال هذا الباب إلى الله (الآب).
[229] إنهم يعلنون عن الخوات، عن الأقدام الجميلة، أي يسوع .

العلامة أوريغينوس

الَّذِينَ يَأْكُلُ الْجُوعَانَ حَصِيدَهُمْ،

وَيَأْخُذُهُ حَتَّى مِنَ الشَّوْكَ،

وَيَشْتَفُ الظَّمَانَ ثَرَوَتَهُمْ [5].

صلت ثروة أيوب وبنيه نهبًا للسبائيين والكلدانيين. فقد اخترقوا الحواجز المصنوعة من الشوك، وسلوا الثروة.

ربما يشير هنا إلي اللص الذي يسرق كل المحصول حتى المختلط بالأشواك، أو إلي العادة التي أشار إليها دكتور طومسون Thomson في شوحه لهذه العبارة حيث يقول إن الفلاحين بعد واسة الحبوب غالبًا ما يضعونها بجوار القش في مكان خاص، ويغطونها بشجوات كثيفة مملوءة أشواكًا حتى لا تقترب إليها الحيوانات ويأكلوها، وإذ يريد اللصوص سرقة الحبوب يلتزمون بؤالة هذه الشجوات المملوءة أشواكًا ولا [230].

جاء في الترجمة السبعونية (دار الشرق ببيروت): " يأكل الجائع حصيده، خطفًا من بين الأشواك، ويبتلع العطشى ثروته ". فمن لا يفتح قلبه بالحب الداخلي الحقيقي للجائعين والعطشى والمحتاجين، يصير نهبًا للغير. يقتحم الجائع مخزنه، ويسلب الحصاد من بين الأشواك، ويعطش كثيرون إلى ثروته، فيحسبون من حقهم أن يبتلوا كل ما له ولا يتوكلون له شيئًا.

هكذا يتطلع أليفاز إلى أيوب ووألاه أنهم لم يكونوا أسخياء في الحب، إنما من أجل المظهر والمجد الباطل يعطون بسخاء، أما قلوبهم فكانت جافة وقاسية، فاستحقوا نهب ممتلكاتهم من الجائعين والعطشى.

في مرلة صوخ طوبيت إلى الرب، قائلاً: "لأننا أخطأنا إليك، ولم نطع وصياك، فأسلمتنا إلى النهب والجلاء والموت، وأصبحنا أحوثة وأضحوكة وعلرًا في جميع الأمم التي بددتنا بينها" (طو 4:3). ويقول المرتل: "رُجعنا إلى الرءاء عن العدو، ومبغضونا نهوا لأنفسهم. جعلتنا كالضأن أكلاً، نرَبِّتْنَا بين الأمم، بعت شعبك بغير مالٍ وماربحت بئمنهم... (مز 10:44-14). ويقول الرب: "ثروتك وخرائنك أدفعها للنهب، لا بئمنٍ، بل بكل خطاياك وفي كل تخومك" (إر 13:15 - راجع إر 3:17، 6:30، 37:50، حز 21:7، 46:23، إش 13:10).

❖ "ثروتك وخرائنك أدفعها للنهب، لا بئمنٍ، بل بكل خطاياك" (إر 13:15). ما هي ثروات الخطاة التي يدفعها الله للنهب في مقابل كل خطاياهم؟ هل

الثروات التي يجمعونها على الأرض؟ كل إنسانٍ في الواقع يكثر لنفسه، إما على الأرض إن كان إنسانًا ثورًا، أو في السماء إذا كان إنسانًا صالحًا، كما يخبرنا الإنجيل (مت 19:6-20). هل يقول لهذا الشعب: إنه بسبب خطاياك أدفع ثرائك وثوراتك للنهب، قاصدًا بتلك الثروات الأنبياء مثل رميا وإشعيا وموسى؟! لقد زع الله هذه الكنوز عن هذا الشعب، وقال من خلال السيد المسيح: "إن ملكوت الله يُزوع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أئمه" (مت 43:21). هذه الأمة هي نحن، فقد دفع الله ثروات هذا الشعب (الأنبياء) إلينا.

هم أستمونوا على أقوال الله ولأ (رو 2:3)، ثم أستمونا نحن من بعدهم على هذه الأقوال؛ فقد رُعت منهم وأعطيت لنا. كذلك يمكننا أن نقول إن عبرة: "ملكوت الله يُزوع منكم ويُعطى لأمة تعمل أئمه" التي قالها المخلص تحققت فيه. ليس أن الكتاب المقدس رُوع منهم، بل أنهم حاليًا لا يملكون الناموس ولا الأنبياء، لأنهم لا يفهمون ولا يُدركون المكتوب فيه. توجد عندهم الأسفار، لذلك فإن ملكوت الله الذي يُزوع عنهم هو "معنى الأسفار المقدسة". إنهم لا يهتمون بمعرفة أي شوح للناموس والأنبياء، لكنهم يؤأونه دون فهم. وبمجيء السيد الرب تحققت بالفعل النوة التالية: "فقال: اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعوا ولا تفهموا، وأبصروا إبصروا ولا تعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب" (إش 6:9-10؛ مت 13:14-15). كما تحققت أيضًا نوة إشعيا: "فإنه هوذا السيد الرب الجنود يُزوع من أورشليم ومن يهوذا السند والوكن، كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب، القاضي والنبى، والعراف والشيخ، رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالوقية" (إش 3:1-3). كل هذا قد زعه الله منهم، ودفعه لنا نحن الذين جئنا من الأمم...

يقول: "لا بئمن بل بكل خطاياك وفي كل تخومك"، كأنه يقول لهذا الشعب: إن خرائتك وثورتك أدفعها للنهب بسبب خطاياك التي ملأت كل تخومك، لأنه لا يوجد مكان عند هذا الشعب لم يمتلئ بالخطية. كيف لا تمتلئ كل تخومهم بالخطايا وهم الذين قتلوا الحق، بما أن السيد المسيح هو الحق، وقتلوا الحكمة، بما أن السيد المسيح هو الحكمة، وقتلوا العدل، بما أن السيد المسيح هو العدل؟ بحكمهم على ابن الله بالموت فقنوا كل ذلك الحق والحكمة والعدل. وحينما قام رب المجد يسوع من بين الأموات لم يظهر أبدًا للذين قتلوه... إنما ظهر فقط للذين آمنوا به، ظهر لهم وحدهم حين قام من الأموات. وأُعبرك مع أعدائك وأخضعك للعبودية في وسط أعدائك في أرض لم تعرفها، لأن نرا قد اشتعلت بغضبي تُوقد عليكم". لقد أخضع هذا الشعب بالفعل للعبودية في وسط أعدائه وفي أرض لم يعرفها. وبعد كلام التهديد هذا الموجه للشعب، يواصل رميا أو السيد المسيح صلاته ويضيف إلى أقواله السابقة هذه الكلمات: "أنت يارب عرفت. أذكرني وتعهدي وانتقم لي من مضطهدي. بطول أناة لا تأخذني" أو "لا تكن طويل الأناة عليهم" [231] (LXX).

العلامة أوريجينوس

3. الإنسان مولود للمشقة

إِنَّ الْبَلِيَّةَ لَا تَخْرُجُ مِنَ التَّوَابِ،

وَالشَّقْوَةُ لَا تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ [6].

بعد أن دلت أليفاز على كل ما فقده أيوب هو قصاص عادل من قبل الله، بدأ كمن يشجعه حتى لا يسقط في اليأس. "إن البلية لا تخرج من التواب، والشقوة لا تنبت من الأرض". أنها ليست كالمحاصيل الطبيعية تنبت في أوقات معينة، وتصدر كالعشب من التواب، لكن كل ما يحدث هو من قبيل العناية الإلهية. أو بمعنى آخر: لا تلقي باللوم على التربة حين ظهرت البلية، فهي ليست من صنعها، بل عليك، لأن العلة هي في داخلك. "إن استهزأت، فأنت وحدك تتحمل" (أم 9:12).

كما لا نتوقع ظهور أشجار من تربة دون غرس بنور، هكذا يليق بنا ألا ننظر أن ضيقات تحل بأناس دون أن يوتكوا شرورًا. فما حل بأيوب ليس اعتباطًا، إنما هو حصاد الغرس الشوير.

هذه الحقيقة كشفها لنا ربنا يسوع خالق النفس، والعالم أن داء النفس في ذاتها، وليس خلجاً عنها. فالنفس البشوية تشبه إناءً خزفيًا واحدًا لا يختلف إلا في طبيعة ما بداخله، فإن كان ما بداخل الواحد بقرينًا وبداخل الآخر ماء، سيصطحب اقتراب جوة نار التهاب الأول وانفجره، أما الثاني فيطفئ الجوة.

كتب القديس يوحنا الذهبي الفم أكثر من مقالٍ يؤكد أنه لا يستطيع أحد أو ظرفٍ ما أن يؤذي إنسانًا ما لم يؤذي الإنسان نفسه.

❖ قد يقول قائل: ألم يؤذ الشيطان آدم، إذ أفسد كيانه، وأفقدته الفردوس؟

لأن إنما السبب في هنا يكمن في إهمال من أصابه الضرر، ونقص ضبطه للنفس، وعدم جهاده. فالشيطان الذي استخدم المكائد القوية المختلفة لم يستطع أن يخضع أيوب له، فكيف يقدر بوسيلة أقل أن يسيطر على آدم، لو لم يقدر آدم بنفسه على نفسه؟!

ماذا إذن؟ ألا يصيب الأذى من يتعوض للافتراءات ويقاسي من نهب الأموال، فيحرم من خواته، ويظرد من مواته، ويناضل في فقرٍ فادح؟

لا، بل ينتفع إن كان وقيرًا، لأنه هل أضوت هذه الأمور الوسل؟ ألم يجاهدوا دائمًا مع الجوع والعطش والعوي؟! وبسبب هذه الأمور صاروا

مُجدين ومشهورين وربحوا لأنفسهم معونة أكثر من الرب؟!

وأيضًا أي ضرر أصاب لعازر بسبب مرضه وقروحه وفقوه وعدم وجود من يقيه؟ ألم تكن هذه الأمور تضفر له إكليلاً من زهور النصر؟! ...

إخوة يوسف مثلاً أضروا يوسف، لكن يوسف نفسه لم يصبه الضرر.

وقاين ألقى بشباكه لهابيل، ولكن هابيل لم يسقط فيها. وهذا هو السبب الذي لأجله وُجدت التأديبات والعقوبات.

فإنه لا يرفع العقوبة عن مدبر الضرر لمجرد حدوث الصلاح الذي يتمتع به محتمل الضرر، بل يؤكد عقوبته بسبب شر صانع الإثم. فإنه

بالرغم من أن الذين يسقط عليهم الشر، يصيرون أكثر مجداً على حساب المكائد المدوة ضدهم، لكن هذا لم يكن في نية الإنسان ألا يرضه غوه، بل ينال

نفعًا عظيمًا على يدي مناضليه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِّلْمَشَقَّةِ،

كَمَا أَنَّ الْجَوْلَجَ لَا تَفَاعُ الْجَنَاحَ [7].

خلق الإنسان ليعيش في سلام وراحة وتهليل قلب، لكن بالتعدي على الوصية وإعطاء ظوهه لله مصدر سعادته صار "الإنسان مولودًا للمشقة"، إذ

وُلد في الخطية (مز 51: 5). وصلرت المشقة كأنها جزء لا يتجزأ من كيانه، أو كأننا خُلقنا لكي نعاني منها، كما خلقت الجرح لتخلق بأجنتها في

العلي. ليس لنا أن نستغرب البلوى التي تصيبنا كأنه قد أصابنا أمر غريب (1 بط 4: 12). يؤمنا أن نأكل خبزنا بعوق وجوهنا (تك 3: 19).

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن حياة الإنسان جهاد مستمر مع عدو الخير، يدخل في معركة لا تتوقف، لكن هذه المعركة تؤول لنصرة

المجاهدين وإكليهم.

❖ يقول: هذا القنوط هو نابع من داخل الناس. لاحظوا كيف التوم مرة أخرى أن يظهر أن كلماته تتطابق مع الطبيعة، حتى لا يُنتقد حديثه. فإن الطبيعة

البشوية خُلقت هكذا. فالأرض لا تنتج شيئًا جدواً بالشفقة أكثر من الإنسان، فيليق بنا ألا ندهش ولا نستغرب: نولد لكي نسبب ألمًا و نتألم. هذا أيضًا

ما قاله النبي: "لأن كل أيام سنيننا... أفرها تعب وبلية" (مز 10: 90). وقال يعقوب: "أيام سني حياتي قليلة وردية" (تك 9: 47). "ولكن الإنسان

مولود للمشقة". يقول إنه في طبيعتنا يستحيل أن نهوب من الألم. فإنه لا يريد أحدًا يعترض مرة أخرى بأن أيوب بار. يقول: إنه بار لكن الطبيعة

البشوية عادة خُلقت لتحتمل الشورر. لاحظوا أنه خرج من الطبيعة ليؤكد أن أيوب ليس بلا لوم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤمنا ألا ننسحب من جهادنا في السهر بسبب اليأس الخطير، لأن "الآن ملكوت الله يُعصب، والغاصيون يختطفونه" (مت 12: 11). فلا يُمكن نوال

فضيلة بغير جهاد، ولا يمكن ضبط العقل بغير حزن قلبي عميق، لأن "الإنسان مولود للمشقة". ومن أجل الوصول إلى إنسانٍ كاملٍ، إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف 4:13) (يؤمننا أن نكون علي النوام في جهاد عظيم مع عناية لانهائية [232]).

الأب سيرينوس

❖ ليكن لنا حذر عظيم واجتهاد من جهة الظروف الخرجية عندما نُصاب بثقل الحزن، حتى نبلغ الرجاء في نوال الأمور العلوية. يقف الذهن لينال العلويات خلال هذه التأديبات الخرجية.

❖ "الإنسان مولود للمشقة، كما أن الطائر للطوان" ... إذ يتمتع الإنسان بالعقل يبرك أنه من المستحيل عليه أن يعبر زمن سياحته دون حزن. لذلك عندما عدد بولس ويلاتة لتلاميذه بحق أضاف: "فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا" (1 تس 3:3).

فإنه إذ يُضرب الجسد بضربات يرتفع الذهن طالباً العلويات. كما يقدم بولس مرة أخرى شهادة بذلك، قائلاً: "وإن كان إنساننا الخرج يقف، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (2 كو 4:16). هكذا فإن "الإنسان مولود للمشقة، كما أن الطائر للطوان"، فإن الذهن يطير في حرية نحو العلى بنفس السبب الذي لأجله يعاني الجسد من الانحناء إلى أسفل في ثقل.

كلمة "الإنسان" هنا تمثل الحياة حسب الجسد. هكذا يقول بولس: "إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق أستم جسديين" (1 كو 3:3)، مكملاً بعد ذلك: "ألستم بشوا" (1 كو 4:3 Vulgate).

في هذه الحياة "يولد الإنسان للمشقة"، فكل إنسان جسدي، إذ يطلب الأمور المؤقتة يحمل نفسه بثقل شهواته. إنها مشقة صعبة أن تطلب مجد الحياة الحاضرة، لنقتني ما نطلبه، وأن تصونها باجتهاد عندما تغلب. إنها مشقة صعبة بالآلام لا تحد أن تمسك بأشياء، وأنت تعلم أنها لا تنوم لزمانٍ طويل. أما القديسون إذ لا يشغفون بالزمنيات، ليس فقط لا يسقطون تحت ثقل الشهوات الوقتية، بل هم متحررون من التعب حتى إن ثلثت الصلبان، في هذه الأحوال وفي الضعفات.

فإنه أي شيء أفسى من الجلد؟ ومع هذا كُتب عن الوسل عندما جُلوا: "وأما هم فذهبوا فحين من أمام المجمع، لأنهم حُسوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه" (أع 5:41). أي شيء يمكن أن يُثقل أذهان الذين حين تأدبوا بالضربات لم يضطربوا؟

"يولد الإنسان للمشقة"، لأنه بالحق يشعر بشور الحال الحاضر عندما يتوق نحو الصالحات... لذلك حسناً أضيف: "والطائر للطوان". فالنفس تنسحب من آلام المشقة وهي تقوم بالرجاء في العلويات. ألم يكن بولس كالتائر وُلد للطوان، هذا الذي احتمل صلبان لا عدد لها، قائلاً: "محادثتنا في السماء". وأيضاً: "لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصووع بيدٍ أبدية" (2 كو 5:1). إنه كطائر صعد فوق المناظر الدنيا. مع أنه كان سالكاً على الأرض في الجسد، كان جناحا الرجاء يحملانه في العلويات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ مخاوف المجاهد تصير له علة حياة لخلصه، وعلى العكس تصير لعار أعدائه والسخرية بهم. يرد كل هجماتهم ويجعلها باطلة، ويصد كل إغواءاتهم... يقدم العدو معركة لأيوب ضد (شيطان) في الهواء، يتحرك بطريقة هيبية بين السماء والأرض. فقد سقط (لوسيفر) من السموات (إش 12:14)، ولم يدعه القديسون الذين على الأرض يستريح عليها، مع أنه وغب في أن يتمتع بدمرنا. فإنه إذ هزمه أيوب مرراً لم يوقف المعركة، دون انتظار إلى النصوة الحاسمة، بل يتطلب مرراً أن ينهك البار.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

4. الله ملجأ المتضايقين

لَكِنْ كُنْتُ أَطْلُبُ إِلَى اللَّهِ،

وَعَلَى اللَّهِ أَجْعَلُ أُورِي [8].

إن استبعدنا نية أليفاز ونظوته الخاطئة لأيوب، فإن كلماته لا يشوبها عيب. إن كان الإنسان بسبب تعديه على وصية الله صار مولوداً للمثقة، فليس من علاج آخر سوى الرجوع إلى الله، والاتكال عليه، فهو السند الحقيقي للمتألمين. كأن أليفاز يقول له: لو كنت في موضعك يا أيوب، ما كنت أتدمر وألعن يوم ميلادي، وإنما ألبأ إلى الله، وأخضع لمشيئته، بكونه مصدر كل خيرٍ وتعزيةٍ. أبسط أورِي أمام الله، ما يحسن في عينيه يفعله (1 صم 3: 18). وكما يقول الموتل: "سلم للوب طويقك، واتكل عليه، وهو يحوي" (مز 5:37). "أقول للوب: ملجأ وحصني، إلهي فأتكل عليه" (مز 2:91). وقول الرسول: أعلى أحد بينكم مشقات فليصل" (بع 5:13).

❖ إذ وجدت حالي هكذا، يقول، فإن ثقتي لا تشبه ثقتك، إنما أنتظر عالماً إن الله هو السيد. أنت توبك نفسك، أما أنا فأنتظر الله دون التوقف عن دعوته ودون فقدان الرجاء. فهو على النوام قادر أن يستبدل الظروف ويغورها. إنني أجد نفسي في وسط الشرور، لكن الله قادر أيضاً أن يضعني في وسط الخوات، إذ ينقلني من حالي السابق إلى هذا الحال. يقول: "الوب هو القدير، بمعنى أنه سيد الكل، ضابط كل الظروف، وكل الأماكن والأشياء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول له: أنت في الواقع لست أهلاً للصلاة. أنا نفسي سأدعور رب الكل. فإنك إذ أنت معتد بنفسك لم تعد تدعور رب الكل، ولهذا هاجمتك هذه الشرور الحاضرة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ أيها الوب، إنك تتوجنا بقرس رادتك الصالحة. ماذا يعني هذا؟ إنك تحرسنا، وتجعلنا منتصرين، وبعد النصرة تعطينا إكليلاً [233].

القديس جيروم

❖ أشر إليه بما يؤلمك، أشر إليه بما تشتهيهِ! [234]

❖ "تقول للوب: ملجأ وحصني إلهي، فأتكل عليه" (مز 2:91).

من الذي يقول هكذا للوب؟ "الساكن في ستر العلي"، وليس في ستره هو. من هو هذا الذي يسكن في ستر العلي؟ ذاك الذي لا يتكبر مثل هذين اللذين أكلاً (من شجرة معرفة الخير والشر) ليصوا إلهين، ففقدوا خلودهما الذي خلُقا عليه. لقد اختلرا أن يسكنا في سترهما، لا في ستر العلي. هكذا أنصتا إلى مشورة الحية (تك 3:5)، واستخفا بوصية الله، وأخراً اكتشفا أن ما هدد به الله تحقق فيهما وليس وعد الشيطان لهما. لذلك لتقل أنت أيضاً: "عليه أتكل، فهو ينجيني، ولست أنا أنجي نفسي" [235].

❖ ليس أحد يعينه الله ما لم يصنع هو شيئاً. إنه سيُعان إن صلي [236].

❖ الأثر الكامل للإيمان هو هذا: يجعلنا نسأل فنأخذ، نطلب فنجد، نوق فيفتح لنا. بينما الإنسان الذي يجادل يغلق باب رحمة الله أمام نفسه [237].

❖ خلقتنا لك يارب، ولن تستقر قلوبنا حتى تسويح فيك [238].

القديس أغسطينوس

الْفَاعِلِ عِظَائِمَ لَا تُفْحَصُ،

وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ [9].

لا نخشى من تسليم نواتنا كما كل أمورنا بين يدي الله، فهو الصانع العظائم والعجائب بلا حصر. هو القدير، عظائمه لا يُمكن إرواها. "لا يبرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" (جا 3:11).

❖ تجاسر الهواطة بالتجديف عليه... تجاسروا بالتجديف على من أعلن عنه الأنبياء أنه الله القدير. أما أنتم فاعبوا الله الواحد القدير، أبأربنا يسوع

المسيح. اهروا من خطأ الإيمان بآلهة كثرة. اهروا من كل هطقة، وقولوا: " أطلب من الرب القدير، الفاعل عظام لا تفحص، وعجائب لا تُعد"...
الذي له المجد إلى أبد الأبد، آمين. [\[239\]](#)

القديس كيرلس الأورشليمي

يُدعى الله بالصانع العجائب، ليس استواضاً لقوته بأنه يفعل ما يفوق الطبيعة التي خلقها، ولا رغبة في كسر تواميسها، إذ هو مُوجدُها، ولكن من أجل محبته للإنسان يصنع عجائب، ليجعل من شعبه عجباً! محبته الفاتكة لبني البشر أمر عجيب للغاية! يجدر رجال الله مسوتهم وسعادتهم في التسبيح لله أنه صانع عجائب!

"عظيم أنت وصانع عجائب، أنت الله وحدك" (مز 86: 10).

"السموات تحمد عجائبك يا رب وحقك أيضاً في جماعة القديسين" (مز 89: 5).

"حدثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه" (مز 96: 3).

"نموا له، أنشئوا بكل عجائبه" (مز 105: 2).

"فليحموا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم (مز 107: 8).

"من هو فغبطه، لأنه صنع عجائب في شعبه" (سواخ 31: 9)

❖ 1:9 يخبر بعجائب الله (مز) من واما تتحقق ليس فقط علناً في جسده، وإنما أيضاً بطريقة غير منظورة في نفسه، بل هذه العجائب أكثر سمواً ورفعة. فالبشر كلّ ضييين وينقادون بما يرونه بالعين يتعجبون بالأكثر أن لعازر الميت يقوم في الجسد، أكثر من تعجبهم أن بولس المضطهد يقوم في الروح (يو 11؛ أع 9). ولكن تدعو الأعجوبة المنظورة النفس للتمتع بالنور، أما بغير المنظورة يعبر الإنسان ليبرك غير المنظورة فيتحدث عن كل عجائب الله [\[240\]](#).

❖ أن توح بأعمال الله (العجيبة) تنسى حتى نفسك، إذ يمكنك أن تبتهج فيه وحده. فإنه أي شيء أفضل منه؟ ألا ترى هذا أنك إذ رجعت إلى نفسك، إنما ترجع إلى أمر خاطئ. "أتذكر عجائبك منذ القدم" (مز 11: 77) ... "أنت الإله الصانع العجائب وحدك" (مز 14: 77) . بالحقيقة أنت الإله العظيم، تصنع عجائب في الجسد كما في النفس، أنت وحدك الصانع لها. الصم يسمعون، والعميان يبصرون، والضعفاء يشفون، والأموات يقومون، والمفلوجون يتشدون. لكن هذه العجائب تمت في ذلك الحين في الجسد. لننظر تلك التي تمت في النفس. هؤلاء الذين كانوا منذ قليل سكرى صاروا عاملين، هؤلاء الذين كانوا منذ قليل عبدة أصنام صاروا الآن مؤمنين، هؤلاء الذين كانوا قبالاً يسلبون الآخرين الآن صاروا يقدمون عطايا للفقراء [\[241\]](#).

❖ "السموات تحمد عجائبك يا رب" (مز 5: 89) ... فإنه في كل عمل رحمة من نحو النفوس المفقودة، عمل تويرير للخطاة، ماذا نسبح سوى أعمال الله العجيبة؟ أنتم تحمونه لأن الموتى يقومون، أحموه بالأكثر لأن المفقودين قد خلصوا. بالأمس قدرأيت يا إنسان وائمة سكر، الآن ترى جمالاً لضبط النفس. بالأمس كنت ترى مجدفاً على الله، الآن زاه مسبحاً له. بالأمس كان عبداً للمخلوق، اليوم صار عبداً للخالق. هكذا تحول البشر عن هذه الأحوال الرهيبة. ليتهم لا يتطلعون إلى استحقاقهم الذاتية. ليصيروا سموات ويحموا عجائب ذلك الذي جعلهم سموات" [\[242\]](#).

القديس أغسطينوس

الْمُنْزَلِ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،

وَالْمُرْسِلِ الْمِيَاءِ عَلَى الْوَالِي [10].

يقدم لنا مثلاً من الطبيعة على عظام الله. " المنزل مطراً على وجه الأرض ". غالباً ما نستخف بالمطر، لكنه عمل عظيم يكشف عن قوة الله،

بدونه كان يمكن أن تتدمر الحياة.

- في وسط آمنا وضيقاتنا إذ نصح إلى الله خالق السماء والأرض، يتطلع إلينا فيغطي نفوسنا بالسحاب بكونها سمواته، ويمطر على حياتنا بمياه روحه القدوس واهب التزيينات السماوية. فنقول: عند كثرة همومي في داخلي... تغزياتك تُلذذ نفسي" (مز 19:94). **رى القديس جيروم** أن السحاب الذي يغطي النفس السماوية هم جماعة الأنبياء والرسل، وأن المطر الذي يهبه الله إيانا هو وصيته الموحية أو تعاليمه الإلهية.
- ❖ كل واحد غير أهل لفهم التعليم الإلهي، فبالنسبة له هذا التعليم مُغطى بالسحاب. "المهيبُ للأرض المطر" (مز 8:147) تحتاج الأرض إلى المطر، فإن لم تتقبل لرضا المطر، الذي هو ينوع التعليم الإلهي، لا تخرج ثورا ^[243].
- ❖ كان موسى سحابة لذلك يقول: "يهطل كالمطر تعليمي" (تث 1:32) رسالته هي مطر روحي يتول علينا. كواقع حقيقي ماذا يقول بولس في رسالته إلى العوانيين؟ "لأن رُضًا قد شويت المطر الآتي عليها مورا كثرة" (عب 7:6). موة أخرى يقول: "أنا غوست وأبولس سقى" (كو 6:3) ^[244].
- ❖ السحاب هم الأنبياء والرسل الذين يسقون قلوب البشر القفر بأمطار تعاليمهم ^[245].

القديس جيروم

- يترجم البابا غريغوريوس (الكبير) هذه الآية: "المرسل المياه على الوري" بأنها "على كل شيء"، وأن الإنسان يمثل كل شيء. فإن أعظم العجائب هي خلقة الإنسان الممثل للمسكونة كلها: [الإنسان يشترك مع الحجرة في الوجود، ومع الأشجار في الحياة، ومع الحيوانات في الإحساس، ومع الملائكة في التمييز. إنه بحق يمثل لقب "المسكونة"، إذ فيه تُحتوى كل المسكونة. هكذا يقول الحق لتلاميذه: "اذهبوا إلى كل العالم، وبشروا بالإنجيل لكل الخليقة" (اجع مت 28:19-20). فإن كل الخليقة هي من أجل الإنسان وحده، الذي فيه خلق ما هو عام بكل الأشياء].
- ❖ لم يدخل الإنسان البشري إلى عالم الموجودات بعد (أي حتى اليوم السادس)... فإنه لا يليق بالحاكم أن يظهر قبل ظهور الأمور التي يسيطر عليها. لكن ما أن صلت سلطنته مستعدة، حيث أعد الخالق كل الأشياء كمسكنٍ ملوكي للملك القادم، حتى أعلن عن الحاكم!
- هذا المسكن الملوكي هو الأرض والخزائر والبحر والسماء التي هي كقوسٍ يحوط فوق الكل أشبه بسقفٍ لها. في هذا القصر اختزن غنى من كل نوع: كل عالم النباتات والحيوانات، كل ما له جسد ونفسٌ وحياة. وإن رُاد أحد أن يحصي الأمور المادية كغنى يجد أيضًا كل ما هو جميل وذات قيمة في نظر الإنسان، من ذهبٍ وفضةٍ وحجرةٍ كريمةٍ، يتمتع بها.
- لقد خبا الخالق هذه الأشياء بفيضٍ في حضان الأرض، كما لو كانت كوزًا ملوكيًا، حتى متى ظهر الإنسان البشري في العالم، يتأمل بعضها، ويسيطر على البعض الآخر. فإنه إذ يتمتع بهذه الأمور يشكر واهب الخوات. وإذ ينظر جمال الأمور التي واهها وضخامتها يجذب إلى قوة خالقها العظيمة غير المتركة ^[246].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

- ❖ يعطى القدير مطرًا على الأرض، عندما يروي قلوب الأمم الجافة بنعمة الكورة السماوية، ويرسل المياه على كل الأشياء، إذ بملء الروح يحول عقم الإنسان المفقود إلى الإثمار، كما يقول الحق نفسه بشفتيه: "من يشرب من الماء الذي أنا أعطيه لن يعطش" (يو 4:14).

البابا غريغوريوس (الكبير)

الجَاعِلِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْعُلَى،

فَيَرْتَفِعُ الْمُخْرُؤُونَ إِلَى أَمْنٍ [11].

أما المثل التالي فهو قوة الله التي تتجلى في المتواضعين حيث يرفعهم العلي، وعملهم في حياة الخواني فيهبهم أمانًا.

دفعت النكبات المتوالية أيوب ليترى إلى الغزيلة، إذ لم يُعد له موضع يسكن فيه ويستريح. لكن إذ يتواضع بدون تدمير يصير في العلا، أي يحلق

في السموات، فالتواضع هو السلم الذي تصعد به النفس بالمسيح يسوع إلى حضن الآب.

حقاً إن الحزن يسحق الإنسان ليصير كمن هو منحدر إلى العورة والدمار، لكنه إذ يحزن في الوب يصعد إلى الأمان الحقيقي.

الْمُبْطِلُ أَفْكَارِ الْمُحْتَالِينَ،

فَلَا تُجْرِي أَيْدِيهِمْ قَصْدًا [12].

المثل الثالث تدخل الله في شئون البشر، فمع ما وهبهم من حرية رادة لكنه لا يتوك الأمور تسير بلا ضابط، فهو "يبطل أفكار المحتالين"، فلا تُترك أيديهم تستقر على رؤوس الصديقين.

بالالتجاء إلى الله يتمتع المؤمن بالحق الإلهي، فلا يستطيع المحتالون أن يضعوا أيديهم على المؤمن. ولا يقدر الباطل والخداع أن يتواءم في وجود الحق، لأن الحق نور يبطل الباطل، الظلمة. ففي وسط الظهوة تصير حياتهم ليلاً قاتماً للغاية. ليس لملوك النور أن يملك عليهم، بل تسيطر عليهم مملكة الظلمة.

كثوفاً ما كانت القيادات اليهودية في مكر يظنون أنهم قادرون على اصطياد السيد المسيح، أما هو فكان يسمح لهم أن يجروه، وخلال مكوم يحكمون على أنفسهم بأنفسهم. فالمكر والخداع لا يستطيعان الوقوف أمام الحكم. إنما يحملان الفساد في داخلهما.

❖ عندما يحتالون بأمرٍ شريرة يظهر أنفسهم ما هم عليه، وإذ لا يستطيعون إتمام مقاصدهم يحفظ (الله) الذين يدبرون الشرور ضدهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الْأَخْذِ الْحُكْمَاءَ بِحِيلَتِهِمْ،

فَتَتَهَوَّرُ مَشُورَةُ الْمَاكِرِينَ [13].

اقتبس الرسول بولس هذه الآية في رسالته الأولى إلى كورنثوس [٣: ١٩].

يستطيع الله بسهولة فائقة أن يهدم مؤامرات الماكرين، الذين يحسبون في أنفسهم أنهما حكماء، ليس من يقدر أن يقف أمامهم. لقد أبطل وبيطل مشورات الكثرين كمشورة أختيوقل الذي كان يخطط لأبشالوم ليقتل أبيه داود ويستلم عرشه، وأيضاً أبطل مشورة سنبلط (نح 4: 7-23)، ومشورة هامان (اس 8). حقاً كل آلة صورت ضد كنيسة الله لن تتجح (إش 54: 17).

"في الشبكة التي أخفوها انتشبت رُجلهم" (مز 9: 15). "سقط في الهوة التي صنع، وجمع تعبته على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه" (مز 7: 15-16).

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) مثلين كيف يأخذ الله الحكماء بحيلتهم، الأول من العهد القديم والثاني من العهد الجديد. ففي العهد القديم أراد

إخوة يوسف الخلاص من أخيهم لئلا يسمو عليهم ويخضعوا لسلطانه، وبحسب حكمتهم البشرية باعوه عبداً. فاستخدم الله تصرفهم هذا وبتدبيره الإلهي

صار عظيماً في مصر، وسجنوا هم أمامه. أما الثاني فهو حكمة العوانيين في العهد الجديد حيث أراد الكهنة والقيادات الدينية الخلاص منه لئلا يسير

العالم كله وراء السيد المسيح (يو 9: 21)، حكموا عليه بالموت، وإذا بذات الوسيلة - الصليب - سار العالم كله وراءه.

❖ كيف يأخذ الله الحكماء بمكومهم؟ بأنهم وهم يظنون أنهم قادرون أن يعملوا بنون الله يجنون أنفسهم بالأكثر محتاجين إليه. يسقطون في مرق ليظهروا [247] أنهم أقل من صيادي السمك والأميين الذين لا يستطيعون الآن أن يعملوا بنون حكمتهم.

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ تملق الوئيس يسوع (لو 18: 18)، وحاول أن يخدعه، فتظاهر أنه يتخذ موقفاً متعاطفاً معه. ولكن بماذا أجاب العالم بكل شيء وهو كما هو مكتوب عنه: "الأخذ الحكماء بمكومهم" (13: 5)؟ [248]

القديس كيرلس الكبير

فِي النَّهَارِ يَصْدِمُونَ ظَلَامًا،

وَيَتَلَمَّسُونَ فِي الظُّهُورِ كَمَا فِي اللَّيْلِ [14].

المؤمن الحقيقي حياته نهار مستمر بلا ظلمة، وكما يقول الرسول: "جميعكم أبناء نور، وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة" (1 تس 5:5). كان لوط لا يعرف الظلمة حين استقبل الملاكين وألح أن يستضيفهما وبيبتا في منزله، لكن الأشرار كانوا في ظلمة ولم يتركوا أنهما ملاكان من نور، فأرأوا أن يعرفهما ويتركوا معهما شراً مفسداً، فأصيب الرجال بالعمى، وصاروا كمن في ظلمة وعجزوا عن أن ينجوا باب البيت (تك 11:19)، هكذا عوض التمتع بالنور الملائكي سقطوا في ظلمة الشر، وفتقوا بصوتهم الداخلية والخلجية.

❖ "في النهار يصدمون ظلاماً"، لأنه في حضور الحق ذاته قد أصيبوا بالعمى بخداع عدم الإيمان... هكذا فإن النور نفسه ينصحهم قائلاً: "سيروا مادام لكم النور لئلا يترككم الظلام" (يو 12:35).

إذ رأى الأشرار جوانهم يصنعون شيئاً حسناً يُصابون بألم حسدهم، ويعانون من عذابات حقدهم المؤلم، عندما يرون بقلوبهم المفعمة بالحسد أمراً صالحاً في الآخرين. لذلك حسناً قيل: "في النهار يصدمون ظلاماً" عندما تحزن أذهانهم لأجل سمو الغير يحدث ظلاً من شعاع النور... ينشغلون بغوة وبفحص شديد ليجنوا شيئاً يمكنهم أن يتهموا به الآخرين. إنهم بالحق يرون كل الأعضاء سليمة لكن بعيون قلوبهم المغلقة يطلبون أن ينجوا بالمشاعر بلوى للغير...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أشر ما في الحسد أنه داء يُطوى في الكتمان. ترى الحسود خافض البصر، كالح الوجه، يشتكى باستتار من عذاب داخلي مما يبذل وجهه ويضني جسده، فيهزل ويضعف. فهو يستحي أن يقول: "إني حسود، اشعر بالعودة والحزن للخير الذي حصل عليه إنسان غوي، وإني أتعذب لسعادة أصدقائي، ولا أطيق نجاح أوابي. إني رى أن سعادة الآخرين سيف يعزق أحشائي ويطعنني في الصميم". هذا ما كان يجب أن يوح به الحاسد. لكنه يفضل أن يحفظه في قلبه ويصمت، وهكذا يبقى الداء في ذاته، فيضنيه العذاب، ويفنى جسمه قليلاً قليلاً [249].

القديس باسيليوس الكبير

❖ تتألم الوحوش والطيور والدبابات لآلام أجناسها التي في الطبيعة، وتتعاون معاً ضد المضادين لها، أما الحاسد فيفعل عكس هذا، يوح بسقوط الأخ والقريب والبعيد والنسيب والصديق.

❖ يحسب الحاسد مصائب الآخرين فائدة لنفسه أكثر من أي نجاح له... صاواً كعدوٍ عامٍ ضد البشرية وصفعة لأعضاء الكنيسة. لأنه أي شيء أقرب إلى الجنون من الحسد؟!

❖ الشيطان حاسد، لكنه يحسد البشرية، ولا يحسد شيطاناً آخر، أما أنت فإنسان تحسد أحاك الإنسان، وبالأخص الذين هم من عائلتك وعشيرتك، الأمر الذي لا يصنعه الشيطان.

❖ ليس داء أشر من الحسد والحقد فعلى أساسه دخل الموت إلى العالم (حك 2: 24)، لأن إبليس لما أبصر الإنسان مكرماً لم يحتمل حُسن حاله، فعمل كل ما أمكنه حتى قتله. وبالحسد دُبح هابيل، وقلب داود أن يُقتل، وقُتل آخرون كثيرون من نوي البر، وصار اليهود قتلة المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الْمُنْجِيّ الْبَائِسِ مِنَ السَّيْفِ،

مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الثُّورِيِّ [15].

تهدف مشورة الماكين إلى إبادة المساكين، لكن الله ينجيهم من سيفهم كما من فمهم وأيديهم. هو ضابط الكل، يعمل لحساب المساكين، ولا تقف مشورات الأشرار ولا أياديهم القوية ولا سيوفهم أمامهم.

إذ يلقي المؤمن بحياته كلها في يد الرب لا يخشى سيف إبليس القاتل للنفس، ولا يفقد رجاءه بسبب هذا القوي. فإن كان إبليس يحمل سيف الافتراء والنتمير، وهو قتال منذ البدء، لكن الذي معنا أعظم من الذي علينا. معنا إلهنا الذي ينجي نفسه، كما يرسل ملائكته لحراستنا. فيه تتمتع بالرجاء، ولا يقدر اليأس أن يسيطر على قلوبنا أو أفكرنا.

❖ "صوت الرب مُكسَّر الأرز" (مز 5:29) ، لأن المسيح يعتمد، والشياطين التي كانت قبلاً منتفخة متعالية تتحطم في كومة الدمار "يكسومهم الرب. مثل عجل، يقذف بهم في الهواء كقطع من الأشجار ويبعثهم في أماكن بعيدة في أنحاء

❖ "أخرس" (مر 25:1) ! ليكن صمتك مديحاً لي. لا أطلب صوتك يمدحني، بل عذابك وعقوبتك مديح لي. لست أسر بمدحك لي، أوح بمفكرتك.

"أخرس وأخرج من الرجل" (راجع مر 25:1) . كأنه يقول: أخرج من مسكني، ماذا تفعل في حجرتي التي للضيوف؟ ريد أن أدخل. أخرس وأخرج

من الرجل (الحيوان العاقل). أخرج من الرجل، أتوك حوة الضيافة التي أعدت لي. الرب يريد مسكنه... إنها ليست رادتي أن تقتنيه... لقد أخذت

[251]

أنا جسداً بشوياً... الجسد الذي تقتنيه الآن يشرك جسدي، أخرج منه!

❖ إنهم يهدفون إلى إطلاق أسهمهم في الظلمة نحو القلب المستقيم... لأنني أقف في خط المعركة، متيقظاً ومنتظاً مستعداً للمعركة. إنني لن أغفل عن

الجهاد الذي بدأ، خاصة وأنكم تقولون إنهم قد شوا أوتار أهواسهم، وصلرت السهام مُعدة في جبعتهم، وها هم ينتظرون في الظلمة ليحروا قديسي،

لكنهم ليسوا بعد قادرين على تصويبها. لقد شوا الوتر، لقد مالوا الجعبة. إنهم مستعدون لتصويب سهامهم في الظلمة في القلب الصادق. الآن إذ

استعوا تماماً أضع نفسي بينهم، وأقف مقابل سهامهم، حتى بألمي لا يشعر خدامي بالألم، وبحواحتي يُشْفون، وبآلامي لا يتألمون، بل يقولون: "كأنه

[252]

بتوس تحيطه بالرضا" (مز 13:5).

القديس جيروم

❖ يضيف أن الله يعمل ما هو مصاد عندما يُظهر اهتماماً بالضعفاء. " يعطى الضعفاء رجاء، ويبكم أفواه الظالمين "... كان أليفاز مشغولاً بأن يقيم

حوراً، به يحط من شأن أيوب. لكن من عادة الله أن يرفع الضعفاء ويذل الأقوياء ويُحرى المخادعين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَيَكُونُ لِلذَّلِيلِ رَجَاءٌ،

وَتَسُدُّ الخَطِيئَةَ فَأَهَا [16].

إذ يتطلع البائس إلى الماكرين ينهار في اليأس، لكن إذ يتطلع إلى الله يمتلئ رجاءً، فتسد أفواه الماكرين، ولا تستطيع الخطية الكامنة فيهم أن

تتطق بكلمة، لأن الله نفسه تكلم.

❖ حتى وإن كانت هذه القوى (الشهوة) ترتفع وتغلب، فلتعلم أن هذا تأديب الله، فإنهم وإن انتصروا لكنهم سيُدانون بدينونة عادلة. لتكن متأكداً من هذا، أن

الوحش سيُذبح في الوقت المعين. وأما أنت يا أخي فلتكن غيراً في التماس الرحمة لكي يكون سلام شعب الله

[253]

القديس أفواهاط

هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ،

فَلَا تَرْتَفُضُ تَأْدِيبَ القَدِيرِ [17].

يميز أليفاز بين تأديب الرب لمؤمنيه وبين العقوبة التي يوضها على الأشوار. فهو يقدر تأديب الله الأوي للمؤمن متى سقط.

يقدم أليفاز في آخر حديثه الأول تعزية، كان أليفاز نفسه محتاجاً إليها، وهي قبول تأديب الرب القدير.

ما حلّ بأيوب لم يكن إلا تأديباً من الله القدير المحب. ومن حماقة والجنون مخاصمة الرب وتجاهل أبوته الحانية حتى في لحظات التأديب

نفسها.

جاءت الكلمة العبرية المترجمة "لا توفض" " تعني "لا تكوه"، فيليق بالمؤمن أن يخضع بسورٍ لإرادة الله وتأديباته، حتى وإن كانت مرّة، فنحن في حاجة إلى عصا التأديب، ولنحسب أن ما يحل علينا نستحقه، وهو نواء مرّ نافع لشفائنا.

كما تعني أيضًا لا تسيء بتفكيرك عنه، ولا تستخف بما عمله، بل تتحنى أمامه وتثق في حكمته وعنايته.

كما تعني ألا تتغاضى عنه، كأن ما حلّ هو من قبيل الصدفة، وليس عن خطة إلهية حكيمة ومحكمة. لتحسب التأديب هو صوت الرب ورسالته

السماوية.

هكذا يليق بنا قبول تأديب الرب، وتقدير حكمته، والخضوع له بخوفٍ ورعدةٍ، واتقن أنه لبنياننا الأبدي. إنه يفظننا عن العالم والخوات الزمنية

لكي نلتصق بواهب الخوات نفسه ويهيئنا للمجد الأبدي.

ما أجمل أن يوجه القائد نفسه ومن هم حوله نحو بركات تأديب الرب لمؤمنيه. فمع ما فيها من مرارة ومتاعب، لكنها غير مدمرة، إنها وقتية،

تهب قوة ليقف المؤمن حتى أمام وحوش الأرض، لأنه يشعر أن ما يحل به هو بسماحٍ من الله لبنيانه وإصلاحه وتوكيته.

لكن هدف أليفاز هنا ليس تشجيع أيوب على قبول الألم من يد الله، إنما يدعوه إلى أن الله لا يطلب تأديبه بل تدموه، لأنه تعدى الحدود، وبهذا لم

تعد آلامه إلا عقوبة، وإن بدت عنيفة للغاية، لكنها ليست إلا عوبونًا لما يليق بأيوب أن ينتظره في يوم الدينونة، لأنه أشر الأشرار.

❖ الرومانه مغطاة بقشوة جامدة ومرة، فإن هذه القشوة الخرجية غير صالحة للأكل، ولكن الداخل جميل المنظر، وبه بنور منسفة بعناية، وطعمه حلو.

وهكذا حياة الفلسفة (الحكمة الروحية)، تبدو من الخراج جافة وغير مبهجة، ولكن عندما تتضح تكون مليئة بالأمال الطيبة. وعندما يفتح البستاني

(الله) رمانه الحياة في الوقت المناسب ويظهر جمالها المخفي، فإن الذين ينوقونها يستمتعون بحلاوتها. ويقول بولس الرسول: "وأى تأديب في الحاضر

لا يؤى أنه للفوح بل للحزن (أي أول انطباع عن الرومان بالنسبة لقشوته)، أما أخوًا فيعطي الذين يتدربون به ثمر برّ السلام" (عب 12: 11) (أي

حلاوة الثرة من الداخل) [254].

القديس غريغوريوس النيسي

لأنه هو يجرّح ويغضب،

يسحق ويدهأ تشفيان [18].

بينما سمح الله بالقروح في جسد أيوب كجراحات مرّة، لكنه جراح ماهر، يعصب الجراحات الداخلية للنفس، ويهبها تغريات روحه القنوس

الشفافية.

في تأديبه يبدو كمن يسحق، لكنه يود لمؤمنيه كل كرامةٍ ومجدٍ على مستوى أبدي، بهذا يدهأ تشفيان. يوتل موسى النبي: "فرحنا كالأيام التي فيها

أذللنا، كالسنين التي رأينا فيها شرًا" (مز 90: 15). ويقول هوشع النبي: "هو افترس فيشفينا" (هو 6: 1).

❖ إذ يروح يشفي، فإننا إذ نطعن بومح مخافته يودنا إلى الحس السليم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لذلك فإذا رأى أحد في أي وقت الشر في أشخاص كثيرين، ولكن غضب الله لا يحل على الجميع، وإنما على البعض فقط، يجب أن يُبرك أن التأديب

يُطبق بحبٍ على الجنس البشري. فإن الضربات لا تحل على الجميع، ولكن الضربات التي تحل على البعض تؤدب الجميع لوجعوا عن الشر [255].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله" (عب 12: 6). ولأ يروح، وبعد ذلك يشفي. فهو يجلب ألمًا ثم يعصب.

على نفس الوثوة يقول: " قد وكلنك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك، لنقلع وتهدم وتهلك وتتقض، وتبني وتغوس" (إر 1: 10). مهما يكن

الأمر فإنه يؤرم أولاً لالة ما هو رديء منا (من داخلنا)، فانه لا يقدر أن يبني حيث يوجد بناء حقير. فأية شوكة بين البر والشر، وأي اتفاق بين النور والظلمة (2 كو 6: 14).

يؤرم اقتلاع الشر من جنوره، يؤرم هدم بناء الشر من نفوسنا، حتى يمكن للكلمة أن تبني وتغرس [256].

❖ عندما لا تُوع الشورر أولاً، لا نقبل الصلاح. إنه يحطم المباني الهزيلة التي لعدم الإيمان، إذ هو السيد الذي يبني الخيمة الحقيقية التي يصنعها هو وليس إنساناً (عب 8: 2)، والتي قال عنها بولس: "أنتم بناء الله" (1 كو 3: 9) [257].

❖ **وأيضاً في تلك الأيام يقول الرب أفنيكم** (إر 5: 18)...

يتمهل الله في إدانته للذين يستحقون العقاب، حتى يعطيهم فرصة للتوبة. فهو لا يعاقب على الخطية في الحال، ولا يوقع الفناء بالخطي، بل يتمهل في العقاب.

نجد مثلاً على هذا في سفر اللاويين: في اللعنات التي قيلت للذين يخالفون الشريعة، فبعد الإعلان عن العقوبات الأولى، قيل: **وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف** (لا 26: 18). ثم يذكر أيضاً عقاباً آخر: **وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف، فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطاً** (لا 26: 27). من هنا يتضح لنا أن الله يوقع العقوبات ببطء شديد، لأنه يريد أن يقود الخاطي إلى التوبة بدلاً من أن يجعله يدفع الثمن في الحال.

هذا أيضاً ما حدث مع الشعب، فقد كان الرب يتوعد بالآلام التي سوف تحل به، ثم قال له بعد ذلك: **وأيضاً في تلك الأيام لا أفنيكم** [258].

❖ **"لأن هذا زمان انتقام الرب"**. يوضح الكتاب المقدس أن العقوبات تُوقع على الإنسان الذي يحتملها ويصبر في احتمالها. فعندما لا يعاقب الإنسان على الأرض يظل هكذا بدون عقاب حيث يتم عقابه في يوم الدينونة. ويقول الرب على لسان هوشع النبي: **"لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين، ولا كفاتكم لأنهن يفسفن"** (هو 4: 14). الله لا يعاقب الخطاة بسبب غضبه عليهم، كما يظن البعض، أو بمعنى آخر إن الله عندما يوقع عقاباً بإنسان خاطي، فإنه لا يوقعه بدافع الغضب من هذا الإنسان، بل على العكس، فإن علامة غضب الله على الإنسان تتمثل في عدم توقيع العقاب عليه. لأن الإنسان المُعاقب حتى ولو تألم تحت تأثير هذا العقاب، إلا أن القصد هو إصلاحه وتقويمه. يقول داود: **"يا رب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بسخطك"** (مز 6: 1). لو أردت أن تؤدبني، فكما يقول لميا: **"أدبني يا رب، ولكن بالحق لا بغضبك لنلا تفنيني"** (إر 10: 24). كثيرون أصلحوا بسبب عقوبات الرب وتأديباته لهم. كما يقول الكتاب، إن أبناء السيد المسيح حينما يخطئون يتم عقابهم لكي تكون أمامهم فرصة للرحمة من قبل الرب: **"إن ترك بنوه شريعتي، ولم يسلكوا بأحكامي، إن نقضوا فوائضي، ولم يحفظوا وصاياي، افتقد بعضا معصيتهم وبضربات إثمهم، أما رحمتي فلا أوعها عنهم"** (مز 89: 30-33).

من ذلك نفهم أنه إذا ارتكب أحد الخطايا ولم يعاقب حتى الآن يكون علامة عن عدم استحقاقه للعقاب بعد [259].

العلامة أوريجينوس

في ستّ شدائد يُنجيك،

وفي سبع لا يمسك سوء [19].

كان الحديث السابق عاماً، أما الآن فيوجه حديثه بوجه خاص إلى أيوب مباشرة، مقدماً له مواعيد الله الثمينة، ومعلناً عن وراحه العظيمة.

حقاً لم يكن أصدقاء أيوب مستوحدين بروح الله في كل ما قالوه، لكنهم قدموا وعوداً إلهية عرفوها بالتقليد الشفوي. وإن كانوا أحياناً نطقوا على

الله وعلى أيوب كلاماً غير مستقيم.

بقوله: **" في ست شدائد ينجيك، وفي سبع لا يمسك سوء "** يؤكد تكرار الضيقات والمتاعب، مع تكرار العون والخلص. مادمننا في العالم نتوقع

ضيقات، لكننا نتق في عون الله أبينا واهتمامه بخلاصنا وسلامنا. يقول الرسول بولس: "أية اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب" (2 تي 3: 11).

"لا يمسك سوء" لن تسبب الضيقات أضورًا حقيقية، فالشوير لا يمس أولاد الله (1 يو 5: 18)، بل هم محفوظون في يد الله مخلصهم.

❖ بماذا يشير رقم 6 الذي تلاه رقم 7 إلا إلى التعب في فترة الحياة الحاضرة؟ فإن الله بعد أن أكمل كل شيء في اليوم السادس خلق الإنسان واسزّاح في اليوم السابع. هذا اليوم السابع عينه بدون مساء، إذ ليس بعد أية نهاية لينهي الراحة التي تبعتها. فعندما أكملت كل الأشياء تبع ذلك الراحة، فإنه بعد الأعمال الصالحة للحياة الحاضرة تأتي بعدها مكافأة الراحة الأبدية. لهذا فإنه "في ست شدائد ينجيك الرب"، وهكذا "في سبع لا يمسك سوء". فإنه بتوجيه الحنو الأوي يربنا على متاعب الحياة الحاضرة. ولكن عند مجيء الديان يخفيها من البلاء... بل يحضونا إلى خلاصه الأكثر تأكيدًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن كان أيوب هو أحد هؤلاء الذين يحوهم الله ويصلح من أروهم، وليس الذين يضوبهم بالعقوبة والدمار، لهذا في ست شدائد ينجيه الله، هذه التي تنهكه، لكنه إذ هو خادمه وصديقه وجنديه، فإن الشر لن يمسه في العرة السابعة، فإن عون الله يحفظه. لكن يبدو أن الحال ليس هكذا، كما عني أليفاز. هنا الكرثة التي حلت بك العرة الأولى هي احتراق القطيع، والثانية الغرة على الثوان، والثالثة فقدان الأتن، والرابعة سلب الجمال، والخامسة موت الرعاة، والسادسة موت أبنائك وبناتك المفاجئ، وبعد ذلك السابعة الشر قد مسك أنت وهو الألم الجسدي وقروح أعضائك. على أي الأحوال، فإن الله لا ينجيك، ذاك الذي يضرب ويشفي، الذي يسبب الألم ويدوي، لتستحق الافتقاد الإلهي.

ما قاله أليفاز عني به أن يقود أيوب إلى اليأس. لم يكن يعلم أن هذا شجع المصلح بالأكثر. فإن الله في ست مرات نجاه من الشدائد، فإن المصائب الست التي عدناها الآن قد حلت عليه من العدو. أما الله إذ يتطلع إلى البار، فقد وضع مقدمًا حدودًا لا يتعدها العدو. "انظر، ها أنا أسلمه لك، لكن احترم نفسه" (راجع 12:1). بمعنى "لك أن تمس خرجه، لكن هذه الكلمات لن تعطيك سلطانًا أن تدخل إليه في داخله... لاحظوا كيف حفظ الله أيوب من هذه المحن، وباطلاً قال أليفاز لأيوب الأمور السابقة واللاحقة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ لاحظوا كيف يحطم كل نفع فيما يقوله ويقدم لطمة عنيفة. كيف وبأية وسيلة؟ بإظهار أن أيوب لم يكن طرفًا بين الذين يتقبلون تحذيرًا، ولا الذين ينالون رجاءً. لكن في الواقع ما قاله ينطبق على شخص أيوب تمامًا. لكن مُحادثته كان لها تطبيقها العام، إذ قال أن هذا هو مارأيناه وسمعناه. فإن كان هذا لم يحدث في حالتك، إن كنت باقياً في شدائدك، فإنها لفائدتك لتعرف ضلالك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

في الورع يفديك من الموت،

وفي الحرب من حد السيف [20].

لن يقدر الورع أن يهلكهم، إذ "في أيام الورع يشبعون" (مز 37: 19). "لينجي من الموت أنفسهم، وليستحيهم في الورع" (مز 33: 19). يحتاج الإنسان إلى كلمة الله - لا بصفته المخلص الذي يعيد نفس الإنسان إلى طبيعتها الأولى فحسب، بل أيضا لإشباع جميع الاحتياجات. فهو يقدم نفسه للإنسان كأنه كل شيء بالنسبة إليه. ففي السيد المسيح لا يقدر الورع أن يحطنا لأن السيد هو شعبنا. يقدم المسيح ذاته لأولئك الذين يشعرون بأنهم في حاجة إليه. فهذا الشعور يمنحهم استحقاق تواجد وسكناء في قلوبهم. وهو واحد، يقدم ذاته لكل مؤمن حسب حالته الروحية.

❖ ربما، كما يقول الرسول لأولئك "قد صار لهم الحواس مربة على التمييز بين الخير والشر" (عب 5: 14)، قد صار المسيح كلاً من هذه الأشياء، حتى يلائم الحواس المختلفة للنفس.

فقد دُعي النور الحقيقي، حتى تجد أعين النفس شيئاً ينوها.

وهو (اللوغوس)، حتى تجد آذانها شيئاً تسمعه.

ثم هو خبز الحياة، حتى تجد للنفس شيئاً تتنوقه.

وبشكل ما دُعي بالفلردين أو الدهن، حتى يمكن لحاسة الشم عند النفس أن تعي الرائحة الذكية للكلمة.

ولنفس السبب قيل أيضاً أنه قادر أن يُحسّ ويُمسك به، ودُعي باللوغوس المتجسد، حتى تلمسه يد النفس الداخلية فيما يتعلق بكلمة الحياة (يو 1-

1:4، 1 يو 1:1).

ولكن كل هذه الأمور هي الواحد - كلمة الله ذاتها - الذي يتكيف مع الانفعالات المختلفة للمصلي، تبعاً لتلك المسميات المتعددة، فلا يتوكّ بذلك

[260]

أياً من قرات النفس خالية من نعمته .

❖ حقاً، يمكنني القول أنه يصير كل شيء يحتاجه كل مخلوق قادر على التحرر. لذلك فهو يصبح نور الناس، إن كانوا - وهم في ظلمة الشورور -

[261]

يبحثون عن ذلك النور الذي يسطع في الظلام الذي لا يبركه. فلم يكن ليصبح نورا للناس لو لم يصيروا في الظلمة .

العلامة أوريجينوس

ينجي الرب الإنسان من سيوف الأعداء، مهما بلغ عددهم، فلا تقدر حروب الشياطين أن تهلكنا. "يسقط عن جانبك ألف، ورووات عن يمينك،

إليك لا يقوّب" (مز 91: 7).

[262]

❖ يسوع ابن الله، ربي، يهيني ويأموني أن أسحق تحت أقدامي روح الوّنا، وأن أظأ عنق روح السخط والغضب، وشيطان الجشع الخ .

❖ كما أن الآب "له وحده عدم الموت" (1 تي 6: 16)، أخذ الرب يسوع، حباً فينا، على نفسه ثقل الموت نيابة عنا.

وعلى النمط نفسه ينطبق هذا الوصف على الآب وحده: "ليس فيه ظلمة". فإن المسيح، لمنفعة البشر، أخذ على نفسه ظلامنا، حتى يمكنه بسلطانه

[263]

أن يأتي بموتنا إلى لا شيء naught وأن يبدد ظلمتنا الداخلية .

❖ قبل مجيء ربنا ومخلصنا، ملكت كل الشياطين على عقول الناس وأبدانهم، واستوتت في أرواحهم. ثم ظهرت نعمة الرب المخلص ورحمته على

الأرض، تعلّمنا كيف يجدر بنفس كل إنسان أن تستعيد الحرية، وتستود صورة الله التي خلقت عليها...

من هو هذا، إذا لم يكن يسوع المسيح، الذي بجلداته قد شفينا نحن المؤمنين به، عندما "جرّد الرئاسات والسلطين" الذين في وسطنا و"أشوّهم

[264]

جهلاً" فوق الصليب؟ (كو 2: 15) .

❖ لقد سقطنا تحت سلطان أعدائنا، أي "ملك هذا الدهر" وأعوانه من قوى الشر. لهذا نشأت حاجتنا إلى الفداء بواسطة ذاك الذي يشترينا حتى نعود من

حالة التعرّب عنه. لذلك بذل مخلصنا دمه فدية عنا...

ولما كانت "مغفوة الخطايا"، وهي تتبع الفداء مستحيلة قبل أن يتحرر الإنسان، لابد لنا ولأ أن نتحرر من سلطان ذاك الذي أخذنا أسرى، واحتفظ

بنا تحت سيطرته، نتحرر بعيداً عن متناول يده، حتى نتمكن من أن نحظى بغفوان خطايانا والوؤء من حواحات الخطية، حتى ننجز أعمال التقوى

[265]

وغوها من الفضائل .

العلامة أوريجينوس

مِن سَوَاطِنِ النَّسَانِ تُخْتَبَأُ،

فَلَا تَخَافُ مِنَ النَّوَابِ إِذَا جَاءَ [21].

كما يحمي الله أولاده من السيف في المعركة، كذلك يحميهم من لسان الأشرار الذي هو أحد من السيف؛ يحميهم من الاتهامات والافتراءات

الموجهة إليهم باطلاً. هكذا في وقت الحرب كما في وقت السلم يعيش المؤمن تحت مظلة الله في سلامٍ، لا يخاف من الغراب، حتى إن رآه قادماً.

يقدم أليفاز اتهامًا ضد أيوب في شكل نصيحة: " من سوط اللسان تُختبئ، فلا تخاف من الغواب إذا جاء " . كأنه يقول: لقد انهمرت في التجربة، لأنه إذ حلّ بك الضيق، كان يجب ألا تخطئى بلسانك، بل تختبئى من هذا الخطأ. لسانك يشهد على شوك، فقد سقطت في فخ اللسان، وانحنيت لجلداته القاتلة. لم يدرك أليفاز أن ما يقوله لا ينطبق على أيوب، لأن الله نفسه يشهد أنه في هذا كله لم يخطئ، ولم ينسب لله جهالة (22:1)، إنما الذي سقط في شوك اللسان وتحت جلداته هو أليفاز نفسه الذي أراد بها أن يسقط أيوب البار. أما أيوب فينطبق عليه قول الموتل: "لأنه ينجيك من فخ الصياد، ومن الكلمة القاسية" (مز 3:91).

❖ أحب قديسو الرب حفظ الصمت، لأنهم أتركوا أن صوت إنسان هو بدء الخطية. فقال قديس الرب [266] في نفسه: "قلت أتحتفظ لسبيلي من الخطأ بلساني". لأنه عرف ما سبق فوَّاه أن من علامات الحماية الإلهية للإنسان أن يختبئ من جلدات لسانه، ومن شهادة ضموره. إننا نؤدب بواسطة توبيخات أفكرنا، وحكم الضمير.

نؤدب أيضًا بجلدات أصواتنا، عندما ننطق بأشياء تصيب نفوسنا إصابات قاتلة، ويؤدب ذهننا بجراحات دامية. لكن أين ذاك الإنسان الذي تنقى قلبه من نجاسات الخطية، فلا يخطئ بلسانه؟

هكذا إذ رأى أنه لا يوجد أحد أمكنه أن يحفظ فمه متحررًا من الكلام الوديء وضع لنفسه قانون البرّ بالوَّامه بأحكام الصمت. وضع نصب عينيه أن يتجنب بالصمت السقطة التي كان يصعب عليه الهروب منها بالكلام [267].

القديس أمبروسيو

❖ "لا تخف من الغواب إذا حلّ" [22] [إذ يرى القديسون أنفسهم منهمكين مع المقاوم في أشكال متنوعة، يجهزون أنفسهم بأساليب مختلفة في معركتهم. لهم معونة كلمة الله في مواجهة المجاعة. ولهم روع ضبط النفس في مواجهة سيف الحرب. ولهم حصن الصبر في مواجهة سوط اللسان. ولهم عون الحب الداخلي في مواجهة الأذى الذي للكورث الخرجية. هكذا بطريقة عجيبة يجتازون التجارب المتنوعة التي يجلبها عليهم العدو الخبيث، فينالون غنى أعظم في الفضيلة كجنود الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ " أفنيهم، وأبوا قبول التأديب" (إر 5: 3). الله في عنايته ورحمته، حينما يقوم بعمله التطهيري من أجل خلاص النفس، فإنه يذهب في عمله حتى النهاية (حتى الفناء)، على الأقل من جانبه. فإذا كان كل الذي يأتي علينا من قبل العناية الإلهية يهدف إلى كمالنا وإلى تأديبنا، ومع ذلك لا نقبل التأديبات الإلهية التي تقودنا إلى الكمال، فإن الذي يفهم معنى هذه القوة يمكنه أن يقول للرب: يارب، لقد أفنيهم (أدبتهم)، وأبوا قبول التأديب [268].

العلامة أوريجينوس

تَضَحُّكَ عَلَى الْغُوابِ وَالْمَجَاعَةِ،

وَلَا تَخْشَى وَحُوشَ الْأَرْضِ [22].

ينطلع المؤمن إلى مؤامرات الأشرار وهياج وحوش البرية، وفي طمأنينة يستخف بهم، لأنه محفوظ في الله. هذا هو حال بولس الرسول الذي لم يخشَ آخر عدو وهو الموت، وأكمل تسبحة قائلاً: "أين شوكتك يا موت؟" (1 كو 15: 55)، "لكننا في هذه جميعها، يعظم انتصرنا بالذي أحبنا" (رو 8: 35).

❖ "على الغواب والمجاعة يضحك" ... حسناً قيل بالموتل: "قوى الصديقون ويخافون، وعليه يضحكون، هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله معينه" (مز

52:6-7). الآن ينظر الأوار إلى الأثوار ويخافون، ينظعون فيما بعد ويضحكون. إنهم يُسكون الآن بالخوف خشية أن يتمتوا بهم، ولكنهم إذ لا يقدرون أن يصلحوا من سقطوا تحت الحكم الأبدي لا يضمرون لهم عطفًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تجد أجزاء كثيرة في الكتاب المقدس يتشبه فيها الله بصفات الإنسان. فإذا سمعت يومًا كلمات "غضب الله وثورته" لا تظن أن الغضب والثورة عواطف وصفات موجودة عند الله، إنما هي طريقة بها ينتزل الله ويتكلم ليؤدب أطفاله ويصلحهم. لأننا نحن أيضًا حينما نريد أن نوجه أولادنا ونصح أخطائهم نظهر أمامهم بصورة مخيفة ووجه صرلم وحزم لا يتناسب مع مشاعرنا الحقيقية، إنما يتناسب مع طريقة التأديب.

إذا أظهرنا على وجهنا التسامح والتساهل الموجود في نفوسنا ومشاعرنا الداخلية تجاه أطفالنا بشكل دائم، دون أن نغير ملامح وجهنا بحسب تصورات الأطفال، نفسدهم ونردهم إلى الأسوأ. بهذه الطريقة نتكلم عن غضب الله، فحينما يقال أن الله يغضب، فإن المقصود بهذا الغضب هو توبتك وإصلاحك، لأن الله في حقيقته لا يغضب ولا يثور، لكنك أنت الذي ستتحمل آثار الغضب والثورة عندما تقع في العذابات الالهية القاسية بسبب خطاياك وشوروك، في حالة تأديب الله لك بما نسبه غضب الله! [269]

العلامة أوريجينوس

لأنه مع حجرة الحقل عهدك،

ووحوش البرية تسالمك [23].

متى كان المؤمن في سلام مع الله تصير له صداقة مع كل الخليقة. يقيم عهدًا حتى مع حجرة الحقل، فلا تصدم بحجر رجله. يقيم عهد سلام حتى مع وحوش البرية. وأقطع لهم عهدًا في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض، وأكسر القوس والسيوف والحرب من الأرض، وأجعلهم يضطجعون آمنين" (هو 2: 18). من كان في عهد مع خالق السماء والأرض، وتشتهي السماء والأرض مصالحته وتجد مسوة في خدمته. ❖ هكذا إنه لأمر إوامي علينا أن نجاهد، وأن نصلح من أخطائنا، ونصح سلوكنا، فبدون شك متى تم هذا باستقامة نصير في حال أفضل جدًا حتى مع الحيوانات المفترسة والوحوش، ولا أقول عن الكائنات البشوية.

هذا يطابق ما نُون في سفر أيوب الطوبولي: تكون الوحوش المفترسة في سلام معك" (LXX 23:5). لن نخشى هجمات تصدر عن الخرج، ولن نقدر أن تؤثر فينا عوة في الخرج مادامت جنورها لم يُسمح لها بالدخول وأن تُغوس فينا. فإن "سلامة جزيلة لمحبي اسمك، وليس لهم معوة" (مز 119:165) [270].

القديس يوحنا كاسيان

❖ "ووحوش الأرض في سلام معك" [23]. واضح أن الشياطين خضعت له، ليس بمرادتها، بل تحت إوام. إذ يفهم ذلك كله بشجاعة وصبر... إنه يعرف أن يحرس بيته في سلام، إذ لم يكن جسد أيوب في صواع ضد الروح (1 كو 16:3)، وعواطف الجسد لم تقاوم ناموس الروح.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ عدونا المخادع يُدعى "وحش الأرض"، إذ يفترس بعنف طبيعته المتوحشة، ممسكًا بنفوس الخطاة في ساعة موتهم... أما الصالحون، فإنهم إذ يخضعون بكل قلوبهم لخوف الله يزول عنهم كل ثقل الخوف الحال من الخصم.

❖ أعطى "الحق" السلام لتلاميذه في البداية عندما قال: "سلامًا أتوك لكم، سلامي أنا أعطيتكم" (يو 14:27). انتهى سمعان السلام الكامل عندما طلب إليه قائلاً: "الآن أطلق عبدك بسلام حسب قولك" (لو 29:2). فإن سلامنا يبدأ بشوقنا للخالق، ويكمل بالرؤية الواضحة. فإنه سيكون كاملاً عندما لا نتمى أذهاننا بالجهل، ولا تتأثر بهجمات جسدية. فإننا إذ نلمسه في بداياته، إما نخضع النفس لله أو يخضع الجسد للنفس، فيقال عن خيمة البار إنها في

سلام، أي في جسده الذي يسكنه عقله، فتكون العواطف المتعددة والتي للشهوات تحت قيادة يد البرّ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَتَعَلَّمْ أَنْ خَيْمَتِكَ أَمِنَةٌ،

وَتَتَعَهَّدُ مَرِيضَتِكَ،

وَلَا تَفْقُدُ شَيْئًا [24].

في المصالحة مع الله يتحقق السلام في البيت والأسوة. من يسكن في ستر العلي (مز 91: 1)، يسكن العلي في بيته، ويتعهد خلاص أسرته.

ما هي الخيمة إلا الجسد الذي يتقدس بالسيد المسيح، فيصير مجداً وفي أمانٍ على مستوى أبدي؟

❖ لسنا نريد أن نتخلص من الجسم، وإنما من الفساد الذي فيه. جسمنا هو ثقل علينا، ليس لأنه جسم بل لأنه فاسد وقابل للألم. ولكن إذ تحل الحياة الجديدة، فإنها تزوع هذا الفساد، أقول هذا الفساد لا الجسم نفسه [271].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أنا موسى النبي كمثال، بواسطة مجد الروح الذي سطع على وجهه الذي لم يستطع أحد أن يتفوس فيه، كيف أنه في قيامة الأوار ستمجد أجساد أولئك المستحقين، بمجدٍ تحصل عليه منذ الآن النفوس المقدسة الأمانة، إذ تُحسب أهلاً لاقتناء هذا المجد في داخلها، في الإنسان الباطن [272].

القديس مقاريوس الكبير

❖ إنهم يعدل ينالون مكافأة آلامهم في الجسم الذي تألم فيه الأوار وحزنوا وتركوا بالآلام بكل وسيلة. وفي ذات الجسم الذي فيه قُتلوا من أجل محبتهم لله، فيه ذاته سيحيون، وفي ذات الجسم الذي فيه احتملوا العبودية فيه سيملكون [273].

القديس إيريناؤس

وَتَعَلَّمْ أَنْ زَرْعَكَ كَثِيرٌ،

وَأُزْرِيَّتِكَ كَعُشْبِ الْأَرْضِ [25].

فقد أيوب كل بنيه، وها هو أليفاز يقول له إنه إن رجع إلى الله يكثر زرعه وتودهر نوبته.

نوية الأوار كثرة كعشب الأرض، إذ يعطى الله كلمة ونعمة للأوار فيكسبون نفوساً كثرة للوب كؤلاد له.

❖ عندما نكون خاضعين بالكامل لله، تُرود أيضاً بكلمة الكورة. ويخلف نفوس المؤمنين نوية ضخمة عندما يُمنحون أولاً الكورة المقدسة... تُشبه نوية البار بعشب الأرض حيث أن من يولد في صورة منه بينما يزوع فساد المجد الزمن الحاضر، يصير أخضر بالوجاء في الأبديات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ،

كَرَفَعِ الْكُدْسِ فِي وَاوَانِهِ [26].

الزوع إلى الله يهبه طول العمر، فيتتم رسالته ويدخل القبر في شيخوخة صالحة في الأوان اللائق كما يُجمع القمح ويُخزن في ووانه.

❖ "تدخل قبرك في كمال (الشيخوخة)، ككُدس (كومة) الحنطة في ووانها". ماذا يعني بالقبر سوى حياة التأمل، فإنها كمن تدفنا نحن الموتى عن العالم، وتخفينا في العالم الداخلي بعيداً عن الشهوات الأرضية. فإن الذين هم موتى عن الحياة الخرجية هم أيضاً مدفونون بالتأمل، هؤلاء الذين يقول لهم بولس: "لأنكم قد متم، وحياتكم مستورة مع المسيح في الله" (2 كو 3:3)...

فمن يُخضع غطوسة الجسد فيه يترك له هذا العمل: أن يرب العقل بتدريب مقدسة. ومن يفتح ذهنه في الكلمات المقدسة يسمو ويمتد متمتعا

بالتأمل الداخلي. فإنه ليس بكارز كامل من يتكوس للتأمل متجاهلاً الائوام بالعمل الموكل إليه أو بسبب الائوام بالعمل يترك الائوام بالتأمل...

بالتأمل يقومون في حب الله، وبالكورة يعودون إلى خدمة قريبتهم...

وقت العمل يأتي أولاً وبعد ذلك التأمل. لهذا يؤم كل إنسان كامل أن يبدأ بتدريب فؤده بالعادات الفاضلة وبعد ذلك يستلقي في أكداًس حنطة الراحة... "لرجع إلى بيتك وحدث بكم صنع الله بك" (لو 8:39)... بعد أن نُشفي بوسلنا الرب إلى بيتنا. إنه يأمرنا أن نروي الأمور التي صنعها معنا، حتى تتشغل النفس أولاً بالعمل وبعد ذلك تتعش بالتأمل. تبعاً لهذا خدم يعقوب من أجل راحيل واقتنى لينة. وقد قيل له: "ليس من عادة مكاننا أن تُعطى الصغرة قبل البكر" (تك 26:29)... ماذا يُعنى راحيل سوى الحياة التأملية؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَذَا إِنَّ دَا قَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ، كَذَا هُوَ.

فَأَسْمَعُهُ، وَأَعْلَمُ أَنَّتَ لِنَفْسِكَ [27].

إذ أبرز أليفاًز صلاح الله القابل للتائبين ليرد لهم سلامهم وسعادتهم وخواتهم، يختم محادثته الأولى بتقديم ضمانٍ أكيدٍ لحكمته التي قدمها لأيوب. لقد تسلّمنا الإيمان بالله خلال التقليد المقدس، هذا لا يعني تراخيها، بل يؤمننا أن نبحت عنه ونطلب أن يتجلى في حياتنا، ونتعرف عليه كل يوم، فنحبه ونقتنيه. ننصت إلى صوته، ونتعلم منه لتكون لنا خوة شخصية في التعامل معه.

يطالب أيوب أن يبحث عن ما سمعه بخصوص وحوش الأرض وأكداًس الحنطة والقبر، حتى لا يأخذ المعاني حرفياً، بل يترك أسورها الروحية العميقة فيتمتع بالتأمل في الله.

❖ بمعنى لتكن أنت قاضياً لنفسك، الحكم لضميرك وجهاً لوجه. لكن أعمال أيوب مضيئة، وأفكره الخفية أكثر إثراءً من أعماله المنظورة، وذلك خلال المعركة التي أثّرها العدو ضده.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

من وحي أيوب 5

أنت هو سر الطوبى!

❖ شهوة اشتهيت أن أثبت فيك إلى الأبد.

أنت هو القيامة والحياة الأبدية.

أقتنيك، فأنعم بسرّ الحياة الأبدية المطوّبة.

❖ يرتفع قلبي لينعم بشركة القديسين.

في حبهم يصلون عني، ويطلبون خلاص نفسي.

لكن ما هو نفع صلواتهم ما لم يرجع إليك بالتوبة؟

كيف أشركهم نصيبهم ما لم أتجاوب مع غنى نعمتك؟

❖ حرمتي الخطية من التمتع بك يا أيها الحب السومدي.

زعت عني الحب، فتملك الغضب والحسد عليّ.

تحولت إلى الغبلوة والجهالة، فصرتُ جافًا.
اقتلعتني الخطية من جنوري،
فلم أعد أقطن فيك يا سرّ الحياة.
حُومت من السلام الداخلي والأمان الحقيقي.
في غبلوة تعثرت فيك، يا أيها الباب الإلهي.
بدد العدو مواهبي، وحطّم طاقاتي.
صوت مأكلاً له، ومشرباً لملائكته الأثوار.
تحولت حياتي إلى بوية مملوءة أشواكاً وحسكاً.
أعترف بكل ما حلّ بي من مررة.
هو ثوة تهاوني وجهلي!
من ينقذني من العدو، ويحملني إليك إلا نعمتك الغنية؟

❖ الآن رُجع إليك، طالباً حضورتك في داخلي.
أنت هو الصانع العجائب،
بروحك القدس تجدد طبيعتي،
وتقيم من بويتي الجافة فودوساً روحياً.
تحول رُضي إلى السماء،
وبشويتي الضعيفة إلى حياة سماوية.
تملأني بروحك القدس، المطر السموي،
يحملني بجناحيه وبطير بي إلى الأحضان الإلهية.
يرفعني إلى العلا، وهناك تستقر نفسي.
تجعلني عجباً، يا أيها العجيب!

❖ لتؤدب، فإني ابنك موضوع رعائتك الفائقة.
لتسحقني يداك فتشفيانني.
لتسمح بست شدائد، وفي السابعة تتجيني.
لتسمح بالوع، لكي تقدم لي ذاتك خزراً سماوياً.
ليضوب العدو بسيفه، فإنه يرتد عليه،
لأنني في أحضانك.
ليصمت لساني، لأن قلبي يناجيك.
ليته ينهار العالم الثوير،

فإني مقرب مجيئك على السحاب.
لأتكئ على صدرك،
فلا أخشى وحوش البرية الكاسرة.
لتسكن فيّ وأنا فيك،
فينقدس جسدي مع عقلي ونفسي.
تصير خيمة جسدي في أمان،
ونتبرك ثملره المقدسة بروحك القدوس.
أحيا كل أيام غوبتي في عزك،
وبالووح انطلق شعبان الأيام التي بلركتها.

<<

الأصاح السادس

حاجة المتألم إلى مواساة أصحابه

خيبة أمل أيوب من جهة موقف أصدقائه

لم يتهم أليفاز أيوب مباشرة أنه خاطيء عظيم، وإنما بدأ حديثه بوقفة، غير أن حديثه يحمل بطريقة غير مباشرة عدة اتهامات خطوة، منها أنه ورائي يخفي خطاياها التي بسببها حلت به كل هذه الكوارث، وأنه إنسان جاهل يتهم الله. لقد فهم أيوب ما كان يعنيه أليفاز. اتفق أيوب مع أصحابه أن ما حلّ بأيوب هو من الله، لكن كان الاختلاف في تفسير ما وراء هذه الآلام، هل حلت عليه كعقوبة إلهية من أجل خطايا خفية.

يرر أيوب صواخه، فإن الحيوانات متى شبعت لا تصوخ بل تصمت، فصوحة أيوب ليست من فاغ.

كان أيوب يتوقع وهو متوهج بالحلوة أن يجد في أصدقائه ماءً مثلجاً يطفئ الحلوة التي في داخله. لقد توقع منهم العطف، وتوقعه هذا مبني على مبادئ الإنسانية، ومن لا يظهر هذا العطف يكون قد ترك خوف التقدير. ثم إن التجرد من الإنسانية كفر والحاد، وإن الشدائد محك الصداقة. لقد ذكّهم أنه لم يطلب منهم رد أملاكه، ثم سألهم أن يروه في أي شيء أخطأ، وأن يعاملوه بالعدل، ويكلموه بالاستقامة.

لقد أخذوا موقفاً جافاً شبيهاً بجذول تنضب مياهه عند الحاجة الشديدة إليه. يشبه نفسه بمسافر في الصحراء يعرف أماكن المياه العادية، وإذا بلغ إليها وجد المياه قد تسربت في الرمل وجف الموضع تماماً.

كان أيوب حزينا بسبب خيبة أمله من جهة موقف أصحابه، هؤلاء الذين حولوا الإيحاء له بأن الله قد صار عدواً له. هذا هو ما أثر في نفسه جداً، وسبب له ارتباكاً، إذ رأى أن الله الذي أحبه وعبدته قد جلب عليه كل تلك المتاعب، ووضعته تحت علامات غضبه هذه، مما بعث فيه الرغبة في أن يحل به الموت الذي كان يشنق إليه.

كانت فحوى كلمات أليفاز أنه يجب على أيوب أن يعترف بخطيئته الخفية، ويطلب مغفوتها؛ هذا أنشأ في نفس أيوب نفراً، عبر عنه بالكلمات الآتية: " **حق المحزون معروف من صاحبه، وإن ترك خشية التقدير** " (أي 14:6). ولهذه الكلمات تفسيران الأول إن التوك يشير إلى أصحابه الذين

بامتناعهم عن مشركتهم مشاعوه يتوكون القدير. والثاني إن أيوب أيضًا يشعر بأنه قدزل عن طريق الله، فإظهار شيء من العواطف اللطيفة نحوه يقوي ثقته بالله. هذا المعنى هو الأرجح. يليق بنا وجوب الامتناع عن الغلظة والمجافاة حتى مع الذين يسيئون التصوف، لئلا يُساقوا إلى عدم الإيمان. يوجه أيوب نظره وكلامه إلى الله بعبيرات تبدو كما لو كانت تخلو من الاحترام. يخاصم الله الذي ينسب إليه أنه هو سبب كل آلامه، وينطق بكل ما يجول في فكه، ويسأل بتهكم هل هو جاد حتى يضع الله رقيباً عليه؟ ويتوسل إلى الله أن يتوكله وشأنه أو ينهي حياته، لماذا يعني القدير بشيء صغير كالإنسان؟

تتقدم نفسه إلى الله تطلب شفقتة وعطفه على أساس أنه خليفة ضعيفة جداً وإقامته في هذا العالم قصوة، وانتقاله من العالم سريع، وعودته إليه مستحيلة ولا يمكن قط توقعها. هذا لا يعني أن أيوب أخطأ، ولكن على فرض أنه ارتكب شواً، فإنه يريد أن يعرف أي ضرر أصاب الله من خطئه، ولماذا لا يغفر الله له ذنبه ويُريل إثمه؟

ظن أليفاز أن ما قاله لأيوب هو عين الحكمة، يقين لا يمكن لأحد الاعراض عليه. لكن أيوب لم يقتنع بكل ما قاله، واستمر يبزر نفسه في شكواه، وقد تحدث بمنطق مقبول يشوبه الضعف البشري.

1. من حق المتألم أن يشكو 7-1

2. الموت هو نهاية المتاعب 13-8

3. نقده لقسوة أصدقائه 30-14

1. من حق المتألم أن يشكو

'فأجاب أيوب وقال' [1].

إن كان الذي دخل معه في الحوار أليفاز إلا أن أيوب أترك أن أليفاز يتكلم باسم الكل معاً، لذا وجه أيوب إجابته للجميع (5:15). اتسم أيوب بالتعقل والاتزان إذ لم يقاطع أليفاز الذي بدأ حديثه بقسوة. واستمع أيوب بصبر حتى أكمل أليفاز كل ما أراد أن يقوله.

لَيْتَ كَرْبِي وَزِنِ،

وَمَصِيبِي رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا [2].

كشف أيوب عن كربيه، أنه لا يمكن تصويره تماماً، ولا أن يبركه أحد إواكاً كاملاً. وليس من موزانٍ في العالم يستطيع أن يزن حزنه، فطلب أن تُجمع كل الموزين لتزن حزنه الشديد.

❖ 'فأجاب أيوب وقال: آه، من يزن بالحق كربِي، ويرفع مصيبي في الموزين جميعها؟' هذه العبارة تخص الكلمات السابقة (4:3-5): 'أنت قد أرشدت كثيرين... وثبتت الورك الموتعة، والآن إذ جاء عليك ضحوت، إذ مسك رتعت'.

أود أن تصير كربتي واضحة، وتترك أنه ليس أحد اختبر مثل هذه الأخران. تطلع إلى كلرتي، فإنها بطبيعتها تقيم لي عواً، وإن كان على وجه الدقة ما يخصني هو أمر لا يغفر...

لقد وهن أليفاز على أن هذه الكثرة بسبب شوه، مقدماً الحجة على ذلك: "أذكر من هلك وهو وريء، وأين أبيد المستقيمون؟" (7:4). إنه يقول تماماً كما قال الواوة عن بولس بعد أن لدغته الحية في مالطة: "لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من البحر" (أع 28:4).

يقول: البشر - خاصة العامة - يحكمون على الأحداث بطريقة ساذجة عشوائية، لا يضعون أساساً أحكامهم على تصرفات الشخص، بل بالحري على ما يحل به من تأديبات وعقوبات. لهذا يقول أليفاز: "هل المائت (الإنسان) أبر من الله؟" (17:4). يجيب أيوب: لا أستطيع أن أحيب، ولا أن أقول إنني أعاني من أحرانٍ كثرةٍ ووعبةٍ هكذا دون أن ارتكب أية خطية، فإن الضوبات تنطق ضدي. يقول: إنني أستطيع أن أقرب من القدير وأناضل

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من الذي يُعطى له لقب "الموازين" "سوى الوسيط بين الله والإنسان، الذي جاء ليزن استحقاق حياتنا ويُترل معه كل من العدل والحنو معاً؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأنّها الآن أُثقل من رمل البحر،

من أجل ذلك لُغا كَلَامِي [3].

كانت كورثه مضاعفة وثقيلة جداً لا يُمكن إحصائها ولا وزنها، فهي "أثقل من رمل البحر". لهذا طلب التماس المعونة إن "لُغا كلامه" أي وجد فيها ما يبدو باطلاً أو ممتوجاً بؤرة، فإنه وسط هذه الآلام يصعب تزيين الكلمات أو حتى ضبطها.

هكذا يعتذر أيوب عما صدر من فمه تعبوات ثائرة عندما سبَّ يوم الحبل به أو يوم ميلاده. فهو لا يبزر ذلك، لكنه كان يتوقع من أصدقائه أن يضغوا في اعتبارهم حاله قبل أن ينتقوه. كان يليق بهم أن يتفوقوا به وسط هول مصيبتته، فهو في حاجة إلى الحنو لا إلى النقد المر.

❖ إن وضعت كربى في مزان، أحكامى مع عذابات آلامى، وتونهم، ليس منفصلين بل جميعاً معاً، تجد أوزانى "أثقل من رمل البحر". لأن ما أجزن

أيوب ليس فقدان ممتلكاته، وخسرة ثروته، وسحق أبنائه، ولا القيق الصادر عن قروحه، بل النتائج المؤلمة التي بلغت إليها روحه... كل أمواج البحر الظاهرة ليست في ثقل الكلمات التي تصدر مع التدمير الصادر عن مقاطعة العدو.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

لأنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيّ،

تَشْرَبُ رُوحِي سُمَّهَا،

أَهْوَالُ اللَّهِ مُصَنَّفَةٌ ضِدِّي [4].

ما هي سهام القدير التي تصوب نحو أولاد الله، فتشرب روحهم؟ إنها سهام الحب التي يصوبها الله نحو قديسيه فيُجرحون بالحب الإلهي، ويشتهون الموت ليلتقوا معه، ويختبروا محبته الإلهية في أكمل صورها.

وى كثير من الآباء أن الأب في محبته للبشرية صوّب سهمه الثمين، كلمة الله، حيث دفع به نحو قلوب البشر، ليروحهم بجواحات الحب، فتصوخ النفس: "أنا مجروحة حباً" (نش 5:2).

وكما يصوب الله سهام حبه نحو قلوبنا ليهبها جواحات الحب الواهبة للشفاء والسعادة على مستوى أبدي، هكذا يقذف عدو الخير سهامه الملتبهة نراً في قلوب البشر لكي يقتلها، ويؤهلها لجهنم الأبدية (أف 16:16).

هذه الصورة حتماً منقولة عن عادة شائعة بين الأمم المتزورة حيث يغمسون رؤوس السهام في مواد سامة، حتى متى أصابت أحدًا تفيض بهم

إلى الموت [274].

إن كانت الكورث التي حلت به لا يمكن لموزين أن تزنها، فإن ما هو أخطر من ذلك السهام الداخلية، سهام القدير التي وُجّهت إليه. وى الله الذي يحبه ويعبده قد جلب عليه تلك المتاعب، وصوّب سهامه فيه.

شعر كأن حمتها أو السم الذي مُسحت به السهام قد تسوب إلى روحه، ففقد وانه وانهلث أعماقه.

لقد وقف مذهولاً. إنه في معركة أمام جيش الله المصطف ضده، يحل به الله بأهواله، فمن أين له بالتعوية؟ لا يستطيع أن يرفع عينيه إلى

السماء، إذ لا يجد تعويات تحل عليه منها، بل أهوال الله تقاومه.

❖ مدحت العروس رامي الومح على تصويبه الدقيق، لأنها رماها بسهمه. فقالت العروس: "إني مجروحة (مريضة) حباً" (نشيد 5:2). تعنى هذه

الكلمات أن سهام العريس قد نفذت إلى داخل قلبها . إن مُصَوَّب هذه السهام هو الحب (1 يو 4: 8) ، الذي يرسل "سهمة المختار" (إش 2: 49)، الابن الوحيد، إلى هؤلاء الذين يخلصون، ثم يغمس سن السهم الثلاثي في روح الحياة. وسن السهم هو الإيمان وبواسطته يقدم الله مُصَوَّب السهم وكذلك السهم معاً إلى القلب كما يقول السيد المسيح: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبى وإليه نأتي، وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14: 23).

البابا غريغوريوس النيسي

❖ النفس التي ارتفعت إلى درجات إلهية علياً ترى بداخلها سهم الحب العذب الذي جرحها، وتفتخر بهذا الجرح قائلة: "إني مجروحة بالحب". أيها الجرح الجميل والسهم العذب الذي أدخل الحياة إلى قلبي! فلقد فتح نفاذ السهم باباً ومدخلاً للحب، وهو التحول الخيالي من رمي السهم إلى فوح العرس. يشير القديس أيوب إلي تلك السهام، وعندما قاسى من آلامه المكثفة أعلن أن سهام الرب طعنته (أي 6: 4). حقاً نتطلع عادة إلي السهام بكونها كلمات الله. ولكن هل استطاع أن يشعر بآلام كثرة عندما طعن بها؟

كلمات الله، وإن كانت سهاماً، فهي تثير الحب لا الألم . أو هل هي سهام لأنه لا يوجد حب بدون ألم؟ عندما نحب شيئاً نون أن نملكه لا نستطيع إلا أن نشعر بحزن. الإنسان يحب بغير ألم عندما يملك موضوع حبه، فلا يتألم ولا يتأوه. لهذا فإن عروس المسيح في شخص الكنيسة تتطوق بهذه الكلمات في نشيد الأناشيد: "إني مجروحة حباً" (نش 2: 5؛ 5: 8). تعلن بنفسها أنها مجروحة بالحب. إنها تحب ما لم تبلغه بعد، إنها تحزن لأنها لم تقف بعد. وإذ تحزن تُوح، ولكن هذا الجرح يُحضرها سريعاً إلي كمال الصحة الحقيقية. من لا يُضرب بهذا الجرح لن يقدر أن يبلغ تمام الصحة الحقيقية [276].

❖ "سهامك انغوست فيّ، ويدك ثقلت عليّ" (مز 2: 38)... ذات العقوبة (التي على آدم)، ذات السخط، أي آلام كل من الذهن والجسد، هي ضرورة يؤمننا أن نحتملها هنا، هذه التي وصفها بأنها "سهام". وقد أشار أيوب إلى ذات السهام (4: 6)، وقال إن سهام البرّ انغوست فيه، بينما كان يعاني تحت تلك الآلام.

لقد اعتدنا أيضاً ان ندعو كلمات الله سهاماً كمن تهب الحب لا الألم... لنفهم إذن "سهامك انغوست" هكذا: "كلماتك انغوست في قلبي". بهذه الكلمات ذاتها يحدث أن أتذكر السبت، وبتذكوري السبت (الأبدية) وعدم نوالي إياه، أحرّم من الفوح في الوقت الحاضر، وأتذكر أنه ليس لي صحة في جسدي، بل ولا يليق بي أن أحسبها صحة عندما أقرنها بالصحة التي أنالها في الواحة الأبدية، حينما يلبس هذا الفاسد عدم الفساد، وذلك المائت عدم الموت (1 كو 15: 53)، ورأى بمقلنة ما سأكون عليه أن الصحة الحاضرة ليست إلا موصلاً [277].

القديس أغسطينوس

❖ إنها تطعنني بهذه الطريقة، ليس مجرد رُشقت في جسمي، بل حرمتني من الحكم المتزن.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لأن سهام الرب في جسمي، عنفها يشرب دمي، كلما رُدت الكلام تطعنني" (أي 6: 4). انسحق أيوب بهذه السهام. هذا ما تغنى به داود في الزمير: "لأن سهامك قد انتشبت في، وثقلت يدك عليّ" (مز 2: 38). فإن كليهما يتحدثان عن أخوان يصوبها الأعداء ضدهما بسماع من الله، ولهذا السبب يقول أيوب: "عنقهم يشرب دمي". كأنه يقول: "غنى نفسي قد أستوف، لا أستطيع أن أصمد في مواجهة هذه التي تفسدني بوجه متقد. فإنه إذ يبدأ أيوب يتحدث تطعنه الآلام. خاصة عندما يطول الحديث، فإن جراحاته تظهر بوضوح في أكثر قوة، لذا يضع لجاماً يكتّم كلماته خشية أنها لا تسر الله تماماً.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

هَلْ يَنْهَقُ النَّوَأُ عَلَى الْعُشْبِ،

أَوْ يَخُورُ الثَّوْرُ عَلَى عُنْفِهِ؟ [5]

كان يليق بهم عوض نقده أن يشلوكه آلامه، فإن شكواه ومولة نفسه ليست من فراغ، فالحوانات غير العاقلة لن تصوخ بدون سبب.

عَبَّرَ أَيُوبُ عَنْ حَالِ الْهُوَالِ الَّذِي بَلَغَهُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْكَوْلِثِ وَشِدَّتِهَا وَعَنْصَرِ الْمَفْاجَأَةِ بِجَانِبِ عَدَمِ مَبَالَاةِ أَصْدِقَائِهِ لِحَالِهِ، فَعَوَّضَ تَقْدِيمَ كَلِمَةِ تَعْوِيَةِ تَسْنَدِهِ، بِدَوِّهَا يَكِيلُونَ لَهُ اتِّهَامَاتٍ كَثِيرَةً وَخَطُورَةً.

صَارَ أَشْبَهَ بِحَجَرٍ بَلَإِ إِحْسَاسٍ، لَيْسَ فِي قَدْرَتِهِ أَنْ يَعْبرَ عَمَّا فِي دَاخِلِهِ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْهَقَ مِثْلَ الْوَا (الْحَمَارِ الْوَحْشِيِّ) لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ عَشْبًا، وَلَا يَصِيحُ (يَخُورُ) كَالثَّوْرِ عَلَى عِلْفِهِ. اضْطُرَّ أَنْ يَأْكُلَ طَعَامًا لَا يَلِيْقُ بِهِ كإِنْسَانٍ دُونَ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ.

لَقَدْ صَارَ فِي مَوْقِفٍ لَا يُحْسَدُ عَلَيْهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَبَرَّرَ أَمَامَ اللَّهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّبُ كَلِمَاتٍ تَعْوِيَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَفْتَحُ أَمَامَ نَفْسِهِ الْمَحْطَمَةَ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ، لَا أَنْ يَحْطِمَهُ الْيَأْسُ.

رَى الْبَابَا غَرِيغُورِيُوسُ أَنَّهُ صَارَ كَمَنْ سَقَطَ تَحْتَ لَعْنَةِ النَّامُوسِ الْفَاضِحِ لِلْخَطِيئَةِ دُونَ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ النِّعْمَةُ لِتَقْيِمِهِ. حَقًّا لَيْسَ فِي النَّامُوسِ خَطَأٌ، إِنَّمَا الْحَاجَةُ إِلَى النِّعْمَةِ الْغَافِرَةِ لِلْخَطَايَا الَّتِي كَشَفَهَا النَّامُوسُ. كَانَ يَلِيْقُ بِأَصْدِقَاءِ أَيُوبِ أَنْ يَسْنُوهُ بِالنِّتْلِ إِلَى نِعْمَةِ اللَّهِ، لَا أَنْ يَبْكُوهُ بِوَرَاةٍ وَيَحْطُمُوا نَفْسَهُ.

❖ **هل يمكن لأحد أن يذوق ما يجلب موتًا بتنوقه؟** فإن من يتنوق الناموس بطريقة جسدية يجلب موتًا، إذ وصيته تُظهر الخطية ولا تزيلها... كما يشهد بولس قائلًا: "إذ الناموس لم يكمل شيئًا" (عب 7: 19). وأيضًا: "إذ الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة" (رو 7: 12-13)، بعد ذلك يقول للحال: "لكي تظهر خطية منسئة لي بالصلاح موتًا لكي تصير الخطية خاطئة جدًا بالوصية" (رو 7: 13)

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ وصايا موسى هي "خدمة الدينونة"، أما النعمة بالمخلص فيدعوها "خدمة البر" التي فاقت في المجد... الناموس الذي يدين أعطي بموسى، وأما النعمة التي تبرر، فقد صلت بواسطة الابن الوحيد. فكيف لا يكون المسيح فائق المجد وبما لا يمكن مقلنته؟ [278]

القديس كيرلس الكبير

❖ يدين الناموس الخطاة، وأما النعمة فتقبلهم وتبررهم بالإيمان. إنها تقودهم إلى المعمودية المقدسة وتهبهم غوان الخطايا [279].

❖ مزال اليهود عند مؤنة مقيمين عند المياه العرة، لأن الله لم وهم بعد الشجرة التي يصير بها الماء عذبًا. [280].

❖ ألقى الوب بشجرة في المياه، مما جعلها عذبة. أما عندما تأتي شجرة (صليب) يسوع، ويسكن في داخلي تعليم مُخلصي حينئذ يصير ناموس موسى "عذبًا"، ويصير مذاقه، لمن يؤاه ويفهمه، بالحقيقة حلوا" [281].

العلامة أوريجينوس

هل يُؤْكَلُ الْمَسِيحُ بِلَا مَلْحٍ،

أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبُقْلَةِ؟ [6]

كان أيوب ملحًا زرع بنعمة الرب وبحبه الفائق الفساد عن كثيرين، مقدمًا لهم تعويات سماوية صادقة، والآن إذ دخل في بوتقة التجرب لم يقدم له أحد ملحًا. لقد صار في فقرٍ مادي مدقع، وفي قوه لم يجد ملحًا يملح به الطعام الماسخ الذي يتصدق به البعض عليه.

❖ " هل يمكن للطعام الكريه أن يؤكل بدون ملح؟" (أي 6: 6) في الناموس المعنى الخفي هو ملح الحرف. فمن يعتمد على الملاحظات الجسدية ويفرض فهم المعنى الروحي ماذا يفعل سوى أنه يأكل طعامًا كرهياً؟ ولكن هذا الملح، أي الحق، يوضع في الطعام عندما تعلم أن رائحة المعنى الخفي توجد في أعماق الناموس، قائلًا: "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني" (يو 5: 46). وأيضًا: "ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا

بعضكم بعضًا" (مر 9:50).

البابا غريغوريوس (الكبير)

عَافَتْ نَفْسِي أَنْ تَمَسَّهَا،

فَصَلَّتْ خُزِّي الكَرْيَه! [7]

ما كانت نفسه تعافه في أيام رخائه، وما لم يكن قانواً أن يمسه بيده صار خزه الكريه. يقول الموتل: " صلت لي دموعي خوزاً نهلاً وليلاً، إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟" (مز 42: 3). "قد أطعمتهم خبز الدعوع، وسقيتهم الدعوع بالكيل" (مز 80: 5) . "إني قد أكلت الرمد مثل الخبز، ومزجت شوابي بدوع" (مز 102: 9) . "قال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خوزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم" (حز 4: 13). كما قيل: " قل لشعب الأرض هكذا قال السيد الرب على سكان أورشلیم في رض إسرائيل، يأكلون خوزهم بالغم، ويشربون ماءهم بحوة، لكي تخرب أرضها عن ملئها من ظلم كل الساكنين فيها" (حز 12: 19) . "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء، بل لاستماع كلمات الرب" (عا 8: 11).

❖ "ما عافت نفسي أن تمسها، هذه صلت مثل خوزي الكريه" (أي 6: 7) . قبلاً كانت النفس مهتمة فقط بما لنفعها، مشمومة من أن تحمل أفعال الغير، عطفها على الآخرين قليل، وكانت عاجزة عن أن تواجه المضادين. الآن ترم نفسها أن تحتل ضعف قويبها. إنها تحتاج إلى قوة لتغلب المضاد، حتى بحب الحق تطلب متاعب الحياة الحاضرة بشجاعة عظيمة هكذا، حتى الأمور التي كانت قبلاً تهرب منها في ضعفها. فبانحنائها (من أجل الغير) ثبني. بانجذابها إلى الغير تمتد إلى قدام، وبمشركتها المشاعر تتقوى، وإذ تتفتح لحب قويبها تكون كمن بتصميم غريمتها ترتفع نحو خالقها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بنفس الطريقة كما أن الحمار (الوحشي) لا يختار أن ينهق بلا سبب، ولا الثور أن يخور عند المزود، هكذا لا يختار أحد أن يأكل خوزاً بدون ملح، ولا أن يصغي إلى كلمات باطلة. بالحقيقة قدم أمثلة مستحيلة للغاية.

يقول هكذا: ما كنت قد اخترت أن أنتحب على هذا الأمر، لو لم توجد ضرورة تحتني على هذا. فإن كان ليس من المقبول أكل خبز بلا ملح، فليس أقل من أن ألتم بالنعيب وأتوجع وانطق بكلمات زائدة...

"فإن نفسي لا تجدراحة" ، لماذا؟ لأنني أعرف أن طعامي له رائحة تعافه النفس كرائحة الأسد.

القروح والصديد لا يكفيان، فأضاف عذاباً جديداً.

المرض قد أفسد كل أحاسيسه حتى صار الطعام بالنسبة له عذاباً.

يقول إن الغنيان مع رائحة كريهة للوغرينا زعت تميزه الحسي. أي شيء أكثر عذاباً من هذا؟ النوم لا يعطي راحة والطعام لا يقوته!

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الموت هو نهاية المتاعب

يَا لَيْتَ طَلْبَتِي تَأْتِي،

وَيُعْطِينِي اللهُ رَجَائِي! [8]

وبخ أليفاز أيوب بعنفٍ لأنه طلب الموت، وبدلاً من أن يسحب ما قاله عاد أيوب يكرر ذلك أكثر من قبل، وقد سجل لنا السفر كلماته، لا لنقتدي

به، وإنما لكي ينظرنا.

لقد سأل الله أن يحقق طلبته ويهبه رجاءه، لا بأن يعبر به التجربة، بل أن يتعطف عليه بالموت.

أَنْ يُرَضِيَ اللَّهُ بِأَنْ يَسْحَقَنِي

وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي [9].

ما وجه أيوب وسط ضيقته أن الله الذي مَدَّ يده عليه فافتقر ثم نتكل ومرض، يمد يده بالأكثر فيسحقه ويأخذ حياته. ومع هذا لم يفكر قط في الانتحار، على عكس الفيلسوف سينكا الذي كان يشجع على الانتحار كوسيلة شرعية للتخلص من الآلام التي لا تُحتمل، الأمر الذي ليس فيه احترام لناموس الله، ولا ناموس الطبيعة.

اشتهد أيوب سوعة موته، وقد حوّل هذه الشهوة إلى طلبه يقدمها لله، لكنها صلاة أو طلبه ليست حسب مشيئة الله.

فَلَا وَآلَ تَعْرِيَّتِي وَابْتِهَاجِي فِي عَذَابٍ لَا يَشْفُقُ،

أَنِّي لَمْ أَجِدْ كَلَامَ الْقُنُوسِ [10].

مع رغبته الشديدة في الخلاص من الآلام بالموت إلا أن قلب أيوب يحمل لمسات روحية، فيترقب في إيمان التمتع بالتغوية والبهجة بعد خروجه من العالم. واضح أن أيوب كان له ضمير صالح ورجاء حي في الأبدية، وإن كان قد توقع عذاباً أليماً يلحق به قبل موته "ابتهاجي في عذاب لا يشفق". "لا يشفق" أو "دعه لا يشفق"، كأنه يقول: "لست ابتغي أن يشفق الله عليّ، بل ليسمح بالأم الموت التي تضع حدًا لآلامي وتدخل بي إلى الراحة. في جلسة غير لائقة يتحدى أيوب الرب الله ويقول: "دعه لا يشفق!"

زوج أيوب عتابه - حتى وإن تعدى الحدود - بإيمانه وتمسك بكلام الله، إذ يقول: "لم أجد (أكرم) كلام القنوس". فكان يحسب نفسه مؤتمناً على كلام الله القنوس، ربما تتمتع بروى إلهية. كأنه يقول مع الرسول بولس إنه لم يقبل نعمة الله باطلاً (2 كو 6: 1). كان مستعداً أن يتمتع بالكلمة الإلهية، وأن يشهد لها للغير ليتمتع الآخرون معه بها.

قانون حياته هو كلمة القنوس، لم يخجل منها ولا يواخي في الشهادة بها.

وى القديس مار يعقوب السروجي أنه لا يستطيع حتى الموت أن يكتفم فمه عن الشهادة والتسبيح لله.

❖ يارب لن أتوقف عن تسبيحك، حتى بعد وفاتي.

من يحيا لك وبك لا يموت؛

ولا يقو صمت الموت على إسكاته.

إذن، فليتكلم بفي، ليكرّر بعد موتي في المستقبل.

❖ أنت هو الكلمة التي تعطى كلمة للمتكلمين،

بك يتكلم جميع المتكلمين من أجلك.

شعاعاً وإشراقاً ونوراً عظيماً أشوق في فأنظر إليك.

فينظري لك تستضيء النفس، فتقتني الصلاح.

وحين تبعد منك النفس تمتلئ ظلاماً،

وإذا ما توست فيك لبست النور لتتطق بكلام خورك...

الصمت والكلام قائمان عليّ يطالباني.

يارب دبر حياتي كل أدتك.

إن صمت أدهش، إذ أشعر بعدم كفايتي في (الكلام).

اصمت في دهشة، وليس بطغيان باطل.

وإن تكلمت تكون كلمتي حسب مجدك ولأجلك.

عندما تمتلئ النفس بالصمت في دهشٍ بك، يكون هذا الصمت حديثاً مملوءً بكل منفعة. وإذا ما تحركت النفس لتمجيدك بمحبة... فبالحب أتحرك، وأتحرك لأمجيدك. وفي دهش أصمت ولا اهدأ من تمجيدك.

هب لي يارب الدهش (بالصمت) والكلمة فأغتني. وفي كل يوم أدهش، وفي كل يوم أتحرك بالكلام!

القديس مار يعقوب السروجي

❖ يقول: بالتأكيد لست أقدم لك أورا فيه أي تناقض. فإنه ليس لدي ضمير يجذب للتشبه بهذه الأشياء التي تنطق بها. في بساطةٍ أقول إنني احتمل تأديبات تتعدى حدود الطبيعة، فإن المحن التي حلت بي تفوق طاقة الجسم البشوي... إنه لم يقل: "لقد اجتوت آلاماً بالرغم من إني بار"، بل يقول إنه لا يقدر أن يحتملها كما يقول داود: "وَأَعْفَ عَلَيَّ يَا رَبِّ، فَإِنِّي ضَعِيفٌ" (مز 6:2).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "إني لم أجد كلام القنوس". غالباً ما تكون كلمات الله لنا ليست أصوات كلمات بل هي فرض أعمال علينا. فإنه يتحدث معنا بالأمر التي يعملها معنا في صمت. لذلك فإن الطوبوي أيوب يكون قد جدد كلام الله لو أنه تدمر على الضربات عليه. ولكن تظهر مشاعره من نحو ضربه بدعوته إياه "القنوس"، خاضعاً لذلك الذي يضربه.

❖ "إني لا أجد كلام القنوس". إنه لم يتدمر قط على ظلم ذلك الذي ضربه. ففي وسط ضوباته يدعو الضرب "القنوس". لكن يؤمننا أن نترك أنه أحياناً يقوم الخصم بضربنا بالأخران، وأحياناً يقوم الله بذلك...

بضربات الخصم نحن نختلس الفضيلة، وعندما تنكسر عاداتنا الشريفة بضربات الرب نصير أقباء في الفضيلة.

لقد سبق وأى النبي هذه الضربة عندما قال: "وَعَاهَمَ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَمِثْلَ أَنْبِيَةِ الْفَخْلِيِّ تَسْحَقُهُمْ" (مز 9:2). فالرب وعانا ويكسونا بقضيب من حديد، بعضا البرّ القوية حسب تدبوه، بينما يحيينا من الداخل، يحزننا من الخرج. فإنه يحط من قوة الجسد ويسمو بغاية الروح. هكذا تشبّه هذه الضربة بأنبياء الفخري، كما يقول بولس: "لنا كنز في أوانٍ خرفية" (2 كو 7:49). ويصف التحطيم مع الرعاية قائلاً: "وإن كان إنساننا الخرج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (2 كو 4:16). ليت الإنسان القديس الذي يتوق إلى الاقتراب من الله، يعلن بقوة بروح التواضع حتى من خلال الضربات التي تحل به.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أعلن بصراحة: "إني لا أفترى على إلهي القنوس". هذا معناه: إنني لا أبالي بهذه الحياة، لا أحشى الرحيل من هذا الجسد، إذ لا أود أن أوجد كاذباً في علاقتي بالشهادات التي قدمها عني الله القنوس (1:1، 3:2). فإن الله لا يشهد عن قداسة أحدٍ إلا للذين يجدهم يملسون أعمال القديسين. لقد قال أيضاً: "ليس أحد مثل أيوب على الأرض" (1:8، 3:2). لهذا يؤرم أن نكون حريصين خلال هذه الحياة الفاسدة، إذ ليس من الممكن للناس الجسدانيين أن يتقبلوا شهادة من الله لها أهميتها كهذه وبدات السمّة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أَنْتَظِرَ؟

وَمَا هِيَ نِهَائِي،

حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟ [11]

لم يكن أيوب يتوجى أن وى أياماً صالحة بعد، فقد بلغت صحته إلى الحضيض، وصار في حالة ميئوس منها. ليس بعد من شفاء لجسمه، ولم تعد فيه قوة للانتظار. لقد أدرك أيوب ما بلغ إليه من ضعف، وكان يليق به أن يتوجى ذلك الذي يحمل ضعفنا عوض اشتهاه الموت عن يأس.

❖ ما هي قوتي حتى استمر؟ وما هي نهايتي حتى تهدأ نفسي؟ حياتي قصوة المدى (5:14) كم من مدلات للشهور والسنين تحتويها؟ كيف لا ازعج على هذه الحياة السريعة الزوال؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ شفق السيد (المسيح) على ضعفه (آدم)، ودخل يقبل الخزي عوضاً عنه!

❖ يا نور المسيح، الذي يبين العيون المظلمة، دغ نورك يضيء على ضعفي، حتى استتير بك.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لنضع على رؤوسنا خوذة الخلاص، لكي لا نُرح ونموت في المعركة. لنمنطق أحقاءنا بالحق، فلا نوجد ضعفاء في القتال.

لنقم ونوقظ المسيح، فيهدئ الأمواج عنا.

لنأخذ التوس تجاه الثوير، كاستعدادٍ لإنجيل مخلصنا (أف 6: 15-16).

لنقبل من ربنا السلطان أن نسود على الحيات والعقرب (لو 10: 19)...

لنوح في رجائنا في كل وقتٍ (رو 12: 12)، حتى يوح بنا ذاك الذي هورجاؤنا ومخلصنا...

لنأخذ لأنفسنا سلاحاً للمعركة (أف 6: 16)، هو الاستعداد للإنجيل.

لنقوع باب السماء (مت 7: 7)، فيُفتح أمامنا وندخل فيه.

لنسأل الرحمة باجتهاد، فننال ما هو ضروري لنا. لنطلب ملكوته ووه (مت 6: 33).

لنتأمل في ما هو فوق، في السماويات، حيث المسيح صاعد ومجد.

لكن لننسى العالم الذي هو ليس لنا، حتى نبلغ الموضوع الذي نحن مدعون إليه.

لنرفع أعيننا إلي العلا لئى الضياء المتجلي.

لنرفع أجنحتنا كالنور، لئى حيث يكون الجسد (مت 24 28)...

عدونا حاذق يا غزوي، ومحتال ذاك الذي يقاثلنا. يُعد نفسه للهجوم على الشجعان الطافرين، ليجعلهم ضعفاء. أما الواهون الذين له فلا يحلبهم، إذ هم مسبيون مُسلمون إليه.

من له جناحان يطير بهما عنه، فلا تبلغ إليه السهام التي يقذفها نوره؟ راه الروحون يحلب، ولا يتسلط سلاحه على أجسادهم. لا يخافه كل

أبناء النور، لأن الظلمة تعرب من أمام النور. أبناء الصالح لا يخشون الثوير، لأنه أعطاهم أن يطؤوا عليه بأقدامهم (تك 3: 15) [282].

القديس أفواهاط

هَلْ قُوَّتِي قُوَّةُ الْحِجَلَةِ؟

هَلْ لَحْمِي نَحَاسٌ؟ [12]

❖ "هل قوتي قوة الحجلة؟ أو هل لحمي نحاس؟" (أي 6: 12) حتى إن كانت قوتي كقوة الحجلة أو النحاس، فإن العذابات الصاورة عن العدو تجعلها تزاجع، لأنه يحسب الحديد كالحقش، والنحاس مثل خشب مسوس (أي 18:41). إن كان الله يقول هذا عن العدو، فمن الضروري إذن أن نبحت عن الوحيل من هذا الجسد من كل جانب.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ من الضروري أن نضع في الذهن أن "قوة" الأوار من فوع معين، وقوة الفاسدين من فوع آخر.

فقوة الأوار هي أن نُخضع الجسد ونقاوم رادتنا الذاتية، ونبيد مسوة الحياة الحاضرة، ونحب خشونة هذا العالم من أجل المكافآت الأبدية، وأن

نستخف بإغواءات الرخاء، وأن نغلب رُعب المحن في قلوبنا، أما قوة الفاسدين فهي تتعلق غير المنقطع بالأمور الوائلة، وطلب المزيد المستمر من المجد الباطل، حتى مع ضياع الحياة، والبحث عن مقاييس أكبر للشر، ومقاومة حياة الصالحين، ليس فقط بالكلمات، والسلوك وإنما أيضاً بالسلاح، لكي يعتنوا بذواتهم، ولتكاثر الشر يوماً نون أي نقص في الشهوة.

لذلك قيل للمختلرين بالمرتل: "لنتشدد ولنتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب" (مز 24:31). وأعلن للفاسدين بواسطة النبي: "ويل للأبطال على شوب الخمر، ولنوي القوة على زوج المسكر" (إش 22:5).

كيف أدرك إشعيا حسناً كلا النوعين من القوة في الكلمات: "وأما منتظرو الرب فيجدون قوة" (إش 31:40). فإنه إذ لم يقل: "ينالون" بل قال: "يغيرون" (يجدون) قوة، يبرك بوضوح أن القوة التي يتكونها من فوع والتي تدخل فيهم من فوع آخر.

❖ ما نشير إليه هنا بالنحاس والحجارة ليس ضوبات العلي التي لم تلتن بواسطة أية ضوبات للتأديب؟ على العكس قيل للمختلرين بالنبي بوعد من الرب: "وأزوع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيتهم قلب لحم" (حز 19:11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لم يكن ممكناً لأيوب أن يتكل على قوته الذاتية، بل يضع رجاءه في ربنا يسوع واهب القوة.

❖ بين كل المولودين الذين لبسوا جسداً واحد هو البار، إنه يسوع المسيح، كما يشهد عن نفسه، إذ قال: "أنا قد غلبت العالم" (يو 16:33). وشهد عنه النبي أيضاً: "لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش" (إش 35:9). وقال الرسول الطوبوي: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا" (2 كو 5:21). كيف جعله خطية؟ حمل الخطية دون أن يرتكبها، وسرها على الصليب (كو 2:14). يقول الرسول أيضاً: "الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحداً يأخذ الجعالة" (1 كو 9:24).

أضف إلي هذا أنه ليس من بين البشر من قول إلي المعركة ولم يُجرح أو يُضوب، لأن الخطية سيطرت منذ تعدى آدم الوصية (رو 5:14)، فضربت الكثيرين، وجرحت الكثيرين، وقتلت الكثيرين. ولم يقتلها أحد من بين الكثيرين حتى جاء مخلصنا على صليبه. كان لها شوكة تخرز الكثيرين، حتى جاءت النهاية، وتحطمت شوكتها حين سُمرت على الصليب [283].

القديس أوهاط

أَلَا إِنَّهُ لَيْسَتْ فِيَّ مَعُونَتِي،

وَالْمُسَاعَدَةُ مَطْرُودَةٌ عَنِّي! [13]

❖ "ليس من معونة لي من نفسي" [13]. كان الطوبوي أيوب غنياً في الفضيلة إلا أنه لم يكن معتدًا بذاته، فتكلم هكذا كمن هو بلا قوة... واضح الآن أنه كمن ضُوب فكره من جهة الرجاء، متطلعاً أن لارجاء له من نفسه. لكنه إذ يعلن أنه ضعيف في ذاته يضيف أيضاً أن أقرباءه قد هجروه. "أيضاً أصحابي توكوني". لكن لاحظوا أن ذاك المحتقر من الخرج يجلس في الداخل على كرسي الحكم. ففي اللحظة التي فيها يعلن عن نفسه أنه متروك للحال يكسر ذلك بالنطق بالحكم بالكلمات: "من يزوع الحنو عن صاحبه ينسى مخافة الرب".

البابا غريغوريوس (الكبير)

كان أيوب يئن من أصدقائه لأنهم تروكوه في محتته، أما ربنا المجد يسوع فلم يترك محبوبه الإنسان، بل عبر إليه حتى إلى الجحيم ليحرره منه.

❖ إذ جاء يسوع قاتل الموت، والتحف بجسد من نسل آدم، وصلب بجسده، وذاق الموت، وعندما أترك الموت أنه قد جاء إليه لتعب في موضعه، ولتبتك إذ رأى يسوع. لقد أغلق أبوابه ولم يرد أن يلتقي به. عندئذ فجر أبوابه، ودخل إليه وسلبه غنائه.

وعندما رأى الأموات نوراً في الظلمة، رفعا رؤوسهم من عبودية الموت، وتطلعا ورؤوا سمو المسيا الملك. عندئذ جلست قوات الظلمة في

حداد، إذ سُلبت سلطة الموت منهم.

ذاق الموت اللواء القاتل له، وسقطت يده، وتعلم أن الأموات سيقومون ويهربون من سلطانه. وإذ أصاب (يسوع) الموت بسلبه ممتلكاته ولول
وصوخ عاليًا في مورة، قائلاً: "أبعد عن مملكتي، لا تدخلها. من هو هذا الحي الذي يدخل عالمي؟"
وإذ كان الموت يصوخ مرتعبًا (إذ رأى الظلمة بدأت ترول، وقام بعض الأوار الراقدين ليصعوا معه) أترك أنه عندما يأتي في كمال الزمن،
سيخرج كل المحبوسين من تحت سلطانه، ويذهبون ليروا النور.

لذلك عندما أكمل يسوع خدمته بين الموتى، أخرج الموت من مملكته، ولم يسمح له بالبقاء فيها. وحسب أن افتزاسه له كبقية الموتى ليس فيه
مسوة، إذ ليس له سلطان على القدوس، ولا يقدر أن يحل به فساد...

كما أن الإنسان متى أخذ سمًا في الطعام الذي يُعطى للحياة، ويدرك في نفسه أنه أكل سمًا في الطعام، يتقيًا الطعام المختلط بالسم من بطنه، لكن
تبقى فاعلية السم عاملة في أعضائه، حتى ينحل كيان الجسم قليلاً قليلاً ويفسد. هكذا موت يسوع أبطل الموت، إذ به تملك الحياة، ويبطل الموت، هذا الذي
يُقال له: "أين غلبتك يا موت؟" (1 كو 15:55) [284].

القديس أوهاط

3. نقده لقسوة أصدقائه

حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ،

وَإِنْ تَرَكَ خَشِيَةَ الْقَدِيرِ [14].

يوبخ أيوب أصدقاءه على عنفهم وقسوتهم. حقًا لم يتكلم سوى أليفاز، لكن ظهرت علامات القبول والموافقة من الصديقين الآخرين. يشعر أيوب
أن قسوتهم صلت علة جديدة ليتمنى الموت، لأنه أيةراحة له في هذا العالم إن كان أصدقؤه الذين جاؤا ليعزوه صاروا معذبين له؟
إنه من حق الإنسان الحزين أن يُقدم له المستريحون عطفًا، ويظهروا له محبة خالصة، ويطيخوا خاطره، ويستمعوا إلى شكواه، ويعزوا دموعه
بدموعهم. هذا ما يليق بهم كأعضاء مع الحزين في ذات الجسد الواحد.

من لا يقدم حنوًا للمتألم يكون قد ترك خشية القدير، أي فقد مخافة الرب لأنه كيف تثبت محبة الرب ومخافته فيمن لا يبالي بآلام أخيه (1 يو 3:

17)؟

الشذائد هي محك الصداقة؟ تكشف الأصدقاء بالحق ممن يدعون الصداقة. "الأخ للشدة يولد" (أم 17:17).

❖ توجد وصيتان للحب: محبة الله ومحبة قريبنا. بحب الله يصير لمحبة القريب وجودها. وبمحبة القريب تتشدد محبة الله. فمن لا يبالي بمحبة الله
بالحق لا يعرف شيئًا عن كيفية محبة القريب، وحين نتقدم بأكثر كمالٍ في محبة الله نضع لبن الحب نحو قريبنا.
لأن محبة الله تلد محبة القريب، لذلك عندما تحدث الرب بصوت الناموس ونطق بالكلمات: "تحب قريبك" سبق ذلك قوله: "تحب الرب إلهك"
(مت 22:37؛ تث 5:6، 10، 12) ... مورة أخرى محبة الله تتوى بحب قريبنا، وقد شهد يوحنا بذلك إذ يقول: "من لا يحب أخاه الذي أبصوه كيف يقدر
أن يحب الله الذي لم يبصوه؟" (1 يو 4:20) ... بهذا يقول بحق حكيم: "لا يمكن معرفة صديق وقت الرخاء، ولا يمكن أن يختفي عدو وقت المحنة" (ابن
سواخ 8:12).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا يكفي أن نظهر رحمة، وإنما يليق بنا أن نقدمها باتساع، بروح سميحة، وليس فقط بروح سميحة بل بروح فوحة مبتهجة...
وقدر كز على نفس النقطة بقوة عندما كتب إلى أهل كورنثوس ليحثهم على الاتساع، إذ يقول: " من يزرع بالشح فيالشح أيضًا يحصد، ومن

يزرع بالبوكات فالبوكات أيضًا يحصد" (2 كو 9: 6). ولكي يصحح مزاجهم يقول: " ليس عن حزنٍ أو اضطرابٍ " (2 كو 9: 7)... فإنك إن حزنت وأنت تصنع رحمة فأنت قاس وعنيف.

إن كنت حزينًا كيف تقدر أن تسند الذين هم في حزن؟... هذا هو السبب في قوله " الواحم فبسرور"، لأنه كيف يكون حزين الملامح من يتقبل الملكوت؟! من يبقى كئيب النظرة وهو ينال غوان خطاياها؟ إذن لا تفكر في إنفاقك المال (عمل الرحمة)، بل في الفيض الذي تناله خلال الإنفاق. فإن كان الذي يبذر يوح مع أنه يبذر وهو غير متأكد من جهة الحصاد، كم بالأكثر من يُفْلِح السموات؟ فإنك تعطي إنما القليل لتتال الكثير... بالفلسين حُسبت الأرملة أنها فاقت من قَدَمِ وزنات كثرة وذلك بسبب روحها المتسع [285].

❖ يرتبط القوي بالضعيف فيسنده، ولا يسمح بهلاكه.

مرة أخرى إن ارتبط بشخص متكاسل يقيمه ويدفعه للعمل. قيل: "أخ يعينه أخ هو مدينة قوية". هذه لا يفوقها بعد المسافة ولا السماء ولا الأرض ولا الموت، ولا أي أمر آخر، إنما هي أقوى وأكثر فاعلية من كل الأشياء. هذه وإن صرت عن نفسٍ واحدة، قاورة أن تحتضن كثيرين دفعة واحدة. اسمع ما يقوله بولس: "لستم متضايقين فينا بل متضايقين في أحشائكم. كونوا أنتم أيضًا متسعين" [286].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "الصديق الأمين نواء الحياة" (ابن سواخ 6 : 16).

لا يوجد علاج مؤثر في شفاء الأوجاع مثل الصديق الصادق الذي يعزيك في ضيقائك، ويدورك في مشاكلك، ويوح بنجاحك، ويحزن في بلاياك. من وجد صديقًا هكذا فقد وجد ذخوة. فالصديق الأمين لا شبيه له، فوزن الذهب والفضة لا يعادل صلاح أمانته (انظر ابن سواخ 6 : 14، 15).

❖ بحق ليكن لك صديق تدعو "تصف نفسي".

❖ لا توجد صداقة حقيقية، ما لم تجعلها كوصلة تلحم النفوس، فتلتصق معًا بالحب المنسكب في قلوبنا بالروح القدس.

❖ لا يوجد علاج مؤثر لشفاء الآلام مثل الصديق الصادق الذي يعزيك في ضيقائك.

القديس أغسطينوس

أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ عَدُّوا مِثْلَ الْغَدِيرِ،

مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدْيَانِ يَغْبُرُونَ [15].

إذ جاعوا معًا ليعزوه، وبقوا سبعة أيام وسبع ليالٍ صامتين، كان ينتظر منهم كلمة تغوية تطفئ اللهب الداخلي، لكنهم انقضوا عليه بوحشية كمن يغدرون به، يكيلون له الاتهامات الباطلة، ويصبون على حوجه ما يلهبه، بدلاً من تقديم زيت يُلطف من التهابه.

❖ "أقرب معرفي لم يسئوا احتياجاتي". ذلك لمجرد تجاهل الله له جعل أقباءه يستخفون به وسط مثل هذه الآلام. ففي كل مرة بيتعد الله، يُحرم

الإنسان من ملجأه، ويصير الكل ضده معادين له. يقول لم يعرفني أحد في محنتي. لكن هذا في خطورة ان "كل الذين اعتادوا أن يكرموني صاروا الآن ضدي". هذا أمر سيء للغاية أن يسحق الشخص تحت قدميه إنسانًا منبسطًا. يبدو لي أنه كان يلح بذلك إلى أصدقائه الذين كانوا معه.

❖ لو لم يكن شوروا ما كان قد صار لكم عنوا. إذن اشتهوا له الخير فينتهي شوه، ولا يعود بعد عنوا لكم. إنه عنوك لا بسبب طبيعته البشرية وإنما بسبب خطيئته!

القديس يوحنا الذهبي الفم

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب يشبه أصدقاءه بالخائفين من الجليد الذي يتجمد من أسفل ويسقط عليهم الثلج النزل من أعلى. أنهم

يطأون بأقدامهم من حلت بهم المحن الزمنية الأرضية، إذ يطلون مجد العالم، ولا يدركون أنه سنحل بهم العقوبة السماوية كتلج ساقط عليهم لا يستطيعون

الهروب منه.

❖ لنتبعه وهو مُضطهد وهرب من عناء مقاوميه، حتى أننا نحن أيضاً " نصعد إلى جبلٍ ونجلس معه ". فترتفع إلى نعمة مجيدة، أسمى من كل شيء، ونملك معه. وكما قال بنفسه: "أنتم الذين تبعتموني في تجلبي متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده في التجديد، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (مت ١٩: ٢٨؛ لو ٢٢: ٢٨).

القديس كيرلس الكبير

الَّتِي هِيَ عَوَّةٌ مِنَ الْبُرْدِ،

وَيَخْتَفِي فِيهَا الْجَلِيدُ [16].

جاءوا في مظهر الغدير الذي يقدم ماءً للظمان، فقدموا له ماءً محملاً بالطين، ويختفي فيه الجليد، لا يمكن شربه. ينن أوب من تغريات أصدقائه العوكة، المملوءة وحلاً. فإنه من فضلة قلوبهم الزاوية يقدمون وحلاً. ومن برود محبتهم يقدمون تلجاً. هكذا كل نفس تضع رجاءها في تغريات البشر، لا تتقبل إلا وحلاً وجليداً. التي عوض أن تروي النفوس المجروحة، تحطمها بما تخفيه من الفكر التواهي الزمني، ومن البرود الروحي.

أما من يتقبل تغريات الروح القدس التي ترفع النفس إلى السماء، وتحررها من وحل هذا العالم، وتهبها حولة الروح. فيتحول قلبه التواهي بماء الروح إلى فردوس سموي. يزع الروح من داخله كل محبة للأرضيات، فيتونم: "أجلسنا معه في السماويات". يبدد كل برود للنفس، واهباً لهيب الحب الفائق، لا تستطيع كل مياه العالم أن تطفئه.

[287]

❖ يسمى (الروح القدس) المؤي، لأنه يجوي ويفوح الذين في الشدائد .

القديس مقاريوس الكبير

❖ لقد دعي الروح القدس الذي سوسله بالمؤي، ملقباً إياه هكذا بسبب عمله، لأنه ليس فقط يعطي راحة لمن يجدهم مستحقين، ويخلصهم من كل غم واضطراب في النفس، بل في نفس الوقت يمنحهم فوحاً أكيداً لا ينحل. يسكن في قلوبهم فوح أبدي حيث يقطن الروح القدس.

[288]

❖ يستحيل أن ينال أحد نعمة الله ما لم يكن له الروح القدس، الذي فيه كل عطايا الله .

القديس ديديموس الضيرير

❖ حينما تمتلئ النفس من ثمر الروح تتعوى تماماً من الكآبة والضيق والضجر، وتلبس الاتساع والسلام والوح بالله، وتفتح في قلبها باب الحب لسائر الناس .

القديس مار اسحق السرياني

❖ مملكة طاهر النفس داخل قلبه، والشمس التي تشوق فيها هي نور الثالوث القوس، وهواء نسيمها هو الروح القدس المؤي، والسكان معه هم طبائع الأطهار الروحانيين، وحياتهم وفوحهم وبهجتهم هو المسيح ضياء الآب...

❖ من نظر في ذاته إلى ربنا، وامرجت نفسه بنوره، يمتلئ قلبه بالروح.

الشيخ الروحاني

إِذَا جَرَّتْ انْقَطَعَتْ،

إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ مِنْ مَكَانِهَا [17].

يشبه أوب أصدقاءه بجدول ماء، صار بسبب الحولة جافاً، ليس فيه نقطة ماء للشرب. فإذا يوج إليه المسافرون متوجين أن يرووا ظمأهم وظمأ حيواناتهم، فيتكون طريق السفر ويذهبون إليه إلى مسافات بعيدة حتى يكالوا أن يتوهوا عن الطريق، إذ بهم يفاجئون بجفافه، فيحل بهم القوي.

لم يقف الأمر عند وجود طين في مياه الغدير، وإنما سوعان ما تجف، يذهب إليها أيوب ليشوب، فيجد جدول ماء جاف.

ماذا يقصد بكلمة "حميت"؟ رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هؤلاء الذين تسقط عليهم التأديبات تصير أذهانهم حامية، ملتبهة بنوان الندامة غير المثورة، لأنهم لا يفكرون في الأبديات، بل هم مشغولون بالمجد الزماني. فندامتهم تحطمهم بالأكثر، ويذوبون في مكانهم.

❖ "الذين يوتعبون أمامي، انظروا فقد طرحوني إلى أسفل مثل جليدٍ أو ثلجٍ كثيفٍ الذي عندما ينوب عند الاقتراب من الحولة يتعذر تمييزه". يقول: كأن الأخوان قد ضغطت عليّ من كل جانب، وصار الخاضعون لي وأصحابي ضدي. فإنه ليس فقط قانون الحب قد أبطل، وإنما حتى المهابة التي تقود إلى الطاعة قد زالت. وأما أنا الذي أصولع مع محنٍ وانفعالاتٍ عنيفةٍ، فقد صوت كتلجٍ مجمدٍ، وعندما يحل فصل الحر ينحل ويزول ولا يبقى له أثر. لا يتوكأ أية علامات وراءه لأن الملك - الذي هو أنا - جالس على مزبلة. واللابس الأجران قد صار عريًا تمامًا خلع المدينة. إنه يجلس في الخرج ليقيضي الليل، هذا الذي كان قبلاً يقطن مساكن فاخرة، كانت منزله مغطاة بالذهب والفضة بفيض. هذا الذي كان محاطًا بخدمٍ كثيرين، الآن صار مهجورًا. الذي له أبناء كثيرون وأكالييل موروثه، فجأة صار في دمار، فقد كل غنى بيته.

الأب هيسيخوس الأورشليمي

❖ هذا الثوب الذي لبسته يا إنسان داخل المعمودية سداه نور ، ولحمته روح، وهو لهيب. لقد أعده لك الأب، ونسجه لك الابن، وحاكه لك الروح. في داخل المياه قلت ولبسته إلهيًا. لقد قدم الثالوث النار بالمعمودية ليحرق الإثم ولكي تحيا النفس مع الله ^[289].

مار يعقوب السروجي

تَحِيدُ الْفَوَافِلُ عَنْ طَرِيقِهَا،

تَدْخُلُ النَّيَّةُ فَتَهْلِكُ [18].

تحول جدول الماء عن المحتاجين إليه، فلا يجد العطشى ماءً للشرب. هكذا ابتعد الأصدقاء بتغرياتهم بعيدًا عن أيوب، فصاروا كمجوى ماء

يهرب من الظمأى. أما الروح القدس المغوي فيروي النفس ويشبعها، فلا تحتاج إلى شيء.

❖ من المعلوم يا إخوتي أن كلاً منا يطلب راحته وفرحه، إلا أنه لا يطلب ذلك كما يجب، ولا حيثما يوجد. فالأمر يتوقف على تمييز الفوح الحقيقي من الفوح الكاذب، وبالعكس فإننا غالبًا ما نُدخل بخيالات الفوح الباطل والخير الكاذب.

فالبخيل والمتجبر والشه والشهواني، كل منهم يطلب الفوح، إلا أن هذا يضع فرحه في جمع غنى وافر، وذلك في شوف الرتب والكرامات،

وهذا في المآكل والمشرب اللذيذة، وذلك في إشباع شهواته النجسة. ليس منهم من يطلب فرحه كما يجب، ولا حيثما يوجد، من ثم لا يجده أحد منهم

بالرغم من أن الكل يشتهونه.

كل ما في العالم لا يقدر أن يُشبع النفس ويُخَوِّلَ لها فوحًا حقيقيًا، فلماذا إذاً تتعب أيها الإنسان الغبي، وتطوف باطلاً في أماكن كثرة متوقعًا أن

تجد خوات تملأ بها نفسك وتُرضي بها جسدك؟! أحب خروًا واحدًا يحوي جميع الخوات، ففيه وحده تجد الكفاية.

استرح إلى الخير الواحد العظيم العام، ففيه الكفاية عن كل شيء.

وأما أنت يا نفسي فبلكي الرب الذي يُشبع بالخوات عمرك (مز 103: 2، 5).

القدس أغسطينوس

نَظَرْتُ فَوَافِلُ تَيْمَاءَ.

مَوَاقِبُ سَبَأَ رَجَوْهَا [19].

تطلعت قوافل تيماء وسبأ، قوافل تجار تلك البلاد الموجودة في صحراء العرب، نظرت إلى المياه، وتوجت أن تشرب منها، لكنها خرت إذ

هربت منهم.

يطلب الطوبوي أيوب أن نتأمل سبل تيماء وطرق سبأ. ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن تيماء ترحم بالريح الجنوبية، وسبأ ترحم "شبكة". فلإنسان الذي لا ينشغل بالأبديات إنما كمن تهب عليه الريح الجنوبية الحرة، فتجعل حياته منحلة كما بفعل الحرة، وتصير قدماء كمن قد أمسكتا في شبكة أو تقيدتا بقيود الزمانيات.

خَرُوا فِي مَا كَانُوا مُطْمَئِنِّينَ.

جَاؤَا إِلَيْهَا فَخَجُوا [20].

إذ يتجه المسافرون في البرية نحو جدول مياه معروف، يشعرون واحة لأنهم واثقون أنهم يجنون ماءً للشرب، لكن تتحطم ثقفتهم تمامًا حين يجونه جافاً. هذا هو موقف أيوب نحو أصدقائه الذي كان يظن أنه يجد تغوياته فيهم، فإذا بهم يقدمون كلمات جافة وقلوباً بلا حب، فيخيب أمله تمامًا من جهتهم.

كانت ثقته عظيمة أن يشوب من مياه الجدول في وسط البرية. لكن طمأنينته ظهرت باطلة.

لقد جاء الأصحاب إلى أيوب وخجوا، وكما يقول البابا غريغوريوس (الكبير) إنهم لم يستطيعوا أن يهزوا فكر القديس بنقدمهم العنيف المرّ. هذه هي مشاعر الطوبوي أيوب أن أصحابه قد صلروا في تحري، إذ فشلوا بكل افتراءاتهم أن يدخلوا به إلى اليأس، بل هم أنفسهم صلروا في لتباك بجنون غبوة عنفهم.

❖ "يخزون فيما أنا أتوجي" . عندما يصوب الأثوار شرورهم إلى الصالحين، إذ يرون رجاءهم الداخلي يهتز يتهللون، لأن خداعهم قد أثمر. إنهم

يحسبون نشر أخطائهم أعظم ربحٍ اقتوه، إذ يفحون حين يهلك زملائهم. ولكن إذ يتأصل رجاء الإنسان الصالح في الداخل ولم يهتز وينحن إلى الأرض بالشرور الخرجية تحوى نفوس الأثوار، لعزهم البلوغ إلى أعماق الذين في محنة، ويخجلون، إذ يظهر أن عنفهم بلا هدف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

في رأي الأب هيسخيوس الأورشليمي أن أيوب يقول لهم: "انظروا مقاطعاتكم الخاضعة للجزية أو إلى جوانكم كما إلى طوقكم. فإنكم بالتأكيد تكونون أنهم إذ ظفوا أنهم أكثر شهوة من غورهم إلا إنهم مستحقون للوم. "يغطيهم العار، هؤلاء الذين يتكلمون على مدنهم وغناهم، هذه التي كانت لدى أيوب بفيض. وإذ أصيب بالتجرب زع الله عنه كل هذا، لهذا فإن ثقفتهم فيما هو لهم خطأ، فعن قريب يبطل كبريؤهم ويهلك تشامخهم.

فَالآنَ قَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهَا.

رَأَيْتُمْ ضَرْبَةَ فَوْعَتُمْ [21].

يؤكد أيوب لأصدقائه أنهم صلروا هكذا مثل هذا الغدير المخادع الذي لا يروي أحداً ولا يهب تغوية، بل يقدم سواباً وخداعاً... هذه هي تغويات البشر الباطلة، إنها كلا شيء!

" رأيتم ضربة فوعتكم " . كأنه يقول: حين كنت في رخاء كنتم تلاتفونني في وقتٍ لم أكن فيه محتاجاً إلى ملاطفتكم. وإذ حلت بي الضربة، فوعتكم وقدمتم لي حرة عوض الكلمات العذبة، ونقدٍ لاذع عوض التغويات.

❖ " الآن قد جنتم ورأيتم ضوبتي فوعتكم "... كأنه يقول في وضوح: "لقد خشيت الله عندما كنت مدعماً بالرخاء، ولم أشعر بجراحات الضربة. أما أنتم فلم تخشوا الله بالحب، إنما لتعبتم منه فقط خلال ضوبات العصا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَلْ قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئًا،

أَوْ مِنْ مَالِكُمْ لَشَوْا مِنْ أَجْلِي؟ [22]

وإن كان قد افتقر إلى حالة العدم، لكنه لم يستجد منهم شيئاً، ولم يتقل عليهم في شيء، ولا طلب مالاً، ولا كبدهم أية نفقات، فلماذا يأخون هذا

أَوْ نَجُونِي مِنْ يَدِ الْخَصْمِ،
أَوْ مِنْ يَدِ الْعُنَاةِ أَفْئُونِي؟ [23]

لم يسألهم أن ينقوه من عدو أو من يد عتاة، ولا سألهم أن يدفعوا فدية لإنقاذه. هكذا كان أيوب عفيف النفس، حتى عندما بلغ إلى أمر حالات الفقر .

عَلَّمُونِي فَأَنَا أَسْكُتُ،

وَفَهَّمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ [24].

لقد اختلف أيوب معهم في الرأي، إلا أنه لم يعاند، بل كان مستعداً أن يقبل الحق إن كان مخطئاً، إذ يقول: " علموني فأنا أسكت، وفهموني في أي شيء ضللت".

في وسط الضيق متى قام أحد بتوبيخنا، خاصة إن كان متحاملاً علينا، يصعب أن نصغي إليه أو نقبل مشورته، موكّرين أنظرننا نحو تحامله الشير واستغلال ضيقتنا لتحطيمنا. أما أيوب ففي وسط الضيقة يعلن لأصدقائه أنه مستعد أن ينصت ويسمع، بل وإن ابرزوا خطأ في حياته يصحح من حاله.

يا لها من صورة رائعة لنفسية وإن اضطربت بسبب مررة الكولث المتلاحقة، لكنه يحمل هوءاً داخلياً، واستعداداً عجبياً لقبول مشورة أصدقائه مهما كانت نياتهم.

❖ " علموني " ها أنتم ترون أيوب يصغي إليكم في صمت. في أخواني هل أنا متمرد؟ أما أشعر بفيضان المحنة؟ لست مغلقاً على قبول المشورات. إن كنتم تدحضوني لأني مخطئ، فسترونني مسوعاً نحو إصلاح الموقف.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ هذا معناه: لم أطلب منكم شيئاً في الماضي، ولا طلبت منكم الآن، وأنتم قد جنتم بناء على مباورة من جانبكم لكي تجنوني وتغزوني. فلماذا تتعاملون معي كعدو؟ " علموني فأسكت؛ إن كنت أخطئ في شيء ما اخبروني".

على أي الأحوال، حتى تحت هذه الظروف لست أرفض التعلم مادمتم تنطقون بما هو نافع. وسأصمت إن نطقتكم بكلمات مقبولة. بالتأكيد لا يقدر أن يقدموا اتهامات واضحة، إنما مجرد حدس وتخمينات.

إذ كانت حياة الشخص مملوءة بالفضائل بوضوح، كان يليق بهم ألا يروا في التأديبات ما يقولونه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الله وحده مطلق الكمال، يعلم المسكونة ولا يحتاج إلى التعلم. أمّا نحن كرامة إذ نخدم بالله الساكن فينا، يؤمننا أن يتسع القلب دائماً، ويستمر في الاتساع ليأخذ من الله، وتوح بالأكثر رائحة المسيح فينا، لأنّه مهما عظم اتساع قلبنا فهو ليس إلا نقطة صغيرة بالنسبة للجنة محبة الله وفيضه اللانهائي. فالواعي - ولو كان بطور كفاً - إن لم يكن دائم التعلم يقف نموه ويظهر جموده ويُعثر شعبه عن النمو الروحي. وبقدر ما يخشع تحت أقدام الرب، ويفتح قلبه له في الصلاة والوراثة في الكتاب المقدس، وبقدر ما يصغي دائماً بكل قلبه ليتعلم في كل أمر أحكام الله، ينمو في شركته وتنمو معه رعيته أيضاً.

❖ إنني لا أقدر على الهروب من عمل التعليم مادام الكهنوت قد أُلقي على عاتقي، رغم محاولتي الهروب منه.

وإنني رُغب في الجهاد في التعلم حتى أكون قارواً على التعليم.

لأنّه يوجد سيّد واحد (الله) الذي وحده لا يتعلم ما يعلمه للجميع.

أما البشر فعليهم أن يتعلموا قبل أن يعلموا، ويتقبلوا من الله معلمهم ما يعلمون به الآخريين.

القديس أمبروسيوس

❖ اقرأ الكتب المقدسة باستمرار، فلا ترفع الكتاب المقدس قط عن يدك. تعلم ما ستعلمه للآخرين، ملازمًا للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي تكون قاورًا أن تعظ وتوبخ المناقضيين (١ تي ٣: ٤)، "وأما أنت فانبئت على ما تعلمت وأيقنت، علفًا ممن تعلمت". كن مستعدًا دائمًا لمجوبة كل من يسألك عن الرجاء الذي فيك" (١ بط ٣: ١٥).

القديس جيروم

مَا أَشَدَّ الْكَلَامَ الْمُسْتَقِيمَ،

وَأَمَّا التَّوْبِيخُ مِنْكُمْ، فَعَلَى مَاذَا يُؤْهِنُ؟ [25]

لم يسترح أيوب لأسلوبهم في معالجة الأمر، فكان يليق بهم أن يحلوره بروح الحب والاستقامة. أما أن يستخدموا أسلوب النقد والتوبيخ على افتراضات وظنون لا أساس لها، فهذا ليس للبنيان.

❖ "حسنًا! تبدو كلمات الإنسان الحق بلا قيمة". يقول: يبدو لي إنني عاجز عن أن أفود المعركة، لأن خصومي يقاومونني، ولأنه إذا قيل الحق وأعلن عنه بصراحة، ليس من يصغي إليه. فإن كلمات الإنسان البار تبدو بلا قيمة لكل أحد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ تبدو كلمات الإنسان الحق باطلة". إنها باطلة بالنسبة للذين ليسوا حقًا. ولكن إذ أتطلع إليكم لا أعرف من تخدمون!؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

هَلْ تَحْسِبُونَ أَنْ تُؤْبَهُوا كَلِمَاتِ،

وَكَلَامِ الْيَائِسِ لِلرَّيْحِ! [26]

التوبيخ بروح العنف وفي قسوة لن يثمر.

❖ "لست أسألكم كلمة أو قوة، ولا توبيخكم يجعلني أن أكف عن النطق". نعم، فإنه وإن كان يليق بكم أن تحكموا في قضيتي حسب الظروف الحاضرة، فإنني لا أتوسل إليكم... "فإنني لست أطلب قوة منكم"... لا أعبأ بأصوات حديثكم هذا بجانب أنكم تهاجمون الأيتام، وتسيئون إلى أحد أصدقائكم. إنه يقول لهم بأنه ليس للعدو قوة ولا للصدقة تأثير عليكم. على أي الأحوال، إن رغبتم دعوني أعود إلى قولي: "إنني لا أطلب شيئًا". فإنكم حتى إن أخذتم موقف المقاومة أكرر مرة أخرى: ضموي لا يثور عليّ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بَلْ تُلْقُونَ عَلَى الْيَتِيمِ،

وَتَحْفَرُونَ حُورَةً لِصَاحِبِكُمْ! [27]

إذ يتطلع أيوب إلى تصرفاتهم مع الأيتام كما مع أصدقائهم يستطيع أن يكرر: "إن ضموي لن يوبخني بكلماتكم". يشبههم وهم يوبخونه بينما هو في حالة مرة وفي كلثة، كمن يذل يتيماً عاجزاً عن صد الإهانات.

حسب أيوب نفسه وقد فقد ولاده كاليتيم الذي يفقد والديه، يحتاج إلى حنوهم فيتشبهون بالله، إذ هو "أبو اليتامى وقاضي الأمل" (مز 68: 5). ما يحزنه أنهم وهم أصدقاء له ينصبون فخًا يسقط فيه، عوض مساندته ليخرج من فخ التجرب المتلاصقة.

❖ "نعم، أنتم تسحقون وتبذلون الجهد لتدمروني". إنه يظهر نفسه كم هو ضعيف، إذ يدعو نفسه "يتيمًا". عندما توح المحبة لن تزوع الحب، لذا يشكو في الحال أنهم يدمرونه، ومع هذا يشهد أنه صديقهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يجب على كل راهبٍ (إنسانٍ) ينشد الكمال وورع في أن يجاهد قانونيًا في قتاله الروحي، أن يتخلص من خطية الغضب والسخط بأكملها، وأن ينصت للتحذير الذي يُوجه إليه "الإناء المختار"، قائلًا: " لُرفع من بينكم كل مرة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث " (أف 4:31).

وحيث يقول: "لُرفع من بينكم كل غضب" لا يستثني أحدًا مهما كان، لما تقتضيه الضرورة أو لما هو نافع لنا، وإذا احتاج الأمر، فينبغي فوراً أن يُعالج أي أخ مخطئ بطريقة لا يكون من شأنها أن تجعله شبيهًا بشخصٍ ذهب يعالج مريضاً بحمى خفيفة فورط نفسه بغضبه وسخطه فيما أدى به إلى فقد بصره وبصيرته. ذلك لأنه ينبغي على من يريد أن يشفي جرح شخصٍ ما أن يكون سليماً مُعافى، لا يشكو من أي ضعف، لئلا تُوجه إليه عبلة الإنجيل: "أيها الطبيب اشف نفسك" (لو 23:6)، ولئلا وهو يرى القذى الذي في عين أخيه لا يرى الخشبة التي في عينه. إذ كيف يرى حتى يخرج القذى من عين أخيه، ذاك الذي في عينه خشبة الغضب؟ (مت 7: 3-5) [290]

القديس يوحنا كاسيان

وَالآنَ تَوَسَّؤُوا فِي،

فَإِنِّي عَلَى وُجُوْهِكُمْ لَا أَكْذِبُ [28].

كان أيوب صادقاً مع نفسه كما مع الغير، لهذا سألهم أن يتوسوا فيه ويعينوا النظر في الأمر، فإنه لا يكذب ولا يخدع أحدًا.

كأنه يقول لهم: لا تتصيونوا بعض كلماتي، تطلعوا إلى وجهي، فإنني وإن كنت قد لعنت يوم الحبل بي ويوم ميلادي، الأمر الذي تتصيونوه، لكنني

لم أجدف على إلهي.

توسوا في قروحي فإنها لا تُحتمل، فما ينطق به لساني ليس بدون ميرٍ. إنني لست أخاصم إلهي.

رُجُوا. لَا يَكُونَنَّ ظُلْمٌ.

رُجُوا أَيْضًا. فِيهِ حَقِّي [29].

يعود فيكرر مطالبًا إياهم بإعادة التفكير، يسألهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ولا يتحاموا عليه، فيروا حقه، فإن كان لم يقدر أن يحتفظ بهوته فلا

يعني هذا أنه فقد استقامته ونبله.

هَلْ فِي لِسَانِي ظُلْمٌ،

أَمْ حَنَّي لَا يَمِيْزُ فَسَادًا؟ [30]

يسألهم هل نطق بلسانه كلمة فيها تجديف على الله. أي إثم يتهمونه به؟ أليس ما نطق به يتكافأ مع ما يعانيه من مرة.

❖ عندما فضح خطية أحيانا يفضح الله خطيتنا، وعندما نخبر الناس عن جريمة أحيانا يفعل الله معنا هكذا.

أحد آباء البرية

❖ احفظوا أنفسكم. وذلك بأن لا تقولوا عل إخوتكم شراً. لأن الذي يقول على أخيه شراً يغضب الله الساكن فيه. ما يفعله كل أحدٍ يرفيقه فبالله يفعله.

القديس مقاريوس الكبير

من وحي أيوب 6

لتصوب سهام حبك في قلبي

❖ في وسط ضيق هذا العالم تنن نفسي في داخلي!

تُرى هل يدرك أحد ثقل صليبي؟

هل يشركني أحد بريرة نفسي!

ضيقاتي طمت فوق رأسي،

وضاق قلبي جداً.

❖ سيدي أفصح خطيبي أمام عيني،

عوض الصواخ من كثرة الضيقات،

أغرق في لجة محبتك يا غافر الخطايا، ومنقذ نفسي من الفساد!

لا أرى في قلبي سهام العدو الملتهبة نراً.

بل وسط الضيق أرى سهام حبك تخترق أعماقي.

يتحول كل كياني إلى عوس موح.

أغني وأرنم: إني مجروح حباً!

❖ لا أعود أتقرب تغرية من بشر،

ولا أشعر بعد بتفاهة حياتي!

إن كانت حياتي قد صلت كقطعام كويهِ بلا ملح،

بحبك أراك الملح الحقيقي الذي يسكب عنوبة على أعماقي.

بك أصير ملحاً للأرض ونوراً للعالم!

لا أعود أرثي ضعفي، لأنك أنت قوتي وعوني.

❖ في وسط ضيقي صلت تغريات البشر ثقلاً على نفسي.

يقدمون من مجريهم مياهاً عكرة تخفي في داخلها جليداً.

أما أنت يا أيها المغوي السموي،

فتهيني روحك في داخلي بنوع مياه حية،

تتعش نفسي، وتجدد حياتي،

تزع كل راب في داخلي،

تحول قوتي إلى جنة سموية.

ليس موضع للجليد في داخلي،

لأن روحك لهيب نار متقد، من يقدر أن يطفئه؟

❖ أصدقائي ينتقدونني ليتبرروا هم،
يُظهرون حكمتهم البشرية نون حبٍ صادقٍ.
أما أنت فالمعلم العجيب،
تعلم بالوصية المملوءة حبًا.
تتحدث معي لأتحدث معك،
ترشدني وتحملني فيك،
وتصعد بي إلى حضن أبيك مبررًا فيك!

❖ توبيخات البشر كثرةً ما تدفعني إلى اليأس،
تحطم أعماقي، فأشتهي الموت.
توبيخاتك تحمل أبرة حانية،
تروح وتعصب،
تقتلع الزوان من حقلك،
لتغرس جناتك في أعماقي،
حزمك يحمل عنوبة فائقة.
نظراتك تحمل مع العتاب حورًا فائقًا!

❖ لتكن أنت صديقي الويد،
كلماتك جادة مملوءة عنوبة!
نظراتك تهب رجاءً، وتسحق نفسي بالحب!
اللقاء معك يحول قلبي إلى هيكَلٍ لك.
لمساتك تلهب كل كياني لأنطلق إليك!
لتأتني وتسكن فيّ، وأسكن فيك إلى الأبد.

<<

الأصاح السابغ

شهوة الموت

في هذا الأصاح يقدم لنا أيوب صورة حية لما يليق بالمؤمن أن يفعله وسط متاعبه، خاصة مع المقاومين له. إنه لم يتجاهلهم، بل تحدث معهم

بحكمة وهوءٍ وصدقٍ، لكن بين الحين والآخر يحول وجهه عنهم ليرفعه نحو الله، ويدخل معه في حديث صريح. هكذا جاء هذا الأصحاب صلاة تخرج من قلبٍ ينوق المر من قلوب أصدقائه، فيلجأ إلى قلب الله واهب التوحيات، صديقه السموي الفريد، ومخلص نفسه.

يعود أيوب فيكرر أنه يلتمس لنفسه العذر في تطرفه في شهوة الموت، مقدماً الحجة لذلك.

أغلب الأصحاب موجه إلى الله . في وسط آلامه تطلع أيوب بنظرة تشاؤمية حيث يرى كل البشوية أشبه بالعبيد والخدم الذين يشتبهون يوماً عبور

الزمن للدخول إلى المساء لينالوا شيئاً من الراحة، ويستلمون أجرة تعبهم. إذ كانت أتعابه تلامه كان يشتهي حلول الليل لكي يستريح من أتعاب النهار.

يصوح أيوب بأن آلام النهار وأحلام الليل الرعبية جعلته يشنق أن يحل به الموت عوض استتوار الحياة. إنه يتساءل: هل الإنسان الضئيل هام

جداً لدى الله، حتى يضع الله عينه عليه، ويتحين كل فرصة لكي يعاقبه؟ (١٧-١٨؛ ١٤: ١-٣).

يعترف أيوب أنه أخطأ، لكنه يتعجب كيف أن خطيئته تجعل الله يلقي به رُضاً، كما لو كان حملاً ثقيلاً. إنه يطلب من الله ألا يتأخر في الإعلان

عن المغفرة، لئلا يموت قبل أن يتمتع بالغفوان.

1. أيامه كأيام الأجير مملوءة شقاء 1-6.

2. الموت يضع حداً للشقاء الحاضر 7-10.

3. وصف لحالته التعيسة 11-16.

4. صرخة إلى الله لإنقاذه 17-21.

1. أيامه كأيام الأجير مملوءة شقاء

أَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ جِهَادًا عَلَى الْأَرْضِ،

وَكأَيَّامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟ [1]

يلتمس أيوب لنفسه العذر حتى في تطرفه في شهوة الموت، مدعماً رأيه بأن حياة الإنسان كلها تعب، فهو "قليل الأيام وشعبان تعباً" (أي 14:

1). كل إنسان يترك أن أيامه قليلة، له ما يبهره في اشتهاه الموت عن قريب، لهذا يدهش كيف يعتبرونه قد ارتكب جريمة شنيعة عندما انتهى ذلك.

بقوله "على الأرض" هذه التي أعطاها الله لبني البشر (مز 115: 16)، ينم عن وضاعة الإنسان، فإن مكان إقامته لا زال أسفل على الأرض،

وليس بين الطغمة السماوية. حقاً لا يسكن كعدو الخير في جهنم، إنما إلى حين على الأرض. نعيش مؤقتاً هنا لا يحكمنا القدر الذي للواقين، ولا الحظ

الأعمى للأبيوريين، إنما مشورة الله وخطته الإلهية السماوية العالية.

أما عن حالة الإنسان هنا فهي "جهاد، كأيام الأجير" في حالة جهادٍ مستمرٍ، كجنودٍ في معركة لا تتوقف. أعداؤنا لا يكفون عن المقاومة، ولا

ينامون الليل. بالموت تُحسم المعركة، إما لكي نكلل أبدياً أو نصير في حُوي وخجلٍ.

أيامنا كأيام الأجير نعمل طوال النهار لنقدم حساباً في نهايته. كأجير يود أن ينتهي اليوم سريعاً حتى يستريح من الإجهاد في العمل المستمر.

وحب الأجير بعبور النهار وحلول الليل للراحة، كما يفرح الحارس بعبور الليل بنور الصباح (مز 130: 6). يشنق الأجير إلى نهاية اليوم، لأن نوم

المشتغل حلو" (جا 5: 12).

❖ أليست حياة الإنسان على الأرض بمثابة جهاد، وحياته كأيام الأجير؟ كالعبد الذي يكمن في الظل خرقاً من سيده، أو كالأجير الذي يتوجى أهرته؟

هكذا أيضاً أنتظر شهيراً فرغاً وليالي شقاء قُسمت لي. إذا اضطجعت أقول متى يطلع النهار؟ وإن قُمت أقول ثانية، متى يحل المساء؟ إني مملوء ألماً

من الليل حتى مطلع الصباح. جسدي أنتن بتلوث الود، وبلّلت كتل الأرض بحك قروحي التي تخرج إفرات قريح! أيامي أتفه من كلام فرغ، وتنتهي

[291]

LXX بغير رجاء. أقول: "سيعزيني فإشي"، لكنك تروعي في الأحلام، وتُخيفني في الرؤى" (أي 7: 1-6، 13، 14).

❖

ما أتعب حال الإنسان! كالأجير، يتعب ويكد لأجل الآخرين وهو نفسه في عوز! ولا يقوى على مساندة نفسه، إلا بواسطة تعاطف الآخرين! كل يوم يتكد عبودية مؤنة تحت قهر الخوف والوع. ولئلا يمسك به سيده، يظن أنه يستطيع أن يختبئ منه في ظل هذا العالم؛ الظل الجائل الهائم الهرب! فكّر Ecclesiasticus في ذلك الذي يتحدث عنه سواخ في سفر الحكمة "كل إنسان يخطئ على فاشه مستهيناً وقائلاً في نفسه: "من واني؟ فالظلمة حولي، والحيطان تخفياني؛ ممن أخاف؟" (سواخ 18:23). ألا تظنوا أن ذلك الإنسان أجير مسوف؟...، مثل الشاب الذي ورد في الإنجيل الذي نؤأ عنه أنه تسلّم من أبيه نصيب الموات، وعندما صار في عوز وفي حاجة، بدأ وعى قطعان الآخرين كوسيلة لإشباع جوعه وسداد نفقاته بما يتقاضاه (لو 16-11:15)، لكنه على الأقل قد اهتدى في النهاية وتاب، لأنه عاد إلى أبيه، ولم يكتف خطايا بل كشف عنها.

لكن الإنسان الذي يظن أن الله لا واه، ذلك الذي يرى كل شيء، وأن آثامه يمكن أن يخفيها الظلام، إنما يعيش في الظل، لكنه عبثاً يظن أنه يهرب من المراقبة، حيث عين الرب، الأبهي من الشمس، تكشف عن كل الأمور والخفايا، وتبهر كل ظلمة، وتدخل إلى معرفة عمق القلب، وتخرق إلى العلو والأعماق (يو 3:19-20؛ سواخ 19:23-28). ولهذا فالإنسان الذي يظن أنه في حماية الظلام، ظنه باطل؛ لأنه لا يقوى على الهروب من النور الذي ينير في الظلمة، والظلمة لم تمسك به (يو 1:5).

من ثمة يُكتشف كهلب وأجير شوير، ويتم التعرف عليه قبل أن يُخفي نفسه! لأن كل الأشياء معروفة للرب، قبل أن يفحصها، لا بالنسبة للأحداث الماضية فقط، بل والمستقبل أيضاً [292].

❖ من يظن أنه يخفي جرمه، إنما يفقد في رجاء فلوغ، لأن ذلك مجرد حديث واه وليس الحق. حقاً "حديث الخطاة الفلوغ مكروه" (سواخ 13:27-14)، لا يعطي ثوراً، بل بكاءً فقط! لأن "حديث الأحق مثل جمل في الرحلة" (سواخ 16:21-19)، وما الخطية إلا ثقل! إنها ثقل على كاهل عابر السبيل في هذا العالم، حتى أنه يتنقل بحمل ثقيل من الجرم! فإن كان راغباً في عدم الخضوع لحمل الثقل، عليه أن يلتفت إلى الرب الذي قال: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (مت 28:11) [293].

القديس أمبروسيوس

❖ الله في قديسيه عندما يُجربون، والقداسة تتبع التجربة. يستحيل على أي شخص، حتى وإن كان قديساً أن يجتاز هذا العالم بدون تجربة. وكما يقول 7 أيوب: "حياة الإنسان على الأرض نضال (جهاد)" (أي: 1) [294].

❖ نؤأ في سفر أيوب كيف أنه بينما كان رسول الشر الأول يتحدث جاء أيضاً آخر (1: 16). وفي نفس السفر كتب: "ألا توجد هنا تجربة" وبحسب النص العوري الأفضل: "توجد حرب ضد الإنسان على الأرض". إننا نجاهد في هذه الحياة لكي ما نكلل في الحياة العتيدة، ولهذا الهدف نخاطر بحياتنا؛ في معركة هذا العالم (مت 4: 1 الخ). يشهد الكتاب المقدس عن إراهيم أن الله حربه (تك 22: 1 الخ). ولهذا السبب أيضاً يقول الرسول: "تفتخر في الضيقات... عالمين أن الضيق ينشئ صواً، وفي الصبر رجاء، والآن الرجاء لا يجرى" (راجع رو 5: 3-5). وفي موضع آخر: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم عوي أم حوع أم اضطهاد أم حوع أم عوي أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب: إننا من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح" (رو 8: 35-36). يوي إشعيا النبي مثل هلاء بالكلمات: "أنتم المفطومون عن اللين، المفصولون عن الثدي، أنظروا تجربة فوق LXX تجربة بل، وأيضار جلاء فوق رجاء (إش 28: 9-10) فكما عبر الرسول: "آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو 8: 18) [295].

القديس جيروم

❖ عندما تهرب من مصر تأتي إلي مصاعد علوية جداً للعمل والإيمان. تواجه وجأً وحوماً وأموجاً. طريق الحياة لا نسلكه دون أمواج التجرب. يقول الرسول: "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (2 تي 3: 12). أيوب أيضاً لم يعلن بأقل من هذا: "حياتنا على [296]

العلامة أوريجينوس

❖ أيوب بدوره رد قول أليفاز: لكن الإنسان مولود للمثقة (5: 7). ماذا يعني هذا بالنسبة لأيوب؟ لقد جاء إلى النتيجة النهائية بأن هذا ليس هو الظلم الوحيد، بل هو نابع عن طبيعة الإنسان نفسها التي تثير هذه التجرب، كما أن الله يقرر أن حياة الإنسان يجب أن تكون مؤلمة. لكن أيوب أضاف "على الأرض"، إذ لا تكون بعد هكذا "في السماء".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هذه الحياة إلا ملء من الشباك؟

نحن نسلك بين شبك (ابن سواخ 9: 13)؛ إننا نعيش بين تجرب عديدة. "ما هي حياة الإنسان على الأرض إلا حالة من التجربة" (أي 7: 1 LXX).

حسناً أضاف "على الأرض"، لأنه يوجد من هو حياته في السماء.

حياته "على الأرض" أجرة أجبر، كلها تعبٍ وشدة، وهي من القصص الباطلة (أي 7: 1-2، 6LXX)، تسبح في كلمات وتفيض بكلمات. سكنها في مساكن من طين، والحياة ذاتها وحل. ليس من ثبات للفكر ولا جلد. في النهار يتوق الإنسان إلي الليل، وفي الليل يبحث عن النهار (راجع أي 7: 4) [297].

القديس أمبروسيوس

❖ الشرور التي تحل عليكم ستعبر، وذاك الذي تنتظرونه بصبرٍ سيأتي. أنه سيمسح عرق التعب. أنه سيجفف كل دمعة، ولا يكون بكاء بعد. هنا أسفل يؤمنا أن نئن وسط التجرب، إذ يتساءل أيوب: "ما هي حياة الإنسان على الأرض سوى محنة؟" (أي 7: 1) [298].

❖ أواني الشوية تناضل مع أواحي الصالحة، وفي أي جانب تتحقق النصوة؟ لست أعرف.

الويل لي! زاعف يارب علي!

الويل لي! هوذا لم أخفِ حواحتي!

أنت الطبيب، وأنا مريض.

أنت رحوم وأنا بائس. أليست حياة الإنسان على الأرض تجربة؟

من وغب في مصادر الإغاضة والمصاعب؟ إنك تأمر بأن نحتمل المتاعب، لا أن نحبها.

لقد أموت أن نحتمل لا أن نحبها. فإنه ليس من إنسانٍ يحب ما يحتمله، وإن كان يجب أن يحتمل [299].

❖ لا تظنوا أنكم بلا خطية مادتم في هذه الحياة، إذ نقواً عن هذا في الكتاب المقدس "أليست حياة الإنسان على الأرض تجربة؟" لهذا مادمنا في هذا

الجسد حتماً يؤمكم أن تقولوا في الصلاة كما علمنا الرب: "أغفر لنا معاصينا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا". تذكروا أن تغفروا سريعاً. ان أخطأ

إليكم أحد وسأل الغوان، حتى يمكنكم أن تصلوا بإخلاص وتغفروا بغوان خطاياكم [300].

❖ LXX "الحياة البشرية على الأرض تجربة" (أي 7: 1)، ليس أحد قط في أمان تام، ولا يؤرمه أن يكون هكذا حتى يأتي إلى تلك المدينة، حيث لا

يخرج منها صديق ما، ولا يلتحق بها عدو ما. الآن ونحن في ذات مجد الكنيسة نتعرف على أصوات تجربنا، وكأعضاء المسيح نخضع لرأسنا في

رباط الحب، ونسند بعضنا البعض بروحٍ مشتركٍ، ونقول من الزوامير ما نجده فيها عن الشهداء الذين سبقونا قائلين إن التجرب عامة على كل البشر

من البداية حتى النهاية [301].



قدر ما يجب (الشخص) وطنه السموي تصير رحلته الأرضية هي في ذاتها تجربة عظمى... في هذه التجربة، أي في هذه الحياة، من يثبت فوقها [\[302\]](#) يطلب الله.

❖ أنتن بالفعل تعشن في عفة وقداسة ونقوة وبتولية، ومع هذا ما هي حياتكن هنا؟ أما تتواضعن عند سماعكن: "ما هي الحياة البشوية على الأرض إلا LXX تجربة" (أي 7: 1)؟

ألا يسحبكن من الاعتداد بالذات في زهو القول: "الويل للعالم من العوثات" (مت 18: 7)؟

أما ترتعبن لثلاث تحسبن بين الكثويين الذين تورد محبتهم بسبب الإثم (مت 24: 12)؟

أما توقعن صدوركن عند سماعكن: "من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (1 كو 10: 12)؟

[\[303\]](#)

وسط هذه الإنزلات الإلهية والمخاطر البشوية، هل نجد الأمر صعباً أن نحث العذرى القديسات على التواضع؟

❖ لا يليق بإنسانٍ ما أن يشعر بالضمان في هذه الحياة، التي في كليتها تُدعى تجربة (أي 7: 1). فإن ذاك الذي استطاع أن يبلغ إلى حالٍ أفضل مما كان

[\[304\]](#)

عليه من سوء، لئنه لا يتحول مما هو أفضل إلى ما هو أسوأ. رجأؤنا الوحيد، وثقتنا الوحيدة ووعدنا الأكيد الوحيد هو براحمك .

❖ إني أقول: آه! يا ليت لي جناحين مثل حمامة، فأطير بعيداً وأكون في راحة!

إذن لأتجول بعيداً وأبقى في البرية.

بل وحتى في البرية ربما سأملس ذات الخوة، إذ قيل: "انتظرت ذاك الذي يخلصني من الضعف ومن العاصفة" (مز LXX 5:558).

[\[305\]](#)

حقاً، حياة الإنسان على الأرض هي حياة تجربة .

❖ ليس أحد يتأكد من الحياة الأبدية هذه التي يعد بها الله غير الكاذب أبناء الوعد قبل زُمنة الأبدية. ليس أحد يتأكد ما لم يكمل حياته التي هي حالة من

التجربة على الأرض (أي 7: 1). فإن الله يحثنا على المثابرة فيها حتى نهاية هذه الحياة، إذ نقول له كل يوم: "لا تدخلنا في تجربة" (مت 6:

[\[306\]](#) 13).

❖ لا يوجد إنسان يمكن أن يقول عنه البشر بتأكيدٍ كاملٍ أنه بار حتى يرحل من هذا العالم. فإنه في حياته التي هي تجربة على الأرض يلزم لمن كان

[\[307\]](#)

قائماً أن يحذر ألا يسقط (1 كو 10: 12) .

❖ هناك سنكون مثله، زاه كما هو (1 يو 3: 1). أما الآن، مادام الجسد الفاسد يضغط على النفس (حك 9: 15)، والحياة البشوية على الأرض كلها

[\[308\]](#)

تجربة (أي 7: 1)، فإن في نظره ليس من إنسان حي يتبور (مز 143: 2) .

[\[309\]](#)

❖ لقد ظهر بما فيه الكفاية أنه في هذه الحياة، التي هي بكليتها تجربة، يليق ألا يفخر أحد كما لو كان قد تحرر من كل الخطايا .

❖ من سوى المتكبر، يظن أنه قادر أن يعيش هكذا نون حاجة أن يقول الله: "اغفر لنا ما علينا؟" مثل هذا الشخص ليس بالإنسان العظيم، بل المنتفخ

[\[310\]](#)

بالباطل، ومقاوم لله الذي يعطي بفيض نعمة للمتواضعين (يع 4: 6، 1 بط 5: 5) .

القديس أغسطينوس

❖ "أليست أيامه مثل أيام أجير؟" ... هكذا أيام الإنسان إذ تنتوب بمعرفة الحق والأبديات تقرن بأيام الأجير، إذ يحسب الحياة الحاضرة طريقه وليست

مدينته، هي نضال وليست سعف النورة. إذ يرى أنه بعيد عن مكافأته، ينسحب بالأكثر ببطء ليقترّب من غايته...

الآن قيل بصوت المخلص: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يو 18: 36). إذن كلنا نحن الذين وهبنا الوجود في السماء نرتدي متاعب الحياة

الحاضرة، وننشغل بالاهتمام بالغير. إذ غالباً ما يحدث أننا حتى إن أكرهنا على خدمة أبناء الهلاك نؤم أنفسنا أن نورد للعالم ما هو له، ونهتم بما للغير

لننال المكافأة التي لنا. هكذا ننشغل بأمور الآخرين بأمانة حتى نبلغ إلى مكافأتنا. على عكس هذا يقول الحق للبعث: "إن كنتم لستم أمناء فيما هو للغير،

فمن يأتئكم على ما هو لكم؟" (لو 16: 12).

هكذا يقول مواطنو الأرض العليا لخالفهم كلمات الموتل: "من أجلك ثمات كل النهار" (مز 44: 22). ويقول بولس: "أموت كل يوم يا إخوة لمجدكم" (راجع 1 كو 15: 31)؛ وأيضًا: "لهذا السبب احتمل هذه الأمور أيضا لكنني أخجل، لأنني عالم وموقن أنه قادر أن يحفظ ما الترم به لأجله إلى ذاك اليوم" (2 تي 1: 12)...

❖ يليق بنا أن نلاحظ أنه لم يُقل أن حياة الإنسان تلحقها تجربة، بل وُصفت أنها هي ذاتها صلت تجربة. فإنه إذ كان (للإنسان) حرية الإرادة انحرف عن الشكل المستقيم الذي خُلق به وصار خاضعًا إلى حالة الفساد الدنيئة. بينما أنجبت حياة الإنسان من ذاتها الأذى لذاتها، صلت هي نفسها ذات الأمر الذي انحوت إليه... لقد صلت حياة الإنسان بطريقة ما هي "تجربة". فإننا حتى إن كبنا أنفسنا لكي لا نخطئ، فإننا ونحن نملس الأعمال الصالحة يغبنا تذكر الأعمال الشروة بضباب النفس.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) أمثلة كثرة كيف صلت حياة الإنسان حتى في جهاده الروحي "تجربة" يعاني منها. على سبيل المثال يذكر أن الإنسان وهو يجاهد أن يمتنع عن الحياة المترفة المبالغ فيها، فإن امتناعه هذا أو نسكه يمكن أن يصير تجربة له. فبالنسك يصير وجهه شاحبًا، وإذ يلاحظ الآخرون وجهه الشاحب يحسونه مستحقًا للكرامة فيمدحونه، وخلال مديحهم له يتسرب المجد الباطل إلى ذهن الناسك.

يقدم لنا مثلاً آخر: قد يوهب لإنسان معرفة الناموس الإلهي، فيبتهج بأنه نال فهمًا أكثر من غوه، فرتقع ببهجة تحمل أنانية، وبتشامخه يفسد عطية الفهم التي نالها. ففي يوم الدينونة يكون حاله أسوأ من غوه بذات الأمر الذي بدا فيه أكثر من غوه بهاء في هذه الحياة. هكذا يقدم أمثلة كثرة لفضائل متنوعة تتحول إلى تدموه بسبب فساد طبيعته، فيصير ما هو للنبان هو عينه لهلاكه، لأن حياته "تجربة".

يتساءل القديس أغسطينوس أنه إذ قيل في سفر أيوب "أليست حياة الإنسان على الأرض تجربة؟" (أي 1: 7 LXX) فلماذا نصلي: "لا تدخلنا في تجربة؟"

يجيب بأنه يؤرم أن نميز بين نوعين من التجرب، النوع الأول الذي فيه حث على الخطية، عن هذا قيل: "لا يقل أحد إذا جُرب أني أجرب من قبل الله" (يع 1: 13)، وتوجد تجربة للتذكية هذه التي قيل عنها: "لأن الرب إلهكم يمتحنكم (يجربكم)، لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم" (تث 13: 3). الله يعلم ما في القلب، إنما يعني هنا "إننا نحن نعلم" ما في قلوبنا" [311].

❖ هذا أنا أعرفه أن حياة الإنسان على الأرض تجربة (أي 1: 7)، وأنه يوجد نير تقيل على أبناء آدم (ابن سواخ 1: 40). لكن ما يسوني بالأكثر هو أن أناقش السؤال الخاص بهذا البناء، إذ نقول إننا زلاء أو غرباء على الأرض، إذ وجدنا مدينتنا العليا، حيث ننال هنا العيون، وعندما نبلغها لن نفرقها. [312]

القديس أغسطينوس

كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ،

وَكَمَا يَتَوَجَّى الْأَجِيرُ أُجْرَتَهُ [2].

يشتاق العبد الذي يكد في حر النهار إلى الظل، هكذا يشتاق أيوب إلى الخروج من نهار هذا العالم بالموت ليستظل في القبر.

يشير طول الظل إلي نهاية اليوم بأناعابه، حيث يكون العامل مشتاقًا أن ينهي يومه. في الهند كان يُقاس الزمن حسب طول ظل الشخص. إذ سأل

إنسان عن طول يوم عمله يُسأل أن يقف في مكان به شمس ويُقاس طول ظله فيخبرونه عن الزمن. فمن وغب في ترك عمله غالبًا ما يقول كم هو طول

ظلي القادم؟ [313]

❖ "أُنقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا رَبِّ، إِلَيْكَ التَّجَاتُ" (مز 9:143) . أنا الذي هربت منك مرة، الآن أهرب إليك. فقد هرب آدم من وجه الله، واختفى بين أشجار الوردوس، فقيل عنه في سفر أيوب: " كَعْبِدِ يَهُوبَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَيَجِدْ ظِلًّا" (أي LXX 2:7) . لقد هرب من وجه سيده ووجد ظلاً. الويل له إن استمر في الظل، لئلا يُقال بعد ذلك: "كل الأمور تعبر كظلٍ" (الحكمة 9:5) [314].

القديس أغسطينوس

❖ "مثل عبد يشتاقي بشغفٍ نحو الظل، وأجبر يتطلع إلى نهاية عمله، هكذا أنا أقتني أشهر الباطل، وأحصي الليالي المتعبة..." يركض بولس لاهثاً ليمسك بهذا الظل، مشتاقاً أن ينطلق ويكون مع المسيح (في 1: 13) . هذا الظل يقتنيه بالفعل القائلون بكل شهوة قلوبهم: "نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر" (مت 20: 12) ... هذا هو السبب الذي لأجله يرتفع بولس على النوام بجسرة في مواجهة النكبات، فإنه "كالأجير الذي يتطلع إلى نهاية عمله" ... إذ يعلن أنه تتقل فوق الطاقة، قائلاً: "إننا نتقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة" (2 كو 1: 8) . لكن كيف مسح من نفسه مجري هذا التعب الشديد بمنشفة مكافأته، يخبرنا بنفسه عن هذا قائلاً: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو 8: 18) هكذا كأجير يتطلع إلى نهاية عمله، مهتماً أن يزيد من المكافأة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَكَذَا تَعَيَّنَ لِي أَشْهُرُ سُوءٍ،

وَلِيَالِي شَقَاءٍ قُسِمْتُ لِي [3].

حسب أيوب وسط معاناته أنه قد ضاع كل عمره بلا نفع، فظن أن كل أشهر حياته سوءً، ولياليه شقاء. بعد المنحة لم يكن قاوراً في موضه أن يعمل فنسي كل ما سبق فعله في أيامه صحته ورخائه، أما الله فلن ينساها. شعر أن وجوده على الأرض يمثل عبئاً على الجماعة، فهو بلا عمل، ولم يبرك كيف يعتز به خالق السماء والأرض، وبه يتبرك الكثيرون.

يشتاقي المؤمن إلى الراحة الأبدية كظلٍ يلتجئ إليه بعد معاناته من حورة شمس التجرب والضيق في هذا العالم. وهو في هذا يبرك أن حياته رحلة قصوة لا تبلغ السنة أو السنوات لكنها شهور محصية، شهور باطلة وليالي قاسية، ليالي شدة وتعب. إنها حياة عاوة، لكن إلى أبدية مجيدة. كلما أتركنا قصر الزمن عرنا متهللين إلى الأبدية غير مبالين بثقل الحياة ومتاعبها.

بحسب حياتنا شهور سوء أو شهراً باطلة، وليالي سوء أو شتاء وتعب، وهي محصية ومحددة "قسمت لنا". يذكر الشهور التي تضم الأيام كما لا ينسى الليالي، فالمؤمن يهتم بخلاصه ككل، أو حياته كوحدة واحدة، كما يهتم بكل ليلة وحدها. يهتم بكل صغيرة وكبيرة في تصوفاته، كما بالحياة في مجملها.

إِذَا اضْطَجَعْتُ أَقُولُ مَتَى أَتُوم.

اللَّيْلُ يَطُولُ، وَأَشْبَعُ قَلْبًا حَتَّى الصُّبْحِ [4].

صلت لياليه طويلة للغاية، لأن النوم لم يجد له فيه مكاناً، فبالكاد تعبر الدقائق، وفي نفس الوقت لا يترقب نهلاً يجد فيه راحة.

ليس المكان ولا الزمان يهبان راحة حقيقية للإنسان، إنما سلام القلب الداخلي، فمن يهرب من الآلام بالنوم ليلاً، يجد في نومه قلقاً وأهوالاً ربما أشد مما يعانیه في نهله.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) في هذه العبارات صوخت الكنيسة المقدسة مادامت في هذه الحياة المملوءة فساداً، فتولول غير مقتتعة بما هي

عليه من عدم استوار. تود أن تصعد بالتأمل الدائم في الله لتستقر فيه، وأن تتحصن به لتخدم خالقها بحب، ولا يقدر الفساد أن يقترب إليها ويلمسها.

أفسدت الخطية حياة الإنسان وحرمة من الاستوار، فصار في صواعٍ دائمٍ إن استراح كما بالليل يطلب أن يعمل، وإن عمل يطلب أن يستريح. إذ أفقدته الخطية اقتناء الله لم يعد فكره يجدر راحة. راحته الحقيقية هي في الله بنوع الراحة.

وللبابا غريغوريوس تفسير آخر، وهو أن النوم هنا يشير إلى السقوط في الخطية التي تجلب للإنسان الفساد.

❖ هذا أيضًا يمكن أن يُفهم بمعنى آخر. فإن النوم هو الانبطاح في الخطية. لو أن النوم ليس رموزًا للخطية ما كان يمكن لبولس أن يقول لتلاميذه: "اصحوا للبر ولا تخطئوا" (1 كو 15: 34). ولذات السبب يعهد بسامعه الآتي: "استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات، فيضيء لك المسيح" (أف 5: 14). وأيضًا: "إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم" (رو 13: 11).

بموافقتنا للممرسات الشروية نهلك بالفساد، وأما بالسماح لصور الأعمال الشروية أن تقوم في القلب، نتدنس بوصمات الزاب، لذا يقول: "جسدي يلتحف بفكرة الزاب".

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَبَسَ لَحْمِي النُّودَ مَعَ الطِّينِ.

جُلْدِي تَشَقَّقَ وَتَفَيَّحَ [5].

قروحه ولدت بودًا ملأ جسمه، فصار الدود حول جسمه في جروحه أشبه برداء يلبسه، ولا يقدر الخلاص منه. وقشور القروح صلت مثل أكداس الزاب، أما جلده فتقلص وتمزق. هكذا من يقدر أن يصف منظر أيوب الذي صار أشبه بكومة زاب مشحونة بالدود، رائحتها كريهة للغاية، دب الفساد فيها، من ينظر إليه يشمئز تمامًا.

❖ كانت قروح جسمه تعد له إكليل السماء. [315]

القديس جيروم

أَيَّامِي أَسْوَعُ مِنَ الْمَكُوكِ،

وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ [6].

إن كان أيوب يشتهي سوعة الموت، فلأن حاله يكشف عن ذلك. اعتقد أن ما هو عليه يسوع به إلى نهاية حياته على الأرض، لم يبق له سوى أيام قليلة، فبالطبيعة لا يقدر جسمه على مقاومة هذا المرض. حياته تنتهي بلارجاء في العودة إلى حال رخائه الأول.

2. الموت يضع حدًا للشقاء الحاضر

أَذْكُرُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ،

وَعَيْنِي لَا تَعُودُ وَتَى خَوْأً [7].

ربما لاحظ أيوب أن أصدقاءه وإن كانوا لم يقاطعوه في كلامه، لكنهم لم يعودوا يحتملون التطلع إليه في منظره البشع، ولا أن يسمعا صوته، لذا تحول من الحديث معهم إلى الحديث مع الله، فهو وحده طويل الأناة، يصغي إلى القلوب المجروحة، ولا يستكف من الأجسام المويضة مهما تشوهت صورتها. لقد صوخ نحو الله قائلاً: "أذكر أن حياتي إنما هي ريح". هكذا أراد أيوب أن يجلب حنو الله وعطفه بكونه مخلوقًا ضعيفًا للغاية، تعبر حياته سويًا دون توقف كما تعبر الريح. وكما يقول المثل: "أذكر أنهم بشر، ريح تذهب ولا تعود" (مز 78: 38-39).

هكذا كان أيوب يضع نصب عينيه حقيقة واضحة عن قصر الحياة، وعن يقينه بموته وعدم الإفلات منه. هذه الحقيقة تجعلنا لا نضع رجاءنا في العالم، ولا ترتبط بالأمر المنظورة، ولا تسيطر علينا الأمور الحسية. فسعادتنا هنا تقوم على إواكنا أننا غرباء يؤمنا أن نسلك بأمانة، وبروح مهتل حتى نعبث إلى مسكننا الدائم.

❖ عين الميت لا تعود ترى خواءً، إذ لا تعود تملس النفس الأعمال الصالحة ما أن تجردت من الجسد. لهذا السبب فإن الغني الذي كان يهلك في نار جهنم عرف أنه لا يقدر أن يصلح من أوره بأعمال صالحة، فإنه لا يعود ثانية لممارسة ما هو لخوه، إنما طلب لإخوته الذين تركهم: "أسألك إذا يا

أبت إواهيم أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هنا" (لو 16: 27-28).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا تَوَانِي عَيْنُ نَاطِرِي .

عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَاسْتَأْنَا! [8]

لاحظ أيوب أن أصدقاءه قد أحاطوا به وجلسوا حوله سبعة أيام لا ينطقون، لكن وهم ناظرون إليه كانوا كمن هم عميان لا يرون أيوب في

حقيقته، أما عينا الله فتنتظران إليه وسط محنته حتى وإن بدأ بسبب شدة الكورث كمن هو غير موجود، أو كمن فقد حياته وكيانه!

يحتاج الإنسان إلى نظرات الرب إليه، فهو وحده ينظر إلى القلب، وقادر على تغريته، بل وتجديده. حينما تطلع ربنا يسوع وسط محاكمته إلى

سمعان بطرس لم يحتمل عيني السيد، فخرج خرجاً يبكي بكاء هراً حتى يلتقي به ثانية بعد قيامته فيقيمته من قبر جوده، ويرده إلى عمله الرعي!

لقد أدرك أيوب المجرّب أنه ليس من طريق للشكوى فيما حلّ به بسماع من الله إلا أن يرفعها لله نفسه.

سيعبر المؤمن سويحاً ولا وانا من ينظروننا الآن، "نذهب فلا نوجد" (مز 39: 13)، نترك ما هو منظور لنتمتع بغير المنظورات.

بقوله "عيناك عليّ ولست أنا " يكشف البار أيوب أنه يثق في رعاية الله وعنايته به، وإنه سيوصله إلى الأبدية ليتمتع بها، لا عن فضل من جانب

أيوب. لهذا يقول: "لست أنا"، فمن جهتي أموت لكن من يقيمني سواك؟ ومن يدخل بي إلى المجد إلا أنت؟

❖ " لا تواني عين إنسان" [8]. لأن "عين الإنسان" هو حنو المخلص، الذي يلين قسوة جفافنا عندما يتطلع إلينا. هكذا يشهد الإنجيل، قائلاً: "فالتفت الرب

ونظر إلى بطرس، فتذكر بطرس كلام الرب... فخرج بطرس إلى خراج وبكى بكاء هراً" (لو 22: 61-62). لكن إذ تتجرد النفس من الجسد، لا

تعود بعد تلتفت "عين الإنسان"، إذ لن تخلّص إنساناً بعد موته، إن كانت النعمة لم تهبه المغفرة قبل موته. لهذا يقول بولس: "هوذا الآن وقت مقبول.

هوذا الآن يوم خلاص" (2 كو 6: 2). هكذا يقول الموتى: "لأن رحمته لحال الكائن الحالي" (راجع مز 118: 1).

فمن لا تنقذه الرحمة الآن في الحال الحاضر، تسلمه العدالة وحدها للعقوبة. يقول سليمان: "وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال، ففي

الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون" (جا 11: 3). ففي لحظة سقوط الكائن البشري، يتقبل الروح القدس أو الروح الشوير النفس الواحلة من حوات

الجسد، فيحتفظ الروح بها إلى الأبد دون تغيير.

فإن كانت قد تمجدت لا تطرح في الويلات، ولا إن انطرحت في الويلات الأبدية تعود فتقوم لتجد وسيلة للهروب...

بعد الحياة الحاضرة لا يعود الإنسان بعد "بوي بعين إنسان"، لذا يضيف في الحال: "عيناك عليّ، وأنا لست واقفاً!" وكأنه يقول بكلمات واضحة:

عندما تأتي في صوامع للدينونة لا ترى لكي تخلص، بل ترى لكي تعاقب. فالشخص الذي لم تلتفت إليه في الوقت الحاضر بعنايتك المخلصة المترفقة

تتطلع إليه فيما بعد بناموس العدل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ .

هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَلَوِيَّةِ لَا يَصْعَدُ [9].

في حديثه مع الله يعترف أيوب أنه ذاهب إلى مقوه الأخير بلا عودة إلى هذا العالم، حياته هنا على الأرض أشبه بسحاب يتحرك ويضمحل بلا

عودة.

❖ إذا قيل: "ليس الأموات يسبحونك يارب" (مز 115: 17). فهذا يُظهر أن هذه الحياة فقط هي الوقت المعين للندم والمغفرة. "والذي يهبط إلى الهلوية

ولا يصعد" [9]، فالذين يسرون بهذه الحياة هم الذين سيُسبحون الله. أما الذين ماتوا في الخطايا، فلا يبقى لهم وقت أن يسبحوا بعد الموت كالمتمتعين

بالبركات. إنما ينجحون على أنفسهم، لأن التسبيح لمن يشكر، والنحيب لمن هو تحت العقاب. لذلك يقوم الأتقياء بالتسبيح، أما الذين ماتوا في

تطلع داود الموتل إلى الله وهو يفكر في عبيره من العالم، فصمت بفمه لكي يسبح قلبه الله، ويتأمل فيما أعده الله له من أمجاد، أما أيوب فتطلع إلى نفسه وفكر في آلامه، فصار في ثورة علمية، وقد أعطى لنفسه عذراً بقوله: "أبصر أنا أم نتين؟" [12]. هل أنا بحر هائج بلا توقف يحتاج إلى أن يلتزم بحدوده؟ أو نتين يلزم كبح جماحه حتى لا يلتهم كل سمك البحر.

❖ لست في قوة تماثل البحر، فقد جعلته عظيمًا بين المخلوقات، وبسببه وضعت رمالاً حوله كحرسٍ له، الذي بأمرك يضع البحر في حدوده ويكسر سلطانه...

وليس لي خبث النتين، فقد أقت عدوة بينه وبين الإنسان.
لقد أشرت إليه أن يحفظ نفسه بعيداً عن الإنسان كعدوٍ له، مقدماً له تحذيراً في هذا الشأن: "أضع عدوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. إنه يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تك 3: 16).

على أي الأحوال: "جعلت عليّ حرساً" بمعنى أنك أقت حرساً حافداً عليّ، الخائن، الذي يلاحظ كل تصرفاتي وكل كلماتي. إنه يفحص حتى أفكري ويخونني في كل ما أفعله.

علوة على هذا يضع لي في شكل اتهام أورا لم يكن في اعتبلي. لم احفظ وصيتك لكي ما أنال السعادة الزائلة، بل أحب الله من أجل الحياة العتيدة، كعبد أمين (مت 24: 25؛ 25: 25؛ 21: 23). لقد جعله العدو كحرسٍ لدي، تحت حراسته كان موبوطاً وموثقاً في حالة بائسة وبتجرب قاسية للغاية. وأنت مددت يد معونتك إليه، وليس إليّ، لذلك حلت التجرب بي.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ قُلْتُ: فَوَاشِي يُعْرِينِي،

مَضْجَعِي يَتَوَعُّ كُرْبَتِي [13].

كان يوجو كما اعتاد كثير من البشر أن يجد في النوم هروباً مما يحل به، فيتوقف مجيء الليل لعله ينعس ولو إلى حين.

❖ في الكتاب المقدس عادة ما تُستخدم الكلمات: "سوير" أو "مضطجع" أو "المهد" الذي من القش الذي ترقد عليه الحيوانات لتشير إلى أسوار أعماق القلب. لهذا فإن كل نفس منقودة إذ يطعنها العريس برواح الحب المقدس تقول في نشيد الأناشيد: "في الليل على فاشي طلبت من تحبه نفسي" (نش 3: 1)...

هكذا يقول الحق لمحبيه أنفسهم: "ملكوت الله داخلكم" (لو 17: 21) مرة أخرى: "إن لم أنطلق لا يأتيكم المغوي" (يو 16: 7) وكأنه يقول بوضوح: "إن لم أسحب جسدي من انتباهكم المركز عليه لن أقودكم بالمغوي الروح، وتتركون غير المنظور. لذلك قيل بالموتل عن الأوار: "ليبتهج الأتقياء بمجدٍ، ليرنوا على مضاجعهم" (مز 149: 5)، حيث أنهم إذ يهرون من الأذى للأمر الخرجية، يتمجدون في سلامٍ داخل أعماق قلوبهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يشبه ذلك الملائكة الذين لا ينامون لأنهم دائماً قائمون على الحراسة. لذلك فإنك تقول الصدق وهكذا تقلد الملائكة التي لا تنام والتي لا تهرب من مواجهة الحق بواسطة خيالات غير واقعية. [320]

❖ ينام الإنسان بعد ما يدخل في غيبية، وفي أثناء النوم يتم هضم الطعام وتُحفظ صحة من يشركون في مائدة الاحتفال. لذلك تنام العروس بعد الاحتفال. ويُعتبر هذا النوم غير مألوفٍ، ويختلف عن النوم العادي الذي لا يكون الشخص فيه غير واعٍ بما حوله. وكلاهما يضادان بعضهما البعض، لأن النوم والاستيقاظ يتلو أحدهما الآخر. وزى في العروس خليط من التعرض المميز: تقول "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ" (نش 2: 5) ماذا نفهم من هذه الآية؟ يشبه هذا النوم الموت، وفيه تتوقف كل وظائف الإحساس: فلا توجد رؤية أو سمع أو شم أو تنوق أو إحساس باللمس ولكن ينخفض ضغط الدم. وينسى الشخص القلق أثناء النوم، ويهدأ أنفعال الخوف، ويقل الغضب وينخفض القلق من التجرب العوية، ويجعل الشخص غير واعٍ

بالشورور. لذلك نتعلم من العروس أنها ارتفعت وتفخر قائلة: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ".

القديس غريغوريوس النيسي

❖ اطرَح عنك نوم الغفلة لتتوق باب المسيح. لقد طلب بولس إن يُفتح له هذا الباب لينتكم عن سِرِّ المسيح (كو 3: 4)، ربِّمًا هذا هو الباب الذي رآه يوحنا مفتوحًا: "بعد هذا نظوت، وإذا باب مفوح في السماء، والصوت الأول الذي سمعته كيقق ينكلم معي قائلاً: اصعد إلى هنا، فأريك ما لا بد إن يصير بعد هذا" (رؤ 4: 1) (فتح الباب ليوحنا وأيضًا لبولس لينالا من أجلنا رُغفة لغذائنا، لأنهما تاورًا وقعا الباب في وقت مناسب ووقت غير مناسب (2 تي 4: 2)، ليعيد الحياة للأمم الذين تعبوا ورهقوا من طريق العالم بوفرة الغذاء السموي [322].

القديس أمبروسيوس

تُرِيغْنِي بِالْأَحْلَامِ،

وَوَهْبِنِي بِرُؤْي [14].

لم يستطع الليل أن يهرب به من التعب، ولا النوم أن يسحبه من الضيق، بل صلت الأحلام تعبه والرؤى تهبه. صار الليل مزعجًا ليس بأقل من النهار.

إننا محتاجون إلى يد الله القوية، هذا الذي وحده يقدر أن يحفظنا، ها حلرنا الذي لا ينعس ولا ينام.

❖ ماذا نفهم هنا عن الأحلام والرؤى سوى تصورات عن الفحص الأخير في الدينونة...
ولا أن الأحلام غالبًا ما تحمل صورًا مخادعة تصدر عن عوننا الخفي ما كان الحكيم يشير إليها بقوله: "لأن الأحلام والتصورات الباطلة تخدع الكثرين" (ابن سواخ 34: 7).

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَأخْتَلَرْتُ نَفْسِي الْخَنْقَ،

وَالْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هَذِهِ [15].

لم ييال بأي نوع يموت، إنما ما يشغله أن يسمح الله له بالموت. إنه لا يطلب الخلاص من الضيقة، بل من الحياة الزمنية ككل.

قَدْ ذُبْتُ. لَا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا.

كُفَّ عَنِّي، لِأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ! [16]

بجانِب الكورث التي حلت بالطوبوي أيوب سواء بخصوص ممتلكاته وموت بنيه ومقاومة زوجته له يضيف القديس يوحنا الذهبي الفم الأمور التالية التي جعلت من التجربة بورة فائقة:

لأولاً: عدم معرفته الأكيدة عن ملكوت السموات والقيامة، الأمر الذي بالحق تحدث عنه حزياً: "لا إلى الأبد أحيًا، فيؤمنني أن أحتمل الكثير"

(أي 7LXX:16).

ثانياً: شعوره بأنه ملرر أعمالاً صالحة كثوة.

ثالثاً: شعوره بأنه لم يملرر شوا.

رابعاً: اقراضه أن ما حلَّ به من يدي الله، فلو أنها من يدي الشيطان لكان في هذا يخفف من مضايقته.

خامساً: سماعه من أصدقائه الذين يتهمونه بالشر، قائلين: "الله يغمك بأقل من إثمك" (أي 6:11).

سادساً: وى الذين يعيشون في الشر في رخاء، وينتفخون عليه.

سابعاً: ليس أمامه آخر يتطلع إليه قد عانى بمثل هذه الأمور [323].

❖ " لتحرر حياتي من روحي، ونفسي من جسدي، وعظامي من الموت. فإنتي لا أحيا إلى الأبد فألترنم أن أحتمل بصبرٍ ... كانت له الرغبة أن ينتقل من هنا... حتى صار جسمه منحلاً. لم يبالي أيوب من تعوية عظامه. لماذا هذا؟ لأنه يقول بأن الحياة الحاضرة سويعة الزوال. "لا أحيا إلى الأبد". واضح أن أيوب يتكلم عن الحياة الأرضية. كيف يكون طويل الأناة في هذا الأمر؟ فقط لأن نوال السعادة يتطلب طول الأناة والصبر، أي السعادة العتيدة... حديث أيوب يحمل بوضوح تلميحا عن الحياة المادية أنها ضعيفة، وفاسدة، غير مستقرة، سويعة الزوال، لا تحمل سمات الحياة الأبدية.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

4. صرخة إلى الله لإنقاذه

مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَوَهُ،

وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ [17].

في ضيقته شعر أيوب أن الإنسان أتفه من أن يكون موضع النفات الله ومخاصمته وامتحانه. كأنه يقول الله: لماذا تشغل نفسك بكائنٍ ضعيفٍ هكذا؟ لماذا تتعهده منذ الصباح وتمتحنه؟ إنه أتفه من أن يقف أمامك، عاجز كل عجز عن أن يدخل في بوتقة التجرب. يقول المرتل: "من هو الإنسان حتى تذكروه، وابن آدم حتى تفتقده" (مز 8: 4).

ولعل أيوب وقف مندهشاً أمام اهتمام الله بالفائق بالإنسان، فمع ضعف الإنسان وحقلته، لكن الله مشغول به، يمتحنه لكي يركيه ويمجده. يعجب أيوب أن يضع الله قلبه على الإنسان فيكون عزواً عليه، كشخص يعطف عليه، ويقوم له موضعاً في قلبه الإلهي. يتعهده كل صباح بواحم جديدة كما يحرص الصديق على حب صديقه له، أو كما يسأل الطبيب كل صباح عن حال مريضه. وفي كل لحظة يمتحنه، كمن يجس نبضه ويغار عليه.

في حديث القديس غريغوريوس النيسي عن خلق الإنسان روى أن الله قد خلق العالم بكل إبداعٍ كقصرٍ عظيمٍ أعده لأدم وحواء كملكٍ وملكةٍ. وأن الله قدم للإنسان كل إمكانيّة السعادة والسلطان على الخليقة التي أوجدها الله من أجله.

وفي حديثه عن العظمة الحقيقية والعظمة الباطلة تحدث القديس مار يعقوب السروجي [324] في إبداع حيث يبرز حب الله الفائق نحو الإنسان. فقد زين السماء بالكواكب وهياً الأرض بالمخلوقات الجميلة، وقدمهما للإنسان لتكونا تحت سلطانه. لقد أراد الله للإنسان أن يكون صاحب مجد وسلطة، لكن بحسد إبليس سقط في العظمة الباطلة، ففقد عظمتة الحقيقية. ومع هذا فقد سمح الله لأدم إن يعود إلى ما كان عليه من زاب لا لينذله، بل لكي لا يحيا إلى الأبد فاقدًا عظمتة، إنما باكتشاف حقيقته ينال المجد خلال عمل المخلص.

❖ يمجّد الله الإنسان بأن يغنيه بفيض من عطية العقل، ويفتقده بالهيام النعمة، ويمجده بعظمة عطية الفضيلة، فمع أنه هو لا شيء في ذاته، لكنه خلال سخاء حب الله الموفق يهبه أن يكون شريكاً في معرفة الله ذاته. يضع الرب قلبه على الإنسان، وهكذا يمجده فيأتي به إلى الدينونة بعد أن يهبه عطاياه، يزن استحقاقاته بدقة، وبخزم يحاكم أفعال الحياة، ويقدم عقوبة دقيقة بعد أن وهب موايا كثرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ مِنْ مِّنَ الْكَائِنَاتِ الْأَرْضِيَّةِ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ اللَّهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ؟

ولمن أعطى السلطان على كل الطبيعة ومخلوقاتنا ليختصها لذاته؟

إنه لشرف أصيل يكلل جبينه، ويسمو به إلى السماء، فوق الكواكب، رُفِعَ من الشمس تشامخاً وغيرة... ومع أنه أوضع مقولة من الملائكة

[325] لارتباطه بجسدٍ ماديٍّ فقد وهب قوةً لفهم ومعرفة ربه وخالقه .

القديس باسيليوس الكبير

❖ بسط السماء، ووضع فيها جميع الأتوار: الشمس والقمر وجميع الكواكب، تطوف فيها.

لم تسأل السماء، بل هو زينها بمناظر حسنة، تُبهر عيون الناظرين.

ليس للشمس فم لتطلب منه نورًا عظيمًا يضيء على الخليقة جميعها.

زين جميع أجناس الطيور والبهائم بألوان شهية وبهية منذ البدء.

زين الخليقة، وفي كمالها لم تتغير زينتها.

أتقن بيت الخليقة جميعها كما قيل، وزينها بصور جميلة.

قام البيت من بناء مملوء عجبًا.

ملأه جميعه حُسْنًا، زيناتٍ لا يُنطق بها.

ولما أتقن البيت بجميع ما فيه طلب الصانع أن يقيم فيه من هو ممتلئ جمالاً.

أخذ وَابًا وجبل آدم، ونفخ في وجهه نسمة حياة محيية.

أتقن نفسه، فصار مثلاً مملوء عجبًا!

صنعه كشبهه، وملأه مجدًا وبهاءً!

اشتعل ضوءه، وانطفأ أمامه نور الشمس لما فيه من مجدٍ ووهبه إياه سيده عندما خلقه.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لم يُخلق آدم لكي يموت، بل لكي يجاهد من أجل الخلود. ولكي يظهر مصداقيته. هذا ويقدم وهانًا عليه أضاف: "الذي أعطانا غوة الروح"... والآن

يعمل خلال المعمودية، ويهبنا عربونا ليس بقليل: الروح القدس [326].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَتَتَعَهَّدُهُ كُلَّ صَبَاحٍ،

وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ! [18]

❖ بماذا تغنى داود مشابهاً هذه العبارة؟ "يارب من هو الإنسان حتى تعرفه؟ أو ابن الإنسان حتى تهتم به؟" (مز 144: 3-4) لماذا قال داود هذا عن

البشر، وما هو تفكوه عندما شوح ما جاء بعد ذلك: "الإنسان مثل الباطل، تعبر أيامه كظل". لماذا بكل الحق، يمد الله هذا الإنسان الضعيف، ويعوره

اهتماماً لحال الشر الحاضر؟ يسأل الأوار الله بسبب جهلهم... ذلك لأنه "صانع الخوات ومحب للإنسان" (حك 7: 12)، يفتقد الذي خلقه مولاً

ويعطيه اهتماماً عظيماً. لهذا يضيف أيضاً داود: "يارب طأطأ سمواتك واقل" (مز 144: 5؛ 18: 9). بهذا يظهر اهتمام الله الشديد بالبشر، فإنه إذ

يطأطأ السموات يقول بنفسه إلينا "الكلمة صار جسداً" (يو 1: 14)، فإنه شركنا حالنا، يقي ويحصن ضعفنا. أما أيوب فيُظهر بإسهاب مدى الخير

الذي يلحق بالإنسان الذي يذكوه الله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " وتتعهد كل فجر (صباح)، وتمتحنه فجأة" [18]... يتحول الليل إلى نور عندما تستتير ظلمة خطانا بمعرفة الحق. يتحول الليل إلى نور، عندما

ينير بهاء البرّ قلوبنا، هذه التي غطاها عمى الخطية الكثيف. رأى بولس الفجر قد ظهر في أذهان التلاميذ عندما قال: "قد تناهي الليل وتقلب النهار"

(رو 13: 12).

لكن لنلاحظ أن الله بعد أن يفتقد الإنسان في الفجر يمتحنه فجأة، فإنه باقترابه يرفع قلوبنا إلى الأعالي الفاضلة، وإذ ينسحب يسمح له أن يُهاجم

بالتجربة. بعد نوال عطايا الفضائل، فإنها إن لم تتحرك النفس بهجوم التجربة تنتفخ، وتظن أن ما نالته هو من عندها...

هكذا إيليا أفتقد عند الفجر، ففتح أبواب السماء بكلمة، لكن حالاً جُرب، فهرب إلى الوية كمن بلا عون، خوفاً من سيدة وحيدة (1 مل 19: 3). وهكذا بولس إذ رَفَع إلي السماء الثالثة، واخترق أسوار الفردوس نال تأملاً. ومع هذا إذ عاد إلى نفسه كان يصلح ضد هجمات الجسد، وخضع لناموس آخر في أعضائه، فكان حزيناً بسبب تودده منطلقاً إلى أن ناموس الروح صار مهدداً (2 كو 12: 2 الخ).

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَتَّى مَتَى لَا تَلْتَفِتُ عَلَيَّ،

وَلَا تُؤَخِّنِي رَيْثَمَا أَبْلَعُ رِيْقِي؟ [19]

يطلب من الله أن يرفع عصاه عنه ولو إلى لحظات لكي ينتفس.

عالم القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله: "العناية الإلهية" مشكلة الذين يتعثرون في محبة الله بسبب الضيفات التي تحل بهم:

❖ لنسوع إذن بإصلاح الذين يتعثرون بسبب الضيق ناسين عناية الله وحبه، فنجنّبهم السقوط تحت هذه العقوبة، موضحين لهم علّة دائهم. ما هي علّة هذا الخطر العظيم: تجاهل عناية الله!؟

إنه طيش الفكر وفضوليته. اشتهاه تفهم كل علل الأحداث التي تحل بنا، والرغبة في مقاومة عناية الله غير المركزة ولا موصوفة، تلك العناية الفائقة لكل فحص واستقصاء! ومع هذا لا يخجل الإنسان من هذا الموقف الفضولي المملوء تهوراً.

ؤى من فاق بولس في حكمته؟ اخوني، ألم يكن إناءً مختلراً؟ ألم يأخذ نعمة الروح الفائقة غير المنطوق بها؟ ألم يتكلم المسيح فيه؟ ألم يكشف الله له عن أمورٍ لا يُنطق بها؟ ألم يسمع ما لا يحق لإنسان أن ينطق به؟ ألم يُختطف إلى الفردوس ويرتفع إلى السماء الثالثة؟ ألم يجبّ البحار والبر يجذب الوثنيين إلى المسيحية؟ ألم ينل من مواهب الروح المتوّعة؟... ومع هذا كلّ، فإن هذا الرجل بعظمته وحكمته وقوّته وامتلأه بالروح - إذ خصّه الله بهذه الامتيازات، عندما يتطلع إلى عناية الله، لا في كل جوانبها، بل في جانب واحد منها، تأخذ الدعوة منسحقاً، ويواجه سريعاً خاضعاً لله غير المترك. فإنه لم يبحث عن عناية الله بالملائكة ولا رؤساء الملائكة أو الشاروبيم والسوافيم وكل الطغمت غير المنظورة، ولا في عنايته بالشمس والقمر والسماء والأرض والبحر، ولا في سهوه على الجنس البشري بأكمله واهتمامه بالحيوانات غير العاقلة والزرع والعشب والأهوية والينابيع والأنهار... لكنه عناية الله الخاصة باليهود واليونانيين وأفاض في بحث النقطة، وشرح كيف دعي الله الأمم ورفض اليهود ثم أوضح كيف حقق الخلاص... وحينما أراك هذا، اكتشف الرسول أنه أمام محيط واسع، وإذ حاول فحص أعماق هذه العناية لتجف متحققاً استحالة تفسير عللها، ولتعب قدام عنايته اللانهائية غير المحدود ولا موصوفة ولا مفحوصة ولا مركبة، فزاجع في مهابة متعجباً وهو يقول: "يا لعمق غني الله وحكمته وعلمه!" (رو 11: 33)

لقد أوضح بعد ذلك كيف تلامس مع أعماقها دون أن يفصح في استقصائها، قائلاً "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء؟!" إنه لم يقل أن أحكامه عن الفحص فحسب وإنما بعيدة أيضاً عن الاستقصاء. ليس فقط لا يقدر الإنسان على فهمها، بل ولا حق له أن يبدأ في الاستقصاء. يستحيل عليه أن يترك غابيتها أو حتى يكتشف بدأ تخطيبتها!؟

وإذ قال "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء" أنهى حديثه - وقد امتلأ عجباً ورعدة - بأنشودة شكر قائلاً: "لأن من عرف فكر الرب، أو من صار له مشبواً. أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟! لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى أبد الأبد. آمين" [327].

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَلْخَطَأْتُ؟

مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ؟

لِمَاذَا جَعَلْتَنِي هَدَفًا لَكَ،

حَتَّى أَكُونَ عَلَيَّ نَفْسِي حِمْلًا! [20]

شهد الله عن أيوب أنه كامل ومستقيم، أما أيوب فيعترف أنه مخطئ. يقول "أخطأت؟" أو إني "أخطأت". إن كان أمام أصدقائه يعلن أنه ويء لم يرتكب إحدى الخطايا الشنيعة التي ربما ظن الأصدقاء أنه ارتكبها سوا، إذا به يعلن أمام الله أنه لن يتبرر قدامه، لأنه يخطئ. كيف يبرر نفسه أمام الله رقيب الناس، الذي يعرف ما في قلوبهم وأفكرهم ويشغله قداستهم ونفوتهم.

يعلن أيوب أمام الله عجزه عن التصرف، فقد أخطأ ولكن ماذا يفعل لله؟ إنه لا يوجد من يوضي العدل الإلهي، لكن نطلب مواحه، ونختفي تحت ظل جناحيه، ونتهياً لعمل نعمته، فنصير موضع سروره.

❖ يقول: " إن كنت قد أخطأت، فماذا أفعل، يا من ترك ذهن البشر؟" [20] أليس أنت الذي دعوتني "بلا لوم، حقاً، بلا، تقياً، لا يوجد في شر؟" (1: 8؛ 2: 3). إنك لم تقدم هذه الشهادة عن جهل، فأنت تعرف الإنسان بكليته، إذ خلقت ما بداخله وما بخلجه؛ لكن إن كان الذين يشتمونني ويحتقرونني قائلين إنني مخطئ، يستخفون بأعمالي البيرة التي تأهلت لشهادتك، فماذا أفعل؟

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ يقول هذا لا ليتهم الله شخصياً، حاشا! وإنما لأن ما حدث له سبب اتهاماً عظيماً ضد الله.

لهذا يقول: "أنت ترك ذهن البشر". فإنهم وإن لم يتكلموا فأنت تعرف أفكارهم السوية، كل الانعكاسات الشخصية.

لقد احتمل مثل هذا الإنسان الكثير. فإنه لم يقل: "أنا بار"، بل قال: لديهم قوة صالحة عني. أنظر إنهم يوجهون اتهاماً ضدك بسبب تجربي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَلِمَاذَا لَا تَغْفُرُ ذَنْبِي،

وَلَا تَرِيلُ إِثْمِي،

لَأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التَّوَابِ؟

تَطْلُبْنِي فَلَا أَكُونُ! [21]

في صلاة حرة صوح يطلب المغفرة: " لماذا لا تغفر ذنبي، ولا تريل إثمى؟ " واضح أنه لم يطلب مجرد الراحة الزمنية، ورفع التجربة عنه، إنما يطلب رضا الله حتى يُوجع إليه سروره الداخلي.

يطلب المغفرة الآن وهو في العالم، لأنه إن مات واضطجع في التواب لا يكون للتوبة موضع، وتتقطع علاقته بالله.

❖ بهذه الكلمات عينها، ماذا يعلن سوى الرغبة في الوسيط المتوقع، الذي يقول عنه يوحنا: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو 1: 9). أو بالحري تزوع الخطية تماماً عن البشرية عندما يتحول فسادنا إلى مجد عدم الفساد.

فإننا لا نستطيع أن نتحرر قط من الخطية مادامنا ممسكين في الجسد المائت. لذلك يتوق الشخص إلى نعمة المخلص لأجل كمال القيامة عندما

يتطلع الشخص إلى الشر أنه قد زال تماماً. لهذا فإنه في الحال بعدما تحدث عن العقوبة التي كان يستحقها (خلال مواته من آدم) والدينونة التي يرتعب

منها بسبب أفعاله يكمل: "الآن اضطجع في التواب، تطلبني في الصباح فلا أكون. لقد قيل للإنسان الأول عندما أخطأ: "أنت تواب، وإلى تواب تعود" (تك

3: 19) . الآن في الصباح، أي في الإعلان عن النفوس، عندما تصير الأفكار علية عند مجيء الديان، يحل النور عوض ظلمة الليل. قال الموتل في

هذا: "في الصباح أقف أمامك وأنظر" (مز 5: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

[328]

❖ أنا الخاطي على الوام، أحتاج يوماً إلى علاج .

❖ كلما قبلناه (بالتناول) نعلن موت الرب. بالموت نعلن غوان الخطايا. إن كان سفك الدم من أجل غوان الخطايا، فيليق بي دائماً أن أقبله لكي يغفر

يوماً خطاياي.

❖ إنك تُدعى إنسانًا فهذا من عمل الله، وأن تُدعى خاطئًا فهو من عمل الإنسان ذاته.

امحُ ما تفعله أنت لكي يخلص الله ما قد فعله.

يليق بك أن تكوه عمالك الذاتي فيك، وتحب عمل الله فيك.

عندما لا تسرك أعمالك الذاتية، في هذا تبدأ أعمال الله الصالحة، إذ تجد خطأ في أعمالك الشريرة.

الاعتراف بالأعمال الشريرة بداية الأعمال الصالحة.

إنك تعمل الحق وتأتي إلى النور. كيف تعمل الحق؟ إنك لا تدلل نفسك ولا تهادنها ولا تتملقها، ولا تقول: "إني بار"، بينما أنت غير بار؛ هكذا

تبدأ تفعل الحق.

إنك تأتي إلى النور لكي ما تعلن أعمالك أنها بالله معمولة، لأن خطيتك، الأمر ذاته الذي تكوهه، لا يمكنك أن تبغضه ما لم يشوق الله فيك

ويظهروه الحق لك.

أما من يحب خطاياهم حتى بعد نصحه، فهو يبغض النور الذي ينصحه ويهرب منه، فالأعمال التي يحبها لا تظهر له أنها شريرة. من يفعل الحق

يتهم أعماله الشريرة فيه ولا يبرر نفسه، ولا يصفح عن نفسه حتى يغفر له الله.

فمن رغب في أن يغفر له الله هو نفسه يعرف خطاياهم ويأتي إلى النور، حيث يشكر على إظهار ما يؤمره أن يبغضه في نفسه. إنه يقول لله:

"رد وجهك عن خطاياي". ولكن بأي وجه يقول هذا ما لم يصف "لأنني أنا عرف بآثامي، وخطيتي أمامي في كل حين" (مز 51: 11)؟

لتكن آثامك أمامك يا من لا تريد أن تكون أمام الله.

[329]

لكن إن وضعت خطاياك خلفك، فسيدفعها الله ليجعلها أمام عينيك، يحدث هذا في الوقت الذي لا يعود يوجد فيه ثمر للتوبة .

من وحي أيوب 7

أيامنا تجربة لا تنقطع

❖ ماذا أرى في حياتي على الأرض؟

سلسلة لا تنقطع من التجارب.

أعيش كالأجير الذي يتوقب نهاية اليوم،

ليستريح من تعبته وينال أجرة لمعيشته.

❖ يسلمني النهار بكل مشقته لليل،

ويسلمني الليل وعبه للنهار.

متى أجد راحتتي؟

شهور حياتي تسوع بي للوحيل.

أيام غربتي تعبر سريعاً كالبخار،

تعبر وتتبدد بلا عودة!

❖ إن تولت إلى الهاوية لا أعود للحياة على الأرض،

ولا يعود مسكني على وجه البسيطة يعرفني بعد

❖ وسط الضيقات أصوخ،

من أنا الزّاب والرماد حتى تهتم بي وتؤدبني؟

من أنا الزّابي حتى تفتقدني؟

❖ أنت هورجائي وسوروري وكزوي!

بك لا أهرب الموت،

بك تتحول رحلتي الشاقة إلى عبور موح!

لوافقني في طريق آلامي،

فتتحول أخواني إلى أغانٍ وتساييحٍ لا تنقطع!

⏪

الأصاح الثامن

حكمة القدامى

لم يعلق أليفاز على إجابة أيوب إنما ترك الأمر لبلدد الذي يحمل ذات تفكوه في هذا الأمر. فالأصدقاء الثلاثة كانوا يعتقدون في يقين أن ما حلّ بأيوب هو عقاب إلهي عادل عن خطايا خفية لا يعرفها أحد سوى الله.

يوبخ بلدد أيوب بسبب ما سبق أن قاله، ثم يؤكد بلدد إن الله يعمل بحكمة، أي أنه يكافئ البار ويعاقب الشوير، ويتعجب من أن أيوب يتهم الله بعدم الإنصاف. كذلك عندما ينسى الناس الله، فإنهم يهلكون هلاكاً عادلاً، وافترض أن الموت المفاجئ لأبناء أيوب كان عقاباً إلهياً عن خطاياهم؛ فكان ذلك سيقاً غوسه في قلب أيوب الذي يعاني الألم.

من الصعب أن ندعو أحاديث بلدد "محلورة"، فإنه إنسان تقليدي يهتم بحكمة القدامى، دون التمتع بخوة شخصية. يبدو أنه لم يدخل في آلام أو تجرب شديدة. وى أن ما حلّ بأيوب هو ثرة طبيعية لسلوكٍ شرير من جانب أيوب أو ولأده، وأنه لو كان بلداً لالتمس من الله أن يود له البركات

المفقودة، فإرددها له الله بأكثر وفرة عما كان لديه قبلاً [٢-٧].

يوبخ أيوب لأن خبثته لا تقطن بحكمة الشوخ القدامى.

قدم بلدد أمثلة من الطبيعة، فأوراق الورد تحتاج إلى مياه كثيرة لكي ينمو، وإلا جفت. الإنسان الشيرير يفقد ماء بركات الله [١١-١٣]. إنه يظن أن بيته وممتلكاته في أمان، لكنها تتبدد سريعاً مثل نسيج العنكبوت. كما يشبه عشباً سوعان ما يظهر وسوعان ما يقتلع من جنوره فيزول ليحل محله آخر [١٦-١٩].

في رأيه أن أيوب كان يجب أن يبلغ إلى النتائج اللائقة بسبب الكورث التي حلت به. وأن واعته تتحقق إن أصلح حاله [٢٠-٢١].

لا يمكننا أن نرفض آراء بلدد تماماً، لكن يجب مقابلتها بما ورد في لو ١٣ : ٤؛ يو ٩ : ٢-٣.

1. أقوال أيوب ضد الحق الإلهي 2-1.

2. الله عادل فيما يحلّ بالمؤمنين 4-3.

3. نصيحة مدمرة 7-5.

4. اتهام أيوب بالرياء 19-8.

5. دعوة للكمال 22-20.

1. أقوال أيوب ضد الحق الإلهي

فَأَجَابَ بَلَدُّ الشُّوحِيِّ: [1]

إِلَى مَتَى تَقُولُ هَذَا؟

وَتَكُونُ أَهْوَالُكَ رِيحًا شَدِيدَةً! [2]

في حدة شديدة يحاول بلدد أن يبيكم فم أيوب وينتقد ثورته النفسية. احتد بلدد مهاجماً أيوب: "إلى متى تقول هذا؟" وكأنه يقول إن أقوال أليفاز فيها كل الكفاية، وكان يؤرم أيوب الصمت والخضوع. لقد شبّه ثورة أيوب بريح شديدة عاصفة، لكنها لن تقدر أن تقف أمام العدل الإلهي.

وى القديس يوحنا ذهبي الفم أن بلدد قد اندفع في هجومه على أيوب البار، فلو أنه صمت وتأنى لأترك أن ما قاله أيوب ليس إلإرد فعل

طبيعي للألام الشديدة والتجرب التي لم يسقط فيها آخر غره. هذا ومع عتابه لله لم ينكر أنه خاطي يطلب منه المغفرة. لكن الثورة أو اندفاع بلدد في

الكلام أسقطه في إدانة البار وفي النقد المُبالغ فيه، حتى رأى في كلمات البار الصالحة شواً. لم يدرك بلدد أن تعبير الإنسان المتألم عما يعاينه من تعبٍ

هو أمر تقتضيه الطبيعة البشوية بالضرورة.

❖ هل قال (أيوب) إنه يعاني من الظلم؟

ها أنتم ترون (أصدقاء أيوب) لم يبلغوا هدفهم بأية طريقة، لأنه لم يقل هذا قط. لكن أيوب تحدث عن ضعف طبيعته، قائلاً: "أبصر أنا أم تتين؟"

(7: 12)، "هل قوتي قوة الحجلة؟" (6: 12) ما هي حياتي؟ "فإنني لا أحيأ إلى الأبد فأحتمل بصبر" (7: 16). علاوة على هذا فقد عرف خطاياه: "لماذا

لا تغفر ذنبي؟" (7: 12)...

بعد ذلك، دان بلدد نفسه في ثورته، إذ فشل في فهم أن الذين يختبرون الألم بالفعل يجنون تغرية في التعبير عن أنفسهم، إذ قال أيوب نفسه:

"أنا أيضاً لا أمنع فمي، إذ في ضيق" (7: 11). علي أي الأحوال يقول إن هذه الكلمات التي أعير بها تسترئها الضرورة.

❖ لا يُستعمل الوعاء الذهبي للأشياء الدنيئة لعلو ثمنه، فكم بالحري الفم، فهو أثن من الذهب والموجان، فلا يجوز أن ندنسه بالكلام القبيح والشتم

وطعن الآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كلمات الأوار دائماً محونة بالنسبة للظالمين، وما يسمعونه للبنيان يحملونه ثقلاً على كاهلهم. هذا ما يشير إليه بلدد الشوحي بوضوح بالنسبة له، حيث يقول: "إلى متى تقول هذا؟" من يقول: "إلى متى" يُظهر أنه غير قادر بعد على احتمال كلمات البنيان. يفتخر الظالمون جداً بأنهم يقولون ما هو صواب، ويجنون أخطاء في الأفعال الصالحة... عندما يكون النقد مبالغاً فيه بالتأكيد يفقد الحديث معناه...

يلوم الأثوار الأمور الصالحة، لئلا يظهروا هم أنفسهم أنهم لا يعرفون ما هو صالح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لقد حزننا الكتاب المقدس كما الآباء من خطية بلدد: **الثروة في الكلام** باندفاع والتي ولدت الإدانة والنقد اللاذع المبالغ فيه:

"كثرة الكلام لا تخلو من معصية، أما الضابط شفتيه فعقل" (أم 19:10).

"لأن الحلم يأتي من كثرة الشغل، وقول الجهل من كثرة الكلام" (جا 3:5).

"ذلك من كثرة الأحلام والأباطيل، وكثرة الكلام، ولكن اخش الله" (جا 7:5).

❖ لم يقل الرسول إنه لا يوجد من يُدَلُّ اللسان، بل لا يستطيع أحد (من البشر) أن يُدَلِّ اللسان، حتى متى أُلجِمَ نعتُرف بأن ذلك بفضل حنان نعمة الله وموعنته [\[330\]](#).

❖ يستطيع الإنسان ترويض الوحوش المفترسة، أما لسانه فلا يقدر أن يُلجمه!...

يستطيع الإنسان تهذيب كل شيء ما عدا ذاته، فما يقدر عليها!

يقدر على تهذيب كل ما يخاف منه، أو يجدر به أن يخافه، أما ذاته التي لا يخافها فلا يقدر عليها!

إذن لنلجأ إلى الله الذي يستطيع أن يُلجمه. أنتم لا تقدرون على إقناع ألسنتكم لأنكم بشر... فلنطلب من الله لكي يروضنا قائلين له: "يارب ملجأ كنت لنا".

هل يستطيع (الإنسان) صورة الله أن يُروِّض الأسد، ويعجز الله عن ترويض صورته؟

إن رجاءنا يكمن في هذا المروِّض لنخضع له ملتَمسين رحمته... لنحتمله حتى يُروِّضنا، فنصير كاملين، لأنه كثراً ما يسمح لنا بتأديبات. فإن

كنتم تستخدمون الأسواط في ترويض الحيوانات المفترسة، أما يستخدم الله ذلك ليحوِّلنا نحن ووحشه إلى وُلاَد له؟ [\[331\]](#)

القديس أغسطينوس

❖ **الثروة** هي عرش الغرور، ومن هذا العرش تظهر محبة إواز الذات والمباهاة والافتخار.

الثروة إشلة إلى الجهل ، وباب الاغتياب، وموصل إلى الهزل والضحك، وخادم للكذب والرياء.

❖ هي دليل النوم وتشتيت الذَاوَة ، تُؤِيل البقطة وتود الحولة وتفتت الصلاة [\[332\]](#).

القديس يوحنا الدرجي

❖ احذر اللسان الثوّار والأذنين المتلهفتين (لسماع الأخبار). لا تحط من شأن الآخرين ولا تصغي إلى من يحط من شأن الغير.

القديس جيروم

❖ لا تتسرع بلسانك، فالغم مصيدة الموت.

المدعو يوناياس

[\[333\]](#)

❖

من يحذر بلسانه لن يُسلب كزوه منه إلى الأبد. فم **الساكت يتوجم أسوار الله** . ومن يتكلم بسوعة يبعد عن خالقه .

الشيخ الروحاني

❖ علينا ألا نستخدم التوبيخ إلا ناوراً. وإذا اضطررنا إلى استخدامه يجب علينا أن نسعى بشغفٍ إلى خدمة الله لا أنفسنا.

ليكن لنا هدف واحد، فلا نفعل شيئاً بقلب مزوج. لنخرج من أعيننا خشبة الحسد أو الحقد أو التصنع، حتى نتمكن من الإبصار فنخرج القذى من عيني أحنينا. للنظر إلى القذى بعيني الحمامة، اللتين لعروس المسيح (نش 1:4)، التي اختلها الله لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن، أي نقية لا غش فيها (أف 27:5) [334].

القديس أغسطينوس

❖ لا تكن دياناً لأخيك، لتوهل أنت للغفوان ، فربما واه دائماً مخطئاً، لكنك لا تعلم بأية خاتمة يفلق العالم. فاللص المصلوب مع يسوع كان قاتلاً وسفاكاً للدماء، ويهوذا كان تلميذاً للمسيح ومن الأخصاء، إذ كان الصندوق عنده، إلا أنهم في زمن يسير تغوا، فدخل اللص الفروس، واستحق التلميذ المشنقة وهلك.

القديس أنسطاسيوس

2. الله عادل فيما يحلّ بالمؤمنين

هل الله يُوجِّ القضاة،

أو القدير يعكس الحق؟ [3]

حسب بلد في ثورة أيوب هياجاً ضد الله، وكأن الله يوج القضاة ويعكس الحق. حاشا لأحد أن يظن هذا. الإنسان في ضعفه قد يلجأ إلى عكس الحق بسبب خوفه، أما الله فهو "القدير"، فلا يكون ظالماً ولا يفعل ما هو باطل.

❖ لم ينكر الطوبوي أيوب ذلك في حديثه، ولا كان يجهله عندما كان يمسك لسانه. لكن كل الوقحين يتكلمون بالحقائق المعروفة بكلمات ضخمة لكي يظهروا بهذا أنهم متعلمون.

إنهم يستنكفون من أن يحفظوا سلامهم بروح التواضع، لئلا يُظن أنهم صامتون عن جهلٍ . إنما من المعروف أنهم يمدحون استقامة عدالة الله عندما يكونون هم في أمانٍ من المصائب، ويتمتعون برخاء حياتهم بينما يكون الغير يعانون من كورث.

إنهم يسلكون في الشر، ومع هذا يظنون أنهم أوار. إذ هم في رخاء يتصورون أن هذا بفضل استحقاقاتهم، ويستنتجون أن الله لا يعمل ظلماً... ولكن إن لمست حياتهم قوة للتصحيح (بالتأديب) ولو إلى أقل درجة، يندفعون للحال مهاجمين السياسة الإلهية، بينما كانوا منذ قليل - إذ لم يصيبهم أذى - يطرون في المديح والإعجاب بالتدبير الإلهي.

إنهم يرفضون أي حكم أن يكون عادلاً متى حلّ بهم... حسناً ينطق الموتل ضد اعتراف الشوير: "يحمدك إذا أحسنت إليه" (مز 49: 18)... لهذا لا نعجب أن يحمد بلد عدالة الله مادامت لا تمسه شخصياً.

البابا غريغوريوس (الكبير)

رى البابا غريغوريوس (الكبير) في أصدقاء أيوب رمزاً للمواطنة، فإنهم إذ يرون الكنيسة المقدسة في ضيقة لبنيانها يحسبون أن ما حلّ بها هو من قبيل العدالة الإلهية، وأن ما يتمتعون به من رخاء هو من أجل فضائلهم.

غالبًا ما يسند عدو الخير المواطنة في كل الأجيال بالإمكانات المادية والكوامة الزمنية ليقتنصوا ولاد الله من أحضان العروس المقدسة، ترة بالفلسفات الواقة المخادعة، وأخرى بالإغواءات المادية، وثالثة بحفظهم من الضيق الذي تعانيه العروس شريكه المصلوب.

هذا هو دور بلدد الذي ظن في جهله حكمة، وحسب أيوب مجدداً على الله القدير ومنتزهاً على العدالة الإلهية.

❖ اخترع (عدو الخير) الهزات والانشقاقات لكي يتلف الإيمان، ويفسد الحق، ويحطم الوحدة.

وإذ يعجز عن أن يحفظنا في طرق الخطأ الجديد المظلمة يسحبنا إلى متاهة جديدة للخداع.

إنه يصطاد الناس بعيداً عن الكنيسة نفسها، وإذ يظنون أنهم اقتربوا من النور وهربوا من ليل العالم يغوهم في ظلمة جديدة وهم غير متريكين

لها.

ومع أنهم لا يتمسكون بالإنجيل ونظام المسيح وناموسه يدعون أنهم في النور خلال مدهانات العدو المخادعة، هذا الذي يقول عنه الرسول أنه

يغير نفسه إلى ملاك نور ويزين خدامه كخدام للبر.

يدعون الليل نهلاً، والموت خلاصاً، واليأس رجاءً، والخيانة أمانة، وضد المسيح المسيح، ويثبط الحق بالخداع بإواز الحق بصورة كاذبة.

هذا هو ما يحدث يا إختي عندما لا نعود إلى ينوع الحق، عندما لا نتطلع إلى الرأس ونحفظ التعليم الصادر من السماء [335].

القديس كيريلوس

[336]

❖ من عادة إبليس أن يقلد الأمور الخاصة بالله. إنه يقيم رسلاً كذبة ليقولوا الوسل الحقيقيين، ويأخذ شكل ملاك لكي يخدع البشر.

ثيودورت أسقف قورش

❖ يوجد فلاسفة لهم مناقشات بلعة عن الفضائل والذائل، يميزون بينها، ويقدمون تعريفات لها، وفي النهاية يقدمون تسلسلاً عقلياً دقيقاً، يملأون

الكتب، ويحمون حكمتهم بأحاديث ثرثرة؛ هؤلاء يجسرون ويقولون للناس اتبعونا، انضموا إلى فرقنا إن أردتم أن تعيشوا سعادة. لكنهم لا يدخلون

من الباب؛ هؤلاء يريدون أن يحطوا ويذبحوا ويقتلوا [337].

❖ إن وجدنا هذه الشخصيات الثلاث أيها الأخوة القديسون، نجد من يليق بنا أن نحبهم، ومن يجب علينا أن نحتملهم، ومن يؤمنا الحذر منهم. فالواعي

يُحب، والأجير يُحتمل، واللص يُحذر منه [338].

القديس أغسطينوس

❖ "الرجل المبتدع بعد الإنذار موة وموتين أعرض عنه، عالماً أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطئ، محكوماً عليه من نفسه" (تي 3: 10-11). ليتنا

كبحلة حكماء نبحر في إيماننا في المسلك السليم حتى نعبر بأكثر أمان، ونتبع سواحل الأسفار المقدسة.

القديس أمبروسيو

إذ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم [4].

يحاول بلدد أن يثير أيوب بأن ينسب ما حلّ بأبناء أيوب هو ثوة خطيتهم وشوهم، فناوا مجزاة عادلة من الله. ما ألهب جواحات أيوب بالأكثر،

أن بلدد حسب موت أبناء أيوب بهذه الصورة البشعة ليس له تفسير آخر سوى أنهم عصوا الله، فدفعهم إلى يد معصيتهم. لقد اعترف أيوب بأنه خاطئ،

وكان يقدم محركات بأسماء أبنائه لئلا يكون قد عبر بأفكلهم فكر خاطئ ضد الله. لكن لا يمكن الحكم بأن ما حدث هو ثمر طبيعي لعصيان قد ارتكبه.

3 . نصيحة مدرة

فإن بكَرَّتْ أَنْتَ إِلَى اللَّهِ،

وَتَصَوَّرْتِ إِلَى الْقَدِيرِ [5].

يقدم بلدد نصيحة طيبة لأيوب أن يسوع ويكر طالباً ومتضوعاً إلى الله، لكن بلدد لم يكن يشعر بأن أيوب يستحق أن ينال ما هو أكثر مما كان

عليه. يشير عليه بالصلاة والطلبة من الله لورد له أضعافاً مما فقده إن كان زكياً مستقيماً.

يا للعجب، يقدم بلدد نصيحة مدوية لأيوب تكشف عن دمار قلب بلدد نفسه. لقد طالبه بالصلاة إلى القدير مبكراً. هذه تبدو نصيحة كتابية رائعة، فالمؤمن يطلب من القدير، يطلب وينال لأنه يبكر إلى الله لكنه لا يجعل الصلاة لا للتمتع بواهب العطايا بل لاقتناء عطايا زمنية، حاسباً ان استجابة الصلاة بالتمتع بالزمنيات علامة رضا الله وقداسة المصلي. إنه مؤثر خطير يفسد الإيمان بالله الذي يود ان نطلب ملكوت الله ووّه وهذه كلها واد لنا. ليس ما يمنع أن نسأل الله كأب لنا في كل شيء حتى الأمور التافهة، علامة شركتنا الحية معه، لكن لن تكون الإجابة بوال ما نسأله علامة تقديسنا ومحبة الله لنا.

ولعل بلدد هنا كان متيقناً أن أيوب لن يستود ما فقده، فيكون ذلك علامة ثوره، مثله مثل أبنائه الهالكين. ومن جانب آخر يضع بلدد مقياس البر والاستقامة هو تمتع الشخص بالأمر الزمنية. يقول البابا غريغوريوس (الكبير) [يحسب الناس الأشرار المذات الوقتية هي وكة خاصة للمكافأة الإلهية. ما يجرون هم وراءه باهتمام وشوق شديد، يعدون به الآخرين كأمر عظيم.]

الصلاة – في ذهن القديس أغسطينوس – هي لغة شوق النفس نحو الله. إنها المزمج لاشتياق القلب.

❖ الصلاة هي بلوغ العقل المملوء حباً إلى الله، إنها تشغل الذهن والقلب، الفكر والرغبة، المعرفة والحب. الحياة الكاملة للمسيحي الصالح هي رغبة مقدسة [339].

❖ وأسفاه. إنه من السهل أن تطلب أشياء من الله ولا تطلب الله نفسه، كأن العطية أفضل من العاطي [340].

❖ الله لا يمنع محبة هذه الأشياء بل أن نجد سعادتنا في حبنا لها. يليق بنا أن نجعل حب خالقنا هو غاية تقديسنا لهذه الأشياء... فالمهر يُقدم للمخطوبة لكي في موه لها تحبه هو. هكذا يعطيك الله كل شيء، فلتحب ذلك الذي صنعها [341].

❖ أي شيء تمين يطلبه من الله من يستهين بتقدوه الله نفسه؟! [342]

❖ لا تطلب شيئاً من الله، بل عطية ذاته لك [343].

❖ أن تترجى الله من الله، هذا هو أن تحب الله صاحب النعمة [344].

❖ ليس بعدل يُحب ما يأتي من الله إن كان الله نفسه يُنسى بسببه [345].

❖ لا تجد شيئاً يقدمه لك أفضل من ذاته، لكن أن كنت تجد ما هو أفضل منه أطلبه بكل وسيلة [346].

❖ هل لا يوجد لدى الله مكافأة؟ لا توجد إلا عطية ذاته! [347]

القديس أغسطينوس

يتطلع الأب أواهاط إلى الصلاة بكونها لقاء داخلياً للقلب النقي مع الله القدوس، فالصلاة هي حديث القلب، الذي لن يكون موضوع سرور الله القدوس ما لم يكن طاهراً ونقياً.

❖ الصلاة جميلة وأعمالها مستقيمة، الصلاة المقبولة تُشعر الإنسان بالراحة. تُسمع الصلاة عندما نشعر بالغفوان فيها.

الصلاة المحبوبة هي الصلاة النقية الخالية من كل غش. وتكون الصلاة قوية عندما تعمل قوة الله فيها.

عزوي، كتبت إليك أن الإنسان عندما يلتزم أن يتم مشيئة الله، وتكون المحور الأساسي لصلاته، يسمو الإنسان في صلاته. قلت لكم هذا: لا تهملوا الصلاة.

يلزم أن تشتاقوا إلى الصلاة ولا تكفوا منها. كما قال ربنا وهو مكتوب: "انه ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُمل" (لو 18: 1)، يجب أن تتوقوا إلى السهر، وإزعوا عنكم الغفلة والنوم. يجب أن تكونوا مستيقظين في كل وقت بالنهار والليل ولا تفتروا [348].

القديس أواهاط

❖ هل كان أيوب محتاجًا إلى تعليمك هذا؟

ألم يكن خلال كل حياته دائما يصلي؟ وأنت تقول: " بكر في الصلاة إلى الرب القدير".

إنه ليس فقط لم يتوقف عن الصلاة مبكراً للرب، بل كان يقدمها مبكراً (1: 5) وخلال النهار وفي كل لحظة، يسبح الله سبع مرات في اليوم (مز 119: 37، 164) نهلاً وليلًا، فإن هذا بالنسبة له لم يكن عبثاً. نهاية تجل به تظهر هذا، نتيجة صواعقه (أبرزت أنه رجل صلاة)...
لقد أسأت الحكم (يا بلدد) وظلمت المصلوع، فإن أيوب لم يفشل في رؤية الله الذي تحدثت أنت عنه لتنتقد البار، وليس لتمجد الله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ كُنْتُ أَنْتَ زَكِيًّا مُسْتَقِيمًا،

فَإِنَّهُ الْآنَ يَتَّبَعُ لَكَ،

وَيُسَلِّمُ مَنْسَكَنَ يَوْكَ [6].

وى بلدد أنه لو أن أيوب زكيًا مستقيمًا ما حدثت له هذه النكبة، ولو أنه تصوف حسنًا مع أول تجربة لما حلت به التجربة الثانية.

هذا ليس بصواب، فقد يُجرب الإنسان الصالح أكثر من مرة، بل وقد يتعرض لتجربةٍ تمتد كل حياته، التي تُحسب كلا شيء إن قورنت بالأبدية التي يتمتع بها.

تظاهر بلدد بأنه ينصح أيوب ليتوب عن شوه كي يود الله له ما كان عليه، بل وأكثر مما كان عليه، لكن في أعماقه كان يبغى أن يؤكد له أنه شوير وهوائي.

وَإِنْ تَكُنْ أَوْلَاكَ صَغِيرَةً،

فَأَخْرُوكَ تَكْتُرُ جَدًّا [7].

وى بلدد أن أيوب إنسان شوير، لو كان مستقيمًا وسقط في تجربة لكانت آخرته أفضل مما كان عليه قبل التجربة. بالفعل أراد الله أن يوهن

لبلدد أن أيوب بار ومستقيم، فجعل آخرته أفضل من وُلاه.

لقد صلت آخرة أيوب أكثر مجددًا من وُلاه، لكن ما ناله في آخر حياته لم يكن إلا عيوبًا للمجد المُعد له في الحياة الأبدية. لقد مات شيخًا شبعان الأيام، لكنه يقوم ليعيش في أورشليم العليا أبدًا.

كثير من الشهداء والقديسين تألموا في أواخر حياتهم، لكن هذه الآلام والعذابات هي لآلى وجواهر روحية نتعرف على عظمتها وبهائها في يوم

الرب العظيم، حيث يعتزون بالحب الذي عبّروا عنه بقبولهم الآلام بشكرٍ وفح!

4 . اتهام أيوب بالرياء

إِسْأَلِ الْقُرُونَ الْأُولَى،

وَتَأَكَّدْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ [8].

لم يجسر بلدد أن يعلن لأيوب أن ما حلَّ به - حسب خبرته الشخصية - ليس إلا تأكيد بأنه شوير، وإنما وضع أساس حكمه هذا على خبرة

الأجيال القديمة. فإن كان أليفاز قد اعتمد على خبرته الشخصية، فإن بلدد يكمل ذلك بالروح إلى خبرة القدامى.

في تعليق الأب هيسيخيوس الأورشليمي على هذه العبارات (8-10) وى أن ما حدث مع أيوب يشبه ما حدث مع هابيل. تطلع قايين إلى

جثمان أخيه هابيل ملقبًا عن الأرض قتيلاً (تك 4)، فظن أن هذا ثروة عمله، وأن قايين بار وقد استقرت الأرض واستوحت لتكون بين يديه وهو في

طمأنينة، ولم يكتشف الحقيقة أن صوت دماء أخيه تصوخ، وقد بلغت إلى السماء.

كما تطلع قايين إلى هابيل حاسباً ما حدث له هو بسبب شوه، هكذا تطلع بلدد وزملاؤه إلى أيوب وهو في المذبذبة، فحسوه شرواً. وكما شهد الله لير القليل معلناً أن أبواب السماء مفتوحة لتستقبل صوته، هكذا يشهد الله لأيوب ويستمع إلى صرخات قلبه. لقد أراد أن يطأ أخاه تحت قدميه، وأراد الأصدقاء أن يسحقوا نفس أيوب تحت أقدامهم.

كان يليق بأصدقاء أيوب أنفسهم أن يسألوا القرون الأولى فيروا أن ما حل بهابيل من ظلم، ليس عن شر فيه، بل سبب ربه، ولم تنته حياته بركات رضية وخوات زمنية، وإنما بانفتاح أبواب السماء لتتقبل صرخات دمه المسفوك على الأرض.

قال أليفاز إن الله لا يسمح لأحد المستقيمين أن يُباد هكذا (أيوب 4: 7)، أما بلدد فيقول هنا أن الله يدفع بالأشوار الروائين إلى الخزي والعار والدمار في هذا العالم. فإن كان أليفاز أراد تأكيد أن أيوب ليس مستقيماً وإلا ما كان قد حلّ به هذا كله، إذا ببلدد يوجه له اتهاماً صريحاً أنه شرير ورائي.

يطلب من أيوب أن يلجأ إلى القرون الأولى ليتأكد بنفسه أن ما يقوله حق، وذلك خلال الخوة العملية الطويلة عن أحكام الله من جهة الأشوار منذ القرون الأولى حتى عصوم.

لأننا نحن من أمس،

ولأننا نعلم لأن أيامنا على الأرض ظل [9].

يطالبه ألا يعتمد على خوته حتى وإن كان شيخاً لأن العمر كله أشبه بيوم، كأنه بالأمس قد مضى، ومعرفته محدودة، وخوته تكاد تكون عاوة مثل حياته. هذا ما يدفعنا للتطلع إلى خوة الأجيال القديمة.

جاءت كلماته منقربة مع ما تغنى به الملك داود في صلاته الوداعية، قائلاً: "لأننا نحن غرباء أمامك وزلاء مثل كل آبائنا. أيامنا كالظل على الأرض، وليس رجاء" (1 أي 29:15)، لكن قلبه وفكوه لم يكونا كقلب داود وفكوه. فالكلمات التي نطق بها بلدد نافعة، وكان يُمكن أن تكون مقدسة لو أن قلبه كان طاهراً نقياً ومحباً ومقدساً.

فهلأ يعلمونك،

يقولون لك،

ومن قلوبهم يخرجون أقوالاً قائلين [10].

يحمل الآباء الأولون حباً نحو أولادهم وأحفادهم، فيقدمون مع خوتهم قلوبهم المتسعة لنا، لذا فإن كلماتهم لها وزنها. ❖ وضع بلدد كلمات الحق العجيب ضد الروائين، لكنه بحديثه هذا كان يشير إلى نفسه. لأنه لو لم يكن متظاهراً بالبر بصورة هزيلة ما كان قد تجاسر ليعلم إنساناً صالحاً بطيئ عظيم كهذا... كلماته بالحق تحمل قوة رائعة، لكن كان يليق توجيهها للأغبياء وليس لوجل حكيم؛ للأشوار وليس لإنسان صالح، فإن من يسكب ماء في النهر بينما حدائقه جافة وظمأى يكشف أنه ليس بأقل من مجنون.

البابا غريغوريوس (الكبير)

سبق لي الحديث عن أهمية واث الآباء في كتاب "بدء الأدب المسيحي الآبائي"، جاء فيه [349]:

[ما هو مدى التواضع بما ورد في واث الآباء؟

يمثل الآباء القديسون فكر الكنيسة الجامعة الذي تسلّمته من الرسل بفعل الروح القدس الذي يعمل بلا انقطاع في حياة الكنيسة. يتحدّث عنهم القديس أغسطينوس ، قائلاً: "تمسّكوا بما وجدوه في الكنيسة، عملوا بما تعلموه، وما تسلّموه من الآباء أو دعوهم في أيدي الأبناء" [350]، "من يحتقر الآباء القديسين إنما يعرف أنه يحتقر الكنيسة كلها" [351].

يقوم هذا السلطان على عاملين: عامل طبيعي إذ اتّسم الآباء بالحياة القدسية والأمانة في استلام وديعة الإيمان الحي من أيدي الرسل لذلك هم

أقدر على الشهادة للحياة الكنسية من كل جوانبها، خاصة وأنهم يحملون الفكر الواحد، بالرغم من اختلاف الثقافات والمواهب والظروف، مع بُعد المسافات بين الكوآسي الرسولية وصعوبة الاتصالات في ذلك الحين. والعامل الثاني إلهي حيث عاش الآباء منحصرين بالروح القدس قائد الكنيسة وموشدها إلى كل الحق، يحفظها داخل دائرة صليب المسيح.

هذا لا يعني عصمة الآباء كأفراد، وإنما تعيش الكنيسة الجامعة ككل محفوظة بروح الرب...

احتل واث الآباء موكرا موموقاً في حياة الكنيسة وإيمانها، اعتمد عليه القديس أناسيوس في دفاعه [352]، كما اعتمد القديس باسيليوس على كثير من التقاليد الكنسية خلال أقوال الآباء السابقين له.

وأيذ هذا الاتجاه، إي الالتجاء إلى أقوال الآباء السابقين، في القرن الرابع، ونما جداً في القرن الخامس [353]. فالقديس كيرلس الإسكنوي كمثال، في كتاباته إلى الرهبان المصريين [354] دفاعاً عن لقب القديسة مريم ثيوتوكوس - لتأكيد أن المولود هو كلمة الله المتأنس دون انفصال اللاهوت عن الناسوت - أشار إليهم أن يقتوا آثار القديسين. إذ حفظوا الإيمان المسلم إليهم من الوسل، وعلّموا المسيحيين باستقامة. موة أخرى يؤكد أن التعليم الصحيح الخاص بالثالوث القّوس قد وضح "بحكمة الآباء القديسين" [355]. وفي حديثه ضدّ نسطور [356] التجأ إلى تعليم الكنيسة المقدّسة الممتدة في كل العالم وإلى الآباء المكمّمين أنفسهم، معلناً أن الروح القدس تحدّث فيه. ولتدعيم حديثه عن السيّد المسيح استند إلى بعض منقنطفات آباءية في كتاباتهم الجدلية [357]، قدّمها إلى مجمع أفسس [358].

هل ينمو البردي في غير المستنقع،
أو تثبت الحلفاء بلا ماء؟ [11]

إذ يتهم بلد أوب بالرياء يقدم صوراً مؤلمة عن الرائي بوجه عام، غير أنه يعني أوب بوجه خاص:
ولاً: بالبردي الذي لا ينمو إلا في مياه مملوءة وحلاً، والحلفاء الجاف الذي بلا ماء [11].
ثانياً: بالعنكبوت الذي يتكل على بيته، فيظن أنه في أمان، مع أن بيته لن يثبت [14-15].
ثالثاً: بالعشب الذي تحرقه الشمس فتجفّفه، مع أنها سرّ حياة ونمو النباتات [16].
رابعاً: بمن يتعثر بالحجرة في الطريق، فيسقط ويهلك.
خامساً: بالشجرة المورقة الجميلة التي يضرب الفأس بجنورها فنقلع وتموت.

ما هي خوة الآباء الأولين في هذا الأمر؟ يجيب الآباء بأن آمال الرائيين وأفاحهم كالبردي والحلفاء. كلاهما ينميان في المستنقع وسط الطين أو الوحل أو الحمأة، وبالماء. هكذا الرائي لا يحقق رجاء. بدون أرض متعطنة أو جو غير الوحل. يتكل على مظاهر خرجية للتدين والتقوى والنجاح، مظاهره مخادعة، على الغرور بنفسه كلمات المديح الموجهة إليه، هذه كلها ليست إلا وحلاً، وآمالهم ليست إلا بردي وحلفاء.

إن كان البردي يشير إلى الإنسان الرائي الذي يحتاج إلى مياه الروح القدس المقدسة. في وسط المياه يؤلد المؤمن ابناً لله بالروح القدس، وبمياه الروح بوقوي ويتجدد، حتى يحمل أيقونة السيد المسيح، فيتأهل لنوال شوكة المجد الأبدي.

❖ يشير بالبردي والحلفاء إلى حياة الرائي، إذ له مظهر الخضوة، لكن بلا ثمر نافع لخدمة الإنسان فمع كونه أخضر، له مجرد لون القداسة، يكون دائم الجفاف عديم الثمر عملياً...

الرعوون منفصلون عن واهب البركات الكثوة بسبب زعات فكر قلوبهم فمع نوالهم عطاياهم يطلبون مديحهم لا مجد العاطي. وبينما يمجنون أنفسهم بمديح نواتهم عن بروكات موهوبة لهم، يقولون صانع الخوات بذات العطايا.

الرائي ينتقد بشدة حياة من بوبخه. إذ يتوق أن يثبت أنه مخطئ فوق كل حدود، حتى يبرر نفسه، لا بما يملسه من أفعال بل بإواز أخطاء

الآخرين... حسنا قيل بسليمان: "لا توبخ مستهزنا لنلا يبغضك" (أم 9: 8)...

هنا نحتاج أن نعرف أن سمو الصالحين يبدأ بالقلب وينمو إلى نهاية الحياة الحاضرة. أما مملسات الوراثة، فإن ليس لهم جنور فإنهم غالبًا ما يبلغوا إلى لا شيء قبل نهاية الحياة الحاضرة. غالبًا ما يكسون حياتهم للوراثات المقدسة، وإذ هم يفعلون هذا لا لإقامة مخزن للفضائل بل لنوال مديح وإطراء، فعندما يبلغون عبلة تهبهم مديحًا بشويًا يسرون بالنجاح الؤمني. لهذا فهم فلغون تمامًا من الثقافة المقدسة، ويظهرون بسلوكهم بعد ذلك كيف يحبون الؤمنيات، أما عن الأبديات فلا تتعدي الحديث عنها بشفاهم... إنهم شهود على أنفسهم أن صلاحهم ليس نابعا عن القلب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[359]

❖ لهذه الغاية اعتمد المخلص هذا الذي لا حاجة به إلى العماد، حتى يقدس الماء لأجل الذين سيولدون من جديد.

القديس إكليمنضس السكثوري

❖ يُسمى العماد "غسل التجديد"، إذ يصحبه تجديد الروح الذي يرف على المياه.

❖ يخلق الروح القدس لنفسه شعبًا جديدًا، ويجدد وجه الأرض، عندما يخلع الناس عنهم، من خلاله، "إنسانهم العتيق مع أعماله" (كو 3: 9)، "ويسلكون في جدّة الحياة" (رو 6: 4).

❖ كل من حُسيب مستحقًا لشوكة الروح القدس، بمعرفة أسوره غير المنطوق بها، سيحصل، وبكل تأكيد، على راحة وابتهاج القلب. فحيث قد توصل، بلرشاد الروح إلى معرفة لكل ما يحدث من أمور - وكيف ولماذا تحدث - فلا يمكن لنفسه أن تضطرب أو تشعر بأسف.

❖ الطبيعة الإنسانية ضعيفة. وحتى تصير قوية، فهي تحتاج إلى مساعدة من يقويها. مساعدة من؟ مساعدة الروح.

بمعنى أن الذي ينشد القوة الحقيقية، لا بد أن يصير قويا بالروح.

الأغلبية تصير قوية بالجسد، وحسب الجسد. أما جنود الله (2 تيموثاوس 3: 2) فيصرون أقوياء بالروح، وبالتالي شجعانا في مواجهة "الفكر الجسدي الذي يهتم بما للجسد (رومية 7: 8). فالروح في مصلعة مع الجسد، أما روح الإنسان التي يقويها ذلك الروح فستحز النصر.

العلامة أوريجينوس

[360]

❖ اعتمد الرب لا ليتطهر بل ليظهر المياه، حتى إذا اغتسلت المياه بجسده الذي لم يعرف الخطية، جاز لها أن تُستخدم في العماد.

القديس أمبروسيوس

[361]

❖ اعتمد المسيح، أعني طهر الماء بعماده.

العلامة توتليان

وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضْرَتِهِ لَمْ يَفْطَعْ

يَبْسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ [12].

سوعان ما يظهر الودي بلوراه الجميلة الخضواء، لكنه يببس ويتلاشى في وقت وجيز، وقبل أن يُقلع (مز 129: 6).

هَكَذَا سَبُلُ كُلِّ النَّاسِيْنَ اللّهِ،

وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ [13].

سرّ الوياء هو نسيان الإنسان لله فاحص القلوب والعرف بالأسوار الخفية في الفكر.

❖ " هكذا سبل كل الناسين الله، ورجاء العوائي يخيب "... رجاء العوائي لا يمكن أن يثبت، فإنه إذ لا يجعل الأبدية غايته يفقد كل ما يمك به في يده.

ميل فكه غير مثبت على المجد الذي لا ينتهي، وإنما إن هو يشهق طالبًا المديح أوائل يفقد ما قد تعب في نواله، يشهد "الحق" بذلك، قائلاً: "الحق أقول

لكم إنهم قد استوفوا أروهم" (مت 6: 2).

لا يستطيع أحد أن يربط نفسه بالزائل ويبقى هو نفسه غير زائل. فإن من يحتضن الأمور الزائلة بالطبع ينحدر إلى الزوال. ليقول: "ورجاء

الموائي يخيب".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أيوب الذي خضع موهة أخرى للتجربة سبح الله وبلكره، بالحق لم ينس الله. لهذا فإن نهاية الأوار لا تُقرن بالعشب الذي يذبل بالحولة [12]. إنه إذ يشبه شجرة مغروسة على مجري المياه، تعطى ثمرها في حينه (مز 1: 3)، فإنه إذ يحتفظ بثمر الفضائل يسبب لغروس كثرة في العالم أن تهر.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إنه مصدر فوح ومجد للبشر أن يكون لهم أبناء يتشبهون بهم... كم بالأكثر تكون مسرة الله عندما يؤكد إنسان روعي في أعماله وتسايحه ويعلم السمو الإلهي في حياته [362].

القديس كيريانوس

❖ يا أيتها النفس، ذاك الذي خلقك يمكنه أن يشبعك. فإن طلبت أمراً آخر فلبيتك.

القديس أغسطينوس

فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ،

وَمُتَكَلَّهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ! [14]

إذ لا يعتمد الموائي على الله، فإن كل ما ووجه بل حتى ما يناله يصير كبيت العنكبوت الذي ينسج مسواته وتغزيته بنسج واه.

ورد هذا النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) "غباوته لا تشبعه..."

❖ إنها غبوة لامتناهية أن يعمل الإنسان بمشقة وركض لاهناً وراء لحظة مديح، فيملس الشخص الوصايا السماوية بجهد جهيد وبيتغي أوجه رضية...

"ومتكله بيت العنكبوت" ... قد يحدث أن كلمات الموائين تنوم حتى نهاية الحياة الحاضرة ذاتها، ولكن إذ لا يطلون مديح خالقهم، لا تحسب أعمالهم صالحة في عيني الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ LXX "لأن رجاء الفاجر يخيب، بيته يكون بلا ساكن، وخيمته توهن أنها نسيج عنكبوت" (). لماذا تقول هذا لأيوب؟ هل لأنك بالفعل تعرف نهاية المصراع، ولك وجهة نظرك من جهة ساكن بيته وخيمته كنسج عنكبوت؟

لكن أنت تظن بأن بيته مصنوع من خشب وحجارة، مبني لأجله بالفضائل (مت 7: 24). إنك تتخيل خيمته مصنوعة من هذه الأرض، ولهذا السبب تظن أنها ستهلك كنسج عنكبوت، مع أن مسكنه فعلاً في السموات، ككلمات بولس: "لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدى؛ فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكناً الذي من السماء" (2 كو 5: 1-2).

لهذا السبب أيوب أيضاً يئن، لكنك تنتظر (يا بلدد) إلى هذه الموائين يكونها جبناً وتجديفاً. إنه "يدعم بيته"، لا بأمرٍ منظرة، بل بما هو غير منظور.

لهذا ينطق الكتاب المقدس بعبارات الحكمة: "الحكمة بنت بيتها لنفسها، شيدت أعمدتها السبعة" (أم 9: 1)...

أخذ أيوب هذا بصبر، ولم يجحد ثقته في علاقته بالله، بل على العكس احتمل العدو بشجاعة، وصد هجمات الباطلة، حتى يستطيع أن يكون له وجه باسل ضد كل الزاعات في الهجمات الجديدة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ الوياء يكرهه الله، ويمقته الإنسان. لا يجلب مكافأة، وبلا منفعة تماماً في خلاص النفس، بل بالحوي يكون علّة هلاكها.

إن كان الوياء لا يفضح أحياناً، لكن إلى حين، إذ لا يوم كثوفاً، بل ينكشف كل شيء، فيجلب على صاحبه وبالاً، وهكذا يكون أشبه باهواة قبيحة المنظر تُوع عنها زينتها الخرجية التي وُضعت لها بطرق صناعية.

❖ الوياء غريب عن سمات القديسين، إذ يستحيل أن يفلت شيء مما نفعله أو نقوله من عيني اللاهوت، إذ " ليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف " . كل كلماتنا وأعمالنا سَتُعلن في يوم الدين. لذلك فالرياء مُتعب وبلا منفعة. يليق بنا أن نترك كعباد حقيقيين نخدم الله بلامح صريحة وواضحة [363].

القديس كيرلس الكبير

❖ الكل وى اللص "الرياء" يحمل كل شيء أمام عينيّه ويبتهج بذلك! يا لها من لصوصية جديدة من نوعها، تجتذب الناس وتبهجهم بينما هم يُسلبون! [364]

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَسْتَنْدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلَا يَثْبُتُ.

يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلَا يَقُومُ [15].

يفتخر الرائي بأعماله وينكل عليها، كما يمسك العنكبوت ببيته الواهي.

كما يظن العنكبوت أنه متحصن بنسجه الذي به يصطاد فريسته وهو لا يدرك أن نسيجه يُمكن أن يُكتسح بسهولة هكذا الإنسان الرائي يتحصن في شكلياته ومظاهر تقواه وإمكانياته، وإذا به يفقد كل شيء.

❖ " يستند إلى بيته فلا يثبت، يدعمه (بدعامة) فلا يقوم " [15]. كما أن بيت حياتنا الخرجية هو المبنى الذي يعيش فيه الجسم، هكذا بيت فكونا هو أي شيء يركز الذهن عليه... لأن كل شيء نحبه يكون بالنسبة لنا كما لو كان مسكناً يعطيه راحة. لذلك إذركز بولس قلبه على العلويات، فإنه وإن كان لا زال على الأرض فهو غريب عليها. "محادثتنا في السماء" (في 3: 20). أما ذهن الرائي فإنه في كل ما يفعله لا يفكر في شيء إلا في سمعته وشهرته...

النفس الخاوية إذ تجد نفسها لا تحتفظ بشيء في داخلها بالرغم من كل أتعابها، تطلب شهادة من الخرج...

ينكئ الرائي على هذا البيت من الإطراء باطلاً، لأنه في يوم الدينونة لن تثبت شهادة بشرية. فإن المديح الذي ناله شهادة له تقبله كأهولة له.

البابا غريغوريوس (الكبير)

المسيحي وهو يسلك على الأرض بروح المسؤولية والالتزام في كل ما يؤتمن عليه، يحمل لمسة سماوية في أفكره كما في أحاسيسه ومشاعره،

تورج في كلماته وسلوكه الظاهر. حياتنا هي مدرسة إلهية خلالها نتعلم ونترب على الحياة السماوية، في كل اتجاهات حياتنا.

❖ رُيدكم أن تحفظوا أذهانكم في هذه الأمور على النوام (كو 1:3). فإن اهتمامنا بها يحررنا من الأرض وينقلنا إلى السماء [365].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يحق لنا أن نكون هناك في حضرة الله في السموات، نحن الذين حفظنا الرس بينما كنا على الأرض، وذهبنا هناك إلى السماء كي نكون في محبة الله الأب، ذاك الذي عرفناه ونحن على الأرض، ولأن الله الكلمة القنوس صنع كل شيء وعلمنا ويعلمنا كل شيء، وهو يبرنا في كل الأمور الصالحة [366].

القديس إكليمنضس الإسكوري

❖

عندما تتحقق لادة الله بواسطتنا نحن الذين على الأرض كما تتحقق في الذين هم في السماء نتشبه بالسمايين إذ نحمل مثلهم صورة السموي (1 كو 49:15) (ورث ملكوت السموات (مت 34:25)). ويأتي الذين بعدنا وهم على الأرض يصلون لكي يتشبهوا بنا إذ نكون نحن في السماء (الغردوس) [3671].

العلامة أوريجينوس

هُوَ رَطَبٌ تَجَاهَ الشَّمْسِ،

وَعَلَى جَنْبِهِ تَنْبُتُ أَعْصَانُهُ [16].

جاء كلمة الله المتجسد "شمس البر" الذي يشوق على الجالسين في الظلمة ليتمتعوا بنور البر، فيصيروا أبناء النور، وأبناء النهار. الشمس التي نتقلنا من ظلمة القبر إلى نور السماء، تجفف العشب. هذا هو عمل السيد المسيح الذي أقام البشرية من موت الخطية ودخل بها إلى أحضان الأب، أما الجاحدون الذين يصرون على عدم الإيمان به، فيجفون ويتأهلون للنار الأبدية.

❖ "وى رطبا قبل مجيء الشمس". كثيرا ما يمثل الرب في الكتاب المقدس بلقب "الشمس"، كما قيل بالنبى: "ولكم أيها المتقون اسمي تشوق شمس البر" (مل 4: 2). الأثوار الذين يطوبون في الدينونة يوصفون في سفر الحكمة: "لقد ضللنا عن طريق الحق، ونور البر لم يشوق علينا، والشمس لم تشوق علينا" (حك 5: 6). لهذا فانه قبل الشمس وى الودى رطبا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَأَصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ،

فَتَرَى مَحَلَّ الْحِجَلَةِ [17].

يقيم منا حجر الزاوية حجرة حية مبنيين في بيت الرب، في الهيكل السموي. أما الأثوار فيتعثرون في حجر الزاوية، فيسقطون ويهلكون.

يستخدم الأب هيسيخيوس الأورشليمي الترجمة السبعينية (LXX)، بينما وجع البابا غريغوريوس (الكبير) للقولجاتا.

❖ "يسقط على كومة من الحجلة، ويحيا وسط صوان" ... يُشار إلى الناس في الكتاب المقدس بالحجلة، كما قيل للكنيسة المقدسة بإشعيا: "وأجعل شوفك ياقوتًا، وأوابك حجرة منحوتة (بهرمانية)" (إش 54: 12)...

عبر بطوس عن ذلك بتقديمه النصيحة: "كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجرة حية، بيتًا روحياً" (1 بط 2: 5). هنا إذ يدعوهم حجرة لم يدعهم بأي حال "حجرة حية"، إنما بالقلب المجرى للحجلة، إنه يقيم المفقودين والمختلين ممتوجين معًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "ينام على كومة من الحجلة، ويعيش بين الحصى" هذه تخص أولئك الذين تكلم عنهم إشعيا: "هيئوا طريق الشعب... نقوه من الحجلة" (إش 62: 10). وأيضاً: هيئوا الطريق، لرفعوا المعزة من طريق شعبي" (إش 57: 14؛ 1 مكابيين 5: 4؛ مز 140: 6). يستترف (العدو) ويجوح نفسه بموتٍ عضالٍ، عندما ننقي طرقنا من الشباك والحجلة المعزة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ أَقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ يَجْعَدُهُ قَائِلًا:

مَارَ أُيْتِكَ [18].

يقدم تشبيهاً آخر للوائى وهو الشجرة الجميلة المزهرة، التي تحتفظ بخضوتها بالرغم من أشعة الشمس، وجذورها ثابتة في التربة الصخرية، لا زوغها الرياح. هذه الشجرة متى ضربها الفأس تُستأصل تماماً ولا يبقى لها علامة في المكان الذي زرعت فيه. اللوائى كالشجرة التي يشتهي الكل أن يتمتع بمنظرها، لكن إذ ضرب الرياح كالفأس بجذورها، تفقد حيويتها وتُمَلِّها وجمالها. تصير كالعذرى

هذا هو حكم بلدد على أيوب الذي ينصحه أن يرجع عن شوه ويتوب ويتهمه بالشر والرياء. حكم عليه وهو لا يعلم ما في قلبه ولا ما في فكه، بل لا يعلم ما دار بين الله والشيطان في السماء.

❖ علي أي الأحوال فإن أيوب ليس بالإنسان الشوير، ولا بالجندي الشوير. على العكس يمكن للشخص أن يطبق عليه ما أضافه بلدد وهو غير منك أنه فيما هو يتهمه إذا به يصير مدافعاً عنه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ بالتأكيد عندما يظهر الكامل في الدينونة يرفع في الحال من حال البسطاء الموثولين ويمجدهم، ويحطم عظمة أصحاب الفكر الشوير ويدينهم... هكذا لا يمد الله يده للأشوار في الفكر حيث أن كل الذين يطلبون المجد الأرضي يتوكلهم أسفل، حتى وإن كانوا قد فعلوا أموراً صالحة، أي كان صلاحها، فانه لا يهبهم الأواح العلوية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عِنْدَمَا يَمْلَأُ فَمَكَ ضَحِكًا،

وَسَقَّتَيْكَ هَتَافًا [21].

يدعو بلدد أيوب لتترك الشر والسلوك في طريق الكمال، لكي يتمتع بالضحك الروحي، والفوح في الرب. هذا الفوح الذي ينعم به المؤمن الحقيقي، حيث يحمل في داخله ربنا يسوع مؤوح القلوب.

المسيحية دعوة للتمتع بوح السماء، فإن كان مسيحنًا قد قول من السماء متجسداً، إنما لكي يحملنا إلى سمواته عروساً متهللة بعريسها، لهذا يدعونا الرسول بولس وهو في السجن: "افرحوا في كل حين، وأقول يا إخوتي افرحوا".

❖ رى القديس أنبا أنطونيوس أن الفوح هو طعام النفس، بدونه تجوع وتموت. الفوح الداخلي السموي يسند النفس في تغربها عن موطنها السموي، ويهيئ الجسد ليحمل سمة أشبه بالروحانية، فيتبهاً ليصير جسداً روحانياً في يوم الرب العظيم.

❖ كما أن الأشجار إن لم تشوب من الماء لا يمكنها أن تنمو، هكذا النفس إن لم تقبل الفوح السموي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء. أما النفوس التي قبلت الروح والفوح السمائي فهي التي تستطيع الارتفاع إلى العلاء... فقد انكشفت لها أسرار ملكوت السموات وهي بعد في هذا الجسد، ووجدت دالة قدام الله في كل شيء، وكملت لها جميع طلباتها.

❖ النفس دائماً تتربى بهذا الفوح وتسعد به، وبه تصعد إلى السماء، فهي كالجسد لها غذؤها الروحي.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ من نظر في ذاته إلى ربنا، وامرّجت نفسه بنوره، يمتلئ قلبه بالفوح.

الشيخ الروحاني

❖ 23:21 لا يليق بالإنسان أن يضحك في كل الأوقات فيكون كحيوان ضاحك... فالأحمق يرفع صوته عندما يضحك" (ابن سواخ). أما الإنسان العاقل فيبتسم بشكل لا يلفت النظر...

ومن الجانب الآخر يليق بالإنسان ألا يكون مكتئباً متجهماً، بل فقط جاداً. لأنني أفضل لمن كانت له ملامح صلومة أن يبتسم.

[368]

. الابتسامه هي إحدى مبادئ التربية وموضوعاتها

القديس إكليمنضس السكثري

[369]

❖ الفوح الحقيقي هو فوح الحياة الأخرى، حيث لا تعذب النفس وتمتق بالشهوة

القديس يوحنا الذهبي الفم

[370]

❖ ملكوت الله داخلكم يعنى الفوح الذي يغرسه الروح القدس في قلوبكم، بكونه أيقونة وعربون للفوح الأبدي الذي تتمتع به نفوس القديسين .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ "أفواه المخلصين تمتلئ ضحكًا، وشفاهم بهجة . " انتبه يا بلدد، وبسوة تطلع إلي كلماتك وزنها... لكن "لا يمتلئ" بالحق إلا فيما بعد في الدهر الآتي، حيث تنتظر أبواب النعمة، وذلك بكونه إنسانًا مخلصًا. هناك أيضا سيتمتع بشفاه مملوءة بعمل النعمة، بمعنى مملوءة بالشكر لله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ أعلن المسيح عن الضحك الصادر عن الفوح والبهجة كما يقول الكتاب المقدس في أيوب: "يملأ الفم الحق ضحكًا" (أي 8: 21). ربما لهذا السبب دُعي اسم أحد الآباء (البطركة أي اسحق) "الضحك"، لأن الاسم يعني البهجة الإلهية [371].

العلامة أوريجينوس

❖ " عندما يملأ فاك ضحكًا، وشفقتك هتافًا" [21]. فم الأوار سيمتلئ ضحكًا عندما تكمل دوع رحلتهم، وستمتلئ قلوبهم بالكامل بهتاف الفوح الأبدي. بخصوص هذا الضحك يقول الحق لتلاميذه: "الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتوحدون والعالم يفرح. أنتم ستخرون ولكن خزكم يتحول إلى فوح" (يو 16: 20). مرة أخرى: "سراكم أيضا فتوح قلوبكم، ولا يزوع أحد فحكم منكم" (يو 16: 22). بخصوص هذا الضحك الذي للكنيسة المقدسة يقول سليمان: "تضحك في اليوم الأخير" (أم 31: 25). قيل أيضًا إن من يخاف الرب يسير ذلك معه حسنًا حتى النهاية. لا يوجد هناك ضحك الجسد، بل ضحك القلب...

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَلْبَسُ مُبْعَضُوكَ خَزِيًا،

أَمَّا خَيْمَةُ الْأَشْرَارِ فَلَا تَكُونُ [22].

❖ " يلبس مخاصموك خزياً "، سواء كانوا المنظورين أو غير المنظورين... فقد لبس المصري القوي عندمارأي يوسف (تك 39: 20-21). صلت إزرايل في نفس الوضع عندمارأت إيليا يشترك في وضع القديسين، ذلك الذي اضطهدته بطغيان (1 مل 19: 2)، أيضا المخاصمون لأيوب غير المنتصرين لبسوا أيضًا خزياً عندمارأوا أيوب متهللاً بين الملائكة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إذ يرون أمام عيون ذهنهم أفعالهم الشرة الماضية تتدفق، يلبسهم الإثم من كل ناحية، وينحدر بهم بثقله. عندئذ يعانون من ذكوى شرورهم وهم يُعاقبون.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 8

لأقتنك يا حكمة الله!

❖ حبك أترك إيلينا يا حكمة الله،

فأنت نوري وكزوي وسر فحي وسلامي.

اقتربت إليّ، واشتقت إلى السكنى في داخلي.
لندخل ولنقطن فيّ، فأقتنيك إلى الأبد.

❖ بدونك من يضبط لساني فلا يكون ثوثراً؟
أستطيع أن أروض الوحوش المفترسة،
لكن من يروض لساني غيرك؟
تشبع أعماقي بغناك، فلا أشعر بواغ.
أشبع بك، فلا أهرع إلى الأحاديث الباطلة.
تملأني بعيون مجدك، فلا أدين أحداً!
أقتنيك فأقتني الحب الإلهي.
أصمت، لأتكلم معك عن كل بشرٍ.
أحب، فأشتهي مجد كل إنسانٍ.

❖ لأقتنيك فأنت هو المصلوب،
أسلك كعضوٍ في كنيسة العروس المتألّمة.
أجد لذتي وغناي وفوحي في الصلب معك.
لن تجتذني الإغواءات الفلسفية الكاذبة،
ولا يفتنني عدو الخير بجحد الكنيسة عروسك.
ولا أطلب راحة زمنية وسعادة وقتيه على حساب المجد الأبدي.
تبقى كنيسة المتألّمة حاملة روح النصرة.
أنت في وسطها، فلن تزوغ إلى الأبد!

❖ لأقتنيك فأقدمك لكل خاطي جريح.
أقدمك بلغة الحب والتوفيق في حكمتك، لا بلغة النقد اللاذع والتجريح.
سرت عليّ، هب لي أن أستر إخوتي.
رفعتني من الجحيم إلى الفدوس، هب لي أن احتضن بالحب الساقطين معي.
عجيب هو خلاصك، وعجيبة هي حكمتك!
اجعلني بك حكيماً عجيباً في حبي لإخوتي!

❖ علمني يا أيها الحكمة الإلهي كيف أصلي إليك.
لتلهب قلبي بحبك، فلن أطلب إلا أن أقتنيك، وتقتنيك كل البشرية معي.
ماذا تقدم لي سوى سكنائك فيّ.

ماذا أتجى سوى أن أتحد معك.

أية مكافأة لي، إلا التمتع بك!

هب لي حكمتك، فأقتنيك، وبك اقتني كل شيء بحولك في داخلي!

❖ متى تأتي أيها الحكمة الإلهي،

فأنعم بأخوة مجيدة، أنعم بشركة الأمجاد السماوية.

تحملني إلى حضن الآب، فتستقر نفسي هناك أبدياً.

تتحول أتعابي إلى راحة سماوية، وآلامي إلى عنوبة دائمة،

وميتاتي اليومية إلى بهجة القيامة!

❖ هب لي يارب أن تشوق بنورك عليّ،

فأعرف أسورك الفائقة.

أختوها بغنى بنعمتك،

أنتوقها في حياتي كما خلال خوة آبائي.

لتعمل حكمتك فيّ كما في آبائي.

لا أن أتمسك بكلمات آبائي نون حياتهم.

هب لي قلباً مقدساً يتسلم الوديعه المقدسه،

ويُسلمها لا في حرفيات وشكليات،

بل بروح الحق والقداسه.

❖ لتروني من مياه روحك القنوس،

فأكون كشجرة الزيتون المغروسة في بيتك.

لن يقدر العدو أن يقترب إليها،

ولا لتجربه أن تفقدها حيويتها ونموها.

لرؤي بذكراك الدائمة، فلن يفرق اسمك شفتي.

ولا تُوع صورتك من قلبي!

أذكرك يوماً فأمتلى رجاءً.

اخترني فيك، فأجد أماناً وسلاماً.

عوض بيت العنكبوت الذي نسجته لنفسي،

استقر في أحضانك يا حصن حياتي.

❖ بك يا حكمة الله يزول عني كل رياء .
فلا أكون كالبردي الذي ينمو في مياه بها وحل،
بل كشجرة مغروسة على مجري مياه روحك القدس.
ولا أكون كالعنكبوت المحمي ببيت واه،
بل أقطن فيك يا مصدر كل أمان.
لا أكون كعشب تحرقه الشمس فتجففه،
بل أتمتع بنورك المشرق على أعماقي.
ولا أكون متعزًا بالحجرة في الطويق،
بل أصير حجرًا حيًا في الهيكل السموي.
ولا أكون كشجرة مورقة ضوب الفأس بجنورها،
بل شجرة زيتون مغروسة في بيتك المقدس.

❖ بك تتهمل نفسي،
بك أتمتع بعربون فوح السماء!
بك أصير العروس المقدسة الحكيمة.

❧

الأصاح التاسع

الحاجة إلى مُصالح وسيط

يجيب أيوب على بلدد في الأصحاحين التاسع والعاشر .

لم تُقدّم هذه الحوريات بلا هدف، فقد كان لكل صديقٍ لمسته الخاصة للمشكلة. أما أيوب صاحب المشكلة، فكان في جديّة يبحث عن حلٍّ أو آخر . يتكلم عن الله بوقارٍ، وعن نفسه في تواضعٍ، وعن متاعبه في انفعالٍ، لكنه لم ينطق بكلمةٍ واحدةٍ لتوبيخ أصدقائه، أو اتهامهم بالقسوة عليه. كما لم يجب مباشرة على بلدد.

يتفق أيوب مع بلدد في الخطوط الخاصة بأحكام الله السلوكية، ولكن كيف يمكن لنا الالتقاء مع الله وجهًا لوجه عندما تبدو أعماله وخطه فائقة؟ إنه نوماً يعجزنا بحكمته وقوته [٣-٤] . لكن خلال ما يعانيه أيوب يتطلع إلى الله فواه عنيقًا. حقًا إن الله يدبر الطبيعة ويهتم بها، ولكن هذا - في نظره - لا يهبه تفسؤًا لمشكلة الألم التي حلت به.

الآن بدأ أيوب بموافقة أصحابه على أنه لا يستطيع إنسان أن يكون بلاّ أمام الله، وعلى قول بلدد إن الله لا يوج القضاء (3:8).

ثم يتكلم عن **حكمة الله وقدرته** وقد استقاها أيوب من مملكة الطبيعة، التي يعمل فيها إله الطبيعة بقوة لا تقاوم. يفعل ما يرضيه وكل نظم الطبيعة وقواتها مستمدة منه، وتعتمد عليه. فهو يستطيع أن يفرج في الجبال ويجعل أعمدة الأرض تتوزل، ويتحكم في الشمس والنجوم. ثم يثبت **وَهُ** بقوله: "كامل أنا لا أبالي بنفسي، فذلت حياتي" [21]. أي أنه يتمسك بوه، ولو كلفه حياته، وينكر أيوب على بلدد قوله إن الله يميز في معاملته للناس بين الكامل والشوير (20:8). ثم يرجع أيوب إلى التأمل في حالته الخاصة [25-31]. إنه لا يمكن أن ينسى ألمه أو يتعلل بالرجاء، لأنه يشعر بأن الله يحكم عليه ولا زال يعامله كنجس.

وى أيوب أن الله قد طوحه كمن هو في غضبٍ شديدٍ من جهته، وأن رجاءه الوحيد هو أن يلتقي معه وجهًا لوجه ليحقق له العدالة، لكن لا زال غير الممكن الوصول إليه، حتى في المحكمة يتعامل الله معه كما لو كان قاضيًا غير عادلٍ. يكتشف الحاجة إلى **وسيط بين الله غير المنظور والناس**. اشتاق أيوب أن يجد هذا الوسيط الذي يستطيع أن يقدمه الله القدير. يترجى أيوب لو كان له وسيط لدى الله، أو يتخلى الله عن عصا سلطانه ويصير بشويًا لورة واحدة!

لم يكن ممكنًا لأيوب أن ينسى آلامه [25-28]، وأن الله يبدو كمن هو مصمم على إظهار أيوب أنه نجس ومذنب. يحاول أيوب أن يجعل من نفسه أن يكون أبيض كالثلج، وطاهراً كما بالزوافا [29-31].

لقد قدم لنا أيوب مفهومًا إنجيليًا صادقًا عن التطهير من الخطايا.

طلب أن وى الله مذلته، ويتطلع إلى حالته بعين الشفقة، وأن يمنحه الله بعض الراحة، ثم يتأمل في إمكانية إيجاد المصالحة [32-39]. وإنما يجد صعوبة في أن معاملته ليست مع إنسان مثله بل مع الله، ويشعر أن كل محاولة يثبت بها أنه ويء عقيمة، لذا يتوق إلى **مُصالح حكيم يوفق بينهما** ويصالحهما [33].

يشتكى أيوب من الله فيتحدث عنه بصيغة الغائب. كيف الحوار معه، وهو لا يسمع ولا يحلور، وإن الله يجلي البار والخاطئ على السواء، حين تأتي الكثرة ويُقتل الأبرياء، يهزأ الله بالضيقات التي تصيبهم [32-33]. إنه في حوة عظيمة بين الشعور بظلم الله ونوه وبين تذكر الشوكة المباركة معه في الماضي. واضح إن مشاعر أيوب تنطوي على **شيين متناقضين** فهو يعتقد أنه على صواب، ولكنه لا يعرف كيف يثبت ذلك، فحتى الآن لم يوجه إليه اتهام محدد من الله. وفي نفس الوقت إذا دخل في مواجهة مع الله يخشى ألا يتمكن من الدفاع عن نفسه بنجاح.

1. لن يتبرر أحد أمام الله 1-2.

2. الوهان على ذلك 3-13.

3. عجزه عن أن يحاجج الله 14-21.

4. لا نحكم حسب الظاهر 22-24.

5. هول متاعبه وحيرته 25-31.

6. الحاجة إلى وسيط 32-35.

1. لن يتبرر أحد أمام الله

فَقَالَ أَيُّوبُ: [1]

صَحِيحٌ. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَّاءٌ.

فَكَيْفَ يَتَّبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ [2]

لم يدافع أيوب عن اتهام بلدد له بكثرة الكلام (أي 8: 2). كذلك كشف له أنه يتفق معه في مبدأ: "الله لا يوج القضاء، وأن الأتقياء محفوظون

بعناية الله، وأن الشوير يهلك بشوه".

لكنه تساءل: "كيف يتبرر الإنسان عند الله؟". لا يحمل هذا التساؤل روح التذمر، ولا يحمل ثرة ضد صوامه الله، وإنما هو اعتراف بالواقع أن الله إن عاملنا حسب استحقاقنا لهلك كل البشر، لأنه ليس بار في عيني الله، ليس ولا واحد.

إذا ما تطلع أيوب إلى نفسه مقلناً نفسه بمن هم حوله وى أنه بار، لكن إذ يتطلع إلى الله القنوس البار، يجد نفسه ليس بطاهر، ولا يقدر أن يتبرر أمامه. فإنه حتى ملائكته القديسين لن يتبرروا أمامه. يقول المزل: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143:2). لن يقدر أحد أن يتبرر أمام الله سوى كلمته الألي الذي صار إنساناً بلا خطية وحده، من يختفي فيه يحمل وه، فيتبرر أمام الرب. يقول الرسول: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وواً وقداصةً وفداءً" (1 كو 1:30)، "وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البرّ وقداصة الحق" (أف 4:24).

❖ انظروا كيف يعترف أيوب أيضاً بخطاياها (9: 2-3، 19-20، 30؛ 13: 26-14:5، 14:16، 17). يقول أنه متأكد أنه لا يوجد بار أمام الرب. هكذا هو متأكد من هذا أيضاً أننا إن قلنا إننا بلا خطية، فالحق ليس فينا. بينما يقدم الله شهادة سامية عن وه بالنسبة لمسوى السلوك البشوي، إلا أن أيوب نفسه يعرف الحقيقة أنها هكذا حيث يقول: كيف يتبرر المائت أمام الرب؟ إن شاء أن يحاجه لا يقدر أن يجيبه". [372]

القديس أغسطس

❖ زاه من خلال كلماته يعبر عن نفسه بطريقة رائعة بكونه ورعاً وفاضلاً، إذ يقدم سلوكه كتقدمه الله، مكيفاً كلماته لحساب مجد الله. حتى عندما يتكلم من نفسه، أو عند إثارة زوجته له، وعندما أغضبه أصدقؤه، بل وعندما سحب الواشي (إبليس) حنجرته ليجدف، لم يتوقف البار عن تمجيد الله. "أبلك الرب في كل حين" (مز 34:1).

بطريقة أفضل صحح أيوب كلمات أصحابه الذين أهانوه، مولاً كل ما نطقوا به ضد المصلوع في حقدٍ واستخفافٍ نحو أيوب البلع إلى بوكة من أجل الله. إن قلت: كيف ذلك؟ تعلم هذا، فإن بلدد بنية حاقدة في عيلته بدأ بهذه المقدمة: "هل الرب يوج القضاء أو الصانع كل الأشياء يعكس الحق؟" (8: 3) ماذا يمكن لأيوب أن يقول عن هذا؟ كيف يجيب خصمه مولاً بطريقة عجيبة ما قد عني به أن يصوعه؟ لنصغ، "فأجاب أيوب وقال: "صحيح قد عرفت أنه كذا. فكيف يتبرر الإنسان المائت عند الرب؟" [1-2].

لماذا تهين أيوب كمن هو ليس ببار؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ أجابهم أيوب: "صحيح، قد علمت إنه كذا. فكيف يتبرر الإنسان المائت عند الله؟ لأنه إن شاء أن يحاجه لا يسمعه، فلا يجيبه عن كلمة واحدة بألف كلمة، لأنه حكيم في فهمه وقوي وعظيم، فمن هو صلب بما فيه كفاية حتى يقوى على الوقوف أمامه؟ الذي يجعل الجبال تشيخ وهي لا تعلم! والذي يقلبها في غضبه. الزروع الأرض من أساساتها، فترؤل أعمدتها! يتحدث إلى الشمس، فلا تشرق ويضع ختمه على النجوم. الباسط السموات وحده Pleiades والماشي على البحر كما على أرض ممهدة، صانع النعش (أو العاس) [373] ونجمة المساء Evening star والذب الجبار (العظيم) Great Bear ومخادع الخيول.

فاعل عظام لا تُفحص، وعجائب لا تعد، مجيدة وبلا قياس ولا عدد. إن مرّ عليّ لا أراه، وإن اجتاز بي فلا أترك كيف؟" (أي 9:2-11 LXX). كم كان بوقه أهوى، حينما جعله يهتف بخصوص قوة الرب! لكن في هذه القوة ينال البار عوناً لا هلاكاً. حقاً بينما تبدو أنها قوة الرب هي التي توصف، إذا في الحقيقة أسرار فدائنا تُستعلن! [374]

القديس أمبروسيوس

❖ إنه الكنز الذي أعطي لهم في هذه الحياة ليمتلكوه في داخل نفوسهم، الذي " صار لنا حكمة من الله وواً وقداصةً وفداءً" (1 كو 1:30). فالذي وجد كنز

الروح السموي وامتلكه يتم به كل برّ الوصية وكل تتميم الفضائل بنقوة وبلا لوم، بل بسهولة وبدون تعصب.

لذلك فلنتزوج إلى الله، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكي ما نستطيع أن نسلك في وصاياه كلها بطهارة وبلا لوم، ونتمم كل برّ الروح بنقوة وكمال، بواسطة الكنز السموي، الذي هو المسيح ^[375].

القديس مقاريوس الكبير

❖ إذ يخضع الإنسان لله يتقبل وراً، أما من يقف أمامه فيفقد البرّ. فإن من يقرن نفسه بمصدر كل الخوات، يحرم نفسه من الصلاح الذي ناله. من ينسب لنفسه البركات الموهوبة له من الله يحلب الله بذات عطايا الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ برّ الله هو المسيح، يقول الرسول: "صار لنا من الله حكمة ووراً وقداسة وفداء؛ كما هو مكتوب "من يفتخر فليفتخر في الرب". برّ الله الذي هو عطية النعمة بدون استحقاقات، لا يُعرف بواسطة أولئك الذين يريدون أن يُقيموا وهم الذاتي، فلا يخضعون لبرّ الله الذي هو المسيح.

في هذا البرّ نجد غنى عبودية الله التي يقول عنها المزمور: "ثوقوا وانظروا ما أعذب الرب" (مز 8:43) ^[376].

القديس أغسطينوس

2. الرهان على ذلك

إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ [3].

لا يستطيع إنسان ما أن يبلي خالقه في المناقشة أو في النضال. لا يقدر الإنسان أن يجيب عن سؤال واحد من بين كل ألف سؤال يقدمه الله له. لقد تكلم الله مع أيوب وعرض عليه عدة أسئلة، ووقف أيوب عاجزاً عن الإجابة عن أي سؤال منها (أي 38، 39). هكذا تقف حكمة الإنسان صامته في عجز أمام حكمة الله الفائقة.

يوجه الله إلى الإنسان ألف اتهام، ولا يجد الإنسان إجابة ليبر ما يفعله ولو في أمر واحد من الألف، لأن الله لا يخطئ في حكمه. وهو يعرف أعماقنا أكثر من معرفتنا نحن لأنفسنا. ليس لنا إلا أن نضع أيدينا على أفواهنا كما فعل أيوب (أي 40: 4-5).

❖ ألم اعترف لك بمعاصي، يا إلهي، وأنت زعت أثم قلبي؟ إنني لا أناضل في المحاكمة معك، إذ أنت هو الحق. لست أود أن أخدع نفسي، لئلا يقف إثمي ضد نفسه. لذلك لست أجادل في أحكامك، لأنك "إن كنت تراقب الآثام يارب فمن يقف؟" (مز 130: 3) ^[377].

❖ لست أجادل في المحاكمة معك، يا من أنت هو الحق. لن أخدع نفسي، لئلا تقف آثامي ضد الحق. لذلك لن أناضل في المحاكمة معك. لأنك إن كنت تراقب الآثام يارب فمن يقف أمامك؟ (مز 130: 3) ^[378].

❖ الله وحده هو البار والذي يبرر، يهب الإنسان البرّ.

إنهم يطلبون أن يُثبتوا برّ أنفسهم، بمعنى أنهم يظنون بأن الصلاح هو من عندهم لا عطية إلهية. بهذا "لم يخضعوا لبرّ الله" (رو 10: 3)، لأنهم متكبرون ويحسبون أنهم قادرين على لرضاء الله بنواتهم لا بما لله ^[379].

القديس أغسطينوس

❖ في الكتاب المقدس رقم 1000 عادة ما يشير إلى "المجموع الكلي"... يقول المثل: "الكلمة التي أوصي بها ألف جيل" (مز 105: 8) ... هكذا قيل ببوحنا الرائي: "يملك معه ألف سنة" (رو 20: 6)، لأن ملك الكنيسة المقدسة يتم حيث يصير كاملاً في مجموعه...

الآن من يناضل مع الله لا يُنتسب إليه، بل ينسب لنفسه مجد صلاحه. ليت الإنسان القديس يعتبر أن ما قد ناله فعلاً حتى أعظم العطايا أهمية

إنما إذا تمجد إنما بسبب ما ناله كهبة... وليقل: "من يحتاجه لا يقدر أن يجيب واحد عن ألف". لأن من يناضل مع خالقه يعجز عن الإجابة عليه عن واحد من ألف. فإن الإنسان الذي يضع نفسه في موضع الكمال يوهن على أنه ينقصه حتى بداية الحياة الصالحة نفسها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "إن كنت واثق بالآثام يارب، يارب فمن يقف؟" (مز 130:3). بمعنى أن كل أحد يقول: "أنا خاطي، إني مملوء بخطايا بلا حساب، لا أقدر أن أقرب إلى الله وأصلي وأدعوه"... إنه مستحيل بالنسبة لأي أحد أن يقدم حساباً دقيقاً عن شئونه، وإنما يطلب الرحمة والحنو. نقول هذا، لا لنسحب النفوس إلى عدم المبالاة، بل لنقدم تغرية لأولئك الذين سقطوا في اليأس. "من يقول: إني زكيت قلبي، وتطهرت من خطيبي" (أم 9:20) فليتذكر: "من يثق في أنه حرّ من الخطايا؟" [380]

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ.

مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟ [4]

إن تجاسر أحد وأصر على عناده وتعوده على الله، حتماً يجني ثمر حماقته. كل الذين تحنوا ولم يتوبوا لم يسلموا، ولا وجنوا سلاماً في أعماقهم، وراحة في طريقتهم، ونجاحاً في أعمالهم. كل مقومة الله تشبه العشب أو الشوك الذي يتحدى النار فيحترق ويهلك (إش 27: 4؛ حز 28: 24). الملائكة الذين تصلبوا على الله لم يسلموا (2 بط 2: 4). وإذ حارب التنتين الله طُوح إلى الأرض (رؤ 12: 7-9). هكذا الخطاة المتوحدون "ينذرون لأنفسهم غضباً في يوم الغضب" (رو 2: 5).

إنه لجنون مطبق أن يقف الإنسان ليقاوم الله أو يناضل ضد الكلي الحكمة والقوة، العرف بكل شيء والقادر على كل شيء.

من يريد السلام الحقيقي لا يدخل في خصومة مع الله، بل يقبل السيد المسيح الذي هو سلامنا، يهبنا المصالحة مع الله أبيه، ومع نفوسنا ومع إخوتنا، بل ومع الطبيعة نفسها.

❖ " فإنه هو حكيم في القلب، وقدير في القوة ". أي عجب إن دعونا خالق الحكماء حكيمًا ، هذا الذي نعرف أنه الحكمة ذاتها؟ وأي دهشة أن يصفه بـ "القدير "، حيث أنه هو القوة ذاتها؟ لكن القدّيس إذ يسبّح الخالق بهاتين الكلمتين ينقل إلينا المعنى حيث يدعونا أن نوتعب عند معرفتنا لأنفسنا. فإن الله يدعى "الحكيم " إذ يعرف تماماً أسوار قلوبنا، كما يضيف "القدير "، إذ معروف أنه يضوبهم بقوة. لذلك فإنه لا يُدخَع بواسطة إذ هو حكيم، ولا نقدر أن نهرب منه لأنه قوي...

" من يقاومه ويكون له سلام؟ " لأن خالق كل الأشياء بطريقة عجيبة هو نفسه يدها، حتى إذ خلقت تعمل معاً في تناغم. لهذا فإن أية مقاومة ضد الله تكسر التناغم معاً في سلام، ولا يمكن إدرة هذه الأمور حسناً، إذ تفقد الإدرة التي من فوق. إن خضعت هذه الأمور لله تستمر في السلام، وإن تركت لذاتها تعمل في تشويش... أب الجنس البشري الأول إذ عصى وصية خالقه تعرض لغرسة الجسد، وإذا لم يخضع لخالقه في طاعة له، ينحط بذاته حتى يفقد سلام الجسد...

الآن يُقال إننا نقاوم الله حينما نعرض تديبه. ليس أن ضعفنا يقاوم قوّاته غير المتغورة، ولكن ما يفعله ضعفنا ليس فيه قوّة لإتمامه. لكن إن حاول الضعف البشري غالباً ما يعرف قوّة تديبه، ومع هذا يهدف نحو معارضته قدر استطاعته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[381]

❖ من يطلب السلام يطلب المسيح، إذ هو السلام .

القدّيس باسيليوس الكبير

❖ يقول: " (المسيح) هو سلامنا" (أف 14:2). يدعو في موضع آخر وسيطاً. إنه بل أدته يتوسط بين مجالين منقسمين.

النفوس المولودة من ينوع صلاح الله، حُجرت في العالم. وُجد حاجز في الوسط، فوع من السياج. حاجز من صنع خداعات الجسد والشهوات العالمية. والمسيح بسّوه، بصليبه وآلامه وطريق حياته، حطم هذا الحاجز. لقد هزم الخطية وعلم أنه يؤم تحطيمها. فوع الحاجز من الوسط. لقد غلب العدو في جسده. العمل ليس عملنا نحن. لم نُدع لنحرر أنفسنا. [\[382\]](#) الإيمان بالمسيح هو خلاصنا.

الأب ماريوس فيكتورينوس

المُزْهِجُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ،
الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ [5].

كثوًا ما نتطلع إلى الجبال في الطبيعة فنظنها ثابتة ومستوية، ليس من يقدر أن يحركها أو يوحزها، لذا دُعيت "الجبال الدهوية" (حب 3: 6)، وتبدو الشمس والمسكونة بقوانينها ثابتة، لكن عندما يشاء الرب السماء والأرض تتولان، وأيضًا الجبال توحز بكلمة منه. إلهنا هو "المزحج الجبال ولا تعلم"، أي إن رأدت أو لم تود. هو إله المستحيلات، أمامه ارتعد جبل سيناء (مز 68: 7)، وقوت الجبال (مز 114: 4)، واندكت أو تبددت الجبال الدهوية (حب 3: 6).

"تهتز الجبال من أساسها مع المياه، والصخور كالشمع تنوب أمام وجهك" (يهوديت 18:16).
"ارتجفت الأرض وارتعشت، أسس الجبال ارتعدت وارتجت، لأنه غضب" (مز 7:18)
"ثابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام سيد الأرض كلها" (مز 5:97)
"يمس الجبال فتدخن" (مز 32:104).
"الجبال قفرت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم" (مز 4:114).
"انزل ألمس الجبال فتدخن" (مز 5:144).

❖ ما هي الجبال التي جعلها الرب تشيخ؟ إنها موسى وهرون ويشوع بن نون وجدعون والأنبياء وكل رجال أسفار العهد القديم. لقد جاء الرب يسوع، واحضر العهد الجديد، وما قد صنعه (قبلاً) صار قديمًا. تجدد المسيحي وشاخ اليهودي؛ النعمة تجددت، والحرف شاخ. لقد توحزت الجبال وانتقلت. نعم لقد زوح المفهوم الذي بحسب الحرف، وهدمه، وأقام الإروك الذي بحسب الروح. لهذا فإن فهم الناموس حسب الجسد قد عبر وصار الناموس روحيًا. لهذا يقول الرسول: "فإننا نعلم أن الناموس روحي، وأما أنا فجسدي" (رو 7: 14). ولكن هو نفسه الذي كان جسديًا صار روحيًا، كما يؤكد الرسول قائلاً: "أظن إني أنا أيضًا عندي روح الله" (1 كو 7: 40). هكذا جعل يسوع هذه الجبال تشيخ ولم يعلم اليهود ذلك. حقًا لو عرفوا ذلك لما صلوا رب المجد، ولما اتبعوا الخرافات اليهودية. [\[383\]](#)

القديس أمبروسيو

❖ نقول إن اليهود، بالرغم من سابق تمتعهم بعطف الله إذ كانوا محبوبين منه أكثر من غوهم، إلا أن هذا التدبير والنعمة الإلهيين قد تحولا إلينا، عندما نقل يسوع السلطان العامل بين اليهود إلى مؤمني الأمم. [\[384\]](#)

❖ عندما خاطب يسوع اليهود بقوله: "ملكوت الله يزوع منكم، ويُعطي لأمة تعمل أثممه" (مت 21: 43)، فأبي تدبير آخر كان بسلطانه الإلهي مزعمًا تقديمه، غير أنه دفع الكتاب اليهودي بأكمله - الذي كان يتضمن أسوار ملكوت الله - إلى داوة الضوء. [\[385\]](#)

❖ نحن الذين نُقلنا من الناموس والأنبياء إلى الإنجيل، قد أعيد ختانا (يش 7: 5) (بالصخرة) التي هي المسيح (1 كو 4: 10)، فتحققت فينا كلمة الرب ليثوع، "اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر" (يش 9: 5). [\[386\]](#)

العلامة أوريجينوس

❖ يقول: الجبال لا تعرف ذلك. وكما قال داود: "يمس الجبال فتدخن" (مز 104: 32). يتحدث في هذه العبارة عن قوة الله قائلاً إنه قادر أن يفعل كل شيء في قوة غضبه. فإن أيوب يقدم شهادة عن عدله، كما يقدم شهادة أيضاً عن قوته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " يستخدم الجبال وهي لا تعلم، الذي يقلبها في سخطه". "يستخدم" الجبال المنظورة بالحق عندما يريد أن يغير وجه الخليقة المنظورة. لكنه ليس بالأمر العجيب لهذه (الجبال) التي لا تعرف أنها "تستخدم"، لأنها لم تُمنح عقلاً مثل الكائنات البشرية والملائكة الأحياء. لذلك يدعو أيوب قوة الشياطين المتعروفة جبلاً. لهذا فإن رميا النبي يدعو الواشي (إبليس) "جبل الفساد الذي يفسد كل الأرض" (إر 28 [35]: 25). لأن فساد الشياطين خسيس. فمع أنهم مملعون خداعاً لا يستطيعون أن يبلغوا أفكار الله، إذ يريد أن يخفي أفكاره عنهم، ولا أتركوا السقوط الذي حل بهم. ما يقوله بولس هو مثال لهذا: "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بل نتكلم بحكمة الله في سرّ. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا. التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لم صلوا رب المجد" (1 كو 2: 6-8).

ذاك الذي يستخدم هذه (القوات) في صواعات سرّ الصلب، هو نفسه الذي خلقهم (كو 1: 16)، وأهلكهم (عا 3: 14)، وليس فقط أهلهم بل و"في غضبه" دمر مذابحهم، وبدد هياكلهم، وأتلف تماثيلهم. في نصوة، زع مجدهم (كو 2: 15)، فإنه ليس فقط اغتصبت الشياطين المجد (رؤ 13: 4-8)، إذ كان يجب ألا يفعلوا هذا، إنما أيضاً أفسدوا البشوية معهم. ولكن في أي وقت يحل بهم الدمار الحقيقي العادل، كما في سخطٍ كاملٍ؟ عندما ينتهي هذا العالم المنظور. على أي الأحوال، إن قلتم، كيف يفعل هذا؟ فستعلمون ذلك من الآتي: "الزروع الأرض من مؤها" [6].

الأب هيسخيوس الأورشليمي

الله في محبته للبشوية يقيم من مؤمنيه الحقيقيين جبلاً مقدسة ثابتة، تكون كجبل سيناء حيث يظهر عليه الرب ويقدم شريعته لموسى، أو كجبل تابور حيث يتجلى عليه في وسط كنيسة التي تضم رجال العهد القديم، ممثلين في موسى وإيليا، ورجال العهد الجديد ممثلين في بطرس ويعقوب ويوحنا. من الجانب الآخر فإن الأشرار المقولمين للرب، غير الخاضعين له، وإن كانوا يظنون في أنفسهم أنهم جبال راسخة، فإن أساساتهم ترتعد أمام الرب في غضبه، ووجوه وجفهم، يمسهم بغضبه فيدخنون. تقفز مثل الكباش من أمام وجهه، وتنوب كالشمع أمام النار.

❖ "ارتجت الأرض وارتعشت" (مز 7: 18). عندما تمجدّ ابن الإنسان هكذا ارتج الخطاة وارتعشوا. "أسس الجبال ارتعدت" (مز 7: 18)، فإن رجاء

المتكبرين الذين كانوا في هذه الحياة قد ارتعد. وارتجت لأنه غضب". هذا هو الرجاء في الوكات الوهمية، لم يعد بعد متأسماً في قلوب

[\[387\]](#)
الناس .

❖ "ذابت التلال مثل الشمع قدام الرب" (مز 5: 97). من هم التلال؟ المتكبرون. كل شيء يرتفع ضد الله خلال المسيح والمسيحيين يرتعب ويخضع...

أين تشامخ القوات؟ أين قسوة غير المؤمنين؟ كان الرب بالنسبة لهم نراً، فذاوا عند حضوته مثل الشمع. كانوا قساة حتى عملت النار.

القديس أغسطينوس

❖ "ذابت الجبال مثل الشمع" (مز 5: 97). بالنسبة لي تبدو الجبال أنها قوات الشياطين. سواء كانوا جبلاً أو لا يكونون، فهم بالتأكيد الناس المتكبرون.

هذه النار لا تهلك الذين في الأسفل (المواضعين) وإنما تهلك المتشامخين وحدهم. كحقيقة واقعة فإن البرق ناوياً ما يؤثر على الذين هم في

الوادي، وإنما لن ينجو منه أولئك الذين في الأعالي على الجبال.

القديس جيروم

يقدم لنا القديس أمبروسيوس مفهوماً رائعاً عن زحوة الجبال وهي لا تعلم، فإنه إذ جاء إلى العالم حرك الجبال المقدسة، حيث حرك مفاهيمنا

عن موسى النبي مستلم الشريعة وعن الأنبياء ورجال العهد القديم. حركها من الفكر اليهودي الحرفي لتتسلّمها نحن بالروح خلال الإنجيل. فمع تمسك اليهود بالشريعة والآباء والأنبياء، لكنهم لا يعلمون سرّ الله وحكمته الخفية، لأنهم لازالوا يرونهم خلال الوقع الموضوع على وجه موسى. لقد تحرك هذا كله ليكون نصيبنا، فنرك ونعلم سرّ خطة الله الألفية وحكمته الفائقة وتديبه لخلّصنا. هذا ما كان يعتز به الرسول بولس بعدما التقى بالسيد المسيح وتوحّرت الجبال بالنسبة له، وصلت له رواية بالسرّ الإلهي، فلم يستطع أن يصمت.

"الذي بحسبه حينما تؤولونه تقررون أن تفهموا روايتي بسرّ المسيح" (أف 3:4).

"ليفتح الرب لنا باباً لنتكلم بسرّ المسيح" (كو 3:4).

"لكي تتغوى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة سرّ الله الآب والمسيح" (كو 2:2).

وأنير الجميع في ما هو شوكة السرّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أف 3:9).

الْوَعُوعُ الْأَرْضُ مِنْ مَوْهًا،

فَتَتَرَلُّزُ أَعْمَدَتُهَا [6].

إن كانت الأرض تبدو كأنها مستوية على أعمدة ليس من يقدر أن زوعها، فإنها بأمر خالقها تَوَعُوعُ، وليس ما يوجد من يدعمها.

من الجانب الوزني، رأينا أن الجبال تتزوح بمعنى أن المتشامخين الذين يسكنون قمم الجبال يتعرضون للدمار خلال البروق الإلهية. هذا ومن جانب آخر، فإن الناموس والآباء والأنبياء هم جبال مقدسة عالية، تتحرك من أيدي اليهود الحرفيين في فهمهم إلى أبناء العهد الجديد الذين انكشفت لهم

الحكمة الإلهية، وتعرّفوا على سرّ المسيح المكتوم. بنفس المنطق بالنسبة للأرض فإنها تشير إلى الأثار الذين صاروا آباءً كأبيهم آدم الأول، حيث قيل له: أنت زاب، وإلى الزاب تعود". الآن إذ قول السموي إلى أرضنا، وحل بيننا، صار كواحد منا، صونا نتمتع بالحياة السماوية، فنسمع الصوت الإلهي:

"أنت سماء وإلى السماء تعود".

وحل بيننا، وصار كواحد منا، صونا نتمتع بالحياة السماوية، فنسمع الصوت الإلهي: "أنت سماء وإلى السماء تعود".

❖ قائد المئة الغريب يعرف، بينما اللوي الذي من خاصته لم يعرف. الأممي سجد له، والعواني جده. لهذا فإنه ليس بالأمر غير المعقول أن أعمدة العالم قد تحركت (أي 9: 6) عندما لم يؤمن رؤساء الكهنة.

لقد تحركت الأعمدة لكي تحتل مكانها أعمدة جديدة. كما لو ان الله نفسه حسب ذلك لائقاً أن يقول: "أنا أقمّت أعمدتها" (مز 75: 3). تعلموا أية

أعمدة أقامها: "يعقوب وصفا ويوحنا المعنّيون أنهم أعمدة أعطوني ورونا يمين الشوكة" (غلا 2: 9) [388].

القديس أمبروسيو

❖ بالأواني والدلو يكيل الماء الخرج من الينابيع الطبيعية، أما الماء النابع من الينابيع الروحية فإنه يقاس بفهمنا ورغبتنا المتقدة ووقلنا، بهذا نقرب إليها. من يسلك بهذا الترتيب يحمل في الحال بوكات لا تعد، حيث تعمل نعمة الله فيه بطريقة غير منظورة، وتخفف عبء ضموره، وتأتي به إلى

آمان وفير، وتعد بعد ذلك لكي ينسحب من شاطئ الأرض، ويحمل موساة السماء. فإنه يمكن للإنسان الذي لا زال يحتضن جسده ألا يكون له شيء

يتعلق بالأرض، بل يضع أمام عينيه كل مباهج السماء ويتأملها بلا انقطاع [389].

❖ ريدكم أن تحفظوا أذهانكم في هذه الأمور على النوام (كو 1: 3). فإن اهتمامنا بها يحررنا من الأرض وينقلنا إلى السماء [390].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يحق لنا أن نكون هناك في حضرة الله في السموات، نحن الذين حفظنا الروس بينما كنا على الأرض، وذهبتنا هناك إلى السماء كي نكون في محبة

الله الآب، ذاك الذي عرفناه ونحن على الأرض، ولأن الله الكلمة القنوس صنع كل شيء وعلمنا ويعلمنا كل شيء، وهو يبرنا في كل الأمور

[391]

القديس إكليمنضس السكثري

- ❖ ترك إواهم مدينته وأقربه بناء على أمرٍ إلهي، لكن هجرته كانت تناسبه كنبى، هدفها طلب معرفة الله. بالحق لم تكن هجرة جسدية - كما أظن - إنما كانت تُعدُّ لمعونة تلك الأمور التي تكتشفها الروح. بتوكه وطنه، أي خروجه من ذاته، خرج دائرة الأفكار الدنيئة والأرضية، رفع إواهم ذهنه قدر المستطاع فوق الحدود العامة للطبيعة البشرية، وتخلي عن ارتباط النفس بالحواس.

هكذا إذ لم تعقه تعلقات الحواس، صار عقله نقيًا، يدرك ما هو غير منظور، ولم يعد السمع والنظر يسببان لذهنه خطأ بسبب المظاهر .

[392]

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

- ❖ عندما تتحقق رادة الله بواسطتنا نحن الذين على الأرض كما تتحقق في الذين هم في السماء نتشبه بالسمايين إذ نحمل مثلهم صورة السموي (1 كو 49:15) وفوت ملكوت السموات (مت 34:25). ويأتي الذين بعدنا وهم على الأرض يصلون لكي يتشبهوا بنا إذ نكون نحن في السماء (الفرس) [393].

العلامة أوريغينوس

- ❖ يجب أن نتوقوا إلى السماء، والأمور التي في السماء، بل حتى قبل السماء، فقد أمرنا أن نجعل الأرض سماءً، وأن نتصوف ونتحدث في كل الأمور كما لو كنا نتحدث هناك، بينما نحن على الأرض. هذا أيضًا يجب أن يكون غاية صلاتنا التي نقدمها للرب. فلا شيء يُعيق وصولنا إلى كمال القوى العلية لأننا نقطن على الأرض؛ إنما من الممكن حتى ونحن نسكن هنا أن نفعل كل شيء كما لو كنا قاطنين سلفًا في الأعلى [394].
- ❖ حقًا لقد جاء السيد ليُلغي الأمور القديمة ويدعونا إلى وطن أعظم.

إنه يصنع كل شيء ليعتقنا من الأمور غير الضرورية، ومن عاطفتنا نحو الأرض. لهذا السبب أشار إلى الوثنيين أيضًا قائلاً: "إن هذه كلها تطلبها الأمم" (مت 33:6)؛ التي تقدم تعبها كله من أجل الحياة الحاضرة، ولا تبالي بالأمور المقبلة، ولا بأي فكر سموي [395].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الأمير الشمس فلا تشرق،

ويختم على النجوم [7].

لا يتوقع أحد ما ألا تشرق الشمس في موعدها، إذ وضع لها الرب قوانين ثابتة. لكنه إن شاء فلا تشرق. مرة أمر أن تقف لخدمة شعبه فوقفت (يش 10: 12). ما حدث في أيام يشوع بن نون يعلن عمل الله العجيب خلال خدامه، وكما يقول القديس أثاناسيوس الرسولي: [إن كانت الشمس قد توقفت في جبعون، والقمر في وادي إيلون إلا أن هذا العمل ليس عمل ابن نون، بل عمل الرب الذي سمع الصلاة، هذا الذي انتهر البحر، وعلى الصليب جعل الشمس تظلم (مت 27: 45) [396].

مرة أخرى طلب الله أن تزاجع الشمس فأطاعت الأمر الإلهي (2 مل 20: 9). هكذا أيضًا بالنسبة للنجوم فهو وحده يقدر أن يختمها أو يخفيها عن أعيننا.

الله برادته يحفظ نظام سير الطبيعة كامتداد لعملية الخلق، وكعمل من أعمال عناية الإلهية.

الباسط السموات وحده،

والماشي على أعالي البحر [8].

الله الذي خلق الكون يحفظ ناموس الطبيعة فتبقى السموات مبسوطة، وبدون عنايته لانهار نظامها. إنه يطأ البحار بقدميه ويمنعها من أن "تُرجع لتغطي الأرض" (مز 104: 9). إنه يسير على الأمواج الهائجة، معلناً أنه وحده يهدئ كل أمواج التجرب التاؤدة ضدنا.

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه ليس من وجه للمقارنة بين ما فعله موسى النبي أثناء عبور البحر الأحمر وسير السيد المسيح على الماء. فما فعله موسى مرسه كخادمٍ خلال الصلاة، أما السيد المسيح فبسلطانٍ مطلقٍ. عندما هبت الريح عبروا تحت قيادة موسى على أرض جافة وسط البحر (خر 14: 21)، أما السيد المسيح فسار على سطح البحر كما على طويقٍ، ليشهد عن ما ورد في الكتاب المقدس "السائر على البحر كما على رصيف" [397].

❖ "الباسط السموات وحده" [8] [بماذا يشير بالسموات إلا إلى الحياة السماوية ذاتها التي للكازين، الذين قال عنهم الموثل: "السموات تعلن مجد الله" (مز 19: 1)].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يعلمنا إنجيل الرب أنه ليس الآب بل الابن هو الذي مشى على البحر عندما سأله بطرس قائلاً: "موني أن آتي إليك على الماء" (مت 28: 14) [398].

❖ إنه الرب الذي يختم ويحصي حشد الكواكب (أي 9: 6). هو وحده الذي يبسط السماء، وقد سار على البحر كما على رصيف (أي 9: 8، مت 14: 25).

عندما رآه بطرس يسير قال: "يا سيد، موني أن آتي إليك على الماء" (مت 14: 28). أموه الرب، لكنه تردد وكاد أن يغرق ويهلك بين الأمواج، ولأن الرب بسط يمينه إليه (مت 14: 29-31). الجسد ترح، ويمين الرب أنقذت. وقال له الرب: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟" (مت 14: 31) إنه الإيمان هو الذي مشى في شخص الرسول، وليس الجسد [399].

القديس أمبروسيو

❖ من كان قاوراً أن يمشي على البحر إن لم يكن خالق المسكونة؟

بالحق قال عنه بالروح القدس الذي نطق قديماً جداً خلال الطوبوي أبوب: "الباسط السموات وحده، والماشي على البحر كما على الأرض". قيل عنه في شخص الحكمة: "سكنت في الأماكن العلوية، وعرشي كان في عمود سحاب" (سواخ 4: 24-5).

بالمثل أعلن داود في الزمور: "في البحر طريقك يا الله، وسبلك في المياه الكثيرة" (مز 19: 77) لاحظ أيضاً حبقوق: "سير المياه طما، أعطت اللجة صوتها" (حب 10: 3) [400].

الأب خروماتيو

صَانَعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثَّرِيَّ وَمَخَادِعِ الْجُنُوبِ [9].

هو خالق مجموعات النجوم، وقد ذكر هنا ثلاث مجموعات نيابة عن الجميع: "النعش والجبار والثريا"، ولا زال يحفظها في الوجود ويوجه تحركاتها، وذلك لخدمة بنى البشر.

رى القديس غريغوريوس النزيوي أنه عندما يشير الكتاب المقدس هنا إلى النعش والجبار والثريا، يقصد كل الكواكب وعنايته الإلهية بها. وذلك مثلما يشير إلى اهتمامه بواخ الغربان (مز 8: 147) فيعني كل الطيور [401].

"مخادع الجنوب"، أي النجوم التي ترى من جهة القطب الجنوبي ولا واهها من هم في نصف الكرة الشمالي.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) في هذه الكواكب معنى رمزياً للكنائس السبع التي هي الكنيسة الجامعة، هذه التي رآها القديس يوحنا الحبيب

كسبعة مائتين. إنها تتمتع بعطايا النعمة الإلهية السبع، أشعتها تشوق بنور الفضيلة الصادر عن الحق.

❖ يشير بالنعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب إلى كل مجموعة كواكب السموات وكل ما يوجد هناك... حتمًا يتحدث أيوب عن كل نوع من المعجزات التي تمت بواسطة الله. على أي الأحوال إنه يتحدث بالأكثر عن التدابير التي تحققت من أجلنا، فإنها بالتأكيد تدابير إلهية سامية تفوق الطبيعة. إنها غير متحركة، لأنها أعلى جدًا من أن يبلغ إليها روح بشوي. وهي مجدية لأن الله يتقبل العبادة من الخلائق هنا من أسفل، وتلك التي هي في العلا المملوءة بأعمال عجيبة... لقد أعلن لنا يوحنا اللاهوتي: "وأشياء أخر كثرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة فواحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (يو 21: 25). ليس فقط لأنها فوق كل عدد، وإنما لأن أعماله سامية، وأن أذان هذا العالم تعجز عن تقبلها.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

فَاعِلْ عِظَائِمَ لَا تُفَحِّصُ،

وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ [10].

هنا يكرر أيوب ما سبق أن قاله أليفاز حرفيًا، رُجو الوجود إلى تفسير أيوب 5: 9.

هُودًا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا رَأَاهُ،

وَيَجْتَازُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ [11].

❖ أعمال الله فائقة، يعمل معنا وحولنا وفينا دون أن زاه (أع 17: 23). إيراكنا المحدود يعجز عن معرفة تحركاته لأجلنا، لذا يصعب علينا بل ويستحيل تقييم تصرفاته حتى الظاهرة، لأننا لا نترك ما هو وراءها. ليس من حقنا أن نعلق على تصرفاته، أو نظن أننا قادرون على تقسوها. ❖ إذ حُرِمَ الجنس البشري من الفوح الداخلي وذلك بسبب الخطية، فقد بصورة الذهن، ولا يستطيع أن يخبر أين تسير هذه الأمور.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "إذ يرتفع (الله) عليّ لا رآه، وإذ عبر بي لا أعرف أيضًا هذا". الله يرتفع فوق كل واحد منا، عندما يوجئ الحكم الذي علينا. ومن جانب آخر يعبر بنا، أي يعبر في وسطنا... في المقام الأول لا نقدر أن زاه بعيون جسدنا، وثانيًا لا نستطيع أن نبلغ إليه بروحنا، لأن ما يشكله رقيق للغاية ليس فقط بالنسبة للعيون، وإنما حتى بالنسبة للأرواح.

❖ إنه يعبر خلال أذهاننا، لكن من الواضح أن عبوره تم خلال حياتنا حيث عبر بطريق تدبير تجسده وآلامه على الصليب وقيامته المجيدة... وفوق هذا كله من يقدر أن يعرف كيف كان هو إنسانًا والله (في نفس الوقت)؛ كيف تألم وحطم الألم؛ كيف ذاق الموت كإنسان، وكإله أخضع الهلوية وحطم الموت (1 كو 15: 54؛ 2 تي 1: 10؛ 1 بط 3: 22).

❖ إنه ذلك الذي حرر البشرية من تلك اللعنة ومن شر الخطية (رو 8: 2)، ولم يستطع أحد أن يخفف من الأثقال التي علينا التي حررنا هو منها. لا يستطيع أحد بعد أن يقول له: "ماذا تفعل؟" أو لماذا تيرر الخطاة، وتُدخل - تحت البركة - ذاك الذي كان تحت تهديد اللعنة (غل 3: 13-41؛ تث 21: 23). لقد فعل هذا أولاً بكونه الله، بالقوة التي تخصه بكونه الله، إذ عمل بسلطان، إذ دفن دين خطايانا في الأرض (كو 2: 14)، لذلك يضيف: "يرد غضبه" هذا الذي كان ضدنا.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذا حال الإنسان الذي يشعر بالهولة عن الله. لقد عبر به ووهبه خوة الطهارة، لكنه بعد ذلك سقط تحت مرارة تجرب الجسد، هذه التي تحوط بالذهن، وتحثش به، فتصير العين الداخلية غير طاهرة، وبالتالي عاجزة عن رؤية الله. هذا بسماع من الله لكي يتواضع الذهن ويطلب العون الإلهي.

❖ إذ يجد الذهن نفسه تحت التجربة ضعيفًا يلجأ إلى طلب عون الكائن الإلهي، ويتوقف تمامًا عن اعتماده على ذاته. وهكذا يحدث أن يعبر، فيلصق

الذهن ذاته بالله في أكثر عمق، وذلك بذات المركبة التي بها صار في حزنٍ لسقوطه وبُعده عن الله.

لذلك فإن دخول الله وخروجه لا يمكن اكتشافه تمامًا بقواتنا مادام موضع تتلوب حالنا (من دخول الله وخروجه) مخفيًا عن أعيننا. كمثال لا

يوجد تأكيد معين أن تجربة ما هي لاختبار الفضيلة أم هي أداة لتدمرونا.

أما عن العطايا، فإننا لا نترك قط إن كانت هي مكافآت عن أعمال ملسناها، أم هي سند في طريق الإنسان إلى وطنه (السموي).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ عندما تعرض الرسول لمعونة الأمور الإلهية - في رسالته إلى أهل كورنثوس - أكد أن معرفته - بالرغم مما ناله منها- لا زال محدودة وغاية في الضآلة. إذ قال: "فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً، فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يُعرف" (1 كو 8: 12).

لقد أكد لنا أننا الآن نعرف بعض المعرفة، أما الجانب الأعظم منها فسنعرفه في الدهر الآتي: "لأننا نعلم بعض العلم، ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن

متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض" (1 كو 13: 9-10).

وعندما أراد توضيح الفرق بين معرفتنا هنا ومعرفتنا في الحياة الأخرى لجأ إلى هذا التصوير: "لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم، وكطفل كنت

أفطن، وكطفل كنت أفكر، ولكن لما صوت رجلاً أبطلت ما للطفل. فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز، ولكن حينئذ وجهًا لوجه" (1 كو 13: 11-12).

هل لمست مدى الفرق بينهما؟ إنه كاختلاف معرفة الطفل الصغير عن معرفة الرجل الناضج، وكاختلاف الرؤية في مرآة عن التطلع وجهًا

لوجه، إذ تشير المرآة إلى التعبير العميق لكن في غموض!... فلماذا إذن لا نصدق قول بولس: "من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ أعل الجبل تقول

لجابلها لماذا صنعتني هكذا؟!" (رو 9: 20)

تأمل كيف يليق بنا الخضوع لإرادة الله في صمت!

إنه بلا شك لا يقصد بقوله هذا أنه يود أن يفقدنا رادتنا. حاشا! لكنه يؤكد أنه ينبغي على الباحث الالتزام بالصمت، كالطين في يد الخراف لا

يقاوم ولا يجادل. وقد ذكر الخراف والطين ليذكونا بطبيعتنا، فإنهما في درجة واحدة من حيث وجودهما (لأن الخراف مخلوق من التواب) ومع هذا

يخضع الطين للخراف، فأية مغوة يتوجها الإنسان وهو يتجاسر بتهور مجادلاً لإرادة الله جابله، مع أن الفرق بينه وبين الوجود ذاته لا نهائياً؟!

أذكر أيها الإنسان من أنت؟

ألست طيناً وتواباً ورماداً؟

ألست بخلاً؟

ألست عشباً؟ ألست زهرة عشب؟

هكذا يتسابق الأنبياء في رسم صور قدام أعيننا للتعبير عن حقيقة وجودنا. أما الله الذي تود أن تخضعه لفضولك الطائش فهو لا يخضع للموت

أو التغيير. إنه سומدي لا بداية له ولا نهاية، غير متحرك، فائق لكل فهم وكل منطق، غير موصوف ولا منظور! هذه الصفات التي لا نقدر إواكها أنا

[402]

وأنت أو حتى الوسل والأنبياء، بل ولا القرات السمائية - بالرغم من طهرتها غير المنظورة وروحانيتها ومعيشتها في السماء على النوام .

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِذَا خَطَفَ فَمَنْ يَرُدُّهُ،

وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ [12]

الله صاحب السلطان، ليس من خليقة لها أن تراجع فيما يعمل. نضع ثقنتنا فيه، ونقبل مشيئته، حتى وإن بدت هرة بالنسبة لنا. إذا خطف حتى

نفسنا من يقدر أن يقاومه، أو يدخل في مناقشته؟ من يقول له: ماذا تفعل؟ أو لماذا تفعل هكذا؟ (1 كو 4: 35).

❖ "إن أراد أن يهلك فمن يرده، ومن يقول له: ماذا تفعل؟"

" من يردّه؟ " أي من ينفذنا؟ لا يستطيع أحد أن يقول: "ماذا تفعل؟" وألاً لا يجسر أحد على ذلك، ولا يكون أحد هناك لأن النتائج تحمل شهادة ذاتية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يؤم تكريم أعمال خالقنا على النوام نون فحصى، فإنها لن تكون ظالمة.
فإن من يبحث عن علة مشورته السوية لا يُحسب هذا إلا مقاومة من الإنسان ضد مشورته في كوياء.
فعدنا لا يمكن للإنسان أن يكتشف دافع أعمال الله يؤمننا أن نصمت في تواضع، خاضعين لأعماله، لأن الحواس الجسدية ليست على مستوى يمكنها أن تخترق أسوار جلاله...

يضيف فيما بعد بولس: "أعل الجبله تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟" (رو 9: 20)

البابا غريغوريوس (الكبير)

يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على قول أيوب: "من يقول له: ماذا تفعل؟" قائلاً بأنه لا يستطيع أحد أن يقاوم غضب الله. مع هذا فالكتاب المقدس يقدم لنا عدة أمثلة لوقوف بعض رجال الله أمام غضب الله.
لقد قاوم موسى النبي غضب الله حين وقف يشفع في الشعب الساقط، قائلاً: "والآن إن غوت خطيتهم وإلا فأمحنى من كتابك الذي كتبت" (خر 32: 32).

أيضاً طلب موسى من هرون أن يأخذ جمره ويجعل فيها نراً من على المذبح، ويضع بخراً، ويذهب مسرعاً إلى الجماعة، ويكفر عنهم "لأن السخط قد خرج من قبل الرب" (عد 16: 46-48).

كما أطفأ فينحاس غضب الله حين زنى الشعب مع نساء غريبات، فأظهر غوته بأن طعن الإسرائيليين والمديانية في بطنها فامتدح الرب عن بني إسرائيل (عد 25: 8).

وهكذا وقف داود يشفع في شعبه أمام الرب ليرفع غضبه عنهم (2 صم 24).

وطالبنا الحق أن نصلي حتى من أجل أعدائنا ومضطهديننا (مت 5: 33).

هكذا يظهر الله عظمة حبه الفائق للإنسان فإنه وإن عجز أي كائن عن الوقوف أمام غضب الله إلا أنه حتى في غضبه يعلن حبه، فيعطي فوصة للإنسان أن يقتحم محبة الله بتواضعه وتوبته ومحبته لله والناس ولخلاص نفسه؛ فيطلب رحمة لنفسه ويشفع عن إخوته.

يقدم لنا القديس مار يعقوب السروجي صورة رائعة لمقاومة غضب الله، وذلك بالتوبة:

❖ قال يونان: ليس من وسيلة لإبطال الغضب، فقد اعتصم الإثم وحلّ الانقلاب ليحطمكم...

قرب الضيق، وصار السقوط على الباب.

الرب أرسلني، ذاك الجبار الحامل الخليفة، لكي أدعو بالانقلاب وبصوت الوع على أسوركم...

لطمت هذه الأصوات ملك نيوى، ولتعب عندما سمع الأخبار الشنيعة. خاف من يونان أكثر من صفوف الجبابرة. وتذلل الملك المخوف قدام إنسان حقير. قام من كوسيه البهي. وتذلل الملك المخوف قدام إنسان حقير. قام من كوسيه البهي وطرح التاج عنه، ولبس مسوحاً، وأعد نفسه للتوبة...

أترك أن هذه المعركة ليست كالمعرك المعتادة، فجمع شعبه وحثهم على الجهاد. جمع جنوده وصفهم للطلبة، وموّن صفوف الجنود بالصلوات ليسيح الأواب. جعل الرجال والنساء والأطفال يمسون بالصوم، كل واحد حسب قوته ليصطفوا للقتال لمقابل الغضب.

قال الملك لجنوده مثل هذه الكلمات: اجتمعوا معاً للطلبة، فإن قتالاً جديداً ندخل فيه على غير العادة...

ليس ابن يوم واحد يكف عن الجهاد. قتال شديد، لا ترون فيه ملأ. رضع اللبن يشتركون معنا هنا بين الصفوف ويسندوننا قبل أن يحل الشر

في هذا القتال الصبيان أقوى من الرجال، والأطفال يجاهدون أسهل من الجباوة.

الأطفال الذين لم يخطؤوا في هذه المعركة يخرجون بالألوف ويشتركون معنا، فبهم يصير النضال أفضل.

ها العواني يجزم ويهدد بهلاكنا، لنعمل لئلا يوح إذا ما غلبنا. لم يهدأ عن أن يدعو بالغضب على فسادنا. ونحن لن نهدأ حتى ندعو العوام

لخلاصنا. طلب الرجل أن يثبت كلمته لأنه نبي، اتكوه يكرز، وتعالوا نطلب نحن من سيده...

فوجع إلى سيده صاحب السلطان لكي لا يهلكنا. إنه رسول ينطق بما قيل له. في سلطانه أن يكرز لا أن يهلك، فلا نحزن. لو أن بيده (النبي)

الأمر لقلب المدينة. لا نمل، فإن الدمار بيد الرب. ليس بيد النبي أن يبني ويهدم كما يهدد... لكن مقابل صوته نوقظ أصوات التوبة، وندعو بالبكاء،

فأسكت الرجل ونخمد. لا نسأله فإنه لا يطيعنا ويتوقف عن كلامه. لنوسل أصوات آلامنا إلى العلي فهو يخلصنا.

القديس مار يعقوب السروجي

الله لا يرد غضبه.

يُنْحِنِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَبِّهِ [13].

متى غضب ليس من يوده عن غضبه سوى رحمته وحبه. فهو يسحق المتكبرين المقومين له. وكما جاء في سفر زكريا، فليسكت قدامه كل

البشر" (ك 2: 13). التوبة بتتهادتها ودموعها وتواضعها ترد الغضب الإلهي.

❖ التوبة نار تلتهم كل ضعف بشوي، توع التهون والكسل وثقل الجسد، وتعطي للنفس جناحاً تطير به نحو السماء، وتظهر لها خلال هذه القمة

المرتفعة بطلان هذه الحياة الحاضرة.

من لا يرتفع إلى مركز الواقبة لا يستطيع أن يلتقط صورة صادقة للأرض ومحتوياتها. فإن أموراً كثيرة تظلم مجال الرؤية وتصم الأذنين

وتلثم اللسان. لهذا يليق بالإنسان أن يتوَع نفسه من هذا الصخب، ويتعد عن الدخان، ويدخل إلى الوحدة ليجد السلام العميق والهوء والسكون مع

الاستترة.

عندما تركز الأعين على حب الله، ولا تعود تسمع الأذن إلا كلماته وكأنها سيمفونية روحية عذبة، تصبح النفس أسوة (الله) تشعر بتقزز من

الطعام والنوم.

حقاً أن ضجة العالم والاهتمامات المادية تتلوق على النفس لكنها لا تدخل إليها، وبلرتفاع النفس هكذا لا تعود تبالي بوقفات العواصف

الأرضية.

وكما أن سكان الجبال لا يسمعون أصوات المدينة ولا يرون ما يدور فيها، إنما يحسبون هذه كلها أشبه بضجيج مبهم، هكذا الذين تركوا

العالم برادتهم وانطلقوا يطيرون في مرفعات الفلسفة (الحكمة) لا يعنون بكون شيئاً عن أحوال العالم، لأن كل حواسهم متجهة نحو السماء.

إن لنبحث لا عن وحدة الوية فحسب، إنما عن وحدة الرغبة الداخلية. لنختبئ فوق أعلى قمة النفس حيث لا يسكن فيها شيء أرضي.

إن قوة التوبة كمثل هواء يطرد الغبار ويكتسح الشهوات أسوع من الدخان.

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ أية خطايا يمكن للندامة أن تغسل في غسلها؟ أية وصمات راسخة لا يمكن لمثل هذه الدوع أن تغسلها؟ باعتراف بطرس الثلاثي مسح إنكله

[403]

الثلاثي

القديس جيروم

❖ الصلاة الممتدة والدوع العروة تجتذبان الله للوحمة.

❖ البكاء وحده يقود للضحك المطوّب.

❖ رُاد يسوع أن يُظهر في نفسه كل التطويبات، إذ قال: "طوبى للباكين"، وقد بكى هو نفسه لكي يضع أساس هذا التطويب حسناً [404].

العلامة أوريجينوس

3 . عجزه عن أن يحتاج الله

كَمْ بِالْأَقْلِّ أَنَا أَجْوِبُهُ،

وَأَخْتَارُ كَلَامِي مَعَهُ [14].

يقف أيوب في انسحاق أمام الله معترفاً أنه يعجز عن الدخول في حوارٍ معه. لكن كما وي كثيرون ركز أيوب أنظره على ضعفه، فاندحر نحو اليأس، عوض التطلع إلى مراحم الله الفائقة وحبه للبشرية، ونسي أن الله الكلي القوة يشناق أن يدخل في حوارٍ مع خليقته، ولم يمنع الشيطان أن يحاربه، كما رأينا في الأصحاحين الأولين من السفر.

❖ من الجدير بالملاحظة أن هذا القديس (أيوب) قد عبر إلى دينونة نفسه حتى متى حلت دينونة الله لا تجد فيه شيئاً تمسك به. إنه يتطلع إلى ضعفه فيقول: "كم بالأقلِّ أنا أجوبه، وأختار كلامي معه" [14]. فإنه لا يتكل على وهّ الذات، بل يلجأ إلى الرجاء وحده في استعطاف الله. لذا أضاف: "حتى إن كان لي شيء من البرِّ فإنني لا أود أن أجيب، بل أقدم طلبه لدياني [15]. وإذ يدرك استعطاف الله يضيف: "عندما أَدعو يجيبني، فإنني أؤمن انه لا يسمع صوتي" [16]. لماذا يتضاءل هكذا... لماذا يرتعب بمثل هذه الويبة المحزنة؟ عيناه مثبتتان على رهبة الديان... فيتضاءل أمام قوة العين الفاحصة. فإن كل ما يفعله يبدو له ضئيلاً.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَجْوِبُ،

بَلْ أَسْتَوْحِمُ دِيَانِي [15].

قد يبرر الإنسان نفسه لأنه لا يعرف حتى حقيقة نفسه، وما بداخله. إنه لا يعرف الأخطاء الخفية التي قد لا يدركها الإنسان نفسه. هذا ما عبّر عنه الرسول بولس بقوله: "لست أشعر بشيء في ذاتي"، أي لم يكن يشعر بشيء متسلط عليه، "لكنني لست بذلك مبرراً" (1 كو 4: 4). هكذا كان يخشى الرسول أنه إن برر نفسه يكشف له خطايا خفية لا يعرفها. هذا ما دفع أيوب أن يطلب الرحمة من الديان فاحص القلوب، ويوتمي على مراحمه لا على استحقاقاته الشخصية.

ما يشغل ذهن أيوب ليس أن يتبرر في أعين الناس، فإنهم وإن كانوا يهينونه ويطرحونه رُضاً، ويسحقونه بأقدامهم، فإن الذي يدينه هو الديان الرحوم، الذي لن يقدر أن يتبرر أمامه بذاته، بل يطلب رحمته وحنوه الإلهي.

❖ يقول (أيوب لبلدد): إنك تسب أيوب باطلاً. ماذا تنتفع، وأنت تطأ البار بقدميك؟ إنني رُجئ الحكم لله، ملتجئاً إلى عنايته الإلهية وحنوه. إنه لا يصغي إلى ما يقال عني دون أن يفحص؛ لا يخضع لما قيل عني. لا يتهم الله أيوب كخاطيء، بل ولا يصغي لذلك، ذلك للسبب التالي: وإن كنت بَرّاً بمقلنتي بمن هم أوار لكنني محتاج إلى نوع من حكم الله من جهتي وشهادة من العلاء. إن كانت حياتي تتفق مع الحق الإلهي الذي للديان، فليس من يقدر أن يبطل قوة هذا الحق.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كل برٍّ بشوي لا يحسب واً لو فحص بأحكام دقيقة... كأنه يقول في وضوح: وإن كان يؤمني أن أنمو في ممرسة الفضيلة، فإنني أكون متقدماً في الحياة، ليس عن استحقاق ذاتي، بل بنعمة الله الغافرة. لهذا يلزم أن نكون حلين في الصلاة عندما نسلك باستقامة، حتى تصير كل طرق البرِّ التي

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَوْ دَعَوْتُ فَاسْتَجَابَ لِي،

لَمَا آمَنْتُ بِأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتِي [16].

يفسر البعض هذه العبارة: إنه إذ آمن سُمعت صلواته، ليس من أجل صلواته نفسها، لكن من أجل اسم الله القوس الذي آمن به. "لا من أجلكم أنا صانع يقول السيد الرب، فليكن معلوماً لكم" (حز 36: 32).

وي البابا غريغوريوس (الكبير) في حديث أيوب هنا صورة حية للصواع المستمر في حياة المؤمن، فإنه بالنعمة يدعو الله فيستجيب له، حيث يلتهب قلبه بحب الإلهيات لكن وسط هذا السمو العجيب تقتحم الأفكار الزمنية الفكر، فيجد المؤمن نفسه كمن سقط، فيظن أن الله لا يسمع صوته.

❖ كثوًا ما يلتهب الذهن بنار الحب الإلهي، ويرتفع لوى السماويات والأموار الخفية. ينتقل الذهن إلى العلا، ويُجرح بالحب الكامل، ويصير متغربًا عن الأمور السفلية؛ لكنه بعد ذلك إذ يُضوب بتجربة مفاجئة تتحني النفس التي سندها الله بهدف واضح، وتُجرح بتجربة تهاجمها. إنها تقف في حوة تتردد بين المملسات الصالحة والثروة، ولا تستطيع أن تخبر أي الجانبين أقوى.

كثوًا ما يحدث أنها تقف في دهشة كيف تقتني الحقائق العلوية بينما تصلح مع الأفكار الثروة. موه أخرى تحتاج أن تعرف كيف تتسلل إليها الأفكار الثروة بينما تنقلها غوة الروح القدس بقوة إلى الأمور السامية. هذه الحركات المتناوبة (بين الأفكار السماوية والثروة) وراها الموتل بحق عندما يعلن: "يصعدون إلى السموات، يهبطون إلى الأعماق" (مز 107: 26) ... يوتعب الذهن من تحركاته هذه، ومن الأمور التي يخضع لها لا راديا، حتى يظن في نفسه أنه مطرود ومونول.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ذَاكَ الَّذِي يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ،

وَيُكْثِرُ جُرُوحِي بِلَا سَبَبٍ [17].

شعر أيوب بأنه لم يرتكب خطايا غير عادية، مع هذا حدثت له نكبات غير عادية، فقد هبت عواصف التجربة لا لتوعجه وإنما لتسحقه. فقد جرحته النكبات بكثرة بلا سبب.

وي بعض المفسرين أن أيوب هاجم العدالة الإلهية بقوله "بلا سبب"، لكن البعض وي أن أيوب كان في ذهول لأنه لم يسقط في تعدٍ صلح، ولا ارتكب خطية في نظر الناس أنها جريمة كوى.

❖ "ذاك الذي يسحقني بالعاصفة" [17]... دُعيت بالحق "عاصفة"، لأنها تُعلن باضطراب العناصر. وكما يشهد الموتل بقوله: "يأتي إلهنا ولا يصمت؛ نار قدامه تحرق، وحوله عاصف عنيف" (مز 60: 3). يقول نبي آخر أيضًا: "الرب في الزوبعة، وفي العاصف طويقه" (نا 1: 3). في هذه الزوبعة لن ينكسر البار، لأنه يخشى على اللوام ويخاف لئلا ينكسر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لاحظوا في كلماته أنه لم يقل: "لم يجرحني قط بلا سبب" بل "يكثر جروحي بلا سبب". فإنه ليس بسبب كثرة خطاياها حلت به تلك الجراحات الكثيرة، إنما من أجل امتحان صوه...

موة أخرى، يقول: "حفظت طويقه ولم أحد، من وصاياها لم أوح" (أي 23: 11، 12). إنه يحفظ طرق الله ولم يحد عنها إذ لم ينسها، بل كان يتقدم راضًا فيها، بالرغم من أنه ضعيف، وأحيانًا يتعثر ويسقط. ومع هذا فهو يستمر في الطويق، يخطئ أقل فأقل حتى يبلغ حالة الكمال، حتى لا يعود

[405]

يخطئ

❖ قال هذا عن اليهود الذين في اعتدادهم بنواتهم احتقروا النعمة، ولم يؤمنوا بالمسيح أنه يقول بأنهم رأوا أن يُقيموا وَّهم، هذا البرّ الذي من الناموس، لا أنهم ينفّتون الناموس، بل يقيمون وَّهم في الناموس، عندما يحسبون في أنفسهم أنهم قادرون على تنفيذ الناموس بقوتهم، جاهلين برّ الله (رو 10: 3)، لا البرّ الذي لله بل البرّ الذي يمنحه الله للإنسان. [406]

القديس أغسطينوس

لَا يَدْعُنِي أَخْذُ نَفْسِي،

وَلَكِنْ يُشْبِعُنِي مَوَائِرُ [18].

يتعرض كل إنسان لآلام بين حين وآخر، أما أيوب فلم تتركه الآلام ينتفس، ولم يفترقه المر. وفي هذا كله لم يعوف ما هي العلة.

❖ " لا يدعني آخذ نفسي، ولكن يشبعني موائير" [18]. كثراً ما يسمح للتجرب أن تحل بي، فلا أستطيع أن آخذ نفسي. إذ كثراً ما يجلب العدو عذابات عليّ، " إنني مملوء موائير ". أيضاً زوجتي وأصحابي هم الذين يسفهونني بسبهم لي وحديثهم معي بحقدٍ. لهذا أشعر بأن هذا يحل بي من عند الله الذي يسمح له أن يحلّ بي، مع أن في استطاعته أن يمنعه عني. ومع هذا لن أكف عن الشهادة لعدل الله وقوته (مز 71: 19). بعنايته الإلهية يحفظ كل الأمور في يده. لا يجسر إنسان له حس صالح أن يفترى على أحكامه، إذ هي صادر عن البار القدير.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ يَقُولُ: هَأَنَذَا.

وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ:

مَنْ يُحَاكِمُنِي؟ [19]

يتطلع أيوب إلى الله فواه دون متزع القوي، ليس من يقدر أن يقف أمامه. هو يتكلم فيفعل (حز 22: 14). أما من جهة القضاء فليس من سلطة أعلى، ولا من محكمة عليا تستمع إلى احتجاج إنسان، هو ديان الكل، فوق كل الخليقة.

❖ " إذ هو قوي يحكم؛ فمن إذن يقاوم حكمه؟" [19]. ... تعلن لنا الشمس عنه كما تعلن غورها من المخلوقات، كم هو عظيم وقدير، ولا تقدر أن تعصى أمره (مز 104: 19). كذلك يعلن القمر عنه وهو ينمو (حتى يصير الهلال بواً) وينمح (حيث يتضاءل بعد اكتماله) حسب قانونه. يعلن البحر أيضاً عنه حيث لا يتعدى الحدود المعينة له، ويقاوم الومل عنف الأمواج.

هذا هو السبب الذي لأجله لا يستطيع أحد أن يقاوم أحكامه، وأن يعصاها. على أي الأحوال، إن كنتم تتحدثون عن الأحكام التي يدين بها البشرية، من له الجراءة أن يقاومها؟ فإن كنتم تتحدثون عن إواهيم، فقد قال عن نفسه: "أنا زاب ورماد" (تك 18: 27). ودود بنفس الروح قال: "أنا مني قد طمت فوق رأسي، كحملٍ ثقيلٍ أتقل مما أحتمل" (مز 38: 4).

إنه لا يكف عن أن يتغنى ببقيلته ما يعلنه إشعياء الشهير: "ويل لي، لأني إنسان بائس، نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب يحتفظ بتعاليم دنسة" (راجع إش 7: 5). لهذا يضيف المصوغ: "إن بديت بلراً يتدنس فمي" [20] كيف يكون هذا؟ أنصتوا: ليس من السهل عل شخصٍ ما أن يكون بلا لوم في الأعمال والكلمات. لهذا بحق يضيف: "إن بديت كاملاً، فإني بالتأكد أحمق".

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ قد يقول قائل: ماذا أفعل؟ كيف أكون نوراً، وما أنا أعيش في الشرور والآثام؟! وبهذا يتطرق إليه اليأس والحزن، إذ ليس لنا خلاص بدون الشركة مع الله، والله نور وليس فيه ظلمة البتة، والخطية ظلمة، فكيف أتطهر منها؟! يكمل الرسول قائلاً: " ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية". يا لعظم هذا الضمان الذي وهبه لنا! إننا بحكم وجودنا في هذا العالم وسط التجرب قد يتعثر الإنسان بعدما غوت له خطاياها في المعمودية، لذلك يجب علينا أن نبذل ما في وسعنا معترفين بحالنا كما هو حتى يشفيها السيد المسيح بدمه. [407]

إِنْ تَبَرَّرْتُ يَحْكُمُ عَلَيَّ فَمِي؟

وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَذِنُنِي [20].

أما من جانب أيوب فإن بر نفسه يتحول دفاعه إلى إثم، ويُحكم عليه من كلماته، لأن الله علف بخبايا القلب التي قد لا يعرفها الإنسان نفسه. "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا". إن حسب أيوب نفسه كاملاً، يحسب هذا اتهاماً لله، وذنوباً يرتكبه كمتكبر جاهل بأعماقه. ❖
إني افتخر لأنني أخلص، وليس لأنني بلا خطايا، بل لأن الخطايا قد غُفرت. إني لا أفتخر لأني نافع أو لأن أحداً ما نافع لي، وإنما لأن المسيح هو شفيعي (محمي) أمام الآب، لأن دم المسيح سفك من أجلي. [408].

كَامِلٌ أَنَا. لَا أَبَالِي بِنَفْسِي.

رَدَلْتُ حَيَاتِي [21].

يتطلع أيوب إلى شيخوخته فوى في نفسه أنه كهل، لا ينتفع بطول السنين التي عاشها، فقد أنتجت لا شيء! إنها سنين موزولة بلا ثمر. هذه أحاسيس الإنسان الذي يتطلع إلى حياته خراج داوة حب الله ونعمته واهب الثمر!

4. لا نحكم حسب الظاهر

هِيَ وَاحِدَةٌ.

لِذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ الْكَامِلَ وَالشَّرِيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا [22].

يصر أصدقاء أيوب على أن الأوار ينجحون في هذا العالم ومصونون من التجرب، وإن لحقتهم سوعان ما تُرفع عنهم. أما الأثوار ففاشلون تحوط بهم التجرب في هذا العالم وتسحقهم، وليس من منقذ. أما أيوب فيؤكد عكس ذلك فقد ينجح بعض الأثوار في هذا العالم ويؤدهرون، بينما يتعوض الأوار للتجرب المتلاحقة. هذه هي نقطة الخلاف الرئيسية في كل المناقشات بين أيوب وأصدقائه، هدفها أن يؤكد الأصدقاء بأن أيوب شوير مرائي، يحمل صورة التقوى ويخفي شريراً تغضب الله.

يؤكد أيوب هنا أن الأحداث الزمنية ليست هي المقياس للتعرف على حقيقة الإنسان إن كان بلواً أو شرواً.

"هي واحدة"، قد تحل النكبات على الأثوار كما على الأوار، والموت يحل بهؤلاء وأولئك. "السيف يأكل هذا وذاك" (2 صم 11: 25). يأكل يوشيا الملك الصالح كما يأكل آخاب الملك الشرير. هكذا زى أن "الكامل والشرير هو يفنيهما". لقد أرسل الصالحون والأثوار معاً إلى سبي بابل (إر 24: 5، 9).

❖ "هي واحدة، أنا قلت الكامل والشرير هو يفنيهما" [22]. يمكن توضيح ذلك بالكلمات التالية: إني قلت هذه الكلمات عن نفسي، حتى وإن كنت كاملاً لا أظهر كاملاً لو فُحصت بدقة، ولا إن كنت شرواً أظهر هكذا إن بقيت مخفياً، أنسحب من الامتحان الدقيق الثاقب. أما الديان الحزم فهو يدرك كل الأمور، ويخترق حيل الأثوار بطريقة عجيبة. من أجل البلوغ إلى الأفضل يدين كل حسب ميله.

❖ أليست هذه هي منطوقات مواطن أورشليم السماوية:

"صارت دموعي لي طعاماً نهلاً وليلاً" (مز 42: 3).

"أعوم كل ليلة سروري بدموعي، بدموعي أبلل فواشي" (مز 6: 6).

"تتهدي ليس بمستور عنك" (مز ٣٨:٩).

"خوني قد تجدد" (مز ٣٩:٢)؟

أليس أولاد الله الذين يئنون متقلين لا يريدون أن يتعروا، بل يلبسوا فوقها حتى يُبتلع المانت من الحياة؟ أليس حتى الذين لهم ثمار الروح يئنون داخلهم متوقبين التنبني، خلاص أجسادهم؟ (رو ٨:٢٣).

ألم يكن للرسول بولس نفسه مواطن أورشليم السماوية هذا كله عندما كان متقللاً وفي حزن قلب مستمر من أجل إخوته الإسرائيليين؟ لكن سوف لا يكون موت في المدينة إلا عندما يُقال: "أين نضالك يا موت؟ أين شوكتك يا موت، فإن شوكة الموت هو الخطية" [409].

القديس أغسطينوس

إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَغْتَةً

يَسْتَهْوِي بِتَجْرِبَةِ الْأَبْرِيَاءِ [23].

إذ امتد السيف بغتة يقتل هذا وذاك؛ الشوير لهلاكه، والبار لتوكية إيمانه. "لكي تكون توكية الإيمان مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد" (1 بط 1: 7). إذ يستخف الأبرياء بالموت لأنه عبور إلى المجد!

يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على عبلة: "يضحك بتجربة الأوار" قائلاً: [إن كان يستخدم تعبير "ضحك" الله ليعني به فحده، فإنه يقال أنه يضحك بتجربة الأوار، إذ يطلوه بغوة (في وقت التجربة) وفي حنو يوح بنا، فإن ألمنا يسبب له نوعاً من الفرح حينما تصير لنا رغبات مقدسة أن نؤدب أنفسنا من أجل حبنا له.]

❖ يقول بولس (2 كو 4: 17) أن أوارنا الحاضرة خفيفة إذ تحدث في حدود من ما ومكان معين. مقابل هذا التعب الهين نفتني المجد بوجه تفوق كل قياس [410].

أمبروسياستر

❖ كل محنة إما هي عقاب للأشوار أو اختبار للأوار... هكذا السلام والهوء في أوقات المشاحنات يمكن أن ينتفع بهما الصالحون بينما يفسد الأثوار [411].

القديس أغسطينوس

الْأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِيَدِ الشَّرِيرِ.

يُعْشَى وَجْهَ قَضَاتِهَا.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَايْذَا مَنْ؟ [24]

كثيراً ما يسمح الله للأشوار أن ينجوا بل ويتسلطوا على الأرض، فمن جانب لا يشتكي العدو بأن الأوار يعبدون الرب ويتقونه لنوال وكرات زمنية ونجاح أرضي، ومن جانب آخر فإن الله يتوك الشوير في حريته لعله يتوب عن فعله إن تلامس مع محبة الله، أو يمتلى كأس شهو إن أصر على تعوده وعناده.

إن كان العدو الشوير يُدعى "إله هذا الدهر"، فلا نعجب إن تسلّم الأثوار الأرض، وظنوا أنهم ناجحون وملوك.

تسلّم الأرض ليد الأثوار، ويتمتع الأوار بالسماء، لأن السموي ساكن فيهم.

" يغشى وجه قضاة الأرض " بينما يتعرض الأوار للظلم على الأرض ويلبس الأثوار قناعات، فيظهرون كقضاة للأرض، كمن يحكمون

بالعدل، وإن لم يكن الأمر كهذا.

مع تقديم هذه الحقيقة، لكن وى الكثيرون أن أسلوب أيوب يحمل نوعاً من التذمر، كيف يتوك الرب الأثوار ينجحون ويسيطرون على

الأرض، ويظهرون كقضاة يحكمون على الأوبياء.

مع تقديم مبدأ هام بحكمة كان يمكن لكلمات أيوب أن تعزیه داخليًا، فلا يبالي باتهامات أصدقائه. لكن يبدو أن التذمر الداخلي - كضعف بشوي - أثار فيه مشاعر مرة. فقد رأى أيام رخائه قد عبرت سريعًا، هربت منه، ولم يبقَ لها أثر، فصار كمن لم يذق الخير قط.

وى القديس أغسطينوس أن الأرض هنا تشير إلى الجسد [412] ، فقد يسمح الله بتسليم الجسد للتأديب بيد الثوير، أو للفحص والتوكية، أما نفس البار فلن يقدر العدو أن يقرب إليها.

ماذا يعني القول: "الأرض مسلمة ليد الشرير" (24:9) سوى أنه إذ خُلِقَ الجسد من التّواب، فقد يسمح الله بتسليم أجسادنا التّوابية للأشوار ، لكن لا سلطان لهم عليها سوى ما فيها من تّواب، أما إذ تحمل الطبيعة الجديدة التي على صورة خالقها وتلبس صورة آدم الثاني الذي من السماء، فلا سلطان لأحدٍ منهم عليها. وى القديس أغسطينوس أن الكلمة الإلهي نفسه وقد تجسد، أخذ هذا الجسد التّوابي وسمح بتسليمه للأشوار للمحاكمة وقتله، لكي لا نخشى الأشوار، بل نشرك مسيحنا آلامه وموته لنختبر قيامته وأمجادها [413].

❖ غالبًا ما يُسلم البار في يدي الثوير، لا ليُكوم الأخير، وإنما لكي يُختبر الأول، وبالرغم من أن الثوير يأتي إلى موت مهيب كما هو مكتوب (أي [414] 23:9)، إلا أنه في الوقت الحاضر يكون الصديق موضع سخرية، بينما صلاح الله والمخلن العظيمة المخزونة لكل منها مخفية.

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ ما هو معني: "الأرض مسلمة ليد الشرير" (أي 9: 24)؟ يُسلم الجسد في أيدي المضطهدين، لكن الله لا يتوك بله هناك. من الجسد المسيبي يحضر النفس التي لا تُغلب [415].

❖ "الشرير واقب الصديق محولاً أن يميته، الرب لا يتوكه في يده" (مز 32:37-33). فلماذا إذن ترك الشهداء في أيدي الأشوار؟ لماذا فعلوا بهم ما رأوا (مت 12:17)؟ ذبحوا البعض بالسيف، وصلبوا البعض، وألقوا البعض للوحوش، وحرقوا البعض بالنار، وقالوا البعض في سلاسل، وأهلكوهم بخططٍ مدبرة. بالتأكيد " لم يتوك الرب قديسيه " إنه لا يتوكهم في أيديهم. أخوًا لماذا ترك ابنه الوحيد في أيدي الأشوار؟... اسمع ما يقوله سفر آخر متنبأ عن آلام ربنا المقبلة في أيدي الأشوار: " أعطيت الأرض في أيدي الأشوار " (أي 9: 24) ... إنه يتحدث عن تسليم الجسد في أيدي المضطهدين. لكن الله لم يتوك "صافية" (مز 10:16) هناك، فمن خلال الجسد الذي أُسر، قاد النفس غير المنهزمة [416].

❖ "هلموا نقتله، فيكون لنا الموات" (مر 7:12). يا لكم من أغبياء! كيف يكون لكم الموات؟ هل لأنكم قتلتموه؟ نعم، لقد قتلتموه، لكن لا يكون لكم الموات... عندما افتخرتم أنكم قتلتموه إنما نام، إذ قال في مزور آخر: "أنا اضطجعت ونمت".

لقد رجعوا ورأوا قتلي، وأنا نمت، لو لم رُد ذلك لما نمت.

أنا نمت، لأن "لي سلطان أن أضع (حياتي)، ولي سلطان ان أخذها أيضًا" (يو 18:10).

"أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت" (مز 3:5).

لنتوروا أيها اليهود، لتعط الأرض في أيدي الأشوار، أي ليُتوك الجسد في أيدي المضطهدين، ليعلقوه على خشبة، ويثبته بالمسامير، ويطعوه بالحربة.

ألم يصف ذلك الذي ينام أنه يقوم أيضًا؟.. متى خُلقت حواء؟ عندما نام آدم! متى خرجت أسوار الكنيسة من جنب المسيح؟ عندما نام على

الصليب [417].

❖ ليثر المضطهدون! لتسلم الأرض في يد الثوير (أي 10: 17) ! ليسمر الجسد على الخشبة بالمسامير، ويُطعن بحربة. فإن ذلك الذي يضطجع وينام يقول "أنا أقوم ثانية" [418].

5 . هول متاعبه وحيرته

أَيَّامِي أُسْرِعُ مِنْ عَدَاءِ تَفَرُّ

وَلَا تَوَى خَوْأًا [25].

سوعة العداثين (الذين يجرون المركبة) غالبًا ما تُستخدم في العصور القديمة لنقل الرسائل العاجلة. كان الملوك يحتفظون ببعض هؤلاء العداة لخدمة القصر الملوكي.

حينما أرسل الملك حزقيا دعوة إلي جميع إسرائيل ويهوذا للاحتفال بعيد الفصح في أورشليم "ذهب السعاة بالوسائل من يد الملك ورؤساته، في جميع إسرائيل ويهوذا" (2 أي 30: 6). وفي أيام رميا يبدو أنه كانت هذه الخدمة قد استوت وانتظمت، ففي نبوته عن خواب بابل قيل: "يركض عداة للقاء عداة، ومخبر للقاء مخبر، ليخبر ملك بابل بأن مدينته قد أخذت عن أقصى" (إر 51: 31). كذلك استخدم الفلرسيون رسل سويعين. أُستخدموا عندما صدر الأمر بقتل جميع اليهود في الإماطورية (إس 3: 13، 15)، وأيضًا عندما صدر الأمر للانتقام من أعدائهم: "فخرج البريد ركاب الجياد والبالغ، وأمر الملك يحثهم ويعجلهم" (إس 8: 14) [419].

❖ a اخبرني أي شيء ثابت في هذا العالم؟ الثروة التي غالبًا ما لا تبقى حتى المساء؟ أم المجد؟ أستمع ماذا يقول رجل بار: "حياتي أسرع من عداة (runner) [420]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الله خلق الإنسان لوى خوًا، أي وى الله الخير الأعظم، أما وقد دخلت الخطية في حياته، ففقد بصيرته الداخلية ولم يعد ينظر النور الإلهي ولا وى خوًا، فيتشكك في تصرفات الله.

❖ خُلق الإنسان لهذا الهدف، أن وى خوًا، الذي هو الله. ولكنه إذ لم يرد أن يقف في النور، هوب من النور، وفقد عينيه. على نفس المستوى تعهد الأمور الجسدية بالخطية. فخضع للعمى وصار غير قادر على رؤية النور الداخلي...

لكن عندما نفكر في مثل هذه الأمور متشككين على النوم (في الله كصانع خوات) تلح علينا أسئلة صعبة ونحن صامتون: "لماذا يخلق الله شخصًا سبق فأى أنه سيهلك؛ لماذا وهو الأعظم في القوة والصلاح لم يضع في ذهنه أن يخلق الإنسان عاخرًا عن أن يهلك؟ وإذ في صمته يتساءل الفكر هكذا، يخشى الإنسان أنه في تهره خلال هذه الأسئلة يسقط في الكبرياء، فيتراجع نحو التواضع الذي يحجم أفكار القلب.

وكلما صار في محنٍ أشد - وسط المتاعب - يتألم بخصوص تفسير المعنى السوي للأحداث، لذلك يكمل: "إن قلت لا أتكلم بهذه الطريقة، أغير ملامح وجهي وأصاب الحزن" [27].

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَمَرُّ مَعَ سَفْنِ الْوُدِيِّ.

كَنْسَرٍ يَنْقُضُ إِلَى صَيْدِهِ [26].

هجرته أيام رخائه كسفينة تُسوع نحو مينائها الآمن، وكانسر الذي ينقض على فويسته في لمح البصر، كما لا يبقى للسفينة أثر بعد عبورها، ولا للنسر في الجو بعد انقضاضه على الفويسة، هكذا عبرت أيام الرخاء وليس من أثر لها. هوذا الزمن يسوع بالإنسان كما إلى الزوال، سوعان ما يعبر بنا إلى الأبدية، فلا يكون للزمن موضع في أبديتنا.

❖ runner "حياتنا أسوع من العداء" تعبر فلا تُؤى شيء. إنها كمر سفينة أو كنسر طائر يطلب طعاماً" (9: 25-26 LXX)، هكذا تعبر حياة الإنسان. ما نقوله ننسأه، ولا تبقى علامة لعبورنا ظاهرة سوى أنها مملوءة حزناً وآسى. "ضُربت في كل أطرافي. هل وُجد وسيط بيننا لكي يوبخ ويفصل بيننا" (أي 9: 28، LXX 33) [421].

القديس أمبروسيوس

❖ كما لا يتوكّ البحر أثراً للسن، ولا يوجد آثار في الهواء للنسر المنقض على الفريسة (حك 5: 10-11)، هكذا يكون غنى العالم عندما يعبر، فإنه لن يتوكّ فوة من الآثار التي للسعادة. فإن الغنى وما يصدر عنه يُطرح في النسيان. لهذا فإن أيوب كمثالٍ احتقر كل تأثير لتلك الحياة وعدم استورها، وهو يشير علينا ألا نوتبط بها.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ قُلْتُ: أَنَسَى كُرْبَتِي،

أُطْلِقُ وَجْهِي وَأَبْتَسِمُ [27].

يبدو أن أيوب بدأ يتطلع إلى ما وراء الزمن ليجد أن كربيته ستتحل يوماً ما ولا يكون لها وجود، حين تنطلق نفسه من هذا العالم، فتصير كل حياته كظل قد عبر لا أثر له. قال في نفسه أن ينسى ما هو عليه من كربٍ، يتوكّ همومه ويتغوى أو يبتهج (بضحك). إن أراد أيوب البار ألا يتكلم وسط ضيقته، ووضع في قلبه أن يتجاهل ما حلّ به، فإن ملامح وجهه تشهد عن عنف التجربة وتنطق بقسوة العاصفة وعنفها دون أن ينطق بكلمة.

❖ الشور التي تحل عليكم ستعبر، وذاك الذي تنتظرونه بصبرٍ سيأتي. أنه سيمسح عرق التعب. أنه سيجفف كل دموعه، ولا يكون بكاء بعد. هنا أسفل يؤمننا أن نئن وسط التجرب، إذ يتساءل أيوب: "ما هي حياة الإنسان على الأرض سوى محنة؟" (أي 7: 1) [422].

القديس أغسطينوس

أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي

عَالِماً أَنَّكَ لَا تُبْرِنُنِي [28].

وي أيوب أنه أن دخل حتى مع نفسه في حوار بخصوص آلامه ربما يخطئ في حق الله، لذا يخشى التفكير فيها إذ لا يقدر أن يتبرر. خشي أن يعاتب الله من أجل سماحه له بهذه الآلام، لأنه يعلم أنه بهذا لا يبرئه الله، بل يكون ذلك ضده. ❖ "كنت أخاف من كل أعمالي، عالماً أنك لا تبرنني، عندما أكون مذنباً" [28-29].

ما هي الأعمال التي ملسها الطوبوي أيوب، هذه قد أوضحها هذا التريخ المقدس. فقد تعلم أن يسترضي خالقه بتقديم محرقات كثرة. بحسب عدد أبنائه - كما هو مكتوب - كان يبكر في الصباح وقدم محرقات عن كل واحدٍ منهم، مطهراً إياهم ليس فقط من الأعمال الدنسة، بل ومن الأفكار الشريرة. سجل لنا بشهادة الكتاب المقدس: "لأن أيوب قال ربما أخطأ بني، وجدفوا على الله في قلوبهم" (1: 5). ملرس مشاعر العطف حيث أعلن عن نفسه عندما رُعجه أصدقؤه: "ألم أبك لمن عسر يومه؟" (30: 25). لقد تعهد القيام بدور الحنو، إذ يقول: "كنت عيوناً للعمي ورُجلاً للوج" (29: 15).

احتفظ بنقوة الطهارة في قلبه؛ في هذا يكشف نفسه بكل وضوح في وقارٍ: "إن غوى قلبي على امرأة" (41: 9). بلغ أعلى قمة التواضع من أعماق قلبه، إذ يقول: "إن كنت قدرفضت حق عبدي وأمتي في دعوتهما علي" (31: 13). لقد وهب بسخاء عظيم، قائلاً: "أو أكلت لقمتي وحدي، فما أكل منها اليتيم؟" (أي 31: 17) ... ملرس الضيافة قائلاً: "غريب لم يبيت في الخرج، فتحت للمسافر أبوابي" (31: 32).

وفي وسط كل هذه الأمور، لتكميل فضائله بأسمى طريق للحب، أحب أعداءه أنفسهم . يقول في هذا: "إن كنت قد فحنت ببلية مبغضي، أو شمت حين أصابه سوء، بل لم أدع حنكي يخطئ في طلب نفسه بلعنة " (31: 29-30).

إن لماذا كان القديس خائفاً من أعماله (9: 28)، مادام قد ملس علي النوام أعمالاً تجعل الله يلين أمام العصيان؟ كيف هذا؟ كيف يخاف حتى من هذه الأعمال العجيبة في ذعر، حيث يقول: "أخاف من كل أعمالي" [28] إلا إذا استنتجتنا من أعمال القديس وكلماته أننا بالحق نريد أن نسر الله بعد أن تغلبنا على العادات الشوية يؤرنا أن نخاف من ذات الأعمال الصالحة التي نملسها . فإنه يوجد على وجه الخصوص أوران يؤم أن نخشاها بصورة جادة في مملستنا للأعمال الصالحة وهما: الكسل والخداع. قيل بالنبي حسب الترجمة القديمة: "لمعون من يعمل عمل الرب بخداع وورخوة" (إر 48: 10).

فالإنسان يرتكب جريمة الخداع في عمل الرب عندما يحب ذاته بمبالغة من أجل الأعمال الصالحة التي فعلها. فيبذل كل وسعه أن يحول الأعمال الصالحة إلى مكافأة. كذلك يليق بنا أن نضع في ذهننا أنه يوجد ثلاثة طرق يُملس فيها الخداع. إن يكون هدفه إما كسب المشاعر الخفية لزملائه المخلوقين، أو طلب المديح، أو نوال نفع خلجي (مادي). على نقيض ذلك قيل بالنبي عن الإنسان المستقيم: "طوبى لمن ينفض يديه عن كل منفعه" (إجع إيش 33: 15)... وذلك إن كان لا يهدف إلى نوال مجد باطل من زملائه، ولا إطاء من شفاهم، ولا هبات من أياديهم... لهذا لأن الأعمال الصالحة ذاتها لا تقدر أن تهوب من الخطية الكامنة ما لم تُحرس بمخافة شديدة. لذلك بحق قال القديس في هذا الموضوع: "كنت خائفاً من كل أعمالي".

البابا غريغوريوس (الكبير)

أنا مُسْتَدْتَبِّ،

فَلِمَاذَا أَتَعَبُ عَبْتًا؟ [29]

وى أيوب أنه عبثاً يُتَعَبُ نفسه لكي يتوأ أمام الله.

❖ من يعرف وهن الطبيعة البشوية ينال خوة قوة الله.

الأب مكسيموس المعترف

❖ يقول: أنا أعرف إنني ضعيف أمام عدل الله اللانهائي؛ أما أمام البشر فإنني بار حسب شهادتك (1: 1؛ 8؛ 2: 3).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ هؤلاء لأنهم كانوا ينظرون عظمة الله، ظهر لهم صغر أشخاصهم . كانوا ينظرون إلى أمواج بهائه، وصفاء طبيعته، وعجب أليته، ومجد عظمته، وقوة عدم محدوديته، وجمال قداسته السامي، وإلى هذه الأمور الموجودة طبعاً منه وعليه وله وبه. فكانت أفكلهم مستترة ليروا نفوسهم، ويتأملوا أشخاصهم كما هو مكتوب. كانوا أيضاً محترسين لئلا يوجد جواب الإثم في قلوبهم أو التفكير الذي يؤدي إلى الظن أن صلاح شخصياتهم استحقوه

بفضائلهم ليبلغوا إلى قمة عظمة الله [423].

❖ لا تقدر نفسي أن تثبت في التواضع الحقيقي، وتوى صغر ذاتها، وتفكر في فقر طبيعتها، ما لم تبورها ثروات الله الخفية، ويحركها سمو منظرها.

فالفقر يُتوك بالغنى، والظلمة تُبغض بإشراق النور. ويُشعر بتواضع النفس من سمو الله العجيب، من شعر بعظمة الله، وى صغر ذاته [424].

القديس مار يعقوب السروجي

وَلَوْ اغْتَسَلْتُ فِي التَّلْجِ

وَنظَّفْتُ يَدَيَّ بِالْأَشْنَانِ [30].

❖ الثلج هو دموع التواضع الذي فيها تسمو كل الفضائل الأخرى في عيني الديان الحزم... فإن البعض يحزنون، ولكن في غير تواضع، وذلك إذ

يخزنون ويكون، ولكن هذه الدوع عينها يقدمونها وهم مستخفين بحياة إخوتهم، أو في تعالي على تدبير خالقهم. هؤلاء لهم ماء ولكن ليس ثلجًا snow water ()، ولن يمكنهم أن يغتسلوا، لأنهم لا يغتسلون بدوع التواضع. أما من يغتسل ويتطهر من الخطية بالثلج، فهو الذي في يقين يقول: "القلب المنكسر والمتواضع لا تزدله يا الله" (مز 51: 17).

❖ يمكن أيضًا أن يُفهم "الثلج" بمعنى آخر. فإن الماء الصادر عن ينوع وفي مجرى نابع عن الأرض، أما الثلج فيسقط من السماء. كثيرون جدًا يخزنون مولولين على أمور رُضية... إنهم يرحون بالألم في صلواتهم، ولكن من أجل الأواح بالملذات الزمنية لذلك فإنهم لا يغتسلون بالثلج، لأن دموعهم نابعة من أسفل...

أما الذين يخزنون لأنهم يتوقون إلى مكافآت في العلا فهم يغتسلون ويتطهرون بالثلج، حيث تفيض عليهم الندامة السماوية. إذ يطلبون الأبدية بدوعٍ وحرزٍ، وقد التهب فيهم الشوق إليها، وبهذا ينالون من العلا الوسائل التي بها يتطهرون.

❖ ماذا يُقصد بالأبدي سوي "الأعمال"؟ فقد قال النبي لأشخاص معينين: "أيديكم مملوءة دمًا" (إش 1: 15)، قاصدًا "أعمالكم مملوءة قسوة".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ في هذه المعركة العظيمة، إذ يعيش الإنسان تحت النعمة فتعينه، وبالتالي يحلب حسناً ويوح في الرب بمخافة، فإنه لا يحتاج إلى مقاتلين جباوة أو مهلكين عتاة لأجل إماتة أعمال الجسد، إنما يمكننا الشفاء من بعض جراحات الخطية بهذا القول اليومي: "وأغفر لنا ذنوبنا" (مت 6: 12)، مجاهدين بهذه الصلاة ضد الودائل وضد الشيطان رئيس الوديلة بحرصٍ عظيمٍ جدًا وحذاقة بالغة، مبطلين مشوراته المميته التي يقدمها ألا وهي عدم إدانة الإنسان نفسه وتقديم أذار يبرر بها خطاياها.

هذه المشورات (الشيطانية) ليست فقط تترك الجراحات بغير شفاء، بل تدفع بها إلى أضرار خطوة ومهلكة.

وهنا تظهر الحاجة إلى عفة مملوءة حرًا، حتى تقمع شهوة الكبرياء البشوية، حيث يسر الإنسان بنفسه، ولا يريد أن يرى في نفسه أنه مستحق للوم. فإذا أخطأ يستكف من الاعزاف بخطئه، وبدلاً من أن يتهم نفسه بتواضعٍ مشفي، يبحث لنفسه عن عذر يقدمه زهوٍ مميته. ولأجل قمع هذا الكبرياء، نجد ذلك الذي طلب العفة من الله بقوله "ضع يارب حرساً لقمي وباباً حصينا لشفتي، ولا تمل قلبي إلى كلام شر"، يخشى لئلا 'ينعلل بعللٍ'. فإن هذا "التعليل" أكثر من كلام الشر...

فالشوهر ينكر أنه شوهر، بالرغم من ارتكابه الشر الذي لا يقدر أن ينكوه. فإذا لا يقدر أن يخفي عمل الشر، لأنه واضح أنه قد ارتكبه، يبحث كيف ينسب الشر إلى غيره طائفاً بهذا أنه يُبعد نفسه عما يستحقه.

وإذا لا يرغب في نفسه أن يكون مجرمًا، يضيف إلى خطئه خطأً بتقديمه تورات. وبدلاً من أن يتهم نفسه بخطاياها يقدم أعذاراً دون أن يبري أنه بهذا يزرع عن نفسه العفو لا العقوبة [425].

القديس أغسطينوس

فإنك في النِّعِ تَغْمِسُنِي،

حَتَّى تَكُونِي ثِيَابِي [31].

كان يُظن في القديم أن ماء الثلج له خاصية تطهير الجلد. كانوا يظنون أن الجلد يصير أبيض بواسطة ماء الثلج، وأنه يمنع العوق. وكان البعض يظن أن الشخص الأسود يمكنه أن يصير البشوة بيضاء باغتساله بالثلج.

ليس من طريق للتوبة أمام الله، فالثلج يعجز عن تنظيف جلده، والاشنان (الصابون أو المطهر) عن تنظيف يديه. ليس من جوى في ذلك، فإنه كلما حاول الإنسان أن يبرئ نفسه يجد نفسه مغموساً في الوحل (النقع)، حتى يكره ثيابه ويعاف لمس نفسه.

ولعل أيوب يرى أنه ليس فقط باطلاً يبرئ نفسه أمام من هم حوله، بل مع كل محاولة للتوبة يكشف الله ضعفاته الخفية، فوى نفسه غائصاً في

الوحد الكويه في نظر الناس. لم يكن أيوب يجسر على الحوار مع الله كما لو كان إنساناً مثله، فليس للخوف أن يحلور الخواف.

❖ واضح أن البشر يدعون أولًا ويُقال عنهم بلا أخطاء، ولكن إن تسلل إهمال إليهم يسقطون. يحتل الإنسان دائماً المكان الوسط، فيمكن أن يتولق من أعلى الفضيلة إلى الرذيلة، ويمكن أن يقوم من الرذيلة إلى الفضيلة. لن يكون في أمان، بل يؤرمه أن يخشى تحطيم سفينته حتى في الجو الحسن، بهذا لا يمكن لإنسان أن يكون بلا خطية. يقول سليمان: "لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" (7: 20) كذلك في سفر الملوك: "ليس إنسان لا يخطئ" (2 أي 6: 36). كذلك يقول الطوبوي داود "الأخطاء من يشعر بها؟ من الخطايا المستورة أوثني ومن خطايا الكوياء احفظ عبدك" (مز 19: 12-13). وأيضاً: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2). والكتاب المقدس مملوء من مثل هذه العبرات [426].

القديس جيروم

رى البابا غريغوريوس (الكبير) في عبرات أيوب هنا صوخت التوبة حيث يشعر أنه وإن كان بحسب البشر هو بار، لكنه مذنب في عيني الله، فيطلب الصفح. هكذا عاش أيوب كل حياته يطلب التوبة، فتصير حياته مطوية.

❖ تستطيع في يوم واحد أن تقتتي كل أبدية يا أخي، وفي يومٍ واحدٍ تفقدها. أعطيت لك آلاف الأيام على الأرض لتستخدم لخالصك الأبدية أو دينونتك الأبدية. مطوب مئات الموات اليوم الذي تتوب فيه عن كل أعمالك الشوية وكلماتك الدنسة وأفكرك، وتعود إلى الله بصوخة تطلب الرحمة. هذا اليوم أفضل لك من ألف يوم آخر!

ما هو هذا اليوم المبارك؟ إنه يوم إدانة الإنسان لنفسه. عندما يزغ فجر ذلك اليوم فإن الإنسان الذي يدين العالم كله حتى ذلك الحين حين يتطلع إلى نفسه أنه أعظم الخطاة على رُض الله. يشعر بالخجل أمام الله، وأمام كل إنسان وأمام كل شيء خلقه الله على الأرض. هذا الخجل يلتهب فيه كنارٍ، عندئذ يعرف ويعترف: "أنا أعظم الخطاة على رُض الله، كل البشر الآخرين أفضل مني... يارب رُحماني، يارب أنا الخاطي واغسلني من وحل خطاياي، حتى ابدأ أتشبه بخلقتك."

لا تتوقع يا أخي أن يوم التوبة المبارك يأتي من ذاته، بل تمسك به في أول يوم يلتقي فيه بك، وقل: "أنت هو اليوم المبارك الذي فيه أشوي الحياة الأبدية" [427].

الأسقف نيولا فيليميروفيش

❖ ماذا يقصد "بالثياب" "إلا الجسم الأرضي، الذي تلتحف به النفس وتتغطي؟... يقال إن ثيابنا تشمئز منا، إذ تجعلنا مكروهين. لقد شعر بكواهيبة الثياب ذلك الذي قال: "ولكني رُى ناموساً آخر في أعضائي يحلب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي" (رو 7: 23). هذه الثياب عينها التي لم يكن قاوراً أن يسر بها نهائياً رغب بكل غوة أن يلقيها جانباً لكي يستورها يوماً ما في حالة أفضل بكثير، قائلاً: "ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت؟"

البابا غريغوريوس (الكبير)

6. الحاجة إلى وسيط

لأنه ليس هو إنساناً مثلي،

فأجوابه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة [32].

❖ هذا ما يعنيه تقويبا؟ إن كان الذي يعاقبني إنساناً، فإن عقوباته لا تدين بالتمام من يسقط تحتها. أستطيع أن أحاكم أمامه، وأوهن له أنه ظالم، ولكن لأنك أنت هو الله فهذا مستحيل.

شكوى أيوب تمثل صرخة البشرية منذ سقوطها، فهي في حاجة إلى مصالِحٍ يمكن اللجوء إليه ليرد الإنسان إلى الأحضان الإلهية. من هو هذا الذي له القوة أن يمد يده بالحب ليضم الإنسان إلى الله. من هو هذا الذي له تلك الدالة إلا كلمة الله المتجسد، الذي هو واحد مع الأب في ذات الجوهر، ومساوٍ له، وقد صار واحداً مع بنى البشر، صار آدم الثاني.

إذ الشفيع ربنا يسوع المسيح وحده بلا خطية، فهو قادر أن يقوم بعمل المصالحة بين الأب والإنسان.

❖ ألا ترون كيف أعلن أيوب عن مجيء المسيح، متنبأً تحت مظهر هذه الصلاة، سرّ وسيط حياتنا؟ لهذا قال أيضاً بولس: "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح" (1 تي 2: 5). فإنه ماذا يحدث لو أن المسيح قد تجسد وقام بتكرار ما قاله إشعياء في توبيخه للناس؟ "اغسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني. كفوا عن فعل الشر. تعلموا فعل الخير. اطلوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. هلم نتحاج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقزم تبيض كالثلج" (إش 1: 16-18).

لماذا قيل عن المسيح أنه "الوسيط"؟ لأنه أخذ شكل الإنسان والله (في 2: 6) فإنه من الضروري للوسيط أن يكون قائواً على قيادة الأعداء للمصالحة (رو 5: 10)، أن يحمل وجه الاثنين، فإنه بهذا يحقق الاتفاق والمصالحة. وإذ يريد المسيح أن يصالِح الإنسان مع أبيه (2 كو 5: 18)، إذ هو الله وصار إنساناً (في 2: 7) أخذ شكل الاثنين.

بل ذهب إلى أبعد من هذا؛ إذ يعلن للبشر ما يفعله في أمر دينونتهم، كيف أنه الديان وهو المحب لهم، وكيف يبرز الديان كصانع الخواتم والروؤوف، فإنه يصف الاغتسال، شاهداً عن الغسل بالمعمودية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "لنا سلام مع الله" (رو 5: 1)، من خلال ربنا يسوع المسيح الذي صالحنا مع الله خلال ذبيحة دمه...

جاء المسيح لكي يُهلك الأعداء، ويصنع السلام، ويصالِحنا مع الله الذي فصلنا عنه حاجز الشر الذي أقمناه بخطايانا.

❖ ظهر في هيئته الجسدية وبذل ذاته كجسدٍ، يجذب لنفسه الجسديين حتى يُحوّلهم أولاً إلى شبه الكلمة الذي صار جسداً، ثم بعد ذلك إلى ما كان عليه قبل أن يصير جسداً.

العلامة أوريجينوس

لِيُورَفَ عَنِّي عَصَاهُ

وَلَا يَبْعَثْنِي رُغْبُهُ [34].

❖ من يقدر أن يرفع عصا الله، أي غضبه الإلهي، فلا يعود يرتعب الإنسان منه؟ إنه ربنا يسوع المسيح الذي وضع إثمنا عليه، ودخل بنا إلى الحب الإلهي فصونا بروحه القدس أبناء لله، لنا من الدالة عليه.

"ليرفع عني عصاه" [34]، فإنه إذ تجسد وصار مثلنا فلا يضربنا بالعصا ولا بالخوف، بشروط أن نهرب إلى نعمته وإلى الإيمان، نهرب إلى ذلك

الذي قام من الأموات: قال الملاك للنسوة: "لا تخفن" (مت 28: 5؛ 10). وعندما ظهر للتلاميذ استخدم ذات اللغة مرة أخرى. في هذا المعنى أكمل

أيوب: "إذا أتكلم ولا أخافه" [35]. فقد أبطل الخوف عنا، وشيّد ناموس الحب (مت 22: 37-39). هذا ما كتبه يوحنا اللاهوتي: "المحبة الكاملة تطرد

خوفنا" (راجع 1 يو 4: 18).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِذَا أَتَكَلَّمْتَ وَلَا أَخَافُهُ.

لَأَنِّي لَسُنْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي [35].

بالمُصالح ندخل إلى الأب في دالة البنوة، نتمتع بحبه، ونفوح بالاتحاد معه.

❖ في الناموس امسك الله العصا، حيث قال: "إن فعل إنسان هذا أو ذلك ليمت موتاً". وأما في تجسده فقد زرع عصاه، مظهرًا طريق الحياة بوسائل لطيفة. فقد قيل له بالمولد: "تقدم وأملك وتهلل من أجل الحق والدعة والبر". فإنه لا يفكر في أن يخيف بكونه الله، بل يسكن في قلوبنا كأبٍ يحب. كما يعلمنا بولس بوضوح: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصح يا أبا، الأب" (رو 8: 15). لهذا لاق أن يضيف هنا: "إِذَا أَتَكَلَّمْتَ وَلَا أَخَافُهُ" [35]، لأنه إذ رأى القديس مخلص العالم قادمًا في وداعة لم يلتحف بالخوف، بل بنعمة التبني صعد إلى الحب. يقول يوحنا: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرد الخوف" (1 يو 4: 18). ويقول زكريا: "منقذين من أيدي أعدائنا نعبده" (لو 1: 74). فالخوف ليس له قوة ليقمنا من موت الخطية، لكن نعمة الوداعة المنسكبة تقيمنا إلى عرش الحياة. هذا ما أشير إليه بأليشع، فإنه إذ أرسل خادمه بالعصا لم يرد الحياة للصبي الميت مطلقًا. ولكن عند مجيئه شخصيًا بشخصه وبسط نفسه على الجسم الميت، ولصق نفسه بأعضائه ومشى هنا وهناك، ونفخ في فم الجسم الميت سبع موات، رده إلى نور الحياة الجديدة خلال خدمة الحنو... فانه إذ قدم رعب الناموس بواسطة موسى يكون كمن أرسل العصا بواسطة الخادم. لكن عندما جاء بشخصه وبسط نفسه في تواضع على الجسد الميت جعل نفسه ملتصقًا بأعضاء الجسد الميت". الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس، وإذ وجد في الهيئة كإنسان... (في 2: 6-8). لقد نفخ في الجسم الميت سبع موات، وذلك بالإعلان عن النعمة الإلهية، واهبًا روح النعمة السباعية للذين انطرحوا في موت الخطية. بعد هذا قام حيًا، في ذلك الصبي الذي لم تستطع عصا الرعب أن تقيمه إنما نال الحياة بروح الحب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لماذا تخافون أيها المسيحيون؟

المسيح يتحدث: "أنا هو لا تخافوا".

لماذا تترعون لهذه الأمور؟ لماذا تخافون؟

لقد سبق فأخبرتكم بهذه الأمور أنها ستحدث حتمًا... "أنا هو لا تخافوا. فوضوا أن يقبلوه في السفينة".

إذ عرفوه وفوجوا تحرروا من مخاوفهم. "وللوقت صلت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها". وُجدت نهاية عند الأرض، من المنطقة

[428]

المائية إلى المنطقة الصلدة، من الاضطراب إلى الثبات، من الطريق إلى الهدف.

القديس أغسطينوس

[429]

❖ إرادة الله لا أن يخلصك من المخاوف بل يحثك على زوائها، فإن هذا أعظم من التخلص منها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أيوب 9

هب لي مصالحة أبدية!

❖ من يتبرر أمامك يا أيها القدوس .

إن حاكمت تتبرر أنت!

إن أعلنت خطاياي فهمي بلا حصر .

إن قدمت ألف اتهام لا أستطيع ان أجيب بكلمة!

أنت فاحص القلوب والكلى،

لا تُخفى عنك أفكري وضعفاتي الخفية.

اعترف لك إني خاطي.

❖ لا اقدر أن أف أف أمامك في خصومة،

فأنت الحكمة عينها والقرّة.

أمامك تتوخح الجبال الواسخة وهي لا تنوي .

أمامك تنهار النفوس المتشامخة،

وتنوب الجبال البشوية كالشمع أمام النار .

لتوخح كل كوياء في داخلي .

ولتذب كل فساد في أعماقي .

ولتقم جبالك المقدسة، كلمتك الثابتة،

عوض جبالي المتشامخة الفاشلة!

❖ ظن اليهود أنهم أصحاب الجبال العالية،

إذ تسلموا الشريعة، ومنهم جاء الآباء والأنبياء .

لقد وُجِحت هذه الجبال عنهم،

ونقلتها إلينا لننعم بها بالروح لا الحرف .

كشفت لنا أسوار الناموس الداخلية،

وأعلنت لنا النوات التي تحققت بمجيتك .

وأشرقت بالحق علينا عوض الظلال!

لك المجد يا مقيم جبالك في أعماقنا!

❖ كيف أدخل في محاكمة معك، يا أيها الخالق القدير؟

تأمر الشمس فلا تشوق، والنجوم فلا تتحرك .

لتقف الشمس، فتظهر ظلمتي الداخلية،

ولتتوقف الكواكب فلا أجد بصيص نور داخلي!

عوض الشمس الظاهرة، فلتشرق علىّ يا شمس البرّ،
إني محتاج إليك، فإني جالس في الظلمة.
تشرق علىّ بنور برك، فتقيم منى كوكبًا يحمل بهاء مجدك.
عوض توير نفسي أمامك أقتنيك فأتير.

❖ كيف أترأى أمامك كما في ساحة قضاء،
وأنت باسط السموات، والماشي على أعالي البحر؟
لنقم من أرضي سماء، فأصير مسكنًا لك.
لتعبر في داخل نفسي كما على بحرٍ هائج.
حضورك بيكم الأمواج ويهدئ الرياح والعواصف.
إني في حاجة إلى غنى نعمتك،
فأنت تعبر بي ولا أراك، تجتاز فلا أشعر بك.
من يقدر أن يقول للخالق: لماذا فعلت؟
إني أصمت وسط العاصفة،
وأنتظر حضورك، فأنت طبيب نفسي،
تشفيني من جروحي الكثيرة المميّة!
أريد أن أراك!
أريد أن أسمع صوتك!

❖ لماذا تضطرب نفسي عندما تُسلم الأرض ليد الشوير؟
هوذا إبليس صار رئيس هذا العالم الشوير!
ليملك، ولكن الأرض تزل، وينحدر هو إلى الجحيم!
لماذا تثن نفسي، فأنت القديس صوت إنسانًا!
صوّب إبليس سهام الموت إليك،
ولم يدرك أنك القيامة والحياة الأبدية.
بل أدتك سلمت جسدك للموت إلى حين.
لكي تحطم الموت وتقتله في دره.
لست أخاف بعد من الشوير،
فإنه لن يجد بعد فيّ رُضًا يستلمها.
حولت أرضي سماء،
فلا موضع لعدو الخير في داخلي!

❖ إنني أتوقب رحيلي بوحٍ وبهجة قلبٍ!
تعد حياتي كسفينة في البحر، لا أتوك أوثًا على المياه.
وأطير كنسرٍ في السماء، لا أتوك أوثًا لرحلتي في الهواء.
إنني بروحك القنوس أطير إليك،
واستقر في أحضان أبيك السموي.
لست افتخر إلا بصليبيك وغنى نعمتك الساترة على ضعفاتي وشروري!

❖ لن أبرر نفسي! لا ليس ما أنبرر به.
هب لي مصالحة أبدية.

أنت وحدك تتوع العذوة، وتدخل بي إلى حضن أبيك.
أنت بدمك تتكلم، فامتلي رجاء وحبًا!
فيك وحدك وبك أتمتع بالأمجاد الأبدية.

<<

الأصحاح العاشر

هل التفكير في المصير هو الحل؟

يصعب علينا أن نحكم على أيوب، إذ لم نتعوض لنكباتٍ مثله، بذات الصورة من جهة الكمية والتوع، مع عنصر المفاجأة. هذا بجانب أنه لم يكن لديه الشيعة ولا الإنجيل، حيث تعلن لنا كلمة الله عن دور الشيطان كخصمٍ مقلومٍ لا يهدأ، وعن الخطية، وأيضًا عن الحياة المقبلة، ومع هذا مع ما لدينا من إمكانيات روحية تسندنا، ففي مواقفٍ كثرةٍ يصعب علينا إراكَ أحكام الله.

في هذا الأصحاح نرى أيوب المُجرب يصلح بين الحقائق التالية:

- 1 . إراكه أنه لم يفعل شرورًا خفية تستوجب مثل هذه التجرب الوثة من كل جانب.
- 2 . في نفس الوقت كان على يقينٍ من الرعاية الإلهية الفائقة، فهو خليقته المحبوبة جدًا لديه.
- 3 . لا يمكن لإنسانٍ أن يفحص حكمة الله، ولا أن يقف أمامه ليحوره كمن في ساحة القضاء.
- 4 . واثق من عدل الله، فهو ليس بظالم.
- 5 . عاجز عن أن يصمت، فالتجربة فوق احتمال الطبيعة البشرية.

أمام هذه الحقائق يرى أيوب أن الحل الوحيد هو التفكير في المصير المحتوم. كأنه يقول لله: إن كنت لا تقدر أن تقدم لي أسسًا مقنعة لتعاملك هكذا مع شخصٍ ويء مثلي [٢-٣]، وإذ لا يمكنك أنك تُخدع كما قد يُخدع القضاة البشريون [٤-٥]، فهل قررت منذ البداية أن تعاملني كخطيء، سواء كنتُ مذنبًا أم غير مذنب؟ هل كُتبت عليَّ المصير الومني بالدمار [٦-٧]؟

ولكن كيف يمكن أن يتفق هذا مع معجزة خلقتني عندما كونتني من التراب إلى لحمٍ وعظام؟ [٨-١١] فإنك حتى الآن لارلت تهبني الحياة

وَوَعَانِي [١٢]، لكن يبدو أنك من البداية وضعت المصير الخفي بتدمير كل ما أعطيتني إياه [١٣]، بغض النظر إن كنتُ صالحًا أو شويًا [١٤-١٥]، حتى وإن كنت قاورًا أن لرتفع لأوهن على واعي، فقد صممت أن تصطادني وتسكب عليّ آلام وأحزان، لكي تشهد على ذنبي أمام أعين العالم [١٦-١٧].

بالتأكيد كان الأفضل أنني لم أكن قد وُلدت عن أن أبقى حيًا [١٨-١٩]. لكن إذ أنا حيّ، فحياتي على الأكثر قصوة هكذا، حيث تصوب عذاباتك عليّ، إذ سوعان ما يحل بي الموت، حيث الظلمة والمصير النهائي [٢٠-٢١].

يكمل أيوب حديثه في الود على بلدد، فمع تأكيده أن جميع الأوار كما الأثوار يتعرضون للتجرب، لكن تحت ثقل النكبات صار يئن، وليس له أن يتبرر أمام الله إلا أنه يشكو من عجزه عن أن يزرح تحت المتاعب التي حلت به. كأن يتردد بين الزامه التسليم بين يدي الله، وبين ثقل الحمل وشهوة التخلص منه بالموت.

1. صلت حياته كرهية 7-1.
2. حياته في يد الله 13-8.
3. عدالة الله ورحمته 17-14.
4. الموت نهاية الأتعاب 22-18.

1. صلت حياته كرهية

قَدْ كَوَّهْتُ نَفْسِي حَيَاتِي.

أَسِيبُ شَوْأِي،

أَتَكَلَّمُ فِي مَرَّةٍ نَفْسِي [1].

في شيء من الشجاعة يقف أيوب أمام الديان ليرفع شكواه إلى من أصدر الحكم عليه بالدخول في ضيقات مرة. لقد أترك أيوب المُجرب أنه ليس من طريق للشكوى فيما حلَّ به بسماح من الله إلا أن يرفعه إلى الله نفسه.

عجز أيوب عن أن يدافع عن نفسه أمام الله، وقد خشي عظمته، ولم يجد من يصلحه معه، عندئذ صرخ: " قَدْ كَوَّهْتُ نَفْسِي حَيَاتِي ". اشتهى الموت بأسًا.

أطلق أيوب شكواه ضد نفسه، فهو لا يتهم الله بالظلم والقسوة، إنما يتهم نفسه بالجهل، لا يعرف أساس الخصومة، إذ افترض أيوب أن العيب فيه، لكنه لا يعرفه.

لم يود أن ينطق بكلمة، لئلا يخطئ، لكن انطلقت المرلة التي في داخله تتكلم. وكما يقول الرسول "الخطية الساكنة في" (رو 7: 20).

❖ "نفسى قلقة من جهة حياتي" [1]. الآن إذ بدأت الحياة الحاضرة أن تصير بلا طعم، وتصير محبة الخالق عذبة، التهببت النفس ضد ذاتها، فتتهم ذاتها بالخطايا التي كانت قبلاً تبررها، بكونها تجهل العلويات. لهذا أكمل: "أسيب كلامي ضد نفسي" [1].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لتكن آلامك كتبًا تتصحك.

مار أفوام السرياني

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب البار وسط المحن الشديدة لرتفع قلبه نحو السماويات، والتهب قلبه بالحب نحو الله، فتجلت أمامه الخطايا التي لم يكن يشعر بها قبلاً أو التي كان يستتفها أو يبررها، لذلك كوه ما كانت عليه حياته، وصار هو متهمًا لنفسه، يسمح لنفسه أن ينطق

صار أيوب ديانًا لنفسه، حتى لا يسقط تحت الديونة في يوم الرب العظيم الذي يستذنبه. إنه يفضل أن يستذنب نفسه قبل أن يستذنبه الله حتى في هذا العالم، فيسخر منه أعداؤه حين يسلمه الله لهم لتأديبه. حقًا ما أعذب أن يلقي الإنسان باللوم على نفسه!
هكذا تتحول الضيقة من ثقل يمرر النفس، إلى تمتع بثقل أمجادٍ أبديةٍ، نختوها وسط الآلام. لذا يقول الرسول بولس: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدي" (2 كو 17:4).

❖ " **أتكلم في مودة نفسي** "، من يخبر عن خطاياها، مشمؤًا منها، يؤمّه أن يتكلم في مودة نفسه، حتى أن العورة ذاتها تعاقب اتهامات لسانه في ترويه لضموره. لكن يؤمنا أن نضع في ذهننا أنها تجلب نوعًا من الأمان من آلام الندامة التي تسدد ضربة إلى نفسها، وعندئذ ترتفع بثقة أعظم لمواجهة استجواب الديان السملوي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا توجع النفس إلي الله إلا إذا اتوّعت من العالم، ولا يؤعها بحق إلا التعب والألم.

القديس أغسطينوس

❖ لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا؛ ولا نفسه مختلفة عن نفوسنا، ولا عاش في عالمٍ آخر، بل سكن في نفس العالم والمدينة وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر. الآن، أين هؤلاء المعترضين على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطية؟ فهذا الرجل يدينهم بكلماته: "لأن خفة ضيقنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدي" (2 كو 17:4). فإن كانت ضيقاته محتملة وخفيفة، فكم بالحري ضيقنا التي إن قرنتها صلت كلاً شيء أو مجرد لذاتٍ؟...

احتضن بولس الآلام بمحبة بلا مقابل، وتحمل بكل فوج ما اعترضه من صعوبات وعوائق في طريق الفضيلة. فلم يتضايق من ضعف الجسد أو ضغوط المسؤولية أو بطش العادات، ولا من أي شيءٍ آخر. علاوة على ذلك فاقت مسؤولياته كل مهام القادة والملوك، لكنه كان يزداد في الفضيلة يوميًا. وصار زدياد المخاطر سببًا في التهاب غيرته بالأكثر، فقال: "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام" (في 13:3).

عندما اقترب منه الموت، دعا الجميع لمشاركته هذا الفرح، قائلاً: "وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً، وأفرحوا معي" (في 18:2). فكان يتهلل فرحًا في الضيق والألم وفي كل مذلةٍ. كتب إلى أهل كورنثوس: "لذلك أسر بالضيقات والشنائم الضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح" (2 كو 10:12). ودعا ذلك أروع العدالة، موضحًا أنها مصدر مثمر لفائدته، فصار لا يُهزَم أمام أعدائه. وبالرغم من الضوب والاضطهاد

والشتم كان كمن في عوسٍ مبهج، مُصححًا الكثير من مفاهيم النصرة، متهللاً فرحًا، شاكرًا الله بقوله: "ولكن شكورًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين" (2 كو 14:2) [430].

❖ ما أجد الآلام! بها نتشبه بموته!

كما يُلقى ممحص الذهب بقطعة الذهب في الفرن لتحتمل النار إلى حين حتى واهما قد تنفتت، هكذا يسمح الله بامتحان البشرية بالضيقات حتى تنتقى وتحصل على نفعٍ عظيم... فليتنا لا نضطرب ولا نياس عندما تحل بنا التجرب. لأنه كما أن ممحص الذهب يعلم الزمن الذي ينبغي أن يتوك فيه الذهب في الفرن، فيُخرجه في الوقت المعين، ولا يتوكه بعد في النار، حتى لا يفسد ولا يحترق، هكذا كم بالأكثر يعلم الله ذلك. فعندما وانا قد تنقينا بالأكثر، يعقتنا من تجربنا حتى لا ننطرح ونطرد بسبب وَايدِ شرورنا.

عندما يحل بنا أمر ما لم نكن نتوقعه، لا نتذمر ولا نخور قلوبنا، بل نتحمل الله الذي يعرف هذه الأمور بدقة، حتى يمتحن قلوبنا بالنار كيما يُسر، إذا يفعل هذا بهدف لفائدة المجربين، لذلك يوصينا الحكيم قائلاً بأن نخضع لله في كل الأمور، لأنه يعرف تمامًا متى يخرجنا من فرن الشر. (حكمة

نخضع له على النوم، ونشكوه باستتوار، محتملين كل شيءٍ برضا، سواء عندما يمنحنا بركات أو يقدم لنا تأديبات. لأن هذه الأخوة هي نوع من أنواع البركات.

فالتبيب ليس فقط يسمح لنا بالاستحمام (في الحمامات)... أو الذهاب إلى الحدائق المبهجة، بل وأيضاً عندما يستخدم المشروط والسكين هو طبيب!

والأب ليس فقط عندما يلاطف ابنه، بل وعندما يؤدبه ويعاقبه... هو أب! وإذ نعلم أن الله أكثر حنواً من كل الأطباء، فليس لنا أن نستقصي عن معاملته، ولا أن نطلب منه حساباً عنها، بل ما يحسن في عينيه يفعله. فلا نميز إن كان يعتقنا من التجربة أو يؤدبنا لأنه بكلٍ من الطوبين يودرنا إلى الصحة، ويجعلنا شركاء معه، وهو يعلم احتياجاتنا المختلفة، وما يناسب كل واحدٍ منا، وكيف، وبأية طريقة يؤمنا أن نخلص.

لنتبعه حيثما يأمرنا، ولا نفكر كثيراً إن كان يأمرنا أن نسلك طويلاً سهلاً وممهداً أو طويلاً صعباً وعراً [431].

القديس يوحنا الذهبي الفم

قَائِلاً لِّلَّهِ: لَا تَسْتَنْبِنِي.

فَهَمَّنِي، لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! [2]

مع ما يبدو في أيوب من تدمرٍ، لكنه يعلن جهله عن سرِّ الخصومة ويستندنب نفسه، وإن كان لا يعرف ما هو ذنبه، لهذا في تواضع يطلب: "لا تسندنبني"، أي لا تفصلني عنك.

إذ سمحت لي بحمل الآلام، فلا تسمح للخطية علة تعبي أن تستقر في داخلي.

إذ سمحت لي بعضاً التأديب، لا تسمح بهلاكي.

أدبني لكن لا تحكم عليّ إنني مستحق للدينونة. وكما يقول الرسول: "إذ قد حُكِّم علينا نؤدب من الرب لكي لا نُدان مع العالم" (1 كو 11: 32).

ما اشتهاه أيوب تحقق بالمسيح يسوع: "إذ لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب

الروح" (رو 8: 1).

يسمح الله بالتجرب لكي يصوخ المؤمن طالباً المعرفة، واكتشاف أسرار الله: "فهمني، لا تخاصمني".

خلال الضيق أترك أيوب البار أنه خاطي، لكن هذا لا يكفيه، بل يريد من الله أن يهبه فهماً ليرك ما هي خطيته، فيعترف بها لله، ويهرب منها

خلال النعمة الإلهية.

❖ عظيم هو الإيمان، وعظيمة هي قوة الضمير، أن يستدعي الإنسان الله كشاهدٍ على تحقيق هدفه.

لم يرفض أيوب ما يحل به خلال حاله البشري، إنما يرفض ما يأتي من عدم القداسة، معترفاً أنه يحل به عن ضعفٍ.

أن يخطئ الإنسان هذا من خلال واقعه البشري، لأنه ليس أحد مُستثنى من السقوط.

أما أن يعمل بطريقٍ غير مقدس، فهذا ليس من حاله البشري، إنما هو سم عدم الإيمان خلال القلب الشوير.

لا يليق بالإنسان البار أن يفعل هذا.

[432]

تعتمد المغفرة للإنسان على مراحم الله، لا على قوة الإنسان.

القديس أمبروسيوس

❖ "قائلاً لله: لا تدينني، فهمني لماذا تخاصمني؟" [2] إذ يعلن عن نفسه أنه خاطي، "في مروة نفسه"، ماذا يقول الله إلا أنه يطلب ألا يُدان، حيث أن

مروة ندامته الحاضرة توع الآم السخط عن خطاياها؟

يدين الله الإنسان في هذه الحياة بطريقتين: بإواك أنه بالمتاعب الحاضرة قد بدأ فعلاً أن يجلب عليه العذابات العتيدة، وإلا أن يرفع العذابات العتيدة خلال الضربات الحالية...

يُخلص التأديب من الويل أولئك للذين يتغيرون وحدهم. أما الذين لا ينصلحون بالمتاعب الحاضرة، فيدخلون إلى متاعبٍ أخرى كنتيجة لذلك. لو أن بعض العقوبات الحاضرة لا تحفظ من الويل الأبدي، ما كان بولس يقول: "ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب، لكي لا ندان مع العالم" (1 كو 11: 32). كما قيل ليوحنا بصوت الملاك: "إني كل من أحبه وأؤدبه" (رؤ 3: 19)، كما كتب: "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله" (عب 12: 6)...

بعدل قيل هنا: "فهمني، لماذا تحاكمني؟" [2]. وكأنه يقول بوضوح: لقد ملست حكمك عليّ بضوباتك علي، لكي بهذه الضوبات تجعلني في أمانٍ من الدينونة.

يمكن أيضاً أن تفهم هذه العبارة بمعنى آخر. كثراً ما يتقبل البار ضوبات التجربة، وإذ يمتحن حياته بالعين الحاذقة التي تستجوبه لا يقدر أن يحدد أية خطية علي وجه التدقيق لأجلها قد ضُوب، حتى وإن شعر في نفسه أنه خاطي. إنه يرتعب بالأكثر تحت العصا بالنسبة لهله السبب الحقيقي للضوبات. إنه يصلي للديان ليُظهر له غاية ضوبه إياه، حتى يتأدب بالبكاء على خطيته. فهو متأكد تماماً أن المنتقم البار لن يُحزن أحداً بظلم. وأنه قد وُضع تحت الجلدات كإندازٍ خطير، ومع ذلك لم يقدر أن يكتشف من نفسه ما يجب أن يحزن عليه.

أَحْسَنَ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ،

أَنْ تَرُدُّ لِعَمَلٍ يَدِيكَ،

وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الْأَشْرَارِ؟ [3]

عاد أيوب يعاتب الله كمن شعر بالظلم، إذ يتوك الأشرار يتممون مشورتهم الشورية في حياة مؤمنيه الذين هم من عمل يديه.

واضح في السفر كله أن أيوب لم ينسب الظلم إلى الله، لكنه كان في حوة شديدة، إذ لم يعرف كيف يفسر الأحداث بالرغم من إواكه وتأكده من عناية الله.

إذ يركز الإنسان في ضعفه على الضيقات التي حلت به، يتعجب كيف يتوك الله الأشرار يتممون مشورتهم الشورية ضد أولاد الله. يظن الإنسان كأن الله قد نسي أنه عمل يديه، وموضع عايته، وأنه توك الأشرار يفعلون ما يريدون.

لكن إذ يرفع المؤمن نظره إلى الله، يترك أنه الطبيب السلمي الصالح الذي يحول مشورات الأشرار لبنيان أولاده ومجدهم. يسمح لهم أن يملسوا الضيق، لكنه يهب أولاده قوة على الصبر والاحتمال. لن يسمح الله بتجربة فوق طاقة مؤمنيه وإمكانياتهم! بحق نترنم قائلين: "قد كسر الرب عصا الأشرار، قضيب المتسلطين" (إش 5: 14).

❖ الرب لم "يهتم بمشورة الأشرار" بطريقة تكبح نفس البار، حتى عندما يسلم جسده لفنون تجربتهم له... لكن حدة مشورتهم تصير كلا شيء، إذ يكيف الخالق الضوبات حسب قنرتنا على الاحتمال...

حسناً قال بولس: "ولكن الله أمين، الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا" (1 كو 10: 13). فلو أن الله الوحيم يسمح بالتجرب فوق قنرتنا، بالتأكد ما كان يوجد إنسان يقدر أن يقف أمام خطط الأرواح الشورية الماكرة دون أن يسقط رُضاً.

❖ إنه بلياقة يضيف: "عمل يديك"، كمن يقول بصراحة: إنك لن تضغط بقسوة صلدة على من تذكر أنك قد خلقته بنعمتك.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لم يقل: "لماذا تتروأ من البار، الإنسان الفاضل"، بل من "عمل يديك".

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ " أنت تهتم بمشورة الأشرار "، فإن كان بسبب خطاياي (تؤدبني)، فكيف تهتم بمشورتهم؟
- ❖ حقًا يتألم الأوار في الوقت الحاضر في حدودٍ معينة، وفي الوقت الحاضر يطغي الأشرار على الأوار، كيف؟ يبلغ أحيانًا الأشرار مراكز عالمية، فيكونوا قضاة أو ملوكًا. يفعل الله هذا لتأديب قطيعه، لتأديب شعبه... لكنه لا يتروك العصا هكذا. فإن عصا الأشرار تُترك إلى حين على نصيب الأوار، لكنها لا تُترك إلى الأبد.

القديس أغسطينوس

- ❖ "أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر" (مز 2:125)... يقول: إن كانت حتى الجبال محصنة لها، فهي في حاجة إلى الحصانة من الرب لكي تكون منيعة... ليس لها أن تثق في سلسلة الجبال.
- ما الذي يجعلها مُحصنة، انظروا هذا: " لأن الرب لا يسمح لعصا الخطاة أن تستقر على نصيب الصديقين " (مز 3:125). إنه يشير إلى سبب لائق لنوال معونة الرب، حتى يشجعهم أن يتقوا فيه. ما هو؟ يقول الموتل: إنه لم يحتمل أن يكون صلاح الصديقين في أيدي الخطاة... إنه لا يسمح لهم أن يناووا سلطانًا على موث الأوار، فإن سمح به، إنما إلى حين لأجل إصلاحهم ونصحهم وتأديبهم [\[433\]](#).

القديس يوحنا ذهبي الفم

أَلَيْكَ عَيْنَا بَشَرٍ،

أَمْ كَنْظَرِ الْإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ [4]

- وثق أيوب أن عيني الله ليستا كعيون البشر الجسدية، فهو وي في الظلام، ويعرف الخفيات، عيناه في كل مكان (أم 15: 3)، تولان في كل الأرض (2 أي 16: 9). كل شيء مكشوف أمام الله. لهذا يقول الرسول: "نحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق" (رو 2: 2).
- مادام الله مرگًا لأسوار قلب أيوب، ويعلم محبته له ونفوة قلبه، فهو ليس بحاجة أن يسمح للعدو أن يجربه كيف يتوكل أمام الرب.
- حقًا لم يكن الله محتاجًا أن يُسلم أيوب للتجربة لكي يفحص أعماقه، إنما سمح بذلك ليخري عدو الخير، ولكي يتوكل بالأكثر أيوب خلال صوه واحتماله بشكرٍ دون أن يجدف على الله.
- في عتاب صويح يقول أيوب لله إن عينيه ليست كعيون البشر، فهي فاحصة لأعماق الإنسان بلا حدود، تعرف حتى ما سيفعله في المستقبل، فما الحاجة لفحصه؟ يسأله ألا يسلمه للشويز حتى لا يضغط عليه فيخطئ.

- ❖ "ألك عينا بشر، أم كنظر الإنسان تنظر؟" [4]... لا تقدر أعين الجسد أن تتطلع إلي أعمال الحقبات الزمنية إلا في حدود زمنٍ معين، علاوة على هذا فإن أيام البشر وسنواتهم تختلف عن أيام الأبدية وسنواتها. حياتنا تبدأ في زمنٍ وتنتهي في زمنٍ، بينما الأبدية فبلا حدود...

البابا غريغوريوس (الكبير)

- ❖ "أم كنظر الإنسان تنظر؟" هذه الكلمات معناها... ليس من ضرورة لك أن تفحص أيوب، وتمعن النظر فيه لتتظه إن كان هو كما يدعي العدو، فإذا أنت هو الله تعرفه مقدمًا. إنك لا تنظر كما ينظر المانت، فلماذا سلّمت أنا للعدو ليؤمنني أن أرتكب إثما؟

الأب هيسخيوس الأورشليمي

أَلْيَايَمُكَ كَأَيَّامِ الْإِنْسَانِ

أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ [5].

- كما أن الله غير محدود، فإن أيامه غير محدودة، هو خالق الزمن. أيام الإنسان كما قال ليعقوب لوعون: "قليلة وردينة"، عوضة للتغيير. لذا فإن نظرة الله للأمور وأحكامه تختلف عن نظرة الإنسان. فبالنسبة لله الماضي كما الحاضر والمستقبل، الكل حاضر قدامه.

حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي،

وَتَفْتَشَ عَلَيَّ خَطِيئَتِي؟ [6]

رى أيوب أن الله أعظم من أن يبحث عن خطيته أو يفتش عن إثمه، أو أن أيوب في عيني نفسه أنه من أن ينشغل به الله ليبحث عن خطاياها. وكأنه يقول مع لميا النبي: "قد عرفنا يارب شونا، إثم أبائنا، لأننا قد أخطأنا إليك، لا ترفض لأجل اسمك. لا تهن كرسي مجدك" (إر 14: 20-21).
❖ كأنه يقول وهو يتساءل في تواضع: لماذا تفحصني بالضربات في زمن، بينما حتى قبل أن يوجد الزمن تعرفني معرفة كاملة في داخلك؟ لماذا تقيم استجاباً عن خطاياي خلال الضربات، وأنت بقوة أديبتك تعرفني قبل أن تخلقني؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُذْنِبًا،

وَلَا مُنْقَذٌ مِنْ يَدِكَ [7].

سبق أن اعترف أنه خاطئ، لكنه ليس بالمعاند الثوير والمقاوم لله ووصيته، ولا بالموائي. لهذا يقول: "في علمك إني لست مذنباً".

هكذا يليق بنا أن نعتف أننا خطاة، لكننا بالنعمة نعلن له مع الرسول: "أنت تعرف إني أحبك" (يو 21: 17).

مع اعترافي بأني شير، لكن ليس من ينقذني من يدك سواك! إليك ألبأ فلا تغضب علي!

❖ "ليس من يفلت من يدك"، إنه كمن يقول بوضوح: ماذا لك سوى أن تصفح، يا من لا يقدر إنسان على مقاومة قوتك؟ فإنه كما لا يوجد من ينعم بافتقادك عن استحقاق بسموه، هكذا، فإن حنوك هو الذي يسمح بنوال المغوة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ حتى إن قدمت شهادة عني، فإني لا أستطيع أن أخلص بوي، وإذ أنت تريد أن تضربني لا أقدر أن أخلص نفسي، لأنه "من يقدر أن ينقذني من يديك؟" كل الخليفة في يمين هذا الذي له المجد الأبدي.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

2. حياته في يد الله

يَدَاكَ كَوْنَتَانِي وَصَنَعْتَانِي كُلِّي جَمِيعًا.

أَفْتَبْلَغُنِي؟ [8]

الإنسان مدين لله بوجوده، لكن عندما تحلّ به تجربة وى كأن الله يريد أن يبتلعه.

استخدم كثير من الآباء الكنسيين هذه العبارة للود على أتباع ماني وغوهم ممن ادعوا أن جسم الإنسان عنصر ظلمة، وأنه فاسد بطبعه يجب

الخلاص منه [434].

وى القديس مار يعقوب السروجي أن الجسد لا يستطيع أن يعيش وحده، كذلك لا تستطيع النفس أن تعيش وحدها. ألم يُمنح الجسد حياة دائمة

من دون النفس، ولم تُمنح النفس إحساساً من دون الجسد. فحياة النفس هامة بون الجسد، والجسد الموضوع في التّواب يبقى بدون حياة.]

أشار كثير من آباء الكنيسة إلى أن إحدى بركات التجسد الإلهي، أن الله ردّ للجسد الذي خلقه كرامته، إذ لم يأنف كلمة الله الأربي أن يحمل جسداً

بشويًا حقيقيًا، ويمرّس أعمالاً جسدية.

❖ من أجل أن الكلمة تول وأتى ليكون جسداً مع الجسدانيين، سار في طريق كل المولودين، وبقي في العالم ثلاثين سنة بتواضع. حينئذ بدأ يفعل بقوة جيروته.

عجيب أنه كان ساكنًا في بيت النجار، ومختلطاً بهم، ويسلك حسب عاداتهم...

العجب أن السموات ممتلئة من تمجيده، وقد اكتفي ببيتٍ صغيرٍ يترى فيه!...

صار طفلاً ورضع اللبن ولم يمل... صار صبيًا وقاس الأسواق بخطواته... صار شابًا وتعبد في بيت النجار. صار رجلاً وأحنى رأسه قدام

يوحنا، ومع التائبين قول للتعديد بتواضعه...

لنصدق أنه أتى وصار جسدًا، لا بالتشبيه بل بالحق. صار إنسانًا ليشعر العالم أن آدم الثاني أظهر نفسه ليجدد العالم عوض الأول الذي لدغته

الحية.

لو بدأ يفعل القوات من صباه لكانوا يظلمونه قائلين إنه لم يتجسد بالحق. وأن جسده خيال ولم يكن جسدًا. من أجل هذا تثبت ربنا ثلاثين سنة،

وحينئذ بدأ يسير بطريق القوات. ليكون بالجسد رجلاً كاملاً يشبه آدم. لأنه خوج ليخاصم العدو (الشیطان) عوض آدم.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لسنا نريد أن نتخلص من الجسم، وإنما من الفساد الذي فيه. جسمنا هو ثقل علينا، ليس لأنه جسم، بل لأنه فاسد وقابل للألم. ولكن إذ تحل الحياة

[435]

الجديدة، فإنها تزوع هذا الفساد، أقول هذا الفساد لا الجسم نفسه .

❖ إن أردتم أن تتعلموا أية توعية للجسد الذي خلقه الله أولاً، فلنذهب إلي الفوس، ونبحث عن الإنسان الذي خُلق في البداية. فإن ذلك الجسد لم يكن

فاسدًا ولا ميتًا. لكنه كان أشبه بتمثال ذهبي خرج من الفون يشوق بهاءً، هيكله متحرر من كل فسادٍ. العمل لا يجعله متعبًا ليس من عوق يتصبب

[436]

منه. لا يتأمر عليه، ولا وجد شيء من هذا النوع زعجه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يا لشدة فاجعة هذا القديس من أجل الضعف العام لكل البشر! يا لقسوة العناية أن الله صنع الإنسان بيديه! يمكن أن يعفي عن الإثم بحجة الضعف

[437]

(البشوي)، وتعلن النعمة عملها الأبدي فينا خلال حنو الحصانة السملوية.

القديس أمبروسيو

❖ " يداك كونتاني وصنعتاني كلي جميعًا، ثم عدت فطرحنتي فجأة" [8]. كأنه يقول له في تواضع: وإن كان ما أفعله غير لائق باسترضائك إن خضع

لفحصٍ عادلٍ، فلنذكر رحمتك، لنلا تهلك صنعة يديك... لماذا تستخف بي هكذا، وأنت خلقتني بمثل هذه الظروف من الكرامة؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "لقد ضربتني" ليس كديانٍ، بل كأب تصلحني!

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

ماذا يعني بيدي الله؟

❖ إذ نؤأ أن الروح القدس هو إصبع الله (لو 11: 20)، فإننا نحسب أن الأصابع تشير إلي الابن والروح. أخوًا لكي يشير أنه يقتني التقديس من كل

[438]

من الابن والروح يقول قديس معين: "يداك كونتاني وصنعتاني" (أي 10: 8)

القديس أمبروسيو

[439]

❖ "يداك كونتاني وشكلتاني". إنها تشير إلي العناية الإلهية التي تعمل بعد خلقتنا .

ثيودورت أسقف قورش

أذكرُ أنَّكَ جَبَلْتِي كَالطَّيْنِ.

أَفْتَعِدُنِي إِلَى التَّوَابِ؟ [9]

يلجأ أيوب إلى حب الله الفائق للإنسان. أقامه الله من الطين، وقدم له كل هذه الإمكانيات الفائقة، فهل يرجع الله عن حبه، ويورد الإنسان إلى ما

كان عليه؟

ليس للإنسان أن يفخر لأنه جُبل من الطين، وفي نفس الوقت لا يستهين بنفسه، ولا يستخف بحياته، فهو من صنع الله، الذي خلقه على صورته

ومثاله.

❖ يبدو أيوب كمن يقول: أذكر ضعف الجسد، وأغفر إثمي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لماذا تنسى عملك؟ لماذا تنسى افتقارك؟

نعم لماذا تنسى ضعفي؟

لأنه من هو الإنسان إلا افتقارك له؟ (مز 8: 4؛ عب 2: 6)

لهذا لا تنسى من هو ضعيف. تذكر يارب أنك خلقتني ضعيفاً، أذكر أنك جبلتني كالطين (مز 103: 14؛ أي 10: 9). كيف يمكنني أن أقف ما

[440]

لم توجهني عنايتك على النوام لتقوي هذا الطين، فتصدر قوتي عن وجهك؟ "تجلب وجهك، فبراع كل شيء" (مز 104: 29).

❖ احتياجات الجسم تولد اهتمامات، وتدخل بنا إلى مساعٍ تعوق قوة النفس وتمنع تركّزها. أوضح القديس أيوب ذلك حسناً: "أذكر أنك جبلتني من

الطين" (أي 10: 9). فإن كان الجسم طيناً، فبالتركيز يلوثنوا ولا يغسلنا. إنه يفسد النفس ويلوثها بالإفراط في إشباع الهوى. "كسوتني جلدًا ولحمًا،

فنسجتني بعظامٍ وعصبٍ" (أي 10: 11). هكذا ترتبط نفوسنا وتتعبد بأعصاب الجسم وأحياناً تقسو غالباً عندما تتحني. "من ذنبي لا تحلني. إن كنت

[441]

LXX شروءاً، فيا ويلي! إن كنت بلءاً، لا أتجاسر وأرفع رأسي، لأني شبهان هواناً. تجلب عذابات ضدي" (أي 10: 14-15، 17).

القديس أمبروسيوس

❖ يُوضع (الإنسان) في يد الله (مز 31: 6)، الذي هو ميناء آمن (مز 107: 30)، ووج حصين (مز 61: 3)، بالطبيعة هورعوف ينفذ ويخلص. يهتم

الله بأولئك الذين خلقهم من الطين وعاية فائقة... لقد أقام شكلاً ملوكياً ملتحقاً بالمجد (مز 8: 6)، صورة مستحقة للكرامة؛ أعطاه سمات على مثال

الخالق، إذ أراد ذلك. لذا يليق بكل واحدٍ منا أن يحفظ هذه الصورة في كل حين، وبالأكثر في وقت التجربة... هكذا الآن يصور أيوب بدقة كل تزيخ

آدم، مقدماً لنا تعليماً مختصراً، هذا الذي شوحه موسى بإفاضة.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ لقد تضايق يونان بعد هروبه ومصالحة شعب نينوى مع الله... متألماً ومنفعلاً بطريقة بشوية مملوءة حزناً. فأمر الله الأرض أن تثبت يقطينه ليونان

تحمي رأسه، ثم أمر الشمس أن تويد من حولتها فتحرّقها. فغضب يونان لهلاكها، لكن إذ غواه الوب ثم جوبه اسمع ماذا يقول له: "أنت تشفق على

اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، التي بنت ليلة كانت، وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من

أنتى عشوة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم؟!" (يونان 4: 10-12)

هذا ما أراد أن يقوله: ألم توح بظل اليقطينة، فكم بالحري ينبغي لي أن أفرح بخلص أهل نينوى؟! ألم تتألم بهلاكها؟! هكذا يؤلمني هلاك

البشرية...

لم يقل له: "أنت شفقت على اليقطينة" وتوقف... بل أكمل: "التي لم تتعب فيها ولا ربيتها". لأنه كما يشفق البستاني على الشجرة التي تعب فيها

أكثر من غوه، هكذا أراد الله أن يثبت محبته للبشر خلال هذه المحبة. كأنه يقول له: أنت تدافع بقوة عن عمل غورك الذي لم تتعب فيه، بالحري يليق بي

الدفاع عن عمل يدي! ثم يخفف من حدة الاتهام الموجه ضدهم بقوله: "لا يعرفون يمينهم من شمالهم"، أي أخطأوا بغير معرفة...

ويعاتب الذين يتنون بأنهم متروكون قائلاً: "من جهة بني ومن جهة عمل يدي أوصوني!" (إش 45: 11) وكأنه يقول: من يُذكر الأب بابه أو يحثه ليفكر فيه؟ أو من يُذكر الفنان ألا يتلف فنه؟!

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الإنسان الوابي يحمل فكراً تريبياً يميل إلى التومنيات الأراضيات، لكن الروح القدس يرفعه إلى السماويات. من محبة الله أنه يسحب نعمة روحه القديس منه كما إلى حين حتى يكتشف حقيقته فيصوح: "أفتعيدني إلى التواب؟" [9]. يشعر الإنسان بضغفه ويرك أنه بدون تدخل نفخة النعمة السماوية يكون تريباً جافاً.

ألم تصبني كاللبن،

وخرتني كالخبث؟ [10]

تشبيهه رائع، فكما يمكن للشخص البسيط أن يصب اللبن أو يصنع الجبن هكذا في يسر وسهولة صنع الله الإنسان. ❖ إذ أخذ الوب جسداً لم يخجل منه، إذ هو مكوّن للأجساد. لكن من الذي أخبرنا بهذا؟ يقول الوب لإرميا: "قبلما صورتك في البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر 1: 5). فإن كان لم يخجل من خلقه جسد الإنسان، أفيخجل من الجسد الذي أخفي فيه لاهوته، الذي يخلق الأطفال في الأحشاء كما كتب أيوب: " ألم تصبني كاللبن، وخرتني كالخبث، كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعصب؟!" [442]

القديس كيرلس الأورشليمي

مرة أخرى إذ تعمل فيه نعمة الروح القدس ينسحب فكرك مما كان عليه، فيصير ذهننا كاللبن المصبوب، فيتشكل بالروح القدس إلى الحنو والوقفة من جديد، ويصير أشبه بقطعة من الجبن.

❖ تختفي الطبيعة العاقلة الخالدة في جسدنا البالي، وتوحي بكل أفعالها فيه وخلالها. وهكذا إذ لكم هذا الجسد الذي صار مذبحاً يُقدم عليه البخور، لذلك ضوعوا عليه كل أفكاركم ومشوراتكم الشوية قدام وجه الرب، رافعين عقولكم وقلوبكم إليه، متوسلين أن يرسل نره المقدسة لتحرق كل ما هو على هذا المذبح وتنقيه، فيخافكم خصومكم (الشياطين والخطايا) - كهنة البعل - ويهلكون على أيديكم، كما حدث مع إيليا النبي (1 مل 18: 25 - الخ) حينئذ تشاهدون المغوى القديس في الماء الإلهي (المعمودية) الذي يمطر عليكم مطراً روحياً.

القديس أنطونيوس الكبير

كسوتني جلدًا ولحمًا،

فنسجتني بعظامٍ وعصبٍ [11].

حين خلق الله الإنسان، لم يخلقه عرياناً، لأنه كساه بالجلد، ولا أوجده ضعيفاً، إذ نسجه بالعظام والعصب. هكذا تنتشج أجهزتنا الداخلية بالجلد وتتحصن بالعظام والأعصاب. وكان يُمكن أن يعيش الإنسان في وقارٍ وقرّة لو لم تعويه الخطية وتضعف قوته.

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الإنسان الداخلي ملتحف بجلدٍ ولحمٍ، وذلك لأنه في أثناء ارتفاعه نحو السماويات يجد في نفس الوقت إعاقة حيث يُحاصر بتحرّكات جسدية تعوقه.

وى القديس يوحنا الذهبي الفم أن أيوب يلمس رعاية الله الفائقة الذي خلقه من العدم ووهبه جلدًا وجسمًا، عظامًا وأعصابًا، فكيف يمكن لهذا الخالق المبدع في حبه ورعايته وقواته ألا يهتم بالإنسان محبوبه؟

❖ إنه يعني: ألسنت أنت هو الذي تقدم له تأكيداً على عظمة الحب نحو الإنسان، وعلى عظمة الحكمة هذه؟ فإن كان أيوب يشير إلى تكوين الإنسان في شيء من التفصيل إنما ليوهن أنه بعدما خلقه من العدم، هل ينكر رعاية الله العظيمة وحكمته الفائقة هذه؟ وقد أظهر أن الإنسان (بذاته) عدم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لصانع حكيم، من الذي أعد الرحم ليحمل الجنين!؟

من يهب الحياة للأشياء التي بلا حياة في داخلك!؟

من الذي ربطنا بعضلات وعظام، وكسانا بجلد ولحم، وما أن يولد الطفل حتى يفيض اللبن من الثديين!؟

كيف ينمو الطفل ليكون صبيًا، فشابًا، فجلًا، ويبقى هكذا حتى يعبر إلى الشيخوخة، دون أن يلاحظ أحد هذا التحول الدقيق من يوم إلى

[\[443\]](#) يوم!؟

القديس كيرلس الأورشليمي

مَنْحَتِي حَيَاةً وَرَحْمَةً،

وَحَفِظْتِ عِنَايَتِكَ رُوحِي [12].

إن كان لنا ما نشتهي منه حتى مما صدر عن الله، فإننا نلجأ إليه. إنه يسمح بالضيق لكي نتعلم أن نلجأ إليه فهو الذي خلقنا لكي ننعم به، لا لكي نتدمر.

مع عطية الجسد في روعة خلقته وإمكانياته الظاهرة والخفية، قدم الله لنا ما هو أعظم، ألا وهي نسمة الحياة التي من فم الله. منحنا الحياة والرحمة، وقدم لنا نعمة العقل والفكر مع القلب والعواطف.

أقام النفس مخفية في الجسم، لكن ما يحفظها، ليس الجسم بقواته وطاقاته، إنما عناية الله.

❖ يا لقوة ميثاة هذا الرجل القديس للضعف العام لكل البشر! كم كان ثقل الاتهام بأن الله صنع الإنسان بيديه قويًا، ومع ذلك يُقدم الإنسان عوزًا عن ركناب الذنب بدعوى أنه ضعيف، بينما تعلن النعمة عن العمل الأبدي فينا خلال حنو الحماية السماوية. [\[444\]](#)

القديس أمبروسيوس

❖ "وحفظت عنايتك روحي" [12]. لا يكفي أن يكون لك ذلك بالطبيعة، بل يتطلب عنايتك الإلهية علينا. يقول: خلال كل حياتي استعنت بعنايتك الإلهية.

❖ إن كنت تشك في عناية الله سل الأرض والسماء والشمس والقمر، سل الكائنات غير العاقلة والزرع... سل الصخور والجبال والكتبان الوطنية والتلال. سل الليل والنهار. فإن عناية الله أوضح من الشمس وأشعتها. في كل مكان، في الوري والمدن المسكونة، على الأرض وفي البحار... أينما ذهبت تسمع شهادة ناطقة بهذه العناية الصلخة...

في كل موضع ترتفع الأصوات مدوية بوضوح أعلى من أصوات البشر العاقلين، تعلن لكل من يريد أن يسمع عن محبة الله الساهرة!

وإذ أراد النبي أن يسجل قوة هذه الأصوات قال: "في كل الأرض خرج صوتهم وفي أقصى المسكونة كلماتهم" (مز 19: 4).

[\[445\]](#) لا يفهم لغتنا نحن إلا أهل لساننا، أما الخليقة فتتطرق بلغة تفهمها جميع الشعوب!

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَكَكَ كَتَمْتَ هَذِهِ فِي قَلْبِكَ.

عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عِنْدَكَ [13].

كان أيوب في صواع بين هذه النعم الإلهية المجانية ورعاية الله الفائقة للحفاظ على الجسم كما على النفس، وبين ما سُمح له بأن تحل به متاعب لا تُحتمل. لهذا يقول: "لكنك كتمت هذه في قلبك"، أي أن الأمرين يتفقان معًا خلال مشيتك المكتومة في داخلك، لا يستطيع أحد منا أن يترك أعماقها. إنه في يقين من نحو عناية الله ومن نحو سماح الله له بالألم: "علمت أن هذا عندك".

❖ " إذ كتمت هذه في نفسي، أعرف أنك تستطيع كل شيء، ولا يستحيل عليك شيء ". ألا ترون أن إمكانية معرفة الله معلنه في خليقته (رؤ 1: 19)؛

فإنه يكفيني خلقتي أن تظهر لي وجود الله وقوته دون حاجة إلى السماء؟ فإننا إذ خلقنا هكذا، أن نوجد من حيوان موي (بؤة)، وأن نكون بهذا

العون، ولا يسمح لنا بالسقوط في مخاطر، هذا كله يكفي ليظهر قوة الله وسلطانه. وذلك كما في حقيقة حفظ الخاطي وعدم معاقبته (هنا)، وفي تأديب البار ومعاقبته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كيف لا يكون مثل هذا (منح الحياة والرحمة) لخالق كهذا؟

أي شيء يمكن أن يكون مستحيلاً عليه؟

فإن كنت جعلت الطين على صورة الله (تك 2: 7)، وجعلت التراب يعبر إلى درجة الكائن العاقل، إن كنت تهيب الكائنات الأرضية سعادة تعادل ما للكائنات السماوية، كيف لا تقدر أن تصنع معجزة لي؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

3. عدالة الله ورحمته

إِنْ أَخْطَأْتُ تَلَاخِظْنِي،

وَلَا تُثَرِّئْنِي مِنْ إِثْمِي [14].

لا ينكر أيوب أنه مخطئ، وأن خطاياه يعلمها الله، ويلاحظها، وبهذا لن يتبرر أيوب أمامه. "إن كنت واقب الآثام يارب، يا سيد فمن يقف؟"

(مز 130: 3)

❖ إِنْ أَخْطَأْتُ تَلَاخِظْنِي، لئلا أسقط في الحفرة (مز 28: 1)، في خطية قصوى، وأضيع تمامًا، ولئلا أضل عن القطيع (يو 10: 1)، واذهب إلى جب الذئب. حسب قانون العدل لا تجدني براءً، بل تجدني ملومًا تحت ضوبة اللعنة الموروثة (تك 3: 17).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

أترك أيوب أنه لن يستطيع أن يتبرر بذاته، بل محتاج إلى من يهبه. إنه كسائر آباء العهد القديم كان يتوجى مجيء المسيا المخلص.

❖ تألم السيد المسيح في الوقت الذي كان فيه بيلاطس بنطس يعمل حاكمًا وقاضيًا...

من الذي تألم؟ ربنا، ابن الله الوحيد!

وماذا حدث له؟ صُلب ومات وقُبر!

ومن أجل من؟ لأجل الأثوار والخطاة!

يا لعظم هذا التنزل! يا لعظمة النعمة!

"ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟ (مز 116: 12) [446]."

القديس أغسطينوس

❖ يظهر المسيح لكل واحدٍ حسب احتياجه. فالمحتاجون إلى البهجة يتقدم إليهم ككرمة، والمحتاجون إلى الوجود في حضرة الآب يأتيهم كبابٍ، والمحتاجون إلى من يقدم صلواتهم يجدونه الشفيح فيهم الكاهن العلي، وللخطاة هو الحمل (المذوح) لأجل تقديسهم.

إنه كل شيء لكل واحد دون أن تتغير طبيعته بل يبقى كما هو. هو باقٍ، وعمل بنوته لن يتغير، لكنه يكيف نفسه حسب ضعفنا، بكونه طبيياً

[447]

ممتازاً أو معلماً مملوء حنوًا إنه الرب نفسه، لم يقبل الوبوبية عن تقدم، إنما عمل بنوته طبيعي .

❖ كلمة "يسوع" تعني "مخلص"، أما في اليونانية فتعني "الشافى"، إذ هو طبيب النفوس والأجساد، شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذهان إلى النور. يشفي العوج المنظورين، ويقود الخطاة في طريق التوبة، يقول للمفلوج: "لا تخطئ"، وأيضًا: "احمل سيورك وامش" (يو 5: 14)،

8) ، لأن الجسد كان مفلوجًا بسبب خطية النفس. خدم النفس وألاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد.

لذلك إن كان أحدكم متألمًا في نفسه من خطايا، فإنك تجده طبيبًا لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان فليقل له: "أعن عدم إيماني" (مر 24:9).
وإن أصابت أحدكم آلام جسدية، فلا يكون غير مؤمن، بل يقترّب، فإن يسوع يعالج مثل هذه الأمراض، وليعلم أن يسوع هو المسيح [448].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ كثيرًا ما يضطرب الذهن في أعماقه عند تذكر الخطية، فيحث على مملستها بصورة أشر مما كان عليها حين سبق فرتكبها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ LXX "إن أخطأت تلاحظني" (أي 10: 14). اعترف يا إنسان بخطاياك لتنال المغفرة "أظهر آثامك فتتبرر" (إش 43: 26).

لماذا تخجلون من الاعتراف بها وأنتم قد ولدتكم فيها؟ (مز 51: 7). من ينكر ذنبه ولا يعترف به ففي الحقيقة ينكر مولده.

لكن أتريدون أن تحتفظوا بما تتسلموه! لماذا تظنون أنكم تملكون ما لم تتسلموه؟ لهذا فليعترف الخاطي، وغير المقدس، ولا يرتفع البار ولا

يتشامخ، لئلا يفقد مكافأة ربه بالكرياء (أي 10: 15) [449].

القديس أمبروسيوس

إِن أذْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي.

وَإِن تَبَرَّرْتُ لَا رَفْعَ رَأْسِي.

إِنِّي شَبَعَانُ هَوَانًا وَنَاطِرٌ مَذَلَّتِي [15].

بدون التوبة نسقط في هذا الويل الذي يشير إليه أيوب هنا. فإنه ليس ما ينقذني منه، لا سمو أخلاقي ولا عبادتي أيا كانت مادامت بدون توبة.

هذا ما يعنيه أيوب بقوله: "إن تبررت" أي اتكلت على وي الذاتي أو على سلوكي أو خدمتي، هذا كله لن يرفع رأسي أمام إلهي.

حفرنا الكتاب المقدس من الخطية أيا كانت فإنها تجلب العار والهوان، "إني شبعان هوانًا وناظر مذلتني" [15].

"البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية" (أم 14: 34).

"لرحمنا يا رب رحمنًا، لأننا كثوًا ما امتلأنا هوانًا" (مز 123: 3).

"الحكماء يرثون مجدًا، والحمقى يحملون هوانًا" (أم 3: 35).

"تأتي الكبرياء فيأتي الهوان، ومع المتواضعين حكمة" (أم 11: 2).

"فقر وهوان لمن يرفض التأديب، ومن يلاحظ التوبيخ يُكرم" (أم 13: 18).

"إذا جاء الشرير جاء الاحتقار أيضًا، ومع الهوان عار" (أم 18: 3).

"لا تتوقع لئلا تسقط، فتجلب على نفسك الهوان" (سواخ 1: 38).

"شأن الإنسان الكنوب الهوان، وخزيه معه على النوام" (سواخ 20: 28).

"الكسلان أشبه بحجر قدر، كل أحد يصفر لهوانه" (سواخ 22: 1).

"على حسبما كثروا هكذا أخطأوا إليّ، فأبدل كرامتهم بهوان" (هو 4: 7).

"لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان، لأن إنانهم استبدلوا الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة" (رو 1: 26).

❖ بجانب الشرور الموروثة (الجديّة) أضفت شرورًا من عندي... خطية آدم بلا شك لا تسمح لإنسان أن يتطلع إلى فوق بجسلة، ولا أن يمجد ذاته.

لهذا يقول أيوب: "أنا شبعان هوانًا".

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ نعم، فإن "الويل" للشويرة، وللبار "الحن"، فالعقوبة الأبدية تلحق بالخاطي الهالك، بينما كل شخص من المختلرين يتطهر بآلام الحزن الوقتي...

ولكن إن تغاضينا عن خطية أبنينا الأول إلى حين، نجد أنفسنا نُصطاد بواسطة عادة الكوياء الشوية.

كثراً ما يحدث أنه بالفضائل الموهوبة، ينتفخ الإنسان في جسرة وبر ذاتي، ولكن خلال تدبير العناية الإلهية العجيبة يُسمح له أن توضع أمام عينيه بعض الأمور المعرضة التي يسقط فيها البعض...

إذ وي القديس ما يحدث لؤملائه تصدر عنه شخصياً صوخة من جهة المخاطر التي نتعرض لها.

بهذا إذ نقو عن فوح شخص ما نتعلم أن نحزن على ما في داخلنا.

الآن إذ يثور الكوياء في الفكر، فإن الشعور المجروح بحب الأعالى يفرقنا، ولكن عندما تحل النعمة من فوق علينا تحتنا في الحال على

الاشتياق إليها بدوع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بحق يقول: " إن تبررت لا أرفع رأسي، فإنني شبهان هوأنا" [15]. يعوف الإنسان البار ضعفه...

الحكيم يتحرك للتعرف عليها، والغبي لا يفعل ذلك.

بالحق يتحرك الحكيم نحو التوبة ويتذكر أخطاءه، والجاهل يسر بها.

الحكيم هو من يتهم نفسه (أم 18: 17)، أما الشوير فهو المدافع عن نفسه.

البار يود أن يسبق متهمه في اتهام نفسه بخطاياها، أما الشوير فوغب في أن ييكمه.

واحد يسوع من البداية في الحديث عن أخطائه، والآخر يحاول أن يتهم الغير بحديثه الثوار حتى لا تنفضح خطاياها [450].

القديس أمبروسوس

في إحدى الرسائل الفصحية يصور لنا القديس أناسيوس الرسولى الهوان الذي يحل بالنفس البشرية بسبب الخطية، بينما يتمتع الأوار أصحاب القلوب النقية بالمجد، أي مجد رؤية الله.

❖ إننا نقول بأن الأثوار أموات، لكن لا في حياة تعبدية ضد الخطية، ولا هم مثل القديسين يحملون الموت في أجسادهم، إنما يدفنون النفس في

الخطايا والجهالات، فقوتب النفس من الموت. وإذ يشبعونها بالملذات الممينة، تكون نفوسهم أشبه بنسور صغوية تحوم فوق جثث الموتى. وقد أعلنت

الشوية عن هذا إذ تأمر في صورة رمزية بعدم أكل النسور وجميع الطيور التي تأكل الجيف (لا 13:11).

هؤلاء يقتلون النفس بالشهوات، ولا يقولون سوى "لأأكل ونشرب، لأننا غداً نموت" (إش 13:22).

وقد وصف النبي الثوة التي يجتنيها أمثال هؤلاء الذين ينغمسون في الملذات، فقال: "فأعلن في أذني رب الجنود: لا يغون لكم هذا الإثم حتى

تموتوا" (إش 14:22).

نعم، حتى عندما يعيشون، فإنهم يكونون في عار، إذ يحسبون آلهتهم بطونهم، وعندما يموتون يتعذبون، لأنهم افتخروا بمثل هذا الموت.

ويحمل بولس أيضاً شهادة عن هذه النتيجة فيقول: "الأطعمة للجوف، والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك" (1 كو 13:6).

وتعلن الكلمة الإلهية عن هؤلاء بأن موت الأثوار شر، ومبغضو الصديق يخطئون (مز 21:34)، لأن الأثوار يوثون نراً هوة وظلاماً مهلكاً.

أما القديسون والذين يملسون الفضيلة مملسة حقيقية، فقد أماتوا أعضاءهم التي على الأرض، الوأنا والنجاسة والهوى والشهوة الودئية (كو

5:3). فيتحقق فيهم، بسبب هذه النقوة وعدم الدنس، وعد مخلصنا: "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت 8:5).

القديس أناسيوس الرسولى

وإن زتفع رأسي تصطادني كأسد،

ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ! [16]

كأنه قد صار فريسة في فم أسد، ليس من مفرو ولا مهروب، ولا من رحمة أو شفقة! جاءت إحدى التجمات: "إن تكبرت وتجبرت كأسد فإنك تصطادني".

❖ عين الإنسان بحق كأسد، لأنه وحش ملوكي (تك 28: 8-9). علاوة على هذا فإن البار إذ يحفظ كرامة صورة (الله) فيه يكون موعباً لخصومه. قيل في هذا في سفر الأمثال: "الصيدق جري كأسد" (راجع 28: 1). أما إن انحط إلى الطمع، كما يحثه الأعداء على ذلك، ففي ذات اللحظة يُصطاد كأسد للذبح. يصير موضوع سخريّة للذين كانوا يقتنون أثره، فيكون كالأسد الذي ما أن يسقط في إغوائهم له، يصطادونه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

تَجَدَّدُ شُهُودَكَ تَجَاهِي،

وَتَرِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ.

مَصَائِبُ وَجَيْشٌ ضِدِّي [17].

ما ضاعف نكبة أيوب أنه شعر بغضب الله يزايد، مما زاد التجربة مورة وثقلاً. لم ينقص الله وجود شهود ضد أيوب، إن عجز شاهد يقوم شاهد جديد محله. ولما كانت كلمة "شهود" في اليونانية تعني "شهداء"، فكأن الذين يشهدون لله على محبته ورعايته الإلهية وعمله الخلاصي حتى الموت، يصيرون شهوداً ضد المتشككين في عناية الله والمتذممين عليه. ظهور هؤلاء الشهود القديسين يديننا، فلا يكون لنا حجة أو تبرير لتصرفاتنا الخاطئة، وقد عبر أيوب على ذلك بقوله: " وَتَرِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ. مَصَائِبُ وَجَيْشٌ ضِدِّي".

"مَصَائِبُ وَجَيْشٌ ضِدِّي"، جاءت إحدى التجمات: "جيوشك تنتلوب الموقف ضدي".

❖ شهود الله هم الذين يحملون شهادة بممارسة الأعمال المقدسة... أيضاً أولئك الذين يتألمون من أجل الحق. في اللسان اليوناني "الشهداء" هم "الشهود". يقول الرب خلال يوحنا على لسان الملاك: "حتى في الأيام التي كان أنتيباس شاهدي الأمين الذي قُتل عندكم" (رؤ 2: 13).

الآن يجدد الرب شهوده ضدنا، عندما يضاعف حياة المختلرين، فيتحنون شونا بقصد إقناعنا وتعليمنا... كل ما يفعلونه يضاد شونا. لذلك دعيت كلمة الحق "الخصم"، حيث يقول الوسيط في الإنجيل: "كن مواضياً لخصمك، سريعاً مادمت معه في الطريق" (مت 5: 25). ويقول أبناء الهلاك في اضطهاداتهم بخصوص نفس المخلص: "إنه ضد أفعالنا تماماً"، وبعد ذلك: "لأن حياته ليست كحياة الناس الآخرين" (حك 2: 12، 15). هكذا يجدد الله شهوده ضدنا، حتى يُظهر أن الأعمال الصالحة التي نعملها نحن يملسها الآخرون، لتوبخنا...

لاق أن يضيف: "وتريد غضبك علي". "... وذلك كما شهد بطرس القائل: "لأن الوقت لا ابتداء القضاء من بيت الله، فإن كان ولأ منا، فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله؟" (1 بط 4: 17). لذلك إذ يحدد الله القدير شهوده ضدنا "يزيد غضبه" كما يليق، إذ يضع حياة الصالحين أمام أعيننا، ويظهر بأية قسوة سيضوب عنادنا، ونحن نملس الخطيئة، وذلك في الدينونة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4. الموت نهاية الأتعاب

جاءت كتابات الكنيسة الأولى ومفاهيمها في عبادتها ونسكها وقوانينها وكل جوانب حياتها لها مسحة أخروية كتابية. وكانت عقيدة الحياة الأخرى ليست عنصراً إيمانياً رئيسياً فحسب، وإنما هي صلب الإيمان نفسه! لقد كانت الكنيسة الأولى ككنيسة كتابية بحق كنيسة أخروية، وضعت قلبها في السماء، لتعيش سفوة للمسيح السموي، تجتذب العالم نحو السماء، وتدخل به إلى الحياة الفردوسية، لكي تتوقب في رجاء كمال المجد الأبدي والمواث السموي. أما عن نظرة مؤمني العهد القديم إلى الموت، فقد عبر عنها ما ورد في سفر الحكمة: " فإن الله خلق الإنسان لعدم الفساد، وجعله صورة ذاته

الإلهية، لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (حك 23:2، 24). لم يخلق الله الموت، لذا فبالبر ينال الإنسان الخلود: "لأن الله لم يصنع الموت، ولا يُسر بهلاك الأحياء؛ فإنه خلق كل شيء لكي يكون، وأن خلّاق العالم مفيدة، وليس فيه سم مهلك، ولا ملك لمثوى الأموات على الأرض، لأن البر خالد" (حك 13:1-15). كما قيل: "العلم بقدرتك هو أصل الخلود" (حك 3:15).

كان الآباء المؤمنون في العهد القديم ينظرون إلى الموت أنه انضمام أو نوم مع آبائهم (تك 25:8؛ 30:47)، وكانوا يخشون فقط من النزول إلى الهولية Sheol في حزنٍ (تك 35:27). يحسبون الموت في شيخوخة صالحة بوكة (تك 15:15؛ 8:25)، أما قطع الإنسان من أرض الأحياء في ريعان شبابه، فهو أمر مخيف (إش 10:38).

مع هذا فقد اختلفت نظرة اليهود إلى الموت من شخصٍ إلى آخر، وقد قدم لنا الفريد أدريشبايم مقارنة بين قائدين يهوديين في نظرتهم

للموت [\[451\]](#).

القائد الأول هو الحاخام يوخانان بن سাকাى Jochanan ben Saccai. وقد جاء في التلمود [\[452\]](#) عنه أن تلاميذه جاؤا إليه وهو على سرير الموت، فانفجر في البكاء. دهشوا لذلك، فتساءلوا كيف أن "تور إسواثيل، عمود الهيكل الحق"، تخونه هكذا علامات الخوف؟ أجابهم الحاخام: "لو أنني أقدم أمام ملك لرضي يحيا اليوم ويموت غداً، غضبه وقيوده ليست أبدية، وإصداره الحكم بالموت لا يكون موتاً أبدياً، ويمكن بسهولة الدخول معه في حوارٍ، أو شوائه بالمال، من هذا لتعب وأبكي، فكم بالأكثر يكون حالي وقد اقتربت من الوقوف أمام ملك الملوك، القدس، المبرك، الذي يحيا ويقطن إلى الأبد، قيوده قيود دائمة، وحكمه بالموت حكم أبدي، هذا الذي لا أستطيع أن أحوره بالكلمات، ولا أرشيه بالمال! ولا يقف الأمر عند هذا، وإنما قدامي طويقان: واحد نحو الفريوس والآخر نحو الجحيم، وأنا لا أعلم إلى أي الطويقين سأذهب: هل إلى الفريوس أم إلى الجحيم، فكيف لا أسكب الدموع؟"

أما المثل الثاني فهو ر. يهودا **R. Jehudah** الذي يدعى القديس، فإنه عندما مات رفع يديه نحو السماء مؤكداً أنه لا يوجد أصبع واحد من

أصابعه العثوة قد كسر ناموس الله!

الأول فاقد الرجاء تماماً، يعيش في يأسٍ شديدٍ ويخشى اللقاء مع الله بالرغم من مروره كرنيسٍ لأعظم مجمع عند اليهود، والثاني في اعتزازٍ شديدٍ ويقينٍ يظن أنه حتماً يتمتع بالفريوس، لأنه لم يكسر وصية ما بأحد أصابعه. صورتان متطرفتان تماماً، واحد يحطمه اليأس، والآخر يحطمه الكبرياء! [\[453\]](#)

فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحْمِ؟

كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ،

وَلَمْ تَرِنِي عَيْنٌ! [18]

يكرر أيوب ذات الرغبة التي سبق فأعلنها في حديث سابق (3: 11).

مرة أخرى كان يشتهي أيوب أن يُخنق في الرحم، ولا يخرج إلى العالم، ولا واه أحد.

لعل أيوب شعر بأنه صار مثلاً وسخرية لكل ناظره، فاشتهي لو لم يرَ أحداً قط، ولا أحد واه.

فَكُنْتُ كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ، فَأَقَادَ مِنَ الرَّحْمِ إِلَى الْقَبْرِ [19].

كما أن الذي يضع قلبه في الحياة الزمنية يخطئ، هكذا من ييأس من الحياة ويشتهي الموت عن يأسٍ يخطئ. الأول يحب العالم والخلقة أكثر من

خالقها، والثاني يستخف بخطئة الله من نوره.

أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟

إِنَّكَ! كَفَّ عَنِّي، فَأَبْتَسِمُ قَلِيلاً [20].

يطلب من الله أن يكف عن التأديب ليلقط أنفاسه ويستريح قليلاً.

يعلم أيوب أن أيام الإنسان قليلة، فيطلب في هذا القليل شيئاً من الراحة، ولو من حين إلى آخر.

❖ قال سليمان: "لأنه إن عاش الإنسان سنين كثوة، فليفوح فيها كلها، وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثوة، كل ما يأتي باطل" (جا 11: 8). مرة أخرى كتب: "أيا كان ما تأخذه في اليد، تذكر نهايتك، فلا تخطئ". لذلك عندما تجرب الخطية الذهن يلبق بالنفس أن تترك قصد بهجتها، لنلا تنوع بها الخطية إلى موت محقق، حيث من الواضح أن الحياة القابلة للموت تنتهي سريعاً.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يا أبناء آدم، يا من ملك الموت عليكم، فكروا في الموت، وتذكروا الحياة، ولا تتعنوا الوصية مثل أبيكم الأول.

أيها الملوك المتوجون بالأكاليل، تذكروا الموت الذي سيزع الأكاليل الموضوعة على رؤوسكم، سيكون ملكاً عليكم حتى يأتي الوقت الذي فيه تقومون للدينونة.

يا أيها المتعالون والمتكبرون والمتعرفون، تذكروا الموت، الذي سيحطم تعاليكم، ويحل أعضاءكم، ويفك المفاصل، ويحل الفساد بالجسم وكل أشكاله. بالموت ينحط المتعالون، والعنفاء القساة يُدفنون في ظلمته...

يا أيها الجشعون المغتصبون والسالبون لزمانكم تذكروا الموت، ولا تضاعفوا خطاياكم. ففي ذلك الموضع لا يتوب الخطاة، ومن سلب ممتلكات رقيقه لا يملك حتى ماله، بل يذهب إلى الموضع الذي لا تُستخدم فيه الثروة، ويصير بلا شيء، تعبر عنه كرامته، وتبقى خطاياها لتقف ضده يوم الدينونة [454].

القديس أفراهام

قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ إِلَى رُضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ [21].

يضع الموت أمام عينيه، فيطلب شيئاً من الراحة، ربما لكي يستعد للرحيل، ولكي لا يخطئ ولو بفكوه تحت ثقل التجرب. وكما يقول الموتل: "أثر عيني لئلا أنام نوم الموت" (مز 13: 3). طلب وقتاً وجع فيه إلى نفسه، ويطلب عمل الله في حياته قبل أن يموت ويُغلق الباب. "أفعلك للأموات تصنع عجائب؟" (مز 88: 10)

لا يطلب أيوب الراحة لأنه متعلق بالحياة الزمنية، فهو يعلم أنه راحل ولا يعود بعد. "قبل أن أذهب ولا أعود".

يقدم لنا أيوب صورة مؤلمة عن الموت والقبر، هذه التي كانت سائدة حتى بين المؤمنين قبل قيامة المسيح. "إلى رُضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ".

كان منظر أيوب فيه سخوية لأصدقائه والمليين به، لعله اشتبه القبر حيث الظلمة، فلا يرى أحد قروحه، بل ويتحلل جسمه كبقية الأجسام دون توفقة!

بالنسبة لنا حياتنا معركة دائمة، موقعها هو رُضِ القلب والفكر والحراس؛ فهي حرب داخلية بين النور والظلمة. لن يهدأ عدو الخير حتى النفس الأخير، حاسباً نفسه ملكاً من حقه اقتناء كل البشرية تحت سلطانه. فالمؤمن وحيله يعلن نصوته النهائية، أو نصوة نعمة الله العاملة فيه.

❖ كثيرون من شعبنا يموتون بهذا الموت (الجسدي)، فيتحرون من هذا العالم. هذا الموت الذي يحسبه (أهل العالم) كلثة، واه عبيد الله راحلاً إلى الخلاص.

يموت الأوار كالأشوار بلا توفقة... لكن الأوار يُدعون إلى الراحة، والأشوار إلى العقاب.

[455]

سلام عظيم يوهب للمؤمنين، وعقاب لغير المؤمنين.

❖ من جهة الراحة، ماذا نجد في العالم سوى حرب دائمة مع الشيطان، وصواع في معركة دائمة ضد سهامه وسيوفه؟! حربنا قائمة ضد محبة المال والكوياء والغضب وحب الظهور، وصواعنا دائم ضد الشهوات الجسدية وإغواءات العالم.

فكفر الإنسان يحاصره العدو من كل جانب، وتحقق به هجمات الشيطان من كل ناحية. وبالجهد يقدر للفكر أن يدافع، وبالكاد يستطيع أن يُقاوم

في كل بقعة. فإن استهان بحب المال، ثرت فيه الشهوات. وإن غلب الشهوات انبتق حب الظهور. وإن انتصر علي حب الظهور اشتعل فيه الغضب والكبرياء، وأغواه السكر بالخمير، ومزق الحسد اتفاقه مع الآخرين، وأفسدت الغوة صداقته.

هكذا تعاني الروح كل يوم من اضطهادات كثيرة كهذه ومن مخاطر عظيمة كهذه تضايق القلب، ومع هذا لا زال القلب يبتهج ببقائه كثراً هنا بين حروب الشيطان! مع أنه كان الأجدر بنا أن نتصب اشتياقاتنا و رغباتنا في الإسواع بالذهاب عند المسيح، عن طريق الموت المعجل. إذ علمنا الرب نفسه قائلاً: "الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتتوحون والعالم يفرح؛ أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلي فرح" (يو 20:16).

من منّا لا وغب في أن يكون بلا حزن؟!

من منّا لا يتوق إلى الإسواع لنوال الفرح؟!

لقد أعلن الرب نفسه أيضاً عن وقت تحويل حزننا إلي فرح بقوله: "ولكن سرّاكم أيضاً، فتوح قلوبكم، ولا يزوع أحد فحكم منكم" (يو 20:16). مادام فرحنا يكمن في رؤية المسيح... فأني عمى يُصيب فكرنا، و سخافة تتتابنا متى أحببنا أهوان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الإسواع نحو الفرح الذي لا يُتوع عنا؟! [456]

الشهيد كيريانوس

رُضِي ظَلَامٌ مِثْلُ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ،

وَبِلَا تَوْتِيْبٍ،

وَأَشْرَافُهَا كَالدُّجَى [22].

لم يرد القديس يوحنا الذهبي الفم أن يتحدث عن موضع جهنم سوى أنها "خرج هذا العالم" [457]، لكنه تحدث في شيء من التفصيل عن لعناتها. ففي إحدى عظاته يقول:

[إنها بحر من النار، ليست بجوّاً من ذات النوع بالأبعاد التي نعرفها هنا، بل أعظم وأعنف، بأموج نارية، نوان غريبة موعبة. توجد هناك هوة عظيمة مملوءة لهيباً موعباً. يمكن للإنسان أن يرى النار تخرج منها من كل جانبٍ مثل حيوانٍ مفترسٍ...]

هناك ليس من يقدر أن يقاوم، ليس من يقدر أن يهرب.

هناك لا يرى وجه المسيح الرقيق واهب السلام في أي موضع.

وكما أن الذين صدر عليهم الحكم بالعمل في المناجم هم أناس عنفاء، لا يرون بعد عائلاتهم، بل الذين يسخرونهم، هكذا يكون الأمر هناك. ولكن ليس بالأمر البسيط هكذا، بل ما هو رُداً بكثير. لأنه هنا يمكن أن يقدم الإنسان التماساً للإمواطور طالباً الرحمة، وقد يُعفي عن السجين، أما هناك فلن يحدث هذا. إنهم لن يخرجوا بل يبقوا، يحتملون عذابات لا يمكن التعبير عنها [458].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه بالرغم من كل هذه العذابات فإن العذاب الرئيسي للمدانين هو حرمانهم من حضرة الرب وشركة القديسين في السماء [459].

رجات العذابات مختلفة في الجحيم، تعتمد على مدى خطايا الإنسان [460]، لكن الكل يسقط تحتها أبدياً [461].

يقول: [مستحيل أن يكون عذابات جهنم غير موجودة [462]. وهو يرى أن هذه العذابات ليست لمجرد تحقيق العدل الإلهي، لكنها وضعت لحت

البشرية على التوبة والامتناع عن الخطية [463]. يقول: [إن كان الله يهتم ألا نخطئ، وإن ندخل في متاعب كهذه لتصحيحنا، فواضح أنه يعاقب الخطاة

ويكفل الأوار [464]. كما يقول إنه يعد جهنم، حتى لا يُلقى أحداً في جهنم [465].

❖ كما أن الموت الخلجي يفصل الجسد عن النفس، هكذا الموت الداخلي يفصل النفس عن الله. هكذا فإن "ظل الموت" هو ظلمة الانفصال، حيث كل

واحد من الذين يُدانون بنار أبدية تهلكه، يكون في ظلمة من جهة النور الداخلي.

الآن فإن طبيعة النار أن تصدر نوراً، ولها سمة التدمير، أما النار التي تسخط على خطايا سابقة، فلها سمة التدمير وليس لها نور. لذلك يقول الحق للهالكين: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملاتكنه" (مت 25: 41). وإذ يتمثلون جميعاً في شخصٍ واحدٍ، يقول: "لبطوا رجليه ويديه، وخنوه واطحوه في الظلمة الخرجية" (مت 22: 13).
لو أن النار التي تعذب الهالكين يمكن أن يكون لها نور لما قيل عن المطرودين خرجاً "اطحوه في الظلمة". هكذا أيضاً يقول الموتل: "تسقط النار عليهم ولا يعابوا الشمس" (مز 58: 8 Vulgate). إذ تسقط النار على الأثوار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"بلا توتيب" ، يبدو لنا أنه ليس في القبر نظام معين، إنما يسوّي الملوك مع العبيد، والأغنياء مع الفقراء الخ.، كل منهم يُدفن بديره حسبما يعين الله له، لكن توجد خطة إلهية دقيقة من جهة ما قد يحل بنا من تأديبات حتى وإن لم نستطع تفسيروها.
❖ الكلمات: "بلا توتيب" عجيبة للغاية، فإن الله القدير، الذي بحق يعاقب على الشرور لن يسمح حتى للعذابات أن تكون "بدون توتيب". العقوبات ذاتها التي تصدر عن مزان العدالة لا يمكن بأية كيفية أن توقع "بدون توتيب" ، إذ كيف يمكن ألا يكون ترتيب في العقوبات التي يصورها، مادامت حسب قياس الجريمة هكذا تكون العقوبة التي تلحق بالذين يدانون أبدياً. وكما هو مكتوب: "لكن القانون يكون عذابهم أشد، والعذابات الأشد تحل على الأثوياء" (حك 6: 6، 7). قيل في دينونة بابل: "بقدر ما مجدت نفسها وتتعمت، بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحرناً" (رؤ 18: 7). فإن كانت العقوبة حسب قياس الخطية، فإنه حق لا يمكن إنكاره إنه يوجد ترتيب محفوظ في العقوبات...
كما أنه في بيت أبيتنا منزل كثرة حسب نوع الفضائل، هكذا يوجد اختلاف في الجريمة، ويخضع المدانون لعقوبة متباينة في نوان جهنم. فمع أن جهنم واحدة وهي بعينها للكل، لكن هذا لا يعني أن الكل يحترقون بذات الكيفية.

❖ وإشواقها كالدجي" [22]. [بالوغم من النار في ذلك الموضع لا تعطي نوراً للراحة، إلا أنه لأجل عذابهم بالأكثر تضيء بهدف معين. فإن المدانين سيرون باللهيب المنير أتباعهم معهم في العذاب، هؤلاء الذين من أجل حبهم للعصاة فضلوا محبة الحياة الجسدانية عن وصايا الخالق...
يُظهر لنا الحق أن العني الذي كان نصيبه أن يتول في عذابات النار الأبدية (لو 17: 19-31) وصف بأنه يتذكر إخوته الخمسة، وقد سأل إواهم أن يرسل لهم لتعليمهم، حتى لا يسقطوا تحت نفس العقوبة في المستقبل. فمن الواضح - نون شك - إن ذاك الذي يتذكر أقباءه الغائبين قد ضاعف من آلامه، فكم بالأكثر عندما راهم فيما بعد بعينيه حاضرين معه يزيد من عذابه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ في يوم الدينونة، ما من شك أن الصالحين سيُفصلون عن الطالحين، والأوار عن الأثوار. وسوف يُخصص لكل نفسٍ من خلال دينونة الله مكاناً يليق بجدلتها واستحقاقها، إن شاء الله [466].

العلامة أوريجينوس

❖ نتحدث عن درجات كثرة ومقاييس متنوعة في كل من الملوك و جهنم... فإن الله كقاضٍ عادلٍ يعطي كل واحد حسب مقدار إيمانه [467].
❖ في النور وفي المجد توجد درجات. وفي جهنم نفسها وفي العقاب يظهر أنه يوجد سحرة ولصوص، كما يوجد آخرون ممن ارتكوا خطايا [468].
أقل .

القديس مقاريوس الكبير

أنت هو أديتي!

❖ إذ تحصوني الضيقات أشعر بمرارة وضيق.
أكره حياتي، مشتتياً الموت.
يملاً القلق أعماقي، ويهتر كل كياني الداخلي.
اصوخ مع أيوب: قد كَوَّهت نفسي حياتي.
حقاً في ضعفي كثروا ما اشتهيت الموت.
كثروا ما تعجبت لماذا خلقتني.
لكن إذ رُفِعَ عيني إليك، في وسط تجربي لن أنسى إني صنع يديك.
في وسط تأديباتي لن أتجاهل رعايتك الدائمة لي.
أنت حب، كلك حكمة وكلك أوبة وحب!
أتطلع إليك فتحملني وسط تأديباتي إلى أحضانك.
اذكر أوتك، فأنسى كل متاعبي.
أرُك بالحق خطاياي الخفية، عوض التفكير في الضيق تضيق نفسي بأثامي.
عوض اشتها الموت، أطلب نعمتك الغافرة للخطايا.
عوض التذمر أستذنب نفسي.
أعترف بخطاياي الآن، حتى تستوني في يوم الدين.
أنفضح أمام نفسي، فأستتر بربك.
تتحول الضيقة إلى طمأنينة،
حيث أختفي فيك، وأتحصن بك، يا ملجأ حياتي.
عوض ثقل الضيقات التي تحطم النفس،
أتمتع بثقل مجدٍ أبدي يرفع نفسي إلى السموات.
أنسى كل ألم، بل وأشتهيه،
فهو طريق الشركة معك في الصלב، كما في مجد القيامة.

❖ في ضيقتي ووسط آلامي أرك إني خاطي.
لكنني محتاج إلى روحك القدوس ينير بصيرتي،
أعرف خطييتي واكتشفها، فأعترف لك بها.
أبغضها، وأصوخ إليك لتسندني نعمتك، فأهرب منها.
من يفضح نفسي أمامي غير نورك يارب.

لنشوق عليّ، فأدرك ضعفاتي، وأتوجى بتَهليلِ غنى حُبك الغافر لكل خطاياي!
هب لي أن أحاكم نفسي هنا، فلا تحكم عليّ يوم مجيئك!

❖ في ضعفي ابتلعت الآلام نفسي،

حسبتك قد توكت الأثوار يهلكونني.

لكنني إذ رُفِعَ عيني إليك، أدرك أنك لم تسمح لي بضيقٍ فوق احتمالي.

بحُبك تضع حدودًا للضيقة فلا تتعدها.

وبنعمتك تهبني عطية الاحتمال بؤح،

وتسكب عليّ ثمر الروح، الصبر، طويلاً للعبور إلى الأمجاد.

حقاً إنك لا تترك عصا الأثوار تستقر على الصديقين.

إنما خلالها توكيهم، وتعبر بهم إلى الأبدية.

❖ إلهي، أنت علف أعماقي،

أنت خالق الزمن، وأنت فوق الزمن.

لست محتاجاً أن تفحصني بالتجرب.

ففي ضعفي أخشى ضغوطات العدو عليّ.

لئلا ينحرف بي إلى الشر!

إني ألجأ إليك كي تحفظني منه!

❖ إلهي اعترف لك إني خاطي.

بنعمتك أصوص مع الرسول بطرس:

أنت تعلم يارب إني أحبك.

لست أريد أن أقولمك، ولا أن أعصاك.

لكن هذا لن يبهرني، فإني ضعيف.

أسندني بنعمتك، فأحمل وُك.

❖ حقاً إني أئن من جسدي،

لكنه هو من صنّع يدك الصالحتين.

لتبدد الفساد الذي تسلل إليه،

ولتقدس الجسد الذي خلقته، وتود أن تمجده!

وأنت هو الكلمة الألي صوت جسداً،
لكي بتجسدك تقدس كل كياني.
فلا أستخف بالجسد، إذ هو شريك للنفس في المجد!
لك المجد يا من تكرم أجسادنا فيك!
كرومت جسدي، لأنه من صنع يديك!
وإذ أهنته أنا بخطاياي، تجسدت أنت لتمجد ما خلقتة!

❖ إني صنع يديك، أنت تعتر بي!
إني واثق من عنايتك الفائقة، مهما ثرت الأمواج ضدي.
لكن يبقى فكري في ضعفه، عاجزاً عن إرواك حكمتك!
أكشف لي عن سرّ محبتك، فلا أتعثر!
عرفني أحكامك، فألهج في حبك!

❖ عجيب أنت في رعايتك لي،
فإني إن أخطأت تراقبني، كي لا انحرف بالأكثر،
تقودني بعصا التأديب، لكي لا أسقط في جب الذناب.
تجتذبنني بالحب المملوء حرماً، والحزم المملوء ترفقاً!

❖ سوعان ما أتطلع إلى صليبك،
وأعبر معك إلى قيرك يا مخلصي.
فيصير الموت لي لا عن يأس وقنوط،
بل شركة حب لمن مات من أجلي،
بل أشتهي أن أموت معك حباً فيك وفي محبوبيك.
لا أتطلع بعد إلى سنى حياتي،
لكني أتوقب خلاص العالم كله!
لا أخشى الأحداث، لكني أهتل بخلاص الكثرين!
عجيب أنت في حبك،
يا من تحول حتى الموت إلى عطية موحدة!

❖ لن انشغل بعد بضيقاتي.

لن اصوخ بعد في غبوة، قائلاً:
رفع يدك عني، فقد غصت في وسط هولتي
لن اصوخ إليك كجاهل،
حاسباً ان الموت راحة لي من أتعابي.

❖ لتشرق يا شمس البرِّ عليّ وعلى البشوية،
فتبدد ظلمة أفكلنا،
وتخرجنا من قبورنا الداخلية،
وتحول عظامنا الجافة إلى جيش عظيم جداً.
لأنعم مع حزقيال برويا قيامة البشوية بك (حز 38)
فلا تكون في حياتي ظلمة،
ولن أعاني بعد من ليل!
بل في نورك أترك أسوار خلاصك،
وانعم ببهجة معرفة تدبوك العجيب.
وأصير دوما ابن النور، وابن النهار!

<<

الأصحاح الحادي عشر

نظريات وحقائق!

لم يستطع كل من أليفاز وبلدد أن يحركا ذهن أيوب سنتيمتر واحداً، فهل يمكن لصوفر أن يفعل شيئاً؟ يبدو أن صوفر كان أكثر الأصدقاء بساطة، كان رجلاً عملياً يمثل الإنسان الكنسي، لكن للأسف في حرفية وبدون علاقة شخصية مع الله، مما يفقده الفكر الكنسي الحق.
فكر الكنيسة الحقيقي، ليس فكر الرغبة في المجادلات والمناقشات العقيمة والغيبية، لكن فكر التمسك بروح الحق والاستقامة والإيمان السليم بقلبٍ متسعٍ، ونفسٍ منحنيةٍ في خشوعٍ وتواضعٍ، ووجهٍ باشٍ كوجه المخلص الدائم الابتسامة.
كانت قروح أيوب تدمي وجراحات قلبه المنكوسة تزايد، وليس من يسكب زيتاً يلفظ القروح، ولا من يضمّد الجراحات، بل جاء حديث الصديق الثالث صوفر كالسابقين يزيد جراحاته التهاباً حتى وإن نطق لسانه بالحقٍ.
لقد أنصت صوفر إلى أيوب وهو يعترض على ما حلّ به إذ هو بار.
بالحق ظن صوفر لو أن أيوب التقى مع الله وجهاً لوجه لأترك أنه خاطيء عظيم، وأن ما حلّ به أخف بكثير مما كان يستحقه [٤-٦].
يتحدث صوفر بكلمات بليغة عظيمة الحكمة الإلهية، مظهرًا أن الله كلي القدرة [٧-١٠]، ولا يُمكن فحسه.
وأن لله السلطان المطلق على المذنب ، وأنه واقب بني البشر بدقة وعدلٍ. ولا يمكن للإنسان أن يخفي خطيئته عنه [١١-١٤].

لذا يليق بالإنسان أن يتوب وأن يزوع عنه خطيته، بهذا يتمتع بالرخاء والسلام [١٥-٢٠].

يرسم صوفر صورة جميلة عن شفاء أيوب، وإمكانية الخلاص من هذا الشقاء إذا اعتُوف بخطيئته وتاب عنها، وذلك بإتباع الخطوات التالية:

1- أن يتطلع في داخله، ويغير تفكيره.

2- أن يتطلع إلى فوق، ويتحرك ليلتصق بالله، ويصلي إليه بغوة ولجاجة.

3- يجب أن يصلح الاعوجاج في تصوفاته، وإن وجد في يديه أية ثروة عن طريق الإثم أو الخداع والغش والظلم يعرض عنها.

4- يجب عليه أن يبذل أقصى جهده ليصلح حال بيته أيضًا.

مع ما قدمه صوفر من حكمة لكن كان منكورًا يعجزه التواضع، كما كان يتكلم بالمنطق السليم بون الشركة في الآم أخيه بحب صادق.

1 . اتهام أيوب بالكبرياء والكذب 1-4.

2. عدل الله لن يخطئ 5-6.

3. كمال الله لا يفحص 7-9.

4. سلطان الله لا يُحد 10.

5. علم الله شامل 11-12.

6. لا مفر من الغضب الإلهي إلا بالتوبة والصلاة 15-20.

1 . اتهام أيوب بالكبرياء والكذب

فَأَجَابَ صُوفِرُ النُّعْمَاتِي: [1]

أَكْثَرُ الْكَلَامِ لَا يُجَاوِبُ،

أَمْ رَجُلٌ مِهْدَارٌ يَتَبَرَّرُ؟ [2]

بدأ أليفاز بمقدمة في وقار شديد (أي 4: 2)، أما بلدد فكان في حديثه أكثر خشونة مع أيوب (أي 8: 2). وجاء صوفر ينقُض عليه بغير رأفة، موجهاً إليه عبارات قاسية جدًا.

لم يكن ممكنًا لصوفر أن يقبل منطق أيوب أن الله هو الذي سمح له بالتجرب بالرغم من كونه بلًا (9: 21، 11: 4، 10: 7). فإن هذا يناقض

كل فلسفة دينية سواء في عصوه أو سابقه لعصوه. بدا أيوب كمن هو مناقض لكل الفلاسفة وأصحاب المعرفة الدينية.

بدأ بقوله: " أَكْثَرُ الْكَلَامِ لَا يُجَاوِبُ، أَمْ رَجُلٌ مِهْدَارٌ يَتَبَرَّرُ؟ " ظن صوفر في أيوب إنسانًا ثرثرا، ورجل كلام بلا عمل، لا يستحق أن يُد عليه،

ومهدلًا لا يحمل جدية، ليس في حديثه روية، أو آوان ليجابو عليه.

سبق بلدد فقال لأيوب: "وتكون أقرال فيك ريبًا شديدة" (8: 2)، وجاءت في الترجمة السبعينية: "تسمات فمك تفيض في كلمات". هنا يتهمه

صوفر النعماتي بالثرثرة.

حقًا لقد قدم صوفر آراء سديدة وحكيمة، لكنه اتهم أيوب ظلمًا، لأنه لم يشركه مشاعوه كإنسان متألم للغاية، ولم يدقق في كلمات أيوب

وظروفه . اتهم أيوب بالثرثرة وكثرة الكلام الباطل بغية توير نفسه. مع أن ما نطق به لا يُحسب ثرثرة بالنسبة لما حلّ به. وفي حديثه لم يبرر نفسه بل

اعترف أنه خاطي (9: 20).

هنا يدعو صوفر أيوب أن يكون حكيماً، بأن يجلس عند أقدام الشيوخ، وينصت صامتًا، لا أن يكون كثير الكلام. يقول القديس يعقوب: "ليكن

كل إنسان مسوعًا في الاستماع، مبطنًا في التكلم" (يع 1: 19). ولعله يقصد بالشيوخ أصحابه الثلاثة. بمعنى آخر وى صوفر أن من حقه ومن حق

زميليه ان يقدم عطات ونصائح ومشورات لأيوب، وما على أيوب سوى أن يجلس عند أقدامهم يتعلم منهم في صمت!

❖ لم يقدم صوفرراًياً خاطئاً بقوله: "رجل كثير الكلام لن يقدر أن يتبرر. مادام الإنسان يتوك نفسه يتكلم مستوسلاً، تهرب منه رزاة الصمت، ويفقد حفظ نفسه في أمان. لهذا كتب: "عمل العدل سكوناً" (إش 32: 17). هكذا يقول سليمان: "مدينة متهدمة بلا سور، الرجل الذي ليس له سلطان على Vulgate روحه في الكلام" (أم 25: 28). كما يقول أيضاً: "كثرة الكلام لا تخلو من معصية" (أم 10: 19). ويحمل المثل شهادة بذلك، قائلاً: "رجل كثير الكلام لا يثبت على الأرض" (مز 140: 11)، بل وتُفقد قيمة العبارة الصادقة عندما تُقال دون تمييز...
العبارة الصادقة هي ضد الأثوار، إن كانت تهدف إلى نفع الصالحين... أما الأثوار فلا يقرون أن يسموا الكلمات الصالحة بصير، متجاهلين إصلاح حياتهم، فيلصقون أنفسهم بكلمات للود على الغير.

❖ من يتذكر كلمات الطوبوي أيوب يعرف مدى بطلان هذا الاتهام... إذ كيف يدعو نفسه زكياً (طاهراً) من قال: إن تبررت يحكم علي فمي" (9: 20).

البابا غريغوريوس (الكبير)

حقاً لقد حثّ الكتاب المقدس على الصمت ما أمكن إن كان مقدساً، كما حثّ على الكلام البناء. طلب المثل حواسة إلهية مشددة لفمه، قائلاً: "اجعل يارب حلماً لفي، احفظ باب شفتي" (مز 141: 3).

❖ يعلم الروح القدس الإنسان أن يحفظ جسده كله - من الرأس إلى القدمين - في تناسق: فيحفظ العينين لتنظرا بنقلوة...

ويحفظ اللسان لينطق بالصالح فقط، معطياً وزناً لكل كلمة، فلا يسمح لشيء دنس أو شهواني أن يختلط بحديثه [469].

❖ اهووا من أولئك الذين يحملون اسم رهبان وبتولين "دون أن يكون لهم الإواك الحقيقي والتميز الحسن. لأنكم إن اختلطتم بهم، لن يدعوكم تتقدمون، بل وربما يطفون حرة غيوتكم، إذ لا حرة لهم، بل برودة، وهم يسرون وراء أهوائهم. فإن أتوا إليكم وتحدثوا معكم في أمور رضية حسب أهوائهم الخاصة، لا تستكينوا لهذا، إذ كتب الرسول بولس: "لا تطفوا الروح، لا تحتقروا النوات" (1 تس 5: 2)، عالمين أنه لا شيء يطفئ الروح أكثر من الكلام الباطل [470].

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

❖ إن الصمت من أجل الله جيد، كما أن الكلام من أجل الله جيد.

الأب بيمين

❖ عندما يكون لسانك لسان المسيح، ويصير فمك فم الأب، وتكون هيكلًا للروح القدس، عندئذ أية كرامة تكون هذه؟! فإنه وإن كان فمك مصنوعاً من الذهب ومن الحجرة الكريمة فإنه لن يضيء هكذا كما بحليّ الوداعة. أي شيء أكثر حياً من الفم الذي لا يعرف أن يشتم، بل هو معتاد أن يبيلك وينطق بالكلمات الصالحة [471].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كثراً ما تكلمت وندمت، وأما عن الصمت فما ندمت قط [472].

القديس رسانيوس معلم أولاد الملوك

❖ يصمت البار، إذ يُعلم أن للسكوت وقت، وللحديث وقت (جا 3: 7)، لكنّه لا يصير أبكم. إنّما هذه سمة خاصة بالصوتّيين، وكل من يُعلم بالباطل، إذ هم يبكمون ولا يصمتون. فإنهم وإن كانوا بكماً عن الحق، لكنهم غير صامتين، هكذا قال الرب للبحر وليس للإنسان أن يبكم، منتهوا إياه إذ كان [473].

أَصْلَفُكَ يُفْجِمُ النَّاسَ،

أَمْ تَلْعُو، وَلَيْسَ مِنْ يُخْرِيكَ؟ [3]

دعاه مستهزئاً، يهزأ بالله حيث يشتكي عليه، ويسخر بالناس، إذ لا يخجل من أن يخدع من هو حوله. كما دعاه متهكماً، هكذا استخدم صوفر ألفاظاً قاسية، ووصفه بصفات غير لائقة.

وى البعض في كلمات صوفر هنا اتهاماً غير مباشرٍ لأليفاز وبلدد، فكان يليق بهما أن ييكماه، ولا يتوكاه يؤثر بكلامٍ عنيفٍ وخاطيٍ وبلا

معنى.

في رأيه قد تصّلف أيوب في تشامخ وبأكاذيب باطلة، ولم يستطع صديقه أن يفحمه، بل صمتا عن الدفاع عن الحق. يتهمه بأنه "يلغو" أي "يسخر" أو "يتهكم"، بتقديمه اللوم لله خلال شكواه.

إِذْ تَقُولُ: تَعْلِيمِي زَكِيٌّ،

وَأَنَا بَارٌّ فِي عَيْنَيْكَ [4].

اتهم أيوب بكلمات لم يتفوه بها. اتهمه بالقول إن تعليمه زكي، وهو لم يقل هذا.

اتسم أيوب بسلامة الإيمان. حقاً أحياناً اندفع مشتهياً الموت بسبب ثقل التجربة، لكنه لم يفكر في الانتحار. وعاتب الله، لكنه لم ينكر عدالة الله ومراحمه.

وأعلن أنه ليس شرواً ولا هوائياً لكنه لم ينكر أنه خاطئ وينتظر المغفرة.

تعليم أيوب عن الله أفضل بكثير من أصدقائه.

لقد أساء هؤلاء الأصدقاء، خاصة صوفر، كلمات أيوب، وأعطوها معانٍ غير ما في ذهنه، ولم راعوا ظروفه، وأنهم لو وضعوا في مكانه ربما

أخطأوا في حق الله.

2. عدل الله لن يخطئ

وَلَكِنْ يَا لَيْتَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ،

وَيَفْتَحُ شَفْتَيْهِ مَعَكَ [5].

يستشهد صوفر بالله نفسه، أنه وإن صمت ولم يجاوب أيوب، لكن إلى حين، فإن تكلم وفتح شفثيه لاكتشف أيوب أنه يستحق أكثر بكثير مما حلّ

به.

ما أصعب أن نضع أنفسنا كما على العرش الإلهي وندّعي أننا نعلم ما في فكره، ونحكم على الآخرين ناسبين الحكم لله.

لقد تحققت أمنية صوفر، وتكلم الله مع أيوب، فتح شفثيه مدافعاً عنه، مطالباً أصدقائه بالاعتذار له، وأن يطلبوا صلواته عنهم فيسامحهم.

حقاً شتان ما بين أن يفتح الإنسان فمه ليحكم على إخوته ويدينهم تحت ستار الدفاع عن الحق والشهادة لله القوس، وبين أن يفتح الله فمه

ويتحدث مع الإنسان. يتكلم الله بالحق، لكنه الحق المملوء حباً وحكمة عملية، في صراحة عاتب سمعان بطرس، بل ودعاه "شيطاناً" حين اعترض على

صلب السيد المسيح وموته، لكنه كان يسنده، كما مدحه عندما اعترف أن يسوع هو المسيح ابن الله.

يفتح الإنسان الخاطئ الضعيف فمه ليعكس ضعفه وأخطائه على الغير، أما الله فيفتح فمه لكي يهب الخاطئ قوة للاعتراف وإمكانية للتوبة، وقوة

على التقديس الدائم والنمو الروحي المستمر بعمل روح الله القدس.

❖ يقول الحق لبطرس الذي كان لا يزال مملوءاً بالمفاهيم الأرضية: "لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مر 8: 33)، ومع هذا عندما اعترف حسناً قيل له: "إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات" (مت 16: 17). هكذا يفتح الله شفثيه عندما يعلن رادته للبشر بافتقادٍ صريحٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لما كنا لا نستطيع أن نتحل لأنفسنا صفة القضاء بسبب خطايانا، وجب علينا أن نتنحى عن القيام بهذه الوظيفة، لأنه كيف ونحن خطاة نحكم على الآخرين وندينهم؟!

إذن يجب علينا ألا يدين أحد أخاه، فإن حدثتكَ نفسك بمحاكمة الآخرين فاعلم أن الناموس لم يقيمك قاضيًا ومحاكمًا، ولذلك فانتحالك هذه الوظيفة يوقعك تحت طائلة الناموس، لأنك تنتهك حرمة...

[474]

إذن يجب أن نعني بفحص أنفسنا قبل الجلوس على منصة القضاء للحكم على غورنا، خصوصًا إن كنا في وظيفة المرشد والمعلم .

القديس كيرلس الكبير

[475]

❖ سيحكم الله في وقته المناسب. فإن القاضي يُهان متى ادعى خادم ونطق بحكم قبل معرفة قرار الحكم الذي للقاضي .

❖ ابسطرداءك على المذنب واسوّه، إن كنت لا تقدر أن تحتل وتضع أوزره على نفسك.

مار إسحق السرياني

وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ!

إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ،

فَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُعْرَمُكَ بِأَقْلٍ مِنْ إِيْمِكَ [6].

وى صوفر أنه كان يليق بأيوب أن يلتزم الصمت عوض اتهام الله بالظلم لأنه يجربه وهو بار. وقد أكد له صوفر ان ما حلَّ به هو عقوبة أقل مما يستحقه إيمه. فيليق به أن ينتظر المزيد من النكبات.

إذ كان صوفر يشعر بعجزه عن إقناع أيوب اشتهد أن يُظهر الله لأيوب خفيات حكمته الإلهية ويعطيه فهمًا مضاعفًا، فيعلم أن التأديب الذي حلَّ به أقل مما يجب.

يميز البابا غريغوريوس (الكبير) بين معرفة أعمال الحكمة الإلهية العظيمة وبين أعمال الحكمة الإلهية الخفية العظيمة. فمن السهل أن يتمتع الإنسان بمعرفة حكمة الله العظمي خلال الطبيعة التي خلقها لأجل الإنسان، وعطاياها الفائقة اليومية. أما معرفة حكمته الخفية العظيمة فيصعب إواكها حيث يبدو الله كأنه تخلى عن الإنسان، فيسمح له بالضيق أو التجربة. يحتاج الإنسان إلى نعمة إلهية ليترك ما وراء الألم من حكمة إلهية خفية، فإذا ما نال الإنسان هذه المعرفة تحسب معرفة مضاعفة، حيث يترك حكمة الله عندما يعطي وأيضًا عندما يأخذ؛ عندما يقدم للإنسان ما يشتهيهِ وأيضًا عندما لا يقدم له طلبته.

❖ " ويعلن لك خفيات الحكمة، وأن ناموسها مضاعف" (أي 11: 6).

أعمال الحكمة العظمي هي أنه عندما يحكم الله القدير الذين خلقهم يأتي بهم إلى نهاية الصالحات التي بدأ بها، ويعين بإلهاماته هؤلاء الذين ينوهم بنور افتقاده، فمن الواضح لأعين كل البشر أن الذين خلقهم بسخائهم المطلق يسندهم وأفاته. وعندما يمنحهم هبات روحية هو بنفسه يدخل بهم إلى الكمال، هؤلاء الذين بدأ معهم في سخائهم بالوأفات.

أما أعمال الحكمة العظمي السرية فهي عندما (يبدو كأنه) يتخلى عن من خلقهم، عندما لا يكمل الأعمال الصالحة التي بدأ بها معنا بسبب الخطية، عندما ينوونا ببهاء نعمته المنورة، ومع هذا يسمح بتجربة الجسد أن تضربنا بضباب العمى. عندما لا يهتم إن يحفظ لنا العطايا الصالحة التي

وهبنا إياها، فيسمو بأشواق نفوسنا نحوه، ومع هذا يضغط علينا بطريقة خفية خلال عجز ضعف طبيعتنا.

كان بولس قلقاً كي يبلغ أسوار هذه الحكمة عندما قال: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطوقه عن الاستقصاء، لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشوا؟" (رو 11: 33) ... إذ كان بولس عاجزاً عن بلوغ أسوار الله عاد إلى معرفة ضعفه. كان صوفر متعلماً بالسعي وراء المعرفة، لكنه كان جاهلاً بسبب وقاحة حديثه المتعجرف، غير مترك لحقيقة نفسه، ناظراً إلى حاله الضعيف كشخصٍ فاضلٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يقول صوفر أنه حيث يعلن الله للإنسان حكمته الخفية، يهبه فهمًا مضاعفاً. هذه حقيقة يتمتع بها المؤمن الصادق والأمين. إنه لا يكف عن أن يطلب من الله أن يهبه حكمة لإرواك خطة الله، فينال فهمًا مضاعفاً.

ماذا يعني بالفهم المضاعف؟

ولاً: رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن إرواك حكمة الله الخفية، ليس إرواكاً نظرياً عقلياً بحثاً، لكنه معرفة الخوة والحياة، حيث ترتبط الحكمة بالحب، فالحكيم ينال فهمًا مضاعفاً، حيث يملس حباً مضاعفاً، ألا وهو حب الله وحب القريب. ينال حباً مضاعفاً نحو الله وبلا حدود؛ وينال حباً مضاعفاً نحو إخوته، فيود بكل كيانه أن يقدم إخوته عنه في كل شيء، ويشتهي أن يتعامل معهم كما يريد أن يعاملونه به. ناموس المحبة ناموس مضاعف، حيث نلتزم بالحب لله أو للقريب.

هذا ومن جهة محبتنا لله ينبغي أن يكون حباً مضاعفاً ، حيث نحبه بكل القلب وكل النفس وكل القوة، فلا نتوك لأنفسنا شيئاً لا نقدمه لله. ومن جهة حبنا للقريب فهي مضاعفة، حيث نطلب من جانب ألا نستخف بقربينا خلال الطمع أو الإهانة باللسان أو الاستهانة بأجساد الغير خلال أنانية الشهوات الجسدية؛ ومن الجانب الآخر أن نسلك مع الغير حسبما نود الغير أن يفعل بنا.

❖ "وناموسها مضاعف" (أي 11: 6). بماذا يفهم "ناموس الله" سوى الحب؟ به نقواً بطريقة باطنية كيف يجب مساندة وصايا الحياة بأعمال خرجية. يقول صوت الحق عن هذا الناموس: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً" (يو 15: 12). يقول عنها بولس: "المحبة هي تكميل الناموس" (رو 13: 10). وأيضاً: "احملوا بعضكم أثقال بعض" (غل 6: 2). فإنه بماذا يمكن أن يفهم ناموس المسيح أكثر من المحبة، التي بالحق نتممها حينما نحمل أثقال إخوتنا على أساس المحبة؟

هذا الناموس عينه يدعي "مضاعفاً" ، حيث أن المحبة، المملوءة بالعناية الفائقة بغرة، تمتد إلى كل أعمال الفضيلة. لقد وُضعت بوصيتين فقط لكنها تبلغ إلى عددٍ لا يُحصى. فإن بدء الناموس هو محبة الله ومحبة قريبتنا (مت 22: 39-40) ... لكن "محبة الله" تنقسم إلى ثلاثة أقسام . فإننا نُوصى بحب خالقنا "بكل قلبنا وكل نفسنا وكل قوتنا". وفي هذا يؤمننا أن نلاحظ أن الكلمة المقدسة توصي بالالتزام بمحبة الله. فهي لا تخبرنا فقط كيف، وإنما تعلمنا إلى أي مدى حيث تضيف "من كل" . فمن وغب أن يسر الله بالكمال يليق به ألا يتوك في نفسه شيئاً لنفسه.

ومحبة قريبتنا جاءت في وصيتين . فمن جانب قيل بواسطة رجلٍ بارٍ: "افعلوا هذا أن لا يكون لك إنسان تبغضه" (طوبيت 4: 15). ومن الجانب الآخر يقول الحق: "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم" (مت 7: 12). بهاتين الوصيتين أحجم التصرف الشوير ووُضع علينا التصرف الحسن.

❖ لذلك ناموس الله بحق يدعي "مضاعفاً" ، فبينما هو ذو مبدأ المحبة، ما أن يستولي على العقل حتى يلهبه بطرق مضاعفة بأعمالٍ لا حصر لها... يعلن بولس عن مضاعفة هذا الناموس عينه بطريقة لائقة، معدداً الآتي: "المحبة تتأني وتروق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ، ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا توح بالإثم، بل توح بالحق" (1 كو 13: 4-6).

البابا غريغوريوس (الكبير)

ثانيًا: الفهم المضاعف يعني المزيد المستمر غير المنقطع. مادمنًا في الجسد لن نتوقف عن طلب النمو في الحكمة والمعرفة والحب. بل وري بعض الآباء أن هذا النمو لا يتوقف حتى في الحياة الأبدية. فكلما تطلع المؤمن إلى الله، ونال اتحادًا أعمق، ينمو بلا توقف في الحكمة والمعرفة والحب. إنه لن يكف عن أن يتغنى على النوام: "هوذا الكل قد صار جديدًا" (رؤ 21:)

❖ مع أن كل واحد يطلب المزيد من المعرفة على النوام ، فإنها تبقى المعرفة ناقصة في كل الأمور بالنسبة لكمالها الحقيقي حتى يحل الزمن ليأتي ما هو كامل ويزول ما هو جزئي [\[476\]](#) .

القديس باسيليوس الكبير

❖ إنه يشجعها ويحثها ألا تجلس خاملة هناك، بل تخرج إليه خرجًا، وتحول أن تراه لا من الشبابيك، ولا من مرآة في لغز، بل تذهب إليه وتواجه وجهها لوجهه (نش 2: 9) . لأنه الآن إذ هي لا تستطيع أن تراه يقف هكذا خلفها وليس أمامها، يقف وراء ظهورها، وخلف الحائط (نش 2: 9) [\[477\]](#) .

العلامة أوريغينوس

لم يعرف صوفر حدوده، فإن كان ما بحث به أيوب هو طلب معرفة مضاعفة، وهذه طلبية مقدسة، ومشورة حسنة، لكن في عدم التواضع بالحدود أعلن في غبلة أن ما حلّ بأيوب أقل مما يستحقه. وكأنه يليق بأيوب أن يتوقع المزيد من الضوابط.

هنا يشبه البابا غريغوريوس (الكبير) صوفر بالصديق الذي وافق صديقه ويذهب معه إلى الوعر ليساعده في قطع أخشاب، وإذا به في عدم حكمة يضوب بالفأس، فيطير رأس الفأس، ويحطم رأس صاحبه. عوض أن يساعده في قطع الأخشاب، بغبلة قطع رأسه! يليق بنا في حكمة أن نترك ما هي حدود التوبيخ والانتهاز، وما هي حدود التأديب، حتى لا نحطم إخوتنا. وكما يقول الرسول بولس عن تأديب الشاب الذي أراد أن يلتصق بامرأة أبيه فأمر بغزله، عاد ليقول: "حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري وتعزونه، لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفوط، لذلك أطلب أن تُمكّنوا له المحبة" (2 كو 2: 7-8) . فقد نال ما فيه الكفاية وبلغ التأديب غايته، وصار الأمر في غاية الخطورة، فإن لم يجد التائب أحضان الكنيسة الحانية يستعبده اليأس وتهلك نفسه. كما كانوا مؤمنين بتأديبه بالغزل، الآن مؤمنون بتمكين المحبة له وتجديدها لكي تتهلل نفسه بالخلاص.

❖ " فتعلم أن الله يغومك بأقل من إثمك" [6] ... هنا يليق بنا أن نعرف أن صوفر ويخ الرجل البار بإثم عظيم حث اتهمه بطريقة خاطئة... لكن كلمة الإهانة المقدمة يمكن رالتها إن راعينا الجذر الذي منه نبتت. لذلك بحق أمر الرب خلال موسى: "من ذهب مع صاحبه في الوعر ليحتطب حطبًا، فاندفعت يده بالفأس ليقطع الحطب، وأفلت الحديد من الخشب، وأصاب صاحبه فمات، فهو يهرب إلى إحدى تلك المدن فيحيا، لئلا يسعى ولي الدم وراء القاتل حين يحمي قلبه ويدركه إذا طال الطريق ويقتله" (تث 19: 5-6) . فإننا نذهب مع صاحب الوعر حين نذهب مع قريب لئلا نؤذي أنفسنا، ونحن نحتطب عندما نقطع الأفعال الثبوة من الآثمة بهدف تقوي، لكن الفأس يطير من يدينا عندما يكون الإصلاح صعبًا للغاية، فيضوب قريبه ويموت، فيكون من قدم توبيخًا قد قتل سامعه من روح الحب . لأن ذهن الشخص المُوبخ يندفع للغر إلى كراهية إن كان يدينه دون مراعاة للحدود.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يجب أن يسبق التوبيخ الرحمة لا الغضب.

القديس أغسطينوس

❖ لا يليق بالأطباء أن يسخطوا على المرضى، بل يجب عليهم أن يضاخوا الأمراض ليشفوا المرضى.

القديس باسيليوس الكبير

❖ لرغَ الماشية لا بضجرٍ ولا بهوءٍ، كأن لك سلطان عليهم، بل كواعٍ صالحٍ تجمع الخواف إلى حضنك، وتؤوي الحبالى.

الدسقولية - باب 4

3. كمال الله لا يُفحص

ألى عمق الله تتصل،

أم إلى نهاية القدير تنتهي؟ [7]

يصور صوفر عظمة الله ومجده كما يصور حماقة الإنسان وجهله، لهذا يؤزم الخضوع له وطلب رحمته وعنايته. لا يمكن لإنسان اكتشاف

حكيمته فكيف يحطه؟

من يقدر أن يبلغ إلى أعماق الله، ومن يعرف نهايته؟ مهما اشتقت إليه، مهما التصقت وتعرفت على شخصه، تبقى معرفتك له ناقصة تمامًا. لا تتخيل أنك تتجح في البحث عن جوهره، وإراك كمال حقيقته. نرك حقيقة وجوده، لكن لا نبلغ إلى إراك أسوره. كالعين التي ترى المحيط، لكنها لا تبلغ نهايته.

ترجم القديس كيرلس الأورشليمي الكلمة المقابلة "لنهاية" بـ "أقل": "ألى أثار الله تجد، أم إلى أقل ما صنعه القدير تنتهي؟" ويعلق على ذلك: [إن كانت أقل أعمال الله غير مركة، فهل يكون خالق هذه كلها مركة؟!]

❖ " هل تجد أثاراً للرب؟ أو هل تبلغ نهاية ما يفعله القدير؟ " بمعنى إن كنت كما سبق فقلت أنك لا تقدر أن تجد أثاراً لسفينة (على البحر)، ولا لطير نسر (في الهواء)، فمن يجد أثاراً لتدبوات الله، أو من يقدر أن يفهم إيماءات عنايته الإلهية التي يصنعها بالتتابع؟

❖ حسن أن يقول هذا عن الله، لكنه لم يقله صوفر بنية نقيه، لكن وهو يمجده الله ينطق بالشر على البار.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ لم يكتشف بعد أحد أو سيكتشف ما هو الله في طبيعته وجوهه. فالإكتشاف يحدث في المستقبل. ليت هؤلاء الذين لهم فكر في هذا أن يبحثوا ويفكروا فيما سيتم في المستقبل.

يخونني عقلي الذي على شكل الله عندما يمزج ذلك الإلهي، أقصد الذهن والعقل، بما هو شبيه به؛ عندما تعود الصورة إلى أصلها الذي تشتاق إليه. هذا يبدو لي هو معنى هذه العبارة العظيمة أننا في الزمان المقبل سنعرف كما عرفنا.

القديس غريغوريوس النريوي

❖ مع أن كل واحد يطلب المزيد من المعرفة على النوام ، فإنها تبقى المعرفة ناقصة في كل الأمور بالنسبة لكمالها الحقيقي حتى يحل الزمن ليأتي ما هو كامل ويزول ما هو جزئي.

القديس باسيلوس الكبير

من يستطيع أن يبرك عمق أسوار الله وخطته، أو يفهم أعماله، أو من يقدر أن يفهم أثر خطواته؟ هكذا يبقى الإنسان يتمتع بالمعرفة المستورة، وكلما تقدم يبرك بالأكثر عزوه عن إراك أعماق سرّ الله.

يقدم لنا الآباء خلال الفكر الإنجيلي الطويق للدخول إلى سرّ معرفة الله، ألا وهو الحب. كلما التهبت قلوبنا بحبه عملياً اغتسلت بصورتنا الداخلية للتعرف على أعماق جديدة. وكلما دخلنا إلى أعماق جديدة في معرفة الله يزداد لهيب حبنا له، فنستخف بالأمانيات ونتعلق بالأبديات.

❖ **footsteps of God** "هل تجد خطوات الله؟" ما هو الذي يدعوه "خطوات الله footsteps of God" "سوى رافات افتقاده؟ بهذا يحقونا على التقدم نحو العلويات عندما نتفاعل مع نسمات روحه...

عندما تلهب محبة الرب الروحية القلب، يعطي معرفة لطويق نتبعه، كوع من خطوات الله، كمن يسير ويترك بصمات قدميه على القلب...
حسنًا كان الموتل ما هوًا في إتباع خطوات خالقنا عندما قال: "نفسى تتبعك بجديّة" (مز 63: 8)، وإذ أراد اقتناء رؤية علوية قال: "عطشت نفسي إلى الله، إلى الله الحي، متى أجيء وأظهر أمام وجه الله؟" (مز 42: 2).
يُوجد الله القدير بمفهوم واضح عندما نطأ تحت أقدامنا فساد موتنا. عندئذ يُرى بواسطة الذين يرتفعون إلى السماء في بهاء طبيعته الإلهية. أما في الزمن الحاضر، فإن نعمة الروح المنسكب في قلوبنا ترفع النفس من الأهداف الجسدية وتسمو بها بالاستهانة بالأمانيات، ولا يتطلع الذهن إلى أسفل وإلى كل ما يُشتهى من أسفل، ويلتهب بالشوق نحو العلويات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليس للسان سلطان أن ينطق بكيفيتها (الأسوار الإلهية)، إنما ينظرها العقل الطاهر وحده، وبها يتنعم ويفرح بنظرها، ويتعجب وبيتهج بوجودها، ويذهل ويُسر باستعلانها له؛ ويذهل ويُختطف منهما إلى داخلهم.
وفي الله يُبتلع ويُسبى بنظر جماله، ويتحد بمجده وينذهل.
ليس من دخل إلى هذا، وينظر إلى ما يُرى ههنا بشهوة.
ليس من يتلذذ بهذه (الأسوار)، وينوق أيضًا حلوة شيء مما على الأرض.
ليس من ينظر جمالها، وينظر إلى جمال شيء مما في عالمنا أنه حسن.
ليس من استغنى بوجودها، ولا يستخف بالروهم كأزبل.
ليس من استأنس بوجودها وسكر بالهذيذ بها، ولم يمقت في عينيه جلسات الناس وأنسهم.
ليس من انطلقت في نفسه وفي عظامه محبة المسيح، ويقدر أيضًا أن يحتمل قنطرة الشهوة المونولة.
ليس من صار رقيقًا للملائكة واستأنس بأسوارهم، ولم يوذل رفقة العالم ومكائده.
ليس من سُبى عقله بجمال رب الكل، ويقدر أيضًا أن يسييه شيء مما في هذا العالم بشهواته.
ليس من ربط عقله بالله والاهتمام به، وينحل أيضًا من شيء ويرتبط بالهم به

الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَوَاتِ،

فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟

أَعْمَقُ مِنَ الْهَلَوِيَّةِ،

فَمَاذَا تَتَوَرَّى؟ [8]

أَطْوَلُ مِنَ الْأَرْضِ طَوْلَهُ

وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ [9].

إن كنا لا نستطيع أن نقيس علو السموات ولا أعماق الهلوية ولا طول الأرض ولا عرض البحار، فكيف نقيس خالق هذه جميعها؟ يقول الموتل: "عجيبه هذه المعوفة، فوقى لرفعت لا أستطيعها" (مز 139: 6)، "أحكامك لجة عظيمة" (مز 36: 6).
توقع عيوننا إلى فوق نحو السماء، فزى الله عاليًا أعلى منها. عندئذ تنتهي نفوسنا التحرر من عبودية محبة العالم، بعمل روح الله القنوس، الذي يطير بنا كما بجناحي حمامة.

نتطلع إلى أعماق الهلوية، فزى الرب في حبه يحطم متريستها، وينطلق بنا إلى الأحضان الإلهية.

نجول في الأرض المتسعة، فنجدها ضيقة للغاية أمام اتساع قلب الله لنا، حيث يضم كل البشرية من آدم إلى آخر الدهور، بحبٍ لا حدود له. ننظر إلى المحيطات فنستخف بها أمام لجة محبة الله الفاتقة.

❖ " هو أعلى من السماء، فماذا عساك أن تفعل؟ أعمق من الهاوية، فماذا تنوي؟ أطول من الأرض، وأعرض من البحر" [8-9]. يؤم أن يفهم ذلك بمعني روحي. إذا فهم أي شيء خاص به بطريقة جسدية لهو أمر شير. الآن هو أعلي من السماء، إذ يسمو فوق كل الأشياء بعدم إمكانية إرواك طبيعته الروحية. هو أعمق من الهاوية لكونه بسموه يعيننا نحن الذين في أسفل. إنه أطول من الأرض بكونه يتجاوز قياس الخليقة باستمرار أبديته لانهايتاً. هو أعرض من البحر، بكونه ضابط أمواج الأمور الزمنية، إذ يُحجمها، منحزاً إياها بقوته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كل هذه الخصوصيات تشير إلى الإنسان وحده، فيكون "سماءً" عندما وغب في أن يلصق نفسه بالعلويات.

وهو نفسه يكون هاوية عندما ينبطح مرتبطاً بالسفليات ، مرتبكاً بالتجرب.

ويكون "أرضاً" عندما يكثر من الأعمال الصالحة خلال خصوبة الوجود الثابت.

ويكون بحراً عندما يضطرب بقلقٍ في بعض الظروف ويرتبك بنسمة ضعفه.

الله أعلى من السماء بكوننا نخضع لبقوة سلطانه، حتى عندما نسمو فوق أنفسنا.

إنه أعمق من الهاوية بكونه يدين الذهن البشري ذاته متطلعاً إليه وسط التجرب.

إنه أطول من الأرض بثمار حياتنا التي يهبنا إياها في النهاية. رجأونا ذاته في الزمن الحاضر لا يدرك شيئاً.

إنه أعرض من البحر حيث أن الذهن البشري إذ يتلاطم هنا وهناك يلقي بأهواء كثرة تخص الأمور العتيدة.

وضع الموتل قلبه في العلا، ومع هذا فقد شعر أنه لم يبلغ إلى الله بعد، فيقول: "عجيبة جداً هي معرفتك لي، إنها قدوة، لا أستطيع بلوغها" (مز

139: 6). عرف بولس ذلك الذي هو أعمق من الهاوية عندما فحص قلبه، لكنه كان وهب دينونة الله الأكثر فصلاً. قال: "فإني لست أعرف شيئاً عن

ذاتي، لكنني لست بذلك مبرراً؛ ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب" (راجع 1 كو 4: 4).

البابا غريغوريوس (الكبير)

4. سلطان الله لا يُحد

إِنْ بَطِشَ أَوْ أَغْلَقَ أَوْ جَمَعَ فَمَنْ يُوَدُّهُ؟ [10]

بلغ صوفر إلى ذات النتيجة التي سبق فبلغها أيوب الخاصة بحكمة الله المطلقة: "إذ خطف فمّن يوده، ومن يقول له ماذا تفعل؟" (12:9) "في

علمك إنني لست مذنباً، ولا منقذ من يدك" (7:10).

أن "بطش" بالموت، أو أغلق على أحد في السجن، أو جمعه كما في شبكة المصائد، فمن يقدر أن يمنعه؟ من ذا الذي يقدر أن يقف أمام حكم الله

أو يقاوم عمله؟ من له السلطان أن يعترض على أحكام الله؟

❖ " إن قلب كل الأشياء، فمن يناقضه؟ أو من يقدر أن يقول له: لماذا تفعل هذا؟" [10] الرب "يقلب" السماء عندما يدمر ارتفاع تأملات الإنسان بأوه

الموعب السوي. إنه يخرب الهاوية عندما يسمح لنفس أحد أن ترتعب تحت تجربها لتسقط في أقصى الحدود. ويسقط الأرض عندما يزوع ثمار

الأعمال الصالحة بسكب مصائب عليها. ويقلب البحر عندما يدحض ترددات (تموجات) روحنا المتوددة بحدوث رعب مفاجئ.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

تعثر مرقيون في القون الثاني الميلادي، وأيضاً أتباعه من العبريات الواردة في العهد القديم بخصوص الغضب الإلهي، وقد سبق أن خصصت

بندا خاصًا بمفهوم "غضب الله" في كتاب الحب الأخوي، فصل 8 عن الغضب. فالله لا يبطش بأحدولا يغلق على أحدٍ، إنما ما ورد في الكتاب المقدس عن غضب الله هو من قبيل تقديم بعض الأمور الإلهية بلغة بشرية يمكننا فهمها.

لا يحمل الله انفعالات بشرية، إذ هو "حب"!

❖ حين نقو عن غضب الرب وسخطه، ينبغي ألا نفهم اللفظ وفق معنى العاطفة البشرية غير الكريمة. إنما بمعنى يليق بالله، المزه عن كل انفعالٍ أو سائبة. ومن ثم ينبغي أن نذكر من هذا أنه الديان والمنتقم عن كل الأمور الظالمة التي ترتكب في هذا العالم.

وبمنطق هذه المصطلحات ومعناها ينبغي أن نخشاه بكونه المخوف المجزي عن أعمالنا، وإن نخشى عمل أي شيء ضد رادته. لأن الطبيعة البشرية قد ألفت أن تخشى أولئك الذين تعرف أنهم ساخطون، وتووع من الإساءة إليهم، كما هو الحال مع بعض القضاة البالغين نزوة العدالة. فالغضب المنتقم يخشاه عادة أولئك الذين يعذبهم اتهام ضماؤهم لهم، بالطبع ليس لوجود هذه الزعة في عقول هؤلاء الذين سيلتومون بالإنصاف في أحكامهم. لكن بينما هم في غوة من هذا الخوف، فإن ميول القاضي نهم تتسم بالعدالة وعدم التحيز واحترام القانون الذي ينفذه. وهذا مهما سلك بالرفق واللفظ، موصوم بأفسى نعت السخط والغضب الشديد من أولئك الذين عوقبوا بحق وإنصافٍ [482].

القديس يوحنا كاسيان

5. علم الله شامل

لأنه هو يعلم أناس السوء،

ويبصر الإثم فهل لا ينتبه؟ [11]

نحن نعرف عنه أقل القليل، أما هو فيدرك كافة أسرارنا حتى الخفية عنا. هو يعرف أناس السوء حتى وإن حسبناهم أو حسوا أنفسهم أولًا، وهو يبصر الإثم الذي تونكه خفية. الأثوار مكشوفون أمامه، والشر لا يمكن أن يخفى عنه. "فهل لا ينتبه؟" أي هل يقف في سلبية أمام الأثوار والشر، حتى وإن غض النظر إلى حين؟

❖ لأنه يعلم بطلان البشر، عندما يبصر الإثم أيضًا، فهل لا ينتبه؟" [11]... هنا يلاحظ الترتيب حسنًا، فيصف ولا البطلان أنه يُعرف، وبعد ذلك الإثم أنه يُنتبه إليه. فإن كل إثم هو باطل، وليس كل بطلان هو إثم. فإننا نملس أمورًا باطلة مادمننا نعمل ما هو زائل. في هذا يزول الشيء من أعين الممسك به، ويقال عنه إنه "باطل". يقول الموتل: "إنما كخيال يتمشى الإنسان" (مز 39: 6)

البابا غريغوريوس (الكبير)

أما الرجل ففلرغ عديم الفهم،

وكجش الوأ يولد الإنسان [12].

يقول صوفر إن الإنسان ذاته صار بعد السقوط فلرغًا عديم الفهم، لأنه حرم نفسه من حكمة الله. صار "يشبه البهائم التي تُبَاد" (مز 49: 20). صار غيبًا كالحمار الوحشي (جش الوأ) الذي تعود أن يسكن البرية. في غباوته يظن أنه حكيم، فلا يريد أن يخضع لأحكام الله، بل يقاوم، طانًا أنه يعرف الحق والعدل.

ما قاله صوفر هو حقيقة سقط فيها الإنسان بوجه عام، لكن ما يشوب كلامه أنه يعني أيوب دون أصدقائه، فيحسبه في مرتبة حيوانات البرية الغبية، والتي بلا نفع. لكن إذ يتحدث عن نفسه يحسب نفسه حكميًا، يقدم مشورة صادقة وفعالة!

❖ " المانت مولود الوأ كجش البرية" [12]. يشير بهذه الكلمات إلى أيوب، مساويًا إياه بجش البرية. إذ قال: "لأن سهام الرب في جسدي... هل ينهق جش البرية بلا سبب، إن لم يكن باحثًا عن طعام؟" (6: 4، 5). بمكر يقول صوفر: لماذا يتحدث عن مانت مولود من الوأ، بمعنى عن رجل

من رجل، مادام أيوب نفسه يقلن نفسه بجحش الوية. لهذا يقول صوفر: "عبثًا يختفي في تعقلانه" [12]. بهذه الكلمات الباطلة التي لا جدوى منها يحذر أيوب إلى النقاهاة، إذ يقول صوفر أنه يجب أن يعوي كثوًا جدًا ولا يتتهد كثوًا متجنبًا أن يكون إنسانًا. إنه يقلنه بجحش يتضور جوعًا.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ " الرجل الفرغ (الباطل) ينتفخ في كبرياء " هذه هي نهاية البطلان. الكرياء يفسد القلب بالخطية فيجعله متوقحًا بالإثم، حتى بتجاهل إثمها لا تشعر النفس بالحزن على فقدانها واعتها، وتصاب بالعمى كجاء عادلٍ، وربما تنفصل عن التواضع أيضًا. كثوًا ما يستعيد القلب لنفسه شهوات شروة، متخليًا عن نير مخافة الرب، وكأنه يصير في حرية لارتكاب الشر. إنه يصلوع ليجعل الشر في حيز العمل متساهلاً مع نفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إن كان الإنسان قد تول إلى غبلوة بعض الحيوانات بل والحشوات، وذلك بكبرياء قلبه وتسامحه على الله مصدر الحكمة، فإن حكمة الله صار إنسانًا، لكي يرتفع به إلى الحكمة السماوية، يتمتع به ويتحد معه. بالتجسد الإلهي، خاصة بصعود السيد المسيح، ارتفعنا به من انحطاط الحيوانات إلى الحكمة السماوية.

❖ انظروا إلى طبيعتنا كيف انحطت ثم ارتفعت. فإنه ما كان يمكن النزول أكثر مما تول إليه الإنسان، ولا يمكن الصعود إلى أكثر مما ارتفع إليه المسيح... ويوضح بولس ذلك إذ يقول: "الذي نزل هو الذي صعد أيضًا". وأين تول؟! "إلى أقسام الأرض السفلى" وصعد إلى "فوق جميع السموات" (أف 4: 9-10).

افهموا من هذا الذي صعد؟!...

إنني أتأمل في عدم استحقاق جنسنا حتى أترك الكرامة التي نلناها خلال وراحم الرب المملوءة حقًا. فإننا لم نكن سوى **واب ورماد...** لقد صونا أكثر غباء من الحيوانات غير العاقلة، إذ صار الإنسان يقلن بالحيوانات غير العاقلة، وقد صار مثلها (مز 48: 21). وإذ يصير الإنسان هكذا مثلها إنما يكون رداً منها. لأنها هي هكذا بحكم طبيعتها، أما عدم تعقلنا نحن الخليقة المزينة بالعقل فهذا برادتنا... وهكذا عندما تسمع عن الإنسان أنه صار كالحيوانات غير العاقلة، فلا تظن أنه صار مساويًا لها، بل أحط منها. لا بمعنى أنه تول إلى مستوى أقل منها، بل إذ ونحن بشر صونا إلى هذه الوجة الشديدة من الجمود...

هذا ما يعلم به إشعياء بوضوح قائلاً: "الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم" (إش 1: 3).

لكن ليتنا لا نضطرب بسبب معاصينا القديمة، لأنه حيث كثرت الخطية لدادت النعمة جدًا (رو 5: 20).

لقد رأيت كيف صونا أكثر غباء من الحيوانات، فهل تريدون أن تزوا كيف صونا أكثر عدم تعقل من الطيور؟! "اليمامة والسنوننة المزوقة حفظنا وقت مجيئها. أمّا شعبي فلم يعرف قضاء الرب" (إر 8: 7).

انظروا كيف صونا أكثر غباء من الحمار والثور وطيور السماء واليمامة والسنوننة، أريدون أيضًا أن تزوا ماذا قد بلغ إليه غباؤنا؟! إنه يرسلنا إلى النمل لتتعلم منه الحكمة "اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكيماً" (أم 6: 6).

لقد صونا تلاميذ للنمل، نحن الذين خلقنا على صورة الله ومثاله. ولكن لم يكن خالقنا هو السبب، بل نحن السبب إذ لم نرد أن نبقي على صورته ومثاله.

ولماذا أتكلم عن النملة فقط، فإننا قد صونا أكثر جمودًا من الحجرة؟! هل أقدم دليلًا على ذلك؟ "اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال ويا أسس الرب الدائمة. فإن للرب خصومة مع شعبه" (ص 6: 2).

إنه يدين الإنسان مستدعيًا أسس الأرض... لأن الناس صاروا أكثر جمودًا من أسس الأرض.

إلى أي مدى من عدم الحكمة يريدون أن يصلوا بعد؟! إذ صاروا أكثر غباء من الحمار وعدم حساسية من الثور، وعدم فهم من اليمامة

والسنة، وعدم حكمة من النملة، وأكثر جموداً من الحجرة، بل ويشبهون الأفاعي (راجع مز 58: 5) ...

ولماذا أتكم بعد عن الخليفة غير العاقلة، فإننا قد صونا (في شونا) ندعى أبناء إبليس، إذ يقول "أنتم من أب هو إبليس" (يو 8: 44).

ومع ذلك فبالرغم من أننا جامدو الحواس، وناكرو المعروف، وأغبياء وأكثر قسوة من الحجرة، وهكذا صار انحطاطنا وعدم استحقاقنا ... لكن

اليوم رتفعت طبيعتنا فوق كل الخليفة!

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِنْ أَعَدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ،

وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ [13].

إن كان الله لا يمكن إرواك أبعاده - إن صح التعبير - وهو صاحب السلطان، والعالم بكل شيء، فمن الجانب الآخر لا يدرك الإنسان كمال الله وكمال معرفته، بل ولا حتى الأسوار الخاصة بالطبيعة البشرية. لذا لاق بالإنسان عوض نقد تصوفات الله أن يلجأ إليه بالصلاة، ويوزع كل ما هو غريب عن الله من إثم وظلم، فرفع الله وجهه، وبهبه بركات لا حصر لها.

إِنْ أَبْعَدْتَ الْإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ،

وَلَا يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي خِيَمَتِكَ [14].

يطلب صوفر - كما فعل زميلاه من قبل - أن يلجأ أيوب إلى الله بقلبه كما بسلوكه العملي، فلا يحمل رياءً ولا خداعاً، حتى يستجيب الله

لصلاته.

قدم نصيحة صادقة عن التوبة، لكن لا نعلم ماذا كانت نية صوفر، هل يطلب فعلاً توبته، أم كان يود تأكيد شر أيوب وريائه.

يطلب منه أن يعد قلبه بالنقولة وأن يبسط يديه بالمثاوة في الصلاة كمن يريد أن يمكس بالله ولا يتوكله حتى يبيلكه، كما فعل أبونا يعقوب.

يطالبه صوفر بالكف عن الإثم، وطرد الظلم من خيمته. طلب عجيب لإنسان يقطن في مزبلة، يلبسه الود كداءً، وتحوط به القروح من

أخصص قدميه إلى رأسه. أي إثم يمكن أن يملسه بيدين توفان بلا توقف؟ وأي خيمة يطرد منها الظلم وهو يعيش في مزبلة؟

❖ كل خطية ترتكب إما بالفكر وحده أو بالفكر والعمل معاً. لهذا فإن "الإثم في يدك" هو إثم بالعمل. أما "الشر في الخيمة" فهو الظلم في القلب، فإن قلبنا يُدعى بحق خيمة، فيها تُدفن في داخلنا عندما لا تظهر أنفسنا في الخرج خلال العمل.

كان صوفر صديقاً لشخصٍ بارٍ يعرف ما يجب أن يُقال، لكنه هو نفسه إذ يحمل الشبه للواطقة، في توبيخه لشخصٍ كهذا، لا يعرف بحق كيف

يقدم حتى ما يعرفه. فإنه يأمرنا أولاً أن نتوع الإثم عن اليد، وبعد ذلك نزيل الشر من الخيمة. فإن من يقطع من نفسه كل الأعمال الشريرة الخرجية

يلزمه بالضرورة أن يعود إلى نفسه، ويمتحن نفسه بحكمة من جهة قلبه، لنلا الخطية التي لم تعد تملس بالفعل تبقي متخلفة في الفكر. لذلك حسنا قال

سليمان: "هبيء عملك في الخرج، وأعدده في حقلك، بعد ذلك تبني بيتك" (أم 24: 27). فإنه ماذا يعني عندما يهيباً العمل حتى يعد الحقل بنشاط في الخرج

سوى أن نقتلع أشواك الشر، حتى نعمل حاملين ثمار المكافأة؟ وبعد حوث الحقل ماذا بعد ذلك من العودة إلى بناء بيتنا، سوى أننا غالباً ما نتعلم من

الأعمال الصالحة النقولة الكاملة للحياة التي يلزم أن نبنيها في أفكرنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تُعطى التوبة للبشرية كنعمة فوق نعمة. التوبة هي ميلاد ثانٍ من الله، ننال عربونه في العماد، ونناله كعطية خلال التوبة.

التوبة هي مدخل الرحمة المفتوح لجميع طالبها. خلال هذا المدخل ندخل إلى الرحمة الإلهية، وباعوَال هذا المدخل لا يقدر أحد أن يجد

رحمة.

إذ "أخطأ الجميع" كقول الكتاب الإلهي، "يتبررون مجاناً بالنعمة" (رو 3: 23-24). التوبة هي النعمة الثانية، تولد في القلب كثمر للإيمان

المخافة هي العصا الأبوية التي تقودنا حتى إلى عدن الروحية، لكن ما أن نبلغ هناك تتركنا وتُرجع.

عدن توجد في الحب الإلهي، حيث فيه فردوس كل التطويبات. هذا هو الموضع الذي فيه نال القديس بولس قوتاً فائقاً للطبيعة. إذ ذاق شجرة الحياة تعجّب قائلاً: "ما لم توه عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر، ما أعدّه الله للذين يحبونه" (1 كو 9:2) [483].

القديس مار اسحق السرياني

❖ لا يوجد مرض يمكن أن يصيب النفس إلا وتُقدم له كلمة الرب نواءً. وكما توجد أدوية مركبة يقوم الأطباء بخلطها ومزجها لمعالجة الأمراض الجسدية، هكذا توجد أدوية مركبة يعدها روح الرب لمعالجة شهوات الخطية ومواجهتها، فيقدر من يشعر بالمرض أن يجد النواء قريباً منه، ويتمتع بالشفاء.

جميع الأمراض تُشفى بما يصادها، فالأمراض التي تتسبب من الورد تُشفى بالأعشاب الساخنة الحرة، والأمراض التي تتسبب من الحرة تُشفى بواسطة الأعشاب العوطة... .

تعلم إذن من هذا أيها الحكيم، يا من تريد شفاء أمراض نفسك، وأفعل لنفسك ما يصنعه علم الطب مع الجسد. فإن الأمور التي على المستوى الخلجي قد وضعت أمام عيوننا كمثال نحتذي به بالنسبة لما يمس المستوى الداخلي، فنُشفي نفوسنا بنفس الطريقة التي تُشفي بها أجسادنا.

إذن لنُعدّ النواء المضاد لمواجهة كل شهوة:

ضد الشك: الإيمان،

وضد الخطأ: الحق،

وضد الارتياب: اليقين،

وضد الخبث: البساطة،

وضد الكذب: الصراحة،

وضد الخداع: الصدق،

وضد الاضطراب: الوضوح،

وضد القسوة: الحنان،

وضد الوحشية: الرأفة،

وضد الشهوة الجسدية: الشهوة الروحية،

وضد اللذة: الألم،

وضد فوح العالم: فوح المسيح،

وضد الأغاني: التسابيح الروحية... .

وضد الحزن: الفرح،

وضد الإعجاب والفخر بأنفسنا: الرجاء الصادق في الله،

وضد الرغبات الجسدية: الرغبات الروحية،

وضد النظرة الجسدية: النظرة الروحية... .

وضد التطلع إلى الأمور المنظورة: التفكير في ما لا يُرى... .

و ضد الارتباط بالعائلة الجسدية (بالنسبة للواهب): الارتباط بالعائلة السماوية،

و ضد الحياة في مسكن رضى: الحياة والسكنى في أورشليم العليا.

إذا تُشفي جميع هذه الأمراض وما يشبهها بضعدها.

من يشتهي الحياة السماوية يؤمّه أن يتنزل عن الأمور الأرضية المادية، لأن اشتهاه أحدهما لا وجود له في داخلنا ما لم يمته الآخر. لا تُولد

شهوة الروح في أفكرنا إلا بموت شهوة الجسد، فبموت الواحد يحيا الآخر.

عندما يكون الجسد عائشاً فينا بكل شهواته و رغباته، تكون النفس حينئذ ميتة بكل رغباتها [484].

القديس مار فيلوكسينوس

6. لا مفر من الغضب الإلهي إلا بالتوبة والصلاة

حِينَئِذٍ تَرَفَعُ وَجْهَكَ بِلا عَيْبٍ،

وَتَكُونُ ثَابِتًا، وَلَا تَخَافُ [15].

هنا يبدو صوفر فاتحاً باب الرجاء مثل زميليه أليفاز (8:5 الخ) وبلدد (5:8، 7، 22-20)، على عكس أيوب الذي بسبب شدة التجربة كثراً ما

سادت عليه النظرة التساؤمية بأن حياته الأولى لن تعود!

ما قاله صوفر وإن كان لا يناسب أيوب في تلك الظروف، إلا أنه مبدأ حق بالنسبة لكل تائب صادق في توبته. فإنه لا يستطيع أن يرفع وجهه

أمام القوس إلا إذا زع عنه العيب والحري بنقوة قلبه وقداسة خيمته، بهذا يقف أمام الله ثابتاً في رجائه واتكاله على الله، بغير خوف في محبته لله.

❖ إن قدمت صلاتك بقلبٍ طاهر [13] بلا لوم من جهة أي عمل غير لائق فإنك إذ تقدم تنهدات على نفسك أمام الله تصير في لقاء معه. عوض الحزن

يكون لك الفرح، وعوض المصائب تنال بركات، وتكون ملامح وجهك مشوقة كماءٍ نقي [15]... ولا تعود تخاف من علة أخرى، لأن الله يزع

العلل عنك. تنال عفواً من متاعبك، وشكراً على الهوء الذي يخيم عليك، ولا تخاف التجرب، فتكون كمن وجدراحة في ميناء آمن، لا تخاف

الأمواج حيث لا يقدر البحر أن يسبب ضرراً.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ الآن إذ نمسح بالكامل هاتين الاثنتين (إثم اليد والظلم الذي في الخيمة)، نرفع وجهنا بلا لوم لله. لأن النفس هي وجه الإنسان الداخلي، به نعرف

خالقنا بالحب وبه ننظره.

الآن رفع هذا الوجه عينه هو رفع النفس لله بممارسة الصلاة.

أما الوصمة التي تفسد رفع الوجه فهي نية العمل... فإنها (النفس) في الحال تتحطم، وتفقد كل ثقة في الرجاء. وحينما تتشغل بالصلاة تلتصق

بتذكر الخطية التي خضعت لها. تفقد الثقة في نوال ما تشناق إليه، فتحمل في الذهن الرفض المستمر لممارسة ما تسمعه من الله. لذلك يقول يوحنا: "أيها

الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه" (1 يو 3: 21-22). ويقول سليمان: "من يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته

أيضاً مكروهة" (أم 28: 9). فإن قلبنا يلومنا في تقديم صلواتنا عندما نتذكر أنها تقف ضد وصاياه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليس أحد يعينه الله ما لم يصنع هو شيئاً. إنه سيُعان إن صلي [485].

❖ الأثر الكامل للإيمان هو هذا: يجعلنا نسأل فنأخذ، نطلب فنجد، نوق فيفتح لنا. بينما الإنسان الذي يجادل يغلق باب رحمة الله أمام نفسه [486].

❖ لا توجد وسيلة بها يصل الشعب إلى كمال مطلق، أو بها أي إنسان يصنع أقل تقدم نحو البرّ الحقيقي التقوى إلا بمعونة مخلصنا المصلوب، المسيح،

[487]

وعطية روحه. من ينكر هذا لا يستطيع أن يُحسب مسيحياً نهائياً كما أظن .

القديس أغسطينوس

لَأَنَّكَ تَنْسَى الْمَشَقَّةَ.

كَمَيَاةٍ عَمِرَتْ تَدُّوهُمَا [16].

حين يتمتع المتألم بتعزيات الله ينسي آلامه ومشقته كما تنسي الأم آلام مخاضها بسبب فوحها بالمولود الجديد. وتصير الآلام أشبه بقليل من ماء انسكب من أناء لا أثر لها في شيء.

الله هو وحده القادر أن يرفع المتألمين فوق الآلام، ويعبر بهم فوقها وتصير كلا شيء، بل وتتحول إلى بركات لا تُحصى.

وَفَوْقَ الظُّهُورِ يَقُومُ حَظُّكَ.

الظَّلَامُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا [17].

إن كان أيوب قد شعر أن نوره قد انطفأ تماماً، وصلت حياته أشبه بالظلام الدامس، ففي رأي صوفر أن الله يشوق بنوره عليه عند توبته ليجعل من حياته نوراً أعظم من نور الشمس عند الظهيرة، ويحول ظلام الليل إلى نور الصباح المبهج.

❖ " إشراق الظهيرة عند المساء " هو تجديد الفضيلة في وقت التجربة... مكتوب: من يخاف الرب تكون نهايته حسنة" (ابن سواخ 1: 13)... كلما واجه بالأكثر صلباًا خرجية، يتلألاً بالأكثر بنور فضائله في داخله، كما يشهد بولس القائل: "إن كان إنساننا الخرجي يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (2 كو 4: 16).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أيها النور غير المنظور!

أيها البهاء الذي لا واه بهاء آخر!

أنت هو النور الذي تختفي أمامك كل الأتوار المخلوقة!

أنت البهاء الذي ينطفئ قدامه كل بهاء خرجي!

أنت هو "النور" مصدر كل الأتوار، و"البهاء" ينوع كل بهاء!

أنت هو النور والبهاء، أمامك تصير كل الأتوار ظلمات، وكل ضياء بالنسبة لك ليس إلا ظلاماً!

أنت هو البهاء الذي بك تصير الظلمة نوراً، وبك يتلألاً الظلام لمعاناً!

أنت هو النور الأسمى، لا تحجبك سحابة ما، ولا يعوقك بخار، يعجز الليل عن أن يسدل بظلامه عليك، لا يعوقك حاجز ولا تُغرقك ظلال!

أخوا، أنت النور الذي ينير الخليقة الداخلية على النوم، اُبْتَلِعْنِي فِي هَوَّةِ جلالك، حتى أعابن كل أعماقك، بقوة بهاء لاهوتك ذاته، وعمل البهاء

المنعكس عليّ منك!

لا تتوكني قط، لئلاً يوايد جهلي وتكثر شورري، فبنونك أصير فرغاً وبائساً!

بنونك لا يكون لأحد صلاح، إذ أنت هو الحق والصلاح الحقيقي وحده!

هذا ما أعترف به؛ وهذا هو ما أعرفه، يا الله إلهي، أنه حينما وُجِدْتُ بنونك لا يكون لي غير الشقاء - في الداخل كما في الخرج - لأن كل

غني غير إلهي إنما هو بالنسبة لي فقر مدقع!

القديس أغسطينوس

وَتَطْمَئِنِّ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءً.

تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ، وَتَضْطَجِعُ آمِنًا [18].

تعزيات الله تزوع من النفس الفلق وتهبه طمأنينة وسلاماً حيث تنفتح أمامه أبواب الرجاء عوض اليأس.

إنه يحفر (يتحسس) حوله كما يفعل الجنود، حيث يحفرون الخنادق، ويضطجعون فيها في أمان، لأنه تحت ظل جناحي الله يستريحون، وفيه يتمتعون بكل احتياجاتهم.

❖ يرفع الرجاء ذاته بأكثر ثبات في الله بالنسبة للأمر الصعبة التي يعاني منها الإنسان من أجل الله. لا يمكن جمع الفوح بالمكافأة في الأبدية ما لم يزرع هنا أولاً في حزن تقوي. يقول الموتل: "الذاهب ذهاباً بالبكاء، حاملاً مبدراً الزرع، مجيئاً يجئ بالترنم حاملاً حزمه" (مز 126: 6). هكذا يقول بولس: "إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه، إن كنا نتألم فسنملك أيضاً معه" (2 تي 2: 11-12). كذلك يحذر تلاميذه، قائلاً: "بضيقات كثرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع 14: 22).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أن تترجى الله من الله، هذا هو أن تحب الله صاحب النعمة [488].

❖ كم أنا بائس؟!

إلهي... متى تفرقني هذه الطبيعة الفاسدة، وتعمل قوتك الكاملة في؟!

إلهي... لذيذة هي الوحدة والسكون والحق والنقوة، هذه كلها التي هي لك! أما أنا فألهو بالضوضاء والصخب والباطل والوذيلة!

أعود فماذا أقول بعد؟! أنت هو الخير الحقيقي، رحوم، قنوس، عادل... أما أنا فشوير، محب لذاتي، خاطئ، ظالم!...

أنت النور، أما أنا فظلمة!

أنت الحياة، أما أنا فموت!

أنت الطبيب، أما أنا فمريض!

أنت الفوح، أما أنا فحزن!

أنت الحق الصادق، أما أنا فبطلان حقيقي، مثلي مثل أي إنسان على الأرض!

بأية لغة تريدني أن أحدثك يا خالقي؟! أتوسل إليك أن تتفضل فتصغي إليّ. إنني من صنع يديك، وهلاكي أمر مخيف!

إنني جُبلتُك، وها أنا أموت! إنني من صنع يديك، وها أنا أنحدر نحو العدم!

إن كان لي وجود، فأنت مُوجدي، "يداك صنعاني وأنشأتاني" (مز 119: 73). يداك اللتان سُمّرتا على الصليب، فليُعطيناني السلام؛ لأنه هل

تحتقر عمل يديك؟!

أه! أنتطلع إلى جراحاتك العميقة، فقد نقشت اسمي في يديك! أوأ اسمي وخلصني!

إن نفسي التي تتلوه قدامك، هي من عمل يديك. اخلق مني خليفة جديدة؛ فهذا هو عملك. لذا فهي لا تكف عن الصواخ إليك قائلة: "يا أيها الحياة،

أحيني من جديد!"

أنها من جبلة يديك، تلتفت حولك متوسلة إليك أن تود إليها جمالها الأول!

اغفر لي يا إلهي، ما دمت قد سمحت لي بالحديث معك. لأنه من هو الإنسان حتى يتكلم مع الرب خالقه؟!

نعم. سامحني! سامح تجاسوري! سامح عبدك الذي تجاسر لوضع صوته أمام سيده!

إن الضرورة لا تعرف قانوناً! فالألم يدفعني إلى الحديث معك! والكلزنة التي حلت بي تجعلني أستدعي الطبيب لأنني مريض! إنني أطلب النور

لأنني أعمى! أبحث عن الحياة لأنني ميت! ومن هو هذا الطبيب والنور والحياة إلا أنت؟!

يا يسوع الناصري لرحمني!

القديس أغسطينوس

وَتَرَبُّضٌ، وَلَيْسَ مِنْ أُوعَجٍ،

وَيَتَضَوَّرَعُ إِلَى وَجْهِكَ كَثِيرُونَ [19].

لا يليق بالإنسان أن يضطرب، بل يربض أو يوقد ويستويح دون رجاج، لأنه في أحضان الله، تحوط به العناية الإلهية.

بصير الشخص ليس فقط في آمان، ليس من أعداء يتغلبون عليه، ولا من كورث تهز كيانه، وإنما يتضوع إلى وجهه كثيرون، إذ يجدون سلامًا

وتغوية في مجرد التطلع إلى وجهه. يرون صورة المخلص ربنا يسوع مطوعة على وجهه، تشهد لسكناه في قلبه.

من يستعطف وجه الله، يحمل صورة وجه الله، فيستعطفه كثيرون.

❖ من يطلب المجد الحاضر بلا شك يخشى الاحتقار. من كان فاغر فمه على النوام طالبًا الريح حتمًا يخشى الخسلة... أما من تأصل في الاشتياق

نحو الأبدية وحدها، فإنه لا يتشامخ بالثروة، ولا يهتز بالمصائب. إذ ليس له شيء في هذا العالم يشتهي، فإنه لا يوجد ما يخشاه من العالم.

ألم يربض بولس ويستويح قلبه بلا خوف عندما قال: "فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا

مستقبلية ولا علو ولا عمق ولا خليفة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو 8: 38-39).

قوة هذا الحب مدحه صوت الكنيسة المقدسة حين قيل في نشيد الأناشيد: "لأن المحبة قوية كالموت" (نش 8: 6). فيُقلن الحب بقوة الموت الذي

إذ تمسك به النفس تموت تمامًا عن مباحج العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَمَّا عَيْونُ الْأَشْرَارِ فَتَتَلَفُ،

وَمَلْجَأُهُمْ يَبِيدُ،

وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ [20].

بعد أن قدم صورة رائعة عن التوبة الخالصة وثورها الموح، حذر من الشر وآثره. فإن عيون الأشرار تتلف. العيون التي لا تتطلع إلى الله

مصدر الخير تفسد.

" ورجاؤهم تسليم النفس "، يبيد ويتلاشى، إذ "عند موت إنسانٍ شيرٍ يهلك رجاءه" (أم 11: 7).

❖ يقصد بالعيون النية المقدمة لنا. يشهد الحق في الإنجيل، قائلًا: "إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نورًا" (مت 6: 22). إن كانت النية

الطاهرة تسبق عملنا، فمهما بدا العمل لدى البشر، فإنه في عيني دياننا الداخلي يُحسب العمل طاهرًا. فأعين الأشرار هي نياتهم من جهة شهواتهم

الجسدية التي في داخلهم. هذه تتلف لأنها لا تبالي باهتماماتهم الأبدية، متطلعين دومًا نحو المكاسب الزمنية وحدها...

" ويكون رجاءهم دنسًا للنفس " . ما هو رجاء الخاطي هنا في كل أفكاره سوى أن يسمو على الآخرين في السلطان، وتفوق مخزونه مخزن كل

الناس، وأن يكسر منافسيه ليسيطر عليهم، وأن يشبع شهوته، وأن يذعن في كل شيء لإشباع الشهوة. حسنًا قيل أن رجاءهم "دنس للنفس".

الآن كان يمكن القول بأن صوفر محق في هذا لو أن الطوبوي أوب لم يعلن هذا بأكثر كمال خلال حياته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هب لي الحق الإلهي الحي!

❖ تسبحك نفسي، لأنك خلقتها على صورتك.

تشتهي في أعماقها أن تتعرف على حقك الإلهي.

كعروسٍ تتوقب يوم عرسها الأبدي،

تود أن تتوين بفكر عريسها، وتتعرف على أسوره.

❖ أعترف لك يا أيها الحق العجيب!

كنزًا ما خالجنى فكر متشامخ.

ظننت في نفسي مدافعًا عنك يا أيها الحق،

فأمسكت بسيفٍ مع بطرس أضرب العبد المقاوم.

قطعت بغبواتي أذنه الروحية،

وأفقدته القفزة على سماع كلمتك!

حسبت نفسي رجلاً كنسيًا،

وفي غبولة دافعت عنها بروح غريب لا يليق بابنها!

❖ هب لي روح الحق والمعرفة، بروح الحب والحنو.

أي حق أدافع عنه بدون الحب الصادق لكل البشرية؟

أتيت يا أيها الحق إلى عالمنا الشوير.

في مولة قدمنا لك الصليب، وأنت محب كل البشرية.

في غبولة دافعنا عن الحق، فاضطهدناه.

هب لي أن أتمتع بك وبروحك القنوس.

فأنت هو الحق، وأنت هو الحب، وأنت هو الطويق.

ليعمل روحك القنوس في،

الروح القادر أن يبكت على خطية، ويهب تغريات إلهية.

هبنى موهم الحنو والانسحاق بتواضع حقيقي

فأجتذب بحبك وحنوك ومعرفتك كثوين إلى شبكة كنيستك!

❖ لتجعل كلماتك المقدسة في فمي،

فيتقدس لساني، ولا ينطق إلا بالحق المملوء حباً.

تتكلم أنت فيّ بلساني، كما بصمتي.

أشهد للحق في أحاديثي كما بسكوني!

❖ لتفتح فمك وتحدث معي،

كلماتك نور تكشف ظلمتي، وتبدها،

تهبني استنارة فتخلصني وتمجديني.

علمني كيف أتحدث مع إخوتي، شركائي في الضعف.

عوض الإدانة أترفق بهم، فتترفق أنت بي.

أضعف مع ضعفاتهم، فيلتهب قلبي بنار حبك.

أحسب نفسي مقيداً كما هم مقيدون،

فتحررنا جميعاً يا واهب الحرية!

❖ لنتشوق بنور حكمتك الإلهية عليّ،

فأتمتع بفهم مضاعف.

أورك حبك خلال أعمال محبتك الفائقة.

واكتشف أسرار رعايتك لي، حتى في وسط تأديباتي.

اسبحك من أجل سخاء عطايك،

حين تعطي وحين تأخذ رأك الإله العجيب في رعايته.

❖ هب لي حكمة مضاعفة، فأدرك خطتك الظاهرة والخفية.

وأفهم مع حكمتك الشوكية في سمة محبتك.

أحمل بالحكمة المضاعفة حباً مضاعفاً.

أحبك وأحب إخوتي الذين هم موضوع حبك.

❖ أحبك حباً مضاعفاً،

أحبك بكل قلبي ونفسي وقنوتي!

لا أعرف لحبي لك حدوداً!

وأحب إخوتي حبًا مضاعفًا،
أقدم لهم روح الحب بالعطاء السخي وطول الأناة.
لا أعرف كيف أبغض أو أحسد أو أدين.
أود أن أتعامل معهم كما اشتتهي أن يعاملوني به.

❖ هب لي يارب حكمة مضاعفة، وفهماً مضاعفًا، وحبًا مضاعفًا.

مع كل صباح أتمتع برواحمك الجديدة،
فزاد حكمة وفهماً حبًا.
لن اكتفي يومًا ما تهبني إياه حتى أصير أيقونة لك.
عطايك تلهب شوقي إليك،
وتثير فيّ الشراكة معك والإقتداء بك،
يا أيها الحكمة الإلهي والمحبة!

❖ هب لي حتى في توبيخ محبوبي أن أكون متوقفًا!
فتكون كلماتي ممسوحة بمسحة روحك القنوس المغوي.

❖ أقف أمامك أيها القدير،
فيلتهب قلبي شوقًا نحو مزيدٍ من اللقاء،
وتتن نفسي في داخلي، تود أن تتعرف بالأكثر عليك.
أخبرني، إن كنت لا أعرف أسرار خليقتك المنظورة،
فكيف أتجاسر وأدعي معرفة خالقها غير المنظور؟
إن كنت لا أقدر أن أرى أثر السفينة بعد عبورها،
ولا أثر النسر بعد طوانه،
فكيف اقتفي أثرك لأعرف خطتك؟

❖ هب لي حبك، فيه أتعرف عليك وعلى خطتك.
لرفع قلبي بروحك فوق كل محبة باطلة،
فيحلق دومًا في سمواتك، ويتعرف عليك؟
لأعرفك فزاد حبي لك،
واستخف بالأكثر بكل محبةٍ لُضية.

❖ اخواني، إلى أين أتطلع يا من لا تسعك السموات والأرض؟

أتطلع إلى السماء، فاشتبهى أن يطير بي روحك القنوس،
ويخلق بي في سمواتك،

يرتفع بي من مجدٍ إلى مجدٍ، حتى استقر في أحضانك.

أتأمل في أعمال الهلوية، فأجد ليس لي مكان فيها.

لقد تولت إليها، وحطمت مثل يسها،

وحملتني على فواعيك، لتدخل بي إلى الأمجاد.

أنظر إلى الأرض بكل اتساعها،

فتضيق بي جداً أمام اتساع قلبك من نوري ونحو إخوتي.

رُتعب على شاطئ المحيط،

لكن اتساعه يحسب كلا شيء أمام لجة محبتك الفائقة!

حقاً ما هو الارتفاع أو العمق أو الطول أو العرض لمحبتك اللانهائية!

❖ نتهلل بسلطانك المطلق يا أيها الحب.

أنت صاحب السلطان، ليس من يقدر أن يقاوم،

ولا من يقدر أن يقف أمامك يسألك!

لكن سلطانك سلطان الحب والأبوة الحانية، يا صانع الخوات.

تريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون.

سلطانك نوماً للبنين والمجد،

مادماً نضع حياتنا في يديك،

ونتجاوب مع نعمة صلاحك الفائق.

❖ أعترف لك يا رب بالانحطاط الذي انحدرت إليه.

فقدت الفهم الحقيقي، وعاني قلبي من الفواغ.

من يقدر أن يملأه سواك يا حكمة الله.

لتسكن فيّ، وتحملني فيك،

فأتمتع بك، وأسلك في طريق الحكمة العجيب!

بك أصعد من هلوية الجهل،

ولرتفع معك إلى سموات الحكمة والمعرفة.

بروحك توقع يوماً أعمال الإنسان القديم،
تحطم جهلي وغباوتي،
وتجدد في أعمال الإنسان الجديد.
فأصير بالحق أيقونة لك، يا كلي الحكمة!

❖ هب لي حياة التوبة الصادقة،
أعطي ظهري للجهالة،
ووجهي نحرك يا أيها الحكمة الإلهي.
أعلن تويتي بقوكي كل شر،
وسلوكي في الحق بغنى نعمتك.
رفع قلبي إليك،
فأنال أكثر مما أسأل، وفوق ما احتاج.

ملحق الأصحاح الحادي عشر

المعرفة والحب

عند آباء الكنيسة الأولى

إذ بلغنا الآن إلى حديث الصديق الثالث لأيوب، رأيت نفسي ملتقماً أن أتحدث عن المعرفة ولتباطها بالحب، أو الحق الإلهي ولتباطه بالحب الإلهي، أو الحكمة الإلهية والحب الإلهي. فقد ظن الأصدقاء الثلاثة في أنفسهم أنهم أصحاب معرفة إلهية صادقة، وأنهم مدافعون عن الحق، وكانوا حكماء في أعين أنفسهم. كثراً ما نطقوا بما هو حق، ولكن كان يعزهم الحب الصادق. هذا ما وعبني كمسيحي أعرف الكثير من الحقائق السماوية، وأخشى أن ينقصني الحب لكل البشرية حتى للمقاومين لي. هذا الرعب ينتابني بالأكثر ككاهن.
ليس ما يفقد الإنسان شركته مع الله، الذي هو الحب، سوى أن نمسك بسيف بطرس للدفاع عن الحق بقطع أذن من هو أمامنا، حتى وإن كان مقاوماً للحق.

بالحب نمسك بسيف الروح الذي يضرب في أعماقنا كما في أعماق من هم حولنا، ليقطع أذن الإنسان العتيق، ليحل محلها أذن الروح التي تجد عنويتها في الاستماع لصوت الحق، والخضوع له، والتجاوب معه.

يا لعظمة المعرفة!

❖ الفودوس الأهل بكل الأوجح للتطبيب هو النفس التي تصنع كل شيء لكي تجد معرفته [\[489\]](#).
❖ ياربنا يسوع المسيح، حكّم عبيدك في تجرب الشياطين المودة. هب لهم معرفة حكمة ربوبيتك، ولتلبسهم قوتك المقدسة ، بها يذلون نخر

الشياطين، ويقهرونهم بقوتك المقدسة في كل قتالهم معهم. أمين. [490]

الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

الغنوسية (المعرفة) الحقيقية

تحدثنا قبلاً عن الغنوسيين الذين وضعوا في قلوبهم أن تحل المعرفة أو الغنوسية محل الإيمان كطريق للخلاص، حتى صارت كلمة "غنوسيون" تشير إلى مجموعات من الهواطة. لكن **القديس إكليمنضس السكنوي** أعطى للكلمة فهماً مسيحياً جديداً، إذ رأى في الكلمة تعبيراً عن "المسيحيين الذين يعيشون في معرفة الله"، ومنعاً للباس يستخدم البعض العبرتين "غنوسي حقيقي" و"غنوسي مسيحي" تمييزاً عن "الغنوسي الهرطقي".

من هو الغنوسي؟

في كتابه الثاني من المتفوقات اشترط إكليمنضس في الغنوسي ثلاثة أمور [491]: التأمل، تنفيذ الوصايا، تعاليم الصالحين. إن فقد المؤمن أحد هذه الأمور تعطلت غنوسيته [492]. وكان الغنوسي يجب أن تكون له المعرفة (الغنوسية) الإلهية التي دعاها "التأمل"، وأن يعيشها عملياً أي تنفيذ الوصايا، وأن يسلك بروح الكنيسة له "تعاليم الصالحين".

لقد أوضح Walthar Volker حسناً أن غنوسية إكليمنضس إن كانت تنتعش بضبط الإنسان نفسه لكنها فوق كل شيء هي معرفة الكتب المقدسة خلال الاستئذلة بعمل المسيح، على ضوء تقليد الكنيسة [493].
❖ الغنوسي إلهي؛ صار مقدساً، يحمل الله وهو محمول من الله [494].

القديس إكليمنضس السكنوي

غاية الغنوسية

غاية معلمنا أن يعلن لنا الحق؛ فالسيد المسيح كمعلم يتقف الإنسان ليربه على اكتشاف الحق [495] الذي في المسيح يوع. لا يقف عمل المعلم عن كشف الحق وإنما يولد في النفس شوقاً لمعرفة الحق، إذ يقول: [التدريب على التعليم Paideia يولد حب المعرفة [496].]

أخوًا فإن الحق المعلن في المسيح ليس معرفة عقلية فلسفية نظرية، إنما تحمل قوة العمل: [غايتته إصلاح النفس لا أن تتعلم (فقط)؛ يرفعها إلى الحياة الفاضلة، لا مجرد نوال معرفة عقلية [497].]

القديس إكليمنضس السكنوي

مصادر الغنوسية (المعرفة)

أوضح إكليمنضس في مواضع متفرقة أن الله هو مصدر كل شيء صالح ونافع، لذلك رأى أن كل نقاط الحق الجزئية التي وجدت عند الفلاسفة إنما هي عطية إلهية. أما الغنوسية في كمالها أو الحق الكامل إنما هو عطية الله خلال الابن، هبة المسيح نفسه لنا. [قد يقول قائل إن اليونان اكتشفوا الفلسفة خلال الفهم البشري، لكنني أجد الكتاب المقدس يقول بأن الفهم هو من عند الله. لذلك يصوخ الموتل، قائلاً: "أنا عبدك فهمني... (مز 119:125)... [498].]

[الغنوسية، التي هي المعرفة وإراك الأمور الحاضرة والمستقبلية والماضية، كأمر أكيدة وموثوق فيها، يمنحها ابن الله الذي هو "الحكمة" ويعلمها... [499].]

[500]

أوضح إكليمنضس أن السيد المسيح يهب الغنوسية **خلال قِراءة الكتاب المقدس** بروح كنسي حتى لا نسيء فهمها كالهواطقة. بهذا نحمل

الكمال بسلوكننا الإنجيلي الكامل، إذ يقول: [يقول الإنجيل يصير الإنسان كاملاً بعد ما كان سالماً حسب الناموس [\[501\]](#)].

يؤكد أيضاً أن **المعمودية** تجعل الغنوسية ممكنة بالنسبة لنا، باستئذ عيوننا الداخلية [\[502\]](#).

أعطى القديس اهتماماً **بالحب** كمصدر للغنوسية، فإنها عليه تتأسس: الله حب، يعرفه الذين يحبونه... لهذا يؤمننا أن ندخل إلى معرفة خلال الحب الإلهي، فتأمل الشبه بشبيبه [\[503\]](#). نعرف إله الحب بممارسة الحب، ممارسة الحياة السماوية.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [عجباً! أية صداقة هذه؟! إذ يخوننا بخفاياه، إذ يقول "بسر مشيئته"، لأن أحداً يقول بأنه عرفنا بالأشياء التي

في قلبه. هنا حقاً السرّ المملوء بحكمة وفطنة. فأية حكمة مثل هذه؟ الذين كانوا لا يسلون شيئاً رفعمهم في لحظة إلي الغنى والفيض. أي تدبير حكيم

هكذا؟! الذي كان عوياً ومُبغضاً في لحظة لرتفع إلي العلا... هذا تم في الوقت المعين؛ إنه عمل الحكمة، تحقق بواسطة الصليب].

❖ فقط عندما يكون للشخص حب عندئذ يُقال أنه يعرف كما يجب [\[504\]](#).

❖ يعني بولس أن المعرفة هي أمر عظيم ونافع للغاية لمن يفتنيها مادامت تتلطف بالمحبة [\[505\]](#).

أمبروسياستر

❖ هذه يمكن أن تفهم فقط بمعنى أنه **بدون المحبة لا تقدم المعرفة صلاحاً** ، بل تنتفخ الإنسان، وتجعله يتباهى بروح فلغة.الذين لهم معرفة بدون محبة

متعرفون يشتاقون إلى الكرامات الإلهية مع ممارسة الأعمال الدينية التي يعلمون أنها تخفي الله الحقيقي، ومع ذلك يبذلون كل الجهد لكي يبتوا هذا على الذين لهم تأثير عليهم.

عكس الكورنثوس الذي للشياطين، والذي بسببه خضع الجنس البشري لعقوبة يستحقونها، ظهر القدير في شكل عبد... غير أن الناس فشلوا في

معرفته، لأنهم تمتلوا بالشياطين في الكورنثوس لا في المعرفة، فانتفخوا في دنس [\[506\]](#).

❖ المعرفة صالحة ما دامت في صحبة الحب، وإلا فإنها تنتفخ الإنسان بالكورنثوس [\[507\]](#).

❖ حقاً إن المتكبر يدعى منتفخاً كما لو كان متعالياً مع الريح. هنا يقول الرسول: "العلم ينفخ ولكن المحبة تبني" [\[508\]](#).

❖ "العلم ينفخ، ولكن المحبة تبني" ، لكن المحبة لا تنتفخ ولا تتكبر. لذلك ليت المعرفة تكون كقصة تقوم على مبنى المحبة التي ستبقى إلى الأبد عندما تسقط المعرفة [\[509\]](#).

❖ المعرفة التي من نوع صالح هي خادمة للحب، فإن المعرفة بدون الحب تنتفخ [\[8\]](#) ، ولكن إذ الحب يبني يملأ القلب فلا تجد المعرفة وافعاً به

تنتفخ [\[510\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ قال الموتل: "يدنو الإنسان بقلبه عميقاً ويتعالى الله". كلما توتقي أكثر، صاعدين منوجة إلى أخرى نحو سمو معونة الله، نجد الله عالياً عنا أكثر

علواً. فمع أنك تساميت جداً في معرفة الله وقد اضطرت نار محبته بشدة في قلبك، لكن يتبقى لك على النوام موجات لا تُحصى فوق هذه المعرفة والمحبة التي بلغت إليها.

الشهيد كيريانوس

المعرفة عطية إلهية!

خلق الله الإنسان على صورته ومثاله (تك 1: 27) ، وقدم لنا أئمن عطية وهي الإرادة الحرة، له ان يختار بين الخير والشر، الالتصاق بخالقه،

أو حتى مقاومة خالقه والتعود عليه. لم يخلقه آلة جامدة يحركها الله دون اختيار من جانب الإنسان، وإنما وهبه العقل والقوة على التفكير كما وهبه المعرفة الصادقة والحقيقية. هذه العطية يقدمها الله مجاناً، كما يهبه القوة على تنميتها أو تحطيمها حسبما يشاء.

أما سمات هذه العطية فهي:

1. عطية شخصية جماعية : هي عطية يقدمها الله للإنسان بصفة شخصية لكي تسنده في علاقته الشخصية بخالقه، كما في التعامل بصفة شخصية مع إخوته من بني البشر ومع الكائنات السماوية.

هذه العطية الشخصية يمكن أن تنمو في الجو الجماعي، كما يمكن أن تتحطم خلاله. فالصداقات المقدسة والأعمال الجماعية الروحية والعلمية تسند الشخص في نمو معرفته المستمر، كما أن الصداقات الشروية يمكن أن تفسد هذه المعرفة وتحطمها.

في تعليق القديس غريغوريوس النيسي على نش 1: 8 يبرز أن سرّ جمال الإنسان الداخلي، أن يسلك على أثار الغنم المقدس. فوعى أعماقه لتتمتع بجمال المعرفة الصادقة، ونموها المستمر، حيث يتقبل في شوكته مع القديسين النور الحقيقي، رب المجد يوع، كسر استنارته وتمتعه بالمعرفة المقدسة الطاهرة الفاتحة. يصير الإنسان أيقونة المسيح "الحكمة الإلهي، والنور الإلهي"، فيتمتع بمعرفة الأسوار السماوية المقدسة في حياته اليومية.

❖ "إن لم تعرفي (نفسك) أيتها الجميلة بين النساء ، فأخرجي على أثار الغنم، ولرعي جداءك عند خيام الرعاة" (نش 1: 8) ... هذا هو الطريق المؤكد لحماية نفسك، ويمكن التحقق من أن الله قد وضعنا في مستوى أعلى بكثير من بقية المخلوقات، فلم يصنع السموات على هيئته ولا القمر أو الشمس أو النجوم الجميلة أو أي شيء آخر تراه في الخليقة.

أنت وحدك قد خلقت على مثال هذه الطبيعة التي تلو فوق أي إواك، على هيئة الجمال الأبدي وصورته، كما استقبلت البركات الإلهية الحقيقية، وختم النور الحقيقي، وستصير مثله عندما تنظر إليه. وعندما تفتدي به، هذا الذي يشرق في داخلك (2 كو 4: 6) وينعكس نوره بواسطة [\[511\]](#) .
ظهرتك

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ من الكائنات الأرضية خلق على صورة الله إلا الإنسان؟ ولمن أعطى السلطان على كل الطبيعة ومخلوقاتنا ليختصها لذاته؟
إنه لشرف أصيل يكلل جبينه ويسمو به إلى السماء، فوق الكواكب، رُفع من الشمس تشامخاً ووع... ومع أنه أوضع مقولة من الملائكة لارتباطه بجسد مادي فقد وهب قوة لفهم ومعرفة ربه وخالقه [\[512\]](#) .

القديس باسيليوس الكبير

❖ يؤمننا أن نتعلم من الله ما نفكر فيه عن الله، فليس لنا مصدر للمعرفة سواه. قد تترب بكل حذاقة كما تنشاء في الفلسفة العلمانية، ربما تسلك حياة برة. هذا كله يساهم في الشبع الفكري، لكنه لا يعينك على معرفة الله. لقد تبنت ابنة فوعن موسى، فتعلم كل حكمة المصوبين، بالإضافة إلى ذلك كان له ولاء لجنسه، فانتقم لما أصاب العواني بقتل المصري، ومع هذا فلم يعرف الله الذي برك آباءه. [\[513\]](#)

القديس هيلاري أسقف بواتيه

2. معرفة ترتبط بالحياة التقوية المقدسة : فالشيطان يعرف الله أكثر منا من حيث المعرفة العقلية، ويعرف الكثير من الأسوار الإلهية والسماوية، لكنه يُحسب جاهلاً وغيبياً، بلا معرفة. وفي اليوم الأخير يقول الرب للأشوار: " لا أعرفكم من أين أنتم" (لو 13: 25) ، مع ان الرب عارف بكل شيء، لكنه لا يعرف الأشوار معرفة الاتحاد معهم والالتصاق بهم، وكما يقول القديس أغسطينوس إنهم لا يستحقون أن يكونوا موضع معرفته.

❖ "وتعرفون الحق" . الحق غير متغير. الحق هو خبز، ينعش عقولنا ولا يسقط، يغير من يأكله، ولا يتغير فيمن يأكله. الحق هو كلمة الله... الابن الوحيد. هذا الحق التحف جسداً من أجلنا لكي ما يُولد من العنواء مريم وتتم النوبة: "الحق نبع عن الأرض" (مز 85: 11) . هذا الحق إذن وهو

يتحدث مع اليهود اختفى في الجسد. لكنه لم يختفِ لكي يُنكر، وإنما لكي ما يُجأ إعلانه، يُجأ لكي ما يتألم في الجسد، ويتألم في الجسد لكي ما يخلص الجسد من الخطية. هكذا ظهر بالكامل بخصوص ضعف الجسد، وكان مخفياً من جهة جلال اللاهوت [514].

القديس أغسطينوس

❖ الإنسان ليس هو كل من له يدا إنسان وقدماه، ولا من كان عاقلاً فحسب، بل من يملس التقوى والفضيلة بشجاعة [515].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ جميعكم واحد في المسيح يسوع. ليس أن البعض أصحاب معرفة مستنبطون، والآخرين أقل كمالاً في الروحانيات. ليضع كل واحد جانباً كل

الشهوات الجسدية، فتكونوا متساوين وروحيين أمام الرب [516].

❖ الشخص الذي يعرف يعمل أيضاً الأعمال التي تليق بواجب الفضيلة، ولكن يوجد من يملس الأعمال وهو ليس بالضرورة بين أصحاب المعرفة. إذ

قد يفهم أن يميز بين ما هو مستقيم وما هو خطأ، لكن ليس لديه معرفة بالأسوار السماوية. علوة على هذا يفعل البعض الصلاح خشية العقوبة أو لنوال مكافأة، لذلك يعلمنا يوحنا أن الإنسان الذي له معرفة كاملة يملس هذه الأعمال عن حب.

القديس إكليمنضس السكثري

❖ يستحيل على النفس غير النقية، مهما بلغت أشواقها نحو القواء، أن تحصل على معرفة روحية. لأنه لا يقدر أحد أن يسكب دهناً طيباً أو عسلاً جيداً

أو أي سائل قيم في إناءٍ قذرٍ كرهيه الوائحة، لأن الإناء الذي امتلأ بروائح كريهة يفسد ما يوضح فيه أكثر مما يتأثر هو من الشيء الصالح، لأن ما هو نقي يفسد بسوعة أكثر من تأثير النقي عليه [517].

❖ إن كنتم مشتاقين إلى الحصول على نور المعرفة الروحية، معرفة ليست خاطئة لأجل كبرياء فلغ لتكونوا رجالاً فلغين يجدر بكم أولاً أن تلتهموا

بالشوق نحو هذا التطويب الذي نوقأ عنه "طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8). وبهذا تتالون ما قاله الملاك لدانيال والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين رتوا كثيرون إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا 12: 3)... وهكذا يُلزم الماثوة بالجهاد في القواء مع السعي بكل اشتياق لنوال المعرفة العملية الاختبارية أولاً أي المعرفة الأخلاقية.

فبعدما يبذلون جهوداً وأتعباً كثرة يستطيعون أن ينالوا المعرفة الروحية كمكافأة لهم من أجلها. وإذ يقتنون المعرفة لا من مجرد التأمل في

الشريعة بل كثرة لتعبهم يتغنون قائلين: "من وصاياك تَقَهَّمْتُ" (مز 119: 104) [518].

الأب نسطور

❖ إن امتلأت السماء والأرض وكل ما فيهما من الله، إن عَبَرَ كل شيء، وإن كان طبيعته منبسطة في كل الطبائع كالسحب في الهواء، فالكثيرون

يعرفون هذا من السمع.

قليلون يعرفونه من المطالعات.



بعضهم فقط من رؤية الطهارة، هذه التي تتطيب بالطوبى، لا بالكلمات التافهة

الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

3. المعرفة هي افتناء المسيح نفسه : قول حكمة الله إيلينا متجسداً لنفتتية، فصلت الحكمة بالنسبة لنا لا تقف عند حدود الخوات التي نتمتع بها

نحن أو تمتع بها من سبقونا، ولا تقف عند البحث والواسة فحسب، وإنما يليق بنا أن نفتتي حكمة الله نفسه.

❖ لاحظوا أنه حتى ذلك نفسه الذي هو الحق والكلمة ، والذي به كان كل شيء، وقد صار جسداً ليسكن بيننا، مع ذلك يقول الرسول: وإن كنا قد عرفنا

المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه بعد"، لأن المسيح لم يود فقط أن يهب ممتلكات لمن يكمل الرحلة، بل أيضاً أن يكون هو نفسه الطريق للذين

[520]

القديس أغسطينوس

4. معرفتنا الحاضرة جزئية : مهما بلغت معرفتنا، فإننا مادمننا بعد في الجسد الزاوي، تُحسب معرفتنا جزئية ناقصة. الله لا يبخل علينا بتقديم معرفة كاملة، لكنه يقدم ما هو جزئي لكي يلهب قلوبنا لطلب المعرفة الكاملة بروح التواضع، ولئلا نسقط في الكبرياء بسبب معرفتنا.
- 'فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغزٍ (مرآة غامقة)، لكن حينئذ وجهًا لوجه. الآن اعرف بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت.'
- ❖ مع أن كل واحد يطلب المزيد من المعرفة على النوام ، فإنها تبقى المعرفة ناقصة في كل الأمور بالنسبة لكمالها الحقيقي حتى يحل الزمن ليأتي ما هو كامل ويزول ما هو جزئي [521].

القديس باسيليوس الكبير

- ❖ "الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت". ألا ترون كيف أنه بطريقتين يتوَّع عنهم الكبرياء؟ لأن معرفتهم جزئية، وحتى هذه ليست من عندهم. يقول: "لأنني لست أعرفه، بل هو عرفني ذاته". لذلك فإنه حتى الآن هو الذي أظهر أولاً نفسه، وهو الذي يسوع إليّ حتى أسوع أنا إليه، عندئذ أكثر مما أنا عليه الآن [522].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ في صوت اليمامة الذي يُسمع في أرض الموعد يليق بنا أن نرى المسيح يعلم بشخصه، نواه وجهًا لوجه ، ولا نعود زاه في مرآة في لغز [523].
- ❖ إن كانت المعرفة تُعلن للذين يستحقونها فينالونها في مرآة، وهي لغز في العصر الحالي، وستعلن بالكامل عندئذ فقط، فمن الغبولة أن تظن أنه سوف لا يكون الأمر هكذا بالنسبة لبقية الفضائل [524].
- ❖ إنه يشجعها ويحثها ألا تجلس خاملة هناك بل تخرج إليه خرجًا وتحاول أن تراه لا من الشبايبك، ولا من مرآة في لغز، بل تذهب إليه وتراه وجهًا لوجه. لأنه الآن إذ هي لا تستطيع أن تراه يقف هكذا خلفها وليس أمامها، يقف وراء ظهرها، وخلف الحائط [525].

العلامة أوريجينوس

- ❖ عندما سنؤمن جميعنا بذات الإيمان عندئذ تكون الوحدة، فإن هذا هو ما يدعوه بوضوح: "الإيمان الكامل". ومع ذلك يدعونا في موضع آخر أطفالاً (1 كو 13: 11) حتى ونحن بالغون في العمر، لكنه يتطلع إلى مقارنة أخرى. إذ يقلن بين معرفتنا المقبلة فيدعونا الآن أطفالاً. فيقوله: "نعرف بعض المعرفة" "يضيف أيضًا كلمة "لغز (ظلمة)" وما يشبه ذلك. بينما يتحدث هنا (رسالة أفسس) بخصوص أمر آخر بخصوص التغيير، إذ يقول في موضع آخر: "وأما الطعام القوي للبالغين" (عب 5: 14) [526].
- ❖ هذا هو معنى التعبير: "كما عرفت": ليس أننا سوف نعرفه كما هو، ولكن كما أنه يسوع نحونا الآن هكذا سنلتصق نحن به ونعرف الكثير من الأمور التي هي سرية الآن، وسنتمتع بالمجتمع الأكثر طوبأوية وحكمة [527].
- ❖ كمثال نحن نعرف الآن أن الله في كل موضع، لكننا لا نعرف كيف يمكن ذلك. نحن نعرف أنه أوجد الخليقة من لا شيء ولكن ليس لدينا فكرة عن كيفية تحقيق ذلك. نحن نعرف أن المسيح وُلد من عذراء ولكننا لا نعرف كيف وهكذا [528].

- ❖ ليست المعرفة هي التي تعبر بل الوضع الذي فيه تكون المعرفة جزئية. فإننا ليس فقط نعرف الكثير بل ما هو أعظم بكثير [529].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ هذا يعني أن الأمور التي نسمع عنها الآن على مسئولية الكتب المقدسة نؤمن أنها هكذا. بعد القيامة سزاها بأعيننا ونتعرف عليها خلال الواقع، عندما تبطل المعرفة الجزئية، لأن المعرفة التي تقوم على السماع هي جزء من معرفة الشهادة بالعين والخوة [530].

القديس ديديموس الضيرير

❖ لم يكتشف بعد أحد أو سيكتشف ما هو الله في طبيعته وجوهه. فالإكتشاف يحدث في المستقبل. ليت هؤلاء الذين لهم فكر في هذا أن يبحثوا ويفكروا فيما سيتم في المستقبل.

يخبرني عقلي الذي على شكل الله عندما يمتزج ذاك الإلهي، أقصد الذهن والعقل، بما هو شبيه به؛ عندما تعود الصورة إلى أصلها الذي تشتاق إليه. هذا يبدو لي هو معنى هذه العبارة العظيمة أننا في الزمان المقبل سنعرف كما عرفنا [\[531\]](#).

القديس غريغوريوس النريزي

❖ الآن نحن نعرف بعض المعرفة ونفهم جزئياً، ولكن عندئذ سيمكننا أن نترك ما هو كامل عندما يبدأ لا الظل بل حقيقة عظمة الله وسومديته تشق وتعلن عن ذاتها بغير حجاب أمام أعيننا [\[532\]](#).

القديس أمبروسيوس

6 . يليق بنا في التمتع بالمعرفة لا أن نقف عند الراسية والقواء، بل نطلب من الله "المعرفة" كأحدى مواهب الروح القدس . يقول الرسول: "فإنه لوأحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد" (1 كو 12: 8).

[\[533\]](#)

❖ لم يتعلم بولس الإيمان بالكلمات فحسب (معرفة كلامية) وإنما تمتع بغنى الروح، حتى ينير الإعلان كل نفسه ويتكلم المسيح فيه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

[\[534\]](#)

❖ تُعطى المعرفة لا بالتعلم من كتاب بل باستنارة الروح القدس .

أمبروسيوس

في حديث للشباب لا يمنع القديس باسيليوس الكبير القواء للشعواء والمؤرخين والخطباء ما دامت هذه القواء نافعة. يكمل حديثه لهم قائلاً: [علينا أن نبتدئ بقراءة الفكر الدنوي لرتفع بعده إلى المقدسات وأسوار الإيمان... فإذا كان هناك من موافقة بين هذه الثقافة وعقائدنا، كانت معرفتها من الإفادة بمكان كبير، وإلا فالمقرنة في الحالة العكسية من شأنها أن تثبت اعتقاداتنا الصحيحة [\[535\]](#)].

[\[536\]](#)

كما يقول إنه على الوهبان أن يؤؤوا لا ما يحلو لهم، وإنما ما هو مفيد لحياتهم الروحية، وما يأمرهم به الرئيس، في أوقات مناسبة .

المعرفة والحواس

الحواس هبة إلهية للإنسان، هي منافذ تدخل منها المعرفة، وخلالها ننعم بالعلم والنمو في الحكمة، إن استخدمت كما يليق بنا كخليفة الله العاقلة. تبقى معرفتنا في هذه الحياة ناقصة، لكن يمكن الاعتماد عليها في حدودها. يثق المؤمنون في شهادة حواسهم التي هي خادمة خاضعة لتعقلهم. ربما أحيانا يندفعون، ومع هذا فهم أفضل من القائلين بعدم الثقة في الحواس تماماً [\[537\]](#).

القديس أغسطينوس

طريق المعرفة الإلهية

نظرة القديس إكليمنضس الفلسفية في معرفة الله وجدت بوجه خاص في الكتاب الخامس من "المتوقّات *Stromata*"، حيث أعطى إيماناً ورجاءً في إواك الذهن للأمر غير منظورة، والتي لا تستطيع الحواس أن تتركها. أمّا طريق المعرفة فيمر بواحد ثلاث: أ. المرحلة الأولى، وهي مرحلة التطهير من الخطية . يليق بالإنسان لكي يتمتع بمعرفة الإلهيات أن يتخلص من أفكاره الخاطئة عن الله، التي

هي ثوة عبوديته لأهوائه الجسدية. خلال هذه الآلام وى الإنسان في الأمور المادية هدفًا له، فيصير أبعد ما يكون عن الله.

[إذ التحف غالبية البشر بأمور قابلة للموت كالتقاع المغلفة في الصدف، منطوين حول شهواتهم كالتقناذ أشبه بالوة. صاروا يفكرون في الله الطوبوي غير المائت بذات التعبوات التي يفكرون بها عن أنفسهم... [538]] لهذا يليق بالبشر أن يتخلصوا من هذا الخطأ، فيتحررون من آلام النفس والمؤذات الأرضية لكي يبركوا الله.

ب. المرحلة الثانية هي التحليل المنطقي أو الابتعاد عن التفكير في الله بطريقة مادية جسدانية . فكلمات الإنجيل لا تفهم بطريقة حرفية؛ حين يتحدث عن "يمين الله" مثلاً، لا يفهم أن الله يمينًا ويسلًا، بل هو فوق الزمان والمكان، فوق عالم الأسماء وفوق المفاهيم الأرضية.

ج. المرحلة الثالثة هي مرحلة الرؤيا . معرفة الله كهبة إلهية، لا يمكن بلوغها بدون نعمته. حقًا إن الفلسفة تسندنا، لأنها تعرفنا ما هو ليس الله، وهو أمر هام، به تزول الأفكار الخاطئة التي في أذهاننا والتي في أذهان الآخرين. أمّا إواك الله فلا يمكن بلوغه إلا بالنعمة الإلهية وحدها، فوق حدود الفكر المنطقي.

المعرفة والإيمان

هذا هو هدف الغنوسي عند القديس إكليمنضس السكنوي أن يتعرف على الله (الحق) وواه [539] وجهًا لوجه، أي يعبر إلى كمال المعرفة من خلال الإيمان، وذلك خلال خوة الحياة النقية والتأمل الدائم. فإن كنا قد عرفنا من الوثنية إلى الإيمان، فيليق بنا أن نغير من الإيمان إلى المعرفة [540]، لنرى الله ونعرفه. هذه المعرفة هي هبة إلهية نتقبلها خلال الابن، وذلك بقبولنا إياه وتشبهنا به؛ أي خلال نقلة القلب، نعاين الله ونترك ما يبدو للآخرين غير مبرك [541].

❖ يقولون إنهم يؤمنون ويعرفون، فربطون الأمرين معًا. لأنه يجب على الإنسان أن يؤمن وأيضًا أن يفهم. ليس معنى أننا نقبل الأمور الإلهية بالإيمان أن نبتعد تمامًا عن أي فحص لها، بل نحاول بالحوي أن نبلغ إلى معرفة معتدلة، كما يقول بولس: "كما في رآة كما في لغز" (١ كو ١٣: ١٢). حسنًا إنهم لم يقولوا عرفوا وألاً ثم آمنوا، إذ يضعون الإيمان وألاً ويلحقونه بالمعرفة، ولكن ليس قبل الإيمان. كما هو مكتوب: "إن لم تؤمنوا لن تفهموا" LXX (إش ٧: ٩).

القديس كيولس الكبير

❖ ليس أننا عرفنا وآمنا بل "آمنا وعرفنا" [69]. لقد آمنا لكي نعرف؛ لأننا إن أردنا أن نعرف وألاً وعندئذ نؤمن، لن نستطيع أن نعرف ولا أن نؤمن...

❖ بماذا آمنا وعرفنا؟ "أنت المسيح ابن الله الحي" [69]، بمعنى أنت هو الحياة الأبدية عينها، تهبها في جسدك ودمك فقط للذين هما أنت [542].
❖ ألم يبلغوا مثل هذه المعرفة حين كان الرب يكلمهم؟ إن كانت ليس لهم المعرفة فكيف آمنوا؟ لقد آمنوا ليس لأنهم كانوا يعرفون، وإنما لكي يعرفوا. فإننا نؤمن لكي نعرف، ولسنا نعرف لكي نؤمن. لأن ما سنعرفه لم توه عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر (إش ٦٤: ٤؛ ١ كو ٢: ٩) لأنه ما هو الإيمان إلا تصديق ما لم تروه بعد؟ [543]

❖ إذ تحدث الرب عن الله أبيه أجاوه وقالوا له: "أين هو أبوك؟" لقد فهموا أب المسيح جسديًا، لأنهم يدينون كلمات المسيح حسب الجسد. لكن الذي تحدث كان الظاهر هو الجسد، وأما الخفي فهو الكلمة؛ الإنسان المنظور والله الخفي... لقد احتقروه لأنهم لم يعرفوه، ولم يعرفوه لأنهم لم يروه، ولم يروه لأنهم عميان، وهم عميان لأنهم لم يؤمنوا [544].

❖ نحن زاك وحدك، ولا زى أباك معك، فكيف تقول إنك لست وحدك بل أنت مع أبيك؟ إلا فلتونا أن أباك معك [545].

❖ الآن أيضًا هو فينا ونحن فيه، هذا ما نؤمن به الآن، أما حينئذ فإننا سنعرف أيضًا هذا. وإن كنا ما نعرفه الآن هو بالإيمان، أما ما سنعرفه فسيكون

القديس أغسطينوس

المعرفة والحرية الداخلية

يقدم لنا ربنا يسوع نفسه ذاته لنفقتيه بكونه الحق، القادر وحده أن يحملنا إلى معرفة خلاصنا به وفيه. فالمعرفة غايتها اقتناء الحق واهب الحرية، حيث يتمتع المؤمن بشركة الأمجاد الأبدية.

❖ "وتعرفون الحق" بمعنى: "ستعرفوني، إذا أنا هو الحق. كل الأمور اليهودية هي رموز، لكنكم تعرفون الحق فيّ، وهو يحرككم من خطاياكم..." إنه لم يقل "أحرركم من العبودية" فقد تركهم هم يستنتجون ذلك [547].

القديس يوحنا الذهبي الفم

المعرفة والشركة مع الله

غاية المعرفة الاتحاد بالمحبوب أو المحبوبين، والشركة معه أو معهم. فلا نعجب إن قيل عن آدم أنه عرف حواء امرأته حين التصق بها، وصلت له شركة معها. ونحسب أصحاب معرفة إلهية حين نلتصق بالله، فنتمتع بالاتحاد معه، والشركة الحية العملية كأبناء له.

❖ غالبًا ما تعني كلمة "يعرف" في الكتب المقدسة ليس بمعنى إراكه أمر ما، بل وجود علاقة شخصية بالشيء. فيسوع لم يعرف خطية، ليس لأنه لا يعرف عنها شيء، وإنما لأنه لم يرتكبها قط بنفسه. فمع كونه يشبهنا في كل طريق آخر إلا أنه لم يخطئ قط (عب 4: 15). بتقديم هذا المعنى لكلمة "يعرف" واضح أنه كل شخص يقول بأنه يعرف الله يلزمه أن يحفظ وصاياه، لأن الاثنين يسوان معًا.

القديس ديديموس الضريير

❖ يعرف الرب من له، بمعنى أنه يتقبلهم في شركة قوية بسبب أعمالهم الصالحة [548].

❖ الله يعرف الذين هم له، بمعنى يعرفهم خلال أعمالهم الصالحة (في المسيح). إنه يقبلهم في شركة عميقة معه [549].

❖ الذين يهلكون لا يعرفون الله، وسينكر الله أنه يعرفهم، كما قال: "ابعدوا عني لأنني لا أعرفكم" (مت 7: 23) [550].

القديس باسيليوس الكبير

هيلاري أسقف آرل

❖ انظروا إن كان الكتاب المقدس لم يقل أيضًا في موضع آخر إن الذين يتحنون مع شيء ما ويصيرون معه واحدًا يعرفون هذا الذي صاروا معه واحدًا وانشغلوا به. قبل هذه الوحدة والشركة فإنهم حتى وإن أركوا شروح قُدمت لهم عن الشيء فإنهم لا يعرفونه.

كمثال قال آدم عن حواء: "هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي" (تك ٢: ٢٣)، فإنه لم يعرف زوجته، أما حين التصق بها قيل: "عرف آدم حواء امرأته" (تك ٤: ١).

من يتعثر لأننا استخدمنا هذه العبارة: "عرف آدم حواء امرأته" كمثال لمعرفة الله لياخذ في اعتباره أولاً: "هذا السرّ عظيم" (أف ٥: ٣٢)، بعد ذلك يقلن ما قوله الرسول عن الذكر والأنثى، فقد استخدم نفس اللغة الخاصة بالرجل مع الرب. "من التصق زانية هو جسد واحد، وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١ كو ٦: ١٦ - ١٧). لذلك من يلتصق زانية يعرف الزانية، ومن يلتصق بزوجه يعرف زوجته، ولكن بالأكثر من يلتصق بالرب يعرف الرب بطريقة مقدسة.

[551] إن كان الأمر هكذا فإن الفوسيين لم يعرفوا الأب ولا الابن.

إن كان أحد ما قاورًا أن يقدم حسابًا كاملاً عن الأمور الخاصة بالله، وقد تعلّم من آبائه أنه وحده ينبغي له السجود، فإنه ما لم يسلك باستقامة يقول الكتاب عنه أنه لا يحمل معرفة الله.

إن كان أحد بالحقيقة يعرف الأمور الخاصة بالخالق وخدمته الكهنوتية فمن الواضح أن أبناء عالي الكاهن كان لهم هذا، إذ أنهم كانوا يقيمون في موضع العبادة. مع هذا إذ أخطأوا كُتِبَ عنهم في سفر ملوك الأول: "وكان بنو عالي بني الهلاك، لم يعرفوا الرب" (راجع ١ صم ٢: ١٢)...
يمكننا أن نجد نفس الشيء ليس فقط بخصوص أبناء عالي بل وبخصوص حكام آشور في إسرائيل ويهوذا. هكذا أيضًا لم يعرف الفريسيون الآب، إذ لم يعيشوا حسب رادة الخالق [552].

العلامة أوريجينوس

المعرفة والثالوث القنوس

"كل شيء قد دُفِعَ إليّ من أبي، وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن، ومن أراد أن يُعْلِنَ له" [22].

❖ العبرة: "تعرفونني وتعرفون من أين أنا" (يو ٧: ٢٨) خاصة بشخصه كإنسان، أما العبرة "لستم تعرفونني أنا ولا أبي" [١٩] فخاصة بلاهوته...
فمن الواضح أن كلمات القوم الذين من أهل أورشليم: "هذا نعلم من أين هو" (يو ٧: ٢٧) تشير إلى حقيقة أنه وُلِدَ في بيت لحم (مت ٢: ١). وقد عرفوا أنه ذلك الذي أمه تُدعى مريم وأن إخوته (أبناء خالته) هم يعقوب ويوحنا وسمعان ويهوذا (مت ١٣: ٥٥). لهذا شهد للقائلين: "هذا نعلم من أين هو" قائلًا: "تعرفونني وتعرفون من أين أنا". لكنه حينما تحدث مع الفريسيين قال: "وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب" [١٤]، إذ كان يتحدث عن طبيعته الإلهية، كشخص يتحدث عن الأساس الذي به هو بكر الخليقة (كو ١: ١٥) [553].

العلامة أوريجينوس

[554]

❖ من ينكر أن الابن من الآب لا يعرف الآب الذي منه الابن، وأيضًا لا يعرف الابن لأنه لا يعرف الآب.

القديس أمبروسيوس

❖ لم تكن بعد عينا فيلبس سليمانين بما فيه الكفاية لنتظرا الآب (يو 14: 8)، وبالتالي لنتظرا الابن الذي هو مسلي للآب. هكذا قام يسوع المسيح بشفائه بأدوية ومواهم الإيمان ليقوي عيني ذهنه اللتين كانتا بعد ضعيفتين وعاجزتين عن رؤية نورٍ عظيمٍ كهذا. وقال له: "أما تؤمن إني في الآب، والآب فيّ؟"

ليت ذلك العاجز عن أن يرى ما سيظوه له الرب يومًا ما ألا يطلب أن يرى بل أن يؤمن. ليؤمن ولأ حتى تُشفى العينان اللتان بهما

[555]

ينظر .

بالحق انتهر السيد التلميذ، إذ رأى ما في قلب السائل (يو 14: 9).

إن كان الآب بوعٍ ما أفضل من الابن، حتى أن فيلبس أراد أن يعرف الآب، بهذا لم يعرف الابن، إذ ظن أنه أقل من الآب. فلكي يُصحح مثل

هذا المفهوم قيل: "الذي رأي رأى الآب، فكيف تقول أنت أننا الآب؟" (يو 14: 9)...

لماذا تود أن تكتشف وجود مسافة بين من هما متشابهين؟

لماذا تتوق إلى معرفة منفصلة بين من هما غير منفصلين؟

[556]

ما قاله بعد ذلك لم يكن لفيلبس وحده، بل لهم جميعًا، هذا يؤم ألا نضعه كما في زاوية، حتى يمكننا بمعونته أن نفسره بأكثر حوص .

القديس أغسطينوس

[557]

❖ يتحدّث هنا عن نوع معين من المعرفة (معرفة خلال وحدة الجوهر) لا يملكه آخر .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا إذن أن يُقال للشيطان: "من أين جئت؟" (أي 1: 7) إلا لكي يدين طريقه كما لو كانت غير معروفة. فنور الحق لا يعوف شيئاً عن الظلمة، هذه التي يوبخها، وعن طرق الشيطان التي يدينها كديان. يليق أن يُسال عنها كما لو كانت مجهولة. ولهذا قيل لآدم وهو في خطيته بصوت خالقه: "آدم، أين أنت؟" (تك 3: 9)، فإن القوة الإلهية لم تجهل الموضع الخفي الذي هرب إليه عبده عند عصيانه، لكنه رأى أن الساقط في خطيته مختفي عن عيني الحق تحت الخطية...

إنه يدين الشيطان، لذا فُحص طريقه، أما الملائكة المختارون فلا يحتاجون أن يُسألوا من أين جاؤا، إذ طرقهم معروفة لله، إذ هم كمن يمثلون حركته، إذ هم خاضعون لإرادته وحدها، ولن يمكن أن يكونوا غير معروفين له.

البابا غريغوريوس (الكبير)

معرفة الله لنا وخليقته

الله يعرف أولاده وخدامه المقدسين، ولا يعوف الأثوار فعلة الإثم، لهذا عندما سقط آدم في الخطية سأله: أين أنت؟ وكما يقول القديس جيروم: [كان الله يعوف أن آدم في الجنة، ويعلم كل ما قد حدث، لكنّه إذ أخطأ آدم لم يعرفه الله، إذ قال له: أين أنت؟] [558] [كأنه لا واه، لأن آدم اعتول النور الإلهي والبرّ، فصار تحت ظلال الخطية وظلمة الموت]. يُعلّق القديس أغسطينوس على قول السيد: "لا أعرفكم" هكذا: [لا أراكم في نوري، في البرّ الذي أعرفه] [559]. [فإنه لا وانا في نوره عندما نظيل الصلوات باطلاً أو نكوز باسمه أو نصنع قوّات وإنما حينما نحيا معه وبه ونسلك طريقه.

❖ كتابة أسمائنا في السماء وهان على حياتنا الفاضلة، أما إخراج الشياطين فهو هبة من المخلص، لذلك يقول للذين يفتخرون بعمل القوّات دون ممرسة الحياة الفاضلة: "لا أعرفكم"، إذ لا يعوف الله طريق الأثوار. [560].

القديس أثناسيوس الرسولي

[561]

❖ لا يعرف الرب الخاطيء بل البار .

القديس جيروم

❖ يا للعجب الذي جاء ليقيمه من الأموات يبدو كمن لا يعوف موضع القبر، إذ "قال: أين وضعتوه؟" [34]. وكما يقول كثير من الآباء إن الله العالم بكل شيء يبدو كمن لا يعوف موضع الظلمة، ولا يعوف الشر ولا الأثوار. لهذا إذ أخطأ آدم في الجنة، سأل الرب: "أين أنت؟" (تك 3: 9). وفي يوم الدينونة يقول للأثوار: "لست أعرفكم" (مت 7: 23)، وهنا يتساءل: "أين وضعتوه؟"

[562]

❖ لست أراكم في نوري، في البرّ الذي أعرفه .

[563]

❖ ماذا تعني "أنظر"؟ "تُرفق، فإن الرب ينظر حين يتحنن. لذلك قيل له: "أنظر إلى تواضعي وألمي، واغفر لي كل خطاياي" (مت 9: 13).

❖ ربما إذ يعوف الرب الذين هم له (2 تي 2: 19؛ عد 16: 5)، لا يعوف الذين ليسوا له. وكما يقول عن البعض: "إني لم أعرفكم قط" (مت 7: 23)، لهذا يقول أيضاً عن يهوذا الذي ليس له: "إني لا أعرفك قط". لكن لو أن يهوذا كان للمسيح ثم سقط، كان يُمكن أن يُقال له: "لست أعرف من أين أنت" (راجع لو 13: 27)... لهذا السبب لم يقل: "أنا أعلم جميعكم"، بل "أنا أعلم الذين اختوتهم". [564].

العلامة أوريجينوس

❖ إلى أن دعاها باسمها وظهر لها كهاتفٍ لا زال تظنه ميتاً وتساءل أين هو موضوع دعاها باسمها. وكأنه يقول لها: "لتعرفي ذاك الذي يعرفك". وإذ دُعيت مريم باسمها عرفت خالقها. إنه ذاك الذي تبحث عنه خراجها، وهو يعلمها أن تبحث عنه داخلياً. [565].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن تقدّم أحد وكان غيرًا، فالله من جانبه يعطيه كل شيء، أما من لم ينشغل بهذه الأمور ولا يساهم بشيء من جانبه فلن تمنح له عطايا الله [566].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [567]

لنتبكر نفوسهم بالفهم والمعرفة والأسرار لكي يشتركوا فيها، ليتبكر الكل معًا خلال الابن الوحيد يسوع المسيح.

قداس الأسقف سوابيون

فيما يلي مقتطفات من تعليق القديس أمبروسيوس عن هذا الموقف:

إيمتنا اعتبار شهادة الجوع له بلا نفع، فقد ظنه البعض إيليا قد قام، مؤمنين بمجيئه، وآخرون آمنوا بقيامة يوحنا عالمين أن رأسه قد قطعت، وآخرون أنه واحد من الأنبياء القدامى.

البحث في ذلك (أي في شخص المسيح) أمر يفوق قدرتنا، لكنه يتناسب مع فكر شخص كبولس وحكمته، هذا الذي يكفيه أن يعرف المسيح وإياه مصلوبًا (1 كو 2: 2)، لأنه أية معرفة يشناق إليها أكثر من أنه المسيح؟ ففي هذا الاسم "المسيح" يتجلى اللاهوت ويُعلن التجسد وأيضًا الآلام. لقد عرفه بنية التلاميذ، لكن بطرس وحده قال: "مسيح الله" (لو 9: 20)، إذ يشمل هذا الاسم كل شيء، ويعبر عن طبيعته، ويحوي كل الفضائل. هل نثير تساؤلات حول كيفية ميلاد الرب بينما يقول بولس أنه لا يعرف شيئًا إلا المسيح وإياه مصلوبًا، ويعترف بطرس أنه مسيح الله! نحن بعبون الضعف البشري نبحث هكذا: متى وكيف وما هي عظمتها، أما بولس فوى في هذه التساؤلات هدمًا لا بناء، لذا لا يريد أن يعرف إلا يسوع المسيح.

عرف بطرس أن في "ابن الله" يكمن كل شيء، فقد دفع الآب كل شيء في يده (يو 3: 35)... لذا فيه الألية والعظمة التي للآب.

إني قبلت الإيمان بأنه المسيح ابن الله (مت 16: 16) فلا يجوز لي أن أعرف كيف وُلد، لكن لا يجوز لي أيضًا أن أجهل حقيقة ميلاده.

لنؤمن إذن كما آمن بطرس، فتطوّب أنت أيضًا وتتأهل لسماع الكلمات: "إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" (مت 16: 17). فاللحم والدم لا يقبلان إلا الأرضيات، أما من ينطق بأسرار الروح فلا يعتمد على تعاليم اللحم والدم بل على الإعلان الإلهي.

ليتك لا تعتمد على اللحم والدم لتأخذ منهما أوامرك، فتصير أنت نفسك لحمًا ودمًا، وإنما من يلتصق بالرب يكون معه روحًا واحدًا (1 كو 6: 17).

17). يقول الله: لا يدين روعي في الجسد بعد لأن كل تصورات قلبه شورة (تك 6: 3).

ليسمح الرب ألا يكون السامعون لحمًا ودمًا، بل يكونوا متغيبين عن شهوة اللحم والدم، فردد كل واحد منهم: "لا أخاف، ماذا يصنعه بي

الإنسان (أي اللحم والدم)؟" (مز 56: 5).

من يغلب الجسد يصير من أعمدة الكنيسة؛ إن لم يستطع أن يبلغ إلى بطرس فإنه يتمثل به ويتمتع بعطايا الله إذ هي كثوة، يود لنا ليس ما تركناه

بل ما هو له.

يحق لنا أن نتساءل: لماذا لم يرَ فيه الجوع إلا إيليا أو رميا أو يوحنا المعمدان؟

ربما رأت فيه إيليا لأنه أختطف إلى السماء؛ لكن المسيح ليس كإيليا إذ لم يُختطف إليها بل جاء منها. الأول أختطف إلى السماء، أما الثاني فلا يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (في 2: 6). الأول انتقم بالنار التي طلبها (1 مل 18: 38) والثاني أحب خلاص المسيئين إليه لا هلاكهم.

لماذا اعتقوا أنه رميا؟ ربما لأنه تقدس من الوحم (إر 1: 4)، لكن المسيح ليس كرميا. الأول تقدس، أما الثاني فهو يقّس، الأول بدأ بميلاده

أما الثاني فهو قدوس القديسين.

لماذا ظنه الشعب يوحنا؟ ربما لأن يوحنا عرف الرب وهو في بطن أمه، لكن المسيح ليس كيوحنا. يوحنا سجد وهو بعد في الوحم، والثاني هو

[568]

المسجود له. الأول عمد بالماء، وأما المسيح فبالروح. الأول نادى بالتوبة والثاني غفر الخطايا [.

الغنوسية الحقيقية

تحدثنا قبلاً عن الغنوسيين الذين وضعوا في قلوبهم أن تحل المعرفة أو الغنوسية محل الإيمان كطريق للخلاص، حتى صارت كلمة "غنوسيون" تشير إلى مجموعات من الهواطة. لكن القديس إكليمنضس أعطى للكلمة فهماً مسيحياً جديداً، إذ رأى في الكلمة تعبيراً عن "المسيحيين الذين يعيشون في معرفة الله"، ومنعاً للبس يستخدم البعض العبرتين "غنوسي حقيقي" و"غنوسي مسيحي" تمييزاً عن "الغنوسي الهرطقي".

العلم والإيمان

[في ظني أن كل إنسان عاقل يفكر بأن العلم هو الأمر الرئيسي من بين كل ما هو حسن وفي منال عقولنا. ولا أقول بأن علومنا هي وحدها عالية ونبيلة، لأنها تحتقر أناة الخرج لتتعلق بجمال الأفكار، وإنما أيضاً العلم الذي من الخرج، الذي يرفضه كثير من المسيحيين القليلي التقدير ويعتبرونه خادعاً وخطراً يبعدنا عن الله... فمن هذا علينا أن نحفظ بما يمكنه ان يساعدنا على التأمل في الحق متجنبين كل ما يؤدي إلى الشر والخطأ والهلاك [569].

❖ يهمننا جداً ألا ننكب بجهل على العلوم، وإنما أن نعرف ما الأفيد منها... وخوفاً من أن نتعلق بها وننسى علم الله منغمسين في أبحاث باطلة، يبين من الضروري ان نستعمل التمييز في التربية بطريقة نختار فيها العلم المفيد ونتجنب كل ما هو ضرر وشؤم [570].

القديس باسيليوس الكبير

المعرفة والفلسفة

عالج القديس إكليمنضس السكنوي في كتابه "المتوقفات Stromata" موضوعين رئيسيين، هما علاقة المسيحية بالفلسفة اليونانية، وعلاقة الإيمان بالمعرفة (الغنوسية). لقد أجاب القديس في أكثر من موضع وبشيء من التفصيل على السؤال الذي كان يشغل أذهان المفكرين المسيحيين في ذلك الوقت، ألا هو: ما هي نظرة المسيحية للفلسفة اليونانية (الهيلينية)؟ هل تمثل خطأً على الإيمان المسيحي أم هي معين له؟

القديس إكليمنضس السكنوي - في محولاته لإرساء "غنوسية" مسيحية حقيقية وأصيلية وعملية - يستخدم بصفة مستوة، مصطلح "غنوسي Gnostic" بمعنى "المؤمن الروحاني". فهو لا يفصل بين المعرفة Gnosis والروحانية.

آمن القديس إكليمنضس السكنوي أن دستور الكنيسة والكتب المقدسة لا تتعرض مع الفلسفة، وأنه لا عدولة بين المسيحية والفلسفة. وتتلخص نظرتة إلى الفلسفة في النقاط التالية:

1 - إن الفلسفة ليست عملاً من أعمال الظلمة، بل في كل مذهب من مذاهبها يثوق عليها شعاع نور [571] من اللوغوس... ففي بداية كتابه "المتوقفات Stromata" انتقد القائلين بأن الفلسفة شر، ووعد أنه سيوضح - خلال هذا العمل - أنها من جانب هي "عمل التدبير الإلهي" [572].

في رأيه أن غاية الفلاسفة في كل المدارس الفلسفية هي ذات غاية المسيحية، ألا وهي الحياة السامية، ولكن الفرق هو أن الفلاسفة لم يتمتعوا إلا بقبسات من الحق، أما المسيحية فأعلنت الحق كاملاً في المسيح [573]. الفلسفة - في رأيه - أقل من الحق [574]، لكنها ليست بلا قيمة [575]. لهذا فهو وى الفلاسفة أطفالاً بقوا هكذا حتى جعلهم السيد المسيح رجالاً.

2 - خلال هذه النظرة أراد أن يقدم تعريفاً للفلسفة من وجهة نظره، فقال: "أقصد بالفلسفة لا المذهب الرواقي أو الأفلاطوني أو الأبيقوري أو الأرسطاطلي، بل ما قد قيل بحق في كل المذهب منها، حيث يعلم بالبرّ جنباً إلى جنب مع العلم التقوى. هذا الاختيار الكلى أدعوه "الفلسفة". أما نتائج التعقلات البشرية التي يقطعها البشر ويؤيفونها فليست فلسفة" [576].

كأن الفلسفة في ذهنه تحمل جانبين: الجانب الإلهي هو عطية الله، وهو نصيب من الحق، والجانب البشوي من وضع الفكر الإنساني، يُرى الحق ويفسده، هذا الذي حذر منه الرسول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس (2: 8). رأى في كتب الفلاسفة تناقض في أمور كثيرة [577]، وذلك على خلاف الكتاب المقدس.

أما تعليقه لوجود الجانبين في الفلسفة فيقوم على أساس أن كل ما هو صالح يأتي من قبل الله [578]، قدمه لنا ليس كهدف في ذاته وإنما كبادرة يلقبها اللوغوس على الأرض فتأتي بثمر صالح أو شير، وذلك حسب نوع التربة إن كانت صالحة أو حرجية [579].

خلال هذه النظرة زاه نثرة يدافع عن الفلسفة في جانبها الحق، وأخرى يهاجمها في الشوائب التي دخلت إليها. نثرة وى في الفلسفة تحمل جانباً من الحق، وأخرى واهها تعليماً تمهيدياً للوصول الحق. وثالثة واهها ليست الحق ولا هي الخطأ رابعة أنها مطلوبة لاكتشاف الحق المزيف، وذلك كالصوف الذي يتعرف على العملة المزيفة ليعرف الأصلية.

3 - وى القديس إكليمنضس أن عناية الله لم تتجاهل الفلسفة مطلقاً. ففي رأيه كما أن الله قد أعد العوانيين بالناموس ليقودهم للسيد المسيح، هكذا استخدم الفلاسفة بالنسبة لليونانيين للبلوغ بهم إلى ذات الهدف. لقد استخدم القديس كلمات بولس الرسول مع الإثنيين ليجذبهم للإيمان خلال أقوال شوائبهم (أع 17: 22-28) كمثال حي لتأكيد نظريته.

خلال هذه النظرة رأى بعض الكتاب في القديس أفلاطونياً أو أفلاطونياً حديثاً أو على الأقل مدافعاً عن الفلسفة الهيلينية في المسيحية فيقول Fillinton : "من يعطى اهتماماً لإكليمنضس الإسكندر يمدح بطبيعة مباشرة أو غير مباشرة عن سّر الهيلينية في المسيحية [580]."

4 - أكد القديس بأمثلة عديدة أن اليونانيين قد استعاروا الكثير من العهد القديم [581]. قال أن أفلاطون انتحل رآء موسى والأنبياء، ولو أنه لم يقيمها بطريقة صادقة. كما شبه الفلسفة اليونانية بالشريعة الموسوية، ومع ذلك فكثراً ما أكد أن الإيمان هو أساس كل المعرفة [582]، أعظم منها والحكم عليها [583]، كما دافع عن الإيمان ضد الفلاسفة [584].

5 - إذ عرف القديس العالم بجانبه الوثني والمسيحي، عرف الكتابات اليونانية الكلاسيكية أو اللاهوت المسيحي. لهذا أعتقد أنه ليس من واجب الكنيسة أن تثبط همة الموعوظين عن متابعة واستهم الفلسفة، إنما تستطيع الكنيسة أن تعطى مسحة مسيحية للفلسفة بثقافتها وتعليمها.

لقد أوضح القديس [585] أن الغنوسي أو المسيحي الأمثل يستخدم كل أنواع المعرفة ولا يخاف الفلسفة بل يستفيد منها. حقاً إن الجماهير تخاف الفلسفة بل كما يخاف الأطفال من القناعات لنلا تضلهم الطوبى. لكن المسيحي بالإيمان يقدر أن يعرف الحق ويمزّه؛ يفصل الحق غير المتغير عن الآراء الباطلة، فيكون كالصوف الذي يقدر بخوته أن يفصل العملة الحقيقية عن الوائفة... هكذا لا يندع الغنوسي بالكلمات الوائفة، وكما يصوح داود قائلاً: "البار لا يترجوع إلى الأبد" مز 6: 112، لا بالكلمات الوائفة ولا بالذات الخاطئة. إنه لن يترجوع عن موثته "لا يخشى من خير سوء" مز 6: 112، فلا رعبه افتراءات لا أساس لها، ولا يهتز من رآء باطلة تنتشر حوله.

في نفس الفصل يوضح إكليمنضس أن الغنوسي يستخدم الفلسفة بطريقة صالحة لمعرفة الحق الذي يظهر فيها جزئياً، أما الهواقة فيستخدمونها بطريقة شوية للتضليل. هذا وفي رأيه أن الفلسفة أيضاً قاوة على فضح أخطاء السوفسطائيين وإظهار انواقهم...

❖ الله الواحد الحقيقي هو المصدر لكل جمال، سواء الجمال الهيليني أو الجمال الخاص بنا [586].

❖ كأن الفلسفة اليونانية تظهر النفس وتعدّها لقبول الإيمان، الذي عليه يبنى الحق (المسيح) صوح المعرفة [587].

❖ قبل مجيء الرب كانت الفلسفة ضرورية لليونانيين للبر، وأما الآن فقد أصبحت موصلاً للتقوى، بكونها نوعاً من الترييب الإعدادي للذين ينالون

الإيمان خلال الوهان... لقد أعطيت الفلسفة اليونانية مباشرة، وبطريقة بدائية إلى أن يدعوهم الرب. وكما يقود الناموس العوانيين للمسيح (غلا 24: 3)، هكذا كانت الفلسفة إعداداً، تهيئ الطريق الذين يتكلمون في المسيح [588].

❖ إنه بعد ذلك يدمج الفلسفة ودينها، ليس بصفة شاملة بل بدين الفلسفة الأبيقورية التي يذكرها بولس الرسول في سفر أعمال الرسل (17: 18)، تلك التي تجدد الله القدير وتولّه اللذة [589].

القديس إكليمنضس السكنوي

❖ احذروا لئلا يفسدكم أحد عن الإيمان بالمسيح بفلسفة وخذاع باطل الذي يهمل تدبير العناية الإلهية "بحسب تقليد الناس". لأن الفلسفة التي هي بحسب التقليد الإلهي إنما تطابق وتتبع تدبير العناية الإلهية، والذي إذ أهمل ظهور المخلص بتدبير خلاصه في الزمن كنا منقادين بحسب "رُكان العالم وليس بحسب المسيح" [590].

❖ لأن القديس بولس أيضاً، في رسائله لا يهاجم الفلسفة، بل واهما تقول بمسوى الإنسان ليلبغ المعرفة الخاصة بالعالم. لا يليق به أن ينحدر إلى الفلسفة الهيلينية والتي يسميها بشكل رمزي قائلاً إنها "رُكان العالم الحاضر"، إذ هي ناقصة لم تكتمل بعد، وهي مجرد مبادئ تمهيدية للحق [591].

❖ هل يقول أحدكم إن الفلسفة التي اكتشفها أهل اليونان قد جاءت نتيجة الفهم البشري، إلا أنني أجد الكتاب المقدس يقول إن الفهم هو من الله ذاته. فالنوم يعتبر الفهم أعظم هبة مجانية ويحث المؤمنين قائلاً، بأن داود بالرغم من فيض تجلّبه، ومعرفته، يكتب: "علمني الرقة والحكمة والمعرفة، لأنني آمنت بوصاياك" [592].

❖ بقول الرسول: "بحسب رُكان العالم وليس بحسب المسيح" يؤكد أن التعليم الهيليني (اليوناني) تعليم أولي، أما تعليم المسيح فكمال [593].

القديس إكليمنضس السكنوي

❖ لقد أعطى العلامة توتليان إجابة واضحة وقاطعة اتسمت بالعنف الشديد [594]، إذ يقول: [آية شوكة بين الفيلسوف والمسيحي، بين تلميذ اليونان حليف الباطل وتلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق؟ حتى حكمة سقراط لم تصل إلى شيء يعتد به، لأنه ليس ثمة شخص يمكنه أن يعرف الله معرفة حقيقية بغير المسيح، أو يعرف المسيح من دون الروح القدس، ثم أن سقراط نفسه يعترف أن جنًا كان يقوده ويهتف في قلبه. أما أفلاطون فيقول إنه من العسير أن يجد الإنسان صانع الكون ووالده، بينما أبسط مسيحي قد وجده] [595].

❖ وي توتليان أن الهواطة وجنوا أسلحتهم في الفلسفة، ففالنتينوس أخذ هوطته عن أفلاطون، وموقيون عن الرواقيين والأبيقوريين وغوهم من الفلاسفة. لهذا كثراً ما يردد تليان تحذير معلمنا بولس الرسول: "احذروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة" كو 2: 8.

❖ هكذا يرفض توتليان بطريقة قاطعة أية واسة فلسفية، إذ يقول: [آية شوكة بين أثينا وأورشليم، أو بين الأكاديمية والكنيسة، أو بين الهواطة والمسيحيين؟! تعاليمنا تأتي من رواق سليمان الذي علمنا أنه يجب علينا أن نطلب الله ببساطة قلب كاملة. أنه لأمر رديء أن يقيم البعض مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية. أما نحن فلم يعد لدينا حب استطلاع بعد أن عرفنا يسوع المسيح، ولا نطلب أن نبحث عن شيء بعد الإنجيل. مادما قد آمنا فما حاجتنا أن نؤمن بشيء آخر. إن أول بنود إيماننا هو ألا نؤمن بشيء غير هذا الإيمان] [596].

❖ أما القديس هيبوليتس وإن كان له معرفة أوسع مما لتوتليان لكنه لم يكن متعاطفاً مع الهيلينية أو فلسفتها التي نظر إليها كمصدر للهطقات. لم يحدث أن قصد العلامة أوريجينوس بهذا المصطلح "الروحانية" المسيحية، لكنه كان يستخدم المصطلح "teleios" (البولسي) - نسبة إلى الرسول بولس، بمعنى كامل، أو "pneumatikos" بمعنى روحاني. أما كلمة "gnostikos" فناوة الاستخدام عنده، استخدمها مرة واحدة للتعبير عن "روحاني" في وثيقة بالية، وفي قصد تهكمي موجه للمتمسكين بالنعوسية الزعومة.

❖ قضيت زماناً طويلاً في الباطل، وأضعت تقويماً كل شبابي أبحث عن نوع من الحكمة هي جهالة عند الله. فجأة مثل إنسانٍ قام من نومٍ عميقٍ فتحت عيني على نور حق الإنجيل العجيب، فأتركت عدم نفع حكمة رؤساء هذا العالم التي ترول (1 كو 2: 6). سكبت دموعاً كثوة على حياتي البائسة وطلبت أن أنال هداية كي ألتصق بتعليم الدين الحقيقي.

القديس باسيليوس الكبير

❖ العقل الذي ينسى المعرفة الحقيقية يشن حرباً مع الناس لأجل أمور ضلّة به يظنها نافعة له.

القديس مرقس الناسك

❖ هذا الإنسان إنسان عالمي ينتبه لتعاليم الناس، ضحية الفلسفة، لأنه لا يتصوف في المسيح بملء اللاهوت. [597]

❖ لنلا تضل النفس وتقع في خداع الفلسفة الوثنية، فإنها تقبل الروس الأفضل الذي للولاء الأكمل للإيمان المقدس الذي علّم به الرسول في كلمات

موصى بها [598].

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ نحترس، بوجه خاص، لنلا ونحن نجاهد في طلب للحكمة، التي هي كائنة في المسيح وحده المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة – أقول نحترس

لنلا باسم المسيح ذاته، يخدعنا الهواطة أو أية أخواب فاسدة الذهن ومُحبة لهذا العالم [599].

القديس أغسطينوس

المعرفة والكبرياء

❖ لا يفتخرون أحد إذن بأنه يعلم ووثيق بالمعرفة البشوية، إذ مكتوب حسناً في سفر لرميا: "لا يفتخر الحكيم بحكمة ولا يفتخرون القوي بقوته ولا يتفاخر

الغنى بغناه، بل من يفتخر فليفتخر بهذا، أنه يفهم ويعرف أنني أنا الرب الذي يوّاحم ويدين بالبرّ فوق الأرض" حتى لا نتكل علي نواتنا بل علي

الرب الذي يقيم الميت" يقول الرسول: "الذي خلصنا من موت هذا ثقله حتى لا نتكل علي حكمة الناس، بل علي قوة الله" لأن الروحي يحكم في كل

شيء ولكن لا يُحكم عليه في شيء" وأيضاً أنصتُ إلي كلماته هذه: "إنما أقول هذا لنلا يخدعكم أحد بكلام ملق (مخادع) أو يتسلل أحد ليتلافكم [600]."

القديس إكليمنضس السكثري

❖ حسناً يدعوها الرسول هكذا "العلم الكاذب الاسم" (1 تي 6: 20)، فإنه حيث لا يوجد الإيمان لا توجد المعرفة (الحقيقية) [601].

❖ لا ينبع التصلف عن المعرفة، إنما عن عدم المعرفة، فمن يعرف تعاليم التقوى يميل بالأكثر إلي التواضع. من يعرف الكلمات المستقيمة لا يكون

غير مستقيم، كما يقول: [من يعرف ما لا يلزم معرفته فهو عديم المعرفة، والكبرياء تنشأ عن عدم المعرفة [602].]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هب لي أن أبقى دائماً مع (صفوف الملائكة) في بلد الدهش والعجب في اللامعونة التي تتجاوز كل معرفة، وكل أصحاب المعرفة [603].

الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

المعرفة والدينونة

❖ من العدل أن من يستمتع بنصيب أوفر من المعرفة ينال نصيباً أشد من العقاب إن تعدى الناموس. ومن ثمّ، يكون عقابنا أشد كلما زدنا في الحكمة

والسلطان. إن كنت غنياً يُطلب منك العطاء أكثر من الفؤاء، وإن كنت صاحب حكمة أوفر تلقوم بالطاعة أكثر من غيرك، وإن نلت سلطناً يلزمك تقديم

أعمال أكثر بهاء [604].

القديس يوحنا الذهبي الفم

المعرفة والتأمل في الإلهيات

❖ ليس للسان سلطان أن ينطق بكيفيتها (الأسوار الإلهية)، إنما ينظرها العقل الطاهر وحده، وبها يتنعم ويفرح بنظرها، ويتعجب ويبتهج بوجودها،

ويذهل ويُسر باستعلانها له؛ ويذهل ويُختطف منهما إلى داخلهم.

وفي الله يُبتلع ويُسبى بنظر جماله، ويتحد بمجده وينذهل.

ليس من دخل إلى هذا وينظر إلى ما يُرى ههنا بشهوة.

ليس من يتلذذ بهذه (الأسوار)، وينوق أيضًا حلوة شيء مما على الأرض.

ليس من ينظر جمالها وينظر إلى جمال شيء مما في عالمنا أنه حسن.

ليس من استغنى بوجودها ولا يستخف بالوهم كالأبل.

ليس من استأنس بوجودها وسكر بالهذيذ بها ولم يمقت في عينيه جالة الناس وأنسهم.

ليس من انطلقت في نفسه وفي عظامه محبة المسيح ويقدر أيضًا أن يحتمل قنطرة الشهوة المونولة.

ليس من صار رقيقًا للملائكة واستأنس بأسورهم ولم يردل رفقة العالم ومكائده.

ليس من سُبى عقله بجمال رب الكل، ويقدر أيضًا أن يسيبه شيء مما في هذا العالم بشهواته.



ليس من ربط عقله بالله والاهتمام به، وينحل أيضًا من شيءٍ ويرتبط بالهم به



طوباك يا من هو في لجاج النور طائر بأجنحة الروح القدس، وهو محبوب في العمق الذي يحبس العقل، والذي أعماقه لا تُترك

الشيخ الروحاني (بوحناء الدلياتي)

معرفة الله الساكن في القلب

❖ إن ينظر الإنسان إلى الله اللانهائي... هذا ذكر مستقيم حقًا. إنه يزع الأهواء، يطرد الشياطين، وينير العقل، ويطهر القلب.

أما إن طلب الإنسان حياة الله في داخله، فهذا أفضل مما سبق. إن كانت العوالم كلها مليئة بالحياة وهو خالٍ منها، فما هي المنفعة التي تأتيه من



الخرج؟ وإذا كان مليئًا بالحياة، بماذا يضره الموت الذي هو خراج عنه؟

❖ أنظر إلى الله في ذاتك، وأنظر كيف أن الله هو نور!

إن طبيعته هي نور ممجد نور أشعة وفرة. وهو يظهر نور طبيعته إلى كل من يحبونه في كل العوالم، أعني مجده لا طبيعته؛ وهو يحول

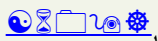
صورة الذين يرونه إلى صورة مجده.

أنظر إلى نفسك وأبصوه فيها، في ذاتك، متحدًا بك كاتحاد النار بالحديد في داخل الكور، وكالوطوية في جسمك.



عندما تنظر إليه وهو متحد بك هكذا، يسبى ذاتك من أمام ذهنك لكي يتراءى وحده لذهنك

❖ إن سألك عن رؤية الأقانيم الممجة، لا تستطيع خليقة أن تتكلم عنها. بالرغم من أن الأتقياء يرون كل واحدٍ منها وفق نقاوتها الصافية. ورغم أن



القوة الرائية هي فيهم بحسب قوتهم، فهي قوة في طبيعتهم للتعريف بالكلمة، مع هذا نضع علامات ضعيفة لإنارة المظلّمين أمثالنا

❖ الذين يريدون بوقاحة سبر جوهر طبيعته التي لا بداية لها يقتنون الهلاك لهم من سؤمهم. ويتلقون من تجلّتهم الويل والعرلة والتهديدات!...

لا تفصل نفسك عن الحياة!

لا تسقط في اليم لئلا تهلك.

بل نظم مسوك، واعدله، واقتن منه الحياة إلى الأبد...

إن كنت لا تستطيع أن تعرف نفسك، كيف تستطيع أن تسبر جوهر طبيعته خالقك؟!



أيها الفاحص المنافق، انحن من كبريائك لئلا تسقط في الغمر الذي ليس له سندٌ لنزولك!

❖ ليس من أحدٍ يشخص إلي ذاته دائماً إلا وبقتي النقوة التي ترى الله في زمن قصير.

من ينظر إلي الله في داخله، ينظف نفسه من القنطرة، ولن يستطيع الشيطان أن يزرع الأهواء في قلبه. وإن زرعها تتلف سويلاً. فإن ذكر الله وذكر الأهواء لا يمكنهما أن يقطنا في مسكنٍ واحدٍ.

❖ الذهن الذي في طياته يطلب الله يصبح بنفسه هراً وي الله فيها.

المجد لذلك الذي يُظهر مجده بالذهن الملهب برويته. لكي واه ليهجته. لا يأتي من مكانٍ ما ليؤاءى له، بل يختفي فيه ويختبئ. وما أن يجده مجاهداً ومتعباً في طلبه، وهو يوماً في فكه، ومتعطشاً إلي رؤيته، حتى يشوق به جماله المجد الذي كان مختفياً فيه، ويعزبه. هذا هو الذي يجد الملكوت، وقد كان مختبئاً في داخله.



هذا هو الكنز المخفي في الحقل، والذي يجده هراً من يتوك كل ما يمتلكه (مت 13:44)

❖ طوبى لمن يشخص إليك علي النوم، يا فودوسي الذي تراءى في!

ويا شجرة الحياة التي تلهبني في قلبي شوقاً إليه، وتُغير وجهي بقوة محبته، وتقيم بالدهش الذي تنوره أشعه جماله!

طوبى لمن يطلبه يوماً في ذاته، إذ منه تحوي الحياة لتطيبه (يو 7:38)!

طوبى لمن يحمل ذكرك في قلبه في كل أن، إذ أن نفسه هي أيضاً سكوي بحلاوتك!

طوبى لمن هو شاخص إليك علي النوم في داخله، إذ يستتير قلبه لرؤية الخفيات!



طوبى لمن يطلبك في ذاته إذ أن قلبه ملتهب أيضاً بنلك، وجسده منقذ مع عظامه بقوته المطهرة!

❖ تغويه برويتك في كل حين.

عندما يأكل وراك في مأكله، وعندما يشرب تشع في شوابه!

عندما يبكي تشوق في دموعه.



أينما نظر وراك، ففي كل موضع تريده من تطويباتك

❖ لأن الرؤية لا يمكن أن تتحقق في ذلك النور الذي تشكل أشعته الساطعة مانعاً، يقولون أنك غمام وضباب، وإن غماماً منوراً يحيط بك (مز 79:2)،



وإنك تمنع نظر محبيك عن التطلع بإفراط لرؤية طبيعتك المخفية

❖ إنك، أيها الصالح في كل محبيك، لأنهم يجدونك في الدهش الذي لا يُوصف، في مجد بهاء جمالك، وفي قوة طبيعتك، وفي معرفتك التي هي أعلى

من الكل.

أنت موجود بكلك في كل محبيك، بكل ما لك، وفي كل واحدٍ منهم.

أنت بكليتك لكلٍ منهم بالكمال بغير نقصان، مع أنه لا يقدر أحد أن يمتلكك كلياً.



المجد لكمالك الذي يضبط كل الكمالات، ولا يستطيع أحد منها أن يحدك



❖ المجد لذلك الذي وهب من حكمته لخاصته، مظهراً جماله لأجل تلذذ محبيه

❖ تأمل في ذاتك قليلاً ليشوق فيك الشعاع الموح، لاسيما حين تقع علي وجهك، فإنه لا يوجد وقت مثل هذا فيه ترى ذاك الذي وي الكل. فإنه يظهر



لمحبيه، ويوفر لهم الصالحات



❖ اكشف ما لك للخفي، فيكشف هو ما له



❖ طوبى لمن وي ذاك البلد من ههنا، ومنه ينطلق إلي بلد الأواح، إلي البلد الذي لا تغرب شمس



❖ طوبى لمن ينصت ويسمع أسرار الروح الخفي ويكتمها في نفسه .

❖ يا إلهي وحياتي! لقد سُبِي فكوي بالحديث معك، فإنه ليس لي من أتحدث معه خلجًا عنك!

ماذا أفعل؟ نفسي عطشي إليك، ولحمي يبتغيك (مز 2:63).



بالحديث معك يمكن الصعود إليك، وبالتفكر فيك توهب رؤية وجهك .

❖ إن كنت تحزن في طلبه، فستبتهج بوجوده!

إن كنت تتألم لكي تتظوه بالدموع والضيق، فإنه يظهر لك حُسنه (جماله) داخلك فتتسى أحرانك!

لا تطلبه خلجًا عنك، ذاك الذي مسكنه وموه في داخلك! من رأى حكيمًا يطلب نعيمه خلجا عنه؟!

كيف تليق لك الحياة خلجًا عنك؟!

لمن أنت تخدم؟ لمن أنت تصلي؟ قدام من أنت تصوخ؟

لمن تدعو قائلاً: "أبانا أسوع لمعونتي؟" قدام من أنت تسكب دموعك؟ أليس قدام ذاك الذي به تحيا وتتحرك؟!

ولكن لماذا لا تشعر بنعيمك في داخل نفسك؟ أليس لأتلك لم تخط أعمالك به؟

إذا جلست، أنظر شعاعه متحدًا بك...

وإذا قمت فيبغمام مجده تطهر...

وإذا مشيت رفع الأرض عن نظوك، واجعل مسلكك في نور الرب كموضع نقي...

وإذا نمت فبلجج نوره تغطي...

وفي شوبك ازوج شوابك بمنظر محب الكل...

طرز مع الطير في جو طهرته، ومع السمك اسبح في عمق عظمته، من الحديد في الكور تعلم سر اتحاده بالنار، ومع نسيم فمك تستنشق نفسك خليلها، مع الروحانيين قدس في السماء داخلك، وهناك انظر مسكنه.

❖ آه ما أعجب خفاياك يا إلهنا. وما أعظم من يؤمن بها. نسيت ذاتي بهذيذ أولئك القديسين، الذين لست أنا واحدًا منهم.

أجاهد أن أمسك الله القوس، فلا يُمسك.

أصوره فلا يتصور.

إذ أنا مملوء فحينئذ أنا فرغ، وإذ أنا ماسكه ليس هو،

وإذ أنا ساكن فيه، وهو في يسكن.

وإذا هو مخفي عني، أنا مخفي فيه.

وإذ أردت أن أطلبه، أبصوه داخلي.

ومن أي موضع،.. وإلى أي موضع أذهب به، لا يتروكني.

وإذ أنصت إليه يتكلم معي.

وإذا التمسته لا يتحرك...

السبح لك، إنك مخفي عن الكل، ولمحببك تشرق بلا انقطاع!

السبح لك، وعلينا رحمتك إلى الأبد آمين.

❖ ربي وإلهي... لم تقدر يميني أن تَوسم أسورك بالصور، ولكن مثل حكيم أتقدم لأكتب...

أتقدم الآن إليك وأنتعم! نصدع إلى جبلك المقدس لننظر حسنك (جمالك) الممجد.

نورك مسبوك، كثير الإثواق، عجب الإحسان، يبهر ناظويه.

يلقبونك "بحراً" و"ينوع كل العالم". عظمتك تحبس كل عمق عميق.

يشبهونك بالنار، لأنها تعطي نون أن تنقص، تطهر ولا تتسخ.

❖ قال لي إنسان: إنه بينما يكون في بدء الصلاة أو عند نهايتها، ينسى ذاته وكل ما له ويتعجب ويتلذذ بجمال خالقه.

من يفهم فليفهم، وكل من لا يفهم فليعطه الرب أن يترك.

❖ ما أشهاك وأحبك أيها الطفل (يسوع).

شهوئك تسبي النفوس.

خرجت نفسي وراءك، إذ فيك تشخص داخلها، ولها يشوق جمالك.

أنت حسن.

أنت محبوب مثل أبيبك.

أنت حلو لذيد، مذاقك لا يعرفه إلا من ذاقك فقط.

استنشقت رائحتك الطيبة، وقلبي تلذذ في، وليس من يقدر أن يفسر.

❖ طوبى لمن في شربه واك مخلوطاً، يشرب ويبتهج قلبه بمحبتك.

طوبى لمن دخل إليك، ونظر منظرك العجيب، وتعجب بجمالك البهي الذي ينبع داخله.

أحدت قلبي على القلم، كدت أكسوه، لأنه لا يقدر أن يصور الجمال العجيب الذي أنظره، أنهار مياه الحياة التي تجري من ينوع الطوبى...

كل عقل كثير الكلام، إن دخل إلى هذا البلد، يلتمس السكوت عن الكلام والحركات لاندهاشه بالأسوار.

هنا يظهر الله جماله لمحبيه.

هنا تبصر النفس ذاتها والمسيح المشرق فيها، ويبهجها منظره.

هنا الثالث القوس بالسرر وى.

❖ احترق القلم من حدة نرك يا يسوع. ووقفت يميني عن الكتابة. استضاءت عيناى بشعاع جمالك. وذهبت من قدامى الأرض وكل ما عليها.

دُهِش ذهني بالعجب الذي فيك.

اشتعل اللهب بعظامي.

وانشقت الينابيع لتسقي جميع لحمي لئلا يحترق...

❖ لسبح لك، فكما أنك عجب، عجيبة هي أيضاً أسورك. طوبى لمحبيك الذين بجمالك يضيئون كل ساعة.

❖ قبل أن أخرج من هذا الجسد، أعطني يارب جمال منظرك للأكل، ورؤيا أسورك المخفية فيك بحضن جوهيتك للشوب الموح.

❖ طوبى لمن سكروا بمحبتك يا إلهي، لأن بسكوهم بك استمتعوا بجمالك. نُقْ يا أخي، وانظر حلوة أبنينا الصالح ومقدار لذتها.

❖ أما أولئك الذين لم يجربوا لذة السكر بالله والتمتع به، فهم مساكين تعساء.

لقد أعطى الله محبته طيباً يسكوهم به ويلذذهم. هو بذاته يوح، وبهم أيضاً يبتهج. هو هو عرسهم، وحجلة فوحهم. ينظرونه في داخلهم

فيبتهجون. يشوق فيهم من هو في داخلهم، ويدهشهم بجماله.

❖ المحبة نار تشتعل بالقلب، صاحبها قائم في خدمته بوح.

إني هرات كثرة سمعت إنساناً من الإخوة، حين كان يسكر بمحبة المسيح، لم يكن يقدر أن يمك نفسه من النار الإلهية المتقدة في قلبه، ومن ابتهاج قلبه النابع عن إثواق سبوح الله... كان يصوح ويقول: "آه. ألهبتي محبتك يا إلهي. اضمحلت حياتي بمحبتك ياربنا ولم أقدر أن أصبر". وكان أيضا يصوح ويقول هرات كثرة: "طوبى للذين هم سكرى بمحبتك ياربنا. آه لحسنتك الذي لا يُنطق به، أيها الآب أبي". ❖ **سبّح من قلبك بغير انقطاع** ، واخلط كل أعمالك بذكر الله. هذا هو العمل الذي يُظهر لك وجه الله. وهذا هو الأجر الذي يناله كل من يصلي لله خفية. ادخل إليّ مخدعك وصلّ خفية حيث أبوك الخفي، أما أجرة المعلن فهو إثواقه في النفس. [623].

الشيخ الروحاني (يوحنا الذلياتي)

<<

الأصْحاحُ الثَّانِي عَشَرَ

نظريات وحقائق

في دهشة مع مودة تطلع أيوب إلى أصدقائه المتشامخين بحكمتهم البشوية، الذين فيما هم يعزونه يسخرون به، وكأنه قد صار أضحوكة في أعينهم. هنا في قوة يصوح أيوب قائلاً بأن ما لديهم من حكمة ليس بالأمر الفريد. إنه كإنسان يشركهم حكمتهم الموهوبة للبشوية من الله، لكن لا يشركهم قسوة قلوبهم. الطبيعة ذاتها تشهد لله أفضل منهم، تشهد لرعايته الفائقة وسلطانه. أخوا يترك أيوب أن حكمة الله تفوق كل فكر بشوي، ليس لإنسان أن يحصر خطة الله ويحللها بفكره المحدود.

في الأصحاحات 12-14 يجب أيوب على صوفر في شيء من الإطالة، وكعادته بعد مناقشته لأصدقائه يلتفت إلى الله ويوجه عتاباً له في دالة. في نهاية النورة الأولى ي وبخ أيوب أصحابه بقسوة، بسبب غرورهم بأنفسهم، ويتهمهم أنهم يرفضون مواجهة حقائق الحياة. يعلن أيوب في هذا الأصحاح أنه عرف بالإجابات المتعرف عليها [3]، لكن ما يحتاج إليه من أصدقائه هو الحنو واللفظ. أوضح أصحاب أيوب رأيهم في سياسة الله، وهو أن الأثوار يتألمون لا الأوار، وأيوب يريهم أن الأمر بعكس ذلك، أي أنه يغلب أن يكون الأثوار ناجحين مطمئنين [6].

أعلن أيوب أن الحكمة التي افتخروا بها ليست لهم وحدهم، وكل الذين لهم عيون يستطيعون أن يروا أعمال الله مع وحوش الحقل وطيور السماء وأسماك البحر، وأنهم يعرفونه. يستمر في الحديث بأن الطبيعة تشهد لله واهب الحياة [7-10].

لا ينكر أيوب أهمية الحكمة التقليدية [11-12]، لكنه يكشف أنها أحياناً تعجز عن تفسير ما يحل بنا [13-25].

1. إساءة حكمهم عليه 5-1.
2. ليس بالضرورة يهلك الأثوار في العالم 11-6.
3. حكمة الله وسلطانه 25-12.

1. إساءة حكمهم عليه

فَقَالَ أَيُّوبُ: [1]

صَحِيحٌ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ شَعْبٌ،

وَمَعَكُمْ تَمُوتُ الْحِكْمَةُ! [2]

يوبخ أيوب أصدقائه لأنهم غير حكماء:

وَأولاً: لأن قسوتهم هربت منها الحكمة . هذا التوبيخ مُوجه إلى كل من يتكبر ويستخف بأخيه، خاصة في وقت آلامه. هذا الذي لا يعرف أن يضع حدوداً للتوبيخ، كما الذي لا يعرف أن يختار الوقت المناسب. "الإنسان الحكيم يسكت إلى حين، أما العاتي والجاهل فلا يبالي بالأوقات" (سواخ 20: 7).

ثانياً: لأنهم يتوهمون أنهم شعب يحتكر الحكمة ، وأن حكمهم هو الأمثل والأعلى، الذي به يُقاس كل شخص ويُحكم عليه. لهذا يحزننا الكتاب المقدس من السقوط في هذا الوهم، حين نحسب أنفسنا حكماء في تشامخ وكوياء. "لا تكن حكيمًا في عيني نفسك، اتق الرب، وابتعد عن الشر" (أم 3: 7). "رأيت رجلاً حكيمًا في عيني نفسه؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به" (أم 26: 12). "الرجل الغني حكيم في عيني نفسه، والفقير الفهيم يفحصه" (أم 28: 11). "هكذا قال الرب: لا يفتخرون الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه" (إر 9: 23).

❖ كن جاهلاً في العالم كما يوجهك الرسول فتصير حكيمًا. لا تتحيز (وأيك) ولا تصدر حكمًا من ذاتك فيما تسأل فيه، بل اظهر الطاعة علي النوام بكل بساطة وإيمان. اهتم فقط أن تكون هذه الأمور مقدسة ونافعة وحكيمة، إذ تعلن عن شريعة الله، وتكشف عن رأي أبيك الوحي في تلك الأمور [624].

القديس يوحنا كاسيان

ثالثاً: لأنهم ظنوا أن بعد موتهم تموت الحكمة ، ويُحسب كل البشر بدونهم جهلاء. بعد أن تغرب شمسهم يسقط العالم في ظلمة الجهالة. من الحماسة أن نتوهم أن موتنا يسبب خسارة كبيرة، وأنه لا يمكن الاستغناء عنا، فإن الله قادر أن يقيم من بعدنا من هو أكفأ منا. موت الحكماء والصالحين لا يعني موت الحكمة والصلاح.

رابعاً: عدم الاعتدال في السلوك تحت ستار الحكمة يحول حتى ما هو صالح إلى الهدم لا البنين. "لا تكن بلًا كثيرًا، ولا تكن حكيمًا بزيادة، لماذا تخرب نفسك؟" (جا 7: 16)

خامساً: رى البابا غريغوريوس (الكبير) وغوه من الآباء أن أصدقاء أيوب يمثلون الهواطة الذين يعتمدون على حكمتهم البشرية وإمكاناتهم الفكرية والمادية والاجتماعية في تشامخ وعجرفة، مستخفين بالفكر الكنسي الروحي.

"أين الحكيم؟ أين الكاتب؟ أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم؟" (1 كو 1: 20)
"لا يخدعن أحد نفسه، إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا" (1 كو 3: 18).
"من هو حكيم وعالم بينكم، فليبر أعماله بالتصوف الحسن في وداعة الحكمة" (بع 3: 13).

❖ يتكلم أيوب مندهشاً... كأنه يقول: هل كرامة الكائنات العاقلة بالحقيقة مرتبطة بكم؟

هل تعرفون حكمة الله من جهة الخطاة والأوار؟

هل يناسب البشر أن يعرفوها؟

هل تعلمون أن الله يمتحن الأوار (ابن سواخ 2: 5)، مؤكداً طول أناته على الخطاة؟ (ابن سواخ 2: 11)

هذا هو السبب أن البعض في رخاء وآخرين في تجربة، لأنه بالنسبة للبعض، فإن طول الأناة تودهم للتوبة (حز 33: 11)، بينما بالنسبة لآخرين فإن الصواع (مع التجربة) يمدهم بالإكليل (1 كو 9: 25). إن فهمتم هذا لا تعولوا تدينون البار الذي في تجربة، ولا تحسوا الخاطي الذي في رخاء كما لو كان بلًا. لكن ليحكم على كل واحدٍ حسب أعماله، إن عوقبتم هذا، فلا يليق بكم أن تتطقوا بهذه الكيفية في الدينونة القادمة...

هل حكمة هذا العمل يمكن أن تموت مع الناس؟ أين هو الفلك؟ أين هو التكهن بواقبة طوان الطيور؟ أين هو السحر؟ أين هي الوافاة؟ في هذه تجد الحكمة الدنسة المستتبطة من الغبولة الخداع. أو هل مثل هذه الحكمة تبقى حية هنا أسفل؟

حكمة الله، على العكس توافق من يطلبها، إذ تتوافق مع الترب على معرفة الله وناموسه. بهذا يرى الإنسان أمرين بكل بوضوح: مجد الله، وقوة الناموس المعطى لنا.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كل الأشوار، وكل الهواطقة لا يخشون أن يعلموا من هم أفضل منهم بلهجة شديدة، إذ يرون في الكل أنهم أقل منهم. أما الكنيسة المقدسة فتدعو كل متشامخ في الفكر، وكل معتد بذاته، لتجدده بروح التعقل بالارتباط معًا في مسلواة. أيوب الذي هو عضو في ذات الكنيسة المقدسة، إذ رأى أصحابه في زهو ينطقون بكلمات ضخمة في التعليم أجابهم قائلاً: "صحيح إنكم أنتم شعب، ومعكم تموت الحكمة" [2]. فمن يظن أنه يسمو على كل البشر في قوة التعقل ماذا يفعل مثل هذا الإنسان سوى أنه يفتخر بأنه "الإنسان الوحيد"؟ غالباً ما يحدث أنه ينتفخ العقل بالكروياء بتعالٍ محتقواً كل البشر ويكون معجباً بنفسه. فإن إطاء الإنسان لذاته ينبع عن الوهم في غبولة مغتواً بذاته، كمن هو وحده له الحكمة. يفكر في كل ما يقوله ويعتز بكل ما ينطق به، معجباً بذاته ومستخفاً بكلمات الآخرين. إذن من يظن أنه وحده هو الحكيم بالحق ينحصر في ذاته الضيقة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ واضح أن الوسل الكذبة كان لديهم موهبة البلاغة التي نقصت بولس. ولكنه لا يعني شيئاً مادام جوهر الكورة قائماً، وتلقي ظلاً على مجد الصليب، فهذه (البلاغة) ليست إلا مظهرًا جذاباً [625].

❖ هنا يتهم بولس المعلمين الكذبة ليس فقط أنهم يفتخرون بمبالغة، بل ويدعون أن لهم الفضل خلال أتعاب الآخرين [626].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ اختزع (الشيطان) الهراطقات والانشقاقات لكي يتلف الإيمان، ويفسد الحق، ويحطم الوحدة. وإذ يعجز عن أن يحفظنا في طرق الخطأ الجديد المظلمة يسحبنا إلى متاهة جديدة للخداع.

إنه يصطاد الناس بعيداً عن الكنيسة نفسها، وإذ يظنون أنهم اقتربوا من النور وهربوا من ليل العالم يغرهم في ظلمة جديدة وهم غير متركين لها.

ومع أنهم لا يتمسكون بالإنجيل ونظام المسيح وناموسه يدعون أنهم في النور خلال مدهانات العدو المخادعة، هذا الذي يقول عنه الرسول أنه يغير نفسه إلى شبه ملاك نور ويزين خدامه كخدام للبر.

يدعون الليل نهلاً، والموت خلاصاً، واليأس رجاءً، والخيانة أمانة، وضد المسيح المسيح، ويثبط الحق بالخداع بإواز الحق بصورة كاذبة.

هذا هو ما يحدث يا إخوتي عندما لا نعود إلى ينوع الحق، عندما لا نتطلع إلى الرأس ونحفظ التعليم الصادر من السماء [627].

القديس كيريانوس

عَيزَ أَنَّهُ لِي فَهَمٌ مِثْلَكُمْ.

لَسْتُ أَنَا نُوتِكُمْ.

وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِثْلُ هَذِهِ؟ [3]

لم يكن من قبيل الافتخار أن يقول لهم: "لي فهم مثلكم"، وإنما أراد منهم ألا يسقطوا في العجرفة، كأن معرفة الأسوار الإلهية خاصة بالنسبة لحكمة الله في عنايته بالخليفة وفي تعامله مع الأشوار والصالحين قاصوة عليهم نون سواهم. فهو ليس بأقل منهم في المعرفة، وربما كثيرون لهم ذات المعرفة.

المعرفة.

غايته هنا أن يكتفم كبرياءهم لا أن يفتخر بمعرفته ويتكبر. جاء في الترجمة السبعينية: "غير أن لي قلب مثلكم".

❖ **LXX** "غير أن لي قلب مثلكم" [3]. يقول: "إني أعرف كيف أفكر تمامًا مثلكم، علاوة على ذلك لي قلب إنسان مثلكم. لكنكم أنتم أظلمتم قلوبكم، أما أنا فجعلته مثيلاً بناموس الله. هذا هو السبب، بالرغم من أن لي قلب مثلكم، غير إنني أراه، هذا الذي لا تقدر أن تروه. فإني لا أدهش إن كنتم تسخرون بي.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "غير أنه لي فهم مثلكم، لست أنا دونكم" [3] من يجهل مدى عظمة الطوبوي أيوب وخوته التي تفوق معرفة أصحابه؟ الآن لكي يصلح من كبريائهم يؤكد أنه ليس بأقل منهم، ولئلا يخطئ، فيتعدى حدود تواضعه احتفظ لنفسه بأنه أسمى منهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ما أجمل أن يشعر الإنسان بشوكة البشوية في التمتع بالعقل والفكر وأيضاً العواطف والقلب، كل حسبما وهبه الله لمجد الله وبنيان الإنسان وبنيان الجماعة. لكن الذي يميز الواحد عن الآخر تقديس ما قد تسلمه من يدي الله بعمل روح الله القنوس، وإضوام هذه العطايا بأمانة واجتهاد حسب مشيئة الله، هذا التقديس لن يتم قسراً بغير رادتنا، كما لا يتمتع به غير المتواضعين.

❖ أعطى الله الطبيعة العاقلة نعمة حرية الإرادة، وأنعم على الإنسان بالقوة على تحديد ما يريد حتى يسكن الصلاح في حياتنا، ليس قسراً ولا لارادياً بل نتيجة للاختيار الحر. إن تمتعنا بحرية الإرادة يؤدي بنا إلى اكتشاف حقائق جلية. في طبيعة الأمور إذا ما أساء أحد استخدام مثل هذه الإرادة الحرة فإنه بحسب كلمات الرسول يصير مثل هذا الشخص مخوفاً لأعمال شوية (رو 1:30). كل من هو من الله يُعدُّ أختاً لنا، أما الذي يرفض [628] الاشتراك في أعمال الصلاح يتم ذلك بكامل رادته.

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ليعطنا الرب الإله نعمة التواضع التي تقتلع الإنسان من أمراض كثرة وتحفظه من تجرب كثرة [629].

الأب دورثيوس من عوة

❖ من يعرف وهن الطبيعة البشوية ينال حوة قوة الله.

الأب مكسيموس المعترف

رَجُلًا سَعُوَّةً (أَضْحُوَكَةً) لِصَاحِبِهِ صِرْتًا.

دَعَا اللَّهَ فَاسْتَجَابَهُ.

سَعُوَّةً (أَضْحُوَكَةً) هُوَ الصَّدِيقُ الْكَامِلُ [4].

اكتشف أيوب أنهم يعاملونه بزوراء شديد، يحقرون من شأنه، ويديسون عليه كما لو كان موضوع سخريتهم، أو تسليتهم عوض مسانذته في

جدية.

حقاً لقد جاوا لتغريته ونصحه، لكن أسلوبهم في النصيح تحول إلى نقدٍ لاذعٍ، أساعوا إليه في محنته. وكان يمكن لأيوب أن يقبل هذا من أعداء شامتين فيه، أما أن يصدر عن أصدقاء أعواء فيصعب احتمالها. "لأنه ليس عدو يعورني فأحتمل، ليس مبغضني تعظم عليّ فأختبئ منه، بل أنت إنسان عديلي، أليفي وصديقي" (مز 55: 12-13)، وفي هذا كان أيوب رمزاً للسيد المسيح الذي قيل عنه: " ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي" (رك 13: 6). أما ما زاد جرحه ليس فقط أنهم أصدقوه، وإنما هم شوخ قادة للشعب ومتدينون. كان يود أن يصلوا من أجله لدى الله فيستجيب لهم، وإن يطلوا المشورة من الله، فيقدموا كلمات تغوية من عند الله عوض التوبيخات المؤلمة للغاية. هذا هو نصيب الأنبياء والرسول وكل رجال الله وكل الصديقين أن يسخر منهم حتى من القويبين منهم.

❖ كلما اقتنى القديسون حُبًا لله أعظم يحتملون من أجله كل شيء .

القديس أغسطينوس

❖ "نعم يُسلم الصديق الكامل للسخرية" [4]. لا يسخر به كل أحد، بل يسخر به الخطاة (حك 5: 3)، لا يسخر به العقلاء بل السكلى، فإن من عادة السكلى أن يسخروا بالعاقلين. هذه حقيقة غالبًا ما يسخر الأطفال بالشيوخ. هكذا الخاطي يسخر بالصديق (إر 20: 7-8)، فإنهم يزرعون بدموعهم وآلامهم (مز 126: 5-6). لا يفكر الخاطي في الثمار القادمة وأن الصديق يعبر من الدوح إلى الفوح، ومن الألم إلى كرامة فائقة، وأن أخزان الصديق تبقى فقط إلى حين (2 كو 4: 17-18).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ بينما يوبخ الأشرار نفوس الصالحين، يُظهرون من يوبخونهم بأنهم شهود عليهم. بينما النفس التي تثن تحصر نفسها في الصلاة، تتحد في داخلها لتسمع العلي، وذلك بذات العمل الذي تعاني منه من اعتداد الناس... لأن سخرية زملائه المخلوقين له تجعله قريب الله (صديقه)، هذا الذي واءته تجعله متغيبًا عن شر زملائه المخلوقين...

إنها حكمة الأوار التي تجعلهم لا يطلبون الظاهر في شيء، بل يدركون المعاني بالكلمات، يحبون الحق كما هو، متجنبين الوهو الباطل. لا يملسون الأعمال الصالحة ليحملوا شر (الكوياء)، فيجدون فيه بهجة أكثر من بهجة مملستها.

إنهم لا ينتقمون للضرر، حاسبين كل إهانة من أجل الحق مكسبًا!

لكن بساطة الأوار هذه يضحك عليها (الأشرار) في استخفاف، فيحسب حكما هذا العالم صلاح النقوة جهالة. فإنه دون شك كل ما يملس في واءة يحسبونه غبوة، وتبدو لهم ممرسة كل قوانين الحق ضعفًا بالنسبة للحكمة الجسدانية... أما بالنسبة للديان الخفي فمثل هذا (المتسم بالواءة) مشرق بالفضائل، مملوء بهاء ينبع عن استحقاقات حياته. إنه يخشى أن يُكرم، لا ينقبض عندما يُحتقر، يرب جسدته بالعفة، خصب بالحب وحده في النفس... يتهلل عندما يُستم، ويتحنن على المنكوبين من قلبه، ويوح لنجاح الصالحين كأنه نجاح له. يتأمل بدقة مؤونة الكلمة المقدسة في القلب، وعندما يُمتحن يوجد بلا خوة في إعطاء إجابة مزوجة. إنه مصباح، لأنه يضيء في الداخل، يسخر منه لأنه لا يضيء في الخارج. في الداخل يتلألأ بلهيب الحب، وفي الخارج يشوق دون بهاء المجد (الباطل). إنه يُشوق ويُحتقر، هذا الذي يتلألأ بالفضيلة ويحسب محتوًا.

هكذا كان القديس داود يتطلع إليه والده باستخفافٍ عندما رفض أن يقدمه أمام عيني صموئيل النبي، وذلك عندما قدم أبناءه السبعة لئوال عطية المسحة. وعندما سأله النبي إن كان قد جاء بكل أبنائه، أجابه في استخفاف: "بقي بعد الصغير، وهوذا رعي الغنم" (1 صم 16: 11). وعندما أحضره وأختير سمع الكلمات: "الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب" (1 صم 16: 7).

وأيضاً الكارز البولع قلل من مجد رسوليته أمام أعين الناس، قائلاً: "ولا استخدمنا السلطان حين كنا مثقلين بكوننا رسل المسيح، بل جعلنا أنفسنا أطفالاً صغراً بينكم" (إجع 1 تس 2: 6-7).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِلْمُبْتَلِي هَوَانٌ فِي أَفْكَارِ الْمُطْمَئِنِّ،

مُهَيَّبًا لِمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ [5].

وردت في الترجمة الإنجليزية:

He that is ready to slip with his feet is as a lamp despised in the thought of him that is at ease. (Job 12:5 KJV)

كأنه يقول إن الذي تول قدمه يسقط في المتاعب حتى وإن كان كسواحٍ فيما قبل. يُنظر إليه كسواحٍ انطفاً، وكفتيلة نلقياها على الأرض وتندوسها

بأقدامنا.

هذا ما يمرر نفس أيوب أن الذين في رخاء وشبع يحتقرون المحربين والمتألمين والجاثعين.

❖ **LXX** " في الوقت المعين يكون مستعدًا أن يموت بضربات الغريب؛ وى بيته يهدمه الأثوار " [5].

"في الوقت المعين"، أي فوع من الزمن؟ كما يعين الله الزمن، هذا الذي يغير الساعات والأرمنة حسب مشيئته، محرًا كل واحد هنا وهناك.

إنه ذاك الذي يعرف حدود البشر المنغمسين في التجربة، وإلى أي مدى يمكنهم أن يحتملوا التجربة.

إنه يحدد وقتًا " ليموت بضربات الأعداء"، بمعنى أن الصديقين يُساء معاملتهم بواسطة الأثوار. بمعنى سيعلن بأية معاملات يسيء الأثوار

للصديقين، وكيف يعبرون حياتهم في رفاهية. أما بالنسبة للصديقين فمن الواضح كيف يعيشون في ماثورة (يع 5: 11)، وكيف يحتملون أخوانًا هنا على

الأرض.

إنه ليس اعتبارًا يسمح الله للأثوار أن يدمروا بيوت الصديقين، لكنه لا يتخلى عن الأوار، ولا يسمح بأمور فوق إمكانيتهم... فإنه لا

يصيبهم أذى من هذا الدمار، لأن مساكن الحياة الحاضرة والخيام الأرضية تخرب (2 كو 5: 1-2)، حتى وإن لم تُسلب.

هذا إذن ما نؤمن به، أننا نختبر شيئًا من الدمار، ولكن نجد فيه ربحنا بكل وضوح. فإننا نتقبل المكافأة على الماثورة والخواء على اهتمامنا،

وعوض مسكننا الأرضي ثوث مسكنًا سماويًا حيث نعيش فيه وسط الملائكة ورؤساء الملائكة.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ المصباح المحتقر، الذي يخضع للسخرية على الأرض يتلأأ بحكم السماء. لهذا بحق أضيف: " مهياً في الزمن المحدد ". بخصوص هذا الزمن يقول

المرتل: "لأنني أعين ميعادًا، أنا بالمستقيمات أقضي" (مز 75: 2). ويعلن الحق في الإنجيل: "لأن وقتي لم يكمل بعد" (يو 7: 6). ويقول بطرس:

"الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى زمنه رد كل شيء" (أع 3: 21).

البابا غريغوريوس (الكبير)

يروى لنا القديس مار أفراهاط الحكيم الفلرسي كيف تعثر أحد الحكماء في المسيحية بسبب شدة ما يعانیه المسيحيون من اضطهاد، دون تدخل

الله لإنقاذهم، وماذا كان رد القديس عليه، حيث قدم أمثلة حية من العهد القديم موضعًا أن الله يسمح بالضيق لأحبائه لكي يتمجوا في الوقت المعين.

❖ حدث ذات يوم أن إنسانًا يدعي حكيماً بين اليهود سألني: يسوع الذي يُدعي معلمكم، كتب أنه إن كان أحد منكم له إيمان مثل حبة خردل تقولون لهذا

الجبل انتقل، فينتقل من أمامكم، ويوقع ويسقط في البحر، وهو يطيعكم (مت 17: 19؛ 21: 22). وواضح أنه ليس في كل شعبكم حكيم واحد تُسمع

صلاته، فيسأل الله أن يُبطل المضطهدين لكم. فمن البين أن هذا كُتب لأجلكم: ليس شيء غير مستطاع لديكم [631].

❖ وإذ رأيتيه يجذف وينطق ضد الطويق، اضطرب ذهني، وأدركت أنه لم يعرف تفسير الكلمات التي اقتبسها وقالها لي. عندئذ من جانبي سألته عن أقوال

من الناموس والأنبياء، وقلت له: هل تثق أنه حتى عندما تشتتم فإن الله معكم؟... إذ قال لإسراييل: "حتى في أراضي أعدائكم لا أنساكم، ولا أنكث

ميثاقي معكم" (إجع لا 26: 44).

أجيبته: "حسنًا، أسمع هذا منكم أن الله معكم. لكنني أنطق أيضًا بكلمات ضدكم"، إذ يقول النبي لإسراييل كما من فم الله: "إذا جرت في البحر فأنا

معك، وفي الأنهار فلا تغعوك. إذا مشيت في النار فلا تلدغ واللهب لا يحرقك، لأنني أنا الرب إلهك معك" (إجع إيش 43: 2-3). هكذا أما يوجد حكيم

واحد بينكم بار وصالح من كل الشعب حتى يعبر البحر ويحيا دون أن يغرق، ويجتاز النهر دون أن يغوه، ومن يقدر أن يسير على النار فلا يُلدغ،

واللهيب لا يحرقه. وأن قدمت لي شوحًا لا أقبله منك، كما أنت لا تقبل تفسير الكلمات التي سألتني عنها [632].

❖ كان يعقوب مضطهدًا، وعيسو مضطهدًا. نال يعقوب الراكات والبكرية، بينما حُرِم عيسو من الاثنين [633].

❖ كان يوسف مضطهدًا، وكان إخوته هم المضطهدين. يوسف تمجد، ومضطهوه سجنوا له، فتحققَت أحلامه ورؤياه.

كان يوسف المضطهد رمزًا ليسوع المضطهد.

يوسف ألبسه والده قميصًا بألوان كثوة، ويسوع ألبسه أوه جسدًا من البتول.

يوسف أحبه أوه أكثر من إخوته، ويسوع هو العزيز المحبوب لدي أبيه.

رأي يوسف رؤى وحلم أحلامًا، وتحققت الرؤى والأنبياء في يسوع.

كان يوسف راعيًا مع إخوته، ويسوع هو رئيس الرعاة.

عندما أرسله أوه ليفتقد إخوته رؤا يوسف قادمًا وخطوا لقتله، وعندما أرسل الأب يسوع ليفتقد إخوته قالوا: " هذا هو الورث، هلم نقتله" (مت

21: 38).

ألقي إخوة يوسف أخاهم في الجب، ويسوع أتله إخوته ليسكن بين الموتى.

[634]

يوسف صعد من الجب، ويسوع قام من بين الأموات .

❖ **أضطهد موسى أيضًا كما أضطهد يسوع.**

حين وُلد موسى أخوه من مضطهديه لثلا يقتلوه، وحين ولد يسوع هربوا به إلي مصر لكي لا يقتله هيرودس مضطهده.

في الأيام التي وُلد فيها موسى كان يغرقون الأطفال في النهر، وعند ميلاد يسوع قُتل أطفال بيت لحم وما جاورها.

لموسى قال الله: "مات الرجال الذين يطلبون نفسك" (خر 4: 19). وليوسف قال الملاك في مصر: "قم وخذ الصبي وأمه وأذهب إلي أرض

إبوتيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي" (مت 2: 20).

أخرج موسى شعبه من خدمة فعون، وخلص يسوع الشعوب من خدمة الشيطان.

[635]

تَوَّبي موسى في بيت فعون، وتربي يسوع في مصر حين هرب به يوسف إلي هناك .

❖ **أضطهد يشوع بن نون كما أضطهد يسوع مخلصنا.**

أضطهد يشوع بن نون بواسطة الشعوب النجسة، وأضطهد يسوع مخلصنا بواسطة الشعب الجاهل.

أخذ يشوع بن نون الموات من مضطهديه وأعطاه لشعبه، ويسوع مخلصنا أخذ الموات من مضطهديه ووهبه لشعوب غريبة.

أوقف يشوع بن نون الشمس والقمر وانتقم من الشعوب التي اضطهدته، ويسوع مخلصنا جعل الشمس تغيب في وسط النهار، ليخزي الشعب

المضطهد الذي صلبه.

[636]

زرع يشوع بن نون الموات على شعبه، ووعد يسوع مخلصنا أن يعطي الشعوب أرض الحياة .

❖ هذه الذكريات التي أكتبها إليك يا عزيزي بخصوص يسوع الذي اضطهد، والأوار الذين اضطهدوا هي من أجل الذين يُضطهدون اليوم من أجل

يسوع المُضطهد، فيستريحون. فقد كتب لنا ورأحنا بنفسه: "إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم أيضًا. يضطهدونكم لأنكم لستم من العالم كما أنني

[637]

أنا لست من العالم" (راجع يو 15: 19، 20؛ 17: 14).

القديس مار أواهاط الحكيم الفارسي

2 . ليس بالضرورة يهلك الأشرار في العالم

خِيَامُ (اللصوص) الْمُخْرَبِينَ مُسْتَرِيحَةً،

وَالَّذِينَ يُعِظُونَ اللَّهَ مُطْمَئِنُّونَ،

الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْهَمِّ فِي يَدِهِمْ! [6]

لا نعجب إن رأينا الأشرار إذ يعيشون في وسع وفيض، وتبدو حياتهم ناجحة لا ينقصهم شيء، يسخرون من المؤمنين المجربين، الذين يعانون

من الضيق. إنهم كالعشب الذي يسخر بالأشجار في فصل الشتاء وقد زالت عنها الأوراق الخضراء وتبدو بلا حياة كأنها لن تثمر، ولا تصلح إلا كوقود للنار. لكن لكل شيء زمن معين من قبل الله. فسوعان ما يجف العشب، ويأتي فصل الربيع فوى العشب قد زال وربما حل غوه، أما الأشجار التي كانت تبدو جافة تحمل لوراقا وثمرا ولها جمال خاص. هكذا تطلع أيوب إلى أصحابه الذين جعلوه موضوع سخريتهم فتعني بالقول ان لكل شيء عند الله زمان.

اعترض أيوب على المبدأ الذي تمسك به أصدقؤه وهو أن الأثوار لا يمكن أن يطول نجاحهم في العالم، بل حتمًا تحل بهم النكبات فجأة. وقرر أن الله له حكمته في تصوفه مع الناس، فقد يؤجل الخاء أو العقاب للعالم الآخر. لهذا يقول إن خيام اللصوص أحيانًا تكون مزدهرة، يملسون التجديف والعنف واضطهاد الغير ومع هذا فهم ناجحون. ولعله يشير هنا إلى السبئيين والكلدانيين الذين نهوا ممتلكاته ومع هذا يبدو أنهم ناجحون. ليس بالأمر الغريب أن الذين يملسون الشر أشبه بلصوص متغطوسين لا يبالون بعلاقتهم بالله. يسلبون الغير بالعدو والخيانة، ولا يخشون أي ضرر يحل بهم.

❖ **LXX** مع هذا ليت الأثوار لا يتوقعون خروجهم دون عقاب" [6]. لئنه لا يخطئ أحد في تقدير طول أناة الله، أو يفشل في وضع الدينونة القادمة في اعتباره.

لئنه لا يعتقد أحد أن الديان العادل يتوك أعمال الأثوار دون تأديب.

ليتعلم درسًا من الأحكام التي حلت بوعون (خر 14: 4) ونوخذنصر (إر 5: 5) وإزابيل (2 مل 9: 7-10)، والعمالقة (باروخ 3: 27-28) وبني قرح (عد 16: 31)، وجماعة داثان (عد 26: 9-10) ومدينتي سدوم وعمورة (تك 19: 24-25)، وكل بقية الأمم. فإن التطلع إلى هذه الأمم الشروية وكيف استخفوا بطول أناة الله يجعلنا نقف قليلاً، ونخشى العقوبة التي قد تحل بمثلهم.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

كثوًا ما يطمئنا القديس أغسطينوس أنه وإن وجدت الحنطة مختلطة بالتبن في هذا العالم دون أن يحرق التبن، فإن هذا لن يؤدي الحنطة ولا يفقدها إكليلها، فسيأتي الوقت لعزلها عن التبن حيث يحرق التبن في النار.

❖ هذا التبن لا يهلك من هم حنطة الرب، والذين هم قليلون إن قهرنوا بالآخرين، لكنهم هم جمع عظيم. لا يهلك مختارو الله الذين يجمعون من أقاصي العالم، من أربعة رياح، من أقصى السماء إلى أقصاها (مت 24: 31). يصوخ المختارون قائلين: " خلص يارب، لأنه قد انقوض التقي، لأنه قد انقطع الأمان من بني البشر" (مز 12: 1). فيقول لهم الرب: "من يصبر إلى المنتهى (حيث يقيد الشر) فهذا يخلص" (مت 24: 13) [638].

القديس أغسطينوس

ليس لنا أن ندين ونفرز الحنطة عن الزوان، والأواني التي للكرامة عن التي للهوان، وإنما يليق بنا أيضًا أن نطمئن أن الحنطة لا تهمل من الله بسبب الزوان، ولا الأواني المكمّمة تفقد كرامتها بسبب التي للهوان، إذ يقول الرسول: "يعلم الرب الذين هم له".

❖ ليس من أجل التبن تهلك الحنطة (مت 3: 12)، ولا من أجل السمك الوديء، لا يؤخذ في الأوعية شيء من الشبكة (مت 13: 47)... لقد سبق فعيننا قبل أن نولد، واعدًا إيانا بيقين: "الذين سبق فعينهم فإلاء دعاهم أيضًا، والذين دعاهم فإلاء برهم أيضًا، والذين برهم فإلاء مجدهم أيضًا" (رو 8: 30) [639]. كما يقول: [حتى إن كانت البذار مختفية في التبن لكنها معروفة لدى صاحب الحقل. لا يخف أحد متى كان بؤرة، حتى وإن كان وسط تبن، فإن عيني الذي ينيرنا لا تتخدعان] [640].

القديس أغسطينوس

فَاسْأَلِ الْبَهَائِمَ فَتَعْلَمَنَّكَ،

وَطَيُّورَ السَّمَاءِ فَتُخْبِرَنَّكَ [7].

يظهر أيوب ما حسبه هؤلاء الثلاثة حكمة يفتخرون بها ليست إلا معرفة طبيعية تعلّم بها كل الخليقة، حتى البهائم وطيور السماء.

❖ يقول: اسأل حتى الذين بلا نطق (أي 12: 7)، فقد تنقصهم اللغة، لكنهم يشيرون بطريق طبيعي، إذ يعرفون خالقهم، ويعترفون بأنه صانعهم، وأنه سر وجودهم. الآن اسأل البهائم بأمر من تكلم حمار بلعام (عد 22: 26)؟ هكذا اسأل طيور السماء: لماذا قاتت الغربان إيليا (1 مل 17: 4-6)؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إذا كنت في حدود الليل تتأمل الجمال الأخاذ الذي للنجوم. فإنك ترى الفئان الذي صمّمها وزين السماء بهذه الورود. إذ كنت في الصباح المبكر، تتعلّم عن عجائب النهار، وخلال الأشياء المنظورة تصل إلى غير المنظور.

❖ إذا كنت في حدود الليل تتأمل الجمال الأخاذ الذي للنجوم. فإنك ترى الفئان الذي صمّمها وزين السماء بهذه الورود. إذ كنت في الصباح المبكر، تتعلّم عن عجائب النهار، وخلال الأشياء المنظورة تصل إلى غير المنظور.

❖ ليكن بهاء هذه الأشياء المنظورة مدعاة لنا لفهم غير المنظور والذي هو فوق كل جمال أرضي. ولتوقنا روعة هذه المحسوسات المحدودة إلى إيراك سمو من هو سرمدى غير محدود ذو جيوت يتخطى مدرك عقولنا وإفهامنا [641].

❖ هل عبر اليوم؟ أشكر ذاك الذي قدم لنا الشمس لخدمة عملنا النهلي، ويهبنا نورا لكي تنير الليل وتخدم احتياجاتنا الأخرى في الحياة. ليت الليل أيضا يوحى لنا بما يدفعنا للصلاة.

عندما تتطلع إلى السماء وترى جمال النجوم صلّ إلى رب كل الأشياء المنظورة، خالق المسكونة الذي بحكمة صنع الكل (مز 104: 24).

وعندما ترى كل الطبيعة تعط في النوم، موه أخرى أسجد لذلك الذي حتى بغير رادتنا يعتقنا من ضغط العمل المستمر، وبفورة راحة صغرة يردنا موه أخرى إلي نشاط قوتنا.

لا تسمح لليل بأكمله إن يكون للنوم لا تسمح لنصف عمرك أن ينقضي بلا فائدة في نوم ببلادة وسبات. بل قسم وقت الليل بين النوم والصلاة. وليكن نومك الخفيف ذاته تدريب للتوى. فإن أحلامنا أثناء النوم غالبا ما تكون انعكاسات لأفكلنا في النهار [642].

القديس باسيلوس الكبير

أَوْ كَلِمَ الْأَرْضِ فَتَعَلِّمَكَ،

وَيُحَدِّثُكَ سَمَكِ الْبَحْرِ [8].

كل الخلائق غير الناطقة تشهد أن الكبير يلتهم الصغير كالمسك، والقوى يفترس الصغير كالحوانات المفترسة. لو لم تدخل الخطية لما حدث هذا كله، إنما "الذئب والخروف يسكنان معا" (إش 11: 6).

❖ من يقدر أن يعرف كيفية الولادة الألفية؟ الأب الذي ولد ليس بطريقة يمكن لإنسان أن يفهمها بل يقدر وحده أن يفهمها. فإننا نعرف ألا نخبر عن الطويقة التي ولده بها، بل نصر أنها ليست بهذه الكيفية وليس فقط نحن نجهل مولد الابن من الأب، بل نجهل حتى كل طبيعة مخلوقة.

"أَوْ كَلِمَ الْأَرْضِ فَتَعَلِّمَكَ" (أي 12: 8). وبالرغم من إنك تسأل كل الأشياء التي على الأرض، فإنها تعجز عن أن تخبرك. لأن الأرض لا تقدر

أن تخبر عن جوهر الذي شكّلها كخواف وصنعها. وليس فقط الأرض بل الشمس أيضا... والسماء أيضا لا تعلن ذلك... ولا سماء السموات [643].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ "اسأل سمك البحر" من الذي أمر الحوت ليبتلع يونان (يونان 2: 1 الخ)؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ توجد أسماك رُحَل، كأنها تهاجر بوار جماعي، بإشلة خاصة إلى مناطق غريبة. فإذا جاء موعد تكاثرها، رحلت، هذه من خليج، وتلك من آخر،

تدفعها سنة طبيعية عامة، مسوعة إلى البحر الأسود. فزى هذه الأسماك، إبان رحيلها، كالسيل يتدفق في البسفور نحو البحر الأسود. من حركها؟ وأين الملك الذي وأسها؟ والأوامر التي عُلفت في الساحات العامة، وعينت موعد السفر؟ وأين القادة؟ إنك لوى العناية الإلهية تتم كل شيء، وتعتني بأدنى الخلق. فالسمك لا يقاوم سنة الله، أما نحن البشر فإتانا نخالف تعاليمه.

فلا تحنقر الأسماك لأنها خرساء وغير ناطقة، وخف أن تكون أقلّ تعقلاً منها حينما تخالف أوامر خالقك.

استمع إلى الأسماك، لا ينقصها غير النطق، وسلوكها يقول لك: إن حفظ الجنس يحملها على مباشرة هذا السفر الطويل. ليس عندها إرثك، بل شريعة طبيعية راسخة كل الرسوخ في غريزتها تدفعها إلى ما يجب أن تعمل. فتقول: هلم بنا إلى البحر الأسود... إن ماءه أعذب من ماء سواه، والشمس فوقه أقل حرارة فلا تمتص ماءه الحلو كله، لهذا يصعد السمك في الأنهار ويبعد عن البحار، ويفضل البحر الأسود ليستقبل ويربّي فيه صغره، ومتى قضى هناك مربّه، عاد جميعاً أواجه، لماذا؟ كأنه بمسلكه يقول لنا: "البحر الأسود قليل الأعماق، عرضة للعواصف العنيفة، قليل الملاجئ، وكثراً ما تقلبه الرياح الهوجاء رأساً على عقب، وتعكّوه أكوام من الرمال. وهو فوق ذلك برد شتاءً، لما يصب فيه من الأنهار العظيمة"، فيهجوه السمك، بعد ما أفاد منه صيفاً، ويعجل العودة إلى دفء المياه العميقة، والمناطق التي بها دفء الشمس، فيستريح في بحر هادئ بعيداً عن ريح الشمال العاتية. لقد رأيت هذا المشهد وأعجبت بحكمة الله الشاملة.

إذا كانت البهائم فاقدة النطق تخضع لوائز كامنة، وتعرف كيف تتدرك أمور معاشها، وإذا كان السمك يعرف ما يجب أن يختار وما يجب أن يجتنب، فماذا نقول نحن، وقد تشرفنا بطبيعة عاقلة، وتنفقنا بالشريعة، ودعينا بالمواعيد الإلهية وتشربنا الحكمة بالروح القدس، فهل ندبر شؤوننا تدبوا نون الأسماك تعقلاً؟

أتعلم هي أن تتدرك بعض الأمور قبل وقوعها، ونحن بخلافها نكاد لا نكتو، ونفني عمرنا في الملدات البهيمية.

تقطع السمكة البحار كلها بحثاً عن بعض منافعها، وأنت ماذا تقول، إذا كنت تعيش في التواني والكسل؟ فلا يحتج أحد بالجهل فإن فينا ذهنًا طبيعيًا يبين لنا لياقة الخير وبنونا من الأفعال الموضوعة [644].

القديس باسيليوس الكبير

مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْ كُلِّ هَوْلَاءِ أَنْ يَدَ الرَّبِّ صَنَعَتْ هَذَا! [9]

كل كائن عاقل أو حتى غير عاقل، يمكنه أن يدرك أن الله خالقه، وأنه هو الذي يعوله.

الَّذِي بِيَدِهِ نَفْسُ كُلِّ حَيٍّ،

وَرَوْحُ كُلِّ الْبَشَرِ [10].

❖ "أليست حياة كل حي في يده؟" لماذا كل صغار الغوبان تدعوه (مز 147: 9)؟

لماذا تطلب الأشبال الطعام من الله (مز 104: 21)؟

إن كانت هذه الخلائق تضع في اعتبارها خالقها، فكم يليق بنا نحن الذين جاء بنا إلى الوجود؟! نحن الذين نجهل أن روح كل بشر "في يد الله، هذا الذي من البدء نفخ فينا نسمة حياة (تك 2: 7). لقد أظهر ذلك داود في أغانيه النبوية: "تأخذ نسمتهم فيعودون إلى ربهم" (مز 104: 29).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ تشير "اليد" إلى "القوة"... إنه يمنح النفس القوة لتهد حياة للجسد، ومن الجانب الآخر يحيي النفس إلى تروجة نوالها فهم الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليس كائن ما يُؤوى وجوده إلى ذاته. أنت وحدك لم تتل وجودك من آخر. كلنا - أي كل الخليقة - لم تكن كائنة قبل خلقها. علة وجودنا هي مشيئة

[645] الخالق.

❖ [646] حقيقة وجودنا ليس ثروة استحقاق أعمالنا، إنما هي نعمة من قبل خالقنا.

❖ (بخصوص الخليفة العاقلة) أيا كان الصلاح الموجود فيها فهو ليس صلاحًا بالطبيعة، إنما هو عطية خوّرة من قبل خالقها... فقد وهبها الخالق العقل، وأعطاه حرية الحركة بلادة حرة، لكي يحسب الخير الذي فيها كأنه خوفاً، وذلك باحتفاظها بالإرادة الحرة. [647]

❖ ليس أحد - سواء كان يهوديًا أو أمميًا - خالٍ من هذا الناموس الذي في البشر بالطبيعة. فقد أعطى الله الإنسان كل المشاعر والأحاسيس التي يستطيع بها أن يصلح لأجل بقائه في الفضيلة ونموه فيها. بجانب هذا غرس الله فيه قوة العقل، به يبرك ماذا ينبغي أن يفعل وماذا يتجنب. وهب الله هذا للجميع على حد سواء. [648]

العلامة أوريجينوس

أَفَلَيْسَتْ الْأُذُنُ تَمْتَحِنُ الْأَقْوَالَ،

كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَسْتَطْعِمُ طَعَامَهُ؟ [11]

يليق بالأذن ألا تصدق كل ما تسمعه، بل تميز بين الحق والباطل، كما يميز الفم بين الحلو والمر. وإن كانت الأذن كما الفم يؤمها تمييز ما يُعرض عليها سواء الاستماع أو الطعام، أفلا يليق بالإنسان أن يحمل روح التمييز ليعرف التعاليم الصادقة من غير السليمة (1 كو 10: 15؛ 11: 13)؟ ❖ لا يتحدث عن أذن الجسم، بل أذن الروح. فبالأذان الجسدية نسمح أصوات الكلمات، أما بالأذان الداخلية فنميز الفكر والكلمات. كذلك "الحنك" خاصة (التنوق) يستطعم الطعام "بمعني أن يفقه بالنسبة لذته. هكذا فإن حنك الروح يميز فائدته.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ *nous* "فإن العقل يميز الكلمات ... إن كان الله يعطينا الحنك لنميز تنوق الطعام، فإنه يهبنا أيضًا العقل لنأخذ قورتنا، ويسمح لنا الزمن أن نطلب الفهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يوجد قاضي واحد يشرف على الداخل، أي قوة التمييز التي للعقل، ولكن خلال طوق لائحة تحفظ الحراس الخمس متميزة. يصنع الله عجائب، فلا تقدر العين أن تسمع، ولا الأذن أن ترى، ولا الفم أن يشم، ولا الأنف أن تتنوق، ولا الأيدي أن تشم. بينما كل هذه تعمل خلال قوى العقل الواحدة، غير أنه لا تستطيع حاسة ما أن تملس غير ما قد عينه الخالق لها. وهكذا خلال هذه التدابير الجسمانية الخرجية، يتوك لنا أن نجتمعها في الداخل بطريقة روحية... ❖

بينما توجد حكمة واحدة تسكن في إنسانٍ أقل مما في آخر... إلا أنها في ذاتها لا تحمل اختلافات فيما بينها، لكن بواسطتها نملس عمليات متباينة مختلفة، فواحد ينال عطية حكمة، وآخر عطية معرفة، وآخر أسنة، وآخر موهبة شفاء... يدين الطوبوي أبوب عدم خوة أصحابه، ووقاحة كل من ينتفخ مدعيًا أنه قد تعلم في الحكمة. فإن معرفة شيء ما عن الله شيء، وتنوق ما تعرفه بفهم شيء آخر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا توجد فضيلة واحدة يمكننا أن نحصل عليها بمجهودنا البشري ما لم تعيننا النعمة الإلهية. ونحن زى في الكتاب المقدس أن التمييز حُسب ضمن مواهب الروح، إذ يقول الرسول: "فإنه لو احد يعطى بالروح كلام حكمة وآخر كلام بحسب الروح الواحد، وآخر إيمان بالروح الواحد، وآخر مواهب شفاء بالروح الواحد... وآخر تمييز الأرواح..." ❖

لقد رأيتم إذن كيف أن موهبة التمييز ليست موهبة رضية، ولا هي بالأمر الهين، إنما هي عطية عظيمة تهبها النعمة الإلهية. إن لم يسع الإنسان [649] بكل حماس نحو التمييز... حتمًا يخطئ ويصير كمن هو في ظلمة الليل وحلقة الظلام، ولا يسقط فقط في الأثواك والأهواء بل ويخطئ

حتى في الأمور السهلة...

يعلم التمييز أن يسير الإنسان في الطريق الملوكي، من غير أن يسمح له بالتطرف اليميني في الفضيلة، أي المغالاة وتجاوز حدود الاعتدال في جسلة ووقاحة، كما لا يسمح له بالكسل...

هذا هو التمييز الذي يعبر عنه الكتاب المقدس بـ "العين" أو "تور الجسد"، وذلك كقول المخلص: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نوراً. وإن كانت عينك شرة فجسدك كله يكون مظلماً.." (مت 6: 22، 23). لأنها هي التي تميز كل الأفكار والأعمال، وتؤثر كل شيء وتؤاقب ما سيحدث.

فإذا كانت عين الإنسان "شرة" أي غير محصنة بصوت الحكمة والمعرفة، مخوذة ببعض الأخطاء والعمرفة (في العبادة)، فإنها تجعل جسدا "كله يكون مظلماً". تظلم عقولنا وتصير أعمالنا في ظلام الوديلة ودجى الاضطرابات، وإذ يقول: "فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون؟! (مت 23:6).

فلا يستطيع أحد أن يشك في أنه متى كان "الحكم في الأمور" في القلب خاطئاً، أي كان القلب مملوء جهلاً، تكون أفكارنا وأعمالنا، التي هي ثرة التمييز والتأمل، في ظلام الخطية العظمى [650].

الأب موسى

3. حكمة الله وسلطانه

عِنْدَ الشَّيْبِ حِكْمَةٌ وَطُولُ الأَيَّامِ فَهَمَّ [12].

لا يستطيع أحد أن ينكر تمتع البعض بالحكمة هذه التي ينالونها مع خوة السنين وطول الأيام. "ما أجمل الحكمة للشيوخ والوأي والمشورة لأرباب المجد" (سواخ 25: 7).

قد تكون لهم الحكمة والإثراك والفهم للأمور لكنهم يعجزون عن تنفيذ حكمتهم، أما الله فكل الحكمة والقوة. ربما أراد أيوب أن يعلن لهم أنهم قد تسوعوا في الحكم عليه لأنهم روه بسقط في تجرب كثرة، وكان يليق بهم أن ينتظروا مدة من الزمن لكي في حكمة صادقة يروا ما وراء التجرب.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم على لسان أيوب: [ألعلنا إذ نعرف هذا الكثير نظن إننا نعرف كل شيء؟ أنا أعلم أن الأشرار يعاقبون، لكنكم ترون أنه بالرغم من وِي أنا أيضا أعاقب. أضف إلى هذا، هل يحتاج الأمر إلى وقت لكي تفهموا عن أمر له أمثلة كثرة متشابهة؟ ألا ترون كيف يقدم الكتاب المقدس عمق الخوة؟ ماذا اقتنى القدماء بخوة الأحداث بالتفصيل، وأنتم الأصغر منهم تقدمون تشكوات كثرة لذاك الذي يعدد الأحداث. لقد حدثت لهم أحران كثرة ومن جوانب متعددة وأنتم أيضاً إن بحثتم في الأسفار المقدسة باهتمام شديد ترون الكثير منهم (قد دخلوا في ضيقات). هذا هو السبب لقول احدهم: "لنكن راغباً في سماع مقالٍ صالحٍ"، وفي موضع آخر يقول: "لا تحنقر مقال القدامى"... فإن هؤلاء بالحق ملتحقون بمدرسة آبائهم" (ابن سواخ 6: 35، 8: 8-9). إنكم لستم محتاجون إلى زمن، فإن كان الله نفسه وغب أن يهبكم إياها، فلستم في حاجة إلى زمن.]

❖ " الحكمة عند الشيب، والفهم بطول الأيام" [12]. ذلك لأن الحكمة نقتنيها بالواسطة، والتعلم يغرس في الذهن بدروس البشر. أما بالنسبة لله فالأمر على غير ذلك، لأنه هو نفسه الحكمة في شخصه، وهو الذي يعلم دروس الحكمة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ هذه الأقوال تثبت جنور الحكمة، فباستمرار الحياة تتقوى الحكمة وذلك بممارسة الأعمال. ولكن إذ يوجد كثيرون قد وُهب لهم طول الحياة، ولم توهب لهم الحكمة، لذا يظهر بلياقة من له القوار لتقديم هذه الهبات، قائلاً: " به الحكمة والقوة، له المشورة والفهم".

الله كلي الحكمة وحده يدرك كل الأمور وقادر أن يتمم رادته لأنه كلي القوة أيضاً. ليس من مقلنة بين حكمة الشيوخ مع حكمة الله. "هب لي الحكمة الجالسة إلى عرشك ولا تزدلني من بين بنيك" (الحكمة 9: 4). "على أنه إن كان في بني البشر أحد كامل، فما لم تكن معه الحكمة التي منك لا يحسب شيئاً" (الحكمة 9: 6).

"إن معك الحكمة العليمة بأعمالك و التي كانت حاضرة اذ صنعت العالم و هي عرفة ما المرضي في عينيك والمستقيم في وصاياك" (الحكمة 9: 9)

"ينوع الحكمة كلمة الله في العلي، ومسالكها الوصايا الأريية" (سواخ 1: 5).

❖ "عنده الحكمة والقوة، به المشورة والفهم" [13]. [لم يتكلم أيوب تماماً لون تقديم شهادة، ولا بدون دفاع (عن رأيه)، إنما يسند كلماته بشهادة المخلوقات، فإن جمال العناصر المنظورة تعلن عن حكمة الله وقوته العظيمة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يتمجد عمل الأب الذي يعم كل الوجود ويعظم جداً عندما يتقدم كل إنسانٍ **ويبلغ أعلى قامات النمو خلال الشراكة مع المسيح "الحكمة" و"المعرفة" و"القداسة".**

يتحقق ذات الأمر عندما يتقدس الإنسان ويتطهر ويبلغ أعلى درجات الكمال خلال شراكة الروح القدس، ومن ثم يصير أكثر استحقاقاً لنوال نعمة الحكمة والمعرفة، حتى زال عنه كل أوران الدنس والجهل، فيبلغ هذا التقدم بكمال وفي نقوة. بهذا تكون الحياة التي نالها من الله جدوة بالله، الذي يقصد لها أن تكون طاهرة وكاملة. فيستحق المخلوق لهذه الحياة (المقدسة) (ويكون على مثال الخالق)؛ لأن الإنسان بهذه الطريقة التي يريد لها الخالق ينال منه القوة على الوجود أبدياً... [651]

❖ [يهتم (الله) بالنفس [أي موضع القنات والمشاعر والأحاسيس في كل إنسان، ليكون عاقلاً، وينال المعرفة، ويعمل نكوهه بشكلٍ لائقٍ وسط حياة الجسد، فتصير مشاعوه وإواكاته (عب 5: 14) صالحة [652].

العلامة أوريجينوس

هُوَذَا يَهْدِمُ فَلَا يُبْنِي.

يُغْلِقُ عَلَى إِنْسَانٍ فَلَا يَفْتَحُ [14].

من يقتن الله يتمتع بحكمته وقدرته عاملتين فيه، أما من يقاوم حكمة الله بحكمته البشرية، لن يلحق به إلا الحماقة. تُهدم حياته بسماح إلهي، وليس من يقدر أن يبنيه. وجع بنا أيوب إلى عصر إقامة رج بابل حيث اتكل الإنسان على حكمته وقدرته، وظن أنه قادر على مقاومة الله. هؤلاء ظنوا أنهم قادرون على بناء رج في السماء، لكنهم فشلوا وتشتت طاقاتهم. وهوذا خراب سنوم وعمورة يشهد بفشل مقاومة الله.

يغلق الله بالسماح بموضٍ أو كرثةٍ أو يسمح للإنسان بالموت، فيدخل القبر ولا يخرج منه. عندما يغلق على الأشرار في جهنم من يقدر أن يصعدهم من هناك؟

حينما يصر الإنسان على أن يغلق قلبه على ممرسة خطية ولا يفتحه لينتقل نعمة الله ومساندته تبقى الخطية حبيسة قلبه، تملك عليه وتقوده وهي في سجن القلب المغلق، كما حدث مع فوعن الذي رفض بقلبه أن ينصت لصوت الله خلال الضويات ومع وعوده بفمه المخادع، كان يضمير في قلبه العنف والمقاومة لعمل الله، لذا قيل: "لكنني أقسي قلب فوعن" (خر 7: 3)، وذلك بتوكة حبيسة لشوه وعنفه.

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) مثلاً آخر لمن صار قلبه مغلقاً، وهو عيسو، فقد أغلق قلبه بلادته وذلك بشوه واستهتاره حتى باع بكريته بأكلة عدس، قائلاً: "أنا ماض إلى الموت، فلماذا لي البكرية؟" (تك 25: 32). احتقر عيسو البكرية، ولم يقدم توبة عن ذلك ولا عن شروره فانغلق قلبه على شوه، وقد أراد والده أن يفتح هذا الباب ليهبه البركة قبل أن يموت (تك 27: 4)، لكن الرب رفض هذا الابن لأنه لم يتب، وقدم الأب البركة للابن الأصغر بغير رادته. لقد صرخ عيسو صرخة عظيمة لم تصدر عن نفسٍ متواضعةٍ منسحقةٍ، فصلت توبته كلا شيء، عاجزة عن جذب نعمة الله لفتح قلبه.

❖ الله القدير يهدم قلب الإنسان عندما يتخلى عنه، وبينه عندما يملأه، فإنه لا يهدم نفس الإنسان بالدخول في حرب بل بانسحابه منه. عندما يتروك القلب لذاته ينصرف إلى لا شيء، بل إلى هدمه لذلك عندما يحدث أن قلب السامع لا يمتلئ بنعمة الله القدير، بسبب خطايا باطلاً يقدم الكرز من الخرج نصاصه له. فيكون كل فم يتكلم منه كأنه أبكم، إن لم ينطق الله بصوتٍ في القلب من الداخل، ذاك الذي يوحى بالكلمات التي تُقدم للأذن. هكذا يقول النبي: "إن لم يبين الرب البيت باطلاً يتعب البنوون" (مز 127: 1). يقول سليمان: "أنظر عمل الله، لأنه من يقدر على تقويم من عوجه؟! (جا 13: 7)..."

استطاع قايين أن يتمتع بالنصاص صاورة عن صوت الله، ومع هذا لم يقدر أن يتغير. بسبب خطية قلبه الشرير في الداخل تركه الله، مع أنه وجه إليه كلمات من الخرج لتحمل شهادة عليه.

حسناً أضاف: "يغلق على إنسان فلا يفتح" [14] "فكل إنسان متى مارس الخطأ في كل طرقه ماذا يفعل سوى أن يجعل من نفسه سجناً لضم وه؟ الشعور بالإثم في النفس قد يضغط عليه حتى وإن لم يتهمه أحد من الخرج. وإذا ترك في عمى قلبه الشرير بحكم من الله يكون كمن أغلق على ذاته، فلا يجد موضعاً للهروب، ولا يستحق أن يجد موضعاً هكذا. فكثيراً ما يحدث أن أشخاصاً يشناقون إلى ترك عاداتهم الشريرة ولكن لأنهم إذ تنفقوا حتى الأرض بسبب حملهم يغلقون على العادة الشريرة في السجن ولا يستطيعون أن يخرجوا هم من أنفسهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ نتعلم من هذا (مز 127: 1) أنه ليس لأن الله هو الذي يبني يجلس الإنسان خاملاً فإن الله يبني له البيت. وإنما لأنه يعمل ويهتم قدر إمكانياته البشوية، لكن الله يزيل كل العقبات ويتم العمل. هكذا يدعي الإنسان للعمل قدر ما يستطيع في جدية، لكن الله هو الذي يكمل العمل بالنجاح. لهذا يليق بالإنسان بحق وفي تقوى أن يتروك إتمام عمله لله، وليس لإنسانٍ بشوي آخر. على هذا بولس غرس وأبولس سقى والله هو الذي كان يمني، إذ ليس الغرس شيئاً ولا الساقى بل الله الذي يمني (1 كو 3: 6-7). بنفس الطريقة يمكننا القول أن هذا يعتمد لا حسب مشيئة إنسان أو جهاده إنما على مراحم الله [653].

العلامة أوريجينوس

❖ "لا نقدر أن نحوي في طريق الله إلا محمولين على أجنحة الروح" [654].

❖ "بمعونة الله نحن نفعل الخير الذي نملسه" [655].

❖ "ليس أقوى من الذي يتمتع بالعون السموي، كما أنه ليس أضعف من الذي يحرم منه" [656].

❖ "لنكن أقوى من الجميع، متمثلين ببولس وبطرس ويعقوب ويوحنا، فانه ان غاب عنا عون الله لا نقدر أن نقولم أنفسه إغواء" [657].

❖ "لا نخشى شيئاً، فإننا لكي نقهر الشيطان يؤمنا أن نعرف أن مهلتنا لن تفيد شيئاً، وأن كل شيء هو من نعمة الله" [658].

❖ "الذين يعاقبون، فمن أجل العدالة، أما الذين يكللون، فمن أجل النعمة. فلو أنهم ملسوا ألف عمل صالح، إنما يتمتعون بالسماء والملوك مقابل هذه الأعمال الصغوة لأجل حربة النعمة، فيرتفعون إلى ما لا يقاس" [659].

يَمْنَعُ الْمِيَاهُ فَتَيْبَسُ.

يُطْلِفُهَا فَتَقْلِبُ الْأَرْضَ [15].

في يد الله الأمطار، إن منعها تيبس الأرض وتتعدم ثمرها (أي 4: 7). وإن سمح لها بفيض فيفيض المطر الجرف يفسد محاصيل الأرض وتنتهار المباني. ربما يشير هنا إلى طوفان ووح فغرت الأرض.

❖ إن أغلق السماء من يفتحها؟ وإن فتح ميليب الطوفان من يغلقها؟ من يقدر أن يزيد من المطر أو يمسكه عن السقوط بقدر كافٍ، إلا الذي يدير الكون [660] بمقياسه ومولِّيه؟

القديس غريغوريوس النريوي

❖ إن فهمت "المياه" أنها للمعرفة للكرة، كما كتب: "كلمات فم الإنسان مياه عميقة، نبع الحكمة نهر متدفق" (أم 18: 4)، فعندما تُمنع المياه، يصير كل شيء يابسًا، هذا يعني عندما تمنع معرفة الكرز تيبس قلوب أولئك الذين كان يجب أن تنتعش بالرجاء في الأبدية. قد يبقوا في عقم عدم الرجاء، وذلك بمحبتهم للزمنيات...

وإن كان تعبير "المياه" يشير إلى عطية الروح القدس كما قال صوت الحق في الإنجيل: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تحوي من بطنه أنهار ماء حي"، مضيئًا: "قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مؤمعين أن يقبلوه" (يو 7: 38-39). ... فإن الروح القدس إذ يُمنع عن ذهن السامع يصير الحس في الحال يابسًا، هذا الذي كان خلال الرجاء يبدو أخضر في السامع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) : [عندما كان بولس في طريقه إلى دمشق، مسلحًا برسائل ضد المسيح، روى في رحلته بنعمة الروح القدس، فتغير للحال من نيته لسفك الدماء؛ وتقبل بعد ذلك الضربات لأجل المسيح هذه التي في رحلته كان يود أن يصبها على المسيحيين. هذا الذي كان قبلاً - وهو سالك حسب الجسد - يكافح ليسلم قديسي الرب للموت، صار يتهلل أن يقدم ذبيحة جسده من أجل حياة القديسين. هذا الذي كان بلداً يهدف نحو القسوة قد تحول إلى دفاء الحنو، والذي كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً صار كرزاً مواضعاً ومملوء حفاً. ذاك الذي كان يحسب ذبحة للمسيح في تلاميذه مكسباً عظيماً، الآن يتمسك بالمسيح ليكون حياته، حاسباً موته ربحاً" (في 1: 21). هكذا "يطلق المياه، فتقلب الأرض" [15]، وذلك في ذهن بولس، في اللحظة التي فيها نال نعمة الروح القدس حيث غوت ثبات عناده وقسوته.]

❖ لقد أنجبت المياه الأولى حياة، لا يتعجب أحد إن كانت المياه في المعمودية أيضاً تقدر أن تهب حياة.

❖ كان روح الله محولاً على المياه هذا الذي يعيد خلقه من يعتمد. كان القنوس محولاً على المياه المقدسة، أو بالحري على المياه التي تتقبل منه القداسة. بهذا قدست المياه بالروح وتقبلت إمكانية التقديس. هذا هو السبب الذي لأجله إذ كانت المياه هي العنصر الأولي (للخلق) حصلت على سرّ التقديس خلال التوسل لله [661].

العلامة توتليان

❖ تتم الخلقة الجديدة بواسطة الماء والروح وذلك كخلق العالم، إذ كان روح الله يرف على المياه [662].

القديس إكليمنضس السكنوري

عِنْدَهُ الْعِزُّ وَالْفَهْمُ.

لَهُ الْمُضِلُّ وَالْمُضَلُّ [16].

هو صاحب القرة والقوة وهو مصدر الحكمة والفهم. إنه يهتم بكل البشر حتى البسطاء الذين يضللم الغير، والخبثاء الذين يضللون إخوانهم.

أما "شيطان الكبرياء" فهو سبب سقوط النفس المحزن للغاية. إنه يشير على النفس ألا تنظر إلى الله كمعين لها، بل تنسب إلى ذاتها كل ما هو صالح. فتبتدئ تنتفخ أمام الإخوة، وتحسبهم جهلاء، لأنهم لا يعرفون مقلتها السامية.

[664]

الكبرياء يتبعه الغضب والتذمر. والشر الأخير يتبعه خروج الإنسان عن وعيه والغبط ورؤية شياطين كثرة في الهواء .

❖ يصعب عليك الهروب من فكر المجد الباطل، لأن كل ما تصنعه لطوره يمكن أن يكون عاملاً مساعداً لإنشاء دافع جديد نحو المجد الباطل. هذا والشياطين لا تقاوم دائماً كل فكر سليم، بل أنها أحياناً تشجع فينا بعض الأفكار السليمة على رجاء أنها تقدر بعد ذلك أن تخدمنا.

القديس أغريس

يَحُلُّ مَنَاطِقَ الْمُلُوكِ،

وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بِوَثَاقِ [18].

يسمح الله أحياناً بأصحاب السلطة كالمملوك أن ينحطوا عن مراكزهم، ويتجربوا من كل كرامة. يحل مناطقهم، فيسقط السيف من جانبهم، والنتيجان من رؤوسهم. ولعله يشير هنا إلى انحدرهم ليكونوا عبيداً إذ كان العبيد لا يمتطون أحقاهم.

يَذْهَبُ بِالْكَهَنَةِ أَسْوَى،

وَيَقْلِبُ الْأَهْوِيَاءَ [19].

إذ تحدث عن فئات الحكماء مثل المشورين والقضاة، وفئات أصحاب الخوة كالشيوخ، وفئات أصحاب السلطة كالمملوك الآن يتحدث عن يظنون في أنفسهم أولاً، وهم فئة الكهنة. هؤلاء الذين أحياناً في ريائهم يظنون أنهم لا يُمسون لأنهم خدام الله والعاملون لحساب شعبه. لكن الله ليس عنده محاباة حتى كهنته يسمح لهم بالسبي، فيفقدون كرامتهم وسلطتهم وثروتهم التي كانوا يعتزون بها.

أخوياً يشير إلى فئة الأهوياء، سوعان ما يصير القوي ضعيفاً. كم من جباوة بأس سقطوا في مصيدة أناس ضعفاء، وكم من جيوش قوية انهزمت أمام جيوش أضعف منها. هكذا لا يليق بأحد أن يعتمد على قوته الزمنية ولا على حكمته الذاتية وفهمه البشري المجرد ولا سلطانه ولا موكبه الاجتماعي أو الديني.

❖ " يقود الكهنة إلى القوي، ويقلب الأهوياء " [19] عظمة الكاهن العظيمة هي بر الخاضعين له. فالكلرز الممتاز حسناً يقول لتلاميذه: "لأن من هو رجائنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه؟" (1 تس 2: 19)، لكن يتجاهل الكهنة حياة المسئولين عنهم، ولا يثمرون في تقدمهم أمام الرب. بهذا يصيرون في قري، لا يجدون مجداً أمام الديان الحزم، هؤلاء الذين لا يطلبونه في حياة المخومين بإلحاحهم في الكرة.

حسناً قال: "ويقلب الأهوياء ". بحكم عادل يتوك قلوب الذين يحكمون، إن كانت لا تتطلع إلى المكافأة الداخلية، فتطرح خرجاً، حيث تخدم نفسها بأن توح بالمجد الزموني عوض الأبدى.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليس العيب في السلطان في ذاته، وإنما في الطمع الباطل، وعلى هذا فإن تأسيس السلطان يأتي من قبل الله، ومن يستعمله يكون سفواً لله بكونه خادم الله للصالح (رو 13: 4-3). العمل في ذاته ليس خطيئة، لكن العيب في الذي ينفذه... يجب أن نميز بين الاستخدام الصالح للسلطان والاستخدام الطالح.

القديس أمبروسيوس

يَقْطَعُ كَلَامَ الْأَمْنَاءِ،

وَيَتَوَعُّ ذَوْقَ الشُّبُوحِ [20].

إذ يعتز أصحاب الفصاحة والخطابة والفلسفات على إبداعهم اللغوي أو جاذبية شخصياتهم، هؤلاء يقفون أحياناً كخرس، ليس من كلمة في فمهم، لأنهم أهانوا الذين وهبهم العقل وأعطاهم موهبة الكلمة وخلق أفواههم.

❖ " يغير شفاه الأمانة، ويتوع تعاليم الشيوخ" [20]. عندما لا يملس الكاهن الصلاح الذي يخبر به، فإن ذات عمل شفثيه يُوع منه، فلا يجسر أن ينطق بما لا يملس. قيل بالنبي: "وللشير قال الله: مالك تحدث بوائضي، وتحمل عهدي على فمك؟" (مز 50: 16). أيضاً يسأله: "لا تتوع من فمي كلام الحق كل الزوع، (مز 119: 43). إذ يظهر أن الله القدير يعطي كلمة الحق للذين يملسونها، ويوعها عن لا يملسوها... يقول الحق في الإنجيل: "من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات. والإنسان الشير من الكنز الشير يخرج الشور" (مت 12: 34-35).. أيضاً يقول يوحنا: "هم من العالم، من أجل ذلك يتكلمون من العالم" (1 يو 4: 5). حسناً قيل: "الذي يغير شفاه الأمانة، ويتوع تعاليم الشيوخ".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم... كل الفضائل تحويها هذه العبرة وهكذا يبدو كما لو أن الرسول يطلب كمالاً مستحيلاً. لأنه إن كانت أية خطيئة أو أية كلمة باطلة تستحق اللوم، فمن هو في هذا العالم بلا خطيئة وبلا لوم؟! ومع ذلك فإنه يؤم فيمن يختار راعياً للكنيسة أن يكون متمازاً عن الآخرين الذين بحق هم قطع خوف (ناطقة).

إن كان الفصحاء يعرفون الخطيب بأنه "إنسان صالح" قادر على الكلام" إذ يؤمه أن يكون بلا عيب في سلوكه كما في شفثيه (خطابته) حتى يكون مستحقاً للمديح، لأن المدرس الذي كلماته لا تسندها أفعاله يفقد كل تأثير على سامعيه.

القديس إبرونيوس

❖ "بلا لوم... هذه العبرة تحوي الفضائل جميعها، حتى أنه إذا عرف إنسان عن نفسه خطيئة ما، فليس حسن له أن يشتهي وظيفة هو غير مؤهل لها، إنما يكون محتاجاً إلى مرشد لا أن يقوم بدور الإرشاد. لأن من يقوم بدور قيادي، يؤمه أن يكون أكثر بهاءً من أي كوكب منير. فتكون حياته بلا عيب، يتطلع الكل إليه ويقتنون بسلوكه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

روى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذه العبرة تنطبق على اليهود الذين نطقت شفاههم بالحق قبل تجسد الكلمة، وقد آمنوا أنه قادم، وأعلنوا عن مجيئه، لكن شفاههم تغيرت بعد مجيئه، وأنكروه. لقد صار حاضراً في وسطهم، ذاك الذي سبق فأعلنوا عن مجيئه. لكنهم زعوا تعاليم آبائهم، إذ لم يسلكوا حسبما تنبأ لهم آبؤهم عنه.

يُلقي هَوَانًا عَلَى الشُرَفَاءِ،

وَيُرْخِي مِنْطَقَةَ الْأَشْدَاءِ [21].

إذ يهين الشرفاء خالقهم، يجتنون لأنفسهم الهوان. "يسكب هواناً على رؤساء ويضلهم في تيه بلا طريق". (مز 107: 40).

❖ " يلقى هواناً على الشرفاء، ويرفع المضطهدين" [21]. استمر الشعب اليهودي في وصية الناموس، بينما لم يكن يعرف العالم الأممي كله شيئاً عن وصية الله، دُعي الأولون شرفاء بالإيمان، بينما سقط الآخرون في هوى عدم الإيمان. ولكن عندما أنكرت اليهودية سرّ تجسدر بنا، وآمن العالم الأممي به، سقط الأشراف في الهوان، ولتفع الذين انحروا إلى خطية عدم الإيمان، ونالوا حرية الإيمان الحقيقي. إذ رأى لرميا ذلك قبل حدوثه زمن طويل قال: "صار السيد كعدو. ابتلع إسائيل. ابتلع كل قصوره، أهلك حصونه" (هرا 2: 5).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لمارفض الله إسائيل، تدفقت النعمة على الأمم، فدعوة الأمم بدأت بسقوط إسائيل ويقبل بنعمة الله يسوع المسيح، الذي سبق وبشر به

❖ نقول نحن المسيحيون أن اليهود، بالرغم من سابق تمتعهم بعطف الله إذ كانوا محبوبين منه أكثر من غوهم، إلا أن هذا التدبير والنعمة الإلهية قد تحولاً إلينا، عندما نقل يسوع السلطان العامل بين اليهود إلى مؤمني الأمم [666].

العلامة أوريغينوس

يُكشِفُ الْعَمَائِقَ مِنَ الظَّلَامِ،

وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ [22].

إذ سقط الإنسان الأول في العصيان، صار الموت وافق ذهنه كظلٍ له، بل وأكثر التصاقاً من الظل. ليس ما وعبه مثل الموت، حتى دعا الرسول بولس: "آخر عدو"، أو أعنف عدو يواجه الإنسان. لكن موت السيد المسيح على الصليب حطم سلطان الموت في عرينه. بالموت داس الموت، ووهبنا قوة الحياة الأبدية والقيامة.

رأى السيد المسيح تعبير الموت من قاموس فكرنا، فصار عوضاً عنه تعبير "ظل الموت؟ أو "الوقاد" أو "الانتقال". نتغنى قائلين: "لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال". ونوتل مع الرسول بولس، قائلين: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هالوية؟" (1كو 15 : 2).

لقد فضح الرب الموت فصار ظلاً بلا كيان في حياة المؤمنين به. أشرق بنوره على القبور، فانفضح ضعف ظل الموت.

رفع الرب الغطاء عن الظلمة، وأدركنا أن لا موضع لنا في مملكة الظلمة، حيث أشرق علينا شمس البر.

يفضح الله المؤامرات التي تُدبر في الظلام، والنشر الذي يرتكب في الخفاء. عندما ظن ملك رام أن من بين رجاله من هو خائن، قال له أحد

عبيده: "اليشع النبي الذي في إسوايل يخبر ملك إسوايل بالأمر التي تتكلم بها في مخدع مضطجعك" (2 مل 6: 12).

❖ "يكشف الأعماق من الظلام" [22]. ما هي الأعماق؟ الأمور المخفية، الأفكار التي لا تظهر في بهاء النهار. هذا هو السبب أن أيوب يتحدث عن الظلام. فإن المسيح نفسه يستخدم نفس الكلمات لكي يقر ويثبت كلمات أيوب عندما يقول للرسول: "ليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف" (مت 10: 26). اذكروا الكلمات التي أضافها: "الذي أقوله لكم في الظلمة، قولوه في النور. والذي تسمعون في الأذن ناووا به على السطوح" (مت 10: 27).

"ويخرج ظل الموت إلى النور" [22]. ظل الموت هو الخطية، بنفس الطريقة كما أن الظل يكشف عن الجسم الذي له الظل، هكذا الخطية تعني "شوكة الموت هو الخطية" (1كو 15: 56)، وخاصيتها المميزة لها.

على أي الأحوال ظل الموت هذا يعلن به عن سوه (رو 16: 25؛ 1كو 1: 26) (للنشوية، ويعلن عن وه (مز 98: 2؛ رو 1: 17)، بنفس الكيفية يكشف عن الخطية (أف 4: 22)، ولا يسمح لها أن تختفي. وإذ نعرف قبحها وأنها تفسد النفس، لنهرب جميعنا منها! هذا هو السبب أن المسيح قال عن الشعب اليهودي: "لو لم أكن قد جنّت وكلمتهم لم تكن لهم خطية" (يو 15: 22)، بمعنى آخر، لما عرفوا قوة الخطية. لكنه يضيف: "وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم"، لأنهم عرفوا دنسها، ورأحتهم الشريرة، وخبثها إن قرنت بالبر والجمال الذي لم يكن معروفاً من قبل.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

وى البابا غريغوريوس (الكبير) في ظل الموت إشارة إلى قسوة الناموس، الذي أبرز أن كل من يخطئ يستحق موت الجسد، لكن إذ جاء

المخلص زع موت الجسد كعقوبة لمن يرتكب الخطية، ووجه أنظرنا إلى خطورة فاعلية الخطية على نفوسنا.

يُكثِّرُ الْأُمَّمَ ثُمَّ يُبِيدُهَا.

يُوسِّعُ لِلْأُمَّمِ ثُمَّ يُسْتَنْتَهَا [23].

الله هو ضابط التاريخ كله، يسمح أحياناً للبعث أن ينمو ويكون لها سلطان لتحقيق هدف معين لتأديب شعبه، كما حدث مع بابل التي كانت دويلة

صغوة، سوعان ما هزمت أشور العظيمة واحتلت موكها، وسبت يهوذا، وإذ تشامخت بابل على الله في لحظات انهلت لتحتلها فرس ومادي. التي كانت رأساً صلت ذليلاً بل وتلاشت.

❖ " يجعل الأمم في تيه ويبيدها؛ يبعثها ثم يجلبها" [23]... إنه ليس هو الذي يقود الأمم بعيداً، إنما يسمح لهم أن يشربوا، يذهبون بأنفسهم إلى الإبادة خلال شهورهم، إذ لا وعيون في العودة إلى إيمان به. أما عن الأمم المشتتة (المبعثرة)، فيود أيوب أن يقول للرب: "بدهم"، بينما يود أن يقود الذين وعيون في العري نحو نور (إش 60: 3) للتمتع بالكورة. إنه لن يتعدى العدالة، بل يسلك بما يليق مع كل أحد سواء كان في الإيمان أو عدم الإيمان. لهذا إذ حمل سمعان الرب الطفل على فواقيه قال: "إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين" (لو 2: 34).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

يُورَعُ عُقُولُ رُؤَسَاءِ شَعْبِ الْأَرْضِ،

وَيُضِلُّهُمْ فِي تِيهِ بِلاَ طَرِيقٍ [24].

من هم رؤساء الأرض الذين يفقدون فهمهم، إلا أبناء إواهيم حسب الجسد، وقد انسحبوا عن بنوتهم له روحياً بجدهم مخلص العالم، ورفضهم ما كان أبوهم إواهيم يتهلل بيومه قبل مجيئه بأجيال كثيرة.

جودهم حول حياتهم إلى بوية قاحلة، حيث لا تروني قلوبهم بمياه الروح القدس الذي يحول الوري إلى فودوس إلهي!

❖ " يغير قلوب رؤساء شعب الأرض" [24]. بقوله: "شعب الأرض" يحتاج الإنسان أن يفهم به الشعب اليهودي، لأنه التصق بالأرضيات. فإن بولس أيضاً الذي تحدث عن الذين "وضعوا عقولهم في الأرضيات". رؤسؤهم هم الكهنة والكتبة والفريسيون. يقصد بتغير قلوبهم، أنه يحولها.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ فإذا لم يبق لهم مذبح ولا هيكل ولا كاهن، ولم يكن لهم بالتالي تقدمات ذبائح، كانوا يشعرون بأن خطيتهم باقية فيهم، وأنه لا سبيل لناوالوا الغوان [667].

العلامة أوريجينوس

❖ ها سامريون وجليليون قد آمنوا بالمسيح لخرى اليهود وتخجيلهم، فالسامريون وجنوا أفضل من الجليليين، لأن أولئك السامريين قبلوه من كلام المرأة، أما الجليليون قبلوه من معجزاته. يذكر الإنجيلي السامع بالمعزة (تحويل الماء خرواً في قانا الجليل) لرفع من مديح السامريين، فقد قبله رجال قانا بسبب المعزة التي تمت في أورشليم، ولم يكن هذا حال السامريين، إذ قبلوه من أجل تعليمه وحده [668].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّلَامِ وَلَيْسَ نُورٌ،

وَيُؤَنِّحُهُمْ مِثْلَ السَّكَّانِ [25].

الذين كانوا قادة شعوب عظماء، لهم قوتهم العسكرية وسلطانهم العرهب سوعان ما فقوا كل شيء، وصلروا في مذلة وضعف. وكما يقول العرتل: "سلب أشداء القلب... كل رجال البأس لم يجنوا أيديهم" (مز 76: 5). صلروا كمن هم ضالين "في تيه بلا طريق" [ع 25]. يتحسسون الطريق في الظلام ويتنحون كسكوى بلاوعي ولا تفكير ولا قوة.

هكذا يتحدث أيوب عن الله ضابط الكل، الذي في قبضة يده كل التاريخ، مولاً الأحداث لحساب ملكوته. لا تستطيع قوة ما أن تقاومه!

❖ لماذا؟ لأنهم "أحوا الظلمة أكثر من النور" (يو 3: 19)، بطريقة صار فيها الرب نفسه متهماً لهم. لماذا أحوا الظلمة أكثر من النور؟ لأن أعمالهم شوية. فإنه لأمر حتمي أن الذين يملسون الشور يتنحون كالسكوى. فإنهم كسكوى يكونون مخبولين، عاجزين عن تمييز بين أمرٍ وآخر، أو بين الشر والصالح.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يا معشر اليهود، عندما تأتون إلى أورشليم وتجنون إنها خربت، وتحولت إلى زاب ورماد، فلا تبكوا كالأطفال (1 كو 4). لا تحزنوا، بل أنشدوا لكم مدينة في السماء بدلاً من تلك التي تبحثون عنها هنا على الأرض. **رتفوا بأبصاركم، فستجدون في الأعالي أورشليم الحرة التي هي أمنا جميعاً** (غلا 4: 26).

لا تحزنوا على غياب الهيكل هنا، ولا تيأسوا لاقتلركم إلى كاهن. ففي السماء تجنون مذبحاً وكهنة الخوات العتيدة، على رتبة ملكي صادق، في موكبهم أمام الله (عب 5: 10). فقد شاعت محبة الرب ورحمته أن يزع عنكم الإث الأرضي، حتى يتسنى لكم أن تطلبوا السموي [\[669\]](#).

العلامة أوريغينوس

من وحي أيوب 12

وهبتني الحكمة لأمدك، لا لأفحص أعمالك!

❖ لك المجد يا واهب العقل والفكر والقلب وكل الطاقات البشرية!

ليس لي أن أتشامخ على خليقتك، إخوتي في البشرية.

أنت العجيب في حكمتك، تقوم بتوزيع كل العطايا للبشرية.

هب لي عقلاً مقدساً، وقلباً يحملك فيه.

قدس كل كياني، قدس فكوي وقلبي.

رفع يارب فكوي بروحك، فأكرم كل زميل لي.

املاً قلبي، فيتسع بالحب لكل بشر.

❖ إلهي، كم تتمر نفسي من سخرية أحبائي بي!

صوت لهم مثلاً وأضحكة!

لكني أتطلع إليك، فأراك مجروحاً في بيت أحبائك!

تتهلل نفسي وتمجدك، لأنك سمحت لي بشوكة آلامك!

أتركت بحق أنك بحكمة سمحت لأحبائي أن يجرحوني!

أقبل هذه الجراحات إكليل مجد لا أستحقه.

وسط هزلة نفسي أتلمس يدك المعزية.

أترك أن كل سخرية تحل بي هي بسماح منك.

بحبك العجيب أردتني أن أشترك معك في تعوراتك!

رأى الظلمة لا تطيق النور.

والفساد يظن أنه قادر أن يحطم عدم الفساد.

وإبليس الساقط يظن أنه صاحب سلطان!
لك المجد يا من تحول آلامي إلى تسبحة مفرحة،
فرى عربون السماء معلناً في أعماقي.
لأترك يارب أن خطتك من نوري فائقة.
فأتهلل بسخوية إخوتي بي.

فيما هم يسخرون بي، واني السمائيون في مجد فائق!
حتمًا سوعان ما تعبر هذه اللحظات المؤقتة،
وأعبر بك إلى حضن أبيك،
وأتمتع بشوكة المجد السموي!
سيعبر الشتاء بتلجه، ويحل ربيع الأبدية ببهائه.

❖ إلهي، لقد وهبت البشرية حكمة وتعقلًا لتمجيدك.
هوذا حتى الخليقة تشهد لحكمتك وحبك ورعايتك!
الخليقة الظاهرة والخفية تمجيدك!
يشهد الكل لحكمتك غير المبركة.

❖ هب لي أن أسجد عند قدميك.
بكل قلبي أسبحك على ما أعرفه عنك أو ما لم أعرفه بعد.
حقاً، أقف في حرة أمام حكمتك،
رأى أشورا! ولصوصاً يظنون أنهم ملوك وآلهة.
يعيشون في حياة مزدهرة ناجحة،
بينما يتألم أولادك كمن قد حلّ بهم الغضب السموي!
من يقدر أن يدرك حكمتك يا أيها الحكيم القدير؟

❖ هوذا كل الطبيعة تركز لي:
لتخضع لأبيك السموي الذي يحبك ووعاك.
في يديه كل حياتك،
من أجلك أوجدنا، وها هو يُعد لك مكاناً في أحضانه الإلهية.
لا تتكل على خواتك الشخصية وحدها،
خالقك هو وحده يهبك الحكمة،

ويكشف لك فهم أسوره.
أخضع، فبتواضعك ترتفع إلى الأعلى.
لا تقاوم ولا تناضل،
هل تقاوم الجبله خالقها؟
من أعطاك الفم ليتكلم، والأذن لتسمع، واليد لتلمس؟
من وهبك العقل والفكر والحكمة والفهم؟
إنه يحبك، حياتك ومواهبك كلها عطايه لك!
+إلهي، من لي يسندني غيرك.
تشامخ ملوك وابطاطة ورؤساء فامتأوا علًا!
تشامخت أمم وشعوب قوية،
فسقطت أمام أمم ضعيفة.
إلهي هب لي روح التمييز، فأسلك كابن لك!
لك المجد يا من أحببتني قبل أن أوجد.
تحطم جهلي وغباوتي، وتهبني الحكمة التي عندك!
تبدد ظلمتي، وتهبني نورك الفائق!
تقتل موتي، وتهبني قيامتك المجيدة!
تفضح إبليس وجنوده، وتطوحهم تحت قدمي!
تهبني ذاتك، فلا أعتاز إلى شيء!

<<

الأصْحاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

عتاب هويء

أو

مدافع في المحكمة!

أوضح أيوب في الأصحاح السابق أن حكمة أصدقائه باطلة، لأنها حتى وإن حملت شيئاً من الحق، لكنها ليست بجديدة. ما نطقوا به كحكام يعترفون بمشورتهم وتوبيخاتهم له، يعرفه تمام المعرفة. هذا بجانب أن حكمتهم قد فقدت كيانها لأنه ينقصها الحب، مع عدم التمييز، لا يعرفون حدود التوبيخ الذي يتوقفون عنده، كما لا يعرفون التوقيت المناسب لتقديم المشورة. الآن في هذا الأصحاح يكمل أيوب حديثه موضحاً بأنه ليس بأقل منهم في

وجه إليهم أيوب الاتهامات التالية:

وَأولاً: إنهم أطباء بطالون، يجيدون الكلام، لكن لا يقدمون النواء اللائق.

ثانياً: صمتهم أكثر نفعاً من كلماتهم التي تشبه الرمام، لذا طالبهم بالصمت، فيحيون حكماً.

ثالثاً: لا يحملون غرة صادقة على مجد الله، إنما يتسترون بالمظهر الخرجي للغرة المقدسة.

رابعاً: اتسموا بمحابة الوجه خفية.

خامساً: ليس فيهم مخافة الرب، ولا رهبة جلاله.

سادساً: كلماتهم حطمتهم، وأفقدته الرجاء

بعد أن قدم هذه الاتهامات التي أفضت إليه بأشبهائه الموت وتسليم الروح، حول نظره عنهم لئلا يهلك، ورفع عينيه نحو الله يتحدث معه ويعاتبه.

في حوأة وسط آلامه اليرة دافع أيوب عن نفسه معلناً أنه هو وأصدقاؤه بدأوا بإعلان ذات الحقائق [١-٢]، بالاعتقاد بأن الله كلي القوة وكلي

الحكمة [١-٢]. لكنهم حولوا معرفتهم ضده، وأن بعض أفكلهم ليست صحيحة. إنهم ملفقو كذب، أطباء بطالون، وكلماتهم وخطبهم مثل رماد يُؤوى،

ومثل الطين لا تثبت عند المقاومة. يطلب إليهم أن يصمتوا، فيكون ذلك أولى بهم [4-5]. لأنكم بهذا يخفون جهلهم وسوء طبيعتهم.

حاول إقناعهم بالإساءة التي لتكوها في حق مجد الله، في الوقت الذي ادعوا فيه إنهم يدافعون عنه. لقد افتخروا إنهم دافعوا عن الله، وتعهبوا

بترويه وتوير كل ما فعله مع أيوب، بالرغم من أن الله غير محتاج لمحاميين مثلهم، وحق الله لا يحتاج إلى أكاذيبهم أو طرقهم الخاطئة. فإن "غضب

الإنسان لا يصنع برّ الله" (يع 2:1).

حاول أن يثير فيهم الخوف من دينونة الله. فإن دلّ موقف أيوب على الجسرة في الحديث، فموقفه أيضاً موقف الإجلال والكرامة له أكثر من

محولات أصحابه. ثم يطلب أيوب أن يتوكه وشأنه، لأنه ليس في أيديهم حل المشكلة الحيوية. إنه يود الحديث مع الله بخصوصها مباشرة [٣]. من حقه

الدفاع عن نفسه في محكمة الله إن كان شورا أو مذنباً، وليس أمام قضاة بشريين. الله - في الحقيقة - أكثر أمانة من أصدقاء أيوب. هنا مرة أخرى وى

أيوب يتحرك نحو الله بكونه رجاء الوحيد. تكلم مع الله في جسرة، حتى ولو كان ثمن ذلك هو حياته نفسها [١٣-١٥].

يسأل الله ألا يعاقب قبل أن يسمع منه، ولا أن يظهر جلاله الفائق بطريقة تجعله عاجزاً عن الحديث معه. يجد أيوب مسوته أن يدافع عن نفسه

وأن يجيب على أي إتهام موجه ضده. في نهاية كلامه يؤكد إنه ينتظر الخلاص حتى في الهلوية، ثم يسأل الله أن يهب له أمين: أن يبعد يده عنه، وأن

لا يدع هيئته وعبه [20-21]. ويتضح هنا إن صورة التهم ولهجة العناد قد حل محلها طلب الصبر والتأني، ويعوب أيوب عن دهشته من أن الله

يعامل بقسوة إنساناً ضعيفاً، حياته مملوءة من المشقة، وأيامه قصوة كالعشب الذي يببب، وكالظل الذي سوعان ما يزول. بل إن الشجرة التي تقطع قد

تعود فتوخ، أما الإنسان فإذا مات فإنه لا يحيا. لا يتظاهر أيوب إطلاقاً بأنه بلا خطية، ولكنه يقول بصراحة إنه خاطئ منذ صباه، يعترف أنه خاطيء

إلى حد ما لكن هذا لا يبرر كل ما حلّ به من متاعب موعبة. يريد أن يعف بدقة أية خطية معينة هي التي استوجبت عدوة الله له [24]. فإنه قبلما

يُسمع إليه يُعفى من العقوبة على خطايا [٢٣-٢٥]. لقد صار مسجوناً مداناً، موضعاً في القيود، تحت حراسة مشددة، وتحت الحفظ [٢٧]، مع أنه إنسان

ضعيف للغاية، ليس إلا [٢٨].

هنا يذكر ثلاثة أنواع من الخطايا: الخطأ والفشل والعصيان.

في حوأة يعاتب أيوب أصدقاؤه الثلاثة الذين سخروا به وقدموا اتهامات ضده. وفي حوأة عاتب الله بسبب ما حلّ به.

1. ليس دونهم 3-1

2. أطباء بطالون 8-4

3. الله يدينهم 9-12.

4. دعوة للصمت 13.

5. عتاب مع الله 14-19.

6. صرخة لوقف التأديب 20-22.

7. لماذا تحجب وجهك عني؟ 23-28.

1. ليس نونهم

هَذَا كُلُّهُ رَأَتْهُ عَيْنِي.

سَمِعْتُهُ أُذُنِي وَفَطِنْتُ بِهِ [1].

❖ انظروا كيف - حتى في تواضعه - ما أعلنه كان رمزياً، يقوده روح النوي، ويعلن له ما هو أسمي. فإنه يقول: " هذا كله رأته عيني"، واضح أنه ينطق برويا نبوية. "سمعتة أذني"، ذلك الذي يجده الله مقدساً اختله ليعلم أسوره.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ "وفطنت به ... متى نُظر إلى شيء أو سمع عنه دون أن يُمنح الإنسان فهماً لا تعود تكون هذه رؤيا نبوية. فوعون رأى في حلم أمراً ستحدث لمصر، لكنه لم يقدر أن يفهم مارآه، لم يكن نبياً. الملك بليتشر رأى أصابع يد تكتب على الحائط، ومع هذا لم يكن نبياً، لأنه لم ينل فطنة مارآه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَا تَوَفُّونَهُ،

عَرَفْتُهُ أَنَا أَيْضًا.

لَسْتُ تُؤْتِكُمْ [2].

الترم أيوب المتواضع أين يدافع عن نفسه ويمدح نفسه، كما فعل فيما بعد الرسول بولس حين وجهت بعض الجماعات في كورنثوس اتهاماً أنه ليس بوسول.

هنا يؤكد أيوب أنه ليس نونهم، وأن ما يعرفونه كان يعرفه هو أيضاً، فهو لا يحتاج وسط هذه الظروف إلى عظات ومناقشات، بل إلى حب ورعاية وصلوات تسنده.

❖ ليتنا لا نكون مجاهدين في الحوار وكسالى في صلواتنا (عنهم). لنصل إليها الأوغاء المحبوبين، لنصل لكي يعطينا الله النعمة، حتى لأعدائنا وبالأخص عن اخوتنا والمحبوبين [670].

القديس أغسطينوس

وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَ الْقَدِيرَ،

وَأَنْ أَحَاكِمَ إِلَى اللَّهِ [3].

تحوّل عن أصدقائه واتجه نحو الله، فإنه لم يسترح في الحديث معهم، لذا أراد الحديث مع القدير، فإن المحاكمة أمام الله أفضل من الوقوع في يد إنسان. الدخول في حوار مع الله أهون من الحوار مع الأصدقاء. وكما قال داود لجاد النبي: "قد ضاق بي الأمر جداً، فلنسقط في يد الرب لأن وراحمه كثرة، ولا أسقط في يد إنسان (2 صم 24: 14؛ 1 أخبار 21: 13).

❖ أنا أيضاً أعرف عظمة الله اللانهائية، حكمة الخالق غير المحدودة، وقوته المذهلة، ولكن مع معرفتي بهذا "أريد أن أكلم الرب"، فإني أعرف وه. إذ

هو بار يحتمل أولئك الذين يتحدثون معه دون أن يكونوا متهمين. فإنه إن لم يرد ذلك سأصمت، إذ أعرف ما ألوم به بكوني أنال شوف الخادم له. بأمره "أتكلم"، وأتجاسر إلى نرجة اتهام الله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إنني لن أكف عن الكلام مع الله، لأنني هل أتكلم مع إنسان؟ إنني أتكلم مع الله، العرف بأسوار أفكري. يقول إنه لأمر ذو قيمة عظيمة أن يحاكم أمام الله عن أن يحاكم أمامهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نحن نكلم القدير حين نطلب حوه، ونجاده (أحاكم أمام الله) حين نتحد معه في وه، نمحص أعمالنا ببحثٍ دقيقٍ. وربما يعني بالجدال مع الله أن من أطاع وصايا الله هنا سيأتي معه كديان حين يدين الشعب (مت 19: 28) ... لهذا فإن الرب أيضا يقول بإشعيا: "انصفوا المظلوم، افضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة، هلم نتحاجج" (إش 1: 17-18).

فإنه بحق يؤمهم أن يحاجوا الله بخصوص الاتهامات في الدينونة، هؤلاء الذين عند (سماعهم) كلمات الله يجحدون العالم الحاضر تمامًا. هكذا يتحقق الكلام معه بالصلاة، والمحاجة معه بالحكم.

لهذا يتكلم القديس مع القدير هنا، حتى يحاجه فيما بعد (في وقت الدينونة العام)، حيث يأتي مع الله فيما بعد كديان هذا الذي يلتصق مع القدير هنا بالصلاة.

وأما الكنيسة المقدسة التي سبق فقلنا أن أيوب يحمل شباها يأتي لها، فإنها ليس فقط تدين الأثوار حين يحل وقت الدينونة النهائية، وإنما حتى الآن لا تكف عن أن تدين الكل، سواء الذين يسلكون بالشر أو الذين يفكرون بغبوة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. أطباء بطالون

أَمَا أَنْتُمْ فَمَلْفَقُو كَذِبًا.

أَطِبَاءٌ بَطَّالُونَ كُكُّمُ [4].

يشتكى أيوب من أصدقائه، لأنهم حكموا عليه ودانوه حسب تصوراتهم الكاذبة وعدم إواكهم لعناية الله ورعايته وخطته من نحو البشرية. لهذا صاروا ملفقي كذب. نطقوا بالكذب ولفقوا له اتهامات كاذبة.

جاءوا إليه كأطباء يتعهدون جراحاته، لكنهم بالحق كانوا أطباء بطالين، لم يعرفوا المرض، فجاء العلاج قاتلاً. تحولوا من أطباء حكماء إلى مشعوذين دجالين. ادعوا العلم والمعرفة، وهم في جهل تام للحق الإلهي، لأنهم فقروا الحب.

لم يقبل أيوب اخوته كأطباء يقدمون له العلاج، متطلعين إلى المسيا القادم، بكونه طبيب النفوس والأجساد السموي، الذي يشفي عيون نفوسنا، فتمتتع بروية الإلهيات.

عجيب هو طبيبنا السموي، فإنه حين أعلن عن نفسه كطبيب كان يأكل في بيت عشار، ويلتف حوله كثير من العشرلين والخطاة. لم يكن يعظهم ولا كان يوبخهم على خطاياهم، لكنه كان يأكل معهم (لو 5: 27-32). لست أظن إنني أجد طبيباً يدخل إلى مستشفى ويدعو كل المرضى ليأكل معهم ثم يتركهم ويخرج من المستشفى دون أن يقدم لهم أوية خاصة بأوضاعهم لشفائهم منها.

لقد قدم السيد النواء حين أكل معهم، حيث قدم لهم الحب العملي، كان يأكل مع أولئك الذين كان المجتمع يمقتهم ولا يريد حتى التعامل معهم لئلا يتدنس. يمد القفوس يده ويأكل معهم، لكي يتركوا أن مخلصهم ليس ببعيد عنهم، ولا منغزل عنهم. هذا هو النواء السموي الذي قدمه الطبيب السموي.

إنه طبيب فريد وواءه فريد!

والعجيب أنه أعلن شخصيته هكذا كطبيب في اللحظات التي أعلن فيها أن تلاميذه هم بنو العوس أو أصدقاء العريس. وكان العاملين معه عملهم أن يتقبلوا أسوار العريس، فيعلنوا عن شخصه وسماته وإمكانياته للعوس، البشرية التي تقبل الإيمان به. كأنه لا عمل للعاملين مع الطبيب سوى الإعداد للعوس السموي الموح.

عمل خادم السيد المسيح وكل القادة، بل وكل مسيحي أن يساهم في الإعداد لهذا العوس، لا بالتوبيخ والانتهاز والإدانة، بل بالكشف عن محبة العريس ونزوله إلى عروسه، وفتح أبواب السماء - حجاله - لها. فالعروس تُعد لعيسها باكتشافها محبة عريسها لها وشوقه إليها.

❖ إنكم أطباء ضررون تجددون الأمراض، "تجددون الشر"، أنتم الذين لا تحققون الشفاء من الحواجات باستخدام أدوية لا ثقة جداً. هكذا أنتم تظنون أنكم تدافعون عن الله، وأن فمكم ينطق بكلمات مُسوة، ها أنتم تزورن شهوراً لمن قد وضع تحت المحاكمة، وتأتون لتعينوا العدو بإثارة مشاعر الأكم للمجروح.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ المرشد السموي، اللوغوس يدعى الهادي عندما يدعو البشرية للخلاص... لكنه إذ يعمل كطبيب أو مربى يصير اسمه "المربي"... فإن النفس المريضة تحتاج إلى مربٍ يشفي آلامها. ثم تحتاج إلى المعلم الذي يعطيها الإواك... "إعلان اللوغوس". هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة فخطوة يستخدم وسيلة ممتازة: أنه في البداية يهدي، ثم يصلح، وأخيراً يعلم.

❖ من هو؟ تعلموا باختصار أنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ يوده إلى الحق. أنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم الهلاك وطرلد الموت. أنه يبني هيكل الله في الناس، فيأخذهم لله مسكناً له.

يحتاج المرضى إلى مخلص،

ويحتاج الضالون إلى مرشد،

يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،

والعطاش إلى البينوع الحي الذي من يشرب منه لا يعطش أبداً،

والموتى إلى الحياة،

والخواف إلى راعي،

والأبناء إلى معلم؛

تحتاج كل البشرية إلى يسوع! [672]

القديس إكليمنضس السكثوري

❖ طوبى لهم حقاً، الذين في احتياجهم لابن الله، قد تجلوزوا الحاجة إليه كطبيب لشفاء أمراضهم، أو كراعٍ، أو كقادٍ، وصار احتياجهم إليه كحكمة وكلوغوس، أو كأحد الألقاب الأخرى التي يقدمها لأولئك الذين لهم الفصح الروحي الذي يهيئهم لأسمى النعم.

❖ في داخل أوهية الكلمة قوة، ليس فقط لمساعدة وشفاء من هم مرضى... بل للإعلان عن الأسوار لأنقياء الجسد والذهن.

❖ قد رُسِلَ الكلمة كطبيب للخطاة، بل وكمعلم لأولئك الذين هم بالفعل أنقياء وبغير خطية.

❖ بواسطة نور الكلمة تتبدد ظلمة التعاليم الهرطوقية. فالكلمة يفتح أعين أنفسنا، فنستطيع التمييز بين النور والظلمة، ونختار في كل حال أن نمكث في النور.

❖ ليس أمام من ينشد الشفاء سوى أن يتبع يسوع.

❖ تعال الآن إلى يسوع، الطبيب السملوي.

ادخل إلى هذه العيادة، التي هي كنيسة.

أنظر. فهناك برقد أعداد من الضعفاء. تجد امرأة تطلب التطهير (مر 5:25، لا 12). كما تجد أوص معزولاً "خارج المحلة" بسبب دنس بوصه (مر 1:40، لا 13:46).

إنهم ينشدون الشفاء من الطبيب، يطلبون كيف يصيرون أصحاء، وكيف يتطهرون.

يسوع الطبيب هو نفسه كلمة الله. إنه يُعدُّ أدوية لموضاه، لا من مستحضرات أعشاب، بل من قُدسيات الكلمات.

إذا ما نظر أحد إلى تلك الأوية اللفظية متناثرة بلا ترتيب في ثنايا الكتب، ولم يعرف قوة مُؤد الكلمات، ربما يعدل عنها كأشياء رخيصة تعزها بلاغة. أما من يَعلم أن نواء النفوس هو في المسيح، فسيفهم حتمًا من هذه الكتب التي تُؤأ في الكنيسة كيف يجب على كل شخص أن يجمع أعشابًا مفيدة من الحقول والجبال، أعني قوة الكلمات، لكي يحصل من هو متعب النفس soul على الشفاء، لا بقوة الأغصان الخرجية (للنباتات الطبية) والقثوة السطحية، بقدر ما هو بفاعلية العصلة الداخلية.

❖ هناك أيضا أمور أخرى كثرة مخفية عنا، لا يعلمها إلا ذاك الذي هو طبيب نفوسنا. فإنه فيما يختص بصحتنا الجسدية نجد لأمًا علينا في بعض الأحيان أن نتعاطى أدوية كريمة ومؤة كعلاج لأواضٍ جلبناها على أنفسنا من خلال الطعام والشواب. كما يحدث إذا ما استثمرت طبيعة الداء أن تحتاج إلى معالجة قاسية بمشوط الحواح في عملية حواحية مؤلمة. نعم، وإذا حدث أن امتد المرض إلى حد تجلوز تأثير هذه الوسائل العلاجية، يصير اللجوء آخر المطاف إلى حيث لا بد من كي الداء بالنار. كيف يتسنى لنا أن نترك أن الله طبيبنا، وغب في غسل أواض نفوسنا التي جلبتها علينا العديد من الخطايا والحوائث، ويستخدم علاجًا تأديبيًا من أنواع مماثلة قد تصل إلى حد توقيع عقوبة النار على الذين فقوا صحة نفوسهم.

العلامة أوريجينوس

❖ ولأ لتتركوا تنزل الله. لتتنزلوا فتكونوا متواضعين لأجل أنفسكم، متطلعين إلى الله الذي تنزل مواضعًا لأجلكم أيضًا وليس لأجل نفسه...

اعترفوا بضعفكم؛ ولتوقفوا أمام الطبيب في صبر.

عندما تتركون تنزله ترتفعون معه، ليس بأن يرفع نفسه بكونه الكلمة، بل بالحري يُبرك منكم أكثر فأكثر...

هو لا يزيد، لكنكم أنتم تتقدمون، فيكون كمن ارتفع معكم...

تطلعوا إلى الشجرة فإنها ولا ضربت جنورها إلى أسفل حتى تنمو إلى فوق. تثبت جنورها السفلي في الأرض لكي ما تمتد بقمتها إلى السماء.

هل تبذل جهدًا للنمو إلا من خلال التواضع؟ إذن "ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة... لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله" (أف 3: 17 - 19) [673].

القديس أغسطينوس

❖ زى الكتاب المقدس لا يقدم لنا الرب تحت اسم واحد، ولا تحت الأسماء المنوطة بلاهوته فقط، أو الدالة على عظمته، بل ترة يستعمل موات

الطبيعة (خواصه الأفتنومية)، فيعرف أن يقول: "الاسم الذي يفوق جميع الأسماء" (في 2: 9)، اسم الابن، والابن الحقيقي، والله الابن الوحيد، وقوة الله وحكمته وكلمته. وترة، بالنظر إلى كثرة سبل وصول النعمة إلينا التي بصلاحه يمنحها لطالبيه حسب حكمته الكثرة الأوصاف، يدعوه الكتاب المقدس

بنوعت أخرى كثرة، فهو يسميه ترة الواعي، وترة الملك، ثم الطبيب ، فالعريس والطويق والباب والينوع والخبز والفأس والصخرة. هذه التسميات

[674]

لا تدل على الطبيعة، كما قلت، بل على تعدد مظاهر النشاط الذي يبذله، رحمة منه بكل فرد من خليقته، وتلبية لحاجة كل من يسأله .

القديس باسيليوس الكبير

❖ gennetos يوجد طبيب واحد، هو في الوقت نفسه جسم وروح (إنسان وإله)، مولود ، وغير مولود، الله صار إنسانًا. حياة حقيقية في موت (في جسد

[675]

قابل للموت)، كان قابلاً للموت (بالجسد) وأصبح الآن غير قابلٍ للموت (بقيامته)، من مريم ومن الله، هو يسوع المسيح ربنا .

القديس أغناطيوس الثيوفورس

❖ إذن لننعتد له بكونه إله مؤمنين بتأنسه، لأنه لا نفع من القول عنه إنه إنسان وليس الله، أو أي خلاص لنا إن رفضنا الاعتراف ببشويته مع أوهيته؟
لنعترف بحضوره إذ هو ملك وطبيب. لأن يسوع الملك إذ صار طبيباً اترر بكتان ناسوتنا، وشفى ما كان مريضاً. المعلم الكامل للوضع صار رضيعاً
بينهم (رو 2:20) لكي يعطى حكمة للجهلاء. خبز السماء تول إلى الأرض لكي يطعم الجوع! [676]

❖ "يسوع" تعني "مخلص"، أما في اليونانية فتعني "الشافى"، إذ هو طبيب الأنفس والأجساد، شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذهان إلى
النور. يشفي الوج المنظورين، ويقود الخطاة في طويق التوبة، يقول للمفلوج: "لا تخطئ"، وأيضاً: "احمل سريوك وامش"، لأن الجسد كان مفلوجاً
بسبب خطية النفس. خدم النفس أولاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد.

لذلك إن كان أحدكم متألمًا في نفسه من خطاياها، فإنك تجده طبيباً لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان فليقل له: "أعن عدم إيماني" (مر 9:24).

[677]

وإن أصاب أحدكم آلام جسدية، فلا يكن غير مؤمن، بل يقرب فإن يسوع يعالج مثل هذه الأرواح، وليعلم أن يسوع هو المسيح .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ أودية الطبيب الكثيرة، يهب بها الشفاء... يضمّد الجراحات بوصايا حزمة، ويبعث الدفاء عندما يغفر الخطايا. وينخس القلب كما تفعل الخمر،
عندما يعلن دينونته. وأركبه على دابته (لو 10: 34)؛ تأمل كيف يُصعدك (فيه) إذ حمل خطايانا وتألم لأجلنا (إش 53: 4). حمل الراعي أيضاً
الخروف الضال على منكبيه (لو 15: 5).

القديس أمبروسيو

لَيْتَكُمْ تَصْمُتُونَ صَمْتًا.

يَكُونُ ذَلِكَ لَكُمْ حِكْمَةً [5].

أنتهم جاؤوا ليقدموا مشورات حكيمة، فظهروا أنهم هم بالأكثر يحتاجون إلى من يرشدهم، ويدخل بهم إلى الحكمة. أما الحكمة التي هم في عوز
إليها فهي أن يصمتوا صمتاً، فصمتهم أنفع من الكلام الباطل الجرح. وكما يقول الحكيم: "الأحمق إذا سكت يُحسب حكيماً، ومن ضم شفثيه فهيمًا" (أم
17: 28).

❖ " كان الأفضل من أجل الله أن تلتزموا بالصمت، فيكون لكم حكمة" [5]... الحكيم ليس فقط من يتكلم حسناً، مقدمًا مشورات مفيدة، ومعلنًا ما هو نافع
ووقور للكل، وإنما أيضاً من يلجم نفسه (يع 3: 2) ... إنه واعي ما تغنى به داود في الزمير: "ضع يارب حرساً لفمي، ولباباً حصيناً لشفثي. لا
تمل قلبي للشر لأتعل بل الشر مع فاعلي إثم" (مز 141: 3-4).

لننزل تمامًا عنهم حتى إن ظنوا أحياناً أنهم يدافعون عن الله، لا بقصد تمجيد الله، وإنما للافتراف على من يكوس نفسه للبر، وأن يخون جندي
الصلاح... إذ يحتاج الإنسان أن يهرب من المخادعين وصادقتهن، ويدير وجهه عن إطوائهم. أما رجال الصلاح فيقبلون التوبيخ الصادر عنهم، ويذكرون
في وقار حديثهم الخبيث ضدهم، فإن كل الأمور تؤول لخوهم، وتعمل للصلاح (رو 8: 28)، وسوغان ما ينالون مديح الله الآب والابن والروح
القدس...

لقد تحدث أيوب بعد فقدانه كل غناه كما لو كان في فيضٍ.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كما في متولٍ عندما يكون الباب مغلقاً لا يعرف أي الأعضاء مختفين فيه، هكذا بصفة عامة إن الترم الجاهل بسلامه (صمته) يخفي أمره إن كان
حكيماً أو غيباً. هكذا هو الأمر متى لم يخوج عمل إلى حيز النور، فيتكلم الذهن حتى وإن كان الإنسان صامتاً. لهذا فإن القديس إذ رى أصحابه

يظهرون على ما هم ليسوا عليه بوصيهم بحفظ سلامهم (صمتهم) حتى لا ينكشفوا على ما هم عليه. هكذا قيل بسليمان: "الأحمق إذا سكت يُحسب حكيمًا" (أم 17: 28).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "ضع يارب حافظا لفي، وبابا حصينا لشفتي" (مز 141: 3). لم يقل: "حاصرًا حصينًا، بل "بابًا حصينًا". فالباب يُفتح كما أيضا يُغلق. فإن كان هذا بابًا، فليفتح ويغلق. يفتح للاعتراف بالخطية، ويغلق للغوان عن الخطية. فإنه باب للحصانة لا للتدمير. [678]

القديس أغسطينوس

اسْمُوا الْآنَ حُجَّتِي،

وَاصْنُوا إِلَيَّ دَعْوِي شَفْتِي [6].

يدعوهم إلى الاستماع إليه عوض الكلام الباطل. بالرغم من أنهم لم يقاطعوه، لكنهم لم يبالوا بكلماته، ولا أصغوا لصرخات نفسه العرة. ظنوا أنهم دافعوا عن الله، ونطقوا بالحق، لكن بدون الحب العملي لا يعرفون الله، ولا يبركون الحق.

❖ " اسموا الآن توبيخاتي، وأنصتوا إلى حكم شفتي" [6] حسنًا يبدأ ولأ بتقديم التوبيخ وبعد ذلك "الحكم". فإنه ما لم يخدم غرور الأحمق لا يفهم حكم البار نهائيًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَتَقُولُونَ لِأَجْلِ اللَّهِ ظُلْمًا،

وَتَتَكَلَّمُونَ بِغِشٍّ لِأَجْلِهِ؟ [7]

يسخف بهم أيوب لأنهم ظنوا أن الله محتاج إليهم ليدافعوا عنه، ويكشفوا عن عدله. وكأنه يقول لهم: من أنتم أيها الضعفاء العديمي الحب حتى تدافعوا عن الحق الإلهي الذي لا ينفصل عن الحب؟

خلال دعوتهم بالدفاع عن العدل الإلهي نطقوا بالغش، وقدموا اتهامات باطلة ضد أيوب، وحسوه شروًا، فسقطوا في الكذب والقسوة والظلم والإساءة إلى أخيهم. ويبررون هذا كله بأنه "لأجل الله". لم يبركوا أن "غضب الإنسان لا يصنع برَّ الله" (يع 1: 20).

برروا تصوراتهم الشروعة مع أيوب بأنها لتحقيق هدفٍ سامٍ وهو الدفاع عن الله، فهل تبرر الغاية الصالحة الوسيلة الشروعة؟ وكأنهم يقولون: "لنفعل السيئات لكي تأتي الخوات" (رو 3: 8). لقد وبخ الله الذين يبغضون إخوتهم وهم يسبحون الله: "قال إخوتكم الذين أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمي ليتمجد الرب. فيظهر لوجحكم، وأما هم فيخزون" (إش 66: 5).

من له شوكة مع الله، الحق، لن يقدر أن يملس الغش والكذب، إلا إذا انحرف الإنسان عن الله الذي لا يطيق الغش. كثوًا ما يضع الموثل الغش مع سفك الدماء في ذات الوجبة، لأن غايته هلاك نفوس الآخرين وممتلكاتهم أو كرامتهم، وإذا بالغايش يُهلك نفسه، ويحرم نفسه من المجد والتطويب الأبدى.

"تهلك المتكلمين بالكذب، رجل الدماء والغش يكوه الرب" (مز 5: 6).

"طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية، ولا في روحه غش" (مز 32: 2).

"صن لسانك عن الشر، وشفيتك عن التكلم بالغش" (مز 34: 13).

"وأنت يا الله تحوهم إلى جب الهلاك، رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم، أما أنا فاتكل عليك" (مز 55: 23).

"لا يسكن وسط بيتي عامل غش، المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني" (مز 101: 7).

"ماذا يعطيك، وماذا يزيد لك لسان الغش؟" (مز 120: 3).

- "موازين غش مكوهة الرب، والوزن الصحيح رضاه" (أم 11: 1).
- "الشوير يكسب أهوة غش ، والوزن البرّ أهوة أمانة" (أم 11: 18).
- "من يتقوه بالحق يظهر العدل، والشاهد الكاذب يظهر غشًا" (أم 12: 17).
- "الغش في قلب الذين يفكرون في الشر، أما المشيرون بالسلام فلهم فح" (أم 12: 20).
- "حكمة الذكي فهم طريقه، وغبوة الجهال غش" (أم 14: 8).
- "الشاهد الأمين منجي النفوس، ومن يتقوه بالأكاذيب فغش" (أم 14: 25).
- "معيار فمعيار مكوهة الرب، وموازين الغش غير صالحة" (أم 20: 23).
- "ذبيحة الشرير مكوهة، فكم بالحوي حين يقدمها بغش" (أم 21: 27).
- "بشفتيه يتكرر المبغض، وفي جوفه يضع غشًا" (أم 26: 24).
- "لأن روح التأديب القنوس يهوب من الغش ، ويتحول عن الأفكار السفيهية، وينهزم إذا حضر الإثم" (الحكمة 1: 5).
- "خطفه لكي لا يغير الشر عقله، ولا يطغي الغش نفسه" (الحكمة 4: 11).
- "لا تدخل كل إنسان إلى بيتك، فإن مكائد الغشاش كثوة" (سواخ 11: 31).

❖ ألا تتكلمون أمام الرب، وتتطقون بالغش أمامه، بالرغم من كلماتكم الرائعة. هذا هو ما يود أن يقوله: إنكم لا تعتقدون أن الله يصغي إلى ما تقولونه، لأن الخداع يلتصقكم الحوار. ليس من دافع حسن يحرككم، وإنما الرغبة في الإساءة إلى شهرتي، وتقديم تعليقات جرحية. فإنه وإن كانت كلماتكم لائقة، فإنكم لا تعبرون بها عن نية حسنة؛ إنها لا تطلب التقويم والإصلاح والتقدم، بل تطلب الهدم، فإنكم لستم تعلمون إنسانًا جاهلاً تمامًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " هل يحتاج الله إلى كذبكم، فتتكلّمون بغش لأجله؟ " لا يحتاج الله إلى كذب، فإن الحق لا يقبل أن يتحقق بمعونة الباطل... ينطق الهواطة بالغش لأجله، حيث يخدعون أصحاب العقول الضعيفة مضللين مفاهيمهم عن الله بطريقة حمقاء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

في تعليق القديس أغسطينوس على مز 55: 23 ، يقلن بين سافكي الدماء والهواطة المخادعين والمتكلمين بالغش فيقول أن سافكي الدماء هم قتلة ظاهرون يسفكون دماء الأجساد ولا يقتلون النفوس، أما الهواطة فيهلكون النفوس ويسفكون دماء غير المنظور. إنهم سافكو دماء ومخادعون! [679]

في تعليقه على تساؤل المرنل وإجابته: "ماذا يعطيك، وماذا يوضع أمامك مقابل لسان الغش؟ سهام جبار مسنونة مع جمر مهجور" (مز 120: 3-4) (وى مقاومة أصحاب الألسنة الغاشة لا تكون بالكلام المجرد، إنما تحتاج إلى كلمة الله، السهام المسنونة التي للجبار، مع وجود أمثلة حية لأشخاص أوار كانوا كقفر مهجور بلا حياة وصاروا ملتهبين كالجمر. يقول: [لا يكفي أن نرد عليهم بالكلمات، إنما ندافع بالأمثلة أيضًا... فالكلمة: "جمر" تستخدم للتعبير عن أمثلة لخطاة كثيرون رجوا إلى الرب. إنكم تسمعون أناسًا يندهبون قائلين: "أنا أعرف إنسانًا كيف كان مدمنًا السكر، كم كان في دنائة يهوى المسلح والسرور ويحب الخداع، الآن ها هو يخدم الله، كيف صار هكذا بريقًا! لا تتعجبوا، فإنه صار جوارًا حيًا. لتفوحوا أنه حي، ذلك الذي

[680] حزنتم عليه بكونه كان ميتا .

أَتَحَابُونَ وَجْهَهُ،

أَمْ عَنِ اللَّهِ تَخَاصِمُونَ؟ [8]

لا يحتاج الله إلى مدافعين عنه، في دفاعهم يبغضون اخوتهم. "أتحابون وجهه؟ أم عن الله تخاصمون؟" كيف يخدمون الله بالبغضة والكراهية لاختوتهم؟ ففي غيوتهم على الله، يهينون الله ويسلبون كرسي حكمه بكونه الديان للبشر. إذ هو وحده يعرف كل نفس وقوتها وميولها، ومواهب الإنسان

وتكوينه البيولوجي وطاقاته والظروف المحيطة به. وبناء على هذا كله فهو الذي يدين أو يبرر. حقًا قد نعرف إنسانًا أخطأ خطية معينة وربما واضحة لا تحتاج إلى بحث، لكن هل يمكن أن نحكم على الإنسان ككلٍ من أجل خطية أو خطايا ارتكبها في وقتٍ ما، ونحن لا نعرف أعماقه أو ظروفه؟! ❖

" هل تنوبون عن شخصه؟ هل عن الله تخاصمون؟" [8] لأنه عندما يرى الأغبياء أفعال الحكماء تبدو لهم كلها إنها مستحقة للوم. ينسون فراغهم ونقائصهم، ويحكمون على تصرفات الغير بغيرة أعظم... ومن الجانب الآخر عندما يوبخ الأوار تصرفات الأثوار، يعترفون دومًا بضعفاتهم هم وأنهم مستحقون للوم. فإنهم حتى وإن انتهروا واندفعوا بقوة لمقلومة شرور الآخرين من الخرج غير أنهم يتعاطفون معهم في الداخل، متريكين أن فحص خطايا الناس هو من اختصاص الله... لهذا فإن أصدقاء أيوب الطوبوي وبخوا أعماله كما لو كانوا لم يرتكبوا هم شيئًا ملومًا.

حسنًا قيل هنا: " هل تنوبون عن شخصه؟ هل عن الله تخاصمون؟ " فإن يرتدى الشخص وجه الله يعني أنه يدعي لنفسه سلطانه في الإدانة، ويخاصم الشخص عن الله عندما ينتهر نقاط الضعف في الآخرين ولا يشعر بضعفه الشخصي الداخلي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قال شيخ: "إذا كان لا يعرف ما في الإنسان إلاً بروحه كقول الرسول، وإذا كنا نعلم أن كثيرون تابوا ولم نعلم بتوبتهم، إذن قد يتوب الإنسان في آخر حياته، وتقبل كتوبة اللص، فعليك إلاً تدين أحدًا. فالديان هو الله وحده، فكيف يجسر أحد أن يتدخل فيما هو خاص بالله؟!"

بستان الرهبان

❖ لا تكن ديانًا لأخيك، لتوهل أنت للغفوان ، فربما واه دائمًا مخطئًا، لكنك لا تعلم بأية خاتمة يفارق العالم. فاللص المصلوب مع يسوع كان قاتلاً وسفكًا للدماء، ويهوذا كان تلميذًا للمسيح ومن الأخصاء، إذ كان الصندوق عنده، إلاً أنهم في زمن يسير تغوا، فدخل اللص الفروس، واستحق التلميذ المشنقة وهلك.

القديس أنسطاسيوس

❖ انظروا يا اخوتي، إن عمل الخدام في عرس ابن الملك (مت ٢٢) لم يكن سوى جذب الصالحين والأثوار إلى الوليمة، ولم يقل الرب عنهم أنهم داؤوا المدعويين وميَّروا بين الصالحين والأثوار، ولا قال عنهم إنهم وجنوا من ليس عليه لباس العرس، بل الملك نفسه هو الذي رآه، سيد البيت وحده هو الذي اكتشفه وأخرجه.

القديس أغسطينوس

❖ إن أبصرت إنسانًا قد أخطأ وشاهدته في الغد، فلا تنظر إليه كخاطئ، فإنك لا تعرف إن كان في فترة غيابك عنه قد عمل شيئًا صالحًا بعد السقطة، إنما تزوع إلى الرب بزفات وعوات مرة، مستعطفًا إياه!

مار أفوام السرياني

3. الله يدينهم

أَخَيْرٌ لَكُمْ أَنْ يَفْحَصَكُمْ،

أَمْ تَخَاتِلُونَهُ كَمَا يُخَاتِلُ الْإِنْسَانُ؟ [9]

من صالحهم، والأفضل لهم أن يفحص الله قلوبهم، ويكشف لهم كراهيتهم لإخوتهم وبغضهم للحق، عن أن يتستروا بالدفاع الظاهري عن الله، فيخاتلونه (بخدونه في غفلة) كما يُخاتل الإنسان.

❖ كل مبتدع بالنسبة لله هو "عدو ومدافع" ، فإنه في صواعه وفي طريق دفاعه عن الله يقولم الحق. لكن لا يمكن أن يهرب شيء من نظر الله، إذ يحكم حسب أفكار القلب أكثر من المظهر الخارجي الذي يبدو فيه كمن يخدم الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كيف يقاومون الحق إلا بواسطة غرور كويائهم المتشامخ باطلاً، بينما يقيمون أنفسهم متشامخين إلى العُلَى كعظماء وأوار، وإذا بهم يعبرون كالهواء الفلغ [681].

القديس أغسطينوس

❖ إن كان أحد يعترض على وجود هواقة الآن، فلينكر أن الأمر هكذا منذ البداية، إذ كان الشيطان يقيم الضلال على النوام في مقابل الحق. في البداية وعد الله بالصالحات، وقدم أيضاً الشيطان وعده. أقام الله الفردوس، وخدع الشيطان الإنسان بقوله: "تصوان كالله" (تك 3: 5)، فإن كان قد عجز عن تقديم عمل قدم وعوداً هي بالأكثر كلمات، وهذه هي طبيعة المخادعين.

بعد هذا جاء قايين وجاء معه هابيل،

أبناء شِيث ومعهم بنات الناس،

حام ومعهم يافث،

إواهم (وفي أيامه) وُجد فوعن،

يعقوب ومعهم عيسو.

وهكذا جاء موسى (وهرون) وقام الساحوان.

الأنبياء ومعهم الأنبياء الكذبة.

الوسل والوسل الكذبة،

المسيح وسيجيء ضد المسيح.

[682] هذا ما كان قبلاً، وما حدث إلى ذلك اليوم... وفي اختصار لم يكن هناك وقت لم يوجد فيه الباطل ليقف ضد الحق. إذن لا تقلقوا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

تَوْبِيحًا يُوْبِّحُكُمْ، إِنَّ حَابِيْتُمْ الْوُجُوْهَ خَفِيَّةً [10].

في توبيخهم لأيوب بهذه الروح المملوءة بغضة، صاروا محابين للوجه ولو خفية، لذا لا يُحسبون في عين الله مستحقين للمدح، بل للتوبيخ بشدة. يستقبح الله الكراهية المستترة تحت الدفاع عن الله وعن مجده وملكوته. لعله قصد بمحابة الوجه أنهم كانوا يكومونه ربما بمبالغة في غناه، وبلا سبب تغير سلوكهم تماماً عندما افتقر وفقده موكوه الاجتماعي وسلطانه كملكٍ أو قائدٍ وأيضاً كل ماله. لقد حزننا الكتاب من المحابة.

والآن لتكن هيبية الرب عليكم، احزنوا وافعوا، لأنه ليس عند الرب إلها ظلم، ولا محابة، ولا رتشاء" (2 أخبار 19: 7).

"هذه أيضاً للحكماء محابة الوجه في الحكم ليست صالحة" (أم 24: 23).

"محابة الوجه ليست صالحة فيذنب الإنسان لأجل كسوة خبز" (أم 28: 21).

"لأن ليس عند الله محابة" (رو 2: 11).

وانتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده محابة" (أف 6: 9).

وأما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محابة" (كو 3: 25).

"أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختلرين، أن تحفظ هذا بدون غرض، ولا تعمل شيئاً بمحابة" (1 تي 5: 21).

"يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحابة" (يع 2: 1).

وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محابة حسب عمل كل واحد، فسروا زمان غوبتكم بخوف" (1 بط 1: 17).

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) إن الله هو فاحص أسوار القلوب ولا يخفي عنه شيء (1 كو 4: 5)، فقد يحدث تحت ستار الدفاع عن الحق، يلوم البعض الإنسان البار، ويحابون من يقف ضد البار، بينما يقفون في صف المجدفين على الله. هؤلاء يدعون أنهم يمجنون الله، بينما لا يحملون إخلاصًا في تصرفاتهم. إنهم مثل الشياطين التي قالت للسيد المسيح: "أنت هو ابن الله" (مر 3: 11)، وهم في هذا لا يطلبون مجده، بل يرتعون مما سيحل عليهم.

❖ ما هو النفع الذي يعود عليك بتكريمك (محاباتك) للغني؟ هل لأنه أكثر استعدادًا لإبقاء محبة الآخرين له؟ فنقدم المعروف لمن نتوقع منهم أنهم سوافرننا عنه. إنه يؤمننا أن نفكر بالأكثر فيما يخص الضعفاء والمحتاجين لأننا بسبب هؤلاء نؤجى الخراء من الرب يسوع، الذي في مثال وليمة العرس (لو ١٤: ١٢-١٣) قدم لنا صورة عامة للفضيلة. فقد طلب منا أن نقدم أعمالنا بالأكثر لمن ليس في قوتهم ردها لنا [683].

❖ إن كان ملكوت الله للمساكين، فمن هو أغنى منهم؟

القديس أمبروسيوس

❖ الجميع عند الله متسلون، إنما تسمو مقولة كل واحد منهم حسب إيمانه، وليس حسب أمواله.

القديس أغسطينوس

❖ كثيرون ينتهرونني قائلين: أنت دائماً تُضيق على الأغنياء، وهم بالتالي يُضيقون على الفقراء.

حسنًا إنني أُضيق على الأغنياء، أو بالحري ليس على الأغنياء، بل على الذين يُسيئون استخدام الأموال. فأنا لا أهاجم أشخاصهم بل جشعهم. فالغنى شيء، والجشع شيء آخر، وجود فائض شيء والطمع شيء آخر.

هل أنت غني؟ أنا لا أمنعك من هذا. كن غنيًا. هل أنت جشع؟ إنني أُوعدك... إنني لن أسكت.

هل تهاجمني بسبب هذا؟ إنني مستعد أن يُسفك دمي، لكنني أريد أن أمنعك عن أن تخطيء. إنني لا أكنُ لك بغضة، ولا أشنّ عليك حربًا، إنما

أريد أموالًا واحدًا هو نفع المستمعين إليّ.

إن الأغنياء هم أولادي، والفقراء أيضًا أولادي. إن رحما واحدًا (المعمودية) تمخض بهم بشدة. فالكل هم نسل لمن تمخض بهم. فإن كنت تكيل

الإهانات للفقير، فإنني أُوعدك، لأن الفقير في هذه الحالة لا تحل به خسرة مثلك. لأنه لا يسقط في الخطأ، بل ما يصيبه من خسرة هو مجرد فقدانه

المال، أما أنت فكعني تلحق بك الخسرة في روحك [684].

القديس يوحنا ذهبي الفم

فَهَلَّا وَوُهْبُكُمْ جَلَالُهُ،

وَيَسْقُطُ عَلَيْكُمْ رُغْبُهُ! [11]

يحنوهم أيوب من تصرفاتهم غير اللائقة، فإنهم إذ يظنون أنهم يدافعون عن الله، إذا بهم يسقطون تحت غضبه، لأنهم يسلكون بالشر، فتسقط

عليهم ربة جلاله ورُعبه.

❖ الآن يترك الأوار ربة الله قبل أن يثور سخطه عليهم. إنهم يخافونه وهو في هوء (من جهتهم)، لنلا يلتزموا بالشعور به عند تحركه بالغضب.

من الجانب الآخر، فإن الأشوار يرتعون منه لأول مرة عندما يُضربون بالعصا، وقيمهم الرعب من حالة النوم في جمودهم، إذ يقلقهم الانتقام. هكذا

قيل بالنبي: "يكون الأزعاج وحده هو السند لفهم ما يسمونه" (راجع إش 28: 19). فإنهم إذ يبدؤون في السقوط تحت ضربات الانتقام بسبب

استخفافهم بوصايا الله وإهمالهم لها، يفهمون ما يسمونه. يقول المرنثل: "إذ قتلهم طلوه" (مز 78: 34)...

البابا غريغوريوس (الكبير)

حُطْبُكُمْ أَمْثَالُ رَمَادٍ،

وَحُصُونُكُمْ حُصُونٌ مِنْ طِينٍ! [12]

افتخر أصدقاء أيوب بأنهم مدافعون عن الله وعدله وأحكامه، فإذا بكل أحاديثهم تشبه الوماذ، تافهة وبلا قيمة، يهب الريح فيتلاشى الوماذ. تطير أفكلهم من أجسادهم الزاوية، يعبرون وتعبير معهم حكمتهم البشوية. إ نهم لا يكسبون حكمة للؤمن، بل أكراماً من الطين، يريد أولاد الله الخلاص منها. يشبه أحاديثهم بالتواب، لأنها تقوم على أفكار رُضية زائلة، ولا تعتمد على الحكمة السماوية الأبدية. يتحصنون بالمنطق البشوي، الذي لن يقدر أن يحميهم إلا إلى لحظات.

❖ " تذكركم مثل رمادٍ " [12] . كل الذين يتشكلون حسب الحال الحاضر، تكون أفكلهم رُضية، فإنهم بكل ما يفعلونه يتكون ذكوى وقتية لهم في العالم. البعض يجاهدون في حربٍ، وآخرون بإشادة مبانٍ شاهقة، والبعض بتسجيل كتبٍ تحمل خوات هذا العالم. إنهم يتعبون ويصلحون ويبنون لكي يقيموا ذكوى لأسمائهم. ولكن إذ تحوي الحياة نحو النهاية بسوعة، أي شيء يثبت فيها، حينما تهوي الطبيعة عينها بسوعة؟ نسمة الهواء تنوى الوماذ، كما هو مكتوب: "ليس كذلك الأثوار، لكنهم كالعصافة التي تنزيها الريح" (مز 1: 4) . بحق تُقرن ذكوى الأغبياء بالوماذ، حيث يكون موضعها هو أن تنزيها نسمة الهواء. بقدر ما يتعب الإنسان لينال مجداً لاسمه، يضع ذكواه التي كالوماذ في مهب رياح الإماتة المسوعة إلى لحظة. على عكس هذا كُتب عن الصديق: "الصديق يكون لذكرٍ أبدي" (مز 112: 6). فإنه بذات الظروف حيث يطبع أعماله على عيني الله وحده، يثبت اسمه لذكواه في العالم الأبدي.

❖ " وتتحط أعناقكم إلى الطين " [12] ... هكذا تتحط العنق إلى الطين، عندما يقول كل متشامخٍ إلى الموت، وينحل الجسد الذي ارتفع في الفساد. لنتأمل في جثث الأغبياء الملقاة في قبرهم، أي فوجٍ من الموت حلّ بالجسد الذي بلا حياة، ما هي نتانة فساده!

البابا غريغوريوس (الكبير)

4 . دعوة للصمت

أُسْكُوا عَنِّي، فَأَتَكَلَّمُ أَنَا،

وَلْيُصِبنِي مَهْمَا أَصَابَ [13].

إن كان قد أصيب أيوب بتجربٍ هذا مقدرها، فإنها أهون مما أصابه من كلمات أصدقائه. تجربه لن تدينه بل توكيه، أما كلماتهم الشروة وكذبهم وبغضهم، فمصائب أخطر من كل نكبة أو كلثة!

يليق بهم أن يصمتوا لأنهم محبوبون للجدال غير النافع. ليتكلم أيوب، ويكشف لهم ما هم عليه، حتى وإن تكلم وهو جالس في العزلة يرتدى ثوباً من الود المحيط به.

لا يبالي أيوب بما يصيبه: "وليصبني مهما أصاب" ، ومهما فسروا هذه المصائب، وفكروا فيه أسوأ تفكير، فإن هذا كله لن يوقف شهادة ضموره التي يقدمها بكل استقامة وزاهة.

❖ " اسكوا عني قليلاً، فأتكلم ما يمليه عليّ فوي " [13] . إنه يظهر أنهم تكلموا بإواك جسدي، هؤلاء الذين يؤمهم بالصمت، ليتكلم حسبما يمليه عليه عقله. كأنه يقول بكلمات واضحة: "لست أتكلم بطريقة جسدية بل روحية، لأنني اسمع بإواك روعي الأمور التي أقدمها بخدمة الجسد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ عندما تلتقي بإنسان محب للمجادلات، ويبدأ يجادل معك فيما هو بديهي وحق، اقطع الحديث وانسحب سريعاً، إذ تحوّل ذهنه إلى حجر.

[685]

فكما أن الماء يفسد أجود أنواع الخمور، هكذا المناقشات الغبية تفسد الفضلاء في السورة وفي طباعهم .

القديس أنطونيوس الكبير

5. عتاب مع الله

لِمَاذَا أَخَذُ لِحْمِي بِأَسْنَانِي،

وَأَضَعُ نَفْسِي فِي كَفِّي؟ [14]

لعل أيوب يود أن يبرز رغبته في الشهادة للحق تحت كل الظروف، ليس فقط عندما مُرِق بسبب كورثته، وإنما حتى إن مَرِق جسمه بأسنانه، وإن وضع نفسه على كفه ليسلمها للموت، هذا كله لن يجعله يصمت عن الكشف عن واءته في الرب، وعن خطأ تفسير أصدقائه للأحداث.

❖ إنها تعني: لماذا أدين نفسي بطريقة صُلْمَة أمام البشر، أو أظهر ما يميل إليه قلبي مادام هذا ليس فيه بنیان قبيبي، سواء بإدانة شروري أو إواز صلاحي؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يقول: إنني أكون مثل هؤلاء الذين لهم تغوية بافتراسهم لأنفسهم؛ مثل أولئك الذين يعضون أجسامهم بشدة، مختوبين نوعاً من تخفيف الآلمهم، هذا ما يحدث معي عندما أعبر عن نفسي بهذه الطريقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا هو السبب أنه يأخذ لحمه بأسنانه، كلماتهم الباطلة المثورة. إنه يتكلم في غضبٍ، ويود أن يهدئ من نفسه.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الأسنان هنا تشير إلى الحواس الداخلية التي تمضغ ما يشغل الذهن، وتقدمه لبطن الذاكرة. [لذلك بحق قيل: "كل إنسان يأكل الحوصم تضوس أسنانه" (إر 31: 30)]. ما هو الحوصم إلا الخطية؟ الحوصم هو ثرة قبل الأوان. فمن يشتهي أن يشبع بملذات الحياة الحاضرة يكون كمن يُسوع فيأكل ثرة قبل وائها. لهذا فإن أسنان من يأكل الحوصم تضوس، بمعنى أنه وهو يقتات ببهجة الحياة الحاضرة تكون له إواكات عاخرة عن الأكل، أي تعجز عن إواك الروحيات. لذات السبب إذ يبتهجون بالأمر الخرجية يصيرون متبلدي الحس من جهة الأمور الداخلية، وبينما تقتات النفس على الخطية، تعجز عن أن تأكل خبز البرّ. وإذ ترتبط الأسنان بعادة الخطية لن يمكنها أن تمضغ ذلك الصلاح لتستمع في الداخل].

كأن أيوب وقد رُاد ان يأخذ الأمور الخرجية (لحمه) بمفاهيم روحية، يمضغها بأسنان روحه ليتمتع بالملذات الروحية التي لا يقبلها أصدقؤه، لأنهم يطلبون مجد العالم وملذات الجسد. يقاومونه ويطلبون هلاكه، لأن الجسدانيين لا يطبقون الروحيين.

هُؤذَا يَفْتَلْنِي.

لَا أَنْتَظِرُ شَيْئًا.

فَقَطُّ رُكِّي طَرِيقِي قُدَامَهُ [15].

اعتم أيوب على التمسك بطريقه، ولم يشأ قط أن يتخلى عن الراحة التي وجدها في السير باستقامة مع الله مهما بلغت ضيقاته، ولو إلى الموت. فيقول مع حزقيا: "آه يارب. أذكر كيف سوت أمامك بالأمانة وبقلب سليم؟" (2 مل 20: 3). حتى وإن دفعت بي التجرب إلى قتلي، فإني أبقى واثقاً فيه، أو مملوء رجاءً فيه، لكي أتوكى أمامه. إني صديقه وهو صديقي، لن أتخلى عن الالتصاق به، حتى وإن بدا كعدو لي يسلمني للتجرب حتى الموت.

❖ "وإن كان يقتلني إلا إني أثق فيه" [15]... يكون الإنسان بالحق صاواً عندما تحلّ به الكورث... بهنا يتميز الذهن البار عن الشوير؛ ففي وسط

الضيق، يعوف الأول أن المجد لله القدير لا يهتز مع الأحداث العالمية، فلا ينهار مع انهيار المجد الخرجي، بل بالحري يؤكد أنه يكون أكثر قوة عندما يفقد الخوات الزمنية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

- ❖ "لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضًا" (٢ كو 1: 5)... إنه يسمو بنفسنا حاسبًا هذه الآلام خاصة به، فأى فوح يشملنا أن نكون شركاء المسيح، من أجله نتألم! بالإيمان نترك الميلاد الجديد والقيامة. فالذين يؤمنون بيسوع المقام حقًا، يؤمنون أنهم يقدموا أنفسهم للآلام. والذين لهم شركة في آلامه، يقومون معه أيضًا. " لأعوفه وقوة قيامته وشركة آلامه منتسبًا بموته لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات" (في ٣: 10) [686].
- ❖ الإنسان المحب الملتصق بالله على النوام لا تؤذيه الأمواج مهما كثرت، بل على العكس يخرج منها بقوة جديدة. أما الإنسان الضعيف المتخاذل فإنه يسقط كثرة حتى ولو لم يوجد ما يضايقه [687].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ إن كان كلما كثرت آلام المسيح هكذا أيضًا تزداد التعزية بالمسيح فلنحب بآلام المسيح المشجعة. ولتقض فينا، إن كنا بالحق نطلب التعزية الفياضة التي بها يتغوى كل الخواني، وإن كانت ليست متشابهة بالنسبة لكل واحد. فلو أن التعزية متشابهة لكل أحد ما كان قد كتب أنه كلما كثرت آلام المسيح فينا، هكذا تكثر التعزية بالمسيح جدًا. الذين يشتركون في الآلام سيشاركون أيضًا في التعزية حسب شركتهم في آلام المسيح [688].

العلامة أوريجينوس

فَهَذَا يَعودُ إِلَى خَلَاصِي،

أَنَّ الْفَاجِرَ (الروائي) لَا يَأْتِي قُدَامَهُ [16].

- لا يقصد هنا الخلاص الوقتي، فقد كان رجؤه في الخلاص من تجربه في هذا العالم وعودته إلى ما كان عليه يكاد يكون معدومًا، لكنه يتوحي خلاصه الأبدي حيث يلتقي مع الله، وواه وجهًا لوجه. أما سرّ ثقته في خلاصه الأبدي، فهو أنه يعلم بأن علاقته بالله ليس فيها رياء ولا انحراف، فالله لا يلتصق بالروائيين، ولن يسمح لهم بالوقوف أمامه يتمتعون بمجده.
- ❖ "فإن الروائي (الفاجر) لا يأتي قدامه" [16]... يؤمننا أن نضع في أذهاننا أننا نأتي أمام الرب بطريقين.

نحاسب أنفسنا على معاصينا هنا ونحكم عليها أمامه ونعاقبها بالبكاء. فإننا في أي وقت نذكر إراكانا لقوة خالقنا، نكون كمن يقف أمامه. هكذا حسنًا قال إيليارجل الله: "حي هو الرب إله إسواثيل الذي أقف أمامه. والطويق الآخر هو أن نأتي أمام الله عندما نحضر أنفسنا أمام منوه فقط في الدينونة الأخوة. هكذا فإن الروائي - في الحساب الأخير - يأتي أمام الديان، لكنه إذ يغمض عينيه عن التطلع إلى خطاياها هنا وانتحابها، يرفض أن يأتي أمام الرب.... وإذ يفسد ذهنه بكلمات المديح الموجهة إليه، لن يستدعيه للتعريف على الخطية، ولا يترك أنه يعرض الديان الداخلي، ولا يخشى حزمه... بهذا لا تتجه عيناه إلى حزم الله، إذ يطمع في أن يبهج عيون الناس.

- ❖ " لكنني أوبخ طريقي قدامه، سيكون هو خلاصي" [15] [يقول بولس الرسول: "لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا" (1 كو 11: 31). يكون الرب خلاصنا قدر ما نوبخ خطايانا بمخافة الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

- ❖ سأحكم على نفسي، حتى لا يحكم عليّ ذلك الذي فيما بعد سيدين الأحياء والأموات (2 مك 7: 18-19) [689].

القديس أغسطينوس

- ❖ "تأمل إذن ذاتك" حتى تبلغ معاينة الله [690].

القديس باسيليوس الكبير

- ❖ ليكن هذا هو اهتمامك الأول ألا تخدع نفسك.

القديس ميليتو أسقف سردس

❖ الوياء أمر مكروه لدى الله، وممقوت من الناس، لا يجلب مكافأة، ولا يصلح قط في خلاص النفس بل بالحري يهلكها.

إن كان أحد يهرب بالوياء لئلا يُكتشف أمره، فإلى حين، إذ لا يدوم كثوًا، بل ينكشف كل شيء، فيجلب على صاحبه عارًا. وهكذا يكون أشبه بامرأة قبيحة المنظر، تُوع عنها زينتها الخرجية التي وضعت لها بطرق صناعية.

الوياء إذن غريب عن القديسين، إذ يستحيل أن يفلت شيء مما نفعه أو نقوله من عيني اللاهوت، إذ قيل: " ليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لا يُعرف" (لو 12: 2). فإن كانت كل كلماتنا وأعمالنا سُتعلن في يوم الدينونة، فالوياء مُتعب وبلا منفعة. يليق بنا أن نترك كعابدين حقيقيين نخدم الله بملامح صادقة وصويحة. [691]

القديس كيولس الكبير

سَمْعًا اسْمَعُوا أَهْوَالِي،

وَتَصْرِيحِي بِمَسَامِعِكُمْ [17].

يعود فيدعوهم أن يكفوا عن الاتهامات ويصغوا بأذانهم، حتى يتمتعوا معه باللقاء مع الله خلال الإخلاص والنقوة والحب.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب يكرر كلمة "اسمعوا"، إذ يريدهم ألا يسمعوا بأذانهم الخرجية فحسب، وإنما أن ينعصوا بأذانهم الداخلية أيضًا حتى يفهموا أعماق كلماته بطريقة روحية.

هَانَذَا قَدْ أَحْسَنْتُ الدَّعْوَى.

أَعْلَمُ أَنِّي أَتَبَرَّرُ [18].

إنه ليس في حاجة إلى شهادتهم، فقد أحسن الدعوى أمام الله، وقدم له إخلاص ضموره ونقوة قلبه فيتمتع بالواعة خلال نعمة الله.

❖ " ها أنا قريب جدًا من حكمي، أعلم إنني سأوجد براءً ". هذا هو الحكم الذي يقال عنه في سفر آخر: "سيظهر بركم كالنور، وحكمكم كالظهرة". لكنه لم يقل: "أنا بالفعل هكذا"، بل "أنا قريب جدًا". فإن كان حكمه الذي يعنيه لم يكن هكذا كما اختوره، إنما سيكون هكذا في اليوم الأخير، حيث يُدان الكل، فيوجدون أولًا هؤلاء الذين يصلون بإخلاص: "اغفر لنا ما علينا، كما تغفر نحن لمن لنا عليهم" (مت 6: 12). فخلال هذه المغفرة يوجدون أولًا، إذ تُمحي الخطايا التي ارتكبوها هنا وذلك بأعمال المحبة التي مارسوها (بغوانهم للغير) [692].

القديس أغسطينوس

❖ " ها أنا قريب من ديانتي". يليق بالخصم أن يبكم لسانه، وإنما الديان هو الذي يتكلم...

❖ " أنا أعرف إنني سأظهر براءً"، فإنني قد تمت كل الناموس، ونفذت كل الوصايا. لم أبال بخطاياي غير المعروفة، وتلك التي ارتكبتها برادتي، فقد غسلتها بالصلاة والدوع. "إنني أعرف إنني سأظهر براءً". بالرغم من أن العدو يرغب في إخفاء وي باثرة أصحابي لاتهامي، فإنني حتى في هذا سأظهر براءً، بينما حجاب هذه الحياة الحاضرة سيُفتح، بينما سُحب حال هذه الحياة فاسدة، لكنني حتى الآن أظهر براءً مادام صوي قائمًا حتى النهاية، وسأظهر شجاعة في التجرب حتى المنتهى.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن ما قاله الطوبولي أيوب عن نفسه يحمل تواضعًا، فقد شهد الله نفسه عنه أنه ليس مثله على الأرض، وشتان بين شهادة الله له وبين قول أيوب عن نفسه في جداله مع أصدقائه الذين صاروا متهمين له بأنه بار. لقد رفض أن يصف نفسه أنه أعظم من غيره، مكتفيًا بتبرير نفسه من اتهامات أصحابه له.

مَنْ هُوَ الَّذِي يُخَاصِمُنِي،

حَتَّى أَصْنَمْتَ الْآنَ، وَأَسْلِمَ الرُّوحَ؟ [19]

في يقين بواحم الله المتسعة للمؤمنين المخلصين لا يبالي بخصوصيتهم، ولا يخشى التأديب الإلهي، إنما في طمأنينة يسلم روحه ويجدراحة أبدية. يقدم لنا أيوب صورة حية للمسيحي الذي يتمتع برويا صادقة لعمل الصليب في حياته، كيف حرره من إبليس خصمه، وشهّر به، فصار العدو تحت قدميه. بهذا لا يخاف منه ولا يرتعب، بل يسخر به.

❖ إذ رأى في تصرفاته الخرجية ليس من إمكانية لأن يلومه أحد لهذا بكل حرية يتطلع نحو أي متهم له.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تسقط الأرواح في الحزن، وإذ تريد هلاكنا تهلك هي بواسطتنا بنفس التهلكة التي وغيونها لنا. ولكن لا تعني هزيمتهم أنهم يتركونا بغير رجعة... إذ تهلك قواهم ويفشلون في صواعهم معنا، نقول: "فليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي لإهلاكها، ليرتد إلى الوراء ويخز المسورون بأذيتي" (مز 40: 14). وأيضًا يقول لرميا: "ليخز طرددي ولا أخز أنا، ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا، أجلس عليهم يوم الشر واسحقهم سحقًا مضاعفًا" (إر 17: 18)، إذ لا يقدر أحد أن يشك في أنه متى انتصرنا عليهم يهلكون هلاكًا مضاعفًا [693].

الأب سيرينوس

❖ إن قلت إن القوة المضادة قوية جدًا، وإن للشر سيادة كاملة على الإنسان، فإنك بهذا تتسبب لله الظلم حينما يدين البشر بسبب خضوعهم للشيطان، لأن الشيطان قوي جدًا ويخضع البشرية بقوة لا تقاوم. بهذا تجعل الشيطان أعظم وأقوى من النفس، ثم تقول لي لا تخضع للشيطان. هذا مثل معركة بين شاب وطفل صغير، فإذا يهزم الطفل يدان على هزيمته. هذا ظلم عظيم! [694]

القديس مقاريوس الكبير

❖ أفكار الشيطان هي مجرد تصور عقلي محض لشيء (أو عمل) شوير والذي يُمكنه من التملك علينا أو حتى مجرد الاقتراب إلى عقلا هو ضعف إيماننا. لأننا بعدما تسلّمنا الوصية لنطرح عنا كل الارتباكات ونحفظ قلوبنا في يقظة كاملة (أم 23: 4)، ونطلب ملكوت الله الذي هو في داخلنا، إذ تخلى العقل عن القلب وعن الغرض الذي نسعى إليه، بهذا أفسحنا المجال في الحال لتخيلات الشيطان، وصار العقل متساهلاً في قبول أي مشورة شرة.

حتى إلى هذا الحد، ليس للشيطان أي سلطان أن يحرك أفكارنا وإلا ما كان ورحمنا بل كان يدس لنا كل أنواع الأفكار الشرة ولا يسمح لنا بأي صلاح. إنما قدرته محصورة في مجرد تقديم مشورة كاذبة في بدء كل فكر، ليختبر أي جهة يميل إليها قلبنا: هل يميل إلى مشورته أم إلى مشورة الله؟ لأنهما نقيضان.

القديس مرقس الناسك

❖ نوح من بيت أبينا القديم... إذ كنا بالطبيعة أبناء غضب كالباقين أيضًا، مثبتين أنظرنا تجاه العلويات [695].

القديس بفتوتوس

6. صرخة لوقف التأديب

إِنَّمَا أَمْرَيْنِ لَا تَفْعَلْ بِي،

فَحِينَئِذٍ لَا أَخْتَفِي مِنْ حَضْرَتِكَ [20].

مع ما حلّ بأبوب، فإنه لا يريد أن يختفي من وجه الله مثل أبيه آدم، وإنما يريد أن يتراءى في حضوته.

مع اعتراف أيوب في أكثر من موضع بخطاياها إلا أنه يريد أن يكون دومًا مع الله. "أعلمني ذنبي وخطيبي، لماذا تحجب وجهك، وتحسبني عدوًا

اشتهدى أيوب أموين بهما يقف في حضرة الديان، لا في خوفٍ من محاكمة، بل كخالقٍ محبٍ لمؤمنيه.

هذا ما يدفعه للشوق إلى الوقوف أمام الله، وعدم الرغبة في الاختفاء من حضوته كما فعله أوانا الأعلان حين ظنا أن ظلال شجرة التين تخفيهما

عن خالقهما. ولكن ما هما هذان الأوران؟ أشار إليهما في العبرة التالية [21].

[696]

❖ LXX يقول الله نفسه بالنبوي: "أنا الله القريب، ولست الله البعيد." (إر 23: 23)

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ أينما توجد يأتي إليك الله إن وجد حوات في نفسك بطريقة يمكنه أن يسكن فيها.

القديس غريغوريوس النيسي

❖ الثالث القدوس قريب من كل الأشياء، لكن ليس كل الأشياء قريبة منه.

المدعو ديونيسيوس الأيوباعي

❖ ليكن الله الحي حاضرًا على اللوام في ذهنك. فإن ذهنك ذاته هو على مثاله، هو أيضًا غير منظور ولا متوك، ولا يُمثل بأي شكل، ومع هذا برادته يتحرك كل الجسم.

القديس ميليتو أسقف ساردس

أَبْعِدْ يَدَيْكَ عَنِّي،

وَلَا تَدْعُ هَيْبَتَكَ وَعَيْنِي [21].

ربما عني بالأموين الآتي:

1. "أبعد يدك عني" :ربما طالبه لا أن يزوع التجربة عنه، بل أن يخففها. ففي تخفيفها يجد فرصته للهوء، والتحرر من الازعاج، فيتوغل

للحديث مع الله. فهو لا يطلب تخفيف آلامه لكي يفتخر أمام أصدقائه أنه ليس بشيرٍ كما ادعوا، وأن ما يشغله هو الوقوف في حضرة الله.

2. يعلم أيوب هيبه الله، هذه المهابة مبعث فوح وبهجة للمؤمن الأمين وليست مبعث رعب!

❖ " محتاج إلى أمرين، عندئذ لا أخفي نفسي عن وجهك" [20] ما هما الأوران الذي يحتاج إليهما أيوب من الله؛ هذان اللذان كما يقول إن نالهما لا يخفي نفسه عن وجه الديان؟

" أمسك يدك عني، ولا تدع خوفك وعيني" [21]... عن هذا قال داود: "أزع ضرباتك عني، لقد هزلت بسبب قوة يدك" (مز 39: 10)... أنت

غير الفاسد، وأما أنا ففاسد (رو 1: 23). أنت هو السيد، وأنا عبد، كمصوِّع تحت التعوين، كجندي مسلح. أنت تتكلم، وأنا أجاب، ليس في جلسة

أعرض، بل رغبة في نوال الحكمة، وأن أتعلم خلال الكلام والاستماع.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

وي البابا غريغوريوس (الكبير) في هذين الطالبين أن يمسك يده ولا يدع خوفه أن وعبه نوة عن الاشتياق إلى عصر النعمة، حيث لا تحل

بالمؤمنين ضربات الغضب الإلهي بكسر الناموس، ولكي لا يعود المؤمنون يعبدون الله خلال الخوف كما في العهد القديم، بل خلال الحب. [لا يمكن للبر

أن يكمل بالخوف، وبحسب صوت يوحنا: "المحبة الكاملة تطود الخوف" (1 يو 1: 18). ويقدم بولس راحة لأبناء التبني، قائلاً: "لأنكم لم تأخذوا روح

العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصح يا أبا، الأب" (رو 8: 15). لذلك بصوت البشوية المشتاقه إلى رالة قسوة ضوبة الناموس،

ورغبة حرة للتقدم من الخوف إلى الحب يحدد في الصلاة أموين أن يؤعها الله عنه، قائلاً: " أزع يدك بعيداً عني، ولا تدع خوفك وعيني ". أزعني

من قسوة الضوبة، رفع ثقل الروع؛ وعندما تشوق عليّ نعمة الحب اسكب عليّ روح الطمأنينة. إن لم أتزع من العصا ومن الروع، فإني أعرف إنني

لن أُسحب من حزم امتحانك. من يخدمك ليس على أساس الحب بل على أساس الخوف لا يقدر أن يتكرر أمامك.]

ثُمَّ ادْعُ فَإِنَّا أُجِيبُ،

أَوْ اتَّكَلَّمْ فَتُجَابِئُنِي [22].

بهذين الأومين يوجد في حضرة الله، ويدخل في حوار ممتع. يتكلم الله وأيوب يجيب، ويتكلم أيوب، والله يحجب. هذا هو الحب المشترك بين الله ومؤمنيه. هذه هي الدالة العجيبة التي لنا حين تقف أمام عرش النعمة الإلهية.

❖ " لتدعوني وأنا أجيب، أو دعني أتكلم، وأنت تجيبني " ... دعوة الله لنا هي تقدره لنا بالحب واختيره لنا، وإجابتنا نحن هي خضوعنا بالطاعة لحبه بالأعمال الصالحة... من يركض لاهثاً مشتاقاً إلى العالم الأبدى يفحص أعماله، يضع في نفسه أن يعمل بدقة عظيمة، ويفحص نفسه تماماً لئلا يوجد فيه شيء يكون به معرضاً وجه خالقه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

7. لماذا تحجب وجهك عني؟

كَمْ لِي مِنَ الْإِثَامِ وَالْخَطَايَا.

أَعْلَمْنِي ذُنُوبِي وَخَطِيئَتِي [23].

الآن إذ يقف في حضرة الرب يسأل أيوب الله عن آثامه وخطاياها لكي يكشفها له، فيعترف بها، ويطلب الصفح عنها بروح التواضع لا يخشى فضيخته أمام نفسه.

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) أنه يوجد فرق بين الحرائم والآثام. فالجرائم أثقل جداً من قياس الخطية، أما الإثم فلا يتعدى وزن الخطية. عندما يؤمر بتقديم ذبيحة حسب الناموس فإنها تون شك تُوض عن "الخطية" وفي نفس الوقت عن "الإثم" أيضاً. لن تتحقق الجريمة إلا بالفعل، أما الإثم عادة ما يرتكب في الفكر وحده.

لِمَاذَا تَحَجَّبُ وَجْهَكَ،

وَتَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَكَ؟ [24]

يعترف أيوب أنه خاطئ أثيرم، لكن بروح التواضع والتوبة يطلب من مخلصه الإلهي، ألا يحجب وجهه عنه، ولا يحسبه عدواً له، فإنه مع كل ضعفاته وخطاياها لن يكف عن السؤال لكي يتمتع بالشوكة مع الله خالقه.

❖ " لماذا تخفي وجهك، وتحسبني عدوك؟" [24] تمتع الإنسان بنور التأمل الداخلي في الفودوس، لكنه إذ سرَّ بذاته ورحل عن نفسه. فقد نور الخالق، وهرب من وجهه إلى أشجار الفودوس. بعد أن ارتكب خطيته خشي أن واه، ذلك الذي كان قبلاً يحبه. لكن لاحظوا قد جلبت عليه العقوبة بعد الخطية، ولكن بعد العقوبة رجع إلى الحب، إذ وجد نتائج عصيانه، والوجه الذي كان يخشاه وهو في الخطية، إذ استيقظ إلى فهم سليم بدأ يبحث عنه من جديد خلال العقوبة، حتى يهرب من ظلمة حالة العمى التي حلت به، وصار يتراجع في فرع من هذه الوحدة التي منعتة عن رؤية خالقه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أُوْعِبُ وَرَقَّةً مُنْدَفَعَةً،

وَتُطْرَدُ قَشًّا يَابِسًا! [25]

يستعطف أيوب الله، إذ يتصاغر أمام الله وأمام نفسه جداً، فيحسب نفسه أشبه بورقة شجر يابسة تطير باندفاع تسقط على الأرض، وقش يابس تحركه الريح... إنه منوس بطبعه الفاسد، فهل يليق بكرامة الله أن يُداس بما هو منوس فعلاً؟ أو يسحق شخصاً ليس لديه قوة للمقاومة؟

"عرفتهم كسنة، يكونون بالغداة كعشب يزول" (مز 90: 5).

"إذا زها الأثوار كالعشب ورأهر كل فاعلي الإثم، فلكي يبانوا إلى الدهر" (مز 92: 7).

"أيامي كظلٍ مانئٍ، وأنا مثل العشب يبست" (مز 102: 11).

"الإنسان مثل العشب أيامه ، كزهر الحقل كذلك زهر" (مز 103: 15).

"ليكونوا كعشب السطوح، الذي يببس قبل أن يقلع" (مز 129: 6).

"فساكنها قصار الأيدي قد رتاوعوا وخجلوا، صاروا كعشب الحقل ، وكالنبات الأخضر، كحشيش السطوح، وكالمفوح قبل نموه" (إش 37: 27).

"لأن الشمس أشوقت بالحر، فببست العشب، فسقط زهره، وفني جمال منظره، هكذا يبذل الغني أيضاً في طوقه" (يع 1: 11).

"لأن كل جسد كعشب، وكل مجد إنسانٍ كزهر عشب، العشب يبس، وزهره سقط" (1 بط 1: 24).

❖ " هل ظهر سلطانك على ورقة شجر تطير هنا وهناك؟ وهل تقف أثر جذامة (بواقي الحصاد) الجاف؟" [25]

ما هو الإنسان إلا ورقة سقطت من الشجرة في الفودوس؟

ماذا يكون ذاك الذي تلعب به ريح التجربة، فتوفعه عواصف شهواته، سوى أنه ورقة شجر؟

يثار ذهن الإنسان بعواصف كثرةٍ عندما يعاني من التجرب. هكذا غالباً ما يثوه الغضب. وإذا يزول الغضب يتبعه روح فراغ. إنه ينسحب بمنخاس الشهوة، يرفعه الكرياء، وأحياناً يغطس به الخوف المزايد إلى ما هو تحت التواب. هكذا إذ يرى الإنسان نفسه مرتفعاً محولاً بعواصف كثرةٍ كهذه للتجربة يصير الإنسان كورقة شجر. لذلك حسناً قيل بإشعياء النبي: "كلنا سقطنا كورقة شجر، وأثامنا مثل الريح استبعدتنا" (إصح 64: 6).

❖ زى أن ما نقوله يعبر، أما ما نكتبه فيبقى، لذلك قيل عن الله لا إنه يتكلم بل ويكتب أموراً مرة، حيث أن ضوابطه علينا تبقى إلى زمنٍ طويل. قيل

مرة للإنسان الذي أخطأ: "أنت تواب وإلى تواب تعود"، وظهرت الملائكة مراً، وأعطت وصايا للناس. وحدد موسى مستلم الناموس الخطايا بوسائل حزمة. وجاء ابن الآب والعلي الوحيد ليخلصنا. لقد ابتلع الموت بموته. لقد أعلن أن الحياة الأبدية لنا قد أظهرها في نفسه. غير أن هذا الحكم الذي

صدر في الفودوس بخصوص موت جسدنا بقي دون تغيير منذ بداية الجنس البشري حتى نهاية العالم. "فإن أي إنسان يحيا ولا يرى الموت؟" (مز

89: 48) ، وأيضاً: "أنت، أنت المخوف، ومن يقف قدام عينيك عندما غضبت؟" (مز 76: 7) . فبكونه قد غضب مرة عندما أخطأ الإنسان في

الفودوس تثبت حكم موت جسدنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "سنواتهم كأشياء بلا قيمة، في الصباح كعشب يزول" (مز 90: 50) ... هكذا هي هذه الأمور التي لم تكن موجودة قبل مجيئها، وإذا تأتي لتكون هنا

سوعان من ترول، فإنها لا تأتي هنا إلا لكي تعبر... إنها تأتي لكي تسقط في الموت، وتجف في جيفة، وتذبل في التواب. ما هذا إلا الجسد الذي فيه

الشهوات الجسدية البغيضة؟ [697]

❖ الذين لا يفكرون في قلوبهم باستقامة يتطلعون الى الأثوار حينما يكونون كالعشب الأخضر، أي عندما يكونون مزدهرين إلى حين. لماذا يتطلعون

إليهم؟ " لكي يهلكوا إلى الأبد". يتطلعون إلى زدهلهم المؤقت ويمثلون بهم، ويريدون أن يزدهروا معهم إلى حين، ويهلكون معهم إلى الأبد [698].

❖ إذ تقول في هذا الزمان إن كل شيء يعبر كظل، فإنك لا تعبر أنت كظل. "أيامي تعبر كظل، وأنا مثل العشب يبست"... لكن العشب إذ يتبطل بدم

المخلص يعود فيزدهر. لقد صوت يابساً مثل العشب؛ فإني كانسان عانيت من حكمك العادل لأنك "أنت تقوم وترحم صهيون، لأنه وقت الرأفة، جاء

الميعاد" (مز 102: 13) [699].

❖ "الإنسان، مثل العشب أيامه" (مز 103: 15). ليبرك الإنسان ما هو؛ فلا يفتخر إنسان ما. "مثل العشب أيامه". لماذا يفتخر العشب، هذا الذي يزدهر

الآن، وفي وقت بسيط يببس؟ لماذا يفتخر العشب هذا الذي زهر فقط إلى قوة قصوة، حتى تصير الشمس حلة؟ إذن من الصالح لنا أن تحل

رحمته علينا، ويجعل من العشب ذهبًا! "إنه مثل زهر الحقل زهر". كل سمو الجنس البشري من كرامات وسلطات وغني وكوياء وتهديدات هي زهر العشب. ذاك البيت زهو، وهذه الأسرة عظيمة، وتلك العائلة تنمو؛ كم من كثوين يردّهرون، وكم من سنين يعيشون! بالنسبة لك هي سنين كثرة، أما بالنسبة لله فهي فزة قصوة - حسابات الله ليست كحساباتك. بالمقارنة لطول الحياة لعصور طويلة تكون زهرة أي بيت مثل زهرة عشب بصعوبة يبقى جمال السنة طوال العام. كل ما زهو، كل ما يمتلئ بدفء الحرة، كل ما هو جميل لن يدوم، لا بل ولا يبقى سنة كاملة!... لقد أرسل إلينا كلمته، كلمته الذي يدوم إلى الأبد... لا تعجب أنك ستشركه أبديته، فقد شركك العشب الذي لك. هل هذا الذي انتحل منك ما هو سفلي، يبخل عليك أن يهبك ما هو سام؟ [700]

القديس أغسطينوس

لَأَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ أُمُورًا مُرَّةً،

وَوَرَّثْتَنِي آثَامَ صِبَايَ [26].

في أحاديثه مع أصدقائه إذ يقرن نفسه بالبشرية، يؤكد أنه بار وليس شورا كما يدعي أصدقائه. وعندما يتحدث مع القنوس يعترف بآثام صباه، ويطلب منه أن يفسر له لماذا يتوكله ليليلى كما بالسوس، أو كثوب يأكله العث [28]!

يقول لله: إن كنت تسجل خطاياي وسقطاتي فهي مرة، لن أبرر نفسي منها، وإن سجلت آثامي فهي آثام صباي. أعرفها تمامًا ولا أنكرها، لكني أذكر حبك يا غافر الخطايا والآثام.

يطلب داود النبي من المعلم ألا يذكر خطاياها وإنما يذكره هو كخليقة الله المحبوبة لديه، والتي لها تقودها الخاص، لا لفضل له فيها، وإنما من أجل مراحم الله وصلاحه، ولأجل اسمه القنوس. يقول: "لا تذكر خطايا صباي، ولا معاصي، كرحمتك أذكرني أنت من أجل جودك يارب" (مز 25: 7). طلب اللص اليمين من المعلم الحق أن يذكره متى جاء ملكوته، فلم يذكر جرائمه ولا خطاياها، بل حمل نفسه إلى القنوس، مبررة في استحقاقات الدم الثمين. هكذا إذ نطلب من الرب أن يذكرنا يجب قائلًا: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أنكرها" (إش 43: 25). يوصي القديس بولس تلميذه تيموثاوس: "أما الشهوات الشبابية فاهرب منها، وأتبع البرّ والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي" (2 تي 2: 22).

❖ LXX "لماذا كتبت عليّ أمورًا شريرة، وتتهمني بخطايا صباي؟" (أي 13: 26)

إنه بصدق وجدرة حسب هذه الفزة من الحياة (الشباب) علة شكواه، لأنه بصفة عامة يكون الشخص في هذه الفزة موعغًا من جهة الخطية. حقًا تتسم الطفولة بالواعة، والشيوخوخة بالحكمة. ويُنظر إلى الوجولة المبكرة التي تلتصق بمحلة الشباب أنها مرحلة نوال سمعة طيبة، ويشعر الشخص بخجل إن ارتكب خطية. أما مرحلة الشباب فهي وحدها تحمل سمة الضعف والمشورة الواهنة، مع الحماس في الخطية، والاستخفاف بمن يقدمون لهم مشورة، وهم مهيفون أن ينخدعوا بالملذات. لذات السبب سأل داود بطريقة مدهشة العفو من الرب عما سقط فيه في تلك الفزة كلها، إذ قال: "خطايا صباي وجهلي لا تذكر" (مز 25: 7). لأنه في تلك الفزة الغالبية يعانون من التهاب الشهوات واشتعالها بجولة الدم الساخن [701].

القديس أمبروسيوس

❖ " لماذا تكتب شروري ضدي؟ وتتهمني بخطايا شبابي؟ " بخصوص كتابة محني يقول: "ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكّل عشب الحقل. بعوق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تكوين 3: 17-19). دينت كل البشرية بكل هذه، كما لو كان بسبب حسنٍ تُكتب هذه الأسطر بخصوص الصديقين والأشرار. بنفس الكيفية يضع الله على كل واحدٍ خطايا شباب آدم، لأن آدم كان لا يزال شابًا حين ذاق الطعام الضار. هذا هو السبب أنه ليس هو وحده، بل ونحن أيضًا نسله الذين تُمنع من أن نجمع من شجرة الحياة (تك 2: 3) التي في القنوس.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ لا تذكر خطايا صباي وجهلي" (مز 25: 7). معاصي وجسرتي الوقحة وجهلي لا تحفظها للنقمة، بل انسها. "كوحمتك اذكروني" (مز 25: 7).

[7021]

بالحق اذكروني ليس حسب الغضب الذي استحقته، بل حسب رحمتك التي تليق بك... ليس حسب استحقاقاتى وإنما حسب صلاحك يارب .

القديس أغسطينوس

فَجَعَلْتَ رِجْلِي فِي الْمِقْطَرَةِ،

وَلَا حِظَّتْ جَمِيعُ مَسَالِكِي،

وَعَلَى أُصُولِ رِجْلِي نَبَشْتُ [27].

لقد تأدبت بسبب ضعفاتي وأثام صباي، صوت كسجينٍ وُضعت رجلاه في مقطرة، عاجز عن الحركة. إنني لن أهرب من ضربات تأديبك.

أنت تترك كل مسالكى، وتؤدبني حتى من أجل أفكاري الخفية أو نظراتي المنحرفة. تسجل على باطن قدمي كل ما قد ارتكبته، وأنا لا أنكر ما

فعلت.

❖ " وضعت قدمي في المقطرة " ، لأن أقدامنا قد مُنعت عن السير للتمتع بمنافع الفودوس. لأن الله "يلاحظ أعمالنا " . بخصوص عصيان الوصية الذي

ارتكبه آدم أذان الله الجنس البشري كله الذي هو نسله. على أي الأحوال، إذ هو صانع خوات ومحب للإنسان (حك 7: 23) "يلاحظ أعمالنا". فإن

كانت شوية ننسبها لأنفسنا، بكوننا على مثال آدم القديم، ونسقط تحت التأديب الذي حلّ عليه. أما إذا كانت أعمالاً صالحة، فنسخلص من اللعنة،

ونتحرر من العقوبات (2 كو 11: 4) على شبه آدم الجديد، وبوساطته ننال إبطالاً لمحنتنا الكوى.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " وضعت قدمي في المقطرة " ... هذا يعني: لقد ربطتهما. "لقد نفذت إلى أصول قدمي (عقبى)" بمعنى أنك هاجمتي بكليتي، وفحصتني حتى الأعماق؛

لقد ضربت قدمي ورأسي، ولم تتوك في جزءٍ سالمًا. موة أخرى، إنه يتكلم عن خطورة محنته، إنه يسخر من انحطاط الطبيعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ وضع الله قدم الإنسان في المقطرة، لكي يقيد شوه تمامًا بحكم قوي حزم.

❖ " وتتطلع بتدقيق في كل سبلي، إنك تضع علامة لآثار قدمي" [27] ... من الممكن أن تكون آثار القدمين هي الأمور الكثيرة التي تملس خطأ، فإنها

تترك... عادة عندما نملس أشياء خاطئة وواها إخوتنا نكون مثلاً رديئاً لهم، وتكون أقدامنا قد انحرقت عن الطريق، وتؤك آثار أقدامنا كلها

المنحرفة لمن يتبعنا، فنكون بتصرفاتنا قدنا ضمائر الآخرين للعبوة.

لكن كل هذه الأمور يفحصها الله القدير بدقة، ويؤن كل منها في الحكم. ولكن متى يمكن للإنسان المربوط كما بضعف الجسد أن يكون له سلطان

أن يقوم ضد هذه كلها بدقة ويحفظ خط استقامة فكر القلب نون أن يتحرك؟ لذلك يقول: "من أنا؟ كشيء فاسد يهلك، وكنثوب أكله العث" [28]... فالإنسان

مثل شيء فاسد يهلك، حيث يبده فساد جسده. ولأن تجربة النجاسة تتبع فيه ليس من مصدرٍ آخر سوى منه هو، مثل العث، هكذا تهلك التجربة الجسد،

كما يفسد العث الثوب مما يصدر عنه، فإن الإنسان يهوي فيه الفرصة التي منها تصدر التجربة، لذلك فالعث يفسد الثوب، بينما يصدر العث من الثوب

ذاته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَأَنَا كَمْتَسَّوسٍ يَبْتَلِي،

كَنْثُوبٍ أَكَلَهُ الْعُثُّ [28].

يعترف أيوب بأنه يدخل من فسادٍ إلى فسادٍ بسبب خطاياها، وكأن السوس قد أبلت عظامه والعث أكل ثوبه (جسده) فسدت أعماقه بسوس الخطية

وبلي جسده بعث الإثم... لكن يوجد من ينقذ النفس من الفساد، ويهب الجسم مجدًا أبديًا حين يلبس الفاسد عدم الفساد، ويحتل الجسم الروحاني ذاك

❖ إن أردت، تستطيع أن تكون عبداً للشهوات. وإن أردت، تقدر أن تتحرر منها ولا تخضع لنورها، لأن الله خلقك وأعطاك هذا السلطان.
من يفهر شهوات الجسد يُوجع بعدم الفساد. فلو لم تكن هناك شهوات ما كان يمكن أن توجد فضائل، وبالتالي ما كان يعطي الله أكاليل لمن يستحقونها [703].

❖ من يفهم ما هو الجسد، أي إنه قابل للفساد وقصير الأجل، يفهم أيضاً أن النفس سمائية وخالدة، وأنها نسمة من الله، وموتبطة بالجسد إلى أن تتقدم وتسمو نحو التشبه بالله [704].

القديس أنطونيوس الكبير

من وحي أيوب 13

أقع في يدك يا إلهي،

ولا أقع في يد إنسان!

❖ الوقوع في يدك يا إلهي، أفضل من الوقوع في يد إنسان!
يظن الإنسان أنه صاحب السلطان، كمن هو فريد في معرفته.
يحسب أنه نون غوه صاحب معرفة وحكمة.
يدين أخاه كأنه عبد جاهل!
لا يستطيع أن يبرك مسواته له!

❖ لأحاكم أمامك، فإنك تصغي إليّ.
أنت وحدك الطبيب السموي الفريد.
تقدم ذاتك طبيباً ونواءً.
نواءك الحب والحنو والقوب مني.
لا توح إنساناً ولا تطلب إهانتة.

❖ الإنسان وهو يحاكم أخاه يظن في نفسه أنه بار.
تحت ستار الدفاع عنك، والشهادة للحق،
يدين ويحكم في محاباة للوجه.
يتستر بالغيرة المقدسة، وقلبه غاش ومخادع!
لا وهبه جلالك، ولا يرتعب من مجدك.

ينطق في خداع كأنك غير فاحص لقلبه.
كلماته رماد سوعان ما يزيها الريح،
وحصونه طين لا قوة لها على حمايته.
ليته يسمع نصيحتي فيصمت لسمع.
صمته أنفع من كلماته.

❖ حقا، لقد قام البشر عليّ،
وثقلت التجربة للغاية.
لكني بنعمتك أبقى أميناً لك إلى الموت!
لا أتجي شيئاً سوى أن أتبرر بدمك أمامك!
اعترف لك بخطاياي وأثامي.
أذكرك، لكن لا تذكر خطاياي!
أؤاءى قدامك يا أيها الرحم فأستريح.

❖ لأراك فاطلب أن تسندني في ضيقتي.
توفع يد التأديب حسبما ترى يا أيها المحب.
تلهب قلبي بحبك، فلا أحمل خوف العبيد.
تظهر وجهك أمامي،
فتزع عدوتي، وتهبني روح البنوة.

❖ لقد فسد كل كياني،
صوت كمن دب فيه السوس، فأصابه الدمار.
حلّ بي الفساد كالعث للثوب.
لست أبرر نفسي، هذا الفساد هو ثوة خطاياي.
لكن دمك يغسل فسادي.
عوض الفساد أتمتع بعدم الفساد.
وعوض الموت أتمتع ببهجة قيامتك عاملة في!

<<

حياتنا وقتية

يبدأ هذا الأصحاح بصوحات مرة، ونظرة تشاؤمية من نحو الإنسان، بكونها مثقلة نوما بالمتاعب والضيقات التي لا تنقطع، كما يكشف أيوب عن حقيقتها كعشب حقل سوعان ما يذبل بحورة شمس التجرب، وكظل سوعان ما يتبدد. يبدو أيوب كمن يصوخ إلى الله ليرفع يده عنه فيستريح من عناد التجرب، كما يبدو كمن لارجاء له في الحياة من جديد بعد موته. لكن من يدقق في كلماته يجدها مملوءة رجاء في الرب، كمخلص للبشرية، وحده قادر أن يحولها عن الخطية إلى البر الحقيقي، ويهبها القيامة والحياة الجديدة بعد زوال السماء والأرض. إنه يتطلع إلى الموت كاضطجاع مؤقت أوقاد يلحق استيقاظ.

فالأصحاح يقدم جانبين واقعيين، مرة من تحل به التجرب القاسية، والمجد الذي ينتظره.

وي البعض أن بعض كلمات أيوب التي تبدو كما لو حملت بأسا شديدا لم تكن إلا لأنه يضع نفسه موضع الضعفاء حتى متى أعلن رجاءه في عمل الرب يكون مثل سيده القادم "فيما هو محروب يقدر أن يعين المحربين".

وجد أيوب أن الحديث مع أصدقائه بلا نفع، فرفع قلبه إلى الله يناجيه فيما يخص حياة الإنسان على الأرض. يرسم أيوب صورة مؤلمة لحياة الإنسان. فوى أنها قصوة، وبصعوبة يمكن أن تشغل اهتمام الله، وبالتأكيد لا تشغله عقوبة الإنسان [١-٣].

ليس من يقدر أن يجعل الإنسان طاهراً [٤]، فلماذا لا يتركه الله ينعم بالملذات حسبما يقدر أن يقتني، حتى وإن كان ليس إلا عاملاً أجوراً؟ [٥-٦]

يقرن أيوب بين شجرة مقطوعة ومصير إنسان ميت. يمكن للشجرة أن تعود للحياة، أما الإنسان فلا يستطيع [١٧-١٢؛ راجع ١٠: ٢١-٢٢].

لو كانت ليست هذه هي النهاية: الهاوية أو حالة الموت، وأن الله سيستدعيه في النهاية ليلتقي معه وجهاً لوجه، لكان يمكنه أن يحتمل الآلام الحاضرة، ويذهب بوح ليلتقي مع الله، إذ يشعر أنه زع عنه خطاياهم إلى الأبد [١٣-١٧].

لكن نور الرجاء سوعان ما يتبدد بمجرد ظهوره، وإن كان يعود فيظهر ثانية في الأصحاح ١٩. الإنسان ليس مثل شجرة حية، وإنما مثل جبلٍ

ينفتت، يبلى شيئاً فشيئاً بواسطة الله، ويفقد كل اهتمام هو وعائلته.

1. حياة الإنسان على الأرض 5-1

2. الموت والعبور من الألم 6-15

3. الاستعداد للموت 16-22

1. حياة الإنسان على الأرض

الإنسان مولود المرأة قليل الأيام،

وشبغاًن تعباً (غضباً) [1].

يشترك أيوب مع أليفاز في أن الإنسان مولود للتعب والمشقة. يقول الحكيم: "لأن كل أيامه أزان، وعمله غم، أيضاً بالليل لا يستريح قلبه، هذا

أيضاً باطل هو" (جا 2: 23). هكذا عندما يركز الإنسان على ما يحلّ به يتطلع إلى الحياة بنظرة مرة. أما إذ رفع قلبه إلى الله، فوى في الحياة عطية

إلهية، ويدرك خطة الله خلف ما يحلّ به من متاعب، فتتهلل نفسه بروح الرجاء.

يتطلع أيوب إلى نفسه كما إلى كل إنسان، فلا يجد ما يفتخر به، فإنه مولود المرأة، أي من زرع بشوي ضعيف. وي البابا غريغوريوس

(الكبير) أن المرأة هنا تشير إلى الضعف الروحي، فالإنسان الذي يولد من امرأة في ضعفٍ يمتلئ من السخط. وهو قليل الأيام، مهما طال عونه يُحسب

عوه كله أيامًا قليلة، وملخص كل حياته أنها أيام مملوءة بالتعب والألم، يندر أن يعبر يوم بدون ضيقة.

❖ بالحق حال الإنسان يؤس! يلتزم أن يقدم حسابًا عن خطيته، ومع ذلك لم يقدر أن يتجنب الخطية.

لقد اضطر إلى الدخول في محاكمة، ليقف أمام نظر الله القدير، معلنًا أسباب تصرفاته... مع أنه لا يقدر أحد أن يكون طاهرًا من الخطية.

وجع الذنب إلى بدء الطفولة نفسها، قبل أن يوجد لدى الإنسان القوة على إواك للخطأ.

أي حال من البؤس هذا، أن حياته قصوة والإغواء حلو، والمحن متضاعفة، والغیظ عمل يومي. فإنه حتى في وسط لحظة البهجة توجد مودة

دائمة [705].

القديس أمبروسيوس

يعلق القديس أغسطينوس على العبارة "شبعان غضبًا" (1:14) بأن غضب الله، إنما باعته مواحه ومحبه التي دفعته إلى تجسد الابن الوحيد

في ملء الزمان لكي يجددنا ويوزع عنا كل جرم الخطايا، سواء الخطية الجدية المتورثة عبر الأجيال أو تلك التي نملسها. [706].

❖ سقط الجنس البشري تحت دينونة عادلة، وصار كل البشر أبناء الغضب. كُتب عن هذا الغضب: "عرت أيامنا في سخطك، قضينا سنواتنا كقصّة قد

رويت" (مز 90: 9). ويقول أيوب أيضًا عن هذا الغضب: "الإنسان مولود المرأة قليل الأيام، وشبعان غضبًا" (أي 14: 1). وعن هذا الغضب يقول

الرب يسوع أيضًا: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو 3: 36 - حديث القديس

يوحنا المعمدان وليس السيد المسيح)... يُولد كل إنسان بهذا الغضب، لذلك يقول الرسول: "كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين" (أف 2: 3) [707].

القديس أغسطينوس

❖ الإنسان "مولود المرأة قليل الأيام"، لأن الله أمره أن يعود إلى التراب (تك 3: 19). أما عن كونه شبعان غضبًا (فأيوب يفكر) في اللحظة التي تقبل

الإنسان فيها الأمر بحفظ الوصية فعصاها (تك 2: 17؛ 3: 6).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ لاحظوا دقة التعبير: "تذخر لنفسك غضبًا" (رو 2: 5)، موضحًا أن الدينونة لا تصدر عن الديان، إنما هي نتيجة لعمل الخاطيء، إذ لا يقول "يذخر

الله لك" وإنما "تذخر لنفسك"... إنه يحاول اجتذابك بكل وسيلة، فإن ظلمت على عنادك تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

ولكن لا يتبادر إلى ذهنك أن غضبه انفعال عنيف إنما هو العدالة، هو "استعلان"، حيث ينال كل إنسان ما يستحقه. [708].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حين نؤأ عن غضب الرب وسخطه، ينبغي ألا نفهم اللفظ وفق معنى العاطفة البشوية غير الكريمة. إنما بمعنى يليق بالله، المزه عن كل انفعالٍ أو

شائبة. ومن ثم ينبغي أن نترك من هذا أنه الديان والمنتقم عن كل الأمور الظالمة التي ترتكب في هذا العالم.

وبمنطق هذه المصطلحات ومعناها ينبغي أن نخشاه بكونه المخوف المجلي عن أعمالنا، وأن نخشى عمل أي شيء ضد رادته. لأن الطبيعة

البشوية قد ألفت أن تخشى أولئك الذين تعرف أنهم ساخطون، وتؤع من الإساءة إليهم، كما هو الحال مع بعض القضاة البالغين ذروة العدالة.

فالغضب المنتقم يخشاه عادة أولئك الذين يعذبهم اتهام ضماؤهم لهم، بالطبع ليس لوجود هذه الزعة في عقول هؤلاء الذين سيلتزمون بالإنصاف

في أحكامهم. لكن بينما هم في غيرة من هذا الخوف، فإن ميول القاضي نهم تتسم بالعدالة وعدم التحيز واحترام القانون الذي ينفذه. وهذا مهما سلك

بالرفق واللفظ، موصوم بأفسى نعت السخط والغضب الشديد من أولئك الذين عوقبوا بحق وإنصافٍ. [709].

القديس يوحنا كاسيان

وى القديس غريغوريوس النيسي أن أيوب يدعو الإنسان هنا "المائت".



"المائت مولود الوأة قليل الأيام، وشبعان غضباً" [١]. الكائن الذي يدعوه الكتاب المقدس في تزيخ الخليقة "إنساناً"... هو بعينه يدعوه أيوب مائتاً ، أما الكتاب الوثنيون فيعصم يدعونه كائناً بشرياً ، وآخرون "متكلم ناطق" [710].

القديس غريغوريوس النيسي

يَخْرُجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يَبْوِي،

وَيَبْوِي كَالظِّلِّ وَلَا يَقِفُ [2].

يشبه أيوب حياة الإنسان بزمين:

1. زهر الحقل أو العشب الذي يظهر قليلاً وسوعان ما يبسس بسبب حرارة الشمس ويسقط (إش 40: 7؛ يع 1: 11؛ 1 بط 1: 24).

2. الظل ، كأن لا كيان له، سوعان ما يزول. وكما قال بلدد: "لأن أيامنا على الأرض ظل" (أيوب 8: 9).

❖ إنه " كالأهرة زهر، ثم يسقط بعد أن يهتز" [٢]. لقد زهر الإنسان في الفودوس حتى أعطى أسماء لكل الحيوانات (تك ٢: ٢٠). لكنه سقط بعد أن اهتز، حيث انجذب بخداع الحية (تك ٣: ٤-٥؛ ٢ كو ١١: ٣). بعد هذا "هرب كالظل" ، إذ وجد نفسه علياً، فهرب من الله، وأخفى نفسه تحت شجرة في الفودوس، حين دعاه الله: "آدم، أين أنت؟" (تك ٣: ٧-٩). رجائنا انهيار، وإذ طُود الإنسان من الفودوس، فسد وفقد كل معونته، وهلك تماماً، فبضوبة واحدة أُدين مطروداً نون أن يكون لنا رجا في الحكم لحسابنا.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ الحياة في الجسد هي زهرة في عشب. حسناً قيل بالمولد: "الإنسان مثل العشب أيامه، كزهر الحقل كذلك زهر" (مز ١٠٣: ١٥). أيضاً يقول إشعياء: "كل جسد عشب، وكل مجده كزهر" (إش ٤٠: ٦). فإن الإنسان مثل زهرة تختفي، فجأة يُظهر نفسه في يوم مفوح، وفي لحظة ينسحب بالموت حيث يختفي...

حيث ينسحب الإنسان يومياً إلى الموت، لحظة فلحظة، بحق أضيف: " يهرب كظل، ولن يبقى على حاله " ... لماذا تُشبه حياة الإنسان بالظل لا بالشمس، إلا لأنه بحسب صوت الحق: "الكثرة الإثم تعود محبة الكثرين" (مت ٢٤: ١٢).

حسناً قيل: " لن يستمر حال كما هو ". فإنه ينتقل من الطفولة المبكرة إلى الطفولة، ومن الطفولة إلى الشبوية، من الشبوية إلى الرجولة، ومن الرجولة إلى الشيخوخة، ومن الشيخوخة إلى الموت. هكذا في الحياة الحاضرة يلوم الإنسان بذات خطوات نموه أن ينقص. وهو دائماً يتدمر بذات العلل التي يظن أنه بها يقتني ما هو لحياته. إذ لا نستطيع أن تكون لنا إقامة ثابتة هنا، فقد أتينا لكي نعبر، وبذات الوسائل التي بها نحيا نعبر بها يومياً من هذه الحياة.

لم يكن الإنسان الأول قانواً أن يبرك هذا الانطلاق من الحياة، وذلك قبل العصيان، إذ عبر به الزمن وهو قائم. ولكن بعد العصيان وضع الإنسان نفسه على وع من متولق حاله المؤقت. إذ أكل الثمرة الممنوعة في الحال فشل في البقاء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذا الخضوع للتغير الخرجي يصحبه تغير داخلي أيضاً، حيث يجاهد الإنسان ليملس أعمالاً أفضل. فالذهن دائماً في حالة تغير، إلا إذا التزم الشخص بضبط ذاته حتى لا ينحدر إلى حال سيئ.

[الذهن الذي هجر ذاك الذي هو قائم على الوام فقد بقاء واستوره على حاله. بينما يجاهد لممارسة أمور أفضل يلوم أن يواجه ما يقاوم التيار، أما إن وَاخِي في محاولته للصعود بغير جهد يُحمل إلى الخلف إلى حال أدنى مما عليه.

فالصعود يحتاج إلى جهد، وفي النزول راحة من الجهد. لذلك يحترنا الرب لكي ندخل من الباب الضيق، قائلاً: "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب

الضيق" (لو ١٣: ٢٤)...

إن لم يوجد جهاد من قلبٍ ملتهب، فإن مياه العالم لا تغلب، وتتحدر النفس إلى الأماكن السفلية.]

فَعَلَى مِثْلِ هَذَا حَدَّثَتْ عَيْنَيْكَ،

وَإِيَّايَ أَحْضَرْتَ إِلَى الْمَحَاكِمَةِ مَعَكَ [3].

يقف أيوب في دهشة أن الله العالم بأن حياة الإنسان أشبه بظلٍ لا يوم، بل سوعان ما يتلاشى، مع هذا يهتم جداً أن يأتي بأيوب للمحاكمة.

لقد صوح داود الموتل: "يارب أي شيء هو الإنسان حتى تعرفه، أو ابن الإنسان حتى فتكر به. الإنسان أشبه بنفخة، أيامه مثل ظل عابر" (مز 144: 3-4). موة أخرى يقول: "فمن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده" (مز 8: 4).

في تواضعٍ شديدٍ ينظر أيوب أنه ليس بالأهل أن يدقق الله في أخطائه، ولا أن يحاكمه. "يارب لا تدخل في المحاكمة مع عبدك" (مز 143: 2).

[711]

❖ من يقدر أن يتبرر في عيني الله، إن كان الطفل ابن يومٍ واحدٍ لا يقدر أن يتطهر من الخطية، ولا يقدر أحد أن يفخر بوه ونقوة قلبه؟

القديس أمبروسيوس

❖ " ألم تعطه اعتبلاً، وأحضرتَه إلى المحاكمة أمامك؟" [٣] . هذا لا يخص آدم وحده قيل عصيانه. فإن الله كان مهتماً به كي لا يخطئ ولا يطرد من

الودوس. لهذا أوه قبل أن يخطئ: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت"

(تك ٢: ١٦ : ١٧).

أما بالنسبة لنا نحن أيضاً، فقد أعطانا اعتبلاً، فوضع لنا الناموس المكتوب، وأضاف أيضاً الأنبياء (مت ١١ : ١٣).

ماذا كان يمكن أن يقول أكثر من هذا؟ بجانب هذا أعطانا نعمة الإنجيل (أع ٢٠ : ٢٤)، خلاله أشار إلينا كيف يمكننا أن نتقبل كرامة بدائية، كيف

نتجنب التهديد بجهنم (لو ١٢ : ٥)، وأيضاً نطلب الودوس (مر ١٣ : ٣٣).

طلب من الإنسان أن يدخل في محاكمة، لكي يتقبل الجواز حسب أعماله (مت ١٦ : ٢٧).

إذ نترك هذا كله يلزمنا أن نعبر حياتنا بطريقة سليمة، إذ يُعاقب كل أحدٍ ويكلل حسب أعماله. فالذين يتشبهون بآدم يسقطون تحت العقوبة، إذ لم

ينتفعوا من الدرس الذي لتأديبهم. أما الذين يحفظون وصايا الناموس، فإنه يجعلنا زى كيف يصيرون إلى حالٍ أفضل بحفظهم للوصايا (مت ٥ : ١٩).

سنكون أهلاً لنوال مكافأة مضاعفة من جانب الديان العادل (مت ٥ : ١٢)، إذ تسندنا النعمة المعطاة لنا بآدم الجديد (رو ١٥ : ١٥). فإن هذا هو الطريق

الذي يمكننا به أن نتمتع بالسعادة في الملكوت وفي مجد الله الآب والابن والروح القدس.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجْسِ؟ لَا أَحَدًا! [4]

في تواضعٍ حقيقيٍ يتطلع أيوب إلى حياته كعشب يبببس أو كظلٍ يتبدد، وفي نفس الوقت رى حياته دنسة، من يقدر أن يُجرح من هذا الدنس

طهارة!؟

وكما صوح الموتل داود: "هأنذا بالإثم حبل بي، وبالخطية ولدتني أُمِّي" (مز 51: 5). ليس من يقدر أن يطهر أو يقدر الإنسان إلا خالقه،

فعملية التطهير هي أشبه بإعادة خلق. "قلباً نقياً أخلق في يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مز 51: 10).

وى أيوب أن الإنسان يحمل فساد الخطية منذ الحبل به، كقول الموتل: "بالآثام حبل بي، وبالخطية ولدتني أُمِّي". وكان أيوب يقول الله أنه

خاطئ، لأن كل البشوية قد تتجست منذ سقوط الأبوين الأولين، فالكل يحتاج إلى تقديسك وتطهورك لهم، ليس من يتبرر أمامك.

❖ بالرغم من أن خدام الله وأصدقاءه يتجنبون الخطايا التي للموت، ويملسون أعمالاً صالحة كثرة إلا أننا لا نعتقد أنهم بلا خطايا تافهة، فإن الله لا

يكذب حيث يقول: "ليس طفل حياته يوم واحد على الأرض بلا خطية". أضف إلى هذا الطوبوي يوحنا الإنجيلي الذي بلا شك ليس بأقل من يعقوب

في استحقاقه، يعلن: "إن قلنا أننا بلا خطية، نضل أنفسنا والحق ليس فينا" (1 يو 8: 1). علاوة على هذا، نواً في موضع آخر: "الصديق يسقط سبع

الأب قيصر يوس أسقف آرل

❖ "من يقدر أن يطهر شيئاً به بؤة نجسة؟" إنه هو وحده الطاهر في ذاته يقدر أن يطهر الأمور النجسة. فالإنسان الذي يعيش في جسدٍ فاسدٍ تتأصل فيه نجاسة التجربة، إذ يستمدّها من مولده. فإن الحَبْلُ به هو نفسه يتحقّق بلذة جسدية غير طاهرة. يقول المرتل: "بالآثام حُبِلَ بي، وبالخطايا ولدتني أُمِّي" (مز ٥١: ٥) ... لهذا يُجرب الإنسان بغير رادته. أما من يسيطر على عواطف التجرب السوية، ويغلب دنس الفكر، فيؤمّه ألاّ ينسب هذه الطهارة إلى نفسه، إذ لا يستطيع أحد أن يجعل ما حُبِلَ به في دنسٍ أن يصير طاهراً، إلاّ ذلك الذي هو وحده طاهر في ذاته.

المعنى هنا هو أن الطوبوي أيوب كان متطلعاً إلى تجسد المخلص، فأى أنه هذا الإنسان وحده في العالم لم يُحبل به من زرع دنسٍ، فلم يستمد شيئاً من حبلٍ دنسٍ. إذ لم يأت من زرع رجل وامرأة، بل من الروح القدس والعواء مريم. هو وحده طاهر بحق في جسده، إذ لم يأت إلى العالم حسب مسرة الجسد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ LXX لقد اقتبست العبارة التالية من سفر أيوب: "في عينيك ليس أحد طاهراً، ولو كان طفلاً عبوه على الأرض يوماً واحداً" (4:14-5). وأضفت: "فإننا مذنبون على شبه معصية آدم" [713] ، وهو رأي يعلنه كتابك عن نوبة يونان بطريقة مشوفة وواضحة، حيث تؤكد أن أطفال نيفوى الصغار يعدل الترموا أن يصوموا مع الشعب لمجرد خطاياهم الجدية [714] ، لذلك فإنه ليس من غير اللائق أن أوجه لك السؤال: أين ملست النفس الإثم الذي تلتزم به حتى في هذا العمر أن تخلص منه بسرّ النعمة المسيحية؟ [715]

❖ ليس إنسان بلا خطية سواء كانت حياته يوماً واحداً أو عاش سنوات طويلة. فإن كانت الكواكب نفسها ليست بطاهرة في عيني الله، كم بالأكثر النودة والفساد هذا الذي صار عليه من خضعوا لخطية عصيان آدم؟ [716]

القديس أغسطينوس

❖ "من سيتطهر من النجاسة؟ لا أحد. ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض" (١٤: 4). لا يقدر أحد أن يفخر قائلاً: "أنا طاهر"، سوى المسيح الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر" (١ بط ٢: ٢٢).

الطفل ابن يوم واحد الذي ليس فيه أية نجاسة، لأنه لا يعرف أن يميز الصالح من الشوير (إش ٧: ١٥-١٦)، إلاّ أنه يحمل فساد آدم القديم (١ كو ١٥: ٤٢) الذي علينا. لكن نعمة آدم الجديد، الذي خلع عنا آدم القديم (أف ١٤: ٢٢؛ كو ٣: ٩)، طهر أيضاً فسادنا "بغسل الميلاد الجديد" (تي ٣: ٥).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مَحْنُودَةً،

وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ عِنْدَكَ،

وَقَدْ عَيَّنْتَ أَجَلَهُ،

فَلَا يَتَجَاوَرُهُ [5].

يتطلع أيوب إلى حياته فيجد حتى عبوه يحدده الله مقدماً. فالله صاحب سلطان وقوة يحدد عمر الإنسان باليوم والشهر، فلا يقدر أن يتعدى ما هو محدد له. يقول موسى النبي: "إحصاء أيامنا هكذا علمنا، ففوتى قلب حكمة" (مز 90: 12).

الله هو الذي "يميت ويحي" (2 مل 5: 7)، لا يحدث شيء مصادفة، فحياة الإنسان معروفة لدى الله، وأيامه محددة لديه.

❖ " وقد عينت أجله (منه) فلا يتجاوزُه " (1: 5). بالنسبة لكل البشر قد تعين ليس فقط بالسنوات والشهور، بل والأيام والساعات وذلك من جانب خالقنا. فقد "عين زماناً"، وقد تحدد الزمن ولا يمكن تجاوزه مطلقاً. ألا تعلمون أن كثيرون يخلصون من المرض المميت، بينما آخرون وهم في صحة جيدة يُختطفون فجأة من الحياة الوائلة؟ البعض يسقطون من أماكن عالية ويقولون في أمانٍ أصحاب، بينما آخرون وهم يمضون يختطفهم الموت في خطوة باطلة. مرة أخرى فإن البعض يخرجون من سفينتهم (أثناء غرقها) ويصعدون على لوح خشبي مجرد، فيصلون في صحة وأمان، بينما آخرون يجدون الموت قرب الميناء، تغرق سفينتهم هناك حيث لا يتوقع أحد أن يكون الموت نصيبهم، لكنه يتحقق بدعوة من الخالق.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ أنا أعرف أن النفس البشرية روحية وليست جسدية، ممفوح لها العقل والتفكير، وهي ليست من جوهر الله، وإنما مخلوقة عن حياة الله التي وحدها حياة مطوّبة؛ وخالدة لأن شعورها يؤم أن يستمر على النوام وتشكل مصدر سعادتها أو ويلها. حقاً إنها ليست مدينة لاحتجابها في الجسد إلى أعمالٍ مرستها قبل الجسد، لكنها في الإنسان ليست قط بلا خطية، حتى إن كانت حياتها يوماً واحداً. من كل الذين يولون من نسل آدم لا يولد إنسان ما بدون خطية. ومن الضروري حتى بالنسبة للأطفال أن يولوا من جديد في المسيح بنعمة التجديد. أنا أعرف كل هذا بخصوص النفس [717].

❖ ليس من بين المولودين من نسل آدم إنسان وُلد بدون خطية، ومن الضروري حتى للأطفال الصغار أن يولوا من جديد في المسيح بنعمة التجديد [718].

القديس جبروم

❖ بالنسبة لسوب خطايا النفس والإرادة الحرة، أية عظة يمكنها أن تعلن عنها؛ يقول: " من الداخل تخرج الأفكار الشووة" (مر 7: 21؛ مت 15: 19). ويضيف قائمة بالأفكار التي تدنسنا.

فإن كانت شباك الخطايا منتشوة حولنا من كل جانب، خلال كل الحواس وحركات النفس الداخلية، من يقدر أن يفتخر بأن قلبه طاهر كما يقول الحكمة (أم 20: 9)؛ أو كما يشهد أيوب بذات الأمر: "من هو طاهر من وصمة؟" (أي 14: 4)؛
الوصمة التي تلحق بنفوة النفس هي اللذة الحسية التي تموج بالحياة البشرية بطرق متنوعة خلال النفس والجسد، بالأفكار والحواس والحركات المتعمدة والتصرفات الجسدانية.

إذن من نفسه طاهرة من هذه الوصمة؟

كيف يوجد أحد غير مضروب بالخيلاء وغير منوس تحت قدم الكوياء؟

من لم يهتز قط بأيدٍ خاطئة، ومن لم تجر قدمه قط إلي الشر؟

من لم يفسد قط بتجوال عينيه نحو الفساد أو أذنيه غير المضبوطتين؟

[719]

من لم ينشغل قط في تنوقه بمتعة، ومن لم يتحرك قلبه قط بعواطف باطلة؟

القديس غريغوريوس النيسي

❖ " ليس أحد بلا وصمة، ولو كانت حياته يوماً واحداً " (أي 14: 4). بين داود قائلاً: "بالآثام حُبل بي، وفي الخطايا ولدتني أُمي" (مز 51: 5). أيضاً يعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو 3: 25-23). لذلك يُمنح غوان الخطايا للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرون، لمغفرة الخطايا" (مت 26: 28) [720].

القديس باسيليوس الكبير

[721]

يستخدم العلامة أوريجينوس هذه العبارة لتأكيد ضرورة تعميد الأطفال، إذ ليس أحد بلا دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً .

❖ يَعمد الأطفال الصغار لمغفرة الخطايا (أع 2: 38) . خطايا من هذه؟ متى صنعوا الخطايا؛ أو كيف يمكن شوح الغسل الخاص بالمعمودية أن يُمرس في حالة الأطفال الصغار إلا بحسب التفسير الذي تحدثنا عنه منذ قليل؟ "ليس أحد طاهراً من دنس، ولو كانت حياته على الأرض يوماً واحداً" (أي 14: 4-5) . يُستبعد دنس الميلاد خلال سرّ العماد. لهذا حتى الأطفال الصغار يُعمنون. فإنه إن لم يُولد الإنسان هوة أخرى من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات [722] .

❖ كل إنسانٍ يدخل هذا العالم يُقال عنه إنه يحمل فساداً معيناً. هذا أيضاً يقوله الكتاب المقدس: "ليس أحد طاهراً من دنس (قدر)، وإن كانت حياته يوماً واحداً فقط" (أي 14: 4-5) . وذلك في الحقيقة يُحدث في رحم (أي 3: 11) أمه، وقد أخذ جسداً من أصل البذار الوالدية، فيقال عنه أنه "فسد في أبيه وأمّه" (راجع لا 21: 11) . ألا تعلمون انه عندما يبلغ الطفل الذكر أربعين يوماً يُقدم على المذبح لكي يتطهر (لا 12: 2) الخ، كما لو كان قد تدنس في الحبل به بالبذار الوالدية أو رحم والدته؟ لهذا فكل إنسان "تدنس في أبيه وأمّه" (لا 21: 12) .

إنما يسوع وحده ربي جاء إلي العالم طاهراً في ميلاده هذا ولم يتدنس في أمه، لأنه دخل إلي جسم غير مدنس. إذ هو ذلك الذي قال منذ زمن طويل بسليمان: "كنت صالحاً فأنتيت في جسد غير مدنس" (حك 8: 20) [723] .

العلامة أوريجينوس

❖ ليس أحد طاهراً من خطية حتى وإن عاش يوماً واحداً. حيث أن الوسل والقديسين لم يجسروا أن يقولوا: نحن قديسون. ولا تجاسروا بالقول: "أنا أسر" بل "أنا سأسر". يعد النبي بخصوص المستقبل ويعترف بأنه لم يفعل ذلك في الماضي: "سأسر الرب". أين أسر الرب "في رُض الأحياء" (مز 116: 9) . هذه الأرض هي رُض الأموات، الأرض الأخرى هي رُض الأحياء [724] .

❖ امسكوا بقدمي المخلص. اغسلوهما بدموعكم، وجففوهما بشعركم. عندما تفلتون هذا تبلغون إلى رأسه. عندما تتولون في ينوع الحياة مع المخلص، حينئذ تتعلمون أن تسكوا الدهن على رأس المخلص. إن كان المسيح هورأس كل رجل (اكو 11: 3) ، يؤزم ان يُمسح رأسكم، وبعد عمادكم تمسحون [725] .

القديس جيروم

❖ "بالآثام حبل بي" (مز 6: 51) . هل وُلد داود من زنا، بكونه وُلد من يسى (1 صم 16: 18) ، الرجل البار وزوجته؟ ما الذي يقوله عن نفسه إلا تلك الآثام التي جاءت من آدم؟ حتى رباط الموت قد عُست في النفس مع الإثم ذاته؟ فإنه ليس إنسان وُلد دون أن تُجلب معه العقوبة، يُجلب معه الاستحقاق للعقوبة.

يقول نبي في موضع آخر: "ليس أحد طاهراً في عينيك، ولو كان طفلاً، حياته يوماً واحداً على الأرض" (أي LXX 5: 14) [726] .

القديس أغسطينوس

❖ الذين يريدون أن يقدموا عنواً لخطاياهم يدعون بأنه لا يوجد أحد بلا خطية. إنهم يلجأون إلي شهادة سفر أيوب حيث يقول: "ليس أحد طاهراً من LXX قدر، وإن كانت حياته على الأرض يوماً واحداً. عدد أشوهه يُمكن إحصائها" (أي 14: 4-5) .

إنهم فقط ينطقون بهذه العبارة ويجهلون معناها تماماً. إننا نجيبهم في اختصار. لكي يكون الإنسان بلا خطية هذا له معنيان في الكتاب المقدس. معني أن الإنسان لم يخطئ قط، والثاني أنه يكف عن ارتكاب الخطية.

فإن قالوا هذه العبارة: "بلا خطية" تعني أنه لا يوجد أحد لم يخطئ قط فإننا نوافقهم، إذ لا يوجد أحد بدون خطية. كلنا أخطأنا في وقت ما حتى

وإن صونا فضلاء بعد ذلك.

ولكن إن أخفوا النص بمعنى أنهم ينكرون أن الشخص بعدما يخطئ يمكنه أن يملس الفضائل ولن يعود بعد إلي الخطية، فأبهم هذا خطأ. إذ يمكن أن يحدث أن إنسانًا كان قبلاً يخطئ يتوقف عن خطأه ويُقال عنه أنه "بلا خطية".

ربنا يسوع المسيح "أحضر لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها" (أف 5: 27)، ليس لأن أعضاء الكنيسة لم يكن بهم دنس قط، وإنما لأنهم مؤخرًا تحرروا من الدنس. يضيف الكتاب: **ولا غضن**، ليس لأن أعضاء الكنيسة لم يكن فيهم غضن الإنسان القديم (أف 4: 22؛ كو 3: 3) في أي وقت، وإنما لأنهم كفوا عن أن يكونوا هكذا [727].

العلامة أوريجينوس

❖ هذه أيضًا يمكن أن تؤخذ بخصوص الروح، فإننا أحيانًا نحاول أن نتقدم في بلوغ مكاسب في الفضيلة وبعض المواهب المقدمة لنا، لكننا نمنع من بعضها... فإنه لا يوجد إنسان يبلغ إلى الدرجة التي يشتهيها، إنما الله القدير الذي يميز ما بداخلنا يضع حدودًا للمكاسب الروحية ذاتها. هكذا بالأمر التي يحاول الإنسان أن يسود عليها ويعجز عن ذلك، لا يعود يفتخر حتى بالأمر التي في سلطانه.

هذا هو السبب الذي لأجله الكرز العظيم الذي حُمل إلى السماء الثالثة واخترق أسوار الفودوس (١٢كو ١٢) بعد نواله هذا الإعلان لم يُعط له سلطان ليستريح، وأن يكون بدون تجربة، إنما لأن الله القدير "عين للإنسان حدوده فلا يتجاوزها"، رفعه ليبرك أمورًا علوية، ثم عاد فقول به ليخضع لضغوطات. هذا حدث لكي لا يتكبر بذاته، بل يلتزم بالتواضع، فيؤزم حدوده، وبعد تطلعه إلى قياس حدوده يسعى أن يكون في أمان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

جاءت الترجمة السبعينية: "ليس إنسان طاهرًا من وصمة (قدر)". ويعلق العلامة أوريجينوس على ذلك بالقول بأن العبارة لم نقل: "ليس إنسان طاهرًا من خطية" وإنما "من قدر". "إفكل نفس لرتدت الجسم البشري لها قذلتها، أما يسوع فقد قبل ذلك بلادته إذ أخذ الجسم البشري من أجل خلاصنا (إذ حمل فيه وصماتنا). [لتصغ إلي زكريا النبي؛ إنه يقول: "وكان يشوع لابسًا ثيابًا قوة" (ك 3: 3)]. يقول زكريا هذا لكي يود على الذين ينكرون أن ربنا أخذ له جسدًا حقيقيًا، ويدعون أن جسده من مادة سماوية روحية [728]."

يعلق العلامة أوريجينوس على هذه العبارة بأنه ليس أحد من القديسين يقيم احتفالاً بعيد ميلاده. على العكس نجد في العهد القديم فوعون أقام احتفالاً بمولده، وفي الوليمة قتل رئيس الخبزين وعلقه (تك 40: 20-22)، وهيرودس صنع وليمة يوم ميلاده وقطع رأس القديس يوحنا المعمدان [729].

2. الموت والعبور من الألم

فَأَقْصِرْ عَنْهُ لَيْسْتَرِيحَ،

إِلَى أَنْ يُسَرَّ كَالْأَجِيرِ بِانْتِهَاءِ يَوْمِهِ [6].

إذ اشتدت به الضيقة التي يحسبها أيوب أنها بسماع من الله، يطلب منه أن يرفع يده عنه ليستريح من شدة ما حلَّ به. وكما يقول الموتل: "أقصر عني، فأبتلع قبل أن أذهب فلا أوجد" (مز 13: 39).

كأنه يقول لله، إن أفضل أيامي مملوءة تعبًا وشقاءً، فاسمح لي أن أتفلس من الضيق المستمر. فالأجير يتطلع وجاء إلى نهاية يومه ليستريح من التعب. أحسب أيامي كأيام أجير! ليكن فيها تعب، ولكن تتخللها فترات راحة.

❖ " فأقصر عنه (إلى حين)، ليستريح إلى أن يسر كالأجير بانتهاء يومه" [٦]. يقصد هنا بـ "أقصر عنه" نزع عنه عنف الضيقة. لكن من يقدر أن يستريح إن ابتعد عن (الله)، مادام الله وحده هو الراحة؟ وقدر ما يبتعد الإنسان عنه يبتعد عن الراحة؟

قدر ما يكون الأجير بعيداً عن نهاية عمله، يكون بعيداً عن مكافأة أجرته. لهذا فكل قديسٍ قائمٍ في هذه الحياة، بينما يرى أنه بعيد عن الرحيل من الحياة الحاضرة يحزن بأنه بعيد عن البركة الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأنَّ للشَّجَرَةَ رَجَاءً.

إِنْ قُطِعَتْ تُخَلِّفُ أَيْضًا،

وَلَا تُعَدُّمُ أَغْصَانُهَا [7].

يتطلع أيوب إلى حياته على الأرض وهي حياة واحدة متى عوت لا تعود، بينما الشجرة إن قُطعت وتُرك جُذُها في التربة تنبت أغصاناً صغوة، كأنها غوست حديثاً. فإن رطوبة الأرض وأمطار السماء تؤثر في جذعها لكي تتنفس وتعيش من جديد، أما الإنسان فمتى دفن في القبر لا يقوم في هذا العالم.

ويؤيب أن الحياة بالنسبة للأشجار أفضل منها للإنسان، فعندما تسقط شجرة يمكن أن تنبت من جذعها شجرة جديدة. عندما تنبأ اشعيا النبي عن إصلاح حال مدن يهوذا بعد خرابها قدم التشبيه التالي: "ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت، فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً" (إش 6: 13). فإن بيت يسي - أي إسرائيل - يقطع، كما تقطع بلوطة (سنديانة) عظيمة. لكن الله وحمته العظيمة يسمح لجذع هذه البلوطة أن تنبت من جديد فتأتي بفرعٍ بهيٍّ جديدٍ، هو المسيا المخلص الذي من سبط يهوذا. "يخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب..." (إش 11: 1).

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسوياً نوبياً حيث يرى في هذه العبارات نوة من موت السيد المسيح وقيامته.

❖ كان قائلواً أن يموت بالآمه، لكن بمجد قيامته جاء إلى خضوة الحياة مرة أخرى. فروعها التي تنبت هي المؤمنون به الذين يتضاعفون بقيامته فينمون ويتسعون. أصله يبدو كمن قد قُدم في الأرض، إذ أن الكورة به كانت لغير المؤمنين من اليهود أمر مهين. "جذعه جف في التواب"، حيث الآن قلوب مضطهديه التي أمسك بها روح عدم إيمانهم، فصار كمن هو مُحترق ومذول، لأنه كان قائلواً أن يموت بالجسد. ولكن "وائحة المياه نبت" بقوة الله، وجسده بعد موته قام من الأموات. وذلك كما هو مكتوب: "أقامه الله من الأموات" (أع 3: 15)... وأُنبت أوراقاً كغرسٍ جديدٍ، إذ أن ضعف الرسل، إذ وقت موته خافوا، وبانكلهم له صلوا جافين، وبمجد قيامته حيوا من جديد في الإيمان. بالمقارنة بهذه الشجرة، ماذا يكون كل إنسان إلاً تواباً؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن كان يوجد رجاء للشجرة المنظورة لحياة جديدة حتى بعد قطعها مادام جنُها ثابتاً، كم بالأكثر بالنسبة للشجرة الممنوحة عقلاً؟ فكما يوجد فأس لهذه الشجرة، يوجد أيضاً فأس للشجرة التي بها عقل (لو 3: 9).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

وَلَوْ قَدِمَ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهَا،

وَمَاتَ فِي التَّوَابِ جِذْعُهَا [8].

❖ ما هو أصل (جذر) الصديق إلاً الكورة المقدسة، إذ هي مصوره، التي يتمسك بها؟ وماذا يعني بالأرض أو التواب إلاً الخاطي؟ الذي قيل له بصوت الخالق: "أنت تواب، وإلى توابٍ تعود". هكذا أصل الصديق "يقدم في الأرض، وجذعه يموت في التواب"... فبحسب كلمات الحكمة: "في نظر الجهال يبدو أنهم ماتوا، ويكون رحيلهم للربوس" (حك 3: 2).

أما ذاك الذي أصله يقدم في الأرض وجذعه يموت في التواب، فإنه وائحة الماء ينبت، وذلك خلال إلهام الروح القدس، على مثال سلوكه، ويسبب نبته الفضيلة في قلوب المختلرين. فإن الماء يشير أحياناً إلى روي الروح القدس، كما كتب: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب"، "من يشرب من

هذا الماء الذي أعطيه لن يعطش" (راجع يو ٧: ٣٧؛ ٤: ١٤).

تبع ذلك: " تثبت أوراقاً كغوسٍ جديدٍ ". تثبت أوراقاً على أصل الشجرة المقطوعة، إذ يموت الصديق بالجسد، ويمتال آلامه يقيم قلوب الكثيرين، وبإيمانه المستقيم يظهر اخضرار الحق. ولذلك حسناً قيل: " كغوسٍ جديدٍ ". كل ما يفعله الصديق هنا هو غوس ثانٍ، فمن الواضح أن الغرس الأول لا يكمن في مملسة الصلاح بل في سبق معرفة الخالق. بينما كل ما يفعله المختارون كما لو كان رُوى لأول مرة هو مستقر في داخلهم، وبعد ذلك يُنفذ في الخرج. حسناً قيل: وتثبت أوراقاً كغوسٍ جديدٍ (أول)، بمعنى أن يظهر الاخضرار بالتنفيذ العملي لما هو كائن قبلاً في سبق معرفة الخالق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تَفْرُخُ،

وَتَثْبُتُ فُرُوعًا كَالْغُوسِ [9].

إن كانت المياه تهب جذر الشجرة الميتة حياة، فينبت من جديد، ويعود للشجرة حياتها، فإن الروح القدس يهب المؤمن الحياة الجديدة في مياه المعمودية. يقدم لها القيامة، قيامة النفس من موتها، حتى يتمتع الجسم أيضاً بالقيامة في يوم الرب، وتشترك النفس مع الجسم في الحياة الأبدية. في مياه المعمودية يدخل بنا الروح القدس إلى الدفن مع المسيح والقيامة أيضاً معه، فنخرج من المعمودية أعضاء جسد المسيح القائم من الأموات الذي لا يشيخ ولا يقدم بل ينمو على النوام بغير انقطاع متمتعاً بالحياة الجديدة. بهذا يتحقق اتحادنا مع السيد المسيح فننعم بالبنوة لله، إذ نصير خلال الابن الوحيد الجنس أبناء معه بالتبني، أي ليس حسب الطبيعة، وإنما خلال النعمة المجانية. هذا ما قصده الرسول بقوله: " لا بأعمالٍ في برِّ عملنا نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس " (تي 3: 5)، "مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات لمواتٍ لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم" (1 بط 1: 3-4). هذا ما قصده السيد المسيح نفسه في حديثه مع نيقوديموس: "الحقُّ الحقُّ أقول لك إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو 3: 5). ولم يستطع نيقوديموس معلم إسرائيل أن يفهم، لأنه لم يكن بعد قد أدرك أن يسوع هذا الذي يحدثه إنما يضم المؤمنين به إلى نفسه في المعمودية بالروح القدس، حتى يهبهم حياته المقامة كعطية الميلاد الروحي الجديد.

❖ هل كان ممكناً أن تتحول عصا موسى النقي إلى حيّة، وغير ممكن أن تحيا أجساد الأتقياء وتقوم ثانية؟ وهل عمل هذا خلافاً للطبيعة؟ وهل لا يعنون هم ثانية بحسب الطبيعة؟!

كذلك عصا هرون ولو أنها قُطعت، لكنها رُهت دون أن تشتم الماء (أي 14: 9). مع أنها كانت تحت سقف رُهت رُهتاً كما لو كانت في الحقول. مع كونها وُضعت في مواضع جافة، حملت في ليلة زهراً وثمر النبات الذي يُسقى لسنين عديدة، فهل قامت عصا هرون من الموت، وهرون نفسه لا يقوم؟!

[730]

هل يعمل الله معجزات في الخشب ليضمن له الكهنوت، ولا يتعطف بقيامة هرون نفسه؟

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ " فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تَفْرُخُ، وَتَثْبُتُ فُرُوعًا " [٩]، وذلك بغسل الميلاد الثاني (تي ٣: ٥)، ذلك في وقت قيامة الأموات. إذ لنا الرجاء في القيامة، بفضل نعمة المعمودية. بهذا ننال محصولاً كغوسٍ جديدٍ، إذ تُغرس في آدم الجديد (١ كو ١٥: ٤٥)، ولا نعود ترتبط بآدم القديم. ولكن إن حلت علينا الشيوخة خلال الكسل، إن كان الموت يلتصق بنا خلال الخطية، فلنكن لنا رائحة الماء، خلال البكاء مثل داود وبطرس وغوهم (٢ صم ١٢: ٢١؛ مت ٢٦: ٧٥). لأن رائحة العمام يدعوها البعض [731] بحق دعوى الندامة.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ إذ رأى الثالوث غير المنقسم ولا منطوق به منذ الأزل سقوط الطبيعة البشرية، وفي نفس الوقت أوجد الماء من العدم، أعد للإنسان الشفاء المزمع أن

يتم في المياه. هذا هو السبب الذي لأجله إذ حُمِل الروح القدس على المياه ظهر مقدسًا لها... وربطها بعملية الولادة (الإنجاب). بهذا يليق بنا أن نقول الحقيقة معًا، فإنه من المهم أن نعرف أنه في اللحظة التي اعتمد فيها يسوع قول الروح القدس على أمواج الأردن واستقر عليها [732].

القديس ديديموس السكنوي

❖ انظروا إلى المولدين من الله. هنا الروح المادي، مياه المعمودية!

❖ لنا ميلادان: أحدهما لُضي، والآخر سملوي. الأول من الجسد، والثاني من الروح.

الأول صادر عن مبدأ قابل للفناء، والثاني عن مبدأ أبدي.

الأول من رجل وامرأة، والثاني من الله والكنيسة.

الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثاني أبناء الروح.

الأول يصورنا أبناء الموت، والثاني أبناء القيامة.

الأول أبناء الدهر، والثاني أبناء الله.

الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، والثاني أبناء الوكعة والمحبة.

الأول يقيدنا بأغلال الخطيئة الأصلية، والثاني يحررنا من رباطات كل خطيئة [733].

القديس أغسطينوس

أَمَّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبْلَى.

الإنسان يُسَلِّمُ الرُّوحَ، فَأَيْنَ هُوَ! [10]

إذ يموت الإنسان يبلى الجسد ويفنى، إذ يصير كالزَّوَاب، وتتطلق الروح ولا تعود بعد إلى الجسد في هذا العالم.

بالرغم مما يبدو من بعض كلمات أيوب في السفر كمن لا يعتقد في القيامة، إلا أنه هنا يدعو الموت رقادا" والقيامة استيقاظ من المضطجع، مما يؤكد إيمانه الحي بالقيامة من الأموات.

❖ " عندما يموت الإنسان ويجرد ويفنى أسأل: أين هو؟" [١٠] لا يوجد إنسان بلا خطية سوى ذلك الذي جاء إلى العالم بلا خطية. وبينما نحن جميعًا مقبون بالإثم نموت بفقداننا للبر.

أعطي لنا ثوب الواءة سابقًا في الفودوس، وتجردنا منه، وصونا عواة. هذا العوي الذي للابن الضال وهبه الآب أن يتغطي، إذ قال عند عودته: "احضروا له سويًا الثوب الأول" (راجع لو ١٥ : ٢٢).

فإن الثوب الأول هو ثوب الواءة الذي بحق تسلمه الإنسان عند خلقته، لكنه إذ خُدع بواسطة الحية خسوه.

موة أخرى قيل عن هذا العوي: "طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يسير عريانًا" (رؤ ١٦ : ١٥).

فإننا نحفظ ثيابنا عندما نحفظ وصايا الواءة في قلوبنا، حتى إذ قد تجردنا نظهر عواة أمام الديان بالإثم، فبالندامة نتغطي وتعود لنا الواءة التي فقدناها.

حسنًا قيل: "أسأل أين هو؟" حيث لا يقف هناك الخاطي حيث خُلِق، وبينما هو هنا حيث سقط يُمنع من أن يقف طويلًا. بلادته فقد وطنه، وبغير

لادته يُسحب من نفيه، الذي فيه يبتهج. إذن أين هو هذا الذي ليس فيه حب الله، أين حقيقة كيانه؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كان النبي يحزن لبؤس حالنا الواهن، حيث لا يجد الإنسان راحة في حياته، ويفقد كل شيء بمستهل الموت المفاجئ. فقد أعلن له الروح القدس أن

الإنسان لا يقوم إلى وقت طويل، حتى يأتي ذلك الذي لا يخيط ما هو قديم مع ما هو جديد، ولا يربط المادة الجديدة بالقديمة (مت 9 : 16)، بل يجعل

كل شيء جديدًا، وذلك كما قال: "ها أنا أصنع كل شيء جديدًا" (رؤ 21 : 5). لأنه هو القيامة (يو 11 : 25)، بكر الراقدين (كو 1 : 18، رؤ 1 : 5).

القديس أمبروسوس

قَدْ تَنَفَّدَ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ،

وَالنَّهْرُ يَنْشَفُ وَيَجِفُ [11].

❖ " كما لو أن المياه تنحدر من البحر، والنهر يجف فرغاً" [١١]. عقل الإنسان هو بحر، وأفكار ذهنه كما لو كانت أمواج بحر. أحياناً يُبتلع هذا البحر بالغضب، ويصير بالنعمة هادئاً، ويجوي من البغضة إلى العروة. ولكن عندما يموت الإنسان ينحدر الماء من البحر... وإذ يفوغ النهر يجف". بهذا تتسحب النفس ويبقى الجسم فرغاً. فإن الجسم الذي بلا حياة يكون كمجوى نهرٍ جاف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الإنسان يَضْطَجِعُ (يرقد) وَلَا يَقُومُ.

لَا يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لَا تَبْقَى السَّمَوَاتُ،

وَلَا يَنْتَبَهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ [12].

حُذِفَت كلمة "الموت" من قاموس الكنيسة، فلم تعد تختوه. وليس من بين أعضائها الحقيقيين من هم أموات بل الكل أحياء، لأنها جسد الرب السوي الحي، وإذ الرأس حي، لذلك فإن الأعضاء حية.

هي كنيسة واحدة حية، جسد لرأس واحد حي، لا تعرف التزيق، بل يوتبط الكل عبر الأجيال في وحدانية تفوق حدود الزمن.

نحن لا نعتقد بكنيستين، كنيسة أحياء وكنيسة أموات، لكنها كنيسة واحدة، كَمَل بعض الأعضاء جهادهم فانتقلوا إلى الفردوس علي انتظار أن نكمل نحن العبيد رفاقهم جهادنا فنعبّر إليهم، وينال الجميع المكافأة يوم الدينونة.

إننا كنيسة واحدة، بعض أعضائها كملوا جهادهم وغلوا وانتصروا، والبعض لا زالوا يجاهدون، والباقيون سيأتون في الأجيال المقبلة، والكل كنيسة حية واحدة، بغض النظر عن اللقاء الجسدي في هذا العالم.

بهذه النظرة الإيمانية، لا نتطلع إلى الأموات كأموات بل كمن ناموا ليستيقظوا. هذا بالنسبة لأجسادهم، أما نفوسهم فهي لا تتعس ولا تنام. استوحت نفوسهم من الجهاد والتعب والألم، لكن لم ينفصلوا عنا، لأن رباطنا ليس بالرباط الجسدي. نحبههم ويحبوننا، نطوبهم من أجل جهادهم، وهم يصلون عنا.

❖ " والإنسان يضطجع ولا يقوم، حتى ترول السماء" (أي 14: 12). هذا يبدو معناه حتى تصير السماء جديدة. إذ ستكون سماء جديدة وأرض جديدة" LXX (إش 65: 17). كما هو مكتوب. فإن ما يزول هو قديم، وما هو قديم سيتغير.

أنصتوا إلى الموتل القائل: "في البدء يارب وجدت الأرض، والسملوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرادٍ تغوهم فتتغير" (مز 12: 25-26). نحن أيضاً قادرون أن ننسج الرداء، لأن ما هو قديم يزول، أما ما هو جديد فيُغتصب "ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يُّغتصب، والغاصبون يخنطونه" (مت 11: 12).

المجمع (اليهودي) زال بقليلين، والكنيسة تغتصبه بالآلاف، وربما المعنى أيضاً أن السماء الآن تظهر زائلة، إذ تموج بالسحاب والضباب وظلمة الليل، وبيزوغ نهار بلون أحمر ذهبي يظهر بألوان متنوعة مضاعفة. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سواج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم" (رؤ 22: 5)، كما قال يوحنا. أو يقول آخر: "ويل للواتي يخنن وسائد وتُطحن بنفوس الشعب" (حز 13: 18) LXX [735].

القديس أمبروسوس

❖ " الإنسان الذي يرقد (في الموت) لا يقيم نفسه. مادامت السموات قائمة لا تلتئم (أعضوه) معاً، ولا يقوم من نومه".

بدعوة الموت رقاداً يقدم لنا أيوب بوضوح الرجاء في القيامة. يقول إننا لا نقيم أنفسنا مادامت السموات (المنظورة)، قائمة. هذه شهادة أن "السماء ستطوي كوج" كما يقول إشعياء "وكل قرات السموات ستتحل، والقمر سيظلم، والنجوم تتساقط، تسقط كورقة الشجر" (إش ٣٤: ٣٤؛ مت ٢٤: ٢٩). عندئذ عندما يُضرب البوق (مت ٢٤: ٣٠-٣١؛ ١ كو ١٥: ٢٥؛ ١ تس ٤: ١٦) تقيمنا الملائكة من الموت كما من الرقاد، بطريقة واضحة بناء على أمر الله وإشراسته. فإنكم تجدون كلمات الرب هذه موضوعة في الوقت الذي فيه يتحدث مع تلاميذه عن مجيئه... وإذ يعلن عن ظهور علامة صليبه عند مجيئه أضاف: "سوسل ملائكته بصوت بوق عظيم"...

أما بالنسبة لنا لبيتنا نصغي باهتمام إلى القول: "تلتئم معاً". إنه يعلن كيف عندما تزول السموات (مت ٢٤: ٣٥) تكون لنا نحن القيامة. إذن سيكون لقيامه الأعضاء موضع، هذه التي الآن منفصلة ومبعثرة في الأرض، وقد عادت إلى الطين. عندئذ تستعيد النسمة بأمر الله (جز ٣٧: ١٠)، "وتلتئم معاً". فإنه لا يصنع لنا الخالق جسداً آخر، بل من كل الجوانب هو ذات الجسد الفعلي. على أي الأحوال، سوف لا يكون بذات الطابع، بل يقوم في عدم فساد وعدم موت. إنه يقيمه، وكما يقول بولس: "هذا الفاسد يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم الموت" (١ كو ١٥: ٥٣). إذ يفكر أيوب في هذا ويتأمل في مجد المستقبل والحياة الأبدية، كما في انحطاط الحياة الحاضرة، يتمسك بفكرة التحول من هذه الحياة السريعة الزوال، وفي الرجاء في الحياة العتيدة، نسمعه يقول: "أه! إن كان أحد يحفظني من جهنم!"

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " هكذا يرقد الإنسان ولا يقوم". يبدو هذا صعب جداً، لماذا نتعب ونجاهد، إن كنا لا نجد بعد مكافأة القيامة؟

كيف يُقال: "لا يقوم"، مع أنه مكتوب: "كلنا سنقوم، لكن ليس كلنا نتغير". وأيضاً: "إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فنحن أشقى جميع الناس". ويقول الحق نفسه: "كل الذين في القبور يسمعون صوته ويقومون، ويذهب الذين صنعوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين صنعوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (١ كو ١٥: ٥١، ١٩؛ يو ٥: ٢٨، ٢٩). لكن العبارة السابقة إذ تضيف: "إلى أن تزول السموات لا يستيقظون، ولا يقومون من نومهم". فمن الواضح أنهم سوف لا يقومون إلى أن لا تعود توجد السموات، فإن لم تأت نهاية العالم لا يستيقظ الجنس البشري إلى الحياة من نوم الموت...

علامة على هذا فنلاحظ لماذا بعدما دعا الإنسان ميتاً قبلاً، أشار إليه بعد ذلك انه ليس بميت بل هو نائم، وأنه لن يقوم مرة أخرى من نومه حتى تتفتت السموات، التي لا تعني سوى أن نفهم بوضوح أنه بالتشبه بالشجرة التي تنتعش من جديد للحياة، يشير إلى الإنسان كخاطي ميت، أي ليس فيه حياة البر. ولكن عندما يتحدث عن موت الجسد يفضل أن يدعوه هذا ليس موتاً بل رقاداً. بالتأكيد يعلمنا الرجاء في القيامة، حيث يقوم الإنسان بسوعة من النوم، سيقوم في لحظة بإيماءة من خالقه، يقوم من موت الجسم.

فإن كلمة "الموت" رعب أصحاب العقول الضعيفة، أما لقب "النوم" فغير مخيف. لذلك إذ يوصي بولس تلاميذه يقول: "لئد أن لا تجهلوا أيها الإخوة بخصوص الواقدين، ألا تحزنوا كالباقين الذين لارجاء لهم. فإننا إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فإنه هكذا الذين رقتوا في يسوع سيحضرهم الله معه ثانية (١ تس ٤: ١٣-١٤).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَيْتَكَ تُرَابِي فِي الْهَلْوِيَّةِ،

وَتُخْفِينِي إِلَى أَنْ يَنْصَرَفَ غَضَبُكَ،

وَتُعِينُنِي لِي أَجْلاً، فَتَذْكُرْنِي [13].

يشتاق أيوب إلى القبر كمكان يختبئ فيه مؤقتاً من غضب الله. هنا يختلف هدفه عما كان لديه سابقاً حين كان يطلب الموت والقبر (7: 9-10):

(18-21). إنه ينسب ما يحل به إلى غضب الله، لأنه تعلم ان البار يكون دوماً مطوباً ولا تحل به المصائب كالأشرار.

في وسط آلامه العرة يشتهي الموت، عالمًا انه سينحدر إلى الهاوية، لكن إلى حين متوقِّبًا عمل الخلاص الإلهي، فينصرف الغضب ويتمتع بالقيامة المجيدة.

إن كان أيوب يئن من ضعف الحياة البشرية على الأرض بكونها أضعف من حياة شجرة، لكنه وسط آلامه يشتهي أن يختبئ في القبر ليستريح من الألم ولا يعود إليه بعد. يترك أيوب أن الموت هو اختباء في القبر الذي مفاتيحه في يد الله، يفتح ليدخل ولأده، ثم يعود فيخرجهم في يومه العظيم. إذ ينطلع أيوب إلى أجساد المؤمنين في القبر وي أنه لا زال توجد آثار للغضب، حتى متى قام الجسد وتمتع بالمجد ينتهي كل أثر للغضب تمامًا، بهذا يُباد سلطان الموت.

تدخل الأجساد في القبور إلى تعيين أجل الخروج إلى الحياة الجديدة الأبدية، كما دخل فوح وعائلته في الفلك، وأغلق الله عليه، لا ليحفظهم من الدمار فحسب، وإنما ليدخل بهم إلى العالم الجديد، وكأن أيام القبر أفضل من الأيام الحالية.

وي القديس أمبروسيوس في هذه العبارة (أي 14: 13-17) أن الله تحدث في أيوب وعرف بالروح القدس أن ابن الله ليس فقط يأتي على الأرض، وإنما يقول إلي الهاوية ليقيم الأموات، وأن ما حدث فعلاً في أيامه كان شهادة للأمور الحاضرة ونموذج للأمور المقبلة [736].
❖ يا لها من عبارة رائعة تقوينا من جهة القيامة!

كيف تبدو هذه العبارة في توافق مع كلمات الرب التي نقرأها في الإنجيل! إنه يقول: "حينئذ يبتدون يقولون للرجال أسقطي علينا، ولآلام غطينا" (لو 23: 30). لأن غضب الرب سيظهر في نهاية العالم. لهذا فضل أيوب البار أن يقوم في الدينونة، وليس في وقت غضب الرب الذي يكون موعبًا حتى بالنسبة للبار.

"وتعين لي زمانًا، فتذكرني" (أي 14: 13). يفهم أيوب أنه يتنبأ أنه سيقوم في وقت آلام الرب كما هو واضح مما جاء في نهاية السفر (أي 42: 17LXX) حيث جاءت الترجمة السبعينية "مكتوب أنه سيقوم مع أولئك الذين يقيمهم الرب". ومع هذا فهو لا يكف عن أن ينتحب، وكلما أترك أن القيامة تنتظره كلما عظمت اشتياقاته أن يهرب من هذه الحياة. إذ وي نفسه يُسلم في أيدي خصومه، وأنه يسقط تحت سلطان الشرير [737].

القديس أمبروسيوس

❖ "يا من تدافع عني في الجحيم" [١٣]. قبل مجيء الوسيط بين الله والناس، كل شخص حتى وإن كانت حياته طاهرة ومؤكدة، فإنه دون شك تولى إلى سجن الجحيم. الإنسان الذي سقط بعمله، صار عاجزًا بعمله أن يعود إلى راحة الفردوس. فقد سُجل أن سيفًا ملتهبًا وُضع عند مدخل الفردوس بعد خطية الإنسان الأول، والذي دُعي "المتحرك"، حتى يأتي اليوم الذي فيه يتحرك...

"حتى تحفظني مخفيًا إلى أن يعبر سخطك تمامًا". فإن سخط الله القدير ينجز قوة كل يوم، فيبتلع الذين يعيشون بطريقة جاؤة بعقوبات لائقة... في هذا الأمر يؤرم أن نعرف أن تعبير "سخط" لا يليق بالكائن الإلهي، حيث لا يوجد في طبيعة الله البسيطة قلق. فقد قيل له: "لكن أنت، يا ضابط السلطة تحكم في هوء وتأمونا باهتمامٍ عظيمٍ زائدٍ" (حك ١٢: ١٨). ولكن لأن نفوس الصديقين تحررت يومًا ما بمجيء الوسيط من مواضع الجحيم، وليست مواضع عقوبة، لذلك فالصديق سبق فأى وطلب قائلًا: "حدد لي زمانًا، متى تأتي وتذكرني".

هكذا ليت الطوبوي أيوب، إذ يعرف هذا المجيء لمخلصنا إلى الجحيم يطلب ما قد سبق وآه يحدث في المستقبل. ليقول: "وأنت فلتحدد لي زمانًا فيه تذكرني"، يكمل: "هل تظن أن الإنسان الميت يحيا ثانية؟" [١٤]

حين كان ربنا قريبًا من آلامه نطق بصوت الضعفاء، قائلًا: "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" (مت ٢٦: ٣٩). ولكي يزيل خوفهم أخذ (الخوف) فيه (نيابة عنهم).

هرة أخرى أظهر بالطاعة القوة بقوله: "لكن لنكن لا رادتي بل رادتك". هكذا يكون الأمر عندما يهددنا... يؤمننا في الضعف أن نصلي ألا يكون (ما نخشاه)، لكننا مستعدون أن تتم رادة خالقنا، حتى وإن كانت ضد رادتنا.

على هذا المثال يليق أحياناً أن يتبنى الأقوياء كلمات الضعف، حتى يكوّزتهم القوية يمكن لقلوب الضعفاء أن توداد قوة. هكذا عندما نطق الطوبوي أيوب كلمات كمن هو في شك، قائلاً: "هل تظن أن إنساناً ميتاً يقوم ثانية؟" "للتو أضاف عبلة تؤكد يقين إيمانه حيث يقول: "كل الأيام التي فيها الآن أنا أناضل، انتظر حتى يحل تغويي" [١٤].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ [في رسالة يعث بها القديس إلى لُملة شابة، رجلها كان والياً، جاء فيها:] فإن هذا الموت ليس بموت، إنما هو نوع من الهجرة والانتقال من سيئ إلي أحسن، من الأرض إلي السماء، من وسط البشر إلي الملائكة ورؤساء الملائكة، بل ومع الله الذي هو رب الملائكة ورؤساء الملائكة... فبقدر ما تخزنين لأن الله أخذ إنساناً هكذا كان صالحاً ومكرمًا كان يجب أن توحى أنه رحل إلي مكان أكثر أماناً وكرامة، متخلصاً من مضايقات الحياة الحاضرة الخطوة، إذ هو الآن في أمان وهوء عظيم.

إن كان لا حاجة لنا أن نعوف أن السماء أفضل من الأرض بكثير، فكيف نندب الذين رحلوا من هذا العالم إلي العالم الآخر؟! لو كان زوجك سالماً مثل أولئك الذين يعيشون في حياة مخجلة لا توحى الله، كان بالأولي لك أن تتوحي وتبكي، ليس فقط عند انتقاله، بل حتى أثناء وجوده حيًّا هنا. لكن بقدر ما هو من أصدقاء الله، يلزمنا أن نسر به ، ليس وهو حيّ هنا، بل وعندما يوقد مستويًا أيضًا.

[738]

وإذ يلزمنا أن نفعل هذا، استمعي ما يقوله الرسول الطوبوي: "لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا" (في 1:23).

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِنْ مَاتَ رَجُلٌ، أَفِيحِيًّا؟

كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ،

إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي [14].

ليست مسوة الله في موت الإنسان، بل أن وجع إليه فيحيا. هذا ما يدفع أيوب لاحتمال كل أيام جهاده، حتى تتبدل أيامه الحاضرة بالحياة الأبدية الجديدة.

كان أصحاب أيوب وهم معزون متعبون، يقدمون له الرجاء في الدعوة إلي ما كان عليه إن اعترف بريائه وشوه المخفي، وقدم توبة صادقة، ورجع إلي الله. أما أيوب فكان يتغوى بذلك فإنه حسب نفسه كميته، لا يعود إلي الحياة على الأرض من جديد، قائلاً: "إن مات رجل، أفيحيا؟" لكن هذا لا يدفعه إلي الزاخي، ولا إلي اليأس، إنما يقول: " كل أيام جهادي أصبر إلي أن يأتي بدلي ". أي بديل ينتظره أيوب؟ هذا الذي قال عنه الرسول بولس: "سيتغير شكل جسد تواضعنا" (في 3: 21). هذا هو البديل، عوض العظام اليابسة الملقاة في بقعة تصير حياته جيشاً عظيماً جداً (جز 37: 10). هكذا تصير النفس بكل طاقاتها والجسد بكل قراته جيشاً للرب مجيداً وعظيماً، حيث يشرك السيد المسيح مجده. بهذا يتوهم الموتل: "جسدي أيضاً يسكن مطمئناً" (مز 16: 9). هذا هو الإبدال الموح حيث يلبس الفاسد عدم الفساد، والمائت عدم الموت.

جاء سؤال أيوب: "إن مات رجل، أفيحيا؟" جاء الود بالإيجاب بواسطة رب المجد يسوع وما ورد في أسفار العهد الجديد (يو 11: 23-26؛ 1 كو 15: 3-57).

❖ " إن كان الإنسان حتماً يموت، هل سيقوم، وقد أتم أيام حياته؟... إنني أنتظر حتى أوجد ثانية" (أي ١٤: ١٤). إنه يدعو القيامة وجوداً جديداً... لقد عوف أيوب الساحة لا بكلمات مديح صاورة عن اللسان، وإنما بالأعمال. كلمات المديح هي أواضه وقروحه ونياته. كان علياً تماماً، وكان أكثر بهاءً ممن يوتدي ثياباً موشاة بالذهب. فإن سووه الذي كان يوقد عليه هو كوم مزبلة، لكنه كان أكثر تألقاً من الذين يجنون مسوتهم في الذهب والحجرة الكريمة. فإن الله يتحدث معه شخصياً، والملائكة بجانبه، وكل الخليقة تعلن مجد المصلوع، هذا الذي دون أن يمد يديه، يسقط العدو.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "لأن الموت الذي ماتته قد ماتته للخطية مرة واحدة" (رو 10:6).

[739] مات لا لأنه مائت بطبعه، لكنه مات بالجسد ليضع نهاية للخطية. وهو حي في حياته التي لا تزول كإله .

ابن الصليبي

❖ لأنه محب البشر فقد رحب بالموت الذي بدونه لهلك العالم في خطاياهم . [740]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ دُفن وحده ولكنه أقام الجميع، قتل وحده ليرفعنا جميعًا، حمل خطايا العالم كله وحده ليطهر الكل في شخصه، وكما يقول الرسول:
"تقوا أيديكم إنن وتطهروا" (يع4:8)، فالمسيح غير محتاج للتطهير تظهر لأجلنا.

القديس أمبروسيوس

❖ كن مصلوبًا مع المسيح، مماثلاً معه، كن مدفونًا معه، لكي تقوم معه، وتمجد معه، وتملك معه.

القديس غريغوريوس النيقولوغوس

تَدْعُو، فَأَنَا أُجِيبُكَ.

تَشْتَأقُ إِلَيَّ عَمَلِ يَدِكَ [15].

الله في عدله يرفض المعصية، ولا يقبل الإثم (17:14)، لكنه إذ يدبر الخلاص يشناق إلى الإنسان عمل يديه.

في وسط الشدة يصوخ أيوب إلى الله، وكأن الله لا يسمع له، أما إذ يحين وقت القيامة، فالله يدعو أن يقوم فيستجيب أيوب، يلتقي مع الله الذي يشتهي إلى عمل يديه، حيث يحمل أيوب انعكاس بهاء مجد الله عليه.

❖ "تسألني، فأجيبك" [١٥] ... مادمننا نخضع للفساد لا نجيب خالقنا بأية وسيلة، متطلعين إلى أن الفساد بعيد عن الفساد، وليس من تشابه يليق بإجابتنا. أما عن هذا التغير فقد كُتب: "عندما يظهر نصير مثله، لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢). بالحقيقة سنجيب الله، الذي يدعو، لدى الأمر "بعدم الفساد الأسمى"، نقوم في عدم فساد. ولأن المخلوق لا يقدر أن يتأهل لذلك بنفسه، إنما يتحقق هذا بعطية الله القدير وحده، وهو أن يتغير إلى مجد عدم الفساد الفائق، لذلك بحق أضاف: "ستبسط يمينك لعمل يديك". وكأنه يقول بكلمات واضحة: لهذا السبب مخلوقك القابل للفساد قادر أن يمسك في عدم الفساد، لأنه يرتفع بأيدي سلطانك، ويحفظ بنعمة اهتمامك. فإن المخلوق البشري، بهذا وحده، بكونه مخلوقًا، يوث في ذاته الانهيار إلى أسفل مما هو عليه، لكن الإنسان ينال من خالقه أن يلتزم بأن يرتفع إلى ما هو أعلى منه وذلك بالتأمل، ويمسك في نفسه عدم الفساد. إنه يرتفع إلى الارتفاع في عدم التغير وذلك بيمين خالقه.

من يقدر أن يقدر سحاء الوحمة الإلهية، أن يحضر الإنسان بعد الخطية إلى علو مجد كهذا؟ الله يضع في اعتباره الأمور الثبوتية التي نفعها، ولكن وأفته يغوها في رحمة. وهكذا أضيف: "الآن تحصي خطايتي، وتصفح عن خطاياي" [16].

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. الاستعداد للموت

أَمَّا الْآنَ فَتُحْصِي خَطَايَايَ!

أَلَا تُحَافِظُ عَلَيَّ خَطِيئَتِي [16].

يقول الحكيم: "لأن طرق الإنسان أمام عيني الرب وهو وزن كل سبله" (أم 5: 21).

❖ " أنت تحصي خطايتي، ليست خطية واحدة من خطاياي تهرب منك" [١٦] . يقول: أود أن أخلص، لأنني أنا عمل يديك، وليس لأنني بار بأية كيفية،

ولا لأنني أطلب العدالة منك، ولا لكي تتسى آثامي، فإنه ليس من الممكن لأي ذنب أن يهرب منك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مَعْصِيَتِي مَخْتُومٌ عَلَيْهَا فِي صُورَةٍ،

وَتَلْفَقُ عَلَيَّ فَوْقَ إِثْمِي [17].

يقول الرب: "أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خواتمي؟! (تث 32: 34).

هذا عن يوم الدينونة الموفح، أما الآن فيبدو لأيوب أن الله يحصي خطواته، ويختم على معاصيه كما في صورة، كما يُختَم على ورق الاتهام ضد المتهم. يشعر أيوب كأن الله يدقق في كل تصرف يملسه أيوب ويقيد كل خطاياهم ضده، وتُحسب عليه كل آثامه.

❖ " أنت تختم معاصي، كما لو كانت في حقيبة، لكنك تشفي آثامي" [١٧]. تُختَم معاصينا كما لو كانت في حقيبة، حيث أن كل ما نفعله بتصروفٍ خلجي، إن لم نغسله بالندامة يُحفظ في سوية أحكام الله كما في وضعٍ خفي، حتى يظهر يوماً ما من حقيبة السوية إلى علانية الحكم. قيل أيضاً بموسى: "ألم يوضع هذا في مخزن معي، ويختم عليه وسط خواتمي؟ في يوم الانتقام أجري عنها" (تث ٣٢: ٣٤). ولكن إن كنا نُسحق بضربة التأديب من أجل الشرور التي نفعلها، ونحزن عليها بالندامة، فإنه "يختم" و"يشفي" "آثامنا، حتى لا يتروك شيئاً هنا لا تُعاقب عليه، ولا يُحفظ لتعاقب عليه في الدينونة...".

هكذا فإن إثم مُضطهده (شاوول الطرسوسي) الذي طوحه رُضاً، فقد فعل معه هذا بأن ختم وشفى، قائلاً عنه لحنانيا: "إنه إناء مختار لي يحمل اسمي أمام الأمم وملوك وبنو إسرائيل. فسأريه كم ينبغي أن يتألم لأجل اسمي" (أع ٩: ١٥).

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنَّ الْجَبَلَ السَّاقِطَ يَنْتَثِرُ،

وَالصَّخْرُ يُؤَخَّخُ مِنْ مَكَانِهِ [18].

إن كان الأصدقاء الثلاثة يوجهون اللوم لأيوب لأنه عوض التوبة والروح إلى الله في نظهم يتهم الله بالظلم، فإن أيوب يوضح أنه إن حلَّ به ضعف، وبدا كمن فقد رجاءه، فذلك من ثقل الضربة. إنه كالجبل الذي مع ثباته ينتثر، وكالصخرة التي لا تتحرك، لكن تحت الشدة تتوخح من مكانها، وكالحجارة التي تفتتها قطرات الأمطار المتوالية وتجرفها السيول. هكذا يشبه نفسه كالجبل والصخرة والحجارة... لكن التجربة قاسية للغاية!

الْحَجْرَةُ تَبْلِيهَا الْمِيَاهُ،

وَتَجْرَفُ سِيُولُهَا رُؤَابَ الْأَرْضِ [19].

وسط آلامه يصلح أيوب بين عذوه عن احتمال الألم ورجائه في التمتع بالمكافأة الأبدية. لقد كشف الألم ورجاءه في التمتع بالمكافأة الأبدية. كشف عن رجائه في استبدال وتغيير حتى جسده لكنه يخشى أن يُوخَّح هذا الرجاء خلال طول مدة الضيقة. فنحن زى مع طول الزمن بعض الجبال تنتثر، والصخر يُوخَّح من مكانه، والحجارة تبليها المياه المتساقطة عليها باستتوار، وتجرفها سيول المياه كرواب الأرض. إنه يصوخ ألا يوم صوه.

❖ يشبه دمار الإنسان هكذا... يوجد نوعان من التجرب:

نوع يعبر في الذهن، حتى بالنسبة للإنسان الصالح، يحدث هكذا فجأة، إنه يُجرب فجأة، حتى بعدم توقعه ما يحدث يُصاب بوارٍ ويسقط رُضاً ولا يرى سقوطه.

ويوجد نوع آخر يأتي قليلاً قليلاً في الذهن، وباقتراحات حسنة يفسد النفس المقاومة، وذلك ليس بإفراطها الرائد بل بإلحاحها تفسد قوى البر.

عندما يوجد النوع الأول من التجربة الذي يقوم بهجومٍ مفاجئ، غالباً ما يتوكل بالصالح رُضاً، يُقال: "وبالتأكيد تسقط الجبال إلى العدم، وتتحرك

الصخرة من موضعها" [١٨]، ويُقصد بذلك الذهن الذي موضعه كان البر، وبدافع مفاجئ تتحرك إلى الخطية.

هرة أخرى إذ يوجد نوع آخر من التجربة، يسكب نفسه بهوء في قلب الإنسان، ووهق مفسداً كل صلابة ثباته، فيقال: "المياه توهق الحجرة".
بهذه الكيفية، حيث أن المداهنة الناعمة للشهوة التي لا تُصْفَحُ عنها تمتص صلابة النفس، وتسلب العادة الثورية ببطء يتلف غاية الذهن الصامدة والقوية.
لهذا أضيف: "وبغسل الأرض تتآكل قليلاً قليلاً". فإنه كما يفيض المياه تتآكل الأرض قليلاً قليلاً، هكذا توحف العادة الثورية بوجاتٍ خفيفة، فيبتلع حتى
الذهن القوي. بحق قيل: "وأنت بنفس الطريقة تهلك الإنسان"...

لوزي كيف داود "الجبل العالي" الذي استطاع أن يتأمل أسوار الله العظيمة بروح النوبة، انهار بسقطة مفاجئة، حيث اشتهى وأخذ امرأة رجل
آخر، وقتل رجلها على حساب جيشه. عندئذ سقط الجبل بسقطة مفاجئة، عندما غلب هذا العقل الذي اعتاد أن يسكن مع الأسوار السماوية، وذلك بتجربة
مفاجئة، وانحدر إلى فسادٍ رهيبٍ كهذا...

دعونا أيضاً نرى "المياه تعلق الحجرة، وبغسل الأرض تتآكل قليلاً قليلاً"، وذلك في سليمان بإوطه في العلاقات النسائية ومعاشرته لهن،
اقلق إلى هذا الطريق حتى بنى هيكلًا للأوثان، هذا الذي سبق فشيده هيكلًا لله...
هكذا يضع الطوبوي أيوب كلا النوعين من التجربة، سواء التي تحدث فجأة في إوطه، أو تدخل بهوء وبطريقٍ طويل. ليتأمل سقطات زملائه
من الخليقة (الجال والصخور والأرض)، فمنها يستطيع ما يحدث في الخرج أن يجد مفتاحًا لتأملاته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَكذلكَ أَنْتَ تُبِيدُ رَجَاءَ الْإِنسَانِ.

تَتَجَرَّبُ عَلَيْهِ أَبَدًا فَيَذْهَبُ.

تَشْوَهُ وَجْهَهُ وَتَطْرُدُهُ [20].

يطلب أيوب التدخل الإلهي قبل حلول موته وهو في تدمرٍ بلارحاء.

في لحظات الموت يتغير وجه الإنسان، إما بسبب المرض، أو حالة الهزال التي تحل بالإنسان قبيل موته. يفقد الإنسان جماله وبهاءه وعظمته،
حتى يجد أقربوه أن دفته تكريم له. وكما يقول إواهم: "أعطوني ملك قبر لأدفن ميتي من أمامي" (تك 23: 4، 8).
"حطمت رجاء الإنسان"... يقول الأب هيسخيوس الأورشليمي أن هذا هو السبب أن يقول داود: "أحبيبي يا الله، فإن المياه قد وصلت إلى نفسي"
(مز 69: 1). فإنه إذا سقط أيوانا آدم وحواء في العصيان طردا من الفردوس وصدر الحكم: "أنت زاب وإلى الزاب تعود"، وصلت الأرض تخرج
شوكًا وحسكًا، فأى رجاء لآدم بعد حلول مثل هذه اللعنة؟ لذلك يكمل أيوب حديثه: "لقد رفضته إلى الأبد، وهو قد ذهب!"

يُكْرَمُ بُوَهُ وَلَا يَعْلَمُ،

أَوْ يَصْغُرُونَ وَلَا يَفْهَمُ بِهِمْ [21].

وي الأب هيسخيوس الأورشليمي أن أيوب يتطلع إلى أبيه آدم وقد عبر إلى الجحيم، فلم يعد يبوي بما حل بؤلاده، أي بالبشوية التي هي
نسله. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (مت 16: 26)؟

❖ لو أن رحلة الوب في الجسد لم تحدث، ما كان المخلص قد دفع للموت ثمنًا. ما كان يحطم سلطان الموت بقوته. لو أن الجسد الذي خضع للموت هو
شيء والجسد الذي أخذه الوب شيء آخر، عندئذ ما كان يمكن للموت أن يبطل من ممرسة أعماله، وما كانت آلام الإله المتجسد لها نفع؛ نحن الذين
مُتتا في آدم ما كان يمكننا أن نحيا في المسيح [741].

القديس باسيليوس الكبير

❖ نحن نعرفه أنه بكر الذين استوحوا، بكر الأموات. دون أي نقاش البكر هو من ذات سمات وطبيعة بقية الثمار... لهذا كما أن بكر الموت كان في
آدم هكذا بكر القيامة هو في المسيح [742].

القديس أمبروسيوس

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذا هو موقف النفوس التي لم تتمتع بالخلص، أما نفوس الصديقين أو [النفوس المقدسة فهي إذ ترى بهاء الله القدير في داخلها، لا تستطيع أن تتخيل إلى لحظة أن أمراً ما خلجاً لا يعرفونه. أما الأشخاص الجسدانيون، فيدركون كل مهم في ولادهم (في الأمور الزمنية)، لذلك يعلن أيوب أنهم بعد ذلك يجهلون الأمور التي يحبونها هنا بكل قلوبهم، حتى إن كان " ولادهم في كرامة أو هوان، لا يعرفون".]

إِنَّمَا عَلَى ذَاتِهِ يَتَوَجَّعُ لَحْمُهُ،

وَعَلَى ذَاتِهَا تَتَوَخُّ نَفْسُهُ [22].

مع شوقه العجيب إلى الموت للهروب من الضيقة الشديدة، يخشى ساعة الموت لأنهارهية، حتى تبدو نفسه كمن توح على الجسد الذي تفرقه.

❖ حسناً قيل: " نفسه فيه تحزن عليه"، وذلك فإن كل من يريد أن يوح بنفسه بصير فيما بعد بذات السبب في ويل حيث يعبر من مصدر فوحه

الحقيقي. لأن الفوح الحقيقي للنفس هو الخالق. لذلك يليق بالإنسان أن يبقى في حزن أبدي في داخله بتركه خالقه، وبحثه عن الفوح في نفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 14

إليك أصوص وسط مورتى،

بك وحدك أتحدى الموت!

❖ إذ تحوط بي الضيفات المتلاحقة،

في ضعف اصوخ إليك:

إني مولود المرأة، كلي الضعف،

حياتي مملوءة تعباً،

كيف احتمل كل هذه التجارب؟

حياتي كعشب الحقل، كادت شمس التجرب تحرقني تماماً.

حياتي كظلٍ تعبر، ولكن إلى أين أذهب؟

أيامي أنت قد حددتها، وعينت أجلي فلا أتجاوزها،

هب لي راحة في لحظات عموي.

❖ في ضعفي تنطمس عيناى عن رؤية القيامة.

أغير من الأشجار التي تقطع، فتنبئت جنورها،

ورأى في حياتي أنها عاوة بلا عودة.

ظننت في الأشجار أنها تملرس الحياة أفضل مني.

في غباوتي اشتهى المياه التي تجعل جذع الشجرة ينبت،

ولا أرى المياه الحية، روحك القنوس العجيب،

يقيم مني ابنا لله، فأتمتع بحياة أبدية.
أسر بشجرة مغروسة على مجري المياه،
إن قطعت تنبت جنورها ساقاً جديدة،
ولا أدرك أنك غوستتي على مجري الروح القدس،
وإن قام علي إبليس بكل جنوده وخططه،
لن يقدر أن يحطم أبديتي المجيدة!
❖ لم تكن عصا هرون تحتاج إلى مياه هذا العالم لكي توخ وتوهر.
هب لي ألا أعطش إلي مياه العالم،
بل أطلب مياه الروح واهب البرّ والقداسة.

❖ إذ رى نهراً نفذ مؤه فجف،
أظن أنني لُقدولا أقوم.
لكني علمت أنني لن أقوم حتى تزول السماء،
حينئذ تيقظني كلمتك.
أدرك أنني كنت مختفياً إلى حين لأستريح من التجرب،
وإذ تأتي أنت شفيعي وبديلي،
تدعوني للقيامة، فأقوم.
تدعوني للحياة الأبدية، فيهرب مني الفساد.
حينئذ أدرك شوقك إلى عمل يديك.
أتمتع بحبك الأبدى وسط أمجادك الفائقة.
هوذا الجبل الثابت قد ينتثر،
والصخر قد يتوخ من مكانه.
والحجرة تفتتها قطرات الأمطار المتوازية.
لكن نعمتك تقيمني من الفساد إلى عدم الفساد.

<<

الأصحاح الخامس عشر

بدء الدورة الثانية

حديث خطير

انتهت الدورة الأولى، ويمكن تلخيصها هكذا:

- ❖ أليفاز: الله طاهر. أيوب: لكنه يعذبني.
- ❖ بلدد: الله يدبر الأمور حسناً. أيوب: لكنه لم يسمح لي بالوقوف أمامي.
- ❖ صوفر: الله كلي الحكمة. أيوب: لكنني أود أن أستأنف الحكم أمامه.

ظن أيوب انه قد أفحم الثلاثة، إن لم يكونوا قد اقتنعوا فقد أبكهم. لكننا نجد دورة جديدة ثانية حيث يؤكد فيها كل منهم اتهاماته، مهاجمين بعنفٍ شديدٍ موقف أيوب. الآن يبدأ أليفاز حديثه الثاني بهجومٍ عنيفٍ:

"أنت تتحدث عن نفسك كرجلٍ حكيمٍ، لكن حديثك لا يثبت ذلك. طريقة تفكيرك تدمر المخافة الإلهية تمامًا. عدم وقرك الله يؤكد أنك مذنب [٦-١]."

هل لك حكمة آدم، المخلوق من الله مباشرة، والذي يمكن في شيء من الاستثناء أن يكون مملوء معرفة، أو مثل الملائكة الذين خُلِقوا قبل العالم؟ [٧].

لقد وافقت بأن الإنسان غير طاهر تمامًا (١٤: ٤)، ومع هذا فإنك تظن أن الله القنوس الذي يتصاغر أمامه الملائكة والسملوات نفسها يجب أن يضع نفسه بين يديك لكي تنتقده على أحكامه، خطاياك تشبه الطعام والشراب [١٢-١٦]."

لقد ورث الحكماء (وأيضاً أيوب) تقليدًا وهو: إن الإنسان الشيرير يسقط تحت الألم. يُقطع وهو في عز مجده (هكذا كان أيوب)، يفقد كل رجاء (هكذا أيضاً أيوب).

يتهمك أليفاز على أيوب الذي يحسب نفسه صاحب حكمة [7-11]، لأنه هل هو أول رجل وُلد. يريد أليفاز أن يعرف لماذا يعتبر أيوب أصحابه لا يستحقون أن يُلتفت إليهم [11]. ثم يوبخ أيوب على تصوفه في مقاومة الله، حيث ظن أليفاز أن أيوب يتهم الله بالعنف ويتحداه مطالبًا إياه أن يحاكمه محاكمة عادلة [12-16]، ويختم أليفاز حديثه بتكرار كلمات استعالية قوية لمبدأ أنه بحسب ناموس الطبيعة المصيبة دليل على اقتراف خطيئة سابقة. فقد كان رأيه أن الأشرار لا بد أن يكونوا بؤساء، وبالتالي البؤساء لا بد أن يكونوا أشورًا، فلا بد أن يكون أيوب شروًا، وليس حكيمًا جدًا كما زعم. إنه يتهمه بالحقاقة والسخافة وعدم التقوى.

جاءت توبيخات أليفاز نافعة، لكنها لا تنطبق على حالة أيوب.

1. اتهام أيوب بالبر الذاتي 13 - 1
2. الحاجة إلى التذلل لله 16 - 14
3. دينونة الأشرار 35 - 17

1. اتهام أيوب بالبر الذاتي

"فَأَجَابَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ:

أَلَعَلَّ الْحَكِيمُ يُجِيبُ عَنْ مَعْرِفَةِ بَاطِلَةٍ،

وَيَمْلَأُ بَطْنَهُ مِنْ رِيحِ شَرْقِيَّةٍ،

فَيَحْتَجُّ بِكَلَامٍ لَا يُفِيدُ،

وَبِأَحَادِيثٍ لَا يَنْتَفَعُ بِهَا؟" [3-1]

يبدأ أليفاز النورة الثانية باتهام أيوب أنه كان مخادعا، فقد نال شهرة عظيمة كرجل حكيم. حمل هذا اللقب، لكنه لم يحمل الحكمة الحقيقية، معرفته باطله جوفاء، وعلمه كاذب، يملأ الهواء كلاما لا نفع له، بل يملأه بكلام مدمر.

يقصد هنا بالبطن أعماقه الداخلية، وقلبه، وفكره. وكما جاء في سفر الأمثال: "كلام النمام مثل لقم حلوة، وهو يتول إلى مخادع البطن" (أم 18: 8).

يتهمه بأنه يتظاهر بالحكمة، لكن أعماقه مملوءة بريح شوقية، وهي ريح يعرفها سكان شرقي البحر الأبيض المتوسط أنهاريح مملوءة بالعواصف والزوايع جافة وحرة تدمر الحقول (إش 27: 8). وهي مثل الريح التي يدعوها اليونانيون "أوروكليون". (أع 27: 14)

يليق بالإنسان كلما ظنه الناس حكيما، أن يتحفظ بالأكثر، لئلا يصدق مديح الناس فيه. عليه أن يصمت، ليتمتع بحكمة روح الله الساكن فيه، لا روح العالم أو ريحه الفلغة، خاصة الرياح الشوقية العنيفة والتي لا نفع لها.

هكذا وى أليفاز وزميله في أيوب البار إنسانا مدمرا للحقول. هذا ليس بالأمر الغريب فإن الهواطة لن يكفوا عن توجيه الاتهامات ضد كنيسة المسيح أنها تحمل ريحا شوقية مدمرة، وأن تعاليمها لا نفع فيها.

❖ كثورا ما قلنا إن الطوبوي أيوب يحمل ريزا للكنيسة الجامعة المقدسة، وأن أصدقاءه يحملون شبةا للهواطة، الذين يبذون كمن يدافعون عن الرب، فيجدون الفوصة للنطق بأقوال غيبية. إنهم يطلقون كلمات السب ضد الصالحين، وبالنسبة لهم كل ما يفكر فيه المؤمنون يثير استياءهم، ويحسبونه ككلام في الريح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من بصوخ إلى الله بصوت التواضع الحقيقي والاعتراف الحق للإيمان فهو حمل، وأما من ينطق بتجاديف ضد الحق وعدوة ضد الله فهو ذئب.

❖ **القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ إنهم يفسدون تعاليم الله، ويثبتون أنفسهم كمفسرين أشرار لكلمة الإعلان الصالحة، يحطمون إيمان الكثيرين بانواعهم عن الإيمان تحت ستار المعرفة... يخدعون البسطاء بالكلمات المنمقة والشكل الحسن، محطمين إياهم بسماجة [743].

القديس إيريناؤس

يليق بنا أن ننتفع من اتهام أليفاز لأيوب البار، فإنه وإن كان اتهاما لا أساس له من الصحة، لكن كثورا ما ينطبق علينا.

لنصوخ إلى إلها فيهبنا نور المعرفة الإلهية، تشوق على أعماقنا، فتتير داخلنا بالنور السموي ويصير سلوكنا شاهدا حيا لكلماتنا، وتكون أفكرنا متناغمة مع كلماتنا وتصرفاتنا.

حقا إذ يهب الروح القدس الساكن فينا علينا، لا تقدر رياح العدو الشرير الجافة والمدمرة للحقول أن تتجه إلينا. يهب روح الله، فيحول بويتنا إلى جنة موحية، ولا يكون للعدو ما يدوره فينا، لأنه ثمر الروح!

"أَمَا أَنْتَ فَتَتَأَفَى الْمَخَافَةِ،
وَتَتَأَفِضُ التَّقْوَى لَدَى اللَّهِ" [4].

❖ **المضل [744]**

❖ وى بعض علماء اليهود أن أليفاز هنا يعني: "إن كان الله قد خلق المضل، فإنه قد وجد التورة التي بها يستطيع الإنسان أن يخضع المضل".

بعد أن هاجمه كإنسان ظهر أمام الكثيرين أنه حكيم، مع أن في أعماقه ريح مدمره لحقول الرب، مهلكة للنفوس الآن يهاجمه أيضا كشخص متدين يتعبد لله. فإن عبادته - في رأي أليفاز وصاحبيه - عبادة باطله، لأنها تخلو من التقوى أو مخافة الرب.

يا له من اتهام خطير! لا يحمل مخافة الرب، وليس له تقوى صادقة في عيني الله، أي عبادته غير مقبولة. إن كانت رأس الحكمة مخافة الرب،

فمن هو بلا مخافة يكون جاهلاً غيبياً، ولا تقبل عبادته مهما حملت من شكليات جذابة.

❖ خوف الرب يحدث النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد متول النفس.

❖ إذًا ليتنا نخاف الرب ونُشيد منزل لأنفسنا، حتى نجد ملؤى في الشتاء حيث المطر والبرد، لأن من لا متول له يعاني من مخاطر عظيمة في وقت الشتاء.

الأب دوروثيوس

❖ إن أراد أحد أن ينال حب الله، فليكن فيه **مخافة الرب**، لأن **الخوف يولد بقاء، والبقاء يولد قوة** وإذا ما كملت هذه كلها في النفس، تبدأ النفس تثمر في كل شيء. وإذا رى الله في النفس هذه الثمار الحسنة، فإنه يشتمها رائحة بخور طيبة، ويوح بها هو وملأته، ويشبعها بالروح، ويحفظها في كل طرقها حتى تصل إلى موضع راحتها دون أن يصيبها ضرر.

إذ رى الشيطان الحرس العوي العظيم يحيط بالنفس، يخاف أن يقرب منها أو يهاجمها بسبب هذه القوة العظيمة.

إذًا، اقتتوا هذه القوة حتى توتعب الشياطين أمامكم، وتصير أعمالكم سهلة، وتتلدنوا بالعمل الإلهي، لأن حلوة حب الله أشهى من العسل.

حقًا أن كثيرين من الرهبان والعزلى في المجمع، لم يتنزهوا هذه الحلوة الإلهية، ولم يقتتوا القوة الإلهية، ظانين أنهم قد نالوها، بالرغم من عدم جهادهم. أما من يجاهد لأجلها فينالها حتمًا خلال العواجم الإلهية، لأن الله لا يحابي الوجود.

فمن يريد أن يكون له نور الله وقوته، يؤممه أن يستهين بكرامات هذا العالم ودنسه، ويبغض كل أمور العالم ولذة الجسد، وينقى قلبه من كل

الأفكار الرديئة. ويقدم لله أصوامًا ودموعًا ليلاً ونهارًا بلا هودة كصلوات نقية، عندئذ يفيض الله عليه بتلك القوة.

[745]

اجتهدوا أن تتالوا هذه القوة، فتصنعوا كل أعمالكم بسهولة ويسر، وتصير لكم دالة عظيمة قدام الله، ويهبكم كل ما تطلبونه.

القديس الأنبا أنطونيوس الكبير

مخافة الرب هي عجلة القيادة للنفس، يهبها روح الله القنوس لنا، القادر وحده أن يدخل بنا من مجدٍ إلي مجدٍ، ويهبنا نعمة فوق نعمة، خلال

شركتنا مع رب المجد يسوع القنوس. تدخل بنا مخافة الرب إلي الطريق الملوكي، فلا نعرف نحو الخطية، ولا إلي البرّ الذاتي. يحفظنا من الضربات

الشمالية اليمينية، حتى ندخل إلي حضن الأب السموي القنوس.

"لأنَّ فمَكَ يذِيعُ إِيْمَكَ،

وَتَخْتَارُ لِسَانَ الْمُخْتَالِينَ" [5].

حسب أليفاز دفاع أيوب عن نفسه إثمًا لا يستطيع أن يبرره.

❖ هذا هو السبب أنه يعلن بأنه "أثيم بالكلمات" بسبب وقاحته أمام الله - ولكن ليس من أجل الحق يفترى أليفاز عليه بهذه الكيفية، ولا يتكلم في غوة من أجل الله، إنما من أجل نفسه ومن أجل أصدقائه، إذروا أنفسهم يُؤنون علانية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "لأنَّ إِيْمَكَ يَعْلَمُ فَمَكَ، وَأَنْتَ تَتَّبِعُ لِسَانَ الْمُخْتَالِينَ" [٥]... كأنه يقول له: ما تتنطق به شوا تعلمته بالأكثر من حياتك الشورية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن ما نطق به أليفاز ضد أيوب يشير إلى ما ينطق به الواطقة ضد الكنيسة المقدسة. فكما اتهم أليفاز أيوب

بأنه يهين الله ولا يحمل المخافة الإلهية ولا يسلك بالتقوى، وأن فمه يذيع بما تحمله حياته من شرٍ، هكذا الواطقة الذين ينكرون أن السيد المسيح قد أخذ

جسدًا حقيقيًا، وأنه مات حقًا يهاجمون الكنيسة المقدسة حاسبين أن في إيمانها بأن الكلمة صار جسدًا حقيقيًا وأنه مات بالجسد حقًا لهو إهانة واستخفاف

بالله.

"إِنَّ فَمَكَ يَسْتَنْذِبُكَ لَا أَنَا،

وَشَفَتَاكَ تَشْهَدَانِ عَلَيْكَ" [6].

كأن أليفاز يقول له: لست أحكم عليك من تصوفاتك قبل التجرب، لكن هوذا فمك بعد حلول التجرب هو نفسه شاهد على إثمك، وشفتاك تنطقان بالحكم عليك، ولست أنا.

لقد أثره الأصدقاء الثلاثة، وإذا انفعلم لم يفكرؤا في إئزتهم له وسط محنته، وحسؤوا انفعاله . حسبما يفسرونه . شهادة عليه.

"أصوَّرتُ أَوَّلَ النَّاسِ،

أَمْ أُبْدِئْتُ قَبْلَ التَّلَالِ!" [7]

يؤبؤه بسؤال: "أصورت أول الناس؟" كأنه يقول له:

هل أنت أول إنسان قد خُلِق، فصوت أقدر من غيرك على فهم أحكام الله؟

هل عشت في أيام الخليقة، وكثرت في داخلك حكمة العصور الماضية، حتى أنك تتحدث باعواز وافتخار وفي ثقة يقين؟

هل صُورت قبل آدم؟ آدم أخطأ، ومع هذا لم يعان مما تعاني أنت منه، ومع هذا ألا تريد أن تعترف بخطاياك؟

"أم أُبدئت قبل التلال؟" إن كانت الحكمة نفسها مثل الجبال المرتفعة (أم 8: 23 الخ؛ مز 36: 6)، فهل أنت أعظم من الحكمة نفسها؟ أما يليق

بك أن تتحني أمامها، لتعرف منها عوض التشامخ بحكمتك الذاتية؟

تقول الحكمة: " من قيل أن تفررت الحبال، قبل التلال أُبدئت" (أم 8: 25). وكأن أليفاز في تهكم يسأل أيوب: أعلك أنت هو الحكمة بعينها التي

بدأت قبل التلال، وقد تشخصنت أو صوت شخصا؟

❖ لم يقل أيوب هذا أية كلمة يدعي بها المجد لنفسه، لم يقل أنه مخلوق قبل كل البشرية... إنما في عبلة واحدة تحدث عما حدث مع البشرية في البداية

(١٣: ٢٦)، فوضع نفسه موضع الكل. لكن أليفاز أراد أن يتهم أيوب أنه حمل أفكارًا عالية خاصة بالله؛ أنصتوا إلى ما أضافه: "هل سمعت أحكام

الله؟ أو قصرت الحكمة على نفسك؟" [٨]

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

هَلْ أَصَغَيْتَ فِي مَجْلِسِ اللَّهِ؟

أَوْ قَصَّوْتَ الْحِكْمَةَ عَلَى نَفْسِكَ!" [8]

كان ينظر إلى الله أنه في محبته للبشرية يقيم كما لو كان له مجلس سموي، ويجتمع مع أتقيائه، كأحباء له. فيقول الموتل:

"مادام الملك في مجلسه، أفاح نلرديني رائحته" (نش 1: 12).

"لأنه من وقف في مجلس الرب، ورأى وسمع كلمته، من أصغى لكلمته وسمع؟" (ار 23: 18)

"ولو وقفوا في مجلسي، لأخبروا شعبي بكلامي، وروهم عن طويقهم الوديء، وعن شر أعمالهم" (ار 23: 22).

"الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي" (مز 82: 1).

"سرّ الرب لخائفه، وعهده لتعليمهم" (مز 25: 14).

في تهكم يقول له: أنتظن أنك القائم بأعمال الله في مجلسه؟

هل تدعى أنك كاتم أسرار السماء؟ أو أنك أقدر من غيرك على معرفة معاملات الله؟ كأنك فريد على الأرض في معرفتك لما يدور في السماء،

وما يخططه إله السماء؟ أنتعرف الله ونحن لا نعرفه؟

"هل قصرت الحكمة على نفسك؟" ألا يوجد حكيم غيرك؟ هل أنت محتكر الحكمة نون سواك؟

❖ كأنه في كلمات واضحة يقول: "يا من تتكلم عن الألي لتذكر أنك مخلوق في زمن، يا من تحتاج بخصوص الحكمة تذكر أنك لا تعرف مشورته".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا يمكن إنكار وجود الله روحياً لا جسدياً، وذلك بما يليق بطبيعته. يوجد مع المخلوقات بطريقة عجيبة، والذي لا يفهمه إلا قلة قليلة... بحق قيل إن الله يقف في مجمع البشر بطريقة غير منظورة، حيث يؤكد ذلك بنفسه على فم النبي (أي 23: 24) [746].

القديس أغسطينوس

إن كان أليفاز يتهمك على أيوب البار، مدعيًا أنه صاحب حكمة فريدة، أهله للجلوس في مجلس الله، فإنه وإن لم يدع أيوب ذلك، لكن مسيحنًا بالحق يود أن تتمتع بكرامة الحضرة الإلهية. فلا عجب إن قال لتلاميذه إنهم سيدينون أسباط إسرائيل، وقال الرسول بولس إننا ندين ملائكة، أي نشهد ضد إبليس وملائكته، بتمتعنا بغنى نعمة الله الفائقة.

"مَاذَا تَعْرِفُهُ، وَلَا تَعْرِفُهُ نَحْنُ؟"

وَمَاذَا تَفْهَمُ، وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَنَا؟ [9]

يتطلعون إليه ليجيبوا على قوله: "ما تعرفونه، أعرفه أنا أيضًا" (أي 13: 2)، بقولهم: "ماذا تعرفه، ولا نعرفه نحن؟"

ربما يبدو أن كلمات أليفاز منطقية، فإنه يجيب علي أيوب بما سبق فأجابه أيوب عليهم. لكن شتان ما بين فكر أيوب وفكر أليفاز؛ أيوب دافع عن نفسه، لأنهم كَبَلُوا له الاتهامات الكثيرة، وحسوه غيبًا بلا حكمة ولا معرفة، فأكد لهم أن ما ينطقون به يعرفه كل إنسان بالطبيعة، ليس فيه شيء جديد. لم يقل أليفاز هذا إلا دفاعًا عن نفسه، وفي نفس الوقت يسفه من شخصية أيوب ومعرفته وحكمته.

"عِنْدَنَا الشَّيْخُ وَالْأَشْيَبُ أَكْبَرُ أَيَّامًا مِنْ أَبِيكَ" [10].

ظنوا أنه متشامخ بسبب شيخوخته وخبرته، فيفتخروا عليه بأنه في جانبهم من هم أكثر شبيهه منه ومن أبيه، وهم متفقون معنا فيما نقوله لك. ولعل أحد هؤلاء الأصدقاء كان أكبر سنًا من أيوب.

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الواطقة خرجوا من الكنيسة، فهي تمثل الشيخ الحكيم، أما هم فبلا حكمة سماوية حقيقية. مع هذا يدعي الواطقة أنهم الكنيسة صاحبة الخوة والحكمة، وكأن الكنيسة هي الدخيلة، وهم الشوخ أصحاب المعرفة.

❖ يشهد يوحنا أن كل الواطقة خرجوا من الكنيسة المقدسة الجامعة، عندما قال: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا" (١ يو ٢: ١٩).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"أَقْلِبِلَّةَ عِنْدَكَ تَعْرِياتُ اللَّهِ،

وَالكَلَامَ مَعَكَ بِالرَّفْقِ!" [11]

حسب أليفاز أن رفض أيوب لمشورتهم إنما هو رفض لتعريات الله نفسه، وأن ما نطقوا به بالرغم مما فيه من قسوة وتوبيخ مُر، إنما يُحسب ترفقًا، لأنه يستحق ما هو أكثر.

تترجم أحيانا عبارة "والكلام معك بالرفق" "هل لديك أي شيء سوي؟" بمعنى هل في قلبك خطية سوية تعطل تمتعك بتعريات الله؟ فإنه لا ينتفع بتعريات الله الذين يخفون شهواتهم داخلهم.

"إِمَادًا يَأْخُذُكَ قَلْبُكَ،

وَلِمَادًا تَخْتَلِجُ عَيْنَاكَ؟ [12]

لماذا يسحبك قلبك إلى مقاومة نفسه، ومقاومة من يكشف لك عن أسرار معاملات الله؟ لم تختلج عيناك؟ أي تفخر بعينيك، وكأنك تهرأ بمشورتنا ولا تبالي بما نحدثك عنه. حقا يليق بالمؤمن أن يتسربل بالتواضع، لأن القلب المتشامخ عدو نفسه. أما المتواضع فينتفع من الكثورين، ويتحدث معه الله

خلال مرشدية. رى الله متجليًا في الكنيسة، وينحني بأعماقه للتعلم المستمر في الرب.

❖ لكوني كنت جاهلاً بهذه الأمور، فقد هأت بأبنائك وخدامك القديسين، ولكن لم أرح من وراء هذا سوى لروائك بي.

القديس أغسطينوس

❖ من يقبل منه (الأسقف) يقبل من المسيح، والذي لا يقبله لا يقبل من المسيح...

قال: من أطاعكم فقد أطاعني، ومن خالفكم قد خالفني. ومن خالفني فقد خالف الذي أرسلني (لو 10: 16).

الدسقولية

❖ ينبغي علينا أن نقبل أي إنسان أرسله رب البيت (الله) ليكون رئيسًا على البيت مادمننا نحن الذين طلبنا إليه أن يرسله. أنه من الواضح إذن أنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الأسقف كما للرب نفسه.

❖ يليق بكم أن تطيعوا أسقفكم بدون رياء، توكيماً لله الذي يريد منّا أن نفعل هكذا. فمن لا يفعل هذا لا يخدع بالحقيقة الأسقف المنظور بل يسخر بالله غير المنظور. فهذا العمل لا يخص إنسان بل الله العالم بكل الأسوار.

القديس أغناطيوس الثيوفوروس

"حَتَّى تَرُدَّ عَلَى اللَّهِ،

وَتُخْرَجَ مِنْ فَمِكَ أَقْوَالًا؟" [13]

" حتى ترد على الله "، أي حتى تهيج نفسك على الله، فإن ثورته عليهم حسوها ثرة ضد الله نفسه. وحسوا شهوة الموت عنده مقاومة للتدبير الإلهي، وتمردًا داخليًا على أحكامه، فدخل في عدوة مع الله. وكأنه قد انحرف إلى صف إبليس الدائم التمرد على الله.

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) أن أصدقاء أيوب حكموا عليه كملوم لله، مقتبسين بعض العبارات التي نطق بها دون أن واعوا ما في قلبه. من الصعب الحكم على إنسان بكلمات ينطق بها، دون معرفة ما في قلبه. فما قاله بطرس الرسول عن السيد المسيح: " أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت 16: 16) هي ذات الكلمات التي ننطق بها الشيطان وجنوده في أكثر من موضع حيث قالوا: " نحن نعرفك... أنت قدوس الله" (مر 1: 24). الأول طوبه السيد المسيح، والآخرون انتهمهم وطردهم.

كان يليق بأصدقاء أيوب ان يطلبوا منه أن يوضح ويفسر ما يقوله، لا أن يقدموا فهما لكلماته حسبما اشتهدت قلوبهم الحاسدة، والتي تبذل كل الجهد لتنتلظ له أخطاء!

❖ " لماذا ينتفخ قلبك على الله؟ فتمسح بمثل هذه الكلمات تخرج من فمك؟ " غالبًا إذ يُصاب الأوار بويلات كثرة، يلتزمون بالاعتراف بأعمالهم، وذلك

كما فعل أيوب. هذا الذي بعد أن عاش حياة برة سقطت تحت ضغطات ضويات العصا. وإذ يسمع الأثوار أهوالهم يظنون إنهم إنما يتكلمون باعتداد بنواتهم وليس بالحق. فإنهم يرون كلمات الأوار حسب مشاعوهم الخاصة، ولا يظنون أنه يمكن أن يُنطق بكلمات صالحة بروح متواضع. فكما أنه يُحسب خطية عظمى أن ينسب إنسان لنفسه ما هو ليس له، هكذا فإنه ليس بخطية عليه نهائيًا إن تحدث في تواضع عن أمور صالحة فعلها. لهذا كثرة ما توجد كلماتٍ مشتركة ينطق بها الأوار والأثوار، لكن القلب يكون دومًا مختلفًا تمامًا!

هكذا عندما دخل الفريسي الهيكل قال: "أصوم مرتين في الأسوع، وأعشر كل ما أقتنيه" (لو ١٨: ١٢)، لكن العشار خرج مبررًا أكثر منه. حزقيا الملك أيضًا عندما أُصيب بموضٍ في جسمه وجاء إلى آخر لحظات عمره، صلى بقلبٍ مجروح: "آه يارب، أذكر كيف سوت أمامك بالأمانة وبقلبٍ سليم" (إش ٣: ٢٨). لم يتعاض الرب عن هذا الاعتراف بالكمال، ولا رفضه، بل في الحال استجاب لصلواته. أنتم ترون أن الفريسي بر نفسه بالعمل، وحزقيا أكد أنه بار في الفكر أيضًا، وبذات العمل أحدهما صار أثيرًا والآخر استوضى الله. لماذا هذا إلا لأن الله القدير قدّر كلمات كل منهما حسب فكه الداخلي، وكانت هذه الكلمات ليست متشامخة في أذني الله لأنها قيلت بقلبٍ متواضع...

لقد اعتاد الهراطقة أن يعزوا بعض النقاط الصادقة بعبيرات تحمل إقناعات خاطئة. انخدع أصحاب الطويلي أيوب جميعاً بإتتهلهم لأيوب، وإن نظقوا بأمرٍ صادقة تعلموها خلال اتصالهم بأيوب. مثل هذه الكلمات كانت كلها متناقضة. وإلاً ما كان الرسول بولس يقول: "الأخذ الحكماء بمكروهم" (١ كو ٣: ١٩)...

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. الحاجة إلى التذلل لله

"مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَرْكُوعًا؟"

أَوْ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَتَبَرَّرَ؟ [14]

هذه حقيقة أنه ليس إنسان يركى أمام الله، ولا مولود امرأة يتبرر في عينيه، بسبب فساد الطبيعة البشرية. وكما سبق فقال: "من يخرج الطاهر من النجس؟" (أي 14: 4). لكن ما يهدف إليه أليفاز أنه يؤكد بأن أيوب شيرير هوائي. فيطبق هذه الحقيقة على أيوب ولا يطبقها على نفسه وعلى رفقاءه. قال هذا، ربما لأن أيوب قال: "أبعد يدك عني، ولا تدع هيبتك وعيني" (أي ١٣: ٢١) ... فقد بالغ أليفاز كثرةً لزيد من تشويه سمعة أيوب والاتهامات الموجهة ضده، إن غضبه صار بلا نفع له.

وفيما كان يشوه سمعة أيوب وجد أليفاز نفسه يغطس فيه، فقد سبَّ البرَّ بغضبه، وفي جنونه فشل في إواك الظروف التي فيها نطق أيوب بهذه الأمور. لتعملوا ماذا أضاف: " من هو المائت (الإنسان) حتى يركع أو مولود المرأة حتى يتبرر" [١٤]. وقد نطق أيوب بذات الكلمات بكل وضوح: "من يخرج طاهراً من النجس؟ لا أحد، حتى وإن كانت حياته يوماً واحداً" (أي ١٤: ٤).

لم يكن أيوب جاهلاً بضعف جنسنا، بل بالعكس إذ كان عرلاً ذلك لم يخف الأمر، بل أعلنه بصوت عالٍ كما تسمعون. فقد سبق فقال أيوب قبلاً ما يفخر به أليفاز. لقد قال هذا بلباقة، إذ أعلن عن ضعفنا بحكمة وهوءٍ. لهذا لم يكن يستحق أن يكون موضع اتهام، بل موضع مديح.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ "adamah من هو الإنسان حتى يكون طاهراً؟" فإنه بذات دعواه إنساناً يوصف أنه رُضي ضعيف، فإن كلمة إنسان (بالعبرية) يُدعى رُضاً (آداما).

كيف يمكن له أن يتحرر من الوصمة ذاك الذي خُلِق من الأرض، وبلادته سقط في الضعف؟

لقد أضيف: " ومولود المرأة كيف يتبرر؟ " فإن المرأة عرضت أول قطعة من الشر للإنسان في الفودوس. هكذا كيف يظهر بلواً من ولد من التي عرضت الشر؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

"هُودًا قَدَيْسُوهُ لَا يَأْتَمِنُهُمْ،

وَالسَّمَلَوَاتُ غَيْرُ طَاهِرَةٍ بَعَيْنَيْهِ" [15]

يستخدم الله قديسيه وملائكته، لكنه لا يَأْتَمِنُهُمْ على خلاص الإنسان، إذ هم ليسوا كفاة لتحقيق الخلاص. إن كانت النجوم تحسب غير منوة بجوار الشمس فماذا تكون السموات بجوار خالقها؟

❖ لا يمكن أن يُوجد أحد طاهر من دنسٍ في عيني الله، ليس أحد مهما صوت أيامه (راجع أي 14: 4-5). " السموات غير طاهرة بعينيه" (أي

15:15)، "إلى ملائكته ينسب حماقة" (أي 4: 18). لماذا أقول كل هذا؟ إن كانت السموات ليست طاهرة، وحتى ملائكته ليسوا بلا خطأ، كم بالأكثر

LXX يوجد الشر في أفكار البشر؟ أين أولئك الذين يقولون: "ابعدوا عني، فإني طاهر" (راجع إش 65: 5؛ لو 5: 8). نحن نعلم أننا نعاني يوماً

مما في أفكرنا، حتى أننا نستحي ونشعر بالخجل أن نعلنها. كثيرون لم يوتكوا خطايا خطوة، وآخرون لم يخطئوا بلسانهم قط، لكن لا يوجد بين

[747]

البشر من لم يخطئ بالفكر، لذلك يقول الموتل: "لأن فكر الإنسان يعترف لك".

❖ **وأخضع كل شيء تحت قدميه** (أف 1:22) ... لماذا كل الأشياء؟ لماذا يُقال إن الملائكة والساكنين والقوات وكل القوات الأخرى الذين لم يعرضوا الرب قط أنهم يوضعون تحت قدميه؟ يبدو الأمر غامضًا. لكن الإجابة على ذلك هو أنه لا يوجد قط من هو بلا خطية. "الكواكب ذاتها غير ظاهرة بعينيه" [15]، وكل خليفة ترتعب عند مجيء الرب... يوجد تفسير آخر وهو أن "كل" لا تشير إلى الجميع بل إلى أولئك الذين هم موضوع الجدل. وذلك كما يقول قائل: "كل المواطنين صوحوا"، لا يعني بهذا أنه لم يوجد أحد قط صامت، وإنما قيل هذا عن الغالبية التي تغطي على الأقلية [748].

القديس جيروم

❖ " هوذا قديسون ليس بينهم أحد غير متغير، والسموات ليست بظاهرة في عينيه ". إنه يكرر اسم "السموات" التي أشير إليها بلقب "القديسين". مكتوب عن هؤلاء القديسين عنهم: "السموات تحدث بمجد الله" (مز ١٩: ١). هؤلاء الذين بالطبيعة المتغير لائق بهم. ولكن متى رغوا بجديّة أن يلتصقوا دومًا بالحق غير المتغير، فباللتصاقهم به يأتون إلى العبر (الحياة السماوية) ليصيروا غير متغيرين...

لأنه ما هو هذا التغير سوى نوع من الموت؟ إذ يغير الشيء إلى شيء آخر، وكأنه يقتل ما كان ليصير إلى ما لم يكن عليه. قيل عن خالق كل الأشياء: "الذي وحده له عدم الموت" (اتي ٦: ١٦)، بكونه هو وحده غير المتغير في ذاته. كُتب عنه في يعقوب: "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع ١: ١٧). لأن التغير ذاته هو ظل...

حسنًا قيل هنا: "السموات ليست بظاهرة في عينيه"، فإنها بذاتها أمام معرفة الله الدقيقة، حتى الكرزون بالظهرة لا يمكن أن يكونوا كاملين. كما يشهد بذلك يوحنا القائل: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضل أنفسنا، وليس الحق فينا" (١يو ٨: ٨). إن كان من بين القديسين لا يوجد أحد غير متغير، والسموات ليست ظاهرة في عينيه، فمن يدعي لنفسه أنه ممرس للبر؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

"فِيَالْحَوِيِّ مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الْإِنْسَانُ الشَّرْبُ الْإِثْمُ كَالْمَاءِ!" [16]

إن كان الله لا يَأْتَمَنُ القديسون على بعض أعماله كالخلاص، فكم يكون حال الخطاة الفاسدين الذين يشربون الإثم كالماء. يجد الإنسان لذته في الإثم كما يتلذذ الإنسان الظمآن وهو يشرب الماء. ويحسب الأثيم الشرّ حواء لا يتخو من كيانه، لا غنى له عنه، كما يحتاج الإنسان إلى الماء، ولا يستطيع أن يحيا بدونه.

❖ **كم بالحوي مكروه وغير نافع الإنسان الشرب الإثم كالماء؟** "...مكروه" بسبب نجاسته ووصمته، و"غير نافع" بسبب شر حياته الناقصة. يُمكن أيضًا أن يفهم "مكروه وغير نافع" بمعنى آخر. غالبًا ما يملس الإنسان الشرير أمرًا مستقيمًا، ولكن بممرسته الأمور الخاطئة تصير حتى الأمور التي فعلها باستقامة كلا شيء...

ما يؤكل ولا يحتاج إلى مضغ لكي يُبتلع، أما ما يُشرب فليس من عائق أمامه... وهكذا يملس الجاهل الخطية دون تراجع "يشرب الإثم كالماء".

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . دينونة الأثوار

"أُوحِي إِلَيْكَ.

اسْمَعْ لِي،

فَأَحَدْتُ بِمَارَأَيْتُهُ". [17]

بعد أن سَفَّه من شخص أوب وسلوكه وحكمته طلب إليه أن يستمع إليه دون احتجاج من جانبه. يقول له: "أوحى إليك" أو إني أبين لك ما يستحق السمع، فأقدم لك حقائق رايته بعيني ولمستها بنفسي.

إذ تطمس الخطية عيني الإنسان الشوير، يحسب نفسه حكيماً، ليس من يقدر أن يوشد الآخرين مثله. يدعش كيف لا ينتفع الناس من حكمته، فيفوض نفسه عليهم معلماً، يريد في زهو أن يعلم على النوام. لذلك يقول يعقوب الرسول: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخواني" (يع 3: 1)، إنما يليق حتى بالمعلم وكل رجال الكهنوت أن يكونوا محبين للتعلم المستمر.

" سأظهر ذلك لك، اسمع لي، فأحدثك بما رأيته ". كل المتعاطسين لهم هذه السمة، عندما يكون لهم مفهوم سليم، حتى وإن كان تافهاً، يعرفونه لخدمة كورائهم. عوض أن يعملوا لرفع أنفسهم إلى العلا في الفهم، يسقطون في هوة تمجيد الذات، إذ يُبتلعون بالكورياء، ويحسبون أنفسهم أكثر علماً من المتعلمين. إنهم يغتصبون لأنفسهم التقدير من الذين يستحسنونهم، ويستخدمون هذا ليعلموا بسلطان من هم أقدم منهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنني في خلال تعليم الآخرين أرغب أن أكون قانواً على التعلم لأنه سيد واحد (الله) الذي لا يتعلم مما يعلم به الكل. أما البشر فعليهم أن يتعلموا قبل أن يعلموا، وأن يقبلوا من الله معلمهم ما يعلمون به الآخرين.

أما أنا فقد خرجت من كرسي القضاء إلى الكهنوت... ولم تكن لي فرصة للتعلم، لذلك وجب على أن أتعلم وأعلم في نفس الوقت.

القديس أمبروسيو

"ما أُخْبِرَ بِهِ حُكَمَاءُ عَنْ آبَائِهِمْ،

فَلَمْ يَكْتُمُوهُ". [18]

إن كان الحكماء يتعلمون خلال خوة آبائهم دون أن يقتصروا على خواتهم الشخصية، فيتعلمون من السلف عبر الأجيال المتعاقبة، ولا يكتفون هذه الخوات، فإن أليفاز يدعي بأنه حكيم، يقدم لأيوب هذه الخوات، حتى وإن تعرضت مع خوة أيوب أو فهمه الشخصي.

ما هو مدى التواضع بما ورد في واث الآباء؟

يمثل الآباء القديسون فكر الكنيسة الجامعة الذي تسلّمته من الوسل بفعل الروح القدس الذي يعمل بلا انقطاع في حياة الكنيسة. يتحدث عنهم القديس أغسطينوس ، قائلاً: [تمسكوا بما وجدوه في الكنيسة، عملوا بما تعلموه، وما تسلّموه من الآباء أودعوه في أيدي الأبناء [749]]، [من يحتقر الآباء القديسين إنما يعرف أنه يحتقر الكنيسة كلها [750]].

يقوم هذا السلطان على عاملين: عامل طبيعي إذ اتسم الآباء بالحياة القدسية والأمانة في استلام وديعة الإيمان الحي من أيدي الوسل لذلك هم أقدر على الشهادة للحياة الكنسية من كل جوانبها، خاصة وأنهم يحملون الفكر الواحد، بالرغم من اختلاف الثقافات والمواهب والظروف، مع بُعد المسافات بين الكواسي الرسولية وصعوبة الاتصالات في ذلك الحين. والعامل الثاني إلهي حيث عاش الآباء منحصرين بالروح القدس قائد الكنيسة وموشدها إلى كل الحق، يحفظها داخل دائرة صليب المسيح.

هذا لا يعني عصمة الآباء كأواد وإنما تعيش الكنيسة الجامعة ككل محفوظة بروح الرب.

"الَّذِينَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ أُعْطِيَتِ الْأَرْضُ،

وَلَمْ يَغْبُرْ بَيْنَهُمْ غَرِيبٌ". [19]

ما يقدمه أليفاز من حكمة تسلمها عن آباءه، إنما هي خوة أناس موثوق فيهم نوي مراكز سامية، أقدر من غوهم على تدبير شئون الأرض، لا يشترك معهم إنسان جاهل غريب عن روح الحكمة. بينما قال أيوب: "الأرض مُسلمة ليد الشوير" (أي 9: 24)، إذا بأليفاز يقول له: "الأرض مسلمة ليد أناس حكماء قديسين موثوق فيهم"، وستبقى هكذا في يدهم، ولا تُسلم في يد غريب عنهم. هنا ربما يلح بأن أيوب ليس حكيماً ولا قديساً ولا بالشخص

الموثوق فيه، وإلا لما نهب السبيثيون والكلدانيون ثروته وهم غرباء. ومن جانب آخر إذ فقد أيوب ممتلكاته، كمن طُود من موكه الموموق كملكٍ أو رئيس قبيلةٍ، فهو غير مستحق أن يوجد بين الحكماء الذين وحدهم أعطيت الأرض.

لعله يشير هنا إلي الكنيسة على الأرض، فإن الذين يدبرونها الحكماء السالكون بروح الآباء الأولين، تحت قيادة روح الله القدوس. هذا ولا يليق أن يوجد بينهم غريب، ليس له الروح الإنجيلي الكنسي الروحي الحق.

"الشَّرِيرُ هُوَ يَتَلَوَّى كُلَّ أَيَّامِهِ،

وَكُلَّ عَدَدِ السَّنِينَ الْمَعْنُودَةِ لِلْعَاتِي". [20]

يكاد يقول أليفاز في صراحة وبحرارة أن أيوب رجل شوير ينطبق عليه القول: "الشوير هو يتلوى كل أيامه، وكل عدد السنين المعنودة للعاتي". هكذا يتهم أيوب بالظلم والبطش، لذا تأهل أن يتلوى بالمحن والتجرب القاسية، ما فعله رتد على رأسه، لذا لم يعد يوجد وقت للتظاهر بخلاف ما هو في داخله، فأيامه لا تطول.

❖ Mineans أليفاز ملك التيمينين وبلدد طاغية الشوحيين وصوفر ملك المينيين وبخوا أيوب بعنفٍ على أساس أنه عانى من مثل هذه العقوبات بسبب خطاياهم. بنظرتهم التافهة لم يبركوا أن الرب سلمه ليُجرب، لكي ما يتشكل بالتجرب وينال إكليلاً أعظم مثل مصراعٍ لأجل المسيح. لهذا لم يروا سرّ الحكمة العظيم هذا. قلوبهم الضيقة كانت خائفة لئلا يظهروا أنهم يتهمون الله بالظلم إن سمحوا بقبول حلول عقوبات على إنسانٍ بار. لقد ألقوا المسؤولية على أيوب البار من جهة العقوبات التي حلت به، قائلين: كل حياة الأشرار تنقضي في قلقٍ، والغني الذي يجمع بالظلم يُتقياً خُرَجًا" (٢٠: ١٥). ادعوا أنه عانى من كل الأخوان كإنسانٍ يتألم على الأرض بسبب خطاياهم [751].

القديس أمبروسيوس

❖ هذا القول مضلل، فإننا نرى الكثير من الأشرار يعيشون في رخاءٍ وسلام. حتى وإن كان هذا لا يوم خلال كل حياتهم، فعلى الأقل يحتل نصيباً كبيراً من حياتهم (إر ١٢: ١). على أي الأحوال رُاد أليفاز أن يعدل في كلمات أيوب الذي يسخر من رخاء الأشرار. كما رُاد في نفس الوقت أن يظهر أنه هو نفسه لم يكن شرواً بكونه يعيش في رخاء.

" السنوات التي تُعطى للظالم كثوة ". في هذا أيضاً لا يتكلم أليفاز بأمانة، فإنه حين يريد الله ذلك يضع نهاية لسُلطان الظالم، فإنه لا يقيد بعددٍ من السنوات، ولا يُحد زمنٍ ما. لقد قال هذا لأن أيوب قال: "البار والذي بلا لوم يُسلم للسخرية، لأنه في الوقت المعين يكون مُعداً أن يموت بضوبات الغريب، ووى بيته يخرب بواسطة الأشرار" (١٢: ٤-٥). رُاد أيوب أن يتحدث عن الزمن الذي خلاله يسمح الله للخطاة أن يعدنوا الأشرار (حك ٢: ١٠) حسب قوتهم (١ كو ١٠: ١٣)، بقصد أن يُجرب كل واحد حسب قياسه، معلناً أنهم يحلبون من أجل الفضيلة حتى يكلوا.

أما بالنسبة لأليفاز فإنه نطق بهذه الكلمات ضد أيوب: " يعطي سنوات عديدة للأقوياء " لكن هذه أيضاً عبلة مضللة، مثل العبلة التالية. " ورعبه في أذنيه" (٢١)، كيف يمكن أن يكون الرعب في أذنيه، هذا الذي لا يحفظ ناموس الله في قلبه، وكيف لا يفتح أذنيه إلى الذين يمكنهم أن يعلموه مخافة الله (مز ٣٧: ٣١؛ ٤٠: ٤؛ ٨: ٣٤؛ ١٢)؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " وعدد سنوات ظلمه غير أكيدة "... معروف أن كل إنسانٍ متكبر يملس الطغيان حسب قياسه. فما يملسه شخص في دولة وذلك بحكم موكه العالي الذي يتناسب معه؛ وآخر في مقاطعة، وآخر في مدينة، وآخر في أسوته، وآخر يخفي شوه، فيملسه على نفسه في فكر قلبه. فالله لا يشغله كمية الشر التي يستطيع الإنسان أن يملسها، وإنما الكمية التي في ذهنه ليملسها. وعندما يكون الإنسان بلا سلطان في الخرج يُحسب طاغية في داخله، ويسيطر الإثم عليه في داخله. فإنه وإن كان لا يضغظ على أوبائه من الخرج، إلا أنه في الداخل يبحث ليجد فرصة وسلطاناً للضغظ على الغير. فإن الله يتطلع إلى قلوب البشر، فيُحسب في عيني الله الشوير قد ملس بالفعل ما يتخيله.

وى أليفاز أنه يلقى بأبواب ألا يدعش بأن صوت الأهل لا يفرق أذنيه، فالسما والأرض يقتصان لما سبق فعمله. ليس له أن يهوب من الضيق، فإن صوت شروره يلاحق أذنيه، فيكون كقايين الذي اعتقد أن كل من وجده يقتله (تك 4: 14).
لسنا ننكر أنه "لا سلام قال الرب للأشوار" (إش 48: 22). لكن العبرة هنا تشير إلى السلام الداخلي الذي تتوَّعه الخطية بعزلها للإنسان عن مصدر سلامه، أما الضيقات والمتاعب فقد تشتت بالقدسين لتوكيتم وتقديسهم بروح الرب، كما قد تشتت بالأشوار لعلمهم بوجوع إلى الله بالتوبة.
أما من جهة السلام الخرجي والأدهار، فلا نتعجب إن كان المونل يدعش لسلام الأشوار، قائلاً: "لأنني غوت من المتكويين، إذ رأيت سلامة الأشوار" (مز 73: 3). إنه ليس بسلام حقيقي، إذ يقول كاتب سفر الحكمة: "ثم لم يكتفوا بضلالهم في معرفة الله، لكنهم غاصوا في حرب الجهل الشديدة، وهم يسمون مثل هذه الشرور سلاماً" (الحكمة 14: 22).

لقد جاء السيد المسيح مخلصاً للعالم، يهب السلام الحقيقي الداخلي لمؤمنيه.

"لأنه يولد لنا ولد، ويُعطى ابناً، وتكون الوياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشوراً إلهاً قدوراً أبناً أبدياً رئيس السلام" (إش 9: 6)
"ما أجمل على الجبال قدمي المبشر بالمخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلص القائل لصهيون: قد ملك إلهك" (إش 52: 7)
"وهو مجروح لأجل معاصينا، مسروق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحُوه شفيئنا" (إش 53: 5)
"فإن الجبال تروى، والأكام تتوَّع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتوَّع، قال راحمك الرب" (إش 54: 10)
"وأقطع معهم عهد سلام، وازرع الوحوش الرديئة من الأرض، فيسكنون في البرية مطمئنين، وينامون في الوعر" (حز 34: 25).
"وأقطع معهم عهد سلام، فيكون معهم عهداً مؤبداً وأقوامهم وأقوامهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد" (حز 37: 26).

"هوذا على الجبال قدما مبشر، منادٍ بالسلام، عيدي يا يهوذا أعيادك، أوفي نورك، فإنه لا يعود يعبر فيك أيضاً المهلك، قد انقوض كله" (نا 1: 15).

"ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام" (لو 1: 79).

"المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسوة" (لو 2: 14).

"سلاماً أتوك لكم، سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا، لا تضطرب قلوبكم ولا تهرب" (يو 14: 27).

"قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو 16: 33).

❖ " صوت موعب دائماً في أذنيه، وحين يوجد سلام يتوقع حدوث مكائد" [٢١]. ولكن ليس شيء أسعد من بساطة القلب... ولا يكون شيء موعب في

اللقاء مع الغير. فإن البساطة تكون أشبه بقلعة للقوة، ولا يوجد ريب في اجتياز ما ليس فيه تذكر لذاته، لذلك حسناً قال سليمان: "مخافة الرب ثقة عظيمة"، كما يقول: "الذهن الآمن يشبه وليمة دائمة" (أم ١٤: ٢٦؛ ١٥: ١٥). فإن مجرد الراحة في أمان يشبه انتعاشاً دائماً. من الجانب الآخر الفكر الشوير دائماً في الآج وأتعب، إما لأنه يصلح مع محنٍ قد تحل به، يخشى أن تحل عليه بواسطة الغير. إذ يدبر مؤامرات ضد أوبائه يخشى الذهن من الخطط التي يدورها الأوباء ضده... وحين يوجد سلام يتخوف من حدوث مؤامرات، إذ يتعامل في مكرٍ على الوام، واضعاً في ذهنه أنه ليس من يتعامل ببساطة معه. مكتوب: "عندما يسقط الشوير في حضوة الأشوار يدين" (أم ١٨: ٣)، إذ تحوط به ظلمة شوه، وبالتالي يبأس من وجود النور. لذلك قيل بعد ذلك: " إنه لا يؤمن أن يخرج من الظلمة، بل ينتظره السيف" [22].

"بسلامة اضطجع ، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يارب منوفاً في طمأنينة تسكنني" (مز 4: 8).

"الوب يعطي عواً لشعبه، الوب يبلك شعبه بالسلام" (مز 29: 11).

"ليتهف ويفوح المبتغون حقي، وليقولوا دائماً ليتعظم الوب المسرور بسلامة عبده" (مز 35: 27).

"أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون في كثوة السلامة" (مز 37: 11).

"لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقب لإتسان السلامة" (مز 37: 37).

"فدى بسلام نفسي من قتال عليّ ، لأنهم بكثوة كانوا حولي" (مز 55: 18).

"تحمل الجبال سلاماً للشعب، والآكام بالبرّ" (مز 72: 3).

"يشرق في أيامه الصديق ، وكثوة السلام إلى أن يضمحل القمر" (مز 72: 7).

"سلامة جزيلة لمحبي شريعتك ، وليس لهم معوّة" (مز 119: 165).

"الذي يجعل تخومك سلاماً، ويشبعك من شحم الحنطة" (مز 147: 14).

"فإنها تريدك طول أيام وسني حياة وسلامة" (أم 3: 2).

"طوقها طوق نعم، وكل مسالكها سلام" (أم 3: 17).

"إكليل الحكمة مخافة الرب، إنها تنشئ السلام والشفاء والعافية" (سواخ 1: 22).

"ولو أنك سلكت في طويق الله، لسكنت في السلام مدى الدهر" (يا 3: 13).

"فإذ قد تيررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رو 5: 1).

"لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو 8: 6).

"وكيف يكرزون إن لم يُسلوا، كما هو مكتوب: ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخوات" (رو 10: 15).

"لأن ليس ملكوت الله اكلاً وشوباً، بل هو برّ وسلام وفوح في الروح القدس" (رو 14: 17).

"فإنعكف إذاً على ما هو للسلام، وما هو للبنين بعضنا لبعض" (رو 14: 19).

"وليمألكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان ، لتردوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو 15: 13).

"إله السلام معكم أجمعين. امين" (رو 15: 33).

"واله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً" (رو 16: 20).

" نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (1 كو 1: 3).

"ولكن الله قد دعانا في السلام" (1 كو 7: 15).

"لأن الله ليس اله تشويش، بل اله سلام كما في جميع كنائس القديسين" (1 كو 14: 33).

"وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف 6: 15).

"لَا يَأْمَلُ الْوُجُوعَ مِنَ الظُّلْمَةِ،
وَهُوَ مُرْتَقِبٌ لِلسَّيْفِ". [22]

الشوير تلاحقه شروره، يفقد كل رجاء في الخروج من الظلمة التي تحوط به. يعيش في رعب، كأن السيف مُسلط على رقبتة، يتوقب قتله بين لحظة وأخرى. ففي أعماقه يبرك "إن كان أحد يقتل بالسيف، فينبغي أن يُقتل بالسيف" (رو 13: 10).

"ويشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين: سلام سلام، ولا سلام" (إر 6: 14؛ 8: 11).

"انتظرونا السلام ، ولم يكن خير وزمان الشفاء، وإذارعب" (إر 8: 15)

"هل رفضت يهوذا رفضاً، أو كرهت نفسك صهيون، لماذا ضوبتتوا ولا شفاء لنا، انتظرونا السلام ، فلم يكن خير وزمان الشفاء، وإذارعب" (إر

19: 14)

"ليست في جسدي صحة من جهة غضبك، ليست في عظامي سلامة من جهة خطيئي" (مز 38: 3).

"وطريق السلام لم يوفوه" (رو 3: 17).

"وبادت مراعي السلام من أجل حمو غضب الرب" (إر 25: 37).

"تأنه هو لأجل الخبز حينئذ يحدّه،

ويعلم أن يوم الظلمة مهياً بين يديه". [23]

يعيش الشوير في تيه وواغ، كمن هو جائع إلى كسوة خبز على عكس الصديقين (مز 37: 23-25). وأن يوم الظلمة، أو يوم الدينونة على الأبواب، مسوع إليه وليس من تأجيل. يوم الرب يكون نوراً للمؤمنين الأماناء، وظلاماً للأشوار حيث يحكم عليهم بالظلمة الدائمة الخرجية الأبدية.

❖ عندما يملس الإنسان أموراً غير شرعية، إنما يخشى مما فعله!

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لأن المتمود، خصمنا، يحلب بالكوياء، ويريد أن ينتصر بالتعالي بغياً، قدم لنا ملكنا المنتصر سلاح التواضع.

بدون قوة التواضع التي لا تقهر لا ينتصر أحد.

بالتواضع ينحني كوياء المخادع، ويجعله مداس لرجل الودعاء المسالمين.

أنظر كيف شق أبأونا الجبابة لنا الطريق، فلبسوا التواضع، حلة المسيح، وكيف أنهم غلبوا الثلاب ، وربطوه بقيود الظلمة [752].

❖ أعد لي الشياطين تجربة يرتعب من سماعها السامعون...

بوقاحتهم يعودون ويظهرون قسوتهم نحوي وهم يقوعدونني.



وعندما رسم أمامهم علامة الصليب حياتنا، يعودون إلى الظلمة التي هي نصيبهم، وتنطفئ نلهم

الشيخ الروحاني (بوحننا الدلياتي)

"وُهَيْه الضَّرَّ وَالضَّيْقُ.

يَتَجَوَّانِ عَلَيْهِ،

كَمَلِكٍ مُسْتَعِدِّ لِلْوَعَى". [24]

الشوير وهبه الضرر الداخلي وضيق النفس أكثر من المحن الخرجية. وكما يقول الرسول بولس: "سخط وغضب، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر" (رو 2: 8-9). فمن يفقد التصاقه بالله، تفتح في داخله أبواب الجحيم الذي لا يُطاق. قد يظن الشوير أنه يتخلص من مخوفه الداخلية، لكن هذه المخاوف تملك على قلبه وفكره وطاقاته الداخلية، وتستعبده، فيكون بكل كيانه أسوأ كما لملك قاسٍ مستعدٍ بجيوشٍ قويةٍ لا تُقهر، فمن يريد أن يستود حربته ليبدأ بالحرية الداخلية بالمسيح يسوع محررنا، أو التحرر بالبر الإلهي ضد الشر.

❖ " الضيق يجعله خائفاً، والشدائد تحاصره، كملكٍ يستعد للمعركة ". في كل ما يفعله الشوير يكون السياج حوله كرب وبلية وشدائد، فترتبك نفسه

بالقلق والهواجس، إنسان يشاق سويًا أن يمنح خوات الآخرين بالقوة، فإنه يتعب ويتضايق بأفكار قلبه، متوجياً ألا يوجد. آخر بهجره الحق يضع في

ذهنه أن يكذب، حتى يخدع أذهان سامعيه. وأما التعب الشديد فهو أن يدافع بحذرٍ كافٍ أن لا يوجد خداعه لنفسه... لأن طريق الحق ممهد، وأما

طريق الباطل فوعر. لذلك قيل بالنبي: "يتعلمون أن يتكلموا الكذب، ويربكو أنفسهم بلتكاب الإثم" (إر 9: 5).

البابا غريغوريوس (الكبير)

- ❖ العصفور عند اصطياده لا يحتاج الأمر لدخول جسمه كله داخل الشبكة يكفي أن تقتصص الشبكة رجله فقط، فهذا لا يُعطل من سيطرة الصياد عليه.
- هكذا الشيطان إذا رُاد أن يدخلنا في شباكه فليس من الضروري أن يسيطر على كل سلوكنا وإيماننا، بل يكفي البدء في السيطرة على سلوكنا.
- "ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل... فحينئذ أصرح لهم إنني لم أعرفكم قط" [754].
- ❖ دُعي الشيطان قوياً ليس لأنه بالطبيعة هو هكذا، إنما بالإشوة إلى سلطانه الذي صار له بسبب ضعفنا [755].
- ❖ أي انحطاط أكثر من الشيطان الذي انتفخ؟! وأي علو للإنسان الذي يريد أن يتواضع؟! صار الأول زحف على الأرض تحت أقدامنا، وارتفع الثاني مع الملائكة في العلا [756].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ الآن يا أحبائي قد دُبح الشيطان، ذاك الطاغية الذي هو ضد العالم كله... لا يعود يملك الموت بل تتسلط الحياة عوض الموت، إذ يقول الرب: "أنا هو الحياة" (يو: 14: 6)، حتى امتلأ كل شيء بالفوح والسعادة، كما هو مكتوب: "الرب قد ملك فلتفوح الأرض"... الآن إذ بطل الموت وتهدمت مملكة الشيطان امتلأ الكل فوحاً وسعادة.

القديس أنثاسيوس الرسولي

"لَأَنَّهُ مَدَّ عَلَى اللَّهِ يَدَهُ،

وَعَلَى الْقَدِيرِ تَجَبَّرَ". [25]

"هَاجِمًا عَلَيْهِ،

مُتَّصِلًا بِالْعُنُقِ بِتُرْسِهِ الْعَظِيمَةِ". [26]

"لَأَنَّهُ قَدَّمَ كَسَا وَجْهَهُ سَمْنَا،

وَرَبَّى سَخْمًا عَلَى كُنُيْتَيْهِ" [27]

إذ يمد الشوير يده على الله، ويتجبر على القدير، يسحق نفسه بنفسه.

يقول الأب هيسخيوس الأورشليمي بأن أليفاز يشبه أيوب بالواشي (الشيطان) الذي كان قائداً عظيماً، يحتل الوتبة الأولى بين السمانيين وقد سقط (رو ١٢: ٧-٩). لقد رفع يده ضد الرب، وفقد عقله بمقاومته لله. ابتلعه الوهم، أي امتلأ بالكبرياء. وأخذ موقفاً معادياً لله بالخطية. إنه مثل الشيطان الذي يضرب في المعركة ويختبئ، واضعاً الترس على كتفيه، يحمل قلباً قاسياً، يغطي وجهه بشحمه، أي بالخواء، وإذ يتخمد معدته بشر الخطية لا يقدر أن يرفع وجهه أمام الخالق. يضع طبقتين من الشحم على فخذيه، أي يملس سلطانه خلال أموين: الطمع والانغماس في الملذات. لكن باطلاً حاول أليفاز أن يقرن أيوب البار بالواشي الشيطان.

ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذه العبارات تنطبق على ضد المسيح، رئيس الأشرار نفسه، الذي إذ يرفع يده ضد الله يُقال عنه أنه "تقوى"، وذلك إلى حين، حيث يُسمح له أن يرتفع وأن يتمجد، فيعاقب بلا شفقة إلى الأبد. إنه يبسط يده ضد الله، بمعنى أنه يثابر على فعل الشر، غير مبالٍ بأحكام الله. أما أنه يجري ضد الله بعنق غليظة، فيعني أنه يرتكب أموراً شائنة تغضب الخالق. فإن مثل هذا الإنسان يُقال عنه أنه يجري في فعل الشر، ليس من عدو يعوقه. أما غلاظة رقبته فهي الغنى في الكبرياء تدعمه مخزن تفيض كما لو كانت من الجسد.

أيضاً تنطبق هذه العبارات في رأي البابا غريغوريوس (الكبير) على الإنسان الشوير الذي يتسلح بالسلطة، فيتشامخ على الله، ويأخذ موقفاً ضد وصايا الحق. يتجاهل غنى الله، ويتسلح بالغنى الباطل لأمنيات. يغطي وجهه بالشحم، حيث يطلب شحم الخوات المؤمنة، دون أن تكون فيه مخافة الرب، يضايق الفقراء، ويتشامخ بقوة المجد الزموني.

❖ كل المنكوبين يحملون رقابًا متشامخة، فلا يملسون الشور فحسب، بل ورفضون أن يحسوها شورًا. وعندما يُنتهرون بيرون أنفسهم.

❖ يحرب الأثوار الله، فتتطمح الأواني الخزفية وتصير كسواً، هكذا ينتفخ البشر معتمدين على قوتهم الذاتية. هذا هو الروع الذي يتحدث عنه أيوب بخصوص الشوير. "يجوي ضد الله، على عنقه المتصلب لوعه. ما هو " العنق المتصلب لوعه " ؟ ذاك الذي يعتمد بالأكثر جدًا على حمايته الذاتية.

القديس أغسطينوس

فَيْسَكُنْ مَدُنًا خَرِبَةً،

بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ،

عَتِيدَةً أَنْ تَصِيرَ رُجْمَ اللَّهِ" [28].

" ويسكن في مجتمعات مهجورة وبيوت خربة صلت خرائب" (LXX ٢٨). ربما ندهش لتعبير " مجتمعات مهجورة "، لأن كلمة "مجتمع" تأتي من اجتماع الناس معًا، فكيف تكون مهجورة؟ حينما يوجد حشد ضخم من الأثوار، يشعر كل منهم بالغولة، لأن الخطية تقصد علاقة الإنسان بإخوته، وتروع عنهم الحب. كل يشعر كأنه ليس من يشركه مشاعوه، ولا من يفهم أعماقه.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن سكان البيت هي الأفكار، فبالنسبة للأثوار لن تجد أفكلهم راحة، فيشعروا أنهم حطام وخرائب ليس من ساكنٍ فيها.

"لَا يَسْتَغْنِي،

وَلَا تَثْبُتُ ثَرَوَتُهُ،

وَلَا يَمْتَدُّ فِي الْأَرْضِ مَقْتَنَاهُ". [29]

لا يعرف الشوير الشعور بالشبع والاكتفاء، فهو لا يستغنى إذ يبقى على النوام فقراً، ليس ما يملأ فراغه الداخلي، حتى وإن ملك الكثير من الغنى الخرجي.

الثروة التي جمعها بالشر، تزول بشرٍ آخر. يتضاءل كل غناه حتى يتلاشى: "بنت ليلة كانت، وبنت ليلة هلكت" (يونان 4: 10). "الغنى الباطل يقل" (أم 13: 11).

إذ يفقد الشوير أبناءه ويموت، يرثه الغوباء.

"لا يمتد في الأرض مقتناه"، أي لا تطول مدة تمتعه بثروته. يبذل كل جهده ليقرب ثروته لبننيه من بعده، لكنه يفشل في تحقيق ذلك.

يقول البابا غريغوريوس (الكبير) إن الشوير يعاني من الفراغ الداخلي، لن يشعر قط بالشبع، حتى كيانه يبدو كعابر بلا ثمر.

"لَا تَزُولُ عَنْهُ الظُّلْمَةُ.

أَغْصَانُهُ تَبْسُطُ السُّمُومَ،

وَيَنْفُخَةُ فَمَهُ يَزُولُ". [30]

يعيش كمن في ظلمة دائمة، ويفسد ولاده كأبناء للظلمة، فيكونون كأغصان شجرة جفت واحترقت.

جاء النص في الترجمة السبعينية ما يعني: " لن يقدر أن يهرب من الظلمة بأية وسيلة: لتهب الريح على زهرته فتسقط ". وكأنه يقول: إن

الشوير يسقط في ظلمة لا يقدر الخلاص منها، أما نسله أوزهرته فتهب عليها الريح وتسقطها دون أن تتحول إلى ثمر.

ما ورد في الترجمة السبعينية عن زهرته جاء في النص العوي "أغصانه" التي تبسها السموم، أوريح السموم الحارقة للزرع.

إنه بنفخة فمه يزول الشوير حيث يموت فجأة. وكما قيل: "هذه الليلة تطلب نفسك منك" (لو 20: 12)، وأيضًا: "الشوير يُطرد بثوره" (أم 14:

❖ إن رَاد الإنسان المتكبر أن رجع عن الخطية إلى البرِّ يؤمّه أن يرحل من الظلمة . لكنه إذ لا يبحث عن نور البرِّ لا ورحل عن الظلمة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"لَا يَتَّكِلْ عَلَى السُّوءِ.

يَضِلُّ.

لَأَنَّ السُّوءَ يَكُونُ أَجْرَتَهُ". [31]

كثوًا ما يظن الإنسان أن الخداع وطرق الشر يمكن أن تتجيه. إنها في البداية تضلله، لكنه سوعان ما يشرب من كأس الشر الذي ملأه بنفسه.

"هذه أجرة مبغضي من عند الرب، وأجرة المتكلمين شوا على نفسي" (مز 109: 20).

"الشوير يكسب أجرة غش، والزرع البرِّ أجرة أمانة" (أم 11: 18).

"لان أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو 6: 23).

"قَبْلَ يَوْمِهِ يُتَوَفَّى،

وَسَعْفُهُ لَا يَخْضَرُ". [32]

ليس فقط يفقد ثروته، إنما يفقد حياته سريعًا كمن يموت قبل مواعده.

حقا قد يعيش الأثوار حتى الشيخوخة، وقد يموت قديسون أوار في سن الطفولة المبكرة. لكن سنوات الشوير تُحسب كلا شيء، إذ تكون

سنوات عموره أشبه بالوماد، بينما يوم واحد من أيام القديسين يُحسب في عيني الله كألف سنة.

"لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر، و كهنيع من الليل" (مز 90: 4).

"ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحدٍ (2 بط 3: 8).

حتى أولاده الذين ظن أنهم يكون من عظماء هذا الدهر يصيرون سَعْفًا جافًا "لا يخضر".

ما هو السعف الذي لا يخضر إلا الثمر الروحي للمؤمن، فإنه إن سلك بالشر يجف ثمر روح الله القنوس فيه، فيكون علة دينونة عوض

مساندته.

❖ كان أيوب متوجيًا هذا، وذلك بسبب آلامه وصوه، يتقبل من الله مكافأة موآته. يقول أليفاز "كأسه" أو حصاده سيهلك قبل زمن (الحصاد)، بالتأكد

يقصد أنه يهلك قبل زمن المكافأة. " ووقعه (في الشجرة) لن يذهر "... هكذا يعلن أليفاز أن أيوب وهو يتوقع منافع عظيمة جدًا، منتظرًا إياها كما لو

كانت في يديه، سيصاب بخيبة أملٍ ولن ينال شيئًا من توقعاته.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "قبل أن تكتمل أيامه يهلك، وتكون يداه ذابلتين" [٣٢]... غالبًا الإنسان الشوير، في سبق معرفة الله الخفية لا يعين الله له طول عمر، فإنه إذ يريد أن

يعيش حسب الجسد يتخيل أنه يعيش أيامًا كثيرة. وإذ لا يقدر أن يبلغ العمر الذي يطلبه لنفسه يبدو كمن يهلك قبل اكتمال أيامه.

هذه العبرة أيضًا يمكن أن نفهمها بمعنى آخر. زى عادة أشخاصا يسلكون في الشر، ومع هذا يبلغون إلى شيخوخة متأخرة جدًا. إن كيف

يُقال: "قبل أن تكتمل أيامه يهلك"، بينما زى من بينهم أشخاصا ترتعش أطرافهم بسبب الشيخوخة، مع ذلك فإن أهواءهم لا تكف عن أن تحمل إليهم

شورهم؟ إنه يوجد البعض بعد أن فقنوا طريق الحياة لرتنوا، وصار ضمورهم يعذبهم، فقنوا طرقهم الوقحة، واستبدلوا أفعالهم، وقوموا شورهم

القديمة، وهربوا من الأرضيات، واتبعوا أهدافًا سماوية، لكنهم قبل أن يثبتوا في هذه الأهداف المقدسة، وإماتة الفكر، عاوا إلى ما كانوا عليه في البداية،

وسقطوا في عاداتهم الشريرة التي قرروا تركها... فإنه ما لم يثبت القلب ولأ في الشهوات السماوية بالطلب المستمر، والاهتداء المستمر، فإنه إذ يرتد

لتنفيذ أمورٍ خرجية، يُقتلع من ثباته في العمل الصالح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"يُسَاقِطُ كَالْكَرْمَةِ حِصْرَمَهُ،

وَيَنْثُرُ كَالرَّيْتُونِ زَهْرَهُ". [33]

يكون ولاده كحصوم العنب المر، الذي يسقط من الكرمة قبل أن ينمو وينضج، وكوهر الریتون الذي يتساقط، ولا يتحول إلى ثمر. يموت ولاده في فجر حياتهم، ولا يبلغون ما اشتهاه لهم.

❖ " عنقوده يفسد مثل كرمة في بدء زدهلها، ومثل زيتونة تطرح زهرها. فإن جماعة العرائن ستكون عقيمة ". لنتأمل كيف أن العرائن يفسد مثل كرمة في بدء زدهلها أو مثل زيتونة تطرح زهرها.

إن كانت كرمة ما عندما تخرج زهرها ويلمسها برد شديد خلال تغير الجو فجأة، تفقد كل رطوبتها أو خضوتها. يوجد البعض الذين بعد سلوكهم فترات من الشر يشتاقون إلى طوق القداسة، ولكن قبل أن تثبت فيهم الشهوات الصالحة - كما قلنا - يحل بهم نوعٌ من الرخاء للحياة الحاضرة، فويتبنون به في اهتمامات خرجية، وإذ ينسحب فكرهم عن حورة الحب الداخلي، يصير كما لو أن بردًا يحلّ بهم، فيُقتل فيهم كل ما بدأ يظهر فيهم من نباتات للفضيلة. فإنه بالتصوفات الأرضية يصير الذهن بردًا للغاية إن لم يثبت في الداخل...

" ويكون مثل زيتونة تطرح زهرها "، فإن تكون الریتونة قد أزهت، وتتلامس مع ضباب كثيف تتجرد من كمال الثمار. وكما أن الكثيرين من الذين يدخلون إلى الأعمال الصالحة يُمدحون كثوًا من الذين يرونهم، وإذ يجدون لذة في مديحهم يحل ضباب على أفكرهم، فلا يعوون بميزون بأية نية يفعلون هذا، فيفقون ثمر عملهم، بضباب حب المديح.

حسنًا قيل بسليمان: "النبكر إلى الكرم لوى إن كانت الكروم قد أزهت، وحملت الزهور ثملًا" (نش ٧: ١٢). زهر الكروم عندما تقدم أذهان المؤمنين أعمالًا صالحة، لكنهم لا يحملون ثورًا إن كانوا في هدفهم لا يستطيعون التغلب على ممرستهم الخاطئة.

❖ يبدو المراعون مثويين ومخضوين في أعين زملائهم المخلوقين، لكنهم في نظر الديان الخفي يظهرن بلا ثمر وذابلين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"لأنَّ جَمَاعَةَ الْفُجَّارِ عَاقِرٌ،

وَالنَّارُ تَأْكُلُ حِيَامَ الرِّشْوَةِ". [34]

❖ تحرق النار الخيام، عندما تُفسد حورة الطمع الأفكار.

فكر العرائن لن يستويح من التفكير في الشر، فإذا سبى وراء الأرضيات أو حب المديح يتذمر على ما للآخرين، فوكض لاهنًا لكي تكون له، ويبذل جهده لكي يُظهر الآخرين أشورًا إن قورنوا به، إذ يود أن يظهر أكثر قداسة من العالم كله.

إذ يجعل الغير مُحَنَوِّين يحاول أن يظهر في كل وقت أنه مستحق للكرامة. لهذا إذ يطلب المديح من قوبيه يبسط شباك لسانه أمام الحكم على زملائه في الخليفة، حتى يتصيد الفكرة الصالحة عنه عند الذين يطلب أن يسوهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"حَبِلَ شَقْوَةٌ وَوَلَدَ إِنَّمَا،

وَبَطْنُهُ أَنشَأَ غِشًّا". [35]

❖ " إنه يحبل بالأوزان ". وما هي ثرة هذا؟ " يحل به الباطل، وتحمل بطنه خداعًا ". أو بالحوي "سيحمل" مما يأتي من "الخداع"، يحمل الخداع نفسه، بحمله أمورًا لا نفع لها، ولا تقيده في شيء.

لو أن أليفاز كان يفكر في هذه الأمور كلها واقعياً، لو أنه التقى هنا بمخادعين، ما كان قد فكر بطريقة صادقة وبإخلاص، لأن الحكم على كثير من المخادعين محفوظ للعصور المقبلة. وإن كان يتحدث عن مكافآت مقبلة، فإنه يسيء إلى أيوب باطلاً. باطلاً كان يدينه على أخوانه. لأن بهاء هذه الحياة كثرة ما يحل على عبيد الطمع، ومآسي الحياة على الأوار. لم يقرر الله ذلك خطأ بل بالاستقامة تماماً. فإنه لا يمنح البار بهاء هذه الحياة التي شبعها أوراق شجر، وقوتها ظل، وغناها قش، ومجدها دخان، أما البار فيتأهل لملكوت السموات، وعدم الفساد، وعدم الموت، والمجد العلوي، الذي فيه يوح الشخص مع الملائكة. هذا هو السبب أنهم حتى إن أنهكوا أنفسهم بالعرق، ولاقوا متاعب كثرة، لا يلومون الديان، عالمين أنهم بهذه الأخوان البسيطة ينالون المجد المقبل (٤كو٢: ١٧)، الذي سيعلن لنا (رو٨: ١٨) من الآب والابن والروح القدس.

الآب هيسخيوس الأورشليمي

❖ " يحبلون ويلاً ويلدون إثماً، ويُعَدُّ رحمهم خداعاً ". يحبل (الإنسان) ويلاً عندما يدبر أموراً شرة، وولد إثماً عندما يبدأ في تنفيذ ما دوه.

بالتمتع بالحسد يحبل ويلاً، وبالنطق بالافتراءات يلد إثماً.

إنه لشر عظيم عندما يجاهد الثوير أن يُظهر الآخرين أشولاً، حتى يبدو هو نفسه قديساً، إذ يظهر الغير نجسين.

يلزمنا أن نضع في ذهننا أن الكتاب المقدس يستخدم لقب "البطن" أو "الرحم" ليفهم بهما "العقل". قيل بسليمان: "سراج الوب طرق البشر يبحث عن كل الأجزاء الداخلية للذهن" (أم ٢٠: ٢٧). بلقب "الرحم" بحق يُفهم العقل، فكما أن النسل يُحبل به في الرحم، هكذا الفكر يتولد في العقل. وكما أن اللحم يوجد في البطن هكذا الأفكار في العقل. فإن رحم العرائي يعد خداعات، إذ يحبل دوماً في عقله شورة عظيمة ضد أقربائه، تنتاسب مع أهدافه نحو نفسه أن يظهر بريئاً أمام كل البشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 15

لأنتفع بتعبيرات معوي!

❖ بظلم قام اليفاز وصاحبا به باتهام البار أيوب!

كَيَّلُوا له اتهامات مؤه، فصلت علة مجد له!

أما أنا ففي ضعفي اسمح لي أن أنتفع من اتهاماتهم!

❖ ادعوا أنه يتستر في الحكمة، لكن الحكمة بريئة منه،

لأن معرفته باطلة، وأعماقه تحمل رياحاً مدمرة!

هب لي يرب معرفة من عندك،

أشوق بنورك على أعماقي، فتصير حياتي شهادة حية،

لا أنطق إلا بما أحياء بك وفيك،

هب لي روحك القنوس يهب في داخلي،

فلا تقدر الأرواح الشورة المدمرة أن تتسلل إلي!

لنكن كل كلمة ممسوحة بمسحة الروح.

ولنكن حياتي ملحاً للأرض!

❖ هب لي يارب مخافتك تتسلم عجلة القيادة.

تسير نفسي في الطويق الملوكي.

أتمتع بثوكة مع عريس نفسي، الطويق والحق والحياة!

لا أنحرف يميناً ولا يسراً!

فعجلة القيادة في يد أبٍ قدير حكيم محب!

❖ كن يارب حافظاً لفمي،

وضع باباً حصيناً لشفتي،

لا يخرج منه إلا ما يوضيك،

هب لكلماتي أن تتناغم مع أعماقي وسلوكي.

فلا تكون شهادة على إثمي، وعلّة إدانتي!

❖ أعود بفكوري إلي أعمالك العجيبة.

خلقت كل شيء من أجلي.

وأعطيت لأبي آدم عقلاً وحكمةً.

رُدت ان يكون نسله حكيمًا بالحق،

فيُحسبون ابناء لك، يتمثلون بك!

هب لي الحكمة الجالسة عن يمينك.

أعطني ليس حسب استحقاقي، بل كمحبتك!

❖ تشناق أن تجتمع بكل مؤمنيك،

ويجتمع مؤمنوك بك.

تشناق أن تشوق بنور حكمتك على الجميع.

تريد أن يكون الكل كمن هم في مجلسك.

تعلن أسورك الفائقة لخانفيك.

❖ هب لي يارب روح الحكمة التي من عندك.

فلا اتشامخ بمعرفةٍ ليست من عندي،
ولا أدعي الحكمة كأنها فريدة وسامية.
لأحترم كل إنسان، وأقدر مواهب الله له!

❖ لأنتفع بكل مشورة صادقة،
هب لي تواضعًا، فانتفع من حكمة الجميع إن أمكن.
لكن لا أطلب تعرييات بشوية،
فأنت الطبيب السلمي، واهب التعرييات الحقيقية.
أنصت إلي صوتك خلال كنيسةك،
فتتجلي أمام عيني، وأتمتع ببهجة أسورك!
رأك متجليًا في خدامك،
وأتقبل عطاياك من يديك خلالهم!
أنت واهب العطايا للقلوب المتواضعة!

❖ أتطلع إلى نفسي، فأدرك حقيقة ضعفي.
من يقدر أن يتبرر أمامك يا أيها القنوس؟
ليس مولود امرأة يتوكي قدامك،
حتى وإن كان ابن يومٍ واحد!
قديسوك يعترفون بضعفاتهم!
والسمائيون ليسوا بأطهارٍ أمامك!
لا تأتمن أحدًا علي خلاصي سواك!

❖ أعترف لك إني أشرب الإثم كالماء.
لكن أنت غافر الخطايا،
أنت منقذ النفوس من الفساد!

❖ الآن تطلع يارب على كنيسةك المقدسة.
هب لكل - كهنة وشعبًا - أن يلتهموا بمحبة التعلم المستمر.
يسلك الكل بقيادة روحك القنوس،
علي أثار الآباء القديسين الأولين.

لا يكن بيننا غريب، صاحب فكر منحرف.
بل الكل قطيع واحد لواعٍ واحدٍ يتمتع ببرايعك المثورة!
ليتمتع الكل بروح البساطة،
فلا يوجد بينهم متكبر ولا هوائي!

❖ هب لي ألا أدين أحداً، فأنت وحدك فاحص القلوب.
كثوفاً ما أظن فيمن يسقط تحت ثقل التجرب،
أنها ثروة شروره الخفية.
من يقدر أن يدرك حكمتك، يا أيها المخلص، محب البشر؟
ليس كل متألمٍ قديساً أو شورا.
أنت وحدك تسمح بالوخاء أو الضيق،
وفي كلا الحالين لست تطلب إلا خلاصنا ومجدنا!

❖ نظراتنا الخفية للمجربين تحطمهم،
أما يدك الإلهية فتقدم ما هو لبنيان المؤمنين بك.

❖ إلهي، أنت مصدر سلامي،
بل أنت هو السلام عينه،
من يقتنيك، لن يدخل رعب ولا قلق إلي حياته!
لا يخشى الظلمة ولا السيف!
ليس ما رعبه مادمت حال في أعماقه!
أما من يعوى وراء الشر،
فيحوى وراء سوابٍ مدمرٍ،
يقتني الباطل، ويفقد الحق،
يحل به تيه وفواغ، ويصير في عوزٍ إلى كسوة خبزٍ.
يحل به الضيق، ويملك عليه عدو الخير.
لأهرب إلى صليبك،
فأراك تغزق الصك الذي عليّ،
تحررني من عبودية إبليس،
وتحضوه تحت قدمي.

في مذلة يسقط ذاك الطاغية ويُشهر به!

❖ نعم لأتقدم إليك أيها المصلوب العجيب،

أتحد بك، فلن يجد الكرياء له موضعاً فيّ.

يتحطم الكرياء الذي حطّم نفسي،

وحول فودوسي إلى بوية، وجعل من مسكني خراباً!

يهرب من الخداع، وتُغلق طوق الشر أمامي.

ليس بعد من مجاعة في نفسي،

ولا من دماءٍ يحيطني.

تمتلئ كرمتي من عناقيد حبك!

وتثمر زيتونتي، لتفيض من زيت نعمتك!

لا تعرف نفسي الفقر بعد،

بل تحمل بروحك القنوس ثملاً سماوية موحية.

لا تقترب نار الشر المدهورة إليّ خيمتي،

بل تلتهب بنار روحك القنوس المقدسة.

يصير كل كياني ممجداً فيك.

أتشبه بالسمايين خدامك اللهب النزي!

أهمية المباحثات الثلاث الطويلة

إلى فزةٍ طويلةٍ كنت أنتساءل: ما هي أهمية المباحثات الثلاث الطويلة بين أيوب وأصدقائه؟ أما كان يكفي أن يقدم لنا الكتاب المقدس مختصراً مبسطاً للغاية، يكشف عن هورة نفس أيوب من نقص الحب عند أصدقائه من نوره، ومن هورة في الحوار، وتجاهل تام لمشاعر صديقهم المتألم؟ لكن في وواستي للسفر أدركت ما لهذا الحوار من دور في علاقتي بالله وبالمتألمين. وكيف يكشف هذا الحوار عن العلاقة بين الكنيسة وأصحاب البدع المقاومين لها، الذين يظنون أنهم حكماء، ويتهمون الكنيسة بالحرفية والجفاف.

توقفنا في الجزء الأول عند بدء المباحثة الثانية بكلمات أليفاز الأكثر عنفاً من كلماته في المباحثة الأولى. والآن فوجو أن يعطينا الرب بركة وواسة بقية الحوار الثاني وأيضاً الثالث...

الرب قادر أن يلهب قلوب كل البشر للتمتع بكلمة الله، وارتفاع قلوبنا جميعاً لخرة الحب السموي، ومشركة المتألمين في أتعابهم.

<<

مراثاة

مع الرجاء في الوسيط!

جاء جواب أيوب لأليفاز (ص 16، 17) في الحلقة الثانية من الحوار أنه قد تعب من سخافة أصحابه الذين لم يكونوا في عينيه سوى مغزين متعبين. ينظر إلى كلماتهم بعين الاحتقار، وذلك بسبب تكرار الكلام بلا مبرر، وعنادهم، وعدم مراعاة ظروفه. وحسب نفسه أنه لو كان مكانهم لكان يشددهم وينطق بما أمكن ليخفف عنهم حزنهم.

يتكلم أيوب بمرارة عن الله الذي أرسل عليه الضربات فجأة وهو مطمئن في بيته السعيد. روى أن الله نفسه قد صار كمحربٍ ضده، يصوب عليه الضربات، ويعزقه ريباً، ويحطم حصونه مثل مدينة أسورها مهدمة (16:12-14).

يقول أيوب إنه لا زال لا توجد إجابة على سبب ضربات الله لجسده، التي جعلته طويلاً موفولاً، وأنتن جلده، فصار ذلك شهادة على جرمه في أعين أصدقائه. ظن أن الله تحول عنه، ودفعه إلى أيدي الظالمين، يحتقرونه.

مع ذلك يرتدي أيوب مسوح التواضع والحزن بالرغم من عجزه عن رؤية أية خطيةٍ خطوةٍ لتكبتها (16:10-17).

تمسك أيوب ببراءته، لكنه يلتجئ إلى الله لكي يحل أَلغاز غايته الغامضة، ويكشف عما وراء هذه التأديبات، وأن يوضح ما هو محير لعقل مخلوقه المفكر المتألم وضموه. إنه كمن يلتجئ من الله بالله نفسه، من الله الذي يخفي نفسه، إلى الله الذي هو نور وليس فيه ظلمة، يلجأ إليه بروح الإيمان والرجاء في عمل الله الخلاصي.

وسط كل هذه المرارة من نحو أصدقائه الذين رأوا تحطيم نفسيته تماماً، فصلوا بالنسبة لأيوب مغزين بطالين، وتطلعه إلى الله الذي سمح له مع كل هذه التجارب بموقف هُلاء الأصدقاء القاسي، فحسبه كمحربٍ ضده، لم يجدف عليه، ولا جده، كما توقع عدو الخير إبليس. إنما رأى صورة عجيبة، أن الله قد سمح بتخلي كل الأنوع البشرية عنه لكي تحمله الأنوع الإلهية. أترك أيوب أنه لا ملجأ للهروب من الله إلا بالالتجاء إليه. هكذا انكشف له شعاع خفيف من العمل المسماني، حيث لا ملجأ من الغضب الإلهي والسقوط تحت العدالة الإلهية إلا بظهور كلمة الله نفسه متجسداً لكي بصليبه يضمه إليه كملجأ أبدي أمين. تحولت حوة أيوب إلى معرفة للحق الإلهي الإنجيلي خلال الظلال، حتى يشوق شمس البرّ على الجالسين في الظلمة، ويتمتع المؤمنون بالمجد الأبدية.

وى أيوب أن الراحة الوحيدة له الآن هي في الخروج من العالم بروح الإيمان، والرجاء في عمل الله الخلاصي.

بهذا هزم أيوب الشيطان الذي كان يظن أنه سيسبب الله ويجرده، فإذا به يلجأ إلى الله بكونه مصدر الغواء الوحيد له.

أيوب رمز المسيح المتألم كوسيطٍ وشفيعٍ كفري

إذ ورد أيوب على أليفاز بلغة أسيفة برثى فيها حاله، يقدم في مراثاته نوات رائعة عن السيد المسيح المتألم كوسيطٍ وشفيعٍ كفري. هذا ما شغل أذهان آباء الكنيسة في تفسيرهم لهذا الأصحاح، خاصة الأب هيسيخيوس الأورشليمي والبابا غريغوريوس (الكبير) الذي كان يعشق كتابات الآباء الشرقيين واستخدم أحياناً الترجمة اليونانية السبعينية (LXX) للعهد القديم مع الفولجاتا.

1. لومه أصدقائه على قسوتهم 1 - 5.

2. مراثاته لحاله 6 - 16.

3. التجوّه إلى الله العادل 17 - 21.

1. لومه أصدقائه على قسوتهم

"فَقَالَ أَيُّوبُ: قَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِثْلَ هَذَا.

مُعْرُونَ مُتَعَبُونَ كُلُّكُمْ!" [1-2]

احتدت المناقشة بطريقة مؤلمة، حتى ملت أذنا أيوب الاستماع إلى أصدقائه فصوخ: " قد سمعت كثيرا مثل هذا؛ معزون متعبون كلكم". هذا هو ما بلغت إليه نفس أيوب. يقول الحكيم: "ابتداء الخصام إطلاق الماء، فقبل أن تدفق المخاصمة أتركها" (أم 17: 14).

حتى إن قالوا كلمات تزيية فهي مؤلمة، لأنها تصدر عن قلوب لا تشركه آلامه، ولا تشعر بأحاسيسه. وكما يقول الحكيم: "يغنون أغاني لقلب كئيب" (أم 25: 20) بلا أي نفع.

جاء في مقدمة الأب هيسيخيوس الأورشليمي حديثاً رائع عن صبر أيوب خاصة في مواجهة أصحابه المقولمين له والمستغربين به، وقد امتدح فضيلة الصبر أو طول الأناة.

❖ يمكن للشخص أن يكتشف خلال التعقل بطريقة عميقة أن الصبر هو أساس الفضائل.

خلال الصبر صار إواهيم أباً للأمم (تك ١٧ : ٥ ؛ ابن سواخ ٤٤ : ٢٠ ؛ رو ٤ : ١٧)، وصديق الله (يع ٢ : ٢٣).

بالصبر إسحق الذي على مثال الابن الوحيد صار ذبيحة (تك ٢٢ : ٢).

وبالصبر أيضاً حمل يعقوب عصا كصليب (تك ٣٢ : ١٠ ؛ عب ١١ : ٢١)؛ وذلك الذي هرب (تك ٢٧ : ٣٤) جعله الصبر يعود مملوء غنى (تك ٣٢ : ٢٢-٢٣).

بمثل هذا الصبر أيضاً جاهد أيوب ورفع لواء النعوة. بالرغم من أن خصومه كانوا كثيرون وأصحاب سطورة. ومع أنه كان عرياناً تماماً، بدا كإنسان مسلح، مهوب أمام مصلعيه. وجد أيوب نفسه مطروحاً لرضاً، والذين رأوا أن يخلقوا عقبات (الشياطين) كانوا يطوفون حوله في الهواء (أف ٢ : ٢). الذين سيوه لتوا الأرجوان، أما هو فتردى القروح. لكن قوات السموات حسبته بهيماً...

الفقاء يمجذونه؛ والأغنياء يخدمونه، وكل الأجيال ركزت أنظرها على أيوب كانعكاس للبر.

آية حاجة إلى كلام كثير عنه؟ أتريد أن تتعلم قوة الصبر القائم في أيوب؟

كان يوجد ثلاثة أصدقاء يسونيه، كانوا أصحاء جسدياً، مفعمين بالحيوية بسبب فيض بركاتهم الزمنية. وإذا كانوا يتعبون من الكلام كان كل منهم يستريح بالتلذذ. أما عن أيوب فكان وحده جسمه مغطى بالقروح، حزين النفس. باحتماله، غلب هؤلاء الأصدقاء، وبصوه، هدأ من الوژة الملتبهة المهذلة للذين يهينونه معتمدين باطلاً على ثروتهم.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ تردد الكنيسة كلمات الموتل دلود: "بحرث الخطة على ظهوي" (مز ١٢٩ : ٣). يُقصد بذلك بينما تصبر الكنيسة على الهواطقة أو المفقودين من كل

وَح هؤلاء الذين تستطيع أن تصلحهم، تحمل على ظهورها أعمال الذين يرتكبون الإثم. هكذا إذرأ الطوبوي أيوب صديقه أليفاز يقدم شكوى كثرة

ضده متهماً إياه بالرياء انسحق في مورة النقد، مظهواً إياه معزرائف. بطول أناته صار أيوب رمزاً للكنيسة التي بوجه عام تحتمل مثل هذه

الأمر...

الآن بهذه الإجابة يشير الطوبوي أيوب إلى عصر الكنيسة، عندما يُنظر إليها بسبب ضغط خصومها أنها صلت مُلقة على الأرض بسلطانهم

المؤقت. لذلك قيل: "معزون متعبون كلكم" (أي 16 : ٢)، سواء كانوا هواطقة أو من الأشوار، متطلعة إلى الأتعاب الصالحة في المحنة. عندما يقصدون

أن يعزوها يثيرون أمراً خاطئة في أذهانهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ اشرب الاستهواء بشغفٍ (طواعية) كأنه ماء الحياة. اشربه من كل إنسان أيا كان، كما ممن يريد أن يسقيك نواء مطهراً، يخلصك من الزنا. حينئذ يشوق كوكب طهارة عميقة في نفسك، ولن ينطفئ سواج الله بعد من قلبك [759].

القديس يوحنا الراجي

"هل من نهايةٍ لكلامٍ فرغ؟"

أو ماذا يهيجك حتى تجاب؟" [3]

شعر أيوب أنهم يدورون في حلقة مفرغة، فليس لهم إلا كثرة الكلام الذي بلا هدفٍ واضح، ليس فيه من جديدٍ نافع. ولعله حسب كلامهم نكبة كسائر النكبات التي حلت به، إن لم ترد عن كل النكبات السابقة. شعر أن أصدقاءه يهيجون عليه بلا سبب، ويسئون إليه بلا نفع لهم.

❖ "هل من نهايةٍ لكلامٍ فرغ؟" إنه كلام فرغ ذلك الذي يخدمزها وقتياً، وليس غايته البر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ يفقد الإنسان الحب الحقيقي يعاني قلبه من الفواح، فلا يملس الصداقة المخلصة، إنما يسلك في سلبية تامة، متجاهلاً أصدقائه المتألمين، أو يجد الكثير من العلل لاتهامهم بالشر، وعض تعريتهم يسفه من شخصياتهم وتصرفاتهم. هكذا كان أصدقاء أيوب في صمتهم كما في كلماتهم! فقدان الحب يحرم الإنسان من تقديس عطيتي الصمت والكلام. فإن صمت لا يحمل صمته حباً بل تجاهلاً لمن هم حوله، وإن تكلم ينطق بالباطل، ويحطم نفسه ونفوس الغير.

يحزننا الكتاب المقدس من اللغو الباطل كما من الصمت الباطل، حتى متى تقدسنا يتقدس صمتنا كما كلامنا، فيكون للكلام وقت وللصمت وقت، ويعمل كلاهما لبنان الإنسان ولتغذية اخوته كما لمجد الله.

"الكلام في غير وقته كالغناء في الفوح" (سواخ 22: 6).

"كثرة الكلام لا تخلو من معصية، أما الضابط شفثيه فعاقل" (أم 10: 19).

"الجاهل يكثر الكلام، لا يعلم إنسان ما يكون وماذا يصير بعده من يخوه" (جا 10: 14).

"الكثير الكلام يمقت، والمتسلط جوراً يبغض" (سواخ 20: 8)

"لا تعود فاك فحش الكلام، فإن ذلك لا يخلو من خطية" (سواخ 23: 17).

"في الكلام كرامة وهوان، ولسان الإنسان تهلكته" (سواخ 5: 15).

"الحكيم في الكلام يشتهر، والإنسان الفطن يرضي العظام" (سواخ 20: 29)

"الكلام الحسن شهد عسل، حلو للنفس، وشفاء للعظام" (أم 16: 24).

"لا تمتنع من الكلام في وقت الخلاص، ولا تكتم حكمتك إذا جمل إيدؤها" (سواخ 4: 28).

"لا تكثر الكلام مع الجاهل، ولا تخالط الغبي" (سواخ 22: 14).

❖ العاقل هو من يسعى في لضاء الله، ويكثر من الصمت، وإن تكلم يتكلم قليلاً، ينطق بما هو ضروري وموضى الله [760].

❖ في الصمت ترى عقلك، ولكن عندما تستخدم عقلك، فإنك تتكلم في داخل نفسك. لأنه أثناء الصمت يلد العقل الكلمة، وكلمة الشكر التي تقدم لله هي

❖ خلاص الإنسان [761].

[762]

❖

من يتكلم بغباءٍ ليس له عقل، إذ يتكلم دون أن يفكر في كل الأمور. لذلك امتحن ما هو مفيد لك، لأجل خلاص نفسك، لكي تفعله .

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

❖ لا يقدر العقل أن يتحرر من التغيير (الطبيعي) في كل الأشياء إذا لم يخرج من دائرة ذاته، ويجعل له مكانًا في الصمت، الذي هو أسمى من الفكر [763].

❖ لا يقدر العقل أن يصمت ما لم يصمت الجسد، ولا يمكن للحائط الفاصل بينهما أن يتحطم إلا بالصمت والصلاة [764].

القديس مرقس الناسك

في رسالة لمار فيلوكسينوس إلى الراهبان الآدميين، كتبها من منفاه، حثهم فيها على الجهاد من أجل الإيمان المستقيم وعدم الصمت عن الشهادة للحق، جاء فيها:

[الراهب الذي يسكت عن الإيمان رياءً، لا يعرف الله.

الراهب الذي يفتر عن الغوة حياءً من السلطان، لا يعرف المسيح.

الراهب الذي يكون مع كل أحد مثله (يتلون ويجلي كل واحدٍ) رياءً، يلبس وجه شيطان.

الراهب الذي يلبس المسيح ويصمت عن الحق، فإن لباسه هو برص جيحوى.

الراهب الذي تفتقده النعمة ويسكت عن الإيمان، فسئسده فمه في اليوم الأخير مثل لجيئون الشياطين.]

"أنا أيضًا أستطيع أن أتكلّم مثلكم،

لو كانت أنفسكم مكان نفسي،

وأن أسودّ عليكم أقرًا، وأهزّر رأسي إليكم". [4]

ماذا يشتهي أيوب البار لأصدقائه؟ هل حمل كراهية وبغضة، وفي ضيق نفسه طلب أن يحل بهم ما حلّ به، ويأخذ موقف المؤي؟

هل يشتهي أن يسخر بهم في تجربهم، فيهز رأسه في استخفاف بهم، لأن هز الرأس في الشوق هو علامة الاحتقار (إش 22:37، إر 16:18،

مت 39:27)؟

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن ما يتحدث به أيوب إنما هو صلاة تصدر عن إنسانٍ محبٍ، يعلم أنهم لن يتعلموا الحب العملي إلا بدخولهم

في حوة الضيق والتجرب. فالدافع ليس تدموهم، بل خلال الضيق الخرجي تُصلح قلوبهم وأعماقهم الداخلية.

أما أنه يسود أقرًا في الهواء (باطلة) ويسخر بهم بهز رأسه، فهذا ما لا يقبله أيوب، ولا فعله حين رجوا إليه يطلبون الصلاة وتقديم الذبائح

عنهم. ما ينطق به هنا إنما لتوبيخهم ومراجعة أنفسهم، ليبركوا أنهم ينطقون بكلمات جوفاء، ويسخرون من إنسانٍ متألم! كأنه يقول لهم: يليق بكم أن

تفعلوا ما تريدون أن يفعله الآخرون بكم.

هذا وإذ يمثل أيوب الكنيسة المتألّمة فإنها في محبتها لخلاص الأثوار تطلب أن تمتد عصا الوب للتأديب وليس للانتقام، حتى يتعلموا من الأخوان

في الخرج كيف يتمتعون بالحب الداخلي.

❖ يقول: " آه، ماذا لو كانت أنفسكم مكان نفسي. وأن أريحكم بكلماتٍ، وأنغص رأسي إليكم، وأهرك شفّتي واحتكم" (أي 16: ٤-٥). أحيانًا توجد

ضرورة بالنسبة للأذهان الشاردة العاخرة عن الإصلاح بكثرة إنسان أن تُضرب من الله. هذا ما يطلبه الكارز (أيوب) لهم للتوفيق بهم. فإنه إذ يحدث

هذا عن غوةٍ عظيمةٍ للحب، واضح أنه لا يطلب لهم ذلك كعقوبةٍ، وإنما لإصلاح المخطئين، فيكون ذلك صلاة من أجلهم، وليست لعنة ضدهم.

يظهر أيوب الطوبولي في هذه الكلمات أنه يهدف إلى هذا: أصدقؤه الذين لم يعرفوا أن يتعاطفوا معه بالحب في حزنه، يؤمهم أن يتعلموا

بالخوة كيف يجب أن يتفوقوا في أحران الغير، وبهذا يعيشون في حالة داخلية أفضل، مركزين شيئًا عن الضعف الخرجي...

الآن نحن نغوي الأشوار بسقوطهم تحت العصا، عندما نشير إلى الحزن الخلجي لتشييد صحة داخلية فيهم. ونحرك رؤوسنا عندما يميل عقلنا - الجزء القائد فينا - نحو الحنو . ونسندهم وسط ضربات المحن عندما نخفف من قوة حزنهم بكلمات رقيقة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يليق بالكنيسة المحبة لكل البشر أن تملس أحياناً التوبيخ، وتطلب من الرب التأديب لأجل خلاص الساقطين، وليس لهلاكهم.

[765]

❖ يحتمل الله كل ضعفات البشر، لكنه لن يسمح بترك الإنسان الدائم التذمر بدون تأديب .

❖ صديق ينتهر آخر سواً هو طبيب حكيم، أما من يريد أن يشفي أمام عيون كثوين ففي الحقيقة هو شتأم... الإنسان البار يتشبه بالله، لن يؤدب إنساناً للثأر والانتقام من شوه، بل ليصلحه أو لكي يخاف الآخرون . [766]

القديس مار اسحق السرياني

"لأن الوصية مصباح، والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة" (أم 6: 23).

"من يحب التأديب يحب المعوفة، ومن يبغض التوبيخ فهو بليد" (أم 12: 1).

"فقر وهوان لمن يرفض التأديب، ومن يلاحظ التوبيخ يكرم" (أم 13: 18).

"الأحمق يستهين بتأديب أبيه، أما واعي التوبيخ فيذكي" (أم 15: 5).

"الأذن السامعة توبيخ الحياة تستقر بين الحكماء" (أم 15: 31).

"من يرفض التأديب يذل نفسه، ومن يسمع للتوبيخ يقتني فهماً" (أم 15: 32).

"التوبيخ الظاهر خير من الحب المستتر" (أم 27: 5).

"العصا والتوبيخ يعطيان حكمة، والصبي المطلق إلى هواه يُخجل أمه" (أم 29: 15).

"من مقت التوبيخ فهو في أثر الخاطيء، ومن اتقى الرب يتوب بقلبه" (سواخ 21: 7).

"الإنسان الخاطيء يجانب التوبيخ، ويجد حججاً توافق مبتغاه" (سواخ 32: 21).

"بَلْ كُنْتُ أَشَدُّكُمْ بِقَمِي،

وَتَعْرِيةً شَفَتِي تُمْسِكُكُمْ". [5]

في صراحة تحدث أيوب مع أصدقائه أنهم حتى على المستوى الاجتماعي العادي لم واعوا أبسط قواعد الصداقة. وأنه لو حدث تبادل في

المواقف لكان يمكنه أن يفعل معهم ما فعلوه معه، وهو تقديمه تعزيات بالفم واللسان والتظاهر بكلمات الحكمة نون مشرقة المشاعر الصادقة. وكأنه

يطالبهم أن يبادلوه موقفه ولو إلى وهمة حتى يشعروا بالسهم التي يصوبونها ضده بكلمات تعزية فرغة.

كان يليق بهم أن يجبروا عظامه المكسورة بكلماتهم اللينة مع قلب محب، لا أن يكسروا عظامه بعنف قلوبهم. يقول إشعياء النبي: "أعطاني السيد

الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيب المعبي بكلمة" (إش 50: 4). فالذي انهار وصار مريضاً جداً يحتاج إلى دهن طيب يسنده، لا إلى كلمات لاذعة

تحطمه بالأكثر.

2. مراثاه لحاله

سبق أن أشرت إلى أن مراثاه لحاله حملت نوات رائعة عن السيد المسيح المتألم كوسيطٍ وشفيعٍ كفليٍ عنا أمام الآب. وفي نفس الوقت

يمثل الكنيسة المتألّمة المشتركة لمسيحها آلامه وصلبه من الذين في الخرج، كما من الهواطة المقاومين للحق الإلهي.

"إِنْ تَكَلَّمْتُ، لَمْ تَمْتَنِعْ كَأَبْتِي.

وَإِنْ سَكَتُ، فَمَاذَا يَذْهَبُ عَنِّي؟" [6]

صار أيوب في حوة، إن تكلم فما نفع كلماته مع أناسٍ قساةٍ لا وراعون مشاعره، وإن صمت، فهل يُبطل الصمت مורה نفسه. إن سكب شكواه أنهم بالتذمر وأسيء فهمه، فيزداد حزنه. وإن صمت أنهم بالكآبة. إن دافع عن نفسه حسوه متمسكاً بالبرّ الذاتي، وإن سكت حسوه شرواً يستحق تأديباً أعظم!

الإنسان الجاد في حياته الذي يطلب خلاص نفسه، ينتفع من كلمات ولاد الله، كما ينتفع من صمتهم. إن تكلموا يتقبل الكلمات بروح الله لأجل بنيانه، وإن صمتوا يتلامس مع تأملاتهم الداخلية وتمتعهم بالحياة السماوية. أما الذي في استهتار أو في إصرار لا يطلب الحق ولا الحياة الأبدية، فيتعثر من كلمات الأوار، وأيضاً من صمتهم.

لقد عبّر أيوب عن موقف السيد المسيح، الذي إن تكلم بالحق الإلهي أنهم أنه مجدف (مت 26: 65)، وإن صمت على الصليب قالوا: "خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها" (مت 27: 42). كانت نفسه حزينه حتى الموت، ليس من أجل الألم، وإنما لأجل مורה الخطية التي حملها عنا ليقتلها بموته.

إن كانت نفس السيد المسيح حزينه، تبقى الكنيسة عروسه تئن كل أيام غربتها حتى يكمل المختارون جهادهم، ويتمتع المؤمنون بشركة الأمجاد في مجيء الرب الأخير.

❖ " ماذا أفعل؟ إن تكلمت لا تُؤع عني كآبتي، وإن احتملت (في صمت) فلا تفرقتني " ... ليس من أحدٍ يجهل أن هذا ينطبق على شخص أيوب الطوبوي.. أما بالنسبة للكنيسة الجامعة، فإنها عندما تتكلم "لا يتوقف حزنها"، إذ لا ترى الأشرار ينصلحون بكلماتها. وإن صمتت فإن موقفها نفسه بالصمت يحزنها بالأكثر، إذ وهي صامته ترى خطية الأشرار تزايد متعالية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ صالح لكم الاضطهاد، لأن محبة الصليب غنية فيكم. عزة عليكم العذابات، لأن نار محبة ذاك الذي ألقى ناره في العالم (لو 12: 49) مضطومة فيكم. جهادكم عجيب، لأن مضطهيدكم أشوار. معركتكم مليئة عجباً، لأن أعداءكم أداء. لو اضطهدهم الوثنيون لكان مسوغاً لآلامكم وراحة لعذاباتكم، لكن الآن يصطف اليهود أعداء الصليب ضدكم. آلامكم أسمى من أية آلام. وإكليلكم أكثر انتصراً من أي إكليل... عظيم هو جمال من تكثر آلامه. وهكذا يصير الإكليل جميلاً بقدر قسوة الضيق. فالروح المغوي الذي يجعلكم حكماً يعوف أن يتكلم فيكم، ويقول: "آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو 8: 18). إن ضيق زمن قصير، يقبكم لتحفظوا الحياة الدائمة التي لا نهاية لها، وعندما تموتون عن العالم تظهرون بالموت الحياة مع المسيح.

من لا يشتهي أن يجني الحياة الأبدية من ضيقات الزمان؟

العالم ينحل ويذبل جماله، ويترك غناه، وتزول سلطته ويؤذل بهؤه، وتبطل مرتبته، وتنتهي حياته، وتتغير أشكاله، ويتناثر كالورد، ويذبل كالزهر، ويهرب كالظل، ويطوى ويسوع كالعجلة، وتزول معه كل الأمور التي تعوي فيه، إن كانت الراحة أو العذاب، الكرامة أو الإهانة؛ كل خواصه تظل معه ومثله. ضيقاته لا تطول، وراحته ليست حقيقية ^[767].

القديس مار يعقوب السروجي

"إِنَّهُ الْآنَ ضَجْرَنِي.

حَرَبْتُ كُلَّ جَمَاعَتِي". [7]

إذ شعر أيوب بعدم صدق نية أصدقائه، في مורה أعلن لهم لرتبائه، فهو يعلم أن ما قد حلّ به هو بسماح من الله، فصار في ضجرٍ ورتبائه. لقد ضجر من عدم قدرته على أخذ القوار السليم: أين تكلم أم يصمت؟ وضجر أيوب من أصدقائه كما من حياته نفسها. أما ما أضاف إليه أخواناً،

فهو خراب كل جماعته. أبناؤه وخدمه ماتوا، والعاملون معه تشتتوا، والأصدقاء صاروا مقاومين له، شامتين ببليته.

"قَبِضْتَ عَلَيَّ."

وُجِدَ شَاهِدٌ.

قَامَ عَلَيَّ هُوَالِي يُجَابِبُ فِي وَجْهِي". [8]

وى بعض الآباء أن أيوب وهو رمز للسيد المسيح وى في كل ما حلَّ به إنما ظلال لما سيحل بالسيد المسيح. فإن كانوا قد اجتمعوا على أيوب لتحطيمه، فإن قوات الظلمة تكاتفت ضد السيد المسيح، وأبناء الظلمة قبضوا عليه لصلبه، وللأسف قام أحد تلاميذه بتسليمه. صار أيوب كمن قبض عليه في أسرٍ مويرٍ، وصار في هوالٍ شديدٍ حيث بلي لحمه بسبب القروح التي ملأت كل جسمه، صار هواله موضوع حديث يُعلن على وجهه، بمعنى أن ملامحه تشهد لما بلغه من هوال.

يُترجم البعض هذه العبارة: " ملأنتي تجعيدات، وهذا شاهد علي، وهوالى قام علي ليشهد لوجهي ". صار وجهه كله تجعيدات لا بسبب تقدم السن، بل بسبب شدة الأمراض. منظر وجهه يشهد بأنه لم يشك من فواغ وبلا مبرر.

❖ يوهن أيوب أنه اقتنى ربًا عظيمًا من هجوم المقاتل (الشیطان)، إذ لم يعرف الأخير أن أيوب يُكَلَّل بذات الوسائل التي يظن أنه يخدعه بها. لذلك يقول أيوب: " إذ قبضت علي، صوت شاهدًا ضدي" (أي 16: 8). فالعدو لم يقبض فقط على خوات أيوب وأبنائه وبناته، بل قبض أيضًا على أيوب في شخصه، حيث أن المفترى أمسك به ليصلح معه ويغتصبه.

هذه شهادة ضد البار، حُملت بدقة بواسطة الأعداء. ولهذا فبعد فترة قصوة من هذه المعرك قدم الله تلك الأفكار لأيوب: تظن إنني أتحدث معك بطريقٍ آخر... لكنني سأظهر برّك، ستظهر كحامل الله. في كل الأحوال هذه الشرور أيضًا تحمل شهادة لصالح أيوب.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

ما حدث لأيوب كرمزٍ تحقق في شخص السيد المسيح. وما حدث مع السيد المسيح، إنما فتح الباب لكنيستته كي تشركه آلامه وصلبه. لقد سلّم يهوذا الخائن سيده، أما بالنسبة للكنيسة فيبقى ضد المسيح الكذاب يهاجمها خفية حتى يظهر في أواخر الدهور لمقاومتها علنًا في وجهها. إنها حرب دائمة بين الله وإبليس، أو بين مملكة الظلمة ومملكة النور. في القديم قام أصدقاء أيوب بتمثيل مملكة الظلمة، وفي أيام السيد المسيح ظهرت بشاعتها في التلميذ الخائن المتكاتف مع المقاومين، وبعد صعود السيد المسيح إلى السماء يقاومها أعداء المسيح الكثيرون إلى يوم ظهور ضد المسيح علانية في معركة حاسمة وؤة.

❖ " قام علي هوالى (باطلي) ". يتحدث أيوب عن يهوذا، فقد كان تلميذ السيد (لو ١٤ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣) ورسوله، لكنه وُجد كذابًا (باطلاً يو ١٢ : ٦)، وخائنًا (لو ٦ : ١٦).

❖ " يجابوب (يتحدى) في وجهي ". عندما قلت لتلاميذي: "الحق أقول لكم إن واحدًا منكم سيسلمني" (يو ١٣ : ٢١). تجاسر فقال في وجهي في غير خجل: "هل أنا هو يا سيدي؟" (مت ٢٦ : ٢٥)

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ سيحرب الشيطان عوننا وخصمنا لكي يحفظنا في قبضته. من سيهوب منه؟ ذاك الذي يفهم ما قيل عن الفقير والمحتاج: "الرب يخلصه في يوم الشر" (مز 1:41) [768].

القديس جيروم

❖ لا يشعل العدو الحرب ضدنا مباشرة علنًا، بل خلال حيله. ما هي حيل إبليس؟ إنها تكمن في محاولة أسونا أحيانًا بطرق مختصرة، ولكنه دائمًا يستخدم الخداع... لا يضع العدو التجرب مكشوفة أمامنا. إنه لا ينادي بعبادة الأوثان علانية، لكن خلال خداعاته العربية يقدم الفوص للعبادة الوثنية،

وبالإغواء بالكلام مستخدمًا مهلاته [769].

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ في المعرك العادية لا يقوم القادة بتسليح النساء أو الأطفال أو الشيوخ، أما قائدنا الرب المسيح، فيزرع هذا السلاح الملوكي (الذي هو اقتناء المسيح نفسه) على الكل بالتسوي. عندئذ يعلمهم حيل إبليس العسكرية [770].

الأب ثيودورت

❖ كل قصة (من قصص معرك العهد القديم) تتضمن نوعًا من النصرة والغلبة على قوات الشيطان الروحية [771].

العلامة أوريجينوس

❖ " قام عليّ الكذاب، ضد وجهي يقومني [772] ". حتى في وقت سلامها تخضع الكنيسة المقدسة للكذاب، إذ أن كثيرون لا يؤمنون بالوعد بالحياة الأبدية، وباطلاً يدعون أنهم مؤمنون. وإذ لا يستطيعون مقاومة كراتها علانية تتعرض للكذاب من ظهورها وليس أمام وجهها. وإذ يندلع وقت الشر (أيام ضد المسيح)، فإن ذلك الذي يستخف بالكنيسة يقف بإواك كامل مقاومًا إياها في وجهها، مستخدمًا عبارات صريحة بكلماتٍ يقتبسها من الإيمان الحق. لكن يجب أن نتحقق أننا إذ نواجه مثل هذه الأمور من أيدي أناس جسدانيين هؤلاء الذين يقتلوننا بعنفٍ، فإنهم ليسوا في عنف الروح الشرير الذي يسود أذهانهم ، كقول بولس: "فإن مصلعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء مع السلاطين، ومع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر" (أف ٦: ١٢).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ضُرب المخلص العظيم بالمقرع ، وبالحكم الصادر من الحاكم خرج ليصلب!

أتى إلى خاصته، وخاصته لم تقبله، بل أخرجه بالنوء من عندهم!

خرج ليموت مع الأثمة بغير زلّة ، حينئذ ندم يهوذا - السراج الذي انطفأ من بين أصحابه - وخرى من الفعل الشرير الذي صنعه.

الذي أسلمه رد الفضة للذين امسكوه حيث لوى بنفسه، واعترف أنه أسلمه بالشر... وأيضًا هرب الصالون كأنهم غير قويين، وقالوا: ما

علينا أنت تعرف.

الدم الزكي طوح الوعب على من سفكوه، وبدلوا يرتعون ويرتعون منه قبل أن يهوقه!

القديس مار يعقوب السروجي

"عَضْبُهُ افْتَرَسَنِي وَاضْطَهَدَنِي.

حَرَقَ عَلَيَّ اَسْنَانَهُ.

عَنْوِي يُحَدِّدُ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ". [9]

من هو هذا العدو الذي يفتوسه بغضبه عليه؟ هل أليغاز ومن معه الذين سحقوه باتهاماتهم ضده ظلمًا؟ أو هل الشيطان الذي لن يستريح واحة

إنسان يعبد الله بالحق، فيثير الأثوار عليه؟

وى البعض أنه في ضعفه وى عنوه هو الله نفسه الذي سمح له بالتجرب القاسية، والتي لا يعرف أيوب علةً لذلك. إن كان "غضب الملك

رسل الموت" (أم 16: 14) ، فماذا يكون غضب ملك الملوك؟ لكن واضح من سياق الحديث أنه لا يقصد ذلك.

❖ LXX "جمع غضبه ضدي، وهددني، وصرّ أسنانه عليّ، تطلع إلى عنوي بعينين موهبتين" (أي 16: 9). من هم الأثوار إلا أعضاء الشيطان؟

لذلك يعمل هو بهم بما يضعه في قلوبهم ويلتمون به. فالشيطان حتى الآن يضمّر غضبًا على الكنيسة المقدسة، لكن غضبه يتشتت، لذا يضع تجلّبه

الخفية خلال وكالة أواده...

أسنان هذا العدو هم المضطهون ومنفذو العذابات على الصالحين، الذين يشوهون أعضاء الكنيسة عندما يصيون المحن على مختلبيها باضطهاداتهم لهم. أما عينا هذا العدو فهم الذين يخطون ما هو لضررها للتفويض، وبمشورتهم يلقون ضوءاً على قسوة مضطهديها. لذلك فإن عورها القديم يصير بأسنانه عليها، مادام يصطاد خلال أبناء الهلاك القساة حياة الصالحين فيها. يتطلع عليها بعينين موهبتين، وذلك خلال مشورات الأشرار. فلا يكف عن أن يضع خطأً للمحن لكي يعذبها أكثر فأكثر. وكما أن الحق المتجسد (السيد المسيح) في كورنثوس اختار أشخاصاً فوّاء من العامة وبسطاء، فمن الجانب الآخر الملاك المورث، الإنسان الملعون، سيختار في نهاية العالم للكورة ببطلانه مكرين وملتوين لهم معرفة هذا العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ انظروا كيف كانت الأمة اليهودية زانية!

احتقوت أباهاً وأبغضته من سيناء، ولما تجسد ابنه لخلاصها أمسكته ووضعته على الصليب، ووقفت ترقص وتضحك وتوروي وتوؤأ.

تعال يا موسى، أنظر العروس التي أخرجتها من مصر، ماذا تعمل بعريسها الطاهر!

تعال، انظر الوليمة التي وضعتها أمامه. أحضرت المر، مزجت الخل، استلت السيف. عوض المن أعطته الخل. عوض المياه العرة التي جعلها لها حوة، وضعت له المر في المياه الحوة.

الكرمة المختلة صنعت عنباً رديئاً.

القدّيس مار يعقوب السروجي

"فَعْرُوا عَلَيَّ أَفْرَاهِمُ.

لَطْمُونِي عَلَيَّ فَكِّي تَغْيِيرًا.

تَعَاوُنُوا عَلَيَّ جَمِيعًا. [10]

أما بالنسبة للسيد المسيح الذي تكاتفت كل قوى الشر ضده، فقد قيل عنه: "فَعْرُوا عَلَيَّ أَفْرَاهِمُ" (مز 22: 13)، كما قيل: "يضربون قاضي إسرائيل بقضيب على خده" (مي 5: 1)، وقد تحقق ذلك حرفياً (متى 26: 27).

❖ "لطموني على خدي، كملوا ملء عقوباتي" (أي 16: 10) ... هكذا يلطم الأشرار خد الكنيسة المقدسة عندما يضطهون الكارزين الصالحين.

يظن الخطاة المفقودون أنهم يملسون عملاً عظيماً حين يضعون نهاية لحياة الكارزين.

بعد اللطم على الخد لاق القول: "كملوا ملء عقوباتي"، فإن هذه العقوبات تكمل شعبهم، هذه التي تؤدب ذهن الكنيسة بطريقة خاصة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ حجّوا عينيّه واستهزّوا به، ولكموه، وقالوا له: تنبأ لنا من الذي ضربك!

لطموا بالقصبه الرأس المرتفع، فارتعبت الملائكة!

بهذه الأمور الفاسدة الشورة كافؤه بجنون!...

صلروا في جنون ليحجّوا وجه شمس البرّ، لئلا يُشروق، فينظر العالم فسادهم.

حجبت العروس الجاهلة العريس، لئلا ينظر فجرها وفسادها.

حجّوا الطبيب، لئلا يضمّد جراحاتهم ويشفيهم!

أنظر في المسيح، كم احتمل من الأثمة!؟

ذاك الجاهل كيف تجاسر وتفل في وجهه!

كيف تجاسرت أيها اللسان أن تتضح بالبصاق!؟!...

كيف احتملت أيتها الأرض هوء الابن؟! ...

نظرة مخوفة، مملوءة دهشاً، أن ينظر الإنسان الشمع قائماً ويتقل في وجه الالهيب...

وهذا أيضاً من أجل آدم حدث، لأنه كان مستحقاً البصاق لأنه زل! وعود العبد قام السيد يقبل الجميع!

قدم وجهه ليستقبل البصاق، لأنه وعد في إشعياء أنه لا يرد وجهه عن احتمال حزي البصاق!...

شفق سيد (آدم) على ضعفه، ودخل هو يقبل الحزي عوضاً عنه!

القديس مار يعقوب السروجي

"دَفَعَنِي اللهُ إِلَى الظَّالِمِ،

وَفِي أَيْدِي الأَشْوَارِ طَرَحَنِي". [11]

لم يكن للأشوار سلطان على ربنا يسوع المسيح، لكنه إذ قبل أن يكون ذبيحة إثم عن العالم، حباً في البشوية وطاعة للآب محب البشر، أعطاهم سلطاناً من فوق (يو 19: 11).

هكذا كانت تطلعات أيوب البار، كان يحسب أن كل حياته في يد الرب، حتى ما يصيبه من الأشوار إنما بسماع من الله، لذا يقول: "دفعني الله

إلى الظالم". بنفس الروح عندما سبَّ شمعي داود النبي حسب ذلك من قبل الله (2 صم 16: 5-13).

يستخدم الله حتى الأشوار مع تمتعهم بكامل حربتهم ليكونوا سيفاً ضد الأشوار اخوتهم، أو لتأديب ولأده (إش 10: 5) أو تركيتهم.

❖ يقول أيوب إن هذا يتم بواسطة "الله". واضح أنه يقصد الآب، لأن الابن الوحيد خضع لهذه (الآلام)، ليس فقط بكامل رادته، بل وأيضاً حسب رادة أبيه، لأن رادة الآب والابن واحدة، إذ يريد أن يتم عمله العجيب لأجلنا، ويتألم لأجل خلاصنا. حسناً! لنقلن كلمات أيوب هنا بكلمات المخلص...
"دفعني الرب إلى الظالم"، أي إلى قيافا، هذا الذي استجوبه قائلاً: "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله" (مت 26: 63). وقد نال إجابة لم يكن يستحقها، ولكن من أجل أنه استحلفه سمع هذه الإجابة على سؤاله: "من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وأتياً على سحب السماء" (مت 26: 64)، فعزق قيافا ثوبه كمن هو أمام مجدف.

"وفي أيدي الأشوار طرحني"، أي في حضور قيافا وقادة اليهود الآخرين. إذ كيف لا يكونون أشورا، هؤلاء الذين صرخوا لبيلاطس: "خذ هذا (للموت)، وأطلق لنا بلاباس، هذا الذي طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة، وقُتِل" (لو 13: 18-19).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

"كُنْتُ مُسْتَرِيحًا فَوَعَنِي،

وَأَمْسَكَ بِقَفَايَ فَحَطَمَنِي،

وَنَصَبْتَنِي لَهُ هَدْفًا". [12]

كان أيوب مستريحاً في تمتعه بخوات الرب الزمنية له قبل التجربة، لكنه في وسط التجربة شعر أن كل ما يحدث له ليس خرافاً، ولا هي أحداث عارضة. إنما كأن الله قدز وعوه، وأمسك بعنقه، كما يمكك الأب ابنه في ثورته. كأنه اختلره من بين كل البشوية لينصبه غرضاً أو هدفاً له يُوجه إليه كل سهامه، كأن الله قد أفرزه لهذا الهدف.

❖ LXX "حين كنت مستريحاً زوعني، وأمسك بشوي واقتلعه" (). بحق يمكن القول بأن السيد المسيح يدعورسله "شوه" ماداموا زينة الرأس، فقد كان معهم هو في سلام. لكنهم إذ توكوا المسيح بسبب الآلام، تشنت التلاميذ، ولهذا قال أيوب هذه العبارة. كيف تحقق ذلك؟ قال المسيح نفسه لتلاميذه: "كلكم تشكون في هذه الليلة" (مت 26: 31) ... أضاف يسوع بعد ذلك: "لأنه مكتوب: إني أضوب الراعي، فتنبتد خراف الرعية" (مت 26: 31)؛
زك 13: 17).

❖ نحن ننظر ونتعجب بالظافر الذي وقف في المحكمة. ابن الأحرار الذي لطم على خده، الشمس الذي احتضن العمود (الذي رُبط السيد حوله ليُجلد)، النار التي تُجلد بالسياط (مت 27: 26)،
النور الذي تحتوه الظلمة (يو 8: 12؛ 1: 5)،
رب جوائيل الذي ضربه عبد قيافا (يو 18: 22)،
شبل الأسد الذي تنهشه الثعالب الحقوة (هو 5: 14).
البحر الكبير الذي يحكم عليه الزاب.
المخوف الذي على الكاروبيم ركب شجرة الصليب.
واهب السوسن المجد، والورود الألوان المتنوعة (مت 6: 28)، معلق علوياً في عارٍ.
غرس الفودوس يُعطى له الخل والوراة (تك 2: 8؛ مت 27: 34).
اللهب يُطعن بالحربة (يو 19: 34).
مكلل الشمس بالأشعة وُضع على رأسه إكليل شوك (مت 27: 29) [774].

القديس مار يعقوب السروجي

"أَحَاطْتُ بِرِمْأَةِ سِهَامِهِ.

شَقَّ كَلْبِيَّيَّ، وَلَمْ يُشْفُقْ.

سَفَكَ مَوْلَاتِي عَلَى الْأَرْضِ. [13]

حسب أيوب الذين ساهموا في حلول بلاياه أشبه برمأة خاصين بالله، صدر إليهم الأمر الإلهي بتصويب سهامهم نحوه. وقد جاءت السهام صائبة، بلغت إلى كلبتي أيوب فشقتها دون رحمة، كأن غاية السهام هي قتله بلا شفقة.

" سَفَكَ مَوْلَاتِي عَلَى الْأَرْضِ " . أخذ هذا التشبيه عما يفعله الصيادون حينما يصطادون وحشاً برياً ويذبحونه، يلقون بولته على الأرض في اشمواز. حسب نفسه قد صار بالفعل قتيلاً مُستهدفاً.

"يَقْتَحِمْنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامِ.

يَهْجُمُ عَلَيَّ كَجَبَّارٍ". [14]

لم يُصب أيوب بضربة واحدة قاضية، يموت فيستريح، لكنه أُصيب بضربات متوالية، ضربة تلو الأخرى، وروح على روح. فمن جهة لم يستوح بموته، ولا أخذ أنفاسه بين الضربة والأخرى، بل صار يتوقع المزيد، فلا أمل من انتهاء متاعبه، أو حتى التوقف عند الحد الذي بلغ إليه.

ربما شعر كأن الله يقتحمه كجبارٍ ، كما كان الملوك القساة حين يغلبون يأتون بأعضاء الأسوة الملكية المنهزمة، ويلقون بهم على الأرض، ويطأ الملك بقدمه على رقابهم، كروح من الاستعباد والإذلال والتشهير بهم.

وي الأب غريغوريوس (الكبير) أن أيوب يتحدث عن عدو الخير الذي لن يتوقف عن اقتحام الكنيسة ليسلب الأعضاء الضعيفة كأسرى تحت سلطانه، فيهجم على الكنيسة كملدٍ جبارٍ. يحارب العدو الكنيسة كجماعةٍ، كما يحارب كل عضوٍ فيها بكل الوسائل الممكنة، حتى يحطم إن أمكن الكثرين.

❖ "يَقْتَحِمْنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامِ". تنكسر الكنيسة المقدسة باقتحامٍ على اقتحامٍ خلال أعضائها الضعيفة، عندما تُضاف خطية على خطية، حتى يبلغ الإثم إلى توجيةٍ خاطئةٍ. ينطبق هذا على من يدفعه الطمع إلى السوقة، والسوقة إلى الخداع، فيدافع عن الخطية بالكذب...

" يلتقي به مثل المراد" (LXX). يمكن مقاومة العدو بسهولة إن كان الشخص لا يوافق، سواء من جهة الارتداد عن الإيمان أو الاستمرار فيه. ولكن إن اعتادت النفس على الخضوع إلى افئذاته، فيقدر ما تخضع لها، يصعب عليها جداً أن تصلح ضده في قليل أو كثير. عدونا الشيرير " مثل مراد " يحلب ضدها عندما تُغلب بعبادة شوية. ولكن غالباً ما ترد الكنيسة المقدسة أذهان المؤمنين إلى التوبة، حتى بعد ارتكاب الخطايا وتغسلها من مملسة الخطايا بفاعلية تأديب الإنسان لنفسه باختيله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

قدم لنا القديس مار يعقوب السروجي في رسالته (19) التي أرسلها إلى دير مار اسحق جولا صورة حية عن مقاومة إبليس للبشرية. يقول إنه بدأ حربه بالكذب (يو 8: 44) ويود أن ينيها بالضلال.

في الجيل الأول في جنة عدن، ألقى العدو بين الله وصورته (آدم وحواء).

وفي الجيل السابع علم الإنسان الزنا، ودنس أولاد الله (وُلاد شيث الطاهر) ببنات قايين الطريد وجمالهن المزركش.

وفي الجيل العاشر امتلأت الأرض بالأثمة. أرسل الله الناموس الإلهي، يمد يد موسى كمصباح ينير الأرض التي أظلمت.

وفي الجيل الرابع عشر امتلأت الأرض بعبادة الأصنام، ونُسي الله حتى في وسط شعبه. فرسل الله إيليا النبي - موسى الثاني - ليعلن عن غيرته على مجد الله ضد الضلالة.

وفي آخر الأمانة أرسل الله ابنه متجسداً، وصار واحداً منا، ليجعلنا معه ومثله، وأعطانا نفسه ليأخذنا لأبيه، وتول إلى أسفل العمق لوفعنا إلى قوة العلو، وتواضع غاية التواضع ليحتقر بتواضعه الأثيم ذلك الذي أراد أن يصير إلهاً بالاختلاس.

❖ يشن العدو حرباً ليخوج (الوء) من شكل إلى شكل آخر. وعندما يخرج من ذلك الشكل، يبدأ يلوم نفسه بأفكار الكآبة التي يلقيها الشيطان في عقله، فيفكر أنه أساء التصوف يوم بدّل عمله والتحق بعملٍ آخر.

إنه يقلقه في كل الفوص، وفي كل ما يعمل، لكي يستقطبه، جاذباً إياه إلى مشوراته الماكرة والمعاكسة [775].

القديس مار يعقوب السروجي

"خَطْتُ مَسْحًا عَلَى جَدِي،

وَدَسَسْتُ فِي التُّرَابِ قَرْنِي". [15]

لم تعد ثيابه الفاخرة تليق بجسمه المملوء قروحاً، ولا تناسب من هو في كربٍ كهذا، لهذا خاط لنفسه مَسْحًا؛ خاط المسح بنفسه، إذ لا يوجد من يشفق عليه ليخيطه له وسط آلامه الشديدة.

كان "القرن" يشير إلى السلطة والقوة؛ فداس بنفسه في التراب قونه، علامة رفضه التام أية كرامة أو رفعة. لقد حسب أيوب أن التراب هو أفضل موضع لا للجلوس في وسطه فحسب، بل وليودم فيه كرامته وسلطانه.

❖ ماذا يقصد بالمسح والرماد سوى الندامة، والجلد والجسد سوى خطايا الجسد؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

"إخمرٌ وجهي من البكاء،

وعلى هُدْبِي ظِلُّ المَوْتِ". [16]

لم يفقد أيوب الوح فحسب، وإنما صار الوقت لائقاً أن ينرف الدوع من أجل خطاياها، ومن أجل تأديبات الرب له، وقسوة أصدقائه عليه، فصار وجهه محمواً من البكاء، وحملت عيناه علامات الموت.

العجيب أن أيوب قد أحمر وجهه كله، وليس فقط عيناه، وذلك بالدوع الكثيرة، لكنه لم يخش الموت، إذ صار بلا سلطان عليه. رآه ظلاً عاوياً

بعد أن قاد المسيح بنفسه عجلة الموت ليحطم بها الموت نفسه، ويهبنا قوة قيامته. هذا ما تتغنى به الكنيسة مسبحة القائم من الأموات: "بموته داس الموت!"

❖ " **على جفون عيني ظلال الموت** " (أي 16: 16). ليس الموت بل " **ظلال الموت** "، لأن المخلص نائم. لهذا تنبأ الأب يعقوب عن موت المخلص من أجلنا، ناطقًا بالكلمات التالية في بروكته: "من نسلي يا ابني تصعد، **توقد** كأسد ومثل شبل، ومن عندئذ **يوقظه**؟" (راجع تك 49: 9). فإنه ليس بمحتاج إلى أحد يوقظه، هذا الذي يقيم كل البشرية. إنما قام بنفسه برادته.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ **LXX "جفوني أظلمت"** () : بحق لقوا أولئك الذين يؤمنون على الحواسة من أجل أمان سبل الأقدام بالجفون. ولكن لا يقدر الولاية الحلسون على فهم أحكام الله السوية، " **جفون** " الكنيسة المقدسة " **تظلم** ".
❖ استخفت الحياة بالموت، قائلة: "أين شوكتك يا موت؟ وأين غلبتك يا هاوية؟" (1 كو 15: 54-55).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ استخفت الحياة بالموت، قائلة: "أين شوكتك يا موت؟ وأين غلبتك يا هاوية؟" (1 كو 15: 54-55).
في نهار الأحد فُتح لهم باب السماء الذي كان موصدًا يوم الجمعة في وجه الملائكة لئلا يتولوا إلى الجلجثة، فأسرعوا لينحدروا بثيابهم البيض، ليستقبلوا ملكنا الذي خلص المسيبين وعاد عند أبيه.

صار القبر الجديد بيت العرس، أنشأ في الحديقة للعريس المذبح، الذي أعاد العروس من حرب الأعداء.
اجتمع وحضر إلى الباب الحسن الملائكة في ثيابهم البيض، والتلميذات بأطيابهن (لو 23: 56). سمعان ويوحنا وكسان بسبب الأخبار السرة (يو 20: 3-8). كليوباس وأخوه (سمعان) تفتتح أعينهما بخبز البركة لينظرا القيامة علنًا. الأصدقاء يكشفون عن وجوههم، والمبغضون يطأطئون رؤوسهم.

حنان خجل، وقيافا لا يستطيع أن يتكلم.
يهودًا مشنوق، ورؤساء المجمع يلطمون على وجوههم.
أغلق باب الهاوية، وفُتح باب المعمودية.
نُصب الصليب في مجري المياه.
جاء القطيع الناطق ليروي من المياه التي سالت من الصليب.
نظر إليه وهو لابس النور، وواقف على الينوع، فحبل وولد على شبه منظر نوره الحسن.
لبس بياضًا ناصعًا كالنور، وجعله أبيض كالثلج...
القطيع كله أبيض، لأن الصليب كله متشح بالنور [776].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ بعد أن جاء المسيح ومات لأجل حياة العالم لم يعد يُدعى الموت موتًا، بل نومًا ونياحًا [777].
❖ أما تعرف كيف أصلح الصليب أخطاء كثرة؟ ألم يحطم الموت، ويمسح الخطية، وينهي قوة الشيطان، ويشبع كيان جسدنا الصالح؟ ألم يصلح العالم كله، ومع هذا لا تتق أنت فيه؟ [778].
❖ من يخبر عن أعمال الرب القدوة؟ (مز 105: 2) من الموت صورنا خالدين، هل فهِمتم النصوة والطريق التي بلغت؟ تعلموا كيف أقتنيت هذه الغلبة بدون تعب ووعق. لم تتلخ أسلحتنا بالدماء، ولا وقفنا في خط المعركة، ولا جرحنا، ولا رأينا المعركة، لكننا اقتنينا المعركة. **الجهاد هو (تمتعنا) بمسيحنا، وإكليل النصرة هو لنا.**

مادامت النصوة هي لنا، إذن يليق بنا كجنود أن نوتل اليوم بأصوات موفحة بتسابيح الغلبة. لنسبح سيدنا قائلين: "قد أبتلع الموت إلى غلبة. أين غلبتك يا موت أين شوكتك يا هاوية؟" (1 كو 15: 54-55) [779].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. التجوُّه إلى الله العادل

"مَعَ أَنَّهُ لَا ظُلْمَ فِي يَدِي،

وَصَلَاتِي خَالِصَةٌ". [17]

بقيت شهادة ضموره باستقامة لا تفرقه، إذ لم يذكر أنه ارتكب ظلمًا في حق إنسانٍ ما، ولا رفع صلاةً من أجل أمورٍ زمنيةٍ، ولا بسط يديه للصلاة وقد دنسهما بظلم ما.

❖ "لم يكن في يده ظلم" (أي 16: 17)، قيل عن المخلص في الكتاب المقدس الموحى من الله: "لم يفعل إثمًا، ولا وجد في فمه غش" (إش 53: 9). "كانت صلواتي نقية"، إذ كان المخلص نقيًا حتى من الغضب والسخط. كان واضحًا لليهود الذين صلوه أنه صلي: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو 23: 34). لذلك كان أيوب نبيًا وحاملًا لله، هذا الذي استطاع بكلمات يقينية أن يرى آلام المسيح كما لو كانت قدمه. لهذا تكلم عن شخصه بقصد إظهار الآلام لأسلاف الشعب اليهودي حتى صار ممكنًا للناس إواكها جيدًا، بعد ذلك قدم لنا ذات الحدث. لم يقدم حديثه البار عن افتخار، وإنما ليقود أصدقاءه، وكل الأجيال التالية للإقتداء به. في حديثه ترك لنا ختمًا صالحًا، صلواته النقية.

إنها توي وتعين الصديقين على نقوة الصلاة، إذ يتأهلون للإيمان. إنهم يحفظون الصلاة النقية بنفس الطريقة التي يفهمها بولس أيضًا: "أريد أن يصلي الناس في كل موضع، رافعين أيادي مقدسة، بدون سخط أو ريب" (1 تي 2: 8). لأن الصلاة تكون طاهرة عندما تكون الأيدي طاهرة من الطمع ومن كل وصمة. لنعرف هذا، كيف يكون الإنسان براء ما لم يكن ذلك بسبب إنسانه الداخلي (رو 7: 22) المتحرر من الضغينة، ولا يسقط في الشك عندما يصلي. فإنا نتكلم مع الله نفسه، ونقترب إلى الملك العظيم الذي يغسلني تمامًا من إثمي، ويطهوني من الخطية (مز 51: 3).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كما أذكر إنني قلت بأن الطوبولي أيوب، وهو يحمل رمزًا للكنيسة المقدسة، يستخدم أحيانًا صوت الجسد (الكنيسة)، وتلوة صوت الرأس (السيد المسيح). وبينما يتكلم عن أعضائها، فجأة يتحدث بكلمات رأسها. لذلك يضيف هنا: "لقد عانيت من هذا دون إثم يدي، بينما أقدم صلواتي الطاهرة LXX لله" (). لقد عانى دون إثم من يده، هذا الذي لم يفعل خطية، ولا وجد إثم في فمه" (1 بط 2: 22). ومع هذا فإنه احتمل ألم الصليب لأجل خلاصنا. إنه وحده فوق كل الآخرين صنع صلوات طاهرة لله، إذ في احتمال كُوب آلامه صلي من أجل مضطهديه، قائلًا: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو 23: 24). كيف يمكن وصف نقوة صلاة أكثر من هذه؟ من يقدر أن يفهمها أكثر من هذا؟ إنه يمنح حنو شفاعته حتى للذين ملست أياديهم الألم، فإن ذات دم مخلصنا الذي سفكه مضطهوه في ثورتهم صاروا يشوبونه بعد إيمانهم به، معلنين أنه ابن الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تقوم نقوة صلواته من هذه الظروف، أنه ليس بالأمر غير اللائق بالنسبة له إن سأل المغوة في صلواته مادام بالحق يقدم عونًا بنفسه عن الغير [780].

القديس أغسطينوس

❖ تحرك بالصلاة، وأطلب الحنان بقواضع، وخذ من واهب الحسنات...

إنه هو القابل كل الصلوات والطلبات، لا تدخل صلاة لأبيه بدونه، ولا تفرج عطية منه إلا بيديه...

لقد قبل صلاة حنة في هيكل القدس، وخرج إليها بالراح من بيت أبيه.

لقد أنصت إلى صلاة يونان في جوف الحوت، وأدخلها إلى أبيه كتقدمة.

لقد أنصت إلى الفريسي والعشار في هيكل القدس، لما قاما للصلاة وسمع الطلبة...

إنه يسمع لجميع المسكونة، ولا ينسى أن يقدمها كما خدمت...

❖ الصلاة النقية تجد طريقها لدى الله، فهي تتحدث إليه، تسمعه وتثق فيه.

❖ لا تضجر في طلبك. لا تفكر بأن طلبك يعود فرغاً.

لا نقل: طلبت كثراً ولم أجد، ولعلني لا أجد أبداً [781].

القديس مار يعقوب السروجي

"يا رُض، لا تُغْطِي دمي،

وَلَا يَكُنْ مَكَانَ لِصُؤاخِي". [18]

يفسر البعض هذه العبارة بأنه رى أصدقاءه قد سفكوا دمه الويء بصب اتهامات باطلة ضده، فيطلب من الأرض أن تشهد له ضدهم، وألا

تحجز صرخاته في موضع ما، بل تتركها تصعد إلى الله في الأعلى.

إن كان أصدقؤه قد اتهموه بالشر والرياء، فما هو يُشهد الأرض إن كان قد سفك دمًا بريئاً أو ارتكب جريمة ما فلتكشف عنها وتعلنها (تك 4:

10-11؛ إش 26)، ولا تكتنم نفسه فلا يصوح.

❖ "لا تغطي لييت صواعات أيوب لا تُنسى، لييت عرق اضطرابي ذاته لا يُوع، هذا الذي يتصيب في مملسة الفضيلة، أنا الذي لرتديت كل أنواع

أعمال الصبر. لييت قروح الصديق تُكشف لعيون العامة، حتى يطهروا أنفسهم بالوغبة في الإقتداء به.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

❖ LXX تذكروا ضموره الطاهر وصلاته التي بلا عيب: "يا أرض، لا تغطي دم جسدي" (أي 16: 18)، حتى تتوجه صلته كبخور نحو الرب (مز

141: 2)، ولا تُودع في الأرض.

صلاة القديس تخترق السحاب (سواخ 35: 17)، أما الأرض فتفتح فاهها وتخفي صلاة الخاطيء في دم الجسد، كما قال الله لقائين القتال:

"ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك، مادمت أنت رُضاً" (راجع تك 4: 11-12) [782].

القديس أمبروسيوس

❖ LXX "آه يا أرض لا تغطي دم جسدي، لييت صرختي لا تجد موضعاً لتخفي فيك" (18). قيل للإنسان عندما ارتكب الخطية: "أنت راب (رُض)،

والتي راب تعود" (تك 3: 19). "هذه الأرض لا تغطي دم مخلصنا، حيث كل خاطي يأخذ لنفسه ثمن خلاصه، فيعتوف ويسبح ويعلم ذلك لكل

أقربائه ما أمكن. علاوة على هذا فإن الأرض لم تغطِ دمه، حيث أن الكنيسة المقدسة كرزت بسر خلاصه في كل أجزاء العالم.

لاحظوا ماذا يضيف: "لييت صرختي لا تجد موضعاً لتخفي فيك". لأن ذات دم الخلاص الذي يؤخذ هو نفسه صوخة فادينا. يقول بولس: "و دم

الرش يتكلم أفضل مما لهابيل" (عب 12: 24). قيل عن دم هابيل: "صوت دم أخيك يصوح إلي من الأرض" (تك 4: 10). أما دم يسوع فيتكلم بأمر

أفضل مما لدم هابيل، لأن دم هابيل جلب موت أخيه، أما دم الرب فربح حياة لمضطهديه. لذلك فإن سرّ آلام ربنا لا تكون بلا نفع فينا، بل نلتزم أن نقنّدي

بما نأخذ ونكرز بما نعبده.

"أَيْضًا الْآنَ هُوَذَا فِي السَّمَوَاتِ شَهِيدِي،

وَشَاهِدِي فِي الْأَعَالِي". [19]

لكيلا يُتهم من جديد بأنه متكبر ينسب لنفسه وَاً ذاتيًا، يطلب من السماء أن تشهد له، والساكن فيها أن يعلن عن استقامته.

❖ إن سألت: وأين شُهد له؟ أجبتك: في الأردن قائلًا: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت 3: 17)...

أوضح أنه ليس في الله صوت، وليس له صورة، لكنه هو أعلى من كل الأشكال والنعيمات التي هذه صفتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "شاهدي في السماء" ليس بسبب غناه، فإن الله ليس في حاجة إلى مكافأة، هذا الذي لا يخشى أعمال العدوة، ولا ينشغل بمحبة العالم (مت 6: 19-02).

"ومدفعي في العلا"، هذا الذي يعرف بالأكثر الأعمال والكلمات وتحركات الأفكار، هذا الذي يقدم لنا ذكوى أيوب التي لا تُنسى محفوظة في الأسفار الإلهية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "أيضًا ها شاهدي في السماء، وزمالة قلبي في العلا" (أي 16: 19 LXX). فعندما قول الابن إلى الأرض كان له شاهد في السماء، إذ أن الأب هو شاهد لابن، الذي قال عنه في الإنجيل: "الأب نفسه، الذي أرسلني، يشهد لي" (يو 5: 37). بحق أيضًا دُعي "زمالة قلبي"، إذ لهما رادة واحدة، ومشورة واحدة، يعمل الأب دومًا في اتحاد مع الابن...

يمكن أيضًا أن ينطبق هذا على صوت جسده، الكنيسة المقدسة، التي تحتل مآسي هذه الحياة، من أجل النعمة العلوية التي تقودها نحو المكافآت الأبدية.

إنها تستنق الموات الجسدي، إذ تهدف نحو مجد القيامة. ما تعانیه مؤقت، وما تتوقعه أبدي. ليس لها شك من جهة هذه البركات الأبدية. فإنها ترى بالذهن قيامة جسده، فنتقوى جدًا أن يكون لها الرجاء، فتحسب ما قدرته قد عبر وأسهل. وتتوجى نون شك أن يتحقق في جسده، أي فيها... هكذا ليت الشعب المؤمن حين يعاني من خصومة، عندما يزعج بضيق مرة، يرفع عقله إلي الرجاء في المجد العتيدي، ويثق في قيامة الفادي، قائلًا: "الآن أيضًا رى شاهدي في السماء، وزمالة قلبي في العلا".

بحق دعاه "زمالة"، إذ قد تعرف على طبيعتنا ليس فقط بخلقتها، وإنما أيضًا بأنه اتخذها لنفسه. فقد تحققت معرفته بأن اتخذ ما لنا...

لكن يمكن أن ينطبق هذا الصوت على كل واحد منا مع الطوبوي أيوب، فإن كل إنسان يهدف نحو المديح البشري فيما يفعله يطلب شاهدًا على الأرض. أما المشتاق إلى مسوة الله التقدير بأفعاله، فيفكر أنه له شاهد في السماء.

غالبًا ما يحدث أن الأعمال الصالحة نفسها فينا تُحسب خاطئة بواسطة أناس طائشين، أما الذي له شاهد في السماء، فلا حاجة له أن يخاف من توبيخات البشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إذ يحصل الحكماء على الخرات، يرسلون جزءً منها أمامهم، كما قال أيوب: "شهودي في السماء" (أي 16: 19). وأيضا: "إخوتي ومحبي مع الله" (أي 16: 20). ويأمر ربنا الذين يحرزون ممتلكات أن يصنعوا لهم منها أصدقاء في السماء، وأن يكتزوا لهم هناك كنزًا [783].

القديس أفراهام

"المُسْتَهْرُونَ بِي هُمْ أَصْحَابِي".

لم يقف أصدقؤه عند مقاومته فحسب، بل صاروا يشَّهرون به ويتأمرون عليه. إنه لا يتوقع منهم لطفًا ولا تغوية، إنما يسكب دموعه أمام الله وحده مصدر كل تغوية، مقدمًا له ذبيحة القلب المنكسر والمنسحق الذي لا يوذله! استهزأ الأصدقاء بصرخاته، فقدم دموعه تقدمه خالصة لله رجاء التعابى.

❖ " ليت طلباتي تأتي أمام الرب ". فإنه إن بلغت صلاتي العلا، يهلك أعدائي (مز 92: 2)؛ الصديق يثبت (حك 5: 1)، الشبكة تتكسر، والعصفور إذ يتحرر يطير في حرية (مز 124: 7)؛ والمضطهون يحنون رؤوسهم، والمضطهدين يفحون (مت 5: 10-12).

❖ "ولتبتك عيناى أمامه". لقد قال عن عمدٍ "أمامه"، أي أمام الله. بلباقة أضاف أيوب ذلك، لأن البكاء أمام الناس لا نفع له تمامًا بالنسبة للذين يصلون. فإنهم حتى إذا توبنوا بأفكار حكيمة، فمن الجنون أننا نقبل مجداً من الناس.

لكن فلنسكب دموعنا أمامه (مز 56: 8)، فقد ما نتوك دموعنا تفيض في الصلاة أمام الرب يهرب المخادعون وينحلون (مز 5: 6)، بينما يلتحف الملك بالحنو.

فإن الدوع تغسل النفوس والأجساد، وتطهر كل دنس وتطهر بالكامل كل وصمة وتجعل الباكين يظهر أبيض من الثلج (مز 51: 9).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "LXX" أصدقائي مملوعون كلمات، وأما عيني فتسكب دموعًا لله" ()، ماذا يعني بالعين إلا نية القلب؟ "إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نوا" (مت 6: 22).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"لَكَيْ يُحَاكِمَ الْإِنْسَانَ عِنْدَ اللَّهِ،

كَابْنِ آدَمَ لَدَى صَاحِبِهِ". [21]

يعلم أيوب أن ليس من إنسانٍ يمكنه أن يقضي لصالحه، لكنه يقف أمام الله فاحص القلوب والعالم بالأفكار والنيات، هو وحده يقدر أن يحاكمه فيبره خلال نعمته الغنية.

روى الأب هيسيخيوس الأورشليمي أن الإنسان المُشار إليه هنا هو ابن الإنسان، الابن الذي تجسد لأجلنا (يو 1: 12؛ رو 3؛ 1 يو 4: 2، 2 يو 7)، الجالس عن يمين الأب (مز 110: 1). يشفع فينا كمساوٍ للأب في الكرامة الملوكية، ويفند اتهامات إبليس المفقوي علينا.

"إِذَا مَضَتْ سِنُونَ قَلِيلَةً،

أَسْئَلُكَ فِي طَرِيقٍ لَا أَعُودُ مِنْهَا". [22]

شعر أيوب أن الموت على الأبواب، تعبر سنوات قليلة فيدخل إلى بيته الأبدى، ولا يعود بعد إلى هذا العالم.

❖ "سنواتي محصية، ونهايتهم قادمة" (أي 16: 22)، بمعنى إنني لست أسأل هذا باطلاً، وإنما لأن نهاية حياتي قد بلغت، وانتهيار تلك الحياة قريب!... "إنني أذهب إلى الطريق الذي ليس له عودة، هذا الذي قال عنه داود: "أنا سائر في طريق البشر كلهم" (1 مل 2: 2).

الروح إلى هنا، أي أسفل، أمر مستحيل بالنسبة للإنسان. يشهد داود النبي نفسه عن ابنه الذي مات، قائلاً: "أنا ذاهب إليه، أما هو فلا يأتي إلي" (2 صم 12: 23). من جانب آخر، فإننا إذ نذهب في طريق يستحيل بعده العودة إلى هنا، لنبادر ونهيب زاد السفر، أي الفضائل. في هذا الطريق لا نروع ولا نعطش، ولا نتوى ولا نفقد مجد الحياة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

أترك أيوب أنه لن يأتي المسيا في عصوه، وقد جاءت سوة الأب سيسوى الكبير *Abbot Sisoës the Great* كيف يتهلل المؤمن الحقيقي

بلحظات خروج نفسه من هذا العالم، وإن كان في شعره بضعفه يطلب فرصته للبقاء من أجل التوبة. قيل عنه إنه لما أوشك أن يغادر العالم قال: "انظروا، فإن الأب أنطونيوس قادم"، وبعد قليل تتم قائلاً: "ها قد جاءت صفوف الأنبياء"، ثم قال: "مصاف الوسل قادمون". وفي كل مرة كان وجهه يشوق أكثر بهاءً. في لحظة بدا كأنه يكلم أحداً، فسأله الحاضرون: "من هو المتحدث إليك يا أبانا؟" قال: "ها إنني أرى الملائكة الذين جاؤوا ليستلموا نفسي. لكنني استعطفهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب". فقال له الشيوخ: "لا حاجة لك إلى التوبة يا أبانا" فقال لهم الشيخ: "في الحقيقة لا أظن أنني قد بدأت بعد". فأيقن الجميع أنه في قمة عالية جداً من القداسة والكمال. أضاء وجهه كالشمس، فخاف الحاضرون، أما هو فأعلن لهم: "انظروا هوذا الرب قد جاء، وهو يقول: احضروا لي إناء التوبة". وللحال أسلم روحه، فصار في الموضع ما هو أشبه بالوق، وامتلاً البيت كله رائحةً زكيةً ^[784].

إذ حطم الرب سلطان الموت، وأشرق علينا ببهاء قيامته، صار المؤمنون يبكون، لا خشية الموت بالنسبة لهم أو لأحبائهم، لكنهم بالأكثر يبكون على خطاياهم كما يبكون شوقاً للانطلاق إلى السيد المسيح.

❖ بحسب النظام الطبيعي نبكي من أجل الأموات، هكذا يليق بنا أن نبكي من أجل خلاصنا، بطريقة لا يُعلي عليها.

نبكي بشوقٍ هكذا وشجاعة حتى يكون كل شيءٍ لخدمتنا... لتتذكر الخلاص.

الذين يفقدون أبناءهم وزوجاتهم لا يفكرون في شيءٍ سوى الذين فقوهم، بينما نحن الذين فقدنا ملكوتنا سماوياً نفكر في أي شيءٍ ماعداً هذا. ليس من إنسانٍ يفقد والده (أو والدته أو أحد أقربائه) يخجل من الخضوع لناموس الحزن، حتى وإن كان من سلالةٍ ملوكيةٍ. فإنه يسقط على الأرض ويبكي بورة، ويستبدل ثيابه، وبلادته يملس كل التصرفات التي تليق بمثل هذا الزمن.

هذا لا يقوم بناء على ترويبٍ، ولا عن ضعفٍ يخص مثل هذا الحزن، وإنما يملس هذا كله نون أية صعوبة... وأما نحن الذين نحزن، لا على زوجة، ولا على طفلٍ، بل على نفسي، لا لآخر، بل على نفوسنا، فنقدم عزراً لأنفسنا بدعوى تعب الصحة أو أننا أصحاب تعليم عالٍ... لكننا نهمل حتى ما لا يتطلب مجهوداً جسمانياً.

إنني أسأل: أي مجهود نحتاج إليه لممارسة ندامة القلب، والسهر في الصلاة، والتفكير في خطايانا؟... هذه الأمور التي تجعل الله متوقفاً بنا. لكننا لا نفعل مثل هذه ^[785].

القديس يوحنا الذهبي الفم

صَوَّر لنا كاتب **سوة القديس أوام السرياني المنسوبة للقديس غريغوريوس النيسي** كيف كان مهتماً أن يسكب الدوع من أجل التمتع بالخلاص الأبدي.

[عندما بدأت أتذكر فيضان دموعه، بدأت أنا نفسي أبكي، إذ كان يصعب جداً أن أعبر بعيون جافة خلال محيط دموعه.

لم يوجد قط نهار أو ليل أو جزء من النهار أو الليل، أو أية لحظة، مهما كانت قصوة، لم تظهر فيها عيناه الساهوتان تسبحان في الدوع. وكما قال، إنه أحياناً كان يبكي من أجل شقاء الكل وغبوتهم بصفة عامة، وأحياناً كان يبكي من أجل رذائل معينة. تجده باكياً وناثلاً ليس فقط عندما كان يتكلم عن الندامة والأخلاقيات وضبط الحياة، بل وحتى أثناء صلوات التسبيح ^[786].

❖ النفس ميتة بالخطية. هذا يتطلب الحزن والبكاء والدوع، الحداد والنحيب على الإثم الذي قول بها إلى الدمار.

الصواخ والبكاء والوُح يودها إلى الله...

يجزن الله على الصورة التي فُقدت (بسبب خطايانا). النفس عند الله أكثر مغرة بكثير من كل خليقته. بالخطية صلت ميتة، وأنت أيها الخاطي أما تبالى؟!...

أسكب الدوع وأقمها!

^[787]

قدم الله هذا الفوح، يوح بأنك تقيم نفسك .

القديس مار أفام السرياني

❖ لنترفق بأنفسنا، ونشق طريقًا إلى الحنو البار الذي للآب! لنزرع بالدوع، فنحصد بالفوح! [788]

❖ الدوع هي الفيضان الذي يسقط على الخطايا، وهي تطهر العالم . [789]

القديس غريغوريوس النريوي

من وحي أيوب 16

معزون متعبون كلكم!

❖ كثوًا ما أشتاق أن أسمع كلمة تغوية من إنسانٍ.

لكنني أركت أنهم جميعًا معزون متعبون.

ليس من يقدر أن يدخل أعماقي،

ويشركني مشاعوي، ويثن لأناتي،

سواك يا محب لكل نفسٍ بشرية!

قد ينطقون بشفاهم بكلمات عذبة،

لكن هل لهم القلب المتسع ليحمل ضعفاتي؟

وإن نطقوا بكلمات لينة، لكن عيني الإنسان تنتقدان،

أما عيناك فتتظران كل ما هو صالح وجميل في!

❖ هب لي ألا أتكى على تغويات بشرية،

أنت هو اتكالي وغوائي وبهجة قلبي.

حتى إن جرححتني، فجراحاتك تحمل دواءً لشفائي.

مع تأديباتك أتلمس عذوبة حبك الفائقة!

❖ هب لي وسط الآمي ألا انشغل بنظرة الناس ولا بكلماتهم.

لكنني أتطلع إليك يا مصدر كل تغوية!

❖ ليستخف بنو البشر بي،

فإني رى في سخويتهم نواء نافعاً لأعماقى!
لأحتمل كل تسخيفٍ،
فأنت وحدك تشرق علىّ،
فتبدد ظلمتى، يا شمس البرّ.

❖ عجبى إن صمّت الناس، أشعر بتجاهلهم لى.
وإن تكلموا يوشقون بكلماتهم قلبى كما بسهامٍ قاتلة!
أما أنت ففى صمّتك، تحملنى لرؤية أمجادك،
وفى كلماتك، تلهب قلبى بحبك!
علمنى كيف أصمّت، وكيف أتكلّم!
ليكن ناموس حبك هو قائد صمّتى وكلماتى!

❖ لأحملك فى أعماقى، وأقدمك لإخوتى،
أقدمك لهم بصلواتى عنهم،
وبكلماتى الحاملة عنوبة حبك!
أقدم لهم لا سهام النقد الذى يهدم،
بل سهام حبك التى وإن جرحت تشفى!

❖ تغوياتك لى هي إعلان حضوتك داخلى!
رأك أيها المصلوب، فأستعذب الألم حتى الموت!
رأك تحطم بالصليب سلطان إبليس،
فأدرك أن مقاومة عدو الخير إنما لنصوتى.
ليضوب بكل قوته، فإنى مختفٍ فىك.
بك أتمتع بإكليل مجدٍ لا يفنى!

❖ عدوى الذى يشهد ضدى يفتح لى باب النورة عليه!
هي حرب لا تتوقف،
لكن ماذا يقدر إبليس أن يفعل بك يا مخلصى؟
هل يمكن للظلمة أن تطفئ النور؟
هل يمكن لصد المسيح أن يغتصب ملكوتك؟

يا له من عدو تافه؟
هو مخادع وخبيث،
لكنك أنت هو الحق الذي لا يُقاوم!

❖ في وسط ضيقي افتح عيني،
فأراك وإن سمحت بالتأديب فأنت أب.
وإن اشتدت الضيقة للغاية عينك تترققان بي!
ليس لإبليس أي سلطان علي!
قد يشوه صورتي، ويضيّق علي!
لكن أنت سرّ بهائي الأبدى، وراحتي السماوية!

❖ عدو الخير يود أن يلطمني على خدي،
كي لا أنطق بكلمة شهادة لك.
لكن كلمتك في فمي نار ملتهبة.
لن يقدر العدو أن يطفئ لهيبها،
ولا يستطيع أن يكتمها!

❖ حقاً إن عدو الخير كملدٍ خطير،
لن يبأس عن محاربة الكنيسة ككل، وكل عضوٍ فيها.
بدأ حربه مع الإنسان الأول في الجنة،
ويبقى يحارب في كل الأجيال بطرقٍ متنوعة،
لن يتوقف حتى منتهى الدهور.
يعمل بكل قوةٍ خلال ضد المسيح!
يعمل بكل خداعٍ ومكرٍ،
منتوّراً كل فرصة لتحطيمنا!
يحوّل حياتنا إلى جحيم،
حتى نفقد الرجاء في خلاصنا!
تظلم عيوننا باليأس،
ونحسب أن الموت قد سبانا إلى الأبد!
لكن موتك وهبنا القيامة،

وصعودك فتح أبواب السماء أمامنا!
لن يقدر إبليس بعد أن يحبسنا في الهاوية حيث الظلمة الأبدية!
لن نخشاه بعد، لأنك أنت أيها الفادي هو نصرتنا!
أنت قيامتنا وإكليلنا!

❖ ليضوب العدو بكل قوته، فإن الأرض نفسها تصوخ.
لن تقبل الأرض أن تشرب دمًا بريئًا، بل تصوخ إليك.
لم تستطع الأرض أن تحبسك في القبر، لأنك السموي.
لأتحد بك، فلا أعود إلى زاب الأرض،
بل بك أصير سمويًا،
وأتمتع بشوكة الأمجاد السماوية.

❖ وسط آلامي رأك شاهدًا لي في السماء!
تشهد بموتك وقيامتك وصعودك لي،
فإني إذ أشركك آلامك،
أتمتع بشوكة أمجادك!

❖ وسط آلامي تتهمر دموعي، لا أمام الناس، بل أمامك.
فالبشر معزون متعبون،
أما أنت فتعتز بدموعي!

❖ وسط آلامي أتوقب عبوري إليك.
سنواتي قليلة، ونهاية حياتي الأرضية قادمة.
إني ذاهب في طويق الأرض كلها!
لكن ليس وحدي، لأنك معي!
وإليك أذهب لأستقر أبدًا!

<<

الرجاء في الوسيط الإلهي!

يستمر أيوب في حديثه مظهرًا أنه ليس من أحدٍ يقف بجانبه. وى في أصدقائه أنهم يتطلعون إليه ككتنينٍ لعين!

يدهش الإنسان البار حين وى الأثوار في رخاءٍ، لكنه يخشى لئلا ينحرف عن البرِّ بقصد مشركة الأثوار في رخائهم [٨-٩].

وى أيضًا أصدقاءه أنهم أخطأوا حين توجوا سوعة إصلاح الموقف بالنسبة له، قائلين له إن الصباح يظهر سريعًا [١٠-١٢]. كل ما ينظره

الآن هو الموت وفقدان الرجاء في هذا العالم تمامًا [١٣-١٦].

إذ تطلع أيوب إلى قوب رحيله من هذا العالم لجأ إلى الله، وتوسل إليه أن يقف بجانبه سريعًا وينصفه، لأن أصدقاءه أساءوا إليه، لكن الله حتمًا

سيقف معه ليظهر واعته.

1. القبور لي 1.

2. صوخة للنجدة من عند الرب 2-7.

3. البرّ ينتصر 8-9.

4. لارجاء في هذا العالم 10-16.

1. القبور لي

رُوجي تَلَفْتِ.

أَيَّامِي انْطَفَأَتْ.

إِنَّمَا الْقُبُورُ لِي [1].

بلغ أيوب إلى حالة مُرة، فحسب نفسه كميّ. في العبرة السابقة كان يتطلع إلى حياته الباقية كرحلةٍ قصيرةٍ، سنواتٍ قليلةٍ ثم يعبر من هذا العالم

بلا عودة. أما هنا ففي وسط موارته حسب أن روحه قد فسدت، وأن نور حياته قد انطفأ، وصار وهو في المذيلة كمن يسكن القبور.

لم يقل: "إنما القبر لي"، بل "القبور". وكان قبور آبائه التي ضمتهم تستعد لتضمه هو أيضًا. تفتح القبور أبوابها لتتلقف البشرية، ويليق بالمؤمن

من جانبه أن يتهيأ للدخول كغالبٍ ومنتصرٍ.

❖ لا يستطيع أحد أن يذهب من هنا إلى هناك مادام الله لم يدعُه. فإن كان الله هو الذي ربط النفس والجسد معًا، فلا يحلها الإنسان ليلتصقا بطريقة

جديدة. فالنفس لا تفصل ذاتها من الجسد. قال أيوب هذا، ليس لأن العدو المشوك يهدده بالموت، وإنما لأنه كان قد ضُوب بإسقامه. هذا هو سبب

سؤاله في صلاته أن يتّوك العالم.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ تتسحق الروح من الخوف من الدينونة. كلما شعر المختارون باقتراب الدينونة النهائية يرتعبون بالأكثر في أذهانهم بمخافة، إذ يكتشفون أنفسهم. متى

وجئوا في داخلهم أي فكر جسدي تتسحق أنفسهم بحماس ندامتهم... يحكمون على أنفسهم، ويؤدبون أنفسهم بأكثر صرامة، إذ ينتظرون الديان الحُرْم

قادمًا على الأبواب. لذلك يتطلعون دائمًا إلى رحيلهم أنه قريب.

أما من جهة أذهان الضائعين، فإنهم يفترضون أنهم يعيشون هنا إلى زمانٍ طويلٍ، لذلك يملسون أمورًا كثيرة شوية.

لذلك روح الصديق تتسحق وروح الشوير تسمن...

[790]

" أيامي تقصر، والقبر وحده متروك لي . فإن من يتأمل فيما سيكون عليه بالموت يكون دائماً في خوفٍ، لأنه من الآن فصاعداً يكون كمن يحيا حسبما وى بل بصدقٍ يحيا كما في عيني خالقه...

تتحقق الحياة الكاملة بالتفكير في الموت حيث يبذل الصديق جهده أن يهرب من شباك الخطية. لذلك كتب: مهما نتال في يدك تذكر نهايتك، فلا يمكنك أن تخطئ قط" (ابن سواخ 7: 36).

البابا غريغوريوس (الكبير)

من التدريب الرئيسية في حياة آباء الرية كما في حياة الجادين في خلاصهم هو تذوهم لساعة الموت، أو ليوم مجيء الرب الأخير، ليس خوفاً من الدينونة، وإنما استعداداً للتمتع بالأمجاد الأبدية، وخلصاً من مصير الأثوار.

❖ عندما تقرب من فاشك قل له: "هذه الليلة عينها ربما تكون أنت قوى يا أيها الفواش، فإنني لست أعلم إن كان في هذه الليلة عوض نومي المؤقت يكون لي النوم الدائم".

هكذا مادام لك رجلان أسوع إلى العمل، قبلما تُربط بذلك القيد الذي ما إن يُوضع لا ينحل بعد.

مادام لك يدان أبسطهما نحو السماء في الصلاة، قبلما يسقط الفراغان من مفصليهما، حيث تشتهي أن تسحبهما فلن تقدر.

مادام لك أصابع لشم ذاتك بالصليب، قبلما يحل الموت الذي يحل قوة أعصابها اللانقة.

مادام لك عينان، مملأهما بالدوع، قبلما تأتي الساعة حين يغطي التواب ثيابك السوداء، وتتجه عينك نحو اتجاه واحد بنظرة لا تتركها ولا تعرفها. لا، بل املاً عينيك بالدوع مادام قلبك تحكمه قوة التمييز، قبلما تهتر نفسك وحيلها منه، وتترك القلب بيتاً مهجوراً من ساكنه.

يا أيها الحكيم لا تتدع بتوقعك حياة طويلة المدى! [791]

❖ عندما يُنهي التاجر عمله يسوع إلى بيته. ومادام الواهب (الإنسان) لم يتم بعد دوره في الجهاد البار، يشعر بورة، إذ يفكر في رحيله من جسده. ولكن عندما يترك في نفسه أنه قد افتدى وقته (أف 5: 16)، ونال عربونه، يشتهي أن وى الحياة العتيدة. التاجر الذي في البحر يخشى في داخله لئلا تتور الأمواج ضده، وتبدرجاء عمله. هكذا الواهب (الإنسان) مادام في هذا العالم يحكمه الخوف، لئلا تحدث زوبعة مفاجئة مضادة له، وتحطم العمل الذي جاهد فيه منذ صباه إلى الشيخوخة. يركز التاجر عينه على البر، ويترك الواهب (الإنسان) عينه على ساعة موته [792].

القديس مار اسحق السرياني

❖ كان أخ حلاً في الصلاة، وإذ كان أخوه يملس الخدمة، غلبته الدوع وكان أحياناً ينسى قوات من العزمور. توسل إليه الأخ يوماً ما أن يخوه فيما هو يفكر أثناء الخدمة حتى يبكي هكذا بورة. قال له: "سامحني يا أخي، فأنا أتأمل دائماً أثناء الخدمة في الديان، ووقوفي أمامه، فإنني مجرم مذنب تحت الاستجواب. وإذ لا أجد تروياً لنفسي أقف مرتعباً، ويُغلق فمي، فتعبر مني آية من العزمور. سامحني على مضايقتي لك، فلنملس الخدمة كلٌ لوحده. أجاب الأخ: "لا يا أبي، فإنني أعيش بلا ندامة، فعلى الأقل إذراك أحجل". وإذ رأى الله تواضعه وهبه الندامة التي لأخيه. دعنا نحن أيضاً نحفظ أعيننا على هذه العطية، فيكون لنا ذات المنفعة مثل هذا الأخ [793].

من أقوال آباء البرية

2 . صرخة للنجدة من عند الرب

وَلَا الْمُخَاتِلُونَ عِنْدِي،

وَعَيْنِي تَبِيْتُ عَلَى مُشَاهَرَاتِهِمْ [2].

بينما وى أبواب القبور تستعد لاستقباله وى حوله أصدقاءه كأنهم مخاتلون، يسخرن به ويهينونه في وجهه. حوّلوا الجلسات إلى مشاخرات

عوض التغيرات. أما قوله: " تثبت على مشاجراتهم " فتكشف أنهم كانوا يقضون اليوم كله معه في المشاجرات، حتى إن تركوه في نهاية اليوم لا يعلق بذهنه طوال الليل سوى هذه المشاجرات التي رافقه.

جاء النص هنا مترجماً عن العبرية، مختلفاً عنه في السبعينية، وأيضاً في الفولجاتا. جاء في الترجمة السبعينية: " في قلق استعطف: ماذا أفعل؟ يسرق الغرباء خواتي".

حاصر القلق نفس أيوب، إذ رأى المعركة حامية، يقف لا أمام أصدقائه الذين صاروا غرباء عنه يحملون روح العداوة ضده بلا سبب، وإنما يرى وراءهم عدو الخير إبليس بكل قواته يقاومونه. هؤلاء هم الغرباء عن جنس البشر ، لا عمل لهم إلا سلب الإنسان ما يتمتع به من بركات إلهية، وما يُعد له من أمجاد سماوية، إنهم خصوم للبشرية، يشتنون إذلالها كي تشلّكهم مصوهم الأبدى في جهنم!

❖ لماذا (كان في قلق)؟ لأن أيوب يطلب في صلواته حلول الموت. إنه كمن يدافع عن نفسه، إذ هو مضطرب من التجرب، لأنه لا يعرف تماماً ما هو سرّ تجربه التي يصيبها العدو عليه. لهذا يقول: "ماذا أفعل؟"

يتبع ذلك: " يسرق الغرباء خواتي " (راجع أي 17: 2 LXX). يدعو أيوب الشياطين غرباء لأنهم مخادعون، وأعداء لأنهم بالطبيعة غرباء حقيقيون لجنسنا. أما بخصوص سرقة خواته ، فقد قال هذا ليس لأنهم سلّوا خوات أيوب، وإنما لأنهم كذبوا على الله كمن يسرق الكلمات عندما قال المفزوي رئيسهم لله: "لا، بل ضع يدك والمس كل ما لديه، فبالأكد سيلعنك" (راجع أي 1: 11) ... أما بالنسبة لله، إذ يعرف السرقة (التي ارتكبها الواشي) بكلماته، فقد سمح له بالتجربة لكي يجعل أيوب يتهدأ لعلامة النصوة المتألئة. فإنه بالحق كمنتصر يتجاسر فيقول: "من هو هذا؟ يضم يده معي" [LXX 3].

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " لم أخطئ، وعيني تقطن في مورة " . إنه كمن يعبر عن نفسه بكلمات واضحة: "لم ارتكب خطية، ومع ذلك أتحمّل جلدات". لكن بخصوص هذه النقطة، نضع في الاعتبار أنه في عبارات كثرة يعترف أيوب أنه مخطئ وأن عقله يتحرك بالتفكير، فلماذا ينكر هنا ارتكابه الخطية؟ يقدم لنا السبب ذاته بسوعة. إنه لم يخطئ إلى الورجة التي تجعله مستحقاً لضربات العصا، وليس هو بقادر أن يكون بلا خطية. فإنه قد ضُرب لا للإصلاح من الخطية، وإنما للتمتع بعزيز من النعمة. الديان نفسه يحمل شهادة، هذا الذي يمدح وهو يضرب. لكنني أظن أننا نترك هذه الكلمات بصورة أفضل، إن فهمناها بخصوص فادينا، فإنه لم يخطئ وفي نفس الوقت " تعهد مورة"، فبكونه بلا خطية تعهد عقاب خطيتنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وي أوريجينوس أن للقديسين أيضاً خطاياهم الشخصية. ويقول Ernest Latko : [في تعليقه على مصطلح "قديسين" – كما يُطلق على شعب الله – يُدكرنا أوريجينوس في إحدى عظاته عن سفر العدد Homilies on the book of Numbers ، أن كونهم قديسين، لا يعني أنهم مستثنون من اقتراف الخطية. فقداستهم ليست مطلقة، بل هي نسبية، تتمثل في تكريس حياتهم للوب، الذي – بصلاحه – يعصمهم من الأخطاء الأكثر جسامة [794].

❖ يموت من هم ليسوا بقديسين في خطاياهم، أما القديسون فيتوبون عنها. يتحملون جراحاتهم، ويركون أخطاءهم. ثم يسعون إلى الكاهن بحثاً عن العلاج، أو ينشون التطهير بواسطة الأسقف [795].

❖ "كونوا قديسين، لأنني أنا قدوس يقول الوب" (لا 7:20). ماذا يعني بقوله: "لأنني أنا قدوس"؟ أي، كما أعتزل وأتباعد عن كل ما يُعيد، سواء على الأرض أم في السماء، وكما أسمو على كل مخلوق، وأعتزل ما صنعه يداي، هكذا، فلتفضوا أنتم أيضاً كل من ليس مقدس أو مكرّس لله... وأخوياً، فهذه الكلمة، التي يُطلق عليها hagios باليونانية، تفيد بأنه شيء بعيد عن الأرض [796].

❖ أما إذ رغبت في أن تتذكر قديسين آخرين، فستجيب عليك كلمات الكتاب المقدس: "لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" (جا

20:7). فالمسيح وحده "له يدان كاملتان"، "لم يفعل خطية" (1 بط 2:22)، أي أن ليديه أعمال كاملة وتامة [797].

العلامة أوريجينوس

يمكننا القول بأن أيوب لم يخطئ خطية للموت، لكن كما يعترف هو نفسه بأنه ليس إنسان بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً.
كُن ضَامِنِي عِنْدَ نَفْسِكَ.

مَنْ هُوَ الَّذِي يُصَفِّقُ يَدِي؟ [3]

بالرغم من قول أيوب إنه لم يخطئ خطية تستوجب كل هذه الضربات، إلا أنه يعترف بأنه مدين لله، يحتاج إلى ضامن أو كفيل قادر على أن يحل محله ليوقف الحجز ويودع الكفالة.

كثوفاً ما أشار الكتاب المقدس إلى دور الضامن أو الكفيل "الرجل الصالح يكفل قريبه، والذي فقد كل حياءٍ يخذله، لا تنسى نِعَمَ الكافل، فإنه بذل نفسه لأجلك" (سي 29: 14-15)

لم يجد أيوب إنساناً ما على الأرض، حتى من أعز أصدقائه يشهد لوائته، وليس من يقف في صفه كفيلاً أو ضامناً، بل تحول الكل إلى أضداد له. من هنا لم يجد من يلجأ إليه سوى الله نفسه العرف بأسوار قلبه ونياته وتصرفاته الخفية والظاهرة.

باسم البشرية كلها يصوخ إلى الله، طالباً أن يكون كفيلاً له. فليس من يقدر أن يدفع عنا ديننا ويمثلنا أمام الحضرة الإلهية سوى الكلمة الإلهي المتجسد، وكما يردد القديس أغسطينوس في مناجاته لله، قائلاً إنه ليس من ملجأ يهرب إليه من الله سوى الالتجاء إلى الله نفسه.

❖ إنه (السيد المسيح)، الذي لم يخطئ بالفكر ولا بالعمل، صار في مورة خلال آلامه. لقد تحرر بالقيامة، وصار بجوار الآب بصعوده، حيث صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله (يضمننا).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قبل مجيء ربنا ومخلصنا، ملكت كل الشياطين على عقول الناس وأبدانهم، واستقرت في أرواحهم. ثم ظهرت نعمة الوب المخلص، ورحمته على الأرض، تعلّمنا كيف يجدر بنفس كل إنسان أن تستعيد الحرية، وتستود صورة الله التي خلقت عليها...

من هو هذا، إذا لم يكن يسوع المسيح، الذي بجلداته قد شفانا نحن المؤمنين به، عندما "جرّد الرئاسات والسلطين" الذين في وسطنا و"أشوههم جهرا" فوق الصليب؟ (كو 2:15) [798].

❖ لقد سقطنا تحت سلطان أعدائنا، أي "ملك هذا الدهر" وأعوانه من قوى الشر. لهذا نشأت حاجتنا إلى الفداء بواسطة ذاك الذي يشترينا حتى نرجع من حالة التغوب عنه، لذلك بذل مخلصنا دمه فدية عنا...

ولما كانت "مغفرة الخطايا"، وهي تتبع الفداء مستحيلة قبل أن يتحرر الإنسان، لابد لنا أولاً أن نتحرر من سلطان ذاك الذي أخذنا أسرى، واحتفظ بنا تحت سيطرته، نتحرر بعيداً عن تناول يده، حتى نتمكن من أن نحظى بغوان خطايانا والوء من جراحات الخطية، حتى نتجز أعمال التقوى

وغوها من الفضائل [799].

❖ 1:5 "لنا سلام مع الله" (رو)، من خلال ربنا يسوع المسيح الذي صالحنا مع الله خلال ذبيحة دمه... جاء المسيح لكي يهلك الأعداء، ويصنع السلام، ويصالحنا مع الله الذي فصلنا عنه حاجز الشر الذي أقمناه بخطايانا [800].

العلامة أوريجينوس

لَأَنَّكَ مَنَعْتَ قَلْبَهُمْ عَنِ الْفِطْنَةِ.

لَأَجْلِ ذَلِكَ لَا تَرْفَعُهُمْ (تمجدهم) [4].

أما عن أصدقائه فبسبب سوء نيتهم زع الوب عنهم الحكمة والتمييز. فلقتهم الحكمة التي وهبت لهم من الله، إذ استودها، لأنهم لا يستحقونها.

فحيث لا يوجد الحنو نحو المتألمين يزع الله الفطنة من قلوبهم، تزول عنهم الكرامة ويلتصق بهم العار، ويصيرون في حالة انهيار، وليس في نمو وارتفاع. وبالتالي لا تكون لديهم القوة على إوارك رحمة الله ولا التمييز لفهم معاملته، خاصة عندما يسمح بالضيق لمؤمنيه.

❖ إنه لمن النافع لنا أن يكون أعداؤنا محدودين في الحكمة ومجردين منها. لهذا يقول بولس: "لكننا نتكلم بحكمة الله في سرّ، الحكمة المخفية التي وضعها قبل كل الدهور لمجدنا، التي ليس أحد من رؤساء هذا العالم يعرفها، فإنهم لو عرفوا لما صلوا رب المجد" (1 كو 2: 7-8).

"لذلك لا تمجدهم ... لماذا؟ من أجل ما هو لنفعنا، هكذا معرفة الحق مخفية عنهم (الشياطين)؛ وإذ يرغبون الشر، يشتهون أن يجعلونا جهلاء ونجذب على الخالق.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) "وَعَت قلوبهم عن التأديب" وجاء في الترجمة السبعينية: "وَعَت قلوبهم عن الحكمة"، فإذا زع الله عن أصدقاء أيوب الفطنة أو الحكمة، إنما زع عنهم معرفة حكمة الله من جهة التأديب، فهو يؤدب بالضيق ليبنى ويؤكي، وليس لكي يهدم ويحطم!

الذين يقبلون التأديب الإلهي بفطنة وتمييز تتسحق قلوبهم بالتوبة، ويتمتعون بالمجد. "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله، إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، فأبي ابن لا يؤدبه أبوه؟" (عب 12: 6-7).

❖ لتفوح وأنت تحت الجلادات، فإن الموات محفوظ لك، لأنه لا يطرد شعبه. هو يؤدب إلى حين، ولا يدين إلى الأبد. [\[801\]](#)

القديس أغسطينوس

❖ "وَعَت قلوبهم بعيداً عن التأديب" [4]. فإنهم لو تعرفوا على غاية التأديب، ولم يحتقروا قط وصايا فادينا، لأثرهم ذات حال جسدهم المانت (الذي تحت التأديب) نحو حب الحياة الخالدة...

الآن يحتمل البعض جلادات لكنهم لا يشكلون حياتهم لتتجدد بخوف الرب الذي يجلدهم. لذلك بحق قيل الآن: "وَعَت قلوبهم بعيداً عن التأديب". بمعنى أنه وإن كان الجسم تحت التأديب، فإن القلب ليس تحت التأديب مادام الشخص المضروب بالعصا لم يرجع إلى تواضع الذهن. لم يقل هذا كما لو كان القدير، الإله الوحوم، قد زع قلب الإنسان بعيداً عن التأديب. إنما بعد سقوطه برادته، يسمح الله له أن يبقى على حاله في السقوط...

"لذلك فإنهم لا يتمجدون"، فإنه إن كان القلب تحت التأديب، يطلب الأمور العلوية، ولا يفتح فمه طالباً للزمنيات... بينما الذين يطلقون أنفسهم نحو الملذات المنحطة يشناقون يوماً إلى خوات الأرض. إنهم لن يوفروا قلوبهم نحو مباحج السماء، فلو أنهم رفروا عقولهم نحو الوجود في المدينة السلموية لتمجوا...

البابا غريغوريوس (الكبير)

الَّذِي يُسَلِّمُ الْأَصْحَابَ لِلْسَّلْبِ،

تَتَلَفُ غَيُونُ بَنِيهِ [5].

لا يقف الأمر عند حرمان هؤلاء المخاتلين من الفطنة أو من البصيرة الداخلية لمعرفة حكمة الله، وإنما يسيئون حتى إلى نسلهم، إذ يرون في آبائهم أنهم قد أساءوا التصرف مع أصدقائهم.

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير): "يعد إبليس أصدقائه بالغنيمة، وأعين أبنائه تفشل". وكان أيوب يقلن بين ولاد الله ولأولاد إبليس. الأولون يسقطون تحت التأديب لأجل رفعتهم ومجدهم وموائهم الأبدي، أما الآخرون فيقدم لهم إبليس وعوداً كاذبة بنوال غنائم، وهي عطايا زمنية مؤقتة، بينما يهلكون أبدياً.

رى البابا غريغوريوس أنه قبلاً كان يتحدث عن الأشوار بصيغة الجمع، والآن يتكلم عن رأسهم إبليس بصيغة المفرد. وبكونه الرأس يمكنه

أحياناً أن يوجه الحديث باسم الأثوار، وأحياناً باسم أبيهم إبليس. لأن ما للرأس هو للجسد كله، وأيضاً ما للجسد يُنسب للرأس. كما يقول أيضاً إن إبليس رئيس كل الأثوار يقدم وعوداً لأصحابه الشياطين والأرواح الشريرة، أن يقدم لهم غنيمة ليست إلا أبناء البشر الذين صاروا أسرى له!

❖ "يعدُ (إبليس) أصدقاءه بالغنيمة، وأعين أبنائه تفشل" بعدما نطق الطوبوي أيوب بعبارة تخص جماعة الأثوار، أي تخص جسم العدو القديم، للحال ينتقل إلى عبلة تخص قائدهم نفسه (إبليس)، رأس كل أبناء الهلاك. ينتقل من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد، لأن الشيطان وكل الشعب الشوير هم جسم واحد. غالباً ما يحدث أن الجسم يأخذ اسم الرأس، والرأس يُلقب بلقب الجسم...

الرأس يأخذ لقب الجسم، كما قيل عن الملاك المرتد نفسه: "إنسان عدو فعل هذا" (مت 13: 28).

رئيس كل الأثوار له البعض كرملاء، والبعض كأبناء. من هم زملائه إلا الملائكة المرتنون الذين سقطوا معه من كرسي المدينة السماوية؟

ومن هم الآخرون الذين هم أبناء له سوى الناس الأثوار، الذين يولدون خلال حثه الشوير على مملسة الشر؟ هكذا أيضاً قيل بصوت الحق لغير

المؤمنين: "أنتم من أب هو إبليس" (يو 8: 44)

هذا الشوير هو مصدر الخطأ يعد بالغنيمة زملائه، حيث يعد الأرواح الشريرة بأنفس الناس الأثوار يمسون بها حتى النهاية.

"وأعين أبنائه تفشل"، حيث يضع الأمور الأرضية هدفاً للناس يتطلعون إليها، فيجعلهم يحيون ما لا يقدرون أن يحتفظوا به طويلاً. إذ لا

تستطيع زعة الحب الموجه خطأ أن تبقى عندما يُظهر أن كلا من المحبين والأشياء المحبوبة يصيرون كلا شيء بسوعة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْقَفَنِي مِثْلًا لِلشُّعُوبِ،

وَصِرْتُ لِلْبَصْقِ فِي الْوَجْهِ [6].

أصدقؤه الذين كانوا يشتهون الجلوس معه، ويتلمسون رضاه ويمتدحونه، صاروا يسخرون به في ضيقته، ويحسبونه مثلاً ودرساً لكل هراء

وشوير كي لا يقتدي أحد به.

صار أيوب صورة حية للذين يعيشون في الرب، فيسخر بهم العالم، وإن أمكن يبصقون على وجهه. كما كان رمزاً للسيد المسيح الذي سخر به

الأثوار، فصار مثلاً هراً، وبصقوا على وجهه.

"كثروا ما شبعنا أنفسنا من هراء المستريحين وإهانة المستكبرين" (مز 123: 4).

"صوت ضحكة لكل شعبي، وأغنية لهم اليوم كله" (بوا 3: 14).

"بذلت ظهري للصلبين، وخدي للناقتين، وجهي لم استر عن العار والبصق" (إش 50: 6).

"حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه" (مت 26: 67).

"وبصقوا عليه، وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه" (مت 27: 30).

"فابتدأ قوم يبصقون عليه، ويغطون وجهه ويلكمونه، ويقولون له تنبأ، وكان الخدام يلطمونه" (مر 14: 65).

"وكانوا يضربونه على رأسه بقصبه، ويبصقون عليه، ثم يسجون له جاثين على ركبهم" (مر 15: 19).

"وآخرون تجرّوا في هراء وجلد، ثم في قيود أيضاً وحبس" (عب 11: 36).

❖ "كثروا ما امتلأنا هواناً" (مز 123: 3). كل الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى حسب المسيح، يؤمهم أن يحتملوا الإهانة (2 تي 3: 12). يليق بهم أن

يُحتقروا من الذين لا يختارون الحياة بتقوى. يحتقرون أولئك الذين يطلبون السعادة التي لا يمكن رؤيتها بعيونهم، ويقولون لهم: "بماذا تؤمن يا أيها

المجنون؟ هل عاد أحد من العالم السفلي وقدم تقريراً لك بما يحدث هناك؟ أنظر فإنني رُئى وأتمتع بما أحب، إنك مُحقتر، لأنك تترجى ما لا تراه".

"كثروا مما شبعنا أنفسنا من هراء الأغنياء (المستريحين)، وإهانة المستكبرين" (مز 123: 4). إننا نسأل: من هم الأغنياء؟ لقد شوح ذلك بقوله

"المستكبرين". الهُوء والإهانة هما واحد، كما أن الأغنياء والمستكبرين هما واحد، لماذا الأغنياء مستكبرون؟ لأنهم يريدون أن يكونوا سعداء هنا... ربما يسخرون عندما يكونون سعداء، إذ يفتخرون بخيلاء غناهم. عندما ينتفخون بحالهم المملوء غروراً من أجل كرامتهم الباطلة، يسخرون بنا. يبدو كمن يقول: انظروا، فإنه خير لي أن أمتنع بالخرات التي أمامي. ليبعد عني أولئك الذين يعنون بما لا يقدر أن يظهره. ما رآه أمسك به؛ ما رآه أمتنع به، لأسلك ناجحاً في هذه الحياة، لتكن أنت في أكثر أمان، لأن المسيح قام وقد تعلمت أنه سيهيك حياة أخرى، لتتأكد أنه سيهيك لك [802].

القديس أغسطينوس

❖ رب العظمة تواضع ورفضه الجميع... سمع السخرية من كل جانب، من الفريسيين ومن كل بشر. إنه لأمر مؤلم للقلب أن يتطلع كيف بصقوا في وجهه، وكلوه بإكليل شوك، ولطموا خديه، كما هو مكتوب: "بذلت ظهري للضربين، وخدي للنااتين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إش 6:50). الآن إن كان الله قبل أن يتواضع، ويحتمل مثل هذه الآلام والإهانات والخزي، لا تهتم إلى أي مدى تتواضع، يا من طبيعتك هي من الوحل، خاضعة للموت، وليس من وجه للمقلنة بينك وبين ربك في هذا الأمر. أنت تتكبر وتتفخ. وجاء الله وأخذ ثقلك ليهيك راحتته، وأنت لا تريد أن تحتمل أتعاباً وآلاماً، بأتعابك تُشفي جراحاتك [803].

القديس مقاريوس السكندري

كَلَّتْ عَيْنِي مِنَ الْحُزَنِ،

وَأَعْضَائِي كُلُّهَا كَالظَّلِّ [7].

صار أيوب رجل أزان ودوع، حتى كلت عيناه. واشتد به الحزن حتى أبلت لحمه، وصار أشبه بهيكل عظمي، أو أشبه بالظل، ليس فيه سوى الجلد والعظام.

يَصُورُ لنا أيوب حاله المر، فمن شدة الحزن كلت عيناه أو صرنا معتمتين عاجزتين عن رؤية نور الحق الإلهي. فقد كاد الحق أن يختفي. لقد تحوّل الأصدقاء إلى أعداء مقولمين بكل قوة، تسندهم في ذلك إمكانياتهم. ويبرر تصرفاتهم ما حلّ بأيوب نفسه، الذي كاد أن يصير كالظل الذي لا كيان له. سُلِبَ منه كل شيء، وبلا سبب!

هذا ومن جانب آخر يَصُورُ لنا حال المؤمن أو الكنيسة ليس فقط أثناء المعاناة من مضايقات الأشرار المرّة، ولكن الحزن الشديد الذي يحلّ بالمؤمن أو الكنيسة ككل من أجل كل نفسٍ تحيد عن طريق الحق، وتضل عن المعرفة الصادقة. لهذا يصوح الرسول بولس، قائلاً: "من يضعف وأنا لا أضعف؟ ومن يعثر وأنا لا التهب؟" (2 كو 11: 29).

هذه المشاعر يعيها رجال الله سواء في العهد القديم أو الجديد، الذين إذ يختبرون عنوبة العثرة مع الله، لا يطبقون حرمان أحدٍ منها. يقول الموتل: "الكآبة ملكتني من أجل الخطاة الذين حابوا عن ناموسك" (مز 119: 53). ويقول رميا النبي: "يا ليت رأسي ماءً، وعينيّ ينوع دموع، فأبكي نهلاً وليلاً قتلى بنت شعبي" (إر 1: 9).

❖ "عيني معتمة بالسخط، وكل أعضائي كما لو كانت قد صرلت كلا شيء" [7]. تصير العين معتمة بالسخط عندما يُمنح ذات الأشخاص نور الحق... ويرون أنفسهم مُحْتَوِينَ إلى زمنٍ طويل، ويستخف بهم الأشرار. إنهم يرتكبون في دهشة لدى الحكم المخوي، ويفشلون في سبر غور سرّ الله: لماذا يُسمح للأشرار أن ينتصروا على واة الصالحين؟ من لا يستغوب عندما يرى هيروديا بوقصة ابنتها تتال من يد الملك السكوان رأس "صديق العريس"، النبي، والأعظم من نبي، تُقدّم أمام وجه ضيوفه على طبق (مت 14: 6-11؛ لو 7: 26)؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إذ أراى الصديقون إنساناً من أبناء الشريعة يخالفها، يغمتمون ويكتتبون، لأن ألم عضوٍ واحدٍ يجعل جميع الأعضاء تتألم.

أنثيموس أسقف أورشليم

❖ يوجد بين الخطاة من يخطئ بدون الناموس (رو 12:2)، لأنهم لم يعرفوا الناموس. وآخرون يخطئون في الناموس، لأنهم إذ يخالفونه يستهينون به. فالكآبة ملكتني من أجل الخطاة الذين تركوا عنهم ناموسك (مز 119: 53). حقًا إن كان عضو يتألم، تتألم معه جميع الأعضاء؛ وإن كُرم عضو واحد، توجع معه جميع الأعضاء (1 كو 12:26). إذن يليق بنا أن نتألم من أجل اخوتنا الخطاة لأنهم يخطئون، وأن نتخذ نفس موقف هذا القديس (الموتل).

القديس ديديموس الضريير

❖ من يسكب دموعًا ساخنة على أخطاء قومه يوأ بحزنه على أخيه [804].

القديس باسيلئوس الكبير

❖ لنبك عليهم لا يومًا ولا يومين، بل كل أيام حياتنا [805].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ آه أيها الأعداء المحبوبون! وإن كنا سنقتتي تغوية من الأخوان، وراحة من الأتعاب، وصحة من الأمراض، وخذودًا بعد الموت، لا يجوز لنا أن نغتم من الأمراض التي تلحق بالبشوية، ولا نقلق بسبب التجرب التي تحل بنا.

يؤمننا ألا نخاف إن تأمر الذين يحربون المسيح (الأريوسيون) ضد الصالحين، إنما بالحوي نحن نرضي الله بالأكثر بسبب هذه الأمور، إذ نتهياً أكثر ونترب على حياة الفضيلة. لأنه كيف ننال الصبر ما لم توجد متاعب وأحزان؟ وكيف تظهر الشهامة إلا باحتمالنا النوء والظلم؟

وكيف يختبر الاحتمال ما لم يوجد هجوم من الأعداء (الأريوسيين وغوهم)؟

وكيف تتركى طول أناتنا إن لم توجد وشايات ممن هم ضد المسيح (الأريوسيين)؟!

وأخوًا كيف يمكن للإنسان أن يبرك الفضيلة ما لم تظهر وألأ شؤور الأشوار؟!

هكذا فإن ربنا سبقنا في هذا عندما أراد أن يظهر للناس كيف يحتملون... عندما ضُوب احتمل بصبر، وعندما شُتم لم يشتم، وإذ تألم لم يهدد، بل قدم ظهوه للضربين، وخديه للذين يلطمونه، ولم يحول وجهه عن البصاق (1 بط 2:23؛ إش 6:50).

وأخوًا كانت رادته أن يُقاد إلى الموت حتى نرى فيه صورة كل الفضائل والخلود، فنسلك مقتفين آثار خطواته، فنُدوس بالحق على الحيات والعقرب وكل قوة العدو (الخطية) [806].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ لنفكر في سبي اخوتنا بكونه سببنا نحن. حزن الذين في خطر هو حزننا نحن. يؤمكم أن تتأكوا أنه يوجد جسد واحد. ليس فقط الحب بل وأيضًا النقوى تدفعنا وتشجعنا أن نخلص أعضاء أسوتنا [807].

الشهيد كبريانوس

❖ لا يعني بولس أنه يتظاهر بضعفهم، إنما يتعاطف مع ضعفهم [808].

القديس أغسطس

❖ يا للحنو العجيب في الواعي (بولس)! يسقط آخرون، فيقول مؤكدًا حزنه على عوأت الآخوين. إنها تلهب نار آلامه. ليت كل الذين تُعهد إليهم رعاية القطيع العاقل أن يقتوا به، ويوهوا أنهم ليسوا بأقل من الواعي الذي يتعهد لسنوات طويلة قطيعًا غير عاقل. هذا لا يحدث حتى إن حدث إهمال ما، أما في حالتنا فإذا ضاع حروف واحد أو سقط فريسة، تكون الخسلة ضخمة للغاية، والضرر والوعب والعقوبة لا يُنطق بها. فوق هذا كله إن كان ربنا قَبِلَ سفك دمه من أجله، فأى عذر يبزر ذلك الذي يسمح لنفسه بأن يهمل في حق من له اعتباره لدى الرب، ولا يبذل كل الجهد من جانبه للاهتمام

[809]

3. البرّ ينتصر

يَتَعَجَّبُ الْمُسْتَقِيمُونَ مِنْ هَذَا،

وَالْوَيْءُ يَقُومُ عَلَى الْفَاجِرِ [8].

إذ يسمع الصديقون ما حلّ بأيوب من ضيقات مؤلمة، ومن موقف أصدقائه منه، يقفون في دهشة متعجبين. يظنون كأن الله قد ترك الأرض وتخلّى عن مؤمنيه، فينهض الويء على الفاجر، أي لا يطيق أن يحتمل هذا، ويبحث عن عناية الله هذه التي تبدو غامضة. ينهض الويء ليقف ضد الفاجر مدافعاً عن الحق أوراغاً كل تفسير خاطئ.

❖ " يدهش الأوار لذلك، ويثور الويء على العرائي" [8]. يفهم " الويء " في هذا الموضع على أنه البار لكنه غير كامل، هذا الذي يبدأ في الطرق الصالحة. فإنه وإن كان لا يفكر في الإضرار بالغير، لكنه ليس بقادرٍ أن يملس الأمور الكاملة. إذ ترى قلوب الصغار الأثوار يودهرون في الحياة الحاضرة، يلتهبون نراً بجمر الحسد... الآن يلتهب الويء ضد العرائي، إذ لم يعتد أن يضر أحداً لكنه يحسد مجد العرائي. ولكن إن كان الويء في هذه العبرة يعني من هو كامل في صلاحه، " الويء يتحرك ضد العرائي " عندما واه منتعشاً بزوي به وبانتعاشه. عندئذ يركز بالأمور الحقيقية، ويقول بأنه يجب أن يُحتقر بواسطة الآخرين كمارواً فيه شوق نحو الأمور التي لا يستطيع أن يحتفظ بها طويلاً.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "لا تغر من الأثوار ولا تحسد عمال الإثم، فإنهم مثل الحشيش سويحاً يُقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون" (مز 1:37-2). ما يبدو لك أنه مدة طويلة فهو في نظر الله "سويحاً". إذ تخضع ذاتك لله تصير المدة الطويلة بالنسبة لك أيضاً "سويحاً"... تصيرون الأشياء تافهة لا قيمة لها، تظهر على سطح الأرض فقط، ليس لهم جنور في الأعماق. في الشتاء يكونون في اخضوار، ولكن إذ تلتسهم شمس الصيف يجفون. الآن وقت الشتاء، مجدك ليس كما هو في الظاهر، لكن إن كان لحبك جذر عميق مثل كثير من الأشجار في وقت الشتاء، يذهب الصقيع ويأتي الصيف (يوم الدينونة)، عندئذ يجف اخضوار العشب ويظهر مجد الأشجار [810].

❖ لاحظت الأثوار، فأيتهم في سلام، أي سلام؟ سلام مؤقت، متغير، عابر ورؤضي، ومع هذا فإني أنا أيضاً أطلب هذا من الله. رأيت الذين لم يخدموا الله ينالون ما اشتبهته أنا الذي أخدم الله، لكن قدمي زلتا وخطواتي زلقت (مز 73: 2). الآن أركت لماذا لهم سلام وانتعاش على الأرض... لأن عقابهم ليس مؤقتاً، بل ثابتاً إلى الأبد [811].

أَمَّا الصَّدِيقُ فَيَسْتَمْسِكُ بِطَرِيقِهِ،

وَالطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ يَزِدُّ قُوَّةً [9].

إذ يرى الصديق الأثوار يودهرون بينما تحل التجرب والضيقات بالأوار والصديقين، لا ينسحب الصديق عن طريق الشركة مع الله، بل يزداد ثباتاً في عزيمته ويتقدم متمسكاً بالأكثر بطريقه. يرى ما يحل بالصديقين من متاعب تؤول إلى نومهم وتمتعهم بقوة أعظم.

يختبر الإنسان الروحي عربون الحياة السماوية، فلا يهتز أمام نجاح الأثوار المؤقت، ولا يضطرب أمام التجرب والضيقات. يجد سعادته في المثاوة بروح الرب الذي يعطي عذوبة فائقة للشركة مع السيد المسيح في صليبه، ويلهب يوماً أعماق المؤمن نحو طلب السماويات، مستهيناً بكل عطية زمنية.

لا يكف المؤمن الحقيقي عن أن يثابر ضد الخطية والتمتع بالحياة المقدسة، من أجل تمتعه بالشوكة مع الرب.

❖ ينال العوائى بزيادة شوية أمور هذا العالم. أما الصديق فمربوط ومقيد بأكثر قوة بمحبة السماويات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن راعينا قانون المأثورة وملسنا التمييز بمعوفة، حيث تُحصد ثروة الحياة، عندئذ يكون الصواع مع هجمات أهواء غير قاورة بأية وسيلة أن تقرب

من ذهننا [812].

القديس مار اسحق السرياني

❖ نحن الذين وهب لنا الحياة الأبدية، نصنع الأعمال الصالحة، لا لأجل الخواء، بل لحفظ النقورة التي وهبت لنا [813].

القديس مرقس الناسك

❖ من المفيد جداً قراءة الكتاب المقدس، فإنها تجعل النفس حكيمة، وتوجه الروح نحو السماء، وتحرك الإنسان نحو الشكر، وتهلك الرغبة في الأمور

الأرضية، وتدع أذهاننا تتمعن باستمرار في العالم الآخر. [814]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أحكام الرب) أحلى من العسل والشهد" (مز 10:19). إذ تلتم النفس بأن تصير عسلاً نقياً، متحررة من رباطات الحياة المائتة، تنتظر في بساطة

بركات الوليمة الإلهية؛ أو أنها تكون في قرص الشهد، ملتحفة بهذه الحياة كما في خلايا شمع العسل التي تملأها دون أن تصير مثلها (أي دون أن تصير شمعاً). وهي في هذا تحتاج إلى معونة يد الله التي تضغط لا لتحطم، بل لكي تقطر عسلاً. تصير أحكام الرب بالنسبة لمثل هذه النفس أحلى من كيانها ذاته، أحلى من العسل والشهد.

القديس أغسطينوس

❖ تأمل الأسلوب الأرثوذكسي في المعركة وقدر إنجازات المعرك الروحية، كيف أن المناضل المسيحي وقد انتصر على جسده النائر ووضعه تحت

وطأة قدميه يُحمل إلى الأمام كمنتصر في الأعالي. ولذلك فإنه لا يركض كأنه عن غير يقين، لأنه يثق بدخوله قوا إلى المدينة المقدسة، أورشليم

السماوية [815].

القديس يوحنا كاسيان

4. لارجاء في هذا العالم

وَلَكِنْ رَجِعُوا كُلُّكُمْ وَتَعَاوُوا،

فَلَا أَجِدُ فِيكُمْ حَكِيمًا [10].

يطالبهم أيوب أن يرجعوا عما يفكرون فيه، وليبركوا أنه ليس بينهم حكيم واحد، لأنهم يسألونه التوبة من أجل عودة الرخاء إليه والرفاهية في

العالم، ظانين أن هذا فيه تغريات المتألمين. إنهم غير حكماء، لأنهم حوّلوا أعينهم عن تغريات السماء إلى رفاهية العالم. سعادة الصديقين في رجائهم في

الأبدية، لا في نوالهم خير زمني.

كأنه يقول لهم إنه من حماقة أن يسمع لهم ويجب طلبتهم فيهبهم ما هو زمني.

❖ "LXX حسناً، تعالوا الآن، انهضوا جميعكم، إذ لا أجد الحق فيكم" (أي 10: 17). كأنه يقول: تعالوا وأنتم متعاونون معاً، ولتدخلوا في حوار حار

ضدي.

يعرف أيوب أن واحداً مفوداً يقتفي أثر ألف، واثنين يمكنهما أن يهزما عشرات الألوف (تث 32: 32). فلا حاجة إلى عدد عظيم من

المصلعين، خاصة متى تسلحوا بالكذب.

إنني أرى على نحوٍ جازمٍ أنه لا يوجد الحق فيكم، لهذا بالتأكيد أروضكم جميعاً على المعركة.

يليق بالإنسان أن يدهش للروح الحريء في كلمات أيوب. فبعدما وطأ أصدقؤه عليه تحت الأقدام حتى أننا لا نقدر أن نتصور كيف تألم، غير أنه لم يهدأ عن مناظرتهم ولا تخلى عن صوه الذي جعله رعباً لأعدائه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير): "لكن بالنسبة لكم جميعاً فلتغيروا طريقكم وتأقوا الآن" [10]. وكان أيوب يجيبهم بالقول: إن كنتم تسألونني التوبة عن خطايا لم ارتكبتها، فإنكم تسقطون في خطية السب والاتهام الظالم. إنني أنصحكم أن ترجعوا عن طريقكم هذا، وسلوكم الشرير، حينئذ تأتون إليّ، ويمكن التفاهم معاً.

وي البابا هنا أن أيوب يدعوهم لعملين: الأول السلبي وهو الكف عن الخطية، والثاني إيجابي وهو عمل الصالح، هذا ما عناه بأن يغيروا طريقهم الشرير، ويأتوا إليه حاملين الأعمال الصالحة.

❖ يسألنا بولس أن نكون أموثاً للعالم، فإن هذا الموت نافع لنا، بكونه بدء حياة جديدة. هكذا أيضاً يأمرنا أن نكون جهلاء للعالم، لكي بهذا ندخل إلى الحكمة الحقيقية. تصيرون جهلاء لهذا العالم عندما تحتقرون الحكمة الأرضية، وتتقون أنها لا تساهم في إراكنا للإيمان [816].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حكمة هذا العالم هي تلك التي تنقصها نعمة الله، إنها بشرية في سماتها تماماً [817].

الأب ثيودورت

❖ يؤمهم أن يغيروا طريقهم، وأن يأتوا. يتم التغيير بالإيمان، والمجيء بالمرسة، أو يؤمهم أن يتغيروا بتوك الأعمال الشورة، ويأتوا بمرسة الأعمال الصالحة. كما هو مكتوب: "كف عن الشر، واصنع الخير" (مز 37: 27).

"لعلني لا أجد إنساناً واحداً حكيماً بينكم" [10]. ماذا يعني هذا أنه يوصيهم بالحكمة، وفي نفس الوقت يشناق ألا يجدهم حكماً، سوى أنهم لا يقدرون أن يأتوا إلى الحكمة الحقيقية حين يندعون بتقتهم في حكمتهم الذاتية الباطلة؟

كتب عن هذا: "لا تكن حكيماً في عيني نفسك. (راجع إش 5: 21). قيل أيضاً: "لا تكونوا حكماً عند أنفسكم" (رو 12: 16).

في هذا يقدم الكرز العظيم (بولس) مشورة لأولئك الذين وجدهم حكماً جسدياً، وهي لكي ينالوا حكمة حقيقية يؤمهم ولأ أن يصيروا أغبياء، قائلاً: "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً" (1 كو 3: 18). ويقول الحق نفسه: "أحمدك أيها الأب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال" (مت 11: 25). هكذا لأن الذين هم حكماً في عيون أنفسهم لا يقدرون أن يأتوا إلى الحكمة الحقيقية، فإن الطوبوي أيوب، إذ كان تواقاً لتغيير سامعيه، بالحق اشتهي ألا "يوجد أي إنسان حكيم بينهم". وكأنه يقول بصراحة: "تعلموا أن تكونوا جهلاء في أنفسكم، لكي تكونوا حكماً حقيقيين في الله".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا تدع كثرة الحكمة تصير حجر عثرة لنفسك، وفخاً في طريقك، بل أن الثقة بالله بثبات تصنع لك بداية الطريق المملوء دماً (طريق الجهاد الروحي ضد الخطية)، لئلا تُوجد في عز على اللوام وعلياً من معرفة الله، لأن الخائف الذي واقب الريح لا يزرع أبداً [818].

مار اسحق السرياني

أيامي قد عيرت.

مقاصدي لئلا تُوجد في انوعت [11].

يسألون أيوب توبته عن شوه وريائه لكي يعود إليه ما فقده. أما بالنسبة له، فليس لهذه الأمور موضع في قلبه. فأيامه قد عوت أو مسوعة إلى النهاية، ومقاصد قلبه القديمة من أعمال للإصلاح واهتمام بالفواء قد زُعت عنه. لقد صار أيوب يرى الموت ليس ببعيدٍ عنه، فلا يفكر فيما لا يستطيع عمله.

وى البابا غريغوريوس أن أيوب يرمز للكنيسة المضطهدة. إذ تشد الضيقة عليها جدًا يرتفع بالأكثر فوها نحو السماء، فلا تنشغل بالأمور الأرضية ولا حتى بالخدمة الاجتماعية البحتة، لكن تُحصر في المجد الأبدي. وما نقوله عن الكنيسة كجماعة مقدسة، يتحقق في حياة كل عضو فيها، متى واجه الضيق بالتفكير في السمويات.

❖ "أيامي تعبر، أفكري تتبدد، توجع قلبي" [11]. ترى الكنيسة المقدسة أن فترات حياتها تعبر في فترات نهارٍ وليلٍ، فعندما تكون في شدة يكون لها ليل، وعندما تكون في رخاء يكون لها نهار. فإن النور يشوق في هوء السلام. أحيانًا تصغي إلى خدمة الأمور الزمنية... هكذا الطوبوي أيوب، سواء كان بصوته أو بصوت الكنيسة الجامعة بعد اختبار أن أيامه قد عوت، أكمل: " أفكري تتبددت، توجع قلبي ". عندما يذهب المجد المؤقت من أذهان الصالحين، فإنه حتى الاتومات بالأمور الأرضية أيضًا تُزع عنهم... أحيانًا في الواماتهم الأرضية يلتومون بالنزول إلى التفكير في الأمور الدنيا، ويشعرون في داخلهم أنهم في عذاب. وأيضًا يحدث أن نفس العمل العدائي للاضطهاد يتحول بالنسبة لهم إلى تهليلٍ عظيمٍ بسبب راحة القلب التي ينالونها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "نفسى في يدي" "... تكون نفس أي إنسان بين اليدين حين يكون في وسط مخاطر... إذن يقول البار: بالنسبة لي فإنني أموت كل يوم، أنا في خطر دائم من أجل (رتباطي) بكلامك، ومن أجل الحق... لكنني لم أنسَ ناموسك، لأن خطر الموت لا يقدر أن ينسيني ناموسك. يمكننا أن نفهم هذه العبارة بطريقة أخرى، وهي أن نفسي دائمًا في كفي، أي أنها دائمًا تلمس الأعمال الصالحة، لأن "اليد" أو "الكف" تُطلق دائمًا على العمل [819].

العلامة أوريجينوس

❖ تحصل علي عالم النور عوض ألم مويرٍ تتحملة لأجله ليومٍ واحدٍ. إن صيرت علي الروع قليلاً من أجل حبه، تلتهب عندئذ رغبتك لروية وجهه. إن ظهرت الظلمة علي وجهك من الأعمال لأجله، يجملك بمجده إلي الأبد بلا نهاية. إن تعريت مما هو لك، يلبسك نوره، ويخفي عنك ما هو لك. إن تركت ما تملكه، تقتنيه في نفسك أبدياً.

الشيخ الروحاني (يوحنا الذلياتي)

❖ عناء كل السنين الطويلة لهذه الحياة الحاضرة يختفي عندما ننظر إلى أبدية المجد العتيد، وكل أزاننا سنتلاشى بالتفكير في البركة العظيمة، وتصير كالبخار الذي يضمحل وكأنها لم تكن؛ تشبه الورق الذي حالما يختفي [821].

القديس يوحنا كاسيان

❖ لقد زهد (الشهداء) كل الأشياء التي على الأرض، ونظروا بعيني الإيمان ملك السماء وطغمت الملائكة تقف أمامه. لقد رسموا في أذهانهم السماء وبركاتنا التي لا يُنطق بها. لقد نفقوا أفكلهم إلى السماء، ولم يعطوا اهتمامًا بعد ذلك لأي أمرٍ يمكن أن يروه بأعينهم الجسدية... لم يتأثروا بالأمور المنظرة قط (أنوات العذاب)، بل عبروا بجورها، إذ حسوها أحلامًا وظلالاً، ونالت عقولهم أجنحة بسبب رغبتهم في [822].

❖ لا نخاف من الفقر أو المرض أو أية ضيقة كهذه، فإننا نعرف أننا في طريقنا إلى حياة أفضل، والتي هي منيعة ضد الموت والدمار، ومتحررة من كل ظلم [823].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَجْعَلُونَ اللَّيْلَ نَهْلًا،

نُورًا قَرِيبًا لِلظُّلْمَةِ [12].

يحدثونه عن الليل حيث أيامه كادت أن تعبر كأنه نهار، لكنه ليس نهلاً مبهجاً بنوره، وإنما نوره قريب من الظلمة. بينما لم يكن يتوقع شيئاً ما على الأرض، ركزوا حديثهم على الرخاء في العالم كمكافأة الرب للأوار، بهذا يهيئون له العالم في أذهانهم بيتاً للراحة، أما هو فوى الموت نصب عينيه، ولا رجاء له في أمور العالم الزمنية. إنه وحب بالموت كبيتٍ يستقر فيه. هناك في القبر يُعد فاشه.

إِذَا رَجَوْتُ الْهَالِيَةَ بَيْتًا لِي،

وَفِي الظَّلَامِ مَهَّدْتُ فَوَاشِي [13].

قُلْتُ لِلْقَبْرِ: أَنْتَ أَبِي،

وَلِللُّودِ: أَنْتَ أُمِّي وَأَخْتِي [14].

في مرة يتطلع أيوب إلى استبدال أصدقائه في العالم بالقبر، فيصير له أباً، إذ هو أكثر رحمة منهم، وعض وعودهم بالبركات الزمنية يجد في اللود أمه وأخته. شكأ أيوب من أن أقلبه قد خذله، وصلوا غرباء عنه (أي 19: 13، 14)، لذلك يذكر هنا أقرباء لا يفلقونه ولا يتتكرون له وهم الموت واللود.

❖ وى الأب هيسخيوس الأورشليمي أن أيوب دعا الفساداً وأختاً، لأنه بسبب الخطية صدر الحكم ضد الإنسان أن ينحل ويفسد ويعود إلى رآبه.

❖ إن فهمنا هذا بالمعنى الروحي، فإن الطبيعة ليست بالأمر غير اللائق أن تُدعى أمنا، والعادة تُدعى أختاً لنا، فإننا ولدنا من الواحدة، ونمونا مع الأخرى. ذات الأم والأخت هما اللود، فإنه بسبب الطبيعة الفاسدة والعادة الثروة تُؤم بوعٍ من اللود أو الأفكار المثوة، تأكل الذهن. فإن طبيعة الجسد الفاسدة والعادة الثروة تولدان اهتمامات عديدة في قلب ضعفنا، لذا بحق دُعيت لوداً.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليتنا نتخلص من فنزلة الخطية، فيظهر الجمال الأول الذي للفضيلة. يقول داود النبي في المزمور: "يارب بجمالك أعطيت جمالي قوة" (مز 29: 8). لنتطهر حتى تظهر صورة الله فينا، وهذا هو ما يريده الله منا، أن نكون بلا دنس ولا نقص ولا عيب [824].

الأب دوروثيوس

❖ يحزن جميع القديسين بتنهات يومية من أجل ضعف طبيعتهم هذا. وبينما هم يستقصون أفكلهم المتنقلة ومكونات ضماؤهم وخلواتهم العميقة يصرخون متزعجين: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2)....

ها أنت ترى إذن كيف يعترف جميع القديسين بصدق أن جميع الناس كما هم أيضاً خطاة، ومع ذلك لا ييأسون أبداً من خلاصهم، بل يبحثون عن تطهيرٍ كاملٍ بنعمة الله ورحمته...

لا يوجد أحد، مهما كان مقدساً، في هذه الحياة بلا خطية. وقد أخونا أيضاً تعليم المخلص الذي منح تلاميذه نموذج الصلاة الكاملة...، إذ يقول: "وأغفر لنا ذنوبنا، كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" (مت 6: 12).

إذن إذ قدم هذه كصلاة حقيقية يملسها قديسون، كما يجب أن نعتقد دون أدنى شك، فمن يمكنه أن يبقى عيداً ووقحاً ومنتفخاً بكبرياء الشيطان، فيظن أنه بلا خطية [825].

الأب ثيودور

❖ كما أن القديس هو هيكل الله، هكذا الخاطئ يقيم من نفسه قوياً [826].

القديس جيروم

فَأَيْنَ إِذَا آمَالِي؟

آمَالِي مَنْ يُعَايِنُهَا! [15]

وى أيوب أن كل آماله السابقة تتحدر معه إلى القبر فوثيها. حقاً إن كان لنا في هذه الحياة فقطرجاء، فنحن أشقى جميع الناس (1 كو 15: 19). ليس من يستطيع أن وى آمالنا التي تعزينا، إذ نتوجى، لا الأشياء الوقتية التي وى، بل الأبدية التي لا وى (2 كو 4: 18).
الآمال التي قدمها له أصدقوه تتول معه إلى القبر، لتُدفن معه ولا تعود. هم مانتون يقدمون ما هو فان.

❖ "ماذا إذن هورجائي؟" [15]. أو أين هورجاء الإنسان الذي فيه يتحقق هذا الطريق من الضعف؟ "أين سرى خواتي؟" عندما وحل منه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "الآن أين هو توقعي؟" [15]. ماذا يمكن أن يكون توقع البار سوى الله الذي يبرر البار، والذي قول برادته إلى عقوبة بشرية، ويوه حرر أسوى

الموت؟ فإنهم لن يتوقفوا عن توقعهم بقية التوقعات المملوءة رجاء. إنهم يعرفون أن هذا آت، لكنهم يطلبون سوعة المجيء. لذلك لم يقل: "أين هو توقعي؟" بل أضاف كلمة "الآن"، مظهراً أنه يود أن يتحقق ما سيأتي يوماً دون تأخير.

"ومن يتأمل في صوي؟" [15]... يشهد الحق: "إن أنبياء وملوكاً كثيرون اشتبهوا أن يروا هذه الأمور التي ترونها ولم يروا" (لو 10: 24).

وهكذا "من يتأمل في صوي؟" نفحات الرغبة الحرة صلت مكشوفة... ليقول: "من يتأمل في صوي؟" فإن ما يحسبه مدبر الأمر (الله) أنه مدة قصوة واه من يجب أنه مدة طويلة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ينبغي علينا أن نضع في السماء ما نخسره الآن على الأرض. فالعدو يستطيع أن ينقب منزلنا، لكنه هل يقدر أن يكسر باب السماء؟! إنه يقتل الحرس هنا، لكن هل يستطيع أن يقتل الله حافظها؟!
❖ لو أخركم مهندس معلمي أن مؤلكم يسقط حالاً، أفلا تتحركون سريعاً قبل أن تتشغلوا بالحنيب عليه؟! هوذا مؤسس العالم يخركم بأقواب دمار العالم، أفلا تصدقونه؟!... اسمعوا إلى صوت نبوته: "السماء والأرض تزولان" (مت 24: 35)... اسمعوا إلى مشورته! [827]

القديس أغسطينوس

تَهْبِطُ إِلَى مَغَالِقِ الْهَابِوَةِ،

إِذ تَوْتَاخُ مَعَا فِي التَّوَابِ [16].

❖ "أو هل سيترنون معي إلى الجحيم، أو سننزل معاً إلى التواب؟" [16]. إذن لماذا نقيم المباني؟

لماذا ترتبك بأغطية ثمينة للسوائر والملابس المختلفة؟ لماذا نضيف حقلاً إلى حقلاً (إش 5: 8)؟ لماذا نطلب الغنى الذي لا يذهب معنا؟

ولماذا لا نصدق تدبير الديان، ولا ندعن له، القائل: "لا تكتنوا لكم كنزاً على الأرض، حيث يُفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السلقون

ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنزاً في السماء حيث لا يُفسد سوس ولا صدأ، حيث لا ينقب سلقون ولا يسرقون" (مت 6: 19-20). فإن ملائكتنا تحرس

كنوزنا، ولا سيما رب الملائكة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "ألا تظنون أنه على الأقل ستوجد راحة لي هناك؟" ... هنا ما يفيدنا التأمل بخوفٍ شديدٍ كضمانٍ لنا للراحة الأبدية، فإنه حتى أيوب كان مرتعّباً من ذلك... "إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطي أين يظهوان؟" (1 بط 4: 18) (فإن الطوبوي أيوب عرف أنه سينال راحة بعد ضربات الضيق، لكنه إذ يهز قلوبنا بالخوف، بدا كمن هو في شكٍ من جهة مكافأة الراحة الأبدية بقوله: "ألا تظنون؟"

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ وى البعض أن منزلهم التي يقيمون فيها هي مملكتهم، وبالرغم من علمهم أن الموت محتّم، وأنه يوماً ما سيجوهم على تركها، ففي قلوبهم يشعرون أنهم يمكنون إلى الأبد. إنهم يفتخرون بحجم منزلهم، والمواد الممتلئة التي صنّعت منها. يجدون متعة في زخرفة منزلهم بأوان زاهية، وفي انتقاء الأثاث الأكثر صلابة والأفضل لملأ الغرف. يتخيلون أنهم باقتناء مؤل معمر... سيجدون فيه سلامهم، أي كلما تأكلوا أن حوائطه وأسطحه تظل متينة إلى أجيال كثرة.

أما نحن فعلى النقيض، نعلم أننا مجرد ضيوف نعيش مؤقتاً على الأرض. ندرك أن المنزل التي نقتننها هي بمثابة فنادق على الطريق إلى الأبدية. إننا لا نشهد سلاماً أو أمناً من الحوائط المادية من حولنا أو الأسقف فوق رؤوسنا. بل بالحري نريد أن نحيط أنفسنا بحوائط النعمة الإلهية. ونتطلع إلى السماء عاليًا كسقفٍ لنا. أما الأثاث في حياتنا فيجب أن يكون أعمالاً صالحة، نعملها بروح الحب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أيوب 17

إني أتوقّب اللقاء معك

❖ كلما ذكرت يوم رحيلي، أو يوم لقائي معك،
تتسحق نفسي في داخلي،
تثن من أجل كل ضعفٍ يحل بي.
هوذا الأثوار يسمنون،
إذ يظنون أنهم يعيشون هنا إلى الأبد.
أما أنا فيوم مجيئك الأخير منقوش في قلبي،
لا يفارق ذاكرتي.
بماذا أتبرر قدامك؟

❖ في وسط حزني على ضعفي،
قلبي يتهلل في داخلي.
نعم، إني مشتاق إلى العودة إلى بيتي الأبدية!
عيناى تتطلعان إليك،

متى ألتقي بك وجهًا لوجه؟

❖ إلهي، هوذا حولي من يطلبون الحوار الجاف.

يفسدون توبتي، وتعلقي باللقاء معك.

لا، بل عدو الخير، الغريب عني، وعن كل جنس البشر،

لا عمل له إلا أن يسلبني التمتع بالتفكير فيك،

والاستعداد لشوكة الأمجاد الأبدية.

إنه خصم عنيد،

لا يهدأ حتى يقول بي معه إلى مسكنه الأبدي.

لست بهذا أبرر نفسي،

فأنت تعلم إنني خاطي.

إنني مجروح بالخطية،

لكنني وجدتك طبيبًا شافيًا!

إنني خاطي، وجدتك القديس، تقديس كل كياني!

إنني مدين، وأنت كفيلي وضامني.

دمك يمزق الصك المكتوب عليّ.

صليبيك يحررني من أسوي.

أنت وحدك تجرد الوئاسات والسلطين،

بصليبيك تشهر بهم جهلًا،

فأقلت من أيديهم، ولا أنحني لسلطانهم بعد.

أنطلق من رئيس هذا الدهر،

لأحتمي تحت جناحيك يا ملك الملوك ورب الأرباب.

ظن عدو الخير أنه بحكمة أسوني وأذلني.

لكن حكمته صلت خبثًا ودهاءًا!

لقد زوعربي عنه الحكمة الحقيقية،

إذ عزل نفسه عن حكمة الله.

صار الخبيث جاهلًا، وفقد إمكانياته.

أما أنا ففي جهلي أصوص مستغيثًا.

اشتهدى الاتحاد بك يا حكمة الله.

أقتنيك، فأصير بك بالحق حكميًا،

وأأهل للسكنى في السماء مسكن الحكماء!

- ❖ ما يحزن نفسي أن عدو الخير يأسر الكثيرين.
كل نفسٍ تفقد نورك، أحسب إنني في ظلمةٍ معها!
وكل نفسٍ تستهين بخلاصها، أحسب نفسي كمن يهلك معها!
كل نفسٍ يسببها العدو، أحسب نفسي مسببًا معها!
- ❖ لماذا تئن نفسي عندما رى الأثوار، المقاومين للحق، يذهبون؟
مهما طال زمان حياتهم،
فسيعبرون سريعًا،
وكالعشب يجفون!
ولأدك كالشجرة في فصل الشتاء،
يظهرون كأشجارٍ ميتةٍ بلا أوراقٍ ولا ثمارٍ،
لكن يأتي ربيع يومك،
ويذهب صقيع العالم،
وتتمجد أشجرك بثملها العجيبة!
حقًا. سيزول العالم سريعًا،
ويظهر ما لأولادك من مجدٍ أبدي!
مهما اشتد صقيع العالم، ومهما تراكمت التجارب،
عربون السماء يملأني ببهجتك!
والشركة معك حتى في آلامك تملأني سلامًا!
- ❖ هوذا أيامي تعبر سريعًا.
هب لي أن أقتني الحكمة والحق الإلهي.
لأجد الحكمة البشوية المتعجرفة.
أتمتع بك يا كلي التواضع!
- ❖ نفسي في يدي وأنا سالك وسط المخاطر.
أترقب خروجي من العالم في أية لحظة بؤح!
لا أكف عن أتم بيدي عملك، لأنني سفرك.
حتى متى خرجت لوجد معك، وأتمتع ببهائك!

❖ أخراً ليكن كل رجائي فيك.

ليكن كزي في سمواتك!

ليس من مكان آمن مثلها!

ك

الأصحاح الثامن عشر

صورة مؤنة للدمار

جاء نور بلدد للمرة الثانية، وجاء حديثه الثاني كأليغاز أكثر حدة وقسوة. فإن كان أيوب قد اشتكى من تعاسته، وأن نهله قد صار ليلاً وظلمة، ومن محاصرة الفخاخ له، وجد بلدد فرصته لتأكيد شر أيوب.

ربما أخطأ أيوب حين بلغ به الضيق الشديد إلى شهوة الموت ليكون له القبر أباً والود أمًا. بهذا كان أيوب يحطم نفسه، عوض هذا كان يؤم أن يؤمن بالله الذي يحرك الجبال [٤].

لم يضيف بلدد شيئاً ذا قيمة إلى حديثه السابق. عاد يذكر أمثلة توضيحه لفكوه بخصوص مصير الأثوار. قدم بلدد صورة للشيرير، قصد بها

أنها تنطبق على أيوب، الذي كان في نظره متعطساً:

❖ ليس لديه نور لكي يضيء بيته أو لتدفنته [٥-٦].

❖ يتسم الشيرير بالتودد، فيضل طريقه بسبب الظلمة، ويفقد مسلكه بسبب أخطائه [٧].

❖ يجري كحيوان يُصطاد، فيسقط في فخ [٨-١٠].

❖ يلاحقه الوعب أينما ذهب [١١-١٣].

❖ تفقرسه الأمراض والموت. يُطرد من بيته المريح، ويُسلم إلى ملك الموت [١٤].

❖ يستولي آخرون على بيته، أو يهلك مثل سدوم وعمورة [١٥].

❖ يُتَوَّع هو وأسوته من الأصل كما من الفروع، وبعنفٍ يعبر من نور هذا العالم إلى ظلمة الموت [١٦-١٩].

❖ مصوره مُوعب في هذا العالم.

1 . اتهام أيوب بالغطسنة 4-1

2 . نور الأثوار ينطفئ 6-5

3 . الأثوار يضلون طريق 7

4 . يسقط الأثوار في الفخاخ 10-8

5 . يسيطر الوعب على الأثوار 13-11

6 . يطرد الأثوار من خيامهم 15-14

7 . توقع ذكر الأثوار 17-16

1 . اتهام أيوب بالخطيئة

فَأَجَابَ بِلِدْدُ الشُّوحِيِّ: [1].

إِلَى مَتَى تَضَعُونَ أَشْرَاكَاَ لِلْكَلامِ؟

تَعَقَّلُوا وَبَعْدُ نَتَكَلَّمُ [2].

يلقى بلدد بسهم في قلب أيوب، إذ يتهمه بأنه يتحدث بكلامٍ فرغٍ بلا تعقل. يضم في هذا مع أيوب آخرين، ربما قصد الصديقين أليفاز وصوفر، أو بعض الحاضرين الذين ربما دافعوا عن أيوب بين آن وآخر.

لقد ملّ بلدد سماع الكلام، فإذا جاء نوره فَوَغَّ كل ما في قلبه من ضيق بلا حنوٍ. للأسف غالبًا ما ظن بلدد أن الحكمة حكر على عقله دون غيره، فتسرع في هجومه بالكلام.

يوصينا الرسول أن يكون "كل إنسانٍ مسوعًا في الاستماع، مبطنًا في التكلم" (يع 1: 19).

بعد أن كان أيوب في رخائه يقول الكلمة النهائية القاطعة كرجلٍ حكيمٍ يحترم الكل رآه، يُوجه إليه الآن هو ومن معه ألا يتكلموا إلا بعد أن يتعقلوا.

❖ انظروا إلى أولئك الذين كانوا مشغولين بإدانته. تطلّعوا إلى أولئك الذين يريدون أن يبكموا فمه. هذا ليس موقف أناسٍ يطلبون له التغطية، بل بالعكس من يثيرونه ويسخرون به... ألا ترون حسدهم؟ يحسبون الصمت علًا، وقمة الغلوة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير): "فأجاب بلدد الشوحي وقال: إلى أي مدى تطلق كلماتك وتنشرها؟ لنفهم أولاً، دعنا نتكلم"

[1-2]. ووى هذا الأب في أغلب تفسيره لسفر أيوب أن أيوب يرمز للكنيسة المقدسة، وأن أصدقاءه يرمزون للهواطة المقومين لها.

هنا يقدم بلدد - كمنتمٍ للهواطة - اتهامين ضد الكنيسة، الاتهام الأول أن رآها غير أصيلة، والثاني أنها بلا فهم، إذ لا تترك رآهم وأفكرهم. في كل العصور، إذ تتمسك الكنيسة بالإيمان الحي دون تسبب، يتهمها البعض بالعرفنة والكبرياء والجمود، وإذ ترفض الآراء المنحلة يتهمونها أنها ضيقة الأفق، عاجزة عن أن تكون معاصرة، إذ لا تفهم ما يدور حولها.

في تعليق القديس جيروم على كلمات الرسول بولس: "عاملين مشيئات الجسد والأفكار" (أف 2: 3)، يميز بين خطيئة الجسد وخطيئة الفكر فيقول: [يوجد فرق بين خطيئة الجسد وخطيئة الذهن. خطيئة الجسد بلا احتشام وفيها خلاعة، وتعمل كأداة لتحقيق شهواته. أما إثم الذهن فيخص التعليم ضد الحق والانحدار الذي للهواطة [828].]

❖ يظن كل الهواطة، أن الكنيسة المقدسة إذ تعرف بعض الأمور أنها مملوءة كبرياءً، بينما يحسبون أنها لا تفهم بعض الأمور التي يتوهمونها. هكذا كان بلدد الشوحي كمن يؤكد أن الطوبوي أيوب قد انكسر في كبرياءٍ، عندما أعلن أنه "ينشر الكلمات على نطاق واسع". لكن (بلدد نفسه) يحمل علامة على كبريائه، إذ انتفخ حاسبًا أن الطوبوي أيوب ينطق بأمر لا يفهمها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أيا كانت الاتهامات الموجهة ضد الكنيسة، فإنها لا تكف عن الجهاد المستمر حتى تبلغ بكل المؤمنين إلى وحدة الإيمان، هذه التي يحسبها الرسول بولس بلوغًا إلى الكمال: "إلى أن تنتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسانٍ كاملٍ، إلى قياس قامة ملء المسيح، كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين، محمولين بكل ربح تعليم" (أف 4: 12-14).

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارات قائلاً: [ننضح حين نبلغ إلى وحدة الإيمان، أي حين يُوجد مشركون في الإيمان الواحد، فإن هذه هي وحدة الإيمان حين نصير جميعاً واحداً، حين نعرف كلنا ذات الميثاق [829].]

لِمَاذَا حُسِبْنَا كَالْبَهِيمَةِ،

وَتَجَسَّنَا فِي عُيُونِكُمْ؟ [3]

حقاً إن أيوب دعا أصدقاءه مختلين (أي 17: 2)، وصوّرهم غير حكماء بلارحمة، لكنه لم يدعهم قط حيوانات أو بهائم كما يدعي بلدد هنا. لقد استاء بلدد من عتاب أيوب، وحسب ذلك إهانة بالغة فود الإهانة بإهانة أمر وأفسى.

❖ "لماذا نصمت أمامك كالبهائم؟" (LXX) لأن لك روح بهيمية، تطأطئ رأسك نحو الأرض. حتماً أفكرك غير سليمة، ولا تناسب أناساً صادقين، بل أولئك الذي قال عنهم داود: "الإنسان بكونه في كرامة لا يفهم، يُقرن بالقطيع غير العاقل، ويشبههم" (راجع مز 49: 12). بالنسبة لبلدد إذ أدرك أنه غير قادر أن يجلوب أيوب، تحوّل إلى الشتائم، صار مُهدداً في لحظة خاطئة. لهذا السبب فإن كلمات أيوب التي وجهها إلى الخصم (إبليس) لا إلى الله حسبها بلدد أنها ضد الله، وبهذا لم يخجل من أن يسيء إلى البار.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ حيث أن كل الواطقة يشكون أن الكنيسة المقدسة تحتوهم في تقودها لهم، لذلك أضاف: "هكذا حُسِبْنَا كَبِهَائِمٍ، وكفاسدين في عينيك" [3]. إنه لأمر طبيعي للذهن البشري أن يفترض أن الأمور التي يفعلها إنما توتد إليه. فيعتقدون أنهم محتقرون، بكونهم اعتالوا أن يحتقروا طرق الصالحين... توهن الكنيسة ضد الواطقة أن ما يفعلونه هو أمر غير معقول، فيظنون في أنفسهم أن الكنيسة تتطلع إليهم كبهائم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَا أَيُّهَا الْمُفْتَرِسُ نَفْسَهُ فِي غَيْظِهِ،

هَلْ لِأَجْلِكَ تُخَلِّي الْأَرْضَ،

أَوْ يُرَخَّوْحُ الصَّخْرُ مِنْ مَكَانِهِ؟ [4]

انفعل بلدد بالأكثر فحسب أيوب حيواناً شرساً: "يا أيها المفتوس نفسه في غيظه". فإن كان أيوب مفتوساً، فقد افتوس نفسه. ولعل بلدد أراد أن يرد على أيوب الذي وجه الاتهام إلى الله: "غضبه افتوسني واضطهني"، فيقول: "لا تلم الله كأنه قد افتوسك، إنما يوحشيتك افتوست نفسك". اتهم بلدد أيوب بالغطوسة كمن يستطيع أن يشوع الله: "هل لأجلك تخلي (تهجر) الأرض؟"، كمن وغب في تغيير قوانين الطبيعة من أجله وحده. أو كأن العالم لا يقوم بدونه، فإذا ما هلك باد العالم معه، وأخلبت الأرض معه.

وى البعض أن بلدد يوبخ أيوب هكذا: إما أن يعترف بأنه شوير مستوجب لما حلّ عليه، أو يفترض أن الله تخلى عن عنايته الإلهية وأنه هجر الأرض، وأن صخر الدهور قد ورح.

في سخوية يتحدث الواطقة مع الكنيسة كما يتحدث هنا بلدد مع أيوب. كأنهم يقولون لها: "هل تظنين أنك فلك الخلاص وحدك، بدونك لن يتمتع إنسان بالخلاص الإلهي؟ ما تتادين به، هذا فوع من الجنون والكورياء".

يلق البابا غريغوريوس (الكبير) على هذا النص قائلاً:

[حسب الواطقة أن المشاعر القوية للتدبير الحسن أو للنعمة الروحية للكرة المقدسة ليست صالحة كفضيلة، بل هي جنون الغضب...]

"هل لأجلك تخلي الأرض؟" (أي 18: 4)... تعلن الكنيسة المقدسة الجامعة أن الله لا يمكن عبادته إلا من خلالها، مؤكدة أن كل الذين خلجها

لن يخلصوا. والواطقة من الجانب الآخر، إذ يتقون أنه يمكنهم أن يخلصوا حتى بدون الدخول في نطاقها يؤكدون أن العون الإلهي يبلغ إليهم في كل

موضع...

" أو يُخرج الصخر من مكانه؟" يدعو الـهواطقة هؤلاء الأشخاص صخيراً، هؤلاء الذين في نظرهم، بسمو أفكلهم يقفون في الجنس البشوى مفتخرين بكونهم معلمين. ولكن تقدم الكنيسة المقدسة ذاتها لجمع شمل المبشرين المخطئين ليدخلوا معاً في حضن الإيمان السليم. ماذا يُحسب هذا سوى أنها " تحرك الصخرة من مكانه". وإذ تصير لهم نظره سليمة للأمور، يخضعون في تواضع في داخلها، هؤلاء الذين كانوا قبلاً يأخذون موقف العناد، متمسكين بمفاهيم الخاطئة...؟

هكذا حمل بلددرزاً للهواطقة الذين ارتفعوا على أساس أن حياتهم سعيدة، منتفخين على الضربات التي حلت بالطوبوي أوب.]

لم يكن لأحاب أو أهل بيئتها أن يتمتعوا بالخلالص لو خرجوا من البيت الذي علق على كوته الخيط القوي، إذ لا خالص خرج الكنيسة المفدية بدم المسيح.

❖ راحاب تمثل الكنيسة، والحبل القوي يرمز إلى دم المسيح، والذين في البيت هم فقط الذين خلصوا. من أراد أن يخلص فليأت إلى هذا البيت حيث دم المسيح علامة الفداء... ينبغي ألا يمدح أحد نفسه، فإنه لا يخلص أحد خرج البيت، أعني خرج الكنيسة. [830]

العلامة أوريجينوس

❖ أتظنون أنكم قادرين أن تصموا وتحيا إن انسحبتم لتقيموا لأنفسكم بيوتاً ومواقع مختلفة، وقد قيل لأحاب: "اجمعي إليك في البيت أبابك وأمك واخوتك وسائر بيت أبيك، فيكون أن كل من يخرج من أبواب بيتك إلى خارج، فدمه على رأسه، ونحن نكون يربئين؟! [831]

❖ في هذا أعلن السرّ، أن الذين يريدون أن يحيا ويهروا من هلاك العالم يؤمهم أن يجتمعوا معاً في بيت واحد وحدهم، أي في الكنيسة، أما من يخرج من بين هؤلاء المجتمعين هناك معاً، أي إن كان أحد بالرغم من نواله نعمة في الكنيسة يتركها ويخرج خارجاً، فدمه على رأسه؛ هو مسئول عن هلاك نفسه، الأمر الذي أوضحه بولس موصياً بتجنب الهطوقي (رو 16: 17). [832]

❖ من يبقى خرج الكنيسة فهو خرج معسكر المسيح. [833]

❖ لا يكون مسيحياً من هو ليس داخل كنيسة المسيح. [834]

❖ إذ كيف يمكن أن يكون أحد مع المسيح إن كان لا يسلك داخل عروس المسيح، وإن لم يوجد في كنيسته؟! [835]

❖ من ليس له الكنيسة أمًا، لا يقدر أن يكون الله أباه! [836]

القديس كبريانوس

2. نور الأشرار ينطفئ

نَعَمْ! نُورُ الْأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ،

وَلَا يُضِيءُ لِهَيْبِ نُرِّهِ [5].

حديث بلدد هنا صادق، لكنه لا يتحقق هذا فهراً وبطريقة منظرة علنية.

بقوله "نعم" يشير بلدد إلى ما يعانیه أوب من الحزن الشديد الذي يسقط تحته. يقول له: ما نقوله صدق، لأنه كان يجب أن تكون فيما أنت عليه كأمر طبيعي يليق بالإنسان الشوير. فلا تدهش إن كان ما لك من نور بسيط قد انطفأ تماماً. لعله قصد بنور الأشرار ما كان له من خوات وفوح إلى فترة وجزة قبل حلول التجرب. نور الأشرار ليس نور شمس البرّ الأبدي، نور الوب الذي لن ينطفئ، إنما هو "نور نراه، والشورة التي أوقدها" (إش 50: 11).

يتحدث أوب عن أيام رخائه حينما كان سواج الوب يضيء على رأسه (أي 29: 3). ويقول الموتل داود: "أنت تضيء سواجي، الوب إلهي ينير ظلمتي" (مز 18: 28). ومن الجانب الآخر يعبر أوب البار عن ألمه الشديد بقوله: "كم ينطفئ سواج الأشرار" (أي 21: 17). ويقول سليمان: "من

سب أباه وأمه ينطفئ سواجه في حدقة الظلام" (أم 20: 20). "سواج الأثمة ينطفئ" (أم 24: 20). وقد أشار السيد المسيح إلي الحرمان من ملكوت الله أو ملكوت النور بالدخول في الظلمة الخرجية أو جهنم (مت 8: 12؛ 22: 13).

جاء في الأمثال: "تور الصديقين يُؤج، وسواج الأثوار ينطفئ" (أم 13: 9) (راجع إر 25: 10) [837].

❖ "ألا ينطفئ نور الأثوار، ولا يضيء لهيب نره؟" [5]. إن كان يقول هذا عن الحياة الحاضرة فهو مخطئ، إذ كثراً ما وى النور مزدهراً في حياة الأثوار، بينما ظلمة القوي والفقر تغلف حياة الأوار... وإن كان يُقال هذا بخصوص الإنسان الشوير، لكنه لا يُوجه هذا ضد الإنسان القديس الذي تسقط عليه ضربات...

لكن "ينطفئ نور الأثوار". من حيث أن سعادة الحياة الحاضرة سوعان ما تنتهي مع الحياة ذاتها. لذلك فإنه يليق أن يُضاف: "ولا يضيء لهيب نره". فإنه لكل إنسانٍ شوير "لهيب نره"، الذي يشعله في قلبه من حرة الشهوات الوقتية، مادام يحترق بشهوات متنوعة، ويوزي أفكله في لهيب أعظم بؤهام العالم المتعددة. ولكن إن كانت النار بلا لهيب، فإنها لا تضيء ببعث أي نور... فإنه حتى الصديقين لهم لهيب نره، لكنه لهيب ينير ببهاء، حيث أن شهواتهم تشوق في الأعمال الصالحة. أما نور الأثوار فلا يشوق على الأقل كما يودون في الشر، ويلتزمون بالدخول إلى الظلمة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لا يستطيع عدو الخير - إبليس - أن ينير، وإن ظهر منواً، يحمل نوراً مزيفاً. لأنه رئيس مملكة الظلمة، يظهر كملك نورٍ ليخدع البشوية، ويدخل بها إلى مملكة الظلمة. هكذا الأثوار، المصرون على عصيانهم، لن يستطيعوا أن ينبروا، إذ يقدمون مما لهم ولأبيهم، أي الظلمة.

❖ إذ نعرف المسيح أنه النور الحقيقي (يو 1: 9)، فإنه غير مُترك (1 تي 6: 16) بالنسبة للباطل. إننا نتعلم هذا، أي أنه من الضروري لحياتنا أيضاً أن تستنير بأشعة النور الحقيقي. لكن الفضائل هي أشعة "شمس البر" (مل 20: 3)، تتبعنا لأجل استنارتنا، خلالها نخلع أعمال الظلمة (2 كو 4: 2). إذ نعمل كل شيء في النور، نصير نحن أنفسنا نوراً، يضيء على الآخرين (مت 5: 15-16)، إذ هذا من سمة النور [838].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لا يصبو الشيطان سهامه في وقت النهار لئلا وى، إذ كل ما يُفعل في النور يعلنه النور [839].
❖ ليس للهواطة المسيح، الحق، على شفاهم، لأنه ليس في قلوبهم... يعنون شيئاً في قلوبهم، ويعنون بشيء آخر على ألسنتهم. ينطقون بالتقوى، ويخفون الشر. يتكلمون عن المسيح، ويخبئون ضد المسيح، لأنهم يعرفون أنهم لن ينجحوا في خداعهم إن أظهروا ضد المسيح. يقدمون النور فقط لكي يخفوا الظلمة، فبالنور يقودون إلى الظلمة [840].

القديس جيروم

النور يُظلم في خيمته،

وسواجه فوقه ينطفئ [6].

يقصد هنا خيمة النفس (2 كو 5: 1)، أي الجسد، يفسد تماماً ويكون ظلاماً.

إن كانت الخيمة هي الجسد، فإن أنواع السواج يشير إلى الموت، إذ "عند موت إنسانٍ شوير يهلك رجؤه" (أم 11: 7).

يظن الأثوار أن الحياة هي التمتع بالشهوات الجسدية والملذات واللهو، وأن الحرمان منها فقدان للحياة، أو يرونها نره، بدونها يكونون

كقائني القبور المُقبضة. ما يحسبونه نوراً يظلم، وما يظنونه سواجاً ينطفئ.

هذا هو نور الأثوار وسواجهم، أما نور المؤمنين الحقيقيين فهو كلمة الله، التي تبدد الظلمة، وتقيم من المؤمنين نوراً صادقاً في الرب.

❖ السواج هو نور في إناء خزفي، لكن النور الذي في الإناء الخزفي هو المتعة التي في الجسد. هكذا السواج الذي فوقه ينطفئ، حيث أن المجزأة عن

شوه نحل فوق الشوير، وتصير اللذة الجسدية كلا شيء في القلب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . الأثوار يضلون طريق

تَقْصُرُ خَطَوَاتُ قُوَّتِهِ،

وَتَصَوِّغُهُ مَشُورَتُهُ [7].

إذ يكوس الشوير كل طاقاته لحساب الخوات الزمنية، غير مبالٍ بالروكات الأبدية، تعبر أيامه كالظل، وتُحسب خطوات عوه قصوة للغاية، ويخرج فرغ اليدين. وإذ يبذل كل الجهد في التفكير من أجل الزمنيات، تتحول خطته إلى عدوٍ له، تفقده الحياة الحقيقية الأبدية.

❖ "وتصوغه مشورته" [7]. كل إنسانٍ شوير غاية مشورته هي الزمنيات، تركاً عنه الأبديات، فيملس الظلم ويسخر من البر. ولكن عندما يأتي ديان الأوار والظالمين، يُصوع كل شخصٍ شويرٍ بمشورته، فإن اختيله للأمور القادمة كانت بنية شوية، لهذا يُطرح غرقاً في ظلمة الويل الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ (محبة) هذا العالم زانية، توي بشهوة جمالها الذين يسكون بها ليجوها. الإنسان الذي تمتلكه محبة العالم ويسقط في شباكها، لا يقدر أن يُخلص نفسه من حضنها حتى تُسلب نفسه. عندما يسلب العالم الإنسان من كل شيء، ويلقي به من مسكنه في يوم موته، عندئذٍ فقط يفهم الإنسان أنه بالحق مخوع ومُضللٌ [841].

❖ مادام الإنسان يقرب إلى هذا العالم في طريق حياته، تقيم محبة الأمور المادية جنورها فيه. يضطرب يوماً ويقلق عليها، ومن أجلها يحرب الآخرين، وتأسوه صداقة أشخاص معينين... لنتذكر هذا يا أحبائي، ولنستخف بالأمور التي هنا قدر المستطاع، بهذا ننسحب بأفكرنا تترجياً نحو الأمور العتيدة إن لم نضبط أنفسنا شيئاً فشيئاً، لن تكون لنا قوة لهد الأمور الجسدية حتى نتطلع إلى الله [842].

القديس مار اسحق السرياني

[843]

❖ إن كانت هيئة العالم تروول (1 كو 31:7)، فبلا شك كل ما في العالم ينتهي. الكل سيعبر. في كل يوم يصير العالم أكثر شيخوخة

الأب أميروسياستر

4 . يسقط الأثوار في الفخاخ

لأنَّ رَجْلَيْهِ تَدْفَعَانِهِ فِي الْفَخِّ،

فَيَمْشِي إِلَى شَبَكَةٍ [8].

تفشل مشروعات الشوير القوية وجهوده الجبلة، إذ تدفعه طوقه الخاطئة إلى الشر، لذلك لا يتم مقاصده. كلما بذل جهداً في مشورته، إذا به يتورط بالأكثر في الشباك، فيصوع إلى هلاكه.

❖ "فإنه يضع قدمه في الشبكة، فيمشي في خيوطها" [8]. من يضع قدميه في شبكة لا يقدر أن يخرجها حينما يفكر في ذلك (إلا بطلب نعمة الله). من يسمح لنفسه أن ينحط إلى عادات الخطية لا يقدر أن يقوم منها عندما يشاء ذلك. ومن يمشي في خيوط الشبكة يعوقل خطواته في المشي. وحينما يحاول أن يحرر نفسه ليمشي، يجد نفسه مقيداً ومربوطاً، فيعجز عن المشي. غالباً ما يحدث أن إنساناً تلهيه ملذات هذا العالم ليلبغ إلى أمجاد كرامته... لكنه يتعلم بواله لها كيف أن ما يطلبه تافه. فإن رجع إلى نفسه وى كيف انه سقط في شباك الخطية. ذات القوة التي تعوقله تمسك به ولا يقدر أن يفلت من الخطايا... عندئذٍ وى في النور الحقيقي أية ربطة صعبة مُقيد بها. فإننا لا نعرف حتى أننا مقيدون بمفهوم سليمٍ ألا عندما نجاهد لنتحرر، فنحاول أن نرفع أقدامنا...

البابا غريغوريوس (الكبير)

وكما يؤكد كثير من آباء الكنيسة مثل القديس مقاريوس الكبير أن الخطية تحمل فسادها فيها، فالشوير المصمم على شوه بهلك كثرة طبيعية للشهر محقق الفساد.

لا يحتاج الشوير إلى من يودعه ويعاقبه، إنما ما يفعله يقدم له العورة والموت! يشرب من ذات الكأس التي ملأها لنفسه، اللهم إلا إذا ألقى بالكأس خلال تمتعه بالشركة مع مخلصه، وجهاده الجاد خلال الإادة المقدسة في الرب.

❖ [844] إن بقيت فيما يخص الزاب، فستتحول إليه في النهاية. يليق بك أن تتغير، يجب أن تتحول، يجب أن تصير سموياً.

العلامة أوريجينوس

❖ صونا جميعنا كتلة واحدة من الوحل، كتلة من الخطية. وإذ فقدنا مكافأتنا خلال الخطية فإنه في غيبة مواحم الله، لا نستحق كخطاة إلا الهلاك الأبدي.

أي إنسان إذا من هذه الكتلة يظن أنه قادر أن يسأل الله، قائلاً: "لماذا خلقتني هكذا؟" إن أردت أن تعرف تلك الأمور، لا تكن وحلاً، بل كن ابناً لله [845] خلال رحمة ذلك إلى يعطي المؤمنين باسمه القوة ليصيروا أبناء الله.

❖ حقاً بالخطية تنزل إلي الموت. فإنه حيث يمنع الناموس، تكون الخطية أخطر مما لو لم يمنعها الناموس. على أي الأحوال حيث تُضاف النعمة يمكننا أن نتم ببون صعوبة وبكامل رادتنا ما يأمر به الناموس بشدة. إننا لسنا بعد عبيداً للناموس بالخوف، وإنما أصدقاء وعبيد للبر بالحب [846].

القديس أغسطينوس

من يأكل الخطية ويشربها يسقط في فخاخ، فتتحل رادته وتضعف، ويجد نفسه عبداً لها في مذلة، لا يقدر الخلاص منها، بل يعطش إليها، لا نعب من هذا، فإن من يستخدم المخدرات كلما استخدمها يصير بالأكثر أسوأ في فخاخها، ويؤداد بالأكثر تعلقه بها.

كثيرون يظنون أن مملسة الخطية تقدم لهم خوة مؤة، فيهيرون منها خلال خوتهم الشخصية المؤة. هذا المنطق غير سليم، فإن من يذوق الخطية، وهو يدرك هلاكها يشتهيها بالأكثر على حساب فحة الداخلي وسلامة ومجده الأبدي. الخطية كالنار تلهب الإنسان وتحطم رادته، فلا يقدر التحرر منها، ما لم تسنده نعمة الله الفارقة.

يُمْسِكُ الْفَحَّ بِعَقْبِهِ،

وَتَتَمَكَّنُ مِنْهُ الشَّرْكُ [9].

لا يمكن للشوير المصمم على شوه وعدم الرجوع إلى الله أن ينجو من شوب كأس الشر المر، وجني ثوره القاتل. هذا ما يدعوه أحياناً الكتاب المقدس بالغضب الإلهي، أو تحقيق العدالة الإلهية. هذا ترجمة الاعواز بحرية الإادة، إذ يختار الإنسان برادته الشر، إنما يحفظ لنفسه ثمر الشر. "يعلم الرب أن يحفظ الأئمة إلى يوم الدين معاقبين" (2 بط 2: 9).

جاء النص في الترجمة السبعينية: "وتمسك به الفخاخ، ويقوي الذين هم ظمأى إلى هلاكه" [LXX 9]

❖ [847] وَالظَّمْأَى يَحْتَرِقُونَ بِقُوَّةِ ضِدِّهِ [9]. إذ يصطاد عنونا القديم أحداً حياً في فخاخ الخطية، يعطش إلى موته. يمكن أيضاً فهم هذه العبارة بمعنى

آخر. إذ وى الذهن الشوير أنه قد سقط في خطية يطلب بفكر سطحي أن يهرب من فخاخ الخطية. لكنه إذ يخشى تهديدات الناس أو توبيخاتهم يختار أن يموت أبدياً عن أن يعاني من محن بسيطة إلى حين. هكذا يُسلم الذهن نفسه بالكامل لطوق الشر حيث وى ذاته مقيداً بالفعل... ويأس الخاطي من عودته. بهذا اليأس عينه يحترق بأكثر شراسة في شهوات هذا العالم، فتوقع حورة الشهوة داخله، ويلتهب الذهن الساقط في شبك الخطايا السابقة نحو عصيان أمر. لذلك أضيف وَالظَّمْأَى يَحْتَرِقُونَ بِقُوَّةِ ضِدِّهِ...

المُصاب بموض الاستسقاء، كلما شوب زداد بالأكثر ظمأه، وكل شخصي طماع، يضاعف من عطشه كلما شوب (من المال).

حَبْلٌ مَطْمُورٌ لَهُ فِي الْأَرْضِ،
وَمِصِيدَتُهُ فِي السَّبِيلِ [10].

لا يكف عدو الخير المضلل عن أن يحرب البشرية بكل وسائل الخداع، فيخفي حباله وفخاخه في الطرق التي يسلكها البشر. حربه خفية ومملوء خداعاً، لا يبأس من مقاومة الخدام والشعب، الشيوخ والأطفال والشباب، والنساء والرجال، البتوليين والمتزوجين، الأغنياء والفقراء، المرضى والأصحاء. يقدم لكل واحدٍ حرباً تناسبه. لكننا إذ نتطلع إلى السموي واهب النصرة لا نخشى حيل إبليس وخداعاته.

❖ "مطمورة في الأرض فإخاهم، وحبالهم كلها في السبيل" [LXX 10]. هذه حقيقة، فإن الشيطان يُخفي الشباك في الأرض بطريقة بها يستخدم الذين يندعون، أي الذين يعيشون حسب حكمة العالم (1 كو 6:2؛ 3:9)، وحسب شهوات الناس (1 بط 4:2؛ 2 بط 1:4). يضع (الشيطان) الواشي الذين حولته على السبيل، أي بكل سبل البشر. فإنه يريد أن يصطادهم ويأسوهم بكل الطرق. يصطاد البار بالبرّ الذاتي، والخاطي بجشعه. يتغنى داود متنبأً: "سبطوا حبالهم شباكاً لقدمي، وضعوا عثرة لي باليوب من السبيل" (مز 140:5). حتى بلدد الذي نطق بما هو مستقيم في عباراته السابقة، صار يكذب في الكلمات التالية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يكون فحه مطموراً في الأرض عندما تختفي الخطية تحت الاهتمامات الأرضية، لأن عدونا، في تنفيذه لخطته، يُظهر للذهن البشري فيه اشتياق نحو المكسب الأرضي، ويخفي فخ الخطية حتى يقيد نفسه تماماً... عدو البشرية يلقي نظرة عامة على زعات كل فرد لوى أي الشرور يتحالف معها، ويضع العدو هذه الأمور أمام وجهه، حيث يرى الذهن منجذباً إليها. لمن لهم مزاج رقيق وروح غالباً ما يقترح عليهم الانحلال، وأحياناً المجد الباطل، أما من لهم مزاج عنيف فيقترح عليهم الكبرياء أو العنف. إنه يضع الفخ حيث يرى طريق الذهن إلى أين يتجه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد أنذرناكم مسبقاً أن تحرقوا لنلاً تخدمكم الأرواح الشريرة، وتصرفكم عن قِواء وفهم ما نقوله. فإنها تجاهد حتى تمسك بكم كعبيدٍ وخدمٍ. أحياناً تستخدم ظهورات في الأحلام وخداعات سحرية لتُخضع كل الذين يفشلون في مملسة جهود مضادة قوية من أجل خلاص نفوسهم. يحثنا الله الكلمة ويقوينا حتى نبتعد عن الشياطين، ونتبع الله الحيّ وحده بآبته.

نحن الذين إنغمسنا لمدة في الزنا، الآن نقبل الطهارة وحدها.

استخدمنا قبلاً فنون السحر، والآن نكوس أنفسنا لله الحيّ الصالح.

كان همنا فوق كل شيء أن نكسب ثروات وممتلكات، والآن نأتي بما نملكه ليصير ملكاً عامّاً ليأخذ منها كل محتاج.

كوهنا ودمونا بعضنا البعض بسبب اختلاف سلوكنا، إذ كنا نرفض العيش مع من هم من قبيلة أخرى، أما اليوم فمئذ مجيء المسيح نعيش معاً

في ألفة.

اليوم نصلي من أجل أعدائنا، ونحاول أن نحث الذين يبغضوننا باطلاً أن يدعوا لمبادئ المسيح الصالحة ولوصاياه بغية أن يشركونا ذات

[848]

الرجاء الموح لئوال مكافأة يقدمها الله ضابط الكل .

الشهيد يوستين

❖ [849] الشيطان دائماً مجتهد حتى عندما يحل به الخطر أن يفقد غنيمته.

❖ يستطيع الشيطان أن يحطم حتى تحت مظهر التقوى. فإنه يستطيع أن يُهلك ليس فقط بأن يعود إلى الزنا، بل وأيضاً بالعكس، وذلك بالخرن المُبالغ فيه الذي وافق التوبة عن الزنا. هذا هو عمله اللائق أن يقتنينا بالخطية، أما أن يصطادنا في الشبكة في توبتنا، فهذا عار يتحقق بخبثٍ شديدٍ، فإن التوبة

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ المشكلة ليست في التعرف على خطط إبليس، بل أن يسخر بها. بولس يعرف خطط الشياطين، لا لينشغل بها، وإنما لكي لا يسقط في حبالها.

[851]

القديس ديديموس الضريير

❖ "ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (2 كو 14:11) ... هذه الخداعات هي ظهيرات لذلك الروح الذي يطلب أن يُسقط

[852]

النفوس البائسة في الشباك... ويحولها عن العبادة الحقيقية لله الحقيقي الذي وحده يمكن أن يطهر ويشفي.

❖ أحيانًا يغير الشيطان نفسه إلى ملاك نور، لكي يمتحن أولئك الذين يحتاجون إلى الامتحان، أو ليخدع الذين يستحقون الخداع. مراحم الله العظيمة

وحدها هي القادرة أن تنقذ الإنسان من الفهم الخاطئ للأرواح الشريرة، فيظنها أنها ملائكة صالحون، ومن الأصدقاء الكاذبين على أنهم حقيقيون،

وتنقذه من متاعب كل الخسائر التي تحل بسبب الخداعات الشيطانية المميّنة تمامًا، والتي لا يُعبر عنها [853].

القديس أغسطينوس**5 . يسيطر الوعب على الأشرار**

تُهْبَهُ أَهْوَالٌ مِنْ حَوْلِهِ،

وَتَدْعُوهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ [11].

يتحدث هنا عن الخواب نفسه المحفوظ للأشرار في العالم الآخر، والذي يحل بهم بصورة ما في هذا العالم. أول هذا الدمار هو ما يحل بقلبه من

أهوال تهز كل كيانه تبلغ عند رجليه اللتين لا تحملانه. هذه الأهوال الصاورة عن شعره بالإثم هي عربون للأهوال التي سيعانيتها بعد موته.

كل ما حوله وعبه، حتى يُقال عنه "يهرب ولا طرد" (أم 28: 1)، لأن ما يطرده ليس ما حوله بل ما هو في داخله.

"لا سلام قال الرب للأشرار" (إش 48: 22).

"طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سُبلاً معوجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا" (إش 59: 8).

"يشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين: سلام سلام، ولا سلام" (إر 6: 14؛ 8: 11).

"انتظرونا السلام ولم يكن خير، وزمان الشفاء، وإذارعب" (إر 8: 15).

"من أجل أنهم أضلوا شعبي قائلين: سلام وليس سلام، واحد منهم بيني حائطاً وها هم يملطونه بالطفل" (حز 13: 10).

"أي أنبياء إسرائيل الذين يتنبأون لأورشليم و يرون لها رؤى سلام ولا سلام يقول السيد الرب" (حز 13: 16).

❖ والآن فإن أولئك الذين لا يحفظون العيد... هؤلاء مُقَدِّمُونَ على أيام حزن لا سعادة، لأنه "لا سلام قال الرب للأشرار" (إش 22: 48). وكما تقول

[854]

الحكمة إن الفرح والسعادة متوَعان عن فهم. هكذا تكون أواح الأشرار .

❖ لأنه ماذا يعني العيد سوى خدمة النفس؟! وما هي هذه الخدمة إلا الصلاة الدائمة لله والشكر المستمر؟! فغير الشاكرين، البعيدين عن هذا هم بالحق

محرومون من الفرح النابع من هذا، لأن الفرح والبهجة متوَعان عن أفواههم، ولذلك فإن الكلمة (الإلهية) لا تسمح لهم أن يكونوا في سلام، إذ لا

[855]

سلام للأشرار قال الرب (إش 22: 48)، إنما يعملون في ألم وحزن .

القديس أنثاسيوس الرسولي

❖ "تَجْعَلُهُ الْأَهْوَالُ خَائِفًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ"، إذ يتخيل أن كل البشر تتجه هكذا ضده فيصلوع هو مع الكل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَكُونُ قُوَّتُهُ جَائِعَةً،

وَالنَّوَارُ مُهَيَّأً بِجَانِبِهِ [12].

لا يشعر الشيرير بشبع، فإن ما يظنه مصدر شبعه، سواء ثروته أو كرامته أو قوته الخ. يخزيه، ويدخل به إلى الشعور بالوآغ. بجانب هذه المجاعة الداخلية يحل بالشيرير خراب يقترب إليه ليسيطر عليه. "صاروا للخراب بغتة" (مز 73: 19).

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) "لنضوب قوته بالجوع، ولتغزُّ المجاعة ضلوعه" [12]...

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الإنسان وهو يتكون من نفسٍ وجسدٍ، فإن النفس تمثل العنصر القوي، بينما الجسد يمثل العنصر الضعيف. فالشيرير إذ يعطي القيادة للجسد وشهوته - مهما بدا قويًا - فهو ضعيف، يفقد قوته الداخلية، وشبعه الداخلي، ويعيش في ضعفٍ ومجاعة ووَإِغٍ. أما الإنسان الروحي، فإذ يعطي للقيادة النفس المقدسة بروح الله، يعيش بروح القوة والشبع الداخلي، لا يعززه شيء.

❖ كل إنسانٍ إذ يتكون من نفسٍ وجسدٍ، كما لو كان قد صنَّع من قوَّةٍ وضعفٍ. فإنه بفضل ذلك العنصر الذي به خُلِق كروحٍ عاقلةٍ، فإنه ليس بغير لياقة يُدعى قويًا، أما بخصوص العنصر الخاص بكيانه الجسماني، فهو ضعيف. وهكذا قوَّة الإنسان في نفسه المتعقلة القاورة على مقاومة اتجاهات الشر التي تجاهه. وهكذا يُقال أيضًا بواسطة الطوبولي أيوب: "لقد قوَّيته إلى حين، حتى يعبر إلى الأبد" (أي 14: 20)، حيث ينسحب الإنسان بالنفس العاقلة ليحيا أبدياً. وهكذا قوَّة هذا الإنسان الشيرير تُضوب بالجوع حيث لا تقفاته نفسه بأية وجبة طعامٍ داخلي تنعشه. يقول الله عن هذا الجوع بالنبوي: "سُرسل مجاعة في الأرض، ليست مجاعة خبز، ولا عطش إلى ماء، بل مجاعة استماع كلمة الرب" (اجع عا 8: 11).

حسنًا أضيف: "تغزو مجاعة ضلوعه" ... ضلوع كل أحدٍ هي حواس ذهنه التي تسبح حول أفكاره الخفية. لذلك تغزو المجاعة ضلوعه عندما يُوزع كل القوت الروحي، وتضعف حواس الذهن، ولا تقدر أن تتحكم في أفكارها ولا أن تحميها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قد يظن أحد أن شعب إسرائيل غني، إذ لهم التبنّي كأبناء، والعبادة الإلهية، والوعود والآباء. على أي الأحوال، لقد صاروا قواء بسبب خطاياهم ضد الرب. "وأما طالبو الرب فلا يعزهم شيء من الخير" (مز 10: 34). لقد صاروا في عزٍ إلى القوت بؤع معين، ويعانون من الجوع. لأنهم إذ قتلوا خبز الحياة حلَّ عليهم الجوع للخبز... لقد احتاجوا وجاعوا ^[856].

القديس باسيلوس الكبير

❖ عندما كان يوسف في الثلاثين من عموه تويبًا، تحرر من القيود، وفسَّر حلم فوعون. لقد صار حاكمًا لمصر. وفي زمان الرخاء جمع القمح حتى يقوم بتوزيعه في زمن المجاعة. أعتقد أن عمر يوسف الثلاثين جاء مقدمًا كرمز لعمر المخلص الثلاثين. فإن يوسف الثاني هذا لم يجمع حنطة من ذات التي جمعها يوسف الأول في مصر. يجمع يسوع الحنطة ويقوم بتوزيعها عندما تحل المجاعة بمصر، "ليست مجاعة خبز، ولا عطش إلى ماء، بل مجاعة استمتع كلمة الرب" (عا 11: 8) ^[857].

العلامة أوريجينوس

يَأْكُلُ أَعْضَاءَ جَسَدِهِ.

يَأْكُلُ أَعْضَاءَهُ بِكُرِّ الْمَوْتِ [13].

يقترب الموت إلى الشيرير فيأكل أعضاء جسمه، أي يدخل به إلى الفساد. أما الأوار فيُعد الموت لهم المجد الأبدي، حيث يشرك الجسم النفس أمجادها.

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) "ليتها تزيل جمال جلده، وليبديد الموت البكر نواعيه". ما هو جمال جسده إلا المجد الزماني، فإنه يؤكل ويوزل، لأنه جمال على جلد خلجي، ليس به موضع في الأعماق الداخلية. أما الصديقون فقد قيل عنهم: "مجد ابنة الملك من الداخل" (مز

13:45) . وقيل في زكريا النبي: "وأكون مجدًا في وسطها" (زك 5:2).

هذا ولا يقف الأمر عند فناء المجد الأزمني، وإنما يحل الموت بالنفس البشرية، حيث تعتزل الله مصدر حياتها وقيامتها. يقتل الموت الروحي نواحي النفس، أي يجعلها عاجزة عن العمل!

❖ "جمال جلده" هو المجد الوتقي الذي يشتهي كأميرٍ خلجي بالنسبة لنا، ويبقى كجمالٍ على الجلد...

وما هو الموت إلا الخطية التي تقتل النفس في حياتها الداخلية؟ لذلك مكتوب: "مطوب ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى" (رؤ 20: 6). بهذه القيامة يتمتع الشخص فيما بعد بقيامة موحية في الجسد، هذا الذي وهو في هذه الحياة يقوم ثانية من موت نفسه...

البابا غريغوريوس (الكبير)

[858]

❖ "مجد ابنة الملك من الداخل" (مز 13:45) ، إذ يتحرك إلى مستوى الذهن، يكتشف جمال النفس .

القديس يوحنا ذهبي الفم

6 . يُطرد الأشرار من خيامهم

يَنْقَطِعُ عَنِ خَيْمَتِهِ،

عَنِ اعْتِمَادِهِ،

وَيُسَاقُ إِلَى مَلِكِ الْأَهْوَالِ [14].

الإنسان الذي يعيش في هذا العالم من أجل الجسد وشهوته، يفقد حتى هذا الجسد، أو هذه الخيمة، ويحل عليه الموت لا كعبورٍ موحٍ إلى السماء، وإنما "كملك الأهوال".

يؤخذ منه كل ما اعتمد عليه كسببه له، ولا يبقى له شيء مما يعتمد عليه، حتى خيمته. كانت نفسه هي اعتماده، لكنها تُستأصل من خيمة الجسد، فلا يكون للجسد سند قط. هذا ما قيل للغني الغبي: "تطلب نفسك منك" (لو 12: 20).

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) "تقتلع ثقته من خيمته، وليطأ الموت عليه كملك". ووى أن الموت هنا هو الشيطان الذي يسلم الثوير نفسه له ويخضع له كملك، كما يشير إلى الخطية التي تدل الثوير وتستعبده.

❖ يشير لقب "الموت" في هذا الموضع إلى (إبليس) عدو الجنس البشري نفسه الذي جلب الموت. لقد انتشر بخادم معين من قبل (العدو)، هذا الذي قيل عنه ليوحنا: "واسمه الموت" (رؤ 6: 8) . هكذا يطأ هذا الموت على الثوير كملك، وذلك في يوم رحيله من هنا. فذاك الذي خدعه قبلاً بإغواءات رقيقة، يحمله في النهاية إلى العقوبة في سلاسلٍ بعنفٍ، ويحوه بقسوة، مقيداً إياه بقوة، بأعمال شوية.

وهنا أيضاً إذ يقنتي الموت قلب الخاطي المفقود، يطأ عليه، في ذات الوقت الذي يضغط عليه بالشعور بالذلة. وكأنه يضع عليه قدمي سلطانه الطاعي.

ولكن إن فهمنا بالموت ليس إبليس في صراحة بل الخطية ، حيث ثورتها هي الموت في يوم الدينونة، فبالحق مثل هذا الموت يطأ على الذهن كملك، عندما يملك شخصاً بون مقاومة منه. فإن تجربة الخطية لا يمكن أن تكون بعيدة من إنسانٍ قائم في هذه الحياة. لكن مقاومة تجلب الخطية شيء، والاستعباد لطغيانها علينا شيء آخر. هكذا فإن الإنسان الثوير، إذ لا يتعلم مقاومة اغواءات الخطية، ولا يخشى الخضوع لسلطانها بحق، يُقال عنه: "الموت كملكٍ يطأ عليه". إنه مُلك هذا الموت الذي كان بولس يتحفظ منه ألا يسيطر على قلوب تلاميذه، عندما قال: "لا تملكن الخطية على جسدكم المائت" (رو 6: 12).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖

الذين يعيشون في الملذات يهابون الموت ، أما الحزاني فيتوجونه لكي يرحلوا سريعاً.

الأغنياء يهابون الموت، والفقراء يشتهونه لكي يستريحوا من أتعابهم.

[859]

الأقرباء يرتعون عندما يذكرونه، والموضى يتطلعون إليه في رجاءٍ ليستريحوا من الآلمهم .

الأب أواهاط

❖ من يحب الأرضيات وشهواتها لا يفكر في أن يكون مع المسيح بعد انتقاله، ولا يقدر أن يقول: "غريب أنا على الأرض"، إذ هو مهتم بما للأرض. أما من يقول "لا تخفِ عني وصاياك" فهو قديس... لذلك يطلب النبي من الله أن يكشف له عظام وصاياه للحياة السماوية [860].

العلامة أوريجينوس

❖ بالتأكيد يخاف من الموت، ذاك الذي لم يُولد من الماء والروح، حيث يُسلم إلى نوان جهنم.

يخاف من الموت، من لم يختبر صليب المسيح والآلمه.

يخاف من الموت، من ينتظر بعد الموت موتاً آخر.

يخاف من الموت، ذاك الذي تنتظره نوان الأبدية والعقاب غير المتناهي.

[861]

يخاف من الموت، من يجد نفعاً في تأجيل موته حتى تتأخر تهدياته وتؤهاته .

الشهيد كبريانوس

يَسْكُنُ فِي خَيْمَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ.

يُدْرُ عَلَى مَرَبِضِهِ كَبْرِيَّتْ [15].

خُلِقَ اللهُ الإنسان ليكون مستودع حبه وحنوه ونعمته الغنية وصلاحه، أما إذا أصر الإنسان على رفض الالتصاق بالله، فتحل اللعنة في خيمته، حيث يصير جسده كما نفسه مسكناً لعدو الخير الذي يغتصب ما ليس ملكاً له. يتحول الإنسان إلى مريضٍ لإبليس يستقبل الكوييت والنار مثل سدوم وعمورة، عوض كونه هيكلًا مقدسًا لله.

وي القديس مقاريوس إن الإنسان الداخلي إما أن يكون رُضًا يسكنها الله كمقدسٍ له، أو يحتلها عدو الخير فيجعلها رُضه، وتصير شيطانية. وهو يقصد بالأرض "المسكن".

❖ " لينتشر الكبريت على مسكنه" [15] . ما هو الكبريت إلا الوقود الذي يلهب النار، ويبعث منهاراتحة ننتة جدًا. ماذا إذن نفهم من الكبريت سوى الخطية الجسدية، هذه التي وهي تملأ الذهن بالأفكار الشروة، مثل نوع من الواحة الفاسدة تلهب نرًا أبدية لها. وبينما ينتشر سحب رائحتها في النفس الضائعة تكون كمن تقدم وقرودًا للهب هلاكها. بهذا تفهم رائحة الجسد الكريهة بأنها كبريت.

يسجل لنا تزيخ الكتاب المقدس نفسه ذلك، حيث يروي لنا أن الوب أطر نرًا وكبريتًا على سدوم (تك 19: 14) ... هكذا " لينتشر الكبريت

على مسكنه".

الإنسان الشوير بالتهاون المفسد مع الجسد الذي يملس سلطانًا في داخله، تشغله الأفكار الشروة بغير انقطاع، وتمنعه عن إنتاج ثمر عملٍ

صالح. لذلك بحق قيل: " لتجف جذوره من أسفل، وليفسد محصوله من أعلى" [16].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ توجد رُض تسكنها الوحوش، ورُض في الهواء تتحرك فيها الطيور وتعيش. فإذا رادت الطيور أن تقف وتسير على الأرض يقتنصها الصيادون.

ولأسماك أيضًا رُض، هي مياه البحر. المكان الذي يولد فيه أي كائن، سواء على الأرض أو في الهواء فيه يعيش، وفيه يقنات، ويجد لذته وراحته.

بنفس الطريقة توجد رُض للشيطان وبيت له، تعيش فيه قرات الظلمة وأرواح الشر. عليها تتحرك وتجدراحتها. كما توجد رُض نورانية هي

أرض اللاهوت، حيث تصعد معسكات الملائكة والأرواح المقدسة وتهبط عليها وتجد فيها راحتها.

لا يمكن لأعين الجسد أن ترى الأرض المظلمة ولا أن تلمسها، هكذا أيضاً بالنسبة للأرض النورانية التي هي أرض اللاهوت... أما بالنسبة

[862]

للروحانيين فتتكشف بعيون قلوبهم الأرض الشيطانية التي للظلمة وأرض اللاهوت .

القديس مقاريوس الكبير

❖ ينبغي أن تعرفوا بأننا نصير أجساداً لهم (الشياطين) حينما تقبل نفوسنا أفكلهم المظلمة الثرورة، وعندما يصيرون هم ظاهرين بواسطة جسدنا الذي نسكن فيه [863].

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

❖ لا تكن رقيقاً للمخاصمين، لئلا تسكن جوقة الشياطين في بيتك.



احذر من الحقد، لأنه شيطان متجسد .

الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

❖ واضح أن الأرواح النجسة لا تقدر أن تجد لها طريقاً في أجساد من اغتصبتهم بأية وسيلة ما لم تملك أولاً علي عقولهم وأفكرهم، فتسلب منهم مخافة الله وتذكّره والتأمل فيه، وبهذا تتجاسر فتتقدم إليهم كمن هم بلا حصانة إلهية، وتقيدهم بسهولة، وتجد لها موضعاً فيهم، كما لو كان لها حق الملكية عليهم [865].

الأب سيرينوس

وى البعض أن بلدد سمع عن النار التي تولت من السماء وأحرقت غنم أيوب وخدمه، فحسب أن أيوب بكل ممتلكاته قد بلغ في شوه ما بلغتة سدوم وعمورة، واستحق نيران غضب الله لتحرق ما لا يستحقه أيوب أو ما اغتصبه، إذ كان يسكن في بيت ليس له.

❖ (الإنسان التقى) لا يتغير جمال فضائله بموت همجي. فالصحة التي تجلب إليه بصلواته، لا تُوع من خيمته (جسده)، مادام بالفعل يكون غنياً في مملسة الأعمال الصالحة، وإن ضاع غناه يبقى مشرقاً ببهاء البرّ خلال صوه...

"يتبدد سموه بالكبريت". هذا ما حدث بالحقيقة للخطاة في سدوم وعمورة، فإن ما حدث جزئياً للأشوار (في سدوم وعمورة) يتوقع الأشوار

الآخرون أن يحدث لهم في هذا العالم الحاضر أو العالم العتيد.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

7 . توع ذكر الأشوار

مَنْ تَحَتْ تَيْبَسُ أَصُولُهُ،

وَمِنْ فَوْقُ يُقَطُّعُ فُوعُهُ [16].

حين يفقد الإنسان بإصوره على الشر غنى نعمه الله الفائقة، يصير كمن تجرد من أصوله، أي من آبائه المبركين، فيكون كشجرة يبست

جنورها لا حياة بعد فيها. وأيضاً يفقد نسله كشجرة يبست فروعها، فلا يكون فيها ثمر. هذا ما سقط فيه أشوار كثيرون، مثل يربعام وبعشا وأخاب، ولم

يبقى واحد من نسلهم حياً.

إن كانت قد يبست جنورنا، فقد قدم السيد المسيح نفسه أصلاً يفيض في داخلنا بحياته الإلهية، وتنتعش أغصاننا لتحمل ثمر روحه القدوس من

محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف (غل 5: 22-23).

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) " لتجف جذوره من أسفل، وليفسد محصوله من أعلى".

❖ ماذا نفهم بلقب " جذوره " المختفية عن البصر، التي تثبت فوعاً وى علانية، إلا الأفكار غير المنظورة في القلب، هذه التي تُنتج أعمالاً منظورة؟ وهكذا أيضاً بلقب "المحصول" يشير إلى تلك الممارسة المنظورة التي تنتج عن الجذر الخفي... الإنسان الثوير يضع أفكله في الأمور السفلية، ويتجاهل طلب ملذات الاخضرار الأبدي، وما هو هذا إلا أنه يتوك "جذوره تجف من أسفل"؟ "ليفسد محصوله من أعلى"، حيث أن صوه يُحسب كلا شيء في نظر السماء، حتى وإن حُسب صالحاً في عيني الإنسان. هكذا فإن الجنور من أسفل، والمحصول من أعلى، وذلك بأن نوسل ولاً الأفكار الصالحة هنا، حتى نتأهل يوماً ما لنوال ثمر أعمالنا الصالحة في مكافأة أبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ذَوُّهُ يَبِيدُ مِنَ الْأَرْضِ،

وَلَا اسْمَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّ [17].

ليس ما يشغل ذهن إبليس مثل المجد الباطل، فبسببه تعود على الله وسقط. وبسببه يحرب بني البشر ظاناً أنه يملك على قلوبهم وأفكلهم، ويدوم ملكه عليهم إلى الأبد.

يتشبهه ولاده به، فيطلبون المجد الزمني، ويظنون أن العالم يخلد أسماءهم، مقدمين كل عملٍ بشوي يثبت ذكواهم عبر التاريخ. لكن الشر يمحو اسمهم من سفر الحياة. وإذ يُحذف اسم الثوير من سفر الحياة في السماء تُدفن كرامته في الزاب، ولا يحمل اسمه إلا الاحتقار والاستخفاف حتى على الأرض، "لا اسم له على وجه البرِّ". ينال هنا عربون الثوي الأبدي والفضيحة التي يواجهها في يوم الرب العظيم. "ذكر الصديق للوكة، واسم الأشوار ينخر" (أم 10: 7).

قيل عن الأشوار:

"العدو تم خوابه إلى الأبد، وهدمت مدناً، باد ذكوه نفسه" (مز 9: 6).

"لأنه مُطالب بالدماء ذكوههم، لم ينسَ صواخ المساكين" (مز 9: 12).

"وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكوههم" (مز 34: 16).

"لتنك أمام الرب دائماً، وليقوض من الأرض ذكوههم" (مز 109: 15).

"لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً، وليس لهم أجر بعد، لأن ذكوههم نُسي" (جا 9: 5).

"سيسقطون من بعد سقوطاً مهيباً، ويكونون علواً بين الأموات مدى الدهور، فإنه يحطمهم صامتين مطوقين برؤوسهم، ويقتلعهم من أسسهم، ويتم خوابهم، فيكونون في العذاب، وذكوههم يهلك" (الحكمة 4: 19).

"أقلل بعضها وأباد سكانها، ورأى من الأرض ذكوههم" (سواخ 10: 20).

وقيل عن الأوار:

"ذكوه لا يزول، واسمه يحيا إلى جيل الأجيال" (سواخ 39: 13).

"ليكن ذكوههم مبركاً، ولتوهر عظامهم من مواضعها" (سواخ 46: 14).

"ونحميا يكون ذكوه طول الأيام، فإنه أقام لنا السور المنهدم، ونصب الأبواب والنزاليج، ورم منزلنا" (سواخ 49: 15).

❖ LXX لتتوع ذكواه عن الأرض ولا يوجد اسمه في أماكن عامة" (.) واضح أن هذا يخص الذين يؤرم أن يقطنوا في هذه الظلمة، هؤلاء الذين عيّنهم

المسيح (ليكونوا في الظلمة الخرجية - مت 8: 12 ؛ 25: 30)، هؤلاء الذين يشتركون في العوس بثياب قفزة، فيقول الملك: لبطوا يديه وقدميه...

واظروه في الظلمة الخرجية، حيث البكاء وصوير الأسنان فإن كثيرين يدعون وقليلين يختارون (راجع مت 22: 13-14)..

"واسمهم لا يوجد"، لأن الأشوار يُطردون من أرض الأوار، ويؤخذون ليكونوا مع الذين مُحيت أسمؤهم إلى الأبد (تث 32: 26). لهذا قرنم

داود في موضع آخر على القيثارة: "موت اسمهم إلى أبد الأبد" (مز 9: 6).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ " ذوه يبب من الأرض، ولا اسم له يتردد في الشورع". يليق بنا ملاحظة أن بلد الشوحي عبّر عن نفسه بخصوص كل واحد من الأثوار، بحيث توجه كلماته سويًا ضد رئيس كل الأثوار. فإن رئيس الأثوار هو الشيطان. يدخل بشخصه في آخر الأمانة في إناء الهلاك هذا إلى يدعى "ضد المسيح"، والذي يسعى أن ينشر اسمه في كل موضع. كل شخص، حتى الآن، يشبّه نفسه بضع المسيح عندما يجاهد أن ينشر ذكر اسمه الأرضي خلال مجد مديحه والتعالي بشهوة زمنية. لهذا لبت هذا الكلمات يفهما كل شخصٍ شويرٍ، ولتشر أيضًا على وجه الخصوص إلى رئيس الأثوار نفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

8 . دمار تام للأثوار

يُدْفَعُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ،
وَمِنَ الْمَسْكُونَةِ يُطْرَدُ [18].

يُدْفَعُ الشوير مما يظنه نورًا في هذا العالم بسبب ما ناله من الراحة إلى ظلمة القبر، ومنها إلى الظلمة الخرجية، حيث "لا يعابنون النور إلى الأبد" (مز 49: 19)، ولا يكون لهم رجاء قط.

يُطود الشوير من المسكونة، أي من ملذات العالم الذي كان يظن أنها مسكونة، فيخرج كما مع أبويه الأولين آدم وحواء من الجنة. هكذا يُطود من حبال العريس السموي حيث لا موضع له، ويبقى في الظلمة الخرجية أبدًا.

❖ "موت اسمهم إلى الدهر والأبد" (مز 9: 5) . إنك تَدْرهم تمامًا، تستأصلهم من أصولهم، وتمحوهم فتختفي ذكراهم أيضًا... " باد ذكروهم بتحطيم" وفي نص آخر " باد ذكروهم معهم ". ماذا يعني بقوله: "بتحطيم" ؟ إنه يتحدث عن تدمير تام، أو عن بشاعة الشرور. وهذه في الواقع علامة عناية الله، أنه لا يفعل هذا سوءًا، حتى يُصلح من حال الناس خلال مصائب الآخرين. لذلك يشير إلى شهوة الدمار الذي يحل بهم [866].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صواخهم" (مز 34: 15)... ربما تقول: لقد صوخت إليه، ولكني لزلت في محنة. فقط تمسك بطوقه، وعندما تكون في محنة يسمع لك.

هو طبيب، ويقدم لك نوعًا من التطهير. إنك تصوخ، لكنه يبقى يقطع ولا يرفع يده حتى يقطع حسب مسوته. فإن الطبيب الذي يسمع للشخص ويتوقف عن أن يروح ويظهر إنما هو قاسي.

الأمهات تواصلن في استحمام أطفالهن من أجل صحتهم. أما يصوخ الأطفال بين أياديهن؟ هل هؤلاء قاسيات لأنهن لا يتوقفن ولا يباليين بدوخ أطفالهن. ألسن مملوءات حنًا؟... هكذا فان الله أيضًا مملوء حبًا، لكنه يبدو كمن لا يسمع. إذ لا يتوقف حتى يشفينا أبدًا.

ربما يقول الشوير، إنني أفعل الشر وأنا في أمان، لأن عيني الرب ليست نحوي، إنما الرب يصغي للأوار، وليس لي، أفعل ما أريد وأنا في أمان. إذ يرى الرب أفكار البشر قيل: "وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكروهم" (مز 34: 16) [867].

القديس أغسطينوس

❖ "يدفعه من النور إلى الظلمة" [18]. يُدْفَعُ الإنسان من النور إلى الظلمة عندما يسقط تحت دينونة أبدية بسبب محبة نوال كرامة الحياة الحاضرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ظن بلدد وأصدقؤه أن اسم أيوب سيُباد عن الأرض، لأنه شوير. هكذا أيضًا رُاد اليهود إبادة اسم يسوع بصلبه، ليقوم عوضًا عنه اسم اللص براباس. لكن باد اسمهم وبقي اسم يسوع مجددًا، وسيتجد إلى الأبد. وما وُجّه ضد أيوب وضد السيد المسيح يبقى العالم يوجهه ضد الكنيسة لكي يُباد اسمها من الأرض، مقدمًا اتهامات مستنورة ضدها. لكن تبقى الكنيسة العروس المقدسة، تشهد حياتها لغنى نعمة الله الفائقة، وتتمتع بشركة المجد أبدًا.

لَا نَسَلٌ وَلَا ثَرِيَّةٌ لَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ،

وَلَا بَاقٍ فِي مَثَلِهِ [19].

الإنسان الروحي شاهد حي لإنجيل المسيح، يقتني الكثيرون كنسلٍ له في الرب. فالرسول يوحنا يدعو الذين يخدمهم "يا ولادي". ويتحدث الرسول بولس عن تلميذه أنسيموس قائلاً: "الذي ولدته في قيودي" (فل 10). أما الشوير فحتى وإن كان له أبناء كثيرون حسب الجسد، لكنه يكون بلا ابن ولا حفيد يتمتع بثروة ما ويحمل اسمه وذكراه.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذا القول لا ينطبق على أيوب البار، إنما على إبليس الشوير، كما ينطبق على ضد المسيح الذي يظن أنه يملك على العالم كله.

ينطبق هذا القول على كل الأثوار، خاصة يهوذا الذي خان سيده من أجل محبته للفضة، فقد قيل عنه: "لأنه مكتوب في سفر الزامير لتصر لره خابًا، ولا يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ، وَلِيَأْخُذَ وَطِيفَتَهُ آخِرٌ" (أع 1: 20).

"العدو تَمَّ خَوَابَهُ إِلَى الْأَبَدِ" (مز 9: 6).

"لتصر لره خابًا، وفي خيامهم لا يكن ساكن" (مز 69: 25).

❖ " لا نسل ولا عقب له بين شعبه، ليس من بقية له في جوانبه" [19]. فإنه مكتوب أن الرب يسوع: "بيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه" (2 تس

2: 8). وهكذا إذ ينتهي شوه في نفس الوقت مع نهاية العالم "لا يكون له نسل وسط شعبه"، حيث يُدفع هو وشعبه معًا على ذات المستوى إلى

العقوبة. كل الأثوار الذين سلخوا في الشر بناء على نصيحته الشوية يُضويون بهاء مجيء الرب بخوابٍ أبدي، مع رئيسهم هذا (الشیطان). لا

يكون له نسل يبقى في العالم، حيث ينهي الديان العادل شرور هذا في وقتٍ واحدٍ مع نهاية العالم. الآن تُفهم هذه الكلمات على أنهما خاصة بضد

المسيح حيث أضيف إليها: "يتعجب من أيامه المتأخرون، ويفشع الأقدمون" [20].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ LXX "لكن الغرباء يسكنون في موضعه" [19]. قد أعدت بركات الدهر الآتي بالكلية للجميع، إن رأوا السير في سبيل الله (مز 25: 10). قد

أعدت المواضع هناك للكل (يو 14: 2-3)، إن رأوا أن يكونوا يقظين. لكن يمكنهم أن يفتحوا لتدخل فيهم (الشياطين أو الخطايا) الذين لا يسلكون

طريق الله. لهذا قال: "الغرباء أيضًا يعيشون في موضعه"، بمعنى أن الذين يسلكون طريق الله يعيشون بعيدًا عن الأثوار (الأرواح الشوية).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

يَتَعَجَّبُ مِنْ يَوْمِهِ الْمُتَأَخَّرُونَ،

وَيَفْشَعُ الْأَقْدُمُونَ [20].

إذ تحل بالشوير اللعنة ويسقط في تغيير مُر مفاجئ لم يكن يتوقعه أحد، ولم يسمع عنه السابقون له كما اللاحقون، في دهشة يصوخون: "يارب

ما أهيب أحكامك؟" (مز 66: 3).

عنصر المفاجأة لما سيحل بالأثوار خاصة في يوم الدينونة يدعش له الأوار السابقون له، وأيضًا المعاصرون له. فإنه مهما وُصف التعب الذي

يحل بهم لا يمكن أن يعبر عما سيعانون منه. وبنفس الطريقة بالنسبة للأوار حيث لا يمكن لذهن إنسان أن يتخيل المجد المُعد لهم.

ولعله وهو يتحدث هنا عن الأثوار يتكلم عن أخطاهم وهو ضد المسيح الذي يظهر كملكٍ صاحب سلطان، تخضع له شعوب كثرة، ويسيطر

على منافذ العالم، لكنه فجأة ينهار حيث يرسل الله عونًا لكنيستته، ويحل الدمار بصد المسيح.

❖ " يتعجب من أيامه المتأخرون، ويقشعر الأقدمون" [20]. فإنه سينحل (الشیطان) ليقف ضد الأوار بشرٍ هذا مقدره، حتى أن قلوب المختلرين تُضرب وعبٍ ليس بقليل. مكتوب: "حتى يضلوا لو أمكن المختلرين أيضًا" (مت 24: 24). قيل هذا بوضوح ليس لأن المختلرين سيسقطون، وإنما لأنهم سيرتعبون بمخاطرٍ موعبة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "يئن المتأخرون في أعماقهم من أجله، وتمسك الدهشة بالأقدمين" [20]. يدعو بلد الذين يتأهلون لنوال الأجرة في الساعة الحادية عشر (مت 20: 9)، خلال التوبة بالمُتأخرين . بحق يتنهون على الأثوار، متسائلين في أنفسهم لماذا لم يشته هؤلاء أيضًا أن ينالوا الوفاء الروحي خلال التوبة النافعة.

" وتمسك الدهشة بالأقدمين" ، هؤلاء الذين من البداية تمموا وصايا الله... بمعنى كيف أنه حتى في نهاية الزمن لم يدعن هؤلاء (الأثوار) لوصية الله.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

إِنَّمَا تِلْكَ مَسَاكِنُ فَأَعْلِي الشَّرِّ،

وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ [21].

هذا ما يحل بمساكن الأثوار من خرابٍ ودمارٍ، وبؤسٍ وشقاءٍ. "الذين لا يعرفون الله تنتظهم العقوبة" (2 تس 1: 8). ما هو مسكن الأثوار الذين أصروا على عدم معرفتهم الله، سوى جهنم الأبدية.

يقول القديس هيبوليتس Hippolytus في مقاله Against Plato, on the Cause of the Universe ، إن كان هذا العمل أصيلاً، تُقاد النفوس بعد الموت بواسطة ملاك حرس إلى الجحيم، إلى موضعٍ متسعٍ ومظلمٍ، تبقى هناك حتى يوم القيامة، بعضها نفوس شوية تستحق العقوبة المؤقتة على شوها [868] ، كعربون للعقوبة الأبدية التي تنتظهم. إنها تبقى بجوار بحرة النار التي هي جهنم، ترى لهيبها، وتشم دخانها، وتمتلئ رعبًا من أجل الدينونة القادمة [869] ، أما الأوار فيُقانون إلى مكان أكثر بهاءً، وأكثر بهجة من العالم السفلي يدعى "حضن إواهيم" حيث يتمتعون بالشركة مع الملائكة والبطركة (الآباء)، ويفرحون بروية المكافأة المقبلة [870].

لم يرد القديس يوحنا الذهبي الفم أن يتحدث عن موضع جهنم سوى أنها "خلج هذا العالم" [871]. لكنه تحدث في شيء من التفصيل عن لعناتها. ففي إحدى عظاته يقول عنها:

[إنها بحر من النار، ليس بجوًا من ذات النوع بالأبعاد التي نعرفها هنا، بل أعظم وأعنف، بأواج نارية، نوان غريبة موعبة. توجد هناك هوة عظيمة مملوءة لهيبًا موعبًا. يمكن للإنسان أن يرى النار تخرج منها من كل جانب مثل حيوان مفترس...

هناك ليس من يقدر أن يقاوم، ليس من يقدر أن يهرب.

هناك لا يرى وجه المسيح الرقيق واهب السلام في أي موضع.

وكما أن الذين صدر عليهم الحكم بالعمل في المناجم هم أناس عنفاء، لا يرون بعد عائلاتهم، بل الذين يسخرونهم، هكذا يكون الأمر هناك، ولكن ليس بالأمر البسيط هكذا، بل ما هو رُداً بكثير. لأنه هنا يمكن أن يقدم الإنسان التماسًا للإمواطور طالبًا الرحمة، وقد يُعفي عن السجين، أما هناك فلن يحدث هذا. إنهم لن يخرجوا بل يبقوا، يحتملون عذابات لا يمكن التعبير عنها [872].

مرة أخرى يقول إن النوان هناك لا تفني الإنسان، ولا تعطى نورا، بل تحرق على النوام [873]. إذ تتحول الأجساد المقامة المُدانة إلى عدم

[874]

الفساد لهذا تبقى تعاني العذابات أبدياً

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن درجات العذابات في الجحيم مختلفة، تعتمد على مدى خطايا الإنسان [875] ، لكن الكل يسقط تحتها أبدياً [876]. يقول أيضاً إن الله يعد جهنم، حتى لا يُلقى أحدًا فيها [877].

- ❖ مستحيل أن يكون عذابات جهنم غير موجودة [878].
- ❖ هذه العذابات ليست لمجرد تحقيق العدل الإلهي، لكنها وضعت لحث البشوية على التوبة والامتناع عن الخطية [879].
- ❖ إن كان الله يهتم ألا نخطئ وإن ندخل في متاعب كهذه لتصحيحنا، فواضح أنه يعاقب الخطاة ويكفل الأوار [880].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ أتعجب كيف أن الإنسان يستهين بالنار في يوم الدينونة. يخافون من لهيب الفون، ولا يبالون بنار جهنم، وكأنها لا شيء. لماذا هم هكذا عديمو الحس وغافلين عن الأمر؟ لماذا قلوبهم منحرفة إلى هذا الحد؟ [881]

القديس أغسطينوس

- ❖ "LXX هل هذا أيضاً هو موضع الذين لا يعرفون الرب؟" [21]. من هم هؤلاء الذين لم يقبلوا هذا (الموضع)؟ وكيف؟ يعلن لنا الابن الوحيد هذا (الموضع) بوضوح: "اذهوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأنني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني" (مت 25: 41-24) ... لكنكم لا تشكون أن بلد استطاع أن يفهم ذلك أو ينطق به، لأن الناموس الطبيعي يُعلن حكم الله. كل البشر، حين يقبلون في حياتهم الناموس الطبيعي بطريقة سليمة يعرفون ما ينتظره الأوار وما ينتظره الخطاة. وأيضاً الذين يعصون لا يمكنهم أن يعتزوا أمام الديان العظيم المهوب. لكن بلد يستحق اللوم والاحتقار بالأكثر لأن مع معرفته ما هو للأشوار خلطهم بأيوب بطريقة خسيصة. إنه بهذا يشبه الذين يدعون أمانة عفيفين، والجشعين أولاً، والعرائين متواضعين...

أما بالنسبة لنا فلنميز الصالحين عن الطالحين، وإذ نمدح الأوار نقدر كلماتنا ونطهر قلوبنا. وفي نفس الوقت لنكس أجسادنا ونفوسنا وهيكل نفوسنا بغيرتنا مع تقديرونا للأوار وتمجيدنا لله، الذي يُسر بكرامة خدامه. له المجد على دهر الدهور. آمين.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

- ❖ صوير الأسنان (كما وصفه الرب في جهنم الأبدية) ليس صوير أسنان جسدية، وليس الدود أيضاً جسدياً. لم تكتب هذه الأمور إلا لأن الدود يظهر مع الحمى الشديدة (الموض)، وكذلك من لا يتوب ويطهر من خطاياهم سوف يحترق في نره ويأكله دوده (أعماله). ولهذا كتب إشعيا سبروا في نوانكم، والثوار الذي أوقدتموه (إش 50: 11). إنها نوان كآبة الخطية ونتيجتها. إنها كدود، لأن خطايا النفس تطعن العقل والقلب، وتأكل أحشاء الضمير [882].

القديس أمبروسيوس

- ❖ " بالتأكيد، تلك هي مساكن الأشوار، وهذا مقام من لا يعرف الله" [21]. فقد قال قبلاً: "يدفعه من النور إلى الظلمة، ومن المسكونة يُطرد" [18]. ويلحق بمأسية الآتي: "بالتأكيد، تلك هي مساكن الأشوار، وهذا مقام من لا يعرف الله". هذا الذي يفتخر الآن بأنه لا يعرف الله يُدفع إلى مسكنه، عندما يقممه شه إلى الويلات، فيجد نفسه يوماً ما في ظلمة موضعه، بينما جعل من نفسه سعيداً هنا في نور الأوار المزيف، فكان يحتل مكان غوه. فإن الأشوار في كل ما يفعلونه بخداع يجاهدون أن يقتنوا لأنفسهم لقب "الصديق"، كمن يحتلون مكان الغير. لكنهم عندئذ يُحضرهم إلى موضعهم عندما يُعذبون بنارٍ أبدية كثيرة إثمهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أنت حياتي، وبدونك ليس لي حياة

❖ إلهي، أنت هو النور الألي،

تضيء أعماقي، فتحولني إلى نورٍ للعالم،

بدونك ينطفئ سراجي،

ويتحول بيتي إلى مقوة.

وأفقد كل حولة وحياة!

❖ فُذ نفسي، فأنت هو الطريق.

بدونك أتعثر في الظلمة، أسقطو لا أقوم.

بك انطلق إلى السماء،

أسير رحلة حياتي في أمان!

❖ أنت هو الحق، فيك أنطلق إلى المعرفة الصادقة.

بدونك أصير كبهيمة ضالّة.

أو كحوانٍ بلاوعي.

أسقط في فخاخ إبليس، وأصير أضحوكة له!

انشلني من فخاخ العدو،

فأكون كعصفورٍ ينطلق من فخٍ مكسورٍ،

يطير في كمال الحرية!

❖ أنت هو الحياة.

بدونك يمتلكني الموت.

يفترسني، وليس منقذ!

أعيش كما في جحيم لا يُطاق.

تعال يا أيها الحياة،

ولتَمَلأ أعماقي بسلامك!

❖ أنت كَوِي وِغْنَايِ.

أَقْتَنِيكَ، فيصير كل شيء بين يدي.
لن أشعر بعوزٍ،
ولن تقدر تجربة ما أن تحطمني.

❖ أنت أبي!

حسبتي ابناً لك!
اقترُب إليك، فأجِدك في أعماقي،
لست ببعيدٍ عني.
من يقدر أن يفصلني عنك؟
أخوًّا هب لي أن أقتنِكَ يا أيها القوس،
فيهرب الشر مني،
ولا يجد العدو له موضعاً فيّ.
بل اختبر عربون سمواتك!

❖ إلهي أنت الكل لي!

أنت نوري مبدد الظلمة.
أنت قائدي القوي.
أنت الحق الذي لا يُقْلوم!
أنت سرّ خلاصي.
أنت كوي الذي لا يُسوق، وِغْنَايِ الذي لا يُزوع مني.
أنت أبي السلموي، تضميني في أحضانك!

<<

الْأَصْحَاحُ التَّاسِعُ عَشَرَ

هل الله عدوِّي؟

فإنه هو رجائي الوحيد!

توك أيوب بلدد ولم يقاطعه، وإذ تحدث في شيء من التأكيد عن الخراب الوهمي والهلاك الأبدي الذي يستحقه أيوب الشوير، رد عليه أيوب في

هذا الأصحاب بكل قوة.

يعتبر هذا الأصحاب نقطة تحول مهمة في نظر أيوب البار إلى ما هو فيه من متاعب وتجرب، خاصة مقاومة أصدقائه له:

وَأولاً: كإنسانٍ مهما بلغ رَه كانت نظوته قاصوة، يعاني من الضعف بسبب شدة التجربة. كان ككثيرين في وسط بوتقة التجرب في صواع

يتساءل: هل تحول الله إلى عدوٍ حتى سمح للشيطان أن يجربه بما يبدو أنه فوق الطاقة. وإن كان كذلك، فكيف فقد أصدقؤه إنسانيتهم، وتجاهلوا معاملته معهم، ونسوا إليه ما لم يروه فيه.

هذه مشاعر بشوية عاشها البار أيوب، كما يعيشها القديسون في وسط آلامهم، ولو إلى حين.

حقاً، لقد أحاطت به الضيفات من كل جانبٍ، وتحولت التعزية إلى تعذيب (1-7). يعبر أيوب في هذا الأصحاب عن عدم صوه على كلام بلد،

وأن الذين جاءوا ليعزوه أضافوا تبعاً على تعبه بسبب انتقاداتهم الشديدة له وقسوتهم عليه، فقد عذبوا نفسه، وسحقوه بالكلام، وأخزوه، وأطلقوا عليه

صفات شريرة، ووجهوا إليه اتهامات لا يعرف عنها شيئاً. تظاهروا كأنهم لا يعرفوه من قبل؛ لم يعاملوه بالدالة التي كانوا يعاملونه بها لما كان في

رخصته.

تساءل أيوب إن كان الله اختلّه لكي يظهره كخاطي في أعين العالم. فقد سمح له إلهه بالنعبات (8-12). ليس فقط أصحابه، وإنما حتى زوجته

وأقربؤه يتعاملون معه كطريد جرده الله من مجده، وعامله كعدوٍ، بل وأبعد عنه أصدقاءه، وجعل أقرباءه وإماءه يحتقرونه، بل والصبيان رذوله. لم يجد

من يعطف عليه في نكبته [١٣-١٩]. جسمه فني، لقد تدمر عملياً [٢٠].

ثانياً: في ضعفه البشوي أيضاً شعر بالحاجة إلى حنوٍ ممن هم حوله وسط التجربة، فظن أنه كان يمكن لأصدقائه أن يقدموا له الحنو الذي حرمه

الله منه [٢١-٢٢].

ثالثاً: امتاز أيوب البار أنه مع معاناته من ضعفه البشوي إلا أنه بالإيمان الحي ارتفع إلى واقع حقيقي آخر، وهو أن حب الله له فائق، وعنايته

به عجيبة. لهذا يتساءل: هل بالحق الله هو عوئي؟ فإنه هو رجائي الوحيد! [٢٣-٢٧]. يعود يسمو إلى علو الإيمان، فيقول في ثقة الإيمان الكاملة: "أما أنا

فقد علمت إن وليي حي، وعلى الأرض يقوم". فهو يروي نفسه بالإيمان والرجاء في سعادة العالم الآخر. ونحن نعتقد أن أيوب كان تحت تأثير الروح

القدس الذي رفعه فوق نفسه، وأثار بصيوته، ووضع في فمه كلاماً بطويقة مذهلة. ونلاحظ أننا لا نجد في أحاديث أيوب بعد هذا أي تذمر أو شكوى من

الله، كما فعل قبل ذلك، لأن ذلك الرجاء هدأ روحه.

رابعاً: إذ ارتفع أيوب البار بقلبه وفكره إلى إواك محبة الله، وامتلاً قلبه بالرجاء. كما نطق بعبارات خاصة بأحواله، تحمل نبوات رائعة عن

السيد المسيح الذي احتل مركز الإنسان المتألم، والذي تعثر فيه إشعياء في البداية حيث قال: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه.

مُحتقِر ومخنول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن، وكُمُستر عنه وجهنا، مُحتقِر فلم نعتد به" (إش 53: 2-3). لكن عاد إشعياء فتمتع بسرّ

صليبه، وسَّجَل لنا "تسايح العبد المتألم، أغنية كل نفسٍ تتلاقى مع سرّ الصليب، وتتعرف على مخلصها غافر خطايانا، وواهبها البرّ الحقيقي وشركة

الأمجاد الأبدية.

جاءت أغلب عبارات أيوب في هذا الأصحاب نبوات تحققت في شخص السيد المسيح المتألم كؤأس الكنيسة، وأيضاً في الكنيسة كجسد المسيح

المتألم:

أ. تعذيبه بكلمات أصدقائه [1-4]؛ هكذا لم يتوقف قادة اليهود عن أن يتقدموا ليجهروا السيد المسيح، ويستخدموا الكلمات اللاذعة والاتهامات

الباطلة، عوض الكرة به كأصدقاء له، يعرفونه خلال الرموز والنبوات التي بين أيديهم.

ب. استكبار اليهود على المسيا المخلص، مع عدم قنرتهم على إثبات اتهاماتهم عليه [5].

ج. ما حل به من آلام، كمن سقط في شبكة الله، إنما تحقيقاً لإرادة الآب، وقد وضع هو نفسه بلادته [6].

د. صار طريقه كما لو كان ظلامًا، لذلك حلت الظلمة على العالم وقت الصلب.

هـ. زال تاج أيوب [9]، وأخفى السيد المسيح مجده ليحمل تاج العار، أو إكليل الشوك عنا.

و. انهدم أيوب تمامًا [10]، وأسلم السيد المسيح روحه على الصليب،

ز. حُسب أيوب في أعين أصدقائه عنواً لله [11]، وحمل مسيحين خطايا العالم على كتفيه لكي يرفع الغضب الإلهي والعدوة عنا.

ح. تحول أقرباء أيوب إلى غرباء عنه [13]، وجاء السيد المسيح إلى خاصته، وخاصته لم تقبله.

ط. لم تحتمل زوجة أيوب رائحته [17]، وصار السيد المسيح رائحة موت لموت للأمة اليهودية التي جددته (2 كو 2: 16).

ي. يطلب أيوب من أصدقائه أن يتواءموا عليه [21]، ويصوح السيد المسيح على الصليب: "أنا عطشان" (يو 19: 28)، مشتاقاً أن يشرب من

مياه الحب للراجعين عن شرورهم وجحدهم. إنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون (1 تي 2: 4). يطلب أيوب أن يفهم أصدقائه سرّ

آلامه، وأن تُسجل قصته، وتُتحت على صخر لتتعلم منها الأجيال [23-24]. وورسل السيد المسيح روحه القدس الذي ينقش سرّ حبه العملي على القلوب

الحجرية، فتحمل صخرة الإيمان، وتتحول إلى ملكوت إلهي سموي موح.

ك. يوجه أيوب أنظار أصدقائه إلى القيامة التي يهبه الله الحي إياها [25]، ويوجه السيد المسيح البشرية المحبوبة إليه جداً إلى قيامته ليتمتعوا

بقوتها، ويقوموا به من الموت إلى الحياة الأبدية.

ل. يختم حديثه هنا بتحذير أصدقائه لئلا يرفضوا الحق، ويتمسكوا بالكلام الباطل [28]، حتى لا يقتلهم السيف [29]. ويحذر السيد المسيح غير

المؤمنين لئلا يُحرموا من الأبدية المفوحة ويُلقوا مع إبليس في جهنم!

يختم أيوب كلامه بتهديد أصحابه بأن ظهور الله الذي ينتظره وجاء سيسبب خوفاً لهم إذا استمروا يصرون على أن خطيته هي سبب آلامه.

يريد أيوب أن تُنقش كلماته وتُسجل، فحتمًا سيأتي اليوم الذي يقف فيه الله شاهداً له لصالحه. لكن هل كان يتوقع تحقيق هذا قبل موته أم بعده؟

1. تحول التعزية إلى تعذيب 7-1

2. إلهه سمح بالنكبات 12-8

3. تحول الأقرباء إلى غرباء 19-13

4. فقدان من يحنو عليه 22-20

5. الأبدية هي رجاؤنا 27-23

6. تحذره لأصدقائه 29-28

1. تحول التعزية إلى تعذيب

فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: [1]

حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِي،

وَتَسْحَقُونَنِي بِالْكَلَامِ [2].

كل ما حلّ بأيوب من آلام جسدية ونكبات، ليست فيها آلام نفسية كذلك التي حلت بنفسه من أصدقائه، فالتجرب دفعته لتقديم ذبيحة تسبيح وشكر

الله، أما كلمات أصدقائه فسحقته. كأنه يصوح مع الموتل: "اشفني يارب، لأن عظامي قد رجفت" (مز 6: 2).

وى الأب هيسخيوس الأورشليمي في كلمات أيوب البار هنا عتاباً موجهاً ضد أصدقائه الذين كانوا أن يحطموارجاءه، الأمر الذي لم يستطع

إبليس أن يفعله به. فإن أقصى ما يفعله عدو الخير هو أن يصب عليه التجرب من آلام جسمانية تبلغ نهايتها بالموت. وهو في هذا كله لا يبالي بالآلام،

ولا يخشى الموت، إذ روى في معركته مع إبليس أنه ينال كما من الأكاليل كلما وَايدت التجرب. أما أصدقؤه فقد صوّوا سهامهم، لا ضد جسمه الذي ينحل يوماً ما، بل ضد نفسه لتحطيم رجائه، وهذا أخطر. وكأن ما يفعله الأصدقاء الأثوار أشر وأخطر مما يصوبه ضده عدو الخير. كثوًا ما يحدثنا الكتاب المقدس عن خطورة الكلمات العنيفة المحطمة للنفس، كما يحزننا من الكلمات الناعمة التي تخفي قلبًا قتلاً مخادعًا. فاللسان السليط سهم قاتل، ضوباته أخطر من القتل بالسيف، أو الضرب بالسياط؛ ويوضع اللسان الكذاب مع العيون المتعالية المتشامخة والأيدي السافكة للدماء.

"كثيرون سقطوا بحد السيف، لكنهم ليسوا كالساقطين بحد اللسان" (سواخ 28: 22).

"لسانهم سهم قتال، يتكلم بالغش بفمه، يكلم صاحبه بسلام، وفي قلبه يضع له كمينًا" (إر 9: 8).

"ضوبة السوط تُبقي رَضًا، وضوبة اللسان تحطم العظام" (سواخ 28: 21).

"عيون متعالية، لسان كاذب، أيدٍ سافكة دما بريئًا" (أم 6: 17).

"السليط اللسان بعيد السمعة، لكن العاقل يعلم متى يسقط" (سواخ 21: 8).

"قمه مملوء لعنة وغشًا وظلمًا، تحت لسانه مشقة وإثم" (مز 10: 7).

"يقطع الرب جميع الشفاه الملقفة، واللسان المتكلم بالعظائم" (مز 12: 3).

"نفسى بين الأشبال، اضطجع بين المتقدين بني آدم، أسنانهم أسنة وسهام، ولسانهم سيف ماض" (مز 57: 4).

"من يجعل حرسًا لفمي، وخاتمًا وثيقًا على شفتي، لئلا أسقط بسببيهما، ويهلكني لساني" (سواخ 22: 33).

❖ الوصية الأولى: "صُنْ لسانك عن الشر، وشفتيك عن التكلم بالغش" (مز 34: 13؛ 1 بط 3: 10). لأن الخطية التي يسببها اللسان فعّالة للغاية ومتعددة الجوانب، لها دورها في السخط والشهوة والرياء والإدانة والغش. أتريد أن أعدد الأسماء الكثيرة التي لخطايا اللسان؟ فإنه عن اللسان تصدر النميمة، والسخرية والحقاقة البالغة، والاتهامات الباطلة، والعورة والقسم والشهادة الباطلة. اللسان هو مخزوع كل هذه الشرور وأكثر [883].

القديس باسيليوس الكبير

❖ لا يروض الحصان نفسه، ولا أيضًا الإنسان يقدر أن يفعل هذا. الحاجة ملحة للإنسان أن يروض الحصان، وبنفس الطريقة إلى الله كي يروض الإنسان [884].

القديس أغسطينوس

❖ يقتل السيف الجسم، ويقتل اللسان النفس. لا يعرف اللسان الاعتدال، فإما أن يكون عظيم الصلاح أو عظيم الشر. إنه عظيم الصلاح عندما يعرف أن المسيح هو الله، وعظيم الشر عندما يجحد ذلك. ليته لا يخدع أحد نفسه، ظانًا أنه لم يخطئ قط، فإنني أخطئ، وذلك بلساني [885].

❖ كلما أخطأ اللسان، صار بالأكثر بائسًا! [886]

القديس جيروم

❖ الوهان العملي على الذهن السليم والفكر الكامل ألا يوجد خطأ على ألسنتنا، وأن نحفظ أواهننا مغلقة عند الضرورة. إنه من الأفضل أن يقودنا الحديث اللائق، القادر أن يعرف كمال كل مديح ويعبر عنه. فإن أكثر المواهب نفعًا أن تكون قاورًا على النطق بالحكمة عند التحدث عن الحياة الصالحة. الكلام الوديء يؤرم أن يكون غويبًا عن القديسين [887].

القديس كيرلس الكبير

❖ احفظ طرف لسانك، فإنه مثل فوسٍ ملوكي. إن وُضع لجامًا في فمه، وعلمته السير بكياسة، يخضع لذلك ويكتفي. أما أن تركته يجوي بلا ضابط، [888]

يصير مركبة للشيطان وملائكته .

❖ اللسان سيف ماضٍ. ليتنا لا نوح به أحدًا، بل بالحوي نقطع به "الغوغينا" التي فينا [889].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يكون الجسم موهفًا، لا أشعر باحتياج ضروري، أحسب الآمي كلا شيء، ولا أبالي بجسمي عندما يُستنفذ هذا الطين ويعبر. لا تعذبوا نفسي، ولا توبكوا روحي، فإن تحمل نفسي نغمًا (روحياً) أصيب به عؤوي. أنا غالب في المعركة، لا أخشى الآلام. أما أنتم فتسحقونني بكلماتكم، وتتوعون عني الرجاء في نوال الأكاليل، وتجعلوني أرتد بخطواتي كمن لم يركض حسنًا.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ لتفهم كلمات الرجل القديس كمن ينطق بها عن شخصه ترة، وترة أخرى بلسان الرأس (المسيح)، وترة كرمزٍ للكنيسة الجامعة.

الآن فإن نفس البار في حزنٍ عميقٍ عندما يقذفه الأشخاص بعبارات ضده دون أن يتعلموا أن يملسوا الحياة الصالحة، وبالكلمات ينسيون البر إلى نواتهم مع أنهم عمليًا هو أعداء له...

ينطق أيوب بخصوص شخصه، ليتكلم معترفًا بلسان الكنيسة الجامعة: "لكنني بالحق أنا جاهل، وجهلي وافقتي (معي)" [Vulgate 4]. كأنه يقول عن الهواطة: "كل معرفتكم ليست معكم، بل هي ضدكم، مادامت ترفعكم في كبرياء غبي. أما جهلي أنا فهو معي، فإنه يعمل لحسابي، حيث لا أتجاسر وأبحث فيما يخص الله بكوياء قلبٍ. احفظ نفسي في الحق بروح التواضع..."

البابا غريغوريوس (الكبير)

إن كانت حراحت أوب البار موة للغاية بسبب كلمات أصدقائه القاسية أكثر من أية مورة أخرى، يليق بنا نحن كؤمنين نحوص على سلامة اخوتنا وخلصهم وفرحهم في الرب. ألا ننطق بكلمات جرحه، بل تكون لنا الكلمات الطيبة التي تشفي حراحتهم وتطيب خاطرهم في الرب. يحثنا الكتاب المقدس لا على التحفظ من اللسان السليط فحسب، وإنما أن يهبنا الله لسانًا لطيفًا يسندنا ويسند اخوتنا بعنوبته الشافية.

❖ قال الرسول هذا (يع 3: 8)، لا لكي نتساهل مع هذا الشر الذي للسان، بل كي نطلب النعمة الإلهية لتروض ألسنتنا [890].

القديس أغسطينوس

❖ النبع هو قلب الإنسان، ومجوى الماء الذي يفيض هو حديثه، والفتحة التي يخرج منها هي فمه. الماء الحلو هو التعليم السليم، والماء المر هو ما يضاد ذلك [891].

الأب هيلاري أسقف آرل

❖ إنه أمر عظيم أن تكون قاورًا على ضبط اللسان، لأن الفشل في ذلك هو أعظم الشرور [892].

القديس كيرلس الكبير

"الكلام الحسن شهد عسل، حلو للنفس، وشفاء للعظام" (أم 16: 24).

"الذي لا يشي بلسانه، ولا يصنع شواً بصاحبه، ولا يحمل تعيواً على قريبه" (مز 15: 3).

"فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر" (مز 45: 1).

"هواء اللسان شجرة حياة، واعوجاجه سحق في الروح" (أم 15: 4).

"الموت والحياة في يد اللسان، وأحبؤه يأكلون ثومه" (أم 18: 21).

"ببطء الغضب يقنع الرئيس، واللسان اللين يكسر العظم" (أم 25: 15).

"لا تكن جافياً في لسانك، ولا كسلاً متوانياً في أعمالك" (سواخ 4: 34).

"الفم العذب يكثر الأصدقاء، واللسان اللطيف يكثر المؤانسات" (سواخ 6: 5).

"وإن كان في لسانها رحمة ووداعة، فليس رجلها كسائر بني البشر" (سواخ 36: 25).

"المزمار والعود يطيبان اللحن، لكن اللسان العذب فوق كليهما" (سواخ 40: 21).

هَذِهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ أُخْرِيتُمُونِي.

لَمْ تَخْجَلُوا مِنِّي أَنْ تُعَنَّفُونِي [3].

أخزوه بما نسوه إليه من صفاتٍ شريفةٍ وما اهتموه به مرة ومرة بلا ترددٍ. كانت كلماتهم كسيفٍ قاتلٍ وكحجارةٍ ثقيلةٍ سحقَت نفسه. لم يخجلوا من أن يحتقروه، إذ جعلوا أنفسهم غرباء عنه، وكانوا يتظاهرون كمن لا يعرفونه (أي 2: 12). لم يتعاملوا معه بذات الدالة التي كانت لهم في رخائه. لذا يقول الحكيم: "الصديق يحب في كل وقتٍ" (أم 17: 17).

لقد تحدثوا خمس مرات، وكان كل منهم يضاعف توبيخه فأحصى أيوب ما فعلوه به، قائلاً: "عشر مراتٍ أُخْرِيتُمُونِي". هذا ورقم 10 يشير إلى الكمال الزمني لذلك جاءت الوصايا في الناموس عشرة، إشارة إلى التوام المؤمن بالوصية طوال زمن عبده. وهنا كأنه لم يترك الأصدقاء لحظة من لحظات جلوسهم معه إلا وحملت روح النقد اللاذع والتوبيخ لكي يخزوه.

❖ "فقط لتعرفوا أن الرب يعاملني هكذا" [3 LXX]. يقول على الأقل ليت كرامة ذلك الذي يؤدبني تجعلكم تغيروا نظرتكم نحوي. فإنه لا يليق بكم أن تطؤوا على الناس الذين يؤدبهم الله، بل أن تنتهوا وتحزنوا على مثل هؤلاء، خاصة وأنه لا يليق أن يوح أحد بموت آخر، فإن هذا التصوف لا يُترك بدون عقاب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَهَبْنِي ضَلَلْتُ حَقًّا.

عَلَيَّ تَسَنَّقِرُ ضَلَّالَتِي! [4]

"وهبني ضللت حقاً"، بمعنى افتراضوا أن اتهاماتكم صدق، وأنني بالحق ضللت، سواء كان ذلك عن جهلٍ أو خطأ، فكل إنسانٍ معرض لهذا، فإن هذا يمس حياتي، لأن ضلالتني - إن كنت أخطئ عن عمد وخبثٍ وخداع - تسنقر علي لا عليكم، فلماذا كل هذا الهجوم القاتل؟

ربما يعني إن كنت بالحق مخطئاً وشروياً، وأنا أتألم بسبب شوي، وحلت كل هذه النكبات عليّ، أتكوني في مورتتي، لماذا تضيفون علي

الامي آلاماً؟

❖ [893] "إنكم تنتصبون ضدي"، كأنه يقول لهم: "كان يليق بكم، بمناسبة ضوبي (بالتجرب) أن تنتصوا ضد أنفسكم. هذا هو التدبير الحسن للانتصاب في جانب الصلاح، أن نقف أولاً ضد أنفسنا، وبعد ذلك ضد الأشرار. ننتصب ضد أنفسنا عندما نتطلع إلى أعمالنا الشريفة، ونضوب أنفسنا بعقوبة الندامة القاسية، ولا نترك أنفسنا قط في خطايانا، ولا ننحاز بأي فكر أحمق نحو أنفسنا.

يؤمننا أولاً أن نفتقي في صوامع أشر شهورنا في داخلنا. عندئذ يكون من العدل أن ننتصب لمقاومة الشر في الآخرين لأجل نفعهم، والشر الذي نعاقبه فينا نطبقه أيضاً في الغير...

هذا النوع من الانتصاب لا يعرف عنه الأشرار شيئاً، إذ يتركون أنفسهم ويهاجمون الصالحين... لذلك بحق قيل لأصدقاء الطوبوي أيوب الذين كانوا متكبرين عليه وهو تحت العقوبة: "تنتصبون ضدي". بمعنى آخر قيل لهم: "تتركون أنفسكم التي تستحق اللوم، وتنتهرونني بعبارات قاسية". فمن لا يحكم على نفسه أولاً، يجهل الحكم على الغير باستقامة... هكذا قيل للذين كانوا يتصرفون بخداع عندما جاؤا زانية لتسقط تحت الحكم: "من كان منكم بلا خطية، فليومها أولاً بحجرٍ" (يو 8: 7). فقد جاؤا يعاقبون خطايا الغير، وتركوا خطاياهم خلفهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك، وها الخشبة في عينك؟ يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك.

رُئ عنك الكراهية حتى تستطيع إصلاح من تحبه. حسناً يقول الرب "يا مرائي" لأن الإنسان المحب، وحده الذي له أن يشتكي من خطايا الآخرين، أما الشوير، فمتى اشتكى على الآخرين يكون مرائياً، إذ يظهر نفسه بصورة غير التي هو عليها... فهناك صنف من المتصنعين يشتكون من خطايا الآخرين كالكراهية والضعينة بقصد الظهور بمظهر أصحاب المشورة... لنحذر لئلا نسقط في هذا، كذلك إذا اضطرت إلى الكشف عن أخطاء الآخرين أو انتهلهم، فلننظر إلى أنفسنا إن كنا نرتكب نفس الخطايا، أو سبق لنا ارتكابها. فإن كنا لم نرتكبها لنعلم أننا بشر معرضون للخطية. أما إن كنا قد ارتكبنا الخطية من قبل وقد تحررنا منها، فلنذكر ضعفنا على اللوام. لذلك وجب علينا أن نكنّ لمن نكشف أخطاءهم المحبة لا الكراهية... ولنحذر لئلا ننشغل بخطاياهم... فلا نلوم الخاطيء ولا ننتهوه، بل نحزن بشدة على حالتنا هذه، غير طالبين منه أن يطيعنا، بل أن يجاهد معنا [894].

❖ علينا ألا نستخدم التوبيخ إلا ناوراً. وإذا اضطرتنا إلى استخدامه يجب علينا أن نسعى بشغفٍ إلى خدمة الله لا أنفسنا. ليكون لنا هدف واحد، فلا نفعل شيئاً بقلب مزوج. لئلا نخرج من أعيننا خشبة الحسد أو الحقد أو التصنع، حتى نتمكن من الإبصار فنخرج القذى من عيني أخينا. للنظر إلى القذى بعيني الحمامة، اللتين لعروس المسيح (نش 1:4)، التي اختلها الله لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن، أي نقية لا غش فيها (أف 27:5) [895].

القدّيس أغسطينوس

❖ يجب على المسيحيين أن يجتهوا... أن لا يديبوا أحدًا حتى ولا زانية من الزانيات، ولا الأئمة المشهورين بخطاياهم، ولا قليبي النظام، بل واعوا كل جنس البشر بسداجة النية وعين النقوة، لكي يصبح الإنسان من طبيعته وأساسه لا يستخف بأحدٍ ولا يدين أو يكره أحدًا، حتى ولا يميز بين الناس. فإن رأيت رجلاً أعر فلا تحتوه في قلبك بل أعطه من الاهتمام حقه الذي كنت تعطيه له لو كان بلا عيب... لأن نقوة القلب الصحيحة هي أنك إن رأيت الخطاة أو الضعفاء توثي لحالهم، وتظهر لهم الرحمة. فإن هذا هو ما يناسب قديسي الرب أن يجلسوا في المحرس (حب ٢: ١؛ إش ٢١: ٨)، ويعاينوا ضلال العالم وخذاعه ويخاطبوا الله بالإنسان الباطن.

القدّيس مقاريوس الكبير

❖ لا تسيء إلى إنسان، الذي هو صورته الله، بسبب الشر الذي فيه، فإن الشر أمر عرض، هو محنة ومروض وتضليل شيطاني، أما كيانه، كصورة الله، فهو باقٍ [896].

الأب يوحنا كرونستادت

إِنْ كُنْتُمْ بِالْحَقِّ تَسْتَكْبِرُونَ عَلَيَّ،

فَتَبْتُّوا عَلَيَّ عَرِي [5].

شعر أيوب أنهم لم يأخذوا منه موقفاً غير إنساني فحسب، فتحولوا عن صداقته، وإنما بالحق استكبروا عليه، وحسبوا أنفسهم أسمى منه، وتعاضوا عليه لإذلاله. بدلاً من أن يزوعوا عنهم عرهم، تبوا عره كدليل على عدم زاهته وإخلاصه وكمالته. أخذوا من عره حجة لتثبيت شوه. رأى الفريسي المتكبر في الوأة الوانية نجاسة لا تُطاق، وشوا لا يُحتمل، حتى استكثر عليها أن تتجاسر وتدخل بيته. وكأنه يود لو طرد ربنا يسوع حتى لا يدخل معه أمثال هذه. أما ربنا يسوع فأى في قلبها المنكسر ودوع عينيها حباً كثواً، فغفر لها خطاياها الكثوة.

ورأت الجماهير في زكاريوس العشليين إنساناً خائناً عابداً للمال لا يستحق أن يعيش بينهم، أما السيد المسيح فأى فيه شوقه للخلاص والتحرر من المادة، فيستحق دخول رب المجد لا إلى بيته فحسب، بل وداخل قلبه.

إن نظرة ربنا يسوع القديس المحب للنفس المعروفة بسوادها، هي: "أنت جميلة يا حبيبتي. أنت جميلة" (نش ١: ١٥). أما أخواتها فينظرون سوادها، لذلك وبختهن قائلة: "لا تنتظن إليّ لكوني سوداء، لأن الشمس قد لوحنتني" (نش ١: ٦).

وي الأب هيسخيوس الأورشليمي أن الطوبوي أيوب الذي شهد الله عن ربه لا يمكن أن يكون قد ضلّ، ذلك الذي نال حكمة من العلاء لا ينطق بما هو غريب عن الحق؛ ليس فيه أفكار باطلة. ومع هذا فإنه حتى وإن كان قد ضلّ، فما كان يليق لأصدقائه أن يتشامخوا عليه وهو في المذلة. كأنه يقول لهم: "لماذا تتعاملون بعجرفة مع إنسان في المذلة؟ لماذا تهاجمون شخصاً منهزماً إلى أسفل؟ لماذا تؤنون شخصاً كان يجب أن تعطفوا عليه، وتصلوا من أجله؟ ولنفوض أنكم تتشامخون عليّ، فلماذا تتشامخون على الله؟ فإن عنايته الفائقة حالة عليّ".

يقول القديس كبريانوس: [إنه لكوياء وتشامخ أن يتجاسر أحد يظن أنه قادر أن يفعل ما لم يهبه الله حتى للرسل، فيحسب أنه يستطيع تمييز الزوان عن الحنطة... ومن يفكر أنه يختار الأواني الذهبية والفضية ويحتقر الأواني الخشبية والخرفية ويطردها، مع أن الأواني الخشبية لا تحرق إلا يوم الرب بالنار الإلهية المحرقة، والأواني الخرفية لا يسحقها إلا ذلك الذي أعطي له قضيب من حديد [897].

❖ ينصحنا الرب ألا نحكم على أحد بتهور أو بظلم، لأنه وغب في أن نصنع كل شيء بقلب بسيط متجه دائماً نحو الله. هذا وإذ يكون استعداد من يحكم على الآخرين هو البحث عن خطايا الغير لتوبيخهم وإدانتهم، لا لإصلاحهم وتهذيبهم في محبة... كل هذا بسبب كبريائهم أو حسدهم، لذلك أضاف رب المجد: "ولماذا تنظر القدي الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها؟"

فلو سقط أخوك في خطية الغضب، تسقط أنت في خطية الكراهية (بإدانتك له). وهناك فوق شاسع بين الغضب والكراهية، كما هو بين القدي والخشبة. لأن الكراهية هي غضب مزمّن، فبطول الزمن اشتد القدي (الغضب) حتى صار يُدعى بحق خشبة (الكراهية). فإنك إن غضبت على إنسان، فلا بد أنك توجب في رجوعه إلى الحق، أما إذا كوهته فلا يمكن لك أن تشناق إلى رجوعه [898].

القديس أغسطينوس

فَاعْلَمُوا إِذَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّجَنِي،

وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتُهُ [6].

لعله أراد القول بأن ما حلّ به هو بسماح من الله، فتهدمت حياته، وسقط في شبكة، كصيد في شبكة صياد، وليس من مهروب. أتوهوا الله يحكم

عليّ...

وي البعض هنا إشارة إلي ما اعتاد الفلسيون والرومان والغوصيون أن يفعلوه في معركهم. ففي بعض المعارك الرومانية كان أحد الجنود يمسك بسيفه ووجهه بينما بجوره آخر يمسك برمح وشبكة. فالأخير يبذل كل الجهد لكي يلقي بالشبكة على رأس خصمه، فإن نجح في هذا يسحبه في الحال بالشبكة الملتفة حول رقبته والتي بها شوك يحوه على الأرض ويضوبه بالرمح الذي في يده. فتمت ألقبت الشبكة على رأسه وصار في داخلها، يصير لا حول له ولا قوة، مصوه في يد الغالب [899].

هَا إِنِّي أَصُوخُ ظُلْمًا، فَلَا أُسْتَجَابُ.

أَدْعُو، وَلَيْسَ حُكْمٌ [7].

شعر أيوب كأن الله قد أخذ موقفاً مضاداً منه، وأن ما حلّ به ليس له ما يفوه به. يشعر أنه تحت الظلم، وها هو يدعو الله، والله لا يستجيب.

كأنه يقول لهم: لماذا تربكون نفسي وتسحقونها؟ أتكوني أصوخ إلى إلهي، وألح عليه، فيفسر لي علة ما حلّ بي.

❖ "ها أنا أصوخ ظلمًا، فلا أستجاب" [7]. هذا يخص ذلك الذي قال للخادم (القائد) الذي لطمه: "إن كنت قد تكلمت ردياً فأشهد على الودي، وإن حسناً فلماذا تضربني؟" (يو 27: 40). واضح أن الحكم لم يكن مستقيماً ولا عادلاً، فمع كثرة عدد القضاة لم ينطق أحد حسب الحق.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

ولعل صرخات أيوب هنا كانت رمزاً لصخرة السيد المسيح وسط آلامه على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (مز 22: 1؛ مت 27:

46؛ مر 15: 34)

❖ في ناسوتيته التي في غاية الرقة، وخلال شكل العبد الذي له، نتعلم ما نستخف به هنا في هذه الحياة، وما نتوجه في الأبدية. في آلامه ذاتها التي ظن فيها أعدؤه المتكبرون أنهم منتصرون، أخذ كلمات ضعفنا، حيث صُلبت معه طبيعتنا الخاطئة (رو 6: 6)، لكي ما يحطم جسم الخطية، قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" وهذا ما بدأ به الزمور الذي رُثم به منذ زمن بعيد، كنيوة عن آلامه، وإعلان عن النعمة التي بها يقيم مؤمنيه

ويحررهم [900].

القديس أغسطينوس

❖ إذ أخذ (الكلمة الإلهي المتجسد) نفساً بشرية، أخذ أيضاً المشاعر التي للنفس. كإله لم يكن في ألم، لكنه كإنسان كان قابلاً على التألم. لقد مات ليس كإله، بل كإنسان. إنه بصوت بشري صرخ: "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟" كإنسان تكلم على الصليب، حاملاً معر عينا. فإنه في وسط المخاطر نتجلوب كبشر حاسبين أننا متروكون. لذلك كإنسان تألم وبكى وصلب [901].

القديس أمبروسيو

❖ لقد تُرك، لأن ناسوته كان لا بد أن يعبر خلال الموت. كان يجب أن يُنظر بعين الاعتبار وبدقة أنه قد أسلم الروح بصخرة عظيمة بعد أن شرب من الإسفنج المملوء خلًا والمقدمة له على قسبة (مت 27: 46) ... حقيقة أنه قد قُدم له ليشرب من إسفنج على قسبة تعني أنه أخذ من أجساد الأميين الخطايا التي حطمت الأبدية، وحول خطايانا إليه، لكي يوحدنا بخلوده [902].

القديس هيلاري أسقف بوايتيه

2. إلهه سمح بالنكبات

قَدْ حَوَّطَ طَرِيقِي، فَلَا أَعْبُرُ،

وَعَلَى سُبُلِي جَعَلَ ظِلَامًا [8].

بدأ يعلق على ما سمح به الله له من مودة، لعلهم يترفقون به ويتوكلون به. يصور الله كمن يعترض طريقه، فلا يسمح له بالعبور للنجاة حتى ولو بالموت، وكمن جعل سبيله ظلامًا، فلا يعرف إلى أين يذهب. يعاتب الله ويسأله عن السر الذي وراء هذه الأحداث. لعل أيوب يتوقع وسط كل قسوة قلوبهم وتعسفهم بكلمات قاتلة أن يجد ولو القليل من الحنو، فلأد أن يثروهم لكي يكفوا عما يفعلونه به ويرقون لحاله.

❖ "قد حوّط حولي، فلا أقدر بأية وسيلة أن أهوب". هذا من أجل وجود كنيبة جنود لبيلاطس وجمهور اليهود. "حوطوا" الرب متعقبين إياه كأمر بيلاطس (مت 27: 26-27). بصق البعض في وجهه (مت 27: 30)، وآخرون لكموه (يو 19: 3)، وآخرون ضربوه. على أي الأحوال لم يهرب من وسط الشعب الذي حوّطه...

"قد جعل ظلمة أمام وجهي". كانت هناك ظلمة من الساعة السادسة حتى التاسعة. قد زال نور النهار، حتى لا ترى الخليقة وجه الخالق المكشوف.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ لكن الجنود الذين تجمهروا حوله كانوا يسخرون به. صار أضحوكة لهم. "ينظرون إليّ وينغضون رؤوسهم". كانت تظهر ملوكيته حتى في سخريتهم له، حيث كانوا يركعون له.

وقبل الصلب ألبسه الجنود ثوبًا من الأجران وتاجًا على رأسه. لماذا ألبسوه تاجًا ولو كان من الأشواك؟ لأن كل ملك يظهر ملكه بواسطة جنوده. فيسوع كملكٍ وُج رمزيًا خلال الجنود. لهذا يقول الكتاب في نشيد الأناشيد: "أخرجن يا بنات أورشليم، وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به أمه". وقد كان التاج سويًا، إذ هو غافر الخطايا ومزيل اللعنة.

تلقي آدم هذا الحكم: "ملعونة الأرض بسببك. شوكًا وحسكًا تثبت لك". لهذا السبب كان يلبق ببسوع أن يقبل الشوك حتى يزِيل هذا الحكم. ولهذا السبب دُفن يسوع في الأرض حتى تقبل الأرض التي لعنت الوكة عوض اللعنة [\[903\]](#).

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ **عَوَاهِ الصَّالِبُونَ** من لباسه كالخوليين، أما هو فصمت بشبه النعجة قدام الخواز!

ترك لباسه حين فرح، حتى يلبس الذين خرجوا من الفودوس عوايا!

يُلبسهم ثيابه ويبقى هو في هراءٍ! لأنه عرف أنها تصلح لآدم المفضوح!

عروا ثيابه، وألبسوه ثوبًا قزمزيًا لون الدم، حتى يتزين به العريس المقتول!

❖ **أَعْطَوْهُ أَنْ يَمْسَكَ الْقَصْبَةَ كَالدِّيَانِ** ، فاضطر من أجل هؤلاء أن يكتب كتاب طلاق ابنة العوانيين، لأنها أبغضته!

أعطته القصبية ليكتب طلاقها، لأنها نظوته يحب القداسة كثوًا مثل أبيه.

❖ **حَجَبُوا عَيْنِيهِ وَاسْتَهْوَأُوا بِهِ، وَلَكُمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ: تَنْبَأْ لَنَا مِنَ الَّذِي ضُوبِكُ!**

لطموا بالقصبية الرأس المرتفع، فارتعبت الملائكة!

بهذه الأمور الفاسدة الشرة كافؤه بجنون!...

صاروا في جنونٍ ليحجبوا وجه شمس البرِّ لئلا يُثْرَق، فينظر العالم فسادهم.

حجبت العروس الجاهلة العريس لئلا ينظر فجرها وفسادها.

حجبوا الطبيب لئلا يضمم جراحاتهم ويشفيهم!

أنظر في المسيح، كم أحتمل من الآثمة!؟

ذاك الجاهل كيف تجاسر وتفل في وجهه!

القديس يعقوب السروجي

رَأَلَ عَنِّي كَوَامَتِي،

وَوَعَّ تَاجَ رَأْسِي [9].

كأن الله قد زع عنه ثروته وكوامته القديمة، وكل فرصة لعمل الخير، وسلطانه وتاجه الملوكي، فصار بلا قوة.

بلا شك نطق أيوب بهذه الكلمات في ملة قلب، تحت تأثير قسوة التجربة، لا في كوياءٍ وتسامخٍ على أحكام الله، وإنما في ملة وحرز. لهذا وإن كانت الكلمات تبدو فيها جسلة، لكن الله تطلع إلى روحه الوديع. وكما يقول البابا غريغوريوس (الكبير) : [من يتوقف عن وهٍ بسبب الحزن ليس ببارٍ، لكن الطوبوي أيوب، بسبب روحه الوديع لم يخطئ حتى بنطقه كلماتٍ قاسية. فإننا إن قلنا إنه أخطأ بهذا القول، نجعل الشيطان قد حقق هدفه عندما قال: "مس عظمه ولحمه، فإنه في وجهك يجدف عليك" (2: 5).]

❖ **"رَأَلَ عَنِّي كَوَامَتِي" [9]** . إذ صلت الحاجة إلى تحقيق كلمة إشعيا النبي: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه. ولا منظر فنشتهيه، أقل مما لبني البشر" (إصحاح 53: 2-3).

" وَوَعَّ التَّاجَ عَن رَأْسِي " ، لكي يُعِنُوا لَهُ تَاجًا جَدِيدًا مَصْنُوعًا مِنَ الشُّوكِ (مت 27: 29).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يقول: "جورني من مجدي" ، لأن مجد كل إنسانٍ هو وَّه. الآن كما أن الثوب يحمي من البرد، هكذا البرّ يحمي من الموت. بهذا فإنه ليس من غير اللائق أن يُشبه البرّ بالثوب، إذ قيل بالنبي: "كهنتك يلبسون البرّ" (مز 132: 9).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ **ضفروا إكليل الشوك** ووضعوه له. وهذا يليق به، إذ جاء ليقطف الأثواك من الأرض!
حمل لعنة الأرض بالإكليل الذي وضعوه على رأسه، وحمل ثقل العالم كله كالجبار!
الخطايا والذنوب والأوجاع والآلام والضربات ضُوت بالإكليل، ووُضعت على رأسه ليحملها!
وانحلت بالأثواك لعنة آدم!
صار لعنة، حتى يتبرك به الورثون الراجعون.
بإكليله خلع زرع الحياة الملعون!
بإكليل شوكه ولعنة الأرض التي قتلت الأجيال... رُأى لعنة آدم وعرقه!
بإكليل الشوك هدم تاج الشيطان الذي أراد أن يكون إلهاً على الخليقة!
بإكليل شوكه ضفر إكليلاً لابنة الأمم، العروس التي خطبها من بين الأصنام وكتبها باسمه!
❖ **ضرب المخلص العظيم بالمقلع** ، وبالحكم الصادر من الحاكم خرج ليصلب!
أتى إلى خاصته، وخاصته لم تقبله، بل أخرجه بالهراء من عندهم!
خرج ليموت مع الأئمة بغير زلةٍ ، حينئذ ندم يهوذا - السواج الذي انطفاً من بين أصحابه - وخزي من الفعل الشير الذي صنعه.
الذي أسلمه رد الفضة للذين أسكوه حيث لوى بنفسه، واعترف أنه أسلمه بالشر... وأيضاً الصالون هربوا كالغبر قريبين وقالوا: ما علينا، أنت تعرف.

الدم الزكي طرح الوب على مهرقيه، وبدؤوا يرتعون ويرتعثون منه قبل أن يهرقوه!

القديس يعقوب السروجي

هَدَمْنِي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَدَهَبْتُ،

وَقَلَعَ مِثْلَ شَجَرَةٍ رَجَائِي [10].

لم يتوكل في طريق مغلق فحسب، ولا كعبٍ ذليلٍ، وإنما هدم كل كيانه من كل جانب. وكأنه شجرة قد أقتلعت. صار منهدمًا من كل جانب، وقد سمع إبليس هذه الشكوى، هذا الذي قال عنه إن الله سيحج حوله وحول بيته وكل ما له من كل ناحية (أي 1: 10).

❖ "هدمني من كل جهة، فذهبت" [10]. وذلك عندما تشتت التلاميذ الذين كانوا قبلاً بجانبه (مر 14: 50). أما عن نفسه فقد سلم نفسه للذين قبضوا عليه، لقد ذهب!

وقطع مثل شجرة رجائي" ، لم يقل إنه اقتلعها من جنورها، إنما قطعها، فإن الشجرة عندما تعاني في منطقة ما فوق الجنور يصدر عن الجنر أشجار أخرى بعد قطعها.

ما أن صُلب المسيح، حتى قُطع الرجاء الذي كان لدى الكثيرين فيه بالرغم من أنه سبق فتحدث مع تلاميذه عن قيامته (مت 16: 21). إذ اضطروا لآلامه، يسوا من جهة المخلص.

هذا ما حدث بدقة عندما قال كليوباس: "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل" (لو 24: 21). هذا وبخه المخلص بحزم إذ بلغ إلى

هذه الورجة من اليأس، عندما قال المسيح: "أيها الغيبان والبطيئنا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء" (لو 24: 25). وإذا أظهر أنه لم تكن توجد حاجة لفقد الرجاء فيه، أضاف: "أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟" (لو 24: 26).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

كاد اليأس أن يسيطر على أيوب حين أحاطت به التجارب من كل جنب، فصار كشجرة قُطعت، لكن بقي جنوها حيًا فتعود وتُظهر سيقانًا صغيرة، تكبر وتنمو. أما من جهة السيد المسيح، فقد هاج الكل عليه، وحكم عليه بالموت، وكاد يفقد المحيطون به الرجاء فيما كانوا يتوقعونه منه كمخلصٍ لإسرائيل.

الآن إذ تحيط الضيقات بالكنيسة، ويسقط بعض الضعفاء، يظن البعض أنها تفشل في رسالتها. لكن الله الذي يسمح لها بالمتاعب حتى تبدو كشجرة مقطوعة، هو سند لها، يعمل بروحه القنوس فيها، فتكسب بالضعف الكثيرين، تبقى في العالم أشبه بالخموة التي تبدو أنها قد ماتت وسط العجين، لكنها تخمر العجين كله! لذا لاق بنا ألا نفقد الرجاء، إنما دومًا نوح بالذين ينضمون إليها للتمتع بالخلاص الأبدي، خلال كلمة الله الحية.

❖ تتهدم الكنيسة من كل جانب حيث تتحل في الأعضاء الضعيفة، حينما يهلك أولئك الذين يظهرون أنهم أقوى. ويؤزع التاج عن الرأس بمعنى أن المكافآت الأبدية تُهمل لدى الذين يحتلون مركز الرأس. لذلك بحق يضيف بخصوص سقوط الضعفاء: " **وقل مثل شجرة رجائي**".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الخموة كمية قليلة، لكنها تمسك بالعجين، وتنتشر فيه كله، وتنقل إليه بسوعة كل خواصها. وكلمة الله تعمل فينا بطريقة مشابهة، لأنه حينما نقبلها في داخلنا، تجعلنا مقدسين وبلا لوم [\[904\]](#).

القديس كيرلس الكبير

وَأَضْرَمَ عَلَيَّ غَضَبَهُ،

وَحَسْبَتِي كَأَعْدَائِهِ [11].

صار غضب الله على أيوب كنارٍ قد أضومت، فالتهبت وأحرقته. وكأنه بصوخ مع الموتل: "رفع عني ضوبك، من مهاجمة يدك، أنا قد فنيت" (مز 39: 10).

هذا مارمُزٌ إليه حين ضوب موسى الصخرة بالعصا. "ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حريب، فتضوب الصخرة، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب، ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل" (خر 17: 6). قيل: "ورفع موسى يده وضوب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير، فتربت الجماعة ومواشيها" (عد 20: 11). لذا يقول الموتل: "شق الصخرة، فانفجرت المياه، جرت في اليابسة نهرًا" (مز 105: 41). المحول الصخرة إلى غوان مياه الصوان إلي يبايع مياه" (مز 114: 8).

هذا مارآه إشعياء النبي في السيد المسيح على الصليب، فقال: "لكن أوزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبنا مصابًا مضروبًا من الله ومنزولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحوه شُفينا" (إش 53: 4-5).

❖ **وَأَضْرَمَ عَلَيَّ غَضَبَهُ**، بإدانة آدم. جاء (آدم) الجديد (1 كو 15: 45) ليفي الدين (كو 2: 14) عن آدم القديم. لهذا أضاف أيوب: "وحسبني كعدو". واضح أنه قد طلب مني الدين الذي على العاصي.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ لكي تتأكد أنه هو بنفسه الذي رآه موسى، اسمع شهادة بولس القائل: "لأنهم كانوا يشوبون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (1 كو 10: 4) [\[905\]](#).

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ بالنسبة لأولئك كانت المياه تتفجر من الصخرة، أما بالنسبة لكم فالدم يفيض من المسيح. كانت المياه كافية إلى ساعة بالنسبة لهم، أما اليوم فيروكم للأبدية [906].

القديس أمبروسيو

❖ احسب كلمة الخالق وأشبهه بالصخرة التي سلرت مع شعب إسوئيل في البرية. إنها لم تكن من مستودع للماء سوى داخله ما فاض عليهم بمجري مجيدة. لم يكن في الصخرة ماء، لكن محيطات نبعث منها. هكذا فعل الكلمة الذي شكّل المخلوقات من لا شيء [907].

القديس إوام السرياني

❖ موة أخرى ارتفعت السحابة وقادتهم إلى مكان آخر (خر 17: 1-7). ولكن هذا المكان كان صحواء جوداء برمّال محوقة، وليس به قطرة ماء. وهنا موة أخرى أجهد العطش الشعب. ولكن عندما ضرب موسى صخرة بلزّة بعصاه أخرجت ماء عذبًا وصالحًا للشرب بغورة أكبر مما كان يحتاجه كل هذا الجمع العظيم [908].

❖ ليس من الصعب التوفيق بين التسلسل التاريخي والتأمل الروحي. إن الإنسان الذي ترك المصوبين موتى وراءه في الماء، وتتقى بالخشبة، وتلذذ بينابيع التلاميذ، ورتاح في ظل أشجار النخيل هو بالفعل قادر على استقبال الله. فالصخرة، كما يقول الرسول، هي يسوع المسيح. وهذه الصخرة صلبة ومقلومة لغير المؤمنين، ولكن إذا استخدم الإنسان عصا الإيمان فإن الصخرة تتحول إلى ماء للطمأن، وتتدفق على من يقبلون السيد المسيح، لأنه يقول " (أنا وأبي) إليه نأتي، وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14: 23) [909].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ لقد صُربت الصخرة بالعصا مرتين لكي تفيض ماءً، لأن للصليب عرّضتين. إذن كل هذه الأمور صُنعت كرمز، وقد أعلنت لنا [910].

القديس أغسطس

معا جاءت مؤاتة،

وأعلنوا عليّ طريقهم،

وحلّوا حول خيمتي [12].

كان هجوم الغواة عليه بسماح الله، فدعاهم "غواة الله" أو "غواته". عبروا إليه دون عائق، وحلوا حول خيمته دون مقاومة. حاصروه كجيش يحرّم المدينة من المؤونة حتى تهلك جرعاً وعطشاً!

❖ غالبًا ما يحدث أن الأرواح الشريرة تبتث أمورًا كثيرة في قلوب المتألمين، ومع الضربات التي تحل عليهم من الخرج، يبثون أفكارًا شريرة في قلوبهم، مستدعين غضب الله. لذلك بحق يضاف: " يأتى اللصوص معا، ويجعلون أنفسهم طريقًا خلالي" (أي 19: 12). لصوصه هم الأرواح الشريرة الذين ينشغلون في صيد موت الناس. هؤلاء يجعلون أنفسهم طريقًا في قلوب الخوانى عندما يعانون من الخرج بسبب المخاطر، لا يكفون عن أن يسكبوا الأفكار الشريرة أيضًا. عن هؤلاء قيل: " حلّوا حول خيمتي" (أي 19: 12) ... وذلك عندما يحوطن العقل من كل جانب بالتجرب...

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ إنه لأمر غريب، لماذا يتحدث عن اللصوص (الغواة) مضيلاً أنهم له، موضحاً أن هؤلاء الغواة منسوبون إليه. في هذه المنطقة يجب أن نميز بين سلطان الأرواح الشريرة وإرادتهم، فإن هذا يبين لماذا يدعوهم "لصوص الله". فإن الأرواح الشريرة تلهث راضة على النوام لكي تسيء إلينا، ولكن ليس لهم سلطان على إساءتنا ما لم ينالوا سماحًا من الإرادة العلوية. فمن نواتهم يشتاقون إلى أدبنا ظلمًا، لكن بالله القدير لا يستطيعون أن يؤنوا أحدًا إلا خلال العدل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ خطط إبليس لا أن يسحبنا من البركات التي لدينا، إنما يحاول أن يسحبنا إلى جوف صخوي أكثر اندفاعاً. لكن الله في محبته لم يفشل في الاهتمام بالبشرية.

لقد أظهر لإبليس كيف أنه غبي في محولاته. لقد أظهر للإنسان عظم العناية التي يظوها الله له، فإنه بالموت وهب الإنسان الحياة الأبدية. لقد سحب إبليس الإنسان من القديس، وقاده الله إلى السماء. فإن النفع أكثر بكثير من الخسارة [\[911\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ توجه تجرب الشيطان بالأكثر ضد الذين تقدسوا، لأنه يشفق بالأكثر أن ينال نصوة على الأوار [\[912\]](#).

القديس هيلاري أسقف بواتييه

3 . تحول الأقرباء إلى غرباء

قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي اخُوتِي،

وَمَعَلَفِي زَاغُوا عَنِّي [13].

لم يأت ربنا يسوع المسيح إلى هذا العالم ليوفض اليهود، خاصة، لكن من خلال عدم إيمانهم فتح أبواب الإيمان أمام الأمم.

❖ "اخوتي ابتعدوا عني، تعرفوا على الغرباء أكثر مني" (أي 19: 13 LXX). تشهد نعمة الإنجيل عن هذا... إذ يقول يوحنا عن الرب: "لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به" (يو 7: 5)، عندما قالوا له: "انتقل من هنا، وأذهب إلى اليهودية، لكي ترى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل" (يو 7: 3-4). قالوا هذا لأنهم لم يعرفوا قوته، "وتعرفوا على الغرباء أكثر منه". هذا مارآه اليهود بوضوح.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ تأمل قول يوحنا: "إلى خاصته جاء"، ليس لأجل حاجة المسيح، لأنه مستحيل أن تكون الذات الإلهية محتاجة، لكنه جاء من أجل الإحسان إلى خاصته.

وقد جعل يوحنا ملامة هؤلاء اليهود أشد لضعفهم عندما قال: "وخاصته لم تقبله". مع أن المسيح هو الذي جاء إليهم لمنفعتهم إلا أنهم رفضوه، ولم يفعلوا به هذا الفعل فقط، لكنهم أخرجوه إلى خراج كرمه وقتلوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سأظهر ذلك بأكثر سهولة عندما نقدم شهادة يوحنا القائل: "جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله" (يو 1: 11)، فقد ابتعد إخوته عنه، وصار معرفه غرباء عنه. هؤلاء هم العوانيون الذين معهم الناموس، وتعلموا النوبة، ومع ذلك إذ صار حاضراً لم يعرفوه قط.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لم يأت بهدف تحقيق عدم إيمان اليهود. ولكنه بسابق علمه بما كان مزمعاً أن يحدث سبق فاستخدم جحود اليهود وأخونا بما سوف يحدث، وهو دعوة الأمم إلى الإيمان.

كان التدبير الإلهي رائعاً... فقد استخدم خطية اليهود، ليدعو الأمم إلى ملكوت الله بواسطة المسيح رغم كونهم غرباء عن عهد الموعد (أف

[\[913\]](#) (12:2).

العلامة أوريجينوس

أَقْرَبِي قَدْ خَدَّلُونِي،

وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي [14].

سمح الله ألا يبادلّه أقرّبه ومعلّفه الحب، بل زالت عنهم روح القوابة والأخوة والصدّاقة واللطف والحنو. أعطوه القفا لا الوجه، نسوه كأن لا وجود له في حياتهم، ولم يبالوا بكل علاقة دم أو صداقة قديمة. خذّوه، إذ فقد كل رجاء فيهم. لم يتأثروا بكل ما حلّ عليه من نكبات.

❖ ليس فقط لم يوجد من يلطف من آلامه، بل كثيرون أحبطوه من كل جانب بالتوبيخات الساخرة. فإن سمة المحن ليست هكذا حتى أن الذين يوبخوننا عليها يثيرون نفوسنا ويهيجونها. ها أنتم ترون مرّة حزنه وقوله: "حتى أنتم سقطتم عليّ" (5:19). ودعاهم "قساة"، قائلاً: **أقربائي قد خذلونني، وخدمي تقاولوا عليّ، دعوت أبناء خليلاتي فابتعدوا عني** (راجع 14:19، 17). ... البعض يسخر، وآخرون يوبخون، والبعض يستخفون، ليس فقط الأعداء بل وحتى الأصدقاء. ليس فقط الأصدقاء، بل وحتى الخدم، ليس فقط يسخرون ويوبخون وإنما يشتمّون أيضاً منه. وذلك ليس لمدة يومين أو ثلاثة أيام أو عشرة أيام بل إلى عدة شهور... فلم يجدرراحة حتى بالليل، فكانت أهوال الليل أكثر رعباً من محن النهار. عانى ما هو أمر في نومه، اسمع ماذا يقول: "لماذا توبعني بالأحلام، وتوهبني بالروؤى؟" (14:7). أي رجل من حديد أو قلب من الصلب يمكنه أن يحتمل مثل هذه المآسي؟ [\[914\]](#)

القديس يوحنا الذهبي الفم

وُلَاءَ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا.

صَوْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ غَرِيْبًا [15].

حتى الذين جاء بهم كزلاء وإماء في بيته حسوه أجنبياً عنه. لم يمد واحد منهم يده لخدمته في وسط مرضه الشديد. إذا دعا أحد عبيده وسأله شيئاً يتوكله نون أن يجيب عليه بكلمة، مع أنه كان سيداً رحيماً عليهم ولم يرفض حقهم في دعواهم عليه (أي 31: 13). ❖ **وُلَاءَ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا** [15]. هذا عن الرب المتجسد الذين سبقوا فأخبروا عنه منذ زمنٍ طويلٍ بكلمات الناموس، رفضوا أن يعرفوه ويكرّموه...

"صوت في أعينهم غريباً" [15]. فإن فادينا، إذ لم يتعرف عليه المجمع صار كمن هو غريب في بيته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "ليس نبي مقولاً في وطنه" (لو 4: 24). إذ كانت عناثوت وطن رميا (إر 11: 21) لم تحسن استقباله. وأيضاً إشعياء وبقية الأنبياء، رفضهم ووطنهم أي أهل الختان... أما نحن الذين لا ننسب للعهد بل كنّا غرباء عن الوعد، فقد استقبلنا موسى والأنبياء الذين يعلنون عن المسيح، استقبلناهم من كل قلوبنا أكثر من اليهود الذين رفضوا المسيح، ولم يقبلوا الشهادة له [\[915\]](#).

العلامة أوريجينوس

عَبْدِي دَعَوْتُ، فَلَمْ يُجِبْ.

بِقَمِي تَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ [16].

وهو السيد يتضوع إلى العبد ويتوسل إليه، والعبد لا يبالي، ولا يلفته اهتماماً.

❖ "عبدي دعوت فلم يجب" [16]. واضح أن (المسيح) كان يتحدث عن يهوذا.

❖ "بقمي تضرعت إليه، توسلت إلى زوجتي" [17]. يتحدث (المسيح) عن أورشليم، فقد خطبها له لكي تخدم الناموس. فقد تضوع عدة مرات من أجلها ليخلصها. لقد توسل مرات عديدة إليها كي تتغير، حتى قال: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة الموسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع ولادك... ولم توبوا" (مت 23: 37).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ من هم الشعب اليهودي إلا "عبد" لم يطع الرب بحبه الابن... الله يدعونا عندما يحضروننا بمواهبه، ونحن نجيب الدعوة عندما نخدمه باستحقاق حسب المنافع التي ننالها.

"بفمي تضرعت إليه" [16]. كأنه يقول بأكثر وضوح: أنا هو نفسي، الذي قبلت تجسدي وأصايا لملستها، وذلك بفم الأنبياء، جئت إليه متجسداً، متضرعاً إليه بفمي. هكذا عندما أخبر متى (البشير) عن الوصايا التي سلمها (الرب) على الجبل قال: "وفتح فاه وعلمهم" (مت 5: 2). كأنه يقول بوضوح: عندئذ فتح فمه، هذا الذي فتح قبلاً أفواه الأنبياء.

كذلك قيل عنه بواسطة العروس المشتاقاة إلى حنوه: "ليقبلني بقبلات فمه" (نش 1: 2)، خلال كل الوصايا التي تتعلمها بالكورة. كأن الكنيسة المقدسة تتقبل قبلات فمه الكثيرة. الآن حسنا قيل: "تضرعت"، حيث ظهر في الجسد، وهو ينطق بوصايا الحياة في تواضع، وكأنه يبحث عن خادمه المملوء كبرياء لعله يأتي...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يا معشر اليهود، عندما تأتون إلى اورشليم وتجنون إنها خربت، وتحولت إلى وّاب ورماد، لا تبكوا كالأطفال (1 كو 4). لا تحزنوا، بل أنشئوا لكم مدينة في السماء بدلاً من تلك التي تبحثون عنها هنا على الأرض. رتفعوا بأبصاركم، فستجدون في الأعالي اورشليم الحرة التي هي أماناً جميعاً (غل 4: 26).

لا تحزنوا على غياب الهيكل هنا، ولا تيأسوا لافتقاركم إلى كاهن. ففي السماء تجدون مذبحاً وكهنة الخرات العتيدة، على رتبة ملكي صادق، في موكبهم أمام الله (عب 5: 10). فقد شاعت محبة الرب ورحمته أن يوزع عنكم الإلث الأرضي، حتى يتسنى لكم أن تطلبوا السموي [916].

العلامة أوريجينوس

نكّهتي مكرّوهةً عند أوأتي،

ومُنْتِنَةٌ عند أبناء أحشائي [17].

أما عن زوجته فلم تعد تطيق الأقواب إليه، أو تحتمل رائحة قروحه. مع معاملته لها بالحب الزوجي، استخفت به واحتقرته.

❖ "توسلت إلى أبناء سوري" [LXX 17]. بنفس الطريقة كما نفهم العبد هو مجمع اليهود، وهكذا أيضاً السوري. كما تحدثنا عن الؤملاء (أي 19: 15) يكونهم الكتبة والفريسيين من أجل الكتاب المقدس، هكذا أيضاً هنا "الأبناء". إنه عن هذا (المجمع المقام للمسيح) والشعب اليهودي يصوخ بالنبي إشعياء: "ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ" (إش 1: 2). كثراً ما دعوتهم نائحاً، ومؤنباً بغضبٍ، ومغزياً، ومُصلحاً.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "زوجتي توتعب عند تنفسي" [17]. ما هذه الزوجة التي للرب سوى مجمع اليهود الخاضع له بعهد الناموس في مفهوم جسداني؟ الآن فإن التنفس يصدر عن الجسم، والناس غير المؤمنين يفهمون تجسد الرب بطريقة جسدية، فيحسبونه إنساناً مجرداً.

❖ "توسلت إلى أبناء رحمي" [17]. الله الذي لا يُحد بشكلٍ جسديّ، يُدعى بطريقة كهذه، مستخدماً الأعضاء لإواز قوته... هنا الرحم (الأحشاء) الذي يحبل ينبج هذه الحياة. الآن بماذا نفهم "الرحم" سوى مشورته؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ حمل زكريا النبي قبيلة الروح، وأسوع قدامه بالزواتيل النبوية، بابتهاج شد أوتزله وحرّك صوته، وقال: "ابتهجي جداً يا ابنة صهيون"... أوحي واصوخي بالمجد المرفوع، لأنه يأتي إليك كما أخوتك بالنبوة.

لكن العروس الحقوة (جماعة اليهود الذين رفضوا أن يكونوا عروساً له)... لم توح كما دعيت، بل انسحقت وحزنت لمجيء العريس. ولأجل

هذا لم توح بقبوله.

سبى قلبها العجل (الذهبي) حبيبها، ومعه تتفاوض، ولا تريد أن تسمع للنبي القائل لها: "ابتهجي جدًا".

لم تخرج لتحمل الأغصان مع الأطفال!...

يقوع الأنبياء أوابها المرتفعة ويوقظونها، وهي نائمة بحببتها لكثرة أصحابها!

يمجد الأطفال الملك (السموي) الآتي ويبل كونه، وتهتم العجوز بتنظيف أصرامها (حبهم للذات وكبرياء قلوبهم).

حزنت بمجيء وريث الآب. عرفت أنه يفضحها، فأبغضته، ولم ترض أن يمجده الأطفال!

الحسد أبكم فمها، فبكرت صامتة عن التمجيد، واهتمت أن تُبكم الذين يمجدون!

لم يكفها أنها لا تريد أن تمجد، بل اجتهدت أن تسكت الممجدين أيضًا!

هؤلاء مجبوه، أما هي فغضبت من أصواتهم.

صوخ إشعياء استيقظي، استيقظي، والبسي العصمة.

صوخ زكريا: ابتهجي وافحي بالملك الآتي.

صوخ الأطفال: مبارك الآتي باسم الرب.

إنها لم تنصت لا للأنبياء ولا للأطفال، إنما حزنت من أصواتهم وغضبت.

أيها اليهود مبغضو النور، كيف تسكتون عن التمجيد الممتلئ من السماء والأرض.

القديس يعقوب السروجي

الْأَوْلَادُ أَيْضًا قَدَرْدُونِي.

إِذَا قُمْتُ، يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ [18].

لعله يقصد هنا أبناء خدمه الذين ولوا في بيته وحسبهم كالأولاد له هؤلاء به، وتكلموا عليه شوا. حين كان له سلطان عليهم قدم لهم كل الحب،

وحين فقد سلطانه أهانوه وسخروا به.

❖ "إذ رحلت عنهم تكلموا عليّ" [18]. كأن الرب قد اقترب من قلوب البشر عندما صنع عجائب لهم. وكأنه قدر حل عنهم عندما لم يظهر لهم

علامات. لكنهم تكلموا على الرب كمن رحل عندما رفضوا الخضوع بالإيمان له... علاوة على هذا أضاف أن معلمي الناموس والفريسيين "والذين

أحبهم جدًا انقلبوا عليه". فبتأهبهم لعدم الإيمان انقلبوا عن الإيمان بالحق... بل وأيضًا اضطهروه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَرَهْنِي كُلِّ رَجَالِي،

وَالَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ انْقَلَبُوا عَلَيَّ [19].

لم يعد بعد أحد ممن هم حوله يقدم له شيئاً سوى الكراهية، فقد انقلبت كل الموزين.

4. فقدان من يحنو عليه

عَظْمِي قَدْ أَصِقَ بِجِلْدِي وَلَحْمِي،

وَنَجَوْتُ بِجِلْدِ أَسْنَانِي [20].

بعد أن شكا لما سمح به الله له حيث ضيق عليه الطريق وحاصره ليكون بلا منفذ، وأضرم نوان غضبه عليه. أثار الغرباء (الغواة) عليه

ووهبهم قوة ضده. وأخذ كل أقربيه وأصدقائه وأهل بيته وخدمه وعبده موقف الكراهية، الآن يشكو من جسمه، فقد كاد أن ينحل. ذهبت عنه نضلته

وجماله وقوته، ولم تعد فيه صحة، حتى لصق عظمه بجده، فصار هيكلًا عظيمًا. كاد أن ينحل حتى جلده، فلم يبق له سوى جلد أسنانه.

❖ "جسدي فسد تحت جلدي، وأمسكت عظامي بالأسنان" [20]. يُفهم من هذه الكلمات أنه يتحدث عن سرّ الرب، فإن كل البشرية يليق دعوتهم "جلدًا"، خاصة الكنائس واجتماعاتها. ففيها ومن أجلها لم يفسد جسد الرب، لأن جسده لن يفسدًا (مز 16: 10). ولكن من جهة حقيقة نزوله من السموات من أجل الألم، شارك بطريقة ما في طعام الأتقياء. فإن أيوب لا يتكلم عن انحلال يخلص الفساد، إنما يتحدث عن نور القوت (الروحي)، فقد صار المسيح طعامًا يُقدم ويُبوك بأسناننا. فما كان يمكننا أن نتناول جسد الرب لو لم يود أن يقرب إلينا وأن نتنوق جسده.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

وَأَعْفُوا! وَأَعْفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي،

لَأَنَّ يَدَ اللَّهِ قَدْ مَسَّتْنِي [21].

بعد تقديم الوصف السابق المؤلم لحاله طلب من أصدقائه أن يوّاعفوا عليه. لقد وقع تحت غضب الله، وهذه أفسى كل النكبات، فليوّاعفوا عليه، ويظهروا له الحب العملي بالصلاة والتوسل إلى الله من أجله عوض اضطهادهم له.

❖ كم كان أيوب نبيلًا عندما كان في محنة، إذ قال: " وَأَعْفُوا، وَأَعْفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي" (21:19) إنها ليست صرخة كما من يؤس، بل بالحري من شخص يعاتب. فعندما وبخه أصدقؤه ظلماً أجابهم: وَاَعْفُوا يَا أَصْحَابِي"، أي كان يليق بكم أن تظهروا حنواً، لكنكم هاجمتم وسحقتم إنساناً كان يلزم أن تعطفوا عليه في آلامه من أجل الصداقة [917].

القديس أمبروسيوس

❖ لاحظوا إنه يدعوهم "أصحاب" ، هؤلاء الذين يهينونه، لأنه بالنسبة للأذهان النقية ما هو ضدهم يحسبونه لنفعهم. فإن أي إنسان شرير إما أنه يتغير بعنوبة الصالحين، فوجع عن شوه ويصير بهذا صديقاً، أو يتمسك بشوه ويصير بغير رادته صديقاً...
لقد ضُوب أيوب من الشيطان، ومع هذا لم ينسب الضوب للشيطان بل دعاه "يد الله قد مستني"، وذلك كما قال الشيطان نفسه: "ولكن أبسط الآن يدك ومسّ عظمه ولحمه، فإنه في وجهك يجدف عليك" (2: 5). فإن الإنسان القديس قد عرف أن ما قد فعله الشيطان نفسه من جهته برادته الشروية، إنما نال بذلك سلطاناً لا من نفسه، بل من الرب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا يمكن أن تكون الصداقة قوية مالم تأتلف بصديقك، وتلتصق به بتلك المحبة التي يسكبها الروح القدس المُعطى لنا.
❖ يلزمنا أن نوافق الكل لنربح الكل، مقتدين بالرسول القائل عن نفسه: "صوت للكل كل شيء، لأخلص على كل حال قوماً" (1 كو 9: 22). كن مع الحزين حزيناً، لأنه لا يوجد شيء يغوي الإنسان الحزين، مثل أن يرى أحداً يحزن معه على شدته، ومع الوح فوحاً، ومع الضعيف ضعيفاً. إلا أن هذه الموافقة تكون ضرورية لمساعدة القريب، وتخليصه من شوه، لا مشركته في شوه.

انظر كيف ينحني الإنسان ليقم بيده من كان ساقطاً، فإنه لا يسقط معه ليقمه، بل يقف مثبناً قدميه على الأرض لئلا يسقط بسبب الساقط، ثم يمد يده إليه قليلاً، وبمقدار ما يحتاج إلى معونة، وبذلك ينهضه من سقطته.

لنكن هذه الحال صورة مناسبة لنا، فعلياً أن ننحني قليلاً، وزافقهم يسواً في أحوالهم، لنخلصهم من سقطاتهم، ونربحهم لله. إلا أن هذا يلزمنا أن نثبت قلوبنا لئلا يجذبونا وراءهم.

القديس أغسطينوس

لِمَاذَا تَطَلُّونُنِي كَمَا اللَّهُ،

وَلَا تَشْبَعُونَ مِنْ لَحْمِي؟ [22]

إن كان الله يطرده فلعله لا يعرفها أحد، أما يكفي هذا، لماذا يطردونه هم أيضاً. الله له السلطان المطلق عليه، وحكمته تفوق كل فكر بشوي، فلماذا يملسون هم أيضاً الضيق عليه؟

إن كانوا قد فحوا بنكباته، فليكتفوا بلحمه الذي أوشك على الانحلال التام، لماذا يحرحون روحه ويحطمون نفسيته؟

❖ لم يقل إن الله اضطهده بطريقة تعرض تقواه. فإنه يوجد مضطهد صالح، كما يقول الرب عن نفسه بشفتي النبي: "الذي يغتاب صاحبه سواً أنا اضطهده" (مز 101: 5). وعندما يعاني القديس من الضربة يبرك أنه يعاني من اضطهادٍ مقابل الشر الذي تركبه داخلياً... كأنه يقول: لماذا تضطهدونني على ضعفاتي، كما لو كنتم أنتم أنفسكم على مثال الله بلا ضعفٍ؟...

حسناً أضاف: **"وتشبعون من لحمي"** . فإن الذهن الذي يوجع إلى معاقبة القريب حتماً يطلب أن يشبع من لحم الغير. علاوة على هذا من الضروري أن يُعرف أن الذين يقتاتون على الافقار على حياة الغير هم بالتأكيد **"يشبعون من لحم"** الغير. هكذا يقول سليمان: "لا تكن بين شويبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم" (أم 23: 20). فإن من يحضر جسداً ليأكله هو بلغة حديث الانحطاط، أن تخبر بما هو رديء في سمات الاخوة، وعقوبته هو: "لأن السكرير والمسوف يفتقون، والنوم يكسو الخرق" (أم 23: 21). الذين يسكرون يسلمون لكؤوس، أما المسوفون فهم الذين ينطقون بالافقار، مساهمين بالكلمات، كمن يساهم في تقديم منونة لكي تؤكل... وكما كتب: "كل واشي يُقتلع"، أما الخامل (النائم) فيغطي إنساناً بخرق، فيجده موته موضع سخرية، فرغاً من كل الأعمال الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ تحدث الأب **دوروثيوس** عن "عدم إدانة قريبتنا" [918] "أفاض في الحديث عن الوأمان بعدم اغتصاب حق الله في الدينونة، إذ هو وحده يعرف كل نفسٍ وقتها وميولها، ومواهب الإنسان وتكوينه البيولوجي وطاقتها والظروف المحيطة به. وبناء على هذا كله فهو الذي يدين أو يبرر. حقاً قد نعرف إنساناً أخطأ خطية معينة وربما واضحة لا تحتاج إلى بحث، لكن هل يمكن أن نحكم على الإنسان ككلٍ من أجل خطية أو خطايا ارتكبها في وقت ما، ونحن لا نعرف أعماقه أو ظروفه؟!"

❖ الله وحده يدين، له أن يبرر وله أن يدين، هو يعرف حال كل واحدٍ منا وإمكانياته وانحرفاته ومواهبنا وأحوالنا واستعداداتنا، فله وحده أن يدين حسب معرفته الويدة. إنه يدين أعمال الأسقف بطريقةٍ، وأعمال رئيسٍ بطريقةٍ أخرى، يحكم على أب دبر أو تلميذ له بطريقةٍ مغاوة، الشخص القديم (الذي له خواته وموفته) غير طالب الإهبة، والمريض غير ذي الصحة السليمة. من يقدر أن يفهم كل هذه الأحكام سوى خالق كل شيءٍ والعلف بكل الأمور؟

الأب دوروثيوس

❖ انظروا يا إخوتي أن عمل الخدام في عوس ابن الملك (مت ٢٢) لم يكن سوى جذب الصالحين والأشوار إلى الوليمة، ولم يقل الرب عنهم أنهم كانوا المدعويين وميَّزوا بين الصالحين والأشوار، ولا قال عنهم إنهم وجنوا من ليس عليه لباس العرس، بل **الملك نفسه هو الذي رآه، سيد البيت وحده هو الذي اكتشفه وأخرجه.**

القديس أغسطينوس

❖ الحكم على الآخرين يعتبر سلباً للحق الإلهي بوقاحة، أما الانتهاز (بغير حب) فيهدم نفس الإنسان [919].

القديس يوحنا الراجي

5 . الأبدية هي رجلونا

لَيْتَ كَلِمَاتِي الْآنَ تُكْتَبُ.

يَا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرِ [23].

تكشف العبريات التالية عن روعة حياة أيوب ورجائه وأفكاره ومفاهيمه، بل وتعطينا أن نعيد النظر في تفسير كل ما سبق، لأنه حتى أحاديثه التي كانت تبدو كما لو حملت عتاباً شديداً للهجة، وقد انتقده كثير من المفسرين بكونه قد تعدى حدوده، لكنها صارت عن قلبٍ يشتهي أن يرى الله. لا نجد في كل كلمات الحوار الواردة في هذا السفر بين أيوب وأصدقائه ما هو أبلغ مما بين أيدينا الآن. يحدثنا في روعة عن السيد المسيح وعن السماء كوطنٍ أفضل. يتحدث عن إيمانه بالله الولي الحي، وعن قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. في العبريات السابقة نشتم رائحة اليأس وقطع الرجاء، أما هنا فإرفعه روح الله، وينير بصوته، ويهبه كلمات محيية. يرى البعض أنه منذ هذه اللحظات لا نسمع بعد تدمراً أو شكوى من الله، أو من عنايته الإلهية كما سبق. لهذا يرون أن روح الله القنوس العالم بإخلاص قلبه وصدق نيته وإيمانه قد رفعه ومزق أمامه الحجاب ليتعرف على سرّ الخلاص وحب الله الفائق، فتغيرت نعمة حديثه تماماً، واستواحت نفسه فيه وسط آلامه.

قبلاً كان أميناً وصادقاً لكنه ركز نظره وقلبه وفوه على أصدقائه، فسقط في فوعٍ من الإحباط، وانشغل بالدفاع عن نفسه ضد الاتهامات الموجه إليه من أصدقائه. أما الآن فرفعه الروح كما إلى السماء، ودخل به كما إلى عرش النعمة فرأى المسيا المخلص قادماً، واستواحت نفسه فيه. بدأ بمقدمة ممتعة تكشف عن سلامة الفائق السموي، الذي يشتهي أن كل مؤمنٍ يتمتع به. لهذا يقول: " ليت كلماتي الآن تُكتب! يا ليتها رُسِمَتْ في سفرٍ! " كأنه يقول: ليت الكل ينسى كل ما سبق فقلته، لقد صارت مني كلمات هي ثمر حكمتي البشرية وضعفي الإنساني، أما الآن فروح الله يقودني. ليت الكل يسمعون صوته معي، ويشتركون معي فيما أتمتع به. أحاول أن أكتبها بحروفٍ، لكنها تعجز الكلمات عن التعبير. سلّسها في سفرٍ لعل لغة الرسم تكون أقدر من لغة الحروف!

❖ آية نوبة أوضح من هذه؟ ليس من أحدٍ منذ أيام المسيح تحدث بصراحة عن القيامة كما فعل (أيوب) قبل المسيح. لقد اشتاق أن تبقى كلماته إلى الأبد، لا يمحوها الزمن، ينقشها على صحيفة من رصاص، وينحتها على الصخرة (أي 19: 23). إنه يوجي القيامة. لا، بل رأى المسيح فاديه حياً، يقوم من الأرض. لم يكن الوب قد مات، وقد رأى مصراع الكنيسة فاديه قائماً من القبر. عند قوله: " وأنا سألبس مرة أخرى جلدي، ورأى الله في جسدي "، لست أظن أنه يتكلم كمن يحب جسده، إذ قد فسد وانحل قدام عينيه، وإنما في يقين قيامته مرة أخرى، وخلال تغزيات المستقبل أثار حاضره [\[920\]](#) البائس .

القديس جيروم

وَنُفِرتُ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ، وَبِرِصَاصٍ [24].

يود أن يوجه الكلمات إلى كل الأجيال القادمة، بل وتبقى دستوراً للبشرية إلى الأبد. يشتهي أن تُحفر على حجرٍ بقلمٍ من حديدٍ ثم يُصب في الحفر رصاص فلا يبليها الزمن، ولا تفلت من عيني إنسانٍ. لتكن نصباً تذكرياً منقوشاً يشهد لعمل الله في المؤمن عبر الأجيال. كانت السجلات تحفظ بثلاث طرق:

1. بكتابتها في كتاب من القماش أو الجلد أو أوراق الشجر كالوردي papyrus. من الكلمة الأخوة جاءت كلمة ورقة paper بالإنجليزية. أحياناً كان يستخدم لحاء الشجر الداخلي (القشوة) للكتابة. التعبير اللاتيني Liber استخدم عن الكتاب، ومنها جاءت كلمة "مكتبة Library"
2. لوحات رصاصية، وهي قديمة للغاية. في عام 1699 اشترى Montfaucon في روما كتاباً قديماً جداً مصنوعاً من الرصاص. مجموعة من اللوحات الرصاصية مثبتة بمسامير ومفصلات رصاصية. يحوى الكتاب أشكال غنوصية مصرية مع نقوش يونانية و Etruscan. في معبد بمدينة Cnidus وُجد نصب تذكري للبحيم ووجع إلى القرن الرابع ق.م، تظهر عليه النساء وهن يودعن أولاً رقيقة من الرصاص كُتبت عليها أسماء الأشخاص الذين يكوونهم مع أعمالهم الثروة. كما نُقش على الألواح الرصاصية اللغات التي تحل على الذين أساءوا إليهن. أُكتشف

كثير من هذه الألواح عام 1858 أثناء الحفريات التي تمت في خرائب الهيكل، وهي مودعة الآن في المتحف البريطاني.

يشير أيوب البار هنا إلي لوحات رصاصية أو أوراق (شجر) عليها نقوش. ربما يلمح هنا إلي عادة حفر الحروف على حجر وصب رصاص منصهر في الحفر.

3. أنصاب تذكارية حجرية : نُقِشت الشريعة على لوحين حجريين بإصبع الله (خر 31: 18). مجموعة أخرى من حجرين كُتبا بواسطة موسى بأمر إلهي (خر 34: 4، 8). أيضا كتب يشوع نسخة ترواة موسى أمام بني إسرائيل على حجرة (يش 8: 32).

[921]

لقد رآد أيوب أن تُنقش مشاعره على حجرة لكي تنتفع بها الأجيال القادمة .

أَمَا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ،

وَالْآخِرَ عَلَى الْأَرْضِ يَفُومُ [25].

"لقد علمت أن وليّ (فادي) حيّ". لقد آمن بالفادي القادم، وأنه يكون هو حياته. "والآخر على الأرض يقوم (في اليوم الأخير)". إنه يتوقّب مجيء المسيا كلمة الله المتجسد القادم في ملء الزمان متجسداً ليسلك بيننا على أرضنا.

وي البعض أنه يتكلم هنا عن مجيئه الأخير، حيث يأتي على السحاب، ويلتقي بنا نحن البشر كلّ ضييين، ويدخل بنا إلى شوكّة أمجاده.

كلمة "وليّ" بحسب ما وردت في الناموس (لا 25: 25) هو ذاك الذي له الحق أن يفك (يفدي) ما باعه أو رهنه أخوه. لقد بيع موائنا السلموي بسبب الخطية، وجاء من يوده لنا، حيث يفكه بدمه الثمن. مسيحنا هو الولي الحي القادر وحده أن يفّي عنا الدين، ويؤيل الوهن، ويورد لنا الموائ الأبدية.

سيأتي على السحاب، لكن كما على الأرض، حيث يأمر الأموات، فيقومون من قبورهم، ويدخل بهم إلى عدم الموت وعدم الفساد.

❖ "فقد علمت أنه أبادي ذاك الذي يخلصني على الأرض، سيقم جلدي الذي يحتمل كل تلك الأمور" [25]. هذا هو السبب أن أيوب قال: "كلماتي نُكتب للأجيال القادمة"، لأنه بعد الآلام سيتعلمون القيامة... واضح أن الجسم الذي يقبل الآلام يقوم.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "أنا أعرف أنه أبادي، ذاك الذي يخلصني على الأرض" [25]. هذا يعني أن ذلك الذي يقودني على الأرض هو الله. وماذا يعني هذا؟ إن كان الله

خالداً، فلماذا تريبون أن نُكتب هذه الكلمات، وأن تبقى ذكرياتها أبادياً بطريقة خالدة؟ لاحظوا حال نفوس من هم في ضيق. إنهم يطلبون ليس فقط شهود عيان لها، بل والذين سيأتون مؤخراً أن يصيروا شهوداً على مصائبهم، بطريقة يقتنون بها عطفاً من كل جانب. إنه كحال ذاك الغني المذكور في الإنجيل (لو 16: 19)، الذي اعتقد أنه رآد من الذين على الأرض أن يعرفوا ضيقته وحاله الذي صار عليه. هؤلاء الذين كانوا في تلك الأيام في رخاء.

❖ وأنا سأقوم في اليوم الأخير من الأرض" [25]. هذا لأن القيامة التي أعلنها في شخصه، سيحضرها يوماً ما فينا أيضاً... قدم عربونها لنا حتى نتبع

الأعضاء مجرد أسها (المسيح). فادينا اجتاز الموت، فلا نخاف نحن من الموت. لقد أظهر القيامة، حتى يكون لنا رجاء ثابت أننا قادرون على القيامة

أيضاً [922].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا الرجل بالحقيقة امتنع عن كل عملٍ شويرٍ، إذ لم يسمح للخطية التي فيه أن تسيطر عليه، وعندما يثور فيه فكر غير لائق لا يسمح له أن يصعد

[923]

إلى الرأس، وبالتالي لا يسمح بممرسته بالفعل. فإن وجود الخطية شيء، ورفض الطاعة لشهواتها شيء آخر.

القديس أغسطينوس

وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جُلْدِي هَذَا،

وَبَدُونِ جَسَدِي رَى اللهُ [26].

وثق أيوب من فناء جسمه في القبر، وتحدث عنه في غير اكتراثٍ، "وبعد أن يفنى جلدي هنا". فبيون هذا الجسم رى الله. كأنه يقول لهم: لقد ركزتم أنظركم على جسمي بكل بلاياه، فأنا أعلم أنه حتمًا يصير طعامًا للود، حتى جلدي يكون مصوره هكذا كلحمي، لكن ما يبهج نفسي أنني رى الله. رى القديس أغسطينوس أن كلمة "الجلد" تشير إلى قبولنا للموت [924]. ففناء جلدنا يشير إلى تخلصنا من حالة الإماتة الداخلية والفساد الداخلي، لنقبل قيامة النفس وعدم فسادها. بهذا ننعيم بروية الله الأبدي كلي القداسة. بمعنى آخر نخلع بروح الله القدوس أعمال إنساننا الخرجي حتى يفنى، ونلبس أعمال الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه، فيتجلى مسيحنًا أمام بصورتنا الداخلية.

الَّذِي رَأَاهُ أَنَا لِنَفْسِي،

وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرَ،

إِلَى ذَلِكَ تَتَوَقَّعُ كَلِمَاتِي فِي جَوْفِي [27].

بروح النوة شاهد مجيء السيد المسيح، كلمة الله المتجسد، حيث يمكن رؤيته بعيني الجسد. هو هو بعينه من جهة لاهوته لا وى بالجسد، بل تتوق إليه أعماق النفس.

"الذي رآه أنا لنفسي"، أي رآه فأوح به، لأنه سرّ سعادة نفسي.

رآه كما هو (1 يو 2: 2) وليس آخر. سوى في اليوم الأخير المسيا هو هو الأمس واليوم وإلى الأبد. هو الذي تثن نفسي في داخلي في حنين إليه.

❖ كل عقل يرتفع ويتشكل في الصلاة حسب نقاوته. فإن كان مهتمًا بالأمر المادية الأرضية يحمل هذه النظرة أمامه، وتبقى هذه النظرة قدام عيني نفسه الداخليتين في رؤيته للوب يسوع، سواء عندما جاء في تواضعه في الجسد، أو عند مجيئه في عظمته. أمثال هؤلاء لا يقرون أن يروا الوب يسوع آتيا في ملكوته، إذ هم مُسكون بوع من الضعف اليهودي (أي النظرة المادية)، ولا يستطيعون القول مع الرسول: وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعدُ" (2 كو 5: 16).

أما الذين يرتفعون فوق الأعمال والأفكار الأرضية السفلية، ويصعدون على جبل الوحدة (العولة) المرتفع، متحررين من الاضطراب بكل المتاعب والأفكار الأرضية، في أمان من تدخل الخطايا، ممجدين بإيمانٍ قوي، هؤلاء يمكنهم أن يتطلوا بعينون نقية إلى لاهوته، وفي أعالي الفضيلة يكتشفون مجده وصورة سموه...

يعلن يسوع للموجودين في المدن والقوى والزراع، أي الذين لهم أعمال يقومون بها، لكن ليس بالبهاء الذي يظهر به لمن يصعدون معه على جبل الفضائل السابق ذكره... ففي الوحدة (العولة) ظهر الله لموسى وتحدث مع إيليا [925].

الأب اسحق

❖ أحرص على طهارة جسمك وسلامة قلبك، فإنك إن تحققت من فوالهما تبصر الله ربك.

مار إفرام السرياني

6 . تحذره لأصدقائه

فإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا نَطْرِدُهُ؟

وَالكَلَامَ الْأَصْلِيَّ يُوجَدُ عِنْدِي [28].

خَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ السَّيْفِ،

لَأَنَّ الْعَيْظَ مِنْ آثَامِ السَّيْفِ.

لَكَيْ تَعْلَمُوا مَا هُوَ الْفَضَاءُ [29].

يخوهم أيوب بما يجب أن يقولوه: "لماذا نظردة؟" لماذا نحزنه ونغيظه بانتقادنا لتدبوره، فإن أصل الكلام هو عندي.

❖ إذ يكشف عن بهجته بروية فاديه الذي تشتهيه نفسه، يخوهم أن يخافوا من يوم مجيئه لئلا يُدأوا بسبب إدانتهم لاختهم (مت 7: 1؛ يع 2: 1).
❖ "فإنكم تقولون: ماذا نقول أمامه، وهكذا نجد أصل الكلمة فيه" (أي 19: 28 LXX). واضح أنه تحت تأثير عمل روح النبوة يقول أيوب هذا عن الفوسيين والكتبة وغورهم من أصحاب السلطة في الشعب اليهودي. فإنهم ينظرون إلى أن يجنوا شيئاً يقولونه ضده (مت 26: 29). بمعنى رأوا أن يجنوا نريعة لانتقاده ولومه سواء من جهة كلماته أو تصرفاته. ولكن ماذا يقول لهم؟ "هل تحزنون من الخداع؟ فإنني إذ اكشف ما هو مخفي، وأعلن الأسوار، فإنكم ليس فقط بسبب كلماتكم، بل وبسبب أفلكم تستحقون تأديبات كثرة، حتى لا تسألوا عن هذا فيما بعد.
"لأن الغضب سيحل على الأئمة، وعندئذ سيعرفون أين هو كيانهم" (أي 19: 29). من هو أئيم مثل الشعب اليهودي الذي صلب واضع الناموس مع أناس كاسوي الناموس، وقتلوه بين لصوص (مت 27: 38)، ذلك الذي كرز بالهد في الغنى؟ لكن الغضب حلّ عليهم، حيث احترقت المدينة بالنار، وتهدم الهيكل، وانطفأ كبريؤهم...

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

من وحي أيوب 19

من يقدر أن يسندني غيرك!

❖ أو من أنك ضابط الكل،
لن يحدث أمر بدون رادتك، أو بدون سماح منك.

❖ في وسط ضيقتي،
رأى حتى أهل بيتي يتحولون إلى أعداء.
أصخ إليك من أعماقي:
هل صوت عووا لي، حتى تسلمني لمثل هذا الضيق؟
ما أصعب أن رأى من لي قد صاروا ضدي!

❖ في وسط تجربتي، كنت أتوقب حنوًا من أحبائي!
أغلقت أبواب قلوبهم،
لأجد أبواب سمواتك مفتوحة أمامي.
وسط مولة التجربة أجد عذوبة في التمتع وعابيتك.

❖ إن كانت السنة الأصدقاء قد صلت لاذعة للغاية،
فقد تحولت السنة خاصتك إلى سيف قتال.
صوِّروا اتهاماتهم كرمحٍ ضدك!
إن وقفوا ضدي، أذكر كيف وقفت خاصتك ضدك، يا مخلص العالم كله!
إن تشامخوا عليّ أنا الزّاب والوماد،
فقد تشامخ الزّاب عليك، يا خالق السماء والأرض!
أن التفت الشباك عليّ، ووُضعت فخاخ في طريقي،
فقد تأمرت القيادات مع الشعب عليك!

❖ كثوًّا ما أعاني من الشعور بالغزلة،
لكنني رَأك وأنت واحد مع أبيك تصوخ باسمي:
إلهي، إلهي: لماذا تركتني؟
عوض المجد الذي برادتك تخليت عنه لأجلي،
ألبسوك إكليل العار، واستخفوا بك.
إن اشتهوا قتلي، رَأك على الصليب معلقًا، وفي القبر مدفونًا،
تحملني فيك يا بكر الواقدين،
فأعبر بك إلى حضن أبيك.

❖ أخوًّا أسبحك وأمجدك،
يا من حولت تعرّبتني العرة إلى عنوبة التأمل فيك!
مع كل ضيقة تحملني بجناحي الروح،
لأراك، فنتهلل نفسي!
لك المجد يا من تحول بونقة التجرب إلى جبل تابور الجديد.
رَأك متجلّيًا، لا يشغلك إلا الحديث عن الصليب،
حتى أصدد به إليك!

<<

الْأَصْحَاحُ الْعِشْرُونَ

صورة بشعة للشرير

بدأ صوفر حديثه بمهاجمة أيوب بعنف، وأوضح أنه توجد حقيقة راسخة منذ وُجد الإنسان على الأرض، وهي أن خطايا الأشرار تهلكهم، وأن الشرور التي يملسها أيوب بالذات تؤدي إلى هلاك مضاعف.

يريد أن يقول إن أيوب لبس في خيمته ثوب الوياء، متظاهراً بالتقوى والإحسان بسخاء، بينما ملس شروراً بشعة، بسببها لا تسمع له السماء، وتكوه الأرض رجلاً شرواً مثله، أي أن السماء والأرض تشهدان عليه. لهذا سيحل على بيته الخراب التام.

يعكس حديث صوفر اعتقاداً إسرائيليّاً شائعاً أن نجاح الشرير قصير الأمد، وأن هلاكه يقيني، لكن لم يشتمل حديث صوفر قط على أي تنويه إلى أن الأشرار قد يتوبون ويوجعون ويستعبدون رضا الله. ما يريد أن يؤكد هو أن أيوب شرير بل دليل تعاسته التي من مظاهرها أن جسده معتل، وثورته ضاعت، وأبناءه هلكوا، وسمعتة ساءت.

كان المتوقع أن يكشف حديث أيوب الأخير لأصدقائه عن إخلاصه في إيمانه، وسموه حتى على الألم. لكنهم لم يبالوا بشيء، بل استنوت اتهاماتهم له؛ هذا ما وضح من أخذ صوفر نوره للدخول في حوارٍ جديدٍ كالصديقين الآخرين.

رى الأب هيسخيوس الأورشليمي أن صوفر ومن معه اهتموا بالمناقشات اللاهوتية في جدال فلوغ دون روح وبلا تقوى. يقول:

[عندما تُحرث الأرض تُنتج هوراً وفواكه، وأما التأمل في الشريعة فينتج فضائل. هذا هو السبب الذي لأجله يُطلب ممرسة الشريعة بغوة

(مز 119: 40، 47، 48)، لا بتغليفيها بكلمات، بل بالعمل بها، ليس بمناقشة لغة الكلمات الإلهية بطريقة غير مجدية بل بالتصديق عليها بسلوكنها، وإقولها في أعمالنا . فكما أن المعرفة تجعل القواعة مجيدة، هكذا العمل يهب المعرفة بهاءً.

فما هي فائدة كرمٍ لم تُغرس فيه كروم، ولا قُلمت، ولا دُبر أمر العناقيد؟

أليس باطلاً يزوج فرس إلى مكان طلق فسيح وهو لم يترّب بعد خيله؟...

على أي الأحوال لم يسلك أيوب هكذا، وإنما من البداية سلخ نفسه بالفضائل، وتربها على المعركة خلال التقوى. قدر ما وجد نفسه في غنى

ورخاء كان يقدم كل يومٍ عند قيامه ذبائح (أي 1: 5). قبلما كان النور المنظور (الشمس) يشوق، كان يحيي النور غير المنظور. إذ يقفز من سروره، يجري نحو واهب النوم والتسبحة على شفثيه (مز 127: 2)، يبدأ أنشطة اليوم بالاقتراب من خالق النهار...

كم من الورات أغلق أيوب فم أليغاز الذي رُاد أن يستعرض البلاغة!...

كم من مرة أبطل تشامخ بلدود ولزناً كلماته، هذا الجندي الحقيقي للبرّ! بل لاحظوا أن صوفر أيضاً نشر غلبته في مقدمة أحاديثه! ليتنا نتفحص

باإواك كلماته.]

1. مقدمة عنيفة 3-1

2. نجاح الأشرار مؤقت 9-4

3. تعاسة الأشرار 29-10

1. مقدمة عنيفة

فَأَجَابَ صُوفِرُ النِّعْمَاتِي: [1]

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هَوَّجِسِي تُحِبِّي،

وَلِهَذَا هَيَجَانِي فِي [2].

يبدو أن صوفر قد استاء جداً مما قاله أيوب، وظن أنه يبهر نفسه بالرغم من تأكده من شوه.

تضايق صوفر أن أيوب يتحدث عن رجائه في السماء والخلص كما لو كان رجلاً بولاً وصالحاً. لهذا هاجمه بعنف قائلاً إن أفكده تدفعه دفعاً إلى عدم السكوت على ما قال، بل يلتزم أن يجيب عليه.

اعترف صوفر بأن الهواجس ملأت أفكده، والهياج سيطر عليه. ولعله هنا يعبر عما في داخله وفي داخل صاحبيه من ثورة داخلية وغضب. هذا الغضب الذي يسد الأذان عن الاستماع بالحق، والعيون عن رؤية الحق مهما كان واضحاً، فلم يروا في أيوب سوى كتلة من الشرور الخفية غطاها بالرياء والعطاء الباطل والحنو الكاذب. هذا ما دفع صوفر إلى النقد اللاذع والتوبيخ القاسي، والتهديد المُر لما سيحل بأيوب من الشرور.

❖ الغضب يجعل الألسنة مطلقة العنان، والأحاديث بلا ضابط. العنف الجسماني وتصوفات الاستهزاء، والسب والالتهامات والضرب وغير ذلك من الأعمال الشريرة غير المحصية تولد من الغضب والسخط [926].

القديس باسيليوس الكبير

❖ الذهن المريض لا يضبط أحكامه، لذلك يظن أن كل ما يقترحه عليه الغضب حق [927].

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَغْيِيرَ تَوْبِيخِي أَسْمَعُ.

وَرَوْحٌ مِنْ فَهْمِي يُجِيبُنِي [3].

"تعبير توبيخي اسمع"، يترجمها البعض: "لقد سمعتك تصد توبيخي".

حسوا كلمات أيوب إهانة، وأنه غير مستحق أن يتحدثوا معه، أو يقدموا له مشورة. ولعلمهم كانوا قد وضعوا في قلوبهم أن يتوقفوا عن الحوار، لأنه لا يجدي مع إنسانٍ شيرٍ كهذا. لكن صوفر استنوه قلبه جداً فاضطر أن يتكلم.

2 . نجاح الأشرار مؤقت

أَمَا عَلِمْتَ هَذَا مِنَ الْقَدِيمِ،

مُنْذُ وُضِعَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْأَرْضِ: [4]

لجأ صوفر إلى معرفة أيوب نفسه قبل حلول التجرب عليه، حاسباً أنها تطابق ما يقولونه له، بينما الآن يعترض عليه ويفضه. إنه مبدأ ثابت كان يورده أيوب نفسه قبلاً، وقد جاءت خوات الأجيال تؤكد منذ القديم. هذه الحقيقة المنقوشة في فكر كل إنسان منذ بدء الخليقة: إن شر الأشرار يهلكهم.

❖ "أما علمت هذه الأمور من القديم، منذ وضع الإنسان على الأرض؟" بقوله بهذه الكيفية سب صوفر أيوب، حاسباً إياه جاهلاً بهذه الحقيقة (أو يتجاهلها)، مع أن أيوب أعلنها على وجه الخصوص في عبرته التالية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ واضح أنه إذ انتفخ صوفر بمعرفته شوه العبرات التي نطق بها ضد الأشرار، إذ كان هدفه توبيخ أيوب الطويلي. لأنه رأى فيه أنه سلك ولأ الطوق المستقيمة وبعد ذلك عانى من العقوبة، وبهذا حسب أن كل ما سبق وآه إنما مرسه أيوب من قبيل الريباء، إذ لا يعتقد أنه يمكن لعبدٍ بارٍ أن يسقط في ضيقٍ بواسطة الله العادل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ماذا تسلمنا منذ سقوط أبونا الأولين آدم وحواء، سوى أننا في حاجة إلى عمل الله، لكي يهدم كل شرٍ فينا، ويبني كل ما يليق بوه. فلا نعجب إن كانت دعوة الله لرجاله أن يقلعوا ويهلكوا، وينفضوا الشعوب الشريرة والممالك الفاسدة التي تشير إلى الشر، لكي يببوا ويغسوا ما هو الله كما قيل لإرميا

النبي عند دعوته للخدمة (إر 1: 10). لابد من هدم الشر لقيام البرّ، فإن أصر الأشرار على تمسكهم بالشر، يبيون مع الشر.

ليس لنا اختيار إلا بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن تكون أعماقنا جنة إلهية تحمل ثمر الروح القدس الذي يوح قلب الله أو ملهى لعدو الخير كي يربض فيه ويقيم. إما أن تكون قلوبنا هيكلًا يسكنه الروح القدس، أو مسوحًا يملس فيه عدو الخير شروره!

❖ "لتقلع وتهدم" (إر 1: 10). يوجد بناء من الشيطان ويوجد بناء من الله. البناء الذي "علي الرمل" هو من الشيطان، لأنه غير مؤسس علي شيء صلب ثابت، أما البناء الذي "علي الصخر" فهو من الله. أنظر ماذا يُقال للمؤمنين: "أنتم فلاحه الله، بناء الله" (1 كو 3: 9).

إذًا يوجه كلام الله "علي الشعوب وعلي الممالك ليقلع ويهدم، ليهلك وينقض". إذا قلنا ولم نقم بإهلاك الشيء المقوع، فإن هذا الشيء يبقى؛ وإذا هدمنا ولكن بدون أن تُرمل حجرة الأساس، فإن ما تهدم يظل باقياً. فمن مظاهر صلاح الله وحبه أنه بعدما يقلع يهلك، وبعدهما يهدم ما قد هُدم.

أما فيما يختص بالأشياء المقتلعة والمهلكة، فإوًا بعناية كيف يتم إهلاكها: "احرقوا القش بنار لا تُطفأ، واجمعوا الزوان حرقاً والقوها في النار". هذه هي طريقة الإبادة والإهلاك بعد القلع؛ أتريد أن ترى أيضاً الهلاك الذي يحدث للأبنية الفاسدة بعد هدمها؟ فإن ذلك البيت الذي كان يهدم بسبب الرّص يتحول إلي رّاب، ثم يُؤخذ هذا الرّاب ويُلقى خلج المدينة (لا 14: 41)، حتى لا يبقى حجر واحد، كما في العبارة: "سوف أبيدهم كما وحل الشورع" أو (سوف أساويهم بالأرض).

يجب ألا تبقى الأشياء الفاسدة مطلقاً؛ إنما يتم إهلاكها لتجنب استخدام بقاياها في بناء أبنية جديدة يعملها الشيطان، كما أنه يتم اقتلاع الأشياء الفاسدة حتى لا يجد الشيطان فيها بنوراً أخرى يزرعها من جديد، لذلك يتم إهلاكها حتى لا تُوجد فرصة للشيطان لكي يزرع الزوان مع الحنطة...

لذا فإن أول شيء هو أن نستأصل ونقلع كل ما هو شير من نفوسنا؛ فإن الله لا يستطيع أن يبني حيث توجد مبانٍ فاسدة وشورة. "لأنه أية شركة للحق مع الباطل؟ أية شركة للنور مع الظلمة؟" يجب أن يُقلع الشر من أساسه. يجب أن يُهدم بناء الشرير تماماً من نفوسنا، حتى تقوم كلمات الله بعمل البناء والغرس فينا.

لأنه لا يمكنني أن أفهم تلك العبارة بطريقة أخرى: "ها قد جعلت كلامي في فمك" لماذا؟ "لتقلع وتهدم وتهلك". نعم إنها كلمات تقلع شعوباً. كلمات لهدم ممالك، ولكن ليست الممالك المادية التي في هذا العالم، وإنما يجب عليك أن تفهم بطريقة سامية المقصود بالكلمات التي تقلع والكلمات التي تهدم.

وعند ذلك تُمنح قوة من الله كما هو مكتوب: "الرب يعطي كلمة للمبشرين بعظم قوة"، قوة تقلع ما تصادفه من عدم الإيمان (الوياء) أو الوذيلة. قوة تهلك وتهدم إذا ما واجدت أوثاناً مُقامة في داخل القلب، حتى إذا ما هُدم الوثن يُقام مكانه هيكل للرب، في هذا الهيكل يتراءى مجد الله ويظهر، ولا يعود ينبت زوان، وإنما فردوس لله في هيكل الله، في المسيح يسوع، الذي له المجد الدائم إلي أبد الآباد. آمين. [928]

العلامة أوريجينوس

شتان ما بين غرس عدو الخير وغرس الرب، وبناء إبليس وبناء الروح القدس. عدو الخير يزرع عشباً، يظهر سريعاً ويجف سريعاً، ويكون نصيبه النار. وغرس الرب هادئ، يغرس صليبه، شجرة الحياة فينا، يغرسها على مجري مياه الروح القدس، تثمر ويكون ثورها أبدياً. نجاح الأشرار سريع ومؤقت، أما الأوار فنجاحهم خفي، إذ تحوط بهم التجرب لكي تتلأأ أكاليهم بالأكثر، ويصيروا كواكب منورة تافق شمس البرّ في السماء عينها.

إِنَّ هَتَافَ الْأَشْرَارِ مِنْ قَرِيبٍ،

وَفَوْحَ الْفَاجِرِ إِلَى لَحْظَةٍ! [5]

هتاف الأشرار لن يدوم. يهللون لكن إلى لحظات، فيتحول هتافهم إلى فوحٍ وعويلٍ. قد ينجح الأشرار ويشعرون بالطمأنينة وتراهم ظافرين

فحين، مفتخرين بثروتهم وسلطانهم وعظمتهم ونجاحهم، لكن هذا كله إلى حين، سوعان ما يزول في هذا العالم.

هذا المبدأ سليم، لكن الله أحكامه وتدابيره تختلف مع كل شخصٍ حسبما يكون لبنيانه. هذا ومن جانب آخر لم يكن صوفر نقي الفكر، ولا دافع عن مبدأ لاهوتي معين، إنما غالبًا كل ما كان يعنيه تأكيد شر أيوب.

❖ "مروح الأثوار هو علامة السقوط، وروح الفاجر هو دمار!" [LXX 5]. يتحدث صوفر في هذه العبارة بوقاحة، إذ يسب أيوب بشدة، ويفتري عليه كما فعل صديقه الأخوان. لقد شوّه سمعته للسبب التالي: إنه من البدء، منذ وجود الجنس البشري وجد روح وروح لسقوط الأثوار، ودمار للفاجرين، من بينهم أيوب كما رأى صوفر.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

ليس فقط يفقد الأثوار فوحهم العالمي الزائل، وإنما حتى الأرض تحزن وتوح (إر 12: 4)، بل والطبيعة تنن بسببهم، وأيضًا السماء بملائكتها تحزن عليهم. هذا هو فعل الشر الذي يحرم الإنسان من الفرح الحقيقي، وبسببه يئن الكثيرون عليه.

❖ " حتى متى توح الأرض، ويبيس عشب كل الحقل، من شر الساكنين فيها؟" (إر 12: 4) يتحدث النبي هنا كما لو كانت الأرض كائنًا حيًا، حيث يقول إنها توح من شر الذين يمشون فوقها.

الأرض بالنسبة لكل واحدٍ منا تكون إما نائحة بسبب شرنا، وإما متهللة بسبب فضائلنا . وما يُقال بالنسبة للأرض يُقال بلا شك بالنسبة لكل الأشياء. فبالمثل يمكنني أن أقول: إن الملاك المسئول عن الماء [929] (كمثالٍ) يتهلل أو يوح؛ فيجب علينا أن نعوف أنه حتى يتم تنظيم وإدارة الكون كله، يوجد ملاك مسئول عن الأرض، وآخر مسئول عن الماء، وآخر عن الهواء وآخر عن النار. لرتفع بعقلك لتتأمل النظام السائد عند الحيوانات والنباتات والكواكب السماوية؛ فإنه يوجد ملاك مسئول حتى عن الشمس، وآخر مسئول عن القمر، وآخرون عن النجوم [930].

كل هؤلاء الملائكة الذين وافقونا طوال حياتنا على الأرض، إما أنهم يفرحون لنا أو يفرحون علينا عندما نخطئ.

يقول رميا إن الأرض توح بسبب الساكنين فيها : ويقصد بكلمة "أرض" أي الملاك الساكن فيها، فإنه أيضًا قيل: " أما الخشب المصنوع صنمًا فملعون هو وصانعه" (حك 14: 8)، ليس أن اللعنة تقع على الشيء الجامد نفسه، وإنما يقصد بكلمة "صنم" أي الشيطان الساكن فيه، والذي يتخذ من "الصنم" اسمًا له. وبنفس الطريقة أستطيع أن أقول إن "الأرض" يقصد بها الملاك المسئول عن الأرض، و"الماء" الملاك المسئول عن الماء، والذي كُتب عنه: " أبصرتك المياه يا الله أبصرتك المياه فوعت. رتعدت أيضًا اللجج. سكبت الغيوم مياها أعطت السحب صوتًا. أيضًا سهامك طرت" (مز 77: 18-17) [931].

❖ يجب عليك أيها الخاطئ أن تنوق هذه العبرة الشديدة الآن التي يوقعها الله بك، حتى ترتد عن طريقك فتخلص [932].

العلامة أوريجينوس

وَلَوْ بَلَغَ السَّمَوَاتِ طُولُهُ،

وَمَسَّ رَأْسُهُ السَّحَابَ [6]

افتراض صوفر أن نجاح الشوير قد بلغ من العلو ما لم يتصوره إنسان، يرتفع حتى إلى السماء. وإن نما حتى بدا كأن رأسه تمس السحاب، هكذا يكون لرتفاعه وتشامخه فلا يفكر أحد أن يقترب إليه بشرٍ أو يتخذ معه موقف مقاومة.

❖ إن ارتكبت خطية، فإن خصمك هو كلمة الله... إنها عدو رادتك إلى أن تصير الكلمة هي أمان خلاصك. يا له من عدو مخلص ومعين! [933]

القديس أغسطينوس

كَجَلَّتِهِ إِلَى الْأَبَدِ يَبِيدُ.

الَّذِينَ رَأَوْهُ يَقُولُونَ: أَيْنَ هُوَ؟ [7]

هذا الذي يبلغ كل هذه العظمة يببئ مثل جلته (وراه أو روثه). الذين كانوا في دهشة من عظمتها التي لا يُمكن وصفها يتطلعون إليه، وإذا به غير موجود، لقد هلك تمامًا! كل ما تبقى رائحته التي لا تُطاق ولا تُحتمل.

❖ قيل عن كورنيليوس العوائي أنه يصعد إلى السماء، حيث فكره المتشامخ يببئ كمن يقوده إلى الحياة السماوية. وكأن رأسه قد بلغ إلى السحاب، عندما يُظن أن العضو القائد، عقله المفكر، مساوٍ لاستحقاقات القديسين الذين سبقوه. لكنه "يببئ أخيرًا مثل المذبذبة"، لأنه عند موته، حيث يُقاد إلى العذابات. إذ يكون مملوءًا من روث العادات الشروية يسقط تحت أقدام الأرواح الشروية. فإن مباح الحياة الحاضرة التي يظنها الأشرار صلاحًا عظيمًا يتطلع إليها الأوبار كروثٍ . لذلك مكتوب: "الإنسان الكسلان يُجم بربوث الثوان" (ابن سواخ 22: 2) . فمن لا يتبع الله يصير خاملًا في حب الحياة الأبدية...

"الذين رؤوه يقولون: أين هو؟" [7]. هذا يحدث عادة حين تُكشف حياة العوائي بواسطة كل البشر في النهاية، لتكون موضع دينونة أبدية...

الذين رؤوه يعمل في أيامهم سيقولون عنه عند موته: أين هو؟ فإنه لم يعد يُرى هنا، حيث كان منطلقًا في وسع، ولا هو موجود في الواحة الأبدية حيث كان متوقعًا...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لاحظوا هؤلاء الناس المتكبرين المستهترين، لاحظوا الثور وهو يُعد للذبح، يُتوك ليجول في حربة، يدمر ما يريد، حتى يوم ذبحه... يشير الكتاب المقدس إليه في موضع آخر كذبيحةٍ وإنه يُتوك لحربة شروية (أم 7: 22) [934].

❖ هؤلاء ينتعشون في سعادة هذا العالم، ويهلكون في قرة الله. ليس فيما هم ينتعشون يهلكون بذات الأمر؛ لأنهم ينتعشون إلى حين ويهلكون أبدًا. ينتعشون في خوات غير حقيقية، ويهلكون في عذابات حقيقية [935].

القديس أغسطينوس

كَأَلْحَمٍ يَطِيرُ فَلَا يُوْجَدُ،

وَيُطْرَدُ كَطَيْفِ اللَّيْلِ [8].

❖ يعبر بكل ما بلغه من عظمة وغنى وكرامة، فإذا به كحلٍ يبحث عنه الإنسان عند يقظته فلا يجد أثرًا له، يصير أشبه بطيفٍ عبر، ولا وجود له! هكذا يا اخوتي هي حياتنا ، نحن الذين نعيش حياة زمنية. هكذا هي اللعبة التي نملسها على الأرض. جننا إلى الوجود من العدم، وبعد وجودنا ننحل. إننا أحلام لا جوهر لها، رؤى غير مُتركة، كطائرٍ عابِرٍ يطير، وكسفينةٍ لا تتوك أثرًا على البحر (الحكمة 5: 10-11)، نحن قرة زاب، بخار، ندى الصباح، زهرة تنمو في لحظةٍ وفي لحظةٍ تذبل . أيام الإنسان مثل عشبٍ زهرة حقل هكذا ينتعش (مز 103: 15).

حسنا داود المُلهم بالروح ناقش ضعفنا، وقال: "لأعرف قصر أيامي"، وعرف أيام الإنسان أنها في طول الشبر (39: 4-5) [936].

القديس غريغوريوس النريوي

❖ إنه يشبه حلمًا أو رؤية ليلٍ. يسب صوفر أبوب بذات الوقاحة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ما هي حياة العوائي سوى رؤية خيال (أحلام يقظة) يظهر في مظهر خلجي ولا يقتني شيئًا بالحق؟ لذلك يعدل شُبهه بالحلم، حيث أن كل مديح أو مجد يكون كما لو قد تَرَكه.

غالبًا في "طيف الليل" يندش بعض الفواء إذ يصيرون أغنياء، يرون الكوامات تنهال عليهم، يرون أكرامًا من الغنى، وجموعًا من الحاضرين، ثيابًا غاية في الجمال، وفيضًا من الطعام يُقدم لهم... لكن فجأة إذ يستيقظون يجدون بطلان كل البهجة التي كانوا يشعرون بها، ويحزنون أنهم استيقظوا، حيث تتوَعهم الحاجة الحقيقية ليستيقظوا. هكذا بالنسبة لأذهان العوائين ما يفعلونه شيء، وما يظهرون به أمام الناس شيء آخر... وبينما يُمدحون من

الناس في مبالغة يظنون أن ما يبتهجون به يجعلهم مشهورين لدى الخلائق زملائهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يعلمنا الرب أن الذي يسلم نفسه إلى الأعمال المعيبة يتعوى من ثوبٍ ليس مصنوعاً من الصوف، بل من الفضيلة الحية، لأن ثوب الفضيلة أبدي لا زمني [937].

القديس أمبروسيو

عَيْنٌ أَبْصَرَتْهُ لَا تَعُودُ وَآهُ،
وَمَكَانُهُ لَنْ يَآهَ بَعْدُ [9].

❖ الذين رأوه كشخصيةٍ بارزة جداً، ناجحة وغنية وصاحبة سلطان، لم يعودوا بعد ينظرونه. يبحثون عنه حيث كان، فإذا بالموضع خالٍ منه تماماً. بالرغم من أن صوفر يقول هذا بخصوص كل الأثار دون الإثارة إلى أحدٍ، إلا أنه من الواضح أنه يشير بكل كلماته إلى أيوب. لأن "عين" أصدقائه الآخرين ومعرفه تركته في استخفاف، وإن كانت (عيونهم) قد سبقت ورأت كل ما كان في البداية، حتى عندما يستعيدون النظر إليه. "ومكانه" يعني هؤلاء الذين كانوا في الأصل معه في "مكانه"، ومن وطنه، لا يعودون يتعرفون عليه. إذ يرون مدى أخزانه الممتدة ويصعقون.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ما هو "مكان" الرائي سوى قلب المتملقين له؟ فإنه يستويج في الموضوع الذي يجد فيه من يحبونه... ولكن مادام حياً لا يكف عن أن يعلم أتباعه ذات الأمور التي يملسها، وخلال جلسة طريقه الخاطيء يلد آخرين أيضاً على شاكلة الخداع الباطل الذي له.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تروع الشرور الإنسان من موضع راحتته، فيكون كمن لا وجود له. هذا ما حدث مع قروح وجماعته الذين في شرورهم تجاسروا على الوصية الإلهية، ورأوا اغتصاب الكهنوت عنوة، فابتلعتهم الأرض وصلوا كمن لا وجود لهم (عد 16: 32).

❖ (عن قروح ودانان وإبوام) لقد فصلوا أنفسهم عن الجماعة المقدسة. لقد ابتلعتهم الأرض وهم أحياء، كرمز منظور للعقوبة غير المنظورة [938].

القديس أغسطس

3. تعاسة الأثوار

بَنُوهُ يَتَرَضُّونَ الْفُقَآءَ،

وَيَدَاهُ تَرْدَانِ تَرَوْتَهُ [10].

يقدم لنا هنا أمثلة للشرور التي يتركبها الرائي سواً في هذا العالم، وما تجلبه عليه من قصاص:

وَأولاً: شهوة الجسد [11-14].

ثانياً: محبة العالم [15-16].

ثالثاً: محبة المجد الباطل [17-18].

رابعاً: ظلمه للمساكين [19].

خامساً: النهم [20-21].

❖ "ليت السفليين يدمرون بنيه [LXX 10]". ربما يشير صوفر بهذه الكيفية إلى الشياطين، فهم "سفليون" بالنسبة للبشر، بسبب سقوطهم من العلا. فإن هؤلاء هم الذين حطموا القصر الذي مات فيه أبناء أيوب ودمروه (1: 19).

"ويداه تشعلان نوان الأسي" حينما كان أيوب يحك قروحه بشقفة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "بنوه يترضون بالفقر" . مكتوب: "لا تدخل الحكمة في نفسٍ حاقدة" (حك 1: 4) . ويعلن المرتل: "الأغنياء احتاجوا وجاعوا" (مز 34: 10). وهكذا بنو الرائي "ينهارون بالعوز" (أي 20: 10) ، لأن الذين يوللون في الوياء في سطحية، إذ لا ينالون جوهر الحق، يصيرون كلا شيء، يعانون من فقر القلب.

"ويداه تودان حزنه" . ماذا يعني باليدين سوى الأعمال؟ هكذا فإن يديه تودان حزنه، لأنه يحصد دينونة أبدية عادلة من حياته الشروية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن قال أحد إنه لا يريد ملكوت الله، إنما يطلبراحة أبدية، يخدع نفسه. فإنه يوجد موضعان لا ثالث لهما. إن لم يتأهل أحد ليملك مع المسيح، فبال تأكيد يهلك مع إبليس [939].

قيصريوس أسقف آرل

أولاً: شهوة الجسد [11-14].

عظامه ملانة هوة،

ومعه في التواب تضطجع [11].

يسقط في الشهوات الشبابة التي تملأ عظامه، وتمسك به ولا تفرقه إلى يوم موته.

❖ (وى صوفر أن) الفساد الذي ينبعث من أيوب يفسد عظامه بانحلال جسده، فيتلف جمال "شبيبة" أيوب. تنام عظامه معه في التواب، إذ يصير أيوب تواباً من القيح وروث المزيلة حيث كان ملقى هناك.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ ما هي "شبيبة" الرائي إلا بدء شر شبابه عندما تاق واشتهى احتضان هوى المجد... فما بدأه بشرٍ يزيد يوماً ويتوى خلال العادة الشروية... لذلك كُتب في الأمثال: "رب الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضاً لا يجيد عنه" (أم 22: 6) . هذه العظام عينها ترقد معه في التواب، لأن الممرسات الشروية تستمر معه حتى تسحبته إلى تواب الموت.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الجسم في ذاته ليس عائقاً، إنما بالحوي بسبب شونا لا نستطيع أن نوث ملكوت الله [940].

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن حلا في فمه الشر،

وأخفاه تحت لسانه [12].

يستعذب الشهوات، فيصير الشر عذبا في فمه، ويخفيه تحت لسانه حتى لا تفرقه اللذة، كأشهى ما يجده.

❖ "إن حلا في فمه الشر... لكن لا يقدر أن يسنده" [12]. في هذه العبارة يحذر أيوب. إنه يقصد أن أيوب يستعذب شوه بكلماته، بمعنى آخر يغطي عليه ويخفيه بأسلوبه، بالكلمات التي يعبر بها عن نفسه... بهذا لا يقدر أن يسند نفسه. بسبب الشرور التي حلت به يظهر كثيرير؛ وهو يؤنبه، إذ يود أن يخفي تصوفاته من الخرج، ولم راع أنه يستحيل إخفائها.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖

"عندما يصير الشر حلواً في فمه، يخفيه تحت لسانه" [12]. الشر حلو في فم العوائي، حيث يستعذب الشر في فكه. لأن فم القلب هو الفكر، حيث كُتب: "الشفاه الغاشمة تنطق شواً في قلب مخادع" (مز 12: 2). الآن، الشر الحلو في فم العوائي مخفي تحت اللسان، حيث أن عنف التصوفات الشريرة يكمن مخفياً في الذهن، مخفياً تحت ثوب الذهن الناعم...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تؤذي الخطايا النفس بخطر أخطر من أذية الدود للجسم. ومع هذا فنحن لا نترك فسادها، ولا نشعر بالحاجة لضرورة التطهر منها. وذلك كالسكان الذي يعجز عن أن يعرف كيف أن مذاق الخمر مسمم، أما المتعقل فيمكنه تمييز ذلك بسهولة. هكذا بالنسبة للخطايا، فمن يعيش في وقارٍ يميز بسهولة الوحل والفساد، وأما من يعيش في الشر فيكون كالمخمور بالمسكر، فلا يتحقق من أنه مريض. هذا هو أشر ما في الخطية أنها لا تسمح للساقطين فيها أن يدركوا حالة الموضع الخطير التي هم فيها، وإنما يكونون كمن يرقون في وحلٍ ويظنون أنهم يتمتعون بالأطياب. فليس لديهم أدنى رغبة للتحرك. وإذا عمل فيهم الدود يفتخرون كمن لديهم حجرة كريمة. لهذا لا يريدون قتل (الخطية)، بل أن ينعشوها ويضاعفوها حتى تعبر بهم إلى الدود الذي في الحياة العتيدة [941].

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَشْفَقَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ،

بَلْ حَبَسَهُ وَسَطَّ حَنْكِهِ [13].

إذا ما أمسكت به اللذة يخفيها فيه كمن يحبسها تحت لسانه. يكون كالزانية التي قيل عنها: "وأكثر زناها بذكورها أيام صباها التي فيها زنت" (جز 23: 19).

إخفاء اللذة وإبقائها تحت اللسان يدل على جهده الذي يبذله في إخفاء شهوته المحبوبة لديه جداً.

لكن ذلك الذي يعرف ما في القلب والفكر يعرف أيضاً ما يخفيه الشرير من لذة يخفيها تحت لسانه.

❖ [942] "يشفق عليه ولا يتركه، بل يحبسه في حنجرته [13]". يشفق على الشر الذي يتلذذ به. إذ لا يملس الندامة، يصطاده في داخله. لذلك أضيف أيضاً: "ولا يتركه"، فإنه لو كان لديه قوة عن تركه لما كان يشفق عليه، بل يتعقبه بإحكام. الآن "يحتفظ به في حنجرته"، إذ يحتضنه في الفكر، فلن ينطق به قط في حديثه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَخُزُّهُ فِي أَمْعَائِهِ يَتَحَوَّلُ!

مَوْلَةٌ أَصْلَالٍ فِي بَطْنِهِ [14].

إذ تصير الشهوة طعامه اليومي الذي يملأ أمعائه، تتحول إلى سم قاتل في أعماقه. بينما يظن في اللذة سرّ حياته وسعادته، بدونها ليست له حياة، إذا بها توديّه قتيلاً بسمها الذي أخفاه فيه.

❖ فخزه في بطنه يتحول إلى مولاة أصلال فيه [14]. يدعو صوفر سم الشر "مولاة الصل"، فإنه إذ تنتشر مولاة الصل في الأحشاء لا يمكن تفاديها بعد، إذ تقتل من تنتشر في أحشائه. هذا أمر واضح ومعروف للجميع. هكذا سم الشر يعمل في كل الذين يكتمونونه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يوجد نوعان من الطعام، واحد يخدم الخلاص، والآخر يناسب الهالكين... يليق بنا ألا نسيء استخدام عطايا الآب... لنستخدمها في تجردٍ، ونحفظها تحت سيطرتنا. بالتأكيد أمرنا أن نكون سادة ورؤباب للطعام وليس عبيداً له [943].

القديس إكليمنضس السكثري

❖ الخبز في البطن مثل الشع بالملذات الأرضية في الدهن. لهذا فليشبع الرائي الآن إلى التمام بالمديح الذي لا يقدر على مقاومته! ليروح بالكوامات! "خوه في بطنه يتحول إلى مورة أصلا" [14]، لأن الملاء بالمتع الوقتية يتحول في يوم الدينونة النهائي إلى مورة، فما يعبر هنا كمديح للعظمة ينكشف أنه "مورة أصلا"، أي زهو أرواح شوية... الفوح بالمتعة الوقتية حلو عندما يُذاق هنا بمضغ الأسنان، لكنه يتحول إلى مورة في البطن عندما يعبر الفوح، ويُنبتع إلى دمار الشخص.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ثانياً: محبة العالم [15-16].

قَدْ بَلَغَ ثَرْوَةٌ فَبَتَّقِيَّاهَا.

اللَّهُ يَطْرُدُهَا مِنْ بَطْنِهِ [15].

في محبته للعالم يجمع الثروات ويخزنها كمن يبتلع طعاماً بنهم شديد لأنه جائع. ليس فيه من كفاية أو شع إنما قيل: "العلوفة بنتان: هات هات؛ ثلاثة لا تشبع؛ أربعة لا تقول كفا" (أم 30: 15). يكون كمن يملأ معدته، لكنه يتقياً على النوام كل ما أكله، فيبقى جائعاً على النوام.

❖ "الثروة المجموعة ظلماً يتقيأها"... فإنه من المستحيل أن تُصلح بنون أذية... مكافأة الأشرار محفوظة للحياة العتيدة (كو 3: 25). لهذا فإن التي تُجمع ظلماً سيتقيأها بصرخات عظيمة بهلاكٍ عظيمٍ للنفس حينما يُطلب الغنى الذي جُمع ظلماً للدينونة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ يشتهي الرائي أن يعرف إعلانات الله، لكنه لا يملسها. يود أن ينطق بالحكمة، لكنه لا يحيا حكيمًا. لهذا إذ لا يملس ما يعرف أنه يجب عمله، يفقد حتى ما يعرفه. حيث لا يربط المملسة النقية بمعرفته، مستهيناً بنقوة المملسة الحقيقية، فيفقد المعرفة ذاتها. لهذا فإن غنى الناموس المقدس الذي "ابتلعه" بالوأة، يتقيأه بنسيانه، ويطرده الله من بطنه. في هذا إذ لا يهتم أن يحفظ المملسة العملية، فإنه بحكم عادلٍ يُقتلع الله من ذاكرته، حتى أنه يحجم عن حفظ وصايا الله في لسانه، مادام لا يحفظها في حياته. هكذا قيل بالنبي: "وللشوير قال الله: ما لك تحدث بوائضي، وتحمل عهدي على فمك" (مز 50: 16).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يُنرى الأشرار بعورة (كروانٍ خفيفٍ)، أما الأوار فيخلصون كحنطةٍ ثقيلةٍ. لذلك لاحظوا ما يقوله الرب لبطوس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغوبكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو 22: 31). الذين يُنرون مثل زوانٍ يهلكون، أما الذي لا يهلك فهو مثل البزة التي تسقط وتنمو وتريد وتأتي بثمرٍ كثيرٍ (لو 8: 8)... يُشبه الشر بالعصافة التي تحرق سريعاً وتصير راباً [944].

القديس أمبروسيوس

سِمَّ الْأَصْلَالِ يَرْضَعُ.

يَقْتُلُهُ لِسَانُ الْأَفْعَى [16].

إذ يغوف الرائي من محبة العالم يرضع من سم الحيات التي لا تتفع فيها الرقية، والذي لا يوجد شيء أكثر منه فتكاً وقتلاً. هذا ما يجمعه مُحِب العالم لنفسه. يضم في أعماقه أفعى الخطية التي تقتله بلسانها.

❖ "لسان الأفعى أيضاً يقتله" [16]. هذا الذي منذ البداية أخضع آدم وحواء (تك 3: 4-5)، والآن لا يكف عن أن يستعبد الخطاة، إذ يعلمهم أن يجدوا لذة في الأعمال الشوية.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "سم الأصلا يرضع، يقتله لسان الأفعى" [16]. .. فإنه في البداية ينسلل (الروح الدنس) إليهم بلطف، لكنه بعد ذلك يسحبهم بعنف. هكذا "سم

الأصلال يوضع" حيث يُقدم في البداية اقترًا خفيًا يصدر في القلب، لكن "يقتله لسان الأفعى" حيث يقتل النفس الأسوة بعد ذلك بسم التجربة العنيفة،

البابا غريغوريوس (الكبير)

ثالثًا: محبة المجد الباطل [17-18].

لا يوى الجداول أنهار سواقي عسل ولبن [17].

❖ لا يرون المكسب من القطيع الذي وعى، ولا ينالون لبنًا وزبدة، في الدهر الآتي. إذ لا يقرون أن يتمتعوا بلذة في الأمور التي يفتخرون بها هنا. لتعليم هؤلاء تتاسبهم كلمات الرب: "يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك. فهذه التي أعدتها لمن تكون؟" (لو 12: 20).

الأب هيسخيوس الأورشليمي

[945]

❖ "لا يوى جداول نهر العسل والزبدة الجرف [17]". يقول الرب في الإنجيل: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تحوي من بطنه أنهار ماء حي" (يو 7: 37). ويكمل الإنجيلي: "قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه". هكذا فإن "مجلى النهر" هي مواهب الروح القدس. الحب هو مجرى النهر، والإيمان مجرى النهر، والرجاء مجرى النهر. ولكن ليس من وراء حب الله أو قريبه، عندما يجعل مجد العالم غايته، لذا فإنه لا يوى مجرى النهر، حيث لا يروى بفيض الحب.

الابن الوحيد للأب العلي، وهو الله الذي فوق الكل صار إنسانًا وسط الكل، إذ زدنا بعنوبة طبيعته الإلهية وسرّ تجسده، أشبعنا بالعسل والزبدة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تقدم الشورر عسلًا ولبنًا أو زبدة، تخفي سمًا مهلكًا. أما مسيحننا الغافر للخطايا، فقدم لنا عسل السلام العذب، سلامنا الداخلي مع أنفسنا كما مع الله وملائكته وقديسيه. الخلاص من الخطية بعمل الفداء يردنا لا إلى جنة عدن مع آدم وحواء، ولا إلى كنعان التي تفيض لبنًا وعسلًا، وإنما إلى المصالحة الفائقة مع السماء.

❖ من يطلب السلام يطلب المسيح، لأنه هو سلامنا (كو 1: 20)، الذي يجعل الاثنين واحدًا (أف 2: 14)، صانعًا السلام بدم صليبه سواء على الأرض أو في السماء [946].

القديس باسيلوس الكبير

❖ انشقت الأرض عن السماء، وصار الملائكة أعداء للبشر، إذ رؤوا الرب يُهان منهم...

ما فعله المسيح على الصليب هو أن يُصعد إلى السماء الطبيعية البشوية (الخاطئة) والتي كانت في عبودية الشوير. هكذا في الواقع أحضر العدو المكروه للملائكة. ليس فقط جعل ما على الأرض في سلام، بل أحضر لهم ذاك الذي كان عوهم. بهذا صار السلام عميقًا جدًا. ظهرت الملائكة من جديد على الأرض، لأن البشوية من جانبها ظهرت في السماء [947].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يُردُّ تَعَبَهُ وَلَا يَبْلُغُهُ،

وَبِمَكْسَبٍ تَجَلَّتْ لَه لَأ يَفُوحُ [18].

❖ إنه يتوقع أن يغرف من العالم كما من جداول وسواقي تخوج عسلًا ولبنًا، فلا يكف عن العمل ليلاً ونهلاً لكي يخزن من ثروات العالم. لكنه سوعان ما يكتشف أنه فقير، لا يملك ما توجاه، فلا يتسلل إليه الوح، إذ لا يجد سعادة في كل ما اقتناه. من يجمع ما لا ظلمًا يرد ما جمعه بلادته أو بغير رادته، فلا يبقى معه شيء، بل يصير معدمًا.

❖ "يتعب باطلاً وبغير منفعة، ذاك الذي يتعلق بالثروة التي سوف لا ينوقها" [LXX 18]. ما هي فائدة فخامة قصر يقطر ذهبًا إن كان الشوير نفسه

يدفن ستة أقدام تحت (الأرض)؟ ما هي فائدة كثرة أثواب الفوح وتووع الملابس لشخص تجرده الهوام؟

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

سيكتشف الشوير أنه خرج من العالم عرياناً، لأنه لا يلبس المسيح نفسه وتنا. وينفضح عريه يوم الدينونة، وينطلق مع عدو الخير الذي عوى نفسه وملائكته وتابعيه من بني البشر. لقد فقد الكل ما يستتر به بوح!

❖ لقد سُلِبَ منه (يوسف) ثوبه (تك 39: 12)، لكنه لم يكن عرياناً، لأنه كان لا زال متغطياً بثوب الطهارة.

ليس أحد عرياناً إلا الإنسان الذي ينكشف ذنبه.

في الأرملة الأولى لدينا هذه الحقيقة أن آدم إذ عصا وصية الله وصار مدينياً بخطية خطوة، صار عرياناً؛ لهذا السبب قال: "سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأنني عريان فاختبأت" (تك 3: 10). يؤكد آدم أنه عريان لأنه فقد زينة الحماية الإلهية. واختمى لأنه لم يكن لديه ثوب الإيمان الذي ألفاه جانباً بعصيانه.

[948]

إنكم ترون حقيقة هامة: آدم كان عرياناً مع أنه لم يفقد رداءه، ويوسف رُعت عنه ثيابه التي تركها في يد الزانية، ولم يكن عرياناً.

الأب قيصريوس أسقف آرل

رابعاً: ظلمة للمساكين [19].

لأنَّهُ رَضَّضَ الْمَسَاكِينَ وَتَوَكَّهُمْ،

وَاعْتَصَبَ بِنَيْتًا، وَلَمْ يَبْنِهِ [19].

في محبته للعالم يسلك بروح القسوة والظلم، فيسحق المساكين ويتوكلهم، وينهب البيوت ويعتصبها لنفسه، كما اغتصب آخاب كرم نابوت اليزر علي، فاغتصب لنفسه الموت والعار.

إذ يسيطر الطمع على الإنسان، ليس فقط لا يعطي مما لديه للمحتاجين، بل يسلب ما هو للغير فيكسر بيوت الفقراء ويجردها؛ لا يخجل من أن يحطمها بالعنف.

من يتصدق بأموال ظلم بها اخوته، لا يحمل في صدقته حباً روحياً، ولا حتى بشوياً، إذ يعطي إنساناً ويظلم آخر.

❖ إذا قَدِّمْتَ لِلإلهِ حِزْمًا مِمَّا اقْتَنَيْتَهُ ظُلْمًا وَاعْتِصَابًا، فَلَنْ يَقْبَلَ الإلهُ عَطِيَّتَكَ...

فلترحم من ظلمته، صانعاً معه رحمة ومحبة، عاملاً بالصلاح، وبذلك تقدّم رحمة وحقاً. فإله لا يشركنا جشعنا، ولا يشاطر اللصوص والسالبيين، ففي استطاعته أن يطعم الفقراء الذين عهد لنا بهم، لكنه يطلب ثمار البرّ ومحبة الناس.

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ إذا اختطفت أموالاً وأعطيتها للغير... فما هو عنرك؟

أتريد أن تعلم مقدار ما تصنعه من الشر؟ اسمع ما يقوله سليمان إن الذي يقوّب ذبيحة من أموال الفقراء كمن يقتل أمام الأب ابنه!

القديس يوحنا الذهبي الفم

خامساً: النهم [20-21].

لأنَّهُ لَمْ يَؤُفِّ فِي بَطْنِهِ قَنَاعَةً،

لَا يَنْجُو بِمَشْتَهَاهُ [20].

في كل جهاده الذي لا ينقطع لا تعرف أعماقه (بطنه) هوء البال (قناعة)، إنما يحاصره القلق ويسيطر عليه. قد ينال الكثير، لكنه هو نفسه لا

❖ يؤمننا أن نضبط البطن، ونحفظها تحت توجيه السماء. فإن الله في النهاية سيحطم كل ما هو للبطن كما يقول الرسول [949].

القديس إكليمنضس السكثوي

لَيْسَتْ مِنْ أَكْلِهِ بَقِيَّةٌ،

لَأَجْلِ ذَلِكَ لَا يَتُومُ خَوْهُ [21].

ما ناله يهرب منه، كمن يأكل لكن لا يشبعه الطعام لأنه يتقيأه...

❖ لأن الشوير يأكل دون أن يشكر (رو 14: 6)، يتنوق دون أن يبيلك، وليس للفقير موضع على مائدته (لو 16: 21). "ليست لديه مئونة" [21]. إذ ليس للشوير بقية يضيف داود نفسه: "بقية الأثوار تهلك تمامًا".

"خوه لا يدوم"، لماذا؟ لأن خواته بلا أصل، وهي تنتج ثمرًا شروة.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "لا تنوم خواته"... لأنه وهو يجري وراء كل شيء ولا يخشى الديان، وإذ يخرج من هذه الحياة يذهب عرليًا إلى الديان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَعَ مِلِّ عِرْغَدِهِ يَتَضَايِقُ.

تَأْتِي عَلَيْهِ يَدُ كُلِّ شَقِيٍّ [22].

بعد أن وصف صوفر الاتبكات التي تحل بالظالم القاسي، يبين هلاكه التام. فمع نوال ما كان يشتهي بطريقٍ أو آخر، تتحول أيدي الأشقياء إلى سبله. ما فعل يُفعل به. كما كانت يده على الغير ظالمة، تمتد أيادي الأثوار عليه.

❖ [950] "عند ملء كفايته يتضايق [22]". "أولاً يركض لاهتًا ليكس الأشياء التي يجمعها بالطمع، وإذ يجمع الكثير جدًا، كما في بطن الطمع "عند ملء كفايته يتضايق"، إذ يمتلئ بالقلق كيف يحفظ ما قد ناله، فيصير ملؤه موضوع ضيقه. فإذ أنتج حفل أحد الأغنياء محصولًا ضخمًا، وليس لديه موضع للتخزين قال: "ماذا أعمل، لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثملي. وقال: أعمل هذا. "أهدم مخزني وأبني أعظم" (لو 12: 17-18). إذن هذا الذي تضايق بفيض الخوات قال: "ماذا أعمل؟". كان في هم، كما لو أن كؤة الطعام قد ضغطت عليه.

❖ "يحترق بالحورة، ويسقط عليه كل ويل" [22]. بعد اقتنائه عطايا من الثروة، يحقق مشتهاه، ويحضوه رعا ج آخر. يحل به الخوف والقلق ليحفظ في أمان ما قد كلفه من متاعٍ لا حد لها لكي يقتنيه. من كل جانب يرتعب من المتآمريين، ويخشى لئلا يحل به ما فعله هو بالغير. يخشى لئلا يتعوض لعنفٍ من شخصٍ أقوى منه. عندما ينظر فقيرًا يتطلع إليه كاص. يخشى الأشياء ذاتها التي ذرّوها، لئلا بسبب ضعف طبيعته الموروثة تضيق بالإهمال. في كل هذه الأمور فإنه بسبب الخوف ذاته من العقوبة يعاني البأس بشدةٍ من الخوف مما قد يعانيه.

❖ "يحترق بالحورة، ويسقط عليه كل ويل" [22]. بعد اقتنائه عطايا من الثروة، يحقق مشتهاه، ويحضوه رعا ج آخر. يحل به الخوف والقلق ليحفظ في أمان ما قد كلفه من متاعٍ لا حد لها لكي يقتنيه. من كل جانب يرتعب من المتآمريين، ويخشى لئلا يحل به ما فعله هو بالغير. يخشى لئلا يتعوض لعنفٍ من شخصٍ أقوى منه. عندما ينظر فقيرًا يتطلع إليه كاص. يخشى الأشياء ذاتها التي ذرّوها، لئلا بسبب ضعف طبيعته الموروثة تضيق بالإهمال. في كل هذه الأمور فإنه بسبب الخوف ذاته من العقوبة يعاني البأس بشدةٍ من الخوف مما قد يعانيه.

❖ "عندما يحسب نفسه شعبانًا، يسقط في القلق" [LXX 22]. هذا يعني أن الثروة تتعفن عند نزوجها. لكن كما قلنا مرارًا كثرة إن ما قاله أصدقاء أيوب ليس ليحطوا من الأثوار والأثمة، بل بالحري لزوعوا صير أيوب. ولما كان المصلوع يحتمل الأخران التي حلت عليه بنفسٍ عظيمة، واثقًا في المنافع التي يجلبها الصبر، هدده (صوفر) بأن المستقبل سيكون أشد من الماضي.

الأب غريغوريوس (الكبير)

❖ "عندما يحسب نفسه شعبانًا، يسقط في القلق" [LXX 22]. هذا يعني أن الثروة تتعفن عند نزوجها. لكن كما قلنا مرارًا كثرة إن ما قاله أصدقاء أيوب ليس ليحطوا من الأثوار والأثمة، بل بالحري لزوعوا صير أيوب.

ولما كان المصلوع يحتمل الأخران التي حلت عليه بنفسٍ عظيمة، واثقًا في المنافع التي يجلبها الصبر، هدده (صوفر) بأن المستقبل سيكون أشد من الماضي.

من الماضي.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

[951]

❖ حقًا أن حياة الإنسان لا تقوم علي ممتلكاته خلال ما لديه من فيض، إنما يُحسب مطّوبًا وذارجاء مجيد من كان غنيًا بالله .

القديس كيرلس السكثوي

[952]

❖ حينما نربح فلسًا نمتلئ فوحًا، وحينما نخسر نصف فلس نغرق في الحزن .

القديس جيروم

يَكُونُ عِنْدَمَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ،

أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ حُمُومَ غَضَبِهِ،

وَيُمِطُّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ طَعَامِهِ [23].

ليس من أمرٍ يبعث حمو غضب الله على الإنسان مثل ظلمه لأخيه. بينما يظن أنه يملأ بطنه بظلمه لأخيه، إذا بحمو الغضب الإلهي يمطر عليه نرًا وكويئنا. "يمطر على الأشوار نرًا وكويئنا" (مز 11: 6).

ببلاغته وهو في لحظات تمتعه بالولائم، عند تناوله طعامه. ولعل صوفر يشير هنا إلى موت أبناء وبنات أيوب أثناء إقامة وليمة.

يشير هنا أيضًا إلى ما حدث في أيام الطوفان، وإلى الخراب الذي حلّ بسدوم وعمورة، إذ يقول السيد المسيح: "كانوا يأكلون ويشربون، ويؤرجون ويتزوجون إلى اليوم الذي فيه دخل ووح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع. كذلك أيضًا كما كان في أيام لوط، كانوا يأكلون ويشربون، ويشترون

ويبيعون، ويغوسون ويبنون. ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم أمطر نرًا وكويئنا من السماء، فأهلك الجميع" (لو 17: 27-29).

[953]

❖ "تملئ بطنه، فيلقي الله غضبه عليه، ويمطر حربه عليه [23]" ... "مطر حرب الله" هو ضوب القلوب المتشامخة عليه، ووح النفس

البيغضة بسهام حكمه... بينما كان يلبق (بالطماع) أن يذكر نفسه كيف قد طمع فيما ليس له، وبأكثر شرٍ وضع في نفسه أن يجمع الأمور التي

اشتهاها. وفي وقتٍ آخر سيجزن أنه سيفلرق الأشياء التي جمعها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَفِرُّ مِنْ سِلَاحِ حَدِيدٍ.

تَعْرِفُهُ قَوْسٌ نَحَاسٍ [24].

سوف يكون هلاكهم محتتمًا دون أية إمكانية للنجاة منه. "يفر من سلاح حديد". الهروب يشير إلى الإثم، حيث لا يفكر الشير في الاعتراف

بخطاياها في تواضعٍ أمام الله ليصطلح معه، بل كل ما يفكر فيه هو النجاة من الانتقام الذي يتعقبه، ولكن بدون جوى. فإنه إن نجا من السيف "تخرقه

قوس نحاس"، أو قوس من الصلب. كأن الله يستخدم السيف للذين يظنون أنهم يحلربونه بقوتهم، والقوس للذين يظنون أنهم قادرون على الهروب منه

بمكدهم. فمن يظن أنه قادر أن ينجو من قصاصٍ يجد قصاصًا آخر يلاحقه.

❖ "هذا يعني أنه سيغوره (الله) بالآلام... ولكن ما هي هذه الآلام؟ لننتبه. "ليفر بأية وسيلة من قوة السيف، وليجرحه القوس النحاسي. ويطعنه السهم

LXX في جسمه، لتكن الكواكب ضد مسكنه، ولتحل المخاوف عليه" [24-25]. لم يسقط أيوب تحت هذه الضربات، فقد منع الله الواشي (الشيطان)

من قتله، لذلك لم يقدر الحديد ولا النحاس ولا أي رمح أن يقرب إليه من جنود الشيطان الموقفة. قرما جلوا عليه... لم تلتهب نار عليه، أي النار

التي مصوها ليس الأرض. لأنه ليس للشيطان سلطان أن يحرك رعب السموات عليه.

هدد صوفر أيوب بهذه الأمور، إذ أراد أن وعب المصلوع بالخوف من كل جانب. أما من جهة أيوب، فلم يقل كيف أو من أين تأتي هذه

الأمور عليه، إذ كان واثقًا في وه.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ "سيهوب من الأسلحة الحديدية، ويندفع نحو القوس النحاسي [24]".

يؤمنا أن نعرف أن الطمع أحياناً يتسلل إلى الناس عن طريق الكوباء، وأحياناً عن طريق الخوف. لذلك فإن البعض يهدفون نحو الظهور بسُلطانٍ أعظم، ويلتهبون نحو نوال ما هو للغير. أيضاً يوجد أناس يخشون لئلا يصيروا في عوزٍ إلى ضروريات الحياة، فيسلمون أذهانهم للطمع ليطلبوا ما هو للغير، متخيلين أن ما لديهم لا يكفيهم. الآن، تعبير "الحديد" يتناسب مع كل "الضروريات". فهو زعج حياة المعزين بجواحات الحزن. هو تعبير عن الحاجة إلى الضروريات التي تقود إلى حياة مؤلمة... "يدخل الحديد إلى نفسه" (مز 105: 18). إذن ما هي الأسلحة الحديدية سوى ضروريات الحياة الحاضرة التي تضغط على حياة المحتاجين بقسوة؟ الحديد يتلف بالصدأ، أما النحاس فيتلف به بأكثر صعوبة. لهذا فالحديد يشير إلى الضروريات الحاضرة المؤقتة، وأما النحاس فيلج المصير الأبدي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أتريد أن تبني مدينتك حسناً؟ "القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم بدون مخافة" (راجع أم 15: 16). غنى الإنسان يؤم أن يعمل على خلاص نفسه لا هلاكها. الغنى يكون للخلاص إن استخدمه أحد حسناً، وهكذا يكون فخاً إن لم يعرف أحد كيف يستخدمه (أم 13: 8). لأنه ما نفع مال إنسان لا يسنده في رحلته؟ [955]

القديس أمبروسيو

جَذْبُهُ فَخَاجٌ مِنْ بَطْنِهِ،

وَالْبَارِقُ مِنْ مَوْلَاتِهِ مَرَقٌ.

عَلَيْهِ رُغُوبٌ [25].

يكون الهلاك كاملاً عندما يخترقه القوس يخرج من مولته، فتحل به أهوال ورعب عنيف جداً، وتكون آلام موته مؤلمة للغاية. هكذا يحل الموت بالشوير منقضاً عليه فيذيقه المولة.

❖ "الموعبون يأتون ويحلون عليه" [25]. من هم الذين يدعون هنا بالموعبين سوى الأرواح الشوية الذين يجب أن تخشاهم الأذهان النقية وتتجنبهم؟ يُعتقد أن هذه الأرواح الشوية عينها تلتصق كل بمفودها بوزائلٍ معينة. عندما يتوك هذا الإنسان الشوير مجموعة من الأخطاء إلى لحظة ويبدأ يرتكب مجموعة أخرى، فبال تأكيد "الموعبون يأتون ويحلون عليه، حتى إذ تترك نفس الشوير مجموعة من العادات الشوية تأسوها مجموعة أخرى. فكثيراً ما ترون إنساناً شويلاً له سلطان رُضي ثثوه أهواء صاخبة، ويتم كل ما يقترحه عليه غضبه. وإذ يهدأ غضبه تثير الشهوة نفسه. وإذ تتوقف الشهوة إلى حين حالاً يحنل قلبه الاعتداد بالذات على أساس أنه عنيف، ولكي يظهر للغير أنه مُخيف يهدف نحو إواز نفسه كموضوع رعب... هكذا بحق يُقال لذلك الذي تتلقف رذيلة ذهنه محل رذيلة أخرى: "الموعبون يأتون ويحلون عليه".

البابا غريغوريوس (الكبير)

كُلُّ ظَلْمَةٍ مُخْتَبَأَةٌ لِدَخَاوِهِ.

تَأْكُلُهُ نَارٌ لَمْ تَنْفَخْ.

تَوَعَى الْبَقِيَّةَ فِي خَيْمَتِهِ [26].

الظلمة التي يلتحف بها الشوير مختبئة، وهي ظلمة دامسة لا يخترقها شعاع نور واحد. ظلمة داخلية تجتاز إليه إلى حيث يظن أنه في أمان، مختبئ في مكان لا يقدر أحد أن يبلغ إليه. ولعله يقصد بالمخبأ ضمومه، إذ يعاني الشوير من الظلمة التي تحل في أعماقه، ليجد نفسه في ظلام وحوء، ليس من يقدر أن يخلصه منهما سوى رجوعه بالتوبة إلى النور الحقيقي واهب السلام.

تشتعل في داخله نار مُهلكة لم تنفخ، أي لا يُسمع لها صوت. وي الكل دمار الشوير واحزاقه نون أن يقدر أن يعرف السبب. وذلك كما رأى

يونان اليقطينة قد يبست، ولكنه لم يرَ النودة التي سببت لها الذبول (يونان 4: 7).

ويقوله "تار لا تُنفخ" يشير إلى أن نار الخطية المهلكة وفودها سويح الاحترق جدًا لا تحتاج إلى نفخ. "كل المستكوبين وكل فاعلي الشر يكونون قشًا، ويحرقهم اليوم الآتي" (مل 4: 1).

"وعى البقية في خيمته": شوه يتسلل إلى خيمته، أو إلى أسرته، فيكون سببًا لهلاك الكثيرين من أهل بيته.

❖ "كل ظلمة مختبئة في أماكنه السرية" [26]... يقال: إن كل "ظلمة مختبئة في أماكنه السرية"، وذلك لأنه لا يستعرض كل شروره التي فيه، لكنه ينبغي أن يحل بها جميعًا على زملائه في الخليقة.

"تأكله نار لم تُشعل"، هذه الكلمات القليلة تعلن عن نار جهنم بطريقة غاية في الدهشة. فالنار المادية لكي تصبح نيرًا تحتاج إلى وقود مادي. ولكي تستمر، يؤم أن تُؤم بالخشب الذي يكوم فوقها كما نعلم. لا وجود لها ما لم تُشعل، ولا تستمر ما لم تُخدم بالوقود. على عكس هذا، فإن نار جهنم بينما هي نار تُهلك أبناء الهلاك الذين يلقون فيها جسدًا، لا تُشعل بجهود بشوية، ولا تستمر بإلقاء خشب فيها. ولكنها إذ توجد هرة، تبقى غير قابلة للانطفاء، ولا تحتاج إلى إشعالها، ولا تنقص حورتها... عدالة القدير إذ سبق فوفرت الأحداث المقبلة، فمن بداية العالم خلقت نار جهنم التي كان يجب أن تبدأ لمعاقبة الأثوار ولن تتوقف حورتها ولا تحتاج إلى وقود...

قيل بالمول: "تجعلهم مثل تتور نار في زمان غضبك. الوب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار" (مز 21: 9). هكذا يُظهر الكتاب المقدس أن المفقودين يحترقون داخليًا وخرجيًا. إنه يشهد أنهم يؤكلون بالنار، وفي نفس الوقت يصيرون فونًا نريًا، فبالنار يتعذبون في الجسد، وبالحرز يحترقون في الروح.

"إذ يُتوك في خيمته، تصير معه في المحنة"، فإذ وضع كل بهجة في الحياة الجسدية "يسكن في خيمة الجسد".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لماذا لم يدخل (الشیطان) في الطوبويين بطوس ويعقوب ويوحنا أو أحد بقية الرسل؟

لماذا دخل في يهوذا الإسخويوطي؟

ماذا وجد فيه الشيطان؟

لم يستطع الشيطان أن يقرب من أحد الذين أشونا إليهم لأن قلوبهم كانت مستقيمة، ومحبتهم للمسيح ثابتة. كان في الخائن مكان للشيطان. المرض الخبيث، الطمع، الذي قال عنه الطوبوي بولس إنه أصل كل الشرور (1 تي 6: 10)، قد سيطر عليه. الشيطان مكر في عمل الشر. عندما ينال ملكية في نفس إنسان، لا يحل به بوزيلة عامة. بل بالحري يبحث للشخص الذي سيطر عليه عن وسيلة بها يجعله فيسة له [956].

القديس كيرلس الكبير

❖ جاء لإواهم ثلاثة رجال (تك 18: 1-2) في حرّ النهار؛ وأما في حالة سنوم فجاء ملاكان في المساء (تك 19: 1). الأمور الصالحة تشبه بالنور،

والشريرة بالمساء، حتى يشوق شمس البرّ عليهم (مل 4: 2). فإن عقاب الأثوار هو ليل وظلمة، أما الأوار فسيضيئون كالنور (أم 4: 18؛ مت

[957] (34: 13).

الأب ثيودور أسقف المصيصة

❖ قال للأخرين: "اذهوا عني يا ملاعين" (مت 25: 41). لم يقل إنهم يُلعنون بواسطة الآب، لأن الآب لم يلق باللعنة عليهم، إنما أعمالهم التي تفعل

ذلك. لم يقل أن النار الأبدية معدة لأجلهم وحدهم، بل "لإبليس وملائكته". فإنه بخصوص الملكوت حقيقة عندما قال: "تعالوا رثوا الملكوت"، أضاف لقد

أعددت لكم منذ تأسيس العالم (مت 25: 34). أما عن النار لم يقل هذا، بل "المعدة لإبليس". أنا أعددت لكم الملكوت، أما النار فلم أعددتها لكم بل

لإبليس وملائكته، لكن أنتم تلقون أنفسكم فيها. أنتم نسبتم إياها لكم [958].

إله السماء الذي يرى الخفيات يعلن عن شرور الأثوار المُصوين على شوهم، وتكتشف الأرض آثامهم وتنتقم منهم. "الأرض تكشف دماءها" (إش 26: 21). فالسما لا تطيق الإثم، والأرض تنهض ضده، ولا يجد الأثوار لهم موضعًا هنا أو هناك، إنما يستقرون في جهنم.

❖ "السماوات تعلن إثمها، والأرض تنهض عليه" [27]. ماذا نفهم بالسماوات سوى الأوار، والأرض سوى الخطاة؟ هكذا في الصلاة الربانية يُصلى: "لتكن رادتك على الأرض كما في السماء"، لتعني أن رادة خالقنا كما تتحقق في الأوار، ليتها تتحقق في كل الخطاة أيضًا. علاوة على هذا قيل عن الأوار: "السماوات تعلن مجد الله" (مز 19: 1). وللإنسان عندما أخطأ، أعلن الحكم: "أنت تآب وإلى تآب تعود". وهكذا عندما يُسحب الإنسان الشوير إلى الدينونة الرهيبية، يُقال: "السماوات تعلن إثمها، والأرض تنهض عليه"، فإن الإنسان الذي لم يشفق هنا على الصالحين أو الأثوار، عند استجوابه الرهيب تشهد عليه حياة الأوار والخطاة...

لكن يمكن أيضًا أن تشير "الأرض" ليس إلى الحياة الخاطئة المُستكورة، وإنما إلى أولئك الذين ينهمكون في الأمور الأرضية، وخلال الصدقة وبالذم ينالون الحياة الأبدية. عن هؤلاء يقول الموتل عندما أعلن عن الرب أنه قادم للدينونة: "يدعو السماوات من فوق، والأرض على مداينة شعبه" (مز 50: 4). فإنه يدعو السماوات من فوق، حين يتوك أولئك كل ما لديهم ويتمسكون بالزعة نحو الحياة السماوية، يُدعون ليجلسوا معه في الحكم، ويأتوا معه كقضاة...

ليس من أمر لتكبه الشوير يكون مخفيًا عن بصيرة من الدينونة، وإن كان بالحق كثير من الأعمال مخفية الآن عن الخلائق رفقائه خلال الخداع يظهر في يوم الدينونة في النور.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إن كانت السماوات تعلن عن إثم الشوير، والأرض تفضحه وتقومه، لذا يليق بالكنيسة أن تطلب من المؤمنين الهروب من الأثوار المصممين على الشر، وليس عن الخطاة الذين في حاجة إلى من يشهد لإنجيل المغفرة أمامهم.

يبرز القديس كبريانوس ليس فقط ما يحل بالأثوار المقاومين للحق من عقوبات إلهية مشددة، وإنما يطالب ولاد الله باعوالهم حتى لا يحل غضب الله عليهم. إنجد هذا واضحًا في سفر العدد، عندما ادعى قهرح ودائان وإبوام الحق في تقديم ذبائح مقومة لهرون الكاهن. فإن الرب يعلم خلال موسى أن الشعب ملتم باعوالهم لئلا يوتبطوا بذات إثم المذنبين، ويلوثوا أنفسهم بذات جريماتهم. "فكلم الجماعة قائلاً: اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البُغاة، ولا تمسوا شيئًا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم" (عد 16: 26) [959].

❖ افعلوا ما استطعتم لاستبعاد الشخص الشوير، فإنه ما أن يوجح حتى يسكن المسيح فيكم [960].

العلامة أوريجينوس

❖ أنت تحتقر الذهب، آخر يحبه.

أنت تروي بالثروة، هو يجري وراءها بشغفٍ.

أنت تحب السكون والضعف والحياة السوية الخاصة، أما هو فيجد لذة في الحديث في الساحات العامة بوقاحة كما في الشوارع والمحلات

العامة...

لا تكن معه تحت سقف واحدٍ. لا تعتمد على عفتك القديمة. فأنت لست أكثر قداسة من داود ولا أكثر حكمة من سليمان... إن كنت في عملك

الكهنوتي تلوم بزيلة رملة أو عواء لا تدخل البيت وحدك. لا تجعل رفقاءك يستخفون بك... لا تجلس بمفودك مع امرأة بطريقة سوية دون شاهد

معك. إن كانت تريد أن تكشف عن أمر خاص وسوي، لديها مربية أو مدوة بيت أو عواء أو بتول أو زوجة. لا يمكن أن تكون بلا أصدقاء سواك حتى تفيض عليك بأسولها الخاصة [961].

القديس جيروم

تُرْوُلُ غَلَّةُ بَيْتِهِ تَهْوَأُ فِي يَوْمِ غَضَبِهِ [28].

نريته التي هي غلة بيته تُستأصل، حيث يحل بهم الموت في غير أوانه، أو يضطرون إلى الهروب من بلادهم فيشتتتون ويُستأصلون.

كما تتدفق الثروة على الشوير بسوعة خلال الظلم والخداع، تتبدد أيضًا بذات السوعة عندما يحل الغضب الإلهي عليه.

❖ عندما يُعلن غضب الديان، يُسلم (الشوير) إلى نوان الغضب، يُدْع من رؤية (الديان). لأن ذاك الذي في الحياة لم يود أن يرتفع بفؤه إلى العلويات، إذ تحوره خطاياه إلى أسفل، سيسقط من أمام وجه الديان في أعماق العقوبة. أما الآن فإن الديان وي ويحتمل الخاطي في خطاياه، لأنه يوم اللين، وليس يوم الغضب، لأنه ينتظر متوقبًا هداية كل أحد. الآن يوم اللين، وإذ يبقى العرائي جامدًا دون تحرك، مملسًا شويرًا كثرة غير مؤدب بجلدات، فسُطود في يوم الغضب، حيث يُحمل إلى عقوبة النعمة؛ يُقطع من وجه الديان الأبدي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَذَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ الشَّرِيرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،

وَمَوَاتٌ أَمْرُهُ مِنَ الْقَدِيرِ [29].

ما يجمعه الشوير لنفسه ليس الثروة التي اقتناها إلى حين، بل الغضب الذي يحل عليه. هذا هو نصيبه الدائم، ومواته الأبدي في نار جهنم.

هذا هو خطاب صوفر، وقد حمل شيئًا من الحق، لكنه كان مخطئًا إذ ظن أن هذا كله يؤم أن يحل على كل شوير وهو في هذا العالم. وأن كل

من تحل به ضيقة في هذه الحياة يكون ذلك إشلة إلى شر الساقط تحتها.

قدم صوفر تفسوًا سليمًا لعمل الشر في حياة الشوير، لكنه أخطأ في تطبيق هذه العقيدة، كما لم يقدم الفكر خالصًا، إنما يشوبه الميل الشوير نحو

أيوب ومحاولة تأكيد أنه وراء.

حقًا الشر رهيب والخطية خاطئة جدًا، لكن ليس لنا أن نحكم وندين الغير حسب نظرتنا البشوية.

❖ لو أنه حين كان في هذه الحياة اهتم أن يعمل باستقامة، لكان نصيبه الشوكة مع الرب في ملكوت السموات. لكنه إذ اختار أن يخضع للشهوات

الثروة فإن نصيبه من الرب أن يوجد في عذاب، إذ لم يطلب أن ينال شوكة في نعمة هذا الرب...

الآن لا يشتهي القديسون أن ينالوا نصيبًا من الرب، بل ينالوا الرب نفسه نصيبًا لهم. لهذا يصلى النبي قائلاً: "نصيبني الله إلى الدهر" (مز 73:

26).

أما الشوير فإذا لم يسع ليكون الرب نفسه نصيبه، يجد النار نصيبه لا الرب. وإذ يُدْع من وجه الله، لأنه لم يطلب أن يجد فوحًا فيه، يُعذب وهو

غير جدير بالله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[962]

❖ أولئك الذين يرضون بالإثم لا يكون لهم نصيب بين الخالدين.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ لنر بعد ذلك ماذا يوصينا الله أن نفعل، فهو يقول: " أعطوا الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً، وقبلما تعثر أرجلكم علي الجبال العتمة، فتنتظرون

نوراً" (إر 13: 15). فهو يريد أن من يعطي الرب مجداً، يعطيه مجداً في وجود النور، لأن مجد الرب لا يمكن أن يُعلن حينما يأتي الظلام. فمتي إذا

يأتي الظلام، ومتي لا يأتي؟ "اعملوا مادام النور فيكم". فإن النور في الواقع هو موجود فيكم، طالما تحمل في داخلك السيد المسيح الذي قال عن نفسه:

"أنا هو نور العالم". وطالما هذا النور موجود فيك أعطِ إذاً مجداً للرب؛ ولكن اعلم إن الظلام يمكن أن يأتي، فلا يجب أن تنتظر وقوع هذا الظلام، بل أعطِ مجداً للرب قبل مجيئه.

❖ ربما يمكننا أن نفهم بوضوح هذا الموضوع إذا استعنا بكلام السيد المسيح: " اعملوا مادام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل"؛ فهو يقصد بالنهار وقتنا الحاضر، وبالظلام والليل، انتهاء العالم وفنائه بسبب عقاب الأشرار. ويقول عاموس النبي: " ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب. هو ظلام لا نور" (عا 5: 18). فإذا عرفت كم سيكون الحزن والشقاء عند هلاك العالم، سيصيب الحزن تقريباً معظم الجنس البشري الذين يُعاقبون علي خطاياهم، وعندئذ ستعرف أن الجو سيصبح معتماً ومظلماً بحيث لا يستطيع أحد أن يمجد الله، لأنه حتى الأوار أوصاهم الله قائلاً: " اذهب يا شعبي. ادخل إلي بيتك، واغلق عليك بابك، اختبئ قليلاً أو كثيراً حتى ينتهي حمو غضبي" [963].

❖ كما أن ما أعده الله للذين يحيونه، يفوق العقل، كذلك أيضاً ما أعده من عذابات للأشرار، يفوق العقل.

❖ كل واحد منا يجلب على نفسه عقوبة عن خطية، حجم العقوبة حسب نوع المعصية وطبيعتها... محصل الديون قادم ليتم عمله، وأنا أقومه. إنني أعرف أنه إذا كنت غير مدينًا بالوفاة، ليس له سلطان عليّ. إن كان عليّ دين فسوسلني محصل الديون إلى السجن [964].

العلامة أوريجينوس

من وحي أيوب 20

صوتك يقطع لهيب شروري!

❖ نفسي تئن في داخلي:

من يقدر أن يطفئ لهيب شروري، ومن يسكب مياه برك في داخلي صوتك الحلو!

❖ منذ سقوط آدم تعلمنا أنه لا بد من اقتلاع شجرة الشر، لكي تُغرس فينا شجرة برك.

لِيُقْتَلع هيكل إبليس وجاساته، لكي تقيم بروحك القنوس فينا هيكلك المقدس.

لنقطع وتهلك وتنقض ما هو ليس لك فيّ، وتغرس وتنشئ ما هو لك،

فأصير جنتك المقدسة، وهيكلك المقدس.

❖ لتهدم يارب كل بناء غريب أروص، ولتُنقَض حجراته، وتُطرح خرجاً.

لا يبقى في داخلي حجر دنس، لأنني مدينتك المقدسة.

لتتزع من قلبي كل شوكة و تغرس فيّ جنتك، فأصير كرمك المحبوب إليك جداً.

أقدم لك مما لك، من ثمر روحك القنوس.

لكي ما تدعو أصحابك السمايين، قائلاً:

"كلوا أيها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيها الأحباء" (نش 5: 1).

تعال أيها الرب يسوع، ولتسكن في أعماقي حيث جنتك الموحدة، وهيكل قدسك!

❖ أنا أعلم أن عدو الخير يقدم مباحج وملذات، لكنها مملوءة سمًا.
أفراح رئيس هذا العالم لن تنوم!
الآلام التي نتقبلها بشكرٍ من يديك، أعذب من كل ملذات العالم!

❖ خطاياي تحطمني! ترة في كوياء لا أبالي بما أفعله،
وأخوى في إحباطٍ، فيملك اليأس على كل كياني.
أنا أعلم أن خطاياي خلقت عدوة مع كلمتك ووصيتك.
لكن كلمتك في عنوبة حبها تؤدب، لا لتهلكني، بل لتودني إليك، فأتمتع بخلاصك!

❖ شروري حطمت كل صلاحٍ فيّ، فاحت رائحتها الدنسة في داخلي!
أعيش كما في حلمٍ، كل ما تقدمه لي شروري من ملذات يزول،
استيقظ لأجد نفسي قد جمعت ربحًا، وتمسكت بظلٍ وخيالٍ!
شروري تزوع عني سلامي، لأنه لا سلام لي إلا في أحضانك الإلهية.
شروري أفسدت نفسي، أكثر مما يفعله الدود بجسدي.

❖ لماذا اكتنز شروري ككنزٍ ثمينٍ، لماذا أخفيها كمن يشفق عليها؟
وهي علة هلاكي الأبدي؟
تبت سمومها في أحشائي، وتكنز لي مورة أبدية!

❖ صلت لي شروري طعامًا قاتلاً، عوض التمتع بالمن السموي،
جسدك ودمك واهبين الحياة الأبدية.
شروري زعت عني عنوبة الحياة الحقيقية.
لأرجع إليك يا غافر الخطايا، فأتمتع بك، فأنت هو الحياة.
تودني، لا إلى جنة عدن ولا إلى أرض الوعد، لكن إلى الأحضان الإلهية.
فأشبع من عنوبة حبك. وأتهلل بالوحدة مع السمائيين!

❖ أنت هو الحب كله. تشتهي خلاص الكل، لكن شروري هي التي تدبني!
أنت أعظم من كل شرٍ.
أنت تهبني برك، فأعيش معك. أحياء لك ومعك.
ألتقي بك على السحاب، وأتمتع بالمجد الذي أعدته لي منذ تأسيس العالم.

الأصْحَاحُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

رخاء الأثوار في هذا العالم

الآن وقد قدم كل من أصدقاء أيوب الثلاثة حججهم ضده، كل في دوره، يجيب أيوب على الخطاب الثاني لصوفر. وفي رده لم يعد يحمل ذات الانفعال القديم، إنما عالج في موضوعية حال الأثوار في هذا العالم: هل هم دائماً في حالة بؤسٍ وشقاء؟ وهل التجرب علامة قاطعة على شر من يسقط تحتها؟

توسل أيوب إلى أصحابه أن يصغوا إلى كلامه ولا يقاطعوه، وأن يعتبروا هذا الإصغاء تغزيتهم له. بالمقابل سوف يصغي إليهم ولن يقاطعهم عندما يأتي دورهم في الكلام.

بعد ذلك يعلن لهم أن شكواهم ليست مقدمة إلى إنسان، وإنما إلى الله ليكون هو القاضي بينه وبين أصحابه. في صراحةٍ يشعر أيوب بصعوبة عندما يبحث عن سرّ نجاح الأثوار. إنهم يبيتون في رخاءٍ ونعيم، بيوتهم آمنة، ومواشيهم وقطعانهم تزداد، وأولادهم يرون أياماً سعيدةً، ويموتون بهوءٍ نون أن يتألموا من مرضٍ مثل أيوب. يرفضون الله، ومع ذلك ينجحون، بل ويأتي نجاحهم من الله. مع هذا يرفض أيوب مبادئ الأثوار ويقول: "لئبُعد عني مشورة الأثوار" [16].

أخيراً يقوم أيوب بهدم أساس انتقاداتهم العنيفة له، إذ يبين إن هلاك الأثوار محفوظ للعالم الآخر، وأنهم كثراً ما ينجون حتى نهاية هذا العالم [27-34].

- | | |
|--------|------------------------------|
| 1-5. | 1 . حديث رقيق لأصدقائه |
| 6-13. | 2 . رخاء الأثوار |
| 14-16. | 3 . إساءة الأثوار للخوات |
| 17-21. | 4 . طول أناة الله عليهم |
| 22-26. | 5 . الأثوار والعناية الإلهية |
| 27-34. | 6 . الأثوار والهلاك الأبدي |

1 . حديث رقيق لأصدقائه

فَقَالَ أَيُّوبُ: [1]

اسْمَعُوا قَوْلِي سَمْعًا،

وَلْيَكُنْ هَذَا تَغْرِيْتُكُمْ [2].

يتوسل أيوب إلى أصحابه أن يسمعوا له بروح المحبة، وأن يعضوا في ذهنهم أن يبركوا مقاصده عوض الحكم عليه بتسوع. يتكلم الآن بلغة الصداقة والهوء، معتوياً أن تغزيتهم له في وسط آلامه هي إنصاتهم له بروح طيبة. ولعله يقصد أيضاً أنهم إذ يستمعون له هكذا يستريح هو فيتعزرون، وبتغزيتهم يتعزرون هم ويستريحون. وكأن إنصاتهم هذا له منفعة مزوجة له ولهم.

حقاً الإنصات إلى كلمات المتألمين فيه نفع للطرفين. فمن جانب يشعر المتألم بحنو اخوته ومشركتهم له، ولو بمجرد الإنصات. ومن جانب آخر

إذ يستريح المتألم يتوَّى إخوته لِواحدة ولو إلى درجات معينة.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الكنيسة المتألّمة - في شخص أيوب - تدعو الهواطقة وأهل العالم أن يسموا لأقوالها، فإنها قاوة بمسيحها المصلوب أن تقدم لهم خلال الآلام بشكرٍ تغريات إلهية فائقة. بوجه القديس بولس أنظار المتألمين إلى صليب رب المجد يسوع، لا ليمتلئوا بالتغوية فحسب، وإنما يصيرون مصدر تغوية للآخرين. يقول: "الذي يغربنا في كل ضيقتنا، حتى نستطيع أن نؤي الذين هم في كل ضيقة بالتغوية التي نتوَّى بها من الله" (2 كو 1: 4)، وأيضًا: "كما أنتم شركاء في الآلام، هكذا في التغوية أيضًا" (2 كو 1: 7).
تتمثل الكنيسة المتألّمة بمسيحنا المصلوب، إذ قد تألم محروبًا بقدر أن يعين المُجربين (عب 2: 18). ونحن إذ نثبت فيه نتمتع بشركة آلامه، فنُصلب معه، لنصير به مصدر تغريات لا نتوقف.

[966]

❖ يوح بولس في آلامه، إذ وى الثمار العجيبة التي تجلبها الآلام في الشعب مثل مسيحيي كورنثوس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِحْتَمِلُونِي وَأَنَا أَتَكَلَّمُ،

وَبَعْدَ كَلَامِي اسْتَهْزِئُوا! [3]

سألهم ألا يقاطعوه في كلامه وأن يحتملوا حديثه، عندئذ إن رأوا فليسخروا به كما يريدون. يقول هذا أملًا في أن إنصاتهم بنية صادقة يجعلهم يقبلون كلماته، ويقتنعون بحججه، فيغيرون لهجتهم.

لم يكن يشغل ذهن أيوب سخرية أصدقائه به، لكن ما يشغله أن يسموا له، ويحتملوا كلماته لأجل خلاصهم وبنيانهم وتغريبتهم. هكذا لا يشغل الكنيسة كرامتها الوهمية، ولا توير نفسها، وإنما ما يشغلها هو خلاص كل نفس، حتى بالنسبة لمقاوميهام ومضطهديهام. فإن المحبة لا تطلب ما لنفسها، بل ما هو للغير.

❖ واضح أنه عندما ينصح أحد آخر وفي نفس الوقت يتألم أكثر من الذي يوبخه، يفعل هذا لا ليسبب حزنًا للغير، بل يقدم محبة عميقة له. بينما من ينتهر آخر بغير هذا الشعور فإنه في الواقع يطأ بقدميه على مشاعر أخيه.

[967]

الأب أميروسياستر

❖ هنا (2 كو 1: 4) يُظهر بولس أنه يتألم ليس بأقل من أولئك الذين أخطوا، بل أكثر منهم. إنه يصعب عليه جدًا أن يحتمل آلام خطأ أهل كورنثوس الذي لحق به.

[968]

القديس يوحنا الذهبي الفم

سمة الكنيسة كعريسها هي الحب الصادق العملي، حيث تشتهي إن أمكن أن يتمتع العالم كله بشركة المجد الأبدي.

لا تستطيع سخرية الناس أن تحطم المؤمن أو تؤذي الساخرين أنفسهم، ومع هذا فيروح التواضع يتكلم أيوب، سائلًا إياهم أن يحتملوه، لكي يكسبهم الله، فوجعوا عن أذية أنفسهم.

لقد احتمل المثل سخرية المتكبرين، هذه التي لم تستطع أن تهزَّ أعماقه فيحيد عن شريعة الله، إذ يقول: "المتكبرون استهزؤوا بي إلى الغاية، عن شريعتك لم أمل" (مز 119: 51). تصوخ الحكمة قائلة: "إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل؟ والمستهزئون يسرون بالاستهزاء؟ والحمقى يبغضون العلم؟" (أم 1: 22). فضمَّت الجهلاء مع المستهزئين والحمقى في فئة واحدة، إذ جميعهم يقتنون لأنفسهم الدمار. هذا ويؤكد الحكيم: "إن كنت حكيماً فأنت حكيم لنفسك، وإن استهزأت فأنت وحدك تتحمل" (أم 9: 12).

والعجيب أنه في وسط ثورتهم عليه يتكلم بروح الوداعة والتواضع ، متوسلاً إليهم أن يحتملوا كلماته، فمن جانبه سيقبل كل سخرية تُوجه إليه،

لكن لأجل نفع الطرفين يسألهم الزام الهوء.

❖ كأنه يقول: "احسبوني شرواً. لكنني لم أنتفع شيئاً من هذه الملاحظات، وأنا أعلم أنكم تسخرون بي. على أي الأحوال، لا استسلم". يقول: "لماذا؟ هل يسخر بي إنسان؟" هذا معناه أنه لا يقدر إنسان أن ينتهزني، فإنني لست أصارع مع إنسان!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **وى البابا غريغوريوس (الكبير)** أن توسل أيوب أمام أصحابه باحتمال كلماته إنما لأنه وهو يتكلم ينطق بما هو لنفعه كما لنفعهم لكنهم إن رأوا. إنه لا يتكلم من كرسي المعلم، لكن من وسط المزبلة، لعله يجد نفعاً له وهو يتكلم بروح هادئة في جو من الهوء!

❖ عندما ينطق الصالحون يلاحظون أمرين في حديثهم: أن يكون الحديث لنفعهم هم ولسامعيهم أو لنفعهم وحدهم إن لم يكن ممكناً أن يكون لنفع السامعين. عندما تُسمع الأمور الصالحة التي ينطقون بها بهدف صالح، ينتفعون بها هم وسامعهم، ولكن إن سخر بهم سامعهم ينتفعون هم بها لأنهم تجنبوا خطية الصمت (على الخطأ)... وهكذا إن كان أصدقؤه وغيون في التعليم فليسمعوا، وإن كانوا مستعدي ن للسخرية فليحتملوا ما يُقال، فإن التعليم المقدم في تواضعٍ لذهنٍ منكبرٍ له وزنه الخطير والشاق.

❖ يقول: "أسالكم"، مظهراً كيف يتكلم بتواضع، إذ يتوسل إلى أشخاصٍ يبنتلعم الكرياء ضده، وذلك لكي يودهم إلى التفكير في تعليم الحق المُتقد. القديسون الذين في حظوة الكنيسة الجامعة مستعدون ليس فقط لتعليم ما هو حق، بل وأن يحتملوا ما يُملس ضدهم ولا يخشون السخرية بهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ التواضع يجذب نعمة الله إلى النفس... وهذه تعتقها من هذين الألمين الخطيرين (الغضب على الغير أو غضب الغير علينا)، لأنه أي شيء أخطر من أن تغضب من أخيك أو تُغضبه؟! ولكن ماذا أقول: هل التواضع يحرر النفس من هذين الألمين فقط؟ لا بل ويحررها من كل ألم (شهوة) وكل تجربة. عندما رأي القديس أنطونيوس شباك الشيطان منصوبة، تنهد وسأل الله قائلاً: "من يقدر أن يهرب منها؟" فأجابه الله: "المواضع يهرب منها... بل ولا تقدر أن تقرب إليه".

❖ رأيت قوة هذه الفضيلة؟! حقاً إنه لا يوجد أعظم من التواضع، لأنه لا يوجد شيء يقدر أن يغلبه. فإن حلت بعض الأخوان بإنسانٍ مواضعٍ للحال يلوم نفسه على أنه يستحقها، ولا يلوم غيره أو يوبخه. وهكذا فإنه يحتمل كل ما قد يحدث به بهوءٍ كاملٍ، دون أن يضطرب أو يحزن. بهذا لا يغضب من أحدٍ ولا يُغضب أحداً.

الأب دوروثيوس

❖ إن كان أيوب لم يشغله أن يسخر منهُ، قائلاً: "وبعد كلامي استهزئوا"، فإن الرسول بولس رأى سيده قد قبل السخرية والاستهزاء بوج من أجل خلاص العالم (لو 23: 35؛ عب 13: 13). كما يقول عن موسى النبي: "بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يُدعى ابن ابنة فوعن... حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خرائن مصر" (عب 11: 24، 26). ويتحدث عن الوسل: "كأننا محكوم علينا بالموت، لأننا صرنا منظراً للعالم، للملائكة والناس" (1 كو 4: 9). "يفتوى علينا فنعض، صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن" (1 كو 4: 13).

❖ يأمرنا المسيح أن نحتمل الإهانات بوداعة، لكي ننمو في الفضيلة، ونجعل المقاومين في خوي (مت 5: 10-12). هذا الأمر يتحقق لا بتوبيخنا لهم، بل بالصمت ^[969].

❖ يقول بولس إن النقطة الرئيسية ليس أنه هو وزملاءه الوسل يتألمون، فإن هذا أمر عام بالنسبة للجميع. لكن ما هو مزيد في الوسل أنهم يتألمون بلا بأسٍ ولا غضبٍ، بل على العكس هم مملوعون فرحاً، بهذا يؤكثون أن الشرور التي تحل بهم تتحول للخير ^[970].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين يحبون المسيح ليسوا جهالاً كما يظنهم العالم (1 كو 4: 10) ^[971].

الأب أميروسياستر

أَمَا أَنَا فَهَلْ شَكُوَايَ مِنْ إِنْسَانٍ.

وَإِنْ كَانَتْ، فَلِمَ أَدَا لَا تَضِيقُ رُوحِي؟ [4]

يؤكد لهم أنه لا يقدم شكواه إلى إنسانٍ، لأن هذا غير مُجَدِّ. إنما يقدم شكواه لله، وإليه يستأنف الحكم. هو القاضي والديان، فاحص القلوب والكلِّى، أمامه يقف كل بشرٍ على قدم المساواة، ينصت إلى الجميع، ويهتم بالكل.

يؤكد لهم لو أن شكواه مقدمة لإنسانٍ لآذعت روحه في داخله، لأن الإنسان قد لا يبالي بأخيه، ولا يبرك ما في قلبه ونيتته، فيصدر حكماً غير عادلٍ. أما الله فطويل الأناة يسمع للإنسان، ويعامله بحنوٍ. فإلى الله يرفع المؤمن شكواه لا للنقمة من مقاوميه، وإنما لكي يرضي الله لا الناس. يقول داود النبي: " لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيةً أمامك يا رب، صخرتي ووليي" (مز 19: 14). ويقول الرسول بولس: أفأستعطف الآن الناس أم الله، أم أطلب أن أَرْضِي الناس، فلو كنت بعد رَضِي الناس لم أكن عبداً للمسيح" (غل 1: 10).

❖ "أفأستعطف الآن الناس أم الله؟... فلو كنت بعد رَضِي الناس لم أكن عبداً للمسيح" (غل 1: 10)... ليتنا لا نظن أن الرسول يعلمنا خلال الاقتداء به الاستخفاف بأحكام الآخرين... لكن إن حدث أنه يمكننا لرضاء الآخرين والله، فلنرضي الآخرين... لكن بقوله: "الآن" أوجت بصفة خاصة هنا ليُظهر أن الناس يرضون أو لا يرضون حسب الظروف (وليس حسب الحق) [972].

القديس جيروم

❖ عندما يرضي أحد الآخرين من أجل الحق، فإنه الذي يرضى هو الحق لا الذي أعلنه [973].

القديس أغسطينوس

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن في عتابه لأصدقائه بأن الحوار معهم أزن قلبه، فضاقت روحه، اعترف ضمني بضعفه البشري. فمن يركز عينيه على الله لا يمكن للحن أن يتسلل إلى قلبه، ولا الضيق إلى روحه. فانه مصدر الراح يرفع القلب إلى ما فوق الأخوان أيًا كان مصورها، ويهب الروح اتساعاً.

❖ من يطلب أن يسر الله لا يكون لاستياء الإنسان منه أي أساس لحنه. فإن كان في لرضاء الإنسان لا يرضي الله، أو يظن أنه لا يرضي كلاً من الله والإنسان معاً، فإن الحزن لا يحل عليه، لأنه قد أكد أنه غريب عن سمو الحكمة. الآن فإن الطوبوي أيوب يعترف أنه لم يرض الله في وسط ضرباته، ولهذا عاد بعقله إلى الحزن.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَفَرَّسُوا فِيَّ وَتَعَجَّبُوا،

وَضَعُوا الْيَدَ عَلَى الْفَمِ [5].

كلما كان أيوب يفكر في قضيت ه يقف في ذهولٍ ورجدةٍ . كلما تذكر الأحداث المتواليّة بسوعة غير طبيعية، والضربات التي حلت به من كل جانب تتنابه رجدة. إنه حائر، غير قادر على تفسير ما حلّ به.

❖ تأملوا فيما أفعله، وت عجبوا مما أعانيه من الضربات. بعد ذلك يقول: " وضعوا أصابعكم على فمكم". وكأنه يقول بصراحة: إذ تعلمون الأمور الصالحة التي أمرسها، وتنتظرون الآلام التي أسقط تحتها، تحفّظوا من أن تخطئوا بالكلمات، بسبب ضرباتي، لكن ل تخشوا من جراحاتكم... يليق الحذر بالأصابع. لذلك قيل بالموئل: "مبارك الرب إلهي الذي يعلم يدي القتال، وأصابعي الحرب" (مز 144: 1). يشير بالأيدي إلى العمل وبالأصابع إلى التعقل.

البابا غريغوريوس (الكبير)

تطالب الكنيسة أهل العالم أن يتفوّسوا فيها، فلا يحكموا عليها بتسوّع، بل يؤمهم أن يفكروا في روية وتعقّل. يرون وراء ضيق الكنيسة الشديد

والاضطهادات المنصبة عليها سلام الله الفائق الذي يملأ كيانها، وخطة الله العجيبة من نورها، وعمل الله خلال آلامها لتحقيق رسالتها وشهادتها لإنجيله الموح. تطالب الكنيسة الذين في الخراج أن يضعوا أيديهم على أفواههم في تعجبٍ أمام الحقيقة المدهشة: عمل الله الفائق في كنيسته المتألّمة.

❖ يقول بولس: إذ أُسر بهذه الجراحات "أحمل في جسدي سمات المسيح" (راجع غل 6: 17). لقد خضع بطيب خاطرٍ لضعفاته في كل هذه المتاعب، حيث تكمل قوة المسيح في الفضيلة (راجع 2 كو 4: 10؛ 12: 9) [974].

القدّيس غريغوريوس النيسي

❖ جميلة هي قيود بولس! [975]

❖ لقد تألم من أجل أعدائه. هذه هي التقدمة ذات الرائحة الزكية، الذبيحة المقبولة. وأنتم إن تألمتم من أجل أعدائكم كتقدمة زكية تصيرون ذبيحة مقبولة، حتى إن منم. هذا ما يعنيه بقوله تمتلوا بالله (أف 5: 1) [976].

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

أفاض الآباء في الحديث عن عمل احتمال الآلام والإهانات والسخرية بؤح، ليس فقط في حياة المتألّم، وإنما أيضًا في حياة الساخرين أنفسهم. وقد طبّق القدّيس يوحنا الذهبي الفم ذلك على علاقة الرجل بزوجه متى كانت تسبب له آلامًا، إذ يقول: [حتى إن الترم الأمر أن تقدم حياتك لأجلها فلا ترفض ذلك. وإن الترم الأمر أن تحل بك متاعب لا حصر لها من أجلها، وتعاني كل أنواع الآلام والمتاعب، لا ترفض. فإنك وإن احتملت كل هذا لا تزال لم تفعل ما صنعه المسيح لأجل الكنيسة... وإن رأيتها تتطلع إليك باستخفافٍ، دائمة الشكوى مع احتقرها لك فإنك تستطيع أن تكسبها بحبك العظيم وحنوّك عليها] [977].

2. رخاء الأثوار

عندما أتذكر رناع،

وأخذ جسدي رعدة [6].

لماذا تخيا الأثوار ويثيخون؟

نعم ويثجرون هوة [7].

أفاض الأصدقاء الثلاثة في الحديث عما يحل بالأثوار من نكبات وبؤس، أما أيوب فيدهش وينتاب جسده رعدة لما واه أحيانًا من تمتع الأثوار بالخيرات حتى بلوغهم الشيخوخة، ولما ينالونه من قوة وسلطة وهم في تجبرٍ وقسوةٍ على الغير.

لا ينكر أيوب حدوث هذا مع الأثوار أحيانًا. إنهم يحيون وهم سالمون (1 صم 25: 6)، بل وتمتد حياتهم حتى الشيخوخة، ويصير لهم أبناء وأحفاد، ويجمعون ثروات ضخمة، فنسمع في سفر إشعياء "الخاطئ يُلعن ابن مئة سنة" (إش 65: 20). ليس فقط قد تمتد أعمالهم إلى الشيخوخة وإنما "يتجبرون قوة"، أي يرتفعون إلى مناصب السلطة والرئاسة.

يسيء بعض الأثوار فهم طول أناة الله عليهم، ويحزننا الكتاب المقدس من ذلك: "لا تقل قد أخطأت فأني سوء أصابني؟ فإن الرب طويل الأناة" (سواخ 5: 4). "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو 2: 4).

❖ إن كنا لا نسقط تحت تأديب ولأنا مستورين في سلوكنا ذاته، فلنستخدم كلمة الرسول التي تسحونا: "إن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة، ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب" (رو 2: 4-5) [978].

❖ "غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة، ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب" (رو 2: 4-5). إن قلبك قد تقسّى مثل قلب فوعن، لأن عقوبتك قد تأجلت، ولم تُضوب في الحال! أرسلت الضربات العثرة على فوعن ليس كما من الله الغضوب،

وإنما كما من أب يحذر، وقد طال يوم الحنو عليه حتى رجع عن توبته (بعد كل ضوبة). لكن حلّ به القصاص عندما اقتفى أثر الشعب في الروية، وفي حماسه دخل أيضًا البحر نفسه وراءهم. فكان هذا الطويق الذي به يتعلم النرس أنه كان يؤرم أن يهاب الله الذي تطيعه حتى عناصر

الطبيعة [979].

القديس جيروم

يستخدم القديس جيروم هذه العبارة (رو 2: 4) في الرد على أتباع بيلاجيوس ليؤكد تقديس الله واهتمامه بحرية الإرادة الإنسانية، فمع سبق معرفة الله عن الشرير الذي يستهين بطول أناته ولطفه، لكنّه يقدم له الحنو العظيم والرحمة في طول أناة يعطيه الفوصة للتوبة، فإذ يستهين الشرير بذلك لا يكون السبب هو معرفة الله السابقة لاستهانته، وإنما إصوار الشرير على شوه [980].

يطالبنا القديس أمبروسيوس ألاّ نحكم على البشر حسب الخوات المقدمة لهم من قبل مواعظ الله الذي بالحق يعتني بالكل؛ لأن هذا لا يعني أن الله لا يبالي بتصرفاتهم، أو أنه يجهل ما يفعلونه سواء، أو لا يبرك ما في ضمائرهم، لكن ما يؤكد أنه مع فيض الخوات التي توهب للأشوار إلا أنهم بائسون لا يعرفون السعادة [981].

نَسَلُهُمْ قَاتِمٌ أَمَامَهُمْ مَعَهُمْ،

وَنَرِيَّتُهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ [8].

يشير أيوب إلى بعض الخطاة الذين يتمتعون بروية نسلهم المتكاثرة.

كثيرًا ما ينشغل المؤمنون وأيضًا حتى غير المؤمنين بالتساؤل: لماذا يسمح الله للأشوار بالصحة وطول العمر والغنى، وأيضًا التمتع بالسلطة والراكز القيادية. هذا مع تمتعهم بروية نسلهم يشركونهم كل هذه البركات الوهمية. فإن الإنسان بسبب قصر حياته يظن أن عدالة الله يؤرم أن تتحقق في هذا العالم، وبصعب عليه أن ينتظر يوم الرب العظيم لوى تحقيق العدالة الإلهية. هذا وأنه يصعب للفكر البشري أن يتقبل طول أناة الله الفائقة، الذي ينتظر رجوع الأشوار عن شؤرهم والعودة إلى الأحضان الإلهية.

❖ يقدم أيوب إعلانه هذا لأصدقائه: "إن كنت أعاني من هذا الطويق بسبب خطاياي، فلماذا يحيا الأشوار؟ إنهم يشيخون في غنى أيضًا، نسلهم حسب مسرتهم، نريتهم أمام أعينهم، بيوتهم في رخاء، ليس فيهم خوف، لا تسقط عليهم عصا الله" [982].

القديس أمبروسيوس

بُيُوتُهُمْ آمَنَةٌ مِنَ الْخُوفِ،

وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ عَصَا اللَّهِ [9].

إن كان صوفر قد أشار إلى مخاوف الخطاة المستورة وازعاجهم الدائم، إلا أن أيوب يشير إلى بعض الخطاة الذين يحظون ببيوت آمنة من المخاطر والمخوف، والذين لا يمد الله عصاه عليهم.

إذ تتشغل قلوب الأشوار بالبيوت المصنوعة من الطين والحجرة، وما تضمه من أثاثات، وما يُحفظ فيها من كنوز، يعطيهم الرب سؤل قلوبهم، فيهبهم السلام الوهمي المؤقت، ولا يقرب أحد إلى ممتلكاتهم وكنوزهم. أما الأوار فإن ما يشغلهم البيت السموي والمسكن العلوية، فيعطيهم الرب أيضًا سؤل قلوبهم. الأولون ينالون بفيض من البركات الوهمية والأمان الوهمي، بينما الآخرون ينالون موائدًا أبدية لا يفسد ولا يفنى، ومجدًا سمويًا خالدًا. إنهم يتهللون، إذ يسمعون الصوت الإلهي: "أنا أمضي لأعد لكم مكانًا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانًا آتي وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا معي" (يو 14: 2-3). لهذا يقول الموتل: "يعطيك (الرب) سؤل قلبك" (مز 37: 4). "شهوة قلبه أعطيته، وملتصم شفثيه لم تمنعه سلاه" (مز 21: 2).

تَوْرَهُمْ يُلْفَعُ وَلَا يَخْطَى،

بِقَرْتُهُمْ تَنْتَجُ وَلَا تُسْقِطُ [10].

بعض الخطاة أغنياء ومقتنياتهم في ورايد، حتى ثوانهم تتجح في تلقيح البقر لكي تحبل وتلد بكثرة، وحيواناتهم تتكاثر ولا تموت سريعاً بأمراض مفاجئة.

شهوة قلب الشوير أن تلد حيواناته الكثير، ولا يكون بينها سقطواحد. أما أولاد الله فشهوة قلوبهم أن يتمتعوا بأبناء كثيرين في الرب، ولا يكون بينهم أحد هالكا. إنهم يتوقبون يوم الرب ليتنموا: "هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب" (إش 8: 18).

أولاد الله ليس بينهم عقيم، بل الكل متائم، أي يلد كثيرين. ففي خطاب الرسول بطرس يوم العنصرة إنضم إلى الكنيسة حوالي ثلاثة آلاف قبلوا الإيمان، وقدموا توبة، وتمتعوا بالميلاد الجديد بالمعمودية. ففي يوم واحد صار لبطرس الرسول آلاف من الأبناء ولدهم بإنجيل المسيح. وماذا نقول عن الرسول بولس الذي يكاد كل يوم أن يضم كثيرين إلى حظوة الإيمان خلال كرازته بالقلب الناري الملتهب. إنه لا يكف عن أن يلد حتى وسط القيود، فيقول عن العبد الهارب اللص أنسيموس: "ولدتته في قيودي" (فل 10).

إن كانت الحيوانات في الكتاب المقدس غالباً ما تشير إلى الجسد، فإن ما يشغل أهل العالم هو الأمور الجسدية لا الروحية. ينشغل الشوير ولادة الحيوانات، وينشغل المؤمن الحقيقي بميلاد البشر الروحي ليصيروا أبناء الله القديس، حتى وإن كانت التكلفة هي القيود والسجن أو الموت.

❖ كان أنسيموس يستحق كرامة عظيمة، إذ وُلد في صواعات بولس نفسها، في محنة من أجل المسيح [983].
❖ لاحظوا التهاب قلب بولس. لقد كرز بالإنجيل وهو مقيد وتحت الجلد. آه، يا لطوباوية القيود، كيف تعمل بجهدٍ عظيم في تلك الليلة، وكيف ولدت أبناء! حقاً يقول عنهم: "قد ولدتهم في قيودي".

لاحظوا كيف يتمجد بولس! قد صار له أبناء خلال هذا الطريق يُحسبون في شهوة عظيمة.

يا لمجد هذه القيود التي لا يُعبر عنها، إذ تهب بهاءً ليس فقط للذين ولدهم، بل وللذين وُلوا بواسطته في هذه الظروف [984].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يُسْرِحُونَ مِثْلَ الْغَنَمِ رُضْعَهُمْ،

وَأَطْفَالَهُمْ تَرْقُصُ [11].

يَحْمِلُونَ الدَّفَّ وَالْعُودَ،

وَيُطْرِبُونَ بِصَوْتِ الْمَزْمَارِ [12].

يحيون هم وأبنؤهم، يزداد عدد الأطفال الصغار حتى يسيروا بين جوانهم كالغنم بلا عدد، ويقضي الأطفال أوقاتهم في رقصٍ وروح. يعزف الكبار على آلات الموسيقى ويرقص الصغار. لا ينشغل الآباء بسلوك ولدهم في طويق الرب كما أوصى إواهم أبناءه (تك 18: 19)، ولا يحثونهم على العبادة لله، بل كل ما يشغلهم هو اللهو والطرب والتمتع بالملذات الزمنية.

كثيراً ما حذر القديس يوحنا الذهبي الفم الوالدين من الإهمال في تربية أبنائهما، مظهراً مدى خطورة هذه الخطية التي يحسبها أحد الخطايا الخطوة للغاية، فلم يتردد عن أن يدعوها قتلًا للأطفال.

❖ لا يأتي فساد الأطفال من فراغ، بل من الجنون الذي يلحق بالآباء نحو الاهتمامات الأرضية. الاهتمام بالأرضيات وحدها، واعتبار كل شيء غوها ليس بذى قيمة، يدفعهم لارادياً نحو إهمال نفوس أطفالهم. أقول، إن هؤلاء الآباء (لا يظن أحد أن هذه الكلمات تتولد في غضب)، أشر من قتلة الأبناء. الأول يفصل الجسم من النفس، أما الآخر فيطوح كليهما معاً في نوان جهنم. الموت أمر محتم حسب النظام الطبيعي، أما المصير الثاني فيمكن للآباء تجنبه لو لم يؤد إهمال الآباء إليه. الموت الجسماني يمكن أن ينتهي في لحظة بالقيامة حينما تحل، لكن لا توجد مكافأة تنتظر النفس

المفقودة. إنها لا تتعم بالقيامة، بل تعاني آلاماً أبدية. هذا يعني أنه ليس بغير عدلٍ ندعو هؤلاء الآباء أشر من قتلة الأبناء. إنه ليس بالأمر القاسي أن تسن سيفاً وتمسك به باليد اليمنى لتغرسه في قلب طفلٍ مثلما أن تحطم النفس وتذلها، فإنه ليس من شيء يعادل النفس [985].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يظن الأثوار أنهم ينعمون بالحياة من أجل كؤة أبنائهم، دون مبالاة بسلوكهم وحياتهم الداخلية وتمتعهم بالمجد الأبدى. أما الأوار فيشعرون أنهم مع أسوهم مُحاطون بالقديسين كسحابةٍ خفيفة سماوية، لهم شوكه مع الآباء والأنبياء والرسل والشهداء وكل المؤمنين سواء الذين رحلوا أو المعاصرين لهم، بل ولهم شركة مع الطغمت السمانية. حياتهم وليمة سماوية لا تتقطع، وعيدٍ موحٍ على مستوى فائق! تتحول قلوبهم وأفكرهم إلى أوتارٍ لقبيرات روحية، يغرف عليها روح الله القتوس، فتنهل السماء، ويوح السمانيون بأناشيد الفوح الروحي.

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ.

فِي لَحْظَةٍ يَهْبُطُونَ إِلَى الْهَلْوِيَةِ [13].

مع هذا كله فهم ناجحون، يقضون أيامهم في رغد الحياة؛ ليس للفقر موضع عندهم.

أما عن ثوة شورهم ففي لحظة يهبطون إلى الهلوية، دون إنذار. لعله يقصد أنهم أحياناً في موتهم لا يعانون من أواض مستعصية وآلام، وإنما في لحظة يموتون ويهبطون إلى القبر. وكما يقول الموتل: "بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون" (مز 37: 10). كما يقول الحكيم: "كعبور الزوبعة، فلا يكون الشرير، أما الصديق فأساس موبد" (أم 10: 25).

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الحديث هنا لا يعني بالضرورة سقوط الأثوار في لحظات، وانهيلهم، وفقدانهم للخوات الزمنية، إنما قد يعني أن ما يتمتعون به في هذا العالم مهما طالحت حياتهم إنما يتمتعون كما إلى لحظة، حيث يعبر العمر كله في لحظة، فيجوا أنفسهم أمام الديان، وقد أعوا لأنفسهم طريق الهلوية أو جهنم الأبدية.

❖ نعم، أيها الطوبوي، لقد أسهبت في وصف مباحهم. كيف تعلن الآن أنهم في لحظة يهبطون إلى الهلوية، إلا لأن كل هذا الزمن الطويل لحياتهم الحاضرة ي عرف أنه ليس إلا لحظة عندما تبلغ إلى النهاية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . إساءة الأثوار للخوات

فَيَقُولُونَ لِلَّهِ: ابْعُدْ عَنَّا.

وَبِمَعْرِفَةِ طَرَفِكَ لَا نَسْرُ [14].

يسيء الأثوار استخدام كل ما وُهب لهم من غنى أو سلطة أو نجاح، ويبلغ بهم الأمر إلى تحدي الله نفسه ورفض الوصية. يؤعون من حضوة الله. "يقولون لله: أبعد عنا". لا يريدون أن زعوا أنفسهم بأنهم تحت عينيه، ولا يودون أن يصددهم الخوف منه عن تفكوهم. يشعرون بأنهم ليسوا في حاجة إليه، ويفوضون معرفته التي لا يجنون فيها أية مسوة، إذ معرفته توبخهم على تعودهم وكما يقول السيد المسيح " وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شورة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لنلا توبخ أعماله" (يو 3: 19-20). وفي يوم الرب يهبهم الرب سؤل قلوبهم، إذ يقول لهم: "أبعدا عني... لأنني لا أعرفكم" (مت 25: 41). فمن لا يحتمل رؤية الله بالإيمان هنا في هذا العالم، لن يقدر أن يحتمل رؤيته في يوم الدين. "يقولون للجبال أسقطي علينا، وللاكام غطينا من وجه الجالس على العرش" (هو 10: 8؛ لو 23: 30). "ينظرون إليّ الذي طعوه وينوحون عليه" (ك 12: 10).

يتهلل كل كيان المؤمن الحقيقي بروية ذلك الذي اشتهى أن يلتقي معه وجهاً لوجه (1 كو 13: 12)، أما الشوير فلا يحتمل البقاء أمام الله، بل

تُخرجه أعماله إلى الظلمة الخرجية.

لا يُسر الأثوار بمعرفة طوق الله، ولا يُسر الله بطوق الأثوار. فإن الظلمة لا تطيق النور، والنور لا يُسر بالظلمة. وكما يقول الرسول بولس:

"لأنه أية خلطة للبرّ والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟" (2 كو 6: 14)

❖ "فيقولون لله: أبعده عنا!" لا يجسر حتى الأعبياء أن يقولوا هذا بالكلام، ومع هذا فإن كل الأثوار يقولون لله بسلوكهم لا بكلماتهم: "أبعده عنا". فإن

الذين يملسون أعمالاً يمنعها الله القدير ماذا يفعلون سوى أنهم يغلقون أنفسهم ضد القدير؟ كما أن التفكير في وصاياه هو دخول الله في الإنسان، هكذا

مقلومة وصاياه هي إبعاد الله عن السكنى في القلب...

"فإننا لا نُسر بمعرفة طرقك"، الأمر هكذا: إنهم لا يباليون أن يطلوا معرفته.

يقول الحق: "وأما ذلك العبد الذي يعلم رادة سيده، ولا يستعد، ولا يفعل رادته، فيضوب كثيراً، ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضوبات

يضوب قليلاً" (لو 12: 46-47). يختار البعض ألا يعرفوا ما ينبغي أن يفعلوه، ويحسبون أنهم يضبون أقل إن كانوا يجهلون ما ينبغي أن يفعلوه.

لكن أن لا يعلم شيء، وأن يختار الإنسان ألا يعلم شيء آخر. فإن البعض يريدون أن يعلموا لكنهم غير قادرين، هؤلاء لا يعلمون. أما الذي يُبعد

أذنه عن صوت الحق حتى لا يعلم، فمثل هذا ليس في جهل بل هو مستخف.

الآن "طريق" الله هو السلام، طريق الله هو التواضع، طريق الله هو طول الأناة. لكن الأثوار لا يباليون بهذا كله، ويقولون: "لا نُسر بمعرفة

طرقك". أنهم يتشامخون في كروياء في هذه الحياة. أنهم مُبتلعون بالكوامات حتى يقتوها، فإنهم يطعمون فيها. إنهم يتجاهلون طرق الله في أفكار قلوبهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الجالس في الظلمة في الليل لا يجري وراء نور الشمس مادام لا واهها. ولكن حين يحل الفجر ويبدأ بهاء الشمس يشرق عليه للحال يتبع نورها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "فإننا ننظر الآن في وراة، في لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه (1 كو 13: 12). هذا ما واه فعلاً الملائكة الذين يُدعون ملائكتنا. إنهم ملائكتنا بمعنى

أنه ما أن نخلص من قوة الظلمة، حتى ننال عيون الروح وننتقل إلى ملكوت المسيح، فنبداً ننتسب للملائكة [986]."

القديس أغسطينوس

مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ،

وَمَاذَا نَنْتَفِعُ إِنْ التَّمَسَّنَاهُ! [15].

في جسرلة غير لائقة يحتجون عليه قائلين: "من هو القدير حتى نعبد؟ وماذا ننتفع إن التمسناه؟" يتشبهون بوعون القائل: "من هو الرب حتى

أسمع لقوله؟" (خر 5: 2) يرون في الله شخصية مجهولة ينسب البعض له القوة مع أنه في نظرهم لا ينفع في شيء، لذا لا يريدون أن يكون له شأن

بهم، ولا هم لهم شأن به.

يتطلعون إلى العبادة كواجب سقيم ال حمل، أو كوع من العبودية الشاقة، إذ يتساءلون: "حتى نعبد؟" ينظرون أنهم سادة أقوياء مقتدرون لا

يقبلون الخوع لله: "لماذا قال شعبي قد شردنا (نحن أسياد)، لا نجيء إليك بعد" (إر 2: 31).

يقولون: "عبادة الله باظلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره..." (مل 3: 13-14)، فلا حاجة للالتجاء إلى الله، فإن الصلاة في نظرهم لا نفع

لها، بل هي مضيعة للوقت والطاقة.

قد يورك الأثوار بفكرهم قوة الله، ويعرفون إمكانية عمله في حياة البشر، لكن خلال تمتعهم بالملاذات الجسدية وانشغالهم بمباهج العالم يسكنون

ضماؤهم بالادعاء أن الله يتجاهل البشرية، ولا يورك حقيقة احتياجاتهم، فيظهر كمن هو في ضعفٍ وعجز عن مساندهم. هذا ومن جانب آخر فإن

الوقت بالنسبة لهم ثمين لجمع ثروات ونوال كرامات زمنية موضوع حبههم. كل عبادة لله – في نظرهم – هي مضيعة للوقت. هذا ويتذمرون لأن الله

كثوًا ما يؤجل استجابة طلباتهم حتى يهبهم ما هو حسب فكره الإلهي أن يقتتوه هو، خالق كل العطايا والخوات.

❖ إذ يتوجه ذهن الإنسان بيؤس نحو الخرج، ينغمس في ملذات الأمور الجسدية، فلا يعود إلى أعماقه، ولا يقدر أن يفكر في ذلك الغير منظور... هكذا مكتوب: "قال الجاهل في قلبه، ليس إله" (مز 14: 1؛ 53: 1)...

كثوًا ما يحدث أن يجعل الناس هدفهم أن يخدموا بالأكثر زملاءهم المخلوقين الذين يرونهم بالبصر الجسدي عن أن يخدموا الله الذي لا يرونه. فإنهم في كل ما يفعلونه، يمتنون إلى حيث تبلغ عيونهم، وإذ لا يستطيعون أن يبلغوا إلى الله بعيونهم، إما يستخفون بتقديم الولاء له، أو إذا ما بدؤا في ذلك يمتلئون قلقًا...

ولكن عندما ينسحب من أمامهم ما هو منظور... فإن أعين الجسد بالحق تكون مفتوحة لكنهم لا يقرون أن يروا أو يدركوا... يذهب عنهم الإحساس بالصبر، لأن الساكن فيهم قد تركهم، وبقي بيت الجسد فلغًا. الروح غير المنظورة التي اعتادت أن ترى خلال نوافذ الجسد قدر حلت. لهذا فإن الأمور غير المنظورة أفضل من المنظورة. يليق بكل الجسديين أن يبلغوا إلى قوارٍ من أجل أنفسهم، وبسلم التأمل يصعدون إلى الله. إنه هو الله في كونه يبقى غير منظورٍ، ويستمر السامي حيث لا يمكن إراكه. لكن يوجد البعض الذين لا يشكون في أن الله موجود، وأنه لا يمكن إراكه، لكنهم يطلبون منه ولا يطلبونه هو، إنما يطلبون عطايه الخرجية.

"وماذا نتفعل إن صلينا إليه". أثناء الصلاة إن لم يكن الله نفسه هو موضوع طلبتنا، يضطرب ذهن للحال في الصلاة... يشناق الله أن يكون هو نفسه المحبوب أكثر من الأمور التي خلقها، وأن تطلب الأمور الأبدية لا الأمور الوقتية. كما هو مكتوب: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تؤاد لكم" (مت 6: 33).

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا لَيْسَ فِي يَدِهِمْ خَوْهُمْ.

لِتَبْعُدَ عَنِّي مَشْوَرَةُ الْأَشْوَارِ [16].

لن يقبلوا الإيمان بأن ما في أيديهم هو هبة الله لهم، إنما يظنون أنها من صنع أيديهم، وثروة تعبهم وذكائهم وتخطيطاتهم. بهذا يغلقون قلوبهم على إخوتهم المحتاجين، حاسبين أن العطاء لهم هو سلب لممتلكاتهم، وتبديد لما جاهوا فيه. يتمسكون بما لديهم حتى لا يضيعون الخوات من أيديهم. ❖ يتخيل الإنسان الغني عادة أنه لا يوتكب أية خطية مادام لا يسلب الفقير ماديًا. لكن تكمن خطية الغني في عدم مشركته ثروته مع الفقير. احتفاظ الغني بكل ثروته يعني في الواقع ارتكاب نوعٍ من السرقة. والسبب الحقيقي هو أن كل الغنى من الله، فهو ملك الجميع بالتسوي... والدليل على ذلك يحيط بنا في كل مكان.

أنظر إلى الفاكهة النضرة التي تنتجها الأشجار والأدغال.

أنظر إلى التربة الخصبة التي تعطي كل عام حصادًا وفيرًا هكذا.

أنظر إلى العنب الحلو على العناقيد الذي يمنحنا الخمر لنشوبه...

ربما يدعى الأغنياء أنهم يمتلكون الكثير من الأراضي حيث تنمو الثمار والحبوب، لكن الله هو الذي يجعل البوة تنبت وتتضج. فواجب الأغنياء

[987]

أن يشركوا كل حصاد أرضهم مع كل من يعمل فيها، ومع كل من له احتياج.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقدمون هذه الروح لنسلمهم وأصدقائهم فيسلكون في ذات الاتجاه، أما أيوب فيعلن: " لتبعد عني مشورة الأشوار".

4. طول أناة الله عليهم

كَمْ مَرَّةً يَنْطَفِئُ سَوَاجُ الْأَشْوَارِ،

وَيَأْتِي عَلَيْهِمْ بَوْلُهُمْ،

أَوْ يَفْسِمُ لَهُمْ وُجَاعًا فِي غَضَبِهِ [17].

إذ تحدث أيوب بإفاضة عن نجاح الأشوار في هذا العالم يعود فيسأل: " كم مرة ينطفئ سواج الأشوار؟ " أما ترونه مرًا كثرة يشتعل حتى يتم احتراق شريط الاشتعال، وبعد ذلك ينطفئ تلقائيًا؟

❖ كم مرة ترون أنه "يأتي عليهم بولهم أو يقسم الله لهم وُجَاعًا في غضبه؟ ألا ترون أنه كثرة ما استموت أواحهم ورفاهيتهم حتى النهاية؟ يموت البار وهو في قوة بساطته، وفي كامل سيادته على رادته، له نفس ممتلئة كما من موج . أما الخاطي وإن كان في رغد العيش، توح منه العطور الذكية يختم حياته في مرة نفسه، ويجتاز يومه الأخير دون أن يأخذ شيئًا من الخوات التي تتعم بها يومًا ما، لا يحمل شيئًا سوى أجرة شوه [988].

❖ يجيب القديس أيوب: لا تظنوا أنكم سعداء وأنتم منغمسون في الملذات، لأن ضوبات الله لم تحل عليكم في هذه الحياة. " سواج الأشوار ينطفئ". إنه يعطي ضوءً إلى زمنٍ ، لكنه لا يحمل نورًا أبدًا. وبالرغم من أن العالم يحيا في مثل هؤلاء الناس لأنهم يملسون رادة الله صاحب السلطان على العالم (يو 14: 30)، لكن عادة ما تحل لحظة التحول في الأحداث، حيث تأتي الأخوان من قبل غضب السماء وسخطها، حيث يُغوبل الأشوار " كالتبن قدام الريح ". يُغوبل الظالمون كالفقير، والأوار كحنتبة. التفقوا إلى الوب القائل لبطوس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغوبلكم كالحنتبة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو 22: 31: 32) [989].

القديس أمبروسيوس

يعتز المؤمن بكلمة الله بكونها السواج الذي ينير له الطريق، حيث يعبر خلالها إلى حضن الآب ليتمتع بالأمجاد على مسوى أبدى. أما الثوير فوى في الغنى أو السلطة أو التمتع بالملذات الجسدية سواجه الذي يدفع به لا إلى مملكة النور، بل سواجًا يضلله ويدخل به إلى مملكة الظلمة. وكما يقول الرسول بولس إنه حتى الشيطان يظهر كملاكٍ منيرٍ، ليخدع المؤمنين، لعله يأسوهم تحت سلطانه، فيصيروا أبناء ظلمة. لكن خداعات عدو الخير لن تثبت أمام رجال الإيمان بل تتبدد، كما ينطفئ السواج!

❖ غالبًا ما يظن الثوير أن المولد الأرضية بالنسبة له مثل سواج عظيم بالنسبة للنور، لكن إذ يحل به الدمار يفقد الغنى الذي أحبه أكثر من نفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْ يَكُونُونَ كَالْتَبْنِ قُدَّامِ الرِّيحِ،

وَكَالْعَصَافَةَ الَّتِي تَسْرِقُهَا الزُّوبَعَةُ [18].

وى أيوب أنه لا يعني حديثه عن نجاح الأشوار أنهم بالحق ناجحون، فهم كالتبن قدام الريح، وكالعُ صافة التي تسوقها الزوبعة. أنهم تافهون يفقدون كل قيمة، مهياؤن للدمار، فيتعرضون له في عز مجدهم وسطوتهم.

❖ حين وى الثوير في قوة، وحين يكون كمن ليس له من ضابطٍ أو مُقاومٍ لأعماله العنيفة، يحسبه الضعفاء كالصابرة (تقل يستخدم لموزنة السفينة أو المنطاد). وأنه متأصل في هذا العالم. ولكن إذ يأتي الحكم الحزم من قبل الديان، "يكون الأشوار كالتبن قدام الريح"... وكالو ماد الذي تنثوه الزوبعة". حياة الإنسان الثوير في عيني القدير مثل الواد، هذا الذي قد يبدو أ خضر إلى لحظة، لكنه وى كمن قد تبدد بالحكم الإلهي، يُتوك جانبًا للاحتراق الأبدى. هذا الواد تبدده الزوبعة. في هذا "يأتي إلهنا ولا يصمت. نار قدامه تأكل، وحوله عاصف جدًا" (مز 50: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

الريح الذي لا غنى للأشجار عنه لكي تتعمق جنورها وتكثر ثمرها، هو بعينه الذي يبدد التبن وينثر العصافة، فلا يكون لها موضع استوار.

فما يبني المؤمن يحطم الشوير.

إن كانت الريح تشير إلى الروح القدس، فإن الروح القدس الذي به يتحقق ميلاد المؤمنين كأبناء لله في مياه المعمودية، وبه يتجددون حتى يصيروا بالحق أيقونة المسيح، هو نفس الروح القدس الناري الذي لن تقدر أشواك الخطية أن تقف أمامه، بل تحترق!

اللَّهُ يَحْزَنُ إِثْمَهُ لِبَيْتِهِ.

لِيُجْلِهَ نَفْسَهُ فَيَعْلَمَ [19].

أحياناً يترك الله الأشوار ينجحون، لكنهم يورثون الفشل لنسلكهم. فبرث البنون مع الثروة التي نشأت عن الظلم والإثم اللعنة والدمار.

ربما يتساءل البعض: وما ذنب الأبناء لورثوا عن آبائهم الشرور المخزنة؟

وَأولاً: الله ليس بظالم، فلا يعاقب الأبناء من أجل شرور آبائهم. فإن النفس التي تخطئ هي تموت. إنما أراد الله توبة الآباء ليخزوا لأبنائهم البر الإلهي. فلا ننكر ما لحياة الآباء من أثر على ولادهم، لكن بعض الأشوار كان ولادهم قديسين، فصلت أكاليل أبنائهم عظيمة، لأنهم لم يكملوا مكيال آبائهم في الشر، بل قبلوا الله أبائهم، يسلكون بروحه القنوس. وأيضاً وجد أبناء أشوار عن آباء قديسين، فصلت قداسة حياة آبائهم علة دينونة بالأكثر. **ثانياً:** يهدد الله الأشوار بما سيحل بأبنائهم بسبب شرورهم، لأن غالباً ما لا يبالي الإنسان بما سيحل به قدر ما يحزن بشدة على ما يحل بأبنائه. وكان هذا التهديد غايته توبة الآباء خشية هلاك أبنائهم.

❖ نحن نعرف أنه مكتوب: "مفتقد إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع" (خر 34: 7). وأيضاً مكتوب: "ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل، قائلين: الآباء أكلوا الحنوم، وأسنان الأبناء ضوست. حي أنا يقول السيد الرب: لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل. ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي. النفس التي تخطئ تموت" (حز 18: 2-4). هكذا في هاتين العبرتين بالرغم من الاختلاف في المعنى، لكن ذهن المستمع يجب أن يتعلم البحث بعناية فائقة طويق التمييز. لقد ورثنا الخطية الجدية عن والدنا، فإن لم نُحل منها بنعمة العماد، نحمل معنا خطايا آبائنا أنفسهم، متطلعين على أننا لا زوال واحداً معهم...

على أي الأحوال هذا يمكنه فهمه بطريق آخر أيضاً، أن من يتمثل بطريق الشر اذي لأبيه الشوير، يرتبط بخطاياها أيضاً. وأما من لا يتبع شر والده، فإنه لن يتحمل ثقل عصيانه. بهذا فإن الابن الشوير من الأب الشوير لا يلتزم بخطاياها فحسب التي أضافها بل أيضاً بخطايا أبيه، إذ ملرس أعمال أبيه الشروة، هذه التي يعلم أن الله غاضب عليها. إذ لم يخش أن يضيف إليها شروره هو... لهذا بحق قيل: "حتى الجيل الثالث والرابع". فإنه يمكن حتى الجيل الثالث والرابع أن يشهد الأبناء لحياة الآباء ويتمثلون بها، فتمتد النعمة حتى إلى الذين يشهدون على ما يتمثلون به لضرهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَتَنَظَّرَ عَيْنَاهُ هَلَاكَهُ،

وَمِنْ حَمَةِ الْقَدِيرِ يَشْرَبُ [20].

لقد أغلق الشوير عينيه عمداً كي لا يرى نعمة الله ولم تفتتح بصوته على وراحم الله، فملاً كأسه بتورده وعصيانه.

كثراً ما يغمض الشوير عينيه عما سيحل به أو بنسله بسبب شروره، لكنه حتماً سيفتح عينيه في يوم الرب لوى هلاكه الأبدي حال عليه. إنه سيثرب من غضب القدير. هذا هو نصيب كأسه الذي ملأه في أيام غربته في العالم.

❖ لو كان الإنسان أثناء وجوده في هذه الحياة وغب في فتح عينيه على خطيته لما كان فيما بعد "يشرب من غضب القدير". أما من يحول عينيه هنا عن رؤية إثم فلا يقدر أن يتجنب حكم الدينونة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يدعونا الله بكل وسيلة أن نتمتع باستنارة الروح القدس، فتفتتح أعيننا لوى الشرور التي أفسدت كياننا، في الوقت الذي فيه ننعم بروية عمل الله

الفائق لغوان خطايانا والتمتع بالاتحاد معه.

إن نظونا هلاكنا ونحن بعد في هذا العالم نهرب إلى الله نفسه الذي وحده قادر أن يحفظنا من الغضب الأبدي. أما من لا يريد أن يدرك حقيقة شروره فيملاً كأسه بالغضب الإلهي ليشرب منه في يوم الرب العظيم.

فَمَا هِيَ مَسْرَتُهُ فِي بَيْتِهِ بَعْدَهُ،

وَقَدْ تَعَيَّنَ عَدَدُ شُهُورِهِ؟ [21]

إن كان أيوب قد أفاض في الحديث عن رخاء بعض الأشرار ونجاحهم، لكنه يوضح ماذا يكون هذا النجاح حتى وإن امتد كل أيام حياة الشوير التي هي ليست إلا عدة شهور، فيفتح عينيه فجأة وإذا به يسقط تحت الغضب الإلهي.

في مثل الغني ولعازر أ ظهر لنا السيد المسيح كيف أزعج على أهل بيته وهو في الهلوة عندما أترك أن كل الخوات التي تمتع بها في أيام حياته على الأرض تعجز عن أن تبيل لسانه. وتضاعف حزنه وهو يدرك أن أخوته الخمس سيتبعانه (لو 16: 25-28).

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الشوير حتى في العالم العتيد لا ينسى بيته، فقد أخرجنا السيد نفسه عن الغنى الذي رفع عينيه وهو في الهلوة يطلب من أجل إخوته الخمسة (لو 16: 28). لكن لم تعد هذه الطلبة تنفع أهل بيته بعد، إذ ضاعت الفرصة منه.

عملنا كحامي الرب يسوع - ينوع الفوح - في داخلنا، أن فوح ونتهلل ونكون علة مسوة بيوتنا. فإن كنا فوح هنا بمسيحنا الساكن فينا فوح السماء بنا، وفوح كثيرون، فنكون كأعضاء في أسرة شبه سماوية سمتها الفوح الحقيقي. عندئذ حتى بخروجنا من العالم لا نكف عن أن نطلب لأجل مسوة بيوتنا. هذا ما نلمسه عملياً حيث زى قديسين يطلبون في الفودوس من أجل فوح العالم كله ورجوعه إلى الله، وتمتعه بالفوح الإلهي.

5 . الأشرار والعناية الإلهية

أَللَّهُ يُعَلِّمُ مَعْرِفَةً،

وَهُوَ يَقْضِي عَلَى الْعَالِينَ؟ [22]

ليس من إنسان يقدر أن يدرك معرفة الله ديان السماء والأرض، الذي يدين الملائكة الساقطين والبشر في يوم الدين. أحكامه أبعد ما تكون عن الفحص وطوقه عن الاستقصاء. هو وحده الذي يحكم إن كان شوير ما ينجح هنا حتى ولو امتد نجاحه كل أيام حياته أو يفشل. بحكمته الإلهية يدبر ما لا يستطيع إنسان أن يدركه. إذ نعجز عن إواك معرفة الله وحكمته وخطته ليس لنا أن نحكم على إنسان ما أنه بار أو شوير من خلال ما يحل به من متاعب أو ما يتمتع به من وركات زمنية. عوض الحكم على إخواننا نحبه ونصلي من أجلهم لبنيانهم الروحي ونموهم، وأيضاً لأجل توبتهم، حتى يهبنا الله معهم التوبة الصادقة والنمو الروحي الحقيقي.

❖ أحكام الله القدير علينا غاية في السوية وليست بظالمة. لكن إذ رفعا أعين أذهاننا إلى العلويات زى بأعيننا (الداخلية) أنه ليس لدينا ما نشكو به بخصوص العدالة. فإن الله القدير يميز استحقاقات الملائكة، أقام بعضاً منهم ليسكنوا في نور أبدي بدون سقوط، والآخرين سقطوا بلأدنتهم من الثبات في علوهم، وانحدروا إلى سخط الدينونة الأبدية... إذ نه يفعل أموراً عجيبة فوق مستوانا، وواضح بالتأكيد أنه يدبر كل الأمور الخاصة بنا بمعرفة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَذَا يَمُوتُ فِي عَيْنِ كَمَالِهِ.

كُلُّهُ مُطْمَئِنٌّ وَسَاكِنٌ [23].

الله وحده الذي يحدد إن كان الإنسان يموت في سلام زمني ومجد باطلٍ بالرغم من إصوره على خطاياه، وآخر يموت في آلام مرة وتعاسة وشقاء، مع أن كليهما يلتقيان معاً في الظلمة الخرجية.

قد يموت شوير وهو في عين كماله أو في ملء قوته، لم تضعف قوته بسبب مرضٍ أو شيخوخةٍ، "كله مطمئن وساكن". بكليته هو في راحةٍ وسلامٍ، لا يخشى الموت لأنه لا يفكر فيه ولا ينتظره.

لقد جاء كلمة الله متجسداً، وحلّ بيننا ليهبنا سلامه الحقيقي وعربون المجد الذي أعده لنا منذ تأسيس العالم. هذا السلام وهذا المجد هما وحدهما يُشبعان النفس. أما سلام العالم المزيف ومجده الباطل فيخدعان الإنسان، لكن إلى لحظة وبزولان.

هنا يليق بنا أن نطلب استترة الروح القدس حتى نميز نوع السلام الذي نحن فيه، إذ توجد أنواع كثيرة من السلام.

أ. السلام الذي يخدع الأثوار، حيث يثوبون الإثم كالماء، وفي استهتار يقولون: ليس إله، ولا دينونة ولا أبدية. "فلنأكل ونشرب فإننا غداً

نموت" (1 كو 15: 32).

ب. السلام الذي ينبع عن صداقات ومشركة للآخرين، كمشركتنا لأحبائنا في مناسباتهم المفوحة والمحرنة، لكن لا يشغلنا خلاص نفوسهم

ونفوسنا. هذا السلام مؤقت. عن هذا السلام يقول السيد المسيح: "سلاماً أتوك لكم" (يو 14: 27). وكأنه يقول: سلامكم هذا لا أزعج عنكم، بل أتوكه لكم لكي ما يتقدس بسلامي الذي أهبكم إياه.

ج. السلام الإلهي الذي وعدنا به السيد المسيح: "سلامي أنا أعطيك" (يو 14: 27). هذا السلام، الذي هو عطية إلهية، نتمتع به خلال شركتنا

معه، وحلوله في وسطنا، ورافقتنا الدائمة خلال رحلة حياتنا. "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت 28: 20).

أَهْوَاؤُهُ مَلَأَتْهُ لَبْنًا،

وَمُخِّ عِظَامِهِ طَرِيٌّ [24].

يترجمها البعض "تدياه ملآنان لبنًا، وعظامه طرية بالمخ". وجاءت في ترجمة اليسوعيين "السمنة تكسو جبينه، وتسقي مخ عظامه". بمعنى أنه

في صحة جيدة، قوي البنية، لا يبالي بشيءٍ سوى أن يحيا سنوات طويلة في فوحٍ وسرورٍ. آماله عريضة في هذه الحياة حتى يفاجئه الموت بغتة! لعلهم يتحدون الموت في داخلهم، كأنه ليس من نصيبهم.

يتطلع أصدقاء أيوب إليه كإنسانٍ فقد كل ما يملكه من غنى وكرامة، ويحسبون هذا مؤثراً أكيداً عن شوه، يظنون أنه في عوزٍ داخلي شديد

وفواحٍ لن يمتلئ. أما هو فوى أشورا كثرين أغنياء وأصحاب سلطة وكرامة زمنية، يحسبون صبورهم (الثدي) مملوءة لبناً، أي أشبه بالأم التي بين

يديها رضيع تقدم له من لبنها، وأن عظامهم مملوءة حيوية لن يتطرق إليها الجفاف. هذه المشاعر التي تسيطر على مثل هؤلاء الأثوار تصدر عن الغنى

المؤقت والكرامة الباطلة، لكن إلى لحظة، حيث يأتي الديان، ويكتشفون أنهم كانوا في حلمٍ وقد تبدد.

شتان ما بين اللبن الصادر عن الغنى المؤقت والعظام التي تبدو مملوءة قوة وحيوية بسبب الكرامة الزمنية، وبين اللبن غير الغاش الذي يقدمه

الله لأولاده، حيث يرضعون النفوس بكلمة الله الواهبة الحياة، وبالعظام القوية التي تقدمها نعمة الله، فيكون المؤمن أشبه بالصخرة الثابتة التي لن تزعجها

رياح هذا العالم!

❖ "أحشؤه ملآنة سمنة، وعظامه مرطبة بالمخ" [24]. فكما أن السمنة تنشأ عن كثرة الطعام، هكذا الكبرياء عن فيض الخوات، هذه التي تجعل

الذهن يسمن بكثرة الغنى، بينما روحه ب عجرفة...

يوجد أناس ليس لهم غنى في هذا العالم، لكنهم يشتهون هـ ، ويطلبون أن يُمجوا، بالرغم من عجزهم عن نوال ما يشتهونه في هذا العالم. بينما

ليس لديهم مادة (غنى) ولا كرامة لم ساندتهم، لكن بشهواتهم الشروية يعلن ضمورهم عن جرمهم في عيني الديان... لاحظوا أنه لذات السبب كيف يوح

الغني بقلبٍ متعجرف. لذلك قيل بحق: "كلاهما يضطجعان في التراب، والنود يغطيها" [26].

أما الطوبوي أيوب فلم يتكبر حين كان لديه الغنى، ولا اشتهاه بقلقٍ عندما أخذ منه، كما لم يهلك بسبب الخسائر الخرجية.

وَدَلَّكَ يَمُوتُ بِنَفْسِ مَوَّةٍ،

وَلَمْ يَذُقْ حَرًّا [25].

يموت آخر بعد الأم مروة وحالة تعسة، فيلتقي مع من قضى لحظة عبوره في هذا العالم في غنى وأمجاد زمنية. لا يستطيع الغنى ولا المجد، كما ولا الألم أن ينقذ الأثوار في ذلك اليوم، ماداموا لم يرجعوا إلى الرب. إن كان الله قد سمح لبعض الأثوار بالبوكات الزمنية حتى آخر نسمة لهم في هذا العالم، إنما لكي يقدموا ذبيحة شكر لواهب العطايا، ورجعوا إليه، ويتمتعوا بالشركة معه. وإن كان يسمح لآخرين بالآلام، إنما لكي لا تلتصق نفوسهم بمحبة الزمانيات وتشتاق إلى العبور إلى الله، ويتمتعوا بالمجد الذي أعده لمحبيه. لكن للأسف كثيرون لا ينتفعون بالعطايا ولا يتعلمون بالآلام! أما بالنسبة لأولاد الله فإن البوكات الزمنية تسندهم في تقديم ذبائح شكر لا تتقطع، والآلام تركيهم في قبولهم إياها كشركة آلام مع مخلصهم.

كِلَاهُمَا يَضْطَجِعَانِ مَعًا فِي التَّوَابِ،

وَالنُّودُ يَعْشَاهُمَا [26].

في القبر يلتقي الأوصياء مع الموضي، والأغنياء مع الفقراء، فإن مات شير في قصر وآخر في كوخ يلتقيان معًا مع جماعة الموتى، ويكون نصيبهما هو ثمر شوهما، النود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ. ❖ روح الأثوار يعبر إلى الويل، ويعبر ويل النفس البرة من الحزن إلى الفرح. هكذا لا يليق بالغنى أن يرفع النفس ولا بالفقر أن يربكها. لم يتقبل الطويلي أيوب وسط الأضوار المادية أفكلاً مؤذية، أما الذين احتقروه وهو تحت ضربة العصا فقد انتوهم قائلاً: " هوذا قد علمت أفكلكم...". [27].

❖ كيف يمكن للخسائر الخرجية أن تؤذى ذاك الذي لم يفقد ذاك (الإله) الذي أحبه في داخله؟

6 . الأثوار والهالك الأبدي

هُوَذَا قَدْ عَلِمْتُ أَفْكَرَكُمْ،

وَالنِّيَّاتِ الَّتِي بَهَا تَظْلِمُونَنِي [27].

يعود مروة أخرى فيعبأب أيوب أصدقاءه قائلاً لهم إنه يعلم بأنهم متمسكون برأئهم، خاصة أن الأثوار حتماً تلاحقهم النكبات. يقول أيوب لأصدقائه: لقد علمت أنكم لا تتفقون معي، وعلمت نيتكم من جهتي، فإنكم تتحاملون عليّ، فكيف يمكنني أن أقنعكم وأنتم مغضون؟ أترك أيوب من خلال كلماتهم ما في قلوبهم، وشعر أن الحوار معهم غير مجدٍ.

❖ "هوذا قد علمت أفكلكم، والنيات التي بها تظلمونني" [27]. وكما هو مكتوب: "لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه" (1 كو 2: 11) ... لكن روح الإنسان يكون غير معروفٍ للغير إن لم يظهر بالكلمات أو الأعمال. مكتوب: "من ثملهم تعرفونهم" (مت 7: 20). بما يحدث في الخرج يُنظر إلى ما هو مخفي في الداخل. هكذا أيضاً بحق قيل بسليمان: "كما في الماء تتلألاً وجوه الناظرين، كذلك قلوب البشر واضحة للحكماء" (أم 27: 19)...

لَأَنْكُمْ تَقُولُونَ: أَيْنَ بَيْتُ الْعَاتِي؟

وَأَيْنَ خِيْمَةُ مَسَاكِنِ الْأَشْوَارِ؟ [28]

كأنه يقول لهم: أنا أعلم أنكم ستجوابونني قائلين: أين هو بيت المغتصب؟ أين خيمة الأشوار؟ وتقصدونني بالمغتصب كما تقصدون أبنائي بالأشوار. تحكمون عليّ بأني عاتي، ولولادي أشوار.

إن زعنا نية أصدقاء أيوب الشروة، ومحلولتهم المستميتة لتشويه شخصيته، فإن ما يقولونه ينطبق فعلاً عن الطغاة العتاة المغتصبين. فإنهم وإن عاشوا كل أيامهم في غنى وكرامة وسلطان، يموتون ويعودون إلى ترابهم. عندئذٍ بحق يُقال: "أين بيت العاتي؟" الذي يظن أن العالم كله هو بيته المستقر، يسيطر عليه ويحكمه كصاحب بيت يعيش فيه إلى الأبد، ليس من يقدر أن يطرده منه، ولا من يهدم البيت. لقد مات طغاة عبر الأجيال كانوا يحسبون أنفسهم آلهة، لكنهم صلروا وآبأ، وانهدمت ممالكهم تماماً. في جهالة عاشوا في العالم كما في خيامٍ غير ثابتة، وها هي الخيام قد زالت، وزال سلطانهم معها.

❖ يُقال عن الأشوار بعد موتهم: "أين خيمة مساكن الأشوار؟" إن أمعنا النظر في هذا، هل تقدر أن تتكروا بأنه توجد مجرأة من قِبَل العدل الإلهي؟ الأول (البار) تغمر السعادة قلبه، والثاني البؤس. الأول بشهادة نفسه وئى من الذنب، والثاني مجرم. ذاك الإنسان سعيد في رحيله من العالم، والثاني حزين عليه. من يقدر أن ينطق بالوادة على من هو ليس بويء في عيني ضموره؟ يقول: "أين غطاء خيمته، تذكروه لن يوجد" (راجع أي 21:28). حياة المجرم حلم. لا، حتى الواحة ذاتها التي للأشوار وهم يعيشون هنا هي وهم، إنهم الآن في ال جحي م، إذا ينحرون إلى جهنم وهم أحياء [990].

القديس أمبروسيوس

❖ الضعفاء يشتهون النجاح في غنى العالم، ويخشون الضربات كما لو كانت شورة غاية في الخطورة، يتعنثون بعقاب أولئك الذين يرونهم مضروبين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"أفلم تسألوا عاري السبيل، ولم تفتنوا لدلائهم؟" [29]

انه ليوم الوار يمك الشري، ليوم السخط يقادون.

يعلم أيوب أن الحوار غير مجدٍ مع أناس لا يحملون نية صادقة ومخلصة، لهذا يطالبهم أن يسألوا أي إنسانٍ محايدٍ. أسألوا عاري الطريق، حسبما يكون هؤلاء.

لم يقل أسألوا القديسين كما قال أليفاز (أي 5: 1)، فإن الأمر لا يحتاج حتى إلى خوات القديسين، بل يعرفه كل إنسانٍ غير متحيزٍ، فإن كل البشرية تتفق مع أيوب في أن الخطاة ليس بالضرورة يلقون جزاءهم هنا، بل قد وُجأ إلى يوم الوب العظيم. "إذازها الأشوار فلكي يُباوا إلى الدهر" (مز 92: 7).

ولعله يقصد بدعوته أن يسألوا أي عابرٍ للطريق، أن يبحثوا عن أي شخصٍ يرك حقيقة هذه الحياة الومنية كطريقٍ عابرٍ، فإن مثل هذا الإنسان حتماً ينطق بالحق وبحكمة وفي إخلاص. إواك الإنسان لحقيقة حياته أنها عبور كما على قنطرة تهبه نظرة واقعية للحياة الومنية والحياة العتيدة الأبدية، فيكون حكمه في الأمور متوتراً وصادقاً!

❖ يدعوه "عابر سبيل" ذلك الذي يحمل في ذهنه أن الحياة الحاضرة بالنسبة له هي طريق وليست وطناً. إنه يحسب أوراٍ دنيئاً بالنسبة له أن يثبت قلبه في محبة الحال الحاضر العابر، مشتاقاً ألا يستمر منشغلاً بمشاهدة الأمور الوقتية، بل أن يبلغ بقلبه إلى العالم الأبدية...

إذ كان موسى يطلب مجد التأمل السموي قال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر 3: 3). فإنه ما لم يسحب آثار قدميه من محبة العالم لا يمكنه أن يفهم الأمور العلوية.

12) إذ توسل إرميا من أ جل حزن قلبه ليكون موضع اعتبار قال: "يا جميع عاوي الطويق، تطلعوا وانظروا! ن كان حزن مثل حزني" (مز 1: 12). فإن أولئك الذين لا يعبرون خلال الحياة الحاضرة كما لو كانت طويقاً، بل يظنونها وطنهم، ليس لهم خوة ليروا بعيني الذهن حزن قلب المختلرين. هؤلاء يتطلع إليهم النبي لعلهم ينظرون حزنه؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَنْ يُعْلِنُ طَرِيقَهُ لَوَجْهِهِ،

وَمَنْ يُجَازِيهِ عَلَى مَا عَمِلَ؟ [31]

يحمل الشيرير نوعاً من الجسلة والجبروت، فلا يجد من يقف أمامه ويواجهه بشوه، ولا من يعاقبه على أفعاله. فهو يخطئ ويغتصب وهو مطمئن. ليس من يوبخه ولا من وعبه. يقول الحكيم: "راحة الجهال تبيدهم" (أم 1: 22)، إذ يحسبون أنفسهم فوق القانون، ليس من يقدر أن يواجههم بشوهم، ولا من يدفعهم نحو التوبة والرجوع إلى الله الحق.

لاحظ البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب تحول حديثه عن الأثوار من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد. فوى في الجمع (الأثوار) إشارة إلى البشر الذين صاروا أشبه بأعضاء كثرة لجسد إبليس، وفي صيغة المفرد (الشيرير) إشارة إلى إبليس بكونه رأس الأثوار. كما أن المؤمنين هم أعضاء جسد المسيح الرأس القنوس، هكذا الأثوار هم أعضاء جسد إبليس الرأس الشيرير!

❖ "من يستنكر طريقه لوجهه؟ ومن يجازيه على عمله؟" [31]... بينما كان أيوب يتحدث عن كل الأثوار فجأة حول كلماته إلى رئيس كل الأثوار. فقد رأى في نهاية العالم الشيطان يدخل في إنسان، هذا الذي يدعو الكتاب المقدس "ضد المسيح"، الذي يرتفع متشامخاً، يسنده بسلطان كهذا بأن يرفعه بآيات وعجائب مظهراً قداسة (غاشة)، و لا يمكن اتهامه بواسطة إنسان. بسلطان الوعب يوحد علامات القداسة المظهرية. يقول: "من يستنكر طريقه لوجهه؟" بمعنى من من البشوية يجسر وينتهوه؟... لكن إيليا وأخوخ وهدما يحضوان للحال لتوبيخه. فيوبخ كل المختلرين طريقه في وجهه، مظهرين استخفافاً؛ وبينما هو متشامخ في الفكر يقومون شوه. وإذ هم يفعلون هذا بالنعمة الإلهية وليس بقوتهم الذاتية، بحق يُقال الآن: "من يستنكر طريقه لوجهه؟" من يفعل هذا سوى الله الذي بعونه ينال المختلون سلطاناً ليقفوا أمامه؟ لأن الوب وحده له أن يفعل ذلك بقوته. بحق قيل عنه: "الذي الوب سيبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه" (2 تس 2: 8)...

"من يجازيه على عمله؟" بحق من سوى الوب، الذي وحده سيجلزي ذلك الإنسان ال هالك على ما يفعله بدينونة أبدية؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَ إِلَى الْقُبُورِ يُقَادُ،

وَعَلَى الْمَدْفِنِ يُسْهَرُ [32].

يعلم الشيرير أنه سيموت حتماً كسائر البشر، لكنه يُعد لنفسه العظمة حتى في موته، فيقيم نصباً تذكرياً على القبر الذي يعده لنفسه، ويهيئ لنفسه موكباً جنازياً فخماً.

بينما يهتم كثير من الأثوار بالكرامة الزمنية حتى بعد عبورهم من هذا العالم، يهتمون بأجسادهم بعد موتها أو المقورة أو إقامة تذكارات لهم، إذا بالأوار لا يشغلهم شيء سوى اللقاء مع العويس السملوي. يشتهون الانطلاق ليكونوا مع المسيح، هذا أفضل لهم من كل عملٍ مهما كان ذا قيمة.

❖ "هو إلى القبور يُقَادُ، وعلى كومة الأجسام الميتة يسهر" [32]... توجد في العالم نوة للصالحين وجمهور من الأثوار. لهذا بحق قيل: "كومة الأجسام الميتة" حيث تشير إلى جمهور الأثوار. "لأنه واسع الباب، ورحب الطريق الذي يؤدي على الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه" (مت 13: 13). هكذا يسهر الشيطان على كومة الأجسام الميتة، بممرسته خداعات شوه في قلوب أبناء الهلاك.

البابا غريغوريوس (الكبير)

خُلُو لَهُ طِينُ الْوَادِي.
يُوحَفُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَّرَاءَهُ،
وَقُدَّامَهُ مَا لَا عَدَدَ لَهُ [33].

إذ يشير إلى ضد المسيح بكونه ممثلاً لإبليس الشرير، هذا الذي يقيم نفسه إلهاً في هيكل الرب، واه أيوب أنه ليس إلا بالإنسان المائت الذي يصير راباً ورماداً.

بقوله " حلو له طين الوادي " . وى أيوب أن موته ورجوعه إلى التراب أفضل له من حياته، لأنه يغتصب المجد الإلهي، ويحسب نفسه خالداً، ويؤم حركة تمر واضطهاد لكنيسة السيد المسيح.

لعله يشير هنا إلى إعداد الشرير كل شيء خاص بتحنيط جسمه وسكب الأطياب على جثمانه مع أنه ليس له إلا طين الوادي المدفون فيه. لا يتعظ من الموت، ولا يذكر أنه ليس بالشخص الوحيد الذي يواجه الموت، إنما يسبقه أعداد لا حصر لها، ويأتي بعده كل إنسان، الجميع يموتون دون استثناء.

❖ "يجتذب كل إنسان وراءه، وقدامه ما لا عدد له" [33]. في هذا الموضع كلمة "إنسان" تعني من يتنوق الأمور البشرية... عدونا القديم إذ يدخل في إنسان الهلاك، يسحب كل الجسدانيين الذين يجدهم تحت نير سلطانه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَكَيْفَ تُعْرَوْنِي بَاطِلًا،

وَأَجُوبَتُكُمْ بِقَيْتِ خِيَانَةٍ؟ [34].

يختم أيوب حديثه بالروح إلى استخدام صيغة الجمع، أي إلى الحديث مع الأثوار. فما يحل بالشرير من هلاك ودمار لن يعفيهم من الدينونة. إن كان الأثوار يدعون الرغبة في توعية المتألمين، فتعزيهم باطلة. يرفض أيوب حورهم وواهيهم لأنها تصدر عن قلوب غير مخلصة، بل تحمل روح الخيانة للصدافة، ولأن مزاعمهم باطلة، إذ يركزون على توبته لكي يتمتع بالروح إلى حالة الرخاء التي كان عليها قبل حلول النكبات.

لا مجال للتعزية متى صدرت من قلوب لا تحمل حباً!

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن حوار هؤلاء الأصدقاء تسبب له الآماً، وعوض تضميد جراحاته ترداد الجراحات. فمن جانت يتألم البار لعدم أمانتهم وإخلاصهم، ليس من أجل الاتهامات في ذاتها، ولكن من أجل عدم إخلاصهم، وخيانة الصداقة التي قامت بينه وبينهم. تتألم نفسه وتتمرر، لأنه محب للحق، ويشتهي خلاص الكل، فيجد رائحة الخطية التي للموت توح من أعماقهم. تنن نفسه على هلاكهم أكثر من مولته على توجيه الاتهامات ضده!

❖ "كيف تعزوني باطلاً، وأجوبتكم تظهر أنها ضد الحق" [34]. لم يستطع أصدقاء أيوب أن يعزوه، هؤلاء الذين في حوارهم يقاومون الحق. عندما دعه موائياً أو شرواً لتكوى جريمة خطية الكذب، وبالتأكيد أضافوا متاعب للبار، وجراحات. فإن أذهان القديسين الخاضعة للحق تتألم بسبب خطايا خداع الآخرين. قدر ما يركون بقوة أن جريمة البطلان خطوة، يكرهونها ليست فقط إن لتكوىها هم بل وأيضاً إن لتكوىها الآخرون.

البابا غريغوريوس (الكبير)

توعد نفسي لهلاك الأثوار!

❖ كثيرون ينشغلون بالتساؤل: لماذا ينجح الله طريق الأثوار؟

أما أنا فما يشغلني هو أبديتهم!

نعم، قد ينجح الأثوار ويودهون،

قد يتمتعون بمناصب هرة!

يظنون أنهم في أمان،

وأنهم فوق كل قانون!

كل ما هو حولهم يهبهم طمأنينة وسلامًا.

❖ نفسي تحزن لا لنجاحهم،

وإنما لأنهم يهينون طول أناة الله وإمهاله.

يحسبون العبادة إضاعة لوقتهم وطاقاتهم.

حياتهم ليست في يد القدير.

لكنني رى سواجهم ينطفئ فجأة.

❖ يئن قلبي إذ راهم كالتبن قدام الريح،

وكعصافة في وسط زوبعة!

تعبر أيامهم كلحظة عاوة،

تنهار خيامهم تمامًا.

❖ رُى كيف يقفون أمام كرسي الدينونة؟

مساكين هؤلاء الذين قفوا المجد!

يطلبون من الجبال أن تسقط عليهم،

ومن الآكام أن تغطيهم!

مع رميا النبي أصوخ:

جوان قلبي توجعني!

ذاب كالشمع في داخلي.

شورري تعطيني لذة وقتية، يصحبها دمار لكل كياني.

الأصْحاحُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

يمكن تلخيص الدورة الثانية هكذا:

الصديق	فكرته	أصْحاح	إجابة أيوب	أصْحاح
أليفاز	الله طاهر، يبيد الأشرار.	15	لكنني أنا وريء.	16-17
بلدد	الله يحكم باستقامة وبييد الأشرار.	18	إن كان يحكم باستقامة، فإنه س يبرني.	19
صوفر	رخاء الأشرار قصير الأجل.	20	بعض الأشرار يزدهرون إلى النهاية في هذا العالم.	21

بدء الدورة الثالثة للحوار

منهج طريق التوبة

في هذا الأصْحاح يهاجم أليفاز أيوب للمرة الثالثة، ويتبعه بلدد بينما ينسحب صوفر من الميدان.

في عدم إخلاص كان أصدقاء أيوب يعطون تقسواً ملتويًا لكلمات أيوب. الآن إذ أوضح لهم أن الأشرار ليس بالضرورة يفشلون في هذا العالم، بل كثراً ما ينجحون، ويؤدون قوة وسلطاناً، حتى يحل بهم الهلاك في العالم الآتي، حرفوا كلماته، وحسبوه يهين خطة الله وعنايته، واتهموه أنه مشتكٍ من تصوفات الله.

في الدورة الثالثة استطاع أليفاز وحده بخوته الدينية العميقة أن يتكلم بنفس الإطالة السابقة. في حديثي ه السابقين يُعتبر هجومه على أيوب معتدلاً نسبياً، أما هنا فيتحدث عن خطايا معينة.

ح رَف أليفاز صرخات أيوب نحو الله ليُدافع عن نفسه. ادعى أن أيوب يظن أن الله غير ال منظور، عاجز عن أن يظهر ذاته، أو لا يريد ذلك.

قارن أليفاز أيوب بالأشرار في أيام الطوفان [١٥-١٦]. وأخيراً طالب أيوب بالتوبة.

يتقدم أليفاز ليحاول تفسير سبب آلام أيوب وهو أن صلاح أيوب لم يكن لكي يكتسب رضا الله، وإنما يظن أنه يتفضل عليه.

الله كامل في ذاته، لا يحتاج إلى بَر الإنسان أو خطيئته. ليس من منفعة لله أن يظهر أيوب خاطئاً لو كان أيوب بريئاً. بهذا فإن سرَّ آلام أيوب

ليس في الله بل في أيوب نفس ه [٢-٥].

أكد أليفاز أن آلام أيوب لأجل خطاياهم. ففي رأيه لم يتوَدد أيوب في مضايقة المدين والمسكين والضعيف والجائع وقد تجاهل الأمل واليتمى،

ولأجل تلك الأعمال القاسية حلت به النكبات. ولكي يثبت له أن الأثوار يهلكون وضع له مثالين شهيرين عن الهلاك النهائي الجماعي لأثوار كثيرين، وهما إغراق العالم بالطوفان، وحرق مدينة سدوم، وإن تلك النهاية تؤدي إلى راحة الأوار وسورهم. لذلك أرسل الله المصائب عليه [10-11].
 يحته بعد ذلك على التعقل وطلب المصالحة مع الله، فتأتي أوقات الفرح وتعود إليه السعادة [21-30]. وي البعض أنه في جدية يبذل كل ما في وسعه لريح نفس أيوب، وما يقوله عن الله هو صحيح وتعد كلماته تحسناً في طريفته، وقد حلت محل قسوته السابقة، وقد بسط أليفاز أمام أيوب حالة الأثوار التعسة، لعله يخاف ويتوب، ومن الناحية الأخرى أوضح له السعادة التي يجب أن يتأكد منها الذين يتوبون، وذلك لكي يعزبه ويشجعه على التوبة. وهي طريقة جيدة ومشورة صالحة، وقد شجع أليفاز أيوب على التمسك بالقداسة والتغذية فيحصل على الآتي:

أ- اتساع ثروته ، ومنحه بركات زمنية وفرة، كما يتولى القدير الدفاع عنه.

ب- نجاح نفسه، فيصبح غنياً بالبركات الروحية التي هي أفضل البركات، حينئذ يتلذذ بالقدير.

ج- شراكة دائمة مع الله، فيتمتع بوفرة من الفرح والرجاء حتى في أيام المصائب.

منهج طريق التوبة

أخوًا يقدم لنا أليفاز صورة حية لمنهج طريق التوبة، بجانبه السلبي والإيجابي، وكأنه يعلن : "حد عن الشر، وأصنع الخير" (مز 34: 14).
 فإن أغمضنا أعيننا عن نيته في أن يخلق اتهامات لأيوب البار، فقد أوضح ضرورة التعرف على الخطايا والآثام والاعتراف بها، مع الرجوع إلى الله والتمتع بالشراكة معه. لقد قدم صورة جميلة ورائعة عن بركات التوبة.

1. اتهام أيوب أنه ينتقد تصرفات الله 4-1.

2. اتهامه بأنه شرير خطير 5.

3. اتهامه بالوحشية 6.

4. اتهامه بمقاومة صنع الخير 7.

5. اتهامه بمحاباة الوجه 8.

6. يهين الأمل ويسحق الأيتام 9.

7. يقيم لنفسه فخاخًا 10-11.

8. اتهامه بالإلحاد العملي 12-14.

9. مقارنة حال أيوب بالعالم القديم 15-20.

10. التوبة تعرف على الله 21.

11. التوبة تمتع شخصي بالكلمة 22.

12. التوبة رجوع إلى القدير 23.

13. التوبة طريق الغنى 24-25.

14. بالتوبة يرفع الوجه لله 26.

15. التوبة تفتح أبواب السماء 27-28.

16. بالتوبة نتجدد 29.

17. بالتوبة نشفع في إخواننا 30.

1 . اتهامه أنه ينتقد تصرفات الله

فَأَجَابَ أَلِيفَاؤُ التَّيْمَانِي: [1]

هَلْ يَنْفَعُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟

بَلْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ الْفَطْنُ! [2]

قبلاً كان الأصدقاء الثلاثة يتهمون أيوب بالرياء، إذ لم يجدا خطية يمكن أن يمسكوا بها ضده، لقد أصرّوا أنه حتماً كان موائياً، يفعل الشر خفية. أما علامة ريائه فهي أن ما حلّ به من نكبات متلاحقة علامة غضب الله عليه. الآن يضع أليفاز سلسلة من الاتهامات أولها حول أن يستخرجها من كلمات أيوب أثناء الحوار بتأويلها حسب وجهة نظرهم. أول هذه الاتهامات هي أن أيوب يشكو من تصرفات الله وينتقدها، وكأنه يحكم على الله بالظلم.

حسب أليفاز شكوى أيوب من كثرة نكباته بأنه يتهم الله بالظلم. هذا إتهام باطل، فإن أيوب كان أبعد ما يكون من أن يفكر هكذا.

إن استبعدنا نية أليفاز في اتهام أيوب فإن حديثه يحمل جانباً صادقاً، وهو أن الله ليس محتاجاً إلى صلاح الإنسان، ولا منفعة له في ذلك، وإنما المنفعة تنصب على الإنسان الذي هو موضوع حب الله واهتمامه ورعايته. فالظننة أو الحكمة هي لبنيان الإنسان وأن مصدر الحكمة هو الله.

"أما الحكمة فنافعة للإنجاح" (جا 10: 10). "التقوى نافعة لكل شيء" (1 تي 4: 8). "إن كنت حكيماً، فأنت حكيم لنفسك" (أم 9: 12).

❖ "هل يُقارن إنسان بالله، حتى وإن كانت له معرفة كاملة؟" [2] [1991] الذين يبلغون إلى الحضيض في وضع إتهامات معينة، إذ يناقضون كلمات الحق، غالباً ما يكررون ما هو معروف، لئلا يمسكهم لسانهم يبدو أنهم مهزومون. هكذا أليفاز إذ ضغطت عليه أقوال الطوبوي أيوب نطق بأمر معروف لكل أحد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يضوب الإنسان الشوير نفسه أولاً، بل ولا يضوب إلا نفسه، إذ قيل: "هو وحده يتحمل" (راجع أم 9: 12). نفسه دائماً مملوءة غمًا، وأفكره دائماً معقدة، سواء بالنسبة لما يسمعه أو ما يقوله، يملس كل شيء وهو يشتكي، مُقدماً اتهامات [992].

القديس يوحنا الذهبي الفم

هَلْ مِنْ مَسْوَةٍ لِلْقَدِيرِ إِذَا تَبَرَّرَتْ،

أَوْ مِنْ فَائِدَةٍ إِذَا هَوَّمتْ طُرُقَكَ؟ [3]

الإنسان في ضعفه ومحدوديته يعجز عن أن يقدم أي نفع لله الكلي الكمال الذي لا يُزاد في شيءٍ ما . هل يمكن للشعلة أن تقيد الشمس في شيء؟ وهل من نقطة ماء في كوب أن تؤثر على المحيط؟

إن صلت طرقنا كاملة تماماً فهل يمكننا أن نتفع الله. وأية مسوة ل ذلك القدير إن صونا أولاً. فهو مصدر السلام والتطويب والبهجة. إن حدثنا بلغتنا البشرية أنه يُسر بنا، إنما يكشف هذا عن حبه لنا، وشوقه إلى خلاصنا ومجدنا، دون أن ينتفع من برّنا وتقديسنا في شيء خاص به.

❖ " هل من نفع لله إذا تبررت؟ أو من فائدة إذا قَدَّمت طرقك؟" [3] [1993] في هذا كله نحن نفعل حسناً، نعمل لصالحنا لا لصالح الله. لذلك قيل بالموتل:

"يا نفسي قولي للوب: أنت إلهي، لست في حاجة إلى خواتي" (مز 16: 2). فهو بالحق ربنا، إذ هو أيضاً بالتأكيد الله غير المحتاج إلى أحدٍ يخدمه، بل يود الخير الذي يتقبله، حتى أن الخوات التي تُقدم لا تقيد هو بل الذين تقبلوها أولاً وتترد ثانية إليهم. يقول الوب عند مجيئه للدينونة: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم" (مت 25: 40). يقول هذا بحنوٍ فائقٍ وتعاطفٍ مع أعضائه.

البابا غريغوريوس (الكبير)



لو لم يكن يحبنا فلماذا خلقنا؟ هل هو في احتياج إلينا؟ هل نحن نمده بشيء؟ بأية خدمة؟ هل يحتاج إلى شيء نقدمه إليه؟ اسمع ما يقوله النبي: "قلت للرب أنت ربي، خوي لا شيء غوك" (مز 16: 2) [994].

❖ لا يحتاج إلى خدماتنا كما يحتاج السادة إلى خدمهم، بل ترجع أعمالنا ذاتها إلينا لنفعلنا نحن. بالنسبة لهم ينتفع السادة بخدمة الخادم، أما بالنسبة لخدمتنا كخدم فلا ينتفع بها السيد، بل يتمتع الخادم بالمنفعة كقول الموتل: "خوي لا شيء غوك" (مز 16: 2). قل لي: ما هو نفع الله إن كنت بلا، أو ماذا يصيبه إن كنت ظالمًا؟ أليست طبيعته غير قابله للفساد، ولن يمسه أذى، أسمى من كل ألم؟ [995]

القديس يوحنا ذهبي الفم

هَلْ عَلَى تَوَاكٍ يُوبِخُكَ،

أَوْ يَدْخُلُ مَعَكَ فِي الْمَحَاكِمَةِ؟ [4]

عندما يوبخنا الله لكي نصير أتقياء، لا يفعل هذا عن ضرر قد أصابه، لكنه كأبٍ يود أن ندخل في شركة معه، فنصير أيقونة حية له، وذلك لمجدنا نحن. إنه يوبخ لأجلنا. إنه لا يدخل في محاكمة كمن أصابه ضررٌ، وإنما لكي يعطينا فرصة الحوار، فنشعر بحبه المتزلزل ورعايته لخلصنا. ❖ " هل خوفًا منك يوبخك؟ أو يدخل معك في المحاكمة؟" [4] [996] [من يفكر هكذا إلا إذا كان فاقداً لحواسه، ك أن الرب ينتهزنا عن خوفٍ أو يصدر حكماً علينا عن رعبٍ؟ ولكن الذين لا يعرفون كيف يتنون كلماتهم يتلقون بلا شك في حديثٍ باطلٍ ... هكذا أليفاز الذي نطق بكلمات باطلة، نطق بكلمات فجأة فاسدة وبعنفٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2 . اتهام أيوب بأنه شرير خطير

أَلَيْسَ شَرُّكَ عَظِيمًا،

وَأَتَاكَ لَا نِهَايَةَ لَهَا! [5]

كان الأصدقاء الثلاثة بين الحين والآخر يلحون باتهامهم لأيوب، أما الآن فقد شعر أليفاز أنه ليس وقت للتمنيح بل لواجهة صريحة. إنه يوجه أيوب إلى ضموره ليحكم على نفسه كإنسانٍ شوه عظيم، وأثامه لا نهاية لها.

يصور لنا أليفاز نظرتَه إلى أيوب ليس أنه وائي يخفي شروره ويتستر على آثامه فحسب، وإنما واه شرواً، شوه عظيم، وآثامه بلا نهاية.

وكانه يقول له: لا تسعفني اللغة لأصور ما أنت عليه من شرٍ، صورتك بشعة للغاية!

❖ " أليس شرك عظيمًا، وأتاك لا نهاية لها؟" [5] [لاحظوا كيف يزوج من قلبٍ ميتٍ كلمات باطلة، ومن كلمات باطلة إلى بشاعة في الكذب، فالتهب قلبه لينطق لسانه بشتائم. هذا هو الانحطاط بوايد الخطية، حين لا يضبط اللسان لا يتوقف، بل ينحدر على النوام إلى ما هو أشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . اتهامه بالوحشية

أَنْتَ رَتَهَنْتَ أَخَاكَ بِلَا سَبَبٍ،

وَسَلَبْتَ ثِيَابَ الْوَأَةِ [6].

يصور لنا أليفاز أيوب في صورة وحشية. واه إنساناً لا يعرف الرحمة، وليس فيه أية لمسة إنسانية. لا يوتهن أشياء من أخيه كضمانٍ لتسديد ما

يقدمه له من قرض، بل يوتهن أخاه نفسه، ويتحفظ عليه كرهينةٍ ذليلةٍ، وكعبدٍ يفقد حريته.

في مبالغة خطوة مؤلمة يصور أليفاز أيوب أنه يسلب العري، الذي بلا ثياب، ثيابه! بمعنى أنه عوض أن يقدم ثياباً للوأة كي يستر عليهم

ويستدقوا، أو حتى يتجاهل عريهم وما يعانونه من فقرٍ مدقعٍ وما يتحملونه من بردٍ، يعرف كيف يسلب ثياباً ممن ليس لديهم ثياب! اتهم أيوب بأنه أخذ بعض الأشخاص رهينة، وأودعهم في السجن، واستعبدهم، لأنه لم يكن لديهم ما يوفون به من دين. وأنه جردهم من ملابسهم وتوكلهم عواة، الأمر الذي ينهيه الناموس الطبيعي وأيضاً الموسى (خر 22: 26؛ تث 24: 13).

لكي يبرز أيوب في أكثر وحشية يتهمه أنه لم يستعبد غريباً (فقط)، وهذا فيه وحشية، وإنما استعبد أيضاً أخاه الذي هو عضو في أسرته أو من بني جنسه.

لم يذكر أليفاز أسماء أشخاص لتكذب معهم أيوب هذا العنف، ولو أن هذا حق لما وصفه الله نفسه أنه مستقيم.

❖ "pledge" **لأنك رتهنت أذاك بلا سبب، وسلبت ثياب الواة** [6]. في الكتاب المقدس تستخدم كلمة " (هن أو عربون) لتشير إلى مواهب الروح القدس، وأحياناً إلى الاعتراف بالخطية. تستخدم كموهبة الروح القدس عندما يقول بولس: "وأعطى عربون الروح القدس في قلوبنا" (2 كو 1: 22).

فإننا ننال العربون ليكون لدينا تأكيد الوعد الذي قدم لنا. تُدعى عطية الروح القدس عربوناً حيث تتقوى نفوسنا بتأكيد الرجاء الداخلي.

مرة أخرى يقصد ب كلمة "عربون" الاعتراف عن خطية، كما هو مكتوب في الناموس: "إن صار أخوك مدينًا لك في شيء وأخذت منه رهينة فإلى غروب الشمس تردها له" (راجع خر 22: 26). فإن أخانا يكون مدينًا لنا عندما يخطئ ضد زميله المخلوق في أمرٍ ضدنا. فإننا ندعو الخطايا "ديونًا" (مت 18: 32). وفي الصلاة الربانية نصلي كل يوم: "اغفر لنا ما علينا، كما نغفر نحن لمن لنا عليهم" (مت 6: 12).

❖ "وسلبت ثياب الواة" [6] ... من يكون عرياً لا يمكن تجريده من شيء، لكننا نتساءل: لماذا يُشار إليهم كواة ثم بعد ذلك يُجرون. من الضروري أن تعرف أن كل واحدٍ تمتع بنقولة الفكر، فإنه بهذا ليس له ثوب التعامل الخادع (بوجهين) فهو عارٍ. ويوجد البعض بين الواطقة من لهم نقولة القلب بالحق، ولا زالون يتمسكون بعقائدٍ فاسدة في تعليمهم. هؤلاء عواة بنقلوتهم ويرتون كما بتعليم الناس.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4. اتهامه بمقاومة صنع الخير

ماءٌ لم تَسْقِ العَطْشَانَ،

وَعَنِ الجَوْعَانِ مَنَعْتَ خُبْراً [7].

بعد أن صورّه كإنسانٍ وحشيٍ يستعبد أخاه، ويبدل كل الجهد ليسلب من العري ثوباً ليس لديه، الآن يقدمه كإنسانٍ بلا إحساس، لا يقدم ماءً لعطشانٍ، مع أن الماء ملكٌ عام لكل البشرية، وإن رأى إنساناً يقدم خبْراً لجائعٍ يمنعه من عمل الرحمة. فلا يعمل خبْراً، ولا يتوك غوه يملس الخير. وصفه كإنسانٍ لم يحسن قط إلى المساكين حتى الذين بلغوا إلى الجوع والعطش، فلم يقدم كأس ماء لعطشان، الأمر الذي لا يكفه شيئاً.

❖ " لم تعط ماءً للمضطربين، وأمسكت خبْراً عن الجائعين [7]" [1997]. فإن الواطقة أنفسهم يفكرون أن يعطوا ماءً للمضطربين، عندما يقدمون كأس أخطائهم لأشخاصٍ يعانون تحت أثقالهم الأرضية.

هؤلاء يعتبرون أنفسهم أنهم لم يمسكوا خبْراً عن الجائعين. عندما يُسألون، يجيبون في كبرياءٍ وجسولةٍ حتى عن الأمور غير المنظورة وغير المبركة. يقدمون أنفسهم كمن هم متعلمون فوق كل بشرٍ، حتى عندما يتوأن بيؤسٍ أن يتكلموا عن أمورٍ غير معروفة.

أما الكنيسة المقدسة، فعندما ترى أحداً جائعاً نحو شيء ما ليس لصالحه، إما أنها تترده بتحفظ إن كانت هذه الأمور بالفعل معروفة لديها، أو ظهرت كأنها غير معروفة فتعترف بذلك في تواضع . إنها تستورد الإحساس بتواضعٍ بتدبيرٍ حسنٍ عندما توصي كل واحدٍ منهم خلال كُرتها: "ألا يرتني فوق ما ينبغي أن يرتني، بل أن يفكر بتعقلٍ" (رو 11: 20) ... هكذا إذ نرى الكنيسة المقدسة تمنع العقول الضعيفة أن تتعمق في الحقائق. قيل للطبولي أيوب: "أمسكت خبْراً عن الجائعين".

5 . اتهامه بمحابة الوجه

أَمَّا صَاحِبُ الْقُوَّةِ فَلَهُ الْأَرْضُ،

وَالْمُتَرَفِّعُ الْوَجْهَ سَاكِنٌ فِيهَا [8].

بعد تشويه صورة أيوب وإولده كثويرٍ خطيرٍ، آثامه بلا حدود، وحشي الطبع، يستعبد أخاه، لا يفعل خيراً، ويمنع الآخرين عن مملسته، يتهمه بأنه يحابي الوجه ، فإذا ارتكب غني أو عظيم ظلماً لا يسأله عن جريمته.

❖ "إن تحفظ هذه الأمور دون تفضيل أحدٍ على آخر، ولا تعمل شيئاً بمحابة" (راجع 1 تي 5: 21) . لتعمل في غير محابة بالعدل بين الذين تحت المحاكمة ، وتحكم أنت عليهم، فلا ينشغل فكرك بأحدٍ مسبقاً، ولا تتحاز إلى أحدٍ مقدماً [998].

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ قيل هذا بخصوص المحبة التي يليق بالإنسان أن يقدمها لقربيه. لننشغل بهذه الأمور دون أن نرتكب معصية، ولا نعمل شيئاً بمحابة أو لثري الآخرين، بل لنحب الفقراء كخدام الله، وعلى الأخص نفتقدهم [999].

القديس إكليمنضس الروماني

❖ "حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء. وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، متوفقة، مذعنة، مملوءة رحمة وأعمالاً صالحة بلا محابة" (راجع يع 3: 16-17) . أي تطويب لا يناله الإنسان الذي يصلي طالباً هذه الحكمة وينالها من الرب؟ [1000]

القديس أغسطينوس

6 . يهين الأمل ويسحق الأيتام

الْأَمَلُ رُسَلَتْ خَالِيَاتِ،

وَأَنْوَاعُ الْيَتَامَى انْسَحَقَتْ [9].

اتهمه بأنه كان يصف الأمل المسكينات فرغات من باب بيته، وعض مساعدة اليتامى سحق أوعهم، فصلوا عاجزين عن مساعدة أنفسهم.

لهذا الاتهام خطورته، إذ يُحسب أنه موجه ضد الله نفسه. ففي العهد القديم يُحسب الله قاضياً للأمل وأباً للآيتام. ولعله حتى قبل الناموس كان المؤمنون بالله يركون هذا، إما خلال الناموس الطبيعي أو بالتقليد المسلم عبر العصور. فمن يستخف بالأملة يضع نفسه في موقفٍ حرجٍ مع قاضي الأمل والمدافع عنهم، ومن يسحق أنواع اليتامى يكون كمن وجه الضربات ضد أبيهم السموي، الذي يعتز بأنه أب اليتامى.

يحمل هذا الاتهام رمزاً لما يفعله الهواطة الذين يمتنعون عن الزواج بكونه نجاسة، وعن تناول أطعمة خلقها الله كاللحم بكونها دنسة (1 تي 4: 5) ، كما نادى بعض الغنوصيين. فإنهم يريدون أن يحطوا قدسية الزواج، وأن يدينوا خليفة الله الصالحة. فتتحول النفوس إلى أامل فقدن عريسهن السموي، ربنا يسوع، وزعا عنها تهليل العرس وفوح الروح والشوكة مع المخلص. ومن جانب آخر يريدون أن يحرموا النفوس من الطعام السموي، وخبز الملائكة، لكي تصير كأيتام أوعتهم مكسورة ومحطمة، عاجزة عن مملسة الأعمال الروحية.

جاء مسيحنا ليردنا من حالة الترمُّل، ويوزع عنا يُتمنا، إذ صار لنا العريس الروحي والأب السموي. وأما عدو الخير فيعمل خلال الأثوار

ليردنا إلى الترمُّل واليتم!

7. يقيم نفسه فإخًا

لَأَجْلِ ذَلِكَ حَوَّالِيكَ فِإخًا،

وَيُرِيغُكَ رُغْبًا بَغْتَةً [10].

هذا اتهام جديد، وهو أنه كان يليق بأيوب ألا يشكو مما حلَّ به، كأنه ثوة ظلم الله له، لأن كل النكبات التي حلت به هي من الشباك التي نصبها أيوب لنفسه بظلمه للغير وتجاهله المساكين والأرامل والأيتام. كل متاعبه هي ثوة أفعاله التي افترض أليفاً أنه قد مرسها.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن هذا الاتهام يوجهه الهواطة ضد الكنيسة عبر كل العصور. إنهم يدعون أنهم يعرفون الحق، وينعمون به، ويسخرون بالمؤمنين الحقيقيين الذين يملسون التوبة اليومية، بأنهم وعيون أنفسهم، ويضعون لأنفسهم الفخاخ المهلكة.

❖ " لذلك الفخاخ حولك، الخوف المفاجئ بيغتك" [10] ... عندما يتطلع الهواطة إلى الشعب المؤمن كمن ينحدرون بخطايا عدم الإيمان، يتهمونهم بأن الفخاخ حولهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْ ظُلْمَةً فَلَا تَوَى،

وَفَيْضُ الْمِيَاهِ يُغْطِيكَ [11].

ينسب أليفاً العمى لأيوب، فإنه كان قبل حلول التجرب في ظلمة، إذ وضع الشباك حوله لنفسه بشوه، وها هو يسقط فيها، ولا يقدر على الخلاص منها. إن التجرب تتدفق عليه كشلالات تغوره وليس من منقذٍ له منها.

❖ " وأنتم تفكرون أنكم لم تروا ظلاماً، وأنكم لم تنحدروا بقوة المياه المندفعة" [11] ... يدعو أليفاً التجرب والأحزان مياهاً مندفعة، حيث تتدفع كمجموعة واحدة وراء الأخرى كما بمياه ترتفع بأموج تلوها أمواج.

البابا غريغوريوس (الكبير)

8. اتهامه بالإحاد العملي

هُودًا اللَّهُ فِي غُلُوِّ السَّمَوَاتِ.

وَأَنْظُرُ رَأْسَ الْكَوَاكِبِ مَا أَعْلَاهُ [12].

يعد أليفاً اتهامات باطلة ضد أيوب وهو وى منها. وقد جاء هذا الاتهام الجديد أنه وإن كان يدعي التدين، ويقدم ذبائح عن ولاده، إلا أنه يملس الإحاد العملي.

يقول أليفاً حقاً إن أيوب يؤمن بأن الله هو في علو السموات، أعلى من كل الكواكب، لكنه ملحد عملياً، كيف؟ وإن كان الله موجود إلا أنه لا يبالي بالبشر، ولا ينشغل بخطاياهم أو وهم، فالحياة البشرية لا تشغل ذهن الله، بهذا استباح أيوب صنع شهورٍ كثرةٍ وعظيمةٍ بلا نهاية، إذ ليس فيه خوف الله.

كيف اكتشف أليفاً إحداد أيوب البار؟

إن كان ليس لدى أليفاً أسماء معينة ملس أيوب معها الظلم والجور، لكنه حسب نفسه أنه كوجلٍ فهيمٍ ومتركٍ لأسوار الأمور أنه ليس من خطية يعاقب الله عليها بهذه الصورة إلا خطية الظلم والقسوة وعدم الرحمة.

ربما في رأي أليفاً أن أيوب أخطأ لأنه وإن ملس بعض التصرفات الظاهرة ليؤكد لمن هم حوله أنه رجل الله، المؤمن القائد، لكن أعماله تكشف ما يخفيه في فكه، وهو أنه يعتقد بأن الله ليس في أعالي السموات، وأنه ليس شيء ما مخفياً عنه . لو علم أيوب ذلك لما نسب الله ظلماً، ولتثبت

خوف الله في قلبه، ولم يقل إن عين الله لا ترى العالم (جز 8: 12)، ولا لقرم بالعمل باستقامة ورحمة.

فَقُلْتُ: كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ؟

هَلْ مِنْ وَرَاءِ الضَّبَابِ يَفْضِي؟ [13]

لعل أليفاز وى أن أيوب يبرك أن الله في أعالي السموات، ولكن عوض تقديم المهابة اللاتفة به استخف به، لأنه في الأعالي لا يستطيع أن

وى من وراء الضباب، ولا يشغل نفسه بما يدور بين البشر على الأرض.

يلق البابا غريغوريوس (الكبير) على هذه العبارة موضحًا الحقائق التالية:

أ. حقًا الله كائن في السموات، وكأنه محتجب عن البشرية من وراء الضباب الذي لا يعطي للعيون البشرية أن تعابنه.

ب. هو بكامله حاضر شخصيًا مع كل أحد، وبكامله حاضر مع الجماعة. فحضوره بالكامل مع الأشخاص لا ينفى حضوره بالكامل مع الجميع.

ج. سموات الله في الأعالي، ومع هذا فبعنايته الإلهية مهتم بكل إنسان على الأرض.

د. يبدو الله كمن يفرق الذين يخطئون، ليس لأنه غير حاضر في موضع ما، إذ ليس من موضع ليس فيه الله، لكنه يفرق الأثوار المصوِّين

على شرورهم، بمعنى تفرقهم نعمته، فلا يجنون عونًا إلهيًا يسندهم، لأنه لا يعمل بون رضانا. فهو غائب من جهة تقديم العون للوافضين عمله فيهم،

لكنه حاضر بالنسبة لهم بإدانتهم، خاصة في يوم الرب العظيم.

هـ. الله حاضر بكامله في العلويات، وبكامله على الأرض في السفليات. حضوره على الأرض لا يعني مفارقتة للعلويات.

و. الله مخفي بالنسبة للبشر حيث لا يستطيعون رؤيته بالأعين الجسمية، لكنه منظور خلال أعماله الإلهية الفائقة. لا يُبرك بالبصر العادي، لكنه

يُلمس خلال أعماله وأحكامه.

ز. الله الذي لا يُبرك بالحواس الجسمانية يتنزل لكي يبركه البشر بإثواقاته في أذهاننا، لكن مع كل ما نتمتع به تُحسب كمن هم عاجزون عن

إواكه كما هو.

❖ " هل تحسبون الله في أعالي السماء، أعلى من علو العواكب؟ وأنتم تقولون: كيف يعرف الله؟ [12-13] " [1001] كثيرون جدًا أغبياء هكذا حتى

إنهم لا يقدرون أن يخشوا شيئًا سوى ما يرونه بطريقة ملموسة . فهم لا يخشون الله، لأنهم لا يقدرون أن يروه...

إنه بالحق، كلي القوة على النوام... هو حاضر بالنسبة لكل واحد شخصيًا ، حاضر بطريقة ما لكل أحد حتى إن حضوره لا يكون ناقصًا للكُل

معًا.

فإنه وإن كان يترك الأشخاص عندما يخطئون، لكنه هو حاضر بالنسبة لذات الأشخاص بالنسبة للدينونة، وإن كان وى كأنه غير حاضر بالنسبة

لمساندتهم.

هكذا هو يُحيط ما هو من الخرج وبملاً ما هو بالداخل... يدير العلويات فوق دون أن يهمل الأعماق أسفل. حاضر بطريقة ما في الأجزاء

السفلية دون أن يفارق العلويات.

إنه مخفي بطريقة ما بالنسبة لمظهره لكنه يبقى معروفًا خلال أعماله، وهو معروف في عمله، ومع ذلك يبقى غير ممكن إواكه بحسابات من

يعرفه. إنه هكذا بطريقة ما حاضر، لكنه يبقى غير ممكن رؤيته. بطريقة ما يستحيل رؤيته غير أن أحكامه تبقى شاهدة على حضوره. يُخضع نفسه لكي

يُبرك بواسطتنا، ويبقى شعاع إواكه لذاته ملبدًا بالغيوم. موة أخرى إذ تُمسك بظلام الجهل يبقى مشوقًا في ذهننا بأشعة بهائه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "الكلماتي أصغ يارب" (مز 5: 1) . إذ تدعو (الكنيسة) الرب، الذي هو معينها، تعبر هذا العالم الشيرير وتبلغ إليه. "تفهم صواخي" (مز 5: 1)؛ يظهر

الموتل حسناً أن هذا الصواخ هو من الداخل من حجال القلب، دون نطق جسماني، يبلغ إلى الله، لأن الصوت الجسماني يُسمع، وأما الروحي فيُفهم.

القديس أغسطينوس

السَّحَابُ سِتْرٌ لَهُ فَلَا يُرَى،

وَعَلَى دَاوَةَ السَّمَوَاتِ يَتَمَشَّى [14].

لعل أليفاز ينسب باطلاً لأيوب أنه يتطلع إلى الله بكونه قد ستر نفسه بالسحاب الكثيف فلا يرى من البشر، و أنه يتمشى على داوّة السموات كمن هو مشغول بمجده، ولا يبالي بالخليقة الأرضية.

كأن أليفاز يطالب أيوب أن يراجع عن شروره التي كان يملسها خفية، ظاناً أن المحيطين به لا يرونها ولا يدركونها، بل والله نفسه لا ينشغل بها، لذا حلت به التجرب لكي تراجع أيوب نفسه، ويعترف بخطاياها العظيمة، وأثامه التي بلا نهاية. يليق بأيوب - في عيني أليفاز - أن يدرك أنه صار في فضيحة، لا من أجل النكبات في ذاتها، وإنما من أجل ما هو ورائها من فضيحة على الأرض كما في السموات.

9 . مقارنة حال أيوب بالعالم القديم

هَلْ تَحْفَظُ طَرِيقَ الْقَدِيمِ الَّذِي دَاسَهُ رِجَالُ الْإِثْمِ [15].

بعد أن ظن أليفاز أنه بحكمته وخبرته كشف عن عيني أيوب لوى خطاياها وأثامه، الآن يقدم له تحذوات لئلا يكون مصير رجال الإثم القدامى مثل أولئك الذين غرهم الطوفان في أيام فوح. إنه يتهم أيوب بأنه يسلك ذات طريقهم، وستنتهي حياته كما انتهت حياتهم.

الطريق الذي يسلكه أيوب - في رأي أليفاز - ليس طريقاً حديثاً، إنما هو طريق قديم متسع ومطروق، نهايته الهلاك.

إن كان أليفاز يدعو أيوب أن يخرج من الطريق الذي يسلكه، هذا الذي سبق فسلكه كثيرون منذ القدم وهلكوا، فإن رب المجد على خلاف أليفاز لم ينهج الطريق السلبي، إنما قدم نفسه الطريق الإلهي الذي يهب الخطاة المغفرة بالتوبة، ويحملهم إلى أبواب السماء المفتوحة لهم، والتي تقربهم.

هنا يليق بنا أن نضع مقابلة بين أليفاز المُدمر للآخرين وبين السيد المسيح واهب الوجود لكل العالم. ففي كورنثوس الأولى 13: 12-13 أليفاز أنه رجل حكيم وصاحب فهم يقود أيوب للتعرف على خطاياها التي أخفاها عن الناس وعن الله، والتي حاول أن يتجاهلها فحلّ به سيل من النكبات، وطوفان من الضيقات لن تتوقف حتى يهلك تماماً. أما السيد المسيح فهو حكمة الله الأبدية، جاء في تواضع ليمسك بأيدي الأشرار دون أن يجرح مشاعرهم، يحملهم فيه ويدخل بهم إلى الأحضان الإلهية، يسند الضعفاء ويهبهم روحه القدس واهب الحب والوحد والسلام والصلاح والتعفف.

حاول أليفاز أن يدمر نفسية أيوب باتهاماتٍ باطلة. أما رب المجد يسوع فحمل الاتهامات الموجهة ضد البشر، واهباً إياهم الشوكه معه في

الطبيعة الإلهية لوفع من نفسيتهم، ويهبهم صحة الجسد والنفس والروح على مستوى أبدي، حيث يتمجد الإنسان بكليته في يوم الرب العظيم.

❖ هل تعطي علامة للطريق القديم الذي يطأه الأشرار؟ [15] " [1003]] لما كان طريق فادينا هو التواضع، فإن طريق العالم هو الكبرياء. وهكذا فإن

الأشرار يطؤون طريق العالم، حيث بواسطة شهوات العالم يسيرون في الاعتداد بالذات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن كنا نحن أيضاً أيها الإخوة الأحباء في المسيح، إن كنا نلبسه، إن كان هو طريق خلاصنا، نحن الذي نتبع المسيح في خطوات الخلاص، فلنسلك متمثلين به كما يعلمنا الرسول يوحنا: "من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذلك هكذا يسلك هو أيضاً" (1 يو 2: 6) [1004].

الشهيد كيريانوس

[1005]

❖ إنه البيت الذي نذهب إليه؛ إنه الطريق الذي به نذهب. لئتنا نذهب به إليه؛ فلا نضل الطريق .

القديس أغسطينوس

❖ تمسك مقدماً بما شهدوا به عن أنفسهم، قائلاً: "كما قبلتم المسيح يسوع الرب، اسلكوا فيه" (كو 2: 6) ... فإنه هو الطويق الذي يقود إلى الآب، لا تسلكوا في الملائكة، فإن هذا الطويق لا يبلغ إلى هناك [\[1006\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

الَّذِينَ فُبِضَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْوَقْتِ؟

الْغَمْرُ أَنْصَبَ عَلَى أَسَاسِهِمْ [16].

لقد باغت الطوفان الأثوار فجأة وهم غير مستعدين، ظانين أنهم يعيشون سنوات طويلة، فغرثوا وهلكوا كما لما كان قبل الأوان. لقد عجل الطوفان بحياتهم فجأة. لقد وضعوا الأرض أساساً لهم، وبنوا عليها آمالهم، وظنوا أنهم في أمان كما على أساس صخري، لكن الغمر أنصب على أساسهم هذا. "الطوفان الذي جلبه الله على عالم الفجار" (2 بط 2: 5).

ربما يتساءل البعض: أليس عمر الإنسان معروفاً مسبقاً عند الله، فكيف يُقال إن الأثوار يُقبض عليهم قبل الأوان؟

هل يموتون قبل الموعد المعين لهم؟ وهل تطول أيام حياة الأوار عما عينه الله لهم؟

ولاً: روى البابا غريغوريوس (الكبير) ، أن كل إنسان له عمر لائق به يناسبه أو يستحقه. لكن الله أيضاً يعلم مسبقاً أن هذا الشوير من الأفضل أن يموت مبكراً لكي لا يعثر الصديقين، أو يتركه لعمرٍ أطول لأجل إعطائه فرصة لعله يتوب. فما يُقال عن أن عمر الإنسان يقصر أو يطول لا يعني أن الله يغيّر رأيه فيما سبق أن عرف، لكن الإنسان ينال عموماً أطول أو يقصر عمره لحكمة إلهية، سواء بالنسبة للشخص نفسه أو من هو حوله، وهو يعلم مسبقاً أيضاً ما يليق، هل يضيف أو يُنقص من عمر شخص ما حسبما يؤم أن يكون عليه حسب الطبيعة أو حسب استحقاقه.

ثانياً: روى العلامة أوريجينوس أن مقاييس العمر تختلف عند البشر عنها عند الله. فكما يقول الموتل يوم واحد عند الرب كآلف سنة، وألف سنة كيومٍ واحدٍ. ففي يوم الرب العظيم تُفاجأ بأطفالٍ صغار يُحسبون كأشخاصٍ عاشوا سنواتٍ كثرة، وشوخ زاهم كأطفالٍ صغار.

لتوضيح ذلك إن قرناً الجنين يوحنا المعمدان حين ارتكض مبتهجاً في بطن أمه القديسة اليصابات، نجاهه حسب المقياس البشري لم يكن قد وُلد بعد، ولا تُحسب مدة بقائه في الرحم من عمره، بينما في نظر الله وحسب مقاييسه يحسب كإنسانٍ ناضجٍ، سنه أكثر مما لرئيس الكهنة، والكهنة، والقسوس والفريسيين الخ. في ذلك الحين، لأنهم يُحسبون كموتى لم يشهدوا للسيد المسيح بالرغم من معرفتهم للنوات عقلياً. قد يموت أوار وهم أطفال ويحسبون كمن عاشوا آلاف السنين في عيني الرب، وقد تطول أيام طغاة أثار وتحسب أيامهم كلا شيء. "تخرج روحهم فيعودون إلى زابهم".

عندما نسمع عن وصية الرب: "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض"، لا نندهش إن مات ابن أو ابنة في سن مبكرة بالرغم من إكوامهما للوالدين، فإن هذا الابن (أو الابنة) يُحسب كمن طال عمره على الأرض، لأن يوماً واحداً من عمره يُحسب عند الرب كآلف سنة. هذا هو

التفسير الروحي الرؤي الذي تبناه العلامة أوريجينوس في مواضعٍ كثيرة حين تحدث عن عمر الإنسان على الأرض.

بحسب هذا التفسير يُقبض على الأثار قبل الأوان، لأن حياتهم بلا ثمر، لم ينتفعوا بفوص التوبة للتمتع بالشركة مع الله واهب الحياة. فبموتهم يحسبون كموتى فقوا الحياة، ولم يحصوا على التمتع بها.

❖ "الذين يؤخذون قبل الوقت، حيث يفيض ال طوفان على أساسهم" ... كل إنسان يؤخذ من هذه الحياة في وقت سبق معرفته قبل الزمن بسلطان إلهي.

لكن يؤم معرفة أن الله القدير، في خلقته لنا وتدبير أمورنا، يعين حدود (حياتنا) حسب استحقاق كل أحد. فقد يؤم الشوير أن يعيش وقتاً قصواً، لئلا يسيء إلى كثيرين يسلكون باستقامة، وقد يؤم أن يبقى الإنسان الصالح مدة أطول في الحياة، حتى يكون معيناً في أعمال صالحة لكثيرين.

هرة أخرى فإن الشوير يؤم أن يبقى مدة أطول في الحياة حتى يضيف أعمالاً شوية إلى أعماله. وهكذا البار قد يملس حياة صادقة تتطهر بامتحانه، أو يؤم سحب الإنسان الصالح بأكثر سوعة، لئلا إن عاش أكثر، قد يُفسد واءته.

لكن ليوضع في الاعتبار إن رافات الله هي التي تهب الخطة فرصة للتوبة. على أي الأحوال قد تُهب لهم زمنة و لا وجعون ليحملوا ثمار الندامة بل يخدمون الشر، و وحة الله ينالون الأمانة لعلمهم يتخلون عن تصرفاتهم.

بالرغم من أن الله القدير يعرف مسبقاً وقت موت كل أحد، متى تنتهي حياته، لا يقدر أحد أن يموت قبل وانه، بل في الوقت المعين لموته، فإنه إن كان قد أُضيف إلى حياة حرقيا خمسة عشر عاما (2 مل 20، إش 38)، فإن زمن حياته بالحقيقة زاد عن النهاية التي كان يستحقها، وقد سبق فعرف الله وقته في هذه اللحظة والتي فيما بعد يسحبه من الحياة الحاضرة.

هذا الأمر هكذا: ماذا يعني " يقطع الأشرار قبل وائهم " سوى أن كل أولئك الذين يحيون الحياة الحاضرة يعدون أنفسهم ل فوات أطول من تلك الحياة؟ وعندما يسحبهم الموت من الحياة الحاضرة، فإن الفوات الطويلة لحياتهم التي اعتادوا أن يتخلوها تكون قد سُحبت منهم، إنها تُقطع لبا. بحق قيل عن هؤلاء: "أساسهم قد أفاض بطوفان..."

وُصف قايين إنه أول من أسس مدينة على الأرض (تك 4: 17)، وهو بهذا أكد بوضوح أنه غريب، حيث كان غريباً عن الثبات في العالم الأبدى، فأنشأ أساساً على الأرض. بكونه غريباً عن الأمور العلوية وضع استقره في أساسٍ لأمر سفلية، ووضع استقر قلبه في اللذة الأرضية. كما بانهيال الزمن اليومي حالة الموت في الحياة الحاضرة ذاتها تحوي نحو النهاية، وتحطم تكريس أبناء الهلاك بؤالة هؤلاء الأشخاص عينهم، بحق قيل عن الأشرار: "أساسهم قد أفاض بطوفان"، بمعنى ذات التغيير يلقي فيهم استقر إنشاءات الأشرار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

القائلين لله: ابعد عنا.

ومآذا يفعل القدير لهم [17].

خطية هؤلاء الأشرار أنهم يطلبون من الله: "أبعد عنا"، إذ يريدون أن يعيشوا بلا إله، حتى لا تتور ضمائرهم، ولا يفقدون بلادتهم. لقد تجاهلوه قائلين: "الوب لا ي حسن ولا يسي" (صف 1: 12).

لقد سمعوا عنه أنه القدير، ولكن في نظرهم أي سلطان له عليهم؟

كما سبق فقلنا إن الإلحاد نوعان: إما إنكار وجود الله، أو مع معرفتهم بوجوده يظنون أنه لا يشعر بهم، بعيد عنهم في سمواته، أو يطلبون منه أن يبعد عنهم، إذ يحسبونه عاجزاً عن أن يهبهم السعادة التي يطلبونها، أو يحقق لهم ما يشتهونه.

وهو قد ملأ بيوتهم خوفاً.

لتبعد عني مشورة الأشرار [18].

مما يزيد من دينونة الأشرار أنهم كانوا ي تمت عون ب خوات هي من عند القدير، وقد أساعوا استخدامها. فالذين غرقوا في الطوفان كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ويبيعون ويشتررون" (لو 17: 27). لم يكن لهم مبرر ليسألوا "ماذا يفعل القدير لهم"، لأنهم كانوا يعيشون في خواته الجزيلة، فلم يكن لهم ما يدعوهم أن يطلبوا صانع الخوات أن يبتعد عنهم. كانت بيوتهم مملوءة بالخوات، لكن قلوبهم كانت فرغة من النعمة الإلهية، لهذا هلكوا.

هنا يتفق أليفاز مع أيوب في الرغبة: " لتبعد عني مشورة الأشرار" (أي 21: 16).

❖ " لكنه يملأ بيوت الأشرار بالخوات" [18]. يملأ الوب بيوت الأشرار بالخوات حتى بالنسبة للجاحدين، فإنه لا يمنع عطاياه، حتى يستحوا من رافة خالقهم ورجعوا إلى الصلاح، أو يحترقوا العودة، فيكون ذلك علة لعقابهم بأكثر شدة، إذ يردون صلاح الله الفائق بالشر، فتحل بهم ويلات قاسية فيما

ليت حكمهم يكون بعيداً عني". هذا أيضاً عبّر عنه الطوبوي أيوب، إذ يقول: "للتباعد مشورتهم عني" (21: 6).

البابا غريغوريوس (الكبير)

الأَوَارُ يَنْظُرُونَ وَيَفْرَحُونَ،

وَالرَّيِّءُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ قَائِلِينَ: [19]

الأوار لا يحسبون هكذا إن كانوا يُسرون بموت الأثوار ويسخرون بهم، إنما يبتنون ويصلون من أجلهم. لكنهم في يوم الدينونة حيث أُعطيت الفص للأثوار وقد أصروا على شوهم مع إعطائهم ظهيرهم لواهب الحياة، وتفضيلهم البفوة لإبليس عوض البفوة لله، فإذ يحل بهم الدمار الذي من عمل رادتهم الشوية الحرة وسلوكهم، يُسر الأوار إذ لا يعود للشر موضع بعد فيهم، بل يعيشون في أورشليم العليا المقدسة مع الله القنوس. لا يشمت الأوار في الأثوار عند هلاكهم، فإنهم يحملون رادة أبيهم أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لكنهم يفوحون بإبادة سلطان الشر والظلم حتى لا يتعثر الضعفاء، كما يُسرون بمجد الله الذي لا يقبل الفساد.

يجد الأوار الفرصة للكشف عن بطلان الشر وضعفه وعدم ديمومته، وسخافة حكمة الأثوار ومكروهم وخبثهم. يُسر الأوار بانهياب إبليس ومملكته، وبدمار الخطية لا الخاطي. فإن البار لا يعوف إلا الحب حتى بالنسبة للخطاة.

❖ " وى الأوار ذلك فيبتهجون، ويضحك الأبرياء عليهم ساخرين" [19]. إذ وى الأوار الأثوار يخطئون هنا، لا يسرون بخطأ أناس يهلكون أنفسهم. فإنهم إن كانوا يسرون بالخطأ لا يحسبون بعد أولاً... لقد فقد الفريسي وه لأنه سرّ، حاسباً نفسه أسمى من العشار، قائلاً: "أشكوك إنني لست مثل باقي الناس الخاطفين، الظالمين، الوناة، مثل هذا العشار".

مرة أخرى إن قلنا البار يمكن أن ينتصر بوح كامل على موت الأثوار أي نوع هو هذا الفوح من أجل الانتقام من الأثوار في هذا العالم، الذي فيه حياة البار غير أكيدة؟

لنميز بين الأمانة التي للعب والتي للمجد. فالأوار يرون الأثوار الآن ويصيرون في هوالٍ من أجل شوهرهم. وعندما يرونهم يُضوبون، لا يتقون في حياتهم هم أيضاً... الآن وى الأوار أبناء الهلاك وبتنون، وفي الدينونة النهائية يرونهم ويضحكون ساخرين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَلَمْ يَبْدُ مَقَاوِمُونَا،

وَبَقِيَّتُهُمْ قَدْ أَكَلَتْهَا النَّارُ؟ [20]

ربما يشير هنا إلي لوط الذي كان يعذب نفسه البلرة بفجور الأثوار، فمع فقدانه كل ما يملكه، كان يشتهي خلاص أهل سدوم وعمورة كما يوح لدمار الفساد والفجور (2 بط 2: 7-8).

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن المقاومين للأوار والمعادين للحق الإلهي سيلقون في نار جهنم التي لا تنطفئ، تحرق النفوس مع الأجساد. فكما اشترك الجسد مع النفس في مقاومة الله، وتعاوننا معاً في ممرسة أعمال إبليس والخضوع له، لاق بهما أن يُشركا إبليس مصوه، النار الأبدية. ❖ وإن كان الأثوار يوحلون من هنا من جسدهم الميت، لكنهم يتقبلونه مرة أخرى في القيامة، حتى إنهم بذات الجسد ي حرقون، ذات الجسد الذي فعلوا به الخطية. فإذ كانت خطيتهم في الفكر والجسد هكذا ستكون العقوبة في الروح والجسد على السواء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يتهلل المؤمن البار حين وى المقاومين للحق الإلهي، أي الأفكار الشوية التي تود أن تتسلل إلى الداخل، وتسيطر على الإنسان الداخلي. مثل هذه الأفكار الشوية تحرق بنار الروح القدس، كما تحرق الأشواك بالنار. هكذا يحرق كل ما هو غريب عن الطبيعة الطاهرة التي خلقها الله فينا، لكي

يلهب نار الحب الإلهي.

يتهلل المؤمن بعمل الروح القدس النزي فيه الذي يدمر ويبني!

10 . التوبة تعرّف على الله

تعرّف به واسلم.

بذلك يأتيك خير [21].

يصعب الحكم على موقف أليفاز هذا، فإنه وإن ظلم أيوب بتوجيه اتهامات مؤفة ضده، و حاول تأكيدها بالرغم من عجزه عن إيجاد دلائل عملية على اتهاماته، لكنه هنا يفتح أمامه باب الرجاء.

يكشف أليفاز عن بركات الرجوع بالتوبة إلى الله. فإن استبعدنا نية أليفاز في تأكيد شر أيوب، فإن كلماته هنا مصدر قوي للرجاء في الرجوع إلى القدير، ليجد في القدير نفسه خوه ووه وكوه وكل شبع له.

يقدم أليفاز مشورة صالحة: "اقرب إلى الله، وتعوف عليه، وكن في سلام معه!" ليس من علاج سوى الاقتراب من الله والاتحاد معه والدخول معه في سلام داخلي.

❖ ليس هناك من يحزننا مثل ذلك الساقط في الخطية، الذي يتذكر خطايه ليتلذذ بالأمور الجسدية الأرضية، بدلاً من أن ينشغل ذهنه بسبل معرفة الله الجميلة!

فأدم أخفى نفسه عندما عرف بحضور الله، رغباً في الاختباء عندما دعاه الله بذلك الأمر الذي جرح به نفسه (عدم ملاقة الرب)، قائلاً له: "آدم أين أنت؟" (تك 3: 9). بمعنى "أين تخفي نفسك؟ لماذا تختبئ؟ لماذا تهرب من الله الذي كنت تتوق إلى رؤيته؟!" [1007]

القديس أمبروسيو

"واسلم": أي لتكن في سلام مع الله، أو مع نفسك حيث تستريح فيه، فإن الشر مصدر للقلق الداخلي. ما هو "الخير" الذي يتطلع إليه أليفاز كثرة للدخول في سلام مع الله. إن قصد البركات السماوية تكون مشورته صادقة وبنّاءة، أما إن كانت عيناه موكّرتان على الخوات الزمنية التي فقدها أيوب، فلا يكون قد أصاب في مشورته!

❖ "لنا سلام مع الله" (رو 5: 1)، من خلال ربنا يسوع المسيح الذي صالحنا مع الله خلال ذبيحة دمه... جاء المسيح لكي يهلك الأعداء، ويصنع السلام، ويصالحنا مع الله الذي فصلنا عنه حاجز الشر الذي أقمناه بخطايانا.

العلامة أوريجينوس

11 . التوبة تمتع شخصي بالكلمة

أقبل الشريعة من فمه،

وضعت كلامه في قلبي [22].

من يدخل في سلام مع الله يستعذب الوصية الإلهية الصاورة كما من فمه الإلهي إلى قلبه مباشرة، ففي عذوبة ومسوة يصوح الإنسان: "يارب ماذا تريد أن أفعل؟" (أع 9: 6).

حين نسمع الوصية من فم خادم الله أو نقرأها في الكتاب المقدس أو من فم صديق أو من كتاب، نشعر بحق بالعلاقة الشخصية مع الله، كأنه يحدثنا مباشرة. نسمع صوته الإلهي في داخلنا، وتتجلبب أعماقنا مع محبته، فإنه ليس من موضع لائق بالكلمة الإلهية مثل القلب، لأنه خزانة الحب وهيكل الروح القدس.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن ما نطق به أليفاز، وإن كان يمثل مشورة صادقة، لكن الخطأ فيما قاله أنه ظن في نفسه أنه بار، أبر من أيوب الشوير - كما كان يظن - فأخذ موقف المعلم والحكيم والقائد المتكبر. إنه يمثل الهواطة الذين في كل العصور يستخفون بكنيسة الله ويتهمونها بالجهالة مع الشر، ويريدون أن يقدموا لها تعاليم بكونهم معلمين أولًا وأصحاب فهم ومعرفة وحاملين للبر!

❖ توجد خطية أن يُعلم الإنسان شخصًا أفضل منه، الجريمة التي كثرت ما يرتكبها الهواطة فيعلمون، وهم لديهم مفاهيم خاطئة... هذا أيضًا ينطبق على مثل هؤلاء الأشخاص، إذ يضيف: "أسألك أن تقبل الشريعة من فمه"، إذ يتوهمون أن ما يفكرون فيه من أذهانهم يصدر عن فم الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

12 . التوبة رجوع إلى القدير

إِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ تُبْنَى.

إِنْ أَبْعَدْتَ ظُلْمًا مِنْ خِيَمَتِكَ [23].

يقدم أليفاز مفهومًا صحيحًا إيجابيًا وفعالًا للتوبة. ف التوبة ليست رجوعًا عن الخطية فحسب، فهذا الجانب السلبي لا يشبع النفس، أما جانبها الإيجابي ف هو أنهارجوع إلى القدير، هذا يشبع الأعماق وبينيتها. فالقدير وحده يستطيع بروحه القنوس أن يجدد القلب على النوام بغير انقطاع، حتى يتشكل، ليصير بالحق أيقونة الله.

إذ يقرب الإنسان من النور الإلهي لا يسمح للظلمة - خاصة الظلم - أن تتسلل إليه، لأنه ليست شوكة بين النور والظلمة. لذا يقول أليفاز: "إن أبعدت الإثم من خيمتك". هنا يشير إلى خيمة الأسرة أو العائلة ككل، كما تشير الخيمة إلى الجسد الذي تسكنه النفس كخيمة.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أليفاز قد تعرف على بعض الحقائق الصادقة من صديقه أيوب، لكن كانت له انواقات عن الخط المستقيم أو عن الحق. هكذا نجد في الهواطة بعض المفاهيم الصادقة التي تعلموها من كنيسة المسيح، لكنهم مزجوا ما هو حق إنجيلي بما هو باطل من عندهم. ❖ إذ كان أليفاز صديقًا لشخص طوبوي، يدرك بعض الأمور بالحق، ولكن في بعض النقاط ترك الخط المستقيم وصار شبيهًا بالهواطة. لهذا لم يتحقق أن أيوب قد ضرب بالتجرب بسبب سمات حسنة. ظن أن هذا الرجل واه مضرًا قد أخطأ، لذا وعده أنه إن رجع إلى الله القدير يُزح الإثم من خيمته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

13 . التوبة طريق الغنى

وَأَلْقَيْتَ التَّبْرَ عَلَى التَّوَابِ،

وَذَهَبٌ أَوْفِيرٌ بَيْنَ حَصَا الْأُودِيَةِ [24].

وى أليفاز أنه إذ يلتصق الإنسان بالله مصدر الخوات يصير الإنسان غنيًا جدًا، فيصير التبر بالنسبة له في الكثرة كالنواب، أو يذخر الذهب عنده كالنواب، وتكون له فضة كثيرة.

توهم أليفاز أن أيوب قد جمع ثروته بالظلم لذلك فقدها، أما إن التصق بالله، فيهبه خوات وثروات لن يفقدها. ولعله لم يشر هنا إلى ثروة حيوانية ورُض، بل إلى ذهب وفضة، لأن ما ناله قبلاً هو ثروة الفلاحين والرعاة، أما ما سيناله بالتصاقه بالرب فهو ثروة الملوك من تبر وفضة. مع كؤة التبر والذهب الأوفير، فإنه لا يضع هذه الكنوز في مخزن تحت حراسة مشددة، لأنه لا يخشى من فقدانها، ولا يضعها في حضنه، لأنها لا تشغل قلبه، بل واهها كالنواب والحصى لا تشغل فكره وقلبه.

يمكن تفسير ذلك روحياً بأن من ورجع إلى الله يُلقى بالتبر على التواب، لأنه يقتني الله، فيحسب كل شيء نفاية من أجله، كما يُلقى بالذهب

الخالص بين حصا الأودية، إذ لا يصير الذهب في عينيه ذا قيمة، بل أشبه بحجزة صغيرة وحصا يملأ الأودية لا ثمن له.

يَكُونُ الْقَدِيرُ تَبْرُكًا،

وَفِضَّةُ أُنْعَابِ لَكَ [25].

إذ يلقى الأوار تبر هذا العالم في الواب وذهبه الأوفير في الأودية بين الحصا، يجنون الله توهم وذهبهم السملوي. يصير هو كزهم الذي لن يسوق منهم.

كثوًا ما تشير الفضة في الكتاب المقدس إلى كلمة الله ، لهذا يليق بالمؤمنين أن يقتتوا هذه الفضة الروحية، التي تهبهم غنى روحيا فائقا، وقوة ضد عدو الخير القادم ، وفوحا داخليا وتهليلاً، فيشرك السمايين تسابيحهم. بالكلمة الإلهية يصير المؤمن غنياً وجندياً صالحاً للسيد المسيح وموتلاً مملوء فوحاً.

و كما يتلذذ أهل العالم بثروتهم لكن إلى حين ، يُسر الأوار بالله كزهم الحقيقي وثروتهم وكرامتهم وقوتهم إلى الأبد . "الرب قوتي وتسبحتي" (خر 15: 2؛ مز 118: 4؛ إش 12: 2).

من يقتن الفضة في قلبه، يتنوع بكلمة الله، ويتحصن ضد قوت الظلمة، أما إذا خضع للشر ولقوات الظلمة واستسلم لها، فلا يبرك أسوار الله التي تعلنها الكلمة الإلهية.

❖ أي أعداء آخرين نخضع لهم أكثر من الأرواح الشريرة، الذين يحاصروننا في أفكرنا، فيقتحمون مدينة أذهاننا ويسيطرون عليها، ويأسروننا تحت نير سلطانهم؟

يشهد الموتل أن اسم "الفضة" يشير إلى الوحي الإلهي، إذ يقول: "كلام الرب كلام نقي، كالفضة المصفاة في أتون النار" (مز 12: 6). غالباً لا تتمتع نفوسنا ب الوحي الإلهي عندما نخضع بطريقة خطأ لخداعات الأرواح الشريرة، حيث يرشون على أذنا ننا زاب الأفكار الأرضية فتظلم عيوننا الداخلية، ولا تتمتع ب نور الرؤية الداخلية. هذا ما عاناه الموتل حين قال: "ابعنوا عني أيها الأشرار، فأبحث في وصايا إلهي" (مز 119: 15)، معلماً إيانا بوضوح أنه لم يستطع أن يبحث في وصايا الله عندما كان يعاني في الذهن من فخاخ الأرواح الشريرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

في مثل الابن الراجع إلى أبيه كشف السيد المسيح عن العنى الذي نتمتع به خلال التوبة، حيث ننعم بأعظم مركز الأ وهو التبني لله الذي به لا يبخل عن أن يقدم لنا الحلة الأولى وخاتم النبوة والحداء لنسير في طريق الحق في آمان فنشهد لأبوة الله الحانية.

❖ يأتيك بالحلة والخاتم والحداء.

الحلة هي ثوب الحكمة التي بها غطى الوسل عوي أجسادهم، وبها يكتسي كل إنسان. أخنوا الحلة لكي يستروا ضعفات أجسادهم بقوة الحكمة الروحية، وقد قيل عن الحكمة: "غسل بالخمير لباسه" (تك 49: 11). الحلة هي الكساء الروحي وثوب العوس.

الخاتم ليس إلا صك الإيمان الصادق وختم الحق.

[1008]

. الحداء يشير إلى الكولة بالإنجيل

القديس أمبروسيو

❖ الحلة الأولى هي الكرامة التي فقدها آدم، وأما العبيد الذين قدّموا فهم الكارزون بالمصالحة... الخاتم الذي في اليد هو عيون الروح القدس بسبب شوكه النعمة، إذ يُشار إلى الروح حسناً بالإصبع...

[1009]

. الحداء في القدّمين هو الاستعداد للبشارة بالإنجيل كي لا نمس الأرضيات

القديس أغسطينوس

14 . بالتوبة يُرفع الوجه لله

لَأَنَّكَ حِينِنْدِ تَتَلَدُّ بِالْقَدِيرِ،

وَتَرْفَعُ إِلَى اللَّهِ وَجْهَكَ [26].

يتمتع الإنسان البار بدالة لدى الله " ترفع إلى الله وجهك " ، فلا يرتاع ولا ينكسر قلبه ، بل في بهجة قلب وثقة يظهر أمام الله، ويتحدث معه، ويطلب حياة الشركة معه.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أ ليفاز نطق بالحق إن كان هذا الحديث موجهاً إلى إنسان شير عاجز عن أن يرفع وجهه الداخلي نحو الله. لكنه أخطأ، لأنه قدم ما هو حق بغير حكمة، قدمه لوجه اتهاماً لأيوب البار.

يعرفنا البشر بالتطلع إلى وجوهنا، فيميزوننا بعضنا عن بعض. فمن لا يرفع وجهه أمام الناس ويظهر أمامهم لا يعرفه الناس. هكذا إذ يرجع الإنسان بالتوبة إلى الله يجد لذته في الله القدير، ويرفع وجهه الداخلي إلى الله، فيصير معروفاً لديه، وليس غيباً عنه، لهذا في كل قداسٍ إلهي، يصوح الكاهن: "رفعوا قلوبكم"، أو "أين هي قلوبكم؟" وبقوة الروح يجيب الشعب: "هي عند الرب". وكأنهم يعلنون أن وجوههم الداخلية مرتفعة إلى الرب الذي يُسر بها، ويهيئها الاتحاد معه.

❖ رفع الوجه لله هو رفع القلب باحثاً في الأعظم علواً. فكما أنه بالوجه الجسدي تُعرف وتُميز لدى الإنسان، هكذا بالشكل الداخلي نعرف لدى الله. ولكن حينما نُثقل بِإثم الخطية وننحدر إلى الأرض، نخشى أن نرفع وجه قلبنا لله حيث لا تثبت بأية ثقة في الأعمال الصالحة. يمتليء الذهن من الخوف نحو التطلع إلى العلويات، لأن الضمير نفسه يتهمه. ولكن بدوع الندامة تُغسل الخطية، ويُتجنب الإنسان الأمور التي لُكبت حتى لا يعود يرتكب ما ينتحب عليه، فننعم ب ثقة في الذهن، ويرتفع وجه قلبنا للتأمل في مباحج المكافأة.

يُحسب أليفاً إنه نطق بالحق، لو أنه كان ينصح شخصاً ضعيفاً، ولكن إذ يتطلع إلى إنسانٍ بارٍ بانحطاط بسبب ضوياته، ما هذا سوى أنه يسكب كلمات المعوفاً بغير معرفة؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

15 . التوبة تفتح أبواب السماء

تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ،

وَنُدُورُكَ تُوفِّيهِا [27].

إذ يدعو أليفاً أيوب للتوبة عن شروره والرجوع إلى الله يؤكد له أنه خلال توبته يصلي إلى الله فيستجيب له.

هذا كلام حق فالتوبة تفتح أبواب السماء، وتهبنا دالة لدى الله، ويميل الله بأذنه لسمعنا، ويشتمُّ صلواتنا رائحة بخور طيبة تصعد أمامه.

يدخل ال تائب في حوار حب مع الله، فيجد نفسه أمام عرش النعمة، ويقدم نوره كود فعل لاستجابة الله لصلواته. يقدم نور الشكر والتسبيح.

ما هدف إليه أليفاً بهذه الكلمات التي لا يشوبها شيء سوى نية أليفاً الشروية، هو أن يتهم أيوب أنه ليس برجل الله. صلواته التي يقدمها

لله كل أيام حياته لم تكن مقبولة، لأنها صاورة عن قلبٍ غير تائبٍ ونفس لا ترجع إلى الله، وأن نوره لن يوفيهما حتى وإن قدم ذبائح عن ولاده هذا مقلدها، وأعطى تقدمات بلا حصر، لأن قلبه غير طاهر.

ما حملته كلماته من حق الهي يناسب كل نفس لوجه الله استخدمه أليفاً كسيف يضوب به نفسية أيوب البار ليحطمه، ويدخل به الى جحيم

اليأس.

❖ بالنسبة للذين يحسبون وصايا الرب كلا شيء، يقدمون صلوات ولا يسمع الرب لهم قط. لذلك مكتوب: "من يصم أذنه عن سماع الناموس، فصلاته

تكون رجسة" (أم 28: 9). مادام أليفاز يعتقد أن الطوبوي أيوب لم يُسمع له، فإنه يصمم أنه قد ملرس خطأ ما.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ التوبة نار تلتهم كل ضعف بشوي، تزع التهون والكسل وثقل الجسد، وتعطي للنفس جناحًا تطير به نحو السماء، وتظهر لها خلال هذه القمة المرتفعة بطلان هذه الحياة الحاضرة.

من لا يرفع إلى مركز الواقبة لا يستطيع أن يلتقط صورة صادقة للأرض ومحتوياتها. فإن أمورًا كثرة تظلم مجال الرؤية وتصم الأذنين وتلعثم اللسان. لهذا يليق بالإنسان أن ينتزع نفسه من هذا الصخب، ويبتعد عن الدخان، ويدخل إلى الوحدة ليجد السلام العميق والهوء والسكون مع الاستنلة.

عندما تركز العين على حب الله، ولا تعود تسمع الأذن إلا كلماته وكأنها سيمفونية روحية عذبة، تصبح النفس أسوة (الله) تشعر بتقزز من الطعام والنوم.

حقًا أن ضجة العالم والاهتمامات المادية تتلوق على النفس، لكنها لا تدخل إليها، وبلرتفاع النفس هكذا لا تعود تبالي بوقعات العواصف الأرضية.

وكما أن سكان الجبال لا يعنون يسمعون أصوات المدينة ولا يرون ما يدور فيها، إنما يحسبون هذه كلها أشبه بضجيج مبهم، هكذا الذين توكوا العالم بل ادتهم وانطلقوا يطيرون في مرتفعات الفلسفة (الحكمة) لا يعنون يدركون شيئًا عن أحوال العالم، لأن كل حواسهم متجهة نحو السماء. إذن لنبحث لا عن وحدة الوية فحسب، إنما عن وحدة الرغبة الداخلية. لنختبئ فوق أعلى قمة النفس حيث لا يسكن فيها شيء أرضي. إن قوة التوبة كمثل هواء يطرد الغبار ويكتسح الشهورات أسوع من الدخان.

القديس يوحنا ذهبي الفم

وَتَجْرُمُ أَمْرًا فَيُنْبِتُ لَكَ،

وَعَلَى طَرَفِكَ يُضِيءُ نُورٌ [28].

يجد الإنسان التائب راحة داخلية في إدرة كل شئونه الخرجية " وتجرم أمرًا فيثبت لك ". وكما قيل عن الصديق، السالك في ناموس الرب: " كل مايصنعه ينجح فيه".

" على طرفك يضيء نور "، أي سوف يوشدك الله. فإن من وجع الى الرب بالتوبة يجد كلمة الله سواجًا يضيء له الطريق، حيث تدخل به الكلمة إلى ملكوت النور.

16. بالتوبة نتمجد

إِذَا وُضِعُوا تَقُولُ: رَفَعٌ.

وَيُخَلِّصُ الْمُخَفِّضِ الْعَيْنِينَ [29].

جاء في ترجمة اليسوعيين: " ومن تواضع تقول له: رتفع " عندما يحاول اليأس أن يتسلل إلى قلوب التائبين وأفكلهم. ويكاد أن يبتلعهم يجنون نعمة الله في داخلهم تشدهم، لكي يتمتعوا بالحياة السامية الناجحة " يركبون على مرتفعات الأرض " (إش 58: 14). فالتوبة الصادقة تهب تواضعًا صادقًا، حيث تهب الإنسان عودة إلى الله الذي يرفع المواضعين.

للأسف ما يعنيه أليفاز هنا ليس تقديم مشورة لكل إنسان ليتمتع بالتواضع الحقيقي، إنما ليؤكد أن ما بلغ إليه أيوب من انهيار تام حتى صار موضعه على المؤبلة، إنما ثروة كبريائه وعرفته حتى أمام الله، فأعد نفسه للدمار.



" فإن من يُذلّ سيتمجد، والذي يخفض عينيه يخلص " [29]. هذه العبارة لا تتناقض فم الحق، الذي قال: "لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع" (لو 14: 11). وهكذا قيل بسليمان: "قبل الكسر يتكبر قلب الإنسان، وقبل الكرامة التواضع" (أم 28: 12).
بلياقة قيل: " الذي يخفض عينيه يخلص"، وذلك لأن الكرياء يُكتشف خلال خدمة الأعضاء فإن أول إعلان عن هذا عادة يظهر في العينين. مكتوب: "الأعين المرتفعة تضعها" (مز 18: 27)... هكذا فإن "خفض العينين" لا يعني أن الإنسان ينظر إلى أسفل، وإنما أن يحسب نفسه أقل وتحت كل ما هو منظور.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنه يليق بالأكثر أن يخبر (المريض طبيبه) معوقاً بالأخطاء التي سقط فيها عن أن يحفظ حراحاته خفية، وأن يتعصب متبجحاً، مشهوراً بحارات [\[1010\]](#) الغير. ليس بالأمر العجيب أن يذهب العشار وقد شُفي إذ لم يخجل من أن يظهر موضع ألمه.

القديس أغسطينوس

❖ أين تكون حين تقترب إليك الشياطين؟ فإن التواضع يهدمهم من رجوتهم. إذ ينظرونك متواضعاً يهربون منك.

التواضع هو بيت اللاهوت، وحيث يوجد يسكن الله فيه.

أنظر في من أحلّ إلا في الوديع المتواضع الخائف من كلامي؟

لتتواضع نفسك، فيأتي الملك ويحلّ فيك، ولا تغلبك جميع قوة العدو.

لأن بيت الملك لا يسرقه اللصوص، لأن جنوده حافظون أبوابه باحتراس.

إن كنت متواضعاً يحلّ فيك بتلك المملكة، ولا يسرقك اللصوص.

إن تواضعت تقتلع شجرة الشر، وتغرس عوضاً عنها شجرة رينا المباركة.

إن اشتعل فيك حب لاهوته يجعلك أصم وجميع الشرور (التي تحل بك) تكون كالصالحات.

تنتطح إلي الإهانة والاستهزاء وجميع الشتائم المرة كأنها صالحات وليست شروراً...

القديس مار يعقوب السروجي

17 . بالتوبة نشفع في إختنا

يُنَجِّي غَيْرَ الْوَيْءِ،

وَيُنَجِّي بِطَهْرَةِ يَدَيْكَ [30].

ختم أليفاز حديثه بتوجيهه توبيخ قاس لأيوب. فإن كان أيوب قد اعتاد أن يقدم ذبائح عن ولاده لعلهم يكونوا قد أخطأوا ولو بالفكر ضد الله (أي 1: 5)، حاسباً نفسه وأهل بيته أبرّ من غوهم، فإن الله لم يسمع له، ولم ينجه هو ولا أنقذ ولاده، وهذه علامة شوه. فالإنسان الراجع إلى الله يطلب حتى عن غوه الوئى فينجيه، وذلك من أجل طهارة يدي البار الراجع يديه للصلاة. وكأنه يستخف بأيوب قائلاً له: لو أن يديك طاهرتين لقبلت صلواتك وذبائحك عن نفسك وعائلتك، لكن لأنهما شورتان جلبتا شراً للكل!

حقاً لا يتمتع الإنسان التقى بعمل الله فيه وحده، وإنما إذ باتساع قلبه يصلي عن الآخرين يستجيب الله له، كما فعل الرسول بولس وهو في السفينة (أع 27: 24).

لم يكن أليفاز يبرك أن ما يقوله يتحقق فعلاً حيث يصلي أيوب عنه وعن زميليه (أي 42: 8).

لعل أليفاز يتنبأ عن السيد المسيح الشفيح الكفري دون أن يوي. من هو هذا الطاهر اليدين سوى السيد المسيح الذي بلا خطية وحده؟
إنه يبسط يديه على الصليب، طالبا: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" قام بقرنته، واهبا البشرية غير الربيئة إمكانية الخلاص والغلبة على الموت،
والنجاة!
حقا مسيحننا وحده بدمه ينجي الانسان غير الويء وذلك بقوة دمه المسفوك على الصليب.

من وحي أيوب 22

لأرجع إليك بالتوبة،
فأدخل إلى أحضانك الإلهية

❖ هب لي الحكمة التي من عندك،
فإنني محتاج إليها لبنيناني.
بدونها لن تستريح نفسي،
بل أعيش في قلقٍ وورلة.
بدونها تحطم الشرور نفسي.
تهبني لذة مملوءة سماء.
وتقدم لي بهجة مؤقتة تدفع بي إلى الموت الأبدي!

❖ أنت هو الحكمة ذاتها.
لست في عوزٍ إلى شيءٍ.
أنا محتاج إلى حكمتك لكي أتبرر.
محتاج إلى خلاصك لكي أحيًا أبديا.
بك أتبرر، وتمتلئ نفسي بالخوات.
أيها القنوس، لست محتاجًا إلى صلاحِي ووِي.
إنما في حبك تقبل أن أقدم لك مما هو لك.
فأسمع صوتك العجيب.
ما فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم.

❖ أخبرني: هل تنتفع بتوبتي وصلاحِي؟
أنت كلي الكمال، لست في حاجة إلي.

لكنك أحببتي، تويدني أيقونة لك!

إنك لا تبغض ما صنعته يداك!

شروري لن تؤذيك،

وروي لن يضيف إليك شيئاً!

❖ إن وبختني على شروري،

إنما لأجل خلاصي ومجدي!

في تواضعك تقول إليّ لتحلورني!

تدخل معي كما في محاكمة،

لا لتهلكني، بل لكي أرجع إليك فأحيا.

❖ أعتوف لك أن آثامي قد طمت فوق رأسي.

هب لي أن أكتشف فضيحتي،

فآتي إليك يا سائر النفوس بحبك.

❖ إني لا أخشى اتهامات الغير لي،

لكن ما يشغلني نظوتك إليّ!

لست أريد أن أتيرر أمام الناس،

وإنما أن أكتسي بك، يا أيها البرّ الحقيقي!

❖ إلهي، إني أومن أنك ساكن السماء!

لكنك وأنت وراء الضباب لا واك بنو البشر.

أنت بكلينتك حاضر أيضاً على الأرض.

أنت محب السمايين والأرضيين!

بسبب شروري صوت كأني محروم من حضورتك.

لكنك أنت حال في كل مكان!

بلادتي لرفض حضورك فيّ،

أي عمل نعمتك الغنية في حياتي.

❖ هب لي التوبة، فارجع إليك.

تعمل نعمتك في أعماقي، فتتجلى في داخلي!
رأك، فيتهلل قلبي بك، يا فحي وبهجة قلبي!
لا يقدر ضباب ما أن يفصلني عنك،
ولا تقدر خطية ما أن تطمس عيني فلا رأك!
أنت في، بك أصير سماءً،
بك أصير هيكلًا لروحك القدس.
أنت في أعالي السموات،
تقيم من أرضي سماءً مقدسة ومكرسة لك!

❖ أنت القدير والعجيب في حبك!
بقورتك تتم خلاصي،
وبحبك تعدني لأتمتع بشركة مجدك.
بقورتك الفائقة تسكن في،
تشبعني بحضورك الفائق!
بقورتك خلقتني من التراب على صورتك ومثالك.
وبحبك تولت إليّ تعبد خلقتي.
جئت إليّ، وقدمت لي ذاتك طويلاً!
لم يعد الطويق إلى السماء مستحيلاً!
أثبت فيك فارتفع إلى سمواتك!
تحملني فيك، فلا أضل الطريق.
تحفيني فيك كما في فلك وح فلا يهلكني الطوفان.

❖ أعترف لك أن خطاياي أفسدت حياتي.
صار عيوي كلا شيء حتى في عيني.
لأقتنيك فتعوضني السنوات التي أكلها الحواد.
تحسب كل يوم في حياتي كألف سنة.

❖ في شوي كنت أود الهروب منك!
كنت أدرك أنك موجود،
لكن في غبلة كنت أقول في أعماقي: ليس إله!

أخشى من القوب منك، لئلا يعذبني ضموي!
أخاف الالتصاق بك، لئلا أُحرم من لذة الخطية.
كنت أنعم بخواتك، وفي غبولة أسيء استخدامها.
وهبتني الكثير، أما قلبي فكان فراغًا!

❖ الآن هبني التوبة الصادقة بالروح إليك.
هب لي ألا أتذكر الشر الملبس الموت،
لئلا ينشغل فكوي بلذة الخطية عوض الشبع بك!

❖ هب لي ألا أختفي مع آدم، وأهوب منك،
بل ألتقي بك، وأعترف لك بخطاياي!
فلا سلام لي بدون رؤيتك.

❖ هب لي أن أرجع إليك،
فينفتح قلبي لكلمتك.
أحتضنها وأتذذ بها، فهي حياتي!
أستعذب وصيتك، فهي صاورة عن فمك!

❖ أرجع إليك أيها القدير،
فتهبني روح القوة والعمل الدائم بلا توقف.
ألتصق بك، فأعتني بك.
يصير القبر بالنسبة لي في الكثرة كوابٍ،
والذهب الأوفير أشبه بحصا الأودية.
أنت هو غناي وثروتي الحقيقية السموية!
ليس للتبر والذهب الأوفير قيمة في عيني!

❖ لست أطلب شيئًا عند رجوعي إليك.
لكنك في حبك العجيب تقدم له حلة الحكمة، لتستر عليّ.
تقدم لي خاتم النبوة، فأدخل إلى عرشك بلا عائق.
تهبني حذاء لأسير في طويق الحياة، شاهدًا للحق الإلهي.

❖ رُجِعْ إِلَيْكَ فِي انْكَسَارِ قَلْبٍ،
لَكِنَّكَ سَوْعَانَ مَا تَقْدِمُ لِي عُنُوبَةً فَائِقَةً.
تَوَفِّعْ وَجْهِي إِلَيْكَ كَابِنٍ لَهُ دَالَّةٌ لَدَى أَبِيهِ!

❖ وَجِئْتُ إِلَيْكَ تَنْتَصِتُ إِلَى صَلَاتِي،
وَتَشْتَمُ ذَبَائِحَ تَسِيحِي رَائِحَةَ سُرُورٍ.
فَتَطْيِرُ نَفْسِي إِلَيْكَ كَمَا بَجْنَاهِي حَمَامَةً!
فَيَصِيرُ الْعَالَمُ فِي عَيْنِي كَلَا شَيْءٍ!
لَيْسَ مِنْ يَشْبَعُنِي سِوَاكَ!
وَلَيْسَ مِنْ نُورٍ يَهْدِينِي سِوَى سِوَاكَ.
أَتَصَاغِرُ جَدًّا فِي عَيْنِي نَفْسِي،
لَكِنَّكَ بِحَبِّكَ تَحْمَلُنِي عَلَى فِرَاعِكَ،
وَتَدْخُلُ بِي إِلَى أَمْجَادِكَ.
لَكِنْ لَسْتُ أَدْخُلُ وَحْدِي!
كُلُّ الْبَشَرِيَّةِ لَهَا مَوْضِعٌ فِي قَلْبِي!
تَوَى هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُصَ الْجَمِيعُ؟

<<

الْأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

صمت الله!

في هذا الأصحاح يرد أيوب على أليفاز. هنا لا يشير أيوب إلى بقية الأصدقاء، ربما رأى أنه لا فائدة من الحوار معهم ، وربما لأنه سرّ بمشورة أليفاز حتى وإن كان سيئ النية.

النقط قول أليفاز بخصوص الله غير المنظور (٢٢: ١٢-١٤). لكن ه على خلاف ما ظن أليفاز، فإن أيوب لا يريد الاختفاء من الله للتلذذ بخطاياهم بدون عقوبة، إنما يعلن أيوب شوقه أن يلتقي معه، ويلتمس أن يبرئه [٣-٥]. ولما كان الله عادلاً فحتمًا يبرئه [٦-٧؛ ٩: ٣٣-٣٥].
لم يكن أيوب متعوداً على الله، لكن اشتد به الحزن حتى صار يتوق إلى مواجهة الله. يقف أيوب في حوة، إذ أن الله يرفض الإعلان عن نفسه له [٨-٩]. لقد حجب نفسه عنه، ربما لكي لا يعطي الفوصة لأيوب أن يلتمس العدالة، فيرفع عنه التحربة.

1. رفع شكواه إلى الله 5-1

2. تأكده من مواحم الله 6

3. تأكده من النصرة بالصليب 7

4 . عدم إواكه لسر الله 8-9.

5. يقينه أن الله ينقيه بنار 10-13.

6 . شعوره بالضيق 14-17.

1. رفع شكواه إلى الله

فَقَالَ أَيُّوبُ: [1]

الْيَوْمَ أَيْضًا شَكَاوِي تَمُودٌ،

ضَرْبَتِي أَثْقَلُ مِنْ تَنْهَدِي [2].

يقول أيوب إن شكواه مؤد. لقد حسبها أصدقاؤه ه تمودًا على الله، لكن أيوب يعطي تورا لشكواه وهو أنه مهما تنهد، فلن تستطيع تنهدات قلبه أن تعبّر عن مدى ثقل نكباته. حواحات جسده ونفسه شديدة للغاية، وهي تثير شكواه.

❖ يجب أن تُشفى آلام الإنسان المُبتلى بتغوية أصدقائه، لكن لأن تغريتهم حملت خداعًا، صلت آلام الرجل المضروب أفسى مما كان عليه. لم يخف أليغاز نيته من جهة من يعده بأمرٍ أفضل إن تاب؛ فكان ذلك أشبه بعلاج مسموم، ف زداد الحوح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "الصديق الأمين نواء الحياة" (ابن سواخ 6: 16).

لا يوجد علاج مؤثر في شفاء الأوجاع مثل الصديق الصادق الذي يغريك في ضيقائك، ويدوك في مشاكلك، ويفوح بنجاحك، ويحزن في بلاياك. من وجد صديقًا هكذا فقد وجد ذخوة. فالصديق الأمين لا يشبه له، فزن الذهب والفضة لا يعادل صلاح أمانته (انظر ابن سواخ 6: 14، 15).

❖ ليس شيء يثبت الحب بقوة مثل المشركة في الفوح والألم. ليس لأنك بعيد عن المتاعب تنزل عن مشركة الآخرين أيضًا. فعندما يتعب قريبك أحسب الضيق خاصًا بك. شركه دموعه لكي تسند روحه المنسحقة ، وشركه فحه ليصير الفوح فيه عميقًا متأصلًا.

ثبتت المحبة، إذ بهذا تخدم نفسك أكثر من خدمتك له. فدموعك تصير أنت رحوماً، وبمشاعر البهجة تنقي نفسك من الحسد والغم... إن كنت لا

تستطيع أن تتوع عنه الشرور شركه بدموعك، فتريل عنه نصف الشر؛ وإن كنت لا تستطيع أن تريد خواته فشركه فحه فتضيف إليه أورا

[\[1011\]](#) عظيمًا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

" ضربتي أثقل من تنهدي " وجاءت في البابا غريغوريوس (الكبير): " يد ضربتي أثقل من تنهدي ". هنا يقصد الضربة التي أصابته بأيدي

أصدقائه المقاومين له، فإنها أعنف مما حلّ عليه من تجرب دفعته إلى التتهد. وكأن أصدقاء ه عوض تغريتهم له لتهدئة تنهداته، ألهموا الحواحات، إذ

جاءت أيديهم أكثر عنفًا مما حلّ به. يقول ابن سواخ: "رب صاحب يتنعم مع صديقه في السواء، وعند الضواء يضحى له عوا" (سواخ 37: 4).

مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أُجِدَّهُ،

فَأْتِي إِلَيَّ كُرْسِيِّهِ! [3]

كان أيوب واثقًا من عدالة الله، ويشتهي أن يقف أمام عرشه ليشكو له، فإنه حتمًا سيُنصفه، ولا يحطمه كما فعل به أصدقاؤه ه. وكما يقول داود

النبي: " قد ضاق بي الأمر جدًا، فلنسقط في يد الرب، لأن مواحمة كثوة، ولا أسقط في يد إنسان" (2 صم 24: 14).

لعل أيوب شعر أن الخطية عزلته عن الله، وضعفاته أفسدت علاقته بالله، فرأد أن يستود هذه العلاقة، ويتمتع بحبه لله. لهذا يصوخ: "من

يعطيني أن أجده؟" وكما تقول النفس البشرية: "أرأيتم من تحبه نفسي؟" (نش 3: 3) من يهبني أن أجده؟ من يفتح لي الطريق إليه.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب كان يشتهي الوقوف أمام الله وخدامه من الطغمت السماوية، حيث يتنوق الحب والرحمة، عوض ما يعانیه من البشر بني جنسه. لذلك يقول: "فَاتِي إِلَى كُرْسِيِّهِ!"

❖ ما هو "كرسي" الله سوى الأرواح الملائكية، الذين يشهد لهم الكتاب المقدس أنهم يدعون "العروش"؟ فمن وغب أن يأتي إلى كرسي الله إلا الذي يشاق أن يكون بين الأرواح الملائكية... فيرتفع ليسكن في المجد بالتأمل في الأبدية... فإنه إذ يرى بعين ي الإيمان خالق كل الأشياء يحكم الأرواح الملائكية، عندئذ يأتي إلى كرسيه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ يتمتع المؤمن بالشركة مع السمايين يشعر أن علاقته بهم لا تقل عن علاقته بإخوته في البشرية، إن لم ترد حنوًا ورحمة وحبًا. يفوحون خلاصه، وينشدون باسم البشوية تسابيح الخلاص، كأن الخلاص خاص بهم.

❖ اليوم يتمجد ملك المجد على الأرض كقول النبي، ويجعلنا نحن القاطنين على الأرض شوكاء في العيد السموي، ليظهر أنه ربّ كليهما (للسمايين والأرضيين). كما يُسبح له بتسابيح مشوكة من كليهما.

لذلك تغنت الطغمت السماوية، معلنة الخلاص على الأرض: "قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت، مجده يملأ كل الأرض".

والذين في الأسفل إذ يشتركون في تسابيح السماء المبهجة في تناغم معهم، صلخين: "أوصنا في الأعالي، أوصنا لابن داود" [1012].

الأب ميثودوس

أَحْسِنُ الدَّعْوَى أَمَامَهُ،

وَأَمْلَأُ فَمِي حُجْبًا [4].

يشتهي أيوب أن يعرض قضيته على الله، فإنه حتمًا سيعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه. إذ يمثل أيوب الكنيسة المضطهدة، فإنه وإن كان العالم يضايقها لكنها تستطيع في المسيح يوسع أن تقف أمام العرش بدالة وثقة، إذ تحمل وهّ الإلهي كما يقول الرسول.

يترجم البابا غريغوريوس (الكبير) هذه الآية: "أحسن الدعوى أمام الله، واملأ فمي بالتوبيخات". فإن المؤمن يستحسن الوقوف أمام الله ورفع دعواه، حيث تكتشف النفس ذاتها، وتتعرف عليها بدقة أعظم فتتعجب.

شتان ما بين هجوم الإنسان على المؤمن ليحطمه، وبين كشف روح الله للإنسان ليفضحه أمام نفسه، ويبيته ويهبه توبة صادقة كطريق للتمتع بملكوت الله. صار لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس" (عب 10: 19)، ونقف أمام عرش النعمة الإلهية.

في الحديث المفوح مع الله يشتكى الإنسان نفسه، فيتبرر في عيني الله. يقول الرب نفسه: "ذكرني فنتحاكم معًا، حدث لكي تتبرر" (إش 43: 26). وقد جاء النص في الترجمة السبعينية: "أعلن أولاً معاصيك، فنتبرر" (إش 43: 26 LXX).

❖ LXX يفتح لنا الله طرقاً كثرة لتحقيق هذا. فإنه يقول: "أعلن أولاً معاصيك، فنتبرر" (إش 43: 26). يقول أيضًا: قلت، أخبر بإثمي لك، وأنت تزع إثم قلبي" (راجع مز 32: 5). فإن الاتهام الدائم لأنفسنا أو تذكر الخطايا يساهم ليس بقليل في التقليل من جرمها [1013].

❖ LXX يوجد طريق آخر يهبنا هذا الواء، وهو أن ندين أنفسنا على أخطائنا، لأنه: "أعلن أولاً معاصيك، فنتبرر" (إش 43: 26). فمن كان في ضيقات ويشكر تتحل خطاياها، وأيضًا بالصدقة التي أعظم من كل شيء [1014].

القديس يوحنا ذهبي الفم

فَأَعْرِفُ الْأَقْوَالَ الَّتِي بِهَا يُجِيبُنِي،

وَأَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ لِي [5].

أساء أصدقاء أيوب فهم تسؤلاته عن علة سقوطه تحت تجرب مرة متوالية. حسوها شكوى ضد الله، بل وإلحادًا عمليًا. وحسوا تسؤلاته عن

نجاح الأثوار هجومًا على العدالة الإلهية. لكن أيوب كان واثقًا أنه إن دخل في محاكمة مع الله فحتمًا ستكون إجابات الله على تساؤلاته مريحة تمامًا وغير مثورة. لذا كان يشناق إلى الحوار معه، وأن يخضع لأحكامه خضوعًا كاملاً. الحوار مع الله أسهل وأعذب منه مع الناس. ولعل أيوب يقول لأصدقائه: إنني لا أبالي كثرةً وأيكم فيّ، إنما أود الحوار مع الله، فإن ما يشغلني ماذا يقول الله عني، وبماذا يجيب تساؤلاتي. وكما يقول الرسول بولس: "وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيّ منكم أو من يوم بشري، بل لست أحكم في نفسي أيضًا... ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب" (1 كو 4: 3-4).

❖ لا يقصد بولس هنا (1 كو 4: 4) أنه بلا لوم، وإنما يود أن يسد أفواه الذين يلومونه بغير تعقل. الله هو دياننا، فهو وحده يعرف بالتأكد ما يدور في قلوبنا [1015].

القديس يوحنا ذهبي الفم

2 . تأكده من مواحم الله

أَبْكُوثَةٌ قُوَّةٌ يُخَاصِمُنِي؟ كَلَّا!
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِلَيَّ [6].

حقًا من يقدر أن يدخل في خصومة مع الله، إذ مكتوب: "ضعف الله أقوى من الناس" (1 كو 1: 25)؟ ومع هذا فإن الحوار معه أفضل من الحوار مع بنى البشر، لأنه يهتم بالمشتكى، وبصغي إليه كأب متوفقٍ بابنه. وإن كان حلماً، لكنه مع الخرم يعلن عن أبوته الحانية للابن المجروح بالتجرب والضيقات.

آمن أيوب أن الله القدير لن وهبه ، حتى في محاكمته ومحاورته لن يستعرض كمال جلاله وعظمته، بل يتنزل ويظهر له قدر ما يحتمل، حتى يمكنه الحوار معه. لن يكون عنيفاً معه، فإنه ليس كبني البشر. إنه طويل الأناة، وينصت لمن يصوخ إليه، ويشدده ويشجعه. يهبه القوة، ويدخل معه في صواعٍ لا ليؤزمه بل ليهبه النصوة، وكما قيل عن أبينا يعقوب: "ب قوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب، بكى واسترحمه، وجده في بيت إيل، وهناك تكلم معنا" (هو 12: 3-4).

حقًا إن من ذاق العِشوة الحقيقية مع الله لا يكف عن اللقاء معه، إذ يبرك حنوه وطول أناته وتنزله من أجل محبوبه الإنسان، قائلاً مع أيوب البار: " أبكُوثَةٌ قُوَّةٌ يُخَاصِمُنِي؟ كَلَّا! وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِلَيَّ" (أي 23: 6).

❖ لقد ظنوا أن حملي الخفيف ثقيل جداً، لكنني انحنيت إليهم، تركاً ملكوت السموات، لكي آكل معهم، متخذاً الشكل البشري. بل بالأحرى أعطيتهم جسدي طعاماً: كنت لهم طعاماً وشريكاً معهم في المائدة [1016].

القديس جيروم

3 . تأكده من النصوة بالصليب

هُنَالِكَ كَانَ يُحَاجُّهُ الْمُسْتَقِيمُ،
وَكُنْتُ أَنْجُو إِلَى الْأَبَدِ مِنْ قَاضِي [7].

آمن أيوب أن الحكم الإلهي يصدر باستقامة، وأنه سينفذه على مستوى أبدي. بالالتجاء إليه، ننجو من الدينونة الأبديّة. وكما يقول القديس أغسطينوس أننا نهوب من العدالة الإلهية بالالتجاء إلى الله نفسه.

يترجم البابا غريغوريوس (الكبير) هذه الآية هكذا: "ليصنع عدالة ضدي، فتأتي محاكمتي إلى نصوة". وروى في هذه الصوحة الكنيسة تطلب من الله الكلمة أن يحقق العدالة بالصليب، يقول إليها ويفتديها، عندئذ إذ تدخل في المحاكمة تتمتع بنصوة على مستوى أبدي. إنها تطلب مجيء الكلمة

ليوبخها، فبتجسده وتوبيخه لها، تفتتح أمامها أبواب النعمة الإلهية، وتتبرر أمام العرش الإلهي.

❖ " ليصنع عدالة ضدي، فتأتي محاكمتي إلى نصرة [1017] "... لكي يوبخ طريقي فلأرسل الابن المتجسد... فلو أن ابن الله الوحيد بقي غير منظور في قوة لاهوته (أي لم يتجسد) ولم يأخذ شيئاً من ضعفنا (بشويتنا)، كيف كان يمكن للبشر الضعفاء أن يجنوا الوسيلة لنوال النعمة الإلهية؟ فإن ثقل عظمته - إن وُضعت في الاعتبار - تكون في الواقع لمقاومتنا وليست لمعونتنا. لكن القوي، الذي فوق الكل، جاء كضعيفٍ بيننا، فبمعادلته لنا بأخذه ضعفنا، يرفعنا إلى قوته. فإن هـ لم يكن ممكناً لنا أن نترك سمو طبيعته الإلهية، نحن أنفسنا غير ملائمين لذلك، لكنه انحنى إلى أسفل إلى الإنسان خلال ناسوته، وصار لنا نحن أن نكون كمن يصعد إلى ذلك الذي قول. لقد قام فُرفعنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ اهرب إلى الله نفسه، إن أردت أن تهرب منه.

اهرب بالاعتراف لا بالاختباء.

قل له: "أنت ملجأ لي".

هكذا دع الحب الذي وحده يهب حياة أن ينمو في داخلك [1018].

❖ مفرح هو وجه الرب، ما أن روى لا يجد الإنسان بهجته في شيء آخر [1019].

القديس أغسطينوس

4 . عدم إيراكه لسرّ الله

هَانَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا، فَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ،

وَعَرَبًا، فَلَا أَشْعُرُ بِهِ [8].

شِمَالًا حَيْثُ عَمَلُهُ، فَلَا أَنْظُرُهُ.

يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبُ، فَلَا رَأَاهُ [9].

عبر أيوب عن التيه الذي كان فيه، إذ كان كمن يبحث عن الله، فلم يجده في الشرق، ولا شعر به في الغرب. لقد سبق أن أوره أليفاز أن يتعرف على الله (أي 22: 12)، فيجيبه أيوب أن هذه هي شهوة قلبه، فإنه يود الظهور أمامه.

كان أيوب بلا شك يؤمن بأن الله حاضر في كل موضع، لكنه هنا يشكو من عجزه عن تركيز أفكله في الله وفي حكمته وسط ملاحظتهم له بالمناقشات غير المجدية والمنوثة. ف مع إيمانه بوجود الله كأن شيئاً أشبه بغشوة يغطي بصوته الداخلية، فيعجز عن التعرف على أسباب متاعبه التي سمح بها الله . لا يعرف خطية معينة لتركبها لكي يتوب عنها. لم يدرك ما هو هدف الله من السماح له بهذه النكبات. وأخوًا لا يعرف ما هي نهاية هذه النكبات، هل سينجيّه الله منها؟ متى؟ وكيف يتحقق هذا؟

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) أكثر من تفسير للشرق والغرب والشمال (أو اليسار) والجنوب (أو اليمين) في هذه العبارة.

التفسير الأول: الله كائن في كل مكان، وهو لا يتخزأ، يملأ الكل، روى الإنسان ويعرف كل ما في أعماقه، لكن الإنسان لا واه ولا يقدر أن يميزه بالحواس. مهوب مع أنه غير منظور.

التفسير الثاني : إن تطلعننا إلى الشرق، أي إن فكرنا في عظمته، حيث يشرق هو من الشرق، لا نستطيع إيراك طبيعته بفكرنا المائت. وإن تطلعننا

إلى الغرب، أي إن وُاجعت بصورة القلب بسبب فيض بهائه، لا يمكن فهمه. وإن سلكننا نحو اليسار حيث السقوط في الخطايا لا ندركه. وإن سلكننا نحو اليمين حيث الضوبات اليمينية من الكوياء والرياء والبرّ الذاتي لا زاه.

❖ "هأنذا أذهب شرقاً، فلا يظهر، وإن ذهبت غرباً لا أفهمه. إن ذهبت شمالاً، ماذا أفعل؟ إني لا أركه، وإن اتجهت يميناً (جنوباً) فلا أراه" [8-9]. خالق كل الأشياء لا يتخوً، وهو في كل مكان... فإن الروح غير المرك يحوي كل شيءٍ فيه، هذا الذي في نفس الوقت يملأ ويحوي... كأنه يقول بوضوح: إني لا أستطيع أن أنظر هذا الذي واني، ذاك الذي ينظوني بكل دقةٍ، ليس لي قوة على التطلع إليه... خالقنا الذي هو كامل بكليته في كل موضع ويميز كل شيءٍ، لا يمكن أن يُمَيَّز (بالحواس)، وهو بالأكثر مهوب، إذ يبقى غير منظورٍ، وأن مصير تصرفاتنا معلق، وزمانها غير معروف.

يمكن أيضاً فهم هذه الكلمات بمعنى آخر: فإننا نذهب شرقاً عندما نرفع أذهاننا بالتفكير في عظمتها، لكنه "لا يظهر"، حيث لا يمكن أن نرى في طبيعته بفكرٍ قابل للموت. "إن ذهبت غرباً، لا أفهمه"، نذهب غرباً عندما نتراجع عين القلب المرتفعة في الله بسبب فيض النور... الذهاب يسيراً (شمالاً) هو خضوع الإنسان لملاذات خطاياها. واضح بالتأكيد أن الشخص الذي لا زال يرضي خطاياها، وينطوح نحو اليسار لا يقدر ان يترك الله...

يذهب الشخص نحو اليمين (الجنوب)، ذاك الذي يتوقع على إنجرات فاضلة. لكن الله لا يمكن أن نرى بواسطة ذاك الذي يُسر بتمتعته بأعماله الصالحة في أنانية، إذ يُحدر عين القلب بغرور الكبرياء. لذلك حسناً يُقال في كل موضع: "لا تحد يميناً ولا يسيراً" (راجع تث 11:17)...

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1020]

❖ لا تقدر أن ترى الله، لكن من حقا أن تراه بحبك لوبيك. وبتطلعك إلى مصدر ذاك الحب ترى الله قدر ما تستطيع .

القديس أغسطينوس

5. يقينه أن الله ينقيه بنار

لأنه يعرف طريقه.

إذا جرتبي أخرج كالأذهب [10].

إذ اعترف أيوب بكمال الله الفائق، المالىء الكل، والعرف كل شيءٍ. وى حتى الأعماق، ولا واه الإنسان. أينما ذهب الإنسان إن كان شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً لا يقدر أن وى الله، ولا أن يترك أسوره الإلهية، وخطته نحو كل إنسانٍ، لكنه يعلم أرواً واحداً، أنه في عيني الله يحسب ذهباً ثميناً يحتاج إلى التنقية بنار التجرب ليرداد نقوة وبهاء. ف مع ما أصاب أيوب من شعورٍ بالحوة الشديدة وعدم إرواكها ما وراء الأحداث في ذهن الله، إلا أنه يعلم أن الله يعرف طريقه، وأنه سيخرجه من التجربة نقياً كالأذهب المصفى بالنار؛ وأن تجربته هي لامتحان إيمانه أو توكيته (1 بط 1: 7).

❖ "وسيمتحنى كالأذهب الذي يعبر النار". الذهب في الفرن يتقدم في بهاء طبيعته، بينما يفقد الرغل. هكذا كما أن الذهب يعبر بالنار هكذا تمتحن نفوس الأوار. .. بنار التجربة موة فأخوى وُال عنها عيوبها، وتوداد فضائلها.

ليس في كبرياء يشبه القديس نفسه بالذهب الذي يمتحن بالتجرب... إذ يفكر في نفسه أنه قد تنقى بألم التجربة، حتى وإن لم يكن قد وُجد فيه ما ينتقى منه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ عندما يريد الله أن ينصر الإنسان ويعظمه، يسلمه أولاً إلى الشر (التجرب) ليختبر ويُفحص ثم يظهر جماله للعالم بالحسنات التي يعملها الله معه. لما أراد الله أن ينصر يوسف ويجعله سيدياً على مصر...، ماذا كانت بداية عمله ليفضي إلى نهاية صالحة؟ ولاً قبض عليه إخوته، وأهانوه، واستنوروا به، وزعوا ثيابه، وأبقوه في الجب، وقطعوا رجاءه، وباعوه للتجار، وصار عبداً يخدم الأرباب، وأستعيد ابن الأحرار الحسن الذي لم يقترف

من كان يرى هذا العمل السيئ لم يكن بوسعهم أن يظن أن كل هذه الشرور كانت تُنكب لصالح يوسف. أما الله الذي كان يعلم ماذا يريد أن يصنع له، فلم يشفق عليه عندما كان بزرًا تحت وطأة كل هذه الشرور، لكنه تركه يسقط في الجب، ويُباع للتجار، وُزج به في السجن ظلمًا. بعد هذه كلها أشرق جماله كالشمس، وظهر حقه كالذهب، وزالت شروره كالدخان، واعتلى قمة المركبة كالمملك، وقام في العظمة التي من أجلها وضعه الله بحيث يتواضع فيرتفع [\[1021\]](#).

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كما يُلقى محمص الذهب بقطعة الذهب في الفون لتحتل النار إلى حين، حتى واهها قد تنقت، هكذا يسمح الله بامتحان الأنفس البشرية بالضيق حتى تتنقى وتحصل على نفعٍ عظيمٍ...

فليتنا لا نضطرب ولا نياس عندما تحل بنا التجرب. لأنه كما أن محمص الذهب يعلم الزمن الذي ينبغي أن يُترك فيه الذهب في الفون، فيُخرجه في الوقت المعين ولا يتركه بعد في النار حتى لا يفسد ولا يحترق، كم بالأكثر يعلم الله ذلك. **فعندما وانا قد تنقينا بالأكثر، يعتقنا من تجربنا حتى لا ننطرح ونطرد بسبب توايد شرورنا.**

عندما يحل بنا أمر ما لم نكن نتوقعه لا نتذمر ولا نخور قلوبنا، بل نقبله من الله الذي يعرف هذه الأمور بدقة، حتى يمتحن قلوبنا بالنار كيما يُسر، إذ يُفعل هذا بقصد فائدة المجرِبين. لذلك يوصينا الحكيم قائلاً بأن نخضع لله في كل الأمور، لأنه يعرف تمامًا متى يخرجنا من فون الشر. (حكمة يشوع 1:1-2)

يليق بنا أن نخضع له على اللوام، ونشكوه باستمرار، محتملين كل شيءٍ برضا، سواء عندما يمنحنا بركات أو يقدم لنا تأديبات. لأن هذه الأخوة هي نوع من أنواع البركات.

فالتبيب ليس فقط يسمح لنا بالاستحمام (في الحمامات)... أو الذهاب إلى الحدائق المبهجة، بل وأيضًا عندما يستخدم المشروط والسكين هو طبيب!

والأب ليس فقط عندما يلاطف ابنه، بل وعندما يؤدبه ويعاقبه... هو أب! وإذ نعلم أن الله أكثر حنوًا من كل الأطباء، فليس لنا أن نستقصي عن معاملته، ولا أن نطلب منه حسابًا عنها، بل ما يحسن في عينيه يفعله. فلا نميز إن كان يعتقنا من التجربة أو يؤدبنا، لأنه بكلا الطريقتين يودرنا إلى الصحة، ويجعلنا شوكاء معه، وهو يعلم احتياجاتنا المختلفة، وما يناسب كل واحدٍ منا، وكيف، وبأية طريقةٍ يؤمننا أن نخلص...

لنتبعه حيثما يأمرنا، ولا نفكر كثيرًا إن كان يأمرنا أن نسلك طريقًا سهلًا وممهدًا أو طريقًا صعبًا وعوًا [\[1022\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما يُختبر الذهب بالنار فيصير نافعًا، هكذا أنتم يا من تعيشون في العالم تُختبرون بها. هكذا أنتم الذين في النار تعبرون اللهب وتتطهرون. وكما يُطوح الرُغل عن الذهب، هكذا أنتم ستطوحون كل حزنٍ وتجربةٍ، وتصيرون أطلهلاً ونافعين لبناء الوجود [\[1023\]](#).

هرماس

بِخَطَوَاتِهِ اسْتَمْسَكَتْ رِجْلِي.

حَفِظْتُ طَرِيقَهُ وَلَمْ أَحِدْ [11].

مع اعتراف أيوب أنه يحتاج إلى راحة الرُغل منه، يعود فيعلن أنه قد وضع في قلبه أن يسلك حسب مقاصد الله وخطه، يلتزم بأن يسلك في الطريق الإلهي خطوةً بخطوة. إنه لا يريد أن يحيد عن الطريق يمينًا أو يسارًا.

من جانب يرفض أيوب ما يدعيه أصدقائه أن هذه التجارب ثروة شريرة وريائه ومقاومته الخفية لله، وإنما هي بوتقة لتنقية أعماقه فيخرج ذهباً مصفى بالنار، ومن الجانب الآخر يعلن أنه يسلك في طريق الرب، يحفظ وصايا الرب ولا يحدد عنها.

❖ " تلتزم قديمي بخطواته " ، فإن أعمال الله التي زاها هي نوع من آثار خطواته. بهذه الأعمال يُحكم الصالحون والظالمون، الأوار والأثوار يُوضعون في طبقاتهم... يأمرنا الحق أن نفتقد آثار خطوات أبيه، إذ قال: صلوا لأجل الذين يضطهونكم ويتهمونكم باطلاً، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات (مت 5: 44-45) ... يقول بطرس عن خطواته هذه: "من أجل المسيح الذي تألم عنا، تركاً لنا مثلاً لكي نفتقد آثار خطواته" (1 بط 2: 21)...

" حفظت طريقه، ولم أجد أحد " ، من يملس الأمر الذي يصمم عليه ذهنه يحفظ الطريق ولا يحدد عنه. فإن من "يحفظ" ما يصمم عليه لا يحدد عنه في سلوكه العملي. هذا ما يشغل الأوار أنهم ملتزمون أن يمتحنوا تصرفاتهم بطرق الحق يوماً فيوماً، ويحسبون قانوناً لأنفسهم، يؤمهم ألا يحيوا عن ربه المستقيم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ علمكم المسيح أن تتألموا، وقد فعل هذا بأن تألم هو نفسه. لا تكفي الكلمات ما لم يُضف إليها المثال العملي. يا له من تعليم ثمين قدمه لنا أيها الإخوة والأخوات! لقد عُلق على الصليب، وكان اليهود ثائرين... كان معلقاً هناك، وفي نفس الوقت كان يشفيهم [\[1024\]](#).

القديس أغسطينوس

مِنْ وَصِيَّةِ شَفْتَيْهِ لَمْ أَوْحَ.

أَكْثَرَ مِنْ فَرِيضَتِي ذَخَرْتُ كَلَامَ فَمِهِ [12].

يعلن أيوب أنه لم يراجع إلى وراء عن الوصية الإلهية الصاورة عن الفم الإلهي، بل يتقدم إلى الأمام بمقتضاها، ويسعى يوماً نحو الغرض.

لقد تمسك بالوصية حاسباً إياها أفضل من طعامه الضروري، إذ لا يقدر أن يعيش بدونها، فهي طعام نفسه وثوابها.

يتطلع أيوب إلى الوصية الإلهية بكونها صاورة عن شفتي الله، وأنها كلام فمه، فهي ليست وأمر يلتزم بها لكي توجه سلوكه فحسب، لكنها عطية عذبة وثمانية تصدر من فم ذلك المحب! لهذا لا تمثل ثقلاً يود أن يهرب منه، إنما في عنوبة لا يوح عنها، وفي شوق يدخوها في أعماقه. وكما يقول الموتل: "بطريق شهادتك فحت كما على كل الغنى. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بوائضك أتلدذ لا أنسى كلامك... شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة... كم أحببت شريعتك اليوم كله هي لهجي. سواج لوجلي كلامك ونور لسبيلي. ورثت شهادتك إلى الدهر لأنها هي بهجة قلبي. يغني لساني بأقوالك، لأن كل وصاياك عدل" (مز 119: 14-16، 72، 97، 105، 111، 172).

❖ إن كان أيوب قد وضع لنفسه فيضة وهي أن يسلك كما يليق به كإنسان، لكن ما هو أثن من هذه الفيضة الوصية الإلهية، بكونها كزه الذي يقتنيه ويحرص عليه، ويحفظه في قلبه. "أخفي كلمات فمه في حضن قلبي". فإننا نخفي الكلمات في حضن قلوبنا عندما نسمع وصاياها، لا بطريق عابر، بل نتممها عملياً. مكتوب عن الأم العزراء نفسها: "كانت مريم تحفظ كل هذه الأمور متفكرة بها في قلبها" (لو 2: 19).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ حقاً إن من يحصل على غنى مادي يوح بسبب هذا الغنى، ليس عندما يكون لديه جزء من الغنى، وإنما يحصل على "كل الغنى"، كل الأصول الثابتة والمتداولة، أي العقارات والنقود. هكذا أيضاً من وغب في الغنى الروحي يوح ويبتهج عندما ينال غنى كاملاً، وذلك بفضل تقدمه في شهادات الرب ومملسته للفضائل. كأنه يقول: لتكن شهادتك هي التي تغنيني عن كل شيء، لتكن هي فوحي وغناي.

العلامة أوريجينوس

❖ الذين مواطنهم هي في السماء (في 3: 19-20)، ماداموا قاطنين هنا مشغولين (بالسماويات) فهم بالحق غرباء. ليصلوا حتى لا تُخفى عنهم وصايا

الله، التي بها يتحررون أثناء رحلتهم المؤقتة، وذلك بحبهم لله الذي يقطنون معه أبدياً؛ وبمحبتهم لل قريب لكي ما يذهب هو أيضاً إلى حيث سيكونون
(أي في السماء) [1025].

القديس أغسطينوس

أَمَا هُوَ فَوْحَدُهُ، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟
وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ [13].

مع شعور أيوب بضعفه البشري وفي نفس الوقت لا يقدر أن يتجاهل أمانته وجديته في حفظ وصايا الرب، وتقديره الفائق لها، كان يود أن يدخل في حوار مع الله ليتعرف على مقاصده الإلهية وراء ما حل به.
لكن أيوب يرك حدوده أنه مخلوق ضعيف لا يعاتب لكي يغير خطة الله، ولا يتوقع أنه يقاوم الله. يعلم أن الله هو القدير الحكيم الأب، ما يريده هو للخير، وقادر على أن يفعله. وكان أيوب يود في حواره أن يفتح الله بصيرته بالأكثر ليسبح في محبته الله الفائقة حتى وإن كانت الضيقات تلاحقه من كل جانب. بهذا الحوار ينتفع أيوب فيزداد إيمانه وحبه ويسمو فوق الكلام.
الله هو الحق المطلق، مشورته غير متغورة، لا يشترك معه أحد في المشورة، ليس من يغير رأده ومقاصده. حقاً بالتوبة يعفو، لكنه مقاصده لا تتغير "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله".

إنه قدير، ما يشتهي يحققه. ليس كالبشر الذين يشتهون أموراً كثرة لا يفعلونها، أو لا يقرون أن يفعلوها، أو لا يجسرون على ذلك، إذ هو كلي القوة. "كل ما شاء الرب صنع" (مز 135: 6).

❖ " إن كان يُحاكم، فمن هو هذا الذي يعرضه؟ فإنه يريد الشيء ويتممه ". تُحفظ المعرفة في حدود الطبيعة بكل طرقها، أما الإيمان فيجعل رحلتها فوق الطبيعة... الإنسان الذي يتبع الإيمان يصير للحال حراً وحاكماً لنفسه، وكابنٍ يُخضع كل طبائع الخليقة وكأنه إله، فإنه بالإيمان يتحقق السلطان على شبه الله ليقيم خليقة جديدة. إنه يقول: "أنت تفعل ما تريد، وكل الأشياء حاضرة أمامك". وفي مرات كثيرة يمكن للإيمان أن يحضر كل شيء من العدم [1026].

القديس مار أفام السرياني

يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على تعبير "هو وحده"، كأنه لا يوجد كائن ما غوه، قائلاً إنه يليق التمييز بين الخالق القائم بذاته، غير المتغير، وبين المخلوقات التي وجدت من العدم، ولا تقدر أن تقوم بذاتها.

❖ " لكنه هو نفسه وحده، ولا يستطيع إنسان ما أن يغير فوه"... إذ ت وجد كثة من الأشياء في دائرة الطبيعة، فلماذا يُقال بصوت الطوبوي: "إنه هو وحده"؟ "يوجد فرق بين ما يوجد، وما هو موجود أصلاً، بين ما يخضع للتغير والوجود والمستقل عن التغير. فإن كل هذه الأشياء موجودة، لكنها لا تقوم بذاتها، فلو لم تقم بيد من يحكمها ما كان يمكن لها أن توجد قط. فإن كل الأشياء تقوم في ذلك الذي خلقها، وهم ليسوا مدينين بحياتهم لأنفسهم، ولا أولئك الذين يتحركون ولا يحيون قد صلت لهم الحركة حسب نزواتهم. إنما (الله) هو الذي يحرك كل الأشياء، هذا الذي يحيي البعض، واهباً لهم الحياة، بينما الكائنات الأخرى التي بلا حياة يقوم هو بحفظها، مودعاً إياها بطريقة عجيبة ككائنات أقل وأدنى.

خُلقت كل الأشياء من العدم، وينتهي وجودها إلى العدم، ما لم يمسك بها خالق الأشياء بيد تدبوه. إذن كل الأشياء المخلوقة لا تقدر بذاتها أن تقوم، ولا أن تتحرك، وإنما ينبغي أن تخضع لجابلها، بهذا فقط تتحرك...

على أي الأحوال، فانه حتى وإن وجدت مقاومة ضدنا من الخرج (أي ضيقات) يليق بنا أن نترك أن الله يعمل فينا من الداخل...

إذن في كل الأحوال يُنظر إلى الله كمن هو وحده ، هذا القائم من البدء، والقائل لموسى: "أنا هو الذي هو، هكذا تقول لبني إسرائيل، ذلك الذي هو كائن يرسلني إليكم" (خر 3: 14). هكذا عندما نُعاقب بالأمر التي زاها، يلومنا أن نخاف ذلك الذي لا زاه...

بخصوص عدم إمكانية تغوئه، أضاف بطريقة مباشرة لاثقة: " لا يقدر إنسان أن يغير فوه"، فإنه إذ هو بالطبيعة غير قابل للتغير، فهو غير قابل للتغير في الإادة. " لا يقدر أحد أن يغير فوه"، حيث ليس لإنسان ما سلطان لمقاومة أحكامه الخفية... هكذا مكتوب: "يصدر قانونًا لا يتغير". وأيضًا: "السماء والأرض تتولان، وأما كلامي فلا يزول" (مر 31:13). أيضًا: "لأن أفكري ليست كأفكركم، ولا طرقكم كطريقي" (إش 8:55)...

فإنه حتى تلك الأمور التي تبدو أنها تُصنع ضد رادته ومخالفة لها، فلنتطلع إلى أن ما لم يأمر به يُسمح به أحيانًا أن يتم لكي تخدم ما أمر به وتحققه بأكثر تأكيد. فإن رادة الملاك المقوم شوية، لكن الله يأمر بطريقة عجيبة حتى يستخدم الله ذات حيله المخادعة لصالح الأوار الذي يتطهرون خلال جهادهم. لهذا فإن كل ما رغبه نفسه (الله) يفعله"، مستخدمًا ذات المصدر الذي قد يبدو مقولًا لإرادته ليحقق به رادته...

البابا غريغوريوس (الكبير)

6 . شعوره بالضيق

لأنه يُتَمَّمُ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ،

وَكثيرٌ مِثْلُ هَذِهِ عِنْدَهُ [14].

يتطلع أيوب إلى الله الواحد الوحيد القدير الموجود بذاته كمصدر لحياته والمحرك لكل الأمور بعنايته الفائقة، لهذا وى أن كل ما يحدث هو لنفعه وصلاحه.

لكنه بالرغم من هذا اليقين لن توقع عنه طبيعته البشرية التي تخشى ما يحل عليه من نكبات وآلام. ولعل هذه الخشية أو المخافة ليست رعبًا مما سيحل به، وإنما مخافة الرب المقدسة. فإنه يقف في خشية أمام عظمة الله الفائقة وجلاله. إنه يسر بالحضرة الإلهية لكن ليس في تهلون أو استهتار، إنما في إجلال وتكريم لله.

❖ لكنك حسنًا تضع تسؤلًا وسط هذه الكلمات فنقول: "يا أيها الطوبوي أيوب، لماذا لا تزال ترتعب من الأخران وسط مثل هذه الضربات؟ لقد حدثت بك الأخران بالفعل، لقد ازعجت فعلاً بواسطة الكولث غير المحصية... لكن لاحظ كيف يجيب القديس على تسؤلنا مضيئًا: " لأنه حين يحقق رادته في، توجد أمور أخرى كثوة معه" [14]... مع رؤيته القوة غير المبركة من جهة السلطان، هذه القوة القائمة فيه، يشعر البار أنه ليس في أمان من جهة الضربة التي تحل عليه، فيزداد بالأكثر خوفه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ رَتَاعُ قُدَامَهُ.

أَتَأْمَلُ فَرْتَعِبُ مِنْهُ [15].

سبق فأعلن أيوب أنه لا يرتعب أمام الله، لأن له دالة عليه. أما هنا فيذكر أنه يتأمل في عناية الله وأعماله فتنتابه مخافة، وهي مخافة التكريم والاعزاز بالرب مثل مخافة الابن نحو أبيه.

لعل ما رعبه صواحه الداخلي، ففي ضيقه من اتهامات أصدقائه له يستحسن الحوار مع الله والمحاكمة أمامه، وكأنه يقول مع داود النبي: " فلنسقط في يد الرب، لأن مواحه كثوة، ولا أسقط في يد إنسان" (2 صم 24:14). وفي نفس الوقت يعلم أيوب أنه غير أهل للحوار مع الله، والدخول في محاكمة معه.

❖ [15] " [10271] لهذا أنا اضطرب لحضوته، حين أحسب إنني خائف منه [] إنه بحق يضطرب لحضور الرب، ذلك الذي يضع نصب عينيه رعب

جلاله، ويرتعب تمامًا بواسطة مهابة ربه، وهو ينظر أنه غير أهل أن يجيب إن حوكم بحزم...

أما بخصوص الطوبوي أيوب، فنحن نعرف أنه تكرس لتقديم ذبائح متنوعة لله، وسلم نفسه لأعمال العطاء السخي، وتقديم احتياجات الفواء،

وكان متواضعًا حتى أمام الخاضعين له، لطيفًا مع مقلوميه، ومع هذا لحقت به مثل هذه الكورث غير المحصية... فماذا نقول نحن الخليقة البائسة؟ ماذا نقول نحن الخطاة إن كان الذي فعل كل هذا خاف هكذا؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليس شيء يعلو على مخافة الله لأنها تسود على كل شيء، وبخوف الله يحيد كل واحدٍ عن كل الشرور، فلنفتن لنا هذا الخوف ولنجد عن كل ما لا يريده الله، ونجرب كل ما يرضيه ونحفظه ولا نفعل شيئًا يحزنه، ونعلم أن كل ما نفعه ينظر هو إليه ولا تخفى عليه خافيةً.

القديس مقاريوس الكبير

لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أضعَفَ قَلْبِي،

وَالْقَدِيرَ رَوَّعَنِي [16].

مع ما لأيوب البار من دالة حتى للدخول في محاكمة مع الله، لكنه يلتزم بالمخافة المقدسة، إذ يترك عظمة الله وجلاله. الحب المقدس يطود مخافة العبيد خلجا، لكنه يجلب مخافة الرب حتى يلتحف بها الأوار أمام القوس. لا نعجب مما لأيوب من جسرة وجرأة ودالة لدى الله، وفي نفس الوقت يضعف قلبه ويرتعب أمام القدير. هذا هو منهج أولاد الله يشتهون مع الرسول بولس أن ينطلقوا ويكونوا مع المسيح ويصوِّخون طالبين: "نعم تعال أيها الرب يسوع"، وفي نفس الوقت يذكرون يوم الدينونة ويبيكون على خطاياهم.

❖ "فإن الله جعل قلبي واهنًا، والقدير رعبني". يُقال إن قلب البار بالعطية الإلهية يصير واهنًا حيث تتخلله مخافة الدينونة القادمة من العلي. فما هو واهن يُمكن بسهولة أخزاقه، وما هو قاسٍ لا يمكن أخزاقه. لذلك يقول سليمان: "سعيد هو الإنسان الذي يخاف على النوام، أما من يقسي قلبه فيسقط في ازعاج" (أم 14:28)...

قلوب الصالحين ليست في أمان بل مضطربة، حيث يفكرون في الثقل العظيم للحساب القادم، ويطلبون أن يتمتوا بالراحة هنا. إنهم يقطعون اطمئنانهم بالتفكير في الحزم الداخلي. غير أن مثل هؤلاء الأشخاص، وسط ذات تأديبات الخوف، غالبًا ما يتذكرون العطايا، وبهذا يتهللون وسط المخاوف، ويعيدون النظر إلى الهبات التي نالوها حتى يدعموا رجاءهم ويهبط الخوف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن وضعت في ذهنك دينونة الرب للأرض كلها (مز 7:1.9) كقول الكتاب المقدس، فإن كل حادث يعلمك معرفة الله.

القديس مرقس الناسك

❖ تذكر على النوام ساعة خروجك، ولا تنسى الدينونة الأبدية، فلا توجد في نفسك خطية.

❖ كيف نوضى الله؟ توجد خمسة أعمال تساعد على جلب عطية الله:

الأول: الصلاة النقية.

الثاني: التسبيح بالزامير.

الثالث: قِراءة الأسفار المقدسة.

الرابع: تذكر الإنسان خطاياهم والموت والدينونة المخيفة.

الخامس: عمل اليدين.

القديس مار أوغريس البنطي

لَأَنِّي لَمْ أَقْطَعْ قَبْلَ الظَّلَامِ،

وَمِنْ وَجْهِ لَمْ يَغْطِ الدَّجَى [17].

هرة أخرى وإن كان المؤمن يضعف قلبه ويمتلئ قلبه بالمهابة، يعلم أنه في غنى نعمة الله لا يهلك، ولا تقدر الظلمة أن تغطي وجهه مادام قد وضع يده في يد الله. بالإيمان يرى المؤمن أبواب السماء مفتوحة أمامه، وفي يقظة يخشى وهو قائم لئلا يسقط كما قال الرسول بولس (1 كو 10: 12).

❖ " لكنني لا أهلك من أجل الظلمة التي تهددني، ولن تغطي الظلمة وجهي "... فإن الضربات التي تحل على الصالحين إما تزيد الشرور التي مارسوها، أو تجعلهم يتجنبون الضربات المقبلة التي قد تحل. أما الطوبوي أيوب فإنه إذ سقط تحت العصا، لم يتطهر من خطايا ارتكبتها ولا حصنته مما يهدده. إنما ضاعفت من صلاحه بالأكثر وهو تحت الضربة، فيقول بيقين: " فإنني لا أهلك من الظلمة التي تهددني، ولن تغطي الظلمة وجهي".

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 23

صمتك وسط آلامي أعذب من تعزيات البشر!

❖ في وسط هولرة نفسي شكوت،
آلامي أثقل من كل أنينٍ أو تهديدٍ.
يحسبني من واني منذرًا عليك.
إني أثق فيك، وفي حبك وبرك.
أريد أن ألتقي بك،
فأنت وحدك فاحص قلبي
لماذا تصمت يا محب البشرية؟
لتحاكمي، ولكن حسب رحمتك!
أريد الحوار معك،
فإني أعلم أن بصليبيك أنجو إلى الأبد.

❖ لماذا تصمت يا أيها العجيب في حبك؟
أريد أن أهرب من العدل الإلهي،
بالاتجاه إلى حبك.
أعترف إليك بخطاياي،
فليس من يتفوق بضعفي مثلك؟

❖ إن تطلعت إلى المشرق رى عظمتك.

فأصمت أمام بهائك.
وإن تطلعت إلى المغرب حيث أواجه أمامك،
يجمد فهمي تمامًا!
إن سلكت في اليسار حيث الخطايا،
لا أقدر أن أوركك.
وإن سلكت في اليمين حيث ضربات البرّ الذاتي،
أحرم نفسي من رؤياك .
أخبرني، كيف رأك وأتحدث معك،
فأنت هو ملجأى الوحيد.
❖ أنت في كل مكان، أنت في أعماقي،
ولغباوتي لم أعرف كيف ألتقي بك!
أنت تراني، وتفحص أعماقي،
وبسبب عمالي لا أراك، ولا أورك أسورك!
خطئك من نحوي فائقة.

❖ تويدني ذهبًا مُصفيّ بالنار، بلا زغلٍ،
تسمح لي بالتجرب،
وتعمل فيّ بلا توقف، حتى وإن صمت.
وسط صوختي العوة، ترى نفسي تتلقى كما بناه .
تراني قادمًا إليك في أمجادٍ هي من عمل نعمتك فيّ!
في صممتك تبدو كمن لا يبالي بصوختي العوة،
لكنك الفخري الحكيم تعلم متى تخرجني من فون التجرب.
تتطلع إليّ، أنا الطين،
وتراني قد تحولت إلى إناءٍ للكوامة!
لن تتركني في النار حتى أحترق،
ولن تخرجني قبل الأوان لنلا أفسد!

❖ رأك الطبيب السموي في صممتك تمسك بالمشروط.
لتضوب به جسمي، وتروع عنه القروح.
رأك الأب الذي وإن صمت فعيناه على ابنه المحبوب.

الآن لأسلك حسب مقاصدك غير المبركة.
بشكرٍ أتقبل خطتك من نهي، مهما بدت مؤرة.
لأحفظ طريقك بنعمتك.
فقد وعدتني أن أكون ابناً للآب السموي!

❖ في وسط لجة محبتك أدرك أنك القدير وحده.
من يقدر أن يفهم أعماق حكمتك؟
لتعمل فيّ، حتى وإن تمررت نفسي،
فكل ما تعمله هو لبناني الأكيد.
إني الجبلة الضعيفة تخضع لجابها القدير.
حتى إن تضايقت إلى حين،
فإن جلالك العجيب يسبي كل كياني.

❖ سَعَتِ خَوْفِكَ فِي دَاخِلِي،
فَهُوَ حَصْنِي وَمَلْجَأِي مِنْ مَحَارِبَاتِ الْعَدُو.
فِيهِ احْتَمِي، وَبِهِ أَسْلُكُ كَمَا يَلِيقُ بَابِنِ لَكَ!
بِهِ أَمْتَلِي رَجَاءً، لَكِنْ بَرُوحِ الْخَشُوعِ وَالْتِقْوَى!
بِهِ أذْكَرُ يَوْمَ مَجِيئِكَ، فَاصُوحُ:
قَلْبِي مُسْتَعِدُّ يَا اللَّهُ، قَلْبِي مُسْتَعِدُّ!
تَعَالِ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ،
فَأَنْتَ هُوَ الدِّيَانُ،
وَأَنْتَ هُوَ الْمُغْوِي وَالشَّفِيعُ عَنِّي.

<<

الْأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

أَلَا مِنْ مَحْكَمَةٍ لِتَقْدِيمِ التَّمَاسِ!

يتساءل أيوب: لماذا لا يقيم الله أيامًا خاصة بالقضاء، لكي ينظر في حال الأيتام والأرامل والمساكين والمظلومين، فإن القضاة البشريين يسقطون

أحيانًا في أخذ رشوة من الأغنياء الظالمين [٢-٤]؟

- 1 . عدم مبالاة الأثوار بالديان
- 2 . عملهم السلب والاعتصاب
- 3 . استغلال المساكين
- 4 . وعبون الودعاء
- 5- . يظنون أنهم فوق القانون
- 11 . يريدون الشر والرب يريد الخير
- 12-13 . يظنون أن الله لا ينتبه!
- 14-17 . حلول الظلمة على الأثوار
- 18-20 . رعب الأثوار
- 21 . لا تستقر عصاهم على الصديقين

1 . عدم مبالاة الأثوار بالديان

لِمَاذَا إِذْ لَمْ تَخْتَبِ الْأَمْنَةَ مِنَ الْقَدِيرِ،
لَا وَى عَرْفُهُ يَوْمَهُ؟ [1]

إذ يتطلع أيوب إلى يوم الدينونة يمتلئ بالمهابة أو مخافة الرب، حيث يلتقي بذاك الذي فوق الزمان (17- 23:15) . يدهش أيوب من الأثوار أنهم وهم خاضعون للؤمن، يعيشون إلى حين ثم يحلون، لا يخشون الله الذي يحتضن كل الأمانة، ولا يفلت منه زمان. وى أيوب أن كل إنسان يظهر في زمن معين ثم يختفي بموته، ولا يعلم يوم مجيء الرب لمحاكمته، فكان يليق به ألا يملس الظلم ضد أخيه لعله بهذا يحول الاتهام الموجه ضده إلى أصدقائه الذين لا يخشون الله، ولا يبالون بصديقهم أيوب، بل يملسون القسوة ضده.

الأمانة ليست مختفية عن القدير، فالأمانة الماضية لا تختفي من دينونته (جا 3: 15)، والأمانة الحاضرة لا تختفي عن تدبير عنايته (مت 10:29)، والأمانة المقبلة لا تختفي عن علمه السابق (أع 15: 18) [1028]. لذا يليق بالأثوار ألا يظنوا أنهم يفلتون من العدل الإلهي، إذ الماضي كما الحاضر والمستقبل أمام حضرة الله ليس لهم أن يقولوا: " الرب لا وانا، الرب قد ترك الأرض" (مز 8: 12؛ 9: 9). ليس للأثوار أن يقولوا بأن أثواراً عاشوا في الماضي وعاشوا كل حياتهم في يسر ورخاء ونجاح، فإنهم وإن ماتوا سيقومون ليدانوا أمام الديان الذي لا يُخفى عنه شيء. لقد أخفي الرب يوم مجيئه عن البشر، حتى يكف الكل عن شرورهم لئلا يفاجئهم بغتة. يدعى يوم الدينونة العام يوم الرب (مز 37: 13)، وهو آتٍ حتماً، لكننا لا نعرفه.

❖ "الأمانة ليست مخفية عن القدير" [1]... نحن نخفي في داخل أقسام الزمن، إذ نحن كائنات مخلوقة. أما الله، خالق كل الأشياء، فيحتضن رُمنتنا... وبخصوص الأبدية لنا مثل هذه الأفكار، فإننا لسنا بعد نعرف موعد الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ لا نعرف يوم مجيء الرب للدينونة، بينما كل الأمانة مكشوفة لديه، كان تريب ترقب مجيء الرب بجديّة مع مراجعة الإنسان نفسه يومياً بروح الرجاء في المسيح مخلص الخطاة وعمل الروح القدس أمراً حيويّاً في الكنيسة الأولى، خاصة في المجتمعات الرهبانية.

❖ يجب على كل واحد أن يستخلص من نفسه كل يوم قصة أعماله في الليل والنهار، وإن كان قد أخطأ فليُكفَّ عن الخطية، وإن لم يكن قد أخطأ وجب ألا يفتر، بل يتمسك بالصالح نون إهمال، وأن لا يدين إخوته أو يُبرّر نفسه "حتى يأتي الرب الذي يكشف الخفيات" (1 كو 4: 5؛ رو 2: 16) كما يقول

المغبوط بولس الرسول. لأننا كثوًا ما فعلنا بغير قصدِ الأشياء التي لا نعرفها، ولكنَّ الرب وى كل شيء؛ لذلك إذ نسلمَّ الدينونة له فلنعطف بعضنا على بعض، لنحمل أثقال بعضنا بعضًا (غل 6: 2)، ولكن لنتحن أنفسنا ونسوع لملء ما نقص فينا.

❖ يا ابني، لا تُبكت أحدًا بسوعة لأن هذه سقطة لك. بل أذكر خروجك من هذا الجسد في كل وقت، ولا تنسَ الدينونة الأبدية، فإنك إن فعلت هكذا فلن تعود تخطئ. لأن آباءنا الروحانيين قالوا: إن الوحدة هي الورد (أي الهذيد) في ذكر الموت والهروب من كل أمور الجسد.

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

2. عملهم السلب والاعتصاب

يُنْقَلُونَ التَّخُومَ.

يَعْتَصِبُونَ قَطِيعًا وَوَعُونَهُ [2].

يتطلع أيوب إلى من هم حوله، فواهم غير مباليين بالديان العادل، ينقلون التخوم، أي يقومون باغتصاب حقول الآخرين وأرضهم، فيضعون حدود أرضهم (تخومهم) في أرض الغير، ويسلبون غنمهم ويقومون وعائتها كأنها من حقهم.

يبدأ هنا بأول أنواع الشرور وأخطرها، تلك التي لا يطبقها القنوس، وهي ممرسة الظلم.

ليس ما يحزن قلب الله مثل أن يحتل الظلم موضع الحب والحق. فقد خلق الإنسان ليكون أيقونة للحب، لكن "رؤي تحت الشمس... موضع الحق هنالك الظلم" (جا 3: 16). ليس من يبالي بدموع المظلومين، أما ظالموهم فمتغرسون (جا 4: 1).

كان هذا الإجراء محرماً (تث 19: 14)، ومن يخالف الناموس يستحق اللعنة (تث 27: 17). أما عن اغتصاب القطيع، فقد حكم داود النبي على من ذبح نعجة الفقير بأنه مستحق للقتل (2 صم 12: 4) ولم يكن يبرك أنه يحكم على نفسه حيث اغتصب امرأة أوريا الحثي.

❖ " يارب لماذا يهرب الأثوار من ساعتهم، يتعدون الحدود، يحملون القطيع مع الراعي؟ " مرة أخرى يوجد شك فيسأل: لماذا ينجح الأثوار...؟ فكما أننا لا نعرف لماذا يسقط إنسان تحت مثل هذه الآلام ظلماً، بينما يُسقطها آخر عليه، فإنه طبيعياً أن هذه المظالم تسبب اضطراباً وتؤثر على طرف كما على الطرف الآخر (الظالم والمظلوم).

"إنهم يرحلون مثل حميرٍ في حقلٍ" [6]، بمعنى إنهم احتقروا العالم كله، إذ يستخفون بكل أحد، ظانين ليس من أحد يظلمهم، ولا من يسيء إليهم.

"لكنه لم يفتقدهم (الله) بعد ". سيفعل ذلك مؤخراً، لكنه سيدقق في عيوبهم ولن يتركها تعبر!

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول الجامعة (سيلمان الحكيم): "وأيضاً رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم، وموضع العدل هناك الجور. فقلت في قلبي: الله يدين الصديق والثورير، لأن لكل أمرٍ ولكل عملٍ وقتاً هناك" (جا 3: 16-17). فإن الله الصالح قد صنع كل شيء حسناً أو جميلاً في وقته، وأن ما حلَّ بالعالم من فساد ليس هو عن طبيعة العالم ذاته، وإنما خلال ظلم الإنسان وجره لأخيه الإنسان. وأنه أية شهادة عن بطلان العالم مثل احتلال الظلم موضع الحق، والجور موضع العدل؟ ينتشر الفساد في عمق ساحات العدل! لكن الجامعة يؤمن بقضاء الله العادل. فساد العالم لا يعني أن الأمور تسير بطريقة اعتباطية بلا ضابط، إنما ينتظر الله الوقت المناسب ليدين الصديق والثورير. "لأن لكل أمرٍ ولكل عملٍ وقتاً هناك". بمعنى آخر إن كان الإنسان بفساده أساء إلى العالم إذ لم يضع كل شيء في زمانه المناسب وفي نصابه، فاحتل الظلم موضع العدل... فإن الله يتدخل ليُصلح الموقف، لكن أيضاً في حينه.

لعل من أخطر الرذائل التي يهاجمها الكتاب المقدس بعهديه هو ظلم الإنسان لأخيه.

ينتظر الله في طول أناته رجوعنا إليه لنملس حبه ووه، لكن إذ يُصر الأثوار على ممرسة العنف والظلم. ففي يوم الدينونة يبدو كأن الله لا يشير إلى تفاصيل شورهم، بل يدعو كل شورهم ظلماً، وكأنه لا يوجد ما يحزن قلب الله مثل ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. إنه يخاطب الأثوار، قائلاً:

"لا أعرفكم من أين انتم، تباعوا عني يا جميع فاعلي الظلم" (لو 13: 27). "حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع، اصوح إليك من الظلم، وأنت لا تخلص" (حب 1: 2).

يحنرنا الكتاب المقدس من مملسة الإنسان الظلم ضد أخيه، مؤكداً خطورة الظلم:

أ. ليس من ملجأ للهروب من الظلم سوى الالتجاء إلى الله نفسه.

"أنقذني يارب من أهل الشر، من رجل الظلم أحفظني" (مز 140: 1).

"أحفظني يارب من يدي الشوير، من رجل الظلم أنقذني، الذين تفكروا في تعثير خطواتي" (مز 140: 4).

ب. ما يملسه الإنسان من ظلم إلا يخزنه لنفسه، فيرتد الظلم إليه لهلاكه؛ يشوب من ذات الكأس التي ملأها لأخيه.

"رجل لسان لا يثبت في الأرض، رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه" (مز 140: 11).

ج. الظلم يفقد الإنسان الحكمة والتعقل لتسيطر عليه الحماسة، ويحرم الإنسان في الدخول في عهد مع الله الكلي العدل. فليس من شوكة بين

الظلم والعدل.

"لأن الظلم يحرق الحكيم، والعطية تفسد القلب" (جا 7: 7).

لذلك هكذا يقول قنوس إسرائيل: لأنكم رفضتم هذا القول، وتوكلتم على الظلم والاعوجاج، واستندتم عليهما" (إش 30: 12).

"لأنني أنا الرب محب العدل، مبغض المختلس بالظلم، واجعل أجرتهم أمينة، واقطع لهم عهداً أبدياً" (إش 61: 8).

د. الظلم يفسد روح الرعاية، ويفقد القادة والرؤساء عملهم الواعي.

"هكذا قال السيد الرب: كيفكم يا رؤساء إسرائيل، زبلوا الجور والاعتصاب، واحروا الحق والعدل، رفعوا الظلم عن شعبي" (حز 45: 9)

هـ. كل ظلم يدخل كما إلى مخازن قصور من يظنون أنهم عظماء، وفوق القانون، وهناك يستقر، لن يخرج بدون التوبة والرجوع إليك.

"فإنهم لا يعرفون أن يصنعوا الاستقامة، يقول الرب، أولئك الذين يخزنون الظلم والاعتصاب في قصورهم" (عا 3: 10).

"أنتم الذين تبعدون يوم البلية، وتقربون مقعد الظلم" (عا 6: 3).

"وليتغط بمسوح الناس والبهائم، ويصوخوا إلى الله بشدة، ووجعوا كل واحد عن طريقه الودينة، وعن الظلم الذي في أيديهم" (يون 3: 8).

و. الظلم يفسد القلب، مدينة الله أورشليم والهيكل الداخلي.

"الذين بينون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم" (مي 3: 10).

"لأنه يكوه الطلاق، قال الرب إله إسرائيل، وأن يغطي أحد الظلم بثوبه، قال رب الجنود، فاحنروا لروحكم لئلا تغدروا" (ملا 2: 16).

يضع الموتل كلمة "الظلم" كأنها تعادل "إبليس" نفسه، فيضع الظلم مقابل الله موضوع اتكالنا ورجائنا، فيحنرنا: "لا تتكلموا على الظلم"، وكأن

أمامنا أحد اختيلين: الله أو الظلم.

❖ "لا تتكلموا على الظلم" (مز 62: 10). فإن رجائي هو في الله... لقد وثبت ووضعت رجائي في الله، فهل يمكن أن يوجد بأي حال من الأحوال ظلم

[1029]

في الله؟

القديس أغسطينوس

ز. الظلم محصلته هباءً، لا قيمة له.

"لا تتكلموا على الظلم، ولا تصيروا باطلاً في الخطف، إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً" (مز 62: 10).

لم يعد الله مؤمنيه بأن يزع عنهم الظلم والاضطهادات، لكنه يسمح بذلك لمجدهم ومجده هو فيهم كمخلصٍ يحول الشرور للخير.

يقول الموتل: "من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه" (مز 72: 14). أو كما جاء في بعض التجمات: "يصير اسمه مكرماً

في حضوتهم".

❖ إن كان المسيحيون يبدون محتقنين في هذا العالم، فإن اسمهم مكرم في حضوة الله. لا يعود يذكر الأسماء التي رتبوا بها قبلاً (والأتعاب) خلال القربلات الأمامية (الوثنية)، ولا يشير إلى أسمائهم التي لحقت بهم خلال تصوفاتهم الشوية قبل أن يصيروا مسيحيين. فقد صار لهم اسم مسيحيين في حضوة الله، الاسم الذي يبدو محتقناً لدى الأعداء. [1030]

القديس أغسطينوس

في تعليق القديس أغسطينوس على الزمور 140 حيث يصلي الموتل أن يحفظه من رجل الظلم وى انه يقدم لنا مثلاً حياً للصلاة ضد الظالمين بقوله: "من رجل الظلم أنقذني... أخفى ليّ المستكبرون فخاً وحبالاً، منوا شبكة بجانب الطريق، وضعا ليّ إيثواكا" (مز 140: 4-5). فإن الصلاة ليست ضد الظالم نفسه، إنما ضد الشر والظلم حتى يزوع الله الشباك المنصوبة ضدنا.

❖ يصلي كثيرون في عدم مهلة ضد الأشرار... يليق بك أن تصلي ضد مثل هذه الشباك لئلا تفقد موائك السموي، لئلا تفقد المسيح الذي لك شركة موات معه، فقد عُين لك أن تحيا معه إلى الأبد، هذا الذي جعلك وراثاً. فقد صوت وراثاً لا بواسطة من تخلفه بعد موته (الوالد الجسداني)، بل بواسطة ذاك الذي يعيش معه إلى الأبد. [1031]

القديس أغسطينوس

فالظلم الحقيقي في ذهن القديس أغسطينوس ليس من يسبب لك خسائر مادية أو زمنية كأن يسلب موائك أو ممتلكاتك، لكنه هو وضع إيثواك للنفس كي تحوم من الشوكة مع السيد المسيح في الموات الأبدية. إذ يضع الظالم الشباك لاصطياد الأوار يسقطون هم في ذات فخاخهم ليديمروا أبديتهم. وكما يقول الموتل: "رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه" (مز 140: 11).

❖ تأتي الشرور، لكن الشرير لا يثبت، لذلك يقول: "تصطاده لهلاكه". فإن كثراً من الصالحين والأوار قد أصابتهم شرور، لكن بالشرور وُجوا (ولم يهلكوا)، فعندما طردت الشرور الصالحين - أي شهداؤنا- وأمست بهم، اصطادتهم ولكن ليس للهلاك. فقد ضُغظ على أجسامهم، لكن الروح كُلت. رُعت الروح عن الجسم، لكن ليس من شيء يصيب الجسم الذي يختفي لأجل المستقبل. ليحرق الجسم ويُجلد، ويُشوّه، فهل رُوع عن خالقه لأنه سُلّم في يد مضطهديه؟ أليس الذي خلقه من العدم سيعيده بصورة أفضل مما كان عليه؟ [1032]

القديس أغسطينوس

وي البابا غريغوريوس (الكبير) في أصدقاء أيوب الذين يرمزون إلى الهواطة أنهم على النوام يستخدمون كل وسيلة سواء بالإغواء أو الخداع أن يوسعوا تخومهم، ويسلبوا النفوس، بلالة العلامات التي وضعها الآباء، أي المفاهيم الإنجيلية الكنسية الأبائية، فيجتذبون البعض وينحرفون بهم عن الحقل الإلهي. إنهم يأخذون قطيع المسيح الوديع، ويحسبونه قطيعهم، ومن حقهم رعاية هذا القطيع خرج كنيسة المسيح. ❖ " آخرون يزيلون علامات الحدود، ويغتصبون القطعان عنفاً ويطعمونها" [2] من هم الذين يشير إليهم تحت لقب "الآخرين" إلا الهواطة، إذ هم غرباء عن حضن الكنيسة المقدسة؟ فإنهم يزوعون علامات الحدود لكي يتخطوا دساتير الآباء بسوهم بانحراف. بخصوص هذه الدساتير مكتوب: "لا تزوع علامات الحدود القديمة التي وضعها أبواك" (أم 28:22).

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. استغلال المساكين

يَسْتَأْفُونَ حِمَارَ الْيَتَامَى،

وَيُرْتَهِنُونَ ثَوْرَ الْأُمْلَةِ [3].

يضرب مثلاً آخر للظلم وهو أن يغتصب إنسان حملاً ليتيم مسكين ينتفع منه مادياً، ولا يقدر المسكين أن ينلوع المغتصب. أو من وهن ثور أرملة تستخدمه في حقلها الصغير لسبب أو آخر، كأن يكون استيفاءً لدين صغير أو متأخر إيجاباً. لا يكف الأثوار عن سلب ما هو ليس لهم، فيطمعون في استخدام حمار اليتامى ووهنون ثور الأرملة.

يعتبر الله الظلم الساقط على يتيم أو أرملة موجهاً إليه شخصياً، إذ هو "أبو اليتامى، وقاضى الأمل" (مز 68: 5)، "الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب ليعطيه طعاماً ولباساً" (تث 10: 18). "الرب يحفظ الغريب يعضد اليتيم والأرملة، أما طريق الأثوار فيعوجه" (مز 146: 9). "لا يهمل اليتيم المتضوع إليه ولا الأرملة إذا سكبت شواها" (سواخ 35: 17). لقد وضع الله وصايا كثيرة بخصوص الاهتمام باليتيم والأرملة، نذكر منها الآتي:

"لا توج حكم الغريب واليتيم ولا تسوّهن ثوب الأرملة" (تث 24: 17).

"إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها. للغريب واليتيم والأرملة تكون لكي يبيلك الرب إلهك في كل عمل يديك" (تث 24: 19).

"وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك. للغريب واليتيم والأرملة يكون" (تث 24: 20).

"إذا قطفتم حرمك فلا تعله وراءك. للغريب واليتيم والأرملة يكون" (تث 24: 21).

"متى فغت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوي والغريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشبعوا" (تث 26: 12).

"ملعون من يوج حق الغريب واليتيم والأرملة ويقول جميع الشعب: أمين" (تث 27: 19).

"هكذا قال الرب: اجروا حقاً وعدلاً، وأنقنوا المغصوب من يد الظالم، والغريب واليتيم والأرملة لا تضطهروا، ولا تظلموا، ولا تسفكوا دمًا زكياً في هذا الموضوع" (ار 22: 3).

"ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يفكر احد منكم شراً على أخيه في قلبكم" (ك 7: 10).

"واقرب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبيين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود" (ملا 3: 5).

❖ اهرب أيضاً يا أسقف ممن يضيق على الأرملة، وممن يتووى على اليتيم، ومن يقسو أيضاً على عبيده بضرب أو قحط أو مملكة سوء، وقابنهم مبعوضة لا تقبلها [1033].

الدسقولية

❖ ينبغي أن يكون القسوس عطوفين ورحماء على الجميع، فيرون الذين ضلوا، ويوزرون الموضى، ولا يهملون الأرملة واليتيم والفقير، بل دائماً يكونون "معتنين بأمور حسنة قدام الرب والناس" (راجع رو 12: 17؛ 2 كو 8: 21)، ممتنعين عن كل غضب، ومحابة الناس، أو إصدار حكم ظالم،

هربيين من كل محبة للمال، غير متعجلين في الحكم ضد أحد، غير قاسين في الحكم، عالمين إننا جميعاً مدينون بالخطية [1034].

بوليكاريوس أسقف سميرنا

❖ ستتألاً خدمتك بأكثر بهاء إن قاومت الضيق الذي يحل على الأرملة والفقير بواسطة إنسان ذي سلطان، وذلك بمعونة الكنيسة، مظهراً أن وصية الرب لها ثقل أعظم عندك من مجاملة الأغنياء [1035].

القديس أمبروسوس

لعل من أهم صور الظلم التي أهتم آباء الكنيسة الأولى تحذير الشعب منها هو الربا، واستغلال الأغنياء إخوانهم الفقراء، فيقوضهم وربما يسبب لهم متاعب لا حصر لها. وقد سبق لنا الحديث عن الربا في كتابنا "الفكر الاجتماعي عند آباء الكنيسة".

يقدم لنا القديس يوحنا الذهبي الفم صورة مؤلمة لاستغلال الأغنياء الأسر الفقيرة فيقوضونهم وربما فاحش يحطم هذه الأسر.

❖ عندما تفتقر أسرة ما، تصير مدفوعة للاستدانة من أجل البقاء. لكن إن طالب الدائن بفوائد على الدين، حينئذ تسقط هذه الأسرة بالأكثر في عمق الحفرة. فتلتم ليس فقط رد الدين بل أيضاً الفائدة التي تراكم عليه. ربما يدعي الدائن حتى أمام نفسه أنه يتصرف بكياسة، لكن فعلياً يتصرف بخبث شديد وراء مظهر العطاء متمعداً الأذى لغوره. إنه يتاجر على حساب مصائب الآخرين، ويستفيد من نكبتهم.

يطلب الفوز بالماديات في قالب عمل الرحمة، وهكذا يحول العطاء إلى سوقة. يبدو أنه يوسي بالعائلة الفقيرة على ميناء الأمان، لكنه في الحقيقة يدفع السفينة نحو الصخور. ربما يتساءل الدائن: لماذا يجب علي أن اقض الآخرين مالاً وهو مفيد لي، ولا أطلب مكافأة لذلك؟ والإجابة إنك سوف تتال مكافأة، في مقابل الذهب الذي أوفضته على الأرض، ستأخذ ذهباً في السماء بنسبة أكبر كثراً في الفائدة فوق ما تستطيع أن تتصور.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن أخذنا بالتفسير الرمزي، فإن حمار اليتيم الذين يستخدمه الهواطة الأثوار يشير إلى سلب النفوس البسيطة من أحضان الكنيسة واستغلالها، حيث يؤمونها بثقل خطأ إيمانهم ومعتقداتهم. أما دعوته لليتيم فلأنه لم يترك بنوته لله أبيه والكنيسة أمه، فيكون يتيم الأب والأم، فلا ينعم بسلام الله ورحمة الكنيسة أمه. أما هن ثور الأرملة فيشير إلى النفس التي لا تترك الكنيسة كعوسٍ موحٍ، فتسلك في حزنٍ شديدٍ كل ملة. مثل هذه النفوس يغتصبها الهواطة بإغواءات مؤقتة بينما يسلبونها حتى ثورها الوحيد، فتصير في عوز واحتياج داخلياً!

❖ " إنهم يقصون حمار اليتيم، ويأخذون ثور الأرملة رهينة" [3]... يُستخدم الحمار ليحمل أثقال الناس. إنن يشبه نوعاً من الحمير من بين المختلرين، خاضعاً بنفسه ليحمل أمراً أرضية، يحمل الأثقال لنفع البشر. غالباً عندما يغوي الهواطة شخصاً مثل هذا ويسحبونه من حضن الكنيسة، يكون كمن أقصى حمار اليتيم، إذ يؤمونه بقبوله خطأ إيمانهم. إنهم يسحبونه من ميله للصلاح.

ماذا يفهم بـ "الأرملة" " سوى الكنيسة المقدسة، التي تُحرم، في وقتٍ ما، من رؤية عويسها المذوح؟ الآن ثور هذه الأرملة هو كل كلارز بمفوده. بحق يضيف هنا "رهينة"، فإنه إذ تُسحب الرهينة، يبقى بالحق شيء ما في أيدينا والآخر يُبحث عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4 . رعبون الودعاء

يَصُدُّونَ الْفُقَرَاءَ عَنِ الطَّرِيقِ .

مَسَاكِينُ الْأَرْضِ يَخْتَبِئُونَ جَمِيعًا [4].

لا يقف ظلم الأثوار عند سلب ممتلكات الآخرين من راضٍ وحقولٍ وقطعانٍ، واستغلال القليل الذي لدى المحتاجين والمعوزين، وإنما يظنون أن العالم خُلق من أجلهم، ليس من حق الفقير أن يحيا، فيبدلون كل الجهد لوعه عن الأرض، حتى يضطر المساكين من الهروب والاختفاء من وجوههم. يجد الظالمون مسرتهم عندما يسدون طرق النجاة أمام المساكين، ويهدونهم بأنهم يقتصون منهم كمتشردين، وإذ يتولى المساكين ليفلتوا من أيديهم يسخرون بهم.

❖ " إنهم يؤعون المحتاجين من الطريق، ويضغطون معاً على ودعاء الأرض" [4]. غالباً ما يُشار إلى التواضع بتعبير "الاحتياج" (الفقر)، وكثيرون

جدًا ممن يظهرون ودعاء ومتواضعين إن لم يتمسكوا بالتميز يسقطون بإقتدائهم بأخرين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يميل الله نفسه أذنيه لسمع تهديدات البسطاء والودعاء الذين لا يهتم بهم أحد. يقول المثل: " تؤه الودعاء قد سمعت يارب، تثبت قلوبهم، تميل أذنك لحق اليتيم والمنسحق ، لكي لا يعود أيضًا وعيهم إنسان من الأرض" (مز 10: 17-18).

❖ "عيناه تراقبان الفقير" (مز 10: 8)، فإنه يضطهد على وجه الخصوص الأوار، الذي يقال عنهم: "طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات"، يكمن في المخبئ كأسد في عرينه" (مز 10: 9). يقصد بالأسد الذي في جب إنسانًا عنيفًا عمله الخداع... إنه يجتذبه إليه بالعنف بكل عذابٍ يمكن أن يسقطه عليه... "تؤه الودعاء قد سمعت يارب" (مز 10: 17)، هذا التؤه الصادر وهم يحترقون، إذ وهم في ضيقات هذا العالم ومتاعبه يشتبهون حلول يوم الرب... "الحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود وعيهم أحد" (مز 10: 18)، وليس من أجل الذي تشكوا حسب العالم ولا من أجل المتكبرين [\[1036\]](#).

القديس أغسطينوس

5. يظنون أنهم فوق القانون

ها هم كالفؤاء في القفر يخرجون إلى عملهم،
يبكرون للطعام.

البادية لهم خبز ولأولادهم [5].

يشبه أيوب الأثوار بالحمير الوحشية التي تتطلق في البرية بلا قانون يحكمها. تكرر في الصباح لتأكل وتنتلع إلى البادية لتقدم الطعام لصغرها. هكذا يحسب الأثوار أنفسهم أنهم فوق القانون، وأن لا عمل لهم سوى الأكل والشرب والملذات وتقديم كل لذة لأولادهم. "في القفر": يود الأثوار أن تتحول الأرض كلها إلى قفار حيث لا مجال لقوانين تحكم المجتمع، وبالتالي يمكن ممارسة الظلم على نطاق أوسع. القفار هي أنسب مكان لأناس متوحشين كغولاء، غير انه لا يوجد قفر ما يخفي الإنسان عن الله أو يجعله في غير متناول يده. " يخرجون إلى عملهم" ، الذي هو السوقة، فقد امتهنوا السلب وممارسة الظلم كعمل دائم لهم، يحصلون على مكاسب عظيمة. في نظرهم يملسون هذه المهنة بنشاط وهمة إذ "يبكرون للطعام بفرسية". يخرجون كما إلى عملهم، كما أن الإنسان يخرج إلى عمله (مز 104: 23) وبيكر الصديقون إلى الرب فيمجدونه ، يخرج الأثوار إلى ممارسة الظلم كعمل يلتزمون به. هكذا بيكر الأثوار إلى ممارسة عملهم. يقضون الليل في التخطيط للشر، وإذ يثرق الصباح يسرعون إلى التنفيذ العملي بما في قلوبهم. وكما قيل عن أفوايم: "مثل الكنعاني في يده مولين الغش، يحب أن يظلم. فقال أفوايم إنني صوت غنيًا، وجدت لنفسي ثروة" (هو 12: 7-8).

" البادية لهم خبز ولأولادهم " فإنهم يعولون أنفسهم كما ولأولادهم من السلب الذي يملسونه في طرق البادية، عوض الإعالة بطرق شويقة.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الواطقة يسلكون هكذا، إذ يعيشون في برية قاحلة، حيث يتروكون الكنيسة بيت الله وكرمه المقدس. إنهم متسيبون، ما يشغلهم هو الملذات والخوات الزمنية، لا يريدون ضابطا أو الخضوع لتدبير معين كالصوم والصلاة والمطانيات الخ، وان حل بهم تأديب إلهي لا يبالون، بهذا يعيشون في برية قاحلة بلا ثمر للروح. يشبهون إسماعيل الذي قيل عنه: إنه إنسان وحشي، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه (تك 16: 12).

❖ " آخرون كحمير متوحشة (كالأخوي) في البرية يذهبون إلى عملهم" [5]. فإن الأخوي هو حمار وحشي. هنا بحق يُشبه الواطقة بالحمير الوحشية، إذ هم متسيبون في ملذاتهم، وهم غرباء عن قيود الإيمان والتعقل. لذلك مكتوب: "الحمار الوحشي يُستخدم للبرية، يس تنشق الريح في

شهوته" (إر 24:2). يكون الشخص حملًا وحشياً يُستخدم للوية، ذاك الذي وهو لا يُفلح رُض قلبه بسمو التأديب ف يسكن حيث لا يوجد ثمر... هذا ليس من عمل الله، بل من عملهم هم أنهم لا يتبعون التعاليم السليمة، بل يتبعون شهواتهم. إذ مكتوب: "من يسلك طريقاً كاملاً يخدمني" (مز 101:6).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنني أعرف أن مما أقوله موجه، لكن كم هو يحتوي على فائدة عظيمة، لو كان الرجل الغني قد وجد من يسدي له مثل هذه النصيحة بدلاً من تملقه وقول ما يود سماعه ووجه للتلاقي في حياه الإسواف، ما كان ليسقط في تلك الهلوية. وما كان ليقع تحت هذا العذاب الغير محتمل، نادماً بعد فوات الأوان، طالباً المواساة لكن كان الجميع يعملون من أجل إمتاعه مُسلمين إياه إلى جحيم النار.

إنني أتمنى أن نعظ ونتحدث دائماً وباستمرار في هذا الموضوع، إذ يقول الكتاب المقدس: "في جميع أعمالك اذكر وأخرك فلن تخطأ إلى الأبد" (سي 7: 40)، وكذلك يقول: "هَيِّئْ عَمَلَك لِحِيلِكَ وَأَعِدْ كُلَّ شَيْءٍ لِلطَّرِيقِ" (راجع أم 27:24) [1037].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ مهما كان الأثوار في اخضوار، فإنهم سيهلكون، فقد حُفظوا للنار... هؤلاء ينتعشون في سعادة العالم، ويهلكون في قوة الله. ليس بذات الطويقة التي بها ينتعشون يهلكون، فإنهم ينتعشون إلى حين، ويهلكون أبدياً. ينتعشون فيما هو ليس صالحاً بالحقيقة، ويهلكون بعذابات حقيقية [1038].

القديس أغسطينوس

كان الموتل يتطلع إلى الأثوار وهم يعيشون في سلام في هذا العالم وفي رضاء، كمن هم في سعادة فيحسدوهم ويغير منهم، لذلك اعترف قائلاً: "أما أنا فكادت تزل قدمي، ولولا قليل لزلقت خطواتي، لأنني عرت من المتكبرين (الخطاة)، إذ رأيت سلامة الأثوار، لأنه ليست في موتهم شذائد، وجسمهم سمين. ليسوا في تعب الناس، ومع البشر لا يصابون، لذلك تقلوا الكرياء، لبسوا كثوبٍ ظلمهم" (مز 73: 2-6).

❖ لاحظت الخطاة ورأيتهم في سلام. أي سلام؟ سلام زمني مؤقت، رُضي، وساقط، ومع هذا فهذا (السلام) أطلبه من الله. رأيت الذين لا يخدمون الله لهم ما اشتهيته أنا لكي أخدم الله، وزلقت قدمي، وزلقت خطواتي. لكن لماذا للأثوار هذا؟... ليس لهم أن يتفألوا موتهم، وعقوبتهم دائمة... الآن علمت لماذا لهم سلام ويزدهرون على الأرض. فإن الموت بالتأكيد ينتظرهم أبدياً، فانهم لا يتفألون هذه الأمور ولن يقدرُوا على الخلاص منها... فإن عقوبتهم لا تكون وقتية بل ثابتة وأبدية [1039].

القديس أغسطينوس

6 . يريدون الشر والرب يريد الخير

فِي الْحَقْلِ يَحْصُدُونَ عَفْهَمُ،

وَيُعَلِّونَ كَرَمَ الشَّرِّيرِ [6].

إذ يشعرون أنهم فوق القانون، يحصدون حقول غورهم ويقدمون ثمرها علفاً لحيواناتهم. وكأنهم يحسبون حيواناتهم أفضل من أصحاب الحقول، فلا يبألون بجوع أصحاب الحقول المغتصبة، وإن كانت الثمار لا تقدم لبشر بل للحيوانات.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) (أن الحقل هنا والكرمة يشوان إلى الكتاب المقدس. فالهواطقة يقتطفون عبلات منه ويحرفون معانيها

لحساب أهوائهم الخاصة.

❖ [6] " [1040] " يحصدون حقلاً ليس ملكهم، ويجمعون بالعنف كرمة من يضغطون عليه [. يُشار بالحقل إلى نطاق الكتاب المقدس المتسع، يحصده

الهواطقة بكونه ليس ملكاً لهم، إذ يقطفون منه عبلات لتحمل معانٍ بعيدة تماماً عما تعنيها. هذا ما يوصف أيضاً بلقب "كرمة"، هذه التي تقدم عناقيد

الفضائل خلال عبلات الحق. إنهم كمن يضغطون على مالك الكرمة - واضع الكتاب المقدس - بالعنف، إذ يحرفون بالعنف معاني كلمات الكتاب

المقدس. وكما قال (الوب): "لكنكم جعلتموني أخدم خطاياكم، أتعبتموني بمعاصيكم" (إش 24:43). وهم يحصدون خمر تلك الكرمة، إذ يحصدون معاً عناقيد عبرات منه بعد أن ينحرفوا بها إلى مفاهيمهم الخاصة.

يُمكن أيضاً أن يُفهم بالحقل أو الكرمة الكنيسة الجامعة هذه التي يحصدها الكرزون الفاسدون، ويضعطون على خالقها في أعضائه، "يجمعون معاً الخمر"، بأن يسيطروا على أشخاص يبدو أنهم أوار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يعتقد أوريجينوس أن الهواطة يتقبلون ولا ودیعة الإيمان، ثم يحيون عنها فيما بعد. [يبدأ الهواطة بالإيمان، ثم يحيون فيما بعد عن طريق الإيمان، وعن حقيقة تعليم الكنيسة] [1041]. في كورينثوس، يبحث الهواطة في الكتاب الإلهي، لا لاكتشاف الحقيقة، بل لتأكيد مذاهبهم الخاصة. فيقول Henri de Lubac في كتابه عن أوريجينوس:

[لأبد للمراء أن يتقبل الإيمان بالله، بالروح الذي تعلمنا به الكنيسة. وأن لا يتصرف مثل الهواطة الذين يبحثون في الكتاب لمجرد العثور على ما يؤكد مذاهبهم الخاصة. ترتفع بهم كورينثوس إلى "أعلى من أرز لبنان". سفستهم مليئة بالغش. لا فائدة من ادعائهم بأن لهم تقليد ينحدر إليهم من الوسل، فهم أساتذة في الخطأ.

ففي حين لا يشود المسيحي المخلص أبداً عن التقليد العظيم، فلنؤكد أكاذيبهم وغبون في جعلنا نعبد "مسيحاً" قد اخزعه في "قفر"، بينما مسيحا الحقيقي يكشف عن ذاته "داخل البيت". هم يشوهون تلك الأوعية الذهبية والفضية، التي هي النصوص المقدسة، ليصوغوها بما يتمشى مع أهوائهم. إنهم لصوص وزناة، يضعون أيديهم على الكلمات الإلهية بقصد واحد، وهو أن يشوهوها بتأويلاتهم المنحرفة. هم مزيفون، إذ قد صكوا مذاهبهم خولج الكنيسة. معلمين كذبة وأنبياء كذبة، يقولون من بنات أفكلهم ما يقترحونه. إنهم الكذابون الذين تحدث عنهم حزقيال، الذين بتحاييلهم المخادع، يطلون أصنامهم - التي هي عقائدهم الجوفاء - بالحلاوة لمن يستمع إليهم، لجعل انحرافهم أكثر تأكيداً. جميعهم يدعون أن يسوع هو معلمهم ويعانقونه. ولكن قبلتهم هي قبلة يهوذا] [1042].

يَبِيئُونَ عَوَاةً بِلَا لَيْسٍ،

وَلَيْسَ لَهُمْ كِسْوَةٌ فِي الْبُورِ [7].

مرة أخرى إذ لا يخضعون لقانون يسليون الآخرين ثيابهم ويطردونهم، فيبيت هؤلاء دون أغطية لتحميمهم من الورد القارس.

هكذا يبذل الهواطة كل الجهد ليزعوا عن المؤمنين ثيابهم، أي الشركة الحقيقية مع السيد المسيح، الذي يقول عنه الرسول بولس: "قد لبستم المسيح" (غل 3: 27) "ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو 3: 10). أيضاً يقول:

"و تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر و قداسة الحق" (أف 4: 24).

"البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبُوا ضد مكاييد إبليس" (أف 6: 11).

"فالبسوا كمختلري الله القديسين المحبوبين أحشاء وأفات ولطفا وتواضعا ووداعة وطول أناة" (كو 3: 12).

وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال" (كو 3: 14).

❖ " يطردون أناساً عواة ، ويأخذون ثيابهم، هؤلاء الذين ليس لهم أغطية في الورد [7] [1043]. كما تغطي الثياب الجسم، هكذا تفعل الأعمال

الصالحة مع النفس. لذلك قيل: "طوبى لمن يحرس ثيابه ويحفظها، لنلا يسير عرياناً، ويرون عراه" (رؤ 16: 15). عندما يحطم الهواطة الأعمال

الصالحة من ذهن أحد، يزعون بكل وضوح ثيابه. حسناً قيل: "ليس لهم أغطية في الورد"، لأن الغطاء له صلة بالبر، والورد بالخطية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "إذا لنعيد ليس بخموة عتيقة ولا بخموة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق" (1 كو 8: 5).

وإذ نخلع الإنسان العتيق وأعماله، نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله (أف 4:22، 24)، ونلهج في ناموس الله نهلاً وليلاً، بعقل متواضع وضمير نقي.

لنطرح عنا كل رياء وغش، مبتعدين عن كل رياء ومكر.

ليتنا نتعهد بحب الله ومحبة القريب، لنصبح خليفة جديدة، متناولين خيراً جديداً...

إذاً لنحفظ العيد كما ينبغي [1044].

❖ نحتاج أن نلبس الرب يسوع لكي نستطيع أن نحتفل بالعيد معه. الآن نحن نلبسه عندما نحب الفضيلة، ونعادي الشر... حين نحب البر لا الظلم، ونكرم القناعة ويكون لنا قوة الفكر، ولا ننسى الفقير، بل نفتح أبوابنا لكل البشر، ولا ننسى تواضع الفكر ونكوه الكورباء [1045].

البابا الأنبا أثناسيوس الرسولي

❖ إن كان ثوب نفسك هو "الطمع"، البس آخر غوه وتعال اخلع ثوبك القديم ولا ترتده.

أرجوك أن تخلع الزنا والنجاسة، وتلبس ثوب النفقة المتألق.

إنني أوصيك بهذا قبل أن يدخل العريس يسوع ويتطلع إلى ثوبك.

إنني أتوك لك زماناً طويلاً للتوبة. إنها فرصة كافية لكي تخلع وتغسل وتلبس وتدخل! [1046]

القديس كيرلس الأورشليمي

يَبْنَتُونَ مِنْ مَطَرِ الْجِبَالِ،

وَلِعَدَمِ الْمَلْجَأِ يَعْتَقُونَ الصَّخْرَ [8].

إذ يعمل الأشرار على سلب المؤمنين إيمانهم بالسيد المسيح، ليحرمهم من الثياب الإلهية والغطاء السموي، يصير هؤلاء المساكين عوادة

يعانون من أمطار الجبال حيث لا ملجأ لهم يستترون فيه من المطر، ويبحثون عن حجرة يحتضنونها أو صخرة ما لعلها تسوهم من المطر.

❖ " مبللون بأمطار الجبال، ويحتضنون الحجرة لعزهم إلى ثوب [8]. أمطار الجبال هي كلمات المتعلمين. عن هذه الجبال عينها قيل بصوت الكنيسة

المقدسة: رفعت عيني إلى التلال" (مز 1:121). هؤلاء الأشخاص يبللون بأمطار الجبال ، هؤلاء الذين يمثلون إلى النهاية بمجري الآباء القديسين.

وأما الثوب الذي تأخذه كغطاء فهو السلوك الصالح، يتغطى به الإنسان لكي ما يتغطى دنس فساده في عيني الله القدير. هكذا مكتوب: "طوبى للذين

غُوت آثامهم، وسُوت خطاياهم" (مز 1:32) من هم هؤلاء الذين نفهمهم بلقب "الحجرة" إلا الأقوياء الذين في داخل حدود الكنيسة المقدسة، هؤلاء

الذين أعلن لهم بواسطة الواعي: "كونوا أنتم أيضاً كحجرة حية مبنيين بيتاً روحياً (1 بط 2: 5). هكذا هؤلاء الذين على أساس سلوكهم العملي ليس

فيهم أي تواكل، فيطيرون إلى حماية الشهداء القديسين، ويملسون الدوع والتوسلات عند رفاتهم المقدسة لينالوا بشفاعتهم مغفرة. ماذا إذن يفعل

هؤلاء بمثل هذا التذلل سوى أن يحتضنوا الحجرة، إذ ينقصهم غطاء الممارسة العملية الصالحة؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَخْطُفُونَ الْيَتِيمَ عَنِ النَّدِيّ،

وَمِنَ الْمَسَاكِينِ يَوْتَهُنُونَ [9].

في عنفهم يخطف الأشرار اليتيم وهو يوضع من ثديي أمه، ويبحثون عن المساكين ليستخدموهم هائن. لا يشفقون على الطفل الوضيع أنه

يُحرم من أمه، ولا على الأم أن تُحرم من رضيعها أيضاً. يختارون وقتاً حوجاً حيث يسلبون الوضيع أثناء رضاعته، ولا يباليون بصوخت وجوعه!

لقد قتل ووعون أطفال العوانيين وهكذا فعل هيرودس بغية قتل الطفل الملك، هذان خطفا الأطفال والوضع عن صدور أمهاتهم بالسيف.

وى البعض أن الظالمين بعد أن يقتلوا الآباء يخطفون الوضع ليحرمهم من أمهاتهم. ووى آخرون أنهم يخطفون الوضع كعبيد، كما حدث في

أيام نحماً (نَح 5:5).

❖ " يستخدمون العنف في أفراسهم اليتامى، ويفسدون قطع المساكين العام" [9] ... يستخدم الهواطة العنف في أفراسهم اليتامى، إذ يهجمون بعنف على عقول المؤمنين الضعيفة بالكلمات والأعمال.

أما "قطع المساكين العام"، فهم الجوع غير المتعلمة، التي لو نالت غنى المعرفة الحقيقية ل ما رُح عنها غطاء إيمانها. فالمعلمون الأصليون يشبهون نوعاً من الشرفاء (سيناتور) في داخل حدود الكنيسة المقدسة، يضاعفون المعرفة في القلب، ويزيدون من الغنى الحقيقي الذي فيهم، أما الهواطة فيفسدون قطع المساكين العام، حيث يسحبون غطاء الإيمان من غير المتعلمين، فيجعلونهم عوايا خلال كرتهم المسمومة، بينما لا يقدرون أن يفعلوا هكذا مع المتعلمين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عَوَاةٌ يَذْهَبُونَ بِلا لَبْسٍ،

وَجَائِعِينَ يَحْمِلُونَ حُرْمًا [10].

❖ " يأخذون سنابل الحنطة من العوايا، ومن الذين يسبغون بلا غطاء، ومن الجائعين" [10]. يقول "عوايا" ثم يكرر الذين يسبغون "بلا غطاء"، إذ يوجد فرق بين أن يكون الشخص عرياناً وأن يسير عرياناً. فكل شخص لا يفعل ما هو صالح ولا ما هو شيرير يكون عرياناً وتافهاً. أما من يصنع شراً فهو "يسير عرياناً"، فإذا ليس له غطاء المملسة الحسنة يسير في طريق الشر.

لكن البعض يعرفون شر يؤسهم، فيسرعون لكي يشبعوا بخبز البر، ويجوعوا ليقبلوا أقوال الكتاب المقدس. هؤلاء عندما يتغيرون في الفكر تصير عيرات الآباء لإصلاح أذهانهم كما لو كانت تحمل سنابل حنطة من محصول جيد. وهكذا يزع الهواطة سنابل الحنطة من العوايا، ومن الذين يسبغون بلا غطاء، ومن الجائعين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَعْصِرُونَ الزَيْتَ دَاخِلَ أَسْوَلِهِمْ.

يُدُوسُونَ الْمَعَاصِرَ وَيَعْطَشُونَ [11].

لا يكف الأشرار عن أن يطلوا بأقدامهم على أولاد الله لكي يذلوهم ويحطموهم. لكنهم لا يدرون أنهم يدوسونهم بلأجلهم يتحول المؤمنون إلى طيب، وإلى خمر روجي موح.

ماذا يعنى بقوله: " داخل أسولهم" ؟ يود الأشرار أن يذلو المؤمنين فيطروا عليهم داخل أسوار المدينة أي يقتحمون مواضعهم، ويهينونهم في بيوتهم. لكن الله يحول المدينة إلى معصرة مقدسة ليشرك المؤمنون مسيحهم المصلوب، القائل: "اجرت المعصرة وحدي" (إش 63: 3). يدوس الأشرار المعصرة فتفيض المعصرة بخمر يوح قلب الله ويعتز به السمائيون، أما الأشرار فيخرجون من المعصرة في حالة عطش، لا ينالون شيئاً من عنفهم سوى الواغ.

❖ " يستريحون في منتصف النهار وسط أهوام (أهوان) الظمى إلى معصرة الخمر المُداس" [11]. كل الذين يضطهدون الكنيسة المقدسة، ماذا يفعلون، سوى أنهم يدوسون المعصرة؟ هذا يُسمح به خلال التدبير الإلهي لكي ما تفيض عناقيد النفس بالخمر الروحي بكونها تتجرد من الجسد الفاسد، فتجري في المواضع السلموية كما في إناء. فبينما يدوس الأشرار على الأوار، يكونون كمن يضعون عناقيد العنب تحت أقدامهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا يصير العنقود خرواً، ولا حبة الزيتون زيتاً، ما لم يمر فوقهما حجر المعصرة.

❖ لا توجع النفس إلى الله إلا إذا انزعت من العالم، ولا يزعها بحق إلا التعب والألم.

7. يظنون أن الله لا ينتبه!

مِنَ الْوَجَعِ أَنَا يَنْتَبِهُونَ،

وَنَفْسُ الْجُرْحَى تَسْتَعِيثُ،

وَاللَّهُ لَا يَنْتَبِهُ إِلَى الظُّلْمِ [12].

حتمًا يسمع الله آفات المتألمين واستغاثة الجرحى، لكنه إذ يحول شر الأثوار لخير المتألمين يبدو كمن لا ينتبه إلى الظلم. هذه هي مشاعرنا حين يتسلط الظلم ويروح المؤمنين، فنحسب كأن الله مشغول عن كنيسته، ولا يهتم بجراحاتها وبالظلم الساقط عليها! ولعل أيوب يعني هنا أنه بينما يئن المتألمون ويستغيث الجرحى إذا بالأثوار يسخرون بهم، ويتمادون في شرورهم، متطلعين إلى الله انه في سمواته لا يبالي بالظلم الذي يسقط على البشر، أيا كان هؤلاء!

جاء في ترجمة اليسوعيين: "وفي المدن أناس ينتحبون"، فلا يقف الظلم عند القوي بل يمتد أيضًا إلى المدن.

"الله لا ينتبه إلى الظلم"، أي لا يدينهم سريعًا، بل يتمهل عليهم لعلهم يتوبون راجعين إليه. يطيل أناته عليهم، وقد يتوكلهم طوال حياتهم على الأرض، ولا يفصح حماقتهم هنا، إلى أن تطلب نفوسهم فيحسبون أغبياء وحمقى. وكما قيل للغنى قبيل طلب نفسه: "يا غبي، هذه الليلة تطلب نفسك منك" (لو 12: 20). وكما قيل عن الغني الذي يجمع مالا من الظلم: "محصل الغنى بغير حق، في نصف أيامه يتوكله، وفي آخرته يكون أحمق" (ار 17: 11).

❖ [12] "إنهم يسببون للناس أن يتأوهوا من المدن". [تدعى المدن هكذا من الناس الذين يعيشون معًا، وهكذا فإن كنائس الإيمان الحقيقي ليست بطريقة غير لائقة يُعبر عنها بالمدن... فإن هذا الانسجام بين الشعب الذي يحيا معًا، أقامه الرب في الأناجيل حتى حين ميز بين الأماكن، عندما أراد أن يشبع الشعب بخمسة أرغفة. لقد أوهم أن يجلسوا خمسين خمسين أو مئة مئة في ترتيب متناسق. حتى يمكن لجوع المؤمنين أن يأخذوا طعامهم في أماكن منفصلة ولكن بإتحاد معًا... أما الهواطة فغالبًا ما يحطمون الحياة المتحدة وانسجام الصالحين بالتصاقهم بأصحاب السلطة من أثوار هذا العالم، لهذا بحق قيل في هذا الموضع "يسببون للناس أن يتأوهوا من المدن".

"نفس الجريح تصوخ"... لأن نفس البار تُجرح عندما يهتز إيمان الضعيف... لكن الله لا يسمح له أن يعبر (الشويز) دون معاقبة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أُولَئِكَ يَكُونُونَ بَيْنَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى النُّورِ.

لَا يَعْرِفُونَ طُرُقَهُ،

وَلَا يَلْبَثُونَ فِي سُبُلِهِ [13].

إذ يظن الأثوار أن الله لا يبالي بمؤمنيه، ولا يتحرك أمام الظلم الساقط عليهم، يتمردون على الله، النور الحقيقي. وإذا بهم يفقدون البصوة ويُصابون بالعمى، فلا يعرفون طرق الله، ولا يسلكون في سبله.

رى البعض أن أولئك الذين يخطئون ضد نور الوصية الإلهية مع اعترافهم بأنهم يعرفون الله - النور الحقيقي - إلا أنهم متوردون على هذه

المعرفة التي نالوها، إذ لا يريدون السلوك بموجبها.

ويفسر البعض هذه العبارة حرفيا. فبالرغم من أن لهم نور النهار إلا أنهم يختارون الليل اللاتق بشورهم، لهذا تدعى الشرور "أعمال

[1048]

الظلمة" (أف 5: 11)، "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور، لئلا توبخ أعماله، وأما من يعمل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر

أعماله أنها بالله معمولة " (يو 3: 20-21).

❖ فإن هؤلاء الذين أولاً تموتوا وهم عرفون، صاروا بعد ذلك عميان، ولم يعرفوا يعرفون، كما هو مكتوب: "لأنهم عندما عرفوا الله لم يمجوه كإله، ولا كانوا شاكرين" (رو 1: 21، 28). أضيف عن هؤلاء بعد قليل: "أعطاهم الله ذهنًا مرفوضًا، ليفعلوا ما لا يليق". فلأنهم لم يريدوا أن يمجوا ذلك الذي عرفوه أعطوا إحساسًا بالرفض، وتوكلوا لهذا المصير، أنهم لا يعرفوا بعد يعرفون أن يقتروا الشرور التي فعلوها... الآن فإن أولئك الذين لا يبالون أن يفعلوا الأعمال الصالحة الواضحة لا يعرفون يبالون الفهم لما هو أنقى.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ هكذا، إذ نظر الرب يسوع أعمال الخاطي الثقيلة بكى. لأنه لم يسمح للكنيسة وحدها فقط أن تبكي، بل زاه هو أيضًا يتحنن على حبيبه، ويقول للميت "هلم خلجًا" (يو 11: 43). بمعنى يا من كنت مطروحًا في ظلمة الضمير وأسر خطاياك وسجن إجرامك هلم خلجًا. أظهر خطاياك فتتبرر، لأن الفم يعترف به للخلاص" (رو 10: 10)...

لتهب لي يارب أن تأتي إلى قوتي، فتسكب الدوع عليّ، حيث جفت عينايا ولم تعودا قادرتين على سكب دوع كهذه من أجل معاصي. إن بكيت يارب عليّ (كما على لعازر) فسأنقذ... أنت تدعوني من قبر جسدي هذا، قائلاً: "هلم خلجًا"، حتى لا يعود تفكوي ينحصر في حنود جسدي هذا الضيق، بل يخرج نحو المسيح ويحيا في النور، فلا أعود أفكر في أعمال الظلمة بل في أعمال النور [\[1049\]](#).

القديس أمبروسيوس

8 . حلول الظلمة على الأثوار

مَعَ النُّورِ يَقُومُ الْقَاتِلُ.

يَقْتُلُ الْمُسْكِينِ وَالْفَقِيرِ،

وَفِي اللَّيْلِ يَكُونُ كَاللِّصِّ [14].

يقدم لنا أيوب ثلاثة أنواع من الأثوار الهاربين من النور: القاتل الذي وإن قتل في النهار يهرب من النور كاللص المختفي وسط الظلام.

والراني الذي يتوقب مجيء المساء ليمرّس شوه حاسبًا أن الظلمة تخفي شوه عن أعين الناس، والذي ينقب البيوت، إذ يعلق على نفسه في

النهار وروى أن الليل يسهل عليه الهجوم على البيوت والهروب.

إذ يتعود الشوير ويتحدى الله، فيقوم على المؤمنين ليقتلهم يكون كالقاتل الذي في جسلة يقتل علانية وسط النهار، موكًا أنه ليس من يقدر أن يقف أمامه ويصده. يقتل المسكين والفقير، غير مبالٍ بأب الفقاء. إذ يفعل ذلك متحديًا الله النور الحقيقي، تحل به ظلمة أعماله. الشورة، فيكون كاللص الذي يعمل في ظلمة الليل. دُعي لصًا يعمل في الليل بعد أن كان قاتلاً جسورًا يقتل في وسط نور النهار. لأنه بعد أن يمرّس الإنسان شوره بعنف بلا خوف حتى من الله، إذ بالخطية تسلبه قوته وشجاعته فيصير هزيلًا، ويخاف حتى من ظله، فيكون كلسٍ يخشى لئلا يمسه أحد.

❖ "وفي الليل كاللص" [14]. فإنه في ليل تجرّبه، بالوغم من أنه بلا قوة يُظهر يد القسوة. يشير على من واهم أصحاب سلطة ب مشورات شورة، ويذهب هنا وهناك ويبحث بكل ما يستطيع أن يمرّس الأضوار بالصالحين. بحق دُعي "كاللص" لأنه في كل مشوراته الشورة يخشى لئلا يمسه أحد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ عدونا حاذق يا عزوي، ومحتال ذاك الذي يقاتلنا. يُعد نفسه للهجوم على الشجعان الظافرين، ليجعلهم ضعفاء. أما الواهون الذين له فلا يحربهم، إذ هم مسبيون مُسلمون إليه.

من له جناحان يطير بهما عنه، فلا تبلغ إليه السهام التي يقذفها نحوه؟ واه الروحيون يحرب، ولا يتسلط سلاحه على أجسادهم. لا يخافه كل أبناء النور، لأن الظلمة تهرب من أمام النور. أبناء الصالح لا يخشون الشرير، لأنه أعطاهم أن يطأوا عليه بأقدامهم (تك 3: 15) [1050].

القديس أوهاط

وَعَيْنُ الْوَأْنِي تُلَاخِظُ الْعِشَاءَ.

يَقُولُ: لَا تَوَاقِبْنِي عَيْنٌ.

فَيَجْعَلُ سِنًا عَلَى وَجْهِهِ [15].

بعد أن شبه الشرير بالقاتل الذي يقتل في النهار، عاد فشبهه باللص الذي يخشى النور ويتسلل بالليل لئلا يمسك به أحد. الآن يشبهه بالواني الذي يتقرب مجيء الليل وحلول الظلام ليمس شهوته بعيدًا عن مراقبة أي عين.

يمس الواني شوه بالليل، حتى لا تراقبه عين، مخبئًا وجهه لئلا يكتشفه زوج من يرنى معها فينتقم منه، إذ أن "الغوة هي حمية الرجل، فلا يشفق في يوم الانتقام" (أم 6: 34-35).

إنه يبذل كل الجهد ليخطط لؤنا، حتى لا واه أحد، لذلك يوصينا الرسول بولس: "البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد" (رو 13: 14).

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الواني يملس العلاقة الجسدية بغش، فلا يطلب لنفسه أطفالاً، بل إشباعاً لشهوته الباطلة هكذا الهواطة يغشون كلمة الله، فلا يطلبون نسلًا روحياً، ولأد الله، بل إواز بلاغتهم ومعرفتهم فيحسبون بالحق زناة!

❖ "عين الواني أيضًا تتقرب انحدار النور قائلًا: لا واني عين" [15]. لا يوجد شيء يعوق هـ. ليُفهم ذلك فيما بعد، متطلعين إلى أن الذي يريد أن يرتكب الزنا يطلب الظلام.

لكن إذ قيلت هذه العبارة ضد الهواطة فمن اللائق أن يفهم هذا الأمر بمعنى سوي. يقول بولس: "فإننا لسنا كالكثيرين يغشون (يؤبنون adulterate) كلمة الله، (2 كو 17: 2). فالواني لا يطلب لنفسه نسلًا، بل يطلب اللذة في الجماع الجسدي، وهكذا كل إنسانٍ شويرٍ، ومن يستعبد للمجد الباطل بحق، يُقال إنه يريف كلمة الله. لأنه لا يطلب أن يلد ولأد الله بواسطة كلمة الإعلان المقدسة، بل يطلب إظهار معرفته. فمن ينجذب إلى الكلام خلال شهوة المجد يحتمل آلامه من أجل المظهر أكثر من إنجاب أطفالٍ.

بحقٍ أضاف هنا: " لا واني عين"، لأن الواني الذي يُرتكب في الداخل يصعب بحق جدًا أن تخترق إليه عين إنسانٍ. هذا ترتكبه (الوأة) المتجاسرة وهي مطمئنة جدًا ف لا تخشى أن واهها بشرٍ بطريقة تجعله يحمر خجلًا.

علوة على هذا، يؤم معرفة أنه كما أن من يرتكب الواني يربط نفسه بجسد امرأة رجلٍ آخر بطريقة غير شوعية، هكذا كل الهواطة، إذ يدفعون بنفس مؤمن إلى خطأهم، يكونون كمن يدفعون بزوجة آخر إلى هذا الطويق. النفس التي تزوجت روحياً بالله واتحدت معه كما في حجال عوس الحب، عندما تُقاد إلى فساد التعاليم بإثارة الأثوار، تكون مثل زوجة آخر قد تدنست بالمفسد.

حسنًا قيل: "وينكر وجهه بقناع". إذ يخفي الواني وجهه لكي لا يُعرف. الآن كل إنسانٍ يحيا بالشر، سواء بالتفكير أو العمل، يُلبس وجهه قناعًا، لأنه إذ ينحدر إلى هذا بواسطة فساد التعليم أو فساد السلوك، لكي يتجنب أن يُعرف في الدينونة بواسطة الله القدير. لذلك سيقول الرب لمثل هؤلاء الأشخاص في النهاية: "إني لا أعرفكم" اذهبوا عني يا فاعلي الشر" (مت 23: 7). وما هو "وجه" القلب البشري سوى تشبهه على مثال الله؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا زعجنا أفكار هؤلاء الناس كثيرًا إذا ما تطلعنا إلى تصرفاتهم. إنهم يرفضون (الله) قاضيًا عليهم، هذا الذي لا يخدعه شيء. إنهم لا يقبلون أنه عالم بالخفيات، إذا يخشون أن تتكشف أمورهم الخفية بالنور. لكن إذ يعرف الرب أعمالهم يسلمهم للظلمة، قيل: " في الليل يكون كاللص، وعين الواني

تتوقب الظلمة، يقول: لا واقبني عين، فيجعل سوا على وجهه ^[1051] " (أي 14:24 - 15) . فكل من يتجنب النور يحب الظلمة، طالباً أن يختبئ، وإن كان لا يختفي عن الله الذي يعرف ليس فقط ما يحى من الأمور بل ما هو في الفكر، ما في أعماق البشر وما في أذهانهم. جاء في ابن سواخ: "من واني؟ الظلمة حولي، والحيطان تسونني، ولا أحد واني، فماذا أخشي؟" (ابن سواخ 18:23) (فمع كونه راقداً على فاشه يفكر هكذا، يقبض عليه وهو غير متوقع (ابن سواخ 21:23) . قيل: "سيكون علًا عليه، إذ لم يعرف مخافة الرب" ^[1052] .

القديس أمبروسيو

- ❖ الكوياء يلد لرتداداً، فالنفس تسير في الظلمة، وإذ تسيء استخدام حرية رادتها تسقط في خطايا أخرى، تقسد كيائها مع الزناة، ذاك الذي خلق كرفيق للملائكة بصير حافظاً للخير ^[1053] .
- ❖ ... أيتها العروس أنه يعلم بنجاسة قلبك وندس أفكارك، لهذا وهبك أن يصلب إنسانك العتيق معه فلا تعيشي بعد تحت سلطان الظلمة، بل في حرية ^[1054] ولاد الله .

القديس أغسطينوس

يَنْقُبُونَ الْبُيُوتَ فِي الظَّلَامِ.

فِي النَّهَارِ يُغْلِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

لَا يَعْرِفُونَ النُّورَ [16].

بالليل يسهل الهجوم على البيوت، لذلك يطالبنا السيد المسيح بالسهر. "لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السرقة لسهر ولم يدع بيته لينقب" (لو 12: 39).

ما هي البيوت التي ينقبها الأشرار إلا إنسانهم الداخلي، فإنهم وسط ظلمة الإرادة الشرة يفسدون أذهانهم وقلوبهم وضماؤهم وأعماقهم ليحتل الشر مركز القيادة فيهم.

- ❖ " في الظلام يحفرون ببيوتهم، هذه التي عيّن وها لأنفسهم في النهار، إنهم لا يعرفون النور" ^[1055] . بماذا يشير هنا بلقب "بيوت" إلا الضمائر التي نسكن فيها عندما نملس شيئاً ما أو نشغل أنفسنا؟ لذلك يُقال لمن يُسقى: "رجع إلى بيتك وأخبر بكم صنع معك الله من عجائب" (لو 8: 39). بمعنى من الآن، تحفظ من عادة الخطية الشرة، ورجع إلى ضمورك، واستخدم صوت الكولة... هكذا "في الظلام يحفرون ببيوتهم"، إذ يسعون في أن يفسدوا أذهان الصالحين... الإنسان الشوير الذي يخشى من الإصلاح يصير في ظلمة الحزن.

البابا غريغوريوس (الكبير)

- ❖ لا يستطيع أحد أن ينير نفسه، فالنور كله يصدر من السماء، من "روح الحق الذي من عند الآب ينبثق" (يو 15: 26) . به زى الابن الكلمة كما زى الآب، بل به زى حقيقة أنفسنا، إذ ينير بصورتنا فنكشف ضعفنا ونشعر بحاجتنا إلى الخلاص. به يضيء لنا "إنارة إنجيل مجد المسيح... لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (2كو 4: 4-6).
- ❖ كما هو مكتوب: "بنورك نعاين النور"، أي باستنارة الروح القدس "النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان أت إلى العالم... فيظهر مجد الابن الوحيد، ويهب معرفة الله للعابدين الحقيقيين.
- ❖ منه قد صدر ذلك القول الذي من شفثيه العذبتين المخلصتين قائلاً: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل العرضى... لم أت لأدعو أولاً بل خطاة إلى التوبة" (مت 9: 12-13). فأى عذر لك؟ أي عذر لأي إنسان ما دام الرب قال هذا؟ إنه يريد أن ينقّيك من ضعفك ويؤيك النور بعد الظلمة.
- ❖ نظروا إليه واستلروا ووجههم لم تخجل . طوبى لمن يحمل هذا النور الذي يكشف الخطايا دون أن يخجل من ضمير قد لوثته الأعمال الشرة...

في يوم الدينونة. عندما يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب (1كو4: 5) فالخطاة أيضًا سيقومون للثوري والعار.. ينظرون في نفوسهم فيح الخطية وآثرها وهي أكثر فظاعة من ظلمة النار الأبدية، ويخجل الأثوار للأبد، إذ تُوسم أمام عيونهم آثار الخطية وقد تَوَكَّت علامتها في جسدكم... مثل حفر لا يزول يتذكرونها على الوام في داخل نفوسهم.

القديس باسيليوس الكبير

لأنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الصَّبَاحُ وَظِلُّ المَوْتِ.

لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَهْوَالَ ظِلِّ المَوْتِ [17].

جاءت الترجمة اليسوعية "لأن الصباح عليهم وظل الموت شيء واحد".

إشراق الشمس مع بدء النهار ورحب به الصديقون الذين يطلبون نور شمس البرّ، ووحيون بعمل السيد المسيح في حياتهم. أما الأثوار فزعجهم الصباح، ويلعنون الشمس لأنها تفضحهم، ليس فقط أمام الغير وإنما حتى أمام أعماقهم، فيعلمون أهوال ظل الموت، ويشعرون بالثوري. ويتكون ويتعبون ويحل بهم الخوف من الناس لا من الله، بل ويسيطر الوع عليهم.

يود الأثوار ألا يحل الصباح، بل تبقى حياتهم ليلاً لا ينقطع، لأنها تتناغم مع ظلمة ضماؤهم. أما الصديقون فيتهللون بالصباح حتى يتمتعوا بنور شمس البرّ فيهم، وتصير حياتهم نوراً لا ينقطع تتناغم في أعماقهم الداخلية. يقول الرسول: "وأما أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يركم ذلك اليوم كلكم. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة" (1 تس 5: 5-6).

❖ " إن ظهر الصباح فجأة يظنون أنه ظل الموت" [17]. فإن "الصباح" هو ذهن الإنسان البار الذي يزيل ظلمة خطاياها، ف تتبدد بنور الأبدية. قيل بطريقة مشابهة عن الكنيسة المقدسة: "من هذه الطالعة كالصباح؟" (نش 10:6). بذات القياس كل شخصٍ بارٍ يشوق بنور البرّ هو في الوقت الحاضر يُبنى إلى أعالي مع كوامات. هكذا بنفس القياس يأتي ظلام الموت أمام عيون الأثوار، حتى أن الذين يتذكرون أنهم ملرسوا أفعالاً شوية يخشون لئلا يُصلح حالهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "مات الغني أيضاً ودفن" (لو 16: 22)... لا تمر ببساطه على هذه العبارة... يا حبيبي. فإن الموائد المطعمة بالفضة والأرائك والسجاجيد والملابس الفاخرة وغيرها من مختلف أنواع الرياش والزيوت المعطرة والأطياب والكميات الكبيرة من الخمور المعتقة وكميات الطعام الكبيرة وأنوات المائدة الفاخرة والتملقين والحراس والخدم وكل مظاهر التفاخر والتباهي، تخبو وتثوي... كل الأشياء تآب ورماد، ألحان حزينة وحداد، لأنه لا أحد يستطيع تقديم العون بعد فوات الأوان، أو أن يسترجع النفس التي رحلت. عندئذ تختبر قوة الذهب والثآء الفاحش، فمن بين زحام الموجودين فإنه قد أخذ علباً وحيداً ولم يستطع أن يأخذ معه أي شيء من فيض غناه، لكنه أخذ بدون رفيقٍ أو معين، ولم يستطع أحد من هؤلاء الذين كانوا يخدمونه أن ينقذه من العقاب والمجراة، لكنه رحل بعيداً عن حاشيته، فقد أخذ بعيداً بمفرده ليتحمل العذاب الذي لا يطاق، "كل جسدٍ عشب وكل جماله كوهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبّت عليه. حقاً الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فثبتت إلى الأبد" (إش 40: 6-8).

حقاً أتى الموت وأحمد كل هذه الرفاهية واقتاده كأسير منكسر الرأس، يئن حزياً لا يستطيع الكلام، يرتعد خائفاً وكأنما تمتعه بكل هذا الترف كان

حلماً [1056].

القديس يوحنا الذهبي الفم

9. رعب الأثوار

خَفِيفٌ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.

مَلْعُونٌ نَصِيبُهُمْ فِي الْأَرْضِ.

لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْكُرُومِ [18].

بعد أن عرض الأثوار الذين يملسون القتل والوفا والسوقة كأبناء ظلمة، يطلبون الليل ويخشون الصباح، ينتقل بنا أيوب إلى امتداد عملهم لا على الأرض كلها وإنما حتى في البحار. وكأن الأرض تصغر في أعينهم فينطلقوا إلى البحار.

وى البعض أن لصوص البحار يستخدمون سفناً خفيفة على وجه المياه حتى يتمكنوا من الانطلاق بسوعة من قناة إلى أخرى، ومن الهجوم على سفينة ليلحقوا بغوها، فيسلوا وينهبوا، أما العمل في الأرض خاصة فلاحه الأرض وغرس الكروم فمهنة مهينة لا تجلب منافع مثل السلب والنهب.

يمكننا أيضاً القول بأن أيوب يتطلع إلى الأثوار من قتله وزناة وناقبي بيوت أنهم يبذرون كعنة موعبين، لكن في الواقع في ضعف شديد كمن يسلكون على وجه المياه كسفن خفيفة وسط رياح عاصفة وأمواج عنيفة. تلعنهم الأرض فلا يجدون لهم ملوى حتى تحت الكروم، فيهربون نحو البحار لعلهم يفتنون، لكن العواصف تدمرهم. أما الصديقون فيكونون بركة على الأرض يسلكون في طريق الكروم، أي طريق الخمر الروحي الذي يملأ النفوس فرحاً وتهليلاً.

❖ "إنه خفيف على وجه المياه" [18]... ذهن الشير "أخف من سطح الماء"، حتى أن أية نفخة لتجربة ما تلمسه تجتذبه دون أي تأخير ومقاومة. فإن كنا نتصور القلب غير الثابت لأي إنسان شير، ماذا نكتشف فيه سوى سطح ماء في مواجهة ربح؟ ففي وقت ما تجتذبه أية نفخة غضب، وفي وقت آخر نسمة كروياء، ونسمة شهوة وحسد وبطلان؛ كل هذه النفخات تدفعه وتحركه. هكذا إنه خفيف على سطح الماء، تسحب كل ربح للخطأ أمامها حين يحل الخطأ....

" لئعلن نصيبهم على الأرض، وليته لا يسير في طريق الكروم" [18]. من يفعل ما هو مستقيم في الحياة الحاضرة ويواجه مصائب، وى بالحقيقة أنه يتمخض في ضيقه، إنه كامل، ولكن من أجل الموائ الأبدية. أما من يفعل ما هو شر... ، ولا يمك نفسه عن الأعمال الشرة من أجل فيض البركات (الزمنية) التي ينالها، فوى أنه بالحق في ترف، لكنه مربوط برباط اللعنة الأبدية. لذلك يقال هنا بحق: "لئعلن نصيبهم على الأرض"... " طريق الكروم " هو استقامة الكنائس. لنفهم أن المبتدع أو أي إنسان جسداني يترك استقامة الكنائس أو طريق الكروم، عندما لا يتمسك بالإيمان المستقيم أو التدبير المستقيم للحي البار... لهذا فإن " السير في طريق الكروم " هو التمسك بأباء الكنيسة المقدسة مثل عناقيد كرامة معلقة حيث يسكر بكلماتهم في حب الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الْفَحْطُ وَالْقَيْظُ يَذْهَبَانِ بِمِيَاهِ التَّلْجِ،

كَذَا الْهَالِيَةُ بِالَّذِينَ أَخْطَأُوا [19].

إذ يحول الأثوار الهروب من لعنة الأرض لهم بالانطلاق إلى البحار يحاصوهم الهلاك هناك. فيكونون أشبه بقطع تلج تنوب أمام القَيْظِ والحر الشديد. إنهم يعانون من القحط الروحي، وينحرون نحو الهالوية.

تَنْسَاهُ الرَّحْمُ يَسْتَحْلِيهِ التُّودُ.

لَا يُذَكِّرُ بَعْدَ، وَيُنْكَسِرُ الْأَيْمُ كَشَجَرَةٍ [20].

" تنساه الرحم": يظن الشير أن الكل يخشاه وأن الكل يذكوه، لكن سوعان ما تنساه أمه التي ولدته.

حقاً لا تنسى الكنيسة كل البشرية، بل تنن من أجل كل نفس تهلك. إنها تصوخ مع عريستها السموي: "هل تنسى الوأة رضيعها، فلا رحم ابن بطنها؟ حتى هلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش 49: 15). ولكن من يصر على شوه وعوقه، لا تؤمه الكنيسة بالخلص، وإنما بغزلة لنفسه من المسيح

واهب الخلاص يسمع الصوت الإلهي: "إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت 7: 23) وتقول له الكنيسة إنها قد نسته، لا تعود تذكره!
"ويستحليه النود" بمعنى أن الله لا يحكم عليه بالموت بتعليقه على الأسوار لتأكله طيور السماء أو بإلقائه لوحوش مفترسة، إنما يتوك الشوير يموت ويدفن في القبر ويستعذبه النود! إنه يموت كسائر البشر، يوقد في هنوء إلى أن يقف أمام الديان فيحكم عليه شوه، ويكون مصوه مع إبليس وملانكتته.

كانوا في القديم يعتقدون بأن النود يوجد في الجلد وفي كل أجزاء الجسم، وأنه هو الذي يهلك الجسم. اقتبس روبرت Roberts في كتابه Oriental Illustrations عن عمل طبي هندي قديم أنه يوجد في أجزاء الجسم المختلفة 18 نوعًا من النود. اعتاد المرضي في الهند أن يقولوا: "آه جسمي صار عشًا للنود، يتسلل في كل هيكلتي". "هوذا النود يأكل جسمي بلا توقف" [1057].

" لا يذكر لعبد، وينكسر الأثيم كشجرة " ، بموته لا يعود له ذكرى، بل ينسأه البشر، حاسبًا إياه كشجرة انكسوت! بل وينسأه الله – إن صح التعبير - ليقول له في يوم الدينونة إنه لا يعرفه (لو 13: 27). لا يعود يذكره الله، أي لا يهبه وراحمه ونعمته، فيكون كمن هو منسي من الله.
❖ ليته لا يكون له ذكرى، ليسحق مثل جذع غير مثمر [20]. من يبقى حتى نهاية حياته خاضعًا لعادات شرة لا يعود تكون له ذكرى لدى خالقه، أي ذكرى الأمور الهامة في الأعالي لمثل هذا الإنسان (الشوير) التي يمكن أن تجعله يرتد عن شوه. إذ يدرك أنه مستحق أن يمحي تمامًا من ذكرى خالقه.

لكن لنضع في الذهن أن الله لا يمكن أن يُقال عنه إنه "يتذكر" بطريقة دقيقة، فإن ذاك الذي لن يقدر أن ينسى، بأية كيفية، يمكنه أن يتذكر؟ إنما هذا هو طريقنا نحن أن نتذكر من نحتضنهم، وأن ننسى من نجعل أنفسنا بعيدين عنهم، فإنه يُقال عن الله أنه يذكر عندما يقدم هبات، وذلك باستخدام اللغة البشوية، وأنه ينسى عندما يهجر من هو في جريمة...

هكذا مكتوب: "عينا الوب في كل موضع، تنتظران الأثوار والصالحين" (أم 3: 15). ويقول الموتل: "وجه الوب على الذين يفعلون الشر، ويقطع ذكراهم من الأرض" (مز 16: 34). لهذا فهو يتطلع إلى الشخص الذي يعاقبه، لكنه يحسب أنه لا يعرف قبلاً هؤلاء الأشخاص. فسيقول للبعض في النهاية: "إني لست أعرفكم من أين أنتم. اذهبوا عني يا كل فاعلي الشر" (لو 13: 27). هكذا رى وينسى حياة الأثوار بطريقة عجيبة، بكونه يصدر حكمًا قاسيًا، وينسى ذكرى الرحمة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قل لي واخبرني، إذ أريت زعيم عصابة يجول الطرقات، ويكمن في مفارق الطرق للمرة، يسوق الغزاع ويخفي الذهب والفضة في المغزات والشقوق، ويخترن المسروقات في مخابئ، ويقتني الكثير من الملابس والعبيد من السلب والسوقة، أخبرني هل تعتبر هذا الشخص سعيدًا بسبب ثروته وغناه، أو تعتوه تعيسًا بسبب القصاص الذي ينتظره؟ صحيح لم يُقبض عليه بعد، ولم يُسلم إلى القاضي، ولم يُلقَ في السجن، وليس عليه اتهام، وحقيقة أمره لم تُعرف ولم تنتشر بعد، ولكنه يأكل ويشرب بأسواف ويفوظ في المتع الكثوة، وبالرغم من ذلك فإننا لا نعتوه سعيدًا بسبب ما لديه من ممتلكات حالية واضحة، وإنما نعتوه بائسًا بسبب ما ينتظره من عذاب آت.

يجب عليكم أن تفكروا بنفس الأسلوب عن هؤلاء الأغنياء الجشعين، فإنهم نوع من اللصوص، يكمنون في الطرقات، ويسرقون المرة، ويخفون خواتهم في منزلهم كما في المغزات والشقوق. لهذا نحن لا نعتوهم سعداء لما لديهم، ولكنهم تعساء لما ينتظروهم. وبسبب المحاكمة الوهيبة والحكم الإلهي الذي لا وحم والظلمة الخرجية التي تنتظروهم.

صحيح غالبًا ما يهوب اللصوص من أيدي الناس، ومع من ذلك ومع معرفتنا بهذا نصلي من أجل أنفسنا ومن أجل أعدائنا لتجنب تلك الحياة بغناها البغيض.

ولكن مع الله لا نستطيع قول ذلك، فسوف لا يهوب أحد من حكمه، وإنما كل الذين يعيشون بالسوق والاحتيال سيجلبون على أنفسهم عقابًا أبدية لا

نهاية له، مثل هذا الغني (في مثل لعازر والغني).

يا أحبائي إذا استعدنا كل هذه الأفكار في أذهاننا لا نعود نعتبر السعيد هو الغني ولكن الصالح، ولا نعتبر أن البائس هو الفقير بل الثوير. "لا تأخذ بعين الاعتبار ما هو حاضر، بل ما هو آتٍ" [1058].

القديس يوحنا الذهبي الفم

10. لا تستقر عصاهم على الصديقين

يُسيءُ إِلَى العَاقِرِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ،

وَلَا يُحَسِّنُ إِلَى الأَرْمَلَةِ [21].

يعجز الشر عن أن يسيء إلى الأم الولود، وإنما يسيء إلى العاقر التي لم تلد وكما يعجز ألا يحسن إلى العروس المتهللة بعيسها لكن لا يحسن إلى الأرملة.

من هي العاقر هنا؟ ومن هي الأرملة؟

النفس التي لا تتمتع بعمل نعمة الله، فلا تقدر أن تشهد لإنجيل المسيح، ويكون لها أبناء للرب تحسب عاقراً. قيل عن الكنيسة إنه ليس فيها عقيم، بل الكل منتم (نش 4: 2؛ 6: 6). مثل هذه النفوس المثورة بالروح القدس لن يقدر شير ما أن يمسه، بل تتحول مقاومته وهجمات عليه إلى نصوات مستورة، وتتمتع بأكاليل المجد.

ما يملسه الثوير ضد العروس المتحدة بعيسها السملوي لا يحسب إلا إحساناً لها، إذ يزداد بالأكثر بهؤها، وتنعم بشركة الصلب مع عيسها، أما التي توّمل بتركها عيسها كمن مات ولا وجود له في قلبها وفكرها، فإن الثوير لا يحسن إليها، بل يدورها بشوه.

يقدم أيضاً البابا غريغوريوس (الكبير) التفسير الوزي التالي لهذه العيلة.

❖ [21] " [1059] إنه يطعم العاقر، والتي لا تحمل، ولا يفعل صلاحاً للأرملة [21]. من هي هذه التي يُشار إليها بالعاقر، إلا الجسد الذي يطلب المؤمنيات وحدها، إذ يعجز عن أن يلد أفكراً صالحة؟ ومن التي تُحسب أرملة إلا النفس؟ فقد رُاد الخالق أن يوّدها معه، جاء الزواج في حجال الرحم الجسدي، وكما يشهد المونث قائلاً: "مثل العريس الخرج من حجاله" (مز 5: 19).

بحق تُدعى أرملة حيث خضع بعلمها للموت من أجلها، والآن يعيش في موضع آخر في السماء، مخفياً عن عينيها. لهذا فإن الإنسان الثوير يقوت العاقر، ويحتقر عمل الخير للأرملة، لأنه لا يبالي بالنفس وبحياتها، بينما يطبع شهوات الجسد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُمسِكُ الأَعْوَاءَ بِقُوَّتِهِ.

يَقُومُ فَلَا يَأْمَنُ أَحَدٌ بِحَيَاتِهِ [22].

وى أيوب أن الثوير في كوربائه واعتزله بنفسه وُعج حتى العظماء على الأرض، ويعجز أقوى الأقوياء عن أن يقفوا أمامه. وعندما يثور، ففي هياجه يبطش بكل من هم حوله، لا يأمن احد بحياته، وفي نفس الوقت لا يأمن هو نفسه بحياته، لأن "يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه" (تك

[1060] (12 : 16).

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الثوير هو الإنسان المبتدع الذي في كوربائه قلبه يظن أنه أروع من الكل، محتقوا الآخرين. إنه ينتفخ بعلمه ومعرفته، مع أن معرفته غير صادقة، لأن كل ما يشغله هو مجده الذاتي وكرامته. لهذا كما يقول الرسول بولس: "اختار الله ضعفاء العالم ليخزي بهم الأقوياء" (1 كو 1 : 27).

❖ يقول ل يوحنا: "من يقول إنه يعرف الله ولا يحفظ وصاياَه فهو كاذب" (1 يو 4:2). وهكذا يقول بولس: "يظنون أنهم يعرفون الله، لكنهم بالأعمال ينكرونه" (تي 1:6). وهكذا يقول يعقوب: "إيمان بدون أعمال ميت" (يع 2:20، 26).

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُعْطِيهِ طُمَأْنِينَةً فَيَتَوَكَّلُ،

وَلَكِنْ عَيْنَيْ ه عَلَى طُرُقِهِمْ [23].

مع ما يسببه الشويز من متاعب حتى للأغواء يحطم نفسه، يمد يده على الغير، وهم يمدون أيديهم عليه. مع هذا يطيل الله أناته عليه، فيسمح له مع غطوسته أن ينجح في هذا العالم، ويعيش في رخاءٍ وراحةٍ ووقتيةٍ، بل وتنتهي حياته بسلام، كما حدث مع إسماعيل المتمسم بالعنف، فقد عاش ومات أمام جميع إخوته (تك 16:12؛ 25:18). هنا يقول أيوب: "يعطيه طمأنينة فيتوكل" (23). يبدو كمن هو تحت حماية خاصة من العناية الإلهية، حتى يدهش الإنسان كيف يعيش الشويز في العالم ناجحاً، وكيف ينجو حتى من الأخطار الكثيرة التي يسببها لنفسه.

إذ يطيل الله أناته على الشويز، يستغل هذا الموقف، فيظن أنه لن يمسه ضرر، فيتوكل. "لأن القضاء على أعمالهم الودينة لا يجوي سويغاً" (جا 11:8). يظنون أن الله لا يبالي بشويزهم، ولن يدعوهم للدينونة. نجاحه وسلامته الؤمنية تجعله متواكلاً.

يظن الشويز انه محبوب لدى الله، أفضل من جميع الذين على الأرض، وأنه موضوع عايته الإلهية بسبب وه الذاتي.

تخطئ عينا الشويز النظر، إذ ترى أن حياته الشويرة هي طريق الحق، فيزداد كبرياءً وتشامخاً، وإذ بعيني الرب على طريق الشويز، مشتاقاً أن يتخلى الشويز عن كبرياء قلبه، ويسلك طريق الصليب في تواضع.

❖ يقول بولس: "أما تعلم أن طول أناة الله إنما تقتادك إلى التوبة؟ ولكن بسبب قسوة قلبك غير التائب تذخر غضباً لنفسك في يوم الغضب، وإعلان حكم الله العادل" (رو 2:4-5)...

"لأن عينيه على طوقه"، إذ يهتم الخاطي بطوقه، ويعتمد على ذهنه وحده، تتطلع عيناه إلى الأمور النافعة له مؤقتاً فقط. أظهر (السيد المسيح) الحق لأعين الذين تبخوا هذه الطرق، إذ طلب من قلوب تلاميذه المنتقخة أن تطلب المجد الحقيقي. .. قائلاً: "أنتستطيعان أن تشوبا الكأس التي أشربها أنا؟" ... وهكذا قُدمت كأس الآلام أمام أعينهم كأمر يقتنون به، حتى يجداً أولاً طريق التواضع، إن كانوا يطلبون مباحج العظمة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَتَرَفَّقُونَ قَلِيلاً ثُمَّ لَا يَكُونُونَ،

وَيُحِطُّونَ.

كَالْكُلِّ يُجْمَعُونَ،

وَكَوَاسِ السُّنْبَلَةِ يُقَطَّعُونَ [24].

يبد و الأثوار كأنهم محبوبون من السماء، ويظنون أنهم رُفِعوا في كرامة، ليس من خطرٍ يلحق بهم، وإذا بهم ينهارون فيكونون كمن هم غير موجودين. ينحط كبريؤهم ويوضع في التواب، ويحل بهم الموت كجميع البشر، يُقَطَّعُونَ كسنبلةٍ، فتزول كل كرامة باطلة.

❖ "يتجمدون إلى حين، لكنهم لا يستمرون" [24]. مجد الأثوار، وإن استمر إلى عدة سنوات، تحسبه أذهان الضعفاء أنه يستمر طويلاً وأنه مستقر. ولكن إذ يزول في نهاية مفاجئة، يوهن بطريقة واضحة أنه يستمر لمدةٍ قصيرةٍ... للمجد (الؤمني) حد يجعل منه مجداً زائلاً وتافهاً.

تمجيد الإنسان لذاته يعجز عن الاستعورية، لأنه ينفصل عن الأساس المتين للوهر الأبدي، ويسقط تحت دمار، لأنه بتمجيد الذات يسقط في ذاته، يقول الموتل: "تطوحهم عندما يرتفعون" (مز 18:73)، إذ يسقطون في الداخل... يقول مرة أخرى: "إنه إلى لحظات، فلا يكون الشويز بعد" (مز 10:37). لهذا يقول يعقوب: "ما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً" (يع 14:4). لذلك إذ يعبر النبي على قصر مدة المجد الجسدي يقول: "كل جسد هو

عشب، وكل جماله كوهر القش" (إش 6:40)...

"مثل نهاية سنابل الحنطة يُّسحقون". بالتأكيد تشامخ المنكرين يتحطم تحت ضغط الغربة النهائية، بينما حياة المختلرين تتمجد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ **سأل أخ أنبا بامو:** "لماذا تعوّقني الشياطين عن عمل الخير للقریب؟" فقال له: "لا تقل هكذا وإلا فأنت تكذب الله. فأحى بك أن تقول: إنني لرفض بالكلية أن أصنع الرحمة، لأنّ الله سبق قبل اعتراضك هذا أن قال: "ها أنا أعطيكم سلطاناً لتتوسوا الحيات والعقرب وكل قوة العدو" (لو 10: 19)، فلماذا إذن لا تسحق أنت أيضاً الأرواح النجسة؟"

بستان الرهبان

وإن لم يكن كذا فمن يكذبني،

ويجعل كلامي لا شيئاً؟ [25].

يختم أيوب حديثه بتحدٍ حويء لكل من هم حوله، ليكنوا ما قاله إن استطاعوا.

❖ الإنسان البار حتى وإن نطق بشيء ما خطأ، فإنه أبعد ما يكون عن أن يدينه الأثوار السالكون في حياة شوية... فإن هؤلاء الأشخاص الذين لا زالون يعيشون على مبادئ مخادعة يفقدون الجأة أن يوبخوا الخداع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 24

أسقط في يد الله ولا أسقط في يد إنسان!

❖ السقوط في يد القدير أفضل من السقوط في يد الإنسان.

الإنسان مع ضعفه وعجزه وعدم إواكه للأمانة،

يقسو على أخيه الإنسان.

والله مع قنوته ومعرفته لأسرار القلب وإواكه للأمانة،

مملوء حقاً نحو ضعفنا!

أسقط في يدك، يا أيها الديان العجيب،

ولا أسقط في يد إنسان، يشركني ضعفي وعجز!

❖ لست أدين إخوتي على قسوتهم عليّ،

فأنا بدوري أقسو على زميلي في البشرية.

أنا معه تحت الحكم عينه،

في غباوتي أسقط خطاياي عليه عوض الترفق به.

❖ أنت الديان ترفق بي، لتسند ضعفي.

وأخي، شريك في الضعف، يسلبني إنسانيتي،
يقتحم حياتي، لا يسلب مما لي، بل يسلب كياني!

❖ أنت لا تتحمل دموعي، يا أيها القنوس،
وأخي وى دموعي، فينسب لي الخداع وعدم الاستقامة.
يجول حولي بلا ضابط،
لا ليُصلح، بل ليُظلم ويحطم أعماقي.

❖ خلقت العالم ليكون أيقونة السماء،
لكن دخل الفساد إلينا، فصار العالم الجميل قانونه الظلم.
حلّ الجور في حياتنا البشرية، عوض العدل الممزوج حباً.
تحولت ساحات العدل إلى مراكز للفساد.
وفي طول أناتك تنتظر رجوعاً إلى الحق الإلهي.

❖ لست أخاف من ظلم الإنسان لي،
لكنني أخشى ظلمي لأخي الإنسان.
فإنه يلجأ إليك وتصوخ أعماقه إليك ضدي،
ما أفعله لأخي يرتد إليّ بكيلٍ ملبدٍ مهزوزٍ.
أزع عني العنف والقسوة والظلم،
حتى أستطيع الدخول معك في عهد أبدي.
هب لي الحنو مع من أقودهم،
فاحمل روح الرعاية الحانية.

❖ أعماقي تصوخ، فكل ما فعلته بإخوتي كامن فيها،
من ينفذني من شورري سواك؟
أزعه من مخزن قلبي، وليحل برك في.
أزعه من أعماقي، فتصير هيكلًا مقدسًا لك.
أزله عني، فمحصلته خداعًا وهباءً لا قيمة له.
أزله، فإني لا أحتمل غضبك، يا أيها البار، مبغض الظلم!

❖ إلهي، نعمتك تزوع عيني وعن اخوتي روح الظلم.

بدون نعمتك يفقد الإنسان الحنو الداخلي.

يبرر لنفسه سلب الأيتام والأرامل.

يصير كوحشٍ، يفترس الفقراء والمساكين.

يحسب العالم كله ملكاً له ولنسله.

يسلب وينهب بلا رادعٍ.

لا يبالي بآلام إخوته، ولا يعطي بالاً لدموعهم.

يخطف اليتيم من ثدي أمه،

ويأسر المسكين، ويحسبه عبداً له.

يظن أنه ليس من قانون بردعه،

ولا من إله يدينه!

يعشق الظلمة، ليقتل ويسوق ويزني،

حاسباً أنه ليس من وى، ولا من يحاسب.

❖ مسكين هو هذا الظالم.

يطيل الله أناته عليه لعله يرجع ويتوب.

تسقط عليه اللعنة،

يصير في مجاعةٍ داخليةٍ وقحطٍ.

تتهياً له الهاوية لتبتلعه.

يحسبه الودد وليمة شهية.

يزول ذكوه من العالم وينكسر كشوة من جنورها.

في وسط غناه وكبريائه يسقط.

❖ احفظني يا رب فيك، فلا أملس الظلم،

ولا أخشى ظلم الناس لي، فأنت هو ملجأى الوحيد.

<<

آخر هجوم ضد أيوب

من يقدر أن يعاتب الله؟

يبدو أن بلدد ورفقاه وقفوا عاجزين عن الود على أيوب في حديثه أنه يوجد أشرار ناجحون، وأن الله قد يطيل أناته عليهم أحياناً حتى آخر نسمة في حياتهم، وإن كان هذا لا يعني أنهم يهربون من ثمر شرهم، إذ يسقطون في دينونة أبدية ماداموا لم يرجعوا إلى الله بالتوبة. لهذا إذ جاء دور بلدد للحديث، لم يجد ما يتحدث عنه، فتجاهل القضية الرئيسية، وعجز عن الود على حديث أيوب الورد في الأصحاح السابق. قدم بلدد آخر هجوم ضد أيوب في اقتضابٍ شديدٍ، مردداً ما سبق أن قيل، إذ ليس من جديد يمكن أن ينطق به.

ويمكننا توير توقف الأصدقاء الثلاثة عن الجدل العنيف للأسباب التالية أو بعضها:

ولاً: شعروا أن أيوب قد أفحمهم بحديثه عن أشرارٍ لا يعانون من متاعبٍ كالأوار، بل وينجحون أكثر منهم. لم يطلوا منه أمثلة عملية، لأنه وهو يتكلم معهم أركوا أمثلة واقعية معاصرة لهم.

ثانياً: حسوا أن ما قاله فيه الكفاية، فلا داعي لتكرار المناقشات دون جدوى.

ثالثاً: أركوا أن ما قاله لأيوب يتفق مع ما يقوله هو، وليسوا على خلاف معه في الفكر، خاصة وأن أيوب أكد لهم هلاك الأشرار الأبدية حتى وإن نجحوا في العالم من أجل طول أناة الله عليهم.

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن بلدد الشوحي يوبخ أيوب، لأن الأخير طلب محاكمته أمام الله، فقد عوقب دون أن يخطئ. لذلك يقول بلدد إن كل الخليقة تقف في رهبةٍ وخوفٍ أمام الله، وليس من يقدر أن يتبرر أمامه، أو يهرب من يده. كأن طلبه أيوب باطلة وغير لائقة.

يمتدح أليفازار عاية الله القدوة، هذا الذي يدير السماء، ويبعث رسله على الأرض كنورٍ يضيئون [٢-٣]، لكن يبقى السمايون أقل من الله، فكم بالأكثر يكون الإنسان.

- 1 . الله صاحب السلطان وواهب السلام في السماء 3-1
- 2 . كَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ 4
- 3 . الكواكب ليست ظاهرة في عينيه 5-6

1 . الله صاحب السلطان وواهب السلام في السماء

فَأَجَابَ بَلَدُّ الشُّوْحِيِّ: [1]

السُّلْطَانُ وَالْهَيْبَةُ عِنْدَهُ.

ما نطق به بلدد حقيقة لائقة بالله وبنا، وهي أنه يليق بنا أن نتصاغر جداً أمام الله السامي المهوب، وأن البعد شاسع بينه وبيننا، وإنما أخطأ بلدد في تطبيق ذلك على أيوب، إذ لم يحمل له روح الحب.

الله كخالق السماء والأرض، خالق الكل، وواهب الحياة، له الحق المطلق في وضع النواميس وتدبير الكون بسلطانٍ مطلقٍ. وكما قال نيوخنصر عندما رجع إلى عقله وبلرك العلي: "سلطانه سلطان أبدى، وملكوته إلى نور فنور، وحسبت جميع سكان الأرض كلا شيء، وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده، أو يقول له ماذا تفعل" (دا 4: 34-35).

مع الدالة العظيمة التي كانت لدى رجال الله نحوه كانوا يعترفون أنه الإله العظيم الجبار المهوب والمخوف.

"يحمدون اسمك العظيم والمهوب قدوس هو" (مز 99: 3).

"وصليت إلى الرب الهى واعترفت وقلت: أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه" (دا 9: 4).

"قلت: أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه" (نح 1: 5).

"والآن يا إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة لا تصغر لديك كل المشقات التي إصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا وأنبياءنا وأبائنا وكل شعبك من أيام ملوك آشور إلى هذا اليوم" (نح 9: 32).

إذ يعلق القديس أغسطينوس على الزمور 99 الذي يتحدث عن الله الجالس على الكرسي، المهوب الذي ترتد أمامه الشعوب وتتزلزل الأرض، واه جالساً على النفس البشرية متربحاً كما على عرشه المقدس.

❖ الشاروبيم هو كرسي الله، كما يُظهر لنا الكتاب المقدس، عرش سام سموي لا زاه، لكن كلمة الله يعرفه؛ يعرفه بكونه كرسيه... الله لا يجلس كما يجلس الإنسان. لكنك إن أردت أن يجلس الله فيك، فإنك إن صوت صالحاً تصير كرسيّاً لله... نفس البار كرسي الحكمة. فإن العرش في لغتنا يُسمى كرسيّاً... لأن الله يسمو فوق كل معرفة يُقال عنه إنه يجلس على كمال المعرفة. ليكن فيك كمال المعرفة، فتصير عرش الله... وإذ يكون لك كمال المعرفة وتكون لك المحبة تصير عرش الله، وتصبح سماءً. فإن السماء التي نتطلع إليها بأعيننا هذه ليست ثمينة جداً لدى الله. النفوس المقدسة هي سماء الله، عقول الملائكة، وكل عقول خدامه هي سماء الله.

[1061]

القديس أغسطينوس

هُوَ صَانِعُ السَّلَامِ فِي أَعَالِيهِ [2].

إن كان البشر في عنادهم أو شرهم يقاومون الله، إنما يقاومون أنفسهم، إذ يفقدون سلام الله الفائق، أما السمائيون فيتمتعون بسلامه في الأعالي، إذ يحبونه ويخضعون له، ويطيعونه طاعة كاملة. يحملون الحب الإلهي ويتمثلون بتواضعه، فلا يتشامخون على بعضهم البعض، ولا يحسبون ولا يتنزلون ولا يتذمرون. إنها عطية الله الفائقة لهم كمحبين له أن يعيشوا في سلامٍ عجيبٍ.

أما بالنسبة لسكان الأرض، فيحتاجون إلى الطاعة لله، فيتمتعون بعمله كواهب السلام، وكما يقول المثل: "يهدى العاصفة فتسكن، وتسكت أمواجها" (مز 107: 29؛ 65: 7).

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الله كخالق كل الأشياء يملك عليهم وله سلطان، وعب قلوب الخليقة القابلة للموت. على الأرض ينقص الخليقة السلام، بل يحل بهم الارتباك والقلق، أما في الأعالي، أو في العالم السموي، فيؤحد الله المختلرين مع طغمت الملائكة، ويكون الكل في سلامٍ. بالرب نتحول من رُؤي إلى سموات، ونحسب أعاليه، حيث يسكن فينا، ويقم سلامنا فينا. وكما يقول الرسول: "لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط" (أف 2: 14).

[1062]

❖ مادام المسيح ابن الله هو السلام، فقد جاء ليجمع معاً من له، ويغزلهم عن الأثوار.

القديس أغسطينوس

❖ "سلاماً أتوك لكم" (يو 14: 27). يقول: "ماذا يؤذيكم من متاعب العالم مادتم في سلامٍ معي؟ فإن هذا السلام ليس من ذات وع ذلك (الذي من العالم). ذلك سلام خلجي، كثراً ما يكون مؤدياً وبلا نفع، لا مزية له لدى من يقتوه. أما أنا فأعطيهم سلاماً من وع به تكونون في سلام كل مع الآخر، ويجعلكم أكثر قوة" [1063].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "مبارك الآتي باسم الرب"، الملك ضد الطاغية، جاء لا بإظهار أنه كلي القوة والحكمة، وإنما بما حُسب كجهالة الصليب الذي به أنقذ من له من المسيبين بواسطة الحياة الحكيمة بالشر.

مبارك الآتي باسم الرب: الحق ضد الكذاب، المخلص ضد المهلك، رئيس السلام ضد مثير الحروب. محب البشر ضد مبغض البشرية.

مبارك الآتي باسم الرب، الرب القادم لوحم الخليقة صُنِعَ يديه.

مبارك الآتي باسم الرب، الرب القادم ليخلص الإنسان الذي ضل في الخطأ، ليُزِعَ عنه الخطأ، ويهب نوراً لمن هم في الظلمة، ويبطل خداع

الأوثان، ويحل محله معرفة الله واهبة الخلاص، حتى يقدس العالم. يُزِعُ الوجاسات والشقاء التي لعبادة الآلهة الباطلة [1064].

الأب ميثوديوس

ينسب الله الأعالي لنفسه فالسموات هي للرب (مز 115: 16)، ويدعوها بلدد "أعاليه".

حين يتقدس الشعب ينسب الرب الشعب وأعياده له، فيدعى "شعب الله"، "سبوتي" الخ، وحين يتمرد يدعو "الشعب"، "أعيادكم"، "سبوتكم" الخ.

هَلْ مِنْ عَدَدٍ لِحُنُودِهِ،

وَعَلَى مَنْ لَا يُشْرِقُ نُورُهُ؟ [3]

ما يحل في أعالي الرب أو سمواته من سلام، ليس لأن عدد السمائيين قليل فيمكن الوصول إلى اتفاقٍ وانسجامٍ بينهم، لأنه "هل من عدد

لجنوده؟" إنما سرّ سلامهم في الرب أنه يشوق بنوره على جميعهم. إن كان نور الشمس يبلغ إلى الأرض كلها، فإن نور الله يسطع على كل السمائيين

"وعلى من لا يشرق بنوره؟"

هكذا الذي يشوق بنوره على كل السمائيين يشوق شمس على الأثوار والصالحين (مت 5: 45)، لعل الكل يطلب نور نعمته الفائقة فيستنبهوا،

ويحملوا واه وسلامه! إنه لا يخفي نوره عن أحدٍ، ولا يبخل بمعرفته على خليقته، لكنه لا يُزِمُ أحداً بقبول نعمته.

يدعونا السيد المسيح أن نكون أبناء الله، إذ يقول: لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشوق شمس على الأثوار والصالحين،

ويمطر على الأوار والظالمين (مت 5: 45). إنه يريد أن يكون الكل أبناء النور. "لأن الله الذي قال أن يشوق نور من ظلمة هو الذي أشوق في قلوبنا

لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (2 كو 4: 6).

❖ "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف 5: 8). لم يقل "بفضيلتكم"، وإنما بنعمة الله العاملة فيكم. بمعنى أنكم كنتم تستحقون العقوبات،

[1065]

والآن لم تعوبوا بعد هكذا. لذا فلنسلخوا كأبناء النور... في كل صلاح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين وُلِدوا ثانية كانوا أبناء ليلٍ وصلوا أبناء نهارٍ؛ كانوا ظلمة وصلوا نوراً. الآن يسوع يعهد بنفسه إليهم، وهم يأتون إليه ليس ليلاً مثل

[1066]

نيقوديموس (يو 3: 2)، ولا يبحثون عنه في الظلام بل في النهار.

القديس أغسطينوس

❖ بالروح القدس نتحقق عودتنا إلى الفردوس، صعودنا إلى ملكوت السموات، عودتنا إلى التبني كأبناء، حريتنا فدعو الله أبانا، شُكْرنا في نعمة

[1067]

المسيح، دعوتنا أبناء النور، شُكْرنا في المجد الأبدي، وفي اختصار بلوغنا إلى حال كمال البركة.

القديس باسيليوس الكبير

2. كَيْفَ يَنْبَرِّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟

فَكَيْفَ يَنْبَرِّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ،

وَكَيْفَ يُرْكَو مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ؟ [4]

مهما سما برّ الإنسان وقداسته، لا يقدر بسمو برّ الله وقداسته (مز 89: 6). وإذا ما دخل الإنسان في محاكمة مع الله، يتبرر الله ويُدان الإنسان،

وكما يقول الموتل: " لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2) . ليس من خطأ في أحكام الله، ولا من يقدر أن يعترض عليها أو يستأنفها.

❖ " هل يمكن لإنسان أن يتبرر متى قورن بالله؟ أو هل يمكن أن يوجد مولود امرأة طاهر؟" [1068] [هذه العيلة سبق أن نطق بها الطوبوي أبوب... حيث أن كل إنسان هو بار خلال الاستئزلة بالله، لا بالمقرنة مع الله. فإن برّ الإنسان متى قورن بالخالق لا يُحسب وًا، فإنه حتى إن تمسك الإنسان بحاله في الخلقة، لا تقدر الخلقة أن تتسوى مع الخالق.

على أي الأحوال، صار هذا المخلوق يحمل أحمالاً ثقيلة، ولعوزه تآكمت عليه الخطية، هذه التي جلبتها الحية فيه بالخداع، ووهنت المرأة عن ضعفها بما فيه الكفاية. الآن إذ يُولد الإنسان عن طويق امرأة خاضعة للخطية، ورث ضعف الخطية الأولى بالتناسل، ليس لأن فرع الجنس البشري قد فسد في الأصل، ولم ينل الحيوية الخاصة بخلقته، لذلك بحق يُقال الآن: " هل يمكن للإنسان أن يتبرر، وهو مولود امرأة؟" كأنه يقول بوضوح: ليته لا يفكر إنسان بكروياءٍ ضد خالقه، ليتأمل من أين جاء إلى هذا الموضوع، ويفهم ما هو عليه.

لكن لتلاحظوا أنه يوجد أولئك الذين نالوا عونًا بعطية الروح ضد وهن جسد، فبوا أنفسهم، و أشوقوا في الفضائل. نعم! يشوقون في آياتٍ عجيبةٍ مذهشةٍ. ومع ذلك لا يوجد إنسان ما يعبر الحياة بدون خطية، مادام يحمل الجسد الفاسد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من هم الذين وغيون في الدخول في محاكمة معه إلا الذين يجهلون برّ الله، ويريدون أن يقيموا وَّهم الذاتي؟... "لن يتبرر أمامك كل حي". "كل حي" هنا، يحيا في الجسد، يحيا متوقِّعًا الموت. يولد كإنسانٍ، نال حياته من إنسانٍ، جاء من آدم... يمكنه أن يتبرر أمام نفسه، لكن ليس أمامك. كيف يتبرر أمام نفسه؟ بأن يُسر نفسه ولا يوضيك. لا تدخل في المحاكمة معي أيها الرب إلهي. مهما بدا لي أنني مستقيم، فإنك إذ تقدم مستوى من مخزّنك أقيس به نفسي فأجدها معوجة [1069].

❖ "إنك تتبرر في أولئك، وتغلب إذا حوكت" (مز 51: 4) . أنت تغلب كل البشر، كل القضاة؛ فمن يظن في نفسه أنه بار أمامك فهو غير بار. أنت وحدك تحكم بعدلٍ، وبغير عدلٍ تُحاكم... أنت تغلب كل البشر، لأنك أنت فوق كل البشر، وهم خلقوا بواسطتك [1070].

القديس أغسطينوس

3 . الكواكب ليست طاهرة في عينيه

هُوَذَا نَفْسُ الْقَمَرِ لَا يُضِيءُ،

وَالكُوكَبُ غَيْرُ نَقِيَّةٍ فِي عَيْنِيهِ [5].

بالرغم من جمال القمر وكل الكواكب، لكنها في حقيقتها أحجار لا تحمل نورًا ولا جمالاً في ذاتها، لو لم تتعكس أشعة الشمس عليها. هكذا الكنيسة، أي القمر، والمؤمنون أيضًا، أي الكواكب، لا جمال لهم إلا بإثواق شمس البرّ عليهم ليبيد كل أثر للظلمة، ويعكس بهاءه عليهم. قيل عن المؤمنين الحقيقيين والكرزبين: " والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ربوا كثيرون إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا 12: 3).

خرج نعمة الله يصير القمر مظلمًا عاجزًا عن الإضاءة، وتُحسب الكواكب غير طاهرة. وكما يقول إشعياء النبي: "ويخجل القمر وتخزي الشمس، لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم" (إش 24: 23).

رى العلامة أوريجينوس [1071] أن القمر والكواكب هنا تشير إلى كائنات عاقلة يُصدر لها الرب وصايا (إش 12: 45) قابلة للتقدم كما

للسقوط.

❖ ماذا يعني بالقمر سوى الكنيسة كلها معًا، وماذا يعني بالكواكب إلا نفوس الكثرين الذين يعيشون بالاستقامة؟ وسط مملسات الناس الأثوار هم

بلرزون بالفضائل النافرة، كما لو كانت تتبر وسط ظلمة الليل. هكذا يقول بولس أيضًا لتلاميذه: "تضيئون بينهم مثل أنوار في العالم" (في 2:15). ويقصد بلقب "ال كواكب المختلين، يخوننا مرة أخرى بولس ذلك بقوله: "فإن نجمًا يمتاز عن نجم في المجد" (1 كو 15:41). هكذا "لا يضيء القمر، والكواكب ليست طاهرة في عينيه". ليست الكنيسة المقدسة بقوتها تضيء في عجائب كثرة هكذا، ما لم تسقط عليها أمطار النعمة المحصنة، ولا أذهان الكثويين الذين يعيشون باستقامة طاهرة من دنس المملسات الخاطئة لو أنهم دينوا خراج الحنو (الإلهي). ففي عيني الديان الحزم كل فود دنس خلال ميله للفساد، ما لم تتوع نعمة (الله) الإنسان من هذا السقوط يومًا فيومًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لتتصت آذانكم من الآن إلى الصوت المجيد الذي ستتغنى به الملائكة بسبب خلاصكم قائلة: "طوبى للذي غفر إثمه وسُترت خطيئته" [1072]. وذلك عندما تدخلون كواكب الكنيسة المتألقة جسدًا ومتألثة نفسًا.

عظيم هو العماد الذي يوهب لكم، فإنه عتق الأسوى، غوان المعاصي، موت الخطية، ميلاد جديد للنفس، ثوب النور، ختم مقدس لا ينفك، مركبة للسملوات، بهجة الفوس، ترحيب في الملكوت، عطية التبيي! لكن احذروا، فإنه توجد حية في الخرج ترقب الملين. احترسوا لئلا تلدغكم بلدغات عدم الإيمان.

إنها إذ ترى كثويين يتقبلون الخلاص تلتمس أن تبتلعه منهم (1 بط 5: 8) [1073].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لا يوجد قط من هو بلا خطية. "الكواكب ذاتها غير طاهرة بعينيه"، وكل خليفة ترتعب عند مجيء الرب... يوجد تفسير آخر وهو أن "كل" لا تشير إلى الجميع بل إلى أولئك الذين هم موضوع الجدل. وذلك كما يقول قائل: "كل المواطنين صوحوا"، لا يعني بهذا أنه لم يوجد أحد قط صامت، وإنما قيل هذا عن الغالبية التي تظني على الأقلية [1074].

القديس جيروم

❖ ليس إنسان بلا خطية سواء كانت حياته يومًا واحدًا أو عاش سوات طويلة. فإن كانت الكواكب نفسها ليست بطاهرة في عيني الله، كم بالأكثر النودة والفساد هذا الذي صار عليه من خضوعا لخطية عصيان آدم؟ [1075]

القديس أغسطينوس

❖ أليس بصالح ذاك الذي رفع الأرض إلى سماء حتى أن الكواكب المتألثة المصاحبة له تعكس مجده في السماء كما في مرآة، هكذا طغمات الوسل والشهداء والكهنة يشوقون مثل كواكب مجيدة، وتهب نورًا للعالم؟ [1076]

القديس أمبروسيو

فَكَمْ بِالْحَوِيِّ الْإِنْسَانُ الرَّمَّةُ،

وَإِبْنُ آدَمَ الْنُودُ [6].

إن رجع الإنسان إلى أصله قبل الخلق، واعتول الله خالقه يسير تَابًا ورمادًا، رمة ودودًا! والعجيب أن الكلمة الإلهي في تجسده تواضع جدًا، فقال على لسان النبي: "أنا نودة لا إنسان" (مز 22: 6).

❖ كل البشر مولودون من جسد، ماذا هم سوى نود؟ من هذا النود يصنع الله ملائكة. إن كان الرب نفسه يقول: "أما أنا فنودة لا إنسان" (مز 22: 6)، من يتودد في النطق بما ورد في أيوب: "كم بالأهوى الإنسان رمة، وابن آدم النود" [6]. قال ولأ "الإنسان رمة"، وبعد ذلك "ابن الإنسان نودة"، لأن النودة تخرج من الرمة.. . أنظروا ماذا أراد أن يصير من أجلكم هذا الذي "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو

[1077]

القديس أغسطينوس

❖ " كم بالأكثر الإنسان هو فساد، وابن الإنسان دودة؟" [6] كأنه يقول بوضوح: إن كان هؤلاء الأشخاص أنفسهم لا يقدرّون أن يتجنّبوا العوى، الذين وسط ظلمة الحياة الحاضرة يضيئون ببهاء اقتناء الفضائل، فكيف يكون شر المربوطين بالحياة حسب الجسد؟ إن كان هؤلاء الأشخاص لا يقدرّون أن يتحرروا من الخطية، هؤلاء الذين بالفعل يسلكون في طريق الشهوات السماوية، فماذا بالنسبة للذين لا زالون ساقطين تحت أثقال العادات الشريرة، والذين هم متروكون لمذات أجسادهم، لا زالون يحملون نير الفساد؟ لهذا يقول بطرس: "إذا كان البار بالجهد يخلص، فالشهير والخطيئ أين يظوان؟" (1 بط 4:18) يقول إشعياء: "على أرض شعبي يطلع شوك وحسك، فكيف بالأكثر في كل بيوت الفوح في المدينة المبتهجة" (إش 13:32) ... المدينة الفوحة هي ذهن الشير الذي لا يبالي بالعقوبات القادمة، وذلك من أجل مسوة الجسد، وإذ يخرج الذهن عن كيانه يلهو في روح كاذب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يلاحظ البابا غريغوريوس أن الإنسان الأول يُدعى فساداً، إذ حلّ به الموت بالخطية ففسد. وأما ابن الإنسان فيُدعى دودة، حيث يلد الفساد دوداً في جسم الميت.

من وحي أيوب 25

لتشرق بنور بؤك عليّ

❖ تشوق بنور حبك على كل الخليقة.
بك تستنير الطغمام السماوية،
وبدونك تبدو السماء غير ظاهرة.
بك يعيش السمائيون في سلام،
وبدونك لا سلام حتى في السماء،

❖ كيف أتبرر أمامك،
وقد حلّ الفساد بأعمالي؟
من يزوع عني الفساد غيوك؟
لتعمل نعمتك فيّ يا كل الصلاح!

⏪

أيوب يؤكد علي عظمة الله وحكمته

إذ امتدح بلدد قوة الله وسلطانه كواهب السلام في سمواته، وعجز الإنسان عن أن يتبرر أمامه، لم يناقضه أيوب. إنما أبرز بأكثر قوة قوة الله وعظمته، ليؤكد ما سبق أن قاله: "ما تعرفونه عرفته أنا أيضاً" (أي 13: 2). كأن أيوب يرد على بلدد قائلاً بأن ما قاله يعرفه هو أيضاً، وأنه قد انصرف عن الموضوع الذي يتناقشون فيه بخصوص البحث عن حكمة الله الذي يسمح بالضيق للصلحين، بينما يسمح أحياناً بالنجاح للأشرار. أما ما قاله بلدد ورفيقاه فلا حاجة لأيوب أن يسمعه، إذ يقدر أن يضيف أدلة أقوى مما قدمه هؤلاء.

يعلن أيوب لبلدد أنه قادر أن يصف جلال الله بكلمات أسمى من كلماته، فيذكر أدلة رائعة كثيرة عن حكمة الله وقدرته في خلقه العالم وحفظه:

1. يعلق الأرض على لا شيء.
 2. رسم حداً على وجه الماء حتى لا توجع لتغطي الأرض، ويحفظ المياه التي فوق الجلد فلا تتسكب على الأرض.
 3. المخلوقات الجبلية ذات الحجم الضخم الساكنة في الماء كالحوت ترتعد من خوفه.
 4. بالعواصف والأواء وزرع الجبال.
 5. بسط السموات كشقة.
 6. يخفي مجده عن العالم الذي لا يحتمل ضيائه.
 7. زينات السماء المتألئة من صنع يديه.
- وفي كلماته النهائية لأصحابه يعود فيؤكد واءته. إن قمة صوخة الرجاء عند أيوب هي التي أطلقها في نهاية الدورة الثانية: أنا أعرف جيداً أنه المخلص الحي، وإن له الكلمة الأخوة على هذه الأرض، وأنه سيعاين الرب، سواء بعينه لا بعيني غوه.
- يتساءل أيوب إن كان الله يدير السماء بعناية قدوة، فلماذا يتوقف هناك؟ الله يهتم حتى بالبحار المنخفضة عن الأرض، وأيضاً بالهالوية حيث ينحدر الناس بعد موتهم. إنه حال في كل موضع في العالم.

- 1-4. خروج بلدد عن الموضوع
5. سلطان الله على أعماق البحار
6. سلطان الله على الهالوية
- 7-12. سلطان الله على الطبيعة
13. الله سرّ إبداع السماء
14. يا لغنى عظمة الله!

1. خروج بلدد عن الموضوع

فَقَالَ أَيُّوبُ: [1]

كَيْفَ أَعْنَتُ مَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ،

وَحَلَّصْتُ نَوَاحِي لَأَعِزَّ لَهَا؟ [2]

يوجه أيوب حديثه لبلدد في أسلوب بليغ ورائع مع تواضع وانسحاق، فيحسب أيوب نفسه " لا قوة له "، وفراعه " لا عز لها "، وفي تهكم يقول لبلدد: يا لك من معين من لا قوة له، ومشدد للألوع التي لا عز لها! فمع اعترافه بضعفه الشديد، يوبخ بلدد الذي يظن في نفسه أنه حكيم وموشد ومعين، وإذا به محطم لنفسية من لا قوة له ولمن لا عز لفراعه.

هنا يفضح أيوب بلدد موضحاً أنه كرفيقه تكلم بكلمات بليغة وحقائق إيمانية صادقة، لكن ما قدمه هو كلام بلا حب، وحوار بلا عمل؛ فما قدمه لا يعين من لا قوة له، ولا يسند فراعا لا عز لها.

❖ (يقول أيوب) لكنني لست بعد ألوئك من أجل دفاعك عن دور الله. فإنه يؤرم هذا. على أي الأحوال يؤرمك ألا تدينني، وإن كان يجب بالحق إن أمكن الدفاع عن نعمة الله دون إخضاع أيوب لاتهامات كثرة هكذا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أنه كان يليق ببلدد (ورفيقيه) أن يعملوا مع الله لمساندة النفوس المنكسوة بروح التواضع لا التشمخ؛ فإن الله يطلب من خدامه أن يعملوا معه (1 كو 3: 9) وأن يحملوا روح التواضع، فينسوا الثمر لله العامل فيهم (1 كو 3: 7).

❖ أجاب أيوب وقال: لمن أنت تعين؟ هل لكائن بلا قوة؟ أو هل تسند فراع من هو ليس بقوي؟ هنا نحتاج أن نعرف أننا نساعد حتى الله، الذي هو بالتأكيد ليس "بلا قوة"، عندما نعمل في تواضع. قال بولس: "نحن عاملان (مساعدان) لله" (1 كو 9: 3). فإن كنا نساهم بصوت النصح لأشخاص تعم عليهم نعمة داخلية، نجتاز بهم خلال الروح القدس... إننا نحثهم نحو الكمال فقط عندما يكون الله في القلب معيناً. هنا أيضاً يقول: "ليس الغرس شيئاً ولا الساقى، بل الله هو الذي ينمي" (1 كو 7: 3). فإن من يزرع أو يسقي إنما يساعد، ولكن تكون الخدمة باطلة إن لم يعط الله النمو في القلب. أما الذين لهم أفكار متشامخة من نحو قوة عقلم، فلن يكونوا معينين لله بتواضع، إذ يحسبون أنفسهم أنهم نافعون لله، ويجعلون من أنفسهم غرباء عن الثمر المفيد.

❖ عندما يحاول الرعاة إصلاح الإعية المنحرفة يجب عليهم أن يتحلوا بالتواضع حتى لا ينحرفوا في استخدام سلطتهم وأن يشعروا أنهم مسلوون للاخرة الذين يصلحونهم. وعلينا نحن الرعاة أن نترب في صمت وتأمل، وأن نفضل الأشخاص الذين يتم إصلاح أخطائهم عن أنفسنا، لأن خطاياهم قد تصححت عن طريقنا بتربيات شاقة، أما خطايانا نحن الرعاة فلم يوبخنا عليها أحد حتى ولو بالكلمة. من أجل هذا ندان نحن الرعاة أمام الرب بقدر ما نعتق من العقاب أمام الناس. وبالأكثر تتحرر الإعية من الدينونة الإلهية، لأنها تدان على أخطائها هنا في هذا العالم [1078].

❖ لتتأكد الإعية أن الرعاة متواضعون داخلياً أمام أنفسهم. وهكذا يجب على الإعية أن تترك ما ينبغي أن تخافه من السلطة، وما ينبغي أن تقلده في محيط التواضع [1079].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ واضح أنه عندما ينصح أحد آخر وفي نفس الوقت يتألم أكثر من الذي يوبخه، يفعل هذا لا ليسبب حزناً للغير، بل ليقدم له محبة عميقة. بينما من ينتهر آخر بغير هذا الشعور فإنه في الواقع يطأ بقدميه على مشاعر أخيه [1080].

الأب أمبروسياستر

❖ لا تدع رتبة الكهنوت تجعلك في خيلاء، بل بالحوي تجعلك متواضعاً، فإن الانحلال والحوي يؤلدان من التشمخ. كلما اقتربت من الرتب العليا للنظام الكهنوتي المقدس يلبق بك بالأكثر أن تتواضع، متذكراً بخوف مثال أولاد هرون (لا 10). معرفة الحياة المقدسة هي معرفة وداعة وتواضع. التواضع هو إقتداء بالمسيح. التعالي والتجاسر والوقاحة هو إقتداء بالشيطان. كن متمثلاً بالمسيح، لا بضد المسيح، بالله وليس بالمقاوم لله، بالسيد لا بالعبد الشلد، بالحووم لا بالذي بلا رحمة، بالمحب للبشرية لا بعوها، بشريكك في حجال العوس لا بساكن الظلمة. لا تكن تواقاً لاستغلال السلطة [1081].

على الجماعة، حتى لا تضع على عنقك أثقال خطايا الآخرين .

القديس باسيليوس الكبير

كَيْفَ أَشْرَتْ عَلَى مَنْ لَا حِكْمَةَ لَهُ،

وَأَظْهَرَتْ الْفَهْمَ بِكَوْثَةٍ؟ [3]

يوبخ أيوب بلدد لأنه قدم فلسفات نظرية كمن يحدث طفلاً لا حكمة له، ويستعرض فهمه ومعرفته بكثرة كلام بلا عمل. قدم ما هو حق، ولكنه لم وارع الظروف، فجاء الحق في غير محله وفي غير وانه.

❖ " لمن تقدم مشورة؟ ربما لمن ليس له حكمة؟" [3] أن تقدم مشورة لإنسان جاهل، فهذا عمل محبة، وأما أن تقدمها لحكيم فهذا تباؤ. أما أن تقدمها للحكمة ذاته، فهذا انحراف للفكر.

❖ ينبغي على راعي النفوس أن يميز بحكمة وعناية ما بين الفضائل والذائل، لئلا يتمكن البخل من قلبه، وهو يبالغ في الظهور بمظهر المدبر، أو يفخر بكومه كما لو كان فضيلة وهو في الحقيقة مبذر ومتلف. أو يتغاضى عما يجب أن ينتقده بشدة، فيجلب على رعيته العقاب الأبدي، أو يعاقب الأخطاء بدون رحمة، فيخطئ بذلك خطأ أكبر، أو عندما يفسد ما كان يمكن أن يفعله بوقار واستقامة بتوقعاته المتعجلة والطائشة. كذلك فإن تأجيل عمل ما صالح قد يحوله إلى عملٍ شويرٍ [1082].

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِمَنْ أَعْلَنْتَ أَقْوَالاً،

وَنَسَمَةً مَنْ خَرَجَتْ مِنْكَ؟ [4]

يقول له: " لقد أعلنت أقوالاً " في غير محلها، إذ كان يليق بك تقديم تعزيات الله للمحربين، لا أن توعبهم بالأهوال الروعبة. " ونسمة من خرجت منك؟ " بمعنى بأي روح تنتعش لتقدم مثل هذه الأحاديث لتحطم النفس المجروحة؟ كان يليق بك أن تطلب الحكمة والتعقل من ذاك الذي وهبك الحياة والنفس.

كان يليق ببلدد أن يقول مع إشعياء النبي: "أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيب المعبي بكلمة" (إش 4:50).

❖ " لمن تريد أن تعلمه؟ أليس ذاك الذي أوجد طريق النفس؟ بالنفس نحن نعيش، وبالتعقل نحن حكماء. إنما يجب أولاً أن نعيش، وبعد ذلك نصطبغ بالحكمة، لأنه لكي يكون لنا قوة أن نكون حكماء يؤمننا أولاً أن نفتتني ذاك الذي وهبنا الحياة، هو نفسه بلا شك يهبنا التعقل أيضاً.

❖ العلاج في غير الوقت المناسب يجعل الجروح أكثر إيلاًماً. وإذا كانت الأنوية غير مناسبة فمن المؤكد أنها لا تصلح لغرض الشفاء [1083].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قدم (الرسول بولس) ثلاث سمات للكورة بالكلمة: غوة متقدة مغاورة، ونفس مستعدة لاحتمال أية مخاطر مُحتمل حدوثها، ومعرفة وحكمة مرتبطان معاً . فإن حبه للمغاورة (في كورنثيه)، وحياته التي بلا لوم ما كانت تنفعه في شيء لو لم يتقبل قوة الروح. تطلع إليه إذ تظهر فيه هو أولاً، أو بالأحرى اسمع كلماته: "لئلا تلام خدمتنا" [1084].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. سلطان الله على أعماق البحار

الأخيلة ترتعد من تحت المياه وسكانها [5].

يقصد بالأخيلة المخلوقات الضخمة الجبلية كالحيتان وسمك القرش، فإنها وهي تعيش في المياه تخشى الله وكان عناية الله تمتد إلى ما في مياه

البحار والمحيطات من مخلوقات جبلة شوسة تبدو كمن لا سلطان له عليها. وكما جاء في رميا النبي: "إياي لا تخشون يقول الرب، وألا ترتعون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخوما للبحر، فبوضة أبدية لا يتعدها، فتتلاطم ولا تستطيع، وتعج أمواجه ولا تتجاوزها" (إر 5: 22).

وى البعض أن الأخيطة أو العمالقة هنا يقصد بهم الذين كانوا في أيام فوح يستخفون به ويظنون أنه لن يصبهم شر ما، وإذا بهم يصيرون كسكان تحت مياه الطوفان الذي حلّ بهم فصلوا في رعدةٍ لكن بعد فوات الأوان!

❖ [5] " [\[1085\]](#) " هوذا العمالقة يننون تحت الماء]. إن كان يُقصد بـ "العمالقة" أصحاب السلطة في هذا العالم، فإن المياه تشير إلى الجوع كما يشهد يوحنا بقوله: "المياه التي زأها هي الشعب" (رؤ 15: 17).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ألا ترون هذا البحر بأواجه الكثوة ورياحه العنيفة، ومع هذا فإن هذا البحر المتسع العظيم الثائر هكذا تحزوه رمال ضعيفة! لاحظوا أيضاً حكمة الله فقد سمح له ألا يستريح، ولا يهدأ، لئلا تظنوا أن نظامه الصالح هو بتدبير طبيعي، ومع هذا فهو يلتزم بحدوده. يرفع صوته عالياً باضطرابه وهدوه وأواجه المذهلة في علوها. لكنها إذ تبلغ الشواطئ تحزوها الرمال وتكسوها، فتعود بذاتها إلى الراء، لكي تعلمكم بهذه الأمور كلها أن ما يحدث ليس هو من عمل الطبيعة المجردة أن يبقى البحر عند حدوده، بل هذا من عمل ذلك الذي بسلطانه يصده! لهذا السبب جعل الحاجز ضعيفاً، فلم يطوق الشواطئ بأخشاب وحجارة وجبال، لئلا تعزو نظام العناصر إلى مثل هذه الأمور. لذلك فإن الله نفسه ربّ اليهود بذات هذه الظروف، قائلاً: "إياي لا تخشون يقول الرب... أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر فبوضة أبدية لا يتعدها" (إر 5: 22) [\[1086\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حبة الرمل، وهي أضعف شيء، تصد عنف المحيط [\[1087\]](#).

القديس باسيليوس الكبير

3. سلطان الله على الهلوية

الهلوية عريانة قدامه،

والهالك ليس له غطاء [6].

يبرز أيوب سلطان الله الفائق أنه ضابط الكل، له سلطان على الحيوانات الضخمة الشوسة وسط البحار، بل وحتى على إبليس وملائكته اللذين يسكنون الجحيم، فإنهم عاجزون عن عمل شيء بدون إذنه أو سماح منه.

فالهلوية بعيدة عن أنظرنا، والهالك الذي يحل بالشياطين والأشوار لم زه بعد، لكن كل شيء مكشوف أمام عيني الله، يكشفه لمن يريد مثل ملائكته القديسين. قيل عن يسجد للوحش وصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده: "فهو أيضاً سيثوب من خمر غضب الله المصوب صوقاً في كأس غضبه، ويعذب بنارٍ وكرويتٍ أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف" (رؤ 14: 10).

وى البعض أن أيوب يتحدث عن الأشوار الذين صلروا أبناء إبليس، ويسكنون معه في الهلوية، هؤلاء حسبوا أن الله لا راهم، لكنهم مكشوفون أمام عيني الله. يقول الرسول: " ليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمننا" (عب 4: 13).

❖ [6] " [\[1088\]](#) " الجحيم عريان أمامه، والهالك ليس له غطاء [يقول بولس ما يشبه ذلك: "كل الأشياء عريانة ومكشوفة لعيني" (عب 4: 13). يقصد بالجحيم والهالك الشيطان وكل المرتبطين بدينوته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ هل يمكن لله ألا يعرف أموراً كهذه، بينما ليس من أمرٍ يهرب من اهتمامه؟ " الجحيم عريان أمام نظره، وليس من غطاء للأشوار أنفسهم"، إذ لا

[\[1089\]](#)

يستطيعون أن يخطوا.

القديس أمبروسيوس

- ❖ (كلمة الله يدين) أفكار القلب ونياته، وليس خليقة غير ظاهرة قدامه (عب 4: 12-13). بهذه الكلمات وعيهم... إنه يدين القلب الداخلي، إذ يعبر إليه، يعاقب ويبحث عنه. يقول: ولماذا أتكلم عن البشر؟ فإنكم حتى إن تحدثتم عن الملائكة، وعن رؤساء الملائكة، والشروبيم والسرافيم، أو أي مخلوق كان، فالكل مكشوف أمام تلك العين، الكل واضح ومعلن، لا يقدر أن يهوب منه شيء ما [1090].
- ❖ "كل شيء عريان ومكشوف" (عب 4: 13)، لذلك الذي يديننا، ونلتزم نحن بتقديم حساب لا عن الكلمات فحسب، بل وعن الأفكار، فإن هذا الديان يميز سريعا أفكار القلب ونياته [1091].
- ❖ سيثوق الأوار كالشمس، بل وأكثر من الشمس في ذلك الحين؛ أما الأثوار فيعانون كل الأمور المؤلمة إلى أقصى درجة. هناك ليس من حاجة إلى تسجيلات وواهين وشهود، فإن الذي يدين هو كل شيء الشاهد والوهان والقاضي، إذ يعرف كل شيء بدقة: "كل شيء عريان ومكشوف أمام عينيه" [1092].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ "كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمونا" (عب 4: 13). يقصد بهذا أنه آخر غير هؤلاء جميعا (ليس مخلوقا). لذا فهو الذين يدين، وكل واحد من هؤلاء يلتزم بتقديم الحساب أمامه [1093].

البابا أثناسيوس الرسولي

4. سلطان الله على الطبيعة

يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلَاءِ،

وَيُعَلِّقُ الْأَرْضَ عَلَى لَأْشَيْءٍ [7].

يشبه الكتاب المقدس الله الخالق كمن يبسط السماء والأرض، ويبقى في رعايته بخليقته يبسط كليهما إلى أن تنتهي الأمانة فيطويها. يقول الموتل: "بسط السموات كشقة". وكما جاء في سفر الرؤيا: "السماء انفلقت كوج ملتف" (رؤ 6: 14). أما عن اختيره "الشمال" فلأن أيوب يعيش في نصف الكرة الشمالي، فوى الله يبسط الأرض كما على الخلاء، أي كما لو كانت فرغة أو كلا شيء متى قورنت بالعالم الآخر. يقول الموتل: "الشمال والجنوب أنت خلقتهم" (مز 89: 12).

وروى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الشمال يشير إلى الشيطان، حيث مملكته فرغة من نعمة الله. حتى مملكة إبليس ليست مخفية على الله.

[1094]

- ❖ أعطى الرب الأرض استورا، وستبقى على هذا الحال مادام الله يريد لها هذا.

ثيودورت أسقف قورش

- ❖ من لا يلبق به أن يدهش ويتحير من هذه الأمور، معلنا بيقين أن هذه ليست من صنع الطبيعة، بل من عمل العناية الإلهية التي تفوق الطبيعة. إذ يقول أحدهم: "الذي يعلق الأرض على لا شيء" (7: 26). وآخر: "في يديه رُكبان الأرض" (مز 95: 4). [1095].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ "يبسط الشمال على موضع فرغ" [7]. يُستخدم "الشمال" في الكتاب المقدس ليشير إلى الشيطان... إذ يملك (الشيطان) على من كانت قلوبهم غير ممثلة بنعمة محبة الله. لكن يمكن لله التقدير إنه يملأ حتى وأني الشيطان الفرغة من كل فضيلة بعطية نعمته، ويودع المخافة الإلهية في هؤلاء الأشخاص الذين لا واهم مؤسسين بأي سلوك في البر. لذلك أضاف بحق: " يعلق الأرض على لا شيء ". فإنه ماذا يقصد بالأرض إلا الكنيسة

المقدسة؟ إنها تتقبل كلمات الكوراة، وتأتي بثمر الأعمال الصالحة. قال عنها موسى: "لتسمع الأرض كلمات شفتي، وليُنظر إلى حديثي مثل المطر" (تث 2:1-2). وما هو "اللاشيء" سوى شعوب الأمم المتعددة، والتي يقول عنها النبي: "كل الأمم أمامه كلاً شيء، ويُحسبون أمامه أقل من العدم" (راجع إش 17:40).

البابا غريغوريوس (الكبير)

" يعلق الأرض على لا شيء " فقد خلق الأرض وأقامها بغير أعمدة. ليس من شيء يمكن لإنسان أن يعلقه على لا شيء، أما الله فنبت الأرض كلها على لا شيء. وكما يقول الرسول: "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب 1: 3). هذا الذي أقام الكوة الأرضية وثبتها، ليمشي عليها الإنسان ويعيش، ألا يقدر بكلمة قدرته أن يدبر كل حياة الإنسان؟
❖ أمت السماء لي سقفاً، وثبتت لي الأرض لأمشي عليها.
من أجلي ألجمت البحر، من أجلي أظهرت طبيعة الحيوان، أخضعت كل شيء تحت قدمي. لم تدعني معزاً شيئاً من أعمال كرامتك.

قداس القديس غريغوريوس اللاهوتي

يَصْرُ الْمِيَاهِ فِي سَحْبِهِ،

فَلَا يَتَمَرَّقُ الْغَيْمُ تَحْتَهَا [8].

يحفظ الله المياه التي قيل عنها أنها "فوق الجلد" (تك 1: 7)، فلا تتسكب بفيضان هوة واحدة ليغرق العالم كما حدث في أيام ووح. إنها محفوظة (مصرورة) بحكمة إلهية. يسقطها كأطارٍ بتدبير الهي محكم، وبقدر معين مع ثقل هذه المياه التي صلت سحاباً لا تنزق الغيوم تحتها لتسقط دفعة واحدة، وذلك من أجل نفع سكان الأرض من بشر وحيوانات وزرع.

يقف القديس يوحنا الذهبي الفم في دهشة أمام عناية الله الفائقة إذ يسمح للماء (في السحب) أن يكون محولاً إلى فوق الهواء، ويختتم الله عليه بالهواء فيجوى إلى أماكن كثرة ليروي الأرض.

[1096]

❖ من الذي "يصر المياه في السحب"؟ هذه أعجوبة أنه يضع شيئاً بطبيعته يفيض أن يبقى على السحاب يثبت بكلمته. لكنه يفيض بجو منه على وجه الأرض، ينضح به في الوقت المناسب. إنه لا يطلق العنان لكل رصيد المياه، إنما يكتفي بالتطهير الذي تم في أيام ووح. يبقى الله صادقاً في عهده. [1097]

القديس غريغوريوس النريوي

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيراً رمزياً، فوى في المياه رمزاً للمعوفة، وفي السحاب الكثيف للجماعة، فإن الله هو الذي يهب الكارزين المعرفة السماوية.

إن كان بلد ورفيقاه يدعيان الحكمة والمعوفة، فيليق بهم أن يكونوا كالسحاب الخفيف الذي يطير في السماء، ويرتفع عن التراب والأرضيات، فيتمتعوا بالحكمة السماوية والمعوفة الإلهية.

الله في عنايته الفائقة يهبنا بنعمته أن نصير سحاباً، أو مركبه إلهية، كما قال إشعيا النبي: "هوذا الوبراكب على سحابة سريعة (بهية)، وقادم إلى مصر" (إش 19: 1). بحلوله فينا يملأنا بمعرفته وحكمته وحب، ويطير بنا كما إلى مصر، أي إلى قلب كل إنسان لنقدم لهم الساكن فينا، الله الحب الحقيقي!

[1098]

❖ [8] "يوثق المياه في سحابه الكثيف، حتى لا تنفجر إلى أسفل". [بماذا يشير بالمياه في هذا الموضع سوى المعوفة، والسحاب سوى الكارزين؟ فالماء في الكتاب المقدس يُستخدم أحياناً ليشير إلى المعرفة كما يعلمنا سليمان شاهداً بذلك. يقول: "كلمات فم الإنسان كميّاه عميقة، وينابيع الحكمة كجدول ماء يتدفق" (أم 4:18). ويشهد داود النبي بأن المياه تشير إلى المعرفة، قائلاً بأن المياه القائمة في سحاب السماء، وبالأسوار الخفية، إذ كانوا يحملون فيهم أسراً بلا حدود، معانيها غامضة في أعين ناظرها.

وماذا يشير اسم "السحاب" في هذه العبارة سوى إلى الكارزين القديسين، أي الوسل، الذين أرسلوا في كل اتجاه في بقاع العالم، يعرفون كيف يمتطون بالكلمات، ويوقون بالمعجزات؟ عن هؤلاء تطلع إشعياء منذ زمن طويل وقال: "من هم هؤلاء الذين يطيرون كالسحاب؟" (إش 60:8).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "أضاعت بروقه المسكونة" (مز 97: 4). هذا فوح عظيم... بروقه تضيء في كل العالم: أعدوه يجلسون على نارٍ ويحترقون... كيف تضيء البروق؟ بأن يؤمن العالم. من أين تأتي البروق؟ من السحاب. وما هو سحاب الله؟ الكارزون بالحق... أرسل ربنا يسوع المسيح رسله ككارزين مثل السحاب. نُظروا كبشرٍ فاحتقروا، وظهروا كسحابٍ [1099].

القديس أغسطينوس

❖ الفضيلة أمر منير ومبهج، والذين يعيشون في طريقها يطيرون كالسحاب كقول إشعياء: "وكالحمام مع صغره" (إش 60: 8). وأما الخطية فكشيءٍ ثقيل جالس كقول نبي آخر: "ثقل الوصاص" (زك 5: 8) [1100].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ روى القديس باسيليوس الكبير أن كل البشر مثل السحاب دائمو الحركة، يتحركون حسبما توجههم الرياح. فمن يحركه ريح الوب ينطلق نحو السماء، ومن يترك نفسه لرياح العالم والشهوات يتحرك نحو الجحيم لدمله. الناس كالسحاب، يتحركون هنا وهناك في السماء حسب تغير الرياح [1101].

القديس باسيليوس الكبير

يَحْبِبُ وَجْهَ كُرْسِيِّهِ،

بِاسِطًا عَلَيْهِ سَحَابَهُ [9].

من محبة الله لنا ورعايته العجيبة أنه يحجب وجه عرشه، فلا زاه كما هو، لأنه كما قال: "لأن الإنسان لا واني ويعيش" (خر 33: 20). يبسط عليه السحاب والضباب فيبدو كما في قتامة، إذ تعجز أعيننا عن معاينته، فنعيش بالإيمان لا بالعيان، حتى نلتقي معه وجهًا لوجه في يوم الرب العظيم قدرما نحتمل.

❖ وجه عرشه يُحجب، يعني أننا لا نترك مجد ملكوته في هذه الحياة. فمع عظمتها في الداخل، ينشر سحابه، لأن مجد الملكوت السموي لا يُرى كما هو. فإن "الجسد الفاسد يحط من النفس، والخيمة الأرضية تثقل الذهن الذي يفكر في أمورٍ كثرة" (حك 15: 9). هكذا ينتشر علينا الضباب فلا نرى مجده، إذ نطمح بسحاب جهلنا. بحق يقول المرتل: "الظلام تحت قدميه، وهو يركب الشاروبيم ويطير. يطير فوق أجنحة الريح، ويجعل الظلمة موضعه السوي" (اجع مز 9: 18-11)...

❖ لكن إن حسبنا عرشه هو القوات الملائكية، إذ يتربع على هذه القوات عينها كما على عرش ملوكي، يرد وجه عرشه عنا، فإنه مادام لنا الجسد المائت لا نترك عجب خدمة الملائكة وكيفيتها.

"ويبسط سحابة عليها"، إذ يرفع قلبنا لبيحث؛ ويعبر القلب بطريقة خفية، حتى أنه مع بحثه اللانهائي يرتد. هكذا مكتوب: "ينطق العمق بصوته من أجل علو تصورهِ" (حب 3: 10).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "طأطأ السموات وتزل، والضباب كان تحت رجليه" (مز 18: 9). تواضع العادل، الذي انحنى إلى أسفل من أجل ضعف البشر. والضباب تحت رجليه. الذين أعمت شرورهم عيونهم؛ فلا يقدر هؤلاء الأشرار الذين لا يباليون إلا بالأرضيات أن يعرفوه، لأن الأرض تسقط تحت رجليه مرتبطة بموطئ القدمين.

❖ كل عقل حسب مقدار قامته يستتير بكمية محدودة من النور .

مار اسحق السرياني

❖ وجه الله هو رسم جوهه (عب 3:1) . من يشتهي وجه الله بكل قلبه، فيستطيع أن يتأمله بقلبٍ نقيٍّ، ويثبت نظره عليه، يُرحم كقول الرب. مثل هذا الإنسان يستطيع أن ينطق بالكلمات التي أمامنا.

يا لعظمة ذاك الذي وى وجه الله. ليعلمك الرب يسوع عظمته، إذ يقول: "طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5:8) [1102].

القديس ديديموس الضريير

رَسَمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ،

عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ [10].

يتطلع أيوب إلى البحار الضخمة فوى الأنهار تنصب فيها ومع هذا لا تريد مياهه فيطغى على الأرض، إنما تقف الرومال وهى حبات صغيرة كحاجزٍ تصده. هكذا وهب الله البحار أن تحترق الأرض فلا تغطى بمياهها على الأرض. إن كانت مياه البحار تعوف حدودها فلا تتجزأها، يليق بالشعوب والأمم (المياه الكثوة) أن تحترق الغير، فلا تغطى أمة على أمةٍ ولا إنسان على إنسانٍ.

❖ بخصوص البحر، فإن كنت لا أدهش من عظمته، يؤمني أن أدهش من نبهه: ما الذي يحده؟ كيف يرتفع ويهدأ حتى النهاية كمن يحترق جزء "الأرض"؟ كيف يتقبل فيه كل الأنهار، ويبقى كما هو بالرغم من فيض كيانه الضخم إن صح التعبير؟... كيف يكون حدّه بعنصر مثل الومل وحده؟... LXX رسم حدًا على وجه المياه بوصيته" (أي 10:26) [1103].

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ " يضع حدودًا للمياه حتى ينتهي النور والظلام" [10]. كما قلنا قبلاً يُشار في الكتاب المقدس إلى الشعوب بالمياه. يضع الرب حدودًا للمياه، إذ يعالج المعرفة البشرية، فلا تبلغ بالكمال إلى معرفة البهاء الداخلي حتى يعبر تعاقب الفصول المتغيرة. إن كنا نفهم بالنور الأوار، وبالظلمة الخطاة، يقول بولس: "أنتم الذين كنتم قبلاً ظلمة والآن نور" (أف 5:8)، فليس ما يمنع أن نفهم بأن المعرفة الكاملة للأبدية لا تُؤهب لأحدٍ حتى تنتهي مسوة الأوار ومسوة الأشرار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَعْمَدَةُ السَّمَوَاتِ تَوْتَعِدُ،

وَتَوْتَعِغُ مِنْ زَهْرِهِ [11].

❖ ما هي أعمدة السماء سوى الملائكة القديسين، كلزي الكنيسة الأساسيين، الذين يقوم عليهم كل العالم السموي الذي للصوح الروحي المرتفع بلا توقف، كما يقول الكتاب المقدس في موضع آخر: "من يغلب أجعله عمودًا في هيكل إلهي" (رؤ 3:13). فمن يتأسس بثباتٍ بهدفٍ سليمٍ في الذهن في عمل الله إنما يقوم كعمودٍ في إنشاء الصوح الروحي. إذ يُوضع في هذا الهيكل الذي هو الكنيسة، يصير للنفع والوينة معًا. لكن أيوب يدعو أعمدة السماء هؤلاء الذين يدعوهم الرسول أعمدة الكنيسة، إذ يقول: "بطرس ويعقوب ويوحنا، المعترفون أعمدة، أعطوني يمين الشوكة" (غل 2:9). ليس من غير اللائق أن نفسر "أعمدة السماء" بكونها الكنائس ذاتها. فيكونها كثيرة في العدد لكنها تقيم كنيسة كاثوليكية (جامعة) واحدة تنتشر على كل وجه الأرض. هكذا أيضًا يكتب الرسول يوحنا إلى السبع كنائس، قاصدًا الكنيسة الواحدة الجامعة مزودة بالروح الذي له نعمة في سبعة

جوانب...

الآن قوات العالم السموي ذاتها التي تراه بلا انقطاع، وهو موضوع تأملهم، صاروا في رعبٍ. لكنه ليس رعب الويل، إذ ليس هورعب الخوف، بل رعب الدهشة. فإنه إذ جلب رعبًا عظيمًا كهذا خلال عمله العجيب، بيوي لنا الآن تدبير خلاصنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بِقُوَّتِهِ يُوعِجُ الْبَحْرَ،

وَبِفَهْمِهِ يَسْحَقُ رَهَبَ [12].

وى بعض الدارسين الذين يحسبون أيوب أنه كان يعيش في أيام موسى النبي أو بعده يتحدث هنا عن عمل الله مع شعبه، حيث بقوته شق بحر سوف، وبفهمه سحق مصر، إذ كثرة ما استخدمت كلمة "رهب" لتعبر عن مصر (مز 87: 4 ؛ إش 51: 9).

❖ [12] "[1104] "بقدرته تجمعت البحار معًا فجأة، وحكمته هزت المتكبر". [بماذا يشير البحر سوى العالم الحاضر، الذي فيه تطلب قلوب البشر الأمور

الأرضية، وتتفتح بموجات الأفكار المتباينة؟ فإنها إذ تُثار بعجرفة الكرياء ومعرضة الواحد الآخر في عبور الأمواج يحطمون أنفسهم معًا في مواجهة التيارات. ولكن "بقدرته تجمعت البحار معًا"، فإنه إذ تجسد الرب آمنت قلوب البشر العالميين المتعرضة وصلت في اتفاقٍ...

من هو الذي يُدعى هنا بالمتكبر إلا ذاك القائل: "أصعد إلى أعالي السحاب، أصير مثل العلي" (إش 14: 14)؟ قال عنه صوت الله: "الذي جعل نفسه لا يخشى أحدًا، وأقام نفسه ملكًا على كل أبناء الكرياء". يتفق داود النبي مع هذه العبارة قائلًا: "أذلت المتكبر كمن هو مجروح" (راجع مز

(10:89).

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. الله سرّ إبداع السماء

بِنَفْخَتِهِ السَّمَوَاتُ مُشْرِقَةٌ،

وَيَدَاهُ أَبْدَانًا الْحَيَّةَ الْهَلْبَةَ [13].

جاء في ترجمة اليسوعيين " بروحه زين السموات ". فيروحه القدوس أقام السموات وزينها بالكواكب ليلاً وبالشمس نهاراً.

وى بعض آباء الكنيسة أن الإنسان دون الحيوانات يتطلع إلى فوق وليس إلى تحت، وقد زين روح الله القدوس السموات، لكي يسحب بصر الإنسان إلى الأعالي ولا ينشغل بالأرضيات. لقد أقام له السموات المنظورة غاية في الإبداع، لكي بالإيمان يتطلع إلى السموات غير المنظورة، متوقفاً سكانه الأبدي.

جاءت العبارة في بعض الترجمات " الحية الملتوية"، فإن كان الله هو خالق السموات وواهبها هذه الزينة الرائعة، فهو أيضاً خالق الحيوانات حتى الحية التي صلت ملتوية. وى البعض أنه يقصد هنا الحوت أو التماسح، وآخرون يرون انه يقصد "لويثان الحية الهلبيّة" (إش 27: 1). فهو

المبدع والصالح في عطاياه، لكنه يهب حرية الإرادة للخليقة العاقلة، فصار إبليس بإرادته الشريرة وعصيانه الحية القديمة الملتوية.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الله الأب سحب بيده (حكمة الله المتجسد) الحية الملتوية من سلطانها، فقد زوع عنها بالصليب سلطانها، وشهر بها (كو 2: 15). هكذا بالروح القدس تطير نفوسنا كما إلى السموات المعدة لنا بكل بهائها، وبصليب رب المجد ننوس على الحيات والعقرب وكل قوة العدو. يهبنا الحياة السماوية، كما يهبنا النصرة على إبليس وكل فواته.

❖ " بتوليد يده جلب الحية الملتوية" [13]. من الذي يُوصف بالحية (والنتين المعاند) إلا عدونا القديم، العرلوع والملتوي، الذي تكلم بقم حية ليخدع

الإنسان؟ قيل عنه بالنبي: "لويثان، الحية الملتوية" (إش 1:27). لقد سُمح له أن يتكلم بقم حية، حتى يتعلم الإنسان بهذا من هو هذا الساكن فيها...

بيد الرب سُحبت الحية الملتوية من جورها، حتى بالنعمة الإلهية الشافية يُطرد منا عدونا القديم الذي ملك علينا. الحق المتجسد يقول: "الآن

رئيس هذا العالم يُطرد" (يو 31:12). الآن لم يعد يمتلك القديسين ممسكاً بهم، لكنه يضطهدهم بالتجرب. لأنه لا يملك فيهم داخلياً، بل يحلب ضدهم خرجياً... لقد فقد سلطانه في الداخل، فيقيم حروباً من الخرج.

البابا غريغوريوس (الكبير)

6. يا لغنى عظمة الله

هَآ هَذِهِ أَطْرَافُ طُرُقِهِ،

وَمَا أَخْفَضَ الْكَلَامَ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْهُ!

وَأَمَّا رَعْدُ جَبْرُوتِهِ فَمَنْ يَفْهَمُ؟ [14]

يختم أيوب حديثه هنا معترفاً بحب الله للإنسان حيث يكشف " أطراف طرقه " أو نصيباً من حكمته وقدرته وخطته قدر ما يستطيع الإنسان أن يحتمل أو يترك. لكن مهما نلنا من معرفة لأسوار الله تُحسب قليل القليل مما يريد أن يعلنه لنا. إننا نسمع همساً خفيفاً من كلامه. " ما أخفض الكلام الذي نسمعه منه ! " إننا لا زال "تلم بعض العلم، ومنتبأ بعض التنوء" (1 كو 12: 9). إننا نتغنى مع الرسول بولس قائلين: " ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء" (رو 11: 33). يستحيل علينا ونحن بعد في هذا العالم أن نبلغ إلى أعماق معرفة الله وحكمته، فإننا زاه كما في وراة، في لغز، حتى نلتقي به وجهاً لوجه في الحياة العتيدة (1 كو 13: 13). هكذا القليل الذي ناله يُحسب كَرَعِدٍ عظيم ومهوبٍ للغاية، " وأمارعد جبروته، فمن يفهم؟ " **وى القديس أمبروسوس** أن الله إذ يتكلم وعد، لأن الإنسان في عجزه عن إواك أسوار الله يقف في دهشة أمام الحديث الإلهي كمن أمام رعدٍ لا يُدرك سوه.

❖ إنه لائق جداً أن يؤسس (المسيح) رعود بمجيئه، أعني قوة الأسفار المقدسة السماوية وصوتها وذلك كوعٍ من الوعد. بمعنى أن أذهاننا تُصاب بدهشة، فتعلم أننا نخشى المنطوقات السماوية ونهابها جداً. أخراً ففي الإنجيل دُعي إخرة الوب "ابني الوعد"، وعندما نطق صوت الآب قائلاً للابن: "مجدت، وأمجد أيضاً" (يو 12: 28)، قال اليهود: "قد حدث رعد". فمع عجزهم عن نوال نعمة الحق إلا أنهم اعترفوا لارادياً، ونطقوا بغير معرفة بسر الشهادة العظمي للآب عن الابن. في سفر أيوب أيضاً يقول الكتاب: "من يعرف متى يصنع قوة رعد" (أي 14: 26) [1105].

القديس أمبروسوس

❖ واه البشر قنوما يموتون عن هذه العالم، وقنوما يعيشون له لا يرونه. وبالوغم من أن هذا النور يبدأ يظهر بوضوح، ليس فقط بأكثر إمكانية لرويته بل وبأكثر بهجة، إلا أنه وى كما في وراة غامقة (لغز). فنقول أننا زاه لأننا نسلك بالإيمان لا بالعيان، بينما نحن نجول في هذا العالم كغرباء حتى وإن كانت محادثتنا في السماء (1 كو 12: 13؛ 2 كو 7: 5). في هذه المرحلة يغسل الإنسان عيني عواطفه لوى أنه لم يضع قويمه أمامه... لأنه بالحق لم يحبه بعد كنفسه [1106].

❖ هذه الرؤية محفوظة كمكافأة لإيماننا، يقول عنها الرسول يوحنا: "إذا أظهر نكون مثله لأننا سزاه كما هو" (1 يو 2: 3). نفهم "وجه" الله "إعلانه"، ليس جزءاً من الجسد مشابهاً للذي في أجسادنا وتدعوه بهذا الاسم [1107].

القديس أغسطينوس

❖ [14] [1108] "هوذا هذه الأمور يُنطق بها عن طرقه جزئياً، وإذ نحن بالكاد نسمع قطرة صغيرة من كلماته، من يقدر أن يتطلع إلى رعد عظمته؟" ماذا يعني هنا بتحديد طرقه إلا طرق الوب للعمل؟ هكذا أيضاً يقول الوب بالنبي: "الآن طريقي ليست كطرقكم" (إش 8: 55). لهذا إذ يخبر عن مجيء الوب يصف طرق الله جزئياً. وسيلته في العمل التي بها خلقنا تختلف عن تلك التي بها خلصنا. هكذا أخونا عن تلك الأمور الخاصة بطريق الوب

للعمل، (كاشفًا) عنها بمقلنتها بالدينونة الأخوة. يقول: " هوذا هذه الأمور يُنطق بها عن طريقه جزيئًا " هذه أيضًا دعاها " قطرة صغيرة من كلماته"، فإننا بالتأمل فيه ونحن في هذه الحياة نتعرف على علوه ورهيبته...

"من يقدر أن يتطلع إلى رعد عظمته؟" [14] إنه كمن يعبر عن نفسه بكلمات صريحة: إن كنا بالكاد نحتمل عجائب تواضعه، فبأية جسرة نواجه مجيء (أو ظهور) جلاله المرتفع والمهوب؟ رعد مجيئه هذا يصفه الموتل أيضًا، قائلاً: "إلهنا يأتي في قوة، إلهنا لا يصمت، نار تلتهم أمامه، وعاصف قدير حوله" (مز 3:50).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ نعرف أنفسنا خلال الانعكاس كما في مرآة. إننا قدر ما نستطيع نتأمل العلة الخالق خلال العنصر الإلهي فينا [1109].

القديس إكليمنضس السكثوي

من وحي أيوب 26

أعمالك تشهد عن عظمتك ومحبتك!

❖ أعمالك يا أيها القدير محب البشر تشهد لك.

لم نُقِم هذا العالم المبدع لتستعرض قدرتك،

لكن لتحتضن كل إنسانٍ بأعمال محبتك.

هب لي كابت لك ألا انشغل باللاهوتيات في جفاف.

لكن أطلب الشوكة معك، فيتسع قلبي بالحب لكل البشر!

هب لي ألا انتقد أحدًا،

بل تتن أعماقي على ضعفي، وتتوقف بضغفات اخوتي.

لألتصق بك فأحب كل إنسان!

❖ لأعمل بك ومع نعمتك، فأحمل روح التواضع.

أعمل، بل تعمل أنت فيّ،

فلا أعرف الخمول أو عدم المبالاة،

ولا أعرف التثامخ والكوياء والبر الذاتي.

لأصوخ مع رسولك العجيب بولس:

"الخطاة الذين أولهم أنا".

❖ هب لي الحكمة النزلة من فوق،

فلا استعوض أحاديث فلسفية جافة،

ولا أقدم مشورة في غير أوانها،

ولا استخف بمن أتحدث معه!
هب ليّ روح التمييز، فأسلك كما يليق.
أحمل روح الرجاء إلى كل نفسٍ مجرّبة.
أقدم تغوياتك لكل قلبٍ مجروح.
أعرف كيف أكون حُرماً مع حب صادق،
ومحبٍ مع عدم تهلون.
هب ليّ ما وهبته لرسولك بولس:
غوة منقّدة، ونفساً تحتل الألام، مع حكمة ومعرفة!

❖ من أجلي خلقت هذه المحيطات،
ومع جبروتها وجبروت المخلوقات التي فيها،
حبات الرمل تصدها عن غزو الأرض التي أسكنها.
وضعت للبحار حدودها برمال صغرة وضعيفة!

❖ أنت ضابط الكل!
لك سلطان على الحيوانات الشوسية وسط البحار،
لك سلطان على إبليس والهلوية.
كل شيءٍ عريان أمامك،
فلماذا أخاف وأنت راعيّ المحب؟
ما أخشاه هو إهمالي وعدم اكزائي وعانيتك!

❖ من أجلي خلقت الكوة الأرضية وثبّتها،
هذه التي تبدو كأنها معلقة على لا شيء،
لكنها محفوظة وعانيتك الإلهية.
بحكمة تحتفظ المياه كسحابٍ متحرك،
فيصير مطراً لخيرنا.

❖ هب ليّ أن أصير كسحابٍ خفيفٍ متحركٍ بالحب،
تمطر أعماقي بأمطار حكمتك فترويّ الكثيرين.

❖ محبتك سمحت بالضباب حولك.

لئلا زاك ونحن في الجسد التّابي فنموت.

لكن وعدتنا أننا زاك وجهاً لوجه.

متى يتحقق هذا اللقاء العجيب؟

❖ تعرف البحار التي تصب فيها الأنهار مياهها حدودها،

فتحترم جرتها أي اليايس.

هب للشعوب والأمم أن يحترم الكل جوانه،

ويعرف حدوده!

❖ لتقم من خدامك أعمدة للفوح السموي الروحي.

فيشهدون لأعمالك العجيبة المهوبة.

يكرزون بالخلاص الذي لك.

عوت بشعبك البحر الأحمر،

وسحقت فوعن وجيشه!

لتعبر بنا إلى ملكوتك،

ولتحطم رؤوس التتين في مياه المعمودية!

❖ مددت يدك على الصليب،

وحطمت الحية القاتلة، عدونا القديم!

طردتها من قلوبنا لترد مسكنك يا أيها القدوس.

❖ أشوق بنورك فيّ،

فالهج في أعمال حبك الفائق.

لّوعد في داخلي، فأتمتع بأسورك!

<<

الأصْحاحُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

أيوب يؤكد راعته

بعد أن رد أيوب في الأصحاح السابق على بلدد، مؤكداً له أنه لم يقدم شيئاً ذا نفع له، وأن بلدد ترك الموضوع الرئيسي ليتحدث عن عظمة الله وعدم إمكانية توثير الإنسان أمامه، فجاء أيوب بدلائل أقوى وفي بلاغة أعظم، يبدو أن أصدقاء أيوب الثلاثة تعووا من الكلام، فتركوا له المجال ليتكلم كيفما شاء. لقد ألقوا أسلحتهم جانباً، وكفوا عن الكلام، كمن خرجوا من المعركة، إما لأنهم اقتنعوا أن أيوب على صواب، أو يئسوا من تقديم دلائل على أنه شوير.

كنا نتوقع أن يبدأ صوفر بوره في المباحثة الثالثة، لكنه صمت، فانطلق أيوب يتحدث. يكرر أيوب تأكيد راعته (6-1:27)، وينكر ثانية التهم التي وجهها أصحابه ضده سواء بالتلميح أو صراحة، وهو يقسم بالله الذي زع حقه، ثم يتكلم أيوب عن نهاية الشوير (23-7:27).
والآن وبدون إنذار يظهر أيوب كمؤمن غير بنفس اعتقاد أصحابه إن الشر هو سبب النكبة! وأن العوائق سوف يتبين أخيراً إنه قد خُدع، لأن الله سوف يسلب نفسه، ولن يكون له رجاء عندئذ، وصلاته لن تستجاب، وسوف يحل به الضيق بالتأكيد، وبالنسبة للأشوار فقد اتفق مع أصحابه أن الله سوف يحاسبهم، ولكنه اختلف معهم بأن القصاص لا يحل عليهم سريعاً، بل تتأخر بعض الوقت، ولكن الدمار سوف يلاحقهم هم وأولادهم.

1 . الوهنة على واهته 2-1

2 . فوعه من اتهامه بالرياء 10-7

3 . معاقبة الأشوار بالرغم من نجاحهم 23-11

1 . الوهنة على واهته

وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ فَقَالَ: [1]

حَيُّ هُوَ اللهُ الَّذِي تَوَعَّ حَقِّي،

وَالْقَدِيرُ الَّذِي أَمَرَ نَفْسِي [2]

وى البعض أن كلمة "بمثله" هي التي استخدمت كعنوان لسفر أمثال سليمان، لأنه مملوء بالتعاليم. الآن يتكلم أيوب كما بأمثال، بسلطان، كمن انتصر على خصومه. يتكلم كمن ينهي الحوار مقدماً القسم: "حي هو الله"، لأن "نهاية كل مشاورة هي القسم" (عب 6: 16). يقسم أيوب ليثبت كماله واستقامته، ويعلن راعته من الاتهامات الموجهة ضده.

يقسم بالله الحي، بكونه القاضي الوحيد صاحب السلطان المطلق، والعرف بأعماق القلب والأفكار الداخلية، فحكمه صادق وحق.

"الذي توع حقي"، أي رفض أن ينصفه في المناقشة، ويظهر راعته ويدافع عنه، وقد سبق أن وبخه أليهو على هذا (أي 24: 5)؛ لأن الله عادل في كل طوقه، ولا يمكن أن يزع حق إنسانٍ ما.

"والقدير الذي أمر نفسي"؛ بلا شك كان أيوب يترك أن الله القدير هو أيضاً المحب الحنون والحكيم. فمع قنوته فيه أوبة مترفقة وبحكمة يختار الوقت اللائق لتوثئة مؤمنيه وتقديم تويبات لهم، لكن في لحظات ضعفه نطق بهذا. يصدر هذا الاتهام عن الإنسان بسبب عدم قنوته على انتظار الوقت المناسب لدفاع الله عنه ومساندته. ليس هو الذي يمرر نفوسنا، لكن عدم صوتنا وعجزنا عن إواك حب الله وحكمته يسبب لنا هذه العورة.

إن كان عدو الخير لا يكف عن أن يطلب أن يجرب البشر بظلم وفي غير مبالاة، إذ برادته الشرة يود هلاكهم، فإن الله برادته الصالحة يسمح للبشر أن يجربوا في اهتمام من جانبه نورههم لتوكيتهم أو تورههم أو لتتقيتهم ونموهم الروحي وتمتعهم بالمجد. لهذا وإن كان الشيطان يبذل كل الجهد لجرب المؤمن، فالمؤمن الواثق من رعاية الله له يحسب أنه يجرب بسماح إلهي لبنيناه.

❖ "حي هو الله الذي يوع حكمي، والقدير الذي يحضر نفسي إلى المر" [2]. بهذه الكلمات عينها يخبرنا أيوب عن ظروفه، ويقدم لنا صورة للكنيسة

وهي تحت الضيق، إذ تحيط بها **جسرة عدم المؤمنين وتقاذفها مرة المضطهدين** . تُجرب الكنيسة من خصومها بطريقتين: تُضطهد إما بالكلام أو بالسيوف. الآن تهدف الكنيسة المقدسة بجهادها العظيم نحو اقتناء الحكمة والصبر. **تملرس الحكمة** عندما تُجرب بالكلام، و**تملرس الصبر** عندما تُجرب بالسيوف.

على أي الأحوال يتحدث الآن عن ذلك الاضطهاد الذي يُثار لا بالسيوف، بل بالعبارات الباطلة. نحن نعرف أن البعض في مواجهته لأمرٍ غير لائقٍ ينكرون وجود الله، والبعض يؤمنون بوجود الله، لكنهم يحسبونه أنه لا يهتم بشئون البشر .

عن الأولين قال داود: "قال الجاهل في قلبه: لا إله" (مز 1:14) . وأما عن الآخرين فيقول: "كيف يعرف الله؟ هل من معرفة لدى العلي؟" وأيضًا: "يقولون الرب لا يرى، ولا يبالي إله يعقوب" (مز 7:94).

هكذا فإن هذا الشخص الذي حمل رمز الكنيسة المقدسة، إذ كان في وسط **موجة حزنه** أجاب على الفريسيين. فكما أن الحياة لها وجود، والموت ليس له وجود، يجاهر بأن الله موجود يقول: "**حي هو الله**"، وهكذا يخبر أيضًا أن الله مهتم بشئون القابلين للموت، فيضيف: "**الذي يؤوع حكمي، ويحضر نفسي للمر**". فإنه يشهد بأن ما يعاني منه من شؤورٍ لم يحدث مصادفة، وإنما بالله الذي يأمر بكل الأشياء، ولا ينسب أيوب قوة هورته إلى مجربه بل إلى خالقه...

رادة الشيطان شريرة، لكن إذ يسمح الله بها، فإن قوته عادلة. فمن جهته (الشيطان) يطلب أن يجرب البشر ظلمًا بغير اكزواتٍ، أما المطلوبون أن يُجربوا، فإنهم إذ يُطَّلوا هكذا لا يسمح لهم الله أن يجربوا إلا بعدلٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ينبغي علينا أن نعرف أن البشر جميعًا يجربون لأسباب ثلاثة:

(أ) غالبًا لأجل اختبارهم (توكيتهم).

(ب) وأحيانًا لأجل إصلاحهم.

(ج) وفي بعض الحالات بسبب خطاياهم.

1- **فمن أجل اختبارهم** ، كما نقوا عن الطوبويين إواهم وأيوب وكثير من القديسين الذين تحملوا تجرب بلا حصر .

2- **ومن أجل الإصلاح** ، وذلك عندما يؤدب أولاه من أجل خطاياهم البسيطة (اللازادية) والهفات، ولكي ما يسمو بهم إلى حالٍ أعظم من

النقاء، منقيًا إياهم من الأفكار الدنسة، وذلك كالقول: "كثرة هي بلايا الصديق" (مز 19:34) ، "يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تحز إذا وبخك. لأن الذي

يحبُّ الربُّ يُؤدِّبُهُ ويجلد كل ابنٍ يقبلُهُ فأبى ابنٍ لا يؤدِّبُهُ أهو؟ ولكن إن كنتم بلا تأديبٍ قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول (أي ولأدزنا) لا بنون"

(عب 12:5-8) . وفي سفر الرؤيا: "إني كلُّ من أحبه وأوبخه وأؤدِّبُهُ" (رؤ 3:19) . ويصلي داود من أجل عطية التطهير هذه قائلاً: "جربني ياربُّ

وامتحنني. صفِّ كليتي وقلبي" (مز 26:2) . وإذ يعلم النبي قيمة هذه التجرب يقول: "أدبني يارب ولكن بالحق لا بغضبك" (إر 10:24)، وأيضًا "أحمدك يا

رب لأنه إذ غضبت علي ردت غضبك فتغريني" (إش 1:12).

3- **كعقابٍ من أجل الخطية**، وذلك كما هدّد الله بأن يُرسل أوبئة على بني إسواتيل بسبب لشوهم "أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف

الأرض" (تث 24:32) . وأيضًا في التوامير: "كثرة هي نكبات الشيرير" (مز 10:32) ، وفي الإنجيل جاء: "ها أنت قد ترنت. فلا تخطئ أيضًا لئلا يكون

لك أشرُّ" (يو 5:14).

4- **بالحقيقة أيضًا نجد سببًا رابعًا** ذكوه الكتاب المقدس، وهو أن الأتعاب تُجلب علينا ببساطة من أجل إظهار مجد الله وأعماله ، وذلك كقول

الإنجيل: "لا هذا أخطأ ولا أهو، لكن لتظهر أعمال الله فيه" (يو 9:3) . وأيضًا: "هذا العوض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به" (يو 4:11).

5- **وهناك أنواع أخرى للنقمة التي يُبتلي بها الذين تجاوزوا رباطات الشر في حياتهم (وبالغوا فيه)** ، إذ نقوا عن داثان وأبوام وقروح

الذين عوقبوا، وعن الذين يقول عنهم الرسول: "أسلمهم إلى أهواء الهوان إلى ذهن مرفوض" (رو 1:26، 28). وهذه تعتبر أمر كل العقابات، لأنهم صلبوا غير مستأهلين لأن يشفوا بالافتقاد الإلهي واهب الحياة، إذ "هم قد فقوا الحس أسلموا نفوسهم للدعرة ليعملوا كل نجاسة في الطمع" (أف 4:19). وبسبب قسوة قلوبهم والتمادي في عاداتهم وفعلهم للشر قد صار لهم عقاب في هذا العالم من غير تطهير. وتعوهم الكلمة المقدسة التي نطق بها النبي قائلاً: "قلبتُ بعضكم كما قلب الله سدوم وعمورة فصرتم كشعلةٍ مُنْتَشَلَةٍ من الحريق فلم توجعوا إليّ يقول الرب" (عا 11:4). ويقول رميا: "أثكل وأبيد شعبي. ولم يوجعوا عن طوقهم" (إر 7:15). وأيضاً "ضربتكم فلم يتوجعوا. أفنيتهم وأبوا قبول التأديب. صلُّوا وجوههم أكثر من الصخر. أبوا الرجوع" (إر 5:3). فوى النبي أن كل أدوية هذه الحياة لم تُوجد نفعاً لشفائهم، معلناً أنه قد يبس من حياتهم، قائلاً: "احترق المِنْفَاح من النار، فني الوصاص. باطلاً صاغ الصائغ والأثوار لا يُفوزون. فضةٌ مرفوضةٌ يُدعون. لأن الرب قدر فضهم" (إر 6:29، 30).

يوح الله عليهم لأنه قدّم لهم التطهير بالنار فلم ينتفعوا، متصليين في خطاياهم. فيبيهم في شخص أورشليم التي تغلفت بالصدأ إذ يقول: "ضعها فرغةً على الجمر ليحمي نحاسها ويحرق، فينوب قورها فيها، ويفنى زنجرها. بمشقاتٍ تعبت، ولم تخرج منها كثرة زنجرها. في النار زنجرها. في نجاستك رذيلة لأنني طهرتكَ فلم تطهري، ولن تطهري بعدُ من نجاستك" (حز 11:24-13).

إنه يشبه الطبيب الحاذق الذي استخدم كل وسائل الشفاء ولم يعد بعد هناك علاج يمكن أن يُستخدم... لذلك يقول الله: "أجل غضبي بك فتتصرف غيوتي عنك فأسكن ولا أغضب بعدُ" (حز 42:16) [1110].

الأب ثيودور

❖ عندما يريد الله أن ينصر الإنسان ويعظمه، يسلمه أولاً إلى الشر (التجرب) ليختبر ويُفحص، ثم يظهر جماله للعالم بالحسنات التي يعملها الله معه. لما أراد الله أن ينصر يوسف ويجعله سيدياً على مصر كما ترى قداستك، ماذا كانت بداية عمله ليفضي إلى نهاية صالحة؟ أولاً قبض عليه إخوته، وأهانوه، واستهزؤا به، وزعوا ثيابه، وأبقوه في الجب، وقطعوا رجاءه، وباعوه للتجار، وصار عبداً يخدم الأرباب، وأستعبد ابن الأحرار الحسن الذي لم يقترف سوءً.

من كان يرى هذا العمل السيئ لم يكن يوسعه أن يظن أن كل هذه الشرور كانت تُرتكب لصالح يوسف. أما الله الذي كان يعلم ماذا يريد أن يصنع له، فلم يشفق عليه عندما كان يبرزاً تحت وطأة كل هذه الشرور، لكنه تركه يسقط في الجب، ويُباع للتجار، وُزوج به في السجن ظلماً. بعد هذه كلها أشرق جماله كالشمس، وظهر حقه كالذهب، وزالت شروره كالدخان، واعتلى قمة المركبة كالملك، وقام في العظمة التي من أجلها وضعه الله بحيث يتواضع فيرتفع [1111].

القديس مار يعقوب السروجي

إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِي،

وَنَفْحَةُ اللَّهِ فِي أَنْفِي [3]

يعلن أيوب باسم كل مؤمنٍ جادٍ في حياته الروحية الغريمة الصادقة على الحياة المقدسة ورفض كل خطية. مادامت هناك نسمة حياة لن نطق بكلمة غير لائقة. كان أيوب يبرك أن حياته نسمة سويعة، أو هي لحظات، فيؤرمه أن يبقى أميناً حتى النسمة الأخيرة. من جانب آخر يبرك أيوب أن نسمة حياته هي عطية من الله الذي نفخ في آدم أبيه نسمة حياة، فالله هو الذي يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء (17:25)، لذا يليق بنا أن نمجده في كل شيء مادامت فينا نسمة حياة.

يلق القديس أمبروسيوس على تعبير أيوب "نفخة الله في أنفي"، قائلاً بأنه لا يقصد الأنف الجسماني، لكن أنف الإنسان الداخلي الذي يتنسم رائحة الحياة الأبدية [1112].

❖ بالتأكيد لا يعني هنا بروحه (نسمة الله) النسمة الحية والنسمة الجسدانية العاوة، بل يعني أنف الإنسان الداخلي الذي فيه يشتم العبير الوكي للحياة

الأبدية، وندی نعمة المسحة السماوية كحاسة من فوع مضاعفٍ [1113].

القديس أمبروسيو

روح الله القديس الذي يجدد إنساننا الداخلي يسحب كل كياننا لنتمتع بالله السموي، فنتهلل واثقته الإلهية السماوية. يتنسم الله في ولاده المحبوبين لدهر رائحة رضاء ومسوة (تك 8: 21) كما حدث بعد الطوفان حين قدم فوح ذبيحة لله، ويناجي السيد المسيح عروسه "رائحة أنفك كالنفايح" (نش 7: 8)؛ وهكذا نحن أيضاً نتنسم في مسيحنارائحة الحياة الأبدية.

❖ لا يمكن لروح الله أن يسكن في أي شخص يسلك حسب الجسديات [1114].

الأب أمبروسياتير

لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا،

وَلَا يَلْفِظُ لِسَانِي بِغِشٍّ [4].

للبابا غريغوريوس (الكبير) تعليق عجيب على هذه العبارة إذ يقول بأن أيوب لم يقل: "لن أفكر في الإثم"، بل لن تتكلم شفَتَايَ إِثْمًا، لأن النطق بالإثم أهون من الفكر ، فكثيراً ما تقلت كلمات من أوهنا بغير رادتنا، لكن بالنسبة لأفكرنا فإنها غالباً ما تكون موضوع انشغال شير وأثيم. لقد عزم أيوب ألا تتوه شفاته بكلمة أثيمة، ولا يلفظ لسانه بكذب، فهو ينطق بالحق، حتى ولو كان فيه إدانة لنفسه. لا يتستر على خطية ما في حياته بكلمة خداع؛ بمعنى آخر ليس للرياء موضع في حياته وفي كلماته.

❖ يوجد فرق شاسع بين تعبير "يتكلم" وتعبير "يتأمل أو يفكر". أحياناً التفكير الباطل يكون أشر من النطق به. فإنه غالباً إذ يتكلم الشخص يحدث الخطأ عفواً، أما التفكير فيحمل شواً مبيئاً!

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَاشَا لِي أَنْ أُبَرِّرَ كُفْرًا!

حَتَّى أُسَلِّمَ الرُّوحَ لِأَعْزَلُ كَمَالِي عَنِّي [5].

في صراحة أيضاً لم يكن أيوب مستعداً أن يداهن أصدقاءه بكلمة غشٍ لكي يكسبهم على حساب نقلة قلبه، فهو لا ينطق بغير ما يحمله في داخله. وكما يقول الرسول بولس: "لأننا نثق أن لنا ضموراً صالحاً، راغبين أن نتصرف حسناً في كل شيء" (عب 13: 18). لقد هاجم حزقيال النبي الأنبياء الكذبة، لأنهم من أجل المكسب المادي أو الاجتماعي كانوا يداهنون الأثوار، قائلين: "سلام، وليس سلام" (حز 13: 10)، أو كما يقول إشعياء النبي عنهم إنهم كلفونا بالناعمات (إش 30: 10).

❖ لم يكن ممكناً لأيوب أن يداهن أصحابه، ويبرر أخطاءهم، فقد وضع موته نصب عينيه، ولا يود أن يرحل من هذا العالم فاقداً واعته، مهما كان الثمن.

إنه يفقد واعته إن حسب الأثوار صالحين، كما يشهد سليمان القائل: "من يبرر الشير ويدين البار، كلاهما مكرهة عند الرب" (أم 17: 15). إذ يوجد أشخاص يمجنون الأعمال الشيرة للناس، يمجنون ما كان يجب أن يوبخوه. هكذا قيل بالنبي: "ويل للذين يخيطنون وسائد تحت كوع" اليد، "ويصنعون وسائد تحت رأس كل قامة" (راجع حز 18: 13) فإن الوسادة توضع هناك لكي نستريح بأكثر سهولة. فمن يتملق أشخاصاً يملسون خطأ ويضعون وسائد تحت رأس أو كوع شخص راقداً!

البابا غريغوريوس (الكبير)

لقد فضل أيوب أن يموت متمسكاً بكماله عن أن يداهن الأثوار، إذ " ويل للقائلين للشر خوفاً وللخير شواً، الجاعلين الظلام نورا والظلام ظلاماً، الجاعلين المر حلواً والحلو مرّاً" (إش 5: 20).

تَمَسَّكَتْ بِوَيْي، وَلَا لَرْخِيهِ.

قَلْبِي لَا يُعَيِّرُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِي [6].

يؤكد لهم أيوب أن انتقاداتهم الوهية له لن تهز أعماقه، فهو عالم بما في قلبه من حب الله، وعزيمة قوية على مملسة الصلاح، وأن فحة الداخلي بهذه الحياة لن يستطيع أحد أن يزعه منه. إن كانوا يعيرونه ظلمًا، فإنه لن يسمح لقلبه أن يعوره. ما يشغله ليس انتقادات الناس له، بل نقوة قلبه. عندما أخطأ دلود النبي ضربه قلبه، "فقال دلود للرب: لقد أخطأت جدًّا في ما فعلت، والآن يارب رُلْ إثم عبدك، لأنني انحمت جدًّا" (2 صم 24: 10). فما يشكو علينا هو قلبنا الذي يعمل فيه روح الله القوس مبكَّنًا إيانا على خطية.

❖ " لا أتُرك وِيّ الذي بدأت أتمسك به" [6]. فإنه إن قام أحد بمدح أشخاصٍ يرتكبون الخطية يتوكَّ وَه الذي بدأ به....

" فإنه لا يوبخني قلبي في كل حياتي" [6]. كأنه يعبر عن نفسه بكلمات واضحة: "ضع في حسابك أنه يؤمني ألا أنسحب في إثم، كما أنني أخشى أن ارتكب خطية في شؤني... ربما يسأل أحد: على أي أساس يعلن أنه لا يوبخه قلبه، مع أنه اتهم نفسه قبلاً أنه قد أخطأ، قائلاً: "إني مخطئ، ماذا أفعل معك يا حافظ البشر؟" (أي 7: 20). أو يؤكد: "إن كنت أبرر نفسي، ففمي يدينني" (أي 9: 20). يؤرم أن نعرف أنه توجد خطايا يمكن للأوار أن يتجنوها، وتوجد بعض خطايا لا يمكن حتى للأوار أن يتجنوها. أي قلب لإنسانٍ مرتبط بالجسد الفاسد لا يتولق في فكرٍ يميل نحو الشر، حتى وإن كان لا يندفع في حوة الموافقة عليه؟ ومع هذا فإن التفكير بهذا الفكر الخاطئ هو ارتكاب خطية. لكن إن وُجدت مقاومة للفكر، فإن النفس تتحرر من الارتباك. وهكذا فإن ذهب البار، وإن كان متحرراً من المملسة الشروية إلا أنه أحياناً يسقط في فكرٍ شويرٍ...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بالرغم من أن خدام الله وأصدقاؤه يتجنون الخطايا التي للموت، ويملسون أعمالاً صالحة كثيرة إلا أننا لا نعتقد أنهم بلا خطايا تافهة، فإن الله لا يكذب حيث يقول: "ليس طفله حياته يوم واحد على الأرض بلا خطية" (أي 14: 4-5 LXX). أضف إلى هذا الطوبوي يوحنا الإنجيلي الذي بلا شك ليس بأقل من يعقوب في استحقاقه، يعلن: "إن قلنا أننا بلا خطية، نضل أنفسنا والحق ليس فينا" (1 يو 8: 1). علاوة على هذا، نقوًا في موضع آخر: "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (أم 16: 24) [1115].

الأب قيصر يوس أسقف آرل

2 . فُوعه من اتهامه بالرياء

لِيَكُنْ عَنُوي كَالشَّرِيرِ،

وَمُعَانِدِي كَفَاعِلِ الشَّرِّ [7].

إذ كان أيوب في حالة ذهول من اتهام أصدقائه له بأنه شوير يستحق تأديبات أفسى مما حلت به، وأنه يؤرم أن يتوقع هلاكًا تامًا، أكد لهم أنه ليس بالإنسان الشوير كما كانوا يتصورون. الآن يقول لهم إنه أبعد ما يكون عن أن يقبل أي طويق شوير أو يجد فيه لذة، فإنه لو كان له عدو لدود جدًّا لتمنى له أن يكون شروًا، إذ ليس شيء أ سوا من هذا. هذا لا يعني أنه يكوه أشخاصًا كأعداء له وأنه يشتهي لهم أن يكونوا هكذا، وإنما من قبيل إظهار مدى كراهيته للشر، وذلك كما قال دانيال النبي لنبوخذ نصر: "الحلم لمبغضيك" (دا 4: 19).

كأن أيوب يقول له إنه يشتهي أن يكون في أي وضعٍ كأن يصير فقوًا أو عبدًا محتوًا أو فاقدًا لأولاده، ولا يكون شروًا، فإن الخطية خاطئة جدًّا" (رو 7: 13). وكما يقول السيد المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو 8: 34). ويقول الرسول يوحنا: "كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضًا، والخطية هي التعدي (1 يو 3: 4)؛ "من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ، لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس (1 يو 3: 8).

❖

" ليكن عنوي كالشهير " . أحياناً تأتي كلمة "مثل" لا للتشبيه بل لتصوّر واقعاً. مثل: "أينا مجده مجدًا كما لوحيدي للآب" (يو 14:1). هنا كلمة "كما" تأتي للتأكيد وليس للتشبيه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ تؤذي الخطايا النفس بخطرورة أعظم من أذية الود للجسم. ومع هذا فنحن لا نترك فسادها، ولا نشعر بالحاح ضرورة التطهر منها. وذلك كالسكون الذي يعجز عن أن يعرف كيف أن مذاق الخمر مشتمز، أما المتعقل فيمكنه تمييز ذلك بسهولة. هكذا بالنسبة للخطايا، فمن يعيش في وقارٍ يميز بسهولة الوحل والفساد، وأما من يعيش في الشر فيكون كالمخمور بالمسكر، فلا يتحقق من أنه مريض. هذا هو أشر ما في الخطية أنها لا تسمح للساقطين فيها أن يدركوا حالة المرض الخطير التي هم فيها، وإنما يكونون كمن يرقنون في وحلٍ ويطنون أنهم يتمتعون بالأطياب. فليس لديهم أدنى رغبة للتحرر. وإذ يعمل فيهم الود يفتخرون كمن لديهم حجلة كريمة. لهذا لا يريدون قتلها، بل أن ينعشوها ويضاعفوها حتى تعبر بهم إلى الود الذي في الحياة العتيدة [1116].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لأنه ما هورجاء الفاجر عندما يقطعهُ،

عندما يسلب الله نفسه؟ [8]

يتوجم البعض هذه العبارة " لأنه ما هورجاء الموائي، حتى وإن جنى أي ربح، عندما يأخذ الله روحه؟ " فالشوهر، خاصة الموائي، يعيش بلا رجاء، لان مصوه الهلاك الأبدي. فإذا اتهمه أصدقوه بالوياء، يؤكد لهم أنه ليس غيبًا ليملس الوياء محطم الوجود. فإن كان الوياء يقدم ربخًا زمنيًا، هو مديح الناس له أو نوال ثروة زمنية، فإن هذا ليس إلا خداعًا مؤقتًا، يظهر عندما تُطلب نفس الموائي منه، فينكشف كل ما في قلبه. يقول الموتل عن الموائي: لأنه عند موته كله لا يأخذ، لا يقول وراءه مجده" (مز 49: 17). كما يقول الكتاب: "لا تكن موائيًا في وجه الناس، وكن محتوسًا لشفتيك" (سواخ 1: 37).

❖ *simulator* " فإنه ما هورجاء الموائي، إن أمسك به الطمع، ولا يحرر الله نفسه؟" [8] الموائي الذي يقال عنه في اللاتينية، أي متظاهر، ليس له هدف غير الظهور.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يكوه الله الوياء، ويمقته الإنسان. لا يجلب مكافأة، وبلا منفعة تمامًا في خلاص النفس، بل بالحوي يكون علّة هلاكها. إن كان الوياء لا ينفصح أحيانًا، لكن إلى حين، إذ لا يذوم كثوًا، بل ينكشف كل شيء، فيجلب على صاحبه وبالًا، وهكذا يكون أشبهه باوأة قبيحة المنظر تُوع عنها زينتها الخرجية التي وُضعت لها بطرق صناعية.

❖ الوياء غريب عن سمات القديسين، إذ يستحيل أن يفلت شيء مما نفعله أو نقوله من عيني اللاهوت، إذ " ليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف " . كل كلماتنا وأعمالنا سَتعلن في يوم الدين. لذلك فالوياء مُتعب وبلا منفعة. يليق بنا أن نتوكّي كعباد حقيقيين نخدم الله بلامح صريحة وواضحة [1117].

القديس كيرلس الكبير

أفيسمُ الله صواخهُ إذا جاء عليه ضيق؟ [9]

صلاة الموائي لا تُستجاب، فسيحل به الضيق ويصوخ، لكن صواخه لا قيمة له. لا يسمع الله صواخات الموائين حتى يتروكوا رياهم، ويقدموا توبة، ويكون لهم رجوع إليه. يقول الرب لإشعيا النبي: "أخذت الوعدة المنافقين" (إش 33: 14). "إن راعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي الرب" (مز 66: 18). "من يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضًا مكروهة" (أم 28: 9). سيصوخ الأثوار في يوم الرب ولا يسمع الله لهم. يقول الرب:

"لأنني دعوت فأبئتم، ومددت يدي وليس من يبالي، بل رفضتم كل مشورتي ولم توضحوا توبيخي، فأنا أيضاً أضحك عند بلئتكم" (أم 1: 24-25).

مسكين الإنسان العوائي، فإنه لن يختبر سلام الله وتغوياته، فلا يتلذذ بالقدير، لأن لذته في ثروات العالم، ومجده أوائل وفي ملذات الجسد

وشهوته. لا يعرف العوائي كيف يدعو الله، لأنه في وقت الرخاء يلهو بما لديه، ويستخف بالعبادة الروحية، وفي وقت الضيق يتنمر ويجدف على الله.

لا يعرف العوائي كيف يدعو، لأن ليس لله موضع في قلبه، إذ لا يسكن الله مع الوياء، ولا الحق مع العش والخداع.

قد يعتقد العوائي بوجود الله، وأنه القدير ويؤم الصلاة إليه، لكنه عملياً لا مكان لله في أعماقه. يظن أن قدرته الحقيقية فيما يناله من أمور

زمنية، واتكاله على ممتلكاته وسلطانه وصدقاته لا على الله القدير!

غاية الكنيسة أن تقدم السيد المسيح للعالم كي يخبر الكل عن الآب، ويعلم عن خطته القدوة لخالص البشرية.

إذ تختبر الكنيسة الشوكة مع عيسها، ربنا يسوع، المدعو يد الله، تنوق عنوبة أسوار الله، وتختبر قوته وقدرته، فتدعو الكل ليشركوها هذه

الخوة المفوحة.

❖ [9] "1118] هل يسمع الله صرخته عندما تحل به المتاعب؟ أو هل يكون قاوراً على أن يُسر نفسه في القدير؟ [لا يسمع الله صرخته في وقت

الشدائد، لأنه في وقت الهوء لم يسمع للرب الذي يصوخ في وصاياه. مكتوب: "من يحول أذنه عن سماع الشريعة، حتى صلاته تكون مكوهة" (أم

9:28). إذ وى الإنسان القديس أن كل الذين لا يباليون بممارسة ما هو مستقيم الآن، ففي النهاية يؤع من كلمات التوسل... هكذا يقول النبي: "أطلوا

الرب حيث يوجد، ادعوه وهو قريب" (إش 6:55).

الآن الله لا يُرى، وهو قريب، فيما بعد سوى ولا يكون قريباً. إنه لم يظهر بعد في الدينونة، فإن طُلب يُوجد. فإنه عندما يظهر في الدينونة

بطريقٍ عجيبٍ، رُى ولا يُوجد.

هكذا يصف سليمان الحكمة بأنها تعانق بعنوبة، وتدين رهبة، فيقول: "الحكمة تدعو عاليًا في الخرج. ترفع صوتها في الساحات المفتوحة".

البابا غريغوريوس (الكبير)

يحثنا السيد المسيح على الصلاة الخفية لكي يحفظنا من الوياء الذي يفسد الصلاة فلا تُستجاب.

❖ بالمثل علمنا مخلصنا هذا النوع من الصلاة. يجب أن تصلي سواً لذلك الذي هو في الخفاء وهو وى الكل، هكذا قال السيد المسيح: "أدخل إلى

مخدعك، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي وى في الخفاء يجزيك علانية" (مت 6: 6).

أحبائي، لماذا يعلمنا مخلصنا قائلاً: "صل إلى أبيك في الخفاء، والباب مغلق"؟

سوف أريك ذلك على قدر استطاعتي.

تعرفنا كلمات سيدنا أنه يجب أن تصلي بقلبك في الخفاء، والباب مغلق، لكن ما هو الباب الذي يجب أن تغلقه؟ إن لم يكن هو فمك، لأنه هو

الهيكل الذي يسكن فيه المسيح، كما قال الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله؟" (1 كو 3: 16)، فلكي يدخل الله إلى إنسانك الداخلي في هذا المسكن، يجب

أن يُنظف من كل شيء غير طاهر، بينما يكون الباب، أي فمك، مغلقاً. [1119].

القديس أفواهاط

❖ الله نفسه غير منظور، لذا يود أن تكون صلاتك أيضاً غير منظورة. [1120].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قبل كل شيء يجب أن نلاحظ بكل اعتناء الوصية الإنجيلية التي تأمرنا أن ندخل مخدعنا ونغلق بابنا ونصلي لأبينا. وهذا يتحقق كالاتي:

❖ نصلي داخل مخدعنا عندما نزع من قلوبنا الداخلية الأفكار المقلقة والاهتمامات الباطلة، وندخل في حديث سوي مغلق بيننا وبين الرب.

❖ نصلي بأبواب مغلقة، عندما نصلي بشفاه مغلقة في هوءٍ وصمتٍ كاملٍ لذلك الذي يطلب القلوب لا الكلمات.

❖ نصلي في الخفاء عندما نكتم طلباتنا الصاورة من قلوبنا وأذهاننا المتقدمة بحيث لا نكشفها إلا لله وحده، فلا تستطيع القوات المضادة (الشياطين) أن تكتشفها. لذلك يجب أن نصلي في صمت كامل، لا لنتحاشى فقط التشويش على إخواننا المجاورين لنا وعدم إزعاجهم بهمسنا أو كلماتنا العالية، ونتجنب اضطراب أفكار المصلين معنا، وإنما لكي نخفي معوى طلباتنا عن أعدائنا الذين راقبونا، بالأخص في وقت الصلاة، وبهذا تتم الوصية: 5:7 "احفظ أبواب فمك عن المضطجة في حضنك" (مي) [1121].

الأب إسحق

أَمْ يَتَلَدُّ بِالْقَدِيرِ؟

هَلْ يَدْعُو اللَّهَ فِي كُلِّ حِينٍ؟ [10]

[1122]

وى البعض أنه يقصد هنا: أي رجاء للشير أو اللوائي حتى وإن نال الكثير من الغنى حسب شهوة قلبه؟ هل سيسمع للحال صواخه عندما يكون في ضيق؟ ووى آخرون أن أيوب يعلم أنه لا منفعة للشير حتى إن نال الكثير، فحتمًا سوحل ويكون موعبًا للوائي [1123].

3 . معاقبة الأشرار بالرغم من نجاحهم

إِنِّي أَعْلَمُكُمْ بِيَدِ اللَّهِ.

لَا أَكْتُمُ مَا هُوَ عِنْدَ الْقَدِيرِ [11].

يؤكد أيوب أن معرفته للأسرار الإلهية قد تسلمها كما من يد الله، وأنه لا يبخل عن أن يعلن ما تسلمه. وهو في هذا يرمز للكنيسة التي تلقنت الحق من السيد المسيح، بكونه الحق نفسه، جاء لكي يخوننا عن الأب.

إذ يرمز أيوب للكنيسة المضطهدة، فإنه باسمها يعلن عن رسالتها، ألا وهي أن تعلم الناس بيد الله أي بالمسيح يسوع، لأن يد الله تشير إلى الابن الكلمة، وإصبع الله يشير إلى الروح القدس.

كثيرًا ما كان القديس إكليمنضس السكنوري يدعو السيد المسيح المعلم أو المترب أو المهذب *Paedagogus*. كان القديس يميز بين اللوغوس الإلهي كهاد *Protrepikos*، وكهوب *Paedagogus*، وكعلم *Didaskelos*. فهو الهادي يدعو الناس للخلاص، وهو العوبي الذي يحث المؤمنين على الحياة الأفضل ويشفيهم من آلامهم، ممرسًا عمله الروحي فيهم، وأخوًا هو بعينه المعلم *Didaskalos* الذي يعلم الأسس العامة ويشوحها، مفسورًا المنطوقات الرمزية.

ومن كلمات القديس نفسه: [المروشد السملوي، اللوغوس يُدعى الهادي عندما يدعو البشرية للخلاص... لكنه إذ يعمل كطبيب أو موب يصير اسمه "العوبي"... فإن النفس المويضة تحتاج إلى موب يشفي آلامها. ثم تحتاج إلى المعلم الذي يعطيها الإواك... "إعلان اللوغوس". هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة خطوة يستخدم وسيلة ممتازة. إنه في البداية يهدي، ثم يصلح، وأخوًا يعلم [1125].

❖ ليست معرفة بدون إيمان، ولا إيمان بدون معرفة... الابن هو المعلم الحقيقي عن الأب. إننا نؤمن بالابن لكي نعرف الأب، الذي معه أيضًا الابن. مرة أخرى، لكي نعرف الأب يؤمننا أن نؤمن بالابن، ابن الأب.

[1126]

معرفة الأب والابن، بطريقة الغنوسي الحقيقي، إنما هي بلوغ للحق بواسطة الحق... حقًا، قليلون هم الذين يؤمنون ويعرفون.

القديس إكليمنضس السكنوري

❖ يتكلم الطوبولي أيوب بطريقة ما مشوًا إلى أمرٍ يخلصنا. فالكنيسة المقدسة في تعليمها تشرح الحق لكي نعرفه، ولا تخفي أدنى جزء من الحق. هكذا لأن "يد الله" هي اسم الابن، إذ به كان كل شيء (يو 1:3). إنها تؤكد أن بيد الله تعلم أولئك الذين واهم مستمرين في الجهالة بتمسكهم بحكمتهم الذاتية. وكأنها تقول في صراحة: "لست أعرف شيئًا من نفسي، بل ما أركه من الحق أفهمه بسخاء الحق".

مَا أَنْتُمْ كُلُّكُمْ قَدَرًا يَتُّمُّ،

فَلِمَاذَا تَتَبَطَّلُونَ تَبْطُلًا قَائِلِينَ: [12]

هنا يوبخ الذين لهم معرفة ولا يعلمون، فهذا خطية كقول الرسول (يع 4:17).

ماذا رَأُوا في أيوب؟ حقا لقد تمررت نفسه جداً بسبب اتهاماتهم الباطلة التي أضافت إلى ضيقاته ضيقاً أشد. لكنه مع هذا لم يجدف على الله، ولا نسب إليه ظلماً. في هرة نفسه طلب أن يقف أمام الله ليُحاكم، فهو في يقين أنه عادل ومحَب، سيوئته.

في عتابٍ يقول لهم: لماذا تتطون بالباطل؟ لماذا تتصيدون لي الأخطاء؟ لماذا لا تحكمون عليّ من خلال الواقع الذي أعيش فيه؟ لماذا لم تتركوا ما وراء كلماتي من إيمانٍ حي بالله القدير؟

هَذَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ الشَّرِّيرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،

وَمَوَاتُ الْعَتَاةِ الَّذِي يَنَالُونَهُ مِنَ الْقَدِيرِ [13].

يقول لهم: لماذا تتطون عليّ بالباطل؟ فإن كنت أعاني من النكبات والضربات، أنظروا ما هو نصيب الشير في هذا العالم، وموات العتاة هنا؟ فإن كثيرين منهم ناجحون وأصحاب سلطة وأغنياء... لكن إلى لحظة، فينهار كل ما لديهم إن لم يكن في هذا العالم ففي الحياة العقيده. هوذا الواقع العملي يشهد أنه ليس كل الأوار في وسع، ولا كل الأثوار في ضيق! لا تتسوعوا في الحكم علي!

إِنْ كَثُرَ بَثُّهُ فَلِلْسَيْفِ،

وَرُئِيَّتُهُ لَا تَشْبَعُ خُزًا [14].

تعاني نرية الشير من الجوع، فلا يجدون الخبز الضروري للشبع. وإن وُجد طعام يأكلون، وليس من شبع (راجع حج 1: 6). كما يمكن أن يعني عزهم إلى تنوق الخبز السموي، كلمة الله المشبعة للنفس، حيث تحل بهم مجاعة إلى الكلمة. هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب، أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز، ولا عطشاً للماء، بل لاستماع كلمات الرب" (عا 8: 11).

بَقِيَّتُهُ تُدْفَنُ بِالْوَبَاءِ،

وَرَأْمُهُ لَا تَبْكِي [15].

تصير نريته ثقلاً على المجتمع، حتى في موتهم لا يكومهم أحد، وكما قيل في رميا: "تُدفن دفن حمارٍ" (إر 22: 19). متى ماتوا لا تبكي عليهم رأملهم، فإنه ليس من داعٍ للحن عليهم، إذ تسويح الأمل منهم، ويحسن موتهم راحة لهم.

يصف أيوب النصيب البائس للأثوار. فإنه وإن كان لهم الكثير من الأطفال، يكونون بلا نرية، إذ ينقصهم النسل الصالح والأعمال التي تستحق التقدير. بالحقيقة فإن النرية ليست تلك التي على الأرض، بل في السماء. لذلك مثل هؤلاء ينقصهم موائهم، ويكون الموت هو نهايتهم. بالرغم من

[1127]

أنهم يجمعون الثروة، فإنهم يشحنون، إذ عندما يموتون يكونون في عزٍ حيث لا يجدون راحة. ليس من يشفق على رأملهم.

القديس أمبروسيو

إِنْ كَثُرَ فَضَّةٌ كَالْوَابِ،

وَأَعَدَّ مَلَابِسَ كَالطَّيْنِ [16]

يكس الأثوار ثروتهم من الفضة والذهب والملابس، لكن الفضة لا تفيدهم في شيء، بل تكون أشبه بالوَابِ، والثياب أشبه بالطين. تصير كنوزهم ثقلاً وعبئاً عليهم، يتقّلون أنفسهم بها.

ولما كانت الفضة في الكتاب المقدس غالباً ما تشير إلى كلمة الله، فإن الأثوار حتى في اقتنائهم للكتاب المقدس يصير بالنسبة لهم كالوَابِ، لأنهم

لا يقبلونه للتمتع بعيون السماويات، وإنما لأجل نوال البركات زمنية.

ولما كانت الملابس تشير إلى برّ المسيح الذي يستر المؤمن ويصونه من الخطية، إذا بالشوير يملس بعض الفضائل من أجل المجد الأُمّني في رياء، فتصير ثيابه الداخلية طينًا قوًا.

إلى وقت قريب كان كثير من الشوقيين يحصون ثيابهم الثمينة مع الفضة والذهب بكونها تمثل ثروة ذات تقدير كبير وكنز ثمين. يقول الرسول بولس: "فضة أو ذهب أو لباس أحدٍ لم أشتِه" (أع 20: 33). كما أشار إلى قيمة الثياب في (1 تي 2: 9) "ملابس كثرة الثمن". ويعقوب الرسول يتحدث عن الأغنياء: "غناكم قد تهاوى، وثيابكم قد أكلها العث" (يع 5: 2). وعندما أكرم يوسف أخاه بنيامين قيل: "أعطاه ثلاث مئة من الفضة وخمس حبل ثياب" (تك 45: 22).

كانت الثياب من الهدايا الثمينة التي تُقدم كوعٍ من التقدير والاعتراف والتكريم. فقد وعد شمشون بتقديم ثياب لمن يحل لؤه (قض 14: 12-31، 19). وأخذ نعمان ثيابًا مع بقية الهدايا لتقديمها لإليشع النبي (2مل 5: 5). وسليمان في كل مجده لم يمتنع من قبول ثياب كهذا قيّمة (2 أي 9: 24). ودانيال ارتدى ثوبًا من رجاوان قدمه له الملك لتكريمه (دا 5: 29).

جاء عن شاعر شوقي مشهور في القرن التاسع أنه قدمت له هدايا كثيرة في حياته، وعند موته كان لديه 100 طاقم من الملابس كاملة، و 200 قميص و 500 عمامة. لا زال الهنوس يقدمون في نهاية العيد ثيابًا جديدة لكل ضيف حضر العيد.

❖ عادة ما تُفسر الفضة بمعنى نقلة الكتاب المقدس، حيث قيل في موضع آخر: "كلمات الرب كلمات نقية، مثل الفضة المُجربة في تنور الأرض" (مز 6: 12) ولما كان البعض يشناقون أن تكون لهم كلمة الله، ليس داخليًا لكي يتمثلوا بها، بل خارجيًا للتباهي بها، قيل بالنبي: "كل هؤلاء الذين يلتحفون بالفضة يُطعون" (صف 11: 1)، وذلك بخصوص الذين لا يملأون أنفسهم بكلمة الله بانتعاشٍ داخلي، بل يكسون أنفسهم باستعاضٍ خلجي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"الويء يقسم الفضة"، إذ لا يكزها كما فعل الشوير الذي جمعها، إنما يزعها على الفقراء. "يعطي نصيبًا لسبعة ولثمانية" (جا 11: 2). فهو يودعها في حزانةٍ أُمّينة، تسنده في يوم الرب العظيم.

❖ "وأما الويء فيقسم الفضة". فإن الويء (له قلب صادق) يقسم الفضة، أي يقدم إعلانات الرب (الوردة في الكتاب المقدس) قطعة قطعة بتميز، ويقدم لكل فرد ما يناسبه بلياقة. فإن كلمة الرب التي تُدعى هنا فضة أو ثيابًا، تُدعى في موضع آخر "غنائم". يشهد بذلك المورث بعمل مقولته، قائلاً: "ابتهج بكلامك، كمن وجد غنائم" (مز 119: 162).

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَبْنِي بَيْتَهُ كَالْعَثِّ،

أَوْ كَمِظْلَّةٍ صَنَعَهَا الْحَرَسُ [18].

قد يبني الأثوار قصورًا فخمة، يظنون أنها تهبهم سعادة وراحة كما تبقى لتخليد ذكراهم، ولا يركون أنها تشبه ما يبنيه العث في ثوبٍ قديم، سوعان ما يزول تمامًا.

❖ "يبني بيته مثل العث (عثة الملابس)" [8]. فالعث يبني بيتًا لنفسه بالفساد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَضْطَجِعُ غَنِيًّا، وَلَكِنَّهُ لَا يُضْمُّ.

يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَلَا يَكُونُ [19].

عند نومه يقول: "يا نفسي استويحي" (لو 12: 19). يبدو للآخرين أنه سعيد للغاية ومستريح، قد جمع ما يكفيه كل عمره وما يكفي أبناءه

وأحفاده. لكنه لا يجد في أعماقه راحة حقيقية. " نوم المشتغل حلو، إن أكل قليلاً أو كثراً، ووفر الغني لا يريحه حتى ينام" (جا 5: 12).

إذ يغمض الشوير عينيه عند موته ويرقد، يفتحهما، فيجد أن كل ما قد جمعه قد تبدد، لا يسنده في شيء أمام الديان.

❖ " عندما ينام الغني لا يأخذ معه شيئاً، يفتح عينيه فلا يجد شيئاً" [19] في تناغم مع هذه العبارة يقول الموتل: كل الأغبياء مضطربون في القلب،

ينامون نومهم، وكل الأغنياء لا يجدون في أيديهم شيئاً" (مز 5: 76). فلكي يجد الأغنياء بعد موتهم شيئاً في أيديهم يُقال لهم قبل الموت وهم

واضعون غناهم في أيديهم: "اصنعوا لأنفسكم أصدقاء من مال الظلم، حتى متى فُتيتم يقبلونكم في المساكن الأبدية" (لو 9: 16).

❖ عندما ينام الجسد في الموت، تستيقظ النفس في معرفة صادقة. وهكذا فإن الغني ينام ويفتح عينيه، لأن من يموت في الجسد تلقم نفسه أن ترى ما

كانت تخشى توقعه. عندئذ تقوم في معرفة صادقة، وترى أن كل ما قد اقتنته هو لا شيء، فتجد نفسها في فراغ. لقد اعتادت أن تتهلل بكونها مملوءة

خوات أكثر من بقية العالم. لكنها تنام ولا تأخذ معها شيئاً. بالتأكيد لا تأخذ شيئاً من الخوات التي اقتنتها. إذ تصاحبها خطية اقتناء الخوات، وإن

كانت تترك وراءها كل ما من أجله ارتكبت الخطية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الأهوال تُرْكُهُ كَالْمِيَاهِ،

لَيْلًا تَخْتَطِفُهُ الرَّوْبَعَةُ [20].

يصير الموت بالنسبة للشوير ملك الأهوال. يصير كمن يغرق في مياه غامرة. يرتعب في رحيله من هذا العالم، فيكون كالعاصفة التي تخطفها

زوبعة. تهب عاصفة غضب الله عليه "ليلاً"، وتختطفه وسط الظلمة التي اختلها بنفسه، فيكون كمن يفرغ ولا واه أحد لينقذه. إذ يحرم نفسه من

إشراق شمس البرّ عليه، ليسكب رحمته فيه، يضع نفسه تحت العدالة الإلهية، ومن يحتملها؟!]

❖ " العوز يلحق به كالماء، والعاصفة تجتاحه في الليل [20] " [1128]... ليس من غير اللائق أن يشبه العوز بالماء، لهذا أعتيد أن تُدعى العذابات في

جهنم بالبحوة، تبتلع من تتقبله فيها وتقول به حتى الأعماق. لذلك قيل بالنبي على لسان البشرية: "حياتي تسقط في البحوة" (برائي 3: 53). بينما

يتغنى المنتصرون الهليون منها، قائلين: "أيها الرب إلهي أ صوح إليك وأنت تشفيني. أيها الرب قد أصعدت نفسي من القبر. حفظتني من الذين

ينحدرون في البحوة" (مز 30: 2-3).

❖ "تجتاحه عاصفة في الليل [20] " [1129]. ما هذا الذي يدعوه "الليل" هنا إلا الزمن الخفي للرحيل المفاجئ؟]

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَحْمَلُهُ الشَّرْقِيَّةُ فَيَذْهَبُ،

وَتَجْرُفُهُ مِنْ مَكَانِهِ [21].

تهب عليه عاصفة الغضب كريح شرقية عنيفة وورعبه جداً، تنتقله كما إلى الهلاك الأبدي. أما البار فتهب عليه نسمة حب الله ومراحمه، لتنتقله

إلى حضن الأب في السماء! الموت بالنسبة للشوير مدمر، وبالنسبة للبار مُبْهَجٌ لِلْغَايَةِ.

أن الريح الشرقية المحرقة هي الروح الشوير بسهامه النارية، الذي يثير بها الشهوات في الشوير، ويدخل به

إلى جهنم الأبدية.

❖ " الريح المحرقة ستنتقله بالقوة وتطرده [21] " [1130]. ما هو هذا الذي يدعوه هنا بالريح المحرقة سوى الروح الشوير الذي يثير لهيب الشهوات

المختلفة في القلب، فيسبحه إلى عقوبة أبدية؟ يُقال إن الريح المحرقة تنقل بالقوة الأشرار، لأن المتأمر، الروح الشوير، الذي يلهب الإنسان الذي يعيش

في الشر، يسحبته إلى العذابات عند الموت. يقصد بـ "الريح المحرقة" عادة الروح النجس الذي بنسمة الاقترحات الشريرة يلهب قلوب الأشرار

بالشهووات الأرضية.

❖ "ومثل زوبعة تحمله من مكانه" [21]. مكان الشويز هو التمتع بالحياة الؤمنية ولذة الجسد. لذلك كل فود بطويقة ما يُحمل من مكانه بواسطة زوبعة عندما يبتلعه الخوف من اليوم الؤ خير، فإنه ينفصل عن كل مسواته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُلقي الله عليه ولا يُشفي.

من يده يهوب هرباً [22].

حين كان الشويز في العالم، يتوفق الله به، حتى في تأديبه بحزم شديد، فاتحاً له أبوابه لكي يرجع إليه بالتوبة، لكن في يوم الدينونة لن يقدر أن يهرب من العدل الإلهي. الآن وقت الرحمة وطول الأناة.

يصنفون عليه بأيديهم،

ويصنفون عليه من مكانه [23].

بعد أن تحدث أبوب عن زدهار الشويز المؤقت، وصور لنا مورة نفسه وهو يواجه الموت، الآن وى كيف أن الضعفاء وبعض الخطاة يرون في هذا رساً عملياً من ثمر الشر المرّ، فيصقون بأيديهم في دهشة، ووجعون عن طريقتهم الشويز، ويطلبون حياة مع الله. "يصقون عليه بأيديهم"، أي يوحون بالقصاص الذي ينهي الظلم، ويحدر إبليس وجنوده إلى جهنم. "عند هلاك الأشوار هتاف" (أم 11: 10)؛ "في نفس المكان الذي توفقه فيه يضحك عليه الصديقون" (مز 52: 6)، "يُداس رماده تحت بطون أقدام الأتقياء" (مل 4: 3).

❖ عندما يموت الخاطي يكتم هؤلاء الذين يشهدون موته أهواهم وهم في هسهسة (كصوت الأفعى)، بهذا يتحولون إلى تلك الكلمات الروحية التي كانوا يستخفون بها، وبهذا يبتدئون أن يؤمنوا، ويتعلمون ما لم يؤمنوا به قبلاً، وذلك عندما ظنوا أن الشويز يحيا في زدهار. يقول سليمان: "عندما يعاقب الإنسان الخطير، يصير الضعيف حكيمًا" (أم 11: 21).

❖ كل ضوبة من الله، إما لتطهير الحياة الحاضرة فينا، أو كبداية لعقوبة مقبلة... أما بالنسبة للأشخاص الذين تكون لهم الضوبات لعنة وليس للتأديب، فيقال عنهم: "لقد ضوبتهم ولم يحزنوا. لقد أفنيتهم ولم يقبلوا الإصلاح" (إر 3: 5). بالنسبة لهؤلاء تبدأ ضوباتهم في هذه الحياة، وتستمر في ضوبات أبدية. يقول الرب بموسى: "فإن نرا تشعل غضبي، وستحرق إلى أسافل جهنم" (تث 22: 32).

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أبوب 27

من يسندني في تجربي سواك؟

❖ أنت القدير وحدك، صوت مُجرباً لكي تعينني.

هب لي الحكمة، حينما تحل بيّ تجربة بالاتهامات الباطلة.

وهب لي الصبر، حينما تحل بيّ ضيقة مورة!

أومن أنك حيّ، تهتم بكل أموري!

تسمح لي بالمرّ، وتحول هولتي إلى عنوبة.

❖ لتكن الضيقة لنموي الروحي.

فلا يندفع لساني بكلمة غير لائقة،

ولا تسقط أفكاري في الجحود.

لا أداهن الأثوار على حساب نقوة قلبي،

بل أتصرف بضميرٍ صالحٍ في كل شيءٍ!

فإن موتي أهون من مدهنتي للأثوار!

❖ لتتوع عني كل شر، فإنه قاتلٌ لنفسي.

أزوع عني كل رياء، فهو مخادعٌ لي.

❖ علمني كيف أدخل مخدعي،

وأحدث معك يا أيها الأب السموي.

ليس لي ما هو أعظم من أن أقتنيك!

❖ أنت هو الهادي، تقودني إلى طريق الخلاص.

أنت هو المدرب، تحملني وتربني بنعمتك.

أنت هو المعلم، تهني ذاتك، يا أيها الحكمة الإلهي!

❖ لماذا أخشى الشوير؟

وإن نجح فإلى حين، تنتظره العقوبة الأبدية.

إن كثر بنوه فإنهم يعانون حتى من الروع.

نريته يصيرون ثقلاً على المجتمع،

وفي موتهم لا يكرمهم أحد، حتى راملهم لا يحزن عليهم.

وإن اغتوا بالفضة والثياب.

ماذا تتفعمهم الفضة بدون كلمة الله الفضية النقية؟

وماذا تتفعمهم الثياب ما لم يستتروا بدم المسيح؟

يبنون قصوراً لتخليد ذكراهم، فتكون كثوبٌ قديمٍ لحقه العث.

يجمعون غنى، وفي لحظات تُطلب نفوسهم منهم.

تهب عليهم عاصفة الموت كما في وسط ظلمة الليل،

تفتتح أعينهم ليروا البحرة المتقدة نورا أمامهم.

يسحبهم عدو الخير ليقبوا معه أبدياً.



الأصْحَاحُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

الحكمة: من يركها؟

يبدأ أيوب في هذا الحديث الختامي بالإعلان عن الله الخالق بكونه وحده الكلي الحكمة، وأن خليقته تكشف عن سمو حكمته، وأن دور الإنسان في الحكمة هو أن يخاف الرب، ويحيد عن الشر.

تختلف نعمة هذا الأصحاح تماماً عن نعمة سائر الإصحاحات الأخرى، حيث نرى قفراً كبيراً من الفلسفة الطبيعية والفلسفة الأدبية. يُعتبر هذا الأصحاح أقدم وثيقة عن التريخ الطبيعي في العالم. هنا زاه يبين الآتي:

1 - كيف يسعى بنو البشر وراء الثروة العالمية، ويكون ويتعبون في البحث عنها. فالإنسان يبحث عن الكنوز المخفية تحت الأرض في المناجم. يبحث عما لا تستطيع الطيور والوحوش البلوغ إليه.

2 - فيما يختص بالحكمة يقول إن الحكمة بصفة عامة ثمنها عظيم، وقيمتها لا تُقدر، ومكانها خفي جداً. توجد حكمة خاصة بالله لا يعلم مكانها أحد سواه، وتوجد حكمة معلنة لبني البشر. علينا ألا نبحث عن الأولى، بل نجتهد في طلب الثانية، لأن هذا من اختصاصنا. الحكمة موهبة ثمينة للغاية، من يحصل على الحكمة يصير أكثر غنى وسعادة ممن يحصل على الذهب والحجارة الكريمة. يستطيع الإنسان بواسطة الطاعة لله والتمتع بمخافة الرب الحصول على الحكمة اللازمة للتمييز بين الخير والشر، ورؤية ما هو حق وصحيح، والعبادة لله والاتكال عليه، فإن مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم (أي 28:28). هذه هي الحكمة التي جعلها الله من نصيب الإنسان.

1. الحكمة الإلهية تفوق الفكر البشري 6-1.

2. سرّ المسيح الفائق 11-7.

3. أين تُوجدُ الحِكْمَةُ؟ 14-12.

4. يا لعظمة الحكمة! 91-15.

5. حكمة الله المخفية 26-20.

1. الحكمة الإلهية تفوق الفكر البشري

لأنَّهُ يُوجَدُ لِلْفِضَّةِ مَعْدِنٌ،

وَمَوْضِعٌ لِلذَّهَبِ حَيْثُ يُمَحَّصُونَهُ [1].

يجاهد البشر لمعرفة أسرار الطبيعة مثل اكتشاف المعادن الثمينة من ذهب وفضة، وقد أمكنهم ذلك. فمن أجل الغنى يجاهد الإنسان في هذه الأمور وما أشبهها، لكنه في غلوة لا يهتم بالتعريف على أسرار ملكوت السموات. من أجل الغنى الزموني وحب الاستطلاع يبحث عما هو مدفون في الأرض ولا يبحث عن خلاص نفسه ومجده الأبدي.

❖ " لأنه يوجد موضع، منه تأتي الفضة، وموضع للذهب حيث يمحصونه؛ الحديد يُستخرج من التراب، والنحاس يُسكب مثل الحجارة" [راجع 1-2]

LXX]. يعني بهذا أنه وإن كان الله قد وضع نظامًا خاصًا بالأمر العامة، فبالأكثر يضع نظامًا بخصوص الحقائق البشوية... إنه يسبق قوى الأمور ويهتم بنفسه بها، ولا يحدث شيء ما مصادفة. أو بالحوي يقصد أن تجميع الحقائق (الطبيعية) أمور منظورة بوضوح، أما خطة الله نفسه فغير منظورة. فللفضة والنحاس موضعهما المعروف، أما موضع الحكمة فلا يعرفه أحد، بل الله وحده يعرفه. يقول (الله) للإنسان: "التقوى هي الحكمة"، وأن تصنع الصلاح هو الفهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما أن الفضة غالبًا ما تُتقى، هكذا يُمتحن البار، فيصير عُملة الرب، تتقبل الصورة الملكية. سليمان أيضًا يدعو "لسان الصديق ذهبًا محصًا بالنار" (راجع أم 20:10)، مظهرًا أن التعليم الذي يُمتحن وتثبت حكمته يُمتدح ويُقبل، حيث يُحص على الأرض عندما تتقدس نفس الغنوصي (الإنسان الروحي صاحب المعرفة) بعدة طرقٍ، منسحبة من النوان الأرضية. أما الجسد الذي تسكنه (هذه النفس) فيتطهر وتصير له النقولة اللائقة بهيكل مقدس.

القديس إكليمنضس الإسكندري

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيرًا رمزيًا لهذه العبارة، وهو إن كان الإنسان يبحث عن الفضة والذهب ليستخرجهما من الحجارة، يليق بالكلززين أن يعملوا بلا توقف ليكون لهم الفضة الروحية أي كلمة الله المحصاة بالنار سبع موات كالفضة (مز 12: 6). وأن يكون لهم الذهب الذي يشير إلى الحياة البهية الحكيمة السماوية.

ويميز البابا بين الكورة الصادقة التي تقدم الفضة والذهب النقيين من الأسفار المقدسة، مفسرين إياها حسب فكر الآباء، كما عاشتها الكنيسة الأولى، وبين الهواطقة. فإن الأخيرين لا يقدمون فضة وذهبًا مُنقى بالنار، بل تعاليم من نواتهم لأجل كوامتهم الخاصة ولمجدهم البشوي.

❖ "الفضة بدايتها في العروق (في الحجارة)، وللذهب موضع حيث يمحصونه" [1131]. تشير الفضة إلى قوة الكلام، والذهب إلى بهاء الحياة أو بهاء الحكمة... وكأنه يقول بوضوح: من يهين نفسه لكلمات الكورة الصادقة يؤرمه أن يستخلص أصول عَرْضِهِ (للمواضيع) من الأسفار المقدسة، فيجلب كل شيء ينطق به على أساس إلهي، وذلك لنفع الذين يكلمهم.

غالبًا ما يسعى الهواطقة في مساندة ما يقدمونه من أمور خاطئة من عندهم، فيستخرجون أمرًا بالتأكيد لا سند لها من صفحات الأسفار المقدسة. لهذا ينصح الكلز العظيم تلميذه، قائلاً: "يا تيموثاوس، احفظ الوديعه، مُعرضًا عن الكلام الباطل الدنس، ومخالفات العلم الكاذب الاسم" (1 تي 20: 6). إذ يشناق الهواطقة أن يتمجوا كأنهم بلوعون في الفكر، يقدمون أمرًا جديدة لم تود في الكتب القديمة للآباء القدامى، إذا بهم يلقون بنور الجهل إلى البائسين الذين يستمعون إليهم، رغبة في الظهور أنهم حكماء.

إنه كمن يقول بوضوح: "الحكمة الحقيقية للمؤمنين، لها موضع في الكنيسة الجامعة، وهي تعاني من متاعب تصدر عنكم ومن اضطهادكم لها، لكنها تنتقى من كل شوائب الخطايا بنار اضطهادكم. هكذا مكتوب: "يُختبر الذهب في النار، والناس المقبولون في أتون المحنة" (ابن سواخ 5: 2)...

يعلمنا الرسول بولس إذ يقول: "إن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئًا" (1 كو 3: 13). فإن أفكار البعض عن الله خاطئة، وآخرون أفكلهم صادقة من جهة الخالق، لكنهم لا يحفظون الوحدة مع إخوتهم. الأولون يُقطعون بسبب خطأهم في الإيمان، والآخرون بسبب انشقاقهم. لهذا فإن أول جزء في الوصايا العشرة منع الخطية التي للوحيين، إذ جاء القول بالصوت الإلهي: "حب الرب إلهك من كل قلبك وكل نفسك وكل قوتك". وفي الحال أضاف "حب قريبك كنفسك" (تث 5: 6؛ مر 12: 30-31). فمن يعتقد بما هو خطأ بخصوص الله بالتأكيد لا يحب الله، ومن له مفاهيم صادقة نحو الله ويشق وحدة الكنيسة المقدسة واضح أنه لا يحب قريبه، إذ يرفض أن يأخذه رفيقًا له.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كلام الرب كلام نقي (مز 12: 6) ... يقول "تقي"، ليس فيه زغل المظهر الزيف. فإن كثيرون يكرزون بالحق في غير نقولة، إذ يبيعونها من أجل

القديس أغسطينوس

❖ (الانشقاق) هو سلاح الشيطان يقلب كل شيء رأساً على عقب. مادام الجسد متحدًا معًا لا يقدر أن يجد الشيطان له مدخلًا، أمّا العثرة فتأتي بسبب الانقسام. من أين يأتي الانشقاق؟ من الآراء المخالفة لتعاليم الوصل. ومن أين تأتي هذه الآراء؟ من عبودية الناس للبطن والأهواء الأخرى... هذا ما قاله عندما كتب إلى أهل فيلبي: "الذين إلههم بطنهم" (في 3: 19) [1133].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يليق بالكلز بالحق، بل وبكل مؤمن أن يقدم فضة وذهبًا من قبل الله، أي سلامه السموي الفائق، لا سلام هذا العالم الزائل، يقدم الله المخلص هو السلام الحقيقي.

[1134]

❖ سيكون السلام هو ذهبك؛ السلام هو فضتك؛ السلام هو أرضك. السلام هو حياتك، إلهك هو السلام. يكون لك السلام في كل ما تشتهي!

القديس أغسطينوس

الْحَدِيدُ يُسْتَوْجُ مِنَ التَّوَابِ،

وَالْحَجَرُ يَسْكُبُ نَحَاسًا [2].

إن كان استخراج الفضة والذهب يتطلب جهدًا أعظم من استخراج الحديد والنحاس، إلا أن المعدنين الآخرين أكثر نفعًا للإنسان، ولوفرتهم فإن ثمنهما أقل بكثير من الفضة والذهب. يمكن للإنسان أن يعيش بدون الفضة والذهب، لكنه يصعب عليه جدًا، وحاليًا يستحيل عليه أن يعيش بدون الحديد والنحاس. إنها حكمة الله الفائقة جعلت ما هو ضروري للإنسان أكثر وفرة واستخراجه أكثر سهولة، بينما ما هو للترف أقل في الكمية وأصعب في استخراجه.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن استخراج هذه المعادن جميعها من فضة وذهب وحديد ونحاس هو من التَّوَابِ والحجارة، إشلة إلى رجال الله القديسين - مع اختلاف مستواهم الروحي ودرهم في العمل الكوري والشهادة لله، لكن الكل مُستَوْج من التَّوَابِ والحجارة. كنا تَابًا وحجارة، مشغولين بالتَّوَابِ، قساة القلوب. لكن نعمة الله أقامت منا أناسًا شهودًا لله، ننعم بالشركة في الطبيعة الإلهية من حب وحنو ووداعة وتواضع وطمهرة وقداسة الخ. هذه كلها ليست من عندنا، لكنها عطايا الله المجانية للمؤمنين الجادين في طلب خلاص نفوسهم وخلاص إخوتهم في البشرية.

❖ " الحديد يستخرج من الأرض" [2] . [كَأَنَّهُ يَقُولُ فِي وَضوح: رجال القوة الذين بألسنتهم الأحد من السيوف، صاروا حديدًا في هذه المعركة العنيفة في الدفاع عن الإيمان، هؤلاء الذين كانوا وقتًا ما "أرضًا"، في مجال الأعمال الدنيا. فعندما يخطئ الإنسان، يقال له: "أنت تَاب وإلى تَاب تعود". وأما "الحديد فيُستَوْج من الأرض"، عندما ينفصل محراب الكنيسة الصلح من السلوك الأرضي...

ألم يُستَوْج حتى من الأرض، إذ كان مشغولًا بالأمر الأرضية، ذاك الذي كان يخدم في جمع الجزية (مثل زكا العشار)؟ لكنه إذ استخرج من الأرض، تقوى بقوة الحديد، أزمه الرب بالإنجيل، مزوقًا بلسانه قلوب غير المؤمنين كما بسيفٍ حادٍ. هذا الذي كان قبلاً ضعيفًا ومرتبكًا بالأعمال الأرضية صار فيما بعد قويًا بالكرة السماوية.

[1135]

" والحجر يُسكب بالحورة، فيصير نحاسًا " ينحل الحجر بالحورة، عندما يكون القلب قاسيًا وبلدًا يتلامس بنار الحب الإلهي، وينسكب في نار الروح المتوهجة. عندئذ تصير له الحياة الملتهبة بحورة في العمل. بقدر ما كان قاسيًا من قبل في محبته للعالم، يصير قويًا في حبه لله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ وي القديس غريغوريوس النزيوي أن فكر المؤمن التقى يشبه الحديد المستخرج من الصوان أو الحجارة. إنهم يشبهون الحديد المستخرج من الصوان يشع نورًا من الذهب الخصب المتأهل للنور، فإن شورة صغيرة يمكنها أن تشكل شعلة الحق في داخلها

القديس غريغوريوس النريوي

إذ يتحدث القديس كيرلس الأورشليمي عن قيامة الجسد يقول إنه يصير كالحديد المُحمي بالنار. إنه ذات الجسد الذي لنا في هذه الحياة، لكن بطبيعته نرية تليق بالأبدية.

❖ لقد تَوَّن هذا خصيصًا، كيف يقول بولس بصراحة: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد" (1 كو 15: 53). إذن هذا الجسد سيقوم ويلبس عدم الفساد ويشكل جديدًا. وكما يمزج الحديد بالنار ويصبح نرًا، أو الأفضل كما يعرف الرب الذي يقيمنا: هذا الجسد سيقوم لكنه لن يمكث كما هو الآن. إنه جسم أبدي. لا يحتاج تغذية لحياته كما هو عليه الآن، ولا إلى رجات لصعوده لأنه سيكون روحياً. إنه لأمر عجيب لسنا جدوين بالكلام عنه، إذ قيل في إنجيل القديس متى البشير: "حينئذ يضيء الأوار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت 13: 43)، "وكالقمر وكضياء الجلد" (دا 12: 3).

[1137]

القديس كيرلس الأورشليمي

قَدْ جَعَلَ لِلظُّلْمَةِ نِهَآيَةً،

وَأَلَى كُلِّ طَرْفٍ هُوَ يَفْحَصُ.

حَجَرَ الظُّلْمَةِ وَظَلَّ الْمَوْتِ [3].

إذ يتحدث أيوب عن استخراج المعادن من بطن الأرض، أي من المناجم المظلمة، فإن الإنسان من أجل حصوله عليها يدخل إلى المناجم ليفحص ما فيها مستخدمًا المشاعل ليضع للظلمة حدًا فلا توقعه عن تحديد هدفه. إنه يغامر بحياته، ويدخل إلى الوعر من أجل استخراج المعادن. من ليس له رواية بفن استخراج المعادن يسخر بالباحثين عنها. يتطلع إليهم كمن يعرضون أنفسهم للمخاطر والموت دون هدفٍ. هكذا يستخرج الله من وَاَبْنَا وَحَجَلْتْنَا معادن نفيسة في عينيه. لكن كثيرون يجهلون خطة الله فيحسبونه كمن يدخل إلى ظلمة ويفحص أمورًا لا قيمة لها. بمعنى آخر يليق بنا أن ننق في خطة الله وعنايته وعمله من أجلنا. إنه يقدم لنا الخلاص، مهما تكن تكلفته، إذ وى بسابق معرفته ما سنتمتع به من أمجاد. وانا ذهبًا وفضة ونحاسًا وحديدًا مستخرجًا من الأرض والحجارة! يستخرج منا نحن الذين كنا ظلمة نورًا. وكما يقول الرسول: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، والآن فنور في الرب" (أف 5: 8).

❖ يقول "جعل للظلمة موضعًا" [3] كمن يقول إن للعقل أيضًا موضع، فإن الظلمة تعرف أن تتراجع خطواتها، وتطمس ذاتها (قبل بزوغ النهار)... إنه يحثنا ألا نطلب محاسبة (الله). يقول: "لماذا توجد الظلمة؟ ألا تعرف الله أنه الكلي القوة، يفعل كل شيء بحكمة؟"

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " قد جعل للظلمة زمانًا، وهو نفسه يفحص كل شيء، وكل أحدٍ [3] " [1138]. لقد وضع بنفسه زمانًا للظلمة، أي وضع حدًا للأشوار، حيث يتوقفون عن كونهم أشورًا. هكذا يُقال لهم بالرسول: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف 5: 8). يقول ذات الرسول العظيم لتلاميذ آخرين: "قد تنامى الليل، وتقلب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلباقية كما في النهار" (رو 12: 13-13). لهذا جاء في نشيد الأنشيد عن مجيء الكنيسة: "من هذه المشوقة مثل الصباح؟" (نش 10: 6). تُشبه الكنيسة بالصباح، أي بمعرفة الإيمان، تتحول من ظلمة الخطايا إلى بهاء نور البر...

إذ يفعل الله ما هو صالح، ويقوم بالتدبير، ولا يفعل ما هو شر، يضبط الأمور التي يفعلها الأشوار حتى لا تسير الأمور إلى ما هو رديء، بل يفحص نهاية كل الأمور ونهاية كل أحدٍ، ويحتمل كل الأشياء في طول أناةٍ، ووى نهاية المختلن، إذ يتحول الشر بالنسبة لهم إلى الخير... لقد رأى الله نهاية ما يصل إليه شاول حتى وهو يضطهد (الكنيسة)، واه يسقط على الأرض يقول: "يارب ماذا تريد أن أفعل؟" (أع 6: 9)...

رأى أهل نينوى يعصون، لكنه تطلع إلى نهاية عصيانهم في مملستهم الإصلاح (التوبة).
أيضاً رأى نهاية سدوم العاصية، وتطلع إلى نهاية احتراق الشهوة في نار جهنم.
رأى نهاية عالم الأمم، حيث انشغل في ظلمة الشرور، كيف أنه يوماً ما يتلأأ بنور الإيمان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الله الخالق العجيب في أعماله خلق الأرض وأوجد عليها الوحافات والوحوش، كما خلق الإنسان من توابها. إنه لازال طبيعة جديدة تليق

بالحياة الأبدية.

من أرض واحدة تخرج الوحافات والوحوش المفترسة والقطيع وعليها تثبت الأشجار، وتوجد الأطعمة والذهب والفضة والنحاس والحديد

والحجر! [1139]

القديس كيرلس الأورشليمي

حَفَرَ مَنْجَمًا بَعِيدًا عَنِ السُّكَّانِ.

بِلاَ مَوْطِيٍّ لِّلْقَدَمِ.

مُتَدَلِّينَ بَعِيدِينَ مِنَ النَّاسِ يَتَدَلَّدُونَ [4].

جاء النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير) " حجر الظلمة أيضاً وظل الوادي (الجراف) ينقسم من الشعب في رحلة".

إذ يحفر البعض في أرض صخرية غير أهلة بالسكان، يسمع عنهم البعض أو ينظرونهم وهم يفعلون هكذا، فيسخرهم منهم. يحسبون أنهم يريدون استخراج ماء من باطن الأرض، لكن لماذا يختارون مناطق حجرية بعيدة عن السكان؟ إنهم كمن يدللون أرجلهم في حوة لا نفع منها. هكذا يسخر البعض من خطة الله وعمله الخلاصي، وذلك كما سخر اليهود بالرسول والتلاميذ الذين خرجوا يكرزون بين الأمم الوثنية، كمن يحفرون مناجم في أرض صخرية بلا ماء، بلا هدف ولا رجاء!

❖ " حجر الظلمة أيضاً وظل الوادي (الجراف) ينقسم من الشعب في رحلة" [3-4]. ماذا كان ذلك الشعب اليهودي، القساة في عدم إيمان، الذين رفضوا

قبول الإيمان الذي سبق فأعلن لهم عنه واهب الحياة خلال النوات، إلا أنهم حجر الظلمة؟ يتحقق هذا بقسوة عنفهم والتحافهم بعدم الإيمان....

ربما يشير بالسيل الجرف إلى الارتواء بالكورة المقدسة، كما قيل بسليمان: "العين المستنزئة بأبيها، والمحتوة عذاب أمها، تفرها غرابان الوادي (الجراف)" (أم 17:30). فإن الأثوار إذ يجدون خطأ في أحكام الله، يستنزئون بأبيهم، والهواطقة من كل فوع الذين يردون بكورة الكنيسة المقدسة، ويسخرون بثورها، ليسوا إلا محتوين لعذاب أمهم؟ ليس بغير لياقة ندعوها أمهم أيضاً، إذ خرج منها هؤلاء الذين يتكلمون ضدها، كما يشهد يوحنا، قائلاً: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (1 يو 19:2). ولكن " غرابان الوادي تأتي " عندما يخرج الكرزون الحقيقيون يدافعون عن الكنيسة المقدسة من مجري الأسفار المقدسة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

رُضٌّ يَخْرُجُ مِنْهَا الْخُبْزُ،

أَسْفَلُهَا يَنْقَلِبُ كَمَا بِالنَّارِ [5].

وى البعض أن الأرض التي تخرج حنطة لنققات بها، هي أيضاً تخرج وقوداً (بترول) لنققات بها النار. بالحكمة التي وهبت لنا من الخالق نجد

ما يشبعنا من ذات الأرض التي تخرج منها ما نستخدمه كوقود.

وى آخرون أن أيوب يشير إلى سدوم وعمورة، الأرض التي تتسم بأنها خصبة للغاية، فنتج حنطة بفيض يقات بها الكثيرون، تحولت بسبب

شرور سكانها إلى أتون نار، حيث أوتل الله عليها نراً وكرويتاً.

كما وى آخرون أنه إذ يتحدث عن اهتمام الإنسان باستخراج المعادن النفيسة من مناجم تحت الأرض، حولوا الأرض التي تفيض عليهم بالغذاء إلى مناجم، يهلك فيها كثيرون بسبب المخاطر التي يتعرضون لها، فتحولت إلى أشبه بأتون نار تحت الأرض.

❖ وى البابا غريغوريوس (الكبير) هنا نوبة عن اليهودية التي كان يليق بها عند مجيئ السيد أن تشهد له وتكرز، فتقدم للعالم المسيح خبز الحياة، لكن بحسب حسد القيادات اليهودية تحولت إلى نار خفية مهلكة للنفوس. "الأرض يخرج منها الخبز، تتقلب في موضعها بالنار" [5]. كان ما يشغل اليهودية أن تعطي خزاً، إذ اعتادت أن تعد كلمات الناموس أمام الناس. لم يعد أبناء الهلاك قادرين على تفسير هذا الناموس عينه، كما ينتحب لميا النبي في وراثيه، قائلاً: "الأطفال يسألون خزاً، وليس من يكسوه لهم" (ورا 4:4). لكن هذه "الأرض تتقلب في موضعها بالنار"، إذ تهلك نفسها بجورة الحسد، عندما ترى معجزات المؤمنين... ألم تكن ملتبهة بلهيب جمر حسدها عندمارأت معجزات مخلصنا، فقال بعض رجالها: "ماذا نصنع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثوة" (يو 47:11)؟ أو "أنظروا، إنكم لا تتفنون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو 19:12)

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَجَلَتْهَا هِي مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ،

وَفِيهَا رُؤَابُ الذَّهَبِ [6].

كان يليق رجال اليهودية أو قياداتها الدينية أن يقدموا المسيح خبز الحياة، فيصيرون حجرة حية في هيكل الرب، من ياقوت زرق، أي يحملون السمة السماوية، فيتحول، الراب إلى ذهب، حيث يتحول الترابيون إلى سمايين إن صح التعبير.

وى البعض أن الله بحكمته الفائقة جعل الكثير من الأمور الثمينة كالفضة والذهب والبتول مخفية تحت الأرض، أو في الحجرة، حتى لا يركز الإنسان عينيه على هذه الأمور، بل يرفع عينيه إلى السماء. إنه يظأها بقدميه مستخفاً بها، ليكون كل قلبه ملتصقاً بالله.

[1140]

يُعتبر الياقوت في قيمته يلي الماس، وهو من أثنى الحجرة الكريمة، منه الأحمر والأزرق والأصفر، لكن غالباً ما يكون زرق اللون.

[1141]

❖ "حجرتها هي موضع الياقوت الأزرق، وفيها راب الذهب" [6]. أضيف إلى إعلان المجد السابق ذكره إثم الخطية الذي يتبعها. فإن سقوط كل فرد

هو عمل إجرامي رديء، إذ كان في مقوره قبل السقوط أن يبلغ إلى سمو أعظم... تشير الحجرة إلى أذهان الأقوياء، عندما قال بطرس للقديسين: "كحجرة حية، بيتاً روحياً، كهنوئاً مقدساً" (1 بط 2:5). وبعد الرب الكنيسة بذلك حين تأتي، قائلاً بالنبي: "هأنذا أبني بالاثمد حجرتك، وبالياقوت الأزرق أوئسسك، وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجرة بهرمانية، وكل تخومك حجرة كريمة، وكل بنيك متعلمين من الرب" (إش 54:11-13). إذ يضع فيها حجرة بنظام، حيث يميز النفوس المقدسة فيها حسب اختلاف استحقاقاتها. "يضع أساساتها بياقوت زرق"، حيث تحمل هذه الحجرة في ذاتها شبه لون السماء، فتتأسس قوة الكنيسة في النفوس التي تطلب السماويات...

ولأنها تشوق بالإيمان في بهاء الحياة الفائقة والحكمة، أضيف: "راب ذهباً"... لكن هذا الذهب قد انطمس بعد ذلك بظلمة عدم الإيمان. رثى النبي لميا سواده، قائلاً: "كيف اكر الذهب؟ تغير الإبريز الجيد؟" (ورا 1:4) فقد صار الذهب مكرواً، فاعتم البهاء القديم للإيمان، والواعة عينها بليل الشر، حيث حلَّ عدم الإيمان بهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. سرّ المسيح الفائق

سَبِيلٌ لَمْ يَؤْفَهُ كَاسِرٌ،

وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنٌ بِأَشَقِ [7].

إن كان في قوة الإنسان أن يستغل الأرض، فنتنتج قمحاً ومزروعات لطعامه، وأن يستخرج من بطنها ومن صخورها الفضة والذهب والبتول

والحجزة الكريمة، إلا أنه توجد حكمة أخرى لا تُعطى إلا لمن يطلبها، ألا وهي إمكانية التعرف على الأسوار الإلهية، خاصة سرّ التجسد الإلهي وسرّ الخلاص. فمهما تمتع الإنسان ببصوة حادة كبصوة كالتصور وغوها من الطيور الحادة البصر، لن يستطيع أن يرى الأمور الإلهية بذاته. اختار الطيور الجرحا، لأنها تطير إلى مسافات بعيدة جداً بحثاً عن الطعام، ويمكنها رؤية الفريسة وهي على ارتفاع شاهق، تنقض عليها ثم ترجع إلى عشها نون أن تضل الطريق، أو تخطئ في التعرف عليه حتى وإن كان شبيهاً بعشها.

جاء في التورم الكلداني تفسواً لهذه العبرة، بأن الشيطان وهو يطير كطائر لم ير شجرة الحياة ولا تعرف عليها، وأيضاً عينا حواء لم تتطلع إليها، ولا سار بنو البشر نحوها، ولا اتجهت الحية نحوها. [1142].

وى البعض [1143] أن المهتم باستخراج المعادن له عينان تفرقان عيني النسر، يتطلع بهما إلى مسافات بعيدة تحت الأرض، فيعرف أماكن المعادن الثمينة، فينقب ويستخرجها.

من أجل الغنى واقتناء الثروات لا يصعب على الإنسان أن يخترق طبقات الأرض خلال صناعة التعدين لينال فيضاً من المعادن النفيسة. ومن أجل الرغبة في الطعام لا يصعب على الأسود الكاسرة أن تتعرف على الطرق وسط الغابات والورلي لتقتنص فريسة لها ولصغرها؛ ولا تختفي عن بصوة الطيور الجرحا الفريسة على أبعاد شاهقة، لكن تبقى أسوار الحكمة الإلهية خفية عن الإنسان نون نعمة الله الفائقة.

الحكمة البشرية هبة طبيعية يقدمها الله للإنسان بوجات تليق بكل أحد، كوهبة يتميز بها شخص عن آخر، أما الحكمة الإلهية فهي عطية تُقدم لمن يطلبها بإخلاص ويشتهيها.

❖ حكمة هذا العالم غير حكمة الله. حكمة الله حقيقية، لا يصيبها ما يفسدها. حكمة العالم غيبية، بالوغم من أن بساطة حكمة الله تجعل من ينالها كأنه غني في عيني العالم. ينال المؤمنون هذه الحكمة الإلهية، وبهذا يُحسبون أغبياء لدى العالم. [1144].

العلامة أوريجينوس

❖ يقول بولس إن حكمة الله تُعلم تناغم مع الرب، هذه التي تظهر أن الحكمة الحقيقية توهب بالابن. [1145].

القديس إكليمنضس السكنوي

وَلَمْ تَدُسَّهُ أَجْرَاءُ السَّبَّعِ،

وَلَمْ يَسْئَلْهُ الْأَسَدُ [8].

الأسد الفتى أو جرو الأسد يسير وسط الغابات والورلي كملكٍ للوحوش. وكأنه يعرف كل الطرق المخفية، ليس من حيوان يقدر أن يختفي عنه. متى جاع يعرف كيف يبلغ إلى فريسته، وكأنه مُلم بكل أسوار المنطقة. هكذا من يعمل في التعدين يخترق طرقاً يصنعها تحت الأرض، لم يدسها جرو أسد، ولا سلك فيها أسد ما. ومن يود أن يقتني حكمة الله "سرّ المسيح الفائق" يسلك بالروح القدس طريفاً فريداً لا يقدر كائن ما أن يبلغه بذاته، ولو كان ملكاً عظيماً صاحب سلطان وله قوة وقوة فانقتين!

مسيحنا هو الطويق، إذ نسلك فيه نصير كأسود روحية، ملوك وكهنة لله أبيه (رو 1: 6).

❖ يُعدد بولس نوعين أو ثلاثة أنواع من الحكمة (1 كو 1: 20-25). ولأ توجد حكمة تلك التي يدعوها العالم جهالة، وهي حكمة أعظم من الحكمتين الآخرين. أيضاً توجد الحكمة الممنوحة للبشر، التي بها نتعقل ونعمل، وبها نتقدم ونبتكر، وبها نعرف الله. أخيراً يوجد نوع ثالث من الحكمة حيث التأمل في الخليقة. الحكمة التي يحسبها العالم جهالة تُوهب لنا بواسطة المخلص، حتى أن الشعب الذي يعرف الله بالحكمة الطبيعية والذي ينفاد إليه بالتأمل في نظام الخليقة يمكنه أن ينال الخلاص الأمر الذي لا يمكن نواله بالوعين السابقين من الحكمة، إذ لا يستطيعان إنفاذهم من الخطأ. [1146].

الأب ثيودورت أسقف كورش

[1147]

❖ تعليم المخلص فيه الكفاية دون الحاجة إلى عون إضافي، إذ هو قوة الله وحكمة الله .

القديس إكليمنضس السكثري

إلى الصَّوَّانِ يَمُدُّ يَدَهُ.

يَقْلِبُ الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا [9].

إذ يتحدث أيوب عن سرّ المسيح الفائق، بكونه حكمة الله، رأى عجباً. رأى السيد المسيح بحبه وقنوته وحكمته يمد يده على الصليب ليحتضن الأمم التي صلت كالصَّوَّانِ الصلدا، فيقيم من الحجرة أبناء لإواهيم، أو أبناء للإيمان. لا تقف أمامه أصول الجبال الشامخة، أي أصحاب السلاطين الزمنية.

ببساطة الصليب، حكمة الله، التي يحسبها العالم الوثني جهالة، ويحسبها اليهود عثرة، اقتنص الرب الفلاسفة وأصحاب السلطان. وكما يقول الرسول بولس: "اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمؤدوي وغير الموجود ليبطل الموجود" (1 كو 27-28).

❖ لم يستطع الفلاسفة أن يحققوا ما حققه أناس قليلون أميون، ألا وهو هداية العالم كله. تحدثت الفلاسفة عن تفاهات ولم يقتعروا سوى قلة قليلة. وتحدثت الرسل عن الله والبرّ والدينونة وهنوا أعداداً كبيرة [1148].

❖ بتعديرات بشوية يستحيل على صيادي سمك أن يقتصوا فلاسفة، لكن هذا هو ما حدث بقوة نعمة الله [1149].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "إلى الصَّوَّانِ يَمُدُّ يَدَهُ، يَقْلِبُ الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا" [9]. إنه يمد يده إلى الصَّوَّانِ ، حيث يمد فراع كوزته إلى قسوة الأمم. هكذا سبق فشعر أيوب نفسه الطويلي مقدماً بتلخيخ الأمم، أنهم سيعرفونه، فيقول: "ليتها تُنْقَرِ فِي صَوَّانٍ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرِصَاصٍ" (أى 19:24). ولكن بماذا نفهم هنا الجبال سوى أصحاب السلطة في هذا العالم، الذين ينتفخون في عظمة من أجل كيانهم الأرضي؟ يقول عنهم العرتل: "ألمس الجبال، فتدخن" (مز 144:5).

أصول (جنور) الجبال هي أفكلهم العميقة بالكروياء. تسقط الجبال من جنورها، لأن عبادة الله تنزل بسلاطين العالم إلى الأرض، تحطم أفكلهم الدنيئة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يرفع النشيد العروس إلى أعلى قمة للمجد، مُضْفِياً عليها اسم ينوع المياه الحيّة المتدفقة من لبنان. لقد تعلمنا من الكتاب المقدس عن طبيعة الله المعطية للحياة كنوة من شخص الله تقول: "تكوني أنا ينوع المياه الحيّة" (إر 2:13). ثم يقول السيد المسيح للوأة السامرية: "أجاب يسوع وقال لها، لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً" (يو 4:10). ثم قال: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مؤمعين أن يقبلوه" (يو 7:37-93).

تقول كل من هذه الفقات إن الماء الحي هو الطبيعة المقدسة، لذلك جاز للنشيد أن يسمى العروس بصدق بئر ماء حي يفيض من لبنان. هذا في الحقيقة يتعرض مع ما هو معروف، فالآبار عادة تحوى مياه ساكنة، وأما العروس فعندها مياه جلية في بئر عميق، ومياها تفيض باستمرار. من يقدر ويستحق أن يفهم العجائب الممنوحة للعروس؟ يتضح أنها قد وصلت إلى أقصى ما تتمناه، فقد قورنت بالجمال الأبدي الذي منه نشأ كل جمال. وفي نبعها تشبه نبع عويسها تماماً، وحياتها بحياته، وملؤها بمائه. إن كلمته حية، وبها تحيا كل نفس تستقبله. هذه المياه تفيض من الله كما يقول ينوع المياه الحيّة: "لأنني خرجت من قبل الله وأتيت" (يو 8:42).

تحفظ العروس فيض مائه الحي في بئر نفسها، وتصبح بيتًا يكنز هذه المياه الحية التي تفيض من لبنان ، أي التي تكوّن سولاً من لبنان، كما يقول النص.

لقد أصبحنا في شوكة مع الله بامتلاكنا هذه البئر، حتى نحقق وصية الحكمة (أمثال 17:5، 18)، ونشرب مياهها من بئرا، وليست من بئرٍ آخر. نتمتع بهذا في المسيح ربنا له المجد والعظمة إلى الأبد آمين [\[1150\]](#).

القديس غريغوريوس النيسي

يُنْقَرُ فِي الصُّخُورِ سَرَبًا،
وَعَيْنُهُ تَوَى كُلَّ ثَمِينٍ [10].

يقف أيوب متعجباً من قرة المخلص ومحبته، فهو الذي يهب للإنسان الذي صار كالصخرة أن تتفجر في داخله ينابيع مياه حية، وفي نفس الوقت يتطلع إلى الإنسان لا في استخفاف ولا لإدانتته على قلبه الحوي، وإنما كأيقونة حية له، ثمينة جداً في عينيه. إنه يُرِيْل عن الإنسان قسوة قلبه الحوي، ويقوم منه قلباً مملوء حباً.

وي البعض انه في صناعة التعدين يشقون مجري مياه في الصخور، فتتكشف لهم عروق المعادن التي يقومون باستخراجها.

❖ " ينقر مجري (مياها) في الصخور ". يشق في قلوب الأمم القاسية أنهار الكرة.

بنفس الطريقة يتحدث النبي عن رثواء وري الأمم: "يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يابسة ينابيع مياه" (مز 35:107). كذلك يعد الرب في الإنجيل: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار ماء حي" (يو 7:38). ما سمعناه كوعدٍ قد تحقق الآن.

ألا ترون كيف أن الكارزين القديسين قد فاضوا كينوع من اليهودية من خلال الكنيسة الجامعة المنتشرة في العالم كله كمجري للوصايا السماوية ، تفيض بكرة من أفواه الأمم. هذا لأنه قد نقر مجري في الصخور؛ أفاض من القلوب القاسية نهر الكرة المقدسة.

" وعينه توى كل ثمين" [10]. إنه لأمر يؤم على وجه الخصوص أن يُوضع في الذهن، أن كل نفس منفردة تُحسب بالأكثر ثمينة في نظر الله، قدر ما تحتقر نفسها من أجل حبها للحق . "أليس إذ كنت صغيراً في عينيك، صوت رأس أسباط إسرائيل؟" (1 صم 17:15)... وعلى العكس من يحسب في نفسه أنه ثمين للغاية يتصاغر جداً عند الله... "إنه وى المتواضع، أما المتكبر فيعرفه من بعيد" (مز 6:138). لذلك " توى عينه كل ثمين". في الكتاب المقدس يُستخدم تعبير " الله وى " عوض "الله يختار"، كما جاء في الإنجيل: "لأنه يختار المتواضعين". اختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء" (ا كو 1:27). لقد " رأى ما هو ثمين " عندما افتقد النفس البشرية وهي تستخف بذاتها، متمتعة باستترة نعمته. يُقال عن هذه النفس بالنبي: "إن أخرجت الثمين من المردول، فمثل فمي تكون" (إر 19:15). فإن العالم الحاضر مردول من الله، أما نفس الإنسان فثمينة عنده . من يغزل الثمين من المردول يُدعى "مثل فم الله"، لأن الله يقدم كلماته لهذا الإنسان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الروح القدس هو النهر الذي يفيض - حسب العوانيين - من المسيح إلى الأراضي. وقد قبلنا هذا كما تنبأ فم إشعيا (إش 12:66). هذا النهر العظيم الذي يفيض على النوام ولن يتوقف، ليس فقط نهواً بل هو أيضاً أحد المجري العروة التي تفيض عظمة، كما قال داود: "مجرى النهر يوح مدينة الله" (مز 4:46). فإنه لا ترقوي تلك المدينة، أورشليم السماوية بقناة، أي بنهرٍ رُضي، بل بذلك الروح القدس المنبثق من مصدر الحياة.

المجرى الذي يصدر عن ذلك الذي يشبعنا، يبدو أنه يفيض بوفرة بين العروش السماوية والسيدات والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة، جلياً في

[\[1151\]](#)

أكمل نصيب لفضائل الروح السبع .

القديس أمبروسيو

❖ يقصد بالبطن هنا (يو 7: 38) القلب... أين يوجد في الكتاب المقدس أن أنهلاً لمياه حية تفيض من بطنه؟ لا يوجد.

فماذا إذن يعني: "من آمن بي كما يقول الكتاب"؟ هنا يؤمنا أن نتوقف فقد يكون القول: " تجرى من بطنه أنهلًا " تأكيد أنه عن المسيح. فكثيرون قالوا: "هذا هو المسيح"، و"عندما يأتي المسيح، هل يصنع معجزات أكثر"؟ إنه يظهر الحاجة إلى معرفة صحيحة، وأن يقتنعوا لا من المعجزات بل من الكتاب...

لقد سبق فقال: "فتشوا الكتب" (5: 39) وأيضًا: "مكتوب في الأنبياء"، و"يكون الكل متعلمين من الله" (6: 45)، "موسى يشكوكم" (5: 45)، وهنا يقول: "كما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار"، ملمحًا نحو عظمة النعمة وفيضها... وقد دعاها في موضع آخر "حياة أبدية" أما هنا فيدعوها "أنهار ماء"...

فإن نعمة الروح إذ تدخل الذهن وتقيم، تفيض أكثر من أي ينوع.

إنها لن تتوقف ولن توج...

فلكي يعني إنها تقدم عونًا لا ينضب، وفي نفس الوقت طاقة لا تخيب، دعاها "بؤًا" وأنهلًا، ليست نهرًا واحدًا، بل هي أنهار لا تُحصى.

[1152]

يمكن للشخص أن يبرك بوضوح ما تعنيه إن وضع في اعتباره حكمة اسطفانوس ولسان بطرس وغوة بولس .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من من الكائنات الأرضية خُلق على صورة الله إلا الإنسان؟

ولمن أعطى السلطان على كل الطبيعة ومخلوقاتنا ليختصها لذاته؟

إنه لشرف أصيل يكلل جبينه، ويسمو به إلى السماء، فوق الكواكب، رُفع من الشمس تشامخًا وغوة... ومع أنه أوضع متولة من الملائكة

[1153]

لارتباطه بجسدٍ ماديٍ فقد وهب قوة لفهم ومعرفة ربه وخالقه .

القديس باسيليوس الكبير

يَمْنَعُ رَشْحَ الْأَنْهَارِ،

وَأَبْرَزَ الْخَفِيَّاتِ إِلَى النُّورِ [11].

تعبير شعوي عن رعاية الله للإنسان، فإذ يشق الإنسان مجرى مياه وسط الصخور لممارسة التعدين، يحفظ الله حياة الإنسان فلا يسمح لهذه

المجري أن تنتشع، فيسقط جدار المنجم أو سقفه، كما يسند الإنسان في معرفته للمعادن المخفية في المناجم تحت الأرض.

يقدم البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيرًا رمزيًا لهذه العبرة، إذ يرى في هذه الأنهار فيض من تعاليم الآباء الأولين.

[1154]

❖ [11] "يفحص أعماق الطوفان، ويبرز الخفيات إلى النور" . ما هي تلك التي تدعى طوفانًا إلا أقوال الآباء القدامى؟ من يستطيع أن يقدر

الفيض الشديد الصادر عن صدر موسى نفسه عندما كان يقدم الناموس؟ أي فيض عظيم صدر عن قلب داود؟ أية مجرى مياه فاضت من شفتي

سليمان وشفاه كل الأنبياء؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. أَيْنَ تُوجَدُ الْحِكْمَةُ؟

أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوجَدُ؟

وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟ [12]

إن كانت كنوز المعادن الثمينة مخفية تحت الأرض، فكذلك الحكمة الله. من يستطيع بنفسه أن يبرك أين هي، ومن أين يقتني الفهم الحقيقي.

الحكمة هي الكنز المخفي داخل الإنجيل، لا يقدر إنسان أن يتمتع بها ما لم يشوق روح الله بنوره عليه، فيكشف له أسرار الكلمة.

[1155]

❖ الحكمة الحقيقية هي الإنجيل، وسيلة الخلاص خلال صليب المسيح .

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ قِيَمَتَهَا،

وَلَا تُوْجَدُ فِي رُضِ الْأَحْيَاءِ [13].

الحكمة هي الاقنوم الثاني "حكمة الله"، الذي لا يمكننا ونحن بعد في الجسد أن نترك أعماق سرّ الحكمة، ونتعرف على شخص الحكمة، إذ هو في حضن الآب، تجسد ليلتقي بنا ونحن نلتقي به في عالمنا.

❖ لا يعني بولس هنا (1 كو 2: 7) أنه يُخبر بأمورٍ سويةٍ وألغاز، وإنما الرسالة التي يركز بها كانت قبلاً مخفية [1156].

الأب ثيودورت أسقف كورث

❖ الحكمة ليست في زمنٍ ولا في موضع، لأن الزمن يعني أنها وُجدت، ولكن كيف تكون في زمن هذه التي هي من البدء؟ كيف تكون في مكان هذه التي كانت مع الله؟ إن كان أحد يبحث عن الابن الوحيد، فبحسب الحس الإنجيلي هو موجود في حضن الآب. هل تظن أن حضن الآب هو موضع؟ هل تطلب أن تعرف كيف وُلدت الحكمة، إن كان رجل النوبة يقول: "الإنسان لا يعرف طريقها" (أي 28: 13)، هل تظن أن أصلها في البشر، بينما يقول أيوب أنها لا توجد بين البشر؟ هل تنسب للحكمة للموت، هذه التي "العمر يقول: ليست هي في، والبحر يقول: ليست هي عندي" (أي 28: 14) [1157].

القديس أمبروسيو

❖ يشهد بولس (1 كو 2: 7) أنه قد أُرسِلَ ليعلن سرّ الحكمة التي لا يعرفها رؤساء هذا العالم، ولهذا ينعنون بالغباء. حكمة الله مخفية، لأنها ليست كلمات بل قوة. يستحيل الحديث عنها بتعرات بشوية، لكن نؤمن بها بقوة الروح [1158].

الأب أمبروسيا ستر

❖ [13] " [1159] ولا توجد في رُضِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مَتَرَفِينَ .[ماذا تشير الأرض في هذه العبارة سوى نفس الإنسان؟ يقول الموتل: "عطشت نفسي إليك، مثل رُضٍ بلا ماء" (مز 143: 6). لكن هذه الحكمة لا يمكن أن توجد في رُضِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي تَرَفٍ، لأن الإنسان الذي لا زال يفتات على ملذات هذه الحياة يُوع عنه إرّاك الحكمة الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الْعُمُرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ فِيّ،

وَالْبَحْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ عِنْدِي [14].

كأن الطبيعة بكل ما فيها من إبداع وجمال وإمكانيات تحلور الإنسان، وتوجه نظره إلى الخالق كمصدر الحكمة الحقيقية، فلا يطلبها الإنسان من الطبيعة ولا من الكتب ولا من الأحداث، وإنما من الله نفسه.

وي القديس أغسطينوس أن الله جعل الحكمة مخفية، ليس لأنه يُريد أن يحرمانا منها، بل لكي يشوقنا إليها فنطلبها بجدية [1160].

❖ " العمر يقول ليست هي فيّ، والبحر يقول ليست هي عندي" [14]. كثراً ما يشخصن الكتاب المقدس أموراً كثرة جامدة كمثال: "البحر يقول: ليست هي عندي" وهكذا. "العمق يقول: ليست هي فيّ"، "السملوات تعلن مجد الله" (مز 1: 19). وأيضاً يصدر الأمر إلى السيف (ك 7: 13)، وتُسأل الجبال والتلال عن وثبها بروج (مز 6: 114). إننا لا نتنوع بأي واحدٍ منهم، وإن كان بعض سلفائنا استخدموها كوهانٍ قوِيّ. لنحسب أن هذا التعبير قد أُستخدم عن مخلصنا نفسه، الحكمة الحقيقية [1161].

البابا غريغوريوس النزيوي

❖ عندما سأل أيوب عن موضع الحكمة أجاب: "العمق يقول: ليست هي في"، يشير لا إلى مكان وجودها، بل إلى الموضع الذي ليست فيه. مرة أخرى عندما قال بأن ثمنها غير معروف بواسطة إنسان [15]، ثم أكمل: "لا يُعطي ذهب خالص بدلها" لم يظهر ما هو ثمنها، بل ما هو ليس بثمنها. فمن الواضح للكل أن هذه الحكمة لا يمكن لإنسان أن يجدها في موضع ما، ولا أن يشتريها بالغمى. لكن الإنسان القديس إذ هو مملوء بأفكار ساروية ينطلق بنا لاكتشاف أمورٍ أخرى، فلا يطلب حكمة مخلوقة، بل الحكمة الخالق . فإننا ما لم نبحث الأعماق المخفية للمزية في هذه الكلمات، بالتأكيد ما يُنطق به يكون غير ذي قيمة، إن كانت تُفسر من الجانب التاريخي وحده...

هكذا إذن ما هي الحكمة التي يتأملها الإنسان القديس سوى ما يقوله بولس الرسول: "المسيح قرّة الله، وحكمة الله" (1 كو 24:1)؟ كتب عنها سليمان: "الحكمة بنت بيتها" (أم 9: 1). ويقول عنها المرنل: "في الحكمة خلقت كل شيء" (مز 104:24). عن هذه الحكمة عينها "لا يعرف الإنسان الثمن"، إذ لا يجد شيئاً يمكن به أن يفورها... ليس من وسيلة للحصول عليها... ماذا نعطي لكي نتأهل لنوال هذه الحكمة، التي هي المسيح؟ فإننا بالنعمة نحن مخلصون... فالإنسان يستحق شيئاً واحداً في طريق العدالة (وهو الموت)، وينال شيئاً آخر بخصوص النعمة... يقول بولس: "ونحن بعد خطاة مات المسيح في الوقت المعين لأجل الفجار" (رو 8:5، 6). إذن نحن الذين وُجدنا فجراً، عندما جاء الحكمة، أي شيء صالح قدمناه لكي ننال به هذه الحكمة؟ "لا يعرف إنسان ثمن هذه الحكمة"... "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله، ليس من أعمالٍ، كيلا يفتخر أحد" (أف 2:8-9). ويتكلم عن نفسه قائلاً: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (1 كو 10:15).

❖ إلى ماذا يشير "البحر" "إلا إلى الأذهان الدنيوية التي تعاني من الاضطراب المر، فتدخل في عدوة مع الغير في غلوة، وتتطلق بالعدوة من نحو شخصٍ إلى آخر بالتناوب، وتحطم الأذهان بعضها البعض، مثل أمواج تصطدم بعضها ببعض. بحق تدعى حياة الأشخاص الدنيويين بحراً، لأنها في حالة هياج بواسطة العواصف المثورة، فتُحرم من الهوء وثبات الحكمة الداخلية. على نقيض هذا حسناً قيل بالنبي: "على من يستقر روعي، إلا على المتواضع والهادئ والمتعب من كلامي" (إصح إش 2:66)... يدعونا الرب ونحن في حواحات الاضطراب هذا، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (مت 11:28-29).

أي شيء منهك أكثر من أن يكون الإنسان محمومًا بالشهوات الأرضية؟ أو أي شيء أكثر راحة هنا من ألا يشتهي الإنسان شيئاً من هذا العالم؟ لهذا السبب تسلم الإسواتيليون حفظ السبب كهبة... فإن الشعب الذي يتبع الله يتقبل السبب - أي راحة الروح - بعدم الارتباك بهذه الحياة، وذلك بعدم الانهماك في الملذات الجسدية...

لكن كيف يمكننا أن نعرف أن أغلب الآباء القدامى تمسكوا بهذه الحكمة في حياتهم الداخلية، بينما من الخرج كانوا يدبرون شؤون العالم؟ هل نحسب يوسف محروماً من نوال هذه الحكمة الذي في وقت المجاعة ألقى على عاتقه شؤون كل مصر، ليس فقط لتدبير احتياجات المصريين فقط، وإنما بمهلهته الفائقة اهتم بحفظ حياة الشعب الغريب أيضاً القادم إليه؟ هل كان دانيال غريباً عن هذه الحكمة، هذا الذي لما أُقيم رئيساً على الحكام بواسطة ملك الكلدانيين في بابل كان مشغولاً بمسؤوليات عظيمة؟... إذن من الواضح غالباً حتى الصالحون ينشغلون بالتواضع دون ارتباك...

هؤلاء الذين لهم هذا الهوء، مهما كانت متاعب أعمالهم الخرجية لن تدخل هذه المتاعب إلى أعماقهم الداخلية... فإن قلوبهم مملوءة بهذه الحكمة، فلا ترتبك ولا تضطرب... الأذهان المضطربة بالأمر العالمية تصوخ لمجرد عدم هوائها وغزلها عن الحكمة الحقيقية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4. يا لعظمة الحكمة!

لَا يُعْطَى ذَهَبٌ خَالِصٌ بَدَلَهَا،

وَلَا تُوزَنُ فِضَّةٌ ثَمَنًا لَهَا [15].

لما كانت حكمة الله هو أقنوم الكلمة، لذا فإن من يقتنيها إنما يقتني الخالق نفسه، فليس من وجه للمقارنة بينه وبين المخلوقات مهما كانت قيمتها. ❖ إلى ماذا يشير الذهب الخالص إلا إلى الملائكة الذين بحق يدعون ذهبًا خالصًا. فهم ذهب، لأنهم يشوقون ببهاء البر، وذهب خالص لأنه لم يصبهم قط أي دنس للخطية، أما بالنسبة للبشر فطالما هم في الجسد القابل للفساد وخاضعون للموت، يمكن أن يكونوا ذهبًا، لكن لا يمكن أن يكونوا ذهبًا خالصًا. "الجسد الفاسد يتقل النفس، والخيمة الترابية عبء للعقل الكثير الهموم" (حك 15:9). فإنهم حتى في هذه الحياة قد يشوقون ببهاء فانق للبر، ومع هذا فلن يتخلصوا تمامًا من زغل الخطايا. يشهد الرسول يوحنا لهذا بقوله: "إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا، والحق ليس فينا" (1 يو 8:1). يؤكد يعقوب ذلك، قائلًا: "فإننا في أمور كثيرة نعثر جميعنا" (يع 2:3). بنفس الطريقة يتوسل النبي، قائلًا: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك يارب، فإنه لن يتبرر قدامك إنسان" (مز 143:2).

فالحكمة تُعلن عن نفسها بذاتها، حتى يمكن للجنس البشري أن يخلصوا من الخطية. لا يُوسل ملاك عوض الحكمة، إذ من الضروري أن يتحرر المخلوق بواسطة الخالق. هكذا يقول الرب في الإنجيل: "إن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو 8:36).

لكن الرجل القديس (أيوب) إذ امتلأ بروح هذه الحكمة سبق وأى أن اليهودية يصير بها من يضعون رجاءهم في صاحب الشريعة، ويجعلون من موسى مصدر خلاصهم، إذ نطقوا بالشر حتى مع ذلك الذي سُفي: "أنت تلميذ ذلك، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى" (يو 9:28).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا تُوزَنُ بِذَهَبٍ أَوْ فِيزٍ،

أَوْ بِالْجَرِّعِ الْكَرِيمِ،

أَوْ الْيَأْقُوتِ الْأَزْرَقِ [16].

جاء في الترجمة السبعينية: " لا تُقَارَنُ بِالْأَوَانِ الصَّبْغَةَ فِي الْهِنْدِ ". ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن حكمة الله لا تشوبها زخرفة البلاغة، فإنها تكون مبهجة كثوب بلا صبغة. لقد استخف بولس بالصبغة بقوله: "التي تتكلم بها أيضًا، لا بأقوال تُعلمها حكمة إنسانية، بل بما تُعلمه الروح القدس" (1 كو 13:2). فقد اختار الرسول أن يستخدم هذه الحكمة في بساطة الحق النقي وحدها، ولكن دون أن يلطخها بصبغة الكلام.

لَا يُعَادِلُهَا الذَّهَبُ وَلَا الْوُجَاجُ،

وَلَا تُبَدَّلُ بِإِتَاءِ ذَهَبٍ إِبْرِيْزِ [17].

إذ تجسد كلمة الله وصار إنسانًا، لم يعادله أي إنسان سواء كان ذهبًا أو زجاجًا. مهما كان يريه كالذهب أو نفاوته الشفافة كالكريستال. ❖ رأى يوحنا في الرؤيا هذا حين قال: "بناء سورها من يشب، والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي" (رؤ 18:21). ذلك لأن كل القديسين سيثوقون في بهاء النعيم الفائق، لذلك وُصفت (أورشليم العليا) أنها بناء من ذهب... لكن مادمنًا في هذه الحياة ولا يمكن لقلوبنا أن ينظرها الآخرون، فإنها ليست وأن من الزجاج، بل هي وأن خرفية. في هذا الطين الذي قد يفسد الذهن يخشى النبي أن يوحد فيه، إذ يقول: نجني من الطين، لكن لا لأوحد" (مز 14:68). خيمة أجسادنا ذاتها يدعوها بولس: "بيت خيمتنا"، فيقول: "لأننا نعلم انه إن نُفض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي" (2 كو 1:5)... ومع هذا فإن كل القديسين يتألقون بمثل هذا البهاء العجيب، ويشوقون بنقلوة فانقة هكذا، حتى إذ يصيروا على شكل الحكمة، لكنهم لا يعادلونها. ولهذا السبب فإن كل القديسين يُحضرون إلى الأرواح الأبدية حتى يصيروا على مثال الله كما هو مكتوب: "إذ أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (1 يو 2:3). ومع هذا مكتوب: "أيها الرب إله القوات، من هو مثلك؟" (مز 89:8، 6). أيضًا: "من سيكون

مثل الله بين أبناء الله". كيف يكونون مثله، ولا يكونون مثله، إلا لأنهم سيكونون مثل هذه الحكمة في الشبه، ولكنهم ليسوا معادلين لها. إنهم مثله، لأنهم يصيرون مطوبين، وليسوا مثله، لأنه هو الخالق، لا يعادلونه حيث أنه غير مُرك، أما هم فكائنات مركبة. لذلك فليقل بعدلٍ: "لا يعادلها الذهب ولا التاج". فإنه مهما بلغ بهاء القديسين ونقاوتهم فيشوقون، فإن هذا يخص البشر بكونهم حكماء في الله، وأما هو فحكمة الله، إنه أمر آخر...
 ولا تبدل بإناء ذهب إبريز" [17]... فالكنيسة لن تستبدل هذه الحكمة بأوانٍ ذهبية ثمينة وسامية، إذ تتمسك بالمسيح ابن الله، ليس كواحدٍ من الأنبياء، بل رب الأنبياء الواحد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يعطي الابن ذاته حتى أنه هو نفسه بكونه البرُّ يُبيل منا الشر، تقدم الحكمة ذاتها لكي ما تحتل موضع الجهالة [1162].

القديس جيروم

لَا يُذَكِّرُ الْمَرْجَانُ أَوْ الْبُلُورُ،
 وَتَحْصِيلُ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِنَ اللَّائِي [18].
 لَا يُعَادِلُهَا يَأْفُوتُ كُوشَ الْأَصْفَرُ،
 وَلَا تُوزَنُ بِالذَّهَبِ الْخَالِصِ [19].

الحكمة هي رب المجد يسوع الذي هو أثنى من كل اللآئى والعوجان والبلور وكل ما هو ثمين.

❖ كثراً ما قلنا إن المسيح هو الحكمة والعدل والسلام والفرح والحنو وما هو بقية ذلك. لتلاحظوا أن أسماء كل هذه الفضائل محبوبة حتى من الذين لا يسعون وراءها. ليس من مجرمٍ يعلن في وقاحة أنه لا يحب الحكمة والعدل [1163].

القديس جيروم

5. حكمة الله المخفية

فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْحِكْمَةُ،
 وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ [20].

كثراً ما يصوخرجال الله طالبين الحكمة من السموي، لأنه من أين تأتي الحكمة وما هو مكان الفهم، سوى من الله السموي؟

❖ إنه يعطي المعرفة لا بكتاب نتعلمه وإنما باستئارة الروح [1164].

الأب أمبروسيا ستر

❖ الذين يصغرون في الجسد تتركين معرفتهم الذاتية هم حكماء في العالم... يصيرون بمحض رادتهم مثل رضع يتعلمون الحكمة التي لا تُقْتنى خلال أتعاب الواسة [1165].

القديس مار اسحق السرياني

❖ إنها تأتي من ذاك الذي تصدر عنه. الآن طويقها مخفي، إذ هي مولودة من غير المنظور الشريك في الألفية مع الآب. عبّر النبي عن "من أين" بقوله: "وجيله من يقصه؟" (إش 8:53). الآن صار مكان الفهم هو عقل الإنسان، الإنسان الذي يملأه حكمة الله ويجعله مقدساً...

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِذْ أُخْفِيَتْ عَنْ عِيُونِ كُلِّ حَيٍّ،
 وَسَوَّتَتْ عَنْ طَيْرِ السَّمَاءِ؟ [21]

شهوة قلب كل مؤمن وكل لاهوتي حقيقي أن يكون من حق المختلرين أن يتمتعوا بروية الله في الحياة الأبدية. هذا ما يعلنه القديس يوحنا الرسول: "لأننا سواءه كما هو" (1 يو 3:2). غير أنه في ذات الرسالة يقول: "الله لم ينظره أحد قط" (1 يو 4:12). ويؤكد الرسول بولس: "ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم وه أحد من الناس ولا يقدر أن واه" (1 تي 6:16). هذا ينير أسئلة كثيرة منها:

1 . هل هذه الروية محفوظة فقط للحياة الأبدية؟ أم يمكن أن تبدأ هنا في خوة داخلية في أعماق النفس؟

2 . هل روية السمائيين لله هي روية لجوهه؟ وهل يتمتع المؤمنون في السماء بروية الجوهر الإلهي؟

لقد كتب القديس يوحنا الذهبي الفم مقالاً بعنوان: "طبيعة الله غير المركبة" [1166]، يُظهر فيها استحالة روية الله في جوهه كما هو. أكدت مجامع القسطنطينية في القرون الرابع عشر (1341، 1351، 1368 م) أن الله لا يمكن الدنو منه من جهة الجوهر، فهو ليس موضوع معرفة الملائكة أو القديسين أو موضوع رؤيتهم، إنما روى هذا الجوهر الإلهي خلال طاقاته الإلهية غير المخلوقة. وقد أفاض الأب غريغوريوس بالاماس في الحديث عن هذه النظرية.

❖ عندما نسمع السوافيم أنهم يطربون حول العرش في سموه ورفعة، يغطون وجوههم بجناحين... ويسترون لجلهم باثنين، ويصيحون بصوت مملوء رعدة، لا تظن أن لهم ريشاً وأرجلاً وأجنحة، فإنهم قوات غير منظورة...

حقاً إن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمت غير مترك، ولا يقدر على الدنو منه، لهذا يتزلزل هو ليظهر بالطريقة التي وردت في الرؤيا. فإن الله لا يحده مكان ولا يجلس على عرش... إنما جلوسه على العرش واحاطته بالقوات السماوية هو من قبيل حبه لهم. إذا ظهر على العرش وأحاطت به هذه القوات لا تقدر على معاينته، ولا احتملت التطلع إلى بهاء نوره، فتغطي أعينها بأجنتها، ولا يعد لها إلا أن تسبح وتترنم بتسابيح مملوءة مجدًا واعدة مقدسة، وبأناشيد عجيبة تشهد لقداسة الجالس على العرش.

[1167]

حوى بذاك الذي يتجاسر ليفحص عناية الله الذي لا تقدر القوات السماوية على لمسها أو التعبير عنها أن يختبئ مختفياً تحت الآكام .

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1168]

❖ انشغل كثير من آباء الكنيسة ومن الدارسين عبر العصور في التعرف عما إذا كان المؤمنون سيرون الله كما هو أم في حدود معينة . إن كانت الحكمة، التي هي الله، مخفية عن عيون الأحياء، فبالتأكيد لا يستطيع أحد القديسين أن روى هذه الحكمة. وإني أسمع يوحنا يتفق مع هذه العبارة: "الله لم وه أحد قط" (يو 18:1).

ولكن عندما أتطلع إلى آباء العهد القديم أتعلم أن كثيرين منهم - كما يشهد تليخ الكتاب المقدس - رأوا الله.

فقد رأى يعقوب الرب وقال: "لأنني نظرت الله وجهًا لوجه" (خر 32:30).

بالمثل رأى موسى الله الذي كُتب عنه: "ويكلم الرب موسى وجهًا لوجه كما يكلم الرجل صاحبه" (خر 33:11).

أيوب نفسه هذا رأى الرب وقال: "بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأيتك عيني" (أي 42:5).

إشعيا النبي رأى الرب وقال: "في سنة وفاة غزيا الملك، رأيت السيد جالسًا على كوسي عالٍ وموقع" (إش 6:1).

رأى ميخا الرب قائلاً: "قد رأيت الرب جالسًا على كوسيه، وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره" (1 مل 19:22).

ماذا إذن يعني هذا أن كثيرين من آباء العهد القديم يشهون أنهم رأوا الله، ومع هذا يُقال بخصوص هذه الحكمة التي هي الله: "أخفيت عن عيون كل حي" (أي 28:21)، ويقول يوحنا: "الله لم وه أحد قط" (يو 18:1)؟ واضح لنا أن نفهم بأننا مادنا نعيش هنا حياة قابلة للموت يمكن روية الله عن طريق ظهورات، أما رؤيته الحقيقية بطبيعته فلا يمكن تحقيقها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الهِلَاكُ وَالْمَوْتُ يَقُولَانِ:

بَادَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا خَوَهَا [22].

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الهلاك والموت يشوان إلى الأرواح الشروية التي تسبب الهلاك والدمار، فقد قيل عن الشيطان "اسمه الموت" (رؤ 6:8). هذه الأرواح لا ترى الحكمة، إذ طردوا من أمامه بسبب كبريائهم، وصلوا عاجزين عن رؤية حكمة الله. "أولئك يكونون بين المتودين على النور، لا يعرفون طوقه، ولا يلبثون في سبله" (اجع أي 13:24).

اللَّهُ يَفْهَمُ طَرِيقَهَا،

وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكَانِهَا [23].

ليس من يعرف الحكمة الإلهي أو الابن إلا الآب، فهو يعرف طريق الحكمة، لأنها مولودة منه زليًا، ليس من انفصال بين الآب والابن. ❖ الحكمة، الشويكة في الألية مع الله، لها طريقها بمعنى ما، ولها مكانها بمعنى آخر... مكان الحكمة هو الآب، ومكان الآب هو الحكمة، وذلك كما تشهد الحكمة نفسها قائلة: "أنا في الآب، والآب في" (يو 10:14).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنَّهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَقَاصِي الْأَرْضِ.

تَحْتَ كُلِّ السَّمَوَاتِ وَي [24].

❖ رؤية الله هي تجديد نعمته للأشياء التي فُقدت وفسدت. لذلك كُتب: "الملك الجالس على كرسي القضاء يفرى بعينه كل شر" (أم 8:20). فيرويته يضع حدًا لشور طيشنا، ويهب تقدوا عظيمًا للنزوح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَجْعَلَ لِلرَّيْحِ وَزْنَا،

وَيُعَايِرَ الْمِيَاهَ بِمِقْيَاسٍ [25].

❖ في الكتاب المقدس يشير بسوعة الريح وخفتها بوجه عام إلى النفوس. وكما يقول موتل الله: "الماشي على أجنحة الريح" (مز 3:104)، بمعنى الذي يسير فوق فضائل النفس. تبعًا لهذا "يجعل للريح وزنا"، بمعنى أن الحكمة التي من فوق تملأ النفوس، فتجعلهم متقلين بالنزوح، وليس بالوزن الذي قيل عنه: "يا بني البشر، إلى متى تنقل قلوبكم" (مز 2:4). فإن الثقل بالمشورة (الصالحه) شيء، والثقل بالخطية شيء آخر، الثقل بالالزام شيء، والثقل بالمعصية شيء آخر...

"ويعاير المياه بمقياس" [25]. تُستخدم المياه في الكتاب المقدس للإشارة إلى الروح القدس، وأحيانًا تُستخدم عن المعرفة الخاطئة، وأحيانًا عن النكبات والشعوب المنجرفة، وأحيانًا عن الذين يتبعون الإيمان. هكذا يشير الماء إلى انسكاب الروح القدس، كما قيل في الإنجيل: "من يؤمن بي كما قال الكتاب، تحوي من بطنه أنهار مياه حية". ويضيف الإنجيلي: "قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو 7:38-39). مرة أخرى يشير الماء إلى المعرفة المقدسة، كما قيل: "يعطيه ماء الحكمة ليشوب" (سواخ 3:15). بالمثل يشير الماء إلى المعرفة الشروية، وذلك كالرواة المذكورة في سليمان والتي تحمل رمزًا للهطقة، والتي تسحر بفنونها المخادعة، فقيل: "المياه المسروقة حلوة" (أم 17:9).

كذلك تعبير "المياه" يشير إلى التجرب، كما يقول الموتل: "تجني يا الله من المياه، فقد بلغت إلى نفسي" (مز 1:69). تشير المياه أيضًا إلى الشعوب كما قيل ببوحنا: "المياه هي شعوب" (رؤ 15:17). هكذا أيضًا ليس فقط مد الشعوب الجلفة، بل وأيضًا أذهان الصالحين الذين يتبعون الكورة بالإيمان، كقول النبي: "طوباكم أيها الؤرعون على كل المياه" (إش 20:32)، وقول الموتل: "صوت الوب على المياه" (مز 29:3).

في هذا الموضوع بماذا يشير لقب "المياه" إلا إلى قلوب المختلين الذين بفهم الحكمة ينالون سماع الصوت السموي؟

لَمَّا جَعَلَ لِلْمَطَرِ فَرِيضَةً،

وَسَبِيلًا لِلصَّوَاعِقِ [26].

❖ يشير بالأمطار إلى أقوال الكارزين، لذلك قيل بموسى: "يهطل كالمطر تعليمي" (تث 2:32). بمعنى عندما يقدمون كلماتي بإقناع لطيف يكون مطراً، وعندما وعدون بأمرٍ مربعة بخصوص الدينونة القادمة يصدرن أصواتاً كالعود القاصفة...
يُفقد سلطان الكلام عندما يكون الصوت غير مؤيدٍ بالعمل. يُقال بالموتل: "وللثوير مالك تحدث بوائضي، وتحمل عهدي على فمك، وأنت قد أبغضت التأديب، وألقيت كلامي خلفك؟" (مز 50: 16-17)... كُتِبَ هذا عن ناموس الكولة: "فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس، هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات، هذه التي كُتِبَ عنها: "يجمعون من ملكوته جميع المعائر وفاعلي الإثم" (مت 41:13). فإنه في الملكوت العلوي يؤم أن تُجمع "المعائر" "خرجاً وتطرح خراجاً... الآن جعل "سبيلاً للعود القاصفة" [26] عندما يقيم اتصالاً بقلوب البشر مضروبة بالفؤع من الدينونة القادمة لكارزيه.

حِينَئِذٍ رَأَاهَا وَأَخْبَرَ بِهَا هَيَّأَهَا،

وَأَيْضًا بَحَثَ عَنْهَا [27].

❖ وي البابا غريغوريوس (الكبير) أنه يليق بنا ملاحظة وجود أربعة أمور بخصوص الحكمة حيث يقول: "حينئذ رآها، وأخبر بها، وهياها، وأيضاً بحث عنها" [27].

❖ واها في كونها "شبه"، ويخبر بها إذ هي "الكلمة"، وبهيئها إذ هي "العلاج"، ويبحث عنها بكونها "مخفية عن البصر". حكمة الله الألية هي صورة الأب وكلمته، عندما يخترقها عقل الإنسان. فمن يريد أن يفهمها بكونها الكلمة بغير زمان، والصورة بغير حد.

يليق بنا أن تمتص حكمة الله كل كيانتنا ومشاعرنا وأحاسيسنا.

❖ إن كان المسيح هو رأس المؤمن، فإن عيني الحكيم في رأسه (جا 2: 14). وبالتالي تتركز كل أحاسيسنا وعقلنا وأفكرنا وكلمتنا ومشوراتنا (إن كنا حكماء) في المسيح [1169].

وَقَالَ لِلِإِنْسَانِ: هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ،

وَالْحَيْدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ [28].

يعلق القديس أغسطينوس على هذه العبارة قائلاً بأن الحكمة اليونانية qeosebeia، والتي تترجم أحياناً "تقوى": "هوذا التقوى هي الحكمة" تعني "التعبد لله". والنقطة الرئيسية في العبادة هي أن النفس لا تكون جاحدة لله. لذلك فإن الذبيحة الممتزة الحقيقية هي تقديم الشكر لله ربنا. الحكمة هي الشكر الداخلي للنفس نحو الله، تعبر عنه بالعبادة الروحية له [1170].

❖ مرة أخرى يؤكد أن من ينسب الحكمة لنفسه لا يكون شاكراً لله، وبالتالي لا يحمل مخافة الرب ولا يكون تقياً، فهو غبي وليس حكيماً [1171].

❖ " هوذا التقوى هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم" (أي 28: 28). هنا التمييز (بين الحكمة والفهم)، إذ يؤم أن نفهم أن الحكمة تخص التأمل، والفهم يخص العمل. ففي هذا الموضع يقصد بالحكمة عبادة الله.... وما هو عبادة الله سوى حب لله، الذي به نشاق أن زاه، ونؤمن ونتوجى أن زاه نسبياً. إذ يحدث لنا تقدم زى كما في مرآة في لغز، ولكن عندئذ تكون الرؤية في وضوح... وأما الحيد عن الشر الذي يقول عنه أيوب أنه

فهم، فهو دون شك يخص الأمور الزمنية. فإنه بالنسبة لؤمن (في هذا العالم) نحن في شرٍ، حيث يؤمننا أن نكف عنه حتى نبلغ الخوات

[\[1172\]](#)
الأبدية

❖ يوجد نوع آخر من الأثوار الذين لما عرفوا الله لم يمجوه كإله، ولا كانوا شاكرين (رو 1:21). في هذا أنا أيضاً سقطت، لكن يمينك رفعتني (مز 35:18)، وحملتني بعيداً، ووضعتني حيث يُمكن شفائي. فأنت قلت للإنسان: "هوذا مخافة الرب التي هي حكمة" (أي 28:28)، ولا تشته أن تبدو حكيمًا (أم 7:3)، لأنهم "بينما هم زعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء" (رو 1:22). لكنني الآن وجدت اللؤلؤة الصالحة حيث كان يؤمني أن أبيع كل شيء وأشتريها (مت 13:46)، لكنني ترددت [\[1173\]](#).

❖ إن كانت المعرفة من النوع المستقيم، فهي وصيفة للحب، فبدون الحب "المعرفة تتفخ" (1 كو 13:8)، ولكن حيث يوجد الحب يملأ القلب بالبنين، فلا تجد المعرفة شيئاً فرغاً يمكن أن تتفخه. أضف إلى هذا أن أيوب يظهر المعرفة النافعة بتعريفه إياها بعد بقوله: "مخافة الرب التي هي الحكمة"، مضيئاً: "والحيدان عن الشر هو الفهم" [\[1174\]](#).

❖ " هوذا عبادة الله هي الحكمة " عندئذ يكون الذهن حكيمًا، لا بنوره الذاتي، بل بالشوكة في ذلك النور السامي، والذي هو أبدي، فيه يملك في الطوبوية [\[1175\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ " هوذا التقوى هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم" [28]. ليس شيء مثل هذا التريب العملي، ليس شيء أقوى من هذه الحكمة. "مخافة الرب بدء الحكمة، ويوجد فهم صالح لمن يملسها" (راجع أم 7:1). هذا هو أعظم الأصول (الموجودات). تكريم الله هو الحكمة السامية.

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ أيها الإنسان رجع إلى نفسك. افحص أسرار قلبك، فإن وجدت أنك تخاف الرب، فواضح بالحقيقة أنك مملوء حكمة... هذه التي هي مخوفة في ذاتها بواسطة الملائكة، هذه الحكمة تُدعى فيك "مخافة الرب". فإنك بالحقيقة تقتني الحكمة إن كنت تخاف الرب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 28

لأفتنيك يا أيها الحكمة الإلهي!

❖ وهبت الإنسان عقلاً، لبيحث ويعمل.
يستطيع بالحكمة البشرية أن يبحث عن المعادن النفيسة،
لكن في غبولة لا يطلب أسرار ملكوت الله.
هب لي أن أكتشف فضة حكمتك الطاهرة،
وأقتني ذهب عيوب الحياة السملوية.

❖ يُخرج الإنسان من التواب والحجارة فضةً وذهبًا.
فلتخرج مني أنا التواب شاهداً لك،
فأصير في عينيك أئمن من كل حجرٍ ثمين!

أنت قادر أن تحول الزّاب إلى السماء.
والقلب الحجري إلى قلبٍ متسعٍ بالحب.

❖ أنت صانع العجائب والمعجزات.
أخرجت من شاول الطرسوسي رسولاً فريداً.
ومن أهل نيفوى الأثوار شعباً تائباً.
ومن الأمم كنيسة مقدسة.
ووجدت من الزّاب إنساناً،
وتقيم من الخاطي الزّابي كائناً شبه ملائكي!

❖ ها أنا بين يديك،
تقيم ملكوتك في داخلي.
تضمني كما إلى صفوف ملائكتك.
لأتلامس مع حبك،
وأتعرف على أسورك الإلهية.
أنت هو الطويق الذي يدخل بي إلى حضن الآب.
أنت غناي وسورتي!

❖ لأقتنيك يا أيها الحكمة الإلهي!
بك أدخل إلى أسوار السماء،
وأتمتع بالشركة في الطبيعة الإلهية.
بك تتفتح عيناى، ورأى ما لم تراه عين.

❖ من أجل اقتناء الثروة، تعلم الإنسان صناعة التعدين.
وبسبب الهوع، تعرف الأسد على طرق الغابات والوري.
ولأجل الشبع، ترى النور الفويسة على أبعاد شاهقة.
ومن أجل الحب أقتنيك، فتقدم لي الأسوار الإلهية الفائقة.

❖ حكمتك قدوة وفائقة.
تدخل بي إلى المستحيلات، وتكشف لي عجائب فائقة!

ترتفع المتواضعين إلى السماء.
تحول الحجرة إلى ولاد لإراهيم!
وتهز أصحاب السلاطين والقوة!
تفيض من قلبي الصخري ينوع مياه حب عذبة!
تجعلني ثميناً جداً في عينيك يا محب البشر!

❖ لأقتنيك يا حكمة الله العجيب.
فأحمل كنز كل حكمة ومعرفة وفهم في داخلي.
أنت كزوي العجيب.
ليس من ذهب ولا فضة ولا حجرة كريمة تُقْلن بك.

❖ هوذا كل الطبيعة بكل إبداعها تصوخ إليّ:
اقتنِ الإبداع نفسه، الجمال ذاته،
خالق الكل ومبدع كل شيء!

❖ يا للعجب أنت مخفي وحاضر.
أسورك مخفية حتى عن الشاروبيم،
إذ يغطون وجوههم من أجل عظمة بهائك!
اخفتني عني إلى زمان، لا لتحرمني منك،
وإنما لتلهب قلبي شوقاً إليك.

تجسدت وقرلت إليّ فأجذك في داخلي!
أنت قريب إليّ جداً!
أعماقي تصوخ إليك:
رُني مجدك!

<<

الأصْحَاحُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

الإنسان الصالح كرمز للمسيا

يكشف أيوب عن الطريق الذي فيه كان يخاف الرب ويحيد عن الشر. لا يفكر أيوب في السعادة المادية وحدها، بل يقدر الصداقة مع الله

[٤-٥]. إنه لم يسيء استخدام السلطة ككثير من الملوك. لقد كان أيوب قاورًا على الثوب من كأس الألم دون أن يفقد سلامه الداخلي وابتسامته.

يبدو أن أيوب توقف عن الحديث إلى لحظات بعد أن تكلم عن الحكمة والفهم في الأصحاح السابق. ولعله توقع أن يقدم أحد أصدقائه تعليقًا ما أو ملاحظات على كلماته. وإذ لم يجنوا ما ينطقون به أكمل حديثه عن حياته، مقدمًا لنا ذكرياته عن ماضيه الذهبي.

1 . سعادته السابقة في الرب 6-1

2. تكريم كل الطبقات له 10-7

3. خدمته للجميع 17-11

4 . آماله في استمرار سعادته 25-18

1 . سعادته السابقة في الرب

وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ فَقَالَ: [1]

يَا لَيْتَنِي كَمَا فِي الشُّهُورِ السَّالِفَةِ،

وَكَالْأَيَّامِ الَّتِي حَفِظَنِي اللَّهُ فِيهَا [2].

هنا زى الإنسان المريض الحزين والحائر يتذكر أيام نجاحه وراحته، ويخبرنا كيف أن الله حفظه، وكان جميع الناس يحترمون، ويقفون له عند خروجه، وجعلوه رئيساً عليهم. أما الآن فإن الناس حتى أذناهم - في نظر المجتمع - يحترقونه ويستهزئون به. يؤكد أنه لم يكن مذنبًا برتكاب خطايا شهوانية، كما لم يظلم المسكين والأرملة، ولم يمسك الطعام عن اليتامى، ولم يفعل أية خطايا سوية. كان يرفض الكذب والغش والظلم والبخل والطمع وعبادة الأصنام والشمامة والشح والرياء والاستغلال الخ. بهذا يعلن عن واعته. لكن هذا ليس عن فضلٍ منه، وإنما بسبب رعاية الله له. فإن سرَّ استقامة حياته هو حفظ الله له.

تطلع أيوب إلى ماضيه وقرنه بما هو عليه، فاشتتهى لو عاد الزمن، وبقي حاله كما كان عليه. وهو في هذا لا ينسب سعادته وغناه ونجاحه لمجهوداته الخاصة، ولا لقواته ومواهبه، بل لرحام الله، قائلاً: "حفظني الله". لم يكن وى في ثروته حصناً له (أم 15:10)، ولا اتكل على كؤة غناه (مز 7:52)، بل كان له "اسم الرب وجًا حصينًا" (أم 10:18). يعترف أيوب أن الله هو سور نار محيط به وسياج يحفظه، الله هو سرُّ أمانه.

❖ "عندئذ استأنف أيوب مقاله الافتتاحي: آه لو كنت على حالي السابق لمدة شهر [1176]". ماذا يقول؟ أود لو أنني أحيًا لمدة شهر في الحياة الصالحة التي كانت لي في الأمانة السابقة لكي أسد أفواهكم، وأظهر لكم ما كنت عليه. يطلب شيئًا واحدًا مثل الشهور والأيام السابقة. لم يطلب شيئًا غير عادي، بل أن يحيا لمدة ثلاثين يومًا في سعادة الأمانة الأخرى، ويتمتع بالخوات التي لم يقدمها له أحد...

لاحظوا تقوى الرجل، فإنه ينسب كل شيء لله. لا يستطيع إنسان محروم من العون العلوي أن يبقى في حياة مستقيمة. يقول: "حفظني الله فيها"، فإن بحثه عن حياته الصالحة السابقة، إنما للشهادة عن عناية الله.

❖ يريد (الرسول بولس) أن يقول إن الله هو ينوع كل الخوات ومصوفاها، ليس في حاجة إلى شريك أو مشير. هو بدء كل الخوات وأساسها وموجدها؛ هو الخالق. دعا غير الموجود موجودًا. يدير كل شيء ويرتبه ويحفظه حسب رادته! [1177]

القديس يوحنا الذهبي الفم

حِينَ أَضَاءَ سِوَا جَهْدِ عَلَى رَأْسِي،

وَبُنْهَرِهِ سَلَكْتُ الظُّلْمَةَ [3].

كان النور المشرق منه هو نور الله الذي أضاء سواجه على رأسه، وكان أيوب أشبه بمنزلة، لا قيمة لها بدون السواج الإلهي. إنه مدين لله

"النور الحقيقي"، الذي قاده وسط الظلمة، يهبه تغويات إلهية وسط الأخوان، ويحفظه من العثرات.

يقدم أيوب بروح التواضع مع الشكر لله نفسه منزلة، مهما كان معدنها، وأيا كان شكلها، فإن سرّ قوتها في النور الذي يُوضع على القمة لكي تهتدي به السفن على بعد أميالٍ كثرة. يعترف أيوب أنه وإن كان منزلة، فإن النور الذي على رأسه، هو نور الله، وليس نوره هو. إنه سواج الرب، النور الحقيقي.

وى داود النبي في كلمة الله "سواجًا لرجله" (مز 119: 5: 1) يضيء له، فيسير وسط ظلمة هذا العالم، أما أيوب فوى في كلمة الله نورًا إلهيًا مثبتًا كما على رأسه ليقود سفنًا كثرة نحو الميناء!

يليق بالمؤمن أن ينحني أمام الله ليملاً حياته بعمل روحه القدس واهب الاستئذلة، فيترنم قائلاً: "بنورك زى نوراً" (مز 26: 9). لم يقل "أعابن"، بل "نعابن"، إذ يستتير المؤمن يجتذب الكثيرين معه للتمتع بالنور الإلهي.

❖ عندما شوح أيوب صلاح أعماله، أضاف: "عندما أضاء السواج على رأسي" (أي 29: 3). هذا السواج الذي يُضاء بزيت الأعمال الصالحة لكل واحدٍ منا. لكننا إن ملرنا شوا، وصلرت أعمالنا شورة، ليس فقط لا نضيء، بل ونطفئ ذاك السواج الذي لنا، ويتحقق قول الكتاب: "من يصنع الشر يسلك في الظلمة، ومن يبغض أخاه فهو في الظلمة" (راجع 1 يو 2: 11). ألا يظهر لكم من يطفئ نور المحبة أنه أطفأ السواج؟ أما من يحب أخاه (راجع 1 يو 4: 21)، فيثبت في نور الحب، ويمكنه في يقين أن يقول: "وأما أنا فشجرة زيتون مثورة في بيت الله" (مز 25: 8)، "بوه مثل غروس الزيتون حول مائدته" (مز 128: 3) [1178].

العلامة أوريجينوس

❖ "بتعبير "سواج" يقصد نور الكتاب المقدس، هذا الذي يقول عنه (بطرس الرسول): "وعدنا الكلمة النبوية وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سواجٍ منيرٍ في موضعٍ مظلمٍ، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم" (2 بط 1: 19). ويقول المرتل: "سواج لوجلي كلامك ونور لسبيلي" (مز 105: 119). الآن لأن الجزء العلوي هو الذهن، والذهن بحق يُلقب بالرأس، لذلك قيل بالمرتل: "تدهن رأسي بدهن" (مز 23: 5)، وكأنه يقول بوضوح: تملأ نفسي بدسم الحب. والآن يشوق السواج على رأس الكنيسة، حيث تنير الوصايا المقدسة ظلمة عقولنا، ففي ظلمة هذه الحياة الحاضرة نتقبل نور كلمة الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ينير الكتاب أعين النفس، فاؤها أيها العاقل، وامتلئ من حبه. فمن قِراءة الأسفار المقدسة تشوق الشمس على العقول التي تتغذى منها بتمييز.

لقد وضع الله الأسفار المقدسة في العالم كسواج نورٍ يضيء ظلمته. فالذي يحب نفسه يستتير بالقِراءة، ويسير على هداها.

اقترّب من الكتاب بحبٍ، تأمل جماله. فإنك لن تستفيد بدون الحب، لأن الحب هو مدخل الفهم.

يفرض الكتاب حبك، فإن كنت لا تحبه فلا تؤاه.

إنه يكلمك، فإن ضجرت من قِراءته حرمك من إيماءاته.

يجب أن تحبه وتفتحه وتؤاه وتتأمل جماله، وإلا فلا تؤاه، لأنك إن كنت لا تحبه لن تستفيد منه.

القديس مار يعقوب السروجي

كَمَا كُنْتُ فِي أَيَّامِ حَرِيفِي،

وَرِضًا اللَّهُ عَلَى خِيَمَتِي [4].

جاء النص كما ورد في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير): "وكان الله يجالسنني في خيمتي". عبرة تكشف عن تواضع الله الفائق، وحبه

العجيب نحو الإنسان! لعلها تشير إلى تجسد الكلمة الإلهي الذي صار كمن في خيمتنا، إذ قبل الناسوت.

تطلع أيوب إلى أيام شبابه، فحسبها أيام خريفه، وقد لمس فيها رضا الله على خيمته. بمعنى آخر أترك أنه في شبابه لم يسلك حسب أهواء الجسد، بل دخل كما في صداقة مع الله، فوجد الله مسوته في خيمة أيوب، يجتمع معه ووعاه ويقوده حتى يعبر به إلى المسكن الأبدي.

❖ "كما كنت في أيام صباي، وكان الله يجالسني في خيمتي" [2]... من يفكر في صمت في وصايا الله، هذا يسكن الله سرّيًا في خيمته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لم يقل أيوب إنه كان يتمتع بعزوبة الحياة في أيام صباه حين كان يجلس مع زوجته وأطفاله الصغار، أو حين كان العظماء يزورونه في خيمته ويكرمونه، لكن ما كان يذكره أن الله كان يظلل على خيمته كابن خاص مدلل، يقول إلى خيمته ليجالسه. صورة رائعة لإنسان الله الذي كل ما يشغله رضا الله عليه، وحب له، وتزله ليجلس معه، يتكلم معه وينصت إليه!

إن كان الله قد أقام من أيوب منزلة تحمل شعلة نور إلهي تهدي السفن إلى الميناء السموي الآمن، فإنه من جانب آخر قد جعل من خيمته سماء ثانية. كأن الله يُسر بأن يقول ليجلس مع محبوبه أيوب!

إن كنا نتطلع إلى أجسادنا كخيام تقطنها النفوس أثناء رحلتها في هذا العالم، فإن الله خالق الجسد لن يستكف منها ولا يُزوي بها، لأنها من عمل يديه. إنه يقدر أجسادنا بكل عواطفها وأحاسيسها وطاقتها، يسكن فيها ويهدها لنتمتع بالمجاد الأبدية الخالدة.

وَالْقَدِيرُ بَعْدَ مَعِي،

وَحَوْلِي غِلْمَانِي [5].

في شبابه شعر أيوب بمحبة الله، وهذا كان سرّ كفايته وشعبه. شعر كمن كان في قصرٍ سمويّ، لا يشغله الغنى ولا الجاه ولا السلطان، لكن مع غلمانه كان الكل في شوكة مع الله رب البيت الحقيقي.

❖ لماذا ترفضون الإقتداء ورجال ونساء العهد القديم القديسين؟ اخبروني! خاصة أنتن أيتها الأمهات، فلنفتكرن في حنة كمثال، أنظرن ماذا فعلت. لقد أحضرت ابنها الوحيد صموئيل إلى الهيكل حينما كان لا زال طفلًا!

من منكن لا تريد أن يكون ابنها مثل صموئيل الذي هو أفضل من ملكٍ على العالم كله روبات الوات؟ تقولين: "هذا مستحيل! فإن ابني لن يكون عظيمًا هكذا مثله! لماذا هذا الأمر مستحيل؟ لأنك بالحقيقة لا تريدين هذا. أودعيه في يديّ ذلك القادر أن يجعله عظيمًا. ومن هو هذا؟ الله! فقد أودعت حنة صموئيل في يدي الله.

لم يكن رئيس الكهنة عالي قاورًا بالحقيقة أن يشكّله، فقد فشل في تشكيل ابنه. إنه إيمان الأم وغرتها جعل كل شيء ممكنًا. لقد كان ابنها البكر والوحيد. لم تكن تعرف هل سيكون لها ابن آخر غوه، ومع هذا لم تقل قط: "سأنتظر حتى يكبر، وينوق مباحج العالم، على الأقل في صوته". لا، فقد رفضت مثل هذه الأفكار كلها. كان لها هدف واحد، كيف استطاعت من البدء أن تكوس بهجة قلبها لله.

لتخرجوا أيها الرجال أمام حكمة هذه المرأة. لقد قدمت صموئيل لله، وعند الرب تركته. بهذا تبرك زواجها بالأكثر، لأن غايتها الأولى هي الأمور الروحية. كوست بكررحمها الله، فنالت بعد ذلك أبناء كثيرين. لقد رأت صموئيل مكرّمًا حتى في هذه الحياة.

إن كان الناس يودون التكريم بالتكريم، أما يود الله بالأكثر لمن يكومه؟ إنه يعطي الكثير جدًا حتى للذين لا يكومونه نهائيًا!

إلى متى نبقى هكذا ككتلٍ جسدية؟ إلى متى نلتصق بالأرض؟ ليصر كل شيء في المرتبة التالية بعد اهتمامنا بولادنا، فربهم في تعليم الرب

[1179]

وإنزله (أف 6: 4)

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِذْ عَسَلْتُ خَطَوَاتِي بِاللَّبَنِ،

وَالصَّخْرُ سَكَبَ لِي جَدَاوِلَ زَيْتٍ [6].

وهبه الله كل شيء بفيض، فمن كثرة الأغنام خُيل إليه أنه كمن يغسل قدميه باللبن، ومن فيض ثمار أشجار الزيتون حسب كأن الصخور المحيطة به تفيض زيتاً.

إلى أي شيء يشير غسل خطوات الإنسان باللبن أو الدسم، وسكب الصخور له جداول زيت، سوى إلى شعور بالمؤمن بالشبع الداخلي، فتصير له جداول لبن يغسل فيها قدميه، وداول زيت، فلا يدهن بمسحة زيت أعضاء نفسه فحسب، بل ويصير كمن غطست نفسه وسُحبت في جداول زيت مقدس. يشير هنا إلى معصوة أثير الحجرية، حيث يفيض منها الزيت كنهراً. وأخرى أنه لهم كازيت يقول السيد الرب" (حز 32: 14). جاء في نشيد موسى قبل انتقاله: "وَأَرْضُهُ عَسَلًا مِنْ حَجَرٍ، وَزَيْتًا مِنْ صَوَانِ الصَّخْرِ" (تث 32: 13).

يَتَوَرَّمُ الْمَوْتَلُ قَائِلًا: "أَعَيْنُ الْكَلِّ تَوَجَّحَتْ، وَأَنْتِ تَعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ. تَفْتَحُ يَدَيْكَ فَتُسَبِّحُ كُلَّ حَيٍّ مِنْ رِضَاكَ" (مز 145: 15-16). هذا وإذ يشير أيوب إلى الكنيسة، فإنها إذ تركز بإنجيل المسيح تقدم للعالم فيضاً وشبعاً داخلياً. إنها كُرَّةٌ بالمصلوب الموفوض من العالم، لكن فيه كل كنوز العلم والمعرفة، فيه كل كنوز السماء!

❖ "إِذْ غَسَلْتُ قَدَمِي بِالزَّيْتِ" [1180] "... تَغْسَلُ الْأَقْدَامَ بِالزَّيْتِ حَيْثُ يَمْتَلِئُ الْكَارِزُونَ الْقَدِيسُونَ بِدَسْمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

" وَالصَّخْرُ يَفِيضُ بِي أَنْهَرًا مِنَ الزَّيْتِ" [6]. [يقصد بالصخرة المسيح، حيث يؤكد الكارز العظيم "والصخرة كانت المسيح" (1 كو 4: 10)]. هذه الصخرة تفيض الآن أنهار زيت، تستخدمها الكنيسة المقدسة، إذ يتكلم فيها الرب، ويقدم الكُرَّةُ بالدهن الداخلي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أما تريدون الشبع؟ وكيف يكون ذلك؟! يشتاق الجسد إلى الشبع، لكن يعود إليه الروع موة أخرى بعد الهضم، لذلك يقول السيد المسيح: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً" (لو 4: 13).

إذن ليتنا نروع ونعطش إلى البر، لكي نشبع منه... ليت إنساننا الداخلي يروع ويعطش حتى يكون له الطعام والشباب المناسبان له. لقد قال (الرب): "أنا هو الخبز الذي قول من السماء" (يو 6: 41). هذا هو خبز الجيع!

ليتنا نشاق أيضاً إلى الثوب كالظمأى، "لأن عندك ينوع الحياة" (مز 36: 9).

الشيخ الروحاني

❖ آه! إنني لن أشبع إلا عندما يتجلى مجدك قدامي! نعم يا إلهي. فأنت وحدك القادر أن تعيد لي حياتي السعيدة.

لك أعترف ببؤسي، وذلك عند رحيل اليوم الذي كنت فيه غرقاً بين أباطيل العالم المتعددة، محروماً منك أنت موضوع حبي الوحيد. ذلك اليوم الذي فيه كانت أشواقي الجسدية مشتتة في المباهج الخادعة. وما أكثر هذه المباهج تلك التي تحمل في بهجتها أتعاباً لا حصر لها؟! هذه المباهج وعدنتي بأمر كثرة، ومع ذلك فهي لم تجلب عليّ سوى الفقر. انتقلت من واحدة إلى أخرى لعل إحداها تقدر أن تشبع نفسي، لكنّها عجزت، إذ لم تكن نفسي تحيا بعد إلا فيك!

حقاً، إن فيك الجمال، يا من وحدك سومدي، وسام، وكامل على النوام! من يفتني آثرك لن يضل قط! من يبلغ إليك لا يلحقه بأس!

من يمتلكك تشبع كل رغباته! لكن يا لبشاعة بؤسي! ويحي يا إلهي، فإن قلبي يميل إلى الهروب منك؛ أنت أيها الغنى الحقيقي والنوح الحقيقي، لكي يتبع العالم الذي ليس فيه إلا الحزن والألم.

القديس أغسطينوس

2. تكريم كل الطبقات له

حِينَ كُنْتُ أَخْرُجُ إِلَى الْبَابِ فِي الْقَرْيَةِ،

وَأَهْبَى فِي السَّاحَةِ مَجْلِسِي [7].

سعادته الفائقة في بيته لم تشغله عن الاهتمام بالآخرين، فكان يخرج إلى باب المدينة لوأس مجلس القضاء، ليس حباً في العظمة، بل من أجل تمتع الكل بالعدالة، ورفع روح الظلم عن المتألمين.

❖ " حيث كنت أخرج إلى باب المدينة، وفي الطريق أعنوا لي كرسياً [1181] ... كانت العادة لدى القدامى أن يجلس الشيوخ عند الأبواب، ويقضون في قضايا الداخلين إلى المدينة، حتى يكون الشعب في المدينة في أمان، فلا يُسمح للذين على خلاف أن يدخلوها. الآن إذ نوقر التفسير التريخي نذكر أن أبوب فعل هذا كله من أجل حفظ العدالة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

رَأَى الْغُلَمَانُ فَاخْتَبَأُوا،

وَالْأَشْيَاخُ قَامُوا وَوَقَفُوا [8].

كانت له رهبة عظيمة، فكان يخشاه السالكون في غير نزوج كغلمانٍ مستهوتين. هؤلاء كانوا يرونه فيختبئون منه، حتى لا تنفضح شهورهم. أما الذين سلكوا كشوخٍ مختوبين حكما، فكانوا يقفون في إجلالٍ وتوقيرٍ له. وكما يقول الرسول: "وأما الشيوخ المدبرون حسناً، فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة" (1 تي 17:5). "فأعطوا الجميع حقوقهم... الخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام" (رو 7:13).

❖ " رأَى الْغُلَمَانُ فَاخْتَبَأُوا، وَالشُّبُوحُ يَقْفُونَ مَنْتَصِبِينَ [8]. إن تطلعنا إلى التفسير التريخي نصدق ما يقوله. إن أخذنا ما قاله بمعنى رمزي، فإن الذين لم تنتقل نفوسهم بنقل المشورات يُدعون "غلماناً". عادة ما يدعو الكتاب المقدس الذين لهم وزن (خوة في الماضي) في شخصياتهم بأنهم شيوخ، ليس فقط بكونهم صاروا ناضجين خلال الكم من السنوات... يقول أحد الحكماء: "لأن الشيوخة المكرمة لا تقوم على كثرة الأيام، ولا تقاس بعدد السنين. ولكن شيب الإنسان هو الفهم، وسن الشيخوخة هي الحياة التي بلا عيب" (حك 4:8-9)...

الآن "رى الغلمان" الكنيسة المقدسة ويختبئون، ويقوم الشيوخ وينتصبون، لأن غير الناضجين يخشون نشاطها واستقامتها، والشيوخ يمجدونها. التافهون في الفكر يهربون، وأما الجانور والكاملون فيبتنون عليها بالارتفاع للتأهل لحياتها. الناقصون يلومون نظامها وحبها الكامل. "الغلمان يرونها ويختفون"، لأنهم يخشون أن يُكتشف سلوكهم الخفي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

الْعُظْمَاءُ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ،

وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ [9].

صَوْتُ الشُّرَفَاءِ اخْتَفَى،

وَلَصِقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِأَحْنَاكِهِمْ [10].

كان لأبوب شخصيته القوية القائمة على حكمته وقدراته ومواهبه، فكان موضع تكريم العظماء والشرفاء. ففي حضرته يصمت الكل ليصغوا إليه، وينتفوا بحكمته وخبرته الفائقة. ولعل العظماء والشرفاء إذا ما تتلوا في أمرٍ أو اختلفوا في الرأي يجنون الحل الحاسم لدى أبوب.

❖ " الْعُظْمَاءُ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ. يتخافت صوت الرؤساء، وتلصق ألسنتهم بأحناكهم" [9-10]. من هم هؤلاء الذين يفهمون هنا بأنهم قادة أو شرفاء إلا الذين يبثون شريراً هطوقية؟ قيل عن هؤلاء بالمرتل: "يسكب هائناً على رؤساء، ويصلهم في تيه بلا طويق" (مز 107:40). فإن مثل هؤلاء الأشخاص لا يخشون من تفسير تدبير الله بمعنى خاطئ، وبالتأكيد يجتذبون القطعان الخاضعة لهم إلى تيه بلا طويق، وليس في الطويق الذي هو المسيح. على هؤلاء ينسكب بحق الهوان (الزواج)، عندئذ يكونون كمن يضعون أصابعهم على أفواههم....

يلتصق لسانهم بفمهم، إذ لا يجسرون أن ينطقوا بما هو شرير، بمنطوقات غير منصبطة، لكن يغطون كل ما يفعلونه في داخلهم لكي لا يفتقروا ما هو غير حقٍ ضد الإيمان الحقيقي... " يتخافت صوت الرؤساء، وتلصق ألسنتهم بأفواههم ". وكان الكنيسة تقول بوضوح: حين تُعطي لي فوصة للكرلة بصوتٍ علنيٍ عالٍ، وهبني كل إنسانٍ غير خاضعٍ للحق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بقدر ما يهب الله ولأده كرامة، يخشون السقوط في الكرياء، فيعملون بروح التواضع، ولكن لا يتخلفون عن العمل بغوة متقدمة. إن ظهرت أعمالهم فلمجد الله، وإن اختفت فلحفظهم في حصن التواضع المملوء أماناً.

❖ من علامات القديسين أن يخفوا ما صنعوه من أعمال صالحة، لئلا يجلوا على أنفسهم السقوط في الافتخار. لذلك يقول الحق: "احتزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكي ينظروكم" (مت 6:1). هكذا أيضاً إذ وهب نوراً للأعميين الجالسين على الطريق أوهما قائلاً: "انظروا، لا يعلم أحد" (مت 9:30). وقد قيل عنهما إنهما "خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها"... يليق بهما أن يختفيا لتحقيق هدف ما، وأن يعلننا ذلك عن ضرورة. ليكن اختفؤهما لأجل حفظ نفسيهما، وليكن إعلانهما لأجل نفع الآخرين. لهذا كُتب: "لا يوقنون سواجاً، ويضعونه تحت المكيال، بل على المنزلة، فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت 5:15-16). توجد أوقات يلتزم فيها قديسون أن يملسوا أعمالاً صالحة حتى في حضور زملائهم المخلوقين، أو يقولوا لهم عما يفعلونه، ولكن ليس بهدف أن يتمجدوا بهذه الأعمال، بل يتمجد أروهم الذي في السموات...

لهذا يتجنب الكارزون الصالحون الكرامة، ومع ذلك يرغبون في أن يُكرموا لكي يقتدي الآخرون بهم.

بنفس الطريقة بالتأكيد عندما كان يتكلم الرسول بولس مع تلاميذه كان يهرب من الكرامة، ومع ذلك يُظهر كيف يستحق أن يُكرم جداً. إذ قال لأهل تسالونيكي: "لسنا نطلب مجداً من الناس، لا منكم، ولا من غيركم، مع أننا قادرون أن نكون في وقارٍ كرسل المسيح، بل كنا متوقفين في وسطكم" (1 تس 2:6-7). مرة أخرى في رسالته إلى أهل كورنثوس إذ تجنب الكرامة يقول: "فإننا لسنا نركز بأنفسنا، بل بالمسيح" (2 كو 5:4)... لهذا أظهر بطريقة مدهشة نعمة التواضع، وطلب فيض من المنفعة، كمن يعلن عن نفسه أنه خادم تلاميذه، ويوهن أنه أفضل من أعدائه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. خدمته للجميع

لأنَّ الأذنَ سَمِعَتْ فَطَوَّبْتَنِي.

وَالْعَيْنَ رَأَتْ فَشَهِدَتْ لِي [11].

لا تقوم هذه الكرامة على غناه، ولا على سلطانه، وإنما على سلوكه العملي، فالكل شهوا له خلال سماع الأذن لحكمته وأحكامه، ورؤية العين لحبه وحنانه. لقد كان يتمثل بالله العادل المحب للبشر، فشهد الكل له.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) في شخص أيوب الطوبوي رهواً للكنيسة المطوبة، فإن الكنيسة لها تقديها وتكريمها وتطويها من كل الذين يسمعون لها، ويرون حياتها المقدسة. تبقى الكنيسة مُضطهدة من المقاومين، لكنها مطوبة ومهوبة ومكرمة.

لأنِّي أَنْقَذْتُ الْمُسْكِينِ الْمُسْتَعِيثِ،

وَالْيَتِيمِ وَلَا مُعِينٍ لَهُ [12].

تطويب الكل له يقوم على أعمال محبته، فلم يكن يستريح حتى يجد المسكين راحته، ولا يلذ له طعام حتى يجد اليتيم فيه عوناً له.

يطالبنا القديس باسيليوس الكبير أن نتمثل بأيوب البار الذي صار أباً للأيتام ومعيناً لهم (أي 29:12). وقد قدم مفهوماً روحياً عميقاً لهذا العمل الأوي. فتنبي الأيتام لا يقف عند مساندتهم مادياً، وإنما يمتد لاحتضان الصغار لتكريس قلوبهم وحياتهم للرب. ففي إجابته على السؤال: "في أي عمر يُسمح للشخص أن يكوس نفسه لله، وفي أي وقت يحسب نذر البتولية آمناً؟ يجيب هكذا: [إمام الرب يقول: "دعوا الأولاد يأتون إليّ" (مز 10:14)، ويمتدح الرسول من يعرف الكتاب المقدس من طفولته (2 تي 3:15)، ومن يوجه أطفاله أن يُبوا "بتأديب الرب وإنذاره" (أف 6:4)، بيدو لنا كل أوقات الحياة، حتى المبكرة جداً مناسبة للقبول للتلمذة (الوهبانية). حقاً يؤمننا أن نقبل أولئك الأولاد المحرومين من والديهم تحت رعايتنا، فنصير آباءاً للأيتام، مقتدين بأيوب (أي 29:12) [1182].

❖ ليوضح لماذا يعلنون أنه مطوب. يقتبس أعماله الصالحة، قائلاً: "لأنِّي أَنْقَذْتُ الْمُسْتَعِيثِ مِنْ يَدِ الْمَضايِقِينَ"، لكن يأتي هذا بعد أن ينسب الاستحقاق لله أولاً الذي حفظه وصانه حتى يمجد الرب (1 كو 1:31).

❖ أنظروا إنه لا يفتخر بأنه حاد عن الشر، ولا أنه قدم ذبائح كما فعل اليهود، إنما يفتخر أنه يتم ما يريده الله (إنقاذ المساكين). يقول: "اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة" (إش 17:1). لاحظوا إنه لا يستبد بسلطانه، إنما يستخدمه متى كانت هناك حاجة إليه. كان أباً ومدافعاً عن الجميع. لم يستخدم

غناه في الظلم، ولا مجده للافتخار، ولا حكمته للشر، بل أن ينفذ الذين تتقوا من ضغط الأثوار.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن، تُظهر الكنيسة المقدسة أعمال الحنو هذه من الجانب المادي، كما لا تكف عن إظهارها روحياً. إذ تتفقد المسكين الذي يصوخ، عندما تصفح عن الخطايا التي يرتكبها الخاطي، ويطلب الصفح عنها. قيل عن هذا المسكين: "طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السموات" (مت 5:3). صوخة مثل هؤلاء المساكين هي صوخة القائلين بصوت الموتل: "لنتقدمنا مراحمك سويغاً، لأننا قد صونا مساكين جداً" (مز 8:79).
الآن تتفقد "اليتيم الذي لا معين له"، حيث يهرب كل واحدٍ من شهوات العالم المضطهد... ويجرى إلى حضن الكنيسة المقدسة، فيجد فيها عون النصح. ربما يفهم بـ "اليتيم" أي مؤمن فبالموت عن الآب الصالح (يصير يتيمًا)، حيث يحرم منه إلى حين، ولا يُحرم من السلوان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بِرَكَّةِ الْهَالِكِ حَلَّتْ عَلَيَّ،

وَجَعَلْتُ قَلْبَ الْأُمَّةِ يُسْرًا [13].

كان الذين تحت ضغوط مدمرة يجنون نجاتهم فيه، فينجون، وتحل بركتهم عليه، إذ لا يكفون عن الدعاء له، وكانت قلوب الأمل المنكسرة تُسر وتبتهج بأعمال محبته وحنوه.

إن كان الله ينسب نفسه للموتولين والمحتاجين ومنكسري القلوب بكونه أب اليتامى وقاضي الأمل، فإن أيوب وجد مسوته في الاهتمام بكل هذه الفئات المتألّمة.

❖ كم قدر القديس أيوب سمو الموت، إذ قال: "لتحل بركة ذلك الذي اقترب إلى الموت عليّ" (أي 29:13) ... إن رأينا أي فقير في لحظة الموت، فلنعينه على نفقتنا. ليقبل كل شخص: "لتحل بركة الشخص الذي قرب الموت عليّ". إن رأينا أحداً في ضعف لا تتخلى عنه. إن رأينا أحداً في آلامه الأخوة، لا نتركه... ليت كل شخصٍ وهو يموت يمدحك؛ كل شخصٍ يموت عن شيخوخة أو مصاباً بوجح خطير أو يعاني من مرضٍ، وهو في لحظة الموت. هذه العبارة جلبت بركة لكثيرين جداً... لتكن آخر كلمات ينطق بها الشخص قبل موته هي أن يردد اسمك، وإذ تفرق نفسه جسده تحل بركته عليك [1183].

❖ إذا كان من واجبنا أن نقدم الرحمة للجميع، ألا يلزمنا بالأولى أن نقدمها لذلك الصالح (المؤمن الذي يعاني من السجن)؟! وإن لم ينل منك شيئاً وقت الخطر حين يُقاد للموت، فتظن أن أموالك أفضل من حياة الرجل الذي يموت، أية خطية ترتكبها! لذلك ينطق أيوب بقوله الرائع: "بركة ذلك الذي في طريقه للهلاك والموت فتحل عليّ" (أي 29:13) [1184].

القديس أمبروسيوس

❖ و"بركة الهالك" حلت عليها (أي على الكنيسة المهتمة بخلصه)، حينما تتوقع هلاك الخاطي، وبنصائحها المقدسة توده من حوة الخطية. مكتوب هكذا: "من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفسه من الموت، ويستتر كثرة من الخطايا" (يع 5:20). إنه لأمر يستحق مكافأة عظيمة أن تُخلص من موت الجسد، هذا الذي سيموت إن آجلاً أو عاجلاً، فكم بالأكثر يستحق من يحرر نفسه من الموت، لتعيش في المدينة السماوية بغير نهاية؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَبَسْتُ الْبِرَّ فَكَسَانِي.

كَجَبَّةٍ وَعَمَامَةٍ كَانِ عَذْلِي [14].

لم تكن تصوفاته الحانية - إذ لم يسمح لأحدٍ أن يُظلم أو يُهان، ولا لمحتاجٍ أن يُذلل - تمثل بوراً معيناً يلتزم به، بل كانت ثوبه الذي لم يخلعه. لقد حسب هذه الأعمال ليست أمراً ثانوياً في حياته، بل هي أمر ضروري، بدونها يتعوى أمام الله نفسه، فوجع إلى حال أبويه آدم وحواء، وهما يستظلمان تحت التينة في خوفٍ واعدةٍ، مع عويٍ وخرٍ!

حسب أعمال البر ليست هبة منه يمنحها للغير، بل عطية إلهية تكسوه بالمجد. إنها عمامة (إكليل) ملوكية! لم يكن يلبس تاج الملوكية للافتخار والكرامة، إنما كان تاجه هو العدالة والرحمة. لم تكن كرامته في الثوب الملوكي الأجراني ولا التاج ولا الصولجان لكن كرامته ودفنه في ثوب البر وإكليل الحق.

❖ **وى القديس يوحنا الذهبي الفم** أن أيوب لبس البر كعباءة، أو كمن يرتدي ثوب القاضي. ليس من أحدٍ قام بتعيينه قاضيًا للناس، لكن حياته الفاضلة المقدسة دفعته لهذا العمل، وأخضعت الناس لقبول حكمه في القضايا بوضا. كما أن حياة موسى الفاضلة هيأته للعمل القيادي، هكذا بالنسبة لأيوب، فإن مملسته للعمل القضائي جاء طبيعيًا من حياته الفاضلة.

❖ **يقول: لبست البر** "، فإنه يوجد أشخاص لهم مكانة أعظم من غوهم، لكنهم كثرة ما يملسون الظلم. لم يكن هذا حال أيوب، إذ عاش على النوام في طريق البر.

" **لبست البر مثل عباءة** "، أي هو حلتي للترين. البعض يستاعون من هذا العمل، يتذمرون ويشعرون أنه عمل موهق وشاق، لكنني أنا لست هكذا... ومع هذا من أقامه كقاضٍ؟ هذا صادر عن شخصه، بسبب فضيلته، وذلك كموسى. هذا ما يليق أن يكون عليه الرجال. أما من يجدد الفضيلة، فيجعل عليه ولاة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **نلتزم بإدانة أنفسنا، حتى عندما يكون الأمر ضدنا يتحول لصالحنا، إذ نصير متهمين لأنفسنا، ندين خطايانا.** ويقول الكتاب: "الصديق يتهم نفسه في بدء حديثه" (راجع أم 18: 17). وأيضًا يقول: "لبست البر فكساني كجبة" (أي 29: 14). عادة ما يكون ثوبنا الحالي بلاشك عدة مسلحة للحرب عن أن يكون ثوبًا للسلام، مادمنًا لا زال نخضع للشهوة، لكن الأمر يختلف عندما يتبدد آخر عدو لنا، ويكون برناً كاملاً وتامًا ون وجود عدو يتعرش بنا [1185].

القديس أغسطينوس

❖ **الإنسان الذي رآد أن يؤذى يعقوب لم يكن قاورًا أن يرسله فرغًا (تك 29: 31).** لأن الشخص الحكيم لن يكون فرغًا قط، بل دائمًا يرتدي ثوب التعقل، وقادر أن يقول: "أكتسي بالبر، وأرتدي بالعدل" (أي 29: 14) كما قال أيوب. بالحق هذه هي السرة الداخلية للروح، ولا يستطيع أحد أن يزوعها ما لم يخلعها الإنسان نفسه بتصوفه المخطئ. بالحق وجد آدم عليًا ومجردًا (تك 3: 10-11)، بينما لم يوجد يوسف عليًا حتى عندما خُلع منه ثوبه الخلجي، إذ كان ملتحفًا بثوب الفضيلة الآمن. لهذا لن يوجد الحكيم فرغًا. كيف يمكن أن يكون فرغًا؟ نفسه في ملء، إذ تُحرس في الثياب التي قبلتها [1186].

القديس أمبروسيو

❖ **الطريق إلى الحكمة ليس مثل إنسان يخرج من الماء إلى الهواء، فإنه في اللحظة التي يصعد فيها على وجه الماء يتنفس فجأة بحرية، وإنما كإنسان يخرج من الظلمة إلى النور، هذا الذي يشرق عليه النور تدريجيًا كلما تقدم. فمادام هذا لا يتحقق بالكامل نتكلم عن الإنسان كمن يتمتع بالنور تدريجيًا. إذ يقترب من مدخل الكهف، فأني نور يقتنيه يصدر عن النور الذي يتقدم فيه، وما يتبقى من الظلام فيه يصدر عن الظلام الذي يتوكله. لهذا فبحق في نظر الله "لا يتبرر حي" (مز 143: 2). ومع هذا فإن "البار بالإيمان يحيا" (حب 2: 4). فمن جانب يلبس القديسون البر، ومن جانب آخر، لا يعيش أحد بلا خطية تمامًا. يخطئ البعض كثرةً والآخر أقل، وأفضل البشر من يخطئ أقل جدًّا [1187].**

القديس أغسطينوس

❖ **"لبست البر فكان لباسي" [14].** بالتأكيد عندما يرتدي ثوبًا نكون محوطين من كل جانب. هكذا يرتدي بالبر كما بثوبٍ من يدافع عن نفسه من كل جانب بالممارسة الصالحة، ولا يتوكل جزءًا ما من سلوكه موعى للخطية. فمن كان برًا في بعض الأعمال، وظالمًا في أخرى يكون كمن غطى جانبًا

وترك الجانب الآخر عرياناً. الأعمال الصالحة التي تتدنس بعد ذلك بأفعالٍ شوية لا تنتج صلاحاً. فقد قيل بسليمان: "من يعصى في أمرٍ واحدٍ يخسر الكثير من الأمور الصالحة" (جا 18:9 الفولجاتا). ويقول يعقوب: "لأن من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار محرماً في الكل" (يع 10:2). وقد شوح باجتهاد هذه العبارة بإضافته: "لأن الذي قال لا تَرِن... قال أيضاً لا تقتل، فإن لم تَرِن ولكن قتلت، فقد صوت متعدياً للناموس". هكذا نتطلع بعيني القلب إلى كل الاتجاهات، فنكون حريصين بكل اجتهاد في كل جانبٍ. لذلك بحقٍ قيل أيضاً بسليمان: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخرج الحياة" (أم 23:4). فقبل التحفظ أضاف أولاً "كل". بالتأكيد يليق بكل أحدٍ أن يفحص نفسه باجتهادٍ من هذا الجانب وذاك الجانب. ومادام هو في هذه الحياة يعرف أنه موضوع في معركة يخوض فيها ضد أعداء روحيين، لئلا يفقد المكافأة التي ينالها خلال مجموعة معينة من الأعمال بمجموعة أخرى. لئلا من جانب يسد الباب في وجه العدو، لكنه يفتح باباً له من جانب آخر. فإنه إن كانت مدينة ما بمتريس واقية عظيمة ضد أعداء مخادعين، ومحصنة بأسوارٍ قوية، ويحميها حرس لا ينامون من كل جانب، لكن وُجِدَت فتحةٌ وحيدة غير محصنة وذلك خلال الإهمال، فإن العدو بالتأكد يدخل...

فذاك الفريسي الذي صعد إلى الهيكل ليصلي، لنسمع كيف كان لمدينة نفسه حصون، إذ يقول: "أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه". ذاك الذي يقول: "أشكوك" بالتأكد وضع حصوناً غير عادية. ولكن لننظر أين ترك فتحة بلا دفاع تجاه خطط العدو. "إني لست مثل هذا العشار" (لو 11:12-18). ها أنتم ترون كيف فتح مدينة قلبه لخطط العدو خلال مديحه لنفسه، المدينة التي عبثاً أحكم إغلاقها بالصوم والصدقة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

كُنْتُ عَيْونًا لِلْعَمَى،

وَرُجُلًا لِلْوَج [15].

وهبه الله أن يكون عيوناً للعميان، حيث يقدم مشورة الصالحة لمن هم في حوة. وكان رجلاً للوج، حيث لا يقف الأمر عند تقديم النصيحة، بل بالحب يحل الكل ليكون رجلاً تقود الوج في طريق الحق، فيبلغ بهم عملياً إلى الحياة المتهلهة في الرب.

❖ " كنت عيوناً للعمى ورجلاً للوج" [15]. لم يقل قد خفت من أوزانهم، ولا كتمت شعورهم بالعمى، بل "كنت عيونهم"... في كل موضع حولت لهم الظلمة إلى نور.

القدس يوحنا الذهبي الفم

❖ بقوله هذه الأمور أشار بطريقة حتمية أنه كان يبسط يده للواحد، وكان يحمل الآخر...

❖ بالكرة تنير الكنيسة العميان، بينما تسند الوج بمعونتها لهم. فإن الأعمى هو ذاك الذي لا يرى إلى أين هو ذاهب، والأوج هو ذاك الذي ليس له القوة أن يذهب إلى الموضع الذي راه. غالباً ما تُرتكب الخطية، إما بالجهل (العمى) أو الضعف (الوج)؛ فإما لا يعرف الإنسان ما يؤزم أن يشتبهه، أو لا يقدر أن يفعل كل ما يشتبهه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَبٌ أَنَا لِلْفُؤَاءِ،

وَدَعَوَى لَمْ أَعْرِفْهَا فَحَصَّنْتُ عَنْهَا [16].

لم يكن مدافعاً عن الفؤاء وسخياً معهم فحسب، وإنما قدم أبوة صادقة، فلم يستكف كملكٍ أن يدعو نفسه أباً للفؤاء. إذا قُدمت له قضية لا يتسوع في الحكم، بل يهتم بالاستماع إلى كل الأطراف، وفحص كل الحوانب بدقة، فلا يجيب على أمرٍ قبل أن يسمعه (أم 13:18)، ولا يصدر الحكم لأول وهله لمجرد المنظر. "الأول في دعواه محق، فيأتي رفيقه ويفحصه" (أم 17:18).

خلال أبوة أيوب الحانية لم يكن يهتم فقط بمن يسأله أن ينقذه من الظلم، وإنما يهتم أيضاً بمن لا يسأله. يجد لذته في البحث عن النفوس المحطمة

لإتقادها ، فيفحص الدعوى التي لم تُقدم له ولا عرفها.

ربما يتساءل شخص ما: إن كنا نود أن نحمل نوعًا من الحنو أو الأوبة نحو الآخرين فهل نهتم بأمرهم الجسدية، بينما طلب السيد المسيح ممن دعاه للعمل معه أن يترك الموتى يدفنون موتاهم، ويتوغل هو للخدمة الروحية (لو 9:60). يجيب البابا غريغوريوس (الكبير) على هذا التساؤل قائلًا: [فوق كل شيء يؤرم على الذين يشترقون بالمواهب الروحية ألا يتجاهلوا تمامًا شئون إخوانهم الضعفاء، بل يؤمهم أن يعهوا بهذا الأمر إلى آخرين لكي يدوه من يناسبهم ذلك].

❖ حقًا، طوبى لذاك الذي لا يُخرج المسكين من بيته فلوغ اليدين. ليس من هو أكثر طوبوية من ذاك الذي يشعر باحتياجات الفقراء وضيقات الضعفاء والعاجزين. ففي يوم الدينونة ينال الخلاص من الرب، الذي يحسب نفسه مدينًا له من أجل أعمال الرحمة التي أظهرها [1188].

القدس أمبروسيوس

❖ " ودعوى لم أعرفها فحصت عنها" [16] . أنظروا فإن دوره كمحامي (منقذ) لا يقوم على تقديم أموال فقط أو طعامٍ أو ملابسٍ، بل يمتد إلى حفظهم من المخاطر أيضًا. في معركة لا تخصني أحتل الموقف الأمامي. في الأمر الذي يهمني أبحث كصيادٍ ماهرٍ. إنه ليس في الأمور المعروفة لدي... رفضت أن أتخلى عنها كما يفعل البعض اليوم، وليس فقط لأرفض الحاضرين، بل وحتى إن لم يوجد أحد يبحث عنه أبحث أنا عنه، وكأن عملي هو التتقيب. فأعمل باستتوار لألاحظ بكل حرصٍ إن كان أحد قد طُغي عليه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لكن إن أراد أحد أن يتعلم كيف ندعو الله "أبًا" فليصغ إلى موسى المعلم الممتاز، إذ يقول "أليس هذا هو أباك ومقتنيك، هو عمك وأنشأك؟! (تث 6:32) (وأيضًا إشعياء النبي يقول: "والآن يارب أنت أبونا نحن الطين... وكلنا عمل يديك" (إش 8:64) . لقد أعلنت العطية النبوية في أكثر وضوح أننا لا ندعوه أبًا حسب الطبيعة، بل بعمل نعمة الله بالتبني.

ولكي نتعلم بأكثر تدقيق من الكتاب المقدس الإلهي أنه ليس فقط يُدعى "أبًا" من هو أب طبيعي بل وغوه أيضًا، اسمع ماذا يقول الرسول؟ "لأنه وإن كان لكم روايات من المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأنني ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (1 كو 4:15) . كان بولس أبًا للكورنثويين، ليس لأنه ولدتهم حسب الجسد بل خلال التعليم، وولدهم مرة أخرى حسب الروح.

اسمع أيضًا أيوب: " أب أنا للفقراء". لقد دعا نفسه أبًا، ليس لأنه ولدتهم جميعًا، بل من أجل اهتمامه بهم [1189].

القديس كيرلس الأورشليمي

هَشَمْتُ أَضْرَاسَ الظَّالِمِ،

وَمِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ خَطَفْتُ الْفَرِيسَةَ [17].

قدوما قدم أبوة حانية للفقراء، لم يخشَ عنف الأثوار الظالمين المتكبرين. " هشمتم أضراس الظالم ". لم يقل أنه ينتقم منهم أو يقتلهم، لكنه يهشم قوى الشر والعنف، ويؤزع الفريسة من بين أسنانهم، ويخلصها بشجاعة، كما أنقذ داود الشاه من فم الأسد.

❖ " أهشم أضراس الظالم ". هذا ما يوصي به الرسول: "ليت من يحكم يعمل باجتهاد" (أنظر رو 8:12).

" ومن بين أسنانه خطفت الفريسة ". لاحظوا صعوبة العمل. هؤلاء الذين بالفعل قد أفترسوا وأمسكوا، فإنه يقوم بإصلاح أمورهم... لاحظوا أيضًا أن فضيلته لا تُقرن في كل الأحوال. إن استدعى الأمر يعاقب، وإن استدعى الأمر يسند الآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا، أية فريسة تخطفها الكنيسة من فم الشيطان، فقد زعت شاول الناهب، عند اهتدائه! فإذا كان لا زال ينفث تهددًا وهو في طريقه إلى دمشق ومعه رسائل ليضطهد المؤمنين كان يجمع فؤس للشيطان، لكن هو نفسه جُمع لحساب المسيح حين نال الإيمان (أع 9:12) . كثرة ما تخطف الكنيسة

الفيضة من فم الشويز، وغالبًا ما تتوع النفس من قبضة الخطأ بواسطة الكولة...

يظهر بالأضواس الخطط الخفية (لإبليس)، ويظهر بالأسنان مملسة الخطية علنا. قال الموتل عن هذه الأضواس والأسنان: "اللهم كسر أسنانهم في أفواههم. أهشم أضواس الأشبال يارب" (مز 6:58).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من يستطيع أن يتأمل في هوء موكًا مجد العظمة الإلهية أثناء هذا العمل؟! وهو "المنقذ المسكين ممَّن هو أقوى منه، والفقير البائس من سالبه" (مز 10:35)، "هشمت أضواس الظالم، ومن بين أسنانه خطفت الفريسة" (أي 17:29). من يقدر أثناء اهتمامه بالفقراء... أن يتأمل في عظمة السعادة، وبينما هو منشغل باحتياجات الحياة الحاضرة بالنسبة لهم يكون قلبه مرتفعًا على النوام فوق أقدار الأرض؟!... مَنْ مِنَ النَّاسِ حَتَّى وَإِنْ كَانَ رَئِيسًا لِلأَوَارِ القديسين نظن أنه في وقت ما يقدر وهو مقيد بقيود هذه الحياة أن يصل إلى هذا الصلاح الرئيسي دون أن يتوقف عن التأمل المقدس؟ أما يجذب ولو إلى وقت قصير عن ذلك الذي وحده صالح بواسطة أفكار رضية؟ أما يهتم ولو إلى حين من أجل طعام أو لباس أو أمور جسدية أخرى أو يهتم باستقبال الإخرة أو تغيير مكانه أو بناء قلايته...؟ [1190]

الأب ثيوداس

4 . آماله في استوار سعادته

فَقُلْتُ: إِنِّي فِي وَجْهِ أَسْلَمِ الرُّوحِ،
وَمِثْلَ السَّمْنَدِلِ أَكْثَرُ أَيَّامًا [18].

حسب أيوب نفسه في وكر، يهرب إليه حيث يقيم فيه مطمئنًا، أو عشًا يستقر فيه كما في قمة شجرة مطمئنًا من أية مخاطر تلحق به حتى تأتي لحظة تسليم روحه. كان يظن أنه يقضي كل أيامه في سلام بعيدًا عن أية عواصف تقدر أن تحطم وكره أو تزعج عشه. العجيب أن أيوب يتطلع إلى حياته بكونها كالومل (السمندل) الذي على شاطئ البحر، وكأنه كان يظن أن عوه يطول جدًا، ولم يدرك أنه كحبات الومل التي تتساقط من الساعة الوملية، وتنفذ في وقت قصير.

❖ " وكنت أقول إنني سأموت في عشي، وكان النخلة رُدادًا أيامًا [18] " [1191]... يلبق تشبيهه حياة البار بالنخلة، وذلك لأن النخلة من تحت خشنة في ملمسها، وبطريقة ما هي مغلفة باللحاء الجافة، ومن فوق تحمل ثمرًا. من تحت مضغوطة بلحاءها المنبسط، ومن فوق منبسطة بخضرة عظيمة. هكذا هي حياة المختلرين، مُحَنَوَةٌ من أسفل، وجميلة في الأعلى...

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَصْلِي كَانَ مُنْبَسِطًا إِلَى المِيَاهِ،
وَالطَّلُّ بَاتَ عَلَى أَغْصَانِي [19].

كان أيوب يعتبر نفسه أشبه بشجرة مغروسة على مجرى المياه، تروي على النوام، مما يجعلها مثورة ومزدهورة حيث لا تذبل قط. "الطلُّ بَاتَ عَلَى أَغْصَانِهِ"، إن كان أيوب مغروسًا كشجرة يتمتع بدسم الأرض، فإنه يستقبل الومكات السماوية كطل. إنه موضع سرور الله الذي وعاه.

❖ " جذوري منفتحة على المياه" [19]، وذلك عندما ينتشر فكر العقل سويًا لقبول مجري الحق. في الكتاب المقدس، تشير الجنور إلى الفكر الخفي. لذلك نحن نفتح جنورنا على المياه، عندما نبسط فكر قلبنا الخفي إلى المياه الداخلية... يقول الموتل: "يكون كالشجرة المغروسة على مجرى المياه" (مز 3:1)...

"والطل بات على محصولي "... يسقط الطل من فوق، ولكن المحصول يُجمع من تحت. هكذا يستقر الطل على المحصول، لأن النعمة النزلة من العلا تجعلنا أشخاصًا يليق بنا أن نُجمع في العالم من أسفل. بذات النعمة التي تروينا من أعلى نحمل ثمر العمل الصالح. هكذا بحق يقول بولس: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المُعطاة لي لم تكن باطلة" (1 كو 10:15) ... إذ نتطلع إلى المحصول ناميًا تحت الطل، نسمعه يقول: "نعمته المُعطاة لي لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم" (1 كو 10:15).

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَأَمَّتِي بَقِيَتْ حَدِيثَةً عِنْدِي،

وَقَوْسِي تَجَدَّدَتْ فِي يَدِي [20].

مع كل يومٍ جديدٍ يحمل فوكًا جديدًا في حياة البرِّ، إذ كان يهوى الحب والحنو، لهذا لم تشخ كرامته. يقول: "كوامتي بقيت حديثة عندي"، لن تذبل قط. لا يمل من الجهاد بكل قوته من أجل المظلومين، إذ يقول: "قوسي تجددت في يدي".

❖ " مجدي بقي حديثًا عندي، وقوسي تجددت في يدي" [20] ... كل الذين يعرفون ما هو حق، يدركون أن القَدَمَ (الشيخوخة) عادةً هو من سمات الشر، وأما الجدة فمن سمات الفضيلة. لذلك يقول بولس: "إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم (الإنسان) الجديد" (كو 3:9) ... فبالنسبة لعورتنا (حماسنا)، عندما نكون بين أعدائنا الروحيين أو بين أوبائنا الجسديين المتنوعين، إلى حد ما ونُسْتَعْرِقُ في عاداتهم فنشيخ، ونلوث شكل جدتنا الذي نلناه بالصلاة والوَّاءة وبالحيَّة الصالحة، وبالآلام الجادة، والسهر اليومي، فإننا في شيخوختنا نتجدد وننتعش. إذن، إذ تغتسل حياتنا بالدوع، وتمرس الأعمال الصالحة، وتمتلى بالتأملات المقدسة تستعيد تجديدها بلا توقف...

يشير "القوس" في الأسفار المقدسة أحيانًا إلى خطط الأشرار بقوله: فَوَقَّرَا سَهْمَهُمْ كَلَامًا مَرًّا" (مز 3:64). وأشار ذات العرث إلى يوم الدينونة: "رأيت شعبك عُورًا، سقبتنا خمر الترنج. أعطيت خائفك راية تُرْفَعُ لأجل الحق، لكي يهروا من أمام القوس" (مز 4:60)...

أحيانًا يُستخدم القوس في الكتاب المقدس لأمرٍ حسنةٍ . هذا عن قوس الكنيسة، وذاك عن قوس الوب الذي منه تصدر السهام - الكلمات الموعبة - إلى قلوب البشر. بحق قال المرتل: "مُد قوسه وهبأها، وسدّد نوه آلة الموت، يجعل سهامه ملتبهة" (مز 12:7-13)...

فالقوس في اليَد هو الكتاب المقدس في العمل. فهو يمسك بقوسٍ في يده، من يملس عمليًا الإعلانات الإلهية التي تعلمها بفهم. هكذا فإن "القوس يتجدد في اليد"، وذلك بأن كل ما نتعلمه بخصوص الإعلان المقدس بالوراثة يتحقق بمملسته عمليًا...

يخبرنا الطوبولي داود عن ظروفه، ويسبق فيخبرنا عن ظروفنا، وبينما يشير إلى أخوانه، على قدم المساواة يتحدث عما يخص الكنيسة المقدسة وظروفها بذات المعنى.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِي سَمِعُوا وَانْتَظَرُوا،

وَأَنْصَتُوا عِنْدَ مَشُورَتِي [21].

إذ امتوجت أبوته للفؤاء بشجاعته وصواعه من أجل المظلومين بحكمةٍ ووقارٍ، صار صاحب المشورة الأول، متى تكلم، يصمت الكل منصتين إليه، عالمين أنه لا يعيبه شيء، ولا ينقصه شيء.

❖ " الذين سمعوا لي انتظروا حكمي، والذين أنصتوا صمتوا عند مشورتي "... إننا نفتقد هذا الوقار الذي يقدمه الذين تحته؛ إنه موجه نحو الطوبولي أيوب. أيضًا الكنيسة المقدسة التي تعاني الأميين من الهواطة أو من الجسدانيين، تتذكر الأيام السابقة أيضًا، حين كان كل الذين تتكلم معهم من المؤمنين يصغون إليها بمخافة. إنها ترثي جسلة المقاومين لها، فنقول: " الذين سمعوا لي انتظروا حكمي، والذين أنصتوا صمتوا عند مشورتي".

البابا غريغوريوس (الكبير)

بَعْدَ كَلَامِي لَمْ يَثْنُوا،

وَقَوْلِي قَطَرَ عَلَيْهِمْ [22].

متى تكلم شعر الكل أنه لا حاجة بعد إلى البحث في الأمر، فقد امتاز أيوب بدقة بحثه للأمر. لهذا لم يكن يوجد من يثني بعد كلامه أو يزيد عليه شيئاً.

يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على قول الطوبوي أيوب: "وعلى كلامي لا يزيدون"، بالقول إن المؤمنين لم يجسروا أن يضيفوا من عندهم شيئاً إلى كلمات الكنيسة المقدسة، كما فعل الواطقة الذين تجاسروا وأضافوا شيئاً إلى كلماتها، وكأنهم يشغلون أنفسهم ليصححوا استقامة تعاليم الكنيسة وكلماتها.

وَأَنْتَظِرُونِي مِثْلَ الْمَطَرِ،

وَقَفَرُوا أَهْوَاهُمْ كَمَا لِلْمَطَرِ الْمُتَأَخَّرِ [23].

كان الكل أشبه بقفر محتاج إلى مطر يهطل من شفتي أيوب، فنتحول بويتهم إلى جنّة مثورة. إنهم أرض عطشى للمطر. يبرك الكل قيمة الحكمة الخرجة من فمه، ينتظرونها ويشربونها لتثمر في داخلهم كما في سلوكهم الظاهر.

❖ " وانتظروني مثل المطر، وفغروا أهواهم كما المطر المتأخر" [23]. إننا نخضع لكلمات الكرورة المقدسة كالمطر، وذلك عندما نترك بالتواضع الحقيقي جفاف قلوبنا، ونشتهي أن نستقي بركات الكرورة المقدسة. بحق قيل لله بواسطة الموتل: "عطشت نفسي إليك كرض ناشفة" (مز 6:143). بوصينا النبي أن نوقى بمجري التعليم، قائلاً: "أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه" (إش 1:55).

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ ضَحِكْتُ عَلَيْهِمْ لَمْ يُصَدِّقُوا،

وَنُورٌ وَجْهِي لَمْ يُعْبَسُوا [24].

متى ابتسم لأحد يكون الشخص في سعادة فائقة، حتى يظن أنه كما في حلم. فالكل يطلب رضاه ومسوته، إذ يرفع الكلفة، فيبتسم ويضحك. كان يهب من هم حوله جواً من الود والوحد. لا يسيء الحاضرون بساطته، ولا يقللون من احترامهم له، بل يتطلعون إلى بهاء وجهه بتلهيل بغير عبوسة.

❖ " إن ضحكت عليهم لم يصدقوا، ونور وجهي لم يسقط رُضاً" [24]. إن فهمنا هذا خلال التفسير التاريخي يليق بنا أن نتصور أن الإنسان القديس يُظهر نفسه بطريقة ما للذين هم تحته، أنه حتى في ضحكه قادر أن يكون مهوباً. لقد روى أنه كان أباً للمساكين، ومغزياً للأرامل. هذا الأمر يحتاج إلى تمييز عظيم، كيف أنه مع حزمه هذا في العمل يظهر أيضاً لطفاً عظيماً هكذا وعطفاً حانياً فيه...

هكذا يليق بنا أن نتعلم هنا أن يضبط الإنسان نفسه في علاقته بالآخرين بالمقياس التالي: أنه وهو يضحك يليق أن يكون وقوراً، وحين يغضب يليق أن يكون محبوباً. في مرحة الوائد لا يكون تافهاً، ولا يكون غضبه بلا حدود فيجعله مكروهاً. كثيراً ما نحطم الذين تحت رعايتنا عندما نبالغ في حفظ العدالة بما يتعداها. فلا يكون ذلك عدالة. إنها لا تحفظ ذاتها تحت مثل هذا الانضباط المبالغ فيه...

لننظر كيف أن بولس يحمل ابتسامة خلال النعمة التي من الأعلى... حتى في وسط مخاوفه وضيقاته... لقد نُقل إلى السماء الثالثة التي فوقه، وحُمل إلى الفردوس حيث سمع كلمات سوارثية لا يُخبر عنها (2 كو 12:2). ومع هذا بقي خائفاً، إذ يقول: 'بل أقمع جسدي وأستعبده، حتى بعدما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسي مرفوضاً' (1 كو 27:9). ها أنتم ترون كيف إذ تنبسم له النعمة الإلهية يمتلئ باليقين والرجاء، ومع هذا لا يثق في الاعتماد على ذاته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

كُنْتُ أَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ،

وَأَجْلِسُ رَأْسًا،

وَأَسْكُنُ كَمَلِكٍ فِي جَيْشٍ،

كَمَنْ يُؤْوِي النَّائِحِينَ [25].

في بساطة يبتسم بوقارٍ لكي يسكب على الحاضرين روح البشاشة، وفي نفس الوقت لا يتخلّى عن قيادة سفينة حياتهم، فهو ربان السفينة. "كنت أختار طريقهم، وأجلس رأسًا".

ابتسامته لا تتوع مهابته كملكٍ وقائدٍ معركةٍ: "وأسكن كملكٍ في جيشٍ". متى أصدر أمرًا أطاعه الكل كما يطيع الجنود قائد الجيش. يقول لهذا أذهب فيذهب، ولذلك أن يأتي فيأتي، ولعبده أعمل هذا فيفعل" (مت 9:8).

قيادته لا تسبب ضيقًا وتومًا، فهو لا يهوى السلطة، إنما يقود ليغوي النائحين برقة قلبه وتعضيده للجميع في الحق المموج بالحب.

❖ "أختار طريقهم، فأجلس رأسًا (رئيسًا)" [25]. في قلوب الخطة الهالكين تحتل أعمال الجسد مركز الصدرة، وأعمال النفس المركز التالي. بالتأكيد في أفكرهم لا يجلس المسيح في الصدرة، بل يحتل المركز الأخير. أما المختار فيهتم بالأمور الأبدية فوق كل شيء. إن كان هناك أمر زمني، فيدوه كأمرٍ ثانوي، ويحتل اهتمامًا أقل. يقول صوت الحق: "أطلوا أولاً ملكوت الله ورؤيه، وهذه كلها تُؤاد لكم" (مت 6:33)...

"حين جلست كملكٍ يحوط حولي جيش، لكنني كنت معزياً للنائحين". يجلس الرب كملكٍ في القلب، إذ يحكم عواطف القلب الصاخبة في أفكرنا. فإنه في النفس التي يسكن فيها يهب حماسًا للخاملين، ويضبط القلقين، ويلهب البردين، ويلطف من الملتهبين، ويلين القساة، ويربط المنحليين، حتى بهذا النوع من الأفكار يحيط به نوع من الجيش. أو بالتأكيد يجلس كملكٍ يحوط حوله جيش، لأن ذلك الملك يحكم على عقول المختارين وسط طغمة من الفضائل.

هو أيضًا "المؤوي للنائحين"، خلال الوعد الذي قدمه، قائلاً: "طوبى للخزاني لأنهم يتعزون" (مت 5:4). مرة أخرى: "ولكني سأراكم أيضًا فتوح قلوبكم، ولا يزوع أحد فحكم منكم" (يو 16:22)...

تتغوى أيضًا قلوب الخزاني بواسطة الكنيسة المقدسة، إذ توشد نفوس المختارين. إنها تنتقل بويلات الرحلة الحاضرة، وتبهجهم بالوعد بالمدينة الأبدية...

تزوج الكنيسة المقدسة الرجاء والخوف معًا للمؤمنين بها، فيتلامسون مع حنو المخلص وعدله في خدمتها المستورة. تفعل هذا لكي لا يعتمدوا على الرحمة خلال الرخوة، ولا أن يفقوا الرجاء بالرعب من العدالة. فهي تُبهِج الذين يُحزنون بكلمات رأسها، قائلة: "لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سرّ أن يعطيكم الملكوت" (لو 12:32). كذلك تحذر المتجاسرين: "اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا في تجربة" (مر 14:38). وتبهِج الذين في رعبٍ، قائلة: "افرحوا بالحوي أن أسماءكم كُتبت في السموات" (لو 10:20). أما الذين يعتنون بنواتهم فتوعبهم، قائلة: "رأيت الشيطان ساقطًا من السماء كالوق".

تبهِج الذين في رعبٍ، قائلة: "خوفي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي" (يو 10:27-28)...

❖ يمزج الحنو بالقسوة (الحزم)... هذا بالحقيقة يظهر في تابوت العهد، حيث يُوجد فيه العصا والامن معًا بجانب لوحى الشريعة، هناك حيث توجد معرفة الكتاب المقدس في صدر الحاكم الصالح، مع عصا القسوة (الحزم)، فليوجد من العنوبة. هكذا يقول داود: "عصاك وعكرك يعزبانني" (مز 4:23).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كما أن المريض المهتم بشفاء جسده، يقبل بكل رضا كل علاج يصفه له الطبيب ولو كان مرًا جدًا، وهو في ذلك لا يشكو ولا يتضايق، ولا يظن

سوء النية في الطبيب، هكذا يكون حال المواضع والواغب في نموه الروحي. فإنه يقبل بكل رضا توبيخات الرئيس ونصائحه له، دون أن يقرهم بأن الرئيس يفعل ذلك بغضة وقسوة منه.

فإن كنا من أجل الشفاء الجسداني نقبل ألوية موة كريمة، ونخاطر بقطع الأعضاء وكَي النار، ونحن في ذلك نشكر الأطباء والحوّاحين المعتنين بنا رغم العلاجات المؤلمة، فكم بالحري يدعونا الصواب إلى أن نفعل هذا من أجل خلاص نفوسنا، ولو كان علاج هو النصح والتوبيخ مؤا؟!!

القديس باسيليوس الكبير

❖ ليس (الزّاحي مع الخطاة) فضيلة، بل ضعف. ولا هو محبةٌ أو وداعة بل إهمال، لا بل هو قسوة على تلك النفوس التي يُغفل عنها، فتهلك دون أن تتبّه على خرابها.

القديس أغسطينوس

❖ من وعى الخوف لا ينبغي أن يكون أسداً ولا نعجة.

القديس يوحنا الراجي

من وحي أيوب 29

رعايتك ليّ موضوع تسبيحي!

❖ أتطلع إلى الماضي، فألمس يدك التي حفظتني.
إن وُجد فيّ صلاح، فهو من غنى نعمتك عليّ!

❖ حسبتني كمنزلةٍ فأضاء سواجك على رأسي.
أنت هو النور الحقيقي.

كلمتك هي سواج لرجلي، ونور لفكري.

أقمتني كمنزلةٍ لأحمل نورك.

أشهد لرعايتك فتجذب الكثوين بيّ إليك.

❖ لقد بركت طبيعتي فيك، يا من تجسدت لأجلي.

لأقف في دهشة أمام حبك، يا من تجالسنني في خيمتي.

❖ أقف وسط أسرتي، فأراك حالاً تبلرنا.

كم تشتهي نفسي أن أقف مع كل البشرية،

ورأك تتجلى بحبك ورعايتك في وسط الجميع!

❖ وعانيتك تهبنا كل شيء بفيض،
ففي وجودك معنا لا ينقصنا شيء.
تُقفينا وتُغسلنا كما باللبن،
وتُقفيض بجدول زيت من الصخور!

❖ أشبع بك، فأشتهي خدمة الكل!
لا أطلب ما لنفسي، ولا ما لكوامتي، بل ما هو لمحبيك!

❖ رعايتك للكنيسة فائقة!
تهبها حكمتك، فتتطق بكلماتك، وتحمل فكرك العجيب!
تقضي بين البشر،
لا كمن يدين، بل كمن يسند ويفرق.
تهبها كرامة،
لا لكي تتشامخ، بل لكي تتحني وتغسل الأقدام.

❖ في رعايتك تسمح حتى للواطقة بكمال حريتهم.
يضايقون كنيستك،
لكنها وسط الضيق تتمتع بالتطويب السموي.
ووسط المقاومة تجتذب كثيرين إلى سمواتك!
أنت هو الصالح الذي يخرج من الأكل أكلاً،
وتقيم من الشرور ما هو لبنان الكثيرين.

❖ بسطت فراعيتك لي أنا اليتيم!
وصار لي الآب أباً لي،
فتحول يُتَمي بالبنوة العملية الفائقة.
هب لي أن أتوفق بكل يتيح،
متى رى كل البشوية تتمتع بالبنوة العملية لله!؟

❖ متى نود النفوس التي تيتمت إلى أبيها السموي،

فننعم ببركاتنا علينا.

- ❖ هب لي أن أستتر ببرك، فلا أكف عن العطاء.
هب لي أن أؤين بتاجك: أي بالبرّ والرحمة!
برّك صار موضوع عنوبي،
أقتنيه، فأتوفّق بكل بشر!
ليأخذ العالم ثوبه مني،
كما فعلت السيدة المصوية مع يوسف البار،
لكن لا تسمح لإبليس أن يزوع ثوبك الذي وهبتي!
ليس من حقه أن يغتصبه مادمت أعتز به!
- ❖ هب لي أن يستر كل كياني،
ولا يكون لعدو الخير منفذ إلى أعماقي!
لن يجد فيّ ثوة مادمت محفوظاً ببرّك.
- ❖ هب لي بنعمتك أن أصير عيوناً للعميان.
تتوني، وتقيم مني نوراً للغير.
تزع ظلمتي، وبك أسند الجالسين في الظلمة.
- ❖ هب لي روح الأوبة الحانية، يا أب كل البشوية.
فأتوفّق بالكل، واهتم إن أمكن بالجميع!
- ❖ هب لي نعمتك من فوق كالطل،
ولتروي حياتي على الأرض بمياه روحك القدس.
فيتجدد مثل النسر شبابي الروحي،
فلا تشيخ نفسي بروح العجز والضعف.
- ❖ هب لي يارب أن أسلك بالروح.
إن فوحت وضحكت أحمل روح الخرم.

وإن صوت حزمًا أحمل روح الحنو.
يتكامل موحى مع حزمي. ويتكامل حزمي مع حوي!

❖ هب لي روح البشاشة، فأكون بك مصدر فح.
وفي بشاشتي لن أتأخى عن العمل بجدية.
هب لي روح القيادة غير المتعرفة،
فأعمل لا بروح التسلط، بل بروح الأوبة!
أعضد الجميع، ليحملوا روح القيادة الجادة!

<<

الأصْحاحُ الثَّلَاثُونَ

مِرثاة مِرة

بعد أن استعوض حال رخائه الماضي، وأيضًا مخافته للرب وحيدانه عن الشر، سوعان مارجع إلى ما هو عليه وسط المذبذبة والرماد، وكيف حملته عاصفة الله إلى أرض الدمار. حقًا لقد سدد أيوب المظلومين والمحتاجين، لكنه حتمًا أذان مجرمين ظالمين. ولعلمهم تسللوا ليلاً ليروا في المذبذبة ذلك الذي سبق فحكم عليهم.

كل ما حلّ به دعاه لكتابة مِرثاة مِرة. إذ لم يعد بعد يستعذب الموسيقى، بل صار النحيب والعيول أغنيته المستعرة.

1. استخفاف الناس به 8-1.
2. وضاعة المحقرين له 15-9.
3. انهيله نفسيًا وجسديًا 31-16.

1. استخفاف الناس به

وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ضَحِكَ عَلَيَّ أَصَاغِرِي أَيَّامًا،

الَّذِينَ كُنْتُ أَسْتَكْفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلَابٍ غَنَمِي [1].

عاش أيوب حياته بالكمال والاستقامة، يتقي الله، ويُحيد عن الشر (أي 1:1)، وقد شهد الله نفسه عنه: "ليس مثله في الأرض" (أي 1:8). ولعله كان يتوقع في شيخوخته أن يخدم الآخرين خلال خبرته الطويلة، لكنه فوجئ بأنه عوض أن يخدم صار أضحوكة وعبء لمن هم حوله، حتى بالنسبة للأشوار.

شعر كأن كل ما قد مرّسه منذ صبوته حتى شيخوخته عبر كبخارٍ بلا نفع، وليس من سببٍ أمامه يبرر ما بلغ إليه. كاد أن يتحطم تمامًا نفسيًا بجانب تحطمه جسديًا واجتماعيًا وماديًا. هذا ما دفعه إلى وضع مِرثاة مِرة.

بقوله "أصاغوي" لا يقصد فقط من هو أصغر منه في العمر، وإنما أيضًا من هم أقل منه في المعوغة والحكمة والخبرة والمركز الاجتماعي والسلوك. في هذا لا يعني أصدقاءه الثلاثة وحدهم، وإنما كل من جاؤا ولو من بعيد، لا لواسوه أو يصلوا لأجله، وإنما ليستخفوا به ويسخروا منه.

إذ كان يُنظر إلى الكلاب في ذلك الحين أنها نجسة (1 صم 17: 43، أم 26: 11)، فقد حسب أيوب أن كلاب غنمه أظهر من آبائهم. لقد أهانوه في شيخوخته وبلا سبب، مع أنه يُحسب تكريم الشيوخ مُقدم لله ذاته. يطالبنا الكتاب المقدس أن نحترم الشيوخ، على أنه يليق بالشيوخ أن يضعوا في اعتبارهم أن الشبية الحقيقية ليست في كبر السن، بل في الحكمة والنضوج. وقد جاءت الوصيَّة: "من أمام الأسيب تقوم، وتحترم وجه الشيخ، وتخشى إلهك، أنا الرب" (لا 19: 32). "يا بني أعنْ أباك في شيخوخته، ولا تحزنه في حياته" (سواخ 3: 14). "لا تهن أحدًا في شيخوخته، فإن الذين يشيخون هم منا" (سواخ 8: 7).

لا ندهش من العولة التي عانى منها أيوب البار، فقد عانى أتقياء الله من كثيرين. كمثالٍ عانى بولس من مورة الضيق حتى كاد يبأس من حياته، كقوله: "تقلنا جدًّا فوق الطاقة حتى يبأسنا من الحياة أيضًا، ولكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون متكلمين على أنفسنا، بل على الله الذي يُقيم من الأموات، الذي نجانا من موتٍ مثل هذا، وهو ينجي؛ الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضًا فيما بعد" (2 كو 1: 8-10).

❖ كان بولس متوقِّعًا الموت، لكن لم يحدث هذا. فبحسب معوى الأحداث الطبيعة كان يجب أن يموت، لكن الله لم يسمح بعد بذلك حتى يتعلم بولس ألا يثق في ذاته، بل في الله [1192].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان الوصل قد تألموا، فكم بالأكثر يليق بالآخرين أن يتألموا مثلهم [1193].

سفيريان أسقف جبالة

قُوَّةُ أَيْدِيهِمْ أَيْضًا مَا هِيَ لِي.

فِيهِمْ عَجَزَتِ الشَّيْخُوخَةُ [2].

في مورة يتطلع أيوب إلى القادمين إليه، يستهزئون به في شيخوخته. ففي شبابه كان يسند أمثالهم ويعينهم ويخدمهم بحب. الآن قادمون إليه في شيخوخته وهم بلا قوَّة ولا إمكانية ومع هذا يحسبون أنهم جاؤا لمساندته. للأسف حتى في حضورهم قدموا له ما يحطمه، لا ما يعينه. ولعلمهم بجانب قوَّهم وعدم حكمتهم كانوا شيوخًا عاجزين عن العمل، فلا نفع لمجيئهم إليه. غير أن البعض يرون أنه يتحدث عن الشباب الساخرين به ، فإن كان أبؤهم الشيوخ لم يأخذوا موقفًا لائقًا لتعزيتهم، فهل يمكن لأبنائهم أن يعزوه بكلمة لطيفة تسنده؟ أبؤهم الشيوخ كانوا قساة معه، كيِّلوا له الاتهامات الباطلة، فهل يقدم أبئؤهم تعزيات؟ هل يمدون له أيديهم ليشدوه في محنته؟

فِي الْعَوَزِ وَالْمَحَلِّ (وَالْمَجَاعَةِ) مَهْزُولُونَ،

عَلَقُونَ النَّبَاسَةَ الَّتِي هِيَ مُنْذُ أُمْسِ خَوَابٍ وَخَرِبَةٌ [3].

يصور لنا أيوب حال الملتفين حوله لا لتعزيتهم، بل للسخرية به. إنهم يعانون من الفقر والوع حتى صاروا في هوالٍ شديدٍ، كأشجار جافة لا حياة فيها ولا ثمر. إنهم أناس لا نور لهم في الحياة، لفظهم المجتمع بسبب استهزئهم الشديد وعدم الوأهم بأي عمل، فصلوا كهلبيين في البرية حيث الخراب والدمار. وكأنهم قد وجبوا فرصتهم بأن يعكسوا ما هم عليه في داخلهم على أيوب.

هذا ما تفعله الكراهية فيهم، تجعلهم في عوزٍ ووعٍ وخوابٍ، بل تدخل بهم إلى الموت وهم أحياء حسب الجسد.

❖ حياتنا حب؛ فإن كانت الحياة حب، فالموت هو الكراهية [1194].

القديس أغسطينوس

الَّذِينَ يَقْطِفُونَ الْمَلَّاحَ عِنْدَ الشَّيْحِ،

وَأَصُولُ الرَّيِّمْ خُرُومُهُمْ [4].

يصور البار أيوب المقاومين له بأناس لا يجدون ما يأكلونه، فيلجأون إلى الملاح وهو نبات حمضي يجمعه الفقراء من بين الأعشاب bushes

[1195]

(كالشيخ) لأكله؛ والرتم وهي أشجار زهرها كالمنتور وبنورها كالعدس. وى بعض أن الرتم هنا يشير إلى جنور موة يأكلها الفقاء . أمثال هؤلاء الذين كان أيوب يطعمهم، ويقدم لهم احتياجاتهم بسخاء، جاوا إليه في شماتة لما بلغ إليه. وى البابا غريغوريوس (الكبير) الذي تأثر جدًا بأباء الشوق خاصة كتابات آباء مدرسة إسكندرية والكبادوك أن هؤلاء الفقاء الجائعين هم الذين يكتفون بلحاء الشجر لا ثمرها. يكتفون بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس نون التمتع بثمار الروح المشبعة للنفس.

❖ "الذين يؤججون من الخواب والبؤس ويمضغون الأعشاب ولحاء الأشجار 3-4" [1196]... يجذب المعلمون الكذبة أتباعهم إلى ذات القفر، كما سبق فحزنا الحق: "فإن قالوا لكم ما هو في البرية فلا تخرجوا" (مت 26:24). وهم جديرون بالازواء بخواب مملستهم وشر مفاهيمهم... يشير "أكل العشب" في الكتاب المقدس إلى الاهتمام بأصغر الوصايا وإهمال الكوى منها. يقول الحق: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون الملوؤون، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس (الحق والرحمة والإيمان)" (مت 23:23). هؤلاء أيضًا يأكلون لحاء الأشجار، لأنهم يهتمون في الأسفار المقدسة بما هو في الخرج، أي الحرف، ولا يبالون بالمعنى الروحي. يظنون أنه لا يوجد شيء آخر في كلمات الله سوى ما هو على السطح. لذلك يمتلكهم هوى المجد الباطل، ومع كل أخطائهم يعطشون نحو الكرامة التي تأسؤهم. لا يطلبون شيئًا في كل ما يقولونه سوى المكاسب الأرضية. في هذا يقول بولس: "لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح، بل بطونهم" (رو 18:16).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يؤمن كل من اليهود والمسيحيين بأن الكتاب المقدس قد كُتب بواسطة الروح القدس، لكننا نختلف في تفسير ما يحويه. نحن لا نعيش كاليهود لأننا نؤمن بأن التفسير الحرفي للناموس لا يحمل معه روح الشريعة [1197].
❖ إن كان الله والرب روحًا، فلا بد أن نسمع بطريقة روحية ما يقوله الروح لنا [1198].

العلامة أوريجينوس

❖ الناموس كامل وغير كامل في نفس الوقت، فهو كامل إن أركناه روحيًا (لأنه يكلمنا عن سر المسيح)، لكنه أيضًا غير كامل إذا كان فكر الناس - الذين يقعون تحت لرشاده - لا ينطلق إلى ما وراء الحرف. فإن مادة الحرف هي نصف المعرفة فقط [1199].

القديس كيرلس الكبير

من الوَسَطِ يُطْرَدُونَ.

يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِيصَّ [5].

يُدْهَشُ أَيُّوبَ الْبَارِ إِذْ وَى حَوْلَهُ أَنَاَسًا عَاطِلِينَ، طَرَدَهُمُ الْمَجْتَمَعُ مِنْ وَسْطِ النَّاسِ، فَهَرَبُوا مِنَ الْمَدِينِ مِثْلَ لُصُوصِ. لَقَدْ حَسِبَهُمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلًا أَنْ يَعِيشُوا وَسْطَ مَجْتَمَعٍ مَتَمَدَّنٍ وَمَنْظَمٍ، فَكَانُوا يَصُوحُونَ وَرَاءَهُمْ مَعْلَنِينَ أَنَّهُمْ لُصُوصِ. هَؤُلَاءِ عَوَضَ وَرَاجَعْتَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَخْطَأْتَهُمْ جَاوَا يَسْخَرُونَ بِأَيُّوبِ.

لِلسَّكَنِ فِي أَوْدِيَةِ مَرْعَبَةٍ

وَتُثَقَّبُ التَّوَابِ وَالصُّخُورِ [6].

إذ كان أيوب حاكمًا وقاضيًا كان ينظر مع شوخ المدينة في القضايا الكوى مثل التصوف مع المتشردين الخطيرين على الأمن. فكان البعض منهم يهربون من المدينة ويبحثون عن مغاير في وسط وديان غير أهلة بالسكان وجبال، يعيشون فيها بعيدًا عن نظر القضاء. الآن إذ سمعوا عن أيوب وكيف صار حاله، ظنوا أنه قد صار متشردًا مثلهم، لا مؤى له، وليس من يقبله أو يعزيه، فجاءوا يسخرون منه كأبأس واحد منهم. وى البابا غريغوريوس (الكبير) وغره أنهم يمثلون من ليس لهم موضع في مدينة الله، يسكنون كما في اللوري وبين الصخور في مغاير، في

مناطق موعبة. ما يشغلهم لارجوعهم إلى الله بل السخرية وجمال الله وقديسيه.

اختاروا لأنفسهم البرس والكآبة والعولة والعورة، وما يفكرون فيه هو التشفي في الأوار المتألمين. فما يبهج قلوبهم ليس أن يتمتوا بالخوات،

بل أن يُصاب غوهم بالشور والمصائب. هذا من فعل روح العدو مع البغضة والحدق. ما يشغل ذهن الحاقه هو دمار إخوته لا بنيانه هو.

من يزول نفسه عن كنيسة السيد المسيح يكون كمن حرم نفسه من الفودوس الروحي ليعيش في وسط قفر الوري، فلا يقدر أن يشترك في

النشيد الكنسي: "ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس" (نش 4: 16)؛ حبيبي قول إلى جنته، إلى خمائل الطيب لوعى في الجنات، ويجمع السوسن" (نش 6: 2).

❖ "ليأت حبيبي إلى جنته ، ويأكل ثمره النفيس" (نش 4: 16). إنه لتعبير حوى من نفس ممثلة حماساً وروعة ترتفع على كل تعجب. من تدعوه العروس لوليمتها التي تتكون من فاكهتها الخاصة؟ لمن تُجهز العروس وليمتها التي أقامتها من مساوها الخاصة؟ من تدعوه العروس لكي يأكل مما عرضته؟ "هو الذي منه وبه وله كل الأشياء" (رو 36:11). إنه يعطى كل شخص طعامه في حينه (مز 145: 15)، يفتح يده ويملاً كل كائن حي بالنعيم. هو الخبز النازل من السماء (يو 6: 41)، هو الذي يعطى الحياة للعالم، ويجعل المياه تفيض من نبعه الخاص للحياة. هذا هو الواحد الذي ترتب العروس له مانتها. وهي الحديقة التي تثبت منها أشجار حية. ترمز الأشجار إلينا، وتُشير أرواحنا المُخلصة إلى الطعام المُقدم له. وقال لتلاميذه: "أنا لي طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم" (يو 32: 4، 34). تتميم رادة الله المقدسة: "فهو يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (1 تي 4: 2). فهذا الخلاص هو الغذاء الذي يُجهز له. تُعطى رادتنا الحوة الثرة لله وهي أرواحنا، ليقطفها من على أغصانها الصغرة. تمتعت العروس في البداية بثرة التفاح حوة المذاق قائلة: "وثورته حوة لحلقي" (نش 2: 3). ثم أصبحت هي نفسها الثرة الجميلة الحوة التي قُدمت للراعي ليتمتع بها. [\[12001\]](#)

القديس غريغوريوس النيسي

بَيْنَ الشَّيْخِ يَنْهَقُونَ.

تَحْتَ الْعُوسَجِ يَنْكَبُونَ [7].

يصور أيوب البار الأثوار الحاقدين، وقد جاعوا للسخرية به بالحمير الوحشية التي تعيش في البرية، متى اجتمعت معاً بين شجرات ينهقون

بنعمة منقزة ومقززة للنفس. أي صاروا كحيوانات وحشية تجتمع معاً لتتهق، تطلب طعاماً لها، الذي هو أذية الغير وإصابتهم بكولث.

يتكدسون معاً تحت العوسج حيث يطلبون مؤوى، فإذا بهم يتعثرون وسط أشواك الكراهية وحسك الحدق بلا سبب.

بمعنى آخر حتى في اجتماع الأثوار معاً ما يتمتعون به هو الوحشية والتصرفات الحيوانية بغير تعقلٍ أو إقرارٍ مع هولاء أشواك الخطية

الخانقة.

❖ إنهم يُحسبون كمن يتكدسون تحت الأشواك، إذ يرفعون الفكر المتجاسر ليؤح بذات الأمور التي بها يحملون أشواك الخطايا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الحسد نوع من أنواع اليعسوب (ذكر النحل) يفسد أعمال الآخرين، ولا يرغب في الارتفاع بنفسه، إنما يبكيه نجاح الآخرين، فيصنع كل ما في وسعه نحو إسقاطهم.

بماذا أشبه هذا الروح؟ أنه يشبه حملاً بليداً مليء الجسم يحمل مع حصان جيد نواً. فلا يريد أن يتقدم، وفي نفس الوقت يعطل بتقل جسمه

الحصان عن السير. فالحاسد لا يهتم كيف يتخلص من هذا الكابوس، بل يعمل بكل جهده أن يُسقط من يرغب في الصعود إلى السماء، وبهذا يشبه

الشیطان تماماً. فإذا رأى إنساناً في الفودوس، بدلاً من أن يُصلح نفسه يطلب طرح الآخر خلج الفودوس. وإذا آه جالساً في السماء والآخرين يسعون

نحو الراحة، فإنه يستخدم نفس الخطة حرماً إياهم من الذهاب إليها، فيجلب على نفسه نواً أشد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ الحقود يستثمر من صلاته ما يستثوره إزرع في البحر من الحصاد. كما أن شعاع النار لا يمكن منعه من الصعود إلى فوق؛ هكذا صلوات الحومين لا يمكن ألا توتقي إلى السماء. كما أن جريان الماء يتجه إلى أسفل، هكذا قوة الغضب إذا ألفت موضعاً في فكونا.
- ❖ مَنْ وجد الحسد فقد وجد معه الشيطان الذي أوجده منذ القدم.

القديس مار إسحق السرياني

أَبْنَاءُ الْحَمَاقَةِ بَلْ أَبْنَاءُ أَنْاسٍ بِلا اسْمٍ،

دُحِرُوا مِنَ الْأَرْضِ [8].

إذ يوتبطوا بالجهل والحماقة يحسبون أبناء الحماقة عوض كونهم أبناء بشرٍ، وإذ يحملون البغضة والحقد تطردهم الأرض، فيصيرون كمتجولين في الوري ليس لهم موضع يستقرون فيه.

- ❖ "يدعون أبناء" لا لأنهم مولودون من بذلهم، بل بتمثلهم بالذين يعلمون تعاليم خاطئة، إنهم حمقى بسبب الجهل، ويملسون حياة شوية مثل أناس منحطين بسبب سلوكهم... لذلك بحق يكمل: " وعلى الأرض لا يظهرون نهائياً ". بالوغم من أنهم يهدفون أن يُظهروا شيئاً ما، لكن بالتأكيد يصيرون مطرودين من أرض الأحياء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. وضاعة المحقرين له

أَمَّا الْآنَ، فَصَوْتُ أُغْنِيَتِهِمْ،

وَأَصْبَحْتُ لَهُمْ مَثَلًا! [9]

كنوا ما يسخر الأثوار بالأوار، ويحسبونهم مثلاً للعار، كما يسمح الله أحياناً لشعبه أن يصيروا مثلاً بين الشعوب لتأديبهم.

"تجعلنا مثلاً بين الشعوب لإنعاض الرأس بين الأمم" (مز 44: 14).

"جعلت لباسي مسخاً، وصوت لهم مثلاً" (مز 69: 11).

"يقولون في أنفسهم نادمين وهم ينوحون من ضيق صوهم: هذا الذي كنا حيناً نتخذة سخوة ومثلاً للعار" (الحكمة 5: 3).

"وأسلمهم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض، عزلاً ومثلاً وهراً ولعنة في جميع المواضع التي اطردهم إليها" (إر 24: 9).

"ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح، ويقولوا: أشفق يارب على شعبك، ولا تسلم موائك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلاً. لماذا يقولون

بين الشعوب: أين إلههم" (يو 2: 17).

- ❖ ها أنتم ترون ما الذي أثر عليه بالأكثر، أن وى نفسه موضع سخرية بالأكثر، هؤلاء الذين يوبخهم على الشر الذي يملسونه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ يُستخف بكل شخصٍ من أجل وهّ كلما تأهل للمديح يصير بالأكثر موضوع اشمؤاز من الغير.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُوهُونِي.

يَبْتَعِدُونَ عَنِّي،

وَأَمَامَ وَجْهِ لَمْ يُسْكُوا عَنِ الْبُصْقِ [10].

هنا يبرز أيوب البار كرمزٍ للسيد المسيح حيث قال عن نفسه: "فيؤون به ويجلدونه وينقلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (مر 10:

34). "لأنه يُسلم إلى الأمم ويُستؤأ به ويُشتم ويُنقل عليه" (لو 18: 32).

❖ يهرب كل الأثوار من الكنيسة المقدسة، لا بأقدامهم، بل بآدمهم، بل بسمات مملستهم. إنهم يهربون بعيداً، لا عن المكان بل بهوها. إذ يكون للكروياء أساساً فيهم يزدرون بها بلوهم علي. لأن البصق على الوجه ليس فقط تقيلاً من شأن الصالحين في غيبتهم، بل ويكذبون على كل واحد حتى في الحضور. هكذا يسخر الشوير بهم علانية، ويحطون من شأنهم ويكيلون لهم الشتائم... أما الكنيسة المقدسة (مثل أيوب) فتعرف أن تثبت في وسط الآلام، وتتال حياة مكومة وسط الإهانات. إنها تتعلم ألا تتهاجر بواسطة النكبات، ولا أن تفتخر في فترات الرخاء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أنظر في المسيح، كم أحتمل من الأثمة؟!!

ذاك الجاهل كيف تجاسر وتقل في وجهه!

كيف تجاسرت أيها اللسان أن تتضح بالبصاق؟!...

كيف احتملت أيتها الأرض هوء الابن؟!...

نظرة مخوفة، مملوءة دهشاً، أن ينظر الإنسان الشمع قائماً ويتقل في وجه اللهيب...

وهذه أيضاً من أجل آدم حدثت، لأنه كان مستحقاً البصاق لأنه زل! وعوض العبد قام السيد يقبل الجميع!

قدم وجهه ليستقبل البصاق، لأنه وعد في إشعياء أنه لا يرد وجهه عن احتمال قري البصاق!...

شفق سيد (آدم) على ضعفه، ودخل هو يقبل القوي عوضاً عنه!

القديس مار يعقوب السروجي

لأنه أطلق العنان وقهرني،

فترعوا الرمام قدامي [11].

يصور أيوب ما حدث بأنه بسماح من الله الذي يشبهه بمن يطلق السهم نحو الهدف، فأصاب أيوب وقهره، أو سبب له جرماً خطواً. وكأن ما حلّ به ليس مصادفة، وإنما بسماح إلهي، وإن كان لا يعرف علة غضب الله عليه.

هذا وإذا أضاء الله لهم باللون الأخضر كي يفعلوا بأيوب ما يشاعون، صاروا كفسان يمتطون خولاً قوية وعنيفة، فتركوا الرمام (للجام) لتتجه عليه بكل قوة.

مع مودة التصويرين إلا أن أيوب يدرك حقيقة هامة أن ما حلّ به إنما بسماح من الله، وإن كان لا يعرف علة هذا السماح.

❖ " وإذا رضى الله وتوه وأدلتني" [11]. [ماذا يقصد بوتر الله إلا مشورته السوية؟ الآن يطرح الوب السهم من الوتر عندما يصدر حكماً من مشورته

السوية. فإننا نعلم أن أي إنسان يمكن أن يُجلد، ولكن لأي سبب تصدر الجلادات، هذا ما لا نعرفه. لكن بعد الجلد يحدث إصلاح في الحياة، فيُكشف

عن قوة المشورة. هكذا الوتر المغلق هو المشورة الخفية. إننا نُؤدب بواسطة وتر مفوح عندما نتحقق بعد الجلد بأية مشورة ضوبنا.

استغل الأثوار هذا السماح الإلهي فظنوا أنهم يحطمون أيوب بلا عائق. تركوا ألسنتهم تسخر بأيوب نون أن يضعوا لجاماً أو حدوداً. أما ولاد

الله فيعرفون متى يتكلمون ومتى يصمتون. يستخدمون لجام الصمت بحكمة وتعقل.

❖ " ويضع لجاماً في فمي "... وي القديسون لجام الصمت موضوعاً عليهم من جهة القلوب القاسية التي للخطاة الضائعين، عندما يقولون بالنبى: "كيف

نوم تونيمة الوب في رضى غريبة" (مز 4:137). أوصى بولس بوضع لجام عندما أمر تلميذه: "الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرة عرض

عنه" (تي 3:10). فالمعلمون القديسون غالباً بمعرفة علوية يفحصون قلوب الذين يعرضونهم، وإذ يرون أن هذه القلوب تركها الله يخزنون ويبتنون،

ويصمتون. ألم يصنع سليمان أحياناً لجاماً على المعلمين عندما يقول: "لا توبخ مستهزئاً لئلا يبغضك" (أم 8:9)...

الكنيسة المقدسة التي تقدم كلماتها يوماً بيوح المحبة، توقف أحياناً كلماتها من أجل المحبة، فنقول: "ضع يارب حرساً لفي" (مز 3:141).

عَنِ الْيَمِينِ السَّفَلَةَ يَفُومُونَ،

يُرِيحُونَ رِجْلِي،

وَيُعِدُّونَ عَلَيَّ طُرُقَهُمْ لِلنَّوَارِ [12].

جاء في بعض التجمات: "عن اليمين الأحداث يقومون". وجاء في الترجمة اليسوعية: "قام السفلة عن يميني يعثرون قدمي"، وأيضًا: "يعثرون قدمي، ويمهدون إلى سبل المصيبة".

القيام عن اليمين تعبير يستخدم عن صب الاتهامات ضد الشخص. هكذا ثاروا عليه بعنف الشباب، ووضعوا له فخًا ورفعوه ليسقط فيه عقبه، ثم يطؤون عليه بأقدامهم. فالأمر لا يقف عند الاتهامات الباطلة، وإنما بعنف وقوة يسقطونه ويطؤون عليه.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن القيام ضد الشخص عن الشمال يشير إلى مقاومة الأعداء له من الخرج، أما القيام ضده عن اليمين فيشير إلى مقاومة من كان يؤم أن يكونوا مدافعين له، أي المقاومة من الداخل؛ وهذه أخطر وأمر.

❖ تقدم النكبات عن الشمال إن التقت الكنيسة بعدو يضطهدها على أيدي أشخاص خرج حظوة الدين، هؤلاء الذين يجحدون المسيح. لكن عندما تعاني من متاعب صاورة عن أشخاص يبدو أنهم مؤمنون يُسجلون تحت اسم المسيح ويقومون اسمه فيها. بنفس الطريقة يُستخدم "اليمين" عن من نحسبه عظيمًا، ورأني يوسع الكاهن العظيم قائمًا قدام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه" (ك 3: 1-2).

❖ "يعثرون قدمي، ويضغظون بسبلهم كما بتموجات [12]" [1201]. [ماذا يقصد بدمي الكنيسة إلا أعضاءها البعيدين جدًا؟ إنهم يستسلمون للأعمال الأرضية، وسوعان ما ينخدعون من الأعداء بقدر عدم فهمهم للعويات. لذلك يعثر الأعداء قدميها عندما يجتذبون الأعضاء البعيدين جدًا إلى أخطاء تعاليمهم. لا تقدر القديمان المعثرتان أن تحفظا الطريق، إذ كل الضعفاء، إما أنهم ينخدعون بعود المضطهدين، أو يرتعون من تهديداتهم، أو ينكسرون بعذاباتهم، وبهذا فإنهم ينحرفون عن الطريق المستقيم.

أَفَسْتُوا سُبُلِي.

أَعَانُوا عَلَيَّ سُنُوطِي.

لَا مُسَاعِدَ عَلَيْهِمْ [13].

جاء في الترجمة الكاثوليكية: "ويقطعون علي الطريق، ويساهمون في هلاكي، ولا يحتاجون لأي معين".

عمل عدو الخير وأتباعه الأشرار أن يبذلوا كل الجهد بإفساد الطريق، بزوع العلامات، فيضل الإنسان طريقه، ويفقد سلامه أثناء رحلته.

❖ لينطق الطوبولي أيوب بهذه الأمور عن الأرواح الشريرة، الأعداء الخفيين. لتتكلم الكنيسة الجامعة عن الأشرار المضطهدين، الأعداء الظاهرين، فإن هؤلاء يقطعون عليها طريقها، وذلك عندما تقاوم نفوس الضعفاء طرق الحق معترضين إياها بخداع.

إن كان المضلل يزوع علامات الطريق كي يضل البشرية ويهلكها، فقد جاء المخلص يعلن: "أنا هو الطريق" (يو 14: 6)، فنقتنيه ونسلك فيه،

فننعم بالملكوت في داخلنا.

❖ هذا الطريق صالح يقود الإنسان الصالح إلى الآب الصالح، الإنسان الذي يجلب خوات من كزه الصالح، العبد الصالح والأمين (مت ٧: ١٤؛ لو ٦: ٤٥؛ مت ٢٥: ٢١). لكن هذا الطريق ضيق، لا يستطيع الغالبية، الذين هم بالأكثر جسديون أن يسافروا فيه. لكن الطريق ضيق أيضًا بالنسبة للذين

[1202]

بجاهنون ليعبروا فيه، إذ لم يُقل "إنه محصور" بل ضيق.

العلامة أوريجينوس

❖ الآن الطريق غير قابل للخطأ، أعني يسوع المسيح؛ إذ يقول: "أنا هو الطريق والحياة". هذا الطريق يقود إلى الآب، إذ يقول "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو 6:14). [1203]

القدیس أغناطيوس الأنطاكي

يَأْتُونَ كَصَدْعٍ عَرِيضٍ.

تَحْتَ الْهُدَّةِ يَتَدَرَّجُونَ [14].

يأتون عليه مثل كسرة حجارة عريضة، فمهما كانت صلابته لن يفلت منهم، بل يسحقونه. إنهم لا يمشون نحوه بل يتدرجون بسوعة كما بعاصفة مدورة.

إن كان عدو الخير يظهر ككسرة حجارة ليسحق البشرية كالحجارة الملقاة في الطريق، فقد قل إلينا حجر زاوية (ك 4: 7؛ أف 2: 20)، لكي يضمنا معاً فيه فيقيم منا هيكلًا سماويًا، لا يقدر العدو أن يمسه.

روى القديس أغسطينوس [1204] أنه بدعوة السيد المسيح رأس الزاوية، وهو رأس الكنيسة، تكون الكنيسة هي الزاوية التي ضمت اليهود من جانب والأمم من الجانب الآخر.

انْقَلَبَتْ عَلَيَّ أَهْوَالٌ.

طَرَدَتْ كَالرَّيْحِ نِعْمَتِي،

فَعَبَّرَتْ كَالسَّحَابِ سَعَادَتِي [15].

في مراثية لحاله يقول أيوب إن الأهوال قد تحولت نحوه وتقلت عليه، زالت كرامته (نعمة) كريح عصف بها، وتركه رخاؤه كسحابة عورت وزالت.

يتعجب أيوب مما حدث، فإن هذا يلحق بالأشوار الذين يذبلون، حيث تحل بهم الكولث، ويفقدون نجاحهم وكرامتهم.

❖ " طردت كالريح رغبتني... فعبرت كالسحاب صحتي [15] " [1205]. [يخلق السحاب في الأعالي، وأما نسمة الريح فتسحبه كما في طريق سويح. هكذا بالتأكيد يكون مصير خوات الأشوار المؤمنة. إنهم يظهرون في علو الكرامة، ليعبروا حياتهم كمن هم في العلى، لكنهم سوعان ما يهبطون يوميًا في الحياة، كمن يُنسفون بحياتهم القابلة للموت.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . انهياره نفسيًا وجسديًا

الآن بعد أن قدم أيوب مراثية يندب حاله، فقد وجه الله سهامه ضده، واستغل الأشوار الموقف فهاجموه بكل وسيلة، في عنفٍ بلا رحمة، وحلت به الكولث من كل جانب، الآن يكشف أثر ذلك على صحته النفسية والجسدية.

فَالآنَ انْهَالَتْ نَفْسِي عَلَيَّ،

وَأَخَذْتَنِي أَيَّامُ الْمَذَلَّةِ [16].

روى أيوب كأن أيام المذلة التي طالَّت جدًّا وقد أَلقت القبض عليه، ولم تتركه، فانهلت نفسه وجفت تمامًا.

❖ "الآن جفت نفسي في، أمسكت بي أيام المذلة [16] " [1206]. [تجف نفوس المختلرين الآن إذ تصير فيما بعد خضراء في الأبدية المنتصرة.

الآن تمسك بهم أيام الحزن، تتبعها أيام الفرح فيما بعد. كما هو مكتوب: "المتقي الرب حُسن الخاتمة" (ابن سواخ 13:1).

موة أخرى قيل عن الكنيسة: "تضحك في اليوم الأخير" (أم 25:31).

الآن هو وقت الحزن بالنسبة للصالحين، ويأتي يوم يتبعهم المجد عوض الدموع. قيل في موضع آخر: "سحقتنا في موضع الأخوان" (مز

19:44).

"موضع الأخوان" هو الحياة الحاضرة، لذلك فإن البار ينسحق هنا، وأما في الحياة الأبدية - موضع النعيم - فيرتفع. لكن عندما قال: "جف النفس" بحق استهلها بقوله: "في ذاتي" ... ففي نواتنا تحزن بالحق نفوسنا، أما في الله فتنتعش.

البابا غريغوريوس (الكبير)

اللَّيْلُ يَنْخَرُ عِظَامِي فِي،

وَعَرَفِي لَا تَهْجُعُ [17].

هنا يتحدث عن الليل كشخص كما في أيوب (3: 3). فالليل يقوم بدور خطير، عمله أن ينخر عظامه فينهار هيكله العظمي، وعروقه في داخله لا تتوقف عن بث الألم الذي ينخر في كيانه!

بِكثْرَةِ الشَّدَّةِ تَنْكَرُ لِنَبِي.

مِثْلُ جَيْبِ قَمِيصِي حَرَمَتْنِي [18].

فقد أيوب ثياب الكرامة بكونه حاكمًا وقاضيًا له دوره وكلمته في المجتمع، ولكن ما هو أخطر أن ثيابه تهللت وساء حالها تمامًا بسبب ما حل بجسمه من أمراض وقروح. تحولت ثيابه الخرجية إلى ثياب حداد دائم، أو ثياب حزن، طوّقت بجسمه ولا تفرقه، مثلها مثل ثيابه الداخلية.

❖ حسب التفسير التاريخي ماذا يعني ثوب الطوبوي أيوب سوى جسده؟ بالحق أستهلك الثوب عندما تعرض جسمه للعذاب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

قَدْ طَرَحَنِي فِي الْوَحْلِ،

فَأَشْبَهْتُ التَّوَابَ وَالرَّمَادَ [19].

قديمًا كان البسطاء من الشوقيين يُعبرون عن حزنهم الشديد إما بالجلوس على التراب، أو يضعونه على رؤوسهم وهم ينوحون. هنا يصور

أيوب الله كمن يطوحه في التراب ليمرس الحزن في أقصى صورته، ومما زاد ألمه أن أيوب رأى في نفسه أنه قد صار شبيهًا بالتراب والرماد.

على أي الأحوال حملت هذه الموثاة صورة لما بلغه أيوب من انسحاق نفس وتواضع، إذ حسب نفسه تَابًا ورمادًا. قال إواهيم: "إني قد شرعت

أكلم المولى وأنا تَاب ورماد" (تك 18: 27). وجاء في ابن سواخ: "الوب يستعرض جنود السماء العليا، أما البشر فجميعهم تَاب ورماد" (17: 31).

هكذا يتطلع الإنسان إلى حقيقة نفسه فيجد نفسه تَابًا، لكن بالمسيح يسوع يصير خليفة جديدة على صورة خالقه.

❖ Vulgate يقول الكتاب: "احتقرت نفسي، وانطرحت، حسبت نفسي تَابًا ورمادًا" (أي 19:30). هذا هو تواضع النادمين. عندما تحدث إواهيم مع

إلهه، ورأى أن يناقش معه موضوع حرق سدوم، قال: "أنا تَاب ورماد" (تك 18:27). كيف يوجد هذا التواضع على النوم في العظام

[1207] القديسين؟

القديس أغسطينوس

❖ أيها الغني، لماذا تتوقّع بغناك وتفخر بأجدادك؟ أنتفاخر بموطنك وتُسّر لجمال جسدك وتوَح لِشَوْفِ زَائِلٍ؟ انتبه لنفسك. تدكّر بأنك إنسان مائت

وأنت تَاب وإلى التراب تعود (تك 3: 19) ... إنحن وأنظر إلى القبور، فهل تميّز بين عظام الفقراء وعظام الأغنياء؟ بين عظام العبيد وعظام الأسياد؟

[1208]

إفطن لذاتك إذن وتخلّ عن التكبر والبخل وقسوة القلب .

القديس باسيليوس الكبير

❖ قيل عن القديس أنطونيوس: إنه لما دخل البرية الداخلية نظر إليه الشياطين وازعجوا واجتمعوا عليه وقالوا له: "يا صبي العمر والعقل، كيف جسوت ودخلت إلى بلادنا، لأننا مارأينا ههنا آدمياً سواك؟" وابتدأوا يحلبونه كلهم، فقال لهم: "يا أقوياء، ماذا تريدون مني أنا الضعيف المسكين؟ وما هو قوتي حتى تجتمعوا كلكم عليّ، وأنا تراب ووسخ ولا شيء" ، وضعيف عن قتال أحد أصاغركم؟" وكان يُلقي بذاته على الأرض، ويصيح ويقول: "ياربي أعنيّ وقوّ ضعفي، لرحمني يارب فإنيّ التجأتُ إليك، يارب لا تتخلّ عني، ولا يقوّ عليّ هؤلاء الذين يحسبون أنّي شيء، يارب أنت تعلم أنني ضعيف عن مقاومة أحد أصاغر هؤلاء". وكانت الشياطين متى سمعت هذه الصلاة المملوءة حياةً وتواضعاً يهربون منه، ولا يقرون على الدنوِّ إليه.

بستان الرهبان

إِلَيْكَ أَوْحُ، فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي.

أَهْوُمْ فَمَا تَنْتَبِهْ إِلَيَّ [20].

كثوفاً ما يشعر بعض المؤمنين وسط مورة نفوسهم كأن الله لا يستجيب لصواتهم ووصواتهم. مع أنه يُدعى "سامع الصلاة" (مز 65: 2). في سماعه للصلاة قد تكون الاستجابة بتحقيق الطلبة لكن في الوقت اللائق. وذلك كاستجابته لطلبة إواهيم فأعطاه اسحق ولكن في زمن الشيخوخة؛ وقد يرفض الله الطلبة لأنه يعلم أنها ليست لصالح طالبيها.

❖ عندما يعاني قديسه من ضغوط اضطهاد الأعداء، وعندما يصرخون بلا انقطاع متوسلين لكي ينقذهم، فبتدبيرٍ عظيمٍ يبدو الله كمن لا يسمع أصوات توسلاتهم، حتى يتوكوا بالأكثر في الآمهم.

إنهم يتوكون بالأكثر عندما لا تُستجاب طلبتهم سريعاً... كُتبت: "إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب" (مز 22: 2).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لا تضجر في طلبك. لا تفكر بأن طلبك يعود فلرغاً.

لا نقل: طلبت كثوفاً ولم أجد، ولعلني لا أجد أبداً [1209].

القديس مار يعقوب السروجي

تَحَوَّلْتُ إِلَى جَافٍ مِنْ نَهْوي.

بِقُوَّةِ يَدِكَ تَضْطَهْدُنِي [21].

في مورة نفسه وي أوب كأن الله قاسي، يستخدم كل قرة يده ضده. ليس من تناسب بين قرة يد الله القوية وضعف الإنسان، فكيف يمكن له أن يتحمل مقاومة الله؟ جاء في الترجمة اليسوعية: "أصبحت لي عنواً قاسياً، وبقوة يديك حملت عليّ".

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الله يبدو جافاً أو عنيفاً مع قديسيه، ليس لأن فيه قسوة وعنف، إنما يبدو هكذا بمقاومته لإرادتنا، فنحسبه هكذا.

حَمَلْتُنِي، رُكِبْتِنِي الرِّيحَ،

وَلَوَبَّتِي تَشَوْهَا [22].

جاء في الترجمة اليسوعية: "خطفتني، وعلى الريح ركبتني، وأذابتني العاصفة". وجاء في ترجمة NKJ: "رُفَعْتَنِي إِلَى الرِّيحِ، وَرُكِبْتَنِي إِيَّاهُ، وَأَفْسَدْتَ نَجَاحِي".

لعل أوب حسب أيام رخائه كمن كان قدرفعه الله إلى الريح، فصار عالياً جداً؛ صلت الريح مركبته الفائقة. لكن بقدر ما ارتفع سمح له الله أن يسقط، فيتحطم كل ما قد ناله!

حقًا إن مجد العالم الزائل مجد باطل، هو جلوس على الريح غير الآمن، فبقدر ما يحسب الإنسان نفسه طائرًا كما على الريح يكون سقوطه مدمرًا له تمامًا.

❖ مجد الحياة الحاضرة يبدو أنه عالٍ، لكنه ليس فيه أي ثبات، فيكون الإنسان كمن رُفِعَ إلى أعلى وجلس على الريح (أي أنه في غير ثبات، إنما يسقط منه).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِلَى الْمَوْتِ تُعِيدُنِي،

وَأَلِي بَيْتٌ مِيعَادٍ كُلِّ حَيٍّ [23].

كان رجال العهد القديم يتطلعون إلى الموت، وهو مصير كل إنسان، عبورًا إلى الهاوية التي هي بيت كل حي، وولده الذي يعود إليه. لكن جاء السيد المسيح، ونقل الأموات المؤمنين من الجحيم إلى الفردوس، كغنائم خلصها من يد إبليس ومن سلطان الموت الأبدي.

❖ في الجزء السابق من هذا العمل أشوت إلى أنه قبل مجيء الرب قول حتى الأوار إلى مساكن الهاوية، حتى وإن كانوا ليسوا ساقطين في ويلات، وإنما كانوا في راحة... بحق كان ذلك يناسب أيوب قبل نعمة المخلص، إذ كان الأوار يُحملون إلى مساكن الهاوية. مجرد دخول الهاوية يُدعى "بيت كل الأحياء".

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَلَكِنْ فِي الْخَوَابِ أَلَا يَمُدُّ يَدًا؟

فِي النَّبَلِيَّةِ أَلَا يَسْتَعِيثُ عَلَيْهَا؟ [24]

جاء في الترجمة الكاثوليكية: "لا شك أن اليد لا تُمد إلى الخواب، وفي الانهيار تأتي النجدة" [24].

نظرة رائعة لأيوب البار، وموقف إيماني حي، ففيما تبدو له يد الله قاسية، وتصرفات الله تصدر كما من عدو، إذا به يعترف أن ما يسمح به الله من خواب زمني إنما هو بمثابة يد الله للبنين الأبدي. يتطلع إلى بليته فيدرك وهو يستغيث أنها لخلصه، حتى وإن وصل إلى الانهيار المؤقت.

❖ "على أي الأحوال لا تمد يدك لخوابهم، وإن سقطوا أرضًا ستنقذهم بنفسك" [1210]. بينما يروي أيوب عن ظروفه وعدم معاقبة الآخرين... وى أن الرب لا يمد يده لهلاك الذين يخطئون، عندما يُصلح من حالهم بضوبهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَلَمْ أَبِكْ لِمَنْ عَسَرَ يَوْمُهُ؟

أَلَمْ تَكْتَتِبْ نَفْسِي عَلَى الْمُسْكِينِ؟ [25]

بإيمان حي يطالب أيوب البار التدخل الإلهي، فهو لا يبرر نفسه، لكنه يؤمن أنه كما توفيق بل وكما كان يبكي حين كان يجد إنسانًا في ضيق، وورثي لحال المساكين، فحتمًا يرد له الله هذا الحنو بالحنو، كأنه يقول لله: "قانونك: بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم". لقد قدمت كل حنو للنفس المتألّمة

المجروحة، وكل تغذية للمساكين، الآن نفسي تنن من الحواجات، ومحتاجة إلى تغويات إلهية، أليس من حقي أن أغتصبها منك يا أيها البار وحده؟

❖ لاحظوا كيف دُرب نفسه بخصوص آلام الجسد وإهانتته، فيقدر ما لم يعان من شيء كهذا قط حيث كان يعيش دومًا في غنى وفير وسمو اعتاد أن يهتم بمصائب الآخرين، واحدًا واحدًا. هذا ما أعلنه عندما قال: "لأني رتعبًا رتعبت فأتاني، والذي وُعت منه جاء عليّ" (أي 3: 25). هرة أخوى "ألم

[1211]

أبك لمن عسر يومه؟! ألم تكتتب نفسي حين كنت رى إنسانًا في محنة" (راجع 25:30). بسبب هذا لم يوتبك من أي شيء حلّ به.

❖ لتكن براحمنا فياضة، ولنقدم دلائل عن محبتنا الشديدة للإنسان، سواء باستخدام أموالنا أو تصرفاتنا. فإن رأينا شخصًا ما يساء إليه ويضوب في السوق، فإن كنا نقدر أن نقدم مالا عنه، فلنفعل ذلك، أو إن كنا نخلصه بالكلمات، فلا نواجه عن ذلك. فحتى تقديم الكلمة لها مكافأتها، وبالأكثر

تهداتنا. هذا ما قاله أيوب: "بكيت على كل إنسان متعسر، وتهدت عندما كنت رى إنساناً في محنة" (أي 25:30).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " لقد بكيت قديماً على من في تعبٍ، نفسي تألمت مع المسكين [25] " [1213]. وإن كان هذا حنوًا حقيقياً بالنسبة لنا أن نشرك زميلنا المخلوق آلامه بالعطاء بسخاء، لكن أحياناً عندما تكون الخوات الخرجية لدينا بفيضٍ، فإن أبادينا تعطي بسخاء وبسهولة أكثر من تقديمنا مشاعر المشركة في الأسي.

لهذا يليق بنا أن نعرف أننا نعطي بطريقة كاملة عندما نبلغ إلى المتألمين، وفي نفس الوقت نحمل في داخلنا ذات مشاعوهم.

يليق بنا أولاً أن نحمل آلام الشخص المتألم في داخلنا، وبعد ذلك نشركه أخوانه، مظهرين تعاوننا خلال الخدمة العملية...

يبلغ حنو قلبنا الكمال حينما لا نخشى أن نلقي على أنفسنا شر الاحتياج من أجل زميلنا، لكي ما ننقذه من الألم.

هذا النموذج من الحنو، في الواقع وهبنا إياه الوسيط بين الله والناس. فإنه كان يمكنه أن يأتي ليعيننا دون أن يموت، لكنه أراد أن يعين البشرية بالموت. بالتأكيد لو أنه لم يحمل جراحاتنا، لكان حبه لنا قليلاً جداً... لقد أظهر مدى عظمة فضيلة الحنو بأن وضع لنفسه أن يصير إلى حال لا يريدنا أن نكون عليه، وذلك من أجلنا...

هذا أيضاً ما يليق أن تفعله الكنيسة المقدسة. إنها إذ ترى شخصاً يحمل دموع التوبة، تربط دموعها به بالصلاة الدائمة، وتتعاطف مع الإنسان

المسكين لكي ما تعين الذهن العري من الفضائل بتوسلاتها وشفاعتها. إننا نوثي الحزين، متعاطفين معه، عندما نشعر أن جراحات الآخرين هي

جراحاتنا، ونجاهد بدموعنا لغسل خطايا المرتكبين المعصية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

حِينَما تَرَجَيْتُ الْخَيْرَ، جَاءَ الشَّرُّ،

وَأَنْتَظَرْتُ النُّورَ، فَجَاءَ الدُّجَى [26].

يدهش أيوب الذي كان يتوجى البركات مقابل حنوه على إخوته فانهالت الشور (التجرب) عليه. وإذ أثار الطويق لمن هم حوله أحاطت الظلمة

به. توقع إثراق الصباح المنير على حياته، فإذا به في ليلٍ بهيم.

هذه هي المشاعر البشرية حتى بالنسبة لرجال الله أحياناً، حين تشد بهم التجربة في وقت كانوا يتوجون فيضاً من البركات!

❖ يتوجى المؤمنون الخير لكنهم ينالون شراً، وينتظرون النور فيأتي عليهم الظلام، لأن من أجل الوجود في نوال المكافأة للتمتع بأواح الملائكة،

يُسلمون لأيدي الذين يضطهدونهم، وإن تأخر نوالها قليلاً هنا في العالم السفلي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَمْعَانِي تَعْلِي، وَلَا تَكُفْ.

تَقَدَّمْتَنِي أَيَّامَ الْمَذَلَّةِ [27].

صورة للأوار أو للكنيسة بكونها متألمة، تشرك مسيحها صليبه. داخلها غليان لا يهدأ، إذ تعيش كما في أيام الشقاء. وكما يقول الموتل: "في

المساء يحل البكاء، وفي الصباح الفوح".

❖ غليان أحشاء الكنيسة المقدسة بالنسبة لها هو احتمال عنف الاضطهاد... "أيام المذلة عافنتي". تعرف كنيسة المختلين أنها ستعاني من شورٍ كثرة

في الضيق الأخير، لكن أيام المذلة تعوقها، لأنه حتى في زمن السلام تحتمل في داخلها حياة الأثوار بروح متقلبة.

الباب غريغوريوس (الكبير)

إِسْوَدَدْتُ لَكِنْ بِلَا شَمْسٍ.

قُنتُ فِي الْجَمَاعَةِ أَصُوخُ [28].

روى البابا غريغوريوس (الكبير) أن حديث أيوب هنا هو حديث كل بارٍ يحترق قلبه لا بنار شمس التجرب، وإنما بنوان الغوة المقدسة والرغبة الصادقة لخلاص كل نفس. فالإنسان المؤمن لن يستريح حتى يجد الكل قد استراح معه في الوب، ويتمتع معه بخوة عيون السماء! إنه يصوخ مع رميا النبي قائلًا: "أحشائي، أحشائي، توجعني جوارن قلبي. بين في قلبي. لا أستطيع السكوت" (إر 4: 19).

❖ " صوت في ثوب حداد (أسود) دون إثارة غيظ، قمت في الجماعة أصوخ [28] " [1214]. مع أن هذا الرجل كان له سلطان فوق زملائه، لكنه كان داخليًا يقدم للوب ذبيحة سوية للقلب النادم، وذلك خلال حداده. "ذبايح الله روح منكسر وقلب منكسر وتائب" (مز 51: 17)...

كان شاهدًا على نفسه أنه في وسط كل تلك الظروف (من الغنى والسلطة الخ.) لم يتتعلم، بل صار في حداد. فإنه بالنسبة للقديس الذي لا زال في حالة سياحة (في العالم) كل شيء مهما كان مملوءًا بالخاء بدون رؤية الله يكون فؤًا مدفعًا. فإن المختلرين إذ يرون كل شيء يحزنون أنهم لا يرون خالق كل الأشياء، وبالنسبة لهم كل هذه الأمور تافهة للغاية مقابل حرمانهم من ظهور الكائن الأعظم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

صَوْتُ أَحَا لِلذَّنَابِ،

وَصَاحِبًا لِلنَّعَامِ [29].

لم يجد أيوب إنسانًا ما يسنده وسط ضيقته، حتى بالنسبة لأسوته مثل زوجته أو أقربيه، فحسب الذناب المفقوسة إخوانه، يعيش بينهم كحملٍ بسيط. كما حسب أصدقائه كالنعام التي لها مظهر جميل لكنها عاجزة عن الطوان كغالبية الطيور.

لا نعجب أننا نعيش في عالم لا يفرز الأوار من الأثوار، ولا ينقي الحنطة من القش، حتى تأتي الساعة التي فيها يتم الفصل الحقيقي أمام الدين القدير.

❖ يقول إنني سقطت إلى مستوى الطيور أو النعام. لم أعد بعد أعرف طبيعتي، صار حالي ليس أفضل من حالهم. هذا أيضًا ما قاله داود: "صوت مثل بومة الخرب... صوت كعصفورٍ منفرد على السطح" (مز 102: 6-7).

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ " كنت أحَاً للثنانين، ورفيقًا للنعام [29] " [1215]. [إلى ماذا تشير الثنانين إلا إلى حياة أصحاب العقول الشروية؟ عن هؤلاء أيضًا يُقال بالنبي:

"يستنشقون الريح مثل الثنانين" (إر 14: 6). يستنشق كل الأثوار الريح مثل الثنانين، وذلك عندما يُبتلعون بفكر الكروياء الشرير.

ولكن ماذا يفهم من الذين يُشار إليهم بالنعام سوى المحبون للظهور؟ فللنعامة جناحان لكنها لا تطير، هكذا كل المحبين للظهور، لهم مظهر القداسة، لكن ينقصهم صلاح القداسة.

هذا أيضًا يتفق مع كلمات الطوبوي أيوب، هذا الذي كان على مستوى من الجلد والثبات، كان رجلًا صالحًا بين الأثوار. فإنه ليس من إنسانٍ

كاملٍ لا يكون حليمًا وسط شهور أقباته. من لا يحتمل شهور الآخرين في رباطة جأشٍ، بطول أناته، يشهد عن نفسه أنه بعيد جدًا عن فيض

الصلاح.

من لا يختبر حقد قايين يرفض أن يكون "هابيل".

ففي البيدر توجد الحنطة تحت ضغط القش... وتتمو الورد ذات الرائحة الجميلة بين الأشواك الشائكة.

كان أبناء نوح الثلاثة في الفلك، لكن اثنين استعوا في التواضع، وواحدًا في طيشٍ استخف بأبيه.

كان لإواهم ابنان، واحد كان براءً، والآخر كان مضطهدًا لأخيه.

كان لإسحق ابنان، واحد خلص في تواضع، والثاني طُود حتى قبل أن يُولد.

وُلد اثنا عشر ابنًا ليعقوب ، من بين هؤلاء بيع واحد في واءة، والبقية كانوا بائعين لأخيهم خلال شهرهم.

أختبر اثنا عشر تلميذًا في الكنيسة المقدسة، لكنهم لم يبقوا نون فحص، واحد امّوج بهم، الذي باضطهاده (لهم) أمّتحوا.

يلتصق الإنسان البار بشر الخاطي، كما في التور يُضاف القش إلى الذهب في النار، فالقش يحترق، والذهب ينتقى. حقًا إنهم أناس صالحون، هؤلاء القادرون أن يتمسكوا بالصلاح، حتى في وسط الأشرار.

قيل للكنيسة المقدسة بصوت العريس: "كالسوسنة بين الشوك، كذلك حبيبتي بين البنات" (نش 2:2). وهكذا يقول الرب لخرقيال: "وأنت يا ابن الإنسان لديك غير مؤمنين والساقطون، وأنت ساكن بين العقرب" (حز 2:6).

مجد بطرس حياة الطوبوي لوط، قائلاً: "أنقذ لوطًا البار مغلوبًا من سوة الأرياء في الدعلة، إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يُعذب يومًا فيوماً نفسه البلرة بالأفعال الأثيمة" (2 بط 2: 7-8).

يُمد بولس حياة تلاميذه، وبتمجدهم يقويهم، قائلاً: "في وسط جبلٍ موجٍ وملتو تضيئون بينهم كأوارٍ في العالم، متمسكين بكلمة الحياة" (في 2: 15-16). هكذا بواسطة يوحنا يحمل ملاك كنيسة وغامس شهادة لذلك بالكلمات: أنا علف... أين تسكن حيث كوسي الشيطان، وأنت متمسك باسمي، ولم تنكر إيماني" (رؤ 2: 13)

البابا غريغوريوس (الكبير)

إسودّ جلدِي عليّ،

وعِظامِي احترقتُ مِنَ الحُمَى فِي [30].

إذ يُشير أيوب إلى الكنيسة وى البابا غريغوريوس (الكبير) حزن الكنيسة على النفوس الضعيفة التي تحرق شمس الضيقات جدهم وتحرق عظامهم، فتُحسب ما حلّ بهم إنما حلّ بها، بكونهم أعضاء الكنيسة.

❖ " إسودّ جلدِي عليّ، واحترقت عظامِي مِنَ الحورة فِي [30] ... يشير بالجلد إلى الضعفاء، هؤلاء الذين يخدمون فيها لنفعٍ خلجي. والعظام تمثل الأقوياء، إذ خلالها يتمّ رابط الجسم كله.

يسقط الضعفاء في الكنيسة عن الثبوت في الإيمان، إما بالإغواء المالي أو التحطيم بالاضطهادات. وبعد سقوطهم يقومون هم أنفسهم باضطهادها، فتعاني الكنيسة من سواد جلدها.

" وتجف عظامِي مِنَ الحورة "، فقد احترقت أوى عظمة للكنيسة المقدسة، بولس، وجفت بالقلق على الآخرين، عندما قال لبعض الساقطين: "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (2 كو 11: 29). هكذا إسودّ الجلد، وجفت العظام مِنَ الحورة، لأن الضعفاء يثبون نحو الشر، والأقوياء يتعذبون بنار غيوتهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بماذا نقرن بولس الذي يئنّ يومياً من أجل كل إنسانٍ في هذا العالم، من أجل كل جنسٍ ومدينةٍ، من أجل كل نفسٍ؟ لقد كانت غزيمته أشدّ قوّة من الحديد، وأكثر حرماً من الصلب، فبأية كلمات نصف هذه الروح؟! [1216]

❖ يا له من شعور عجيب في الراعي. يسقط الآخرون ويقول: إني أؤكد حزني. يتعثر آخرون فيقول: تلتهب نوان آلامي!

ليت كل الذين عُهد إليهم قيادة القطيع العاقل أن يتمثلوا بهذا، ولا يظهروا أنهم أقل من الراعي الذي يهتم إلى سوات كثرة بقطيع غير عاقل. ففي حالة القطيع غير العاقل لا يحدث ضرر يذكّر حتى إن حدث إهمال، أما في حالتنا فإن هلك خروف واحد أو افتراس سيكون الضرر خطواً جدّاً وروعياً والعقوبة لا يُنطق بها، فوق هذا كله إذ سبق الرب واحتمل سفك دمه من أجله، فأبي عنر يقدمه هذا الإنسان أن يسمح لنفسه أن يهمل

[1217]

ذلك الذي اهتم به الرب وبذل كل الجهد من جانبه لرعاية القطيع؟

أن أيوب هنا يتطلع إلى الروح القدس الذي يضرب على أوتار النفس البشرية، فيقيم منها عودًا ومزملاً؛ تنوب النفس بحب البشرية في الرب. يقضي الإنسان حياته حزينا على كل نفس متألمة، وباكياً مع الباكين. هذه هي حكمة الله العاملة في الإنسان فيشارك الكل مشاعوهم، وهو في هذا يشعر بسلام فائق أثناء حزنه على الآخرين.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن المؤمن أشبه بوتر في عود أو قيثارة، إن ضُرب عليه بخفة شديدة لا يقدم صوتاً، وإن ضُرب عليه بشدة يسبب رجاجاً. لذا يليق بالإنسان أن يسلك باعتدال في كل شيء، ففي نسكه لا يبالغ حتى لا يدمر حيويته، ولا يتوك النسك كلبية فلا يقدر أن يضبط جسده.

إننا أوتار مختلفة في قيثارة الله، نعمل معاً، فتخرج سيمفونية مبهجة يتقبلها الله ذبيحة تسييح وشكر مقبولة وموضية لديه. بهذا يتمتع المؤمن بالحياة السماوية بكونها حياة جماعية في الرب، كل عضو بمفودة يشعر بلمسات يد الله العزفة به، ولكن بذات اليد تضرب على الأوتار الأخرى في تناغم وتناسقٍ بديع!

❖ يصعب علينا أن نشك - على ما أظن - أن أيوب في هذه العبارة يعني الروح القدس.

موضوع النقاش هو الحكمة، من أين تأتي إلى البشر، إنها لا تأتي من كثرة السنين، بل الروح القدس الذي (يسكن) في القابلين للموت والنسمة التي للقدير هي تعلم...

واضح تماماً أنه لا يتحدث عن روح الإنسان في عبارة " الروح الذي في القابلين للموت ". لقد أراد أن يظهر من أين ينال البشر الحكمة، فإنها ليس من عندهم... بنفس الطريقة في عبارة أخرى في ذات السفر يقول: "فهم شفتي لا يتأمل النقلة. الروح الإلهي الذي شكلني ونسمة القدير تعلمني" (راجع أي 30: 3-4 LXX) [1218].

القديس أغسطينوس

❖ " صار عودي للروح، ومزمري لصوت الباكين " [31]. ليؤخذ في الاعتبار أنه إن ضُرب وتر العود خفيفاً جداً لا يعطي صوتاً، وإن ضُرب بشدة عظيمة يُصدر صوتاً فظاً. هكذا فإن فضيلة النسك تصير بكاملها كلاً شيء إن لم يروض الإنسان جسمه قدر المستطاع. لكنها تُستخدم بطريقة خاطئة إن رُهِق الإنسان جسمه أكثر مما يحتمل. فإنه بالنسك تتآكل نقائص الجسد، وليس الجسد نفسه، ويليق بكل أحد أن يضبط نفسه بنظامٍ دقيقٍ، بحيث لا يتشامخ الجسد فيخطئ، ومع ذلك يُسند ليملس البر. يقول الكارز العظيم: "أميوا أعضاءكم التي على الأرض" (رو 3: 5). ومع هذا كتب إلى الكارز المحبوب لديه جداً: "استعمل خوراً قليلاً من أجل معدتك، وأسقامك الكثيرة" (1 تي 5: 23).

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 30

نفسى تنن في مورة!

❖ كثراً ما أنتطلع إلى حياتي،

فأراها عبرت سويحاً بلا ثمر.

كنت أود أن أشهد لك كلما عبر بيّ الزمن.

لكن نفسي مؤّة، إذ لا أرى ثمرًا روحية في حياتي وخدمتي!

من يزع روح اليأس عنيّ، سوى صليبيك يا واهب الرجاء!

لألتصق بك، فتحملني على نواعيك،

وتطمئن نفسي بك، يا منقذ النفوس من الفساد!

❖ كثيرون يسخرون بيّ حتى في شيخوختي!

يعكسون ما في قلوبهم من عوزٍ وهوعٍ وخويّ،

ويسكبونه على نفسي لتحطيمها.

لكن أنت هو خزي السموي وشبعي ومجدي!

سمرّ عيني عليك، فأرتفع عن المذبلة التي أعاني منها.

❖ التف حوليّ من لم ينوقوا الحق ولا الشبع بنعمتك،

وها هم يسخرون بيّ.

لقد خرجوا عليك كأنما على لصّ،

وها هم يملسون ذات العمل مع كنيستك!

هب لي ألاّ تضطوب نفسي!

❖ تركوا مدينة الله بكل بوكاتها.

عوض العودة إليها، يشمتون في رجال الله المتألمين.

❖ انطلقوا إلى القفار والورلي،

حرموا أنفسهم من الغرس الإلهي ومياه الروح القدس،

ظفوا أنفسهم أقوياء،

فجاءوا يسخرون بالغروس الإلهية، كرم الله العجيب!

❖ لماذا تئن نفسي من سخرية العالم.

حبك مشبع لنفسي!

آلامك وعار صليبيك وموتك عني تغويتي الحقيقية!

من يستحق أن يشترك معك في عرك المجيد؟

من يتأهل أن يحمل معك صليبيك؟

❖ في ضيق نفسي رأك قد أطلقت العنان لمضايقي،

تبدو كمن يصب السهام ضدي.

لكنك وأنت الحب كله تحول وراثي إلى عنوبة.

تحول مضايقات المقاومين إلى أمجاد أبدية.

توكلهم يسخرون بألسنتهم، يصبون الاتهامات ضدي.

ويملرسون الظلم كما بغير ضابط!

وفي هذا كله عيناك عليّ، تترفقان بي!

أنت هو خلاصي ومجدي!

❖ إذ أسقطت تحت الآلام،

تتجلى أمامي يا أيها المتألم لأجلي،

أنسى آلامي بروياك الموححة لقلبي.

وتتحول وراثي إلى أغنية سماوية وتهليل لا ينقطع.

❖ ليس للمخادع عمل سوى أن يُضللني عن الحق.

يظن أنه يقطع عليّ الطريق، فلا أعبّر إلى الملكوت.

يا لغباوته. أنت هو الطريق الذي لا تستطيع قوة أن تحجبه عني.

إنه يطلب هلاكي، ولم يدرك أنك أنت هو مخلصي القدير.

❖ يتحرك العدو نوري كما في عاصفة ليدموني.

يظن أنه يسحقني كحجر تحت كسلة حجلة عريضة.

لم يدرك أنك حجر الزاوية تضمني بك إلى الهيكل السموي!

ليس من قوة تقدر أن تسحقني مادمت في يديك!

❖ صلت حياتي كويحٍ عابر أو سحابةٍ سوعان ما تختفي.

صلت كأنها بلا هدف ولا طعم!

جفت تمامًا كشجرة بلا حياة ولا ثمر.

هاج الليل عليّ، فصار ينخر عظامي.

عروقي في داخلي لا تعوف الراحة.

التحفت بالآلام كثوبٍ ملتصق بي.

انطوحت في وسط الوحل.

وتحولت حياتي إلى زاب ورماد.

❖ فقدت حياتي كل استوار وأمان.

تحولت عيناى إلى القبر، كبيتٍ يستقر فيه كل إنسان!

تحول النور إلى ظلمة بالنسبة ليّ.

أحشائي في داخلي ذابت من الغليان.

لم يعد ليّ من يواسيني، ولا من يشركني آلامي.

صوت أختا للذئاب المتوحشة، والنعام العاجز عن الطوان!

لم أعد أعرف على قيئرة نفسي نشيدًا أو أغنية.

إنما تحول كل كياني إلى قيئرة تعوف هوانٍ دائمة!



هذه مراثي، من يقدر أن يعزيني غورك؟

من يستطيع أن يقيمني من القبر غير القائم من الأموات؟

من يوفيني من المذبذبة إلا السملوي الذي بحبه قول إلي؟

من يعطي لحياتي طعمًا سوى ذلك الذي يحول العورة إلى عنوبة،

مراثي لا تحطم نفسي،

بل تهني رجاءً فيك، يا موح القلوب!

<<

الأصْحَاحُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ

فحص النفس

تحدث أيوب عن أيام رخائه الماضية، والوعب الذي يحل به في الحاضر. الآن يبحث في أعماقه ليفحص نفسه، لعله يكون قد ارتكب خطايا خفية، كما أشار إلى ذلك أصدقؤه.

جاء فحصه لنفسه عجيبيًا، ليس على الناموس الذي لم يكن بعد قد تسلمه موسى النبي، وإنما على ضوء الإنجيل المقدس. يعلن أيوب إنه قد فحص أعماقه وهو مستعد لأية أسئلة يوجهها الله إليه.

1. عفة النظرة 1.
2. انشغاله بالله نصيبه الأبدى 2.
3. الخطية تقدم الدمار الذي لها 3.
4. الله فاحص طرق الإنسان 4.
5. عدم الكذب والغش 5.
6. لنوزن بموازين المخلص 6.
7. نقوة في الداخل والخارج 7-8.
8. خطورة الزنا 8-12.
9. حق الحوار مع الجميع 9-15.
10. اهتمامه بالأيتام والأرامل والمساكين 10-23.
11. اتكاله على الله لا على غناه 11-25.
12. عدم ممرسته الوثنية 12-28.
13. لا يتسلل إليه فكر شماتة 13-29-30.

14. حب مدهش لأهل بيته 31-32.
 15. اعتراف علني 33.
 16. هياج العشائر عليه بلا سبب 34.
 17. رفع أمره لله 35-40.

1. عفة النظرة

عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنِي،

فَكَيْفَ أَتَطَّلُعُ فِي عَوَاءٍ! [1]

استطاع أيوب وهو في عهد ما قبل الناموس الموسوي، أن يرتفع ليقتنس بالعون الإلهي سموًا إنجيليًا فائقًا. فإنه لم يتمتع فقط عن الونا والوجاسات، لكنه أغلق على الخطية في بدء انطلاقها، ألا وهي النظرة الشريرة. لم يسمح لنفسه أن يتطلع إلى عواء ليشتهيها، حاسبًا هزازنا داخلي يتسلل إلى حواسه.

لقد وهبنا الله الحواس لنستخدمها كما يليق، عطية مقدسة، نقدم الشكر لله عليها. أما أن أساءنا استخدامها خلال الاستهتار والتهاون، فإننا بهذا نفتح الباب لتتسلل الخطية ترويجيًا.

من أجل هذا منع آباء الكنيسة الأولى السكنى مع عذرى، مهما سمت حياة الطرفين، لا بالنظر إليهن كمصدر دنس، ولكن لأجل نقلة العينين والفكر والقلب.

❖ يقول رميا: "لأن الموت طلع إلى كوانا، ودخل قصورنا" (إر 9: 21). يحدث هذا عندما تدخل الشهوة خلال حواس الجسم، تدخل إلى مسكن العقل. على خلاف هذا يتحدث إشعياء عن الأوار: "من هم الطائرون كسحاب، وكالحمام من فوافدهم؟" (إش 60: 8)، إذ يُقال عن الأوار إنهم يطربون كالحساب، لأنهم يرتفعون فوق أدناس الأرض...

لكي يحفظ أيوب أفكار القلب بالعفة **قطع عهدًا مع عينيه** " لئلا يرى بدون حذرٍ ما يحبه...

ما كان لحواء أن تلمس الشهوة الممنوعة لو لم تنظر إليها ولاً بغير احتباس، كما هو مكتوب: "وأت المرأة أن الشهوة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشهوة شهية للنظر، فأخذت من ثورها وأكلت" (تك 3: 6). لهذا يؤمننا نحن الذين نحيا حياة قابلة للموت أن نضع ضبطًا عظيمًا لنحد نظونا نحو الأمور الممنوعة، إذ كانت أم كل حي (حواء) جاءت إلى الموت خلال العينين. يقول النبي أيضًا: "عيني تسلب قلبي" (راجع هوائي 3: 51) ... قال ربنا: "قد سمعتم أنه قيل للقديس: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه" (مت 5: 27-28)

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد رآل المسيح هذه العلة (الزنا)، حيث نهتم حتى بما هو في القلب وحده. الآن بماذا يستطيعون القول من يشركون العذرى السكنى؟ فإنهم بحسب هذا القانون هم يذنبون بخطية الزنا ربوات الربوات كل يومٍ حيث يتطلعون إليهن بشهوة. لهذا السبب وضع الطوبوي أيوب أيضًا هذا القانون من البداية، نزلًا عنه هذا النوع من النظرات من كل جانب. [1219]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تزن. وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت 5: 27-28). البر الأصغر هو عدم الزنا بالفعل، أما برّ ملكوت الله الأعظم فهو عدم ارتكاب الزنا، ثم جاءت الوصية الأخوة مثبتة للأولى، لأنه ما جاء الرب ناقصًا بل مكملًا للناموس.

يجب أن نلاحظ أنه لم يقل "من اشتهى امرأة" بل "من ينظر إلى امرأة ليشتتها" أي ينظر إليها بهذه النية، فهذه النظرة ليست إثارة للذة الجسدية بل تنفيذاً لها، لأنه بالرغم من ضبطها فستتم لو سمحت الظروف بذلك.

فالخطية تكمل على ثلاثة مراحل: إثرتها، التلذذ بها، ثم لرضائها (تنفيذها).

فالإثارة تحدث عن طريق الذاكرة أو الحواس كالنظر أو السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس. فإن نتج عن هذه لذة لم ضبطها، فلو كنا صائمين، فبرؤيتنا للطعام تثار شهوة التذوق، وهذه الشهوة تنتج لذة. فعلياً ألا نرضيها بل نضبطها إن كان لعقلنا، الذي يمنعنا من لرضائها، السيادة. أما إذا لرضيناها فستكون الخطية قد كملت في القلب، فيعلم بها الله ولو لم يعلم بها البشر. إذن هذه هي خطوات الخطية:

تتسلل الإثارة بواسطة الحواس الجسدانية، كما تسللت الحية في إثارة حواء، لأنه حيثما تسربت الأفكار والتصورات الخاطئة إلى نفوسنا، تكون نابعة من الخلق، من الحواس الجسدية. وإن أدرت الروح أي إحساس خفي عن غير طريق هذه الحواس الخمسة، كان هذا الإحساس مؤقتاً وزائلاً. فتتسلل هذه التصورات إلى الفكر في دهاء الحية.

إن مراحل الخطية الثلاث تشبه سقوط الإنسان الولد في سفر التكوين، فتأتي الإثارة من الخلق من الحواس كما أحدثتها الحية. أما التلذذ بالخطية فيحدث في الشهوة الجسدية مثل ما تلذذت حواء، أما لرضاء الخطية فيحدث في العقل كما في آدم. ولسبب الخطية طرد الإنسان من الفردوس، أي من نور البرّ الأعظم، إلى الموت.

من يقدم اللذة لا يجبر الإنسان على قبولها، فعلى الإنسان ألا يتول من مرتبته السامية، التي فيها يكون للعقل السيادة. إلى مرتبة أدنى، لأن الله خلق الإنسان في مرتبة أسمى من الحيوان. فالإنسان لا يجبر على قبول اللذة، فإن قبلها عوقب بواسطة شريعة الله العادلة، لأنه أخطأ بمرادته.

على أنه، قبل أن تتحول الخطية إلى عادة لا يكون فيها لذة، أو تكون بصورة بسيطة يستهان بها، ويكون الخضوع لها خطية عظيمة مادامت هذه اللذة محرمة. لأن من يستسلم لها يصنع الشر في قلبه. وبعد الاستسلام لها وتنفيذها يخيل له أنه قد أشبع رغبته والأمر قد انتهى، ولكن متى عاد ما يثورها مرة أخرى، أثرت اللذة بصورة أشد من الأولى. ومع ذلك فهي أقل من اللذة التي تنتج عن العادة. إن اللذة في المرة الثانية يصعب الانتصار عليها، ومع ذلك فإذا كان مخلصاً لنفسه، مستعداً للحرب الروحية فيسيفى منها، بل ومن العادة أيضاً. وذلك بمعونة مسيحه قائد المعركة الروحية. وبذلك يخضع الرجل للمسيح والوأة للوجل (1 كو 3:11؛ أف 23:5) وذلك بحسب الترتيب الطبيعي [1220].

القديس أغسطينوس

2. انشغاله بالله نصيبه الأبدي

وَمَا هِيَ قِسْمَةُ اللَّهِ مِنْ فَوْقُ،

وَنَصِيبُ الْقَدِيرِ مِنَ الْأَعَالِي؟ [2]

جاءت في ترجمة الراهبانية اليسوعية: فما يكون النصيب من عند الله من فوق، والمواث من عند القدير من الأعالي؟

ما هو قسمة الله أو النصيب السملوي العلوي للنفس سوى أن تتوهم النفس، قائلة: "نصيبى هو الرب، قالت نفسي" (وا 3: 24). فمن يتمتع

بالشركة مع الرب، ويحسب الرب نفسه نصيبه الأبدي يتمتع به، لن يسمح لأعماقه أن تجد لذتها في الأرضيات والشهوات الجسدية.

وى كثير من آباء الكنيسة أن الفضائل هي جوانب مختلفة ومترابطة لحقيقة واحدة، وهي التمتع بالشركة مع الله. هنا يربط البابا غريغوريوس

(الكبير) بين الآيتين 1 و 2 فيقول بأن من يضع في قلبه أن يحيا طاهراً وعفيفاً، ولا يسمح بالنظرة الشريرة، يتمتع بمساندة الله له في مملسة التواضع، وتسمو أعماقه لتطلب الله نفسه نصيباً لها.

كل فضيلة تسند الأخرى، بل وتكشف عن جمال الفضائل معاً كلؤوة سماوية، متعددة الجوانب.

❖ كأنه يقول بوضوح: إن كنت أدنس عقلي بالفكر لن أقدر أن أكون وراثاً لذلك الذي هو مُوجد الطهارة. فإنه لا يكون لأي شيءٍ أي نفع إن لم يتروك في عيني الديان الخفي بالشهادة للطهارة. فإن كل الفضائل ترفع ذاتها في عيني الخالق بواسطة العون المتبادل، بمعنى أن فضيلة ما بدون الأخرى، تصير إما كلا شيء تماماً، أو تصير أقل الفضائل. يلزم أن تُسند الفضائل بتحالفها معاً. فإن كان التواضع يتخلى عن العفة، أو العفة تتوكل التواضع أمام موجد التواضع والعفة، فما هو نفع العفة المتكورة أو التواضع الدنس بالنسبة لنا؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

وي العلامة أوريجينوس أن الفضائل جميعها في جوهرها هي اقتناء السيد المسيح نفسه، إذ يصير الإنسان واحداً مع المسيح، فهو الفضيلة التي تملؤه [1221] ، هو العدل والحكمة والحق. فمن يملس الفضيلة يشرك في الطبيعة الإلهية [1222] ، أو في سمات المسيح قدما يحتمل المؤمن.

❖ أن تتشدد المسيح، هو مثل أن تتشدد الكلمة والحكمة والعدل والحق والقوة الكلية لله. فالمسيح هو كل هذه [1223] .

العلامة أوريجينوس

3. الخطية تقدم الدمار الذي لها

أَلَيْسَ الْبَوَارُ لِعَامِلِ الشَّرِّ،

وَالنُّكْرُ (أمر قبيح أو مصيبة) لِفَاعِلِي الْإِثْمِ! [3]

جاءت في ترجمة اليسوعية: "أليست البلية للظالم، والمصيبة لفاعلي الآثام؟"

إن كانت العفة - المتمثلة في جدية المؤمن ألا يسمح بنظرة شريرة تتسلل إليه - تدفعه إلى الشوق نحو المكافأة السماوية، حيث يكون الرب نصيبه، فإنه من الجانب السلبي ماذا يقدم الشر أو الدنس، خاصة لونا إلا الدمار الأبدي؟
بالخوة العملية نتنوق ما قاله إشعيا النبي: "لا سلام للأشوار، قال إلهي". فالخطية تغرف مما لها وهو الفساد والعلة والخراب وتعطي لمقتنيها. فهي تقدم لمن يملسها مما اختله لنفسه.

الشوير بتصميمه على الشر يغزل نفسه بنفسه عن الكنيسة المقدسة، فيحرم نفسه من بركات الرب لها، ومن نصيبها الأبدي في المجد.

❖ دُعُ الخطة يذهبون الآن، ويُشبعون رغبات مباحهم. ففي الدينونة عند النهاية سيشعرون أنهم في حياتهم الشوة كانوا في عشقٍ مع الموت...
الآن يُجلد الإنسان البار ويُصلح من شأنه بعضاً التأديب، لأنه يُعدُّ لثواب موات الآب. أما الظالم فليسز وراء ملذاته، لأنه يشبع من الخوات المؤقتة قدما يُحرم من الخوات الأبدية. يجري الظالم نحو الموت المؤهل له، يتمتع بملذات بغير ضابطٍ، وذلك كما تُترك العجول المعدة للذبح في حرية في الراعي...
ليزن البار حسناً الشرور التي تنتظر الشرير، ولا يحسده على السعادة العاورة...

"أليس الاستقصاء لفاعلي الإثم؟" ما ندعوه استقصاء هو تعرب أو "أناثيما" عند اليهود. فإنه سيكون استقصاء للأشوار عندما يجدون أنفسهم محرومين (أناثيما) من موات الديان الحزم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1224]

❖ أمور النعمة يصاحبها فوح وسلام ومحبة وحق... أما أشكال الخطية فيصاحبها اضطراب وليس محبة ولا فوح نحو الله.

القديس مقاريوس الكبير

[1225]

ما هو المقصود بالخطية في ذهن أوريجينوس؟

(أ) لما كان المسيح هو فضيلتنا، فالافتقار إلي صحبته والإتحاد مع الآب، هو خطية.

(ب) الفضيلة هي استعادة طبيعة النفس، في كونها صورة اللوغوس. والخطية هي الافتقار إلى هذه الصورة.

(ج) الفضيلة تنسب النفس لله كأحد ولاده. والخطية هي نسبتها للشيطان. فالنفس التي ترفض أباهما وعريستها السموي، تصير مهجرة مثل

أورشليم. مثل هذه الروح تصبح بسهولة فريسة لأعدائها.

4. الله فاحص طرق الإنسان

أَلَيْسَ هُوَ يَنْظُرُ طُرُقِي،

وَيُخْصِي جَمِيعَ خَطَايَايَ [4].

في فحص أيوب لنفسه يُعلن أنه إنما يتكلم بشهادة الله نفسه الذي يعرف سلوكه وحياته وأفكاره وعواطفه وكل نيته. طرق الإنسان مكشوفة لدى

الله، الطرق الظاهرة والخفية، فهو فاحص القلوب والكلى.

عندما يفحص الإنسان أعماقه يلقى به أن يترك هذه الحقيقة أن الله فاحص طرقه، لا ليتلطف له الأخطاء، وإنما لكي يقده بالتمام. اهتمام الله حتى

بنياتنا وأفكارنا الخفية هي لمسات حب إلهي فائق. فإنه يود أن يُقيم حتى من أعماقنا أيقونة حية للسماء!

❖ أليس ما يدعو "طرقاً" ليست إلا طرق العمل؟ لذلك يقال بل ميا: "أصلحوا طرقكم وأعمالكم" (إر 7: 3)...

يدعونا الحق إليه "بالسير خطوات"، قائلاً: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال" (مت 11: 28). فإن الرب يوصينا: "تعالوا إلي"،

بالتأكيد لا بخطوات الجسم بل بتقدم القلب... فالأعمال البشوية يحسبها الرب خطوات بمعنى دقيق...

رأى النبي دفته في الفحص عندما قال: "إله العظيم الجبار رب الجنود اسمه، عظيم في المشورة، وقادر في العمل، الذي عيناك مفتوحتان على

كل طرق بني آدم لتُعطي كل واحد حسب طرقه، وحسب ثمر أعماله" (إر 32: 18-19).

هكذا امتدح (الرب) ملاك كنيسة وغاز في بعض الأمور، ووبخه في البعض، قائلاً: "أنا عرفت أعمالك، وأين تسكن حيث كوسي الشيطان،

وأنت متمسك باسمي، ولم تنكر إيماني" (رؤ 2: 13). بعد ذلك يقول: "ولكن عندي عليك قليل، أن عندك هناك قومًا متمسكين بتعليم بلعام" (رؤ 2: 14).

وقيل لملاك ثياتوا: "أنا عرفت أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصوك، وأن أعمالك الأخوة أكثر من الأولى، لكن عندي عليك قليل أنك تسبب المرأة

إزابيل التي تقول إنها نبيّة حتى تتعلم وتقوي عبيدي أن يزونا ويأكلوا ما ذبح للأوثان" (رؤ 2: 19-20)...

لاحظوا كيف أنه يسجل الأمور الصالحة ولم يدعهم يذهبون بدون عقوبة على الأمور الشريرة التي تطلب القطع. هذا بالحقيقة يحدث لأنه وى

طرق كل أحد ويحاسبهم على خطواتهم...

القديسون أنفسهم يربطون أنفسهم بالتدقيق الشديد في فكر القلب، حيث يرون أن القاضي العلوي يفحص حياتهم بكل تدقيق، فيمحسون العقل في

أعماق الأعماق، متطلعين لنلا يكونوا حاملين أي فكر خاطئ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. عدم الكذب والغش

إِنْ كُنْتُ قَدْ سَأَلْتُكَ مَعَ الْكُذِبِ،

أَوْ أَسْؤَعْتُ رِجْلِي إِلَى الْغِشِّ [5].

بعد أن تحدث أيوب عن حرصه على تقديس نظراته حتى لا يفقد المراث الأبدية، يتحدث عن تقديس اللسان، فإنه يحرس ألا ينطق بكلمة كذب

ولا يعش بلسانه، فينطق بما يخالف ما في قلبه.

إن كان الله هو الحق، وهو بسيط ليس فيه خداع ولا التواء، فإن من يحوص على التمتع بالشوكة مع الحق يؤمه أن لا يكون لإبليس موضع فيه، هذا الذي يُدعى الكذاب وأب الكذابين (يو 8:44)، كما يُدعى المضل (2 يو 1:7) أو المخادع.

❖ يجب على كل أحد أن يعطى اهتماماً عظيماً لنلا يسلبه "الكذب"، لأن الكذاب لا يتحد مع الله.

الكذاب غريب عن الله . ويقول الكتاب المقدس بأن الكذاب هو من الشيطان، إذ هو "كذاب وأبو الكذاب" (يو 8:44).

هكذا دعي الشيطان أبو الكذاب، أما الحق فهو الله، إذ يقول بنفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو 14:6).

أما ترون إذن كيف أننا نصير غرباء عن الله بالكذب وبمن نتحد (عن طريقه)؟! لذلك إن أردنا بحق أن نخلص، يؤمنا أن نحب الحق بكل قوتنا

[1226]

وكل غيرتنا، ونحرس أنفسنا من كل كذب، حتى لا يفصلنا عن الحق والحياة.

الأب دوروثيوس

[1227]

❖ يستخدم الناس الكذب ليس كأمرٍ لائقٍ بهم بل غريب عنهم .

❖ ليته لا يخدع أحد قريبه، كما يقول الموتل هنا وهناك: "بشفاهٍ ملقه، بقلبٍ فقلب يتكلمون" (مز 12: 2). فإنه ليس شيء، ليس ما يجلب عدوة أكثر من

[1228]

الخداع والخبث .

القديس يوحنا الذهبي الفم

6 . نوزن بموزين المخلص

ليؤني في ميزان الحق،

فيعرف الله كمالي [6].

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الميزان هنا هو الوسيط بين الله والناس، ففيه توزن كل استحقاقاتنا بميزان حبه، وإن كنا نرى في أنفسنا

ضعفات حياتنا.

نوزن بموزينه لكي ما نقندي به في حياته. وكما يقول الرسول بطرس: "إِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَرَكَأ لَنَا مَثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خَطَوَاتِهِ، الَّذِي

لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ . الَّذِي إِذْ شَتَّمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتُمُ عَوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدِدُ" (1 بط 2: 21-23). ويقول الرسول بولس: "لنحاضر

بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب، مستهينًا بالخرق"

(عب 12: 1-2).

حقًا كل البشوية في الموزين إلى فوق، ليس من يتبرر قدام الله الكلي القداسة. لكننا إذ نُوزن بميزان الحق، الذي هو السيد المسيح مخلصنا،

يسوّنا فيه، فنحمل وءه، وبه نتبرر أمام الآب، ونُحسب موضع مسوته. "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وواً و قداسة وفداء (1 كو

1: 30).

[1229]

❖ الله لم يجعلنا مجرد حكماء وأوار وقديسين في المسيح، إنه أعطانا المسيح لأجل خلاصنا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان المسيح هو طويق الأوار، فالشيطان هو طويق الأثوار.

القديس جيروم

7 . نقلة في الداخل والخارج

إن حادت خطواتي عن الطريق،

وَدَهَبَ قَلْبِي وَرَاءَ عَيْنِي،

أَوْ لَصِقَ عَيْبٌ بِكَفِّي [7].

يؤمن أيوب البار بعدم تعزيق الحياة إلى حياة داخلية وأخرى خرجية، فلإنسان حياة واحدة، كل ما بالداخل والخارج يتفاعلان معاً. فلا عزل بين النظرة بالعين والبصوة الداخلية، ولا بين ما في القلب والسلوك الظاهر. يليق بالمؤمن أن يتقدس داخلياً وخرجياً، في فكه وأحاسيسه وقلبه وكلماته وسلوكه.

إنه كان يخشى من الخطايا سواء في السلوك العملي حيث تُحيد خطواته عن طريق الحق، وخلال النظرة، فينحرف قلبه بسبب نظراته، وفي ممارسة الظلم حيث يلتصق العيب بكفه.

❖ أنظروا أيضاً كيف أنه بحفظ النشاط الداخلي عاد إلى ترتيب الأعضاء الخرجية. فإن حدث أن طمع القلب في شيء مموع، يؤم حفظ العين بالتعليم والتهديب حتى ترفض التطلع إليه... لتنتقل إلى ضمائرنا من خلال هذه النقاط، وزى سمو هذا الإنسان بالنسبة للانحطاط الذي غطست فيه صدورنا. فإن حدث أنه تخيل أمراً غير لائقة، يقوم سريعاً بقتلها وهي بعد في أعماق القلب، وذلك بسيف الغيرة المقدسة. إنه لا يسمح لهذا التخيل أن يتحول إلى عمل... إنه لا يُسمح للخطية أن تتحول إلى عمل إن قُتلت داخلياً في موقع ميلادها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَزْرَعُ، وَغُوي يَأْكُلُ،

وَفُرُوعِي تُسْتَأْصَلُ [8].

يعلن أيوب التّامة أن يسلك في كل شيء بروح الحق، لأن من لا يسلك هكذا يفقد البركة الإلهية، فيزرع ولا يحصد شيئاً، بل يحصده آخر ويتمتع به. لا يكون له ثمر في حياته أو في نسله إذ "فروعه تُستأصل".

❖ بحسب الإعلان (الكتاب) المقدس ندعو الكورة بكلمات الحياة غوساً. يقول النبي: "طوباكم أيها الزرعون على كل المياه" (إش 32: 20). وُي الكارزون بالكنيسة المقدسة زرعين على كل المياه، إذ يقدمون كلمات الحياة، مثل حنطة الخبز السموي، لكل الشعوب البعيدة الممتدة.

يقول الحق: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني" (يو 4: 34). فإن كان أيوب يمتنع عن أن يفعل شيئاً يقول: " لأزرع، وغوي يأكل". يقول في وضوح: ما ينطق به لساني لا أقوم أنا بمملسته، بل آخر. فإن الكارز الذي طرقه تختلف عن كلماته يزرع ويسير جائعاً، بينما آخر يأكل. إذ لا يقتات بحصاده عندما يكون سلوكه خاطئاً، عندما يكون غير متفق مع استقامة كلماته.

ولما كان التلاميذ غالباً عندما يسمعون من معلمهم ما هو صالح بدون عمل يهلكون بسبب تصرفاتهم، لذلك بحق أضاف: " وفروعِي تُستأصل"

[8].

البابا غريغوريوس (الكبير)

8 . خطورة الزنا

إِنْ غُوي قَلْبِي عَلَى امْرَأَةٍ،

أَوْ كَمَنْتُ عَلَى بَابِ قَرِيبي [9].

بعد أن تحدث عن هروبه من النظرة الشوية واللسان الشوير والغش والحذر من طريق الشوير وفساد القلب وممارسة الظلم، يتحدث في أكثر إفاضة عن الهروب من غواية القلب نحو امرأة آخر أو السقوط معها في الخطية، فهي جريمة خطوة. فمن جهة تفسد نقوة الإنسان وطهرته، ومن جهة أخرى فهي تعدي على حقوق القريب، واقتحام لمخدعه.

adultery

fornication

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الزنى غير الفسق (1 كو 6: 9)، وأن أيوب لم يغوه قلبه للزنا مع امرأة، كما حرص ألا يكمن على باب قريبه فورتكب الفسق.

وى أيوب أن التدنس بالزنا أو الفسق جريمة، وليست مجرد خطية، لكنه لا يوجد أحد بدون خطية. فأيوب لم يرتكب جريمة الزنا أو الفسق، فهي تعرض الإنسان للقضاء ليحكم عليه بالموت. هذه الجريمة هي نار آكلة تدمر حياة الإنسان، وتبيد ثمره من أصولها.

❖ يثير شيطان الزنا الشهوة الجسدية، ويشن هجومه على النساك، ويجاهد لكي يتخلوا عن نسكهم، زرعاً في نفوسهم بأن نسكهم هذا بلا نفع.

❖ فإذا ما استطاع أن يدنس النفس، يبتدىء بتهيئها لقول وسماع بعض الأحاديث (الشهوة) حتى يبدو كما لو أن العمل (الثوير) ذاته مائل أمام أعينهم [1230].

الأب أوغريس الواهب

❖ هل يعتبر قد تخلص من خطية الزنا في قلبه من تلك التي كان يريد أن يصنع معها الشر لأنها كانت طاهرة؟! [1231]

❖ ألا يعتبر قد ارتكب في قلبه الفسق مع الزانية من طلبها ولم يجدها في بيت الدعلة؟! [1231]

القديس أغسطينوس

❖ جاء أخ إلى أباً ماطويس وسأله: "هل الافترء (أو تشويه السمعة) أسوأ من الزنا؟" فقال له الشيخ: "الزنا رداً". فسأله الأخ: "كيف يمكن أن يكون ذلك؟" فأجاب: "الافترء أمر رديء ولكن يمكن شفوؤه سريعاً، لأنّ المفترء غالباً ما يندم قائلاً: لقد تكلمت بالشر والقسوة، أما الزنا بالجسد فهو موت في كيانه".

بستان الرهبان

❖ عندما يُقبل الليل كُن متيقظاً أن لا تكون منجذباً بالشهوة الجسدانية، ولكن أكثر من صلاتك أيضاً وهي تفرقك. وإذا كنت جالساً وهاجمتك هذه الشهوة من جديد فلا تظل جالساً لمدة طويلة بل انهض وصل. وهكذا أيضاً إذا جربك شيطان الزنا ألف مرة فصل ألف مرة مع السجود المتواتر والله سوجر الشيطان عندما تصلي وهو سيبعد عنك [1232].

البابا ثيوفيلس

❖ سئل أيضاً (أنبا إشعيا): "ما بال الزنا يؤدي الإنسان ويلج عليه كثراً؟" فأجاب: "لأنّ الشيطان عرف أنّ الزنا يجعلنا عواة من الروح القدس. وسمع قول الرب: "لا يلبث روعي في هؤلاء الناس بما أنهم بشر (تك6: 3 سبعينية)".

أنبا إشعيا

فَلْتَطْحَنِ امْرَأَتِي لِآخَرَ،

وَلْيُنْحَنِ عَلَيْهَا آخَرُونَ [10].

من يقتحم مضطجع قريبه ليتعدى على زوجته يسقط في مذلة عوض لذة الشهوات الجسدية، إذ يفتر للغاية حتى تُسلب منه زوجته كعبدة تعمل في بيوت آخرين، تملس عمل العبيد والجلديات كطحين الغلال، وهو عمل شاق. وكعبدة لا يقدر أن يمنع سيدها من ممرسة العلاقات الجسدية معها. صورة موة عن خطية الزنا التي تفقد الإنسان حريته وكرامته وطهارة زوجته، وتدخل به إلى مذلة العبيد.

لأنّ هذه رذيلة،

وهي إنمّ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ [11].

من يقتحم زوجة قريبه يستوجب الموت (تك 38: 24).

لأنّها نارٌ تأكلُ حتّى إلى الهلاك،

وَسْتَأْصِلُ كُلَّ مَخْضُولِي [12].

يشبه أيوب الزنا بالنار التي تأكل كل ما للزاني فتستأصل كل ثمار تعبته وجهاده حتى يفتقر، بل وتدمر نفسه فيهلك.

يميز الرسول يوحنا بين نوعين من الخطايا: "توجد خطية للموت، ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب. كل إثم هو خطية. وتوجد خطية ليست للموت" (1 يو 5: 16-17).

لعله يقصد بالخطية التي ليست للموت هي الضعف البشري اللارادي وعن غير معوفة، أما التي للموت فهي الإصرار على الخطية عن معوفة وفي عناد وتصميم على عدم التوبة. مثل هذه الخطية هي نار مدمرة لموتكبيها.

❖ حينما وصف الكارز العظيم من يتأهل لنعمة الكهنوت لم يقل: "إن كان إنسان بلا خطية" وإنما إن كان بلا جريمة (راجع تي 1: 6). من هو بلا

خطية، إذ يقول يوحنا: "إن قلنا إننا بلا خطية نضل وليس الحق فينا" (1 يو 1: 8). بهذا التمييز بين الخطايا والحرائم يمكن القول إن الخطايا

العوضية تدنس النفس، بينما الحرائم تقتلها. هذا هو السبب الذي لأجله يقول عن جريمة الشهوة إنها "تأكل حتى الهلاك" [12]

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لو عرف الإنسان الشهواني أثر شهوته على الضحية المسكينة، لما ملس ما يفعله. فإن كان فيه خوف الله يمنعه من ذلك، فإنه الحنو الطبيعي يؤممه بتغيير رأيه. بلا شك إنه يعرف ذلك، لكن بالطريقة التي يعرف بها من اختبر الظلم بنفسه شخصياً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

9. حق الحوار مع الجميع

إِنْ كُنْتُ رَفَضْتُ حَقَّ عَبْدِي،

وَأَمْتِي فِي دَعْوَاهُمَا عَلَيَّ [13].

في تواضع عجيب أعطى أيوب البار عبيده وجورليه ليس فقط حقوقهم البشرية التي كان يتجاهلها العالم في ذلك الحين، حيث عاش قبل الناموس الموسوي، إنما أعطاهم حق الحوار معه، بل وحققهم في الدفاع عن أنفسهم حتى إن وضعوه في موقف الاتهام!

❖ أيها السادة كونوا لطفاء مع خدمكم، كما علمنا القديس أيوب، فإنه توجد طبيعة واحدة وأسرة واحدة للبشرية. ففي المسيح ليس عبد ولا حر (غل 3:

[1233] (28).

القديس أغناطيوس الأنتاكي

❖ كان أيوب بلا يملس كل فضيلة بشرية، فلم يكن يمتنع عن رذيلة ويلتصق بأخرى. نحن أيضاً نحسب الوزن عادلاً إن كان وزناً حقيقياً جامعاً، فلا

ترن الذهب باستقامة والوصاص بخلاف ذلك، إنما تكون أوزاننا لكل المواد صادقة، كل وزن مثل الآخر بعدل في كل حالة. هذا هو الطويق الذي به

كان أيوب بلا عادلاً في كل الحالات، ليس فقط من جهة المال والمادة، وإنما حافظ على هذه المساواة في كل الأمور دون مبالغة في المقاييس. لقد

تجنب تلك الرذيلة باهتمام كبير. هنا يقول: "إن كنت رفضت حق عبيدي وأمتي في دعواهما علي، أو ظننت في نفسي لست من ميلاد بشوي مثلهما"

[1234] (أي 31: 13، 15).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من لا يرفض أن يُحاكم مع عبيده وإمائه يُظهر بوضوح أنه الكبرياء ضد زملائه في أي وقت لم يبتلعه...

ها أنتم ترون كيف ظهر سامياً في سلطانه بالنسبة للرؤساء بطريقة عجيبة، ومع هذا فهو يحاور عبيده.

في مجمع الرؤساء يتذكر عمله، وفي حواره مع عبيده يتذكر أنه مخلوق (مثلهم). وى نفسه عبداً تحت السيد الحقيقي، لهذا لم يتعال في تشامخ

قلب على عبيده.

لم يكن يوجد ناموس مكتوب ولا قوانين تحمي العبيد والجوري، لكن إيمان أيوب البار بالله الديان الذي لا يحابي الوجه دفعه إلى تقدير كل إنسانٍ، حتى وإن كان عبداً لديه.

❖ من يفكر في الديان القادم يُعد حساباته إلى ما هو أفضل يوماً فيوماً بلا انقطاع. من يتطلع إلى الرب الأبدى بقلبٍ مرتعبٍ يلتزم أن يضع حداً لسيادته المؤقتة على الذين تحته. فإنه يتطلع حسناً إلى أنه لا يوجد أي طريق أن يكون فوق الآخرين زمنياً، وذلك من أجل ما سيقدمه من حساب بكونه تحت ذلك الذي يملس سلطاناً بلا نهاية. إنه يعرف من هم تحته، فيليق به أن يعرف ذلك (الرب) الذي هو نفسه تحته، وبمعرفة السيد الحقيقي يموت فيه الغرور بسيادته التي تحمل غروراً. هكذا إذ كان أيوب الطوبوي يخاف حكم ذلك الذي هو فوق الكل، يملس القضاء المؤقت كمن هو مساوٍ لعبيده.

❖ الذي يطلب الرب بوجع قلب يسمع طلبته، إن هو سأل بمعرفةٍ واهتمامٍ وقلب حزين، ولا يكون مرتبطاً بشيءٍ من العالم إلا بنفسه فقط لكي يوقفها قدام الرب بلا عيب بقدر قوته. مثل إنسان حقيير موزول حريص على أن يُرضي الله به، لأنه لو أجرى إنسان عجائب كثرة وشفى أرواحاً صعبة، وكانت له معرفة بكل العلوم، فمادام قد سقط في الخطية لا يقدر أن يكون بدون اهتمامٍ بها، لأنه لزال في التوبة بعد. وإذ رأى إنساناً فيه كل الخطايا والتغالل ويدينه ويروي به، فليعلم أن توبته لا تنفع، لأنه طرح عنه عضو المسيح وأدانه ولم يدع الدينونة للرب الديان.

❖ بالنسبة للأشخاص الذين يحملون سلطاناً، فإن عمل التواضع العظيم هو أن يحفظ في أفكدهم مسلوة الخليقة. فإننا نحن البشر جميعاً متسلون بالطبيعة، لكن قد أضيف إلينا توزيع التدبير حتى نظهر أن لنا سلطاناً على أشخاصٍ معينين. فإن تنزلنا عن تخيلنا بما يحدث مؤقتاً (أن لنا سلطاناً على الغير)، فسنجد أنفسنا سريعاً جداً ما نحن عليه بالطبيعة...

بالطبيعة ولدنا نحن جميعاً متساوين، ولما كان تدبير الاستحقاقات متباين، لذلك صار البعض فوق الآخرين بتدبير خفي. هذا التباين الذي أضيف إلى طبيعتنا عن خللٍ، يُدبر بطريقة مستقيمة خلال أحكام الله، لهذا فإنه إذ لا يسير الكل في هذه الحياة في ذات الطريق يُحكم على الواحد بواسطة آخر. أما القديسون لا يتطلعون إلى سلطان مراكهم في داخلهم، بل إلى مسلوة الطبيعة، إذ يعرفون حسناً أن آباءنا القدامى عاشوا ليس كملوكٍ قدر ما عاشوا كوعاةٍ لقطعان...

حيث أن الإنسان بالطبيعة يتسلط على الحيوانات غير العاقلة، وليس على بقية البشر، لذلك قيل له يُلزمه أن يكون موضع خوف الحيوانات المفترسة، وليس موضع خوف البشر. حين تطلب أن تكون مخوفاً ممن هو مساوٍ لك، تكون مُبتلعا بكبرياء ضد الطبيعة... لذلك عندما سجد كرينليوس لواعي الكنيسة، ورأى أن كرامة ما يُقدم له أكثر مما يستحق، أوسع بالإشارة إلى المسلوة بين الخليقة، قائلًا الكلمات: "قم، أنا أيضاً إنسان" (أع 10: 26). فمن لا يعرف أنه يليق بالإنسان أن يسجد لخالقه وليس لإنسان؟... هكذا أيضاً الملاك، إذ سجد له يوحنا، اعترف أنه مخلوق، قائلًا: "أنظر لا تفعل. أنا عبد معك ومع إخوتك" (رؤ 19: 10).

❖ إن كنا سادة فيليق بنا ألا نياس من خدمنا، فنفسو عليهم بشدة، بل نتعلم العفو عن إساءاتهم...

[1235]

كذلك لم يخجل بولس من أن يدعو العبد ابنه وأحشاء وأخاه ومحبيه، فيليق بنا ألا نخجل منهم .

ولماذا أقول بولس؟ فإن رب بولس لم يخجل من أن يدعونا نحن عبده إخوته... لوى كيف كرمنا فدعانا عبده وإخوته وأصدقاءه وولثين معه،

[1236]

وأنا نظهر بجوره، ونحسب عاملين معه، بل أن السيد نفسه يعمل ليكون عبدًا! اسمع ورتعد!

القديس يوحنا الذهبي الفم

10 . اهتمامه بالأيتام والأرامل والمساكين

إِنْ كُنْتُ مَنَعْتُ الْمَسَاكِينَ عَنْ مُوَادِهِمْ،

أَوْ أَفْنَيْتُ عَيْنِي الْأَرْمَلَةَ [16].

آمن أيوب بالخالق الذي يخلق كل البشر في أحشاء أمهاتهم بلا تمييز، هو الذي يَشكُل كل جنين، دون محاباة بين طبقة اجتماعية وأخرى.

سمح الله لأيوب البار أن يدخل في هذه الضيقة الشديدة وإن يعاتب الله علانية لكي تتعلم الأجيال كلها كيف وُجد أوار حتى في عصر ما قبل

الناموس سموا بالإيمان الحيّ خلال الناموس الطبيعي فوق كثير ممن عاشوا في ظل الناموس الموسوي، بل وحتى في عهد النعمة.

عاش حراً، لا يستعبد نفسه لممارسة الظلم أو القسوة. يشتهي أن يقدم للمساكين كل احتياجاتهم وكل ما يشتهونه، مهما كلفه الأمر. لا يسمح

لأرملة أن تتوسل بدموعها، إنما يسوع بالعطاء للجميع ما استطاع!

❖ " لم يحرم المساكين من كل موادهم، ولا جعلت عين أرملة تبحث عن شيء" [16] . رأيتم كيف كان يتحاشى العرفة، سالكاً في اعتدال، بكونه

طبيعياً للجميع، ميناءً عامًا، وملجأً مشتركاً لجميع الذين في ضيق.

يقول: " كل موادهم " . هذا لا يعني أن يقول نعم لهذا الاحتياج، ولا لذلك، بل لا يحرمهم من كل احتياجٍ دون تمييز، حتى وإن كان محفوظاً

بالمخاطر، وكثير التكلفة. لاحظوا أنه قد أعان من لا يتوقع منهم شيئاً: الأمل والأيتام والذين بلا عون. لم يكن منشغلاً بالافتخار والمجد، بل يعطي من

أجل الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بهذه الكلمات يظهر الرجل القديس أنه ليس فقط يخدم احتياجات الفقراء، بل ويهبهم موادهم... يضيف " أو جعل عيني أرملة تنتظران"... فقد كُتب

في موضع آخر: " لا نقل لصاحبك، اذهب وُعد فأعطيك غداً، وموجود عندك" (أم 3: 28)

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْ أَكَلْتُ لُقْمَتِي وَخَدِي،

فَمَا أَكَلُ مِنْهَا الْيَتِيمَ! [17]

بلغ به الحنو أنه لم يستطع أن يأكل وحده، فلا يطلب زوجته ولأولاده فحسب ليأكلوا معه، وإنما يبحث في كل وجبة عن يتيم ليشركه وجبته!

كان من آداب المعاشرة وقواعد التشريعات لدى الشرقيين أن يدعوا الآخرين للمشركة معهم في الطعام. في بعض المناطق الصولاوية بعد

إعداد الطعام يقف شخص من أهل البيت على مكانٍ عالٍ ويدعو بصوت عالٍ أن يتفضل أحد ويشرك أهل البيت الطعام. وكان أحياناً ينتظر مجيء

ضيف قادم سمعه من مسافة بعيدة ليشرك الأسرة طعامها.

بَلْ مِنْذُ صِبَايَ كَبُرَ عِنْدِي كَأْبُ،

وَمِنْ بَطْنِ أُمِّي هَدَيْتُهَا [18].

ما تمتع به من اهتمام حتى بالعبيد ليس صاواً عن شريعة مؤمنة ولا عن قوانين رادعة، لكنه أمر يمس أعماقه، صادر عن عمل إلهي في

داخله. فمنذ صباه وهو بعد غير ملتمم بأمورٍ أسويةٍ كان يتعامل مع العبيد الذين في بيته كأبناء له، يملس أوة حانية نوحهم وهو صغير السن. موة أخرى لا يذكر كيف تترب على الحنو على العبيد والأيتام والأمل وكل الذين في عوزٍ، فحسب أن ما يملسه قد ناله من الله وهو بعد في الرحم قبل ولادته.

❖ يحسب أنه لأمر مجحف لحنوه أن يأكل وحده ما قد خُلق للعامة... لكن هذه الأحشاء الفائقة الحنو، هل اجتذبتها لنفسه بنفسه، أم نالها بنعمة خالقه، دعنا نعرف ذلك. "بل منذ طفولتي كبر عندي الحنو، ومن رحم أمي خرج معي" [18]. فبالرغم من تعهده للأمر بناء على أوه (أي جهاده) لكي ينمو الحنو فيه، فمن الواضح أن هذا الأمر لم يكن في سلطانه أن يخرج معه من الرحم. واضح أنه لم ينسب شيئاً إلى صلاحه الذاتي، إذ يقدم شهادة أنه نال هذا خلال عطية خالقه. نال الصلاح الذي يملسه منذ خلقته. بهذا يقرر تسبيحه للخالق، فما لديه ناله منه ولم ينل حنوه من آخر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ هَالِكًا لِعَدَمِ اللَّبْسِ،
أَوْ فَقِيرًا بِلَا كِسْوَةٍ [19].
إِنْ لَمْ تُبَلِّغْنِي حَوَاهُ،
وَقَدْ اسْتَدْفَأَ بِجَوَّةِ غَنَمِي [20].

لم يقف اهتمامه بالفواء عند تقديم طعام لهم، لكنه إذ وى إنساناً يئن من العوي بسبب الود أو الحر، ليس لديه كسوة، لا ينتظر أن يسأله، بل يحسب ذلك بركة له أن يقدم لهم ثياباً ثمينة من الصوف الذي يُسج من حزة غنمه.

❖ إذ لم يحتقر الفقير أظهر فضيلة التواضع، وأيضاً يكسوه عن حنو. فإن هاتين الفضيلتين يؤم أن تلتصقا ببعضهما البعض، ويسندهما العمل المتبادل بينهما. من جهة احتياج المخلوق الؤميل، ليعين التواضع الحنو، ويعين الحنو التواضع، بطريقة بها متى رأيت شخصاً شريكاً معك في طبيعتك تتقصه ضروريات الحياة، يؤمك ألا تكف عن أن تكسبه لا في عدم حنو، ولا عن كوياء لا تكوم من تكسيه.

يوبخ يعقوب بقوة: "إن كان أخ وأخت عويانيين ومعتزين للوقت اليومي، فقال لهما أحذكم: أمضيا بسلام استدفئا واشبعا، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة؟" (يع 2: 15-16). هذا ما ينصح به يوحنا الرسول: "يا ولأدي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (1 يو 3: 18). فإن الحب الحاني يؤم أن يظهر دائماً بالكلام اللائق وفي نفس الوقت بخدمة العطاء...

يقول بولس: "لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعولهم، كي تصير فضالتهم لأعولكم" (2 كو 8: 14). هذا يعني أننا في اهتمام نعتبر الذين زاهم الآن في عوزٍ زاهم في يومٍ ما في رخاءٍ، ونحن الذين وى في رخاءٍ، إن أهملنا العطاء سنكون يوماً ما في عوزٍ... الآن ذلك الذي بلا ثوب هو أقل احتياجاً من ذلك الذي بلا تواضع. لهذا إذ زى أولئك الذين هم شركاء معنا في طبيعتنا ليس لديهم أمور خرجية، فلنتأمل عوزنا لأمرٍ عظيمة كثرة في داخلنا، بهذا لا تنتفخ أفكار قلوبنا على المساكين. هكذا زى بالعين الثاقبة أننا نحن أنفسنا بالحقيقة في عوزٍ أشد بالنسبة لاحتياجنا الداخلي. حسناً يقول الطوبوي أيوب في هذا: "إن احتقرت عاواً ما لأن ليس لديه لباس"، فإنه بالنسبة للمخلوق الؤميل الغير معروف لديه يظهر له حواً، إذ يدعه "عاواً".

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ كُنْتُ قَدْ هَزَزْتُ يَدِي عَلَى الْيَتِيمِ،
لَمَّا رَأَيْتُ عَوْنِي فِي الْبَابِ [21].

لم يستغل أيوب مكانته كحاكم وقاضٍ، فرفع يده بالظلم ضد يتيم.

❖ إن كنت قد رفعت يدي على يتيم، لمارأيت نفسي الأسمى عند الباب" [21]. كانت العادة أن الشوخ يجلسون عند الباب لكي يحلوا مشاكل

الخلافات خلال جلسات قضائية، لكي ما يكون كل من في المدينة في توافقٍ، ولا يدخلها أحد على خلاف مع غوه. لذلك يقول الرب بالنبي: "ثبثوا الحق في الباب" (عا 5: 15)...

كأنه يقول: حتى عندما رى نفسي بعدلٍ أنا أفضل من يملس الحكم، لا استغل ذلك لصالح مستخدمًا سلطاني على اليتيم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَلتَسْقُطْ عَضُدِي مِنْ كَتْفِي،

وَلتَتَكَبَّرْ فَوَاعِي مِنْ قَصَبَتَيْهَا [22].

إن كان الفراع يشير إلى العمل، فإن الإنسان الذي يريد أن يعمل بنفسه متجاهلاً وحدته مع إخوته يكون كمن سقط كتفه الذي يربط الفراع بالجسم، فلا يقدر أن يعمل ما يليق به كعضوٍ حيٍ في جسد المسيح. لن نتحقق معاملاتنا المقدسة دون اتحادنا معًا ككنيسة مقدسة، وفي نفس الوقت خلال علاقتنا الشخصية مع الله.

❖ لما كانت الأعمال الجسدية تتحقق بالكتف والفراع، لذلك أراد أن يسقط كتفه وتتكسر فواعه إلى قطعٍ إن تكلم بفمه عن الأمور الصالحة دون أن يملسها عمليًا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنَّ الْفَوَاعَ مِنَ اللَّهِ رُغِبَ عَلَيَّ،

وَمِنْ جَلَالِهِ لَمْ أَسْتَطِعْ [23].

بعد أن تحدث عن حنوه الفائق نحو كل الطبقات المحرومة، وتقديره لكل المرنولين من المجتمع حتى العبيد، يرفع عينيه بكل وقارٍ نحو الله ويدهش لماذا سمح الله له بهذه التجربة القاسية. إذ شعر أيوب بنقل المحن امتلأ رغبًا، وشعر أن يدَّ الله قد ثقلت عليه.

11. اتكاله على الله لا على غناه

إِنْ كُنْتُ قَدْ جَعَلْتُ الذَّهَبَ عُمُدَتِي،

أَوْ قُلْتُ لِلإِبْرِيذِ: أَنْتَ مُتَكَلِّي [24].

لو أنه اعتمد على غناه وممتلكاته لوجد علة لسحب هذا كله من يده، فإنه قد ركز كل أحاسيسه ومشاعره ونياته على الخالق لا الخليفة، فلماذا سُحبت منه هذه البركات؟

❖ يحدث أن يوقف الإنسان رجاءه في الخالق ليحتل مكانه الرجاء في الخليفة.

ثبَّت ذلك الغني رجاءه في أمورٍ غير أكيدةٍ عندما قال: "يا نفسي، لكِ خوات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استويحي وكلي وأشربي وأفحي" (لو 12: 19). لكن الصوت الذي من العلا انتبهه قائلاً: "يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟" (لو 12: 20)... فإن الله قائم إلى الأبد، وكل هذه الأمور عاوة. ما هذا إذن، أن نظير من القائم وحده، ونلصق أنفسنا بالأمور العاوة؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ، إِذْ كَثُرَتْ ثَرَوَاتِي،

وَلَأَنَّ يَدِي وَجَدْتُ كَثُورًا [25].

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن النصوة التي حققها أيوب البار أثناء تجرّبه لم تكن وليدة الساعة، لكنها ثروة تدلّيب روحية عملية عاشها

بالنعمة الإلهية حتى قبل حلول التجربة، منها تدربه على استخفافه بالبركات الوهمية والغنى الأرضي.

❖ هكذا كان الطوبوي أيوب، لو لم يكن قد دُرِب نفسه حسناً قبل دخوله في الصواعق، لما أشرق هكذا في البهاء بهذه الصورة. لو لم يكن قد اختبر التحرر من الكآبة لتفوه بكلمات في اندفاع عندما مات أبناؤه. فكما كان قبلاً هكذا وقف أمام كل الهجمات، ضد دمار ثروته والخراب العظيم الذي حلّ به، وضد فقدانه أبناؤه، ومواساة زوجته، والوباء الذي حلّ بجسمه، وتوبيخات أصحابه، وشتائم خدمه له.

إن كنتم تريدون أن تروا أيضاً طوقه في الرب (الروحي) اسمعه يتحدث كيف كان يستخف بالثروة، قائلاً: "إن كنت قد فوجت لأن ثروتي كانت عظيمة، إن كنت قد جمعت الذهب في كميات ضخمة، إن كنت قد اتكلت على الحجلة الكريمة" (LXX 24، 25:31). لذلك لم يرتبك عندما فقد هذه الأمور، لأنه لم يكن يشتهيها حين كانت لديه [1237].

❖ mammon كان أيوب غنياً، لكنه لم يخدم شيطان الجشع، بل ملك على الغنى وسيطر عليه، فكان سيدياً لا عبداً. لذلك قد ملك كل هذه الأمور كما لو كان وكياً على مال الغير، ليس فقط لا يغتصب من الغير، بل كان يقدم ما له للمحتاجين. وما هو فوق هذا حين كان لديه هذه المقتنيات لم توحه، إذ أعلن قائلاً: "إن كنت قد فوجت حين كانت ثروتي عظيمة" (25:31)، ولا حزن عندما ذهبت منه [1238].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يشناق القديسون في هذه الرحلة التي تُرثي لها لذاك الظهور الذي لخالقهم الذي لا يستطيعون الآن التأمل فيه، فيحسون كل ملء الحياة الحاضرة كما لو كان قوياً. ليس شيء خرج الله يشبع العقل الذي بالحقيقة يسعى نحو الله.

غالبًا ما يحسب مثل هؤلاء الأشخاص الخوات الوفرة تقلّزاً، إذ يحملون في جديّة أشياء كثيرة، بينما هم مسوعون نحو وطنهم. لهذا يكرسون طاقتهم ليشركهم أقرب لهم المحتاجون...

لن يوح المختارون بالخوات الكثيرة، لأنه من أجل محبة الموات السملوي يهبون ما في أيديهم ويوزعونه، ويستخفون به ويتخلون عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

12. عدم مملسته الوثنية

إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى النُّورِ حِينَ أَضَاءَ،

أَوْ إِلَى الْقَمَرِ يَسِيرُ بِالبُهَاءِ [26].

كما لم يكن غناه هو متكله بل واهب الغنى، فإن الشمس والقمر بجمالهما وبهائهما لم يحتلا مكاناً في قلبه، بل استنار بالله خالق الشمس والقمر، النور الألي الحقيقي.

كانت الشمس والقمر موضع عبادة الكثوين في أيام أيوب وتكريمهما بكونهما جنديي السماء. كان هذا العمل يُحسب قمة الشر والجود لله الخالق.

❖ يخبرنا أيوب أنه لم يكن ينطلع إلى الشمس وهي تشرق، ولا القمر وهو يسير ببهائه، مظهرًا أنه لم يطلب النور الحاضر.

كما تتسكب النفس للتأمل خلج نفسها، هكذا بالأكثر تفعل لكي ترتد إلى الأمور الداخلية. هكذا كل أصحاب القلوب الحكيمة يتجنّبون السقوط نحو الأمور الخرجية بالحواس الجسدية. عوض هذا يبذلون جهداً مستوراً بأن يجمعوا أنفسهم في داخلهم بالتدبير الخفي في حواستهم لنواتهم، لكي يوجدوا بالكلية فيما هو داخلي.

ربط رميا نفسه بأعماق قلبه في تدبير جادٍ، وهرب من الشوق نحو الحياة الخرجية، عندما قال: "لم أشتته يوم الإنسان، أنت عرفت" (راجع إر

(16:17).

❖ كما أن "ذهب" الفهم لم يجعل أيوب يتشامخ، هكذا أيضا نور الأعمال الخرجية لم يجعله متشامخًا إلى أعلى أمام أعين البشر... الشمس في ضيائها هي الأعمال الصالحة المعلنة في الخرج. مكتوب: "فليضي نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت 5: 16). مرة أخرى: "لتكن أحقاؤكم ممنطقة، وسوجكم موقدة" (لو 12: 35). فان ما ورد في هذه العبارة عن الشمس المشوقة يعني الإنجيل المشار إليه بالسوج الموقدة. فعندما تشوق الأعمال الصالحة وسط غير المؤمنين، يتقد السراج في الليل، وعندما تشوق في الكنيسة، تشوق الشمس في النهار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد ضل كثيرون عن الواحد بطرق متعددة، فأله البعض الشمس، حتى متى غابت يسكنون في الليل بغير إله.

[1239]

والبعض عبوا القمر، فلا يكون لهم إله في النهار .

[1240]

والبعض عبوا أجزاء العالم الآخر .

[1241]

والبعض عبوا الفنون .

[1244]

و عبدَ البعض أنواع أطعمة مختلفة [1242] ، والبعض ملذاتهم [1243] ، وسرَّ البعض بالنساء، فأقاموا تمثالاً لاهوأة عليية ودعوها أفروديت [1244] ،

و عبوا شهواتهم بصورة منظورة.

[1245]

[1246]

و بُهر البعض بويق الذهب فعبوه ، وآخرون عبوا أنواعاً أخرى من هذه الأمور .

القديس كيرلس الأورشليمي

وَعَوِيَ قَلْبِي سَوْأً،

وَلْتَمَّ يَدِي فَمِي [27].

يؤكد أيوب البار أن الأوثان والذهب والحجارة الكريمة وكثرة الغنى لم يستطع هذا كله أن يخدع قلبه سَوْأً، بمعنى أنه ليس فقط لم يملس أي نوعٍ من التشامخ والكبرياء والعبادة الوثنية عملياً، وإنما ولا تسلل خفية إلى قلبه.

وضع اليد على الفم وتقبلها، عادة يملسها الكثيرون حين تتشغل قلوبهم بشيءٍ محبوبٍ لديهم جداً أو مُعجبون به للغاية، فيعبرون عما في قلوبهم برسالة قبلا من الفم خلال اليد مع الإشارة إلى من أو ما يحبونه. هكذا لم يشغله الغنى ولا الأصنام ولا أحب هذه الأمور، ولا بعث إليها بقبلاته.

❖ بسط اليد إلى الفم هو التناغم بين الصوت والملمسة. فيقبل يده بفمه من يمتدح ما يملسه، فهو يشهد لحديثه باستحقاقات مملسته العملية. في هذه الحالة، من هو المحقِّق إلا الذي ينال ذات العطايا لملمستها (وينسبها لنفسه)؟ حسناً يقول الكارز العظيم: "أي شيء لك لم تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟" (1 كو 4: 7). الآن يعوف القديسون أنفسهم أنهم من سلالة أصلٍ فاسدٍ، حيث أنه منذ سقوط أبنينا الأول والنعمة هي التي تغوينا إلى ما هو أفضل من جهة الاشتياقات والأعمال... يبركون أنهم نالوا قوةً للجهاد. هكذا يخبر الطوبوي أيوب عن الأمور الصالحة الذي يملسها، لكنه لم ينسبها إلى عمله مطلقاً. على العكس يسبح خالقه، ويجحد أنه قبَّل يده بفمه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَهَذَا أَيْضًا إِنْهُمْ يُؤْضُ لِلْفُضَاةِ،

لَأَنِّي أَكُونُ قَدْ جَدَدْتُ اللَّهَ مِنْ فَوْقُ [28].

لم تتسلل محبة العالم إلى قلب أيوب، لا تسللت العبادة الوثنية إليه. فلو أنه سقط في هذه أو تلك لاستحق ما حلَّ عليه كعقوبة إلهية. إنه لم يجحد إليه بتعلقه بالخليقة أو بتأليها.

13. لا يتسلل إليه فكر شماتة

إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرَحْتُ بِبِلِيَّةِ مُبْغِضِي،

أَوْ شَمِتُّ حِينَ أَصَابَهُ سُوءٌ [29].

كان أيوب حريصًا ألا يجحد خالفه، ولا أن يظلم أخاه أو يكرهه، حتى وإن أبغضه أخوه. لا يتسلل إلى عقله فكر شماتة لمقاوم أو مبغض له. يقول سليمان الحكيم: "لا توح بسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر، لئلا ترى الرب، ويسوء ذلك في عينيه، فإرد عنه غضبه" (أم 17: 18-17).

❖ LXX طوق الأثوار الذين يفكرون في الأذية هي موت (أم 12: 28). "لا تفكر في أذية أخيك" (لا 19: 18). وأيضًا: "إذارأيت حمار مبغضك واقعًا (في الوحل) لا تعبر به ما لم ترفعه أولاً" (حز 23: 5). في هذه النقطة يؤم على كل واحد أن يضع بعين الاعتبار أنه لا يجوز أن يتوك حمار عدوه في الوحل، فكيف يكره الإنسان المخلوق على صورة الله أو يتجاهله؟

لقد لاحظت في الطوبولي أيوب المحبة الصادقة الكاملة بكل أمانة حتى تجاه أعدائه، فاستطاع أن يوح، ويقول بضمير صافٍ للرب: "إن كنت قد فرحت ببليّة مبغضي، أو شمت حين أصابه سوء، وقلت في قلبي: حسنًا!" (أي 31: 29) [1247].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ حفظ الحب هو الوهان الوحيد أننا تلاميذ الله القدير. يقول الحق: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضًا لبعض" (يو 13: 35). هذا الحب إن ملأ بالحق قلوبنا يعلن عادة بطويقين: نحب أصدقاءنا في الله، ونحب أعداءنا من أجل الله... إن كنا نوح لمصائب من يبغضنا، فواضح أننا لا نحبه، إذ لا نود أن يكون أفضل منا...

البابا غريغوريوس (الكبير)

بَلْ لَمْ أَدْعُ حَنَكِي يُخْطِئُ فِي طَلْبِ نَفْسِهِ بِلَغْنَةٍ [30].

ليس فقط لم يتحرك لأذية من يبغضه، ولا شمت في حلول ضيقة أو كلثة به، وإنما لم يتجاسر ليطلب من الله ضد أخيه. لم يطلب نقمة ممن يضرونه، ولا خرجت كلمة لعنة من فمه ضدهم!

❖ الذين يهاجمون عتوًا باللعنات، ماذا يريدون من الله أن يفعل معه إلا ما هم عاجزين عن فعله أو يخلون من أن يفعلوه؟... في نفس الموضع الذين قُوا: "أحبوا أعداءكم"، ألم يقولوا: "بلهوا ولا تلعنوا؟" مرة أخرى: "غير مجزين عن شرٍ بشرٍ، وعن شتيمَةٍ بشتيمَةٍ" (لو 6: 27؛ رو 12: 14؛ 1 بط 3: 9).

البابا غريغوريوس (الكبير)

14. حب مُدهش لأهل بيته

إِنْ كَانَ أَهْلُ خَيْمَتِي لَمْ يَقُولُوا:

مَنْ يَأْتِي بِأَحَدٍ لَمْ يَشْبَعِ مِنْ طَعَامِهِ؟ [31]

كانت طبيعة أيوب عجيبة، وهي العطاء المستمر بسخاء خاصة للمحتاجين والمساكين، يعطي الغير احتياجاتهم ليس عند حد الكفاف، بل حتى يشبعوا. هذا الأمر كان موضع دهشة أهل خيمته، حتى الأعراف والعبيد والجوري كانوا يدهشون لحنوه نحو الجميع. كان موضع إعجاب كل من يتعامل

معه!

يشير هذا القول إلى المخلص الذي يشاقق رجال خيمته أو كنيسته، أن يدخل كل أحدٍ للتمتع بجسد الرب ويشبع به روحياً، سواء كان من اليهود

المُضطهدين أو الأمم الذين يقبلون الإيمان.

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ما ورد هنا: "آه! لقد امتلأنا من جسده!" بأن هذا تعبير عن المحبة الشديدة التي تربط أيوب بخدمه، وأن السيد المسيح يقدم لنا جسده لتأكله إعلانًا عن الحب الشديد بينه وبين مؤمنيه [هذا الجسد يعطيه إيانا لتأكله، الأمر اللائق بالحب الشديد. فالذين في قلوبهم حرارة غالبًا ما نعضعهم بأسناننا. لهذا فإن أيوب إذ يشير إلى محبة خدومه نحوه قال إنهم غالبًا ما كانوا يفعلون هذا بسبب عاطفتهم القوية نحوه، فيقولون: "آه، لقد امتلأنا من جسده!" (انظر أي 31:131). هكذا يعطينا المسيح أن نمثل من جسده، جاذبًا إيانا إلى حب أعظم [1248].]

❖ "إن كنت قد سمحت للفقير أن يخرج من بيتي فرغ اليدين" [31]. لم يقل "أعطيت عندما توسل، بل أعطيت حتى من كان يُرفض أن يأخذه. لقد كان يلزم الذين كانوا يدخلون بيته ألا يخرجوا دون أن يأخذوا... كان أيوب يستخدم الضغط على من يعطيهم لكي يأخذوا.

❖ هذا أيضًا يفعله المسيح، لكي يقودنا إلى صداقة حميمة، ليظهر حبه لنا، إذ يعطي من يشاقون إليه ليس فقط أن يروه، بل ويلمسوه، ويأكلوه ويتبنوا أسنانهم في جسمه، ويحتضنوه، ويشبعوا كل حبهيم. لوجع من تلك المائدة مثل أسود تنتفس نرًا، نصير رعبًا للشيطان، ومفكرين في رأسنا، وفي الحب الذي يظوه لنا [1249].

القديس يوحنا الذهبي الفم

غَرِيبٌ لَمْ يَبْتَ فِي الْخُرْجِ.

فَتَحَتْ لِلْمَسَافِرِ أَبْوَابِي [32].

يقدم لنا القديس أمبروسيوس تفسيرًا رمزيًا، حيث رى في المؤمن الحقيقي أن يتمثل بأيوب فيدخل بالغباء عن الإيمان إلى بيته، الذي هو كنيسة الله.

أيوب البار رمز للسيد المسيح، وبيته رمز للكنيسة. يشاق السيد المسيح أن تُفتح أبواب كنيسته فيدخل إليها كل غريب. يغتسل الكل بدمه الثمين، ويتمتعون بعبايا الروح القدس، ويصيرون من أهل بيت الله. إن كانت البشرية كلها تمثل قافلة دائمة الحركة، فأبواب مواحم الله مفتوحة لهم، ليرتدوا ببركات عمل الله الخلاصي، أثناء رحلتهم في هذا العالم.

❖ أزع الإرادة الصالحة من الناس تكون كمن زع الشمس عن العالم. بنونها لا يعود بيالي الناس بإظهار الطريق للغريب، ولا أن يروا الضال، ولا أن يظهروا سخاءً. هذه فضيلة ليست هينة. فبسببها مدح أيوب نفسه بقوله: " غريب لم بيت (خرج أبوابي)، فتحت للمسافر بابي" (32:31)... هكذا توجد الإرادة الصالحة في هذه كلها، مثل ينوع مياه ينعش الظمأى، ومثل نور يشرق على الآخرين، ولا يمنع ضيائه عن الذين يقدمون النور للغير [1250].

القديس أمبروسيوس

❖ يقول: قدمت بسخاء لكل محتاج. لقد قدمت سقفي لكي يشركوني فيه. عندما لاحظت أنهم في مكان عام، قدمت بيتي ومائدتي وكل ما لدي ليكون مشاعًا. حسب نفسي كما لو كنت أمين صندوق للمحتاجين دون أي تطلع إلى ممتلكاتي أنها ممتلكات شخصية، بل هي ممتلكات السيد (الرب). "الرب أعطى" (أي 1: 21)، وبالتبعية فلنكن شوكاء مع كل عبيده.

❖ الفقر والغنى هما سلاحان متشابهان، بهما نخدم الفضيلة إن أردنا... لكي نتعلم أن هذا حق، فلنذكر حالة أيوب، الذي صار غنيًا وأيضًا فقيرًا، واستخدم هذين السلاحين بطريقة متشابهة، غلب بالاثنتين. فعندما كان غنيًا قال: "فتحت لكل مسافر بابي" (32:31). وعندما صار فقيرًا قال: "الرب أعطى، الرب أخذ، ما يحسن في عينيه يفعله" (21:1) والفولجاتا). عندما كان غنيًا أظهر كرم الضيافة، وعندما كان فقيرًا قدم صوًا كثيرًا [1251].

❖ ليس فقط ما نعطيهِ صدقة، وإنما ما نحتمله بثبات عندما يسلبنا آخرون مما لنا، كلاهما يقدمان لنا ثروةً عظيمةً. ولكي نترك أن الأمر الأخير بالحق هو

أمر أعظم أقدم شهادة مما حلّ بأيوب. عندما كان مالكا لثروةٍ فتح بيته للفقراء، مقدما ما لديه لهم. لكنه لم يكن مشهورا عندما فتح بيته للفقراء بقدر ما صار عليه عندما سمع أن بيته سقط ولم يقبل الخبر بصدور ضيق. لم ينل شهوة عندما كسا العواة بجلد غنمه، مثلما اشتهر وعرف عندما سمع أن نرا سقطت على قطعانه وأحرقتها جميعا ومع هذا قدم شكوا. قبالا كان محبا للناس، والآن صار محبا للحكمة. قبالا كان حنونًا على الفقراء، الآن يقدم شكوا للرب... لقد عرف أن الله كان يدبر كل الأمور للخير [1252].

القديس يوحنا الذهبي الفم

15. اعتراف علي

إِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَمْتُ كَالنَّاسِ ذُنْبِي،

لِإخْفَاءِ إِثْمِي فِي حِصْنِي [33].

صورة جميلة لتواضع البار أيوب، فمع كل السمات السابقة المذهلة لإنسان يعيش في وسط عالم وثني، فيتمسك بخالقه، ولا تتسلل محبة المقتنيات إلى قلبه، بل يبذل ويعطي في سخاء عجيب، ويقدر ويكرم حتى العبيد والإماء، لا ينكر أن له أخطاء وخطايا لا يخفيها في حصنه، بل يعترف بها علانية.

❖ هذه هي الواهين على التواضع الحقيقي، أن يؤكد الإنسان شوه الذات، مؤكدا إياها بكشفها بصوت الاعتراف. على عكس ما اعتاده الجنس البشري من ممارسة الإنسان للخطية بينما يحفظ نفسه مخفيا عن الأنظار. وعندما تكتشف ينكها، مخفيا إياها، وعندما يُتهم بها يضاعف من خطايا بسقوطه في الدفاع عن نفسه. منذ سقوط الإنسان انسحبنا إلى هذه الراجات من الشر... ولما كانت خطية الإخفاء تنمو بلغت إلى حدٍ مخيفٍ في الجنس البشري، قال الطوبولي أيوب: "إن أخفيت معاصي"، مضيفا الكلمات: "إنسان"، إذ رأى أن أخذ صورة الأيوين الأولين صار نموذجًا للإنسان... أبرز الطوبولي أيوب تواضعا منقادًا، إذ عرف أنه كان يعيش بين مقاومين، ومع هذا لم يخش أن يكشف أخطاءه بصوت الاعتراف. لاحظوا أنه قبالا أخبر عن سماته الفاضلة، بعد ذلك يعترف بخطيته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لم ينحرف بواسطة جوع الشعب، أي الخاضعين له، والذين يعرفون أخطاءه الطبيعية. هذه بالحق حكمة: "اعترف أولاً بمعاصيك فتتبرر" (راجع إش 43: 26). هكذا لم آخذ أهدا شاهداً على أعماله الصالحة، بينما أود أن يعرف كل أحدٍ أخطائي ومعاصي. هذه هي قمة الحكمة، صيغة للفضيلة، أن يخفي الشخص أعماله الصالحة، ويعرض أخطاءه للعامة. على أي الأحوال هذا يخالف ما يُمرس عملياً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حين تتشغل بخطية ما كن متهماً لنفسك (أم 18: 17)، ولا تنتظر الآخرين ليقدموا الاتهام. بهذا تصوير أشبه بإنسان بارٍ يتهم نفسه في أول حديث له في المحكمة، أو تكون كأيوب الذي لم يعقه جمهور الشعب في المدينة من الإعلان عن جريمته أمام الكل [1253].

القديس باسيليوس الكبير

16. هياج العشائر عليه بلا سبب

إِذْ رَهَبْتُ جُمُهورًا عَفِيراً،

وَرَوَعْتَنِي إِهَانَةُ الْعَشَائِرِ،

فَكَفَفْتُ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْبَابِ! [34]

إن كان قد اعتاد إن يعترف بخطايا علانية ولا يكتتمها في داخله، لكن الموقف قد تغير تماماً، فقد هاجت القبائل ضده، وصار كأن لا عمل

للعشائر سوى الهجوم العنيف ضده، وبلا سبب. أما هو فلم يسمح لفته أن ينطق بشيء إلى حين. صلت كلماته كمن لم تخرج من باب فمه.

❖ كأنه يقول بوضوح: بينما لم يهدأ الآخرون من الهجوم عليّ خلجياً، بقيت أنا نفسي متحرراً من الاضطراب في داخل نفسي. لأنه بماذا نأخذ هنا

الباب سوى الفم؟ فإننا بهذا نكون كمن يتقدم للكشف عن أسوار قلوبنا. إذ نبقى في الداخل في الضمير، نخرج خلجاً باللسان.

لكن يوجد بعض يخشون تماماً أن يُحتقروا، ويهدفون نحو الظهور حكماء عند اتهامهم أنهم مستحقون للزوراء...

عندما يكون القديسون تحت المحاكمة، يمتنعون تماماً عن الظهور (للدفاع عن أنفسهم)، وعندما لا يستطيعون أن ينفخوا من يسمعون لهم،

يحفظون بالصمت، حتى يُحتقروا، وذلك لئلا يفتخروا باستعراض حكمتهم... مكتوب: "وأما هيرودس فلما رأى يسوع فوح جداً، لأنه كان يريد من زمنٍ

طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، ورجى أن يري آية تُصنع منه". وأضيف: "وسأله بكلامٍ كثيرٍ، فلم يجبه بشيء". ولكن كيف أحتقر الرب جداً

لأنه احتفظ بصمته، فقد ظهر ذلك من الكلمات التي وردت بعد ذلك مباشرة: "فاحتقره هيرودس مع عسكوته، واستهزأ به" (لو 23: 8، 9، 11).

يليق بنا أن نسمع ونتعلم أن المستمعين إلينا غالباً ما يريدون أن يكونوا معروفين خلال أمورٍ تخصنا، وليس لكي يُصلحوا من أخطائهم. لذلك

يليق بنا أن نتمسك بالصمت، لئلا إذا تكلمنا بكلمة الله بطريقة مكشوفة لا نتوقف أخطاء هؤلاء الأشخاص، ونخطئ نحن...

يقول الكارز: "لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله"، لكن كما من إخلاص، بل كما من الله نتكلم أمام الله في المسيح" (2 كو 2: 17)... التكلّم

كما من إخلاص هو ألا تطلب شيئاً بجانب ما هو ضروري وللام...

يتكلم كما من الله الذي يعرف أنه هو نفسه ليس لديه شيء من ذاته، إنما يتكلم بما يتسلمه من الله. يتكلم أمام الله من لا يتطلب ما هو للناس في

كل ما ينطق به، بل ينشغل بحضرة الله القدير، ويتطلع نحو مجد خالقه، لا مجده هو.

البابا غريغوريوس (الكبير)

17 . رفع أمره الله

مَنْ لِي بِمَنْ يَسْمَعُنِي؟

هُوَذَا امْنِصَائِي.

لِيُجِبْنِي الْقَدِيرُ.

وَمَنْ لِي بِشَوْءِي كَتَبَهَا خَصْمِي [35].

يعود أيوب في النهاية يطلب ما سبق فكرر طلبه أن يجد من يدخل معه في محاكمة ويسمع له. لقد وقع بنفسه على طلب الدخول في المحاكمة

والاستعداد لقبول أية عقوبة يستحقها.

انه يطلب أن يقوم القدير نفسه، فاحص القلوب والكلية، والعرف بالأسوار بمحاكمته، ولا يقف الأمر عند اتهامات يقدمها له خصومه بلا وقائع

ثابتة ضده.

فَكُنْتُ أَحْمِلُهَا عَلَى كَتِفِي.

كُنْتُ أَعْصِبُهَا تَأْجًا لِي [36].

يسأل أيوب المحاكمة العلنية، حاسباً أنه وهو يُحاكم كعجرم ينال كرامة، ويعتبر الاتهامات الموجهة ضده تأجاً يُكلل رأسه، لأن الله حتماً سيبرره!

كُنْتُ أَخْرُوهُ بِعَدَدِ خَطَوَاتِي،

وَأَدْنُو مِنْهُ كَشْرِيْفٍ [37].

يعلن أيوب البار أنه لن يخفي شيئاً من خطوات حياته كلها. فقد كان يترك أن حياته تشهد له كشريف لا كعجرج.

إِنْ كَانَتْ لِرُضِي قَدْ صَوَّخَتْ عَلَيَّ،

وَتَبَاكَتْ أَتْلَامُهَا جَمِيعًا [38].

في يقينه أنه لم يظلم أحدًا قط، بل يحنو ما استطاع ويعطي على الوام لذلك يسألهم أن يتطلعوا إلى الأرض فإنها تشهد هي وغلاتها عن حبه، إنها لا تجد شكوى واحدة ضده، ولا تبكي أو توح على تصرف ما سلكه.

❖ الأرض لا تنتهد ولا تحزن. فماذا يعني بقوله هذا؟ إنها ليست الأرض حقيقة (بالمفهوم الحرفي) تنتهد، ولكن هذه الأشياء الجامدة تمتعض من الظلم، كما يقول النبي: "تتكسر الأرض، وتضوب بالوع" (راجع إر 2: 12). على أي الأحوال تنتهد الأرض في كل وقتٍ فيه نستخدم ثمرها بظلم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِنْ كُنْتُ قَدْ أَكَلْتُ غَلَّتَهَا بِلَا فِضَّةَ،

أَوْ أَطْفَأْتُ أَنْفَسَ أَصْحَابِهَا [39].

فَبِعِوَضِ الْحِنْطَةِ لِيَنْبُتَ شَوْكٌ،

وَبَدَلَ الشَّعِيرِ زَوَانًا.

تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ [40].

يتحدى أيوب أصدقاءه قائلاً بأنه لو كان قد ظلم أحدًا فأخذ غلة (حنطة أو شعير) دون أن يدفع الثمن، فإنه لن يحزن إن قدم الخاضعون له عوض الغلال للأكل والانتعاش أشواكًا وزوانًا.

يؤكد أنه إن كان ظالمًا فلا يستحق أن يأكل خبزًا من الحنطة كأفقر البشرية، ولا شعيرًا كالحوانات، بل يقدم له الناس كلمات لاذعة كالشوك أو كلمات تافهة كالزوان، إذ لا يستحق إلا أن يُلقى في النار.

تمت أقوال أيوب في حوراه مع أصدقائه، وكان في حديثه يشعر أنه يتحدث في حضرة الله، بل وكثيرًا ما يوجه حديثه لله نفسه، فهو يطلب رضا الله، لا أن يبهره إنسان.

من وحي أيوب 31

أشرق بنورك في أعماقي

❖ هب لي مع تقيك أيوب أن أكتشف أعماقي.

إني أعلم ثقل خطاياي،

لكن من يقدسني سواك.

بدونك أُصدم بالظلمة التي ملكت في داخلي.

بك أمتلئ رجاءً في خلاصك،

يا من تشوق بمجدك علي!

أنت وهبت وجه موسى بهاءً،

هب لأعماقي بهاءً من عندك.

❖ إني لا أسمح لعيني أن تتطلعا إلى عنواء.
لكن من يهب قلبي وفكري وعواطفى البتولية غيرك؟
أنت نصيبي وموathi الأبدى،
أقتنيك، فلا يتسلل حب الشهوة إلى أعماقي.

❖ أنت فاحص القلوب والكلبي،
تعرف كل أسوري الخفية،
لا لتدينني بل لتقدسني.

❖ أنت هو الحق، من يقتنيك لا يهادن الكذب،
ولا يدخل في تعامل مع إبليس الكذاب وأب الكذابين.

❖ السماء ليست بطاهرة أمامك،
وتنسب لملائكتك حماقة،
فكيف أتبرر أمامك؟

لأوزن بمزان حبك، فيسندني صليبيك.
رتدي توك المجاني، فأزأى أمام العرش الإلهي.

❖ بك أقتني الطهارة والحنو والحق.
فلن يقتوب الرنا إلى جسدي، ولا إلى نفسي!
أحترم كل إنسان، ورأك في كل شخص!
لا أبالي بالغنى ولا السلطان، فأنت غناي ومجدي!
أحب حتى أعدائي ومقاومي،
واشتهي سلام العالم كله ومجده فيك.
ليقم العالم ضدي، فإني اشتهي أن أغسل قدميه!
أخوًا هب لي مع أيوب البار أن تكون أنت الكل لي!

❖

خطب شرعية يلقيها أليهو

أيوب 32-37

خدمة أليهو

لم يعد أحد على المسوح، فقد جلس أصدقاء أيوب الثلاثة على الأرض، ليس لديهم كلمة واحدة ينطقون بعد بها. ولم يعد أمام أيوب بعد دفاع أكثر مما نطق به، فصلرت الحاجة إلى تدخل وسيط، وكان أليهو هو ذلك الوسيط الذي ظهر في هذه الأصحاحات.

تدخل أليهو

يتعجب بعض الدارسين لتدخل أليهو في النهاية، بدون مقدمات، ودون ذكر له. فظن البعض أن الوحي الإلهي ألهم أهدرجال الله ليضع هذه الأصحاحات (32-37). لكن تدخل أليهو هنا طبيعي، فهو كشاب كان يليق به أن ينتظر حتى يُوغ الشوخ ما في جعبتهم، وهذا ما كان متبعًا في القديم، خاصة في الشوق الأوسط. لم يتدخل قبل ذلك، لأنه لم يرد أن يقاطع الشوخ، كما أراد أن يتأني لوى ويدرس فكر كل شيخ أو فيلسوف منهم، ووى ما تسفر عنه هذه المناظرات في النهاية. كان أليهو يجيد الاستماع، ينصت إلى المباحثات والمناظرات بين الشوخ، الآن يتقدم مستأذناً أن يُعبر عن رأيه اللاهوتي في المشكلة.

غالبًا ما كان أيوب يختم حديثه في كل مرة مع أصدقائه بصوخة موجهة إلى الله، والآن إذ كُف الأصدقاء عن الحديث، بدأ يتدخل أليهو كاستجابة لصرخات قلب أيوب. فقد خدم أليهو كمن جاء سابقًا لوجه الرب، يُعد له الطريق، حيث يأتي الرب في الزوبعة (ص 38 الخ).

قدم أليهو أربعة أحاديث: (32:33-6:33؛ 34:37-1؛ 35:16-1؛ 36:37-1؛ 24)

بدء حديثه يمكن القول إنه قد انتهى ليل المباحثات الطويل، وبدأ فجر يوم الحكمة يشوق لبيد الظلمة. امتاز أليهو بإواكه وتقديره لغنى نعمة الله التي لم ينشغل بها الشيوخ كثوًا، لقد قدم شيئًا جديدًا ونافعًا.

سبب تدخل أليهو

العامل الرئيسي الذي دفع أليهو للكلام إواكه أن أصدقاء أوب قد فشلوا في الرد على تسؤلات أوب بخصوص أحكام الله نحو الأوب والأشوار في العالم، كما تطلعا إلى قضية أوب بمنظارٍ خاطئٍ، أو غير كاملٍ. ومن جهة أخرى لام أليهو أوب أنه وإن كان برًا، غير أنه تطلع إلى الله كمن يعامله كعدوٍ. أنصت أليهو إلى صوخت أوب طالبًا وسيطٍ للتدخل بين الله وبينه، ولعله ظن أنه قادر أن يقوم بهذا الدور، لكن أليهو لا يختلف عن أوب، فإن كليهما مخلوقان من وَا، وكلاهما نفخ فيهما الله نسمة الحياة [١-٧].

كان أليهو يود أن يدفع أوب عن كبريائه ليمرس التوبة، فلا يموت في خطيته [١٧-١٨]. لعله أشار إلى أنه إن هدأ أوب عن صوخته، فسيقدم له الله رؤيا أو حلمًا يفسر له الأمر.

خصائص خطب اليهود

1. من خصائص خطابات أليهو وجود شعور عميق باحترام الله، هذا ووجهة نظره عن الخطية أعمق من التي ظهرت في خطب الأصحاب الآخرين. وتلمح في أخلاقه الأدب والتواضع، كما يتحلى بالحواء واحترام الآخرين غير أنه غير مُستعبد لأراء العامة، بل مُتقاد بالروح القدس. كان أليهو بمثابة رسول أرسله الرب لأوب يحمل له البشارة الصحيحة عن خطة الله في التجرب، وظهر الله كمعلمٍ مصممٍ على قيادة الإنسان عن طريق التهذيب بالألم إلى طريق أكثر حكمة للحياة. لقد تكلم أليهو، وأظهر لأوب أن تأديبات الله ليست بروقًا تظهر فجأة في الجو ولا نعلم مكان حدوثها، بل هي معاملات أبٍ حكيمٍ محبٍ، يهينا فهمًا لإواكها، حيث وضح العهد الجديد إننا نؤدب الآن في الرب لكي لا نُدان مع العالم (1 كو 11: 32).
2. برز أليهو كوسيطٍ، ولكن شتان بينه وبين السيد المسيح كوسيطٍ للعهد الجديد. من حيث أليهو لم يحل اللغز كاملاً، لأنه مجرد رمز.
3. أوضح أليهو أنه يوجد سبب آخر للألم، ليس كعقابٍ للخطية، بل كوسيلة لتشجيع أولاد الله وتنقيتهم وتطهيرهم. وفي هذه الحالة لا يُعبر الألم عن غضب الله، بل يكون مجرد تأديب صادر من أبٍ محبٍ، بذلك مهد أليهو الطريق لمجيء ربنا يسوع.
4. يبين أليهو سبب سكوته بأن الأصحاب المتكلمين كانوا شيوخًا محترمين وهو صغير السن، لكنه تدخل وتكلم عندما فشل الأصحاب في الرد على شكوك ومخاوف أوب، بالإضافة إلى احترام إعلانات الله التي يمكن أن تُكشف للشباب كما للشيوخ. فالسكوت الآن معناه احترام للناس أعظم من احترامه لإلهه.
5. يتحدى أليهو أوب ليتكلم إذا كان عنده أي شيء يستحق أن يُقال (31-33)، وإن لم يستطع أن يقول كلام حكمة فليصغ إليه، إذ يبدأ في تفنيد شكوى أوب.

تفنيد شكوى أوب

1. تفنيد شكوى أوب الأولى: في ظن أليهو أن أوب اشتكى من استبداد الله في أعماله، وإنه إله غير عادل في تصرفاته مع عدم مراعاة البرّ في معاملات الله له. يؤكد أليهو أن الله عادل، وأن الإنسان يحصد ما يزرع، سواء كان الزرع شواً أو صلاحًا، وأن السلطان المطلق خاص بالله وحده، وهو أكبر من أن يدركه الإنسان (أي 12: 33). إن علم الله الكامل يضمن عدله، وإنه يجري عدله لخير الناس (30). ثم يسأل أليهو أوب: هل يجوز لأي إنسان أن يملئ على الله وع التأديب الذي يقع عليه؟ (31-32)
2. تفنيد شكوى أوب الثانية: وهي إن البرّ لا يجلب منفعةً للبار، فلا يكون أفضل مما لو كان خاطئًا فاجرًا. إذا كان الله يظهر كأنه غير

مكوثٍ بصواخ المتضايق (أي 9:35، 12). فهو لا يجهل الشر، والدعوة تأتي أمامه، وأنه يتدخل في عدلٍ. وعندما يتألم الأوار ويصوخون إلى الله ولا ينالون فرحًا، لذلك لأنهم لا يطلبون الطلبة الصحيحة، يكونون مثل الحيوانات يصوخون لمجرد كونهم يتألمون، ينقصهم شعور الثقة والإيمان بحكم الله البار. لهذا لا يحصلون على جواب، لأنهم متكبرون، والله لا يسمع للباطل والمتكبر.

نظرة أليهو اللاهوتية

بعدما صحح أليهو ما ظنه خطأ في رآء أيوب، يبدي ما يظهر له أنه إراك أصح لله، ويمكن أن يقسم إلى ثلاثة أقسام:

- (1) عظمة الله بإظهار عانيته في معاملة الناس (أي 1:36-25)، مثل قوله إن الأشوار لا يثبتون، وأن الله لا يحول نظره عن الأوار، وإنهم إذا كانوا يصابون فلأجل خوهم لكي يكونوا مستعدين لقبول التعليم.
- (2) تُظهر ظواهر الأفلاك العجيبة عظمة الله: وهي قوة مليئة بجمال التعبير الأدبي (أي 26:36-37: 13). وذلك مثل تكوين المطر، والرعد، والتلج، والجليد والغيوم.
- (3) دعوة أيوب إلى التأمل جيدًا في كلمات الله العجيب (أي 14:37-24)، وأن ما يظهر ظلمًا من الله إنما زاه كذلك بسبب قصر نظرنا، ويمكن إصلاحه بالتقوى الحقيقية. ثم يعلن أليهو لأيوب الموقف الذي يجب أن يتخذه. "ادعُ الرب، فيستقبلك الرب. قل: أخطأت، وما أتبع الوصية، ولكن الله لم يجزني حسب أعمالِي، بل افتدى نفسي من الهبوط إلى الموت، فبقيت حيًا أبصر النور".

وحدة أحاديثه

- مع ما اتسمت به أحاديث أليهو من وقفات كثرة (34: 1؛ 35: 1؛ 36: 1)، لكنها تمثل وحدة واحدة متكاملة [1254].
1. اعتزله بالحديث في مجلس للشيوخ (32: 6-22).
 2. إجابات لاهوتية عن شكوى أيوب (33: 8-11؛ 34: 5-9؛ 35: 2-3؛ 36: 17 الخ).
 3. استعوض في إجاباته نعمة الله (33: 12-33).
 4. استعوض أيضًا برّ الله (34: 10-36: 25).
 5. أبرز أيضًا سلطان الله وقوته (36: 26-37: 14).

ملاحظة

يتطلع البابا غريغوريوس (الكبير) إلى أليهو الشاب بكونه يمثل المعلمين أو الكارزين الذين لهم معرفة صادقة وإيمان مستقيم، لكنهم متكبرون. لهذا كثرة ما يفسر كلمات أليهو وتصرفاته من هذا المنظار. وهي وجهة نظر يرفضها بعض الآباء، وحرصًا على عدم تشتيت فكر القارئ أثرت عدم عرضها.

<<

الأصحاخ الثاني والثلاثون

ليتحدث أيضًا الشاب!

لم يُذكر أليهو قبل ذلك ربما لأنه واحد من بين جمهورٍ كثيرٍ ممن أحاطوا بأيوب، لا عمل لهم سوى الاستماع للحوار الذي دار بين أيوب وأصحابه. أما ما شجعه على الحديث فهو سماعه أن الحكمة نزلة من عند الله، توهب للفتيان كما للشيوخ [٦-١٠]. وى كثير من الدارسين أن أليهو، وإن كان لم يقدم نقاطاً جديدة جدوة بالاستحقاق، لكنه تكلم بدافع جديد ورغبة في التمتع بالحق [٢١-٢٢].

1. ظهور أليهو 5-1

2. التّوامة بالتدخل 10-6

3. بصيرٍ احتمل ما سبق فقالوه 11-13

4. أعماقه تدفعه للتدخل 21-14

1. ظهور أليهو

فَكَفَّ هَوْلًا لِلرَّجَالِ الثَّلَاثَةِ عَنِ مُجَابَبَةِ أَيُّوبَ،

لِكَوْنِهِ بَرًّا فِي عَيْنِي نَفْسِهِ [1].

توقف الأصدقاء الثلاثة عن الحديث، إما لأنهم رأوا الله نفسه يدافع عنه بكونه برًا، أو لأن أيوب يحسب نفسه برًا، فلا نفع من الحوار معه. والواقع الحقيقي أنهم فشلوا في تأكيد اتهاماتهم ضد أيوب لأنهم حملوا في قلوبهم وأفكرهم نية غير صادقة، فجاءت اتهاماتهم لا وزن لها. "لكونه برًا في عيني نفسه" جاء هذا النص في الترجمة السبعينية والرومانية والعربية القديمة والكلدانية "لكونه برًا في أعينهم". فقد اقتنعوا أنه بار، وأن اتهاماتهم لا أساس لها.

جاء النص في ترجمة سيماخوس *Symmachus* "لكونه ظهر برًا أكثر منهم" [1255].

في الأصحاحات السابقة رأينا أيوب لا ينكر أن له خطايا، وأنه كان يعترف بها، لكنه كان متألمًا لما حلّ به مما شوّه صورته وأعثر أصدقاءه فيه.

❖ لم يكن لديهم إجابة على هذا (أي على قول أيوب)، فصمت أيوب ليعطيهم الكلمة. ولما كان قد نال الشهادة من الله (أنه بلا لوم) أغلقوا أفواههم.

"لأن أيوب كان برًا أمامهم" ... لقد غيروا أيهم السابق، إذ بحديثهم ضد أيوب يدينون الله. لاحظوا أنه في كلا الحالتين يوجد عدم تناسب. لقد دانوا أيوب كما الله أيضًا، وشهروا ضد الاثنين. أما الله فلم يدافع عن نفسه، وإنما دافع عن أيوب، متجاهلاً الدفاع عن نفسه. فقد جذب الأنظار إليه (1: 8)، كما قال أيضًا عن أيوب: "لم تقولوا الصواب عن عبدي" (راجع 42: 8). ففي هذا كله احتمل الله أقصى درجات الظلم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الله في محبته لمؤمنيه يدافع عنهم، سواء على المستوى الودي أو الجماعي. فيقول المونثل: "أصوخ إلى الله المحامي عني" (مز 57: 2). "الرب يحامي عني. يارب رحمتك إلى الأبد، عن أعمال يديك لا تتخلّ" (مز 138: 8) أما عن الجماعة فقيل: "وأحامي عن هذه المدينة، لأخلصها من أجل نفسي، ومن أجل داود عبدي" (إش 37: 35؛ 38: 6؛ زك 9: 15).

في وسط اتهامات أوب من لنا ترتفع أنظرنا إلى ربنا يسوع بكونه الحصن الذي نلجأ إليه، ملجأ خلاصنا، والمدافع عنا.

❖ "صوت رجائي، ووجًا في وجه العدو" (مز 61: 3). يقول: قلبي ثائر، فقد اتحنوا معًا من أقصى الأرض، وصوت أعاني وسط التجرب والهجوم... داخل الكنيسة تعاني الحنطة من عنف القش. وسط كل هذه الأمور، إذ يضطرب قلبي أصوخ من أقاصي الأرض.. المسيح نفسه هو

الوج. يجعل نفسه وجًا من وجه العدو، وهو أيضًا الصخرة التي تُبنى عليها الكنيسة. أتريدون ألا تُضربوا من الشيطان؟ اهروا إلى الوج. لن يمكن

[1256]

لسهام الشيطان أن تتعبكم في ذلك الوج. هناك تحتمون وتنبثون... الوج أمامكم. استدعوا المسيح في أذهانكم، وادخلوا الوج!

فَحَمِي غَضْبُ أَلِيهُو بِنِ بَرَحْنِيلِ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ.
عَلَى أَيُوبَ حَمِي غَضْبُهُ،

لَأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبْرَ مِنْ اللَّهِ [2].

"أليهو" اسم عوي معناه "إلهي هو"،

يشير بالغضب هنا إلى انفعاله الداخلي وغيوته العظيمة للدفاع عن عدل الله ووه ورعايته.

❖ " على أيوب حمي غضبه، لأنه حسب نفسه بلاً أمام الله" [2]. غضب أليهو، ليس لأن أيوب أعلن أنه بار، وإنما لأنه فعل هذا أمام الرب، حيث حسب الله شاهداً، أو ظن بأن أيوب أراد أن يدين الله. فتبروه لنفسه لم يكن بذى أهمية، وإنما أن يفعل ذلك بقصد إدانة الله، فهذا خطأ. يقول الكتاب: لا تبرر نفسك أمام الرب " (سواخ 7: 5)...

هل هذا حدث؟ لم يكن فكر أيوب هكذا. أليهو هو الذي فهمه بهذه الطريقة، أما أيوب فلم يقل إنه أبر من الله، بل بالحري كانت فكرته أن الله هو المسئول عن نكباته. مع هذا لم يسئ إلى الله متهمًا إياه بالظلم، إنما هذا ما فهمه أليهو.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أَلِيهُو" أو "الله هو يهو". جاء اسمه وشخصيته يعلنان عن دوره كرسول بين الله وأيوب، يهيي الأخير ليتمتع برؤية الله القادم في الزوبعة. حمل ظلاً للوسيط الحقيقي ربنا يسوع (أي 33: 23-26).

برخنيل: تعني "الله يبلك"، وقد أشار اسم أليهو واسم والده أن هذه العائلة اتسمت بالتقوى، ولم تملس العبادة الوثنية.

البوزي: كان بوز الابن الثاني لناحور، أخ إواهم (تك 22: 21)، وقد دُعيت هذه المنطقة في الصحراء العربية على اسمه، ورد اسم مدينة بوز في إر 25: 23؛ ربما أخذت اسمها عن العائلة. ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن كلمة "بوزي" تُوجم "خسيس".

وى بعض الربيين والقديس جيروم أن أليهو هو بلعام بن بعور. ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أليهو كمثل للكارزين المتكبرين يقدم لنا تفسواً لاسمه واسم والده واسم عشيرته، فإنهم وإن كانوا لا يعيشون حسب وصايا الرب، إلا أنهم يعرفون الله أنه ربهم. وإذ يتمتعون بركة النعمة الإلهية في بلاغة حديثهم، لكن في سلوكهم المتكبر يظهرون أنهم محتقرون

وى Dr. Hodges أن أليهو هو إحدى ظهورات الأقتوم الثاني، وأن غاية السفر كله التركيز على شخص أليهو، وإباز دوره في إقناع أيوب أن تبروه لا يقوم على اعتداده بأعماله الصالحة وتمسكه بوه الذاتي، وإنما بالإيمان بالقادر أن يبرر.

ليس من بين آباء الكنيسة من نادى بهذا الرأي، لكن يمكن القول أنه كان رمزاً للسيد المسيح القادم لتحقيق الوساطة والمصالحة، فيبرر المؤمنين السالكين فيه بالروح والحق.

رام: رام - رام هو ابن أخ بوز، ولعل أيوب كان من جيل سابق لأليهو، إذ كان يكوه في السن. ووى البابا غريغوريوس (الكبير) أن كلمة "رام" معناها "مرتفع". المؤمنون الحقيقيون مرتفعون، إذ يمكنهم أن يقولوا مع الرسول بولس: "فإن محادثتنا نحن هي في السموات" (في 3: 20). "لأنه حسب نفسه أبر من الله"، لعله يقصد "لأنه حسب نفسه بلاً أمام الله". جاءت الترجمة الحرفية: "بَرَّ نفسه his soul أمام الله". لقد دافع لا عن سلوكه فحسب، وإنما أيضاً عن أفكاره ووافعه الداخلية.

اختلف أليهو عن الأصدقاء الثلاثة من جهة نية الطرفين، إذ لم يحمل أليهو حقداً أو حسداً من جهة أيوب مثل هؤلاء الأصدقاء. ومن جانب آخر لم يتهمه بأنه مرتكب شرور خفية خطوة أو أنه موائي، إنما ما انتقده فيه، أنه في حديثه لم يبرر الله، بل ما كان يشغله هو تبرير نفسه أمام الله كما أمام الناس حتى وإن كان خشيته أن يتعثروا فيه كرجل الله.

وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضْبُهُ،

لَأَنَّهُمْ لَمْ يَجِئُوا جَوَابًا،

وَاسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ [3].

لقد أدانوا أيوب، لكنهم عجزوا عن الإجابة على حججه بصفة عامة، وفي ترويه لنفسه. حقًا لقد جلسوا صامتين، لكنهم لم يغيروا أفكلهم من جهته، وفي نفس الوقت فشلوا في الرد عليه.

ما أخطأ فيه أصدقاء أيوب هو عدم تمتعهم بروح الحنو مع إنسانٍ مُجربٍ متألمٍ مثل أيوب. لقد اتهموه بالرياء وأنه شيرير، ومع عجزهم عن إثبات ذلك لم يريدوا أن يراجعوا. لقد بلغوا إلى النتيجة والحكم على إنسانٍ مقدمًا قبل محاورته، ولم يكن في حورهم هدف سوى تحطيمه تمامًا.

لعل من سمات أليهو الرائعة، أنه وقد امتلأ قلبه حورًا على أيوب، لكنه كوسيطٍ بين الطرفين، لم يأخذ موقف المحاباة لأيوّب على حساب أصدقائه، بل بروقةٍ وتعقلٍ أبرز خطأ الطرفين . لقد بدأ بأيوب حتى يعطي للأصدقاء الفوصة أن يقبلوا كلماته بجديّةٍ، ويعينوا تقييم حورهم مع أيوب. وَكَانَ أَلِيهُو قَدْ صَبَرَ عَلَىٰ أَيُّوبَ بِالْكَلَامِ، لَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا [4].

انظر أليهو حتى صمت الشوخ وتوقفوا عن الكلام. بانتظره أظهر حكمة الشوخ وهو شاب؛ فقد صمت حين تكلموا، ليس لأنهم كانوا أحكم منه، وإنما لأنهم كانوا أكبر منه سنًا. التزم بالترتيب الحسن والتدبير اللائق، وعندما صمتوا عن فشلٍ مع إصار على ما في فكرهم تكلم بروح الحق في حوأة مع تعقل. وقد أوصى الكتاب المقدس بتكريم الشوخ، ولكن في الرب:

"لا تهن أحدًا في شيخوخته، فإن الذين يشيخون هم منا" (سواخ 8: 7).

"لا توجر شيخًا، بل عظه كأبٍ، والأحداث كإخوة" (1 تي 5: 1).

لا تقبل شكاية على شيخٍ، إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود" (1 تي 5: 19).

فَلَمَّا رَأَىٰ أَلِيهُو أَنَّهُ لَا جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الثَّلَاثَةِ،

حَمِي غَضْبُهُ [5].

غار أليهو على الرب، فقد أخطأ أيوب بعدم تسليمه الأمر لله، حاسبًا أن ظلمًا قد وقع عليه. واعتبر أليهو صمت الشوخ الثلاثة نوعًا من الوضًا والموافقة على رأي أيوب لذا غار على مجد الرب وحكمته.

2 . التوامه بالتدخل

فَقَالَ أَلِيهُو بَنُ يَوْحَنِيَلِ الْبُورِي:

أَنَا صَغِيرٌ فِي الْأَيَّامِ، وَأَنْتُمْ شُؤُخٌ،

لَأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ، وَخَشِيتُ أَنْ أَبْدِيَ لَكُمْ رَأْيِي [6].

في العصور القديمة، خاصة في منطقة آسيا، لم يكن يُسمح للصغار الدخول في الحوار مع من هم أكبر سنًا، بل وأحيانًا يلتزم الصغير بالصمت قدر المستطاع في أي موضوع.

قوله: "أنا صغير في الأيام"، هو اصطلاح يشير إلى وجود فرق في السن، أيا كان قوه، كما قد يشير إلى أنه أقل منهم حوة عبر الأيام لصغر سنه، لكنه لا يعني أقل منهم في الحكمة.

قُلْتُ: الْأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ،

وَكُوَّةُ السَّنِينِ تُظْهِرُ حِكْمَةً [7].

وى أليهو أن الحكمة لا تتوقف على خوة السنوات المجردة. يمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الحكمة:

الحكمة المكتسبة خلال خوة الحياة ، هذه تنمو مع السنوات، يعتز بها الشيوخ.

والحكمة كهبة طبيعية قدمها الله للإنسان بوجه عام، إذ وهبهم العقل بالطبيعة (ع 8). وكثيرًا ما يكون بعض أبنائنا أكثر منا حكمة وذكاءً، وإن

كانوا لا يتمتعون بذات خورتنا.

وأخوًا الحكمة عطية روح الله، يقدمها لأتقيائه.

مع اعزولنا بالوعين الأولين من الحكمة وتقديرونا لهما، لكن تبقى حكمة الله الفائقة هي موضوع طلبنا المستمر من الله. "هب لي الحكمة

الجالسة معك إلى عرشك، ولا تتبذني من بين أبنائك" (حك 9: 4).

❖ كل هذه الحكمة والتعقل يوجدان في المسيح، وبالمسيح نفهم الله (الآب) وزواه، فما يتبقى من حكمة في العالم، وأية حكمة من هذا النوع خرج المسيح

[1257]

وبونه تُحسب أمرًا فلغًا بلا قيمة ودينياً.

الأب ماريوس فيكتورينوس

❖ يقول سليمان في الجامعة إن عيني الحكيم في الرأس (جا 2: 14). أنك بولس أهمية الرئاسة. لقد عرف لماذا توجد العينان في الرأس. إن كان

[1258]

المسيح هو رأس المؤمن، وعينا الحكيم في الرأس، فستكون كل حراسنا وعقلنا وفكرنا وحديثنا ومشورتنا (إن كان حكماء) هي في المسيح.

القديس جيروم

وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا،

وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعْقَلُهُمْ [8].

يُوجِم النص العربي حرفيًا "الروح نفسه" ، فيعني أن الإنسان يوهب له الروح واهب الحكمة، أو روح الإلهام. سبق فقوم أليهو الشيوخ من أجل

خورتهم، الآن يبرز أن الحكمة هي عطية الله ، يُمكن أن يتمتع بها الشيخ كما الشاب. الحكمة الحقيقية وإن لم تتجاهل الخوة عبر الحياة، لكنها أساسًا هي

إلهام من القدير، أو نسمة من القدير "نشمة شاداي nishmat Shaday".

وى البعض أن كلمة "روح" هنا تشير إلى النسمة التي وهبها الله للإنسان (تك 2: 7)، فتعطيه فهما.

لَيْسَ الْكَثِيرُ وَالْأَيَّامُ حُكْمَاءَ،

وَلَا الشُّوْخُ يَفْهَمُونَ الْحَقَّ [9].

مع كوة الأيام قد ينال الإنسان خوات نافعة سواء في حياته أو في حياة الآخرين يلتقي بهم ويتعامل معهم، وأيضًا قد يجمع الكثير من الأمثال

المملوءة حكمة، ويحفظ بعضها عن ظهر قلب، ومع هذا قد لا يملس الحكمة، ولا يتمتع بروح التمييز والفهم.

هذه هي الحجة التي يبرر بها أليهو موقفه أنه اقتحم الموقف ليتحدث بين شيوخ، ويشير إليهم ببعض الأحكام والنصائح، بل ويوبخهم.

وى البعض أنه يتحدث عن الحكمة الموهوبة من الله، إذ قدم للإنسان نسمة حياة عاقلة. "وجع الزاب إلى الأرض كما كان، وتوجع الروح إلى

الله الذي أعطاها" (جا 12: 7). "يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض، وجابل روح الإنسان في داخله" (ك 12: 1).

لِذَلِكَ قُلْتُ اسْمَعُونِي.

أَنَا أَيْضًا أُبْدِي رَأْيِي [10].

يطلب أليهو من الشيوخ ألا يحتقروه بسبب صغر سنه، إنما عليهم أن يسمعه وألاً وعندئذ يفحصوا كلماته.

يليق بنا ألا نستخف بمن هم أصغر منا سنًا، بل ننصت إليهم، يقول الحكيم: "ولد فقير وحكيم، خير من ملك شيخ وجاهل" (جا 4: 13).

3 . بصبرٍ احتمل ما سبق فقالوه

هَانِدًا قَدْ صَبِرْتُ لِكَلَامِكُمْ.

أَصْنَعْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ،

حَتَّى فَحَصْتُمْ الْأَقْوَالَ [11].

كأنه يقول لهم: "كنت أنصت إلى كلامكم، وأصغي إلى حججكم، فوجدتكم محبين للجدال، تبحثون عن كلمات مجردة من هنا وهناك، ولم يشغلكم في الأمر سوى وجود كلمات أيا كانت لتحقيق ما في داخلكم من نحو أيوب، لا أن تتلامسوا مع الحق، وتقدموا حبًا. وهو بهذا يتهمكم على أسلوبكم في الحوار. فهو أسلوب من يريد أن يغلب ويتفوق بالكلمات، لا من يبني نفسه والآخرين. ما كان يشغلهم في كل حورهم أن ينزعوا أيوب، وها هم قد فشلوا في زاعهم العقيم.

❖ عندما تلتقي بإنسان محب للمجادلات، ويبدأ يجادل معك فيما هو بديهي وحق، اقطع الحديث وانسحب سريعًا، إذ تحوّل ذهنه إلى حجر.

فكما أن الماء يفسد أجود أنواع الخمور، هكذا المناقشات الغبية تفسد الفضلاء في السوة وفي طباعهم [1259].

القديس أنطونيوس الكبير

❖ اهرب دائمًا من كل إنسان لا يكف عن المجادلة في حديثه.

❖ إذا ابتعدت النفس من كل مناقشةٍ وتشويشٍ واضطرابٍ؛ فإنّ روح الله يدخل فيها وتلك التي كانت عاقًا تصير مثرة.

الأب بيمين

فَتَأْمَلْتُ فِيكُمْ، وَإِذْ لَيْسَ مِنْ حَجِّ أَيُّوبَ،

وَلَا جَوَابَ مِنْكُمْ لِكَلَامِهِ [12].

أوضح فشلهم في الحوار، فقد عجزوا عن إقناع فكر أيوب وتغييره، كما فشلوا في تقديم إجابات مقنعة على أسئلته. لقد نطقوا بكم هائل من الكلمات، عجزت عن رالة ما في فكر أيوب.

فَلَا تَقُولُوا: قَدْ وَجَدْنَا حِكْمَةً.

اللَّهُ يَغْلِبُهُ لَا الْإِنْسَانُ [13].

هنا يبرز أليهو ما وراء حورهم ومناقشاتهم، فقد ظفروا في أنفسهم أنهم قادرون على إقناعه بحكمتهم الخاصة، مع أن الإنسان يحتاج إلى إقناع داخلي صادر عن الله، الذي وحده يغلب الفكر ويخضعه، الأمر الذي يعجز عنه الإنسان مهما كانت قراته اللغوية والفلسفية.

لم يسمح الله لهم بالنصوة في حورهم حتى لا يعتنوا بحكمتهم الذاتية.

4 . أعماقه تدفعه للتدخل

فَإِنَّهُ لَمْ يُوجِّهْ إِلَيَّ كَلَامَهُ،

وَلَا رُدُّ عَلَيْهِ أَنَا بِكَلَامِكُمْ [14].

يقول أليهو: "إنني لست طرفًا في الحوار، فإن أيوب لم ينطق بكلمة واحدة ضدي، لهذا فإن حديثي لا يحمل انفعالات، أو يصدر عن إثرة داخلية، إنما ينبع عن الرغبة في الحق. وفي نفس الوقت سوف لا أتحدث معه بأسلوبكم المملوء عنفًا وجفاءً، فحمل غبولة خرجت من أفواهكم. هكذا دون محاباة، وفي غير تحيز أتكلم معه وأيضًا معكم".

تَحَيَّرُوا.

لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ.

انْتَوَعَ عَنْهُمْ الْكَلَامَ [15].

يبدو أنه تحول بنظره إلى الحاضرين، وبدأ يتحدث معهم عن موقف الأصدقاء الثلاثة، حيث صاروا في حوة، لم يستطيعوا أن يجيبوا بكلمة، فقد شعروا بأن كلماتهم لغو لا قيمة لها.

وى *Good* أن الحديث هنا لا عن الأصدقاء، بل عن كلماتهم التي لم تعد تحمل أية فاعلية، تخرج من أفواههم لتتبدد في الهواء، لا تحمل أي معني؛ لا تقدم شيئاً جديداً.

فَأَنْتَظَرْتُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا.

لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ [16].

يقول أليهو أنه ينتظر من الأصدقاء أن ينطقوا بكلمة، ويجيبوا على أيوب، وإذ صاروا بكم، تقدم هو ليتكلم.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) في أصدقاء أيوب رمواً للهواطة الذين يثيرون مجادلات كثرة، يهتمون الكنيسة ويقاومونها، لكنهم في النهاية يسند الرب كنيسته ويُبكم الهواطة.

فَأَجِيبُ أَنَا أَيْضًا حِصَّتِي،

وَأُبْدِي أَنَا أَيْضًا رَأْيِي [17].

قد حان الوقت ليأتي دور أليهو. الآن صار كمن ينال نصيبه، بأن يكشف عن المعرفة التي كتمها طوال الحوار الذي دار بين أيوب والأصدقاء. حسب هذا نصيبه الذي صار له كعطية لطيفة مقدمة له.

وى البعض أن قوله: "وأبدي أنا أيضاً رأيي" في الأصل العوي يحمل مسحة من الرقة والتواضع، لا تظهر بوضوح في التوجمات إلى اللغات الأخرى. كأنه يقول: "حتى أنا الصغير، إنسان متواضع مثلي، يُسمح له أن يعبر عن آرائه، بينما لم يعد لدى الشيوخ والعظماء ما ينطقون به" [1260].

لَأَنِّي مَلَأَنُ أَقْوَالَ.

رُوحٌ بَاطِنِي تُضَايِقُنِي [18].

يحمل المؤمن الحقيقي روحاً نارية، متشبهاً بالله النار الآكلة، أو نار حب لا تُطفأ (خر 24: 7؛ تث 4: 24؛ عب 12: 29)، فيصير كأحد خدام الله الذين قيل عنهم: "خدامه لهيب نار" (عب 1: 7).

يحمل المؤمن كلمة الله - نار الحب المتقد - فيصير كعملنا بولس الرسول إذ كان "منحصراً بالروح" (أع 18: 5)، مملوء غوة روحية متفدة، يقول: "فإني أغار عليكم غوة الله"، لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عزاء عفيفة للمسيح" (2 كو 11: 1). ويصوخ مع رميا النبي: "أحشائي، أحشائي، توجعني جوان قلبي، لا أستطيع السكوت" (إر 4: 19)، "فقلت لا أذكره، ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كناناً محرقة، محصورة في عظامي، فمللت من الإمساك ولم أستطع" (إر 20: 9).

هكذا شعر أليهو كمن يحصوه روح الله، ويلهب نوان حبه نحو أيوب كما نحو أصدقائه وجميع الحاضرين، يطلب في غوة متفدة من أعماقه ما هو لبنيانهم ومجدهم الأبدي.

لقد صمت الأصدقاء الثلاثة ولم يجدا كلمة ينطقون بها، لأنهم أفرغوا الكلمات الصاورة عن حسدهم لأيوب، وصرخوا كمن قاموا بتويغ ما في جعبتهم، أما أليهو الذي صمت إلى حين، ففي داخله كلمات حب لا تفرغ، يود أن يتكلم لا كمن يشتهي التعليم، ولا من كوسي السلطة، ولكن من موقع الحب والحنو على الجميع، تفيض كلماته من أحشائه، أو كما يقول: "روح باطني".

❖ يستخدم بولس هنا كلمة أقوى بكثير من "الحب" المجرد. فالنفوس الغيورة تلتهب بحماس من جهة المحبوبين لها. الغوة تفوتض عاطفة قوية. لذلك

فلكي لا يظنوا أن بولس يطلب سلطة أو ثروة أو كرامة يضيف أن **غيرته إلهية** . فقد قيل عن الله إنه غير، ليس بطريق بشوي، وإنما لكي يعرف كل واحد حقه في السيادة علي من يحبهم، وأن ما يفعله هو من أجل نفعهم الموائد.

تقوم **الغيرة البشرية** أساساً على الأنانية، أما **الغيرة الإلهية** فهي قوية ونقية.

لاحظ الفرق بين العروس البشرية والكنيسة. ففي العالم الوأة العزراء قبل الزواج تفقد بتوليبتها بزواجها. أما في الكنيسة فإن الذين كانوا بتولين

[1261]

إلى حد ما قبل رجوعهم إلى المسيح يتمتعون بالتولية فيه. لذلك فإن الكنيسة كلها عزراء .

❖ يقال أيضاً عن الله أنه غير، فلا يظن أحد أن (اللاهوت) به هو، وإنما لكي يعرف الكل أنه يفعل كل شيء ليس إلا من أجلهم هؤلاء الذين يغير عليهم، لا ليقنتي شيئاً بل لكي يخلصهم [1262].

القديس يوحنا الذهبي الفم

هُوَذَا بَطْنِي كَخَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ.

كَالزَّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ [19].

إذ قدم إليه عزراً أنه يتكلم في حضرة الشيوخ دخل في مناجاة مع نفسه، بأنه قد امتلأ داخله بغيرة متقدمة، حتى كادت نفسه تنفجر كالزقاق

الجديد المملوء خوراً، أو كمنفاخ حداد مملوء هواءً. في مناجاته يعلن أنه لا يحابي أحداً، ولا يتملق إنساناً!

جاءت أحاديث إليهو ليس كمن يطلب إجابة على تساؤلات أو على اتهامات، وإنما كمن ينظر إلى المشكلة بنظرة عامة، ليهيئ الطريق للحوار بين

الله وأيوب.

يمكننا تفسير كلمات إليهو رمزياً، فالبطن تشير إلى أعماق القلب، والخمر الجديدة إلى الروح، كقول السيد المسيح أن توضع خمر جديدة في

زقاق جديد (مت 9: 17). . فإذا امتلأ التلاميذ بالروح القدس الذي حلّ عليهم في يوم الخمسين، صاروا كزقاق جديد مملوء خوراً جديدة، فانطلقت ألسنتهم

تنطق حسب الروح. وإذا لم يبرك اليهود الحق الإلهي اتهموا التلاميذ أنهم مملؤون سلافة كسرى (أع 2: 4).

أَتَكَلِّمُ فَأَفُوجُ.

أَفْتَحُ شَفَتِي وَأَجِيبُ [20].

لم يستطع إليهو أن يحتفظ بالصمت، فانفجر بالحديث حتى تستريح نفسه. هذا ما حدث مع رميا النبي المملوء بالحنو الشديد نحو شعب الله، كيف اشتهى أن يصمت لكن نوان حبه ولهيب كلمة الله التي في أعماقه، أزماء بالكلام.

لست أظن أننا نلوم إليهو على موقفه، بل نتعلم منه متى نصمت ومتى نتكلم، وكما يقول الحكيم: "للسكوت وقت، وللتكلم وقت" (جا 3: 7).

[1263]

❖ العاقل هو من يسعى في لضاء الله ويكثر من الصمت، وإن تكلم يتكلم قليلاً، ينطق بما هو ضروري وموضى الله .

❖ في الصمت ترى عقلك، ولكن عندما تستخدم عقلك فإنك تتكلم في داخل نفسك. لأنه أثناء الصمت يلد العقل الكلمة، وكلمة الشكر التي تقدم لله هي

[1264]

خلاص الإنسان .

[1265]

❖ من يتكلم بغباء ليس له عقل، إذ يتكلم نون أن يفكر في كل الأمور. لذلك امتحن ما هو مفيد لك، لأجل خلاص نفسك، لكي تفعله .

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

لَا أَحَابِيْنَ وَجْهَ رَجُلٍ،

وَلَا أَتَمَلِّقُ إِنْسَانًا [21].

كأنه يقول: "أتوسل إليكم، دعوني ألا أحابي إنساناً من أجل شخصه، ولا أداهن الناس من أجل ألقابهم". هذا ليس حديثاً موجه إلى الحاضرين،

ولا صلاة يقدمها لله، لكنه تعبير يكشف عن تصميم قلبه أن يتكلم بروح الحق، دون محاباة للوجه، ولا مداهنة لأحدٍ أيا كان موكوه أو إمكانياته. يود أن ينطق بالحق دون خوف أو مجاملة أو نفع شخصي له.

"هذه أيضًا للحكماء محاباة الوجه في الحكم ليست صالحة" (أم 24: 23).

"محاباة الوجه ليست صالحة، فيذنب الإنسان لأجل كسرة خبز" (أم 28: 21).

"وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور، تتركين التهديد عالمين أن سيديكم أنتم أيضًا في السموات وليس عنده محاباة" (أف 6: 9).

"وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة" (كو 3: 25).

"أنشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختلرين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئًا بمحاباة (1 تي 5: 21).

"يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة" (يع 2: 1).

"وإن كنتم تدعون آبا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد، فسروا زمان غربتكم بخوف" (1 بط 1: 17).

"لأن ليس عند الله محاباة" (رو 2: 11).

"ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا رتشاء" (2 أي 19: 7).

إذ أرسل الله ابنه الوحيد من أجل محبته للعالم كله بلا محاباة، وبذله لأجلنا أجمعين، نتلمس عدم محاباة الله. هذا وبكوننا أعضاء في جسد المسيح محب البشرية يليق بنا ألا يكون لنا محاباة. فمن جهة عدم محاباة الله قيل:

❖ الله ليس عنده محاباة من جهة الأشخاص، انه يحكم بالأعمال. [1266]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان أحد يشك في هذا يكفي أن يقرأ ما قاله بطرس عند زيارته للأممى كرينيلوس: "بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجه، بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البرّ مقبول عنده" (أع 1: 34-35). نذهب إلى أبعد من هذا ونقتبس ما يقوله ربنا في الإنجيل: "الذي لا يؤمن به قد دين، لأنه لم يؤمن [1267] باسم ابن الله الوحيد" (يو 3: 18).

العلامة أوريجينوس

❖ جميعًا وُلدنا متساوين، أباطرة ومعلمين، ونموت متساوين. بشريتنا متساوية. [1268]

القديس جيروم

يقدم لنا سليمان الحكيم نفسه مثلًا حيًا في عدم المحاباة، حيث يتطلع إلى نفسه كملك ذي غني عظيم وكوامة لا يختلف في شيء عن أي إنسان معدم.

"إني أنا أيضًا إنسان قابل للموت، مساوٍ لجميع الناس، مُتَحَدَّرٌ من أول من جُبل من الأرض، وقد صُوِّرْتُ جسدًا في بطن أمٍّ، وفي مدة عشرة أشهر تكوّنت في الدم، من زرع رجلٍ. ومن اللذة التي تصاحب النوم" (الحكمة 7: 1-2).

لَأَنِّي لَا أَعْرِفُ التَّمَلُّقُ.

لَأَنَّهُ عَن قَلِيلٍ يَأْخُذُنِي صَانِعِي [22].

دفاعه عن أيوب ليس صاوارًا عن محاباة أو مداهنة، ولا لطلب نفعٍ خاصٍ به، فإنه لم يعد لدى أيوب من سلطةٍ أو إمكانيات حتى يداهنه أليهو، وإنما يدافع عن هو في وسط المؤذلة، وإن كان في دفاعه يشير إلى خطأ أيوب الذي مع وه حين أنهم انشغل تمامًا بالدفاع عن نفسه، حتى على حساب تأكيد عاية الله له وحنوه عليه.

كان أليهو يتمتع بالشعور بالحضرة الإلهية، فلا يخشى إنسانًا ما، الأمر الذي يسقط في شباكه كثيرون، كقول الحكيم: "خشية الإنسان تضع شركًا،

والمتملك على الرب يُرفع" (أم 29: 25). ما كان يشغل قلب أليهو هو شعره بسوعة مجيء الرب، حيث يُحمل من هذا العالم ويقف أمامه، ويعطي حسابًا عن كل ما في قلبه وفكره كما عن سلوكه، وذلك أمام الخالق العرف بكل أسرار الإنسان، ولا يُخفي عليه شيء. هذا ما كان يدفعه للصمت ليسمع ويبرس في تأني، وهو ما يدفعه للكلام ليُقدم الحق في بساطة وبدون ترميق. هنا يدعو الله: "صانعي"، فهو الله الخالق المُهتم به شخصيًا، والعرف بأعماقه. هو إله الحق، وهو الحب، يقدم الحق لمؤمنيه، ويكشف لهم عنه أكثر فأكثر، ويسندهم لينطقوا بالحق، ويسلكوا فيه. هكذا يختم أليهو مقدمة حديثه الطويلة بتأكيد أنه لا يتملق أحدًا، ولا يحايي أصحاب الألقاب، إنما يقدم الحق في بساطة من أجل صانعه الذي يقف أمامه في يوم الرب العظيم.

من وحي أيوب 32

ليلتهب قلبي بنار كلمتك، فأنطق بحقك!

- ❖ إلهي، يا من وهبني فمًا ولسانًا!
قدس أعماقي وكلماتي وتصرفاتي.
أعرف كيف أصمت بلساني،
فيتكلم قلبي بالحب لك، ولكل البشرية.
تئن نفسي مع أنات كل قلبٍ.
وتصوخ أعماقي مع صرخات كل مظلوم.
تسمع صرخات نفسي الصاعدة إلى عرشك!
- ❖ هب لي أن أتكلم في حين حسن،
أنطق بما تهبني من كلمات،
فلا أخاف إنسانًا،
ولا أتملق غنيًا أو صاحب سلطان.
هب لي الحكمة الجالسة إلى عرشك،
فأنطق بكلمتك، محفوظًا بحكمتك.
- ❖ وهبتي نسمة من عندك،
لكي تتقبل حكمتك، وتسلك بروحك القدوس.
أغير على خلاص كل نفسي،
وأشتهي أن تتمجد في كل إنسانٍ،
لكنني في غيوتي لا أتكلم على خيوتي المجردة،
ولا تشغلني سنين عوي مهما طاللت أو قصوت.

إنما أحملك في داخلي،
لنتكلم أنت بي، وتعمل بروحك فيّ وفي إخوتي!
من يقدر أن يجدد حياتي سواك؟
من يقدر أن يصلح فكر إخوتي إلاً روحك؟

❖ أعماقي تئن من أجل كل نفسٍ تائهة،
أحشائي توجعني،
ذاب قلبي كالشمع من أجل كل البشوية!
لأتكلم، بل تتكلم أنت فيّ وبّي.
أنطق بكلمتك، فتستريح نفسي، وتتوى بك!
لأتكلم، منتظرًا انطلاقي إليك!
أدخل إلى الأحضان الإلهية،
وأسر نفسي من أجل كل الذين يتمتعون بالأمجاد!
نعم، تعال أيها الرب يسوع!
تعال، لتحمل كل مؤمنٍ إلى أمجادك!
قلوبنا لن نتوقف عن شهوة مجيبك!

<<

الأصْحاحُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ

الوسيط الواحد!

يُعتبر هذا الأصحاح من أروع ما كُتب في العهد القديم، حيث يكشف بعمقٍ عن نظرة رجال العهد القديم، في عصر الآباء، نحو الحاجة إلى الوسيط الإلهي، الشفيع، الذي يصلح الأب مع الناس، ويدخل بالخطاة إلى الحياة الجديدة المقدسة البرة عوض الانحدار إلى جهنم الأبدية. إنه عرض رائع لطريق الخلاص كما أعلن للآباء والأنبياء.

كان موقف أليهو لا يُحسد عليه، فهو أصوهم سنًا، وفي نفس الوقت يحترق قلبه في داخله، إذ رى الشيخ البار في ضيقةٍ شديدةٍ من كل جانب، حتى من أصدقائه، وفي نفس الوقت لم يحتمل عتاب أيوب الله بأسلوب شديد اللهجة. يود أليهو أن ينطق بالحق الذي قد يوح مشاعر الطرفين: أيوب وأصدقائه.

الآن يقرب أليهو من أيوب ويوجه حديثه إليه، أما غاية حديثه معه، فهي أن ينطق بما هو لبنيان أيوب. فهو يحبه جدًا ومقتنع بوه، لكنه كان يود أن راه في وسط محنته في ذات الصورة البهية التي رآها فيه قبل التجربة، لا ينطق بكلمة واحدة ينسب فيها لله القسوة. ومن جانب آخر، يتكلم على لسان الله، فيعاتبه على كلماته التي وجهها لاتهام الله بالقسوة أثناء الحوار الساخن بينه وبين أصدقائه. وأخوًا كان يسعى لإقناعه بأخطائه.

1 . باسم الله يدعو أيوب للحوار معه 1 - 7 .

2 . عتابه لأيوب على استخدام عبارات عنيفة 8 - 11 .

1 . باسم الله يدعو أيوب للحوار معه

وَلَكِنْ اسْمِعِ الْآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي،

وَأصغِ إِلَى كُلِّ كَلَامِي [1].

لم يجسر أحد الشيوخ أن يوجه حديثه لأيوب، ذاكراً اسمه، أما هذا الشاب فمع فرق السن يقول: "اسمع الآن يا أيوب أقوالي، وأصغِ إلى كلامي" (أي 1:33). يوجد فرق في السن، لكن كليهما مخلوقان، ويليق بكل منهما أن ينصت للآخر.

إن كان يليق بالصغار سناً أن يطيعوا الكبار، فإنه يلزم أن ينصت الكل لبعضهم البعض. فلا نعجب أن يبدأ أليهو الشاب حديثه مع الشيخ النقي أيوب قائلاً: "اسمع الآن يا أيوب أقوالي، وأصغِ إلى كلامي" (أي 1:33). كما يقول بشجاعة وأدب: "ها إنك في هذا لم تُصَب" (12:33). يعود فيكرر: "أصغِ يا أيوب، واستمع لي. أنصت، فأنا أتكلم، فإني لريد ترويك" (32-31:33).

صورة رائعة من الجانبين، رجل الله النقي الشيخ ينصت لشابٍ دون تشامخٍ من جانبه أو استخفافٍ بصغر السن. ومن جانب الشاب الصغير فمع حوله مع الشيخ بصراحةٍ وانفتاحٍ قلبٍ وشجاعةٍ، كان في غاية الأدب والوقفة. إنه يريد أن يبرر من هو في سن والده!

إذ يقدم أليهو التماسه لأيوب يسأله أن يصغي إليه كصديقٍ مخلصٍ يحبه، ولا ينكلم لينتقده أو وعبه. اقتبس أليهو بعض عبارات من أيوب، وأوضح له أن الله أعظم من الإنسان، وليس من حق الأخير أن يطلب تفسواً من الله على تصرفاته. ما يليق بأيوب أن يتركه هو أن الله يطلب خلاص الإنسان لا هلاكه.

يبدأ أليهو بتوجيه حديثه إلى أيوب، وفي الأصحاح التالي يوجه الحديث إلى أصحاب أيوب. يعتبر هذا الأصحاح مقدمة ليهيئ قلوب هؤلاء الأصدقاء الثلاثة للاستماع إليه. وهو في هذا لم يفتر على أيوب، إنما وجه إليه اللوم من واقع كلماته في الحوراث السابقة.

يسأله أن يصغي إلى كلماته، أو أحاديثه، ليس فقط ما يوجهه إليه، بل وإلى "كل كلماته"، فإنه ينطق بالحق الإلهي لمنفعة الجميع. يطلب منه أن يطيل أناته، فيسمع الحديث حتى آخره، وأن يضع في ذهنه أن ما يُقال ليس غايته نفيه وإلقاء اللوم عليه وإنما نفعه.

هَانَذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي.

لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي [2].

جاء في ملاحظات Barnes على هذه العبارة، أن أليهو يتحدث بالكلمات التي في فمه والناطق بها بلسانه الذي يتحرك نحو سقف حلقه، لأن النطق باللغة العبرية يستخدم بالأكثر الحنجرة والحلق واللسان، أما اللغات الأوربية (اللاتينية والإنجليزية) فيستخدم فيها بالأكثر الأسنان والشفاه.

إنه يتحدث معه من حلقه، كمن يخرج الكلمات تحمل طعمًا خاصًا وتنوفاً مملوء حبًا. كل البشر يتكلمون بأفواههم، لكن قليلين من يتنطقون بكلماتهم ويفحصونها أولاً، لينطقوا بما هو صالح للبيان.

لقد صمت أليهو طوال فترة الحوار، وكان يتفاعل في الداخل مع الحوار. لم يتسرع بالنقد أو الإجابة على بعض التسؤلات، لكن بحكمة وفي روية اختبر ما في فكه من كلمات، لينطق بما هو يليق.

في حديث رائع يوجهنا القديس مار يعقوب السروجي لنترب على الصمت المقدس والكلام المقدس. حيثما انشغلنا بالكلمة الإلهي بقودنا روحه القديس للصمت البناء كما للحديث البناء.



أنت هو الكلمة التي تعطي كلمة للمتكلمين،

بك يتكلم جميع المتكلمين من أجلك.

شعاعاً وإشراقاً ونوراً عظيماً أشرق فيّ، فأنظر إليك.

فبنظري لك، تستضيء النفس فتفتني الصلاح.

وحين تبتعد منك النفس تمتلئ ظلاماً، وإذا ما تفرست فيك لبست النور لتتطق بكلام خورك...

الصمت والكلام قائمان عليّ يطالبانني.

يارب دبر حياتي كل أدتك.

إن صمت أدهش، إذ أشعر بعدم كفايتي (للكلام). أصمت في دهشة، وليس بطغيان باطل.

وإن تكلمت تكون كلمتي حسب مجدك ولأجلك.

عندما تمتلئ النفس بالصمت في دهش بك، يكون هذا الصمت حديثاً مملوءً بكل منفعة. وإذا ما تحركت النفس لتمجدك بمحبة... فبالحب أتحرك،

وأتحرك لأمدك. وفي دهش أصمت ولا اهدأ من تمجيدك.

هب لي يارب الدهش (بالصمت) والكلمة فأغتني. وفي كل يوم أدهش، وفي كل يوم أتحرك بالكلام!

القديس مار يعقوب السروجي

إِسْتِقَامَةٌ قَلْبِي كَلَامِي،

وَمَعْرِفَةٌ شَفَتِي هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً [3].

يقول أليهو إن الله الذي وهبه روحه يعطيه أن ينطق بقلبٍ نقي، ويُقدم معرفة صادقة غير غاشية. وكأنه يطلب من أيوب أن يتطلع لا إلى

الكلمات مجردة، بل إلى ما في قلب أليهو من نقوة من نوره، واستقامة في هدفه في الحوار. كلماته تصدر عن حبٍ خالص، بلا رياء؛ يتكلم في إخلاصٍ

من قلبه، ولا يستعرض كلمات جوفاء. ما ينطق به يعبر بصدقٍ عما في قلبه.

رُاد منه ألا يضمه مع الأصدقاء الثلاثة حتى وإن تشابهت الكلمات، لأن النيات مختلفة تماماً.

❖ يريد أن يقول: ليس عن حسدٍ أو غيرةٍ أستخدم هذه الوسيلة. وإن كان الثلاثة يقولون نفس الأمور كما يقولها هو، لكن يبدو أنهم لم يتكلموا بذات الروح،

ولا فعلوا هذا دفاعاً عن الله. فيهوذا والاثنا عشر عبروا جميعاً بنفس الطريقة بخصوص قرورة الطيب (يو 12: 5-6)، ولكن ليس بذات الروح. لذا

يليق بنا لا أن نفحص الكلمات، بل النية التي بها عبّر كل منهم عن نفسه: كيف رُاد البعض تحطيم أيوب بينما الآخر رُاد العكس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي،

وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي [4].

استخدم كثير من آباء الكنيسة هذه العبارة لتأكيد لاهوت الروح القدس بكونه الخالق واهب الحياة. فإن كان الآب هو الخالق وواهب الحياة، فإن

الأقانيم الثلاثة يشتركون معاً في كل عمل إلهي. هنا يتحدث مع أيوب بروح الأثرة الصادقة، فيوضح له أنه من صنع روح الله، الذي وهبه الحياة. فهو

أداة في يد الله الذي خلق أيضاً أيوب ووهبه الحياة. فلا يليق بأيوب أن يخشى الحوار مع زميله في الخلق والحياة، إذ الاثنان مدينان لروح الله بوجودهما

وحياتهما. يؤكد له أن الاثنان خليقة الله، لهما ذات الطبيعة، ولها ضعفاتها التي تسلت إلى الطبيعة البشرية.

❖ كيف أظهر (سفر) أيوب بوضوح أن الروح خالق، قائلاً: "روح الله خلقتني"؟ في عبارة قصوة أظهر أنه إلهي وخالق. إن كان الروح هو الخالق،

فبالإكيد ليس مخلوقاً، لأن الرسول يفصل الخالق عن المخلوق، قائلاً: "عبثوا المخلوق لا الخالق" (رو 25:1) [1269].

القديس أمبروسيو

❖ اشترك الروح القدس مع الابن في العمل، سواء في الخلق أو القيامة، كما يظهر هذا الكتاب المقدس: "بكلمة الرب صُنعت السموات ، وكل قواها بنسمة فمه" (مز 33: 6). وأيضًا: "روح الله صنعني، ونسمة القدير تعلمني" (أي 4:33). وأيضًا: "توسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض" (مز 30:14) [1270].

القديس غريغوريوس النريوي

❖ عندما تمّوج كلمات الجهالة مع الأحوال الحكيمة، فإنه حتى الحكمة لا تُحفظ في الذهن، لأن جهالتهم تكون موضع احتقار السامع... إنه يتكلم هنا بترتيبٍ لائقٍ بخصوص خلقته وقبوله الحياة. يقول إنه قد خُلِق بواسطة الروح، وتقبل الحياة بنسمة الله. مكتوب عن آدم عند خلقته: "نفخ في وجهه نسمة حياة، وصار الإنسان نفسًا حية".

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِن اسْتَطَعْتَ فَأَجِبْنِي.

أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامِي.

انْتَصِبْ [5].

يؤكد له أليهو أنه إن أراد أن يدخل معه في حوار، فليعلم أنه لم يدخل كمن ينتهر ويعلم، وإنما كشخصين متعادلين من صنع روح الله. يتكلم لا لينتصر أو يتسلط، وإنما بروح الأخوة. كأنه يقول له: أنا إنسان مثلك، أود لك ما أوده لنفسي. اقبل كلماتي بروح المودة.

هَأَنْذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عَوْضًا عَنِ اللَّهِ.

أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ جُبِلْتُ [6].

يترجمها Umbreit: "أنا مثلك من عند الله"، و Noyes: "أنا مثلك خليفة الله"، و Wemyss: "أنا مساوٍ لك في عيني الله" و Coverdale: "انظر، فإنني أمام الله كما أنت، فقد تشكلت من ذات الطين". وجاء ترجمة الفولجاتا: "انظر، فإن الله خلقني كما خلقك، ومن ذات الطين أنا تشكلت". والترجمة السبعينية: "من الطين تشكلت كما أنت، تشكلنا نحن من ذات الطين" [1271].

وى البعض أن معنى العبارة في العبرية: "أنا بحسب فمك إنسان الله"، أي إنني أتكلم باسمه كمثل له، سفير عنه.

إذ كان أيوب يتوسل إلى الله أن يدعو للمحاكمة حتى يجد فرصته للدفاع عن نفسه، فقد جاءه أليهو يسأله أن يتكلم بكل صراحة كما في محكمة أمام الله.

يعود فيطمئن أليهو أيوب، بأنه وإن تحدث باسم الرب؛ ألا أنه مخلوق من طين هس مثله، من تواب الأرض. إن كان الله يتكلم من خلاله، إلا أنه ليس في ذاته ما يخيف أو يُعجب.

❖ يؤمننا حينما نُحِث على ممرسة فضيلة ما ألا نقول إن هؤلاء كانوا شركاء لطبيعة غير طبيعتنا، أو إنهم ليسوا بشراً. لهذا قيل عن العظيم إيليا: "كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا" (يع 5: 17). هل تتوكلون أن إيليا قد أظهر من ذات شركته للآلام أنه إنسان مثلنا؟ موه أخرى قيل: "إنني أنا أيضًا إنسان لي ذات الآلام مثلكم" (راجع حك 7: 1). هذا يعطي طمأنينة من جهة شركة الطبيعة [1272].

❖ لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا؛ ولا نفسه مختلفة عن نفوسنا، ولا عاش في عالمٍ آخر، بل سكن في نفس العالم وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر.

الآن، أين هؤلاء المعترضون على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطية؟

فهذا الرجل يدينهم بكلماته: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدي" (2 كو 4:17).

فإن كانت ضيقاته مُحتملة وخفيفة، فكم بالأحرى ضيقاتها التي إن قرناها بضيقاته صلت كلا شيء أو مجرد لذات؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

هُودًا هِنَيْتِي لَا تُهَبِّكَ،

وَجَلَالِي لَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ [7].

في شغف شديد كان أيوب يود أن يعرض قضيته أمام الله مباشرة، لكنه كان يشعر بمهابة الله، مما يجعله عاجزاً عن الحديث في صراحة معه. يقول: "أبعد يدك عني، ولا تدع هيبتك ترعبني" (أي 13: 21)، كما يقول: "الرفع عني عصاه، ولا يبعثني رعبه" (أي 9: 34). يقول أليهو: "إننا متساويان، ليس من خوفٍ يحل عليك، وليس من رهبةٍ ليّ تباغتك، حتى تعجز عن أن تأخذ موقف الدفاع معي. لن تنقل يدي عليك، لأنني ضعيف مثلك، لا سلطان لي عليك".

كلمة "ينقل" هنا تستخدم للإنسان وهو يسحب حيواناً يحمل أثقالاً، كما تشير إلى شخصٍ مثقل جداً، فيحني بسبب ثقل الحمل. لعله بسبب هذا المعنى شعر البابا غريغوريوس (الكبير) أن أليهو تعدى حدود اللياقة. فمع اعزافه أنه يحمل ذات طبيعة أيوب، وأنه مساوٍ له، لكنه يتكلم بجسرة فائقة، مطالباً أيوب أن يجاوب ويحور بلا خوف ولا رعدة.

2 . عتابه لأيوب على استخدام عبارات عنيفة

إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ فِي مَسَامِعِي،

وَصَوْتُ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ [8].

واضح أن أليهو قد حضر كل الحورات، وكانت أذناه مصغيتين لكل كلمة بكل انتباه. الآن يبدأ بالتعليق على ما يظن أن أيوب قد أخطأ فيه في محاولته لتبرير نفسه. لقد اقتبس العبارات الثلاث القادمة من كلمات أيوب في أحاديثه.

قُلْتُ: أَنَا وَبِيءٌ بِلَا ذَنْبٍ.

رَكِي أَنَا، وَلَا إِثْمَ لِي [9].

أول خطأ أثار أليهو هو تبرير أيوب نفسه. حقاً لقد قال أيوب لله إنه يعرف أنه ليس بشویر، وأنه متمسك بالبرّ وغير ذلك من العبارات المشابهة، لكنه في نفس الوقت اعترف انه خاطئ، وأنه لن يتبرر أمام الله (أي 7: 21؛ 9: 29، 30؛ 13: 23، 26).

لم يقتبس أليهو كلمات أيوب كما هي، كما لم تحمل كلماته تبرير نفسه، إنما مواجهة الاتهامات التي ضده أنه وائي، وأنه شرير.

"ركي أنا": الكلمة العبرية هنا *chap*، مشتقة من *Chopap*، وتعني يغطي، يحمي، كما تعني يغسل أو ينقي.

هُودًا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَّةَ عَدْوَةٍ.

يَحْسِبُنِي عَنَوًّا لَهُ [10].

يتهمه أليهو بأنه قال عن الله غنه يتلقط له الأخطاء، فيتحين كل فرصة ضده كما لو كان عنواً. لعله استنتج هذا من قول أيوب لله: "أما الآن فنُحْصِي خطواتي؛ ألا تحافظ على خطيتي؛ معصيتي مختم عليها في صوة، وتلفق علي فوق إثمِي" (أي 14: 16-17). "لماذا تحجب وجهك، وتحسبني عنواً لك؟" (أي 13: 24). "وأزوم علي غضبه، وحسبني كأعدائه" (أي 19: 21).

وَضَعَ رَجْلِي فِي الْمَقْطَرَةِ.

وَأَقْبُ كُلَّ طُرُقِي [11].

هذا الاتهام نقله عن قول أيوب: "فجعلت رجلي في المقطرة، ولاحظت جميع مسالكي، وعلى أصول رجلي نبتت" (أي 13: 27).

هكذا يصور أيوب الله كمن ينشغل بخطيته ويدقق فيها ويختم عليها، لتقف شاهدة عليه، وأنه يتعامل معه كعدو، يحمل غضباً عليه؛ يربطه في المقطرة حتى لا يهرب من الدينونة العتيدة والحكم الإلهي ضده.

3. أليهو يحاول إقناع أيوب بعناية الله

أ. الله صاحب السلطان على الإنسان

ها إِنَّكَ فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ.

أَنَا أُجِيبُكَ.

لَأَنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ [12].

من لا يعرف أن الله أعظم من الإنسان، فإن هذا القول يبدو كما لا حاجة إلى سوده، لكن أليهو قاله لمعوى خاص. فقد وجهه إلى إنسان يعاني من نكبات خطوة متوالية، دون أن يعرف أيوب ما وراء هذه النكبات. ما عناه أليهو أن أيوب الإنسان الضعيف يؤمره أن يخضع للتأديبات الإلهية، حتى وإن لم يبرك أحكام الله من جهة هذه التأديبات. كل ما يليق به أن يعرفه أن الله عادل، وليس فيه ظلم، وأن ما حلّ بأيوب هو ثرة أخطائه.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن أيوب إذ صوح نحو الله قائلاً: "لا تجلوبني" (أي 9:15)، أجابه أليهو: "أخونني، ذاك الذي توبخه بأنه لا يصح بأذنه إلى توسلك، ما هو الدليل أنه لا يسمع لك؟ إنه يؤدب ويعاقب! هذا هو قانونه لإصلاح حال البشر".

❖ الترم النبي داود - تحت ثقل الضوبات - أن ينطق بكلمات مبالغ فيها، حيث عاد يتأمل في أصله، قائلاً: "صمت، لا أفتح فمي، لأنك أنت خلقتني" (مز 9:39). فقد تأمل في أية رتبة خلق، وتعلم عدالة الضوبة التي حلت به.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لو لم يكن لنا خصوم لما كانت توجد معركة ولا مكافأة مخصصة للمنتصين، ولما قدم لنا ملكوت السماء. " خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً" (2 كو 4: 17). ولما كان لأحدٍ من أجراء في المجد العظيم في الحياة العتيدة نتيجة الصبر في الضيقات المحتملة [1274].

[1275]

❖ لم يكن بالأمر الهين الحزن المؤقت لكل أحد، إذ لهم المحبة الكاملة لله في المسيح يسوع بالروح القدس منسكبة في قلوبهم.

العلامة أوريجينوس

لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟

لَأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَابِبُ عَنْهَا [13].

يعاتب أليهو أيوب لأنه يدخل في خصومه مع الله؛ يسأله وينتظر إجابة سريعة.

الله يحب الإنسان بكونه خليقته التي على صورته، ويفعل ما يسر (الله) حتى وإن لم يبرك الإنسان خطته الإلهية. يفعل الله ما لبنيان الإنسان، وإن كان الإنسان في أحوال كثرة لا يبرك ما وراء التصرفات الإلهية.

يليق بالإنسان أن يثق في حب الله وأبوته الفائقة وحكمته وقدرته، فيقبل كل شيء من يد الله بوح وثقة، كما يقبل الطفل من يدي والديه ما يملسونه معه، حتى يتقهما يوماً فيوماً خطة الوالدين نحوه.

يليق بنا عوض الدخول في خصومة مع الله، أن نثق أنه لن يخطئ، وأنه صانع خوات؛ وأنا يوماً ما ننضج روحياً ونتعرف على خطته من

نحونا.

نورنا هو الخضوع والطاعة بوح وثقة في حكمته، لا الدخول معه في خصومه. فالويل لمن يخاصم جابله، خزف بين أخواف الأرض. هل

يقول الطين لجابله: ماذا تصنع؟ أو يقول: عمك ليس له يدان" (إش 45: 9).

ب. باستخدام الأحلام والرؤى

لَكِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ هَوَّةً،

وَبِاثْنَتَيْنِ لَا يَلَاظُ الْإِنْسَانَ [14].

لعل أليهو يقصد أن الله تكلم مع أيوب حين كان في وسع ولديه خوات كثيرة، وإذ لم يسمع الله تكلم معه بلغة الضيقات المتوالية، ومع هذا لم يبرك أيوب مقاصد الله ولم يفهم كلماته. هكذا يكلمنا الله أحياناً بلغة الألم والضيقة لكي ينقينا، فنسمع صوته، وزاه متجلياً في حياتنا. "كل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (يو 15: 2).

"هرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعت أن الهرة الله" (مز 62: 11).

يستخدم كل وسيلة ليتحدث معنا، ترة خلال الخوات الكثرة التي يهبنا إياها، وترة خلال كلمته المقدسة، وأحياناً خلال الأحلام والرؤى، وإذ لا نسمع له يحدثنا بلغة الضيقات والآلام، كالأرواض أو المتاعب في العمل أو الخسائر المادية أو المعنوية الخ.

وروى البابا غريغوريوس (الكبير) أنه لأمر طبيعي للقلب المتألم، إذ يرى الأمور تسير على خلاف ما يشتهي، يشاق أن يسمع إجابة من الله لماذا تسير الأمور في هذا الطريق، وليس في ذلك. يشاق أن يجد تفسواً للأحداث التي تمر به. يجيبه أليهو أن الله لا يجيب الإنسان في حديث خاص منفرد مع قلب الإنسان، إنما يقدم الإجابة خلال الأسفار المقدسة هرة وليس مرتين، أي لا حاجة أن يقدم لنا الله الإجابة مباشرة كأنه يكرر ما سبق فأعلنه خلال الكتاب المقدس، لكن الإنسان لم يلاحظ إجابة الله له. يليق بنا أن نترك إجابة الله خلال معاملته مع من سبقونا بكونهم أمثلة للآتين من بعدهم، ولا نتوقع أن يكرر الإجابة للهرة الثانية (أي 14:33)..

يقدم لنا مثلاً لذلك أنه إذ تحل بنا ضيقة نجد تعويتنا فيما حلّ بالقدس بولس حيث كان يعاني من ضعف الجسد، وقد سمع الصوت الإلهي: "تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل" (2 كو 9: 12). لقد قيل هذا للقدس بولس حين عانى من الألم، لكي لا يُقال هذا لكل واحد بمفوده، بل يُحسب هذا القول مُقدماً لكل متألم.

لقد تكلم الأب هرة، حيث وُلد الكلمة الإلهي زلياً، وليس من كلمة أخرى يلدها تشركه الجوهر الإلهي وتسويه في ذات الجوهر.

فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ،

عِنْدَ سُفُوطِ سَبَاتٍ عَلَى النَّاسِ،

فِي النَّعَاسِ عَلَى الْمُضْجَعِ [15].

يقصد بالنعاس *slumbering* النوم الخفيف، فيكون الإنسان في حالة ما بين النوم واليقظة.

سبق فقال أيوب: "ترعني بالأحلام، وتوهيني برؤى" (أي 7: 14). وكان يليق به أن يبرك أن الله يود أن يقدم له رسالة معينة خلال هذه

الأحلام المربعة والرؤى الوهبة. جاء في النسخة السريانية: "ليس بالشفاه يُعلم، وإنما بالأحلام والرؤى في الليل".

حينما يكون الإنسان في هدوء، بعيداً عن رتباكات الحياة والمشاكل اليومية، كمن هو في غوة نوم، يمكنه أن ينصت إلى الصوت الإلهي وسط

هدوء أفكاره وانفعالاته الداخلية.

❖ ماذا يُقصد بكلمة الله أنه يُعرف لنا في حلمٍ إلا أننا لا نتعلم أمور الله السوية مادماً في يقظةٍ في الشهوات العالمية. ففي الحلم تستريح الحواس

الخرجية، ويمكن تمييز الأمور الداخلية. إذن، إن أردنا التأمل في الأمور الداخلية، فلنستريح من الانشغالات الخرجية. بالحقيقة يُسمع صوت الله كما

في حلم، عندما تكون الأذهان في راحة، نستريح من ضجيج هذا العالم، فنفكر في الوصايا الإلهية في أعماقها، في السكون العميق للذهن.

هكذا إذ يُؤم القديسون خلال ضرورة اللواتمات أن ينشغلوا في أمور خرجية، يعودون يوماً في شغفٍ لواسة أسرار قلوبهم. بهذا يصعدون

إلى علو الفكر الخفي، ويتعلمون كما لو إلى الناموس الذي على الجبل، عندما يضعون جانباً قلائل الأعمال الزمنية، ويتأملون في أحكام الإلهية.

هكذا موسى نفسه كثوًا ما انسحب إلى خيمة الاجتماع في أمورٍ متشكك فيها، يسأل الله خفية، ويتعلم القورات التي يلزم أن يتخذها... هكذا في نشيد الأناشيد، العروس القائلة: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ" (نش 2:5) سمعت صوت العريس في أحلام...

ولما كان جميع القديسين - ماداموا في هذه الحياة - ينظرون أسوار الطبيعة الإلهية فقط خلال تشبيهات (إذ لم يقتتوا بعد نظرة أكثر وضوحًا عنها لبروها كما هي)، لذلك بعدما قال أليهو إن الله يتكلم معنا في حلم، بحقٍ أضاف: "في رؤيا الليل". لأن الليل هو الحياة الحاضرة، ومادما نحن فيها، نتغطى بضبابٍ خفيفٍ من التصورات غير الأكيدة قدر ما نهتم بالأمور الداخلية. أضاف بطريقة لائقة: "ينعسون في مضاجعهم". لأنه بالنسبة للقديسين النعاس في مضاجعهم هو أن يستريحوا في حجال العقل. هكذا مكتوب: "ليبتهج القديسون بمجدٍ، ليفرحوا على مضاجعهم" (مز 149:5).

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1276]

❖ يأمر الرب أن يترك (الإنسان) حياته المتبكة ويلتصق بالواحد، يقرب من نعمة ذلك الذي يقدم الحياة الأبدية.

القديس إكليمنضس السكثري

❖ كانت مورتا تهتم أن تُطعم الرب، وأما مريم فاهتمت أن يُطعمها الرب. بواسطة مورتا أعدت الوليمة للرب، هذه الوليمة التي ابتهجت فيها

[1277]

مريم .

❖ أقول إنه في هاتين المورتين مُثلت الحياتين: الحياة الحاضرة والحياة العتيدة؛ حياة الجهاد وحياة الراحة؛ حياة الحزن وحياة الطوبوية؛ الحياة الزمنية والحياة الأبدية...

ماذا تحمل هذه الحياة؟ لست أتكلّم عن حياة شوّرة، رديئة، خبيثة، متوّفة جاحدة، بل هي حياة جهاد مملوءة آلامًا، ومخاوف، تُقدها التجرب سلامها... وأقول إن الحياتين غير ضلّتين، بل ومستحقّتان المديح، لكن واحدة مملوءة تعبًا والأخرى سهلة... في مورتا نجد صورة للأمور الحاضرة، وفي مريم الأمور العتيدة.

[1278]

❖ ما تفعله مورتا نفعله نحن الآن، ما تفعله مريم نوجّاه لنفعل العمل الأول حسنًا فننال الثاني كاملاً.

القديس أغسطينوس

❖ : الخير الأعظم لا يكمن في الأعمال في ذاتها مهما بلغ شأنها، وإنما في التأمل في الرب، الذي هو بالحقيقة هو "الأمر الواحد"... أما قوله "لا يزع عنها"، فقد كشف أن نصيب الأخرى يمكن أن يُزع عنها، لأن الخدمات الجسدية لا يمكن أن تبقى مع الإنسان أبدًا، أمّا اشتياق مريم فلن يكون له نهاية [1279].

الأب موسى

ج. بالإلهامات الخفية

حيثنذ يكشفُ آذانَ الناسِ،

ويختّم على تأديبهم [16].

في وسط هواء النفس، بعيدًا عن رتباكات الحياة يفتح الله أذني الإنسان ليسمع مع صموئيل النبي الصوت الإلهي الذي لم يسمعه عالي الكاهن. في هواء الليل يرفع صموئيل قلبه، قائلاً: "تكلم يارب فإن عبدك سامع".

يفتح الله أذني الإنسان ليسمع ما لا يسمعه من هم حوله. يُعلن له الله بعض أسوره الإلهية، ويكشف له عن الحق، ويُظهر له رادته الإلهية. "ويختّم على تأديبهم"، أي يضع ختمًا على تحذواته وتأديباته لهم، بمعنى أنها ثمينة في عيني الله من أجل نفعها، يعتز بها لأجل بنيان أولاده فيختّم عليها كمن يثبتها.

كانت العقود قديماً يُختم عليها حتى تكون كما في الصون، ليس من يد تمد إليها لتغيروها. هكذا يحسب الله التأديب أشبه بميثاق حب بين الله وأولاده، يختم عليها بختمه السموي، كما لو ختم على وصية قدمها لهم للتمتع بمواثب أو نصيب منه.

يختم الله على تأديبهم، أي يعد بأن وراءها الكثير من البركات التي لارحوع فيها. وراء الضيقات وعود إلهية مختومة لا تتغير.

❖ " حينئذ يكشف آذان الناس وتعليمهم، ويربهم بالتأديب" [16]. توجد أربع طرق بها يتأثر الإنسان بقوة لممارسة الندامة:

عندما يتذكر خطاياها، ويتطلع أين هو.

أو عندما يخشى أحكام دينونة الله، ويفحص نفسه، فيعرف أين سيكون.

أو عندما يلاحظ بدقة شرو الحياة الحاضرة، فيأسف على أين هو قائم.

أو عندما يتأمل بركات وطنه السموي، إذ لم يتمتع بعد بها، فيتأسف أنه لم يبلغ بعد إليها.

تذكر بولس خطاياها وحزن على ما كان عليه، إذ قال: "أنا الذي لست أهلاً لأن أدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله" (1 كو 15:19).

مرة أخرى إذ قيم بدقة الحكم الإلهي، خشي لئلا يكون موقفه سيئاً في هذا الأمر، إذ يقول: "حتى بعدما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسي

مرفوضاً" (1 كو 9:27).

مرة أخرى كان يتأمل شرو الحياة الحاضرة، إذ قال: "ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغوبون عن الرب" (2 كو 5:6). وأرى ناموساً

آخر في أعضائي يحلب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي، ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو 23:24-24).

أيضاً كان يتأمل في بركات وطنه السموي ، إذ يقول: "فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعوفة، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (1 كو 13:12)، "لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصوغ بيدٍ أبدي" (2 كو 5:1). بالتطلع إلى بركات هذا البيت يقول لأهل أفسس: "تعلّموا ما هورجاء دعوته، وما هو غنى مجد موآته في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا المؤمنين حسب عمل شدة قوته" (أف 1:15-16).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيُحَوَّلَ الْإِنْسَانُ عَنْ عَمَلِهِ،

وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ [17].

إذ فسدت طبيعة الإنسان صار ما يشغله هو الخطية، وما يسيطر عليه هو الكبرياء. فإن الله يسمح بالتأديبات ويختم عليها لكي يسحب المؤمن

من خطيته ويتمتع ببر الله، ويخفي عنه الكبرياء كي لا يتسلل إلى قلبه وفكره، وإنما يحيا بروح التواضع.

"الكبرياء" حوة خطوة كثيراً ما يسقط فيها حتى المتدينون كالفرسيسيين، لذلك فإن الله يغطي الحوة ويردمها، حتى لا يسقط المؤمنون فيها.

❖ ما هو عمل الإنسان بنفسه سوى الخطية؟ بحق يُقال إذن أنه إذ يُحوَّلَ الإنسان مما يعمل، سيتحرر من الكبرياء. أن نعصى وصايا خالقنا بالخطية،

إنما نتعالى عليه. وكأن الإنسان يذوع نير سلطان الله متى استكف من الخضوع له بالطاعة. من الجانب الآخر، من وغب في تجنب ما يفعله،

يستدعي في عقله مما قد خُلِقَ بواسطة الله، وفي تواضع يعود إلى نظام خلقته عندما يطير من أعماله الذاتية، ويحب نفسه كما خلقه الله في البداية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَمْنَعُ نَفْسَهُ عَنِ الْخُوءِ،

وَحَيَاتَهُ مِنَ الرُّوَالِ،

بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ [18].

بينما يبذل الأثوار كل الجهد لتحقيق أهدافهم الشورية وإشباع كبريائهم، إذا بنفوسهم تسقط في حوة الكبرياء فتهلك في هذا العالم الحاضر وفي الدهر الآتي. لكن الله يتدخل بكل وسيلة، خاصته بالسماح بالتأديبات لإفناهم من هذا الموت الأبدى.

كلمة "نفس" *soul* تشير الإنسان بكيته، فالموت يلحق بالجسد كما بالنفس، بكيان الإنسان كله.

كلمة "shaachat حوة" [1280] "ربما تعني فخاً يقيمه الصيادون لتسقط فيه الحيوانات المفترسة (مز 7: 15؛ 9: 15)، أو جوقاً مملوء بالوحل (أي 9: 31)؛ أو سجنًا (إش 51: 14)، أو قواً على شكل كهفٍ كبيرٍ (أي 17: 13؛ مز 30: 9). واضح أنه يُقصد به هنا القبر حيث تنتهي حياة الإنسان على الأرض.

❖ "منقذاً نفسه من الفساد، وحياته من الزوال بالسيف" [18]. فإن كل خاطي، بسبب فساده هنا بالخطية، يلتزم أن يعبر إلى سيف العقوبة، فبعدل يُعاقب في ذاك العالم بذات الخطايا التي ابتهج بها في هذا العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

د. بالأوزان

أَيْضًا يُؤدَّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ،

وَمُخَاصَمَةً عِظَامِهِ دَائِمَةً [19].

يسمح الله بالآلام تحل ببعض مؤمنيه حتى يؤرموا الوائش وهو في هذا لا يطلب آلامهم، إنما لكي يكبح رغبتهم نحو الخطية. في لحظات الضيق يعيد الإنسان التفكير في حياته، وتقدم له الفرصة للتفكير في المصير الأبدى.

أليهو يوضح هنا أن الضيق هو عمل تأديبي للبنيان، يستخدمه الله بروح الأيوه الحانية، من أجل توبه ولأده، ورجوعهم إليه، وتمتعهم بشركة

الأمجاد.

يشير السرير أو الفواش أو المضطجع إما إلى الملدات الجسدية أو الراحة بممارسة الأعمال الصالحة أو الراحة المؤقتة. عندما شفى السيد

المسيح المفلاج سأله أن يحمل سروه ويمشي (مت 9: 6)، أي لا يعود ينام في ملدات الجسد، بل بكلمة الرب يحمل سروه، ويتخلص من خطاياها.

هنا يعلن أن الله يؤدب الإنسان الساقط في ملدات الجسد على سروه، فتصير الملدات نفسها مصدر آلامه وتأديبه. ما يظنه سرٌ بهجته يصير

بالنسبة له علة حزنه.

أما العظام التي تنوي، فتشير في الكتاب المقدس إلى الفضائل، حيث كُتب: "الرب يحفظ كل عظامهم، وواحدة منها لا تتكسر" (مز 34: 20). لا

تشير هنا إلى عظام الجسد بل إلى قوى العقل. فإن الكثير من عظام الشهداء انكسرت وذلك بالمفهوم الجسدي، كما كُسرت ساقا اللص الذي قيل له: "اليوم

تكون معي في الفودوس" (يو 19: 32، لو 23: 43). فإنه إذ يؤدبنا خلال شهواتنا الجسدية، يتبدد فينا الافتخار بفضائلنا، ونعترف بضعفنا. خلال التأديب

نترك ضعفنا، وبدونه نحسب أنفسنا أقوىاء في حياة الفضيلة بقواتنا الذاتية.

فَتَوَّهَ حَيَاتُهُ خُرًّا،

وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيِّ [20].

من التأديبات التي يستخدمها الله السماح بالمرض الذي يُفقد الإنسان شهيته حتى عن أكل الخبز، إذ تمقته نفسه، وهو تأديب نافع للمتألمين، إذ لا

يعوروا يستطيعون الملدات والتوف.

يشمئز الإنسان من الأطعمة الفاخرة التي كان يشتهيها ويعافها.

يقول الموتل عن الجهال الذين تذلم آثامهم: "كوهت أنفسهم كل طعام، واقترروا إلى أبواب الموت" (مز 107: 18). ويصف الحكيم حال الميت:

"والشهوة تبطل، لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدى، والنادبون يطوفون في السوق" (جا 12: 5).

بعد أن تحدث عن قوة التأديب الإلهي، الذي يرفع الإنسان عن سوير المذات الجسدية، ويبدد افتخره بالحياة الفاضلة كأنها من عمل يديه، يقول هنا إنه يجعل خزه دنسًا في شفتيه، فتكره حياته الخبز، وتُعاف نفسه الطعام الشهوي. ماذا يعني بالخبز والطعام الشهوي سوى المذات التي كان يجد فيها لذة خاصة لا يقدر أن يستغنى عنها؟ خلال التأديب يتحول خزه بالنسبة له إلى دنسٍ كرهه، حيث يترك بطلان المذات الجسدية، وتتحوّل العنوبة من الطعام الشهوي إلى مرارة لا يطيقها.

فَيَبْلَى لَحْمُهُ عَنِ الْعَيَانِ،

وَتَتَوَي عِظَامُهُ فَلَا تَوَى [21].

الجسم الذي كان يعتز به الإنسان ويفخر بجماله وقوته يبلى كأنه قد اختفى، ويصير كأنه غير موجود، والعظام التي كانت مخفية حيث يكسوها اللحم برزت من شدة النحافة والمرض، وكأنها صلت عرية.

يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على هذه العبارة التي جاءت ترجمته لها في كتاباته: " يبلى جسده، وعظامه التي كانت مغطاة تتوى " بأن الجسد هنا يشير إلى شهوات الجسد، والعظام إلى فضائل النفس. فخلال عصا التأديب تبلى شهوات الجسد، ولا يكون لها سلطان علينا وتتكشف الفضائل التي كانت مستورة، فتتجلى وسط التأديب الإلهي.

❖ لا يتعلم أحد عن مدى التقدم الذي صار له إلا وسط الضيق لأنه في الرخاء لا يمكن تمييز الشهوات عن القوة الروحية. عندما تأدب الرسل طُلب منهم ألا ينطقوا بعد باسم يسوع. أما هم ففوحوا فوحًا عظيمًا، أنهم حُسوا أهلاً أن يهانوا من أجل اسم يسوع. وبتقّة أجابوا خصومهم قائلين: "ينبغي أن نطيع الله أكثر من الناس" (راجع أع 5:29). ها أنتم ترون قوة الإيمان تشرق بأكثر حيوية في وسط الضيق. ها أنتم ترون سلامة (شهوات) الجسد تقطع، وعظام فضائلهم تُكشف. قيل عنهم بواسطة الحكمة: "الله زكّاهم، ووجدهم أهلاً له" (حكمة 3:5). فإنهم إذ يُمتحنون بواسطة نفخات الخصم يُجدون أهلاً بتعوية عظامهم". فإن قوة كل إنسان تُعرف فقط بالضيق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ،

وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ [22].

هنا يعني الإنسان الساقط في ضيقة يصير كمن يعاني من الأم موحدة تكاد تنهي حياته، فينقاد إلى المميتين، أي ملائكة الموت، أي الملائكة المنوطين من قبل الله ليأخذوا أرواح الناس.

❖ " تقرب نفسه إلى الفساد، وحياته إلى المخبين " [22]. بقدر ما يُقاد بالضيق ويترك أن قوته تقترب من الموت، يعمل ليجد حلاً، يجد الأساس الحقيقي للحياة، بالطوان إلى الحماية القادمة من الثقة بالله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هـ. يوسل البر

إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسَيْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ،

لِيُعْلِنَ لِلْإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ [23].

اختلفت الآراء في تفسير هذه العبارة. وقد جاءت في الترجمة السبعينية: "إن وجد ألف ملك للموت لا يقدر واحد منهم أن يجرحه بطريقة مميتة. إن صمم في قلبه أن يرجع إلى الرب عندما يظهر للإنسان اتهامه ضده، ويظهر غلوته، فسيعينه حتى لا يسقط في الموت، ويجدد جسده مثل لصق أملس على حائط، وسيملاً عظامه بالنخاع، ويجعل جسمه غصن مثل طفل". وجاءت الترجمة الفولجاتا: "إن وُجد له ملك يتحدث عنه، واحد من ألف، يعلن برّ الإنسان فسيشق عليه ويقول: خلص ذلك الذي يسقط في الفساد، وجدته هذا الذي أنا مناسب له". وجاء في النسخة الكلدانية: "إن وُجد

استحقاق فيه يُعد ملاك، مغوي، واحد بين ألف من المتهمين، يعلن للإنسان استقامته؛ لقد وجدت فدية".

1 . **الرأي الأول:** هو أن هذا الملاك هو إنسان وى *Munster* واسينورس أنه معلم ممتاز مُرسل إلى الموضى يعلم رادة الله. ووى *Junius* و *Termillius* أنه نبي. وى *Codurcus* أنه يشير هنا إلى حالة أبيمالك الذي أصيب بمرضٍ بسبب سرلة وأن الملاك هو نبي رُسل ليُعلن له أن الله بار (تك 20). ووى *Umbreit* ان الملاك هنا هو أليهو نفسه، رُسله الله إلى أيوب ليعلن الحق الخاص بالتدبير الإلهي وسرّ السماح بالأخوان أن تحل بالناس. وآخرون يرون أن الحديث هنا يخص خادم الله الأمين الذي يفتقد الموضى والمتألمين ويعلن لهم خطة الله، دون تحديد اسم معين.

2 . **الرأي الثاني :** إن الحديث خاص برسال الله ملائكته لإعلان رادته للبشر، خاصته للمتألمين، وأن يؤكد لهم أن الله يريد أن يعلن رحمته لهم إن رجعوا إليه بالتوبة وى **القديس جبروم** على سبيل المثال أن الحديث هنا يشير إلى ملاك واقف في حضرة الله، عمله لرشاد البشرية وإصلاح أروها.

[1281]

3 . **الرأي الثالث:** وهو أن الحديث هنا هو نوة عن شخص السيد المسيح، من بين الذين نأوا بهذا الرأي **القديس أغسطينوس**.

❖ من هو هذا المُرسل (الملاك)، إلا ذاك الذي دعاه النبي: "ملاك المشورة القدير"؟

❖ طبيبنا من فوق، إذ وجدنا تحت ثقل أمراض كثرة كهذه... جاء إلينا كإنسان، ولكن بكونه برًا للذين هم في الخطية. اتفق معنا في حقيقة طبيعته (ناسوته)، واختلف عنا من جهة قوة برّه.

لا يمكن إصلاح إنسانٍ خاطئٍ إلا بواسطة الله. ولكن كان من الضروري أن ذاك (المسيح) الذي يقوم بشفائه أن يكون منظورًا متروكًا بالحواس، لكي ما يصلح حياتنا السابقة الثيرة بوضع نموذجٍ لنا نقددي به. لم يكن ممكنًا لله أن وى بواسطة إنسان. لذلك صار إنسانًا لكي ما وى. ظهر الله القنوس غير المنظور كإنسانٍ منظورٍ مثلنا، حتى إذ يبدو كمن هو مثلنا يعلمنا بقداسته، ويضع نهاية لمرضنا بقوة مهلته...

إذ ليس فيه أي مزيج من الخطية لم يخضع لأية عقوبةٍ كأمرٍ حتمي. لقد اخضع معصيتنا بغلبة عليها. لقد خضع لعقوبتنا من أجل حنوه علينا، وكما يقول بنفسه: "لي سلطان أن أضع حياتي، ولي سلطان أن أخذها" (راجع يو 18:10). موة أخرى لم يقم مثل سائر الناس فإن قيامتنا تتحقق في نهاية العالم، أما قيامته فاحتفل بها في اليوم الثالث. نحن بالحق نقوم بواسطة، أما هو فيقوم بنفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

و. **بالفداء**

يَوَافُّ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أَطْلُقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْخُورَةِ،

قَدْ وَجَدْتُ فِدِيَةً [24].

إذ يشير أليهو إلى الوسيط، ربنا يسوع المسيح، يتحدث عن دوره في خلاص الإنسان وتمتعه بالفداء، منقذًا إياه من الانحدار إلى هاوية مملكة الظلمة، وبهبه الحياة الأبدية عوض الهلاك الأبدى.

❖ سيترأف عليه، ويقول: "خلصه من الهبوط إلى الفساد، وجدت طريقًا لفديته" [24]. الوسيط بين الله والإنسان، الإنسان يسوع المسيح، إذ أخذ شكل إنسان. بحنوه يقول أبيه لحساب الإنسان المُخلص: "خلصه من الهبوط إلى الفساد".

نحترر ببرّ المخلص القدير، إذ يقول بنفسه: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو 8: 36). حسنًا يُقال لحساب هذا الإنسان المفدي: "تقرب نفسه من الفساد" (راجع أي 33: 22)، والآن يعلن أنه لا يهبط إلى الفساد. وكأنه يقول: إذ هو متروك خلال إحساسه بضعفه أنه ليس ببعيدٍ عن الفساد، لهذا لبتّه لا يهبط إلى موت الفساد، فإنه بحق يهبط إلى الفساد إن حسب نفسه أن بقوته ابتعد بعيدًا عنه. لكنه إذ يقرب في تواضع يؤرم قبوله بالرحمة. فكما اعترف بضعفه بالطبيعة يتقوى ضد الخطايا التي تصلّعه. فمن يفتخر بنفسه فوق ما هو عليه يهبط بتقل كبريائه، يغطس إلى أعماق

أكثر...

إذ أخذ الرب لنفسه الضعف، واحتمل عقوبتنا بموته، ردّ فسادنا بقيامته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"أطلقه"، الترجمة الحرفية للكلمة العبرية "خَلَّصه"، بأن ينفذ الشخص بفدية أو دفع ثمن عنه، والكلمة اليونانية تعني دفع ثمن أو فدية، استخدمت في (مت 20: 28). "ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين".

الحديث هنا نوبة واضحة عن الفداء الأبدي الذي دفع السيد المسيح ثمنه بدمه الثمين. وكما يقول الرسول بولس: "وليس بدم تيسٍ وعجولٍ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب 9: 12).

"وجدت فدية"، فقد وجد ربنا يسوع هذا الفداء. تعبير "أوجد" يشير إلى غرته المتقدمة على خلاص العالم، وأمانته، وفوحه، وسعيه نحو خلاص الإنسان. إنه يعمل كمن يبحث حتى يجد فيوح!

"يذهب لأجل الضال حتى يجده وإذا وجده يضعه على منكبيه فحاً" (لو 15: 4-5).

"أفروا معي لأنني وجدت خروفي الضال" (لو 15: 6).

"أية امرأة... إن أضاعت وهماً واحداً... تفتش باجتهاد حتى تجده" (لو 15: 8).

"أفحي معي لأنني وجدت الوهم الذي أضعته" (لو 15: 9).

"وجدت داود عبدي، بذهن قدسي مسحته" (مز 89: 20).

❖ الوسيط بين الله والإنسان، الإنسان يسوع المسيح، يظهر رحمة على الإنسان إذ أخذ شكل إنسان. خلال فوحه، يقول لأبيه لحساب الإنسان المخلص: "أطلقه عن الهبوط إلى الفساد..."

4. عنوبة التمتع بخلاص الله

يَصِيرُ لَحْمُهُ أَنْصَرَ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ،

وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ [25].

إذ تحدث أليهو عن المسيح الفادي، رفع نظونا من الضيقات والأحزان والأمراض إلى ما ننعم به خلال هذا الفداء العجيب. عوض الحديث عن الأمراض يدهش أليهو إذ يرى بروح النوبة الإنسان الذي كان منحوراً نحو الهلاك الأبدي لا يتمتع بالصحة فحسب، بل يصير جسمه أغص من جسم صبي، يتحول من حالة الشيخوخة العاخرة إلى الشباب القوي المملوء حيوية ونشاطاً.

خلال الفداء يتمتع بميلاد جديد، ويصير المؤمن خليفة جديدة على صورة خالقه. يصير ابناً لله في مياه المعمودية، باتحاده بالابن الوحيد الجنس. يصير نعمان الجديد، الذي قيل عنه: "قول وغطس في الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله، فوجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر" (2 مل 5: 14). يتحقق فيه قول السيد المسيح لنيقوديموس: "الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو" (يو 3: 5-6).

❖ "جسده أستهلك بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه" [25]. عندما سقط الإنسان الأول من الله، طردنا من مباحج الفؤوس، ولرتبنا بمآسي هذه الحياة الفانية. ونشعر بألم عقوبتنا مدى خطورة خطأنا الذي لتكنا به بغواية الحية. فإننا إذ سقطنا إلى هذه الحال، لا نجد شيئاً خرج الله سوى الحزن... فإننا نعاني يومياً من الحزن في الجسد، وفيه العذاب والموت، لذلك فإن الرب بتدبوه العجيب يغير ما حلَّ بنا بلرتكابنا الخطية وذلك بوسائط العقوبة....

" جسده أستهلك بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه ". كأنه يقول: خلال عقوبة موت (موت الإنسان) هبط بعموه المسن، فليرتد إلى أيام صباه، أي ليتجدد إلى كمال حياته السابقة، ولا يبقى في الحال الذي سقط إليه، بل بخلاصه يرجع إلى مباحج حالته التي خُلِقَ عليها أصلاً... إذ أحضونا إلى هذه

القوة للحياة الجديدة، ليس بقوتنا، وإنما بواسطة المخلص، ليت الرسول (السيد المسيح) يقول في وساطته لهذا الإنسان الذي تحت العقوبة: "ليعود أيام صباه".

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُصَلِّي إِلَى اللَّهِ فَيَرْضَى عَنْهُ،

وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهَتَافٍ،

فَيُرِدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ وَهُ [26].

بهذا الميلاد الجديد يدخل المؤمن في علاقة مع الله، كابن له دالة لدى أبيه؛ يصلي ويعترف ويسبح ويشكر، مقدماً بخراً طيباً يشتمه الله رائحة سرور ورضا في استحقاق ذبيحة المسيح. يتطلع الله أبيه ببهجة قلب، معانياً وجهه بهتافٍ وتهليلٍ. لا يخشى اللقاء معه، إذ يترك حقيقة المصالحة التي تمت بالصليب.

يسكب الله على مؤمنيه من ثمار الروح بفيض فيحمل أيقونة المسيح ووه.

هكذا ينقلنا أليهو من الصواخ بسبب الأخوان، إلى الهتاف كأبناء للآب السملوي، نحمل الطبيعة الجديدة المكلفة بالمجد، ونتمتع برؤية وجه الله، ونشرك السمايين تسابيحهم وهتافهم، ونستتر في برّ المسيح الذي نرتديه ثوباً بهياً سمولياً.

❖ " سيصلي إلى الله، فيرضي عنه " يقول بأن الرسول (الشفيع الكفري) يتوسط أولاً وبعد ذلك الإنسان، فلو لم يتوسط الرب لدى أبيه خلال تجسده، وصلي لأجل حياتنا، ما كان لجمودنا الحي أن يتحرك، فنطلب الأبديات... لكن لأن نور الحق ينفجر بالفوح السوي في قلوبنا بعد التجرب، غالباً بعد أخوانٍ عظيمة، بحق أضيف عن هذا الإنسان المُجرب والمتوسل لدي الله: " ويعاين وجهه بهتافٍ " [25]. لقد قيل سابقاً كيف يعمل الله بإعلان ذاته لنا، أما هنا فيُظهر كيف أنه يبهجنا عندما يجعل نفسه معروفاً.

هكذا فإن يعقوب بعد صواحه مع الملاك قال: "نظرت الله وجهاً لوجه" (تك 32: 3)، كمن يقول: "أعرف الرب لأنه هو نفسه يتنزل ليعرفني". لكن بولس يعلن أن هذه المعرفة ستتم بأقصى الكمال في النهاية، حيث يقول: "سأعرف كما عرفت" (1 كو 13: 12). بعد النضال في الأتعاب وأمواج التجرب غالباً في تُسبى النفس متهلهة حيث تتأمل معرفة الحضرة الإلهية (التي يمكنها أن تشعر بها لكنها لا تقدر أن تتمتع بكمالها). لذلك حسناً قيل عن هذا الإنسان المُجرب بعد أتعاب كثرة: "يعاين وجهه بهتافٍ" [26]. كلما تأمل الإنسان في الإلهيات يستعيز أفعاله الأرضية بنعمة التأمل، لذلك لاق به أن يضيف برّ لأعماله: " فيردُّ على الإنسان برّه " [26].

يُدعى "برناً" ليس كما لو كان ذلك من أنفسنا، إنما صار لنا بالهبة الإلهية، كما نقول في الصلاة الوبانية: "خزنا اليومي أعطنا اليوم". انظروا إننا ندعوه "خزنا" مع أننا نصلي لكي نناله. إذ يصير لنا عندما نتقبله، ولكن هو خاص بالله، لأنه هو الذي يعطيه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُغْنِي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ:

قَدْ أَخْطَأْتُ، وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ،

وَلَمْ أُجَازْ عَلَيْهِ [27].

جاءت العبارة في العبرية: "يغني بين الناس"، وقد اختلفت التجمات للكلمة العبرية *Shiyr* وتعني "يغني". يتحول الإنسان من صواحه من شدة التجرب والآلام التي حلت به إلى التهليل والتسبيح متعنياً بنعمة هذا الوسيط الذي فداه وجدد طبيعته بروحه القوس ووهبه الحياة الأبدية. إنه أخطأ ووج الطريق المستقيم لكن النعمة غطته فنال المغفرة ولم يجاز على ماضيه.

رأى البعض أن الكلمة العبرية مشتقة من *Shuwr* وتعني "يتطلع حوله" أو "يهتم بـ"، أو "يلاحظ". لذلك جاءت الترجمة الانجليزية (KJV):

"تطلع إلى البشر، وإن قال أحد إنني أخطأت وأفسدت ما هو حق ولم أنتفع شيئاً. وكأن هذا العبارة تشير إلى الوسيط الإلهي، مخلص العالم يتطلع إلى

البشوية التي فسدت، فإن اعترف أحد أنه أخطأ وأفسد ما هو صالح من طاقات وإمكانيات ومن مراحم وبركات فُدمت له من قبل المخلص وان هذا لا ينفعه شيء، فسيعمل المخلص فيه [1282].

تحت ضغط التجرب أو تحت التمتع برؤية الوسيط إن اعترف أحد بخطايا واعوجاج سلوكه يتمتع بالمراحم الإلهية. بهذا يقدم لنا أليهو نظوته إلى التجرب بكونها تأديباً من الرب غايته أن يرجع الإنسان إلى نفسه ويكتشف أخطائه ويشعر باحتياجه إلى الفادي فينعم بالمراحم الإلهية.

بقوله: "عوجت المستقيم" قد يعني أخطأت النظر إلى خطة الله من نوري، فلأجل استقامة حياتي يُسمح لي بالتجرب، لكنني بفساد قلبي أتطلع إليها كظلم حلّ عليّ. ولهذا "لم أجازَ عليه" أو "لم أنتفع منه". فالخطأ ليس في حلول التجرب وإنما في عدم انتفاعي منها بسبب تنوي على الرب، وحسبت أنني لا استحق كل هذه الآلام القاسية.

❖ "يتطلع إلى الناس ويقول: وأخطأت" [27]. ما كان يمكنه أن يعرف أنه خاطي ولو لم يكن قد صار له البرّ. فإنه لا يكتشف أحد عيوبه ما لم يكن قد بدأ أن يكون مستقيماً. فمن هو مشوه تماماً لا يقدر أن يبرك حقيقة نفسه. أما الذي يشعر أنه خاطي، فقد بدأ إلى حد ما أن يصير مستقيماً. بكونه مستقيماً يلوم سلوكه حيث لا زال بعد غير بار. وباتهامه لنفسه يبدأ يلتصق بالله. وإذ يعبر إلى اتهام نفسه بحق، يدين نفسه فيما يبرك أنه لا يسر الله. أما إذا تطلع خاطي إلى نفسه دون أن يتعلم سمة البار، فإنه لا يستطيع بأية وسيلة أن يبرك أنه خاطي...

البابا غريغوريوس (الكبير)

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن المؤمن إذ يتطلع إلى الناس (القديسين) يوّأ في حياتهم كما في كتاب مفوح فيبرك أنه خاطي، ويقدم توبة ليحيا في برّ المسيح. ففي تعليقه على هذه العبارة يقول: [حياة الصالحين هي نواصة حياة، لهذا ليس عن غير استحفاق دعي الأوار "كثباً" في لغة الكتاب المقدس، كما هو مكتوب: "وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار حسب أعمالهم" (رؤ 2: 12) ... لكي نفتني معرفة السمويات ندرس الأمثلة التي للقديسين الذين سبقونا. لقد قيل إنهم وعون بين السوسن (راجع نش 4: 5-6). فإنه ماذا يُقصد بالسوسن سوى سلوك أولئك الذين يقولون بكل صدق: "لأنارائحة المسيح الذكية لله" (2 كو 2: 15) ... فإننا مادما نعبر في ظلال هذه الحياة الفانية حتى نبلغ فجر اليوم الأبدي، نحتاج أن نشبع بأمثلة الأوار.]

❖ " يتطلع إلى الناس ويقول: أخطأت، وعوجت المستقيم، ولم أجازَ عليه كما استحق" [27]. حتى الذين لا يعتقدون أنهم يخطئون يعترفون بطبيعة عامة أنهم خطاة. فالأمر هكذا بالنسبة للبشر. غالباً ما يعترفون علانية أنهم خطاة، ولكن متى سمعوا من يذكر بالصدق عن خطاياهم عندما يهاجمونهم، يدافعون عن أنفسهم بجسلة ويسعون نحو اظهار أنفسهم أرياء. من كانت له هذه السمّة، فإنه إذ يقول إنه يخطئ فهو لا ينطق بالحق، إذ يعلن عن نفسه أنه خاطي، لكنه ليس من عمق قلبه، إنما مجرد ينطق بكلمات، لأنه مكتوب: "الصدّيق من البداية يتهم نفسه" (راجع أم 18: 17). وإنه يود أن ينال سمعة طيبة، لا أن يتواضع باعتوافه بخطيته. إنه وغب باتهامه لنفسه أن يظهر متواضعاً بينما هو ليس كذلك... أما الصدّيق فإذ يتهم نفسه على سلوكه يعوف عمق قلبه، خلال أمثلة القديسين أنه بالحق هكذا كما يعترف. وفي ألم يكمل أنه لم يجازَ كما يستحق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْخُفُوءِ،

فَوَى حَيَاتِي النُّورَ [28].

هذه هي أغنية القادمين من الضيقة العظيمة (رؤ 7: 14)، إذ يسبحون الله على مراحمه الفائقة الذي رفعهم من حوة جهنم إلى أورشليم العليا؛ وعبر بهم من مملكة الظلمة ليستقروا في أحضانه أدياً في النور إلهي. وكما قيل عن أورشليم العليا: "والمدينة لا تحتاج إلى الشمس، ولا إلى القمر ليضيئاً فيها، لأن مجد الله قد أنلها، والحمل سواجها" (رؤ 21: 23).

❖ **نفدي نفسي من العبور إلى الدمار** [28]. إذ نتقدمنا النعمة الإلهية في أعمال صالحة، تتبعها رادتنا الحرة، وإذ نُخضع موافقتنا لله الذي يخلصنا يُقال عنا إننا نفدي أنفسنا. يقول بولس: "أنا تعبت أكثر منهم جميعهم" (1 كو 15: 10). وإذ يخشى أن ينسب أتعابه لنفسه للحال أضاف: "ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي". فإنه إذ تبع بلادته الحرة نعمة الله السابقة والواقية فيه، بصدق أضاف: "التي معي"، حتى لا يكون جاحداً للنعمة الإلهية، ولا يبقى متعوباً عن التأهل للإرادة الحرة...

"فؤى حياتي النور" [28]، بمعنى نور الحق الذي لم يكن قانواً أن واه حين كان ميتاً في قلبه، أو يعني الرب القائل: "أنا هو نور العالم" (يو

8: 12)...

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا كُلُّ هَذِهِ يَفْعَلُهَا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا بِالْإِنْسَانِ [29].

يُوجِم البعض "مرتين وثلثاً" "ورات كثرة"، إذ تعني لا يتوقف الله عن أن يعمل من أجل خلاص حرة ومرتين وثلثاً وبكل الوسائل حتى يجتذب الأثوار إلى الخلاص، يتمتعون بالنبوة له، وينعمون بوه وقداسته وسمواته.

وي البعض أن أليهو يذكر "ثلاثاً" اشلة إلى عمل الله مع الخطاة، حيث يستخدم ثلاثة طرق:

وَأولاً يفيض بالخرات لعل الإنسان يتلامس مع حب العاطي، فإن لم يرجع إلى الله يستخدم الإلهامات الإلهية سواء خلال الأحلام أو الرؤى أو الوحي الإلهي، فإن لم يرجع يستخدم الأخوان والضيقات لكي يعيد النظر في حياته ويرك حقيقة موقفه.

❖ **" هوذا كل هذه يفعلها الله ثلاثاً بكل إنسان" [29]** ... إن لاحظنا بعناية، فسنجد أنه توجد ثلاث مراحل للحن والوح الواحدة تتبع الأخرى، في

هدايته، وفي تجربته، وفي موته.

ففي المناسبة الأولى لهديته ... يكون حزن الإنسان عظيماً، وذلك لأنه يضع في حسابانه خطاياه، وورغب في زوع قيود الاهتمامات العالمية

بقوة، والسير في طريق الله طول فؤة هدايته. يود أن يزيل ثقل الاضطرابات الزمنية الثقيلة، ليحمل نير الرب الهين. في عبودية تحمل حرية... ولكن يأتي عند ذلك ألم القلب واضطرابه ، إذ يدعو الروح من جانب، ويدعوه الجسد من الجانب المخالف... بحق ويقال عن هذا الإنسان المتمرد: "فتكوه حياته

خزه وتقرب نفسه من الفساد، وحياته إلى المميتين" (راجع 2، 22) لكن النعمة الإلهية لا تسمح لنا أن نتعوض لهذه المصاعب لمدة طويلة. فإنها تحل

قيود خطايانا وتقودنا بسوعة إلى تعويات حرية حياتنا الجديدة. الوح الذي يتبعها يزوع الحزن السابق. وهكذا فإن عقل الذي يهتدي بوح كثوفاً جداً أكثر

مما يشتهي...

ولئلا يظن الإنسان أنه قديس، فإنه في الحال عند اهتدائه... يسمح له بتدبير الله أن يعاني من هجمات التجرب باهتدائه يعبر البحر الأحمر، لكن

الأعداء يستمرون في مقاومته في روية هذه الحياة الحاضرة. لقد تركنا خطايانا الماضية خلفنا، إذ مات المصربون على الشاطي، لكن الودائل المدمرة لا

وال تهاجمنا كأعداء جدد لتعوق طريقنا الذي به ندخل أرض الموعد... عدونا أكثر غوة على غلبتنا مادما نحن في هذه الحياة، كلما أرك أننا متمردون

عليه. لا يهتم أنه يلطم الذين يرك أنهم في ملكيته. إنما هو في حالة هياج أشد ضدنا، إذ أستبعد من قلوبنا كما من حقه أن يمتلكنا مسكناً له... بالحق

توجد ثلاث مراحل للمهتدين: البداية، المنتصف، النهاية. في البداية يختبرون سحر العنوبة، وفي منتصف الوقت مقاومة التجرب، وأما في النهاية ففيض

الكمال...

بعد عبور هاتين المرحلتين من الاهتداء والامتحان في حزن وفوح تبقى المرحلة الثالثة، التي لا زال يخشى أوزانها، لكنه ينال مسواتها...

يقول داود: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يبتزر إنسان أمامك" (مز 143: 2). ويقول بولس بعد ذلك: "فإني لست أشعر بشيء في ذاتي،

لكنني لست بذلك مبرراً" (1 كو 4: 4). يقول يعقوب: "لأننا في أشياء كثرة نعثر جميعاً" (يع 3: 2) ويقول يوحنا: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل

أنفسنا، وليس الحق فينا" (1 يو 1: 8)

لِيُودَّ نَفْسَهُ مِنَ الْخُوفِ،

لِيَسْتَتِيرَ بِنُورِ الْأَحْيَاءِ [30].

يؤكد أليهو هنا ما سبق أن أشار إليه كأغنية يتوهم بها الإنسان التمتع بخلاص الله (أي 33: 28)، أنها عطية مقدمة لكل إنسان بغير محاباة، فإن الله "لا يشاء أن يهلك الناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (2 بط 3: 9)، فيتغنى كل مؤمن: "لأنك نجيت نفسي من الموت، نعم ورجلي من الزلوق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء" (مز 56: 13).

❖ لأن عقل كل مختار يعاني في كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث، أي من ألم الاهتداء، أو تجرب الامتحان، أو رعب الانحلال، فيتطهر ويتحرر بذات الأم، قيل: "لود نفسه من الفساد، ليستتير بنور الأحياء" [30].

فإن هذا هو نور الأموات التي نعابنه بأعيننا الجسدية... أما الذين يستتيريون بنور الأحياء. فيحتقرون نور العالم ويعودون إلى سمو البهائم الداخلي. حتى يعيشوا في ذلك الموضع الذي يرون فيه النور الحقيقي ويشعرون به، حيث لا يكون اختلاف بين الحياة والنور، فحيث يوجد النور توجد الحياة أيضاً...

5 . توسل إلى أيوب للاستماع إليه

فَأَصْغِ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي.

أَنْصُتْ فَإِنَّا أَتَكَلَّمُ [31].

يسأل أليهو أيوب أن يفحص بعقل ما قاله، وينصت بانتباه شديد إلى ما سيقوله. فإن لديه الكثير ليقوله، وهو أمر يمس حياته، يستحق أن يطيل أناته ويصبر في حديّة ليستمع إلى ما سيقوله له.

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلَامٌ فَأَجِبْنِي.

تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَتَرَبَّكُ [32].

قبل أن يكمل أليهو حديثه الورد في الأصحاح التالي رآد أن يتوقف متأنياً، سائلاً أيوب أن يجيبه أو يقدم تعليقاته عما قاله.

هنا يبرز هوء أليهو، فإنه وإن بالغ في اتهام أيوب لكنه يتوقف لسمع تعليقاته بروح طيبة. فإن غايته لا أن يوبخ ولا أن يكيل الاتهامات بل يفتح باب الخلاص والبرّ ليتبرر أيوب أمام الله. هكذا يليق بنا في كورتنا أن نترك حقيقة رسالتنا، لا النقد والتوبيخ بل المساندة والحنو مع الصراحة وعدم المداهنة. لقد سبق فقال أليهو لأيوب إنه مثله خُلق من ذات الطين، فكلاهما يحتاجان إلى المخلص المعين. ويقول الرسول بطرس في كورنثوس الأولى: "أنا أيضاً إنسان" (أع 10: 26).

لا يحتاج الإنسان إلى من وعبه، بل إلى من يحنو عليه ويتفوق، ويُشعر أنه رفيق معه في الضعف البشري، ومحتاج معه إلى العون الإلهي.

في تواضع وحب وحنو يسأل أليهو أيوب إن كان لديه اعتراض أو يطلب استيضاح أن يتكلم بحرية، فإنه يود أن يوضح بمحبة كل ما في ذهنه، لأجل تعروه.

كما طلب أليهو من أيوب أن يسمع بطول أناة وصبر لما قاله أليهو وما سيقوله، فإنه يعلن استعداداه هو أيضاً أن يسمع بصدرٍ رحب وبطول أناة.

بقوله "أريد تتربك" خشي أليهو أن يكون قد أساء فهم عبارات أيوب أو نسب إليه أقوالاً بمعانٍ لم يقصدها أيوب، لهذا يعطيه الفوصة ليتكلم في

صراحة.

وَالْأَفَاسْتَمِعِ أَنْتَ لِي.

أَنْصُتْ فَأُعَلِّمَكَ الْحِكْمَةَ [33].

إن لم يكن لدي أيوب ما يعترض به على كلمات أليهو، يطالبه الأخير أن يستمع إليه ويصغي بانتباه، فيعلمه الحكمة. إذ التزم أيوب الصمت، ولم يتدخل أحد من الأصدقاء الثلاثة، رآد أليهو ان يكمل حديثه (كما ورد في الأصحاح التالي).

من وحي أيوب 33

لتهتف نفسي لك،

يا من عبرت بي من الجحيم إلى السماء!

❖ تهتف أعماقي بروح التهليل قائلة لك:

خلفتني من رآب، لكنك وهبتني نسمة من عندك.

أعرف ضعف طبيعتي، وأترك قوة عملك فيّ.

هب لي ألا أنتقد إخوتي فوجه إليهم اتهامات مؤة.

فأنيّ شريك معهم في الضعف.

أطلب خلاصهم لينعموا معي بغنى نعمتك.

تئن نفسي لسقطاتهم،

ويحترق قلبي لعوثاتهم!

❖ لتتكلم أنت يارب معهم،

تكلم معهم بلغة الخوات والعطايا الكثوة.

تكلم معهم خلال كلمتك القدوة،

وإن لم يقبلوا نعمتك تكلم معهم بلغة الآلام.

فأنت تطلب خلاص الكل بكل وسيلة!

في آلامهم تئن أنت معهم كأب متوفق يؤدب.

وتئن نفسيّ معهم، أشركهم أخوانهم.

لتعمل فيهم وفيّ حسبما تشاء يا مخلص الجميع!

❖ من يحملني وإياهم إلى الأحضان الإلهية،

سواك يا أيها الشفيح العجيب.

بدمك تطهونا وبروحك تقدسنا.

تطلقنا من ظلمة الخطية إلى نور برك.

تعبر بنا من هوة الجحيم إلى أورشليم العليا.

تحول صواخنا المرّ إلى هتاف.

تحول هراثيناً إلى أغانٍ وتسابيح.

تغذي نفوسنا بدمك،

وتقدمنا لله أببيك أبناء له!

لك المجد يا أيها المخلص محب البشر!

<<

الأصْحاحُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

الحديث الثاني لأيهو

وي البعض أن أيوب لم يجب على تساؤل أليهو استخفافاً به كشابٍ صغيرٍ، خاصة وأنه سبق فأجاب على أسئلة الأصدقاء الشيوخ علانية. ولعل أيوب لم يجبه خشية أن تنهال عليه الأسئلة من كل الحاضرين. وإذ صمت أيوب، تحول أليهو بوجهه إلى جمهور الحاضرين، من بينهم الأصدقاء الثلاثة، وربما في شيء من التهكم، أو لكسبهم دعاهم رجال تمييز وحكماء وفاهمين [٢-٤، ٣٤-٣٧].

عالج أليهو مشكلة تويرير أيوب نفسه أمام الله، موضحاً له أنه لا يتكلم مع ملكٍ أو أميرٍ بل مع الله العرف بكل شيء، الذي لن يخطئ الحكم. اقترح على أيوب مملسة التوبة في تواضعٍ وندامةٍ [٣١-٣٢].

رأد أليهو أن يرد على أخطائه من جهة نظوته نحو الله أنه قد سمح له بالآلام ظلماً، بتأكيد أن عدل الله لا جدال فيه (10-12، 17، 19، 23)؛ وإنه صاحب السلطان المطلق (13-15)؛ والقدير في قوته (20، 24)؛ والعالم بكل شيء (21، 22، 25)؛ والحزم مع الخطاة العاصين لأجل توبتهم (26-28)، أما عنايته الإلهية ففائقة (29-30).

أخراً خُتم الأصحاح باستعراض كيف يليق بأيوب الحديث مع الله (31-32)، تركاً الأمر لضموره (33-37).

1 . دعوة الحاضرين للاستماع 1-4.

2 . الرد على تويرير أيوب نفسه 5-12.

3 . قوة الله وأحكامه 13-30.

4 . كيف نتحدث مع الله؟ 31-37.

1 . دعوة الحاضرين للاستماع

فأجاب أليهو وَقَالَ: [1]

"فأجاب" ، هذا لا يعني أن أحداً ما سأل وقام أليهو بالإجابة عليه، فقد اعتاد الكتاب المقدس أن يبدأ الأحاديث بهذه الكلمة: "أجاب"، حتى وإن لم يسبقه أحد في الكلام، وذلك كما جاء في (أيوب 3: 2؛ إيش 14: 10؛ زك 1: 10؛ 3: 4؛ 4: 11-12). أحياناً تُستخدم هذه الكلمة لتعبر عن إجابة لسؤال خفي في ذهن شخصٍ آخر معروضٍ لم يفصح عنه علانية [1283].

اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ،

وَأَصْنُوا لِي أَيْهَا الْعَرَفُونَ [2].

في الأصحاح السابق وجه أليهو حديثه إلى أيوب، حيث أجاب على أسئلته بخصوص الأخوان والضيقات، موضحاً أنها بسماع الله لأجل نفع المؤمنين، حيث تُعطى الفرصة للمؤمن أن ينسحب إلى داخله، ويكتشف أخطائه، ويطلب الوسيط الواحد الإلهي. لم يجبه أيوب، ولا علق على كلماته. الآن يوجه حديثه بصفة خاصة إلى أصدقائه الثلاثة، وقد دعاهم حكماء، وهبت لهم المعرفة. وهو في هذا أراد أن يهيئهم للاستماع إليه باهتمام دون تحفيز. ولعله تطلع إليهم أنهم بالفعل هم حكماء، قادرون على تتبع أقواله وشرحه لبعض الأمور الصعبة.

لَأَنَّ الْأَذْنَ تَمْتَحِنُ الْأَقْوَالَ،

كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَامًا [3].

يدعونا أليهو أن يكون لنا روح الإفواز، فكما يقوم الفم بتذوق الطعام، وتمييز ما هو صالح وما هو فاسد، هكذا يليق بأذاننا أن تفرز الكلمات الصالحة من الشريرة. هنا يتحدث مع الحاضرين خاصة الأصدقاء الثلاثة، وهو لا يتحدث عن الأذان الداخلية فحسب، بل والأذان الجسمية أيضاً، فلا يترك المؤمنون أبواب آذانهم تستقبل كل الكلمات بلا تمييز.

كما نُدان عن كلمة بطالة تفسد وقتنا، يؤمنا أن نحتاط من كل كلمة نسمعها، فنهرب ما استطعنا من الاستماع ليس فقط لما هو شير، بل وما هو باطل وبلا نفع.

وى كثير من الآباء أن التهلون بالاستماع إلى المنحليين أو الهواطقة قد يفسد نقلة النفس واستقامة الإيمان، لذا يليق بالمؤمن أن يمتحن ما يُقال فلا يسمح لأذنيه أن تنصتا بلا تمييز.

"جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم، أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين" (2 كو 13:

5).

"امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن" (1 تس 5: 21).

"أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرون قد خرجوا إلى العالم" (1 يو 4: 1).

"لا تصنع شيئاً بغير تمييز" (سواخ 33: 30).

"وآخر عمل قرات، وآخر نوبة، وآخر تمييز الأرواح، وآخر أواع السنة، وآخر تجمة السنة" (1 كو 12: 10).

"وأما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمنون قد صلت لهم الحواس متربة على التمييز بين الخير والشر" (عب 5: 14).

❖ "لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة" (عب 13: 9). هذا هو معنى التمييز بين الصلاح والشر. "الفم يذوق طعاماً، لكن النفس تمتحن الكلمات" (راجع

[1284]

أي 34: 3)

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1285]

❖ الإفواز هو أفضل من كل الفضائل

القديس الشيخ الروحاني

❖ "يارب بروضاك ثبت لجمالي قوة" (30: 8) ... يتساءل البعض عن نتائج الفضيلة... يقول البعض: إن لكل فضيلة علة (سبب)، بينما يرفض البعض

الأخر هذا التفسير... فمثلاً هدف الحكمة أو علتها هو التمييز بين الخير والشر... وبالتمييز نستطيع أن نختار وأن نرفض، وبالعدل نترك ما يجب أن

نعطيه وما لا يجب أن نعطيه... بالشجاعة نترك ما يجب أن نخشاه وما لا يجب أن نخشاه... أما فضيلتي الجمال والقوة فليس لهما سبب... بل تأتي

قيمتها من فضائل أخرى لها علة... فالحكماء يدركون ماهية الجمال من خلال التوافق والتناسق الموجود في داخل نفوسهم... ويدركون القوة من

[1286]

... خلال التنفيذ العملي للفضيلة النظرية

القديس باسيليوس الكبير

❖ يا بُنَيَّ، لا تتكلم بغضب، بل ليكن كلامك بحكمةٍ ومعرفةٍ، وكذلك سكوتك أيضاً، لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوًا من الحكمة والتميز، وكذلك سكوتهم.

القديس أنطونيوس الكبير

لِنَمْتَحِنَ لِأَنْفُسِنَا الْحَقَّ،

وَنَعْرِفَ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ [4].

لنمتحن الأمور بأنفسنا، فلا نهتم بمديح الآخرين؛ إنما ما يشغلنا هو أن نبلغ إلى الحق، ونتعرف على الحقائق، ونسعى لكي نجد ما هو صالح. يليق بالمؤمن أن يسعى لكي يكتشف ما هو حق وما هو عادل وما هو للبنين وسط الآراء والمفاهيم المتضاربة، ممتحنًا كل شيء في جدية وإخلاص، دون تحيز لآرائه أو آراء محبيه.

وى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يليق بنا أن نمتحن أنفسنا، فننصت إلى صوت السيد المسيح الذي فينا، كما لصوته في الكنيسة المقدسة خلال معلمينا الكنسيين.

[1287]

❖ انظروا إلى داخلكم، فتجدون المسيح فيكم. ولكن إن كان المسيح فيكم، كم بالأكثر يكون في معلمكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنا لا نعرف كيف يمتحن الواحد الآخر، فإننا لا نعرف إن كان المسيح فينا أم لا. الفشل في ممرسة الامتحان هو عدم معرفة الإيمان الموروث في إعلان إيماننا. من له حاسة الإيمان في قلبه يعرف أن يسوع المسيح فيه.

[1288]

الأب أمبروسياستر

❖ كما في إسرائيل القديم وُجد بعض أنبياء نطقوا بكلمة الله، وآخرون لم يفعلوا هكذا، فإنه ما أن ظهر الرسل ينطقون في المسيح ولهم الروح القدس الذي أرسله إليهم الرب، حتى أرسل الشيطان رسلاً كثيرين كذبة يؤيفون تعليم الإنجيل. إنه لأمر حوي أن يكون لكم عطية الروح القدس التي تُدعى تمييز الأرواح حتى يمكنكم امتحان الأرواح ، وتروا ما يؤم أن تؤمنوا به وما يؤم أن تتبنوه.

[1289]

القديس ديديموس الضير

❖ يؤمنا أن زاعى بكل حرص هذا الأمر المثلث الجوانب، فلنختبر الأفكار التي تهاجمنا ببصيرة وحكمة، لنترك ما هو مصدر الفكر وأسبابه منذ بدايته. وبهذا يمكننا أن نأخذ في اعتبارنا هل نخضع له وذلك حسب نوع من يقوّحه، فنكون كالصيرفة الحكماء كما يعلمنا بذلك الرب. إذ هم بمهلتهم وخوتهم يميزون الذهب النقي الخالص الذي تتقى بالنار كما ينبغي، وبمهلتهم لا يندعون بقطع النحاس المغشاة بطبقة خفيفة من الذهب والتي تبدو ذات قيمة عظيمة... إنهم بذكائهم ومهلتهم يركون تمامًا العملات المزيفة التي يصكها كبار المخادعين...

هكذا يؤمنا ولأ أن نختبر بكل حرص كل فكر يدخل إلى قلوبنا وكل تعليم ننقله، لئى ما إذا كان قد تتقى بنار الروح القدس الإلهي السموي، أو ينتمي إلى ضلال الواطقة، أو هو ثوة كوياء الفلسفة البشوية التي ليس لها إلا سطحيات التدين.

نستطيع أن نعمل هذا إن سلطنا بنصيحة الرسول القائل: "أيها الأعباء لا تصدّوا كلّ روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله..." (1 يو4:1). يندع البعض بهذا النوع، فيؤيهم حُسن التنسيق، والتعاليم الفلسفية التي تخدع لأول وهلة بما فيها من بعض المعاني الوعة التي تتفق مع الدين، وذلك كما يندع بريق الذهب ناظره. هؤلاء تجذبهم المظاهر، لكن سوعان ما يشعرون أنهم في الواقع قد خرجوا فرغى اليد، ويسقطون في اليأس،

[1290]

ويكونون كمن قد اندعوا بالنقود النحاسية المغشوشة .

2 . الرد على تبرير أيوب نفسه

لأنَّ أَيُّوبَ قَالَ:

تَبَرَّرْتُ، وَاللَّهُ تَوَعَّحَنِي [5].

جاءت هذه الكلمات في أيوب (13: 18؛ 27: 2) (لكنه قالها ليؤي نفسه، لأن أصدقاءه طغوه في شخصه، فراد تأكيد واعته من الاتهامات الباطلة، دون أن يقصد أنه يتبرر أمام الله، وأنه معصوم من الخطأ. لم يلمح قط أنه دوماً طاهر القلب، وأنه لم يخطئ قط ضد ناموس خالقه. حقاً قال إن الله زع عنه حكمه، لكنه لم يكن يعني قط أنه يود أن يقاضي الله متهمًا إياه بالظلم، وإنما ما عناه أن الله يتعامل معه بطريقة سوية غامضة، وليس كما اعتاد أن يلمسه في علاقته به من قبل، من جهة عنايته الإلهية الفائقة. ما كان غامضًا بالنسبة له ليس ما حلَّ به من تجرب، إنما كيف سمح لأصدقائه أن يتعتروا فيه.

لقد اعترف أيوب بخطاياها، لكنه يحمل وًا نسيبًا إن قورن بإخوته في البشرية، لا إن قورن بالله. فقد قيل: " لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحًا ولا يخطئ" (جا 7: 20).

❖ لا أعرف إنسانًا كاملًا في شيء... وهو بعد إنسان، إلا ذاك الذي وحده من أجلنا لبس ناسوتيتنا [1291].

القديس إكليمنضس السكنوي

❖ الله صالح، كامل الصلاح وحده ، وإذ أنت صورته يليق بك أن تكون صالحًا. إنه سخي مع الجميع، فينبغي عليك أن تكون كريماً، تتجنب الجشع، ولا تبخل على قريبك بأي شيء مادي زائل، فإن هذا أخطر كرثة وجهالة.

الأب يوحنا من كرونستادت

❖ ولأَ عُدْ إلى نفسك مما هو خرج عنك، عندئذ قدم نفسك ثانية لذاك الذي خلقك. فهو مصدر كل سعادتنا وصلاحنا الكامل [1292].

القديس أغسطينوس

عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أُكذِّبُ.

جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونَ ذَنْبٍ [6].

لعل أيوب يتساءل: هل يكذب ويتهم نفسه بالشر حسبما جاء في فكر أصدقائه، فيكون قد صار كاذبًا ضد إعلان واعته مما نسوه إليه. إنه يصوخ، فقد صار جرحه عديم الشفاء بدون إثم لتكبه. لقد اتهموه بأنه أشر مجرم، وتعاملوا معه بأبشع صورة، مع أن الله نفسه شهد بكماله، وأن الشيطان هيَّجه عليه بلا سبب (أي 1: 1؛ 2: 3).

يقصد بجرحه هنا النكبات التي حلت به، وقد بدت عديمة الشفاء، ليس من علاج لها، ولا من إمكانية لإصلاح الموقف.

جاء التصوير هنا أن أيوب يشبه حيوانًا ضُوب بسهم قاتلٍ دون ذنب لتكبه. ما يشتكي منه أيوب ليس أنه بلا خطية، ولكن ما حلَّ به من

نكبات، شوهت صورته تمامًا، خاصة في أذهان أصدقائه.

فَأَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ، يَشْرَبُ الْهَوَاءَ كَالْمَاءِ [7].

وى البعض أن هذا المثل يناسب البيئة الصحاوية قديمًا، إذ يشبه الإنسان بالجمال الذي يشوب كمية ضخمة من الماء تمكنه من عدم الشعور

بالعطش لمدة طويلة أثناء رحلته في البرية الجافة. هكذا شوب أيوب كميات ضخمة من التجرب، يستمر أؤها أثناء كل رحلته هنا في بوية هذا

[1293] العالم .

أورد أليفاز عبارة مشابهة عند اتهامه لأيوب (أي 15: 16).

وَيَسِيرُ مُتَّحِدًا مَعَ فَاعِلِي الْإِثْمِ،

وَدَاهِبًا مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟ [8]

حسب أليهو أيوب أنه موافق للأشوار، لأنه حمل أفكارًا مثلهم في عتابه مع الله (أي 9: 22-23؛ 30؛ 21: 7-15)، على الأقل بقوله إن الذين يفعلون الشر لا يُعاقبون. يبدو كأنه أنكر عدل الله بسبب عدم معرفته لما وراء الضيقات التي حلت به، بينما لم تحل بالأشوار، فحسبه أليهو كمن صادق بأفكاره الأشوار.

لأنَّه قَالَ: لَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ [9].

إذ تبني أيوب هذا الفكر وسط مورة نفسه، فقال بأنه لا منفعة من خدمة الله، وأن سلوك الإنسان بالبر لا ينفعه شيئًا، لأن الله لا يدافع عن الأوار ضد مقولميه، بهذا حسب أليهو أن أيوب في صداقة مع الأشوار.

لَأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا نَوِي الْأَبْنَابِ.

حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ،

وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ [10].

يدعو أليهو الحاضرين للاستماع إلى إجابته على ما ظنه مفاهيم خاطئة لدى أيوب، مظهرًا أن أيوب استخدم تعبيرات غير لائقة في عتابه مع الله بخصوص أحكامه.

"يا نوي الأبواب (الفهم)"؛ الكلمة العبرية تعني "القلوب"، إذ كان اليهود يحسبون القلب هو مركز كل العمليات العقلية وعرشها. لا يتحدثون عن العقل أو الرأس كعرش للعمليات العقلية. هكذا يحسب أليهو الحاضرين حكماء، وأنهم قادرين على إرواك الفكر الذي يعرضه بخصوص برّ الله وعدله في أحكامه.

يود أن يؤكد أليهو أنه حاشا لله أن يخطئ أو يصنع شوا.

يقول أليهو: يؤمننا ألا نضع تصورات الله في مؤزّين بشوية، فننهمه أحيانًا بالظلم. إنما يليق بنا أن نتق بأن كل طرق الله حق هي وعادلة، لأنها طوقه وهو قنوس، وليس لأننا زاها هكذا.

"فماذا نقول: ألع عند الله ظلمًا؟ حاشا" (رو 9: 14).

"حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر! أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟" (تك 18: 25)

"هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل، إله أمانة، لا جور فيه، صديق وعادل هو" (تث 32: 4).

"عادل أنت أيها الرب، وجميع أحكامك مستقيمة وطرقك كلها رحمة وحق وحكم" (طوبيا 3: 2).

"الله قاض عادل، وإله يسخط في كل يوم" (مز 7: 11).

"لأن الرب عادل ويحب العدل، المستقيم يبصر وجهه" (مز 11: 7).

"خوف الرب نقي، ثابت إلى الأبد، أحكام الرب حق عادلة كلها" (مز 19: 9).

"عادلة شهادتك إلى الدهر، فهمني فأحيا" (مز 119: 144).

وإذ أنت عادل تدبر الجميع بالعدل، وتحسب القضاء على من لا يستوجب العقاب منافياً لقرنتك" (الحكمة 12: 15).

"فسهر الرب على الشر وجليه الرب علينا، لأن الرب عادل في جميع أعماله التي أوصانا بها" (با 2: 9).

"لأنك عادل في جميع ما صنعت، وأعمالك كلها صدق، وطرقك استقامة، وجميع أحكامك حق" (دا 3: 27).

"الرب عادل في وسطها لا يفعل ظلمًا. عادةً غداةً يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر، أما الظالم فلا يعوف القوي" (صف 3: 5).

وهذا ما صلى به نحميا: أيها الرب، الرب الإله خالق الكل البرهوب، القوي العادل الرحيم، يا من هو وحده الملك والبار" (2مكابيين 1: 24).

"يا من هو وحده المتفضل العادل القدير الأزلي، مخلص إسائيل من كل شر، الذي اصطفى آباءنا وقدمهم" (2مكابيين 1: 25).

"وسمعت ملاك المياه يقول: عادل أنت أيها الكائن والذي كان والذي يكون، لأنك حكمت هكذا" (رؤ 16: 5).

"وسمعت آخر من المذبح قائلاً: نعم أيها الرب الإله القادر على كل شيء، حق وعادلة هي أحكامك" (رؤ 16: 7).

"لان أحكامه حق وعادلة، إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها" (رؤ 19: 2).

❖ إن كان ذلك الذي تدعوه الآب هو دياننا، وإن كان لا يحابي الوجه، فلنوسع إذن ونبذل كل الجهد خلال رحلتنا هنا على الأرض بكل مخافة وسلوكٍ مقدس... بهذا نعرف أن هذا الآب بعينه هو الذي يهبنا الوعود، وهو الذي يحفظنا دون أية عقوبة. [1294]

القديس ديديموس الضيرير

❖ الله قاضٍ عادل وقوي وطويل الأناة. هل لا تفهمون لماذا لا يعاقب مع أنه قادر ومستعد؟ يقول: تعلموا أنه طويل الأناة، ولا يعطي منفذاً لغضبه كل يوم. ها أنتم ترون أنه لكي لا يظن غبي ما أن الله لا يأخذ موقفاً عن ضعف، لذا يظهر أن سبب تأجيله هو طول أناته المتسع جداً. أعني أنه طويل الأناة بهدف اقتيادكم إلى التوبة، فإن لم تنتفخوا من هذا العلاج فسيأخذ موقفاً أيضاً. تأكلوا أننا مستحقين العقوبة كل يوم... هل يعبر يوم دون أن نصلي بعدم مبالاة وتشتيت فكر خطير؟ [1295]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين يتوكلون الله، ويحتقرون وصاياه، ويجلبون القوي لخالقهم بسبب أفعالهم، وبأفكلهم التي تجدف على من يعولهم، يجمعون قضاءً عادلاً ضدهم. [1296]

القديس إيريناؤس

لأنه يجزي الإنسان على فعله،

ويُنيل الرجل كطريقه [11].

يعمل الله دائماً بعدلٍ، فهو لن ينسى الأوار، ولا يسمح للأشوار أن يزددهوا في النهاية. إنه سيتعامل مع كل إنسانٍ حسب استحقاقه.

لم يكن يعني بهذا أنه يحكم على أيوب بأنه شرير بسبب ما حلَّ به، وذلك كما اتهمه أصدقؤه الثلاثة، وإنما يظن أنه يصحح مفهوماً غامضاً أو خاطئاً لأيوب عبر عنه في مرارة نفسه.

لننتظر، فإن الله سيكافئ الأوار وأيضاً يجزي الأشوار إن أصروا على شهورهم، وذلك في الوقت المناسب. لقد قال الرب عن الملك الشرير يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا: "لا يندبونه قائلين: آه يا أخي أو آه يا أخت. لا يندبونه قائلين: آه يا سيد أو آه يا جلاله. يدفن دفن حمار، مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم (إر 32: 18-19). كما قيل: "لكنك من أجل قسوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة. الذي سيجزي كل واحدٍ حسب أعماله (رو 2: 5-6). وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحدٍ، فسيروا زمان غوبتكم بخوف" (1 بط 1: 17). "وها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجزي كل واحدٍ كما يكون عمله" (رؤ 22: 12).

❖ لماذا لا يعاقب الله كل البشر بالرحمة بطريقة بها لا يسمح لأحد أن يتنقى ضده؟ (هذا التساؤل يصدر) بسبب الشر الذي تأهل إليه من صاروا قساة، أو بسبب أحكام الله الغامضة التي كثرت ما تكون خفية لكنها لن تكون ظالمة. [1297]

الأب قيصر يوس أسقف آرل

فَحَقًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ سُوءًا،
وَالْقَدِيرَ لَا يُوعِجُ الْقَضَاءَ [12].

يكرر أليهو هذا المبدأ مؤكِّدًا أن الله لا يفعل شؤًا، ومسهبًا في الحديث عنه. تحت كل الظروف لا يمكن خرق هذا المبدأ ولا إلى لحظة واحدة. لقد عاب على أيوب أنه وإن كان يعتقد نفس المبدأ، لكنه تحت ضغط الآلام الشديدة، ظن أن الله يمكن أن يخطئ في حكمه، فيحل الظلم عوض العدالة (أي 34: 5؛ 8: 3).

قال الرب للشيطان: "قد هيجتني عليه لابتلعه بلا سبب" (أي 2: 3). وكما يقول البابا غريغوريوس (الكبير) قد يسمح الله بالأخزان بلا سبب (يستحقه الإنسان)، ولكن لن يدينه بلا سبب.

يسمح الله لصديقيه بالأخزان لأجل تنقيتهم أو تركيبتهم، لكنه لا يسمح لهم بالأخزان في يوم الدينونة.

❖ تحصل علي عالم النور عوض ألم مويرٍ تتحملة لأجله ليومٍ واحدٍ.

إن صيرت علي الجوع قليلاً من أجل حبه، عندئذٍ تلتهب رغبتك لرؤية وجهه.

إن ظهرت الظلمة علي وجهك من الأعمال لأجله، يجمك بمجده إلي الأبد بلا نهاية.

إن تعويت مما هو لك، يلبسك نوره، ويخفي عنك ما هو لك.

إن تركت ما تملكه، تقنتيه في نفسك أبدياً.

الشيخ الروحاني (يوحنا الذلياتي)

❖ الشور التي تحل عليكم ستعبر، وذاك الذي تنتظرونه بصبرٍ سيأتي.

إنه سيمسح عرق التعب. إنه سيجفف كل دمة، ولا يكون بكاء بعد.

هنا أسفل يؤرنا أن نئن وسط التجرب، إذ يتساءل أيوب: "ما هي حياة الإنسان على الأرض سوى محنة؟" (أي 7: 1) [1299].

القديس أغسطينوس

3 . قورة الله وأحكامه

مَنْ وَكَلَهُ بِالْأَرْضِ،

وَمَنْ صَنَعَ الْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا؟ [13]

هو خالق السموات والأرض ومدبر المسكونة كلها؛ لم يتسلم سلطانه من آخر، ولا يخضع لأحد؛ السماء والأرض هما موضع رعايته ومسوته. لو أن الأرض ليست من صنع يديه، إنما عُهدت إليه من آخر أعظم منه لكان يُمكن أن يفعل سوءً، ويحكم بالظلم، كمن لا يصيبه ضررٌ، لكن إذ هي ملكه، وهو خالقها والمعني بها، يدبر كل ما يدور على الأرض بعدله الإلهي ورعايته الفائقة للعقل البشري. "هوذا الله يتعالى بقوته، من مثله معلماً؟ من فرض عليه طريقه؟ أو من يقول له: قد فعلت شؤًا؟" (أي 36: 22-23).

❖ لاحظوا كيف أن أليهو يوهن على عدالة الله: "صنع الأرض" والسماء وكل المخلوقات الأخرى. هل أعماله غريبة عنه حتى يكون ظالمًا لنا؟... إنه

عادل، ليس فقط لأن هذه هي أعماله، وإنما لأنه هو سيدها. في الواقع هذا يحدث حتى مع الأشوار، فإنهم لا يقبلون أذية (من آخر) تحل بالخاصين

لهم. عادة يهتم كل شخص بمن هم له وما هو له. أما بالنسبة لذاك الذي هو الخالق والسيد، كيف لا يملس عدلاً في كل تدبوه، إن كان قد سكب

عليه بهاء كهذا؟ لا يمكنكم القول إنه لا يملس ظلمًا عن ضعفٍ، فإنه يستطيع بسهولة أن يدمر كل البشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه بالحق يدير العالم بنفسه، هذا الذي خلقه بنفسه. لا يحتاج إلى معونة من الغير في إدارته، هذا الذي لم يحتاج إلى معونة في خلقه... إن كان الله القدير لم يستتف من إدرة العالم الذي خلقه بنفسه، بالأكثر يدير حسناً ما قد خلقه حسناً. إنه لا يكون قاسياً على ما أوجده وحمته. والذي اهتم بهم قبل خلقهم لا يتوكلهم بعد خلقهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ جَعَلَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ،

إِنْ جَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ رُوحَهُ وَنَسَمَتَهُ [14].

وى البعض أن هذه العبارة والتي تليها تعنيان أنه إن وضع الله قلبه على إنسان، فإنه يضم روحه إليه، لأنه كائن عزيز لديه جداً. يسمح للجسد أن يعود إلى التواب، لكنه يعتز بالنسمة التي وهبها إياها، ويضمها إليه. إن ما يشفع لنا جميعاً هو حب الله الذي خلقنا ووهبنا نسمة من فيه. وكما يقول الحكيم: "فارجع التواب إلى الأرض كما كان، وارجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جا 12: 7).

الله في حبه للإنسان يضع قلبه إليه، ويترك خطته الإلهية على خلاصه. حقاً في سلطان الله أن يهلك كل جنس البشر، لأن "الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ولا واحداً" (رو 3: 12). لم يعد من حق الإنسان أن يحيا، وليس له وجه أن يطلب شيئاً صالحاً من الله لأنه عصاه. فمهما حلّ بالإنسان حتى الموت، لا يقدر أن يشتكي ويتهم الله بالظلم، لأنه من يتبرر قدامه. وكما يقول الموتل: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2). مع هذا فقد سمح الله في محبته أن يموت الجسد وارجع إلى التواب ويضم بحبه روح الإنسان، واهباً إياها القيامة الأولى معه، حتى في القيامة الثانية يقوم الجسد أيضاً مع الروح، وارجع الإنسان إلى الأحضان الإلهية.

بهذا يرد أليهو على أيوب فيقول له: لماذا تطلب المحاكمة أمام الله، فإنه إن فحص الله حياة إنسان ما يجده معروماً ويستحق القطع من الحياة تماماً. وكأن أليهو يقول لأيوب: أنا أعلم أنك إن قرنت بالبشر تُحسب براً وكاملاً، لكنك كيف تتجاسر وتطلب أن تُحاكم أمام الله، فإنك كسائر البشر مستحق الموت.

❖ " إِنْ وَجَّهَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ، فَسَيَجْمَعُ لِنَفْسِهِ رُوحَهُ وَنَسَمَتَهُ " [14]. عندما يطلب القلب الأمور السفلية يصير ملتويًا. ويصير مستقيماً عندما يرتفع إلى العلويات. فإنه وجه إنسان قلبه إلى الرب، يجتذب الرب روحه ونسمته إليه. يستخدم هنا تعبير "الروح" عن الأفكار الداخلية، والنسمة الخارجة من الجسد عن الأعمال الخرجية. بهذا فإن الله يجتذب الروح، ونسمته إليه، لكي يغير ما بالداخل وما بالخارج، فيجعلنا نتجه نحوه في اشتياقاتنا... يكون للإنسان بكليته رغبات داخلية ملتبهة نحو ذاك الذي أوجده.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُسَلِّمُ الرُّوحَ كُلَّ بَشَرٍ جَمِيعًا،

وَيَعُودُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّوَابِ [15].

إن أراد الله، فمن حقه أن يزيل كل البشوية؛ فلماذا يشكو الناس من فقدان الصحة أو الخوات الوهمية أو الأقباء، ويظنون أن الله غير

[\[1300\]](#) عادل؟

❖ " كل جسد يسقط جميعاً، ويعود الإنسان إلى التواب " [15]. لأن كل جسد يسقط تماماً عندما لا يعود بعد يكون عبداً لعواطفه... فكلما بدأ الإنسان أن يحيا للعلويات، يموت عن السفليات... جسد بولس هلك تماماً عندما قال: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غل 2: 20).

بحق أضاف أليهو في هذا الموضوع: " يعود الإنسان إلى التواب ". لأن كل من ينشغل بالخطية ينسى حاله المانت، وبينما ينتفخ بالكبرياء، لا يذكر أنه تواب. ولكن بعدما تلمسه نعمة الاهتداء بروح التواضع عندئذ يستدعي في ذهنه أنه تواب.

عاد داود إلى التواب عندما قال: "أذكر يارب أننا تواب" (مز 103: 14). وعاد إواهيم إلى التواب، قائلاً: "قد شرعت أكلم ربي وأنا تواب

ورماد" (تك 18: 27). مع أن الموت لم يكن بعد قد حلل الجسد الحي إلى تواب، لكن في رأيهما أنهما كانا هكذا حسبما سبقا فنظراه دون تشكك فيما سيحدث.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ،

فَاسْمَعْ هَذَا وَأَصْغِ إِلَى صَوْتِ كَلِمَاتِي [16].

في بدء الأصحاح وجه أليهو حديثه إلى رجال الحكمة والفهم، الآن يوجه حديثه بالأكثر إلى أيوب، إن كان لديه فهم. فقد أراد أن يوبخه على ما صدر منه من عبارات غير لائقة بالنسبة لله وأحكامه.

أَلَعَلَّ مَنْ يُبْغِضُ الْحَقَّ يَتَسَلَّطُ،

أَمْ الْبَارُّ الْكَبِيرُ تَسْتَنْدِبُ؟ [17]

يعجب أليهو من موقف الإنسان نحو الله، فيجسر ذلك الذي يخضع للقانون أنه يُدين الله الكلي العدل والبرّ وواضع الناموس للبشر.

يا للعجب! الذي يحتاج إلى قانون يحكمه، يضع نفسه في مركز القاضي لبيدين واضع القانون. أو ذلك الذي يبغض القانون ويحاول التخلص منه يود أن يحكم على مؤسس القانون.

❖ إنه يبغض الشر ويحب البشرية. إنه ليس مثلنا نحن الذين نترك الشر ليس من أجل كراهيتنا للذيلة، وإنما خوفاً من العقاب القادم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَيَقَالَ لِلْمَلِكِ: يَا لَيْفِيْمُ،

وَلِلشُّرَفَاءِ: يَا أَشْرَارُ؟! [18]

إن كان الله قد أقام الرئاسات، إنما لكي يُكروما في الرب ومن أجل الرب، وليس لكي يحتلوا مركز الرب (سي 32: 1). فإن الحاكم أو صاحب السلطان الذي يتكبر قلبه يسقط في الارتداد كما حدث مع الشيطان. كان الرسول بولس كقائد يخشى لئلا يسقط في الكوياء، يقول: "ولا طلبنا مجداً من الناس، لا منكم ولا من غيركم، مع أننا قادرين أن نكون في وقارٍ كرسل المسيح، بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربي العرصة ولأدها" (1تس 2: 7-6). مجد القائد أن يحمل روح الرب الذي يحتضن كل الخاضعين له بالحب، ويتعامل معهم كأبناء له.

إن كان الإنسان لا يجسر أن يتهم الملك الرُّمني باللؤم والشر، فكيف ينسب لملك الملوك ورب الأرباب ظلماً وشراً.

يليق بالإنسان أن يعطي الكرامة لمن له الكرامة، فيصعب على الإنسان أن يحكم على رؤسائه، لأنه لا يبرك ما وراء تصرفاتهم من علل خفية وأسباب سوية، فكيف يدين خطة الله غير المحدودة وخططه الفائقة للعقل.

❖ الآن بالنسبة للعبارات الواردة في الإنجيل التي تبدو أنها تحمل شيئاً من التناقض، من الأفضل لكل أحد أن يوبخ نفسه بأنه لم يبلغ بعد فهم غنى

الحكمة (رو 11: 33)، وأن يتذكر بالحقيقة أنه يصعب أن ندرك أحكام الله الغامضة، عن أن نتهمها بوقاحةٍ وتهورٍ، فنسمع الكلمات: "عاق هو ذلك

LXX الذي يقول: أنت تعصى الناموس" (أي 34: 18) [1301].

القديس باسيليوس الكبير

الَّذِي لَا يُحَابِي بُوْجُوهُ الرُّؤْسَاءِ،

وَلَا يَعْتَبِرُ غَنِيًّا دُونَ فَقِيرٍ (مسكين).

لَأَنَّهُمْ جَمِيعُهُمْ عَمَلٌ يَدِيهِ [19].

إن كان لا يليق بنا أن ندين الملوك والرؤساء، الذين كبشروا، كثوفاً ما يحابون الوجه، فكيف ندين الله الذي يتعامل مع الأغنياء والفقراء على

نفس المسقوى، دون محاباة للوجه (راجع غل 2: 6؛ أع 10: 34؛ 2 أي 19: 7؛ أم 22: 2؛ رو 2: 11؛ أف 6: 9؛ كو 3: 25). لأن الكل خليقته، والكل يحتاج إلى عنايته الإلهية ومراحمه حتى يتمتعوا بالخلاص. فإن إمكانيات الإنسان أو موكوه لا دخل لها في معاملات الله معه.

❖ يفهم بالرئيس أو الطاغية هنا كل شخص متعجرف، بينما يشير إلى المتواضعين بالمساكين (فقراء). لهذا فإن الله لا يحابي الطاغية عندما يقاوم المسكين، إذ يعلن أنه لا يعرف في الدينونة المتكبرين الذين يضايقون حياة المساكين، كما هو مكتوب: "لا أعرفكم، من أين أنتم" (لو 13: 25). لو أراد، يستطيع أن يهلكه بقوته، إذ خلقه بقوته عندما أراد. لذلك لاق أن يضيف: **لأنهم جميعهم عمل يديه**.

البابا غريغوريوس (الكبير)

بَعْتَهُ يَمُوتُونَ،

وَفِي نَصْفِ اللَّيْلِ يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ،

وَيُؤَوِّعُ الْأَعْوَاءُ (أصحاب القوة) لَا يَبِيدُ [20].

يتحدث هنا عن ثلاثة فئات ليبوز أليهو عدم محاباة الله.

الفئة الأولى: الملوك والأغنياء الذين يعتمدون على السلطان والمال، فيحسبون أكثر أماناً من غوهم. هؤلاء ليس فقط لا يحابيهم الله، وإنما يسمح أحياناً أن يأخذ نفوسهم فجأة الأمر الذي لا يتعرض له الشعب بذات الصورة.

الفئة الثانية: الشعب الأشوار ، فإذ يعتمدون على كثرة عددهم، وحصانة الأسوار، إذا بهم يعانون من المتاعب ويُسحبون من بلادهم، إذ يُسبون في نصف الليل. في نصف الليل ضوب الله أبقار المصريين وهم في طمأنينة يسخرن بشعب الله.

الفئة الثالثة: أصحاب القوة رجال الحرب المعترين بإمكانياتهم العسكرية ، فإنهم أحياناً يُوعون أو يسقطون أسوى من حيث لا يدرون، كما بدون يدٍ. ينهزمون ليس بالفراع البشوي، كما ليس به ينجو الأفوياء الأوار. وكما قيل: "هذه كلمة الوب إلى زربابل، قائلاً: لا بالقوة، ولا بالقوة، بل بروحي، قال رب الجنود" (زك 4: 6). كما قيل: "لن يخلص الملك بكثرة الجيش، الجبار لا ينقذ بعظم القوة. باطل هو الفوس لأجل الخلاص، وبشدة قوته لا ينجي" (مز 33: 16-17).

❖ **ليكن** الله هورجاءكم، قوتكم على الاحتمال، قوتكم. ليكن كفلتكم، تسبيحكم، غايتكم وموضع راحتكم، وعونكم في جهادكم...

الجبار هو الإنسان المتعطرس الذي يرفع نفسه (منتشاماً) على الله، كما لو كان شيئاً في ذاته وما يخصه. مثل هذا الإنسان لا ينجو بقوته الذاتية. الآن، لديه فوس رشيق وقوي، سليم وسويح الخطى، إذا ما حدث هجوم أما يستطيع أن ينجي راكمه من الخطر الملم حق به؟ ليسمع: "خلاص الفوس كاذب"... يؤرم ألا يعدك الفوس بالنجاة...

يمكننا أن نأخذ الفوس رمزاً لأية ممتلكات في هذا العالم، أو لأي نوع من الكرامة نتكل عليها في كوياء، حاسبين خطأ أنكم كلما ارتفعتم يزداد أمانكم وعلوكم. ألا تكون بأي عنف سوف تُلقون، كلما ارتقيتم إلى أعلى يكون سقوطكم بأكثر ثقل... فكيف إذن يتحقق الأمان؟ إنه لا يتحقق بالقوة ولا بالسلطة ولا بالكرامة ولا بالمجد ولا بالفوس.

القديس أغسطينوس

لأنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الْإِنْسَانِ،

وَهُوَ وَى كُلَّ حَضَوَاتِهِ [21].

لا يحتاج الله إلى من يقدم له تقويًا عن شخصٍ ما كما ظن أيوب حين قال: "أبحر أنا أم تتين، حتى جعلت عليّ حرساً" (أي 7: 12). إنما يقول عنه لميا النبي: "الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم" (إر 32: 19)، وأيضاً قيل عنه: "لأن عيني الوب تولان في كل الأرض" (2 أي

9: 16).

كل الأمور مكتشفة أمامه، إذ هو حاضر في كل مكان، يعتني بالكل، يملس البرّ والعدل الإلهي. لا يهرب أحد منه (مز 139: 2-3).

وى القديس يوحنا الذهبي الفم أن أليهو يؤكد عدل الله دون أن يهدف نحو أذية أيوب باتهامات باظلة كما فعل الأصدقاء الثلاثة الآخرون، إذ لم يقل عنه إنه حطم الأمل واليئامى (22: 9). يعرف أليهو كيف يلوم أيوب، دون تقديم اتهامات ضده.

"من السموات نظر الرب، رأى جميع بني البشر. من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض. المصور قلوبهم جميعاً المنتبه إلى كل

أعمالهم" (مز 33: 13-15).

"إذا اختبأ إنسان في أماكن مستورة فما رآه أنا يقول الرب، أما املأ أنا السموات والأرض يقول الرب" (إر 23: 24).

❖ يُحسب الله كمن لا يعرف أعمال الأشرار ، لأنه يؤجل دينونتهم بعدلٍ، فيظهر عظم طول أناته من نحوهم كما بوعٍ من تجاهله لهم. والشير أيضاً في كل مرة يخطئ فيها دون أن يُعاقب يظن أن الله لا واه، نتيجة عدم معاقبته في الحال حسبما يستحق. يحسب أن سلوكه ليس مكروهاً لدى الله... لكن هناك ستسقط عليه العقوبات فجأة، بضويةٍ أبدية. عندئذ سيعرف أن الله واقب كل شيءٍ، إذ يجد نفسه معاقباً بموتٍ غير متوقعٍ كعقابٍ أخروي عن كل إثم...

❖ يدعو " كل خطوات الناس " إما الأعمال المنفصلة التي ننتشل بها، أو النوافع المتتالية لأفكرنا العميقة، إذ هي أشبه بخطوات بها ننفصل عن الرب، أو نقرب إليه بالقداسة. فإن العقل يقرب كما بخطوات (وجات) كثرة من الله متى تقدم في عواطف كثرة مقدسة. مرة أخرى ننفصل عنه خلال أفكار شروية كثرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا ظَلَمَ وَلَا ظَلَّ مَوْتِ،

حَيْثُ تَخْتَفِي عَمَّا لَ الْإِثْمِ [22].

عادة يود المجرم أن يختفي عن الأنظار. يقول أليهو إنه لا يوجد هنا كهف مظلم يختفي فيه الأشرار من عيني الله، وليس في العالم الآخر ظلمة عميقة يهربون إليها من وجهه. يمكن للإنسان أن يختفي من وجهه الإنسان أخيه حتى لا يفضح أمره، أما بالنسبة لله، فكل شيءٍ مكشوف سواء في هذا العالم أو في يوم الرب العظيم. توجد عين خفية ترى الأشرار، ويد قوية تسحبهم للخاء.

"ظل الموت" يشير إلى الظلمة الكثيفة (عا 9: 2-3؛ مز 139: 12).

❖ ماذا يعني بالظلام إلا الجهل، وبظل الموت إلا النسيان. فيقال عن جهل أشخاص معينين: "إذ هم مظلمو الفكر" (أف 4: 18). مرة أخرى عن النسيان الذي يحل بنا عند الموت قيل: "في ذلك اليوم تهلك كل أفكاره" (مز 146: 4). فكل ما يفكر فيه أثناء حياته يُسلم إلى النسيان بالموت، النسيان هو نوع من ظل الموت، فكما أن حلول الموت يضع نهاية لأعمال الحياة، هكذا حلول النسيان يحطم ما في الذاكرة... لا يختفي أحد من دينونة (الله)، لهذا يستحيل بالنسبة له ألا يرى ما نحن نفعله، أو ينسى ما واه... إنها سمة الطبيعة الإلهية وحدها ألا تعاني من ظلال الجهل أو التغيير... إذ لا يتغير النور الأبدي في إشواقه الذي هو الله نفسه، وى بنظرةٍ ثابتةٍ، ولا يجهل ما هو مخفي، إذ يخترق كل الأشياء، ولا ينسى ما يخترقه إذ هو غير متغير...

عندما نظن أننا لا نرى، نحفظ أعيننا مغلقة أمام نور الشمس، بمعنى نحجبه عنا، ولا نحجب أنفسنا عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنَّهُ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانَ زَمَانًا،

لِلدُّخُولِ فِي الْمَحَاكِمَةِ مَعَ اللَّهِ [23].

وى البعض أن المعنى هنا: الله لا يدعو الإنسان مرة أخرى للمحاكمة، لا ينظر في قضية مرتين، فإن أحكامه عادلة لا تحتاج إلى استئناف؛

يصدر الحكم وليس من يستأنف للرافعة من جديد.

ويؤجما البعض: "هوذا، لا يودع إنسان لمجيئه للمحاكمة مع الله". زمن الإنسان ليس في يده، ولا نصيبه يتحقق بحكمته وقوته. عندما يرى الله أن الوقت مناسب يُحاكم الإنسان.

يُحَطَّمُ الْأَجْرَاءُ مِنْ دُونِ فَحْصٍ،
وَيُقِيمُ آخِرِينَ مَكَانَهُمْ [24].

إنه يسحق من يظنون أنهم عظماء ويحطمهم، فهو لا يبالي بثرواتهم الضخمة، ومكانتهم في المجتمع، وكثرة عددهم.

"من دون فحص"، أي لا يحتاج الله إلى إجراءات طويلة لفحص الأمور والتأكد منها. إنه يقضي للحال، وبطريقة مباشرة، ويزوع الأثوار، ويقدم من يحتل أماكنهم.

في حالات كثرة يضغط الله على المنكرين المعتدين بأنفسهم، ويرفع المتواضعين والودعاء.

❖ " سيحطم الكثيرين بلا عدد، ويقدم آخرين مكانهم" [24]. هذا حدث يومي، لكن لأن نهاية الوقيين (الأوار والأثوار) لم تُتظر بعد، لذلك فإن الرهبة أقل. فإن الأثوار لن يعرفوا أخطاءهم إلا عندما يسقطون تحت العقوبة... بفحص قلوب البشر فإدى أو وضعها تحت العدالة والرحمة، يطرد البعض إلى الخرج، ويقود آخرين إلى الداخل. هؤلاء الآخرون يوحى إليهم بطلب المباحج الداخلية، ويتوك الأولين يوثون الملمات الخرجية. يرفع عقول البعض نحو السماويات ويهوي بكبرياء الآخرين إلى أسافل الملمات... إنه يطرد الواحد بخرم، ويجذب الآخر وحمته...

حسناً قيل بالنبي: "يضع الأثوار إلى الأرض" (مز 147: 6). فإنهم إذ يفقدون السماويات، كل ما يعطشون إليه هو أرضي، وكل ما يسعون إليه ويبدو لهم أعظم، إذ بهم يطلبون ما هو أقل في القيمة.

حسناً قيل عنهم بلميا: "الحائون عنك في الزاب يُكتبون" (راجع إر 17: 13). بينما من الجانب الآخر قيل عن المختلين: "أفوا بالحوي أن أسماءكم كُتبت في السموات" (لو 1: 2)

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ،

وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلًا، فَيُنْسَحِقُونَ [25].

يعرف الله أعمالهم، وما يخطونه دون حاجة إلى فحص؛ فيهبهم الكثير من الفوص لعلمهم رجوعن على الشر، وفي ليلة واحدة يحطمهم. من الأمثلة الواضحة في العهد القديم ما حدث مع كل شعبه حيث مات كل الأكار في ليلة واحدة، وأيضاً بلشاصر ملك بابل (دا 5: 30). "يقلبهم ليلاً": الترجمة الحرفية "يقلب الليل". أي يقلبه عليهم، فتحل كلثة خطوة بهم لا يتوقعونها. كثراً ما تُشير كلمة "ليل" إلى كلثة غير متوقعة، ويصعب مواجهتها.

❖ يُفهم على وجه الخصوص أن كل شوير يُسحق بالليل بطريقتين: إما عندما يُضرب بعذاب العقوبة من الخرج، أو عندما يُصاب بحكم عندما يفقد إلى الأبد نور الحياة بالدينونة النهائية. كما هو مكتوب: "ربطوا رجليه ويديه وخنوه واطحوه في الظلمة الخرجية" (مت 22: 13). عندئذ يُرسل بالقوة إلى الظلمة الخرجية، إذ بلادته صار أعمى بالظلمة الداخلية...

كل خطية لا تُمحي بالندامة سريعاً، إما أنها خطية وعة لخطية، أو خطية وعقوبة عن خطية.

الخطية التي لا تغسلها الندامة هراً تقود إلى خطية أخرى بتقلها. فهي ليست فقط خطية، وإنما بالإضافة إلى ذلك هي علة خطية.

هذه الخطية يتبعها إثرلة أخطاء، حيث ينقاد العقل الأعمى إلى المعاناة من العبودية من خطية إلى خطية أخرى، أما الخطية التي تقوم من خطية

لا تعود بعد خطية فقط، وإنما تصير خطية مُضاف إليها عقوبة خطية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِكونِهِمْ أَشْرَارًا،

يَصْنَعُهُمْ فِي مَوَآئِ النَّاطِرِينَ [26].

غالبًا ما يُريد الأشرار أن يختفوا عن الأنظار كما في الظلمة، لأن أعمالهم ظلمة لا تطيق النور، لهذا يؤدبهم الرب علانية لكي يتعوا ويتركوا عزهم عن الهروب من العدالة الإلهية، ولكي يصيروا درسًا عمليًا للغير فلا يتشبهون بهم.

لعل أليهو كان يركز أنظره على ما حلَّ بأيوب من نكبات علانية.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن الناظرين هم الأتقياء الذين يقفون كشهودٍ على الأشرار في يوم الدينونة.

❖ " لكونهم أشورًا يصفقهم في موائ الناظرين " (34: 26) ...

يدعو الكتاب المقدس غير المؤمنين علي وجه الخصوص أشورًا. لأن الخطاة يُميزون عن الأشرار بهذا الفرق: كل شوير هو خاطي، ولكن ليس كل خاطي هو شوير. فإنه حتى الإنسان التقي في الإيمان يمكن أن يكون خاطئًا. يقول يوحنا: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (1 يو 1: 8). لكن بحق يُقال عن الإنسان إنه شوير إن كان متغويًا عن قداسة الدين... هنوء سلام الكنيسة نفسه يحجب الكثيرون تحت الاسم المسيحي ويكتفهم وباء شهم. ولكن متى ضُربوا بنسمة خفيفة من الاضطهاد، يكتسحهم للحال كالقش من الجرن.

وغب بعض الأشخاص في حمل علامة الدعوة المسيحية، لأن اسم المسيح قد ارتفع عاليًا، فيتطلع الكل تقويًا في أن يظهروا كمؤمنين. إذ يرون الآخرين يُدعون هكذا يخجلون من أن يظهروا غير مؤمنين، لكنهم يهملون أن يصيروا إلى ما يفتخرون بدعوته... يحتفظ البعض بالإيمان في داخل قلوبهم، لكنهم لا يبالون بالسلوك في الحياة بأمانة... إذ يتجاهلون الحياة الدقيقة يسقطون في عدم الإيمان دون أن يضطهدهم أحد... هؤلاء مخفيون عن أعين البشر لكنهم مكشوفون في بصوة الله.

كثيرون يموتون غير مؤمنين وهم مقيمون في الإيمان نفسه. بحق قيل: " لكونهم أشورًا يصفقهم في موائ الناظرين " (34: 26). إذ يُظهرون أنفسهم أمام الناس في الكنيسة كأشخاص أتقياء، لكن إذ لا يقرون أن يهروا من الأحكام الإلهية، يُضربون كأشرار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأنَّهُمْ انصَوَفُوا مِنْ ورائِهِ،

وَكُلُّ طَرُقِهِ لَمْ يَتَأَمَّلُوها [27].

يقدم تفسيرا لتأديبهم علانية، ألا وهو تركهم لله القنوس خفية، في داخل قلوبهم وأفكلهم كما في سلوكهم السوي، ولم يقبلوا طريق الرب، أي لم يحفظوا وصاياه ولا وضعوا اعتبارًا لله نفسه في حياتهم.

❖ " لأنهم انصوفوا من ورائه، وكل طرقة لم يتأملوها [27]. ما سيحل بالأشرار في يوم الدينونة سوه هورجوعهم عن الله، أو انصوفهم من ورائه، وعدم مبالاتهم بطوقه الإلهية.

❖ " الذين انصوفوا عنه، كما عن عمدٍ ". يليق بنا أن نفهم أن الخطية تُرتكب بثلاث طرق: إما بسبب الجهل أو الضعف أو عن عمدٍ.

تصير خطيتنا أخطر إن كانت عن ضعفٍ وليس عن جهلٍ، لكن الخطر يكون أعظم إن كانت عن عمدٍ وليس عن ضعفٍ.

أخطأ بولس عن جهلٍ حين قال: "أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً، ولكنني رحمت لأني فعلت بجهلٍ في عدم إيمانٍ" (1 تي 1: 13).

أخطأ بطرس عن ضعفٍ عندما هزت كلمة الجلية قوة الإيمان الذي تحدث عنه مع الرب، وعندما أنكر بصوته الرب الذي تمسك به في قلبه

(مت 26: 69).

لكنهم أخطأوا عن عمد هؤلاء الذين قال عنهم السيد نفسه: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15: 22). أن تخطيء عمداً يعني أنك لا تحب الصلاح ولا تفعله. لذلك أحياناً يكون الجرم أثقل أن تحب الخطية عن أن تملسها. وبالمثل فإن الخطية أعظم أن تكره البر عن ألا تفعله. لذلك يوجد البعض في الكنيسة من هم بعيون عن الصلاح بل ويضطهدونه، وأيضاً من يكرهون في الآخرين ما يملسونه هم في إهمال.

❖ " ولا يريدون أن يفهموا أي طريق من طرقه". لا يقول إنهم لا يفهمون عن ضعف، وإنما لا يريدون أن يفهموا ، لأن الناس غالباً ما يحتقرون معرفة الأمور التي يفتخرون جداً أنهم يفعلونها... إذ يحسبون جهلهم لها يهبهم حصانة من جهة خطاياهم... أن تفهم طرق الرب هو أن تحتل بواضع الأمور الرائلة (من ضيقات) وتنتظر بثبات الأمور الباقية (الأبديات).

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَتَّى بَلَّغُوا إِلَيْهِ صَوَاخَ الْمَسْكِينِ،

فَسَمِعَ زَعَقَةَ الْبَائِسِينَ [28].

بتوكهم طريق الرب ورفضهم وصاياه، فتحرو الطريق لصوخت المساكين الذين ظلموهم أن تصعد إلى الرب، وصوخت البائسين (الخواني) أن تبلغ إليه. بمعنى آخر، إذ يرفض الشير طريق الرب ويسد أذنيه عن سماع الوصية الإلهية في حياته العملية، يسبب خسلة ومولة لإخوته، فتصعد صوختهم إلى السماء وتبلغ أذني الله.

ليس من أمر موعب في المحكمة السماوية من قسوة قلب الإنسان على أخيه بسبب رفضه وصية الحب الإلهي. فإنه وإن صلى إلى الله يسد أذنيه حتى يفتح الإنسان أذنيه لمن أقرنهم وضايقهم. فإن دموع المتألمين وتتهداتهم تسبق وتشتكي الأثوار الظالمين.

❖ " حتى يبلغ إليه صواخ المحتاجين، ويسمع صوت الفقراء" [28]. إذ يفتخر هؤلاء (الأثوار)، بصوخ الذين يضغطون عليهم إلى الله، أو بالتأكد تعني أنهم يسببون أن يبلغ صواخ المساكين إلى الله... هذا أيضاً يشير إلى قادة الكنيسة، الذين يتوقفون على عمل الكورة، وينشغلون بالاهتمامات العالمية. يتوكون الإلوات الخاصة بالكورة. إنهم بهذا يؤمنون القطيع الذي تحتهم أن يندفعوا إلى الشكوى متمدنين. كل من الذين تحتهم يشتكى، كما بعدل، من سلوك الراعي المزيف، متسائلاً: لماذا يحتل مكان المعلم من لا يملس العمل؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِذَا هُوَ سَكَنَ فَمَنْ يَشْعَبُ؟

وَإِذَا حَجَبَ وَجْهَهُ فَمَنْ وَاهُ،

سَوَاءَ كَانَ عَلَى أُمَّةٍ أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ؟ [29]

يقول أليهو: "إذ يسمع الله أنات الشعب وتتهدات الإنسان المتألم، يقدمراحة أو تغوية أورخاء للمساكين المتألمين المظلومين، عندئذ من يجسر ليسبب لهم شغباً أو متاعب؟" يريد أليهو أن يؤكد أن كل الأمور تحت سلطانه، يسمع لصوت المتألمين ويعمل، ولا يقدر الأثوار بكل إمكانياتهم وسلطانهم أن يلمسوهم!

وَإِذَا حَجَبَ وَجْهَهُ" تعبير كتابي يشير إلى حلول كلرته، كأنها تعلن عن حجب الله وجهه عن الإنسان، فليس من يقدر أن واه، أي يهتم به و يرفع عنه الكلرته التي حلت به، ويهبه سلاماً ومسوة.

كأن أليهو يدعو أيوب أن ورجع إلى الله، فهو وحده متى وهبه تغوية إلهية وسلاماً داخلياً لا تقدر التجرب ولا مضايقات الناس أن تؤذيه. أما إذا لم يرجع إلى الله، فسيحجب وجهه عنه، ولا تقدر كل وجه الناس أن تتطلع إليه وتهبه راحة.

هذا المبدأ، أن سرراحة الإنسان في يد الله لا الناس، ينطبق على الشعب ككل، كما على الشخص بمفرده.

إن بررنا الله بحبه لا يقدر أحد أن يديننا، وإن غضب علينا لا يقدر أحد أن يهينا سلامًا! إذن فلننعم بالسلام الكامل بأن نتركز أعماقنا على الله مصدر السلام ومفوح القلوب (أم 16: 7؛ إش 26: 3).

❖ " عندما يعطي سلامًا، فمن يدين؟ وإذا حجب وجهه فمن واه؟" [29] ... هذا أيضًا يقوله عندما يعطي العاملين في الكرم أجرتهم... "أما انفتحت معي على دينار...؟ فإني لريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أو ما يحلّ لي أن أفعل ما لريد بمالي؟" (اجع مت 20: 13-15)...

" سواء كان على أمة أو على إنسانٍ ... تُعرض الأحكام الإلهية بنفس الكيفية بخصوص نفسٍ واحدةٍ أو مدينةٍ واحدةٍ، وأيضًا بخصوص مدينةٍ واحدةٍ أو أمةٍ واحدةٍ، وأيضًا بنفس الكيفية سواء بخصوص الجنس البشري. يهتم الرب بأشخاصٍ معينين بنفس الكيفية كما يهتم بالعالم كله. مرة أخرى، يوجه اهتمامه نحو الكل في نفس الوقت كما لو كان غير مهتمٍ بالأفراد. فإن ذلك الذي يملأ كل الأشياء بتدبوره يملأ الكل. وعندما يهتم بشيءٍ واحدٍ وحده، فهو في نفس الوقت حاضر في الكل. مرة أخرى وهو يدبر العالم كله، هو حاضر مع كل فردٍ في الواقع إنه يعمل كل شيءٍ بقوة طبيعته دون أن يتحرك. ما هو عجيب أنه وهو منكب على شيءٍ ما، لا يُحد به، الذي يعمل حتى وهو في الراحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَتَّى لَا يَمْلِكَ الْفَاجِرُ (الروائي)،

وَلَا يَكُونُ شَرَكًا لِلشَّعْبِ [30].

كل أمور البشورية في يد الله، تحت رعايته الفائقة، حتى لا يملك الشرير الروائي فيتسلط على إخوته، ويظن أنه صاحب سلطان لا يُقاوم، ليس من يقدر أن يودعه أو يصدّه عن ظلمه لهم. ولئلا يصير هذا الشرير فخًا يسقط فيه الشعب، حيث يشعرون كأن الله لا يبالي بالظلم الحال بهم.

هكذا يليق بالقيادة -على كل المستويات- أن يبركوا أنهم وإن نالوا سلطانًا، فإله فوق الكل، ضابط الجميع. يقول المونثل: "لأنه لا تستقر عصا الأثوار على نصيب الصديقين، لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم" (مز 125: 3).

❖ " الذي يجعل الروائي يملك من أجل خطايا الشعب" [30] .[لم ترد اليهودية أن يملك عليها الملك الحقيقي، لذلك جاءت بواء يملك عليها كما يليق باستحقاقها. كما يقول الحق نفسه في الإنجيل: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه" (يو 5: 43). يقول بولس: "لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سوسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب" (2 تس 2: 10، 11).

بقوله: " الذي يجعل الروائي يملك من أجل خطايا الشعب "ربما يعني ضد المسيح ، رئيس كل الروائين. فإن المخادع يتظاهر بالقداسة لكي يجذب البشر إلى الشر...

يملك ضد المسيح هذا على الأثوار، لا بسبب ظلم الديان، وإنما بسبب خطية من يؤمنون على تحمل العقوبة. بالرغم من أن أغلبهم لا يرون قوته المتسلطة، إلا أنهم يُستعبدون له، بسبب الحال الذي بلغوه بخطاياهم. إنهم بلا شك يكرمونه بحياتهم الثبوة، هؤلاء الذين لا يرون استبداده لهم. أليس هؤلاء هم أعضاء الذين يطلبون بإظهارهم القداسة ما هم ليسوا عليه؟... إذ مكتوب: "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو 8: 34). فإنهم بقدر ما يرتكبون الخطايا برادتهم هذه التي يشتهونها، ينحنون لخدمة (ضد المسيح) مُستعبدين له.

ليت من يعاني من حاكمٍ كهذا لا يلوم الحاكم الشرير... إنما يلوم أفعاله الثبوة لا ظلم حاكمه. مكتوب: "أنا أعطيتك ملكًا بغضبي" (هو 13: 11).

إذن لماذا نسخر بمن يُقام حاكمًا علينا، هذا الذي تسلم سلطانه من غضب الله؟ إن قبلنا حكامًا حسب استحقاقاتنا من سخط الله، نستدل من سلوكهم على ما عليه حالنا حقيقة!... سمات الحكام تُعيّن حسب استحقاقات الخاضعين لهم. حتى أولئك الذين يظهرون كأنهم صالحون يتغيرون بالقوة التي يقبلونها. لاحظ الكتاب المقدس! شاول نفسه تغيّر قلبه مع كرامته مكتوب: "إذ كنت صغورًا في عينيك صوت رأس أسباط إسرائيل" (1 صم 15: 17).

يتشكل سلوك الحكام حسب سمات الخاضعين لهم، فإن سلوك حتى الراعي الصالح يصير شرورًا بسبب شر قطيعه.

يتشكل سلوك الحكام حسب سمات الخاضعين لهم، فإن سلوك حتى الراعي الصالح يصير شرورًا بسبب شر قطيعه.

يتشكل سلوك الحكام حسب سمات الخاضعين لهم، فإن سلوك حتى الراعي الصالح يصير شرورًا بسبب شر قطيعه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يُنوى الأثوار بورة كزوانٍ خفيفٍ، أما الأوار فيخلصون كحنطةٍ ثقيلةٍ. لذلك لاحظوا ما يقوله الرب لبطوس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلكم لكي لا يفنى إيمانكم" (لو 22: 31). الذين يُدرون مثل زوانٍ يهلكون، أما الذي لا يهلك فهو مثل البزة التي تسقط وتتمو وتريد وتأتي بثمرٍ كثيرٍ (لو 8: 8)... يُشبه الشر بالعصافة التي تحرق سويحاً وتصير زاباً. [1302]

القديس أمبروسيوس

❖ هنا نواء مرضكم: "لا تَغِر من الرجل الذي يزدهر في طريقه". نعم إنه مزدهر، لكن في طريقه هو. أما أنت ففتعب، ولكن في طريق الله. إنه في رحلته يسافر باستهتار، لكن إلى أين يذهب؟

لو أن المسيح وعذك بخوات هذا العالم، لكان لك أن تغضب، لأن غير المؤمن في فيض في طوقه.

بماذا وعذك؟ بالسعادة الأبدية عندما يقوم الأموات، وأما في هذه الحياة فوعذك بنصيبه. أكرر، نصيبه هو الطريق الذي سلكه. هل تحتقر ما سلكه

سيّدك، وأنت عبد وتلميذ؟ لقد سمعت أنه ليس عبد أفضل من سيّده، فإنه تألم! الأمر الذي لا يستحقه ذلك البار، فمماذا تستحق يا أيها الخاطي؟ [1303]

❖ لأنه لا تستقر عصا الأثوار على نصيب الصديقين لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم" (مز 125: 3). في الوقت الحاضر يتألم الأوار إلى حدٍ ما، وفي الحاضر يطغى الأثوار أحياناً على الأوار، بأية طرق؟ أحياناً يبلغ الأثوار إلى الكوامات الزمنية، وإذ يبلغون إليها، ويصيرون قضاة أو ملوكاً، يسمح الله بذلك لتأديب قطيعه، لتأديب شعبه، هنا يؤم إظهار الكرامة التي تليق بهم... وأحياناً يوجد أصحاب سلطان صالحون ويخشون الله، وبعضهم ليس فيهم مخافة الله.

كان يوليانيوس إمواطوراً كافراً، مرتدّاً وشروياً وعايداً أوثان. وكان الجنود المسيحيون يخدمون إمواطوراً كافراً.... متى دعاهم لعبادة الأصنام

وتقديم البخور لها كانوا يشيرون إلى الله، ولكن عندما كان يأوهم أن ينتشروا في خطوط الجنود، ويتحركون ضد هذه الأمة أو تلك كانوا في الحال

يطيعون. كانوا يميزون بين سيدهم الأبدي، وسيدهم الزماني، ومن أجل سيدهم الأبدي كانوا يخضعون للزماني. لكن هل يحمل الأثوار على النوام سلطاناً

على الأوار؟ إن عصا الأثوار تبقى إلى حين على نصيب الأوار، لكن لن تدم إلى الأبد. سيأتي وقت حين يظهر المسيح في مجده ويجمع كل الأمم

[1304] أمامه.

القديس أغسطينوس

4. كيف نتحدث مع الله

وَلَكِنْ هَلْ لَلَّه قَال:

اِحْتَمَلْتُ، لَا أَعُودُ أُفْسِدُ [31].

يطالبه أليهو أن يرجع إلى الله، وبروح التوبة يقول: احتملت التأديب، لا أعود أخطئ بعد!

جاءت الخاتمة تحمل عنفاً أكثر من كل أحاديث الأصدقاء الثلاثة، لكن يبدو أن نية أليهو وغيروته الصادقة هي التي ميّرتهم، إذ لم يحمل

معهم حسدهم.

يترجمها البعض: "بالتأكيد يليق أن يُقال لله: لقد تأديبت، لا أعود أعصي". هكذا يطالبه أليهو أن يسلك بروح التواضع أمام الله.

يليق بالإنسان المتألم أن يتعدى حدود الألم ليلتقي بالله بروح التواضع والفهم، في غير تذمرٍ أو شكويٍّ، موكراً أن وراء الألم خطة إلهية لبنينانه.

قدم له حقيقة عامة، أنه يليق بالمتألم أن يتعرف على خطة الله من نحوه.

"احتملت": وى البعض أن الكلمة العبرية هنا تعني "تبت" أو "تأديب"، فلا أعود أصنع فساداً. بهذا تكون الآلام طويلاً لمواجهة النفس وطلب

بالفعل قال أيوب هكذا لله (أي 40: 3-5؛ مي 7: 9؛ لا 26: 41).

مَا لَمْ أَبْصُرْهُ فَلَرْنِيهِ أَنْتَ.

إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ إِثْمًا،

فَلَا أَعُودُ أَفْعَلُهُ؟ [32]

يقدم لنا أليهو صورة رائعة للتوبة، وفي نفس الوقت يبرز ما في داخله من جهة أيوب.

لم يكن أيوب كما سبق فقال له أصدقؤه إنه ورائي يغطي على خطاياہ بالشكليات الخادعة، ويخفي شروره الدفينة بمظاهر العطاء والخدمة وإنما يقول له: "توجد في حياتك - كما في حياة كل مؤمن - خطايا خفية عن عينيك، تملسها لا رادياً، لا تقدر أن تراها أو تتركها أطلب من الله فيكشفها لك".

الله يعلم شعبه (أي 10: 2)، مقدماً لهم معرفة داخلية حتى لأخطائهم التي لم يبركوها أن جاوا إليه نادمين (مز 32: 8؛ 19: 12؛ 139:

24-23).

يليق بالمؤمن أن يضع في قلبه أنه إن كشف الرب له عن خطاياہ لا يعود بعد إليها (أم 28: 13؛ أف 4: 22).

هَلْ كَوَأَيْكَ يُجَازِيهِ قَائِلًا:

لَأَنْتَ رَفَضْتِ، فَأَنْتِ تَخْتَارُ لَا أَنَا.

وَبِمَا تَعْرِفُهُ تَكَلَّمْ؟ [33]

جاء هذا النص غامضاً، لذا تباينت التفسير. وى البعض أن الله سيجلي على العمل سواء قبلَ الشخص ذلك أو رفض، وأن الله لا يتصرف

حسب وجهة نظر الإنسان، إنما حسبما وى هو أنه حق ونافع، فلا يتوقع الإنسان أن الله يستشير البشر ويتصرف حسب آرائهم أو مشاعرهم.

كأن الإنسان يقول لله: لتعمل أنت يا الله حسبما ترى؛ أنت الذي تختار وتأخذ وليس أنا، تعمل وتتكلم حسبما تعرف أنت. أما أنا فمن جانبي أتق

في قوراتك وأخضع لخطتك.

نَوُو الْأَبْيَابِ يَقُولُونَ لِي،

بَلِ الرَّجُلِ الْحَكِيمِ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ: [34]

يود أليهو أن يدخل في حوارٍ مع أناسٍ ذي فهمٍ وحكمةٍ، لأنه يود أن يجد من يسمع له ويؤمن أهواله، ويُعَيِّمها.

إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلَا مَعْرِفَةٍ،

وَكَلَامُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ [35].

وى أليهو في أيوب أنه قد التزم الصمت، فحسبه جامد في فكه، يتمسك برأده وبذاته، فلا نفع مع الحديث معه. حسبه كمن هو بلا معرفة ولا

حكمة.

فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْعَايَةِ،

مِنْ أَجْلِ أَجْوِبَتِهِ كَأَهْلِ الْإِثْمِ [36].

يود أليهو أن يُقدم أيوب لمحاكمة عادلة، فتمتحن أهواله ومفاهيمه، فقد قدم إجاباته على أهل الإثم (أصدقائه)، ويؤرمه تصحيح ما قاله.

لَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيئَتِهِ مَعْصِيَةً.

يُصَفِّقُ بَيْنَنَا،

وَيُكْثِرُ كَلِمَةً عَلَى اللَّهِ [37].

بجانب خطاياها السابقة، أضاف خطية أخطر أثناء حواره، ألا وهي خطية الشكوى مع التذمر على الله. فإن كان الله سمح له بالتأديب عن خطاياها، كان يؤممه ألا يتذمر حتى وإن أنزله أصدقؤه باتهامات ظالمة وعنيفة.

"التصفيق"، إما علامة على الاستحسان والنصوة أو على السخط والضيق (عد 24: 10) أو للسخرية (أي 27: 23). يبدو أنه يتحدث هنا عن التصفيق كرمزٍ للاستخفاف والسخرية على مفاهيم أصدقائه. كأن أيوب - عوض بواسطة الأمور بطريقة موضوعية - بروح هادئة ورغبة في التعرف على الحق والانتفاع منه، كان كل ما يشغله هو الاستخفاف بأصدقائه الذين يتهمونهم ظلمًا.

"ويكثر كلامه على الله": عوض الالتجاء إلى الله لمساندته نسب الله الظلم، واستقرس في ذلك.

من وحي أيوب 34

هب لي روح التمييز!

- ❖ هب لي من عندك روح التمييز، يا حكمة الله.
فأمتحن بروحك كل فكرٍ وكل كلمةٍ وكل تصرفٍ.
أمتحن كلماتي، فلا تخرج كلمة بطالة.
أمتحن ما أنصت إليه، فلا أفسد وقتي بكلمات بطالة.
أسمع صوتك في كل شيءٍ، في إنجيلك المقدس، وفي الطبيعة الجميلة،
وفي الأحداث الماضية والحاضرة.
- ❖ بك أختبر الفضيلة وأتلذذ بها. بك لا أطيق الشر، ولا أحلوه.
لا تدعني حكمة العالم الغاشة ولا تحركني رياح الفلسفة الباطلة.
لأتنوق حكمتك وحبك ورعايتك طول النهار،
فتتهل نفسي حتى وسط لهيب التجرب.
- ❖ هب لي روح التمييز، فلا يخدعني مديح الناس،
ولا يحطمني نقدهم اللاذع.
إنما أتعرف بك على الحق الإلهي وأعيشه!
أسمع صوتك في أعماقي، كما في كنيستك!
أتمتع بك وسط أبنائك!
- ❖ هب لي روح التمييز، فلهب بكلمتك النقية وأتمسك بها،
أنصت إليك خلال خدامك، وأرفض صوت المخادعين.
أصير بك صواغًا ماهرًا، أميز العملات الحقيقية من المزيفة!
- ❖ هب لي روح التمييز، فأدرك أنه ليس أحد كإلهي،

بك أكون كاملاً ومقدساً!

بك أشتهي أن يلتصق العالم كله برك.

فتصير البشوية كاملة وصالحة فيك!

❖ هب لي روح التمييز، ففي وسط الضيق، وفي مودة نفسي،

لا أظن أن البر لا ينفع صاحبه،

ولا أن الشر لا يضر مرتكبه.

لا أتساءل: أين هي عنايتك بمؤمنيك؟

ولا أن الأمور بمولزين بشوية زمنية.

إنما أثق في حبك ورعايتك وعدلك.

لأنتظر، فغداً تتكشف أسوار حكمتك!

❖ بحلوك في قلبي، يتسع ليضم بالحب كل إنسان.

يتسع، فلا يضيق أمام أية محنة. وتحول كل المحن لخوي.

أترك سرّ حبك وراء كل ضيقة!

وسط الآلام تتهلل نفسي بك، وتتغنى دوماً برك!

لن تضطرب نفسي لقسوة الأشرار عليّ،

ولا أخشى عصا الخطاة، فإنها لن تستقر عليّ.

أشهد لوك، يا من لا تحابي الوجه!

❖ أراك أباً تتوفق بي كابن لك.

لا تنسى كأس ماء برد، أقدمه باسمك.

رأى الشرور تعبر سريعاً،

وتتهلل نفسي بيديك، وهما تمسحان دموعي.

❖ هب لي روح التمييز،

فأورك رعايتك لي، أنا خليقتك.

إن كان الإنسان لا يحتمل إهانة تصيب الخاضعين له،

أفلا تهتم بي أنا خليقتك وصنع يديك؟

وحمّتك ووجدتني أيها القدير، الأب العجيب،

فكيف لا زعاني بحبك؟!

وهبنتي الحياة بنسمة فيك،

فكم أنا عزيز لديك جداً؟!

أما تفتح أحضانك الأبوية لي؟

- ❖ خلقتني من العدم، فأنا صنعة يديك.
أحببتني فخلقتني، وفديتني بدمك الثمين مجاناً،
فهل تترك الظلم يحل بي، يا أيها المحب للبشر؟
- ❖ ليعد جسدي إلى التواب الذي خُلق منه،
لكن ألا تعود روحي إليك، إذ هي نسمة من فمك؟!
حملت جسدي بتجسدك،
فعاد إليّ الرجاء أنني لا أهلك.
أترقب يوم قيامتي، فيتمجد جسدي مع روحي!
- ❖ روحك يحملني من مجدٍ إلى مجدٍ،
برفعني من العزلة والتواب، وينطلق بي إلى السماء!
فماذا يمكن لأحداث العالم أن تفعل بي؟!!
- ❖ هب لي روح التمييز،
فأترك أنه ليس عندك محاباة!
لن تحابي غنيًا بسبب غناه أو سلطانه.
ولن تحابي شعبًا بسبب كثرة عدده.
ولن تحابي جيشًا بسبب إمكانياته العسكرية.
إنما تهتم بكل إنسانٍ، كأنه ليس أحد سواه على الأرض.
وتهتم بالكل دون تمييز أو تحيز!
- ❖ عيناك واقبان كل إنسانٍ، لا لتهلكه بل لتخلصه.
عيناك تتظران ما في الفكر والقلب.
لست في حاجة إلى شهادة أحدٍ،
فكل شيءٍ مكشوف أمامك!
- ❖ في حبك لا تريد هلاك أحدٍ،
لكن في عمدٍ أصرّ الأثوار أن ينصرفوا عنك.
تركوك واستهانوا بوصيتك.
فملك الشر على قلوبهم.
صار العنف دستورهم،
وأصيبت آذانهم بالصمم،
فلا تسمع لصرخات المساكين المظلومين.
لكنك تبقى تسمع أنات القلوب الداخلية.

تُرفعهم وتُسندهم وتمجدهم!

❖ ليس من إنسان يقدر أن يهين رئيسًا أو ملكًا؟

فمن يجسر أن يدين خطتك الإلهية؟

أنت ملك الملوك! أنت رب الأرباب!

عينك على طرق كل البشرية. تتطلعان حتى إلى ما في قلوبنا وأفكرنا.

كأن لا عمل لك سوى الاهتمام بيني البشر.

تريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفتك يقبلون!

❖ ليقم العالم ضدي، فإن خالقه يضمني.

ليهج الأثوار بكل طاقتهم. تخرج روحهم ويعودون إلى آباءهم.

يسخرون بي، فيصيرون منظراً ومثلاً وهؤلاء!

انصرفوا عنك بقلوبهم القاسية، ففقوا حياتهم ومجدهم!

❖ سخروا بصرخات البائسين،

ولم يدركوا أنك تستمع لأنين قلوبهم.

حجوا وجوههم عن المظلومين،

ولم يدركوا أنك تتطلع بنفسك إليهم.

ظنوا في المساكين زوانًا يحترق،

ولم يدركوا أنك تجعلهم ذهبًا مصفى بالنار.

❖ هب لي روح التمييز، فأترك أسوار خطتك،

وأتعلم كيف أحلورك، وأميز بين السماويات والأرضيات.

وأنتطلق إليك، وأتمتع بك في داخلي.

❖ أخوًا علمني وربني،

فأتعلم بروح التمييز كيف أتحدث معك!

⇐

الْأَصْحَاحُ الْخَامِسُ وَالْثَلَاثُونَ

حديث أليهو الثالث

الصلاة غير المستجابة

هذا هو الحديث الثالث لأليهو، الأول وجهه إلى أيوب بصفة خاصة، والثاني إلى أصدقائه مع أيوب، وكان ينتظر أن يتكلم أيوب. وإذ لم يتكلم

أيوب تحدث إليه معالجًا الأمور التالية:

ولاً : ظن في أيوب أنه في وسط ضيقته تشكك في الانتفاع بالسلوك بالبرّ والامتناع عن الشر، كأن البرّ لا يفيد العوء، ولا الخطية تضوه.

ثانياً : أكد أن الله ليس في حاجة إلى صلاح الإنسان، كما لا يضوه شيء من شورنا.

ثالثاً : يسمح الله بعدم التدخل السريع وسط ضيقتنا، لأننا عوض الصواخ إليه ببتلعنا الضيق، ويحصر نفوسنا. وكأنه ينتظر تحويل بصيرتنا من الضيق إليه شخصياً.

رابعاً : قد نصح إلى الله ولا يستجيب، لأننا حتى في صواخنا لا نحمل روح التواضع والخضوع، وإنما روح التذمر.

1. أيوب يظن أنه أبرّ من الله 2-1.
2. هل البرّ لا ينفع والشر لا يضر؟ 6-3.
3. الله في غير حاجة إلى برنا 9-7.
4. لنصوخ إلى الله وسط الضيق 11-10.
5. لنصوخ في تواضع بلا تذمر 16-12.

1. أيوب يظن أنه أبرّ من الله

وَقَالَ إِلَهُو:

أَتَحْسَبُ هَذَا حَقًّا؟

قُلْتُ: أَنَا أَبْرُّ مِنَ اللَّهِ [1-2].

يوجه إليه حديثه إلى أيوب متسائلاً: هل تظن أنه حق أن تقول بأنك أبرّ من الله؟ هذا تجديف! لم يقل أيوب هذا صراحة ولا ضمناً. لكن ربما اشتتمها إليه من حديث أيوب عن إخلاصه واستقامة حياته، وأنه لم يرتكب جريمة ما توهله لهذه الكورث (راجع أي 9: 17، 30-35؛ 10: 13-15؛ 16: 12-17؛ 34: 18-19). لقد فسر هذا كله بأن أيوب يظن بأنه أبرّ من خالقه.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن إليه لم يرك ما في فكر أيوب أو ما وراء كلماته. فإن كان قد بدا كمن يبرر نفسه أمام الرب، فحسبه إليه كمن يدعو نفسه أبرّ من الرب، لكن حقيقة الأمر أن أيوب لم يكن بعد يرك أن تجرّبه غايتها تركيته أكثر فأكثر لنوال أمجادٍ أعظم، إنما هي عقاب عن الخطايا. فهو يتساءل: ما هي الخطايا التي رتكبتها حتى تحل بي كل هذه التجارب التي لم تحل على غوي؟ إنه تسأل أكثر منه تبرير لنفسه!

❖ "أتحسب هذا حقاً، قلت: أنا أبرّ من الله" [2] ... يُلاحظ أن الطوبوي أيوب لم يقل إنه كان أبرّ من الله. لكنه يقول: "ليدع العدالة مقابلي، فتقول محاكمتي إلى نصوة" (راجع 23: 7).

بفحص حياة أيوب ومعرفة أسباب ضربه، كثراً ما نلاحظ أنه اعتقد بأن جلداته كانت لإزالة خطايا وليس لترايد استحقاقاته. لهذا كان واثقاً أن محاكمته ستؤول إلى النصوة، إذ لم يجد في نفسه ما يستحق عليه ما حلّ به من ضربات. بالحقيقة فإن الرب نفسه قال عنه للشيطان: "قد هيجنتي عليه لأبتلعه بلا سبب" (أي 2: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

ما فعله أيوب حتى قبل الناموس، فعله كثيرون حتى في عهد النعمة، إذ يتساءلون: "لماذا يسمح الله بالضيق للقديسين؟" وقد تعرض كثير من آباء الكنيسة لمثل هذا السؤال، نذكر على سبيل المثال المناظرة السادسة من مناظرات القديس يوحنا كاسيان مع الآب ثيودور (تادرس)، وقد سبق لنا نشرها نقتطف منها التالي:



تساءل البعض: لماذا يُذبح هؤلاء الرجال نوح الاستحقاق العظيم والفضائل الجمّة بواسطة هؤلاء اللصوص؟! لماذا يسمح الله أن تحدث جرائم لعبيده فيسقطون تحت أيدي الأثوار؟!

وإذ كنا في حزننا أتينا إلى القديس ثيودور الذي برز في (نعمة) التمييز. كان هذا الأب يقطن في منطقة القلالي Calle بين نتريا والإسقيط، تبعد خمسة أميال عن نتريا وثمانية عن بوية الإسقيط التي كنا مقيمين فيها. وإذ تقدمنا إليه ونحن في ضيق بسبب موتهم، مظهرين دهشتنا لطول أناة الله العظيمة حتى يسمح بقتل هؤلاء بهذه الكيفية، أولئك الذين كانوا قارين على حفظ غوهم من مثل هذه التجارب بسبب قداستهم، هم أنفسهم لم يقدرُوا أن يخلصوا من السقوط في أيدي الأثوار. لذلك سأله: لماذا يسمح الله بحدوث مثل هذه الجرائم ضد خدامه؟! [1305]

الأب ثيودور (تارس)

في مقدمة مقاله: "لا يستطيع أحد أن يؤدي إنساناً ما لم يؤد هذا الإنسان ذاته" كتب القديس يوحنا الذهبي الفم:

إكما يستحيل إحصاء عدد أمواج البحر، هكذا لن يمكن إحصاء ضحايا الساقطين تحت أعباء المكائد والإهانات والآلام ولا يمكن لا بتعديل القانون، ولا بالإلهاب عن طريق القضاء ولا بشيء من هذا القبيل، يقدر أن يوقف تيار هذا الوباء والاضطراب، إنما في كل يوم يزايد الشر أكثر فأكثر. حتى أصبحت تهديدات المتألمين وندبهم ونحيبهم أرواً جمعياً مألوفاً...

وهناك من يتمسكون بوع جديد من الحمق، اتهام عناية الرب عندما يرون الإنسان العفيف كثوفاً ما يكون مأسوراً تحت العنف ومضروباً ومهاناً بشدة، بينما الإنسان الوقح القاسي الوضيع يصب مضايقات لا تحصى على من هم أكثر منه عفة، ويتجنى على من في المدينة أو في البلد أو في الصوواء والبحر والبر.

هذا المقال الذي أدلى به ضروري حتى يصحح ما زعمونه... مثبتاً، إن أي إنسان أخطأ إنما يصيبه الضرر بيديه، ولم يبعثه على الخطأ

[إنسان آخر.]

2. هل البر لا ينفع والشر لا يضر؟

لَأَنَّكَ قُلْتَ: مَاذَا يُفِيدُكَ؟

بِمَاذَا أَنْتَفَعُ أَكْثَرَ مِنْ حَظِّي؟ [3]

وى البعض أن أيوب يحدث نفسه متسائلاً: ماذا انتفعت (يا نفسي)؟ وماذا أنتفع أنا بعدم مملستي للخطية؟

وى آخرون أن أيوب يقول لله: وى لا ينفك في شيء، ولا ينفعي أنا.

لعله اقتبس هذا مما ورد في أيوب (9: 30-31؛ 10: 15). هذا ما عبر عنه الموتل أيضاً في الزمور (73: 13).

لم يقل أيوب هذا صراحة، وإنما ما قاله أيوب إنه كان يتوقع ألاّ تحل به هذه الكارثة بسبب سلوكه المستقيم، لكن سلوكه هذا لم يعفه، وكأنه لم

ينتفع من هذا السلوك (راجع أي 19: 28).

لقد أوضح القديس يوحنا الذهبي الفم أنه ليس ما يضر الإنسان سوى شوه ولا ما ينفعه سوى استقامة حياته.

❖ ما هو إذن صلاح الإنسان؟ صلاح الإنسان لا يكمن في الغنى حتى نخاف الفقر، ولا في الصحة البدنية فزهب المرض، ولا في نظرة الناس إليك

حتى تحذر ما يقوله الناس عنك بشر، ولا في الحياة هنا في ذاتها حتى ترتعب من الموت... إنما يكمن صلاحه في التمسك بالتعاليم الحقيقية،

والاستقامة في الحياة، الأمر الذي لا يستطيع أحد، حتى الشيطان نفسه، أن يسلب الإنسان إياه طالما كان حريصاً عليه كما ينبغي.

وهذا الأمر يبركه تماماً حتى أحبب الشياطين وأشدهم. لهذا جرد الشيطان أيوب من ماديته لا ليحمله فقراً، إنما ليؤرّمه أن ينطق بكلمة تجديف

على الله. وعذب جسده لا ليذله بالمرض، بل ليحبط صلاح نفسه. لكنه عندما نفذ كل حيله، وجعل هذا الغني فقراً... وحرمه من أبنائه... ومزق جسده

بوحشية لا يقدر الجلايون أن يفعلوها، لأن أدوات التعذيب لا تقدر أن تزق كل جانب من جوانب الجسد كما يفعل الود الذي كان في جسده، وأفسد الشيطان سمعته حتى أعلن أصدقؤه الحاضرون معه أن هذا جزاء له عن خطاياها التي يستحقها، وجهين ضده اتهامات كثوة، وطرده من مدينته وبيته لا إلى مدينة أخرى، بل صلت مزبلة مدينته بيته...

كل هذا لم يؤذ أيوب بل بالعكس تمجد بالأكثر على حساب هذه المكائد التي صبها ضده.

لقد أخذ الشيطان منه كثرةً لكنه لم يسلبه شيئاً من صلاحه. بل دفعه بالأكثر لتوداد قوة صلاحه. لأنه بعد ما حدثت له هذه الأمور تمتع بثقة أعظم بقدر ما حربه خصم قوي.

والآن إن كان الذي كابد آلاماً مثل هذه، التي ليست من عمل إنسان، بل من عمل الشيطان الأكثر شراً من كل البشوية، هذا لم يصبه أي ضرر، فهل تقول أنت بأن إنساناً ما قد أضرك أو حطمتك...

إن كان الشيطان، المملوء مكرًا عظيمًا هذا مقلده، بعدما صب كل ما في حقيقته، واستخدم كل أسلحته، وصب كل شوره ضد إنسان ذي مركز سامٍ عائلياً، وبار، ومع هذا لم يسبب له أذى، بل بالحري كما قلت إنه أفاده، فكيف تقدر أن تتهم إنساناً أو آخر أنه يحمل في يديه ضرراً، لغوه، وليس لنفسه؟! [1306]

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَنَا رُدُّ عَلَيْكَ كَلَامًا،

وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ [4].

سأظهر لك الشر الذي يسببه الطريق الخاطيء، أو تسببه الخطية، والبركات التي يسببها البرّ، فأورد ما لم يذكره أصدقائك في حوراهم معك.

أَنْظُرْ إِلَى السَّمَوَاتِ وَأَبْصِرْ،

وَلَا حِظِّ الْعَمَامِ.

إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ [5].

خلق الله السموات لكي تتطلع إليها، فتشهد لك أن حكمة الله وسموه غير المحدود فوق إيراكك. تطلع إلى السحاب فتترك كمالات الله. هنا يبدأ أليهو أنه يجيب على أيوب مظهرًا إنه يستحيل عليه إيراك حكمة الله، فإن علو السموات يشهد بذلك. كأنه يسأله: أتقدر أن تحلق في السموات وتبلغ السحاب؟ فإن الله هو خالقها، أسمى وأعظم وأعلى من السموات ومن السحاب.

هكذا أليهو مثل أليفاز يُظهر أن الله أسمى من الطبيعة التي تسمو على فكر الإنسان.

من لا يقدر أن ينظر بعينه إلى السماء ويترك أسورها، كيف يمكنه أن يبلغ بفكره إلى عرش الله، ويترك أسوار خطته؟

"فإن أكثر أعمال الوب في الخفاء أعمال العدل من يخبر بها، أو من يحتملها. إن العهد بعيد والفحص عن الجميع يكون عند الانقضاء" (سواخ

16: 22)

"يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء؟!" (رو 11: 33)

"لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طريقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم" (إش 55: 9)

❖ يؤم تكريم أعمال خالقنا على الوام دون فحص، فإنها لن تكون ظالمة.

فإن من يبحث عن علة مشورته السوية لا يُحسب هذا إلا مقاومة من الإنسان ضد مشورته في كوياء.

فعندما لا يمكن للإنسان أن يكتشف دافع أعمال الله يؤمنا أن نصمت في تواضع، خاضعين لأعماله، لأن الحواس الجسدية ليست على مستوى

يمكنها أن تحقّق أسوار جلاله...

يضيف فيما بعد بولس: "أعل الجبله تقول لجالها: لماذا صنعتي هكذا؟" (رو 9: 20)

البابا غريغوريوس (الكبير)

يتحدث أليهو عن سمو الله الفائق. فإن سلوك الإنسان سواء كان صالحاً أو شويواً لا يؤثر على الله [ع 6-8]. هذا وإن كان برّ الإنسان أو شوه ليس لخدمة الله ولا يسيء إليه، غير أن لهما فاعليتهما على الحياة البشرية. لهذا فإنه ليس من ضرورة أن يتعامل مع البرّ كأنه خطية يؤم العقاب عنها.

إِنْ أَخْطَأْتُ، فَمَاذَا فَعَلْتُ بِهِ؟

وَإِنْ كَثُرَتْ مَعْصِيَتِكَ،

فَمَاذَا عَمِلْتُ لَهُ؟ [6]

لن يؤذيه شيء من مملستك للخطية حتى إن ضاعفتها مرراً (إر 7: 19؛ أم 8: 36).

❖ مثل هذه الكلمات يؤم ألا تقال للطوبولي أيوب الذي يعرف حقائق أعظم، لكن ما قيل هو حقيقي، وهو أن خطايانا لا تؤذي الله، ولا أعمالنا الصالحة تعينه في شيء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. الله في غير حاجة إلى بونا

إِنْ كُنْتُ بَرًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ،

أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟ [7]

لن ينتفع الله شيئاً من مملستك البرّ، ليس لديك شيء يحتاج إليه الله لتهبه إياه (مز 16: 2؛ أم 9: 12؛ لو 17: 10).

لَوْجَلِ مِثْلِكَ شَرِّكَ،

وَلَا بَيْنَ آدَمِ بَوِّكَ [8].

شوك يؤذيك أنت كإنسان، ولا يؤذي الله، لأن شوك يغلك عن الله مصدر السعادة. فأنت كإنسان تؤذي نفسك وقد تؤذي غيرك من البشر بشوك، وتنتفع وتفيد إخوانك بوبك بكونك ابناً للبشر.

❖ شر الإنسان يضر ذلك الذي يفسده الشر بالضلال، فوة أخرى بونا ينفع من يتحول عن شوه.

❖ إذ يُخزن الأثوار الصالحين يحرونهم بالأكثر من شهوات هذا العالم. بينما يجمعون أعمالاً وحشية عليهم هنا، يدفعونهم للإبواح نحو السماء... هذا هو السبب لماذا يُسمح للأوار أن يسيء إليهم الأثوار، حتى ينصقوا إلى البركات العتيبة فيشتوها ويحتملوا الشور الحاضرة المويعة، وبينما يدعوهم الحب إذ بالآلام تسحبهم إلى هروب سويح.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ماذا إذن؟! ألا يصيب الأذى من يتعرض للاقتراءات ويقاسي من نهب الأموال، فيحرم من خواته ويطرد من موائه ويناضل في فقر فادح؟!

لا، بل ينتفع إن كان وقوراً.. لأنه هل أضوت هذه الأمور الوسل؟! ألم يجاهنوا دائماً مع الجوع والعطش والعوي؟! وبسبب هذه الأمور صاروا مُجدين ومشهرين وربوا لأنفسهم معونة أكثر من الوب؟!

❖ إنني لم أقل إنه لا أحد يضر غوه، بل لا أحد يصيبه ضرر من غوه. وكيف لا أحد يصيبه ضرر من غوه مادام كثيرون يضرون غوهم؟! ...

إخوة يوسف مثلاً أضروا يوسف، لكن يوسف نفسه لم يصبه الضرر.

وقايين ألقى بشباكه لهابيل، ولكن هابيل لم يسقط فيها. وهذا هو السبب الذي لأجله وجدت التأديبات والعقوبات.

فإنه لا يرفع العقوبة عن مدبر الضرر لمجرد صلاح محتمل الضرر، بل يؤكد عقوبته بسبب شر صانع الإثم. فإنه بالرغم من أن الذين يسقط عليهم الشر، يصيرون أكثر مجداً على حساب المكائد المدوة ضدهم، لكن هذا لم يكن في نية مدوي الشر، إنما بسبب شجاعة من هم ضحيتهم. لذلك فإن الآخرين تعد لهم أكاليل الحكمة، أما الأولون فتعد لهم خزائن شرورهم.

هل سلّبت أموالك؟ أذكر تلك الكلمات "عرباناً خرجت من بطن أمي وعرباناً أعود إلى هناك" (أي 1: 21). وأصف إليها كلمات الرسول: "لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء" (1 تي 6: 7).

هل أسىء إلى سمعتك، وحملك البعض بشتائم لا حصر لها؟ اذكر العبارة القائلة: "ويل لكم إذ قال فيكم جميع الناس حسناً" (لو 6: 26). وأيضاً إن: "قالوا عليكم كلمة شوية... افرحوا وتهلّلوا" (مت 5: 11).

هل أخذت إلى المنفي؟ أذكر أنه ليس لك هنا موضع بل إن كنت حكيمًا يؤمك أن تنتظر إلى العالم كله كلرض غربة.

هل أصبت بمرض خطير؟ أقتبس ما يقوله الرسول: "إن كان إنساننا الخراج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (2 كو 4: 16).

هل يعاني إنسان من موتٍ عنيفٍ؟ ليذكر يوحنا الذي قطعت رأسه في السجن وأخذت في طبق وقدمت مكافأة عن رقص زانية.

تأمل المكافأة التي تتألفها على حساب هذه الأشياء، فإن كل هذه الآلام عندما تسقط ظلاماً من إنسان على آخر تتوع خطايانا وشرنا (إذ نتقبل الظلم

بلا تدمر مؤمنين بالله متوجين الحياة الأخرى، فتعمل هذه الأمور على توكيتنا). إذن عظيم هو نفع هذه الأتعاب بالنسبة للذين يحتملونها بشجاعة! [\[1307\]](#)

القديس يوحنا الذهبي الفم

مِنْ كَرَّةِ الْمَظَالِمِ يَصْرُخُونَ.

يَسْتَعِينُونَ مِنْ نَوَاحِ الْأَعْوَاءِ [9].

إن كان الشر لا يؤذي الله في شيء، إلا أنه يؤذي بني البشر، إذ يصوخ المظلومون وسط الجوع وذلك من عنف المقترين، أصحاب السلطة (الأعواء). يضغط الأغنياء الأثوار بأيديهم العنيفة على المساكين البائسين، يصرخون عالياً من مضطهدين وليس من يُهدئ من نفوسهم، لأنهم لا يلجأون إلى الله.

يصعب الربط بين هذه العبارة والحديث السابق. لكن يبدو أن أليهو يستعرض قضية عامة في المجتمع، أشار إليها أيوب نفسه (أي 24: 12)، حيث يرى أن الله لا يتدخل سويلاً لينقذ المساكين من أيدي الأثوار القساة. كثيرون يسحقهم الطغاة، والله لا يتدخل. لقد حسب أيوب أن هذه القضية العامة تمسه شخصياً حيث كاد أصدقؤه أن يسحقوه تحت أقدامهم. وحسب أليهو هذا الفكر إهانة موجهة ضد الله القدير ورعايته وحبه. وجد نفسه مؤمراً أن يقدم شرحاً لهذه الظاهرة.

يجيب أليهو على التساؤل: لماذا لا يستجيب الله لصوخت الأوار المتألمين، ليعينهم ضد الظالمين؟ يعلن أليهو أن عدم استجابة الله للصلاة سؤاً أن الذي يصلي لا يبالي بالتمتع بالله، كل ما يشغله هو الانتفاع من الله. إنها ليست صلاة حقيقية غايتها التمتع بنور الحضرة الإلهية، إنما هي صوخة طبيعية تصدر عن الألم، كما يصوخ الطائر والحيوان [١٠-١١]. صلواتنا للخلاص من الأثوار صلوات فرغة [١٢-١٣].

حينما يصوخ الإنسان في ضيقته يظن كأن الله لا يسمع، لكنه يسمع، وقد لا يستجيب بسبب كبرياء الصلخ، أو كذبه.

❖ بحق يمكننا أن ندعو الأثوار "ظالمين"، ليس فقط الذين يفسدون خواتنا الخرجية، بل والذين يسعون بعبادتهم الشريرة ومثال حياتهم الفاسدة أن

يبعدوا كوزنا الداخلية. فإنهم لا يهاجمون الأمور المحيطة بنا، لكنهم يطلون أن يفترسوننا من الداخل.

من يهاجم فضائلنا بسلوكة الشرير هو ظالم خطير أكثر من الذي يسيء إلى خواتنا بالظلم العنيف ضدنا. فإنه وإن كان لا يأخذ شيئاً من مولدنا،

لكنه يصنع أمامنا أمثلة للدمار.

إنه يملس ظلاماً أثقل حيث يثير قلوبنا الهادئة بالتجربة. حتى وإن كان لا يؤمننا بمحلولة سلوكه الشرير، إلا أنه يضغط علينا بإنثرة التجربة،

فنعاني من ظلمٍ شديدٍ من حياته، حيث نعاني في الداخل بأمورٍ نتغلب عليها بصعوبة.

ولما كانت حياة الثور المرتبطة بالعالم تَوَدِينًا، حسنًا قيل: " بكثرة الظالمين يصرخون " [9]... " يولولون من قوة نواع الطغاة " [9]... فإن من رغب في أن وهبنا لكي يدفنا إلى الخطية، يهيج علينا بزواج طاعية. الحث على الرذيلة خلال سلوك (إنسانٍ ثورٍ) شيء، والإلزام بها بالوعب شيء آخر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4 . لنصوخ إلى الله وسط الضيق

وَلَمْ يَقُولُوا: أَيِنَّ اللَّهَ صَانِعِي،

مُؤْتِي الْأَعَانِي فِي اللَّيْلِ؟ [10]

سرّ هذه المشكلة: أي عدم تدخل الله لإنقاذ المساكين من أيدي الظالمين هو أنهم لا يلجأون إلى الله، بل يلجأون إلى الشكوى والتذمر على الله، والاتكال على الأنوع البشرية. يقول أليهو إن هؤلاء الذين صاروا تحت أقدام القساة في نكبات مرة لا يصوخ أحد منهم قائلاً: أين هو إلهي الذي خلقتي ليحول ليلة النكبات إلى حفل بهيج وأغنية تملأ قلبي بالبهجة.

الله مستعد للتدخل لكنه لا يُفهم نفسه؛ بل يترقب دعوته من المساكين ليهبهم تغياته الإلهية ويحطم الشباك المنصوبة للمساكين (راجع أع 16:

25؛ مز 126: 1-2).

يشير الليل في الكتاب المقدس أحياناً للخطية، وأحياناً للضيق والنكبات التي تحول حياة الإنسان كما إلى ليلٍ مُظلمٍ مخيفٍ.

جاءت الترجمة السبعينية: " الذي يقيم هواس الليل"، أي يرسل ملائكته وسط ليل النكبات لإنقاذ الذين يلجأون إليه.

من يلجأ إلى الله في أواحه وفي ضيقاته يتمتع بالسلام السموي في النهار كما بالليل، وتتحوّل حياته إلى سيمفونية مفرحة، وتُسبحة لا تنتقطع.

الَّذِي يُعَلِّمُنَا أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الْأَرْضِ،

وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ [11].

يحزن أليهو على ما بلغ إليه الإنسان العاقل بتجاهله خالقه واهب الفهم والحكمة، القادر أن يخلص إلى التمام. ففي غلوة يرفض تعليم الله وإرشاده

وقيادته، فصار أقل من وحوش الأرض وطيور السماء.

يقول الرب على لسان إشعياء: "الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسائيل فلا يعرفني، شعبي لا يفهم" (إش 1: 3). ووحوش

الأرض والطيور وأحياناً السمك تعرف وتقدم تشكرات لليد التي تمتد لتطعمها، أما الإنسان العاقل الذي ينال الكثير من خالقه لا يبالي به، ولا يتطلع إلى

يديه الموقفتين به.

يدعونا الكتاب المقدس أن نتعلم حتى من النملة التي تسلك أحياناً بحكمة أكثر من الإنسان صاحب العقل والقوات الفائقة.

ضوابط عدو الخير خطيرة، فهو يود أن يسحبنا إلى المذلات الوهمية ويستعبدنا للشهوات خلال الحياة الجسدانية، فإن لم نتجاوب معه ونطلب

المعرفة الصادقة يضوب قلوبنا بالكروياء، فيفسد فهمنا وحكمتنا. لذلك يؤكد المرثل الحاجة إلى الفهم والحكمة مع التواضع. "إنسان في كرامة ولا يفهم

يشبه البهائم التي تُباد" (مز 49: 20). ومن جانبٍ آخر يقول الرسول بولس: "لأنهم لما عرفوا الله لم يجوه أو يشكروه كإله، بل حمقوا في أفكلهم وأظلم

قلبيهم الغبي"... لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين نواتهم" (رو 1: 21، 24).

❖ وحوش الأرض هم أولئك الذين يطلبون السفليات خلال الحياة الجسدانية، وأما طيور السماء فهم الذين يطلبون العلويات في غوة حب الاستطلاع

المتعرج.

5 . لنصوخ في تواضع بلا تذمر

ثُمَّ يَصُوحُونَ مِنْ كِبْرِيَاءِ الْأَشْرَارِ

وَلَا يَسْتَجِيبُ [12].

للأسف يصوخ هؤلاء المساكين المصابون بالنكبات، ولا يُستجاب لهم؛ لأنهم لا يصوخون إلى الله بروح التواضع، بل في شكوى ويتذمر في كبرياءٍ شويرٍ.

هنا يقدم لنا سبباً آخر لعدم تدخل الله: الأول كما رأينا أنهم لا يصوخون إليه، والثاني أنهم يصوخون ولكن بروح التذمر، فلا ينالون شيئاً لا يسمع لهم الله حتى يحل التواضع في قلوبهم عوض الكبرياء، مقدمين صلوات الندامة والتوبة (مز 10: 4؛ إر 13: 17).

❖ غالباً ما يحدث أنه إذ يُستغفروا في تجربة يتوقعون أن السماء تهبهم تعزية حتى أثناء حياتهم. إذ يشتهون الخلاص، لا لأجل أنفسهم، وإنما من أجل المضادين لهم. يريدون من الله القدير أن يخلصهم من المخاطر المحيطة بهم بعمل معزة لكي يعلن الله قهرته حتى للظالمين. إنهم يشتهون أن يخلص الله مقاومهم أبدياً بذات الوسيلة التي تخلص بها شبه في هذا العالم. وكما يقول النبي أيضاً على لسان الشهداء: "من أجل أعدائي خلصني" (مز 69: 18). وكأنه يقول: "من أجل نفسي لا أطلب الخلاص من التجربة الزمنية، إنما أطلب الخلاص لأجل مقومي".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ للصلاة شروط لكي تُستجاب، منها:

أن يكون طلبنا وفقاً لإرادة الله (مت 26: 39)، مع الثبات واللحاجة (لو 11: 8)، وأن نترك رادة الله أن نصلح سيرتنا قبل الاستجابة (إش 1: 15).

ومنها الشعور بعدم استحقاقنا لما نطلب (1 أي 17: 4)، أو عدم استحقاق من نطلب لأجله (إر 14: 11).

ومنها أن عدم الاستجابة أفضل من الاستجابة (2 كو 12: 7)... أما إذا تحققت كل الشروط فلا شك أن الله يستجيب صلاتنا [1308].

القديس باسيليوس الكبير

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ كَذِبًا،

وَالْقَدِيرُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ [13].

حتمًا الله لا يسمع للصوصات أو الطلبات الباطلة أو الكاذبة وللقلوب الجاحدة غير الشاكرة. فحيث لا يوجد إخلاص أو إيمان أو شكر لا ترتفع الطلبة إلى الله. يقول النبي: "عيناك أظهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور" (حب 1: 13).

فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ وَاهٌ،

فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ،

فَاصْبِرْ لَهُ [14].

يطالب أليهو أيوب أن يثق في الله. هنا يبدو أنه يشير إلى ملاحظة قدمها أيوب (أي 23: 8)، حيث قال إنه لم يقدر أن يقترب إلى الله، ولا أن يقدم قضيته إليه. ذهب شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، ولم يستطع أن يراه، ولا وجد فرصة لعرض قضيته أمامه. هنا يوضح أليهو أن بالحقيقة الله غير منظور، لكن هذا لا يعني أنه لا يبالي بشئون البشر، أو أنه لا يستحق أن نثق فيه ونحبه. فالله يهتم بالبشرية ويقضي بالعدل والبر، وكل الأمور مكتشفة أمامه. يليق بنا أن ننتظر في صبر، فهو يقضي حتمًا في الوقت المناسب.

❖

"لأن الرب لا يرغب أن يتطلع على الأخطاء، إذ هو القدير، يلاحظ كل الذين يملسون أعمالاً ضد الناموس وبخلصني. إنك تتوافع أمامه إن استطعت أن تسبحه، الأمر الممكن حتى الآن (راجع أي 35: 13-14). فإن الرب ليس فقط لا يريد أن يفحص الأخطاء، وإنما لا يرغب حتى في التطلع إليها ، كما يقول نبي آخر: "أنت يا من لك عينان أظهر من أن تنظرا إلى الشر، ولا تقوان أن تطلعا على الخطأ"... ها أنتم ترون أية عناية إلهية هذه! أية حماية! أي حنو هذا! فإنه لا ينتقم ولا يشتمز من الأعمال!" [1309]

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأَمَّا الْآنَ فَلَأَنَّ غَضَبَهُ لَا يُطَالِبُ،

وَلَا يُبَالِي بِكَوْثَةِ الْوَلَاتِ [15].

وى البعض أن المعنى هنا، أن ما يحل بالشخص من نكبات تبدو كأنها لا شيء بجانب ما يستحقه الإنسان من عقوبة. فإن كان الله يفتقد الإنسان بالغضب خلال التأديبات التي يسمح بها، فإنها تأديبات خفيفة جداً وهينة إن قرنت بالمعاصي التي نرتكبها.

" ولا يبالي (يعرف) بكثرة الولات"، هنا الحديث عن الله الذي لا يجلي هنا عن كل ما فعله من زلات، وكأنه بغض النظر عنها أو لا يعرفها، حتى لا تتقل يد التأديب علينا. في تأديبه لنا يحنو ويؤفف حتى وإن حسبنا هذا التأديب قاسياً للغاية.

❖ الله الذي يدين إلى الأبد يطيل أناته إلى وقت طويل. إن كان يطيل أناته في جلب غضبه، فلأنه يحفظه ليسكبه فيما بعد بلا نهاية. الألم هنا هو نصيب المختارين ليهيئهم لنوال المكافأة السماوية. إنه نصيبنا أن نتقبل جلدات هنا إذ يحفظ الفوح الأبدي لنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1310]

❖ لتفوح وأنت تحت الجلدات، فإن الموات محفوظ لك، لأنه لا يطود شعبه. هو يؤدب إلى حين، ولا يدين إلى الأبد .

القديس أغسطينوس

❖ إنني أختار أن يفتقد الرب خطاياي ويُصلح معاصيَّ هنا في هذا العالم، حتى يقول لي إواهم هناك ما قاله عن لعازر المسكين في حديثه مع الغني:

"يا ابني أذكر أنك استوفيت خواتك في حياتك، وكذلك لعازر البلاء، والآن هو يتنوى وأنت تتعذب" (لو 16: 25). لهذا السبب عندما يوبخنا الرب

ويؤدبنا، يؤدبنا أولاً نكون جاحدين. إذاً لنترك أن توبيخنا في الوقت الحاضر لكي ننال تغوية في المستقبل. وكما يقول الرسول: "إذ قد حُكم علينا

نؤدب من الرب لكي لا نُدان مع هذا العالم" (1 كو 11: 32). لهذا السبب قيل أيوب أيضاً بإرادته كل آلامه قائلاً: "أالخير نقبل من عند الله، والشر

[1311]

لا نقبل؟" (أي 2: 10).

العلامة أوريجينوس

فَغَرَّ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ،

وَكَبَّرَ الْكَلَامَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ [16].

خرج أليهو بهذه النتيجة أن أيوب فتح فاه وصوص، لكن بتدوره حُسبت كلماته وصوصاته باطلة وبلا فهم. شكوى أيوب - في عيني أليهو - لغو

لا قيمة لها، وبلا معرفة أو فهم، لأنها حملت اتهامات ضد تدبير الله.

من وحي أيوب 35

لماذا ثقلت يدك عليّ؟!

❖ في ضعفي البشري كثراً ما أتساءل:

لماذا ثققت يدك علي؟

لماذا تسمح بالضيق لمؤمنيك؟

لماذا تسمح للأشوار أن ينتصروا ويتهللوا؟

❖ أحببتني يا كلي الحب بلغة العمل لا الحوار،

باسمي ولحسابي دخلت بستان جثسماني.

وأنت ضابط الكل بدأت تدهش وتكتئب.

عوضاً عني قلت: نفسي حزينه جداً حتى الموت.

خررت على الأرض، يا من تسجد لك كل القوات السماوية.

قلت لله أبيك: يا أبا الآب، كل شيء مُستطاع لك،

فأجز عني هذه الكأس.

ولكن، ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت (مر 14: 36).

❖ ثبتني فيك فأنطق بما نطقت، وأطلب ما طلبت،

وأحمل فكوك في داخلي!

فأقبل معك الضيق حتى عار الصليب!

رأفكك طريق الجلجثة، فتستريح نفسي.

❖ ماذا تطلب مني وسط أتون الضيق؟

تطلب أن ترى وجهي وتسمع صوتي.

أعترف لك: لقد حوّلت وجهي إلى العالم.

لورده روحك القدوس، فيتطلع إليك.

حوّلت حوري إلى الناس،

ظننت أنهم قادرين على خلاصي،

لكن تخرج روحهم، فيعودون إلى آرابهم.

لأصوخ إليك، فأنت وحي الحصين.

تحوط بي الضيقة، لكنها لا تتسلل إلى نفسي!

من الخراج مورا وكأبة، لكن في الداخل تهليل بك، يا أيها السملوي!

❖ في تواضع صوخت، يا أيها الابن الوحيد،

مع أنك واحد مع أبيك في ذات الجوهر،

وإرادتك هي ذات إرادته،

سلمت له إرادتك لتعمل إرادته فيك.

هب لي روح التواضع، فيصوخ قلبي إليك:

لنكن رادتك، كما في السماء كذلك على الأرض!

❖ مرحبًا بالضيقة مادام بسمح منك.

أختبر شوكة الآلام والصلب معك.

أنتوق تحويل وجهي إليك،

رأك فأتهلل، ولا تقدر قوة أن تفصلني عنك!

أصوخ إليك من أعماقي،

طالبًا أن تعمل رادتك في!

لك المجد يا أيها العجيب في صلاحه،

وكلي الحكمة في خطتك من نوي!

<<

الأصْحَاحُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

حديث أليهو الرابع

أليهو يمجّد برّ الله، ويهيئ الطريق لظهور الله

في الأحاديث السابقة وبخ أليهو أيوب على أسلوبه غير اللائق في حواره مع أصدقائه الثلاثة، ولم يكن لدى أيوب ما يجيب به على أليهو، فالتزم الصمت. الآن يتحدث أليهو بصفة عامة لكي يوضح لأيوب المفاهيم الصحيحة بخصوص التعامل معه.

يكمل أليهو حديثه هنا ليوضح أن القدير لن يكف عن أن يحقق العدالة بين البشر نون تحيز [2-6]. فإنه يعمل دومًا لبنيان الأوار، وإن كان يؤدبهم أحيانًا، ولكن في حب. فإن خضعوا لتأديباته الأبوية يتمتعوا بالخوات، أما أن تدمروا وتعدوا ولم يخضعوا له، فيُذَلون ويكونون موضع غضبه [7-16].

فإن قبل التأديب يمكن أن يرجع أيوب إلى حاله الأول، أما مقاومته لتأديب الرب فيجعل منه مثلاً لعدالة الله مع المقاومين [17-18]. هكذا ينزه أليهو لئلا يقطع الرب وهو في حالة التعود، فلا تقديه ثروة ولا قوة ولا أمر منا [18-26]. الله كلي القوة، ليس من يقدر أن يقاومه، وكلي الحكمة، ليس من يفلت من يديه. إنه كلي النقلة، حتى تظهر الشمس أمامه خافته جدًا، أصغر من شعاع بسيط أمام كوكب عظيم منير. قداسته تظهر من كراهيته للآثم، وصلاحه يظهر من إشباعه لاحتياجات خلقته.

1. مقدمة 4-1.

2. طرق معاملة الله مع ولاده 5-15.

3. مشورة صالحة لأيوب 16-21.

4. الله يعلم ولا يؤرم بقبول تعليمه 22-23.

5. عظمة أعمال الله 24-26.

6. العاصفة والمطر 27-31.

1. مقدمة

جاء وصف أليهو لقوة الله في العاصفة يسبق مباشرة مجيئه وحديثه مع أيوب. العاصفة والمطر هما وكالتا الله للدينونة والبركة [31].

وَعَادَ أَلِيهُو فَقَالَ: [1]

أَصْبِرْ عَلَيَّ قَلِيلًا،

فَأُبْدِي لَكَ أَنَّهُ بَعْدُ لِأَجْلِ اللَّهِ كَلَامٌ [2].

يطلب أليهو من أيوب أن يطيل أناته عليه، ويستمتع إليه، فإن لديه واهين أخرى يتنوع بها بخصوص عدالة الله وعنايته.

أَحْمِلْ مَعْرِفَتِي مِنْ بَعِيدٍ،

وَأَنْسِبْ بِرًا لِصَانِعِي [3].

يعلن أليهو أنه يحمل معرفته، أو يحوها كنقش لا يُحى. يأتي بها من بعيد، لا من مكان بعيد، وإنما من أعمال الله القدوة. وأنه ينسب البر لله،

بينما يعتقد أن أيوب ينسب له الظلم (أي 34: 10-12).

كأنه يقول: ما سأقوله لك ليس بالأحاديث العامة التي يعرفها الكثيرون، إنما هي ثروة بحث وإبرك لأعمال الله الفائقة، التي غابت عن الكثيرون.

ولعله يقصد أن معرفته تمتع بها من بعيد، أي من الله كعطية خاصة.

حَقًّا لَا يَكْذِبُ كَلَامِي.

صَحِيحُ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَكَ [4].

يؤكد له أنه لن يتكلم كلامًا بطلاً مثل أصدقائه الثلاثة بل ينطق بالحق، وأنه صاحب معرفة كاملة.

لا يستخف الله بأحدٍ جادٍ، بل يمجّد الأوار، حتى إن سقطوا تحت متاعب. يظهر لهم خطاياهم، ويصلح من أوههم إن تابوا، ويسمح بهلاكهم إن

رفضوا التوبة [5-12]. يسمح الله بالألم لأجل التعليم والتهديب [15].

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أليهو حاول أن يمدح نفسه مثل القديس بولس ليؤكد أنه يقدم حقائق عظيمة، وأن أيوب سيعرف ذلك فيما

بعد.

حتى الأوار كثرة ما يميلون إلى مديح ما يقولونه عندما يرون أن السامعين الضعفاء لا يستوعبون كلماتهم. هذا ليس لأنهم شغوفون نحو مديحهم،

وإنما لكي يلهوا سامعيهم وغبة حرة للاستماع إليهم... هكذا يقول القديس بولس لأهل كورنثوس بعد أن تحدث عن أشياء كثيرة عجيبة: "فمنا مفوح

إليكم أيها الكورنثيون، قلبنا متسع" (2 كو 6: 11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. طرق معاملة الله مع أولاده

هُوَذَا اللَّهُ عَزِيزٌ،

وَلَكِنَّهُ لَا يَزْدُلُّ أَحَدًا.

عَزِيزٌ قُوَّةِ الْقَلْبِ [5].

الله قدير من جهة القوة والحكمة؛ ليس من أحد مهما كان قوه يحتوه الله، يطلب الكل ويهتهم بالجميع، ليحقق لكل شخص العدالة، ولا يتركه

مظلومًا. يؤكد أليهو ما سبق فأعلنه (أي 35: 14).

عمل السيد المسيح القدير أن يسند الضعفاء ويهبهم القوة، ولا يستخف بالأقوياء. فإن الرب لا يطرد الأقوياء، لأنه هو نفسه القدير. إنما إن طرح طالبى المجد الذاتى، إنما ليهبهم نعمة التواضع، فينالون من فيض قهرته وقوته، متونمين: "لأن ياه يهوه قوتي وتو نيمتي، وقد صار لي خلاصاً". (إش 2:12)

يريد الله القدير أن يولى في ولاده روح القيادة والقوة، فهو لا يردل الأعواء أصحاب السلطة. وقد أترك الرسول بولس المتواضع هذا، فيقول بكل يقين: "أبعصا آتى إليكم، أم بالمحبة وروح الوداعة" (1كو 4: 21).

❖ القائد (الحاكم) وغب بالحق أن يتمثل بالله إن كان يدير قوته السامية بهدف نفع الآخرين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا يُحْيِي الشَّرِيرَ،

بَلْ يُجْرِي قَضَاءَ الْبَائِسِينَ [6].

يظن الأثوار أنهم يحيون باغتصاب حقوق الآخرين والتمتع بالملذات، والسخرية بالأوار، لكنهم في الحقيقة لا يحيون، إذ يحل بهم الموت الأبدي، أما الأوار المتواضعون وإن بدت حياتهم مرّة بسبب الضيقات، فحنماً سيتمتعون بالعدالة الإلهية.

يقصد بالبائسين هنا المساكين والضعفاء الذين يظنون أنه ليس من أحدٍ يسندهم ويدافع عنهم ضد الأغنياء وأصحاب السلاطين، فإن الله نفسه يقضى لهم، ويرد لهم حقوقهم.

❖ "لكنه لا يخلص الشرير، ويعري قضاء للمساكين" [6]. غالباً ما يميل الكتاب المقدس إلى دعوة المتواضعين "المساكين". وقد أشير إليهم في الإنجيل هكذا مع إضافة: "بالروح" حيث قيل: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات" (مت 5: 3). ... يهلك الله المتكبرين، ويحرر المتواضعين بقضائه. أو يقضى للمساكين، لأنهم يُظلمون بطريقة شريرة الآن، ويأتون فيما بعد قضاة على ظالمهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا يَحْوُلُ عَيْنِيهِ عَنِ الْبَارِّ،

بَلْ مَعَ الْمُلُوكِ يُجْلِسُهُمْ عَلَى الْكُرْسِيِّ،

أَبَدًا فَيَرْتَفِعُونَ [7].

لا تغلق عينا الرب الأوار، سواء كانوا أغنياء أو قواء، في مراكز عالية أو منحطة. إنهم كالكنز الثمين في عيني الله، قد يسمح لهم بالتجرب لكنه لن ينسأهم، ولن يتجاهلهم. إنهم يتمتعون بوع من الكرامة والسلطة، ويحسبون ملوكاً بينما يتطلع العالم إليهم كمن هم محتقون وموئولين وبلا كرامة.

يهبهم الله سلطاناً في هذا العالم، كما يثبتهم إلى الأبد في سلامٍ سمويٍّ فائقٍ.

إنه لا يترك الأتقياء (1 بط 3: 12)، بل يكرمهم (1 صم 2: 8؛ مز 113: 7-8). ينالون كرامة جزئية هنا (1 بط 2: 9؛ 1: 6)، وكرامة كاملة في الدهر الآتي (رؤ 5: 10؛ أي 22: 5).

❖ يُظن أحياناً أن الله يسحب عينيه عن الأوار لأنهم يُجرحون هنا بظلم الأثوار نون الانتقام منهم. إنه يحلّ عبده بالأكثر عندما يحل بهم ظلم مضطهدهم. إذ واهم يحتملون في تواضع. يتطلع بلا شك إلى المكافأة التي سيهبهم إياها هناك. بهذا لا يحول عينيه عن الأوار.

أنظر كيف أن الواحد يئن في تواضعه، والآخر يتشامخ ويزدهر في شوه. واحد يُخدش قلبه، والآخر يفتخر بكبرياء في شوه. أيهما تحوّل عينا الله بالأكثر عنه: من يعاني من الظلم أم من يسقط الظلم عليه ممن يضطهدهم؟...

بلياقة يُدعى القديسون ملوكاً في لغة الكتاب المقدس، إذ يرتفعون فوق العواطف الجسدية ويضبطون ملذات الشهوة، ويلطفون من لهيب الطمع،

ويحنون تشامخ الكورياء، ويسحقون اقزاحات الحسد، ويطفئون نار الهوى.

إنهم ملوك لأنهم يتعلمون ألا يستسلموا لانفعالات التجرب بقبولها، بل يسيطرون عليها...

إنهم يؤضعون إلى الأبد على عرش ملكوت المجد الأبدي، ويتقبلون سلطان إدانة الآخرين... هكذا يقول الرب لكنيسة لاودكيا: "من يغلب

فسأعطيه أن يجلس معي في عوشي، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عوشه" (رؤ 3: 21)...

إنه ليس بالأمر المتضرب أن يعلن في موضع آخر أن تلاميذه سيأتون على اثني عشر عرشاً (مت 19: 28)، ويقول هنا إنهم يجلسون على

عرشه. يوضح بالاثني عشر عرشاً الدينونة العامة، وبعوش الابن يظهر سمو الخاص للسلطان القضائي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ أُوثِقُوا بِالْقُبُودِ،

إِنْ أُخْنُوا فِي حَبَالِ الدُّلِّ [8].

يصحح إليهم مفاهيم أصدقاء أيوب، فيقول إنه وإن ألقى الأوار في سجن، وتعرضوا لمحاكمات ومضايقات قاسية، وإن قيوا في سلاسل، وصار

كمن ألقوا على سوير الألم، وسُحوا بنكبات ثقيلة، تبقى عينا الرب عليهم. فلا يُنظر إلى ما صاروا إليه كوهانٍ أنهم كانوا مرائين، أو أن الله لا يبالي

بهم. فإن الله خطة حكيمة بخصوص تأديب البشرية تنتهي بسعادة من يقبلون التأديب ومجدهم في الوقت المناسب.

❖ قيود العبودية هي الاحتجاز في الرحلة الحاضرة. رأى بولس أنه مقيد بهذه القيود عندما قال: "لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح" (في 1: 23).

لقد أترك أنه كان مقيداً بروابط الفقر، متطلعاً إلى الغنى الحقيقي، طالباً ذلك لتلاميذه أيضاً: "تعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد موآته

في القديسين" (أف 1: 18)... عندما نتعلم بالحب الكثير عن المجد السموي، فإننا نشعر بثقل أكثر عندما نرتكب الخطايا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فِيظْهَرُ لَهُمْ أَفْعَالُهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ،

لأنَّهُمْ تَجَبَّرُوا [9].

أظهر لهم حياتهم وأعمالهم الشريرة، وذلك بأن أرسل إليهم رسلاً أو أنبياء يعلنون لهم عن حالهم الشرير (أي 33: 23)، أو خلال تأملاتهم

الهادئة وراجعتهم لأنفسهم (أي 33: 27)، أو بعمل الروح القدس الذي يكشف لهم عن حياتهم. غاية أخوانهم وضيقاتهم - كما يقول إليهم - أن يجنوا

الفصة لاكتشاف حياتهم وإصلاح نقائصهم.

يظهر لهم أيضاً كيف صلت معاصيهم عظيمة وخطوة. فقد ظنوا أنهم أهواء وعظماء، عوض أن يتكلموا على الله الحي، لهذا لا يسندهم عندما

تحل بهم الضيقات.

وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ لِإِنذَارِ،

وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِثْمِ [10].

بقوله "يفتح آذانهم" يعني أنه يهيبهم فهماً أو يعلمهم أو يهيبهم الوعظ في التعلم ليتركوا السبب الذي لأجله يؤذون، ويأبؤهم أن يعنوا من تلك

الشرور التي جعلته يفتقدهم بالأخوان والضيقات.

إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا،

قَضُوا أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ،

وَسِنِيَهُمْ بِالنِّعَمِ [11].

إن سمعوا لصوته وعبوه كما يليق، يقضون حياتهم في نجاح وتمتلى حياتهم بالسرور. بمعنى آخر إن أنثرت الضيقات توبة عن خطاياهم،

وظلوا يراحم الله وعبده، فإنهم يحيون في رخاءٍ. وكأن غاية الضيقات ليس تحطيمهم، وإنما رجوعهم إلى الله، لينعموا ببركاته وراحمه، ويتمتعوا بالسعادة الحقيقية.

كان أليهو يطالب أيوب ألا يركز أنظرة على اتهامات أصدقائه فتتخطم نفسيته، وفي نفس الوقت لا يظن أن الله عنيف وقاسي، ولا يبرر ذاته أمام الله، بل يطلب التوبة، فينعم بالسعادة التي فقدها.

❖ يقصد "بالخير" السلوك المستقيم، أما "بالمجد" (بالنعم)، فيقصد المكافأة السمائية. الذين يتعلمون طاعة الوصايا الإلهية يقضون أيامهم بالخير، وسنهم بالمجد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَأَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا، فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَرُوْلُونَ،

وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَوْفَقَةِ [12].

أما إن تصلف الإنسان وتذمر على الله بسبب الضيقات، تضربه حربة الموت أو سيف الموت فيهلك، ويموت لا بسبب الضيقات، وإنما بسبب عدم المعرفة، أو بسبب غباوتهم.

تذمر الإنسان على الضيقات عوض توبته، لا يرفعها عنه، بل يجعلها ترداداً ثقلاً فيتخطم بتذمره. لا يسحب الله يده التي تبدو ثقيلة بالتجرب القاسية حتى يرجع الإنسان إليه، ويكف عن التذمر والشكوى.

عادة يبدأ الله بالتأديبات الخفيفة، فإن أثرت توبة يرفعها، وإن تقسى قلب الإنسان بالتذمر على الله اشتدت التجربة ورايدت حتى يدرك ضعفه ويعود بالحكمة إلى الله.

❖ يوجد البعض لا تودهم حتى العذابات عن عادتهم الفاسدة. يقول النبي عنهم: "ضوبتهم فلم يتوجعوا، عاقبتهم وأوا قبول التأديب" (إر 5: 3). قيل عنهم تحت رمز بابل: "داوينا بابل فلم تُشَف" (إر 51: 9). وأيضاً: "اقتل وأبيد شعبي، لم يرجعوا عن طوقهم" (راجع إر 15: 7). هؤلاء يصيرون إلى حالٍ رداً بمعاقبتهم، لأنه إذ يحل بهم الألم إما يزدنون قسوة في عنادهم، أو ما هو رداً أنهم يندفعون نحو التجديف في سخط.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَمَّا فُجَارُ الْقَلْبِ، فَيَذْخَرُونَ غَضَبًا.

لَا يَسْتَعِيْثُونَ إِذَا هُوَ قَيَّدَهُمْ [13].

يدعو أليهو المتذمرين على الله بالفجار في قلوبهم، أي الأثوار؛ هؤلاء عوض رفع غضب الله عنهم بالتوبة يجمعون بالأكثر غضبه. ومع أن الله في محبته يسمح بأن يقيدهم بالضيقات حتى يصوحوا إليه بروح التواضع، إلا أنهم في عنادهم لا يلجأون إليه ولا يتواضعون قدامه. بالضيقات يدعوهم الله ليقبلوا صداقته، ويتعرفوا على أسوره، ويدخلوا معه في حوار لائق، لكن من يتشامخ يدخل في عدوة مع الله، ويحكم على نفسه بالهلاك.

يقصد بالفجار هنا فئة من الأثوار يملسون الشر في تحدٍ مع الله وعنادٍ ظاهرٍ، فيجمعون لهم غضب الله (رو 2: 5).

وي البعض مثل Umbreit أن المقصود هنا ليس غضب الله، إنما يجمع الفجار الغضب ضد الله، فعوض الصواخ إليه يثورون ضده علانية. إذ يتحدث هنا عن الرائين فإنهم بريائهم ليس فقط يستحقون السقوط تحت غضب الله الذي يمقت الشر، وإنما بمحاولة الاختفاء تحت ستار البر الذاتي، وخداعهم للبشر بأنهم أوار، يثيرون سخط الله، إذ هم يملسون الشر عن معرفة، ويضيفون إلى الشر الخداع، وهي سمة عدو الخير المخادع. مثل هؤلاء الرائين يسقطون تحت تأديبات لعلمهم ورجوعهم عن شرورهم، لكن غالباً ما لا يباليون بالتأديبات مهما بلغت شدتها، كما لا يباليون بالعقوبة الأبدية، فلا يصوحون إلى الله كي يرجعوا إليه ويتروكوا رياءهم. إنما كل ما يشغلهم هو تثبيت نظرة الناس نحوهم أنهم أوار.

يمكننا أن نقسم البشر إلى ثلاث فئات:

1. فئة الأشرار الذين يصرون على الشر، ولا يخجلون من شرورهم، مهما حلت بهم التأديبات.
2. فئة المرائين الذين كل ما يشغلهم نظرة الناس إليهم، فيخفون شرورهم ولا يعترفون بها حتى وهم تحت التأديب.
3. فئة المؤمنين الحقيقيين الذين يعترفون بأنهم خطاة، ويؤمنون بالله غافر الخطية، هؤلاء يدفعهم التأديب إلى النمو الروحي عربون المجد الأبدي.

❖ " أما المراءون والمخادعون فيثيرون غضب الله" [13] من كان مرائياً يوتيك بملاحظة نقطتين على الواو: أن يتعلم بحيث أن يخفى الحقيقة التي هو عليها، وأن يستعرض ما هو ليس عليه، يطمس أخطائه الحقيقية ويظهر صلاحاً غير حقيقي... عندما يشير إلى المرائين والمخادعين يضيف بلباقة شديدة لا أنهم مستحقون غضب الله وإنما يثرونه لأن من يخطئ بجهالة يستحق غضب الله، أما من يقاوم وصاياه عمدًا وهو يعرف ما هو صالح ويستعين به مع قدرته أن يفعل الصالح ولا يريد ذلك فهو يثير سخط الله...

" لا يصوخون عندما يقيدون" [13]. كل إنسانٍ شويرٍ لا يطلب أن يظهر مقدسًا عندما يحل به التأديب القاسي لا يخجل من أن يعترف بأنه شرير. أما الشوير الذي تستوقفه أحكام الإنسان بإظهار قداسة حتى عندما يُضوب بالعصا، يمتنع عن إظهار شوه لأنه اعتاد أن يظهر قديسًا... لكننا نحن نكون "مقيدين" عندما تحضونا ضربات العصا. إننا نستغيث بصوتٍ عالٍ عندما نُقيد، كلما اعترفنا بخطايانا، عندما نكون تحت الضربات. عندما تسقط ضربات التأديب على المرائين لا تحضوهم إلى اعتراف أمين. إنهم يخشون من أن يُفضوا كخطاة، إذا نظر الناس. حينما يُضربون الآن إلى النهاية ومع إواكهم أنهم منقادون إلى عقوبة أبدية لكنهم لا زالون يريدون أن يبقوا في نظر الناس كما هم، إذ تعلموا أن يستعرضوا أنفسهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الكل وى اللص "الرياء" يحمل كل شيء أمام عينيه وبيتجه بذلك! يا لها من لصوصية جديدة من نوعها، تجتذب الناس وتبهجهم بينما هم يُسلبون! [1312]

❖ قد يوجد من يقدم صدقته قدام الناس لكنه يتحاشى التظاهر بها، ويوجد أيضًا من لا يقدمها قدام الناس لكنه يتباهى بها سواً. فالله لا يجلي عن الصداقة بحسب صنعها إن كانت أمام الناس أم لا، بل بحسب نيّة فاعلها. [1313]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد اعتادوا أن يسيروا مرتدين ثيابًا مكرومة لكي ينالوا تكريمًا عظيمًا بسببها، ويتبعون نفس الأمر في أشياء كثيرة تقودهم للمجد الزماني.

الأب ثيوفلاكتيوس

يَمُوتُونَ فِي الصَّبَا،

وَحَيَاتُهُمْ بَيْنَ الْمَأْبُونِينَ [14].

هذا ما يقوله الموتل في المزمور (55: 2).

الترجمة الحرفية: "سيموتون في صبا نفوسهم"، قد يعيشون للشيوخه حسب الجسد، لكن نفوسهم تُحسب غير ناضجة؛ قضاوا أغلب عروهم بلا نمو روحي ولا نفع لأنفسهم أو لإخوتهم؛ سنواتهم تحسب كيومٍ واحد (مز 90: 4)، أو كساعات قليلة.

"حياتهم بين الدنسين"، بين الزناة والفاسقين والفجار. جاءت الكلمة المترجمة "المأبوينين" لتعني الذين تكوست حياتهم للعبادة الوثنية لممارسة العلاقات الجسدية الخاطئة. وجاءت في الترجمة السبعينية: "حياتهم تُرحح بواسطة الملائكة".

إنهم يُحسبون كأهل سدوم وعمورة، لا يُقدم بعد لهم حنو أو رحمة، لأنه كان ينبغي عليهم أن يشبهوا للبرّ الحقيقي، يملسونه ويكرزون به، لكنهم كرسوا حياتهم للفساد.

❖ "تموت أنفسهم في عاصفة، وحياتهم بين المختئين" [14]... اعتادت أنفسهم على المديح البشوي في هوء مهلك، لكنها تموت في عاصفة مفاجئة... فإن مديح البشر يعذب الأوار، بينما يجعل الأثوار في زهو.

يتعذب الأوار (من مديح البشر لهم) فينتقون، بينما ابتهاج الأثوار (بمديح البشر لهم) يؤهلهم للعقاب الأبدى. إذ لا يطلبون مجد خالقهم، بيتهجون بمديحهم، أما الذين يطلبون مجد خالقهم، فيتعذبون من مديح الناس لهم، لئلا ما يقولونه عن الخرج لا يكون له وجود في الداخل. ولئلا ما يُقال حتى وإن وُجد في الداخل يصير باطلاً في عيني الله بسبب هذه الكرامات ذاتها. ولئلا يسحب مديح الناس قلوبهم عن الخرم، وينحدر بها إلى الشعور بالافتقار. أما إذاروا أن مديحهم يقود إلى مجد الله، فيشتاقون إليه ووحبون به. لقد كُتب: "لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجوا أباكم الذي في السموات" (مت 5: 16)...

المتشامخون يكوسون قلوبهم المختنة للمديح البشوي، لأنهم يفسدون بحب الأنا. قيل عن هؤلاء في موضع آخر: "لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم" (2 تي 3: 2) ..

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُنَجِّي الْبَائِسَ فِي ذُلِّهِ،

وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الضِّيقِ [15].

كلمة "البائس" هنا لا تعني مجرد الفقير، إنما المتألم والمُحرب كما أوضح أليهو.

الذين يقدمون توبة ووجعون إلى الله ينقذهم الله من تجربهم، ويوردهم إلى حياتهم قبل حلول التجرب.

"يفتح آذانهم" ، واهباً إياهم فهماً لتدبيره الإلهي. هذه المبدأ يشغل ذهن أليهو، كره عدة مرات.

❖ المسكين يخلص من ذله عندما يتحرر الإنسان المتواضع من متاعب هذه الرحلة. إذ هو تحت الضغط في تجرب مستورة لكي يشاق إلى طلب فوح التغذية الحقيقية. لذلك جاء بعد ذلك: "يفتح آذنيه في الضيق" ... تفتح الضيقة أذني القلب اللتين أغلقهما راء هذا العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3 . مشورة صالحة لأيوب

وَأَيْضًا يَقُودُكَ مِنْ وَجْهِ الضِّيقِ،

إِلَى رُحْبٍ لَا حَصْرَ فِيهِ،

وَيَمْلَأُ مَوْؤَنَةَ مَائِدَتِكَ دُهْنًا [16].

في وسط الضيق يتوّع الله المؤمنين كما من فم الأسد، وورفعهم إلى الحرية، كما إلى مكانٍ رحبٍ أكثر مما كانوا عليه قبل التجربة (مز 18: 19؛ 31: 8؛ 118: 5)، ويمدهم بمائدة دسمة (مز 23: 5؛ إش 25: 6).

جاءت العبرة "لا حصر فيه" في النص الورد في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير): "ليس تحته أساس".

❖ كل من ينسى طريق الحياة ويطح نفسه في ظلمة الخطية، يدفع بنفسه في بئرٍ أو حوة أيا كانت. وإذا تنقل جداً بعبادة لتكاب الخطية، وصار عاجزاً عن الصعود، يصير كمن هو حبيس بئر حوة الأعمال الصالحة الفسيحة بعد أن كان في مضيق عادة شروة، فيقال عنه: "يقودك من وجه الضيق إلى رحب". فإنه يُقاد الشخص بأمان من وجه الضيق إلى الرحب وذلك متى رجع بالتوبة من حملة نير الشر الثقيل إلى حرية الأعمال الحسنة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

حُجَّةَ الشَّرِّيرِ أَكْمَلْتُ،

فَالْحَجَّةُ وَالْقَضَاءُ يُمَسِّكَانِكَ [17].

رى البعض أن أليهو يوبخ أيوب قائلاً له إنه إن كان وهو تحت الآلام والتأديبات تمثل بالمتذممين، فإنه يسقط معهم تحت ذات الحكم. فكل ما رآه أليهو في أيوب أنه متذمر على الله، فيكون كمن يتمم ما يفعله الأثوار، ويتبنى روحهم وفكرهم، فأهل نفسه للسقوط معهم تحت العدالة الإلهية. ❖ كل خطية ليس لها أساس، إذ ليس لها كيان في طبيعتها. الشر لا كيان له في ذاته... فساد الشر لا قوة له ليقوم بذاته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عِنْدَ غَضَبِهِ لَعْلَهُ يَفُودُكَ بِصَفْقَةٍ.

فَكُرَّةُ الْفُدْيَةِ لَا تَفُكُّكَ [18].

يحذر أليهو أيوب من سلوكه مثل المتذممين، فيسحب الله بضوبه من عنده، ولا يمكن لفدية ما مهما كان قورها أن تخلصه، وإن كان أيوب قد صار معدماً، ليس لديه فدية يقدمها. فالمتذمر لا تفديه ثروته ولا إخوته، وكما يقول الموتل: "الذين يتكلمون على ثروتهم، وبكثرة غناهم يفخرون، الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفرة عنه" (مز 49: 6-7). الإنسان العنيد الدائم الشكوى والمتذمر يحفظ لنفسه الغضب الإلهي الموعب، ليس ما يفديه ولا من يفديه. تُرَاع حياته ويلقى بنفسه في جهنم.

"فاحترزوا من التذمر الذي لا خير فيه، وكفوا ألسنتكم عن التلب، فإن المنطوق به في الخفية لا يذهب سدى، والفم الكاذب يقتل النفس" (الحكمة

11 : 1)

"العبد الحكيم يخدمه الأحرار، والرجل العاقل لا يتذمر" (سواخ 10 : 28)

"ولا تتذمروا كما تذر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك" (1 كو 10 : 10)

❖ الإنسان الذي له تظلم (أو تذمر) يثور في قلبه هو بعيد عن رحمة الله.

الأب إشعياء

❖ إذا كان الغذاء ينقصك فصللاً وألاً واطلب من الله، ثم أخرج من قلايتك ولا تضع رجاءك في مَنْ تذهب إليه مفكراً هكذا: إِنَّ إِنْسَانًا سَيُعْطِينِي، بل قُل: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي سَيَسِدَّ حَاجَتِي". إذا ذهبَتْ عِنْدَ أَحَدٍ وَطَلَبْتَ شَيْئًا وَلَمْ يَعْطِكَ فَلَا تَتَذَمَّرْ، بل افهم أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُوَصِّهِ أَنْ يِنَالِ بِرُكَّتِكَ.

القديس رُسَانِيوس

❖ الإنسان الذي عوف ضعفه وعوزه قد وصل إلى حدِّ القَواضع. المَوجَّه لِإِنْعَامَاتِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ هُوَ الشُّكْرُ الْمُتَحَرِّكُ فِي الْقَلْبِ عَلَى النِّوَامِ. والمَوجَّه لِالتَّجَلُّبِ عَلَى النَّفْسِ هُوَ التَّذَمُّرُ. إِنَّ اللَّهَ يَحْمِلُ كُلَّ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَذَمَّرُ دَائِمًا نُونِ أَنْ يُؤَدِّبَهُ. الفم الذي يشكر دائماً يقبل البركة من الله، والقلب الذي يلزم الحمد والشكر تحلَّ فيه النعمة. ❖ الذي يماحك قبالة التأديب يبعد عنه الراحم الأبوية. الذي يتذمر مقابل التجرب تتضاعف عليه. الذي لا يتأدب ههنا وينسحق بالتجرب يتعذب هناك بلا رحمة.

القديس مار إسحق السرياني

❖ قال شيخ عن لعازر المسكين: "إننا لم نر أنه عمل أية فضيلة غير أنه لم يتذمر قط على ذلك الغني الذي لم ورحمه، وكان شاكرًا لله على ما كان فيه، ولذلك فقطرحمه الله".

بستان الرهبان

هَلْ يَعْتَبِرُ غِنَاكَ؟

لَا التَّبَرُّ وَلَا جَمِيعُ هَوَى النَّزْوَةِ! [19].

هل يظن الشوير أن الله يحلّبه من أجل غناه وذهبه أو من كل مصادر قوته التي يعتمد عليها.

لعله يشير هنا إلى الغنى الذي عاش فيه أيوب، فإنه لم ينقذه من يد الله. وأيضاً إلى مصادر قوته، إذ عُرف أيوب بحكمته وسمعته وسلطانه ومروءة الاجتماعي وهيبته شيخوخته؛ هذه كلها لم تكن قاهرة على إنقاذه من غضب الله، كما يقول أليهو. وكما يقول الحكيم: "لا ينفع الغنى في يوم السخط، أما البرّ فينجي من الموت" (أم 11: 4).

لَا تَشْتَأُقْ إِلَى اللَّيْلِ الَّذِي يَرْفَعُ شُؤْبًا مِنْ مَوَاضِعِهِمْ [20].

واضح أنه يقصد ليل الموت الذي طالما اشتهاه أيوب ليخلص مما فيه. وقد تحدث السيد المسيح عن الموت بكونه الليل حيث لا يعود يقدر الإنسان أن يملس عملاً ما (يو 9: 4).

إن كان أيوب قد انتهى الموت للخلاص مما هو عليه من آلام، فإن أليهو يدعو أن واجع حساباته، فإنه الموت لا ينقذ الشوير من الألم، إنما التوبة والرجوع إلى الله.

وى البعض أن هذه العبارة تعني أن بعض الأثوار يشتهون ليل الموت، فيعبروا عن العالم الحاضر ليحل آخرون في موضعهم، وينالوا نصيبهم من الآلام.

وى البعض أن أليهو يلوم أيوب قائلاً له: لا تشته الموت، بل اترك الأمر بين يدي الله، لئلا يسمع لك الله فيرسل الموت إليك وأنت على هذا الحال، فتقطع وتصير نفسك في رعبٍ وورعدةٍ.

إِخْذْ. لَا تَلْتَقُتْ إِلَى الْإِثْمِ،

لَأَنَّكَ اخْتَرْتَ هَذَا عَلَى الذُّلِّ [21].

يقول أليهو: إنك تهين عناية الله التي سمحت لك بالأحزان لتأديبك، فاشتهيت الموت عوض الأخوان. هذه الشهوة أثيمة، إذ تسيء إلى عناية الله وحكمته.

كثوفاً ما يفضل الإنسان الإثم عن الألم، إذ لا يبالي بإثمه، بينما يبذل كل الجهد للتخلص من الضيقات والآلام. وفي غلوة وجهل، إذ يضيف الإنسان إلى آلامه خطايا وأثاماً مزائدة.

4 . اللهُ يُعَلِّمُ وَلَا يَزِمُ بِقَبُولِ تَعْلِيمِهِ

هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ.

مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟ [22]

غاية أليهو أن يسحب فكر أيوب إلى الله، ويتأمل قدرته وحكمة وأبوته، فيقبله كمعلمٍ سمويٍ إلهيٍّ، ولا يوجه إليه لوماً أو اتهامات، ولا يشنكي منه.

جاء في الترجمة السبعينية: "من يُعَلِّمُ مثله؟"، "من هو قدير مثله؟" وكما يقول ميخا النبي: "من هو إله مثلك، غافر الإثم، وصافح عن الذنب لبقية مواته، لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسر بالوأفة" (مي 7: 18).

المعلم السموي قدير، يؤدب وهو قادر أن يحيي ويقيم، فلا يليق بنا أن نخطئ إلى حنوه وأبوته!

الله في أبوته يعلم ويؤدب: "طوبى للرجل الذي تؤدبه يارب، وتعلمه من شريعتك" (مز 94: 12). وإذ هو كلي القدرة والحكمة لا يتوحد في الحال ما وراء تعليمه وتأديبه بسبب العجز الفكري البشري عن إواك خطة الإلهية. لهذا يليق بالمؤمن أن يتقبل تعليم الله، لا أن يظن في نفسه أنه يُعَلِّمُ الله: "من قاس روح الرب، ومن مشوه يعلمه؟ من استشره فأفهمه، وعلمه في طريق الحق، وعلمه معوفة، وعرفه سبيل الفهم. هوذا الأمم كمنقطة من

دلو، وكعبار الموزان تُحسب، وهذا الخواثر يرفعها كدقة" (إش 40: 13-15). ويقول الرسول: "لأن من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشوًا؟" (رو 11: 34). "لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه، وأما نحن فلنا فكر المسيح" (1 كو 2: 16).

يقوم الله بالتعليم، لكنه لا يُزْم أحدًا بقبول التعليم [٢٢-٢٣].

❖ *Democritus* فن الطب - حسب ديموقريطس - يشفي أمراض الجسد، والحكمة تحرر النفس من هواجسها. أما المعلم الصالح - الحكمة - الذي هو كلمة الآب الذي أخذ جسدًا بشويًا، فيهتم بكل طبيعة خليفته.

إنه طبيب البشرية الذي فيه كل الكفاية. المخلص، الذي يشفي الجسد والنفس معًا [1314].

❖ الموشد السموي، اللوغوس يدعى الهادي عندما يدعو البشرية للخلاص... لكنه إذ يعمل كطبيب أو موبٍ يصير اسمه "الموبي"... فإن النفس

المريضة تحتاج إلى موبٍ يشفي آلامها. ثم تحتاج إلى المعلم الذي يعطيها الإواك... "إعلان اللوغوس". هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة

فخطوة يستخدم وسيلة ممتازة: إنه في البداية يهدي، ثم يصلح، وأخوًا يعلم [1315].

❖ من هو؟ تعلموا باختصار أنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ يردّه إلى الحق. إنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم

الهلاك وطرّد الموت. إنه يبني هيكل الله في الناس، فيأخذهم الله مسكنًا له.

يحتاج المرضى إلى مخلص،

ويحتاج الضالون إلى موشد،

يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،

والعطاش إلى البينوع الحي الذي من يشرب منه لا يعطش أبدًا،

والموتى إلى الحياة،

والخواف إلى راعٍ،

والأبناء إلى معلم؛

تحتاج كل البشرية إلى يسوع! [1316]

القديس إكليمنضس السكثوري

❖ قول فقيه عظيم من السماء، وصار معلمًا للعالم. استتلت المسكونة بتعليمه، لنلا يشتهي أحد بعد المقتنيات الزائلة. (الوسالة الأولى)

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كان موسى مُشوًا، ويشوع كان مشوًا، والأنبياء أيضًا كانوا مشوعين. يمكننا أن ندعوهم جميعًا مشوعين، لكن لا يوجد أحد مثل هذا الوسيط بين المشوعين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يظهر المسيح لكل واحد حسب احتياجه. فالمحتاجون إلى البهجة يتقدم إليهم ككرومة، والمحتاجون إلى الوجود في حضرة الآب يأتيهم كبابٍ،

والمحتاجون إلى من يقدم صلواتهم بجدونه الشفيح فيهم، الكاهن العلي، وللخظة هو الحمل (المذوح) لأجل تقديسهم.

إنه كل شيء لكل واحد دون أن تتغير طبيعته بل يبقى كما هو. هو باقٍ، وعمل بنوته لن يتغير، لكنه كيف نفسه حسب ضعفنا، بكونه طبيبيًا

ممتازًا أو معلمًا مملوء حنوًا. إنه الرب نفسه، لم يقبل الربوبية عن تقدم، إنما عمل بنوته طبيعي [1317].

القديس كيرلس الأورشليمي

مَنْ فَوَّضَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ،

أَوْ مَنْ يَقُولُ لَهُ: قَدْ فَعَلْتَ شَرًّا؟ [23]

هل يأخذ الله تعليمات من إنسانٍ ما وهو يدير العالم، ويعتني بكل الخليقة؟ هل من إنسان يُؤم الله بأمرٍ ما. الله يعمل نومًا ما هو حق، لن يخطئ قط.

لقد تجاسر أيوب وشوح للرب ما كان يجب أن يُعمل (أي 34: 10، 13).

❖ كأنه يُقال: كيف يمكن أن يُلام هذا الذي لا يمكن فحص أعماله؟ إذ لا يستطيع أن يحكم أحد فيما لا يعرفه. لذلك يؤمننا أن نبقى بالأحرى صامتين تحت أحكامه بقدر ما زى أننا لا نترك علة أحكامه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. عظمة أعمال الله

أَذْكَرُ أَنْ تُعْظَمَ عَمَلُهُ الَّذِي يَتَوَكَّمُ بِهِ النَّاسُ [24].

عوض اتهام الله سبحانه ومجده في أعماله (مز 111: 2-8؛ رؤ 15: 3)، بهذا تترك أن أعماله غير منظورة وغير متحركة، وهو حكيم وصالح. وكما يقول الرسول: "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم متحركة بالمصنوعات قهرته السومدية ولاهوته، حتى أنهم بلا عذر" (رو 1: 20). إذ نحن مدعون للشركة مع السمائيين أبدياً، حتى نحسب كمن احتل الرتبة التي سقط منها إبليس، يؤمننا أن نترب على التسبيح الداخلي لله، وتمجيده بلا انقطاع على معاملاته معنا.

❖ في الكتاب المقدس يُدعى الملائكة أحياناً "أناس"، وأيضاً الأشخاص الكاملين "أناس". أما عن دعوة الملاك إنساناً، يحمل دانيال شهادة بذلك، قائلاً: "إذ بالوجل جوائيل الذي رأيته" (دا 9: 21).

يعني الناس للرب عندما تظهر لنا الأرواح العلوية أو المعلمون الكاملون قوة الله لنا، مع ذلك فإن عمله لا يُعرف، حتى الذين يكرزون به يوقرون أحكامه التي لا تُترك. إنهم يعرفون ذلك الذين يكرزون به، لكنهم لا يعرفون علة أعماله، إنهم بالنعمة يعرفون هذا الذي خلقهم، لكنهم لا يستطيعون إرواك أحكامه المعمولة به وهي فوق فهمهم. يقدم العرث شهادة أن الله القدير لا يُرى بوضوح في أعماله، قائلاً: "الذي جعل الظلمة سوة حوله" (مز 18: 11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

كُلُّ إِنْسَانٍ يُبْصِرُ بِهِ.

النَّاسُ يَنْظُرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ [25].

ينطلع كل إنسانٍ إلى الخليقة المنظورة، ويرى فيها حكمة الله وقهرته تتجليان. هكذا يليق بنا أن نتتبع حكمة الله وقوته خلال أعماله، فنترك ما أوجه رجال الله، قائلين: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه، ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطوقه عن الاستقصاء" (رو 11: 33).

❖ لما كان الإنسان مخلوقاً عاقلاً لاق به أن يستنتج بالعقل أن الذي خلقه هو الله. رى الآن من خلال العقل، رى قوة سلطانه. ولكن عندما يُقال: "كل أناس يبصرونه" بحق يُصاف: "كل أحد ينظره من بعيد". فإن النظر إليه من بعيد هو النظر إليه أنه حاضر لا بشخصه، إنما أن يُفكر فيه بالكلية بالإعجاب من أعماله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلَا نَعْرِفُهُ،

الله كلي السلطة، لا يمكننا فحصه، أبدي ليس لوجوده زمن معين يحده. معرفتنا لله جزئية (1 كو 13: 12)، لأنه غير محدود (مز 90: 2؛ 102: 24، 27).

يحدثنا عن زلية وأبديته، أو سمديته بلغة بشوية كي يمكننا التلامس معها. "عدد سنياه لا يفحص"، إذ لا يخضع للزمن، بل هو موجوده.

❖ إذ الله حاضر في كل مكان، لذلك قيل عنه: "هوذا". قيل بأنه حاضر حتى بالنسبة للذين لا يرونه.

حسنًا يقول إنه يسمو على معرفتنا بالرغم من قوله قبلاً واه كل البشر. هذا معناه أنه وإن كان يُرى بالعقل، فإن عظمته لا يمكن أن تخترقها

حراسنا. فإن ما نعرفه عن بهاء عظمته هو قليل، وكما نزن أننا ندرك قوته نبتعد بالأكثر عن معرفته. يُخطف عقلنا إلى العلا لكنه يسمو بضخامة

عظمته هذا الذي نعرفه جزئيًا عندما نشعر أننا عاجزون عن أن نعرفه خلال استحقاقنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

6. العاصفة والمطر

لأنَّهُ يَجْدِبُ قَطْرَاتِ الْمَاءِ.

تَسُحُّ مَطْرًا مِنْ ضَبَابِهَا [27].

يقدم أليهو مثالًا عمليًا يعيشه الإنسان، خاصة في ذلك العصر، وهو كيف يتبخر الماء من البحر ثم يتول كمبرٍ يُستخدم في الزراعة، وأيضًا

ظهور الأعشاب التي تروى عليها الأغنام. الله بحكمته يسحب البخار ليصير سحبًا تحركها الرياح يحول السحاب إلى أمطارٍ تُسقط نقاطًا صغيرة ليحيا

الإنسان والحيوان.

❖ LXX ذاك الذي خطط كل شيء بمزانٍ وقياسٍ؛ الذي بحسب قول أيوب يحصي قطرات المطر (أي 36: 27)، يعلم إلي أي مدى يبقى عمله، وإلى

[1318]

أي مدى يسمح للنار أن تبيد (العالم).

القديس باسيليوس الكبير

❖ يوجد نوعان من الأوار في هذه الحياة . أولئك الذين يعيشون باستقامة ولا يعلمون شيئًا، والذين يعيشون باستقامة ويعلمون حسب ما يعيشون. وذلك

كما في وجه السماء بعض الكواكب تأتي ولا يتبعها عواصف، وكواكب أخرى تأتي وتسقط مياهاً على الأرض العطشى بأمطار غزوة.

غالبًا ما يوجد أشخاص في الكنيسة المقدسة يعيشون باستقامة، لكنهم لا يعرفون كيف يكرزون بالاستقامة، إنهم بالحق كواكب، لكنهم

يظهرون في جو جاف. يمكنهم أن يقدموا نورًا للآخرين بمثال حياتهم الصالحة، لكنهم لا يمتطرون بكلمة كواكبهم ويوجد أشخاص آخرون يعيشون

باستقامة ويمطرون هذه الاستقامة على آخرين بكلمة الكورة، فنظير الكواكب في السماء وتجلب أمطارًا تغير الغير باستحقاقات حياتهم ويمطرون

حسنًا بكلمة الكورة. ألم يظهر موسي ككوكب للمطر؟ ألم يظهر في هذه السماء؟... ألم يظهر إشعياء ككوكب للمطر، هذا الذي سبق وأى نور الحق

وتمسك به، وروى جفاف عدم الإيمان بإعلان كلمة النوبة؟

عندما استبعد الرب الأنبياء أرسل الوسل يحتلون موضعهم، ليمطروا مثل نوامات بعد أن توقفت الكورة بالناموس الخرجي (الحرفي)، عندما

انسحب الآباء القدامى... قيل بلرميا عن رفض اليهودية: "كواكب المطر توقفت ولم يعد بعد مطر متأخر" (راجع إر 3: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ منذ فترة قليلة اجتاحتنا السيول متأخرًا وأهلكتنا. أحصى قطرات الأمطار التي سقطت على هذه المدينة وحدها. لا بل أقول إن استطعت فأحصى فقط

القطرات التي سقطت على متوك، وليس على المدينة، لمدة ساعة واحدة! إنك لا تستطيع!

إذن فلتعرف ضعفك، ولتعلم من هذه اللحظة قوة الله " المحصي قطرات الأمطار " على المسكونة كلها، ليس الآن فقط، بل خلال كل الأمانة. والشمس هي من صنع الله. ومع عظمتها هي أشبه بنقطة وسط السماء. تأمل الشمس، وبعد ذلك تَوَسَّ في رب الشمس مندهشاً. "لا تطلب ما يعيبك نبهه، ولا تبحث عما يتجاوز قوتك، لكن ما أمرك الله به فيه تأمل" (ابن سواخ 3: 22) [1319].

القديس كيرلس الأورشليمي

الَّذِي تَهْطَلُهُ السُّحُبُ

وَتَقْطُرُهُ عَلَى أَنَاسٍ كَثِيرِينَ [28].

جاء في الترجمة السبعينية: "الأمطار تتول، والسحب تغطي بظلالها جموعاً من الناس. لقد عُين للحيوانات أن تعرف تدبير مساكنها. عند التأمل في هذه الأمور، أما يتحرك عقلك، ويتهيا قلبك ليرتك جسمك؟"

إذ تتقبل السحب البخار الصاعد نحو السماء توده قطرات أمطار تتول على جموع كثوة لنفعم. هذا الأمر الذي يحدث بكثرة في العالم يتحقق دون أن يفكر فيه البشر، وهو أحد القوانين الطبيعية التي لا تُعد، وضعها الله لأجل نفع الإنسان والحيوان. لقد وهب حيوانات البرية أن تعرف مساكنها، حيث توجد مياه خلال الأمطار أو الينابيع، مع أنها ليست كائنات عاقلة، قاهرة على التفكير والتخطيط.

❖ "الذي تهطله السحب" [28]... في الكتاب المقدس تشير السحب أحياناً إلى الناس المتقلبين ، وأحياناً إلى الأنبياء، وأخرى إلى الوصل. يعبر سليمان عن تقلب الفكر البشري بقوله: "من يرصد الريح لا يزرع، ومن واقب السحب لا يحصد" (جا11: 4). إنه يدعو الروح النجس "ريحاً" والذين يخضعون له "سحباً"، هؤلاء الذين يدفعهم إلى الراء والأمام، إلى هنا وهناك، إذ كثراً ما تتعاقبهم التجرب في قلوبهم من عواصف الاقترحات... أيضاً يقصد بالسحب الأنبياء ، كما قيل بالمرتل: "ظلمة المياه في سحب الهواء" (اجع مز 18: 11)، أي أن الحكمة المخفية في الأنبياء. يُقصد أيضاً بالسحب الوصل كما قيل بإشعيا: "أوصي الغيم أن لا يُمطر عليه مطراً" (إش 5: 6). إنهم كواكب، إذ يشوقون باستحقاقات حياتهم، وهم سحب إذ يروون رُض قلوبنا الضمأً بمجرى المعرفة السماوية. لو لم يكونوا سحباً ما كان النبي يقول عند تطلعه إليهم: "من هم الطائرون كسحابٍ" (إش 6: 8)...

"وتغطي كل شيء من فوق" [28]. عندما يغطي السحاب الهواء من فوق، فإننا إن رفعا عينونا إلى السماء، لا نرى السماء بل السحاب... لأننا جسدانيون عندما نسعى أن ننال السماويات، نرفع أعيننا إلى السماء، كأن نظونا مرتبط بالأمر الجسدية، فتريد بها أن نتعلم الروحيات. ولكن لا يُسمح لتعلقنا أن يعبر فوق الأمور الإلهية ما لم تتشكل أولاً بأمتة من قديسين سابقين، لذلك فإن أعيننا كأنها تتطلع إلى السماء، لكنها ترى مما من خلال السحاب. أنها تطلب أن تترك الأمور الخاصة بالله لكنها بالجهد تقدر أن تعجب بالأمور المعطاه للبشر.

انظروا، فإننا ملتهبون بالغيرة نحو التكريس للرب وحبه، لكن نتشكل في هذا التكريس والحب بتأملنا في هذه السحب. فمن هو مكوس مثل بطرس؟ ومن هو مملوء حباً مثل يوحنا؟

إننا نتغذى أيضاً بحياة الآباء (إواهم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسي ويشوع وصموئيل وداود) مثل سحب تنتشر فوقنا، حتى نُروى وننتج ثمرًا وفرة. ونحن نرى أولاً السحب عندما نتطلع إلى السماء، إذ نرى أولاً بعجب أعمال الصالحين وبعد ذلك نتعمق بخورتنا في الأمور السماوية. لكن حياة وفضائل هذه السحب، أي هؤلاء الآباء القدامى، ما كانت تُفتح لنا ما لم توضحها لنا سحب أخرى، أي الوصل، وذلك بنور كورتهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَهَلْ يُعَلِّلُ أَحَدٌ عَن شَقِّ الْغَيْمِ،

أَوْ قَصِيفِ مَظَلَّتِهِ؟ [29]

يتساءل إليهو: "من يقدر أن يفهم سر انتشار السحب" وضوضاء مظلة، أو صوت الوعد؟ (مز 18: 11، إش 40: 22؛ مز 105: 39).

في بدء التلزيخ لم يكن الإنسان قانواً على فهم الأسباب التي تكوّن السحب، وتزول الأمطار. الآن مع تقدم العلم اكتشف الإنسان بعض هذه الأسوار، فزاد انبهله بالخالق العجيب، كما أترك أنه مهما بلغ من العلم يصعب بل ويستحيل عليه السيطرة على الظواهر الطبيعية.

هُوَذَا بَسَطَ نُورَهُ عَلَى نَفْسِهِ،

ثُمَّ يَتَّعِطَّى بِأَصُولِ الْبَحْرِ [30].

وى اليهود في السحب والعود والورق عجائب تشهد لقوة الله ورايته. هذه الظواهر تبدو كأنها مظلة الله أو خيمته. تنتشر السحب في السماء، ويظهر النور أو اليرق منتشرًا أيضًا إلى لحظات. وكأن هذه الظواهر تكشف عن أمورٍ عجيبةٍ تبدو مضادة لبعضها. فالسحاب المنتشر يبسط ظلالاً على الأرض، واليرق التي تحدث بسبب السحب تبسط أولًا تخترق السحب.

السحب الكثيفة مع اليرق تقدم صورة مثوة ومبدعة.

وى الموتل في السحب الكثيفة واليرق أشبه بثوبٍ سمويٍّ مبدعٍ، فيقول: "اللابس النور كثوبٍ، الباسط السموات كشقةٍ، المسقف علاليه بالمياه، الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة اليرق" (مز 104: 2-3).

بينما يكشف الله عن سقوط الأمطار خلال اليرق المنوة إذ به يغطي أعماق البحار بفيض الأمطار التي تسقط وتصب في البحار كما لو كانت تغطي أعماقها.

تمتد يد الله للعمل في الأعالي في السماء وسط السحب الكثيفة، وعلى الأرض حيث تهطل الأمطار، وفي أعماق البحار. هو ضابط الكل.

❖ " إذ ما نشر السحاب كخيمته، وأضاء بنوره من فوق، فإنه سيغطي أيضًا البحر " ينشر الوب سحابه، وذلك عندما يفتح طريق الكرة لخدمته، ينشورهم في كل اتجاه في يكل المسكونة. حسناً يقول: "كخيمته"، لأن الخيمة عادة تُنصب في الرحلة. وعندما أرسل المبشرون القديسون إلى العالم، صنعوا طريقاً لله. في هذه الرحلة، خيام الله هي قلوب القديسين، هذه التي يتغطي بها في الطريق أثناء الراحة... هذه السحب الآن بحق تُدعى خيمته، لأن الله إذ يأتي إلينا بنعمته يحتجب في قلوب كلزيه؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأنه بهذه يدين الشعوب،

ويرزق القوات بكثرة [31].

يستخدم الله السحب والأمطار والندى والعواصف والزوابع والرياح والأعاصير (هواكين) والتورنيديو (إعصار) واليرق والجفاف والظوفان للتأديب من أجل حنوه على الإنسان وبنائه. وهذه عينها يستخدمها الله ليقدم للبشرية وللحيوانات طعاماً وشواً بفيضٍ.

يقول الموتل: "كللت السنة بجودك، وأثرك تقطر دسماً. تقطر مراع اليرقة، وتنطق الآكام بالبهجة اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطف واً، تهتف وأيضاً تغني" (مز 65: 11-13). وكما يقول الرسول بولس: "مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد، وهو يفعل خواً، يعطينا من السماء أمطراً، وأمنة مثوة، ويملاً قلوبنا طعاماً وسروراً" (أع 14: 17).

❖ " لأنه بهذه يدين الشعوب، ويرزق القوات لكثيرين من القابلين للموت" [31]. بواسطة كلمات المبشرين، أي قطرات السحب، وبواسطة يرق المعجزات، بلا شك يدين الله الشعوب، إذ يدعو قلوبهم للوعبة للثوبة. فإنهم إذ يسمعون الأمور السماوية، وعندما يصغون للأعمال المعجزية وجعون في قلوبهم ويخزنون على شهورهم السابقة، ويخشون العذابات الأبدية...

البابا غريغوريوس (الكبير)

7 . نشيد للحكمة القدوة

يُعْطِي كَفَيْهِ بِالنُّورِ،

وَيَأْتِيهِ عَلَى الْعُدُوِّ [32].

يستخدم الله الأتوار (الورق) بيديه، بالورق يؤدب الأتوار، وبالأتوار يشوق على الأوار.

جاءت الترجمة السبعينية: "يغطي النور في يديه"

كأن الورق الذي لا سلطان لنا عليه يمسك به الله ويوجهه كما يشاء. الورق الذي يظهر سريع الحركة جدًا لا يتحرك إلا بتوجيه من الله، هو أداة

طبيعية في يده.

إن كان الله يسمح بأن يحجب نوره عن المتشامخين، فإن نعمته تعمل فيهم بالسماح لهم بالتجرب حتى يرجعوا إليه بقلوبهم فيستتبرون بنوره.

❖ " يعطي النور عن الأعواء (القادرين)" [32] الأقرباء في الواقع هم الذين يفتخرون بأفكار متشامخة. قيل بإشعياء ضد هؤلاء: نويل للحكام في أعين

أنفسهم، والفهماء عند نويهم" (إش 5: 21). ويقول ضدهم بولس: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رو 12: 16). يُخفي النور عن هؤلاء القادرين،

لأنه بدون شك يحجز معرفة الحق عن المتشامخين... يوجد كثيرون في الكنيسة يستخفون بأن يكونوا صغلاً، ولا يكونون عن ان يكونوا عظاماء في

أعين أنفسهم عوض التواضع.

❖ هنا أيضًا بعد أن قيل عن النور أن ينسحب منهم أضاف: "ويأمره أن يعود ثانية".

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُخْبِرُ بِهِرَعْدُهُ الْمَوَاشِي أَيْضًا بِصُغُودِهِ [33].

الوعد الملائم للورق يشهد لسلطان الله وعظمته. حتى في صوت الرعد الله يهتم بالغنم، فعظمته لا تظهر فقط في أعماله العظيمة الضخمة،

وإنما في حوه حتى على الغنم وكل الخليفة.

وى البعض أنه يتحدث هنا صوت مياه الأمطار الغرورة، فإن الغنم غير العاقل يدرك بالغرورة هطول الأمطار وهي تقرب، فتجرب لتجد لها

ملجأ، بينما وى الإنسان الشر قادمًا نحوه ولا يهرب منه.

❖ " يعلن لأصدقائه، أنها ملكه، وأنه يصعد إليها" [33]. صديق الحق هو المحب للسلوك المستقيم. يقول الحق نفسه لتلاميذه: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما

أوصيتكم به" (يو 15: 14). فإن الصديق يدعى "حافظًا للنفس"، وهكذا يسعى لرواعة رادة الله في وصاياه، فيستحق أن يدعى صديقه. لذلك يقول

الحق نفسه لذات تلاميذه: "قد سميتكم أحبباء، لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو 15: 15)...

حسنًا أضيف الوعد: "إنه يصعد إليها" أي شيء أصعب من أن إنسانًا وُلد على الأرض، ويحمل أعضاء لُضية هشة، أن يصعد إلى أعالي

السماء، وأن يخترق أسوار الروح العليا؟ لكن خالق هذه الأرواح نفسها جاء إلينا، وأعلن نفسه إنسانًا، بل وصار أقل منا... هذا الذي صار أقل من

الملائكة من أجلنا، يجعلنا مساوين للملائكة بتواضعه. علمنا أيضًا بموته ألا نخاف الموت، وبقيامته أن نثق في الحياة، وصعوده ان نعتز بمواث المدينة

السموية...

إذ صونا واحدًا معه، عاد وحده، فينا، إلى ذات الموضع الذي جاء منه وحده فيه. هذا الذي هو دومًا في السماء يصعد يوميًا إلى السماء، لأن هذا

الذي يبقى في لاهوته فوق كل الأشياء يسحب نفسه إلى فوق يوميًا في جسد تأنسه. ليت الضعف البشري لا يبأس بل يتمتع بدم الابن الوحيد إذ التكلفة

كثوة هكذا... ليصنع البشرية في اعتنائها بشغفٍ أين ذهب رأسها قبلها، ولينقوى في الرجاء بقوته أولئك الذين يرتبطون بوصيته للحياة الصالحة لتشعر

البشرية بالتأكد من السماء! لتتوجى المدينة السموية. لتعوف أنها الملائكة، ولتتوح بأنها إذ ترتبط وأسها صلت نُفضله حتى عن الملائكة!

البابا غريغوريوس (الكبير)

علمني, دربني, فأتمتع بك!

- ❖ علمني أيها المعلم السموي العجيب.
فإن بدت يدك قاسية,
لكن قلبك متسع بالحب لي,
أنت الأب الحكيم والقدير.
- ❖ تسمح لأولادك بالضيق,
لكن لن تستقر عصا الخطاة عليهم.
تحملهم فيك,
تقيمهم من الغزيلة ليجلسوا مع أشرف أشرف شعبك.
- ❖ يمد الأشرار أيديهم عليّ,
حاسبين أنك لا تنظر ولا تبالي!
بحبك تسمح بالظلم إلى حين,
لنعد أعماقي لأمجاد فائقة.
تعديني ملكا, أتمتع بملكوتك الأبدي.
- ❖ يظن الأشرار أنهم يوثقونني بقيود الظلم,
ولم يبركوا أنني بالأكثر أتحور,
لنتطلق أعماقي إليك وأكون معك!
- ❖ وسط الضيق أستمع إلى صوتك,
تمتلئ نفسي بالسورور,
ويتهلل قلبي بك.
أكتشف خطاياي فنئن نفسي.
لكني رأك مخلص العالم,
فألنصق بصليبك.
- ❖ وسط مذلة العالم تفتح أذني بروحك القنوس,
فأتمتع بعودك الإلهية.
تقوض قلبي من الضيق إلى الرحب.
تتسع نفسي بالحب حتى لمضايقي.
أدخل إلى مائدة الحب.
أتمتع بدسم وليمنتك.

فتشبع نفسي بك!

❖ عوض التذمر علي كثرة مقاومي،

تتهلل نفسي بك،

ولا تتوقف عن تقديم ذبائح شكرٍ لا تتقطع.

أقتنيك يا أيها الكنز السموي.

فيصير ذهب العالم في عيني وآبًا.

وثروة العالم كلا شيء!

❖ من مثلك معلم عجيب!

تعلمني بوصيتك،

وتربني بحبك،

وتحملني فيك،

وتصعد بي إلى عرش نعمتك!

❖ أي معلم مثلك يا أيها الأب السموي!

تدخل بي إلى التلمذة لك.

النقي بك معلمًا، تسكب عليّ كنوز علمك ومعرفتك.

تشفي حواحات نفسي وقلبي وفكري.

تقيمني من موت الخطية وتهبني الخلود،

تزع عني عري، وتقدم لي شوكة المجد السموي،

تفتح عيني فلا أتعثر في وادي هذا العالم.

ترويني بروحك القنوس فلا أعطش إلى حياة العالم.

❖ من يقدر أن يفحص حكمتك يا حكمة الله العجيب!

هل للطين أن يحلور الفخري؟

هل للزّابي أن يدرك أسوار الخالق السموي؟

لكن في أبوتك وتواضعك تطلب أن أحاججك!

أتكلم معك وأسر بك!

❖ لتهب كالعاصفة علي نفسي فتمتلئ قرة.

لتمطر بمياه روحك القنوس، فتحول بويتي إلى جنتك!

لتبسط نورك عليّ، فنتبدد ظلمتي.

لك المجد يا معلمي المحب الصالح!

الله في العاصفة

جاء هذا الأصحاح كنقطة تحولٍ في أحاديث أليهو مع أيوب، إذ يبدو أنه قد ظهرت علامات عاصفة قادمة، وكأن الطبيعة تستعد للظهور الإلهي لأيوب. فانطلق قلب أليهو وفكوه من الأحداث الزمنية التي تحيط به إلى التمتع بالحضرة الإلهية، والدخول في حالة دهش في الإلهيات والسمويات. يكمل أليهو أحاديثه عن تمجيد قوة الله العظيمة وحكمته، ضارباً مثلاً بتغورات الجو. فإن كنا نخضع في هذه الأمور لإرادة الله، إذ لا سلطان لنا على تغيير الجو، فلماذا لا نخضع له في تدبوه لأمرنا. هنا يُبرز أليهو بوضوح يد الله في الطبيعة، مطالباً أيوب أن يتأمل أعمال الله في البروق والسحب والرياح والحلّة والتّرد، وفي تكوين السموات، وتغيير الجو.

- 1 . الوعد والبرق 1-5
- 2 . الأمطار الغزيرة والثلج 6-13
- 3 . أيوب قاض غير مؤهل للحكم على عناية الله 14-22
- 4 . الله كامل وعظيم ومهوب 23-24

1 . الوعد والبرق

لهذا اضطرب قلبي،

وخفق من موضعيه [1].

مع بدء ظهور ملامح العاصفة، شعر أليهو بأن عاصفة داخلية تجتاح قلبه، فصار يرتعب لشعوره بالحضرة الإلهية. شعر باضطراب لا عن قلقٍ وفقدانٍ للسلام، وإنما عن اهتزاز قلبه لدخوله في دهشٍ أمام عظمة الخالق. وكان قلبه صار هيكلاً للرب يهتز أمام مجد الله.

بقوله "لهذا"، يقصد: "عندما سمعت رعد العظمة الإلهية". ربما كانت قد بدأت العاصفة التي من خلالها تحدث الله مع أيوب.

مع أن أليهو أفاض في وصف هذه الظواهر الطبيعية - العواصف والبرق - بكونها تحمل شهادة لعظمة الله وقوته وسلطانه، لكن ما أن بدأت العاصفة حتى اهتز كيانه الداخلي. فكثرت ما وعب الوعد والبرق، ليس فقط الأشوار، بل وأحياناً بعض الأوار.

قيل عن الإمبراطور *Caligula* إنه اعتاد أن يجري لينزوي في ركن من قصوه أو يقول تحت السوير عند سماعه الوعد ورؤيته البرق.

❖ هنا بعد التأمل في نور المدينة الأبدية، بحق قيل: "لهذا اضطرب قلبي". كأنه يقول: انطلقت إلى خراج نفسي من فوط الدهشة، ولأن الذهن قد أُوحي إليه بروح رجاء جديد، هجر طرق التفكير القديمة.

حسناً قيل: "وخفق من موضعيه"، لأن مسرة الحياة الحاضرة هي موضع القلب البشوي. ولكن إذ يُلمس قلبنا بوحى إلهي، يحل حب الأبدية. لهذا

يتحرك العقل من موضعه بالتأمل في الأبديات. إنه يتوك السفليات، ويركز في التفكير في العلويات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قال لي أخ: حينما كان يُخطف عقلي لهذه النظرة البهية، كنت أراه يتوس في بحر الحياة، يسبح في لجةٍ من نورٍ، ويستنشق رائحة الحياة، ويدهش ويتجلى بوحٍ عظيم، ويتغطى بالنور، ويغلي بفعل الحب والروح بإشراق عجيب... وفي الوقت الذي تكون فيه هذه الموهبة في النفس، فلو كانت كل

الخليقة أصوات واضطرابًا، لا تستطيع أن تجعل العقل يهبط من موضعه، أو يعود إلى ذاته، من فوط انشغاله بالتعجب والدهش، وفقدان كل صلة بشعور الجسد.

❖ عندما تنظر إليه وهو متحد بك هكذا، يسبي ذاتك من أمام ذهنك لكي يترى وحده لذهنك، إذا كانت قوته الرائية قاورة على ذلك. وإن لم تستطع، فليبق في الذكر الدائم. هكذا يكون ذهن الإنسان مجتمعًا في ذاته بذكر الله وبالتحقق به. هذا ما يسميه أبونا حفظ الذهن، ولا شيء عالٍ مثله بين الفضائل والأعمال كلها [1320].

الشيخ الروحاني

اسْمُوا سَمَاعًا رَعْدَ صَوْتِهِ،

وَالنَّوِيِّ الْخُلُجِ مِنْ فَمِهِ [2].

"اسموا سماعًا" يكرر كلمة السماع موتين، ويشبه كلماته بعاصفة رعد وبرق، وكأنها قصف مستمر على بيته، وبرق يضيء أمام العيون، فليس لأبوب ومن معه عذر، إنما يؤمهم أن ينصتوا بكل مشاعوهم. وقد بقيت العاصفة مستورة حتى تكلم الرب نفسه من السماء مع أبوب.

كثورًا ما يرتبط حديث الرب مع شعبه أو مؤمنيه بالعاصفة، وكما يقول الموتل: "إله المجد رعد... صوت الرب يترنن الروية، يترنن الرب روية قادش" (مز 29: 3، 8). "الله في العاصفة"، لا في الطبيعة فقط، وإنما في عاصفة النفس الداخلية أيضًا؛ إنه في أعماقنا يعلن عن ذاته خلال العواصف التي تجتاح طبيعتنا الداخلية. جاء كلمة الله ليدخل النفس ويثير فيها ثورة داخلية ضد الشر ليحطم فينا الإنسان العتيق ويهبنا الإنسان الجديد. حتمًا كان آدم وحواء يترقبان بوح صوت الله الذي يقدم ماشيًا في الجنة، لكن بعد سقوطهما في الخطية صار صوت الرب الإله موضع خوفٍ ورعبٍ لهما، متى سمعاه كانا يخبئان من وجه الرب (تك 3: 8). بسبب رتباطنا بالأرضيات صرنا نسمع صوته في العاصفة وخلال الرعد، "الرعد الرب من السموات، والعلي أعطى صوته" (2 صم 22: 14). عندما استلم موسى النبي الناموس، قيل: "وكان جميع الشعب يرون الوجود والبروق وصوت البروق، والجبل يدخن، ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد" (خر 20: 18؛ راجع خر 19: 16). ويقول الموتل: "صوت رعدك في الزوابع، البروق أضاعت المسكونة، ارتعدت ورجفت الأرض (مز 77: 18، راجع مز 97: 4، 135: 7). كما قيل: "إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات، ويصعد السحاب من أقاصي الأرض، صنع بروقًا للمطر، وأخرج الريح من خزائنه (إر 10: 13، 16).

❖ حقق الكتاب بهذا القول (خر 29: 18-19) إنه ليس للمخلوقات طاقة لسماع صوت الخالق. وإذا سمعه يكادون أن يموتوا من خوفه، لهذا أنعم علينا بالتجسد في آخر الزمان، حتى يمكن لبني البشر أن يسموا صوته ولا يموتوا [1321].

القديس مار إفرام السرياني

❖ تقف السماء وعدة، فهي تضعف حتى تصير كإلهة أمام عظمتك، ولكن الرحم استقبلك واحتواك وحمل مجدك.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ يليق بنا أن نلاحظ أنه قيل عن صوت الله إنه يُسمع لا في فوح، بل في رعدة. بالتأكيد كل خاطي يفكر فقط في الأمور الأرضية، ويحمل قلبًا غرقيًا في أفكار سفلية، متى تلامس فجأة بوحى النعمة الإلهية يدرك فوق كل شيء أن كل أفعاله يعاقبها الديان الأبدي. لذلك فإن صوت الرب في البداية يكون في رعدة، ليتحول بعد ذلك إلى العنوبة...

إذن يمكننا أن نفهم من رعد صوته قوة الخوف، ومن صوت فمه عنوبة التعزية. فإن الذين يملأهم الروح القدس يحترقون من أفعالهم الأرضية، وبعد ذلك يعزيم بالوجاء في السمويات، وذلك لكي ما يفرحوا مؤخرًا بالأكثر في يقين المكافأة بقدر ما كانوا في خوفٍ حين كانوا يتطلعون إلى العقوبات وحدها. يقول بولس: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصح: يا أبا الآب" (رو 8: 15). ... ها أنتم ترون رعدة

الاهتداء قد تحولت إلى قوة، يعاقبون خطاياهم بالندامة، ويصعدون حتى إلى مملسة الحكم، ليقبلوا هذه القوة من الله، هذه التي كانوا يرتعون منها عند يديه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يقول الموتل: "صوت الرب يحطم الأرز، الرب يكسر أرز لبنان" (مز 29: 5). صوت الرب في الوعد، غالبًا ما يكسر شجر الأرز، حتى أرز لبنان أقوى أنواعه وأكثرها صلابة. رياح العاصفة تقتلعه أحيانًا بجذوره، وتحطم قممه العالية المتشامخة، فتنبطح رُضًا. تمثل هذه الأشجار النفوس المتشامخة المعتدة بذاتها، فقد جاء صوت الرب أو كلمة الله المتجسد ليدخل بهذه النفوس إلى حياة التواضع خلال حزن التوبة. وقد اختار الله ضعفاء العالم ليخزي بهم الأقوياء (1 كو 27: 1)، لكي يتمتعوا هم أيضًا بذاك الذي صار بذاك القدير الذي من أجلهم صار في صورة ضعف.

❖ " صوت الرب يحطم الأرز " . بالتوبة يكسر الرب أولئك الذين يمجدون نواتهم بشوف أصلهم الزمني، والذين يقفون في خجل حينما يختار أذنياء هذا العالم ليظهر فيهم قوته الإلهية.

القديس أغسطينوس

تَحْتَ كُلِّ السَّمَوَاتِ يُطَلِّفُهَا،

كَذَا نُورُهُ إِلَى أَطْوَافِ الْأَرْضِ [3].

حديثه أشبه بالبرق الذي ينطلق من أقصى المسكونة إلى أقصاها كما وى الإنسان، ففي غمضة عين وى الكل حوه ويسمع الجميع صوته. " إلى أطواف الأرض " ، جاء النص في العبرية: " إلى أجنحة الأرض " ، مشبهًا الأرض كلها بطائرٍ يبسط جناحيه فيطير، وها هو يتمتع بصوت الرب ونوره، ليخلق في السموات عينها.

مع أن حديث الرب شخصي للمؤمن، لكنه كمحبٍ لخليقته يتحدث علانية تحت كل السموات، ويُسمع صوته في أركان المسكونة الأربعة، لكي يسمع السمائيون والأرضيون جميعهم صوته، ويدركون أسوره. في حديثه يهتم بالأوار العظماء في الإيمان، كما بالخطاة فينقيهم حتى من أتفه الضعفات.

❖ كأنه يقول بوضوح: ذاك الذي يدير الأمور العلوية لا ينسى حتى الأمور الضئيلة جدًا... إنه يهتم بكل شيء بالتسوي، يدبر كل شيء بالتسوي. ذاك الحاضر في كل المواضع، لا يُحد بموقع ما، ولا يهتم بمواضع مختلفة بطريقة بتحيزٍ...

إنه يهتم حتى بأتفه ما في ضعفاتنا. وى نوره كما في أقاصي الأرض تحت السموات. بعد عبور الأعمال السامية التي للذين يقفون أمامه، يهتم بطرق وأفعال الخطاة باستترة نعمته عليهم. وإن كان لا يُظهر علامات عجيبة في حياة المؤمنين، إلا أنه لا يتخلى عن هؤلاء المؤمنين وذلك بالعمل فيهم.. بالتأكيد نهاية الأرض هي نهاية الخطاة. فإن كثيرين ينسون الله خلال حياتهم مرتبطين بالشهوات الجسدية، لكن إذ تعمل نعمة الله في وقت متأخر من حياتهم يرجعون إلى الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وى القديس مار يعقوب السروجي أن الوعد الذي صاحب الحضوة الإلهية عند استلام موسى الناموس إنما يشير إلى صوت البوق الذي يتقدم العريس القادم للعوس، وكأن غاية الناموس أو الوصية الإلهية اتحادنا الموح بالعريس السموي.

❖ نفخ في الضباب كما لو كان في القون، وصددر عد شق الأرض بقوته، بهذا أيضا كان نظام ذلك العوس محترماً، لأن الختن يدخل إلى خوه بصوت القون... موسى أعطى هذه العلامة التي كان يعرفها هو وحده قبل أن ينحدر عند الشعب...

ارتجت الخلائق بالأصوات والرؤى الوهية، لان رب البرية حل في سيناء في الضباب،

انتشرت العود بعيداً على قمة الجبل، وأشرلت صلخة: الملك موجود هنا،

صوخت الأوراق بقوة على مرتفع سيناء، لتجتمع الأرض إلى موعد الصوت: الرب موجود هناك [1322].

القديس مار يعقوب السروجي

بَعْدُ يُؤْمِرُ صَوْتٌ،

وُوعِدُ بِصَوْتِ جَلَالِهِ،

وَلَا يُؤَخِّرُهَا، إِذْ سَمِعَ صَوْتَهُ [4].

بعدها، أي بعد البروق أو الإنلثة، حيث وى نور البروق يصحبه صوت الود. هذا ما يفعله الرب بسووه نحو الإنسان، يشرق بنوره وود بصوته، لكي يتمتع بالعود الإلهية، أو يتجاوب مع تأديباته له.

" لا يؤخروها، إذ سمع صوته" ، ربما يعني أنه لا يؤخر بروقه التي يشرق بها على قلب الإنسان وفكره، أو لا يؤخر المطر الذي يصحب العواصف حتى تروي الأرض بمياه النعمة الإلهية، وتتحول البرية إلى جنة موحدة، تحمل ثمر الروح.

وى البعض أنه مع تأكد الإنسان من ظهور البروق وسماع صوت الود، يصعب عليه جداً أن يقتفي آثار هذه الظواهر، ويحدد أماكنها وتحركاتها بدقة. هكذا يتلامس كلمة الله مع المؤمن، فتفتح عيناه لوى محبة الله، ويسمع الود الإلهية، لكنها تبقى فوق إراكه، إذ هي فائقة بالنسبة للعقل البشوي.

" لا يؤخروها، إذ سمع صوته" ، إذ يسمع الإنسان صوت الود، لا يقدر أن يمسه بالبروق ويؤخروها لكي يحدد مكانها أو مسافتها الخ.

❖ يا من لدغ بخطيئة الموت ها إن الحياة معلقة راعك. فأنظر إلى الصليب وعش. ما لم تنظر إليه تموت. اسقط عليه كالمة على عظام اليشع (2 مل 13: 21). اسمع صوته مثل لعازر من شقوق الهلاك . لا تقطع رجاء حياتك، لأن رجاءك ثابت فيه. فالممة لا يشمئز من الاتكال على باعث الحياة.

ليس حسناً لمن فيه حوح أن يبتعد عن باب الأسي... من واجب الخاطي الذي يلح ألا يكف عن أن يطلب الراحم حتى إذا لم ينل الغوان. إن ظن

الخاطي في نفسه أنه لا يستحق الراحم، وهو يعلم أنه غير مستحق لنوالها لا يكف عن التوسل. هذا ما يستحق الراحم [1323].

القديس مار يعقوب السروجي

اللَّهُ وُوعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا.

يَصْنَعُ عَظَائِمَ لَا نَرُكُّهَا [5].

في وصفٍ رائعٍ يقول إن الله حاضر في كل العاصفة يوجهها حسبما يشاء، يصنع عجائب لا يمكن للعقل البشوي أن يبركها. "عجبية هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقيناً" (مز 139: 14). كأنه يقول إن صوت رعه مدهش للغاية، يعلن عن قوته وجلاله وحكمته. ليس فقط في الود والبروق، وإنما في كل شيء نتلمس عمل الله العجيب.

هكذا كان أليهو يهبي أذهان كل الحاضرين لظهور الرب وحديثه خلال العاصفة. يقول الموتل: "أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه فوعت، ارتعدت أيضاً للجح؛ سكبت الغيوم ميهاً، أعطت السحب صوتاً، أيضاً سهامك طرت؛ صوت رعدك في الزوبعة، البروق أضاعت، المسكونة ارتعدت ورجفت الأرض" (مز 77: 16-18).

❖ وعد الله بطريقة عجبية بصوته، إذ يخترق قلوبنا بقدرته السرية بطريقة لا يعبر عنها . فبينما يسيطر صوته علينا بالخوف بفعله السوي ويشكلنا في الحب، يعلن بطريقة صامتة كيف يشناق أن نتبعه...

" يصنع عظام لا نركها (غامضة) ". فالإنسان الذي استسلم للأمور الأضية، واستبدت به الشهوات الشووة، يصير فجأة غيراً لمساح جديدة،

وبلردًا من جهة العادات القديمة، فيجدد الاهتمامات الخرجية، ويشغف بالتأمل الداخلي. من يقدر أن يعبر عن قوة هذا الصوت العلوي؟... إنه ينطق بصوته حتى بواسطة الوصل، وهو الذي ينير قلوب السامعين في الداخل بنفسه. يقدم بولس شهادته، إذ يقول: "أنا غوست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي" (1كو 3: 6). فإنهم وإن كانوا لا يمنحون الاستماع للصوت الإلهي في أذهانهم، لكنهم أرسلوا لكي يقدموا الكلمات من الخرج.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ما هي العظائم التي لا نتركها عندما وعد الله بصوته العجيب، سوى عمل نعمته الخفية فينا، فيقيم منا عجبًا خلال كلمته الفعالة ونعمته الغنية. فكلما الله تعد بقوة عجيبة، وتعمل بغنى في داخلنا، وكما يقول الموتل: "أرسل كلمته فشفاهم، ونجاهم من تهلكاتهم" (مز 107: 20).

❖ 1:9 يُخبر بعجائب الله (مز) من واهما تتحقق ليس فقط علنًا في جسده، وإنما أيضًا بطريقة غير منظورة في نفسه، بل هذه العجائب أكثر سمواً ورفعة. فالبشر كلرضيين وينقادون بما يرونه بالعين يتعجبون بالأكثر أن لعزر الميت يقوم في الجسد، أكثر من تعجبهم أن بولس المضطهد يقوم في الروح (يو 11؛ أع 9). ولكن تدعو الأعجوبة المنظورة النفس للتمتع بالنور، أما بالأعجوبة غير المنظورة فيعبر الإنسان ليتحدث عن كل عجائب الله [1324].

القديس أغسطينوس

[1325]

❖ لا تخجلوا من عطية النعمة، فإنها أكثر عجبًا من قوة إقامة الموتى وصنع العجائب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . الأمطار الغزيرة والتلج

لأنه يقول للتلج: اسقط على الأرض.

كذا لوائل المطر، وائل أمطاره [6].

يتحدث أليهو عن العواصف الثلجية، حيث يسقط الثلج الثقيل - وليس الواد - فبسبب شدة برودة الجو يتحول المطر إلى تلج، ويسقط ويستقر على الأرض، فيجعل منها بساطًا ناصع البياض، يعكس النور بطريقة مبدعة. يشير هذا الثلج إلى حكمة الله التي يهبها على كنيسته ويتمتع بها المؤمنون، فيحملون برّ المسيح الطاهر، ويعكسون بهاءه.

بأوره يسقط المطر الخفيف، كما الأمطار الثقيلة، فكل الظواهر لا تتحرك إلا بأوره، إذ هي تحت سلطانه.

❖ إذ يقول الموتل: "تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز 51: 7). ماذا نفهم بالثلج إلا قلوب القديسين التي صلت ببيضاء بنور البرّ؟... الماء إذن هو عقول الكلازين التي تثبت في معانٍ عالية للأمر، عندما يرتفعون بالتأمل في السماويات...

بالتأكيد كان بولس يمتز ماءً على الأرض عندما عرف الناموس بطريقة جسدية. لكنه إذ ارتفع إلى المعرفة السماوية تحول إلى تلج. لقد غير معرفته السابقة الواهية إلى صلابة الحكمة الحقيقية، رجع وتول على إخوته، إذ عاد تلجًا إلى الأرض. فإنه حتى بعد بلوغه أعالي الفضيلة، كان يعرف كيف كان غير مستحق، قائلًا: "أنا الذي كنت مجددًا ومضطهدًا" (1 تي 1: 13). انظروا كيف وضع بعين الاعتبار أن يستدعي عقله ليتذكر ضعفه، لكي يحتمل ضعفات الآخرين. عاد بولس كما يكونه في السماء إلى الأرض التي أخذ منها، هذا الذي بعد بلوغه إلى الأسوار العظيمة لتأملاته، يتذكر أنه كان خاطئًا حتى يفيد الخطاة بواقعه...

" أمطار قوة الله عوه "، هي الكورة بناسوته، التي قال عنها بولس (1 كو 1: 25)، وأيضًا: "لأنه وإن كان قد صلب في ضعف، لكنه حي بقوة الله" (2 كو 13: 14). لكن القديسين كرزوا هكذا بضعف ناسوته لكي يسلكوا في قلوب السامعين بقوة اللاهوت أيضًا.

ليتنا نسمع خلال رعد السحاب أمطار قوته : "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو 1: 1). لنسمع أمطار ضعفه:

والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا" (يو 1: 14).

البابا غريغوريوس (الكبير).

❖ لأننا قد تجددنا بالتجديد الذي نلناه في المعمودية، وتجددنا خلال سكب الروح القدس، وسنتجدد أيضا بالقيامة، كما يقول في داود نصي آخر: "قبتجدد مثل النسر شبابك" (مز 103:5) فاعلموا طريقة تجديدها: "تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز 51:9) وفي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حواء كالقزم، تبيض كالثلج" (إش 1:18) ومن يتغير من الظلمة، ظلمة الخطية، إلى نور الفضيلة وإلى النعمة، إنما قد تجدد فعلاً. لهذا فإن ذلك الذي تلطخ قبلاً بالندس الأحمر، يشرق الآن بسطوح أكثر بياضاً من الثلج [1326].

القديس أمبروسوس

يَخْتِمُ عَلَى يَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ،

لِيَعْلَمَ كُلُّ النَّاسِ خَالَفَهُمْ [7].

في البلاد التي تسقط فيها الثلوج خلال العواصف الثلجية، كان الكل، خاصة الفلاحون، يؤمنون بيوتهم في فترة الشتاء، وكان الله بمحبته يختم على أيديهم ليستريحوا في فصل الشتاء القارس من الأعمال خلج البيت، ويخرجون بعد الشتاء للعمل بنشاطٍ وقوة. الطبيعة التي خلقها الله لخدمتها صلت معلماً لنا. فخلال تعاقب الفصول يبرك البشر خطة الله من نحو الإنسان. فيعرف الإنسان أن للعمل وقتاً وللراحة وقتاً. هكذا يليق بالإنسان من حين إلى آخر أن يدخل إلى راحة التأمل في عمل الله وطلب إثراق روح الله عليه، ليكشف له عن محبة الله كما يكشف له عن ضعفاته وأخطائه، فيقدم دائماً توبة مستورة مع رجاءٍ مفرحٍ وشكرٍ لله غافر الخطايا.

❖ إذ يستخف البشر بالتفكير في الخطايا التي يرتكبونها، لهذا عندما يسمعون بقوة الحزم السلمي، يبركون ثقل أفعالهم الوديئة التي تهدر حياتهم... يمكن أن تفهم هذه العبرة (أي 37: 7) بمعنى آخر. فإن الخالق قدير عن كل الخلائق التي بلا حس ولا عقل، لكي يلتزم الإنسان ألا يجهل ما يفعله. إنه ملتزم بناموس الطبيعة، ليبرك ما يفعله إن كان حقاً أو خطأ. فإنه لماذا يُدان على سلوكه لو كان جاهلاً ما فعله؟... لذلك حسناً قيل: "لأن الشر يدل على الجبن، حين يحكم على نفسه أن سلوكه يستحق الإدانة" (راجع حك 17: 11)... مقابل هذا قيل بيوحنا: "إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله" (1 يو 3: 21)

البابا غريغوريوس (الكبير)

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن يد الله الواضحة في الطبيعة والتي تشهد لقوته الفائقة تدفع الإنسان إلى اكتشاف ضعفه الذاتي مع إمكانياته الجبلة بالله القدير، وفيما هو ضعيف يبرك أنه بالله قوي. "ليقل الضعيف بطل أنا" (يونيل 3: 10). كما يقول الرسول بولس: "لأنني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (2 كو 12: 10).

❖ يقول هذا هو السبب لأعماله الخلاقية، السبب لوجود الورد والحر، ولهبوب الرياح بطريقة تبدو بلا هدف. أما كان ممكناً أن يقدم مجموعة متناسقة معاً؟ لم يفعل الله ذلك، لكي ما يمنع بكل وسيلة الفكر المتكبر المتعريف.

يفعل هذا لكي يعرف كل إنسان ضعفه. على عكس هذا جاءت خلقة تكوين الجسم وسير حياتنا، فقد نُظمت بطريقة تقودنا إلى التواضع حتى نتعلم السلوك باعتدال، وأن نترك ضعفنا. لنقل مثل إواهم: "أنا زاب ورماد" (تك 18: 28)، ومثل داود: "أنا بودة لا إنسان" (مز 22: 6)، ومثل الرسول: "وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا" (1 كو 15: 8).

لقد خلق الإنسان ضعيفاً، لكن الإنسان يحسب نفسه قوياً، ولذلك صار أكثر ضعفاً. لكن يظهر الله قوته أحياناً لكي يهبنا فهماً (وقوة) في داخلنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بحثنا الله الكلمة ويقوينا حتى نبتعد عن الشياطين، ونبعث الله الحي وحده بابنه.

نحن الذين إنغمسنا زمانًا في الرُنا، الآن نقبل الطهارة وحدها.
استخدمنا قبلاً فنون السحر، والآن نكرس أنفسنا لله الحيّ الصالح.

كان همنا فوق كل شيء أن نكسب ثروات وممتلكات، والآن نأتي بما نملكه ليصير ملكًا عامًا ليأخذ منها كل محتاج.

كوهنا بعضنا البعض ودمونا بعضنا البعض بسبب اختلاف سلوكنا، إذ كنا نرفض العيش مع من هم من قبيلة أخرى، أما اليوم فمنذ مجيء

المسيح نعيش معًا في ألفة. اليوم نصلي من أجل أعدائنا، ونحاول أن نحث الذين يبعضوننا باطلاً أن يذعنوا لمبادئ المسيح الصالحة ولوصاياه بغية أن يشركونا ذات الرجاء الموفح لتوال مكافأة يقدمها الله ضابط الكل [\[1327\]](#).

الشهيد يوستين

فَتَدْخُلُ الْحَيَوَانَاتُ الْمَوْتَى،

وَتَسْتَقِرُّ فِي أُوجُرَتِهَا [8].

وى أليهو حكمة الله ليس فقط من جهة الإنسان، وإنما حتى من جهة حيوانات البرية المفترسة. ففي فترة الشتاء حيث الورد القارس تلقوم هذه

الحيوانات بالبقاء في خمول في جحرها وكهوفها، تكاد تكون بلا حركة، وهي بهذا لا تحتاج إلى طعامٍ كثيرٍ تقتات به.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أليهو يتحدث عن الحيوانات المفترسة، إبليس وجنوده، الذين يدخلون في قلوب الأشوار وأفكلهم

ويستقرون فيها بكونها مملكتهم. أما بالنسبة للأوار، فإن الشياطين تهاجمهم، وقد تقتحم أعماقهم إلى حين، ولن يستطيعوا أن يستقروا فيها.

❖ ماذا يقصد بالحيوان إلا عنونا القديم الذي بعنفٍ هدف نحو خداع الإنسان الأول وتشويه كمال حياته بمشورته الشريرة؟ ضد هذا جاء الوعد بكلمات

النبي بخصوص إصلاح كنيسة المختلرين إلى حالها القديم: "وحش مفترس لا يصعد إليها" (إش 35: 9)...

أظن أنه يلوم ملاحظة أن هذا الحيوان قيل عنه ليس أنه يدخل عرينه، بل يستقر فيه. فإنه يدخل أحيانًا في أدهان الصالحين، ويقترح أفكلًا غير

لائقة، ووعبهم بالتجرب، ويسعى أن يفسد استقامة الروح بملذات الجسد. إنه يجاهد أيضًا لأن يحمل اللذة قدر ما يقبلها الشخص. إنه يدخل عقول

الصالحين، لكنه لا يقدر أن يستقر فيها، لأن قلب البار ليس عرينًا لهذا الشخص.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مِنَ الْجَنُوبِ تَأْتِي الْأَعْصَارُ،

وَمِنَ الشَّمَالِ الْبُرْدُ [9].

في الكتاب المقدس حيث أغلب الأحداث الوردية فيه تمت في منطقة الشوق الأوسط، يُنظر إلى الرياح الجنوبية أنها حارة، بينما الشمالية بلردة.

حين تحل الرياح الشمالية البلردة تمتلئ السماء بالسحب مع الورد والبرق، وإذا تهب الرياح الجنوبية الحلة تتبدد السحب ويزول الضباب.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الأعصار الحلة تأتي من الجنوب والورد من الشمال، الأولى تشير إلى المؤمنين الحارين في الإيمان حيث

تشرق عليهم الشمس كما في منتصف النهار، والثاني يشير إلى غير المؤمنين المحرومين من الشمس، فيبقون في برود روجي.

❖ من يتعلم أن يملس عمل الله في هذا العالم - وادي الدوع والأتعاب هذا - يصير مهتللاً مثل الزرع المُجد الذي يزرع البذار حتى في موت

الشتاء، فهل تقدر الرياح البلردة والجو القاسي أن يمنعه عن العمل؟ حتمًا لا! هكذا يليق بنا أن نتطلع إلى متاعب هذه الحياة. تلقى الملاهي في طريقنا

بواسطة الثوير، بقصد أن نحد عن الأعمال الصالحة التي خلقتنا لكي نعملها. تطلعا ماذا يقول الموتل: "من يوجج باكياً..." بالحق يجد علة للبكاء،

يجد كل واحدٍ منا ذلك. ومع هذا يؤمنا أن نسير، مملسين أعمال الله الصالحة في طريقنا.

كم نكون بائسين إن كنا قد دُعينا للعمل بجدية لكي نبكي فقط دون التطلع إلى أية ثوة لعملنا. يا لنا من بائسين إن كنا لا نجد أحدًا يمسح

دموعنا.

لكننا نعوف أن الروح القدس يعمل لكي نستمر في الغوس وسط دموعنا. لأن الروح يعدنا خلال الموتل أننا نعود مندهشين بالفوح! نحمل ثمر

تعبنا كتقدمة له [1328].

القديس أغسطس

❖ "استيقظي ياريح الشمال، وتعال ياريح الجنوب" (نش 4: 16) ... دعنا توجه إهتمامنا إلى الطريقة التي تجعل بها الملكة ريح الشمال يبتعد عنها ثم ورجع إليها. إنها لا تأوه أن يسكن كما أمر السيد المسيح العاصفة أن تهدأ عندما كان ساوًا على المياه (لو 8: 23-24) ولكنها أموت ريح الجنوب أن تهب وأن لا تعترضها أي ريح معاكسة قالت لريح الشمال: "استيقظي" ما هو السبب في حركة هذه الرياح؟ نتكلم الأمثال عن هذه الرياح: "من يخبئها يخبئ الويح ويمينه تقبض على الزيت" (أم 27: 16)، ولكن لا تهب ريح الشمال عن يمين الشخص في اتجاه الغروب... وحركة الشمس في اتجاه الغروب. أنت تفهم حقيقة ما تحتويه هذه الكلمات من أسوار: تشرق الشمس من الشرق وتوسع نحو الغروب أي ناحية قوى الظلمة، يقع الشمال على يمين الشمس ويستقبل إهانات أثناء رحلته التي تنتهي في الظلمة. لذلك يجد الشخص الغير منضبط نفسه كأنه ريح الشمال يسلك ويعمل أعمالاً مشينة. هذه الريح الشوية على اليمين تمتلئ طمعًا عندما ترفع أكوامًا من الأشياء المالية، كأنها رمل أو واب، ونتيجة لهذا فإن ريح الشمال تتعاون مع أخطاء كل شخص وتهب على جانبه الأيمن ولكن إذا كانت هذه الريح شديدة جدًا فإنها تغير وتقلب الأمور وتويل متعة الفوح، لذلك تجعل العروس ريح الشمال التي تأتي قوتها من الأهواء أن تهوب تحت مسئوليتها: "استيقظي ياريح الشمال".

تشير ريح الشمال إلى القوى المضادة (الله)، ويظهر هذا بوضوح لأي شخص يبحث في طبيعة الحق الموتي فمن لا يبري بمسار الشمس بعد شروقها؟ أنها تظهر وكأنها تتحرك نحو الجنوب وتغرب في الغرب. ويقول الخواء أن الأرض كروية، فإذا أضيء نصف الأرض بالشمس يكون النصف المقابل له مظلمًا لوقوعه في منطقة ظل الأرض. ولما كان القطب الشمالي للأرض بلردًا بإستمرار ولا تدفئه أو تضيئه أشعة الشمس، فإن القوة المتحكمة في الظلمة تُحجز النفوس وتجعلها جامدة، يسمى النشيد هذا التجمد، "الشمال" أي تأثير ظلام الشتاء. إنني أسميه الشتاء الذي أشار إليه الإنجيل قائلاً: "وصلوا لكي لا يكون هربكم في الشتاء" (مت 24: 20). وفي الشتاء تنطفئ الصفات المزدهرة حسب الفضيلة.

أصاب الملكة حينما أموت بسلطانها دفع ريح الشمال بعيدًا. ونادت على ريح منتصف النهار الدافئ الذي تسميه ريح الجنوب، وبواسطته يفيض تيار جرف من السرور: "تعال ياريح الجنوب، هبّي على جنتي فتقطر أطيابها". وتشبه هذه الريح القوية التي هبت في العلية عندما كان التلاميذ فيها (أع 2: 2) "وظهوت لهم السنة منقسمة كأنها من نار، واستوتت على كل واحد منهم". وكأنهم نباتات حية تساعد هذه الريح حديقة الله على إنتاج الأعشاب العطوة، وتصدر نوءات يوح منها روائح ذكية ووصايا الخلاص للإيمان بغم الوسل ويخرج منها عطر تعاليمهم بكل اللغات. لقد جعلت ريح الجنوب هذه تعاليم المائة والعشرين... الذين كانوا نابتين في بيت الرب تفيض على كل أمم الأرض (أع 1: 15).

تقول العروس الآن لريح الجنوب "هبّي على جنتي"، لأن عريستها جعلها أمًا للحدائق: ويشمل النص حدائق وينوع. من أجل هذا وغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحية، أن تهب عليها هذه الريح، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز 148: 8). تزينت العروس زينته الملكة البهية، وغوّت النهوات التي تفيض عطوًا إلى شيء أكثر جمالاً، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس. ويمكننا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهدين القديم والجديد: يمتلئ نهر النوبة بالمياه بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر. وكان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطوة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا، ولوقا ومتى ومرقس وجميع الوسل الآخرين كلهم يوزون إلى نباتات نبيلة في حديقة العروس، وعندما تهب عليها في منتصف الظهيرة تصير ريح الجنوب جميعًا ينابيع

عطور لائحة الأناجيل الذكية [1329].

القديس غريغوريوس النيسي

مِنْ نَسَمَةِ اللَّهِ يُجْعَلُ الْجَمْدُ (الجليد)،

وَتَنْصَبُ سِعَةَ الْمِيَاهِ [10].

يُسمح بنزول الجليد (الماء المجمد). وإن كان ظهور الجليد نتيجة عوامل طبيعية، لكن حتى الظواهر لا تتم اعتباراً، بل الله هو ضابط الطبيعة. يقول الموتل: "الذي يعطي الثلج كالصوف، ويوزي الصقيع كالرماد. يلقي جمده (تلجه) كفتات، قدام بوده من يقف؟" (مز 147: 16-17).

❖ من الذي يصب الهواء بفيضٍ شديدٍ... لا يقدمه بمقاييس حسب رتبة البشر وثرواتهم، ولا يُحد بواسطة تخوم معينة، ولا يقسمه حسب أعمار الشعب، وإنما كما كان يزرع المن (خر 16: 18)، يقدم بما فيه الكفاية لكل بالتسلي، ومركبة الخليقة المجنحة، وكوسي الرياح، وفصول السنة الوسيطة، والمحبي الكائنات الحية، أو بالأحرى حافظ الحياة الطبيعية للجسم، التي بها تعيش الأجسام وبها تتكلم، وفيها يكون النور وكل ما يشرق عليها، والبصر الذي يفيض خلالها؟... ما هي مخزن الرياح؟ ما هي كنوز الثلج؟... وكما يقول الكتاب من الذي ولد قطرات الندى؟ من أي رحم جاء الثلج؟ ومن الذي يربط الماء في السحب، ويثبت أجزاء السحب... [1330]

❖ "عندما ينفخ الله يتجمد الثلج" [10]. إذ ينفخ الروح القدس على قلوب المؤمنين، ويهب عجائب القوة العظيمة، ينمو الجسد الذي يسبب شللاً (تخدوا) في بلاد قلوب غير المؤمنين. تصير الجوع غير المؤمنة قاسية ضد الله بذات الأسباب التي تجعل الشعب المتواضع يكف عن العناد الذي لربط به. فإنه إذ ينفخ الله عليهم، أولئك صاروا تَلَجًا، إذ قالوا خلال حسدهم على المعجزات التي صنعها: "هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو 12: 19). لقدروا الآيات، وأدركوا المعجزات التي تمت بواسطة خدامه، وسبق فُؤوا العالم كله يذهب ليتبع كورة الإيمان. ومع هذا فكلماً ملأ الروح القدس العالم تشبواً بالأكثر بخبث الحسد الذي يقيد أذهانهم.

" ويفيض بالماء بؤرة " . لأنه الرب بالحقيقة يسكب المياه بؤرة بعد هذا الجليد. بعد أن احتمل قسوة اليهود، بعد موته، للحال أذاب قلوبهم من قسوة عدم إيمانهم، إذ نفخ عليهم نسمة الحب نحوه، حتى يجروا إليه لطاعته بشغفٍ، قدر المستطاع كما قيل بالحكيم: "كما الجليد في جو سليم هكذا تنوب خطاياكم وتؤتع عنكم" (سي 3: 15)...

عن المياه، أي الشعب المحتشد معاً نحو الرب، يُقال: "رُسل كلمته فيذيبها. يهب بريحه (بنسمته) فتسيل المياه" (مز 147: 18).

ألم يكن بولس جليداً وهو ذاهب إلى دمشق، بعدما تسلم رسائل، وكان يعمل ضد بنور كلمة الله التي انتشرت في قلوب المؤمنين كما في الأرض، حتى لا تنبت وتبلغ كمال الأعمال الصالحة؟ لكن هذا الجليد تحول إلى ماء، وإذ رُوي فيما بعد بمجرى النصائح المقدسة أولئك الذين سعى قبلاً للضغط عليهم بالاضطهاد. هذا لكي ما يأتوا بحصادٍ وفيرٍ للمحتلين قدر ما ترويهها أمطار الله من فم المُضطهد.

القديس غريغوريوس النريوي

أَيْضًا وَيِيَّ يَطْرُحُ الْعَيْمَ.

يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ [11].

إذ يروي الرب الأرض يقوم بتفويغ السحاب السميك لكي يهطل أمطاراً على الأرض، حتى تنبت وتظهر واعم. جاء في الترجمة السبعينية: "الحنطة تطلب سحاباً".

"يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ". روى البعض أن الله في محبته يجعل السحب الكثيفة أشبه بالسيدة الحامل التي تتوجع وهي تتجذب طفلاً. تجلب السحب

الكثيفة أمطاراً فتبتد، كأنها تحتمل آلاماً من أجل خدمة الإنسان وإرواء الأرض له.

إذ تسقط الأمطار تصير السحب خفيفة ومنوة.

فَهِيَ مُدَوَّرَةٌ مُنْقَلَبَةٌ بِإِدْرَتِهِ،

لِنَفْعَلْ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ [12].

تبدو السحب كأنها تنور حول نفسها بطريقة عشوائية. يحرك الله السحب حسب مسوته، فتطيعه وتذهب من موضع إلى آخر على وجه الأرض.

ليس لدى السحب الإمكانية لتتحرك حسب هواها، إنما تتم مشيئة الخالق.

إن كانت حركات السحب تحتاج إلى تدبير إلهي، كم بالأكثر تحتاج البشرية إلى هذا التدبير. يقول الحكيم: "حيث لا تدبير يسقط الشعب، أما الخلاص فبكرة المشورين" (أم 1: 14). "المقاصد تثبت بالمشورة، وبالتدبير أعمل حرباً" (أم 20: 18).

يحدثنا الموتل عن خضوع الطبيعة بكل ظواهرها لله، قائلًا: "النار والبرد الثلج والضباب، الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز 148: 8).

سَوَاءٌ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ،

أَوْ لِأَرْضِهِ أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُوسِّلُهَا [13].

تحركات الطبيعة مثل السحب المثقلة بالأقطار التي تبدو عشوائية، هي بسماع من الله، إما للتأديب أو علامة رضا الله على الإنسان أو من قبل حنانه ورحمته عليه.

يسمح بالعواصف والظوفان أحيانًا للتأديب، كما حدث في العالم القديم (تك 7: 11-12).

"لأرضه"، إذ يرسل الله مطرًا على الأرض علامة رضاه ومسوته بالإنسان، يحسب الأرض أرضه هو. يقول الموتل: "الرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز 24: 1).

جاء النص في الفولجاتا: "سواء في قبيلة واحدة أو في أرضه أو في أي أرض، حسب رحمته يرسلها". فإن كانت العواصف والسحب المملوءة مطرًا تتحرك حسب مسوته، فهو أيضًا يحدد لها الموضع الذي تهب فيه أو تسقط عليه.

بقوله "لأرضه" "يود الله أن يؤكد أنه يشاق أن يعيش الإنسان كما في أرض الرب، كأنه يقيم منه آدم آخر يسكن في جنة الله التي يغوسها بيديه ويرويها بمياه نعمته، لتقدم ثمرًا مفرحة ومبهجة للإنسان التقى."

3. أيوب قاض غير مؤهل للحكم على عناية الله

أُنصِتْ إِلَى هَذَا يَا أَيُّوبُ،

وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللَّهِ [14].

يدعو أليهو أيوب أن يحول نظره عن الضيقات التي تحل به، والتي دفعته للتذمر، إلى التأمل بجديّة في عجائب الله، وأعماله الفائقة من أجل المؤمنين. بهذا يمتلئ فؤده وقلبه بحب الله ويبرك رعايته الإلهية، فتستريح نفسه في داخله. يقول الموتل: "عظيمة هي أعمال الرب، مطلوبة لكل المسرورين بها" (مز 111: 2).

أَتُرِكَ انْتِبَاهَ اللَّهِ إِلَيْهَا،

أَوْ إِضَاءَةَ نُورِ سَحَابِهِ [15].

ينتساءل أليهو: هل يمكن للإنسان أن يبرك كيف يحرك الله العواصف والسحب والأمطار الخ، وكيف يخرج برقًا منوا من سحب قائمة مظلمة؟

أَتُرِكَ مَوْلَاتَةَ السَّحَابِ،

مُعْجَزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعْرِفِ [16].

من يعرف كيف تصير السحب معلقة في الجو في أوانٍ عجيبة، وكيف تتكون من الماء المتبخر وتتجمع معًا في الهواء، وتبقى سابحة في مكانٍ معينٍ لمدة معينة، كأن يداً خفية تمسك بها وتحفظها، ثم تهطل كأقطارٍ لتروي الأرض. إنها تكشف عن حكمة عظيمة وكاملة!

مع ما بلغه العلم والمعرفة فإن هذه الظواهر يمكننا تروها، لكنها ليست تحت سلطان الإنسان، ويعجز عن إرواك كل أسورها بدقة.

كَيْفَ تَسْخُنُ ثِيَابُكَ إِذَا سَكَنَتِ الْأَرْضُ مِنْ رِيحِ الْجُنُوبِ [17].

كيف يفسر الإنسان أن جسمه يصير دافئاً عندما تهب الرياح الجنوبية الدافئة، وتصير حتى الملابس دافئة؟

رأينا في سفر النشيد كيف تطلب العروس أن تهب عليها ريح الشمال وأيضاً ريح الجنوب، فتعطي جنتها الداخلية ثمار الروح المبهجة (نش 4:

16).

رى البعض أن أليهو يقدم هذا التساؤل بطريقة تهكمية، فإنه من أبسط الأمور أن تصير الثياب دافئة عندما تهب رياح دافئة، مع هذا لا يقدم

الإنسان تفسيراً دقيقاً لهذه الظاهرة.

هَلْ صَفَّحْتَ مَعَهُ الْجَدَّ الْمُمْكَنَ كَالْمَرْأَةِ الْمَسْبُوكَةِ؟ [18]

يسأله: هل بسطت مع الله جَدُّ السماء القوي مثل مرآة مسبوكة؟ هل كنت مع الله حيث صنع اتساع الرياح وامتدادها بما يتناسب مع وزنها؟

الآ توى كيف تكون السماء وهي صافية أشبه بمرآة مسبوكة ضخمة وقوية؟

هنا يتحدث عن جَدُّ السماء كمرآة. يتحدث عنها الكتاب المقدس أيضاً بكونها أشبه بخيمة أو سترة: "الذي ينشر السموات كسوادق (كسترة)،

ويبسطها كخيمة للسكن" (إش 40: 22). وأيضاً كوج: "وتلتف السموات كوج، وكل جندها ينفث كانتثار الورق من الكومة، والساقط من التينة" (إش

34: 4). وأحياناً كوث: "السموات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، كلها كوث تبلى، كوداء تغوهن فتغير" (مز 102: 25-26).

"قوية" حتى أنها تسند نفسها بنفسها.

عَلَّمْنَا مَا نَقُولُ لَهُ.

إِنَّا لَا نُحْسِنُ الْكَلَامَ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ! [19]

يدعو أليهو أيوب إلى الاهتمام بالعد، الذي يرمز إلى صوت الله، الذي يعبر عن عظمة الله. في تواضع يعلن أليهو أن فكر الإنسان مظلم

للغاية، عاجز عن الدخول في جدال مع الله العظيم، وإن فعل هذا فليتوقع دمه [١٩-٢٠].

إذ يشعر أليهو بالهبة الشديدة نحو الله يسأل أيوب أن يعلمه ماذا يقول لله المهوب، أية كلمات يمكنه أن ينطق بها مع عظمة الله.

كثواً ما ردد أيوب ملتسماً أن يدخل في محاكمة مع الله، وأن يلمس الحضرة الإلهية لكي يشكو له مما هو عليه. لذا ينصح أليهو ألا يطلب هذا،

فستهرب الكلمات من شفثيه حين يقف أمام جلال الله العظيم.

كأنه يقول له: "يبدو عليك أنك حكيم جداً، ولك معرفة كاملة عن الله؛ هب لنا أن نكون حكماء مثلك، فنقدر أن نقرب من الله، ونتحدث معه، لأننا

نشعر كمن قد التحفوا بالظلمة. من جانبنا نعترف بجهلنا وعجزنا، أخونا وعلما كيف نقف لنحوره!" أو كأنه يقول له: "لا يقدر البشر على تفسير عجائب

الله وإوراك أسرها، وبالتالي لا نقدر أن ندخل في خصومة معه. علماً كيف يمكننا أن نفعل هذا؟"

هَلْ يُقْصُّ عَلَيْهِ كَلَامِي إِذَا تَكَلَّمْتُ؟

هَلْ يَنْطِقُ الْإِنْسَانُ لِكَيْ يَبْتَلِعَ؟ [20]

يقول: هل يمكنني أن أتجاسر وأهمس في حضرة الله؟ وإن تكلم أحد ضدي، واتهمني أمامه بسبب ما قلته، حتى وإن قدم الاتهام بنية صادقة، كيف

أتجاسر وأقف في حضرة الله؟ فإني أبتلع من الوجد، وأهلك بسمو عظمته.

إن تجاسر أحد وتكلم بما لا يليق بعظمة الله، أي كان متدوراً، يُبتلع تماماً!

وَالآنَ لَا بُوَى النُّورِ البَاهِرِ الَّذِي هُوَ فِي الجَدِّ،

ثُمَّ تَغْبُرُ الرِّيحُ فَتُنْفِئِهِ [21].

إن كانت عظمة الله الآن مخفية، حتماً ستعلن في وقت ما فجأة في كمال بهائها، حيث تبدد الظلمة عن عيني أيوب. وذلك كما يحدث بالنسبة

للشمس التي تختفي أشعتها خلف الغيمة، لكن ما أن تهب الرياح وتبدد السحب حتى يظهر بهؤها.

هكذا يليق بالمؤمن الذي تحجب التجرب عن عينيه رؤية بهاء مجد الله ووهّ وعدله أن ينتظر في صبرٍ وطول أناةٍ، إذ يهب الروح القدس عليه، فنزيل عنه غمامة الظلمة، ووى ما كان مخفيًا عن عينيه.

إذ كانت العاصفة قد بدأت فعلاً يطلب أليهو من أيوب أن ينتظر بصبرٍ، فقد اقترب الوقت الذي فيه يتجلى الله له ببهائه، ويتحدث معه بعد أن تطرد الرياح سحابة التجرب التي أظلمت عينيه.

وى البعض أن أليهو هنا يشير إلى عجز الإنسان عن رؤية الشمس في بهائها متى هبت الرياح وصارت السماء صافية من السحب، فكيف يطلب أن وى الله وجهًا لوجه ليعوض شكواه أمامه. يليق به عوض ذلك أن يسجد أمامه، خاضعًا له بروح التواضع، عوض التذمر والتحدث مع الله كمن يتهمه.

يعلم الله عن ذاته كسحابة جلية هذه التي تتوك نور الشمس لامعًا للغاية، يمكن أن وى في بهاء مجده الذي يكتنفنا [٢١-٢٢].

مِنَ الشَّمَالِ يَأْتِي ذَهَبٌ.

عِنْدَ اللَّهِ جَلَالٌ مُّهِيبٌ [22].

جاء في الترجمة السبعينية: "السحب تتلألأ مثل الذهب".

إذ رأى أليهو العاصفة قادمة من الشمال، أوضح أن السحب القادمة مع العاصفة تترك مثل الذهب الخالص اللامع كرمزٍ لاقتراب الله.

وى القديس أغسطينوس أن الشمال يشير إلى مدينة الأمم حيث صهيون في الجنوب، وأن إبليس كان يسيطر على الشمال، حيث يقول: "أصعد إلى السموات، رفع كرسي فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال" (إش 14: 12-13). إذ يقبل الأمم الإيمان بالسيد المسيح، يتوكون مملكة إبليس، ويتحررون منها، فيأتون من الشمال، وقد صاروا ذهبًا، أي صاروا ملوكًا، استناروا بالنعمة في المسيح يسوع؛ صاروا سحابة

ذهبيًا [1331].

4 . الله كامل وعظيم ومهوب

الْقَدِيرُ لَا تُرْكُهُ.

عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ وَكَثِيرُ الْبِرِّ.

لَا يُجَاوِبُ [23].

إن كان الله يقرب نحو أيوب خلال بهاءٍ منظوري تحفه السحب والعواصف ويجلس على عرش من ذهبٍ مصقول، لكن - في رأي أليهو - يستحيل لأحدٍ ما أن يدرك الله، فإن عظيمته فائقة للغاية، وقدرته لا تُحد، وهكذا عدله ووهّ. وأنه يليق بأيوب أن يعلم مقدمًا أن ظهور الله له لا يعني أن سيجلوب على أسئلته، فليس من حق الخليقة أن تستجوب الله، وهي عاجزة عن إرواك حكمته.

لِذَلِكَ فَاتَّخَفَهُ النَّاسُ.

كُلُّ حَكِيمِ الْقَلْبِ لَا يُوعِي [24].

يليق بالبشر حين يلتقون بالله أن يعترفوا أنهم خطأ وجهلاء وبائسون، يخشون القنوس الحكيم وحده.

لا يحابي الله إنسانًا كمن هو حكيم في عينيه، لأنه أية حكمة تُنسب لإنسان ما إن قورنت بالله كلي الحكمة والعلم والمعرفة؟ أي صلاح ينسب إليه

إن قورن بالقنوس وحده؟

هكذا يختم أليهو حديثه بطريقة مختلفة تمامًا عن الثلاثة أصدقاء. يختمه بإواز عظمة الله وجلاله وحكمته وقدرته التي يليق بكل إنسان - مهما

كانت قدرته ومواهبه - أن يخضع في انسحاق أمام الله.

ختم حديثه بأنه رى العظمة الإلهية تقرب لتلتقي مع أيوب كسحابةٍ من ذهبٍ بهي مصقول، ويود أن يتهياً أيوب لهذا اللقاء بالكف عن التذمر والشكوى، وأن يعترف بأعمال الله العظيمة وعدله ووّه.
وى أليهو أن الرب قادم، وبليلق أن يتوقف كل حديث بشري أو جدال، ليخضع الكل في صمتٍ، وينصتوا للصوت الإلهي.
يكفينا أن نفتتح بأنه يعمل بعدلٍ [٢٣-٢٤].

من وحي أيوب 37

لوعد صوتك في قلبي!

- ❖ لتهبّ عاصفة حبك في أعماقي، ولوعد صوتك في قلبي!
ليس من يقدر أن يغير أعماقي سوى صوت حبك.
وليس من يهيني مخافتك الإهيبية والمملوءة عنوبة سوى صوتك.
رعد صوتك يهز كل كياني. يحطم كل فسادٍ في داخلي،
ويغزل نفسي عن كل مشاغلٍ زمنية.
في رهبة عذبة يرتفع فكري إلى عرش نعمتك ويؤمنص عقلي في جلالك!
أود ألا أفلرك حتى أنطلق من هذا العالم.
- ❖ رعد صوتك يحطم الأرز المتشامخ، فيقتلع مني كل كروياء.
تمطر سحب حبك على أرض قلبي، فتحولها إلى جنة سملوية موحية.
تحمل ثمار الروح الفائقة.
- ❖ وسط هذا السحاب الكثيف تروق فجأة.
رى أشعة أولرك إلى لحظات، فتستتير نفسي بك، وأتعرّف على أسورك.
نورك يبرد كل ظلمة فيّ. ويحوّل ظلمتي إلى نورٍ بهي!
- ❖ تتحول مياه الأمطار إلى تلجٍ ناصع البياض.
يصير قلبي وقد غطاه الثلج غاية في النقوة!
تسبحك نفسي، إذ تبدد خطاياي وتوعها، وتمتلئ نفسي بثلج حكمتك البهية.
- ❖ يبذل عدو الخير - الوحش المفترس - كل الجهد أن يفتح جنتك فيّ.
لن يستطيع أن يقرب مادمت أنت في داخلي.
وإن خدعني ودخل لن يستقر، فإن نعمتك تطرده سريعاً!
نعم، لتحفظ جنتك من هذا العدو الخبيث!
- ❖ لتهب ريح الجنوب الدافئة على جنتك. فتمتلئ نفسي بدفء الروح.

ويلتهب قلبي بغوثك المقدسة!

إن سمحت بريح الشمال الباردة أن تهب عليّ؛ إن سمحت للتجرب أن تحرق بي،
فإنني واثق في غنى حبك وحكمتك.

يا من تحرك الطبيعة بكل عظمتها لحسابي،
كيف لا أثق في حسن تدبيرك لكل حياتي؟!>>

<<

الباب الخامس

حوار الله مع أيوب

أيوب 38-42

صوت الله

في كل خصومة يتسابق الكل على من تكون له الكلمة الأخوة التي يُختم بها الحوار، الآن زى الوب ترك الحوار مفتوحًا بين أيوب وأصدقائه الثلاثة حتى توقف الكل، ثم تدخل أليهو وتحدث حتى توقف، وأخوًا تدخل الله لينهي كل حكم بشوي ويعلمن حكمة الإلهي النهائي [1332].

في تدخل الله وظهروه وحواره العلني صورة رائعة لاهتمام الله الفائق بالنفوس المجروحة، التي لا تجد من يسأل عنها ويتوقف بها. قد يأخذ موقفًا حزمًا، لكنه في حزمه يعلن أبوته وحنوه، ويشوق ببهائه على المتألمين فيصيرون مطوبين!

حقًا لم يجب الله على أسئلة أيوب مباشرة، لكنه أعطاه الفرصة للحوار مع خالقه القدير، وأمسك بيده ليلمس بنفسه رعاية الله بكل البشرية، وأعماله الفائقة من أجلها. دخل بأيوب أمام سرّ حب الله الفائق للإنسان، فصمت أيوب وشعر بالعجز تمامًا، فرفعه الله إلى ما لم يكن في ذهنه؛ قدم له أكثر مما سأل وفوق ما طلب.

جاءت الاتهامات ضد أيوب بواسطة أصدقائه الشوخ، فأعتمت طريق الحكمة، حتى تكلم أليهو، فظهر نور الفجر. بعد حديث أليهو تكلم الله لتتم استئزلة طريق الحكمة تمامًا بصوت الله.

قال أصدقاء أيوب إن الله ليس بالضرورة يتكلم، وها هو يتكلم مع أيوب ويدخل معه في تحدٍ كما لو كان الند للند. هذا من فيض حب الله الفائق لمؤمنيه. يود أن يحاجج ويحلور ويناجي ويغوي.

دخل الله في تحدٍ مع الشيطان (أي: 1-8، 2: 2-3)، والآن يتحدى أيوب، وقد مرّ هذا التحدي بعرجلتين، وبين العرجلتين أظهر أيوب خضوعه لله. كانت إجابة أيوب في كل مرة غاية في الاختصار (3: 40-5، 1: 42-6). بهذا ظهر كمال أيوب وفساد حيل الشيطان.

(1) التحدي الإلهي 1: 38-2: 40.

(2) خضوع أيوب 3: 40-5. صمت أيوب بعد أن غلب التحدي الإلهي.

(3) تجديد التحدي الإلهي 6: 40-34: 41.

(4) اعتراف: استعادة طريق الحكمة 6: 1-42.

(5) إصلاح الموقف: نصرة حكمة أيوب 7: 42-17.

حوار شعوي بين الرب وأيوب

خوج الله من صمته، وأجاب أيوب من وسط العاصفة. حضور الله بالبورق والعاصفة يليق بجلاله.

قال أيوب لله أنت بعيد، فجاء الله، وأظهر عملياً أنه قريب من الإنسان.

قال أيوب لله لا يهكم أمر البشر، فأدخل الرب أيوب في اختبار، وأكد له أنه حاضر وهو يعمل، جاء الله فأظهر أنه مؤال يحب أيوب ويهتم به. أخطأ أيوب فلم يفهم صمت الله، ولعله يخطئ أيضاً فلا يفهم حضور الله، لهذا تكلم الله فأعطى نعمة حصل عليها أيوب كما حصل عليها موسى. جاء الصوت من العاصفة التي تدل على حضور الله، وهناك أوضح في حديثه أن الهدف ليس سحق أيوب بإبواك ضالته أمام قوة الله الغير محدودة، ولا أن تسخر منه عندما يضاهي عقله الصغير بعقل الله الغير محدود.

لم يعط الله جواباً لتسؤلات أيوب، بل طرح عليه جملة أسئلة غايتها إظهار جهالة أيوب، وتعلن أمجاد الخليقة، وضعف الإنسان في المقابلة. لم يجب الله على أي تسؤل قدمه أيوب لله، فقد أراد تأكيد أن ما يفكر فيه أيوب بخصوص رعاية الله له، لا وزن له بالنسبة لأعماله المجيدة لأجله. أراد أن يرفع فكر أيوب من الاتحصار في مشاكل خاصة به وحده إلى عمل الله الفائق لأجله ولأجل كل البشرية. رفعه من عالمه المغلق إلى عالم أعظم.

طلب من أيوب أن يشدد حقيقه كوجلي، ويستعد للمجابهة على أسئلة الرب الذي يسأله عن الآتي:

(1) عجائب علم الجماد (38-4: 38): الأرض والبحر (4: 38-11).

(2) الفجر (15-12: 38) وتأتوه على الأشوار الذين يحبون الظلمة أكثر من النور فإن نور الأشوار هو الظلمة.

(3) جهل أيوب الأشياء المخفية (21-16: 38) مثل اتساع سطح الأرض.

(4) الظواهر الطبيعية كالثلج والورد والريح والمطر والبورق والصقيع والجليد ثم الكون. هل يمكن لأيوب أن يضبط بروج النجوم والسملوات؟

(5) غرائب عالم الحيوان (30-39-39: 38).

أ. أيوب يجهل طرق هذا العالم.

ب. حمار الوحش والثور الوحشي . هل يستطيع أيوب أن يستخدمهما للأغراض الزراعية كما يستخدم الثور الأليف؟ واحد فقط يستطيع هو الله الذي خلقهما.

ج. النعمة والفرس والعقاب والنسر . إن إظهار قوة الله هنا أثر تأثروا سويًا في أيوب وملاه بشعور رهيب بجلال الخالق الفائق وسكت أيوب والترم بالصمت، فتكلم الله ثانية من العاصفة.

كلام الرب الثاني ص 6:40 إلى ص 34:41

لما كان أيوب راغبًا في التأكد من استقامة سياسة الله نحو البشر والعالم، أمر بتهكم أن يجيب أيوب عن الصفات الإلهية وأن يحكم العالم. هل لأيوب فراع الرب القدوة وصوته الحاكم؟ إذن فليلبس ثياب عز الله وجلاله. ثم لامتحان قوته على الحكم يؤتى بحيوانين هما: بهيموث ويعوف بفس النهر أو وحيد القون، ولويثان (التمساح). هل يقدر أيوب أن يتسلط عليهما؟ وكيف يقدر أن يصف قوة الله وسلطانه العجيب. إذ أترك أيوب حكمة الله وقوته في العالم المخلوق تواضع واعتقد بأن معاملة الله معه مبنية على حكمة فائقة. عندئذٍ أشوق الله عليه بالنور، ورأى الحق فقبله في الحال.

<<

الأصْحَاحُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

الخليقة الجامدة

إذ انتهى أليهو من حديثه، إذا بالعاصفة التي رآها تقترب فوقهم تحل، وصوت الرب يُسمع مخاطبًا أيوب. لكن هل سمع الحاضرون الصوت ففي يوحنا ١٢: ٢٩ وأع ٢٢: ٩ سمع الحاضرون الصوت لكن لم يركوا فهمه. صدى الحديث الإلهي على أيوب، أنه عاجز عن تفسير أعمال الله في الخليقة، لذا يليق به أن يسلم حياته لله ليديرها حتى وإن كان لا يدرك ما هو وراء ذلك.

عند الخليقة التي توجع إلى ما قبل خلقه الإنسان نفسه تونمت الملائكة متهللة [٤-٧؛ إش ١٤: ١٢]. تحدث أيضًا عن وضع حدود للبحار، وتعاقب الليل والنهار، والفجر يجعل اللصوص هربين من بيوتهم.

طلب أيوب من الله أن يسأل وهو يجيب، أو يتكلم أيوب والله يجيبه (أي 13:22). كان يتوقع أيوب أن الله يسأله خطايا معينة رتكبها، ولم يكن يتوقع أن يسأله عن أمور خاصة بعجائب الخليقة التي صنعها الله لأجل كل إنسان.

أعد أليهو أيوب للقاء مع الله، والحديث معه، لا بروح التذمر أو الشكوى، وإنما بروح الخضوع له.

1. الله يتحدى أيوب ليجيب على أسئلته 3-1.
2. جهل أيوب لكيفية خلق الأرض 7-4.
3. جهله لوضع حدود للبحار 11-8.
4. جهله كيف يبرز نور الفجر 15-12.
5. جهله لإلواك ظل الموت والظلمة 21-16.
6. جهله للسحب والبرد والوعد... 30-22.
7. جهله للكواكب وأثرها على الأرض 33-31.
8. جهله قوة الله في الجو والظواهر الطبيعية 38-34.

1. الله يتحدى أيوب ليجيب على أسئلته

فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: [1]

وى البعض أن الكلمة العبرية المَوْجَمَة هنا "عاصفة" تختلف عن تلك الواردة بخصوص العاصفة في الأصحاح السابق. في الأصحاح السابق تُشير إلى حالة اضطرابٍ وهياجٍ وصخبٍ وثورةٍ عنيفة، أما هنا فتُشير مجرد عاصفة تملأ ذهن أيوب بالشعور بالمهابة والوقار لعظمة الله [1333]. كما تكلم الله مع موسى على جبل سيناء وسط الروع والوق (خر 19: 16-19) هكذا تكلم مع أيوب كعلامة على عظمة جلاله (مز 9-13: 18؛ حب 3: 6-3؛ مز 50: 3-4).

إن كان الله قد ظهر لأيوب كي يُركبه ويبرره أمام الحاضرين، لكن في غير محاباة كشف له عن ضعفاته، ورأى أن يزوع عنه تدمره وشكواه. ففي حنو الله بالإنسان يقدم له بركات لا حصر لها بعد أن يوجهه ليزوع عنه أخطاه وضعفاته.

❖ عندما فقد أيوب كل ثروته، عندما فقد أولاده، بدأ كل شيء يعمل ضده. لكنه إذ أحب الرب عملت كل الشرور التي حلت به لصالحه (أي 42: 9-71). ما حل بجسمه هياها لإكليل السماء (أي 7: 5). قبل وقت التجربة لم يتحدث الله معه قط كصديقٍ مع صديقه (38: 1؛ 42: 9). إذن لتحل الكثرة، لتسقط المحن، مادام المسيح يأتي بعد الفاجعة! [1334]

القديس جيروم

❖ ماذا إذن عن ذلك الذي أجاب أيوب من العاصفة والسحاب، البطيء في التأديب، والسريع في المعونة، الذي لا يسمح لعصا الخطاة أن تستقر على نصيب الأثوار (مز 3: 25) لئلا يتعلم الصديقون الشر؟ [1335]

القديس غريغوريوس النريوي

قد يتساءل أحد: لماذا تحدث الله مع أيوب خلال العاصفة؟

ولاً : خشي على أيوب من السقوط في الكبرياء بسبب ما سيقدمه من مديح له علانية، حيث يطلب من أصدقائه ليس فقط أن يعترفوا له، بل ويسألوه الصلاة عنهم، لذا أراد الله أن يحفظ حياة أيوب ونصواته بروح التواضع.

ثانياً: حديث الله مع أيوب خلال العاصفة وليس خلال ملائكة، كما حدث مع بعض القديسين مثل دانيال النبي، أو خلال رؤى كما حدث مع حزقيال النبي، أو أحلام كما حدث مع يوسف الصديق، إنما ليويخ أصدقاء أيوب، معلناً كرامة هذا البار أن يقول إليه الرب نفسه ليدخل معه في حوارٍ، الأمر الذي لم يتأهلوا هم له.

ثالثاً: رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله غطى أيوب بالسحب والعواصف كمن قد جاء ليتحدث معه من كوسي الرحمة الذي غطاه تابوت العهد (عد 7: 89).

❖ في رأيي أن (الله) دبّر في تلك اللحظة أن تغطي البار سحابة حتى ترفع أفكاره، وتقتنع أن هذا الصوت قادم من الأعالي كما في حالة عوش الرحمة الذي كان على تابوت الشهادة (عد 7: 89). فكما أن السحابة هي رمز للسماء، هكذا كأن الله أراد أن يضع السماء عينها على أيوب، وجاء بعوشه يقرب إليه. يبدو لي أن هذا نفسه حدث على الجبل عندما حلت سحابه كثيفة هناك (خر 19: 16) لكي نترك أن الصوت جاء من الأعالي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ربما يتساءل البعض لماذا بدأ الرب بتوبيخ أيوب وتقديم تساؤلات له تكشف عن ضعفه عن إيراك أسوار الله وحكمته وخطته، مع أنه امتدحه قدام الشيطان وأيضاً دافع عنه أمام أصدقائه. هذا هو حب الله الفائق لمؤمنيه فإنه وإن كان يقف حلماً معهم أحياناً حتى في وسط ضيقاتهم وتجربهم، لكنه

LXX الأنبياء. يقول لموسي أن يتمنطق. وهو نفسه ظهر لحزقيال (11:9). متمنطقًا. لا، بل والملائكة أيضًا يظهرون لنا متمنطقين (رؤ 6:15) بكونهم جنودًا. إذ تتمنطق نقف أيضًا بشجاعة، وبوقوفنا تتمنطق [1337].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أيوب أيضًا أبوه الرب أن يتمنطق نفسه، كما لو كان نوع من العلامة على النضوج (الرجولية) والاستعداد للعمل. قال لأيوب: "منطق حقويك كرجل" (أي 38:3) [1338].

القديس باسيليوس الكبير

❖ بهذا أيضًا يفتخر القديس داود أنه يتمنطق بقوة الله (مز 32:18)، ويتحدث عن الله نفسه أنه ملتحف بالقوة (مز 1:93)، ويتمنطق بقوته - ضد الأثوار - وإن كان البعض يفضلون أن يروا في هذا إعلانًا عن فيض قوته، كما لو كانت تبدو مقيدة، إذ هو ملتحف بالنور كثوب (مز 2:104). فإنه من يحتمل قوته غير المحدودة ونوره؟ [1339]

القديس غريغوريوس النزيوي

2. جهل أيوب لكيفية خلقة الأرض

أَيَّن كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتَ الْأَرْضَ؟

أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ [4].

أول سؤال يقدمه له الله يمس وجود ذاته، إذ يسأله أين كان حين وضع الله أساسات الأرض من أجله؟ فمن جانب لم يكن بعد أيوب ولا آدم نفسه قد خلق، ومن جانب آخر فإن الله خلق الأرض له ولإخوته قبل أن يكون لهم وجود.

لم يكن أيوب في الوجود حين أسس الله الأرض، وبالتالي لم تكن له قوة على العمل مع الله في الخلق أو تقديم استشارة أو حتى إراك وفهم ما يفعله الله من أجله. كيف إذن يجسر أن يشكو من خطة الله نوره. غن كان أيوب عاجزًا عن فهم وضع أساسات الأرض، فهل يقدر أن يترك خطة الله وحكمته؟

❖ يقول الله: ماذا تقول؟ من أجلك أسست الأرض بعناية هكذا، فهل أهمل من من أجله خلقتها؟... ينطق بهذا للذين يطلبون منه أن يقدم حسابًا ونفسوا للأحداث تون التطلع إلى سمو حكمته. من الذي دفعني لهذا؟ من الذي أشار عليّ؟ من الذي جاء ليعاونني؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ!

أَوْ مِنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَلًا؟ [5]

يسأله: إن كنت تعرف، من الذي وضع مقاييس الأرض وحدد أبعاد خط الاستواء؟ من هو المهندس المعمري الذي صمم أبعاد الأرض؟ من الذي أمسك بالمطمار [1340] لقياسها، محددًا مناطقها وأبعادها؟

يبرز الحديث الإلهي أن الأرض التي يعيش عليها الإنسان لم تُوجد مصادفة بلا تخطيط، وإنما وراءها المهندس الأعظم الذي وضع خطة دقيقة لإنشائها، خلقت بحكمة الخالق وقوته الفائقة.

❖ إنها ليست بدون إبداع أخذت المقاييس، ولا جاءت مصادفة أو بطريقة عشوائية، ولكن الله صممها بهدف متناسق، عمل كمعملي بلع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيرًا رمزيًا لهذه العبارة، فوى أن هذه الأرض هي حياة الإنسان، وأن الأساس الذي تقوم عليه حياتنا هو

الإيمان الثابت في مخافة الرب. هذا الإيمان بكل مقاييسه هو من عمل الله فينا، ليس لنا أن ننسبه لأنفسنا.

❖ أساس هذه الأرض هو الإيمان. يوضع أساس هذه الأرض عندما تتسم أماكن القلب الخفية بخوف الله بكونه العلة الأولى للثبات... يُقال لأيوب: لا تتسب لنفسك الفضائل التي أخذتها مني... فلكي لا أحطم فيك ما قد بنيتك يليق بك ألا تكف عن التأمل في الحال الذي لوجدتك عليه... فإنه يمكننا أن نحفظ حسناً ما نحن عليه إن كنا لا نتجاهل قط ما كنا عليه...

من الذي يضع أساسات هذه الأرض إلا خالقنا؟ هذا الذي بالتدبير الخفي لخطته الداخلية يهب لوأحد كلمة حكمة، ولآخر كلمة معرفة، ولآخر إيماناً كاملاً، ولآخر نعمة الشفاء، ولآخر عمل معجزات، ولآخر نوبة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع أسنة، ولآخر تفسير عظات... هكذا يفعل خالقنا وواضع النظام لكل الأشياء ليحفظنا من الزهو بالعطية التي ينالها الشخص ويتواضع بالفضائل التي لم ينلها... الله يدير كل الأمور هكذا، فينال الكل مواهب خاصة، وتُحسب كلها ملكاً لكل شخص بمفوده وذلك خلال رباط المحبة. كل واحد يملك في الآخر ما ينقصه هو، ويتواضع يقدم للآخر ما يتقبله كملكية خاصة به. وكما يقول بطرس: "ليكن كل واحدٍ بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين علي نعمة الله المتوقعة" (1 بط 4: 10)... ويقول بولس: "بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً" (غل 5: 13)... وأيضاً: "كما قسم الله لكل واحدٍ مقلراً من الإيمان (رو 12: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"من مدّ عليها مطملاً؟" روى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الذين يمدون المطمار على الأرض لبث روح الإيمان هم الكارزون، هؤلاء الذين لا يقدر أن يعملوا إلا بالله نفسه. ضوب مثلاً بذلك الرسول بولس الذي أهمل الكرة في مكدونية فظهر له رجل مكدوني في رؤيا أن يذهب ليعينهم (أع 16: 9). وعندما حول الرسول أن يذهب إلى بيثينية منعه (أع 16: 7).

عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَّتْ قَوَاعِدُهَا،

أَوْ مِنْ وَضَعِ حَجَرِ زَاوِيَتَيْهَا [6].

الحديث هنا رمزي، حيث يتحدث عن خلقة الأرض كقصر أقامه الله للإنسان الملك، حفر أساساته، ووضع حجر زاوية لإقامة مبنى متكامل قوي ومتسع للغاية.

إن كان السيد المسيح، كلمة الله المتجسد، أو الإيمان به هو الأساس الذي قامت عليه الأرض الجديدة، كنيسة الله، فإن قواعدها أو الأعمدة التي قامت على هذا الأساس هي الحياة المقدسة في الرب أو الفضائل التي نمرسها ببرّ المسيح ونعمته، حيث تتقدس قلوبنا وإرادتنا وكل طاقاتنا الداخلية.

إذ روى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الأرض المقدسة التي أسسها الرب هي الإيمان، فما هي قواعد هذه الأرض؟

❖ بماذا نفهم القواعد التي لهذه الأرض سوى معلمي الكنيسة المقدسة؟...

يمكن أيضاً أن تشير القواعد إلى الأنبياء، فعندما تحدثوا ولأبصاحة عن تجسد الرب رأيناهم كقواعد تقوم على الأساس (ربما يقصد السيد المسيح أساس الإيمان) ويحملون المبنى القائم عليهم...

"أو من وضع حجر زاويتها؟" ... واضح لكل من هو هذا الذي يدعوه الكتاب المقدس حجر الزاوية. بالحق هو ذلك الذي أخذ في نفسه اليهود في جانب والشعب الأممي في جانب آخر، ووجدهما معاً كحائطين في مبنى الكنيسة. كُتِبَ "جعل الاثنين واحداً" (أف 2: 14). أظهر نفسه كحجر الزاوية ليس فقط في الأمور السفلية، بل وفي العلوية، إذ وُجِدَ شعوب الأمم مع شعب إسرائيل على الأرض، ووُجِدَ كليهما معاً مع الملائكة في السماء. فقد أعلنت الملائكة عند ميلاده: "على الأرض السلام" (لو 2: 14).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"من أنت أيها الجبل العظيم، أمام زربابل تصير سهلاً، فيخرج حجر الزاوية بين الهاتين كرامة كرامة له" (زك 4: 7).

"مبنيين على أساس الوسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف 2: 20).

[1341]

رى القديس أغسطينوس أنه بدعوة السيد المسيح رأس الزاوية، وهو رأس الكنيسة، بهذا تكون الكنيسة هي الزاوية التي ضمت اليهود من جانب والأمم من الجانب الآخر .

❖ حدث في ذلك اليوم الذي هو يُدعى ميلاده رآه الرعاة اليهود، بينما في هذا اليوم يليق أن يُدعى "الظهور الإلهي" أي "الإعلان" سجد له المجوس الأمميون... حقًا لقد وُلد كحجر زاوية للاثنتين، وكما يقول الرسول: "لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا، وَيُصَالِحَ الْإِثْنَيْنِ [فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ] ١٥-١٦ . ما هو حجر الزاوية لإربط حائطين نوي اتجاهين مختلفين، وكأنهما يتبادلان القبلة! المختونون مع غير المختونين، أي اليهود مع الأمم، اللذان كانا يحملان عدوة مشوكة، ولهما أمور أساسية تغولهما عن بعضهما البعض، فاليهود كانوا يعبدون الله الواحد الحق، والأمم كانوا يعبدون آلهة كثرة باطلة. الأولون كانوا قوبيبين والآخرين كانوا بعيدين. لقد قاد الفوقين إلي نفسه، ذلك الذي صالحهما مع الله في الجسد الواحد، وكما قال نفس الرسول: وذلك بالصليب قاتلاً العدوة [1342].

القديس أغسطينوس

عِنْدَمَا تَرْتَمَّتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا،

وَهْتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟ [7]

عند بناء بيت ما أو كنيسة أو مشروع ما يحتفل الإنسان مع أصدقائه بالبدء في حفر الأساسات والبدء في وضعها.

في بدء إعادة بناء الهيكل "أقاموا الكهنة بملابسهم بأواقٍ، واللاويين بني آساف بالصُوج لتسبيح الرب، وغفوا بالتسبيح والحمد للرب، لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسوائيل، وكل الشعب هتفوا هتافًا عظيمًا للرب لأجل تأسيس بيت الرب" (عز 3: 10-11). وإذا يقيم الرب كنيسته، قيل: "فيخرج حجر الزاوية بين الهاتين كرامة كرامة له: (زك 4: 7). عند ولادة السيد المسيح حجر الزاوية لكنيسة العهد الجديد "ظهر بغته مع الملاك جمهور من الجند السموي، مسبحين الله" (لو 2: 13).

يا لها من صورة رائعة حيث انطلقت الطغمت السمائية المنورة "كواكب الصبح" تهنف وتسبح الله عند ماروا أساسات الأرض قد وُضعت. فمع أنها لم توضع لأجلهم، وإنما لأجل الإنسان القادم، وليس لأجلهم. بالحب حسوا سعادة الإنسان سعادتهم، وما يُقدم لهم كأنه لهم.

يشبه الله نفسه بمهندس أنشأ بيتًا عظيمًا، حين خلق العالم، فتهللت الطغمت السماوية لهذا العمل الفائق. أين كان أوب في ذلك الحين؟

في الفصل السابع من مناظرة الأب سيرينوس أوضح أن الله خلق السمايين قبل خلقه العالم. "عندما صُنعت الكواكب معًا سبحتي الملائكة بصوت عالٍ" (أي LXX 7:38). فقد كانت الملائكة موجودة في بدء خلقه العالم تسبحه على أعمال خلقته للعالم المنظور لنا [1343].

في تعليق للقديس يوحنا الذهبي الفم على علامات المنتهى الوردية في متى 24: 29، يقول بأن الملائكة سبحت الرب بصوت عالٍ حين خلق الكواكب (راجع أي 38 : 7 LXX). بالأكثر يسبحونه حين يتم التغيير النهائي حيث تتساقط النجوم، إذ لا يعود لها حاجة حيث لا يوجد ليل في

[1344] الأبدية .

❖ كل التناسق المجيد غير المنطوق به الذي للسمايين العلويين سواء في خدمة الله أو في الاتفاق المشترك بين القوات السماوية يمكن أن يُحفظ بتوجيه الروح [1345].

القديس باسيليوس الكبير

❖ من يتجاسر فيظن أن الملائكة قد خُلقت بعد ستة أيام الخليفة؟ إن كان غيبًا هكذا، فإن غبوته وُال بالكتاب المقدس الذي له سلطان مشابه، حيث يقول الله: "عندما خلقت الكواكب هتفت الملائكة لي بصوت عالٍ (أي 38: 7). إذا وُجدت الملائكة قبل الكواكب، الكواكب خلقت في اليوم الرابع. فهل نقول إن الملائكة خُلقت في اليوم الثالث؟ حاشا! فإننا نعلم ما الذي خلق في ذلك اليوم. اليابسة انفصلت عن المياه، وكل عنصر أخذ شكله المميز،

[1346]

وأنتجت الأرض كل ما عليها .

القديس أغسطينوس

3 . جهله لوضع حدود للبحار

وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصْرِيحٍ حِينَ انْدَفَقَ،

فَخَوَجَ مِنَ الرَّحْمِ [8].

ربما يشير هنا إلى اليوم الثالث من الخلق عندما قال الله: "لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد" (تك 1: 9).

كانت الأرض والغمر مختلطين معاً، وإذ أمر الله بفصلهما اندفعت المياه كما من رحم الأرض وتكونت البحار .

تكونت البحار الضخمة وصلت كما لو كانت محبوسة بمصريع أو أبواب لا تخرج منها .

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن البحر هنا يرمز للقلب الذي لا يمكن للإنسان أن يحفظه أو يقده بدون النعمة الإلهية.

❖ ما هو هذا البحر إلا قلبنا الثائر بصواعٍ عنيفٍ مرّ، وهو بتشامخ الكروياء، ويظلم بخداع الشر؟ يا لقوة أمواجه الثائرة، الأمر الذي يركه من يفهم في نفسه سرّ تجرب الأفكار .

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لماذا يقول: "عندما وُلد (خرج من الرحم)"؟ ليظهر أن هذا تم على مراحل، وأن الخلق لم تتم كما بضوبة واحدة. إنها تعكس على السامع ما قاله

موسى. كما لو كان قد وُلد، حيث تدفق البحر أولاً، وبعد ذلك أخذ شكله، واجتمع معاً في موضع واحد (تك 1: 9). فلا تظن أنه أمر طبيعي للبحر أن تحده شواطئه، إنما سمح الله له في البداية بالعكس أن يوجد الماء وينتشر على كل سطح الأرض .

القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد وضع الله حدوداً للبحر البدائي .

إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِيَأْسَهُ،

وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ [9].

إذ يتطلع إلى البحر كطفلٍ حديث الولادة يحتاج إلى ملابس وقمط، فقدم له الله السحب كرداء يغطيه، والضباب كقمط يضمه . هكذا يتعامل الله

مع البحر الضخم كطفلٍ صغيرٍ يحتاج إلى موضعة تقمطه وتهتم به، بالرغم من أمواجه الشديدة الهياج وتيراته الجلفة .

لم يقل جعل الجبال والصخور والتلال قماطه، إنما جعل الضباب هكذا، الأمر الذي لا يخطر على فكر إنسان .

❖ لا تظن أن الضباب الذي فوق المياه أمراً طبيعياً . يقول إنه كائن بأوره (الإلهي) .

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَجَرَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي،

وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصْرِيحَ [10].

لئلا يثور البحر ويتمرد فيحطم حياة الإنسان على الأرض أزمه الله بحدودٍ معينة، وأقام له مغاليق وأواب لوضع حدود لحركته .

هذه الحدود والمغاليق والأواب لم توضع لتفقد البحر قيامه بوره أو تحطم رسالته، إنما على العكس، هي لصالح البحر نفسه كما لنفع الأرض .

يضع الله لقلوبنا ناموساً إلهياً أو وصية، لا ليكنتم أنفسنا، ولا ليجرنا من السعادة والحرية، وإنما بهذه الوصية الإلهية نتشكل فنعود لنصير على

صورة الله ونتشبه به . هذا لسعادتنا وسعادة الغير .

الوصية لا تحبنا لنكون كما في سجن، إنما تعين قلوبنا لتتسع بالحب نحو الله والناس حتى المقاومين لنا، بل ونحب كل الخليقة، ونحب نفوسنا في الرب.

وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلَا تَتَّعِدِي،

وَهُنَا تَتَّخَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟ [11]

لا نجد هنا شيئاً من الأساطير التي انتشرت قديماً، مثل ظهور حيوانات بحرية موعبة ضخمة. إنما في أسلوب أدبي روحي رائع، يصور البحر كما لو وُلد في جو من الهواء، له نوره الحوي بالتفاعل مع اليابسة لخدمة الإنسان. مع ضخامة المحيط وشدة اللجج وضع الله قرانين لا يتعدها. ❖ من يستطيع أن يخبر عن أعماق البحار وسعتها وقوة أمواجها الهائلة؟! ومع هذا فهي تقف عند حدود موسومة لها، إذ قيل: "إلى هنا تأتي ولا تتعدى، وهنا تدخل، وهنا تتختم كبرياء لُججك" فيُظهر البحر الطاعة بوضوح، إذ جرى ليقف الشاطئ في خط واضح صنعته الأمواج، معلناً لناظره أنه لا يتعدى الحدود الموسومة له [1347].

القديس كيرلس الأورشليمي

يقول رميا النبي: "أيأي لا تخشون يقول الرب وألا ترتعدون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر، فيضة أبدية لا يتعدها، فتتلاطم ولا تستطيع، وتتعج أمواجه ولا تتجاوزها" (إر 5: 22). يقدم **ثيودورت أسقف قورش البحر** دليلاً على العناية الإلهية. ❖ لكي أفتعك بهذا عُذ ثانية إلى البحر، ولاحظ أعماقه وامتداده وأقسامه إلى خلجان وشواطئه وموانئه والجزائر التي في منتصفه، وأنواع السمك الذي فيه وأجناسه وأشكاله وتووعه وولوعه نحو الشاطئ. لاحظ حدود أمواجه، ولجام العناية التي تضبطها، وتمنعها عن أن تفيض على البر. عندما تندفع الأمواج نحو الرمل تلتزم بالحدود، ملاحظين الناموس الإلهي منحوتاً هناك. إنها تشبه حصاناً روحياً يكبحه مربيه، فتحني الأمواج رقبته وتتراجع، كمن تقدم توبة مؤاجعة عند تلامسها مع الرمل [1348].

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ بين أكثر الأمور ضعفاً هو الرمل، لا يقدر البحر أن يقاومه في عنفه، إذ يكون به مُلجماً.

القديس باسيليوس الكبير

4. جهله كيف يبرز نور الفجر

هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمْرَتِ الصُّبْحِ؟

هَلْ عَرَفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ [12]

يقدم الله لأيوب أسئلة موبكة حتى يكتشف عجزه التام عن إرواك حكمة الله، ويشعر أنه ليس من وجه للمقلنة بين تفكوره وتفكير الله. هذه الأسئلة، وإن كان العلم مع تقدم الأبحاث يقدم إجابات على بعضها، لكن تبقى أسرار الطبيعة تفوق كل فكر بشري. ما نعرفه علمياً لا يُقلن بما لم نعرفه بعد.

يتحدث هنا عن بدء ظهور النور في الفجر، كلنا متأكدون من وجود النور ونتمتع به مع الفجر حتى تشوق الشمس. لم يسأله: هل في سلطانك أن تتعجل ظهور الفجر ويزوغ النور؟ وإنما سأله عن أمرين هما، إن كان الإنسان موجوداً عند أمر الرب بظهور النور، وهل يستطيع أن يحدد موضعاً للفجر. لم يكن الإنسان موجوداً عندما خلق الله النور، وليس في سلطانه أن يأمر النور ليشوق ولا أن يحدد الموضع الذي يشوق عليه. وكما يقول الموتل: "السملوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مز 19: 1-2). ❖ السملوات (الأجرام السماوية) تطيعه، إذ تتحرك بسلام في خضوع لقوانينه.

تقطع ليلاً ونهلاً الطريق الموسوم لها دون أن تعيق بعضها بعضاً.

الشمس والقمر مع النجوم تجتاز الطريق الموسوم لها، حسب أوره دون أي انخاف.

والأرض المخصصة، بحسب رادته، تثمر في فصول مناسبة طعاماً وفواً للإنسان والوحوش، وكل الكائنات الحيّة التي على وجه الخليقة...

الأعماق (الهوليّة) التي لا يُسبر غورها، وتنظيمات العالم السفلى غير الموصوفة، تخضع لذات القوانين.

البحر الفائق الاتساع، بعمل (الله) يجتمع فلا يعبر الحدود التي وُضعت له، إنّما يمتثل لأوامر (الله).

إذ قال: "إلى هنا تأتي، وفي أعماقك تتحطم أمواجك" (أي ٣٨ : ١١).

محيط لا يقدر الإنسان أن يجتزه، وعوالم قائمة وراءه [\[1349\]](#) توجّهها رادة الرب.

فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء تتتابع هادئة، الواحد وراء الآخر.

تقوم الرياح [\[1350\]](#) بدورها في الوقت المعين بغير عائق، والينابيع التي لا تتضب تقدّم أئداءها بغير توقف حياة للبشر. أصغر الحيوانات

تجتمع في وئام وألفة.

كل هذه الأعمال نظّمها الخالق العظيم رب المسكونة، تتحرّك في ألفة وئام، صانعاً خواً للجميع، خاصة لنا نحن، إذ نجد ملجأ في حنوه، يربنا

يسوع المسيح.

الذي له المجد والعظمة إلى أبد الأبد، أمين [\[1351\]](#).

القديس إكليمنضس الروماني

وى البابا غريغوريوس (الكبير) في نفسوه الرمزي أن الكنيسة المقدسة تُدعى فحواً حيث تتطلع إلى مكافأة الحياة السملوية المثوقة وتتخلى

عن ظلمة الخطية، إنها تستنير بأشعة شمس البرّ.

لِيُمْسِكَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ،

فَيَنْقِضَ الْأَشْوَارَ مِنْهَا؟ [13]

يَصُوِّرُ الفجر بظهوره وسط الظلام ليشرق بأوان جميلة فتتوقف أعمال الخطاة الذين يجدون في ظلمة الليل فرصة لممارسة شرورهم المظلمة.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن أطراف الأرض هم المتواضعون الذين يمسك بهم السيد المسيح، أي صيادو السمك الذين يفحمون معلمي

الناموس.

تَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتِمِ،

وَتَقِفُ كَأَنَّهَا لِأَيْسَةَ [14].

يحمل الطوب في مصر وبابل وأشور ختماً يميز مصانع الطوب عن بعضها البعض. كانت جوار الخمر المصري والأماكن التي توضع فيها

المومياء تختم بختم على طين. ووجد في أشور بعض مستندات عامة عليها طين مختوم بحروف معينة وتميز الختم الرسمي. أيضاً الحوات التي توضع

فيها الكنوز كانت تختم بختم على طين. وربما قبر السيد المسيح ختم هكذا (مت 27: 66). وكان الطين يفضل عن الشمع، لأن الأول يوداد صلابة

بالنار، أما الثاني فينصهر بها [\[1352\]](#).

مع كل صباح جديد تشرق الشمس على الأرض، فتبدو منوة كأنها ترتدي ثوباً جديداً، هكذا يطبع شمس البرّ نوره على كنيسته، فيصوها فحواً

جديداً تتمتع مع كل صباح خوة جديدة في التمتع بحب الله لها. هكذا تظهر صورة المسيح على كنيسته ومؤمنيه الحقيقيين كما يظهر الختم على الطين.

وَيُمْنَعُ عَنِ الْأَشْوَارِ نُورَهُمْ،

وَتَتَكْسِرُ الْوَأَاعَ الْمُؤْتَفَعَةُ [15].

سبق أن تحدثت أيوب عن فُوع اللصوص والمجرمين من نور الصباح لأنه يفضحهم (أي 24: 13). هنا يعلن الله عن أشعة نور الصباح، أي أشعة شمس البرّ التي تكسو الكنيسة الحقيقية بثوب وهّ البهي، وفي نفس الوقت يحرم الأثوار من نور بهجتهم، ويكسر فواعهم التي يرفعونها ضد الله والناس.

نور السيد المسيح الذي يهب حياة أبدية لمؤمنيه، هو دينونة لمقاوميه. يقول السيد المسيح نفسه: "لو لم أكن قد جنّت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15: 22). ويقول الرسول بولس: "لؤلؤ رائحة موت لموت، ولؤلؤك رائحة حياة" (2 كو 2: 16).

❖ لمن إذن "رائحة موت لموت" إلا للذين لا يؤمنون، والذين لا يخضعون لكلمة (لوغوس) الله... مرة أخرى، من هم أولئك الذين يخلصون وينالون الموات؟ بلا شك إنهم الذين يؤمنون بالله ويستمترون في محبته كما فعل كالب بن يفتنة ويشوع بن نون (عد 14: 30) والأطفال الأورباء (يونان 11: 4) الذين ليس لهم إحساس بالشر. لكن من هم أولئك الذين يخلصون الآن، ويتمتعون بالحياة الأبدية؟ أليس الذين يحبون الله، ويؤمنون بوعده، ويصيرون أطفالاً في الخبث (1 كو 14: 20)؟ [1353]

القديس إيريناؤس

5 . جهله لإهواك ظل الموت والظلمة

هَلِ انْتَهَيْتَ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ،

أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْعَمْرِ تَمْشَيْتَ؟ [16]

يسأله إن كان يعرف ما هو كامن في قاع البحر وما يحمله من كنوز، وهل يقدر أن يصف ينابيع مياه البحر. يعود إلى العالم البدائي، ويظهر المحيط وإن كان مدمراً يتعاون مع الموت، فهل أدرك أيوب أسوار المياه وسرّ الموت؟

❖ إنه يشير إلى رتباك أيوب: "وفي دروب الفجر (العمق) تمشيت". أقول لك ليس فقط هل يمكنك أن تتجزأ أحد هذه الأعمال التي أنا صنعتها، وإنما لا تستطيع حتى أن تعرف كيف تحققت، ولا أن تعرفها أو تتخيلها كما هي حقيقة. بهذه الكلمات كان يعلم أيوب عن المسافة التي تفصل بين أيوب وبنيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هَلِ انْكَشَفْتَ لَكَ أَبْوَابَ الْمَوْتِ،

أَوْ عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ [17]

الآن بعد أن سأله عن أمور تخص الطبيعة نفسها كظهور الفجر، ينابيع البحر، وما يحويه قاع البحار، يسأله عن أمر أكيد يمس حياة الإنسان، ألا وهو الموت، الذي كما قيل عنه أنه يصاحب الإنسان منذ لحظة ميلاده ولا يعرف متى يحل به. يبقى الموت لوقاً في حياة الإنسان، لا يعرف متى يحل به، وبأية وسيلة، ولا يقدر أن يصفه، ولا أن يصف الموضع الذي تحل إليه نفسه، وكيف يملس حياته بعد الموت. أمور يقدمها لنا الإيمان، ويكشفها لنا الخالق محب البشر، مع أنه حقيقة تمس حياة كل إنسان!

وى البعض أنه يقصد بالموت الموضع الذي تجتمع فيه النفوس بعد انتقالها، أي مملكة الموتى، أو الجحيم، أما ظل الموت فيشير إلى نفس

حركة خروج النفوس وانطلاقها. هذه أمور غامضة بالنسبة للإنسان، لكنها مكشوفة لله.

❖ حقاً كيف نعجب إن كان البشر قد فشلوا بحكمتهم الأرضية أن يبركوا سر الله الأب وربنا يسوع المسيح الذي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة المخفية (كو 2: 3)، هذا السرّ الذي ما كان للملائكة أن تعرفه بغير إعلان لهم!

لأنه من يقدر من ذاته - وليس بالإيمان - أن يتصور متبّعاً الرب يسوع، إذ قول (الكلمة) من أعالي السموات إلى أسافل الجحيم، وها هو

يصعد من الجحيم إلى السموات، وفي نفس الوقت يسكن بيننا نون أن ينقص شيئاً عما كان عليه...

لقد وقفت الملائكة أيضاً في دهش عجيب أمام السر السمووي، هكذا عندما قام الرب لم تحتل أعالي السموات مجد القيامة من الأموات، هذا الذي قد حبس أخوياً في رباطات القبر الضيقة، حتى صلت الملائكة في حوة...!

فقد جاء "العالم" متريماً بغنائم مدهشة. جاء الرب في هيكله المقدس بينما تتقدمه الملائكة ورؤساء الملائكة متعجبين راء تلك الغنائم التي انعتقت من الموت... وبنصوة الصليب - حيث كان الحكم على كتفيه - حملت الغنائم إلى نصوة أبدية. جاء وكان الأبواب قد ضاقت به... إذ لا تقدر أن تدخل عظمته، لذلك بحثوا عن طرق أوسع وموات أسهل للرب في عودته، وهكذا لم ينقص الرب شيئاً بسبب إخلاء نفسه (إذ عاد إلى مجده السمووي ومعه غنائمه).

على أي الأحوال، لقد وجنوا أنه يلزم أن يُعد أمام وجه هذا "المنتصر" الجديد طريق جديد، لأنه هو دائماً كما كان أعظم من غوره. ولكن لأن أبواب البر التي هي أبواب العهد القديم والجديد، التي فيها تنفتح السموات، هي أبواب أبدية، لذلك فهي بالحق لا تتغير، لكنها لتفتحت لأن الداخل ليس إنساناً بل العالم كله يدخل في شخص مخلص الكل.

القديس أمبروسيو

هَلْ أُنزِلَتْ عَرْضَ الْأَرْضِ؟

أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ! [18]

لم يكن بعد قد دار أحد حول الكوة الأرضية، وما كان يمكن لإنسان حتى ذلك الحين أن يعوف أبعادها، مع أن الأرض ذاتها تحسب نقطة وسط عظمة الكون كله الذي أبدعه الله.

أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ،

وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا [19].

يتعاقب النور الظلمة، والظلمة النور هذا ما يلاحظه الإنسان كل يوم، لكن هل يعوف سرّ النور وسرّ الظلمة، أين يسكنان.

يستحيل على الإنسان أن يحدد موضعاً خاصاً بالنور الملموس والظلمة، فكيف يمكنه أن يبرك ذاك الذي خلق النور وفصله عن الظلمة. وماذا يمكن للإنسان أن يعوف عن نور البرّ الإلهي وظلمة الشر.

ما يعوفه الإنسان أن الله قادر أن يحول قلب الإنسان من ظلمة الشر إلى نور البرّ، أما كيف يتحقق هذا، فهذا ما لا يستطيع أن يصفه بدقه. في كل يوم نلمس عمل الله هذا حيث يشوق بنور وهّ على الخطاة ليحول خطاة إلى قديسين.

حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تَحْوِمِهَا،

وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟ [20]

كثراً ما يشتاق الإنسان إلى بزوغ نور النهار ليتم عملاً ما، كما يشتاق إلى ظلمة الليل ليستريح من تعب العمل في النهار، لكنه لا يعرف إلى أين يذهب نور النهار أو ظلمة الليل.

تَعْلَمُ لِأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ! [21]

رأد الله أن يظهر حقيقة الإنسان خلج داوة نعمته، فيسأل أيوب إن كان يعلم هذه الأمور، إن كان عوه يرجع إلى بدء الخليقة، وكان ذلك الحين مولوداً.

لا يليق بالإنسان أن يناقش الله فيما يفوق قدرته مثل خلقة النور، إنما بإيمان ينصت إلى قوله الإلهي: "أنا مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر (التأديبات). أنا الرب صانع هذه كلها" (إش 45: 7).

6 . جهله للسحب والبرد والوعد...

أَدْخَلْتِ إِلَى حَوَائِنِ التَّلْجِ؟

أَمْ أَبْصَرْتِ مَخَازِنَ الْبَرْدِ؟ [22]

بعد أن ناقش الله موضوع الخليقة أشار إلى الظواهر الطبيعية القائمة مثل نزول الثلج وهبوب الرياح وسقوط الأمطار. هذه كلها التي أوجدها الله

من أجل كل إنسان. كان يليق بأبواب أن يتأمل هذه الأعمال العجيبة التي لا يمكن للفكر البشري أن يحدها تمامًا، ومع أنها موجودة من أجله، عوض الانشغال بالتجرب التي تحل به. ليس وجه للمقارنة بين ما يسمح به الله للإنسان من ضيق وبين عنايته الإلهية بكل العالم من أجل الإنسان. يليق بالمؤمن أن يتسع قلبه وفكره ليمجد الخالق المدبر كل شيء لأجله.

حينما يسقط الثلج في البلاد الباردة يدهش من الكميات التي لا حصر لها التي تسقط على بلاد بأكملها، فيبدو كأن السماء قد امتلأت مخزنها بالثلج والورد.

يلمس سكان المناطق التي تتعرض للتوج عناية الله بهم، ويرون في التوج كنزاً ثمينة. فهي تحفظ للأرض دفنها فلا تتزل حورتها إلى ما قبل الصفر بوجات كثرة، كما يعطي الثلج خصوبة للأرض. لهذا بعد فترة الثلج مباشرة نجد النباتات في المنطقة التي كانت مغطاة بالثلج تنمو بسوعة عجيبة.

يستخدم الوب الثلج والورد لتحقيق أغراضه كحفظ مؤمنيه من غرات الأثوار، فيسقط عليهما الثلج والورد في يوم القتال كما حدث وقت الطوفان وانصببت المياه من هذه المخزن لتغرق العالم الثوير، وكما رمى على الكنعانيين حجرة عظيمة من السماء (يش 10: 11).

وى البابا غريغوريوس (الكبير) في الثلج والورد إشارة إلى القلوب الباردة من جهة محبة الله، كما قيل: "تتود محبة الكثرين" (مت 24: 12). هذه القلوب يتطلع إليها الوب لا باستخفاف ولا بروح الغضب، وإنما كنوز تحتاج إلى من يحركها. لقد حرك بنفسه قلب شاول الطرسوسي الذي اعترف بأنه كان مجدفاً ومضطهداً ومفتورياً، وأقام منه الرسول العظيم الملتهب بالغيرة المقدسة.

الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لَوْقَتِ الضَّرِّ لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟ [23]

استخدم الوب هذه المخزن لتأديب الأثوار (خر 9: 18؛ يش 10: 11؛ رؤ 16: 21؛ إش 28: 17؛ مز 12: 18-13؛ حج 2: 17).

فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَزَّعُ النُّورُ،

وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ؟ [24]

في ظاهرة السحب العدية يظهر نور البرق إلى لحظات؛ لكن من يقدر أن يصف بدقة كيف يصدر النور، وما هي سوعته، وما هو جوهره، وكيف يتبدد بسوعة الخ.

وى البعض أنه يتحدث عن النور المنبعث مع الفجر لينتشر على الأرض. مثل هذه الظاهرة بسيطة يلمسها البشر في حياتهم اليومية ومع هذا لا يكون أسرها.

يسأل أيضاً أيوب إن كان يدرك كيف تنتزع الريح الشرقية على المناطق. ولعله ربط بين النور والريح الشرقية بكون مصورهما هو من الشرق، وينتشان على المناطق والبلاد ولا يستطيع أن يتتبع انتشارهما.

مَنْ فَوْعَ قَوَاتٍ لِلْهَظْلِ وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ [25].

يبدو للإنسان كأن لا ضابط للأمطار ولا لتجمع المياه في قوات متوعة، ولا عندما تغمر المياه الكثير من الأراضي حتى كأنها قد خرجت عن طاعة الله الذي حدد مسرها.

كل الأمور تسلك بسماع إلهي، وقد قيل عن قلب الملك إنه في يد الله كجدول مياه حيثما شاء يميلها (أم 21: 1).

وكما يوجه الله جدول المياه، هكذا له سلطان على مسار الصواعق.

لِيَمْطُرَ عَلَى رُضٍ حَيْثُ لَا إِنْسَانٌ،

عَلَى قَفْرِ لَا أَحَدَ فِيهِ [26].

إن كان الله يحدد حتى أماكن المطر، ففي عنايته بخليقته يسمح بالمطر حتى في الأماكن غير الأهلة بالسكان، لكي تجد وحوش الوبية ماءً، أو إن

لِيُرْوِيَ الْبُلْقَعَ وَالْخَلَاءَ وَيُنْبِتَ مَرْجَ الْعُشْبِ؟ [27]

إن كان الله يهتم بالإنسان بصفة خاصة، إلا أنه لا يتغافل المخلوقات الدنيئة التي في الوري، والحيوانات المفترسة. وكما يقول المرنثل: "المفجر عيوناً في الأودية، بين الجبال تجري. تسقى كل حيوان البر تكسر الفواء (الحمار الوحشي) ظمأها" (مز 104: 10-11).

هَلْ لِلْمَطْرِ آبٌ، وَمَنْ وُلِدَ مَا جَلَّ الطَّلُ؟ [28]

سبق فتحدث عن البحر العظيم كطفلٍ خرج من الرحم بأمر الله، قَمَطَه بالضباب، وكساه بالسحاب، وكأن الله أشبهه بمربية حتى للبحر الجماد. الآن يتحدث عن الطل، القطرات غير المحصاة فيصورها كمولود حديث يهتم الله حتى بقطرة الطل! إنه عامل في كل الطبيعة بطبيعته الصالحة الفائقة. وى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله كثراً ما يستخدم تعبير الولادة حتى بالنسبة للخلائق الجمادات، ليؤكد ليس من خليقة جاءت مصادفة، إنما كل الأمور هي في ذهن الله الكلي الحب والوعاية.

❖ " من هو أب للمطر؟! ومن ولد قطرات الطل؟! " (أي 38: 28)

من كَثَّفَ الهواء في السحب، وربطها ليحمل مياه الأمطار فتأتي ذهبية اللون (أي 37: 22) من الجنوب، بنظام واحد ترة، وفي شكل نواتر متعددة وأشكال متباينة ترة أخرى؟!

من يحصي الغيوم بالحكمة (أي 38: 37)، إذ قيل في أيوب يعرف انفصال السحاب؟! (أي 33: 16 LXX) من هو "المخوج الريح من خرائنه" (أي 35: 7)، وكما قلنا قبل "من ولد قطرات الندى ومن بطن من خوج الثلج؟! " (مز 135: 7؛ أي 38: 28) فإن مادتها ماء وقوتها كالحجر!

في وقتٍ ما يصير الماء ثلجاً كالصوف (راجع مز 147: 16)، وأخرى ينزيه صقيعاً كالوماد، وثالثة تصير مادة حورية. إنه يحكم الماء كما يريد.

❖ طبيعة الماء واحدة لكن عمله متعدد في القوة، فيعمل في الكرمة خوفاً يوح قلب الإنسان، وفي الزيتون زيتاً يلمع وجهه، وفي الخبز يسند قلب الإنسان (مز 104: 15)، ويوجد في كل أنواع الفاكهة التي خلقها الله .

[1354]

القديس كيرلس الأورشليمي

مَنْ بَطْنٍ مِنْ حَوْجِ الْجَلِيدِ؟

صَقِيعِ السَّمَاءِ مَنْ وُلِدَهُ؟ [29]

تتجمد المياه لتصير جليداً وثلجاً لفةزة وجزرة للغاية وبكميات يصعب أو يستحيل حصولها تكشف عن عجز الإنسان عن إرواك ظواهر طبيعية تتم أمامه وبسوعة لا يتوقعها. أية قوة مخلوقة تقدر أن تتم هذه الظواهر العجيبة؟

كَحَجَرٍ صَلَّتِ الْمِيَاهُ. اخْتَبَأَتْ.

وَتَلَكَّدَ وَجْهَ الْعُمْرِ [30].

يتألم البابا غريغوريوس (الكبير) أن اليهود الذين كانوا يشبهون الأمطار التي تروي الأرض، بسبب عدم إيمانهم فقنوا كل حرارة روحية وصلوا أشبه بحجرة بلدة ثلجية.

7 . جهله للكواكب وأثرها على الأرض

هَلْ تَرِبُّبُ أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا

أَوْ تَفُكُ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟ [31]

إذ ربط كثير من الفلاسفة مصائر الناس بحركات الكواكب، لذلك تحدث عن مجموعات الكواكب، فإن الله قد خلق هذه جميعها بحكمة، ومهما درس الإنسان الفلك وتعرف على بعض أسوار الكواكب، فإنه لا سلطان له عليها، ولا سلطان للكواكب على مصائر الناس.

❖ أتعرف من ذلك الذي يحصي عدد الكواكب ، ويدعوها بأسمائها؟ هل تعرف فرق المجد الذي لكل منها (1 كو 41:15)، ونظام تحركها، فأنت فيك عندما تنسج نسيج الشئون البشرية، وتسلب المخلوق ضد الخالق؟

[1355]

القديس غريغوريوس النزيوي

أَتُخْرَجُ الْمَنَازِلُ فِي أَوْقَاتِهَا،

وَتَهْدِي النُّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟ [32]

يقصد بالمنزل الكواكب التي في الجنوب، وبالنعش الكواكب التي في الشمال. مَنْ من البشر له سلطان على تحريك الكواكب. لكن الله وحده يستخدمها، كما جاء في سفر القضاة: "من السموات حلوا. الكواكب من حُبكِها حربت سبيوا" (قض 5: 20).

جاء تعبوا "المنزل" و"النعش" في الترجمة السبعينية: Mazuroth وكواكب المساء؛ وجاء في نص البابا غريغوريوس (الكبير) كوكب الصباح وكوكب المساء. ووى البابا أن كوكب الصباح هو السيد المسيح الذي أعلن لنا عن الصباح الأبدي، والذي قام في الصباح من الموت وأشرق ببهاء نوره علينا، محطماً ظلمة فسادنا لاق أن يدعو يوحنا "كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 16). أما كوكب المساء القادم فهو ضد المسيح هذا الذي يسمح له الوب أن يسود على أبناء الأرض، على القلوب غير المؤمنة والتي تتقبل سيادة ضد المسيح عليها.

❖ جلب الأب كوكب الصباح في حينه، إذ مكتوب: "لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس" (غل 4: 4-5). إذ ولد من عزاء ظهر ككوكب الصباح وسط ظلمة ليلنا. فإنه إذ طرد قتام الخطية أعلن لنا الصباح الأبدي. لكنه أظهر نفسه ككوكب الصباح لأنه قام في الصباح من الموت، وغلب ببهاء نوره على بشاعة ظلمة موتنا. بلياقة دعاه يوحنا "كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 16)، إذ ظهر حياً بعد الموت. صار لنا كوكب الصبح. أحياناً في شخصه مثلاً للقيامة. كما أشار إلى النور القادم (المخادع). إنه يسمح لكوكب المساء أن يسيطر على بني الأرض إذ يسمح لضد المسيح أن يسيطر على قلوب اليهود غير المؤمنة... يقول الوب في الإنجيل: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه" (يو 5: 43). يقول أيضاً بولس: "لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولأجل هذا سُرِّسِل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرو بالإثم" (2 تس 2: 10-12). لذلك فإن كوكب المساء لن يسيطر على الذين رأوا أن يكونوا أبناء السماء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَلْ عَرَفْتَ سَنَنَ السَّمَوَاتِ،

أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الْأَرْضِ؟ [33]

ليس من يعرف سنن السموات أو يدرك أسرارها، وأحكامها. أما السماء فتترك ما على الأرض ويكتشف السمايون الكثير من أسرار محبة الله وخطته نحو البشرية. كأن الله يقول لأيوب: "إن كنت قد سمحت لك بالتجرب، فأنت لا تترك ما يدور في السماء، لكن السمايين يركون لماذا سمحت لك بالضيقات ويعلمون محبتي لك ودفاعي عنك ضد الشيطان.

8 . جهله قوة الله في الجو والظواهر الطبيعية

أَتَرَفُّعُ صَوْتِكَ إِلَى السُّحُبِ،

فِيُعْطِيكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟ [34]

سبق فأينا أن السحب تشير إلى أنبياء العهد القديم ورسول العهد الجديد، فإله يتكلم خلال رجاله القديسين كما من السحب، وهو وحده يغطي الإنسان بمياه نعمته وعطية روحه القدس.

لقد جاء الرب يتكلم بين السحب حيث شهد له الأنبياء ويكرز به الوسل، وقد قبلت الشعوب كمياه كثرة الإيمان به، وكأنه قد غطاه فيض المياه. لم يكن ممكناً لأيوب البار ولا لغوره من رجال العهد القديم إواك هذا السرّ بوضوح كما تحقق بمجيء السيد المسيح.

أُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبُ،

وَتَقُولُ لَكَ: هَا نَحْنُ؟ [35]

تشير السحب إلى الوسل الذين جالوا يكرزون بالإنجيل، أما البروق التي تصدر عن السحب فهي الآيات والعجائب التي وهبها الله للوسل للشهادة عن الحق الإلهي. إحدى هذه البروق الصاورة عن السحب، ما قاله بطرس الوسل للأعوج: "ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي فأياه أعطيك. باسم يسوع المسيح الناصوي قم وامش" (أع 3: 6-7).

كما أن السحب تخضع لله هكذا البرق يشهد له في طاعة.

مَنْ وَضَعَ فِي الطَّخَاءِ حِكْمَةً،

أَوْ مَنْ أَظْهَرَ فِي الشُّهْبِ فِطْنَةً؟ [36]

41 . يتوجم البعض الطخاء بالإعصار. أما الشُّهْبُ فهي شعلة نار ساطعة.

جاءت الترجمة السبعينية: "من يعطي النساء مهلة الغزل (النسيج) ومعرفة التطريز؟"

❖ لاحظوا هذا: إنه يتحدث عن الجانب العملي. إنه يخط الأمور الصغرة بالكبيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى القديس أمبروسيوس في هذه العبرة إشارة إلى نسج الصدفية السماوية التي للسيد المسيح بكونه رئيس الكهنة الأعظم، هذه التي تُنسج من

قوة الله وحكمته ورّه، ومزينة بالحجارة الكريمة. أو هو ثوب العرس السموي العزين بحجارة متنوعة، ومنسوج بالذهب، إنه نسج الإيمان

[\[1356\]](#) العامل .

مَنْ يُحْصِي الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ،

وَمَنْ يَسْكُبُ رُفَاقَ السَّمَاوَاتِ [37].

"رُفَاق" جمع كلمة رُق "أي زجاجة. هل يستطيع إنسان مهما بلغت حكمته أن يحصي الغيوم التي في السماء، ويضعها بدقة، ويحدد حجمها

وزونها؟ ومن يستطيع أن يتحدث عن الأمطار التي تنسكب من السماء كما من زجاجات ضخمة؟

إِذْ يَنْسِبُكَ التُّرَابُ سَبْجًا،

وَيَتَلَصَّقُ الطِّينُ؟ [38]

إن كان الأتوار كالعصافاة في مهب الريح (مز 1: 4) أو كالتراب أو الغبار الطائر في الجو، لأنهم بلا محبة تجمعهم معاً بالروح؛ فإن الله في

محبه يهبهم روح الحب ليتلاصقوا معاً ككتل الطين النافعة.

9 . عناية الله بالحيوانات غير العاقلة

أَتَصْطَادُ لِلنَّوَةِ فَرِيَسَةً،

أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الْأَشْبَالِ [39].

اختيار هذه الحيوانات والطيور (39:38-30:40) لم يكن اختيارًا بلا هدف، لكن يمكن القول إنها تمثل موكب الحيوانات والطيور المقاومة للمجتمع الإنساني في نظر الإنسان في ذلك الحين. لذلك كثرت ما صورت الشياطين بأشكال هذه الحيوانات والطيور. عناية الله فائقة حتى بالوحوش المفترسة والطيور التي تهاجم المجتمع البشري. هذه جميعها ليس فقط يعرف الله طرقها، وإنما تخضع له وهو الذي يعولها. فإن كان الله اهتم بالخلقية الجامدة التي أوجدها من العدم، واهتم بقوانين الجو من نزول تليج أو هبوب رياح أو نزول أمطار، ويهتم بالاعتناء بحيوانات البرية والطيور الجارحة، فكيف لا يهتم بشئون الإنسان الذي من أجله خلق هذه كلها؟

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن اللوة هنا تشير إلى اليهودية المنكورة، إذ تقبل الإيمان بالسيد المسيح خلال كورة الكنيسة، فإن السيد المسيح نفسه يقوم بإشباع نفوس أبنائها.

حِينَ تَوْبِضُ فِي عَرِينَهَا،

وَتَكْمُنُ فِي غَابَتِهَا لِلْكُمُونِ؟ [40]

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أنه يتحدث هنا عن الفزة ما بين آلام السيد المسيح وحلول الروح القدس في عيد العنصرة حيث توقف الوصل والتلاميذ عن الخدمة فكانوا كاللوة التي توبض في عرينها وتكمن في الغابة في حالة كمون. كانوا منتظرين وهم في خوف من المقاومين حتى يلبسوا قرة من الأعالي للبدء في الكورة.

إنهم يشبهون اللوة التي تبقى في عرينها مع الأشبال الصغار حتى يأتي الأسد بالفريسة لهم.

مَنْ يُهَيِّئُ لِلْوَابِ صَيْدَهُ،

إِذْ تَتَعَبُ فَوَاحُهُ إِلَى اللَّهِ،

وَتَتَوَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوْتِ؟ [41]

عجيب هو الله في رعايته وعنايته بخليقته، إذ يهتم حتى بواخ الغربان، فيعطيها قوتها (مز 147: 9). يهتم الإنسان بالمخلوقات النافعة له أما الله فيهتم بكل الخليقة. إنه ينصت حتى صياح (نعيب) فواخ الغربان.

يُقال إن الغربان لا تهتم بصغلها، فتتعبد الصغار كما إلى الله، والله يعطيها قوتها. إنها تعلمنا أن نصوخ "يا أبا الآب" (رو 8: 15)، فهو يسمع لنا حتى إن لم يسمع لنا والدينا. وكما يقول المثل: "أبي وأمي توكاني وأما الوب فضمني".

إن كان قد شبه اليهود القادمين للإيمان باللوة التي يشبع الله احتياجات أشبالها، فإنه يشبه الأمم بالغربان، والله يهتم بؤلاء وأولئك: "المعطي البهائم طعامها لؤاخ الغربان التي تصوخ" (مز 147: 9).

❖ تتقبل الحيوانات طعامها عندما تفتت الأذنان البهيمية على الكتاب المقدس. لكن يُعطي الطعام لؤاخ الغربان، أي لأبناء الأميين عندما تنتعش اشتياقاتهم بمحادثاتنا معهم... صغار الغربان، أي الكارزون القديسون القادمون من كنيسة الأمم، بالحق لا يتكلمون على أنفسهم بل على قوة مخلصهم لذلك حسنًا قيل: "عندما يصوخ صغره لله"، إذ يركون أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا بقوتهم الذاتية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 38

هب لي أن أرك عظمة عنايتك

❖ من أجلي وضعت للأرض أساساتها، وأقمتهما كما على أعمدة.

ليس من يعرف أسورها الخفية سواك.
تطلع السمائيون إلى أعمالك من أجلي، فتقدموا كخورس متناغم،
ترنوا وسبحوا بروح التهليل، وهتف الكل من أجل حبك ورعايتك!
وضعت للبحر حدودًا.

أغلقت عليه كما بمنتريس ومصريع.

كسرت تشامخه وكرياء لوجه!

لأقول إلى أعماق البحر،

وأتمشى فأبهر من كنوزه الخفية.

❖ مع كل فجرٍ أقف في دهشة، رُى قبسات النور تبدأ لتشرق.

من يقدر أن يحدد موضعها؟ من يقدر أن يقيس أبعادها؟

يا لك من خالق قدير وعجيب!

❖ تشرق الشمس لتهب بهجة للأرض، مع كل صباح أراها كأنها جديدة!

أتلمس في أشعة الشمس بهاء نعمتك.

تتهلل نفسي بأعمالك اليومية!

❖ أتطلع إلى السحب، من يقدر أن يدرك حجمها!

من يعرف بدقة أوزانها؟

حتى العاصف والتّوج والجليد، كلها لا تفلت من يدك.

إنها تعمل بسماح منك!

❖ كل الطبيعة تسخوها لي،

تهتم حتى بالأمطار لتزوي لي الأرض.

يا للعجب! لا تتجاهل حتى حيوانات البرية المتوحشة!

تعنتي بي كملكٍ أقمتني على الأرض،

وتعنتي بالحيوانات والطيور،

حتى الخليقة الجامدة هي موضع عنايتك!

تقدم للوحوش المفترسة طعامًا في البرية أو في الغابة.

وتسمع نعيب صغار الغويان، وتقوتها!

لك المجد ياراعي الكل بحبك!

<<

حيوانات البرية والطيور الجرحه

تدعونا للاقتواب من الله

تحدث عن الحيوانات حتى الحشرات التي تتطلق في حرية بلا ترويض، ومع هذا فالله يهتم بها. كما تحدث عن الخيول التي تُروض لاستخدامها في المعرك. وأخوًا تحدث عن الطيور الجرحه بقواتها الفائقة لرؤية الفريسة وهي طائرة على مسافات بعيدة، وعاداتها في بناء أعشاش في مرتفعاتٍ عالية.

ما ورد هنا لا يمكن أن يكون تجميعًا لروايات المسافرين أصحاب المعرفة بالحيوانات والطيور في ذلك الحين. إنه يقدم صورة بهية وجميلة لعمل الله في الخليقة، الضخمة والصغيرة، ما يبدو منها نافعًا، وما يبدو منها مفترسًا أو مؤذيًا. إنه الإله العجيب الخالق عجائب فائقة!

يقدم لنا هذا الأصحاح سمات خاصة ببعض الحيوانات والطيور، يقف أمامها المؤمن ليتعلم في تواضع منها:

- 1 . وى في وعول الصخور والأيائل الحاجة إلى الالتجاء إلى السيد المسيح صخر الدهور، والعطش كالأيائل إلى مجري مياه الروح القدس. يضوب بقدميه الحية القديمة، فيسحق بالمسيح يسوع رأسها، ولا يكون لها سلطان عليه.
- 2 . ووى في ولادة الأيائل في الوري عناية الله الفائقة، فيخدم المؤمن ويشهد لمسيحه، ليصير له أبناء في الإنجيل. جذب النفوس وولادتها بالحق من عمل الله نفسه بالكرلة وفي العماد.
- 3 . في تمتع الفواء والحمار الوحشي بالحربة في الورية دعوة للإنسان أن ينطلق إلى السكون فلا يستعبد نفسه للعالم، ولا ينشغل باهتماماته المفسدة للسلام الداخلي.
- 4 . في عدم إمكانية استخدام قوة وحيد القرن في سحب المحاث للزراعة، حيث لا يأكل في معلق مع الحيوانات الأليفة، دعوة للهروب من الاعتماد على القوة أو القوة البشوية في عجرفة وتشامخ وعدم التمتع بطعام الروح أي كلمة الله.
- 5 . في جمال النعامه وضخامة جسمها مع غباوتها، فلا تحتضن بيضها، دعوة لطلب الحكمة لا جمال الجسد.
- 6 . زى في الفرس إخلاصًا وشهامة وعدم خوف من الموت وسط المعرك، فنخجل من أنفسنا، إذ يليق بنا أن نموت مع الرسول كل يوم من أجل الرب.
- 7 . يطير الصقر نحو الجنوب الدافئ حين يجدد ريشه، ونحن إذ نطلب حولة الروح ننتقل نحو مسيحننا لنخلع بروحه القوس إنساننا العتيق ونلبس الجديد الذي يتجدد كل يوم.
- 8 . زى في النسر دعوة لاستخدام إمكانياتنا بالنعمة للطوان نحو السماء، والتطلع لا للافواس بل للتمتع بمن صار ذبيحة لأجلنا. نظير مع القديس يوحنا في العلويات لوى يوم الرب العظيم، ونتمتع باكتشاف أسوار الله الفائقة، فنحسب النور المجتمعة حول الصليب!

1 . الوعول والأيائل 1-4.

2 . الحمار الوحشي 5-8.

3 . الثور الوحشي 9-12.

4 . النعامه 13-18.

5 . الفرس 19-25.

6 . العقاب والنسر 26-30.

1 . الوعول والأيائل

أَتَعْرِفُ وَقْتِ وَلَادَةِ وُعُولِ الصُّخُورِ،

أَوْ تَلَاخِظُ مَخَاضَ الْأَيَائِلِ؟ [1].

أغلب البشوية لا تشغل بالحيوانات المتوحشة التي تهيم على وجهها في الصحراء أو في الغابات، إنما ما يشغلها أعمالها الخاصة وحيواناتها من قطعان وخبول وكلاب وقطط الخ. لكن الله خالق الكل يهتم حتى بحيوانات الوبية، بالحفاظ عليها وإنجابها وطعامها وشوابها وجحرها. ينشغل الرجل وزوجته عندما يوركان أن الزوجة قد صلت حاملاً أن يعرفا موعد الولادة، وأن يلاحظا المخاض. وغالباً ما يرجعان إلى أطباء متخصصين لمتابعة الحمل حتى تتم الولادة. هكذا ولادة الطفل تكلف الإنسان الكثير من العناية والنفقة المادية والإعداد النفسي والمالي، فمن يهتم بالوعول والأيائل عندما تكون حاملاً؟ الله نفسه وعاها ويهتم بها، أفلا يهتم بالإنسان مخلوقه المحبوب والعزيز عليه جداً؟

يمكننا أن نقول على مثال الرسول بولس القائل: "ألعل الله تهمة الثوان؟" (1 كو 9: 9)، "ألعل الله تهمة ولادة الوعول ومخاض الأيائل؟" نعم إنه مشغول بالوعول والأيائل البشوية التي تعمل بروحه القدس، وتجاهد حتى تلد نفوساً للرب. تضرب بلجلها رؤوس الحيات لتقتلها، ويضع كل منها رأسه على الآخر ويعمل الكل معاً من أجل ربح كل نفس لملكوت الله. عندئذ يقرن المعلم الروحي مع الرسول بولس قائلاً: "وإن كان لكم روات الموشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يوع بالإنجيل" (1 كو 4: 15). "أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس الذي ولدته في قيودي" (غل 1: 10).

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيراً رمزياً لحبل الوعول والأيائل.

❖ من عادة الأيائل (الإناث) أن يقتلن الحيات اللواتي يجدنهن، وتحاول الحيات أن تعض أقدامهن. يُقال إنه عند عبورهن الأنهار كل منهن تويح رأسها على الأيلة التي أمامها، فلا تشعر بتقل رأسها. لماذا سُئل أيوب بخصوص ولادة الوعول والأيائل إلا لأنها تشير إلى شخصية القادة الروحيين؟ فإنهم بالحق مثل الوعول التي تلد في الصخور، وذلك لأنه خلال تعاليم الآباء التي تدعى صخرًا يلدون نفوسًا بهدايتها... قيل بلميا عن المعلمين الذين بإهمال يتوكون الأولاد الذين ولوا لهم: "الإيلة أيضاً في الحقل ولدت وتُركت" (إر 14: 5).

إنهم مثل الأيائل يعيشون على تحطيم الخطايا، أي على الحيات الميتة، وبتحطيم خطاياهم يلتهبون بالأكثر شوقاً نحو ينوع الحياة. لهذا يقول المرتل: "كما يشناق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشناق نفسي إليك يا الله" (مز 42: 1).

وكانه يُقال لأيوب: أنت تعتقد أنك تعمل على مستوى عالٍ، وأنت لم تسبق فتعرف الزمن الذي فيه يُرسل السادة الروحيون إلى العالم ليلوا أبناء

بتعليم الآباء الأولين، وبجهادهم يجمعون لي النفوس الراجعة [1357].

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَتَحْسِبُ الشُّهُورَ الَّتِي تَكْمَلُهَا،

أَوْ تَعْلَمُ مِيعَادَ وَلَادَتِهِنَّ؟ [2].

لا ينشغل الإنسان بحساب الشهور التي تكملها حيوانات الوبية وهي حامل، ولا يهتم بموعد الولادة، وحتى إن انشغل فلا يعرف بدقة ميعاد

الولادة.

إن كان الإنسان يجهل هذه الأمور التي تحيط به على الأرض التي يسكنها، فهل يظن أنه قادر على إرواك ما في فكر الله وما في قلبه؟ هل

يمكنه أن يدرك خطة الله من نوره ومدى حبه له؟

يَبْرُكُنْ وَيَضَعُنْ وُلَادَهُنَّ.

يَدْفَعُنْ وُجَاعَهُنَّ [3].

ولادة صغار حيوانات الوبية شاقة، وليس من إنسانٍ يساعدها، ومع هذا تولد صغرها سالمة خلال عناية الله بها، فتنسى تعبها ووجاعها. ولادة الأطفال، خاصة في البلاد المتقدمة، تأخذ جهدًا ضخمًا سواء على مستوى الدول أو الأسر أو الأواد، كما تكلف العالم الكثير. أما ولادة حيوانات الوبية فتكاد لا تكلف أحدًا شيئًا ما.

فالحوانات "يكرن ويضعن وُلادهن. يدفعن وُجاعهن".

ليت المعلمين الروحانيين يثقون في عمل الله العجيب الذي يعمل بهم ليلبوا أبناء له في الإنجيل خلال غنى نعمة الله المجانية! عندما يفكر القديسون في تقدم سامعيهم، يصيرون في حالة حبل، كما في الرحم. فإنني أقدم شخصًا من بين كثوين يشبه الأياثل، هو بولس، الذي ينطق كمن زأر من شدة ألم مخاض الولادة. إنه يقول: "يا وُلادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل 4: 19).

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَبْلُغُ وُلَادَهُنَّ.

تَرْبُو فِي الْبَرِّيَّةِ.

تَخْرُجُ وَلَا تَعُودُ إِلَيْهِنَّ [4].

سوعان ما تبليغ وُلادهن أي يكبرون. فإن صغار حيوانات الوبية أو أغلب الحيوانات بصفة عامة لا تحتاج إلى زمنٍ طويلٍ ولا إلى من يعلمها الرضاعة والمشى والحركة الخ. على عكس الإنسان، فإنه يحتاج إلى فترةٍ تدريبٍ طويلةٍ ليتعلم المشى ويعتمد على نفسه. إنها عطية إلهية رائعة للحيوان كما للإنسان. فالحيوان لا يحتاج إلى من يعلمه، لأن والدته تعجز عن تدبير ذلك، أما الإنسان فيحتاج إلى من يعلمه وإلى فترةٍ طويلةٍ لكي وهو يتعلم المشى وطريقة الأكل الخ.، يتشوب من الأسوة الكثير من العادات، ويتمتع بثقافة جماعية، وينتفع بخوةٍ سابقية! لقد وضع الله كل شيء بحكمة، سواء بالنسبة للحيوان أو الإنسان!

"تخرج ولا تعود إليهن" إذ تخرج صغار الحيوانات بعد فترةٍ وجيزةٍ تبحث بنفسها عن طعامها، ولا تبقى عبئًا على الأمهات. أما بالنسبة للبشر فيبقى لسنوات تمتد إلى العشرات، تقوم الأسرة بإعالتهم حتى يتمموا نواصيهم العملية أو تربيته على مهنة معينة ويستقل عن والديه.

2. الحمار الوحشي

مَنْ سَوَّحَ الْوَأَاءَ حَوْمًا،

وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِيِّ؟ [5]

وي بعض الآباء في الواء والحمار الوحشي اللذين يوحان في الوبية بلا عائقٍ رمزين إلى الذين يسلكون في حياة الوحدة في حرية الروح. الحمار الوحشي الذي يقطن في عزلة، يعني حياة أولئك الذين يقطنون بعيدًا عن رُحاح الناس. بلياقة قيل "حومًا" أيضًا، لأن مشقة السلوك الدنوي عزيمة، يوتيك العقل بها، حتى وإن كانت أتعابها بالنسبة لهم مقبولة. للتححرر من حالة العبودية هذه يلزم عدم اشتهاة أي شيء في هذا العالم. فإن الناس يسعون وراء الغنى، والعدو يضغط بوع من نير العبودية الرهيب.

أما من يحرق عنق ذهنه من سلطان الشهوات الزمنية، فإنه يتمتع بوعٍ من الحرية في هذه الحياة... لقد رأى الرب هذا النير الثقيل عندما قال: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28) ... فإن الرب يحل رباطات الحمار الوحشي عندما يمزق من ذهن مختزليه،

قيود الأخطار الضعيفة ووحتمته يمزق رباً كل ما يقيد فؤهم الباهر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1358]

❖ الويّّة هي أم السكون، إنها الهنوء والميناء الذي ينجبنا من كل المتاعب .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن مجرد النظر إلى الفقر يهب النفس سكوتاً، ويقتل شهوات الجسد فينا.

مار اسحق السرياني

❖ قال أنبا مرقس: "هذا هو السبب في أنّ السكون جيد : أنّ الإنسان لا يرى فيه ما هو مضرٌ لنفسه، والشيء الذي لا يرى لا يصل إلى النفس، وما لا

يوجد في النفس لا يحرك فيها ذكر المناظر ولا يجعل الأوجاع (أي ميول النفس) تنور فيها، ويتمتع الإنسان في داخله بهنوء عميقٍ وسلامٍ متضاعف (أو يتلذذ في كؤة السلام مز 37: 11)".

❖ سئل شيخ: "ماذا قال أنبا أنطونيوس لأنبا بولس تلميذه: اذهب واسكن في صمت حتى تتلقّى تجرب الشياطين؟" فقال الشيخ: "لأنّ الكمال يأتي

لراهب من السلوك الروحاني، والسلوك الروحاني ينشأ من ميول القلب، ونقوة القلب تتأتى من ميول الفكر، وطريقة التفكير تُبنى على الصلاة غير

المنقطعة ومن الصواع مع الشياطين. ولكن الصلاة غير المنقطعة والصواع مع الشياطين، سواء في الأفكار أو في الرؤى، ليست لهما فرصة لأن

توجد بدون السكون والوحدة".

❖ سأل أخّ أباً كرونيوس: "ماذا أفعل لكي أعالج النسيان (أو الإهمال) الذي يستعبد روحي، إذ أنني قبل أن أدرك أي شيء أنقأ إلى الخطية؟" فقال له

الشيخ: "عندما استولى الغباء على تابوت العهد بسبب شرور بني إسرائيل، أخنوه إلى بيت إلههم داجون، وحينئذ سقط داجون على الأرض (1 صم

5)". فقال الأخ: "ما معنى هذا؟" فقال له الأب: "إذا حاول الشياطين أن يأسروا روح إنسان بوسائلهم الخاصة، يدفعونه هكذا حتى يقتاتوه إلى وجع (أي

ميلٍ نفسي) مجهولٍ خفي، وهنا إذا عادت روحه تطلب الله وتذكّرت الدينونة الأبدية، فإنّ الوجع يُطرد في الحال ويختفي. إنه مكتوب: بالوجع

والسكون تخلصون، بالهنوء والطمأنينة تكون قوتكم (إش 30: 15)".

بستان الرهبان

الذي جعلت البرية بيته والسبّاخ مسكنه [6].

غالبًا ما يُحبس الحمار الأليف في حجرة في داخل الحقل أو البيت، لا يتحرك فيها، أما الحمار الوحشي فيجد حريته في الحركة حتى يحسب

البرية بيته الخاص، ويسكن في منطقة صالحة.

وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن من يملس حياة الوحدة والسكون تصير الصواء كلها بيته، يتحرك فيها في أمان وطمأنينه، ويقطن حتى

في الأماكن المألحة التي تلهب الإنسان بالعطش، فيكون دائم الجوع والعطش إلى العشة مع الرب.

❖ "الذي جعلت الفقر بيته ، والأرض المألحة مسكنه (خيمته)"... الذين يعيشون في عزلة، أي الذين يتحررون من الشهوات الجسدية، يقيمون بسكون

القلب، وذلك كما أعطى الرب البرية بيتاً للحمار الوحشي، فلا تضغط عليه جوع الشهوات الجسدية...

الملوحة تتناسب التهاب العطش، فإذا يعيش القديسون في مساكن هذه الحياة (التي لسكون القلب)، ويلتهبون بالدفاء اليومي لشوقهم نحو المدينة

السملوية فيقال أنهم يجعلون مساكنهم في أرض الملوحة. إنهم يلتهبون عطشاً على النوم، كما هو مكتوب: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، فإنهم

يشبعون".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من هذا العدد من الكاملين، أو إن أمكن أن أطلق عليهم شجرة القديسين، التي أينعت، فأخرجت زهوراً وثمراتاً هم "النسك"...

نفسه، الذي تفتت به الحيوانات المقدسة وذلك بطعام الكلمة، قيل عنهم بالنبى: "قطيعك سكن فيه" (مز 68: 10). لهذا فإن ربنا أيضاً عندما وُلد وجدّه الوعاة في مذود، لأن تجسده الذي ينعشنا نتعرف عليه في الكتاب المقدس الذي للأنبياء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ ظن أيوب أنه قادر أن يخضع كل شيء لإرادته، قال له الله: "لتبدأ بوحيد القون، رني ذكائك وقنرتك، هل تقدر أن تجعل من وحيد القون حيواناً أليفاً يخدمك عوض الحيوانات التي فقدتها من جمال وحمير؟ رني قنرتك: هل تقدر أن تجعل هذا الحيوان يقترب إلى معلقك، ويأكل من الطعام الذي كنت تقدمه؟

أَتَرْبِطُ الثَّورَ الْوَحْشِيَّ بِحَبْلِ إِلَى خَطِّ الْمَوَاتِ؟

أَمْ يُمَهِّدُ الْأُودِيَةَ وَرَاعِكَ؟ [10]

كأنه يقول له: إن كنت لا تقدر أن تستخدم وحيد القون عوض الجمال والحمير، هل يمكنك أن تستخدمه عوض الثوان، فتربطه في الموات لحوث الأرض (التلم هو خط الموات).

أَتَتَّقُ بِهِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ عَظِيمَةً،

أَوْ تَتَّوَكُّ لَهُ تَعَبَكَ؟ [11]

وحيد القون كحيوان وي أكثر قوة من الحمار، ومن الثور، فهل يمكن للإنسان أن يستبدل حملاه أو ثوره بوحيد القون ليخدمه؟

يليق بالإنسان أن يبرك أنه إن كان قد فقد خدمة الحيوانات المفترسة، إنما بسبب خطيته، فإذا تعود على الله تمردت هذه الحيوانات عليه. وإن كانت الحيوانات الأليفة تخضع له وتخدمه إنما ذلك من قبل مراحم الله عليه ومحبتة.

وى البعض أن أغلب الحيوانات الخادمة للإنسان والأليفة أضعف بصفة عامة عن الحيوانات المفترسة. وكأن التعامل مع الإنسان يفقد الحيوان قوته وقنوته. في قصة رمزية دُهِش نمر عندما رأى قطاً يحمل ذات شكله، لكنه صغير الجسم وضعيف. فسأله عن سرّ ضعفه الشديد. أجابه القط: معاشوته للإنسان أدلته وأضعفته.

أَتَأْتَمُنُهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِرِّرَعِكَ،

وَيُجْمَعُ إِلَى بَيْتِكَ؟ [12]

يمكن للإنسان أن يأتمن الحيوانات الأليفة، فيتوك صبيهاً صغيراً يقود حملاه أو ثوره، ويلقي على الحمار الأحمال، كما يربط الثور في نواعي موات يقوده صبي. لكنه لا يأتمن وحيد قون للقيام بمثل هذه الأعمال، بأن يأتي به إلى الحصاد ويضعه عليه.

4. النعامة

جَنَاحُ النِّعَامَةِ يُرْفَفُ.

أَفَهُوَ مَنْكِبٌ رَوْوْفٌ أَمْ رَيْشٌ؟ [13]

بالنسبة للنعامة فهي طائر كبير الحجم جداً يدعوها البعض جملاً بأجنحة. من واهها وهي ترفوف بأجنحتها الكبيرة يظن أنها قاوة على الطوان وبسوعة فائقة، لكنها مع ضخامة جناحها وجمال ريشها تعجز عن الطوان.

❖ heron النعامة مثل جناحي "مالك الحزين" وجناحي الصقر ، من يقدر أن يجهل كيف يفوق مالك الحزين والصقر بقية الطيور في سوعة طوانه؟

للنعامة جناحان يشبهان أجنحتها، لكن ليس لها سوعة طوانهما. فإنها بالحقيقة لا تقدر أن ترتفع عن الأرض وتملس طواناً حقيقياً. هكذا كل

الوراثين الذين يتظاهرون بسلوك الصالحين ولهم ذات المظهر الصالح، ليس لهم سلوك صالح حقيقي. وكأن الله يقول: لك مظهر جناحيك، فتبدو كمن يقدر أن يرتفع، لكن ثقل سلوكك ينحدر بك إلى أسافل العمق.

جسما الصقر ومالك الحزين صغوان، لكن يسندهما أجنحة كثيفة. لهذا يطوان بسوعة لأن ما يتقلهما قليل وما يسندهما للطوان كثير... شخصية الإنسان المختار يُشار إليها حسناً بمالك الحزين والصقر. مادام المختارون يعيشون في هذه الحياة لن يمكنهم أن يكونوا غير مصابين بخطية ما، مهما بدت صغيرة. لكن مادامت قليلة فيهم هذه التي تثقل إلى أسفل يكون لهم فيض من فضيلة العمل الصالح الذي يرفعهم إلى الأعلى.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأنَّهَا تَتْرُكُ بِيضَهَا،

وَتُحْمِيهِ فِي التَّوَابِ [14].

وَتُنْسَى أَنَّ الرَّجُلَ تَضَعُطُهُ

مع ما للنعامه من ريش جميل فتتبختر كالطاووس في كبرياء، لكنها تسلك في غلوة بون حكمة. إذ لا يقوتون جمالها ولا ضخامة حجمها بالحكمة. فهي لا تبالي بصغرها، إذ تعرض ببيضا للخطر. إنها لا تتورى في مكان منغول لتصنع لنفسها عشاً كالعصفور والسوننة (مز 84: 3)، ولا ترقد على البيض حتى يفسد. تترك ببيضا على الأرض في أي مكان، يمكن أن يفسد بفعل دفء الشمس والومل، ولا تهتم أن تقوم هي بتدفنته. إنها صورة مؤلمة لبعض المؤمنين الذين لا يباليون بخلاص ولأدهم سواء حسب الجسد أو الذين ولوهم في الإنجيل، بل يتوكونهم كما في تواب هذا العالم، لكن نعمة الله كثراً ما تطلبهم وتسندهم بدفء شمس البر، حتى يتمتعوا بالحياة المقامة.

❖ ترك البيض في الأرض هو عدم الاهتمام بتربية الأبناء الذين ولوهم بالاهتداء، يرفعهم عن العمل الأرضي بتقديم النصائح. ترك البيض في الأرض هو عدم مساندتهم بتقديم مثال للحياة السماوية للأبناء.

ماذا يقصد بالتواب سوى الخاطي؟... ماذا يشير إليه التواب إلا عدم ثبات الأثوار؟ لهذا فإن الرب يدفئ البيض الذي يُترك في التواب، إذ يُشعل نار حبه للنفس الصغيرة المحرومة من الرعاية الجادة للكرزين، حتى حينما تقطن بين الخطاة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَنُوسُهُ! [15]

في غلوة تترك النعامه ببيضا في التواب، دون اعتبار أن تطأه رجل إنسان أو يحطمه حيوان. وإن كان الله في حبه يبعث حولة الشمس لتدفنته حتى يفسد.

وي البابا غريغوريوس بتفسوه الرزي أن بعض المبشرين بعد أن يقدموا لله أبناء خلال كرتهم، يتوكون الذين قبلوا الإيمان كما في التواب، وسط الأثوار، ولا يباليون بما يتعرضون له من وطأة الأقدام عليهم حيث يحاول الأثوار تثبيط همهم، كما يتعرضون لوحش مفترس يحطمهم، أي لتجرب إبليس الشوير.

تَقْسُو عَلَى وُلَادِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا.

بَاطِلٌ تَعْبُهَا بِلَا أَسْفٍ [16].

لا نعجب إن كانت النعامه تقسو على صغرها كأنها ليست لها، فيصير كل تعبها بلا ثمر، على خلاف غالبية الطيور والحيوانات التي تعرض نفسها للخطر حتى الموت من أجل صغرها. لكن ما نعجب له أن الإنسان العاقل يتجاهل أبناءه حسب الجسد أو الروح، وكأنهم ليسوا له، وتصير حياته كلها بلا طعم.

❖ ذاك الذي لا يتمتع بنعمة الحب يتطلع إلى قريبه كأنه غريب، حتى وإن كان قد ولده الله.

يا لأحشاء الحنو التي حملها بولس عندما كان يركض من أجل أبنائه بدفء الحب العظيم هكذا: " (الله) شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم، متضوعاً دائماً في صلواتي عسى الآن أن يتيسر لي موة بمشيئة الله أن آتي إليكم، لأنني مشتاق أن أراكم" (رو 1: 9-11) ... فإنه لم يكن مثل النعمة، ينسى ولأده، إنما كان يخاف جداً على تلاميذه إذ يعانون من اضطهادات أثناء كراهم يستخفون بالإيمان... لقد حسب جراحات جسده فيه كلا شيء خشية إصابة قلوب أبنائه بجراحات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ،

وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا فَهْمًا [17].

لقد سمح الله ألا تتمتع النعمة الضخمة الجميلة بالحكمة، بينما تتمتع بها النملة الصغرة التي نستخف بها. لقد أراد لنا أن نتعلم من كليهما أن نطلب الحكمة ونعتز بها ونمرسها.

إذ تمثل النعمة الشخص البراني الذي له المظهر الجميل الصالح دون القلب المقدس لم تتأهل لئوال الحكمة.

فالله في حبه يود أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، مقدماً الحكمة لكل من يطلبها بإخلاص واشتياق. فإن لم نبال بها تُزع عنا حتى الحكمة الطبيعية.

عِنْدَمَا تُحَوِّذُ نَفْسَهَا إِلَى الْعَلَاءِ،

تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَعَلَى رَاكِبِهِ [18].

بالرغم من استخفاف النعمة بصغلها، لكن إذ يحرق بها خطر ما ترفع جناحها وتتطلق بسوعة فائقة، حتى تسخر بالفوس وراكبه.

❖ ليكن الله هورجاؤكم، قدرتكم على الاحتمال، قوتكم. ليكن كفلتكم، تسيحككم، غابتكم وموضع راحتكم، وعونكم في جهادكم...

الجبار هو الإنسان المتغطوس الذي يرفع نفسه (متشامخاً) على الله، كما لو كان شيئاً في ذاته وما يخصه. مثل هذا الإنسان لا ينجو بقوته الذاتية.

الآن، لديه فوس رشيق وقوي، سليم وسريع الخطى، إذا ما حدث هجوم أما يستطيع أن ينجي راكم من الخطر الملحق به؟ ليسمع: "خلاص

الفوس كاذب"... يلوم ألا يعيدك الفوس بالنجاة...

يمكننا أن نأخذ الفوس رمزاً لأية ممتلكات في هذا العالم، أو لأي نوع من الكرامة نتكل عليها في كبرياء، حاسبين خطأ أنكم كلما ارتفعتم يزداد

أمانكم وعلوكم. ألا تتكون بأي عنف سوف تُلقون، كلما ارتقيتم إلى أعلى يكون سقوطكم بأكثر ثقل... فكيف إذن يتحقق الأمان؟ إنه لا يتحقق بالقوة ولا

بالسلطة ولا بالكرامة ولا بالمجد ولا بالفوس.

القديس أغسطينوس

5. الفوس

هَلْ أَنْتِ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ،

وَتَكْسُو عُنُقَهُ عُرْفًا؟ [19]

بعد أن تحدث عن الحيوانات المفترسة وطيور البوية قدم له مثلاً بحيوان أليف خادم للإنسان وهو الفوس.

يسأله إن كانت الخيول تُستخدم لحماية الإنسان في المعرك، فمن الذي أعطاها القوة. إنها ليست عطية من الإنسان، لكنها من قبل الله. مع هذا

فمن يعتمد على الخيل دون التطلع إلى الله واهب القوة يفقد النصوة. يقول المرتل: "باطل هو الفوس لأجل الخلاص، وبشدة قوته لا ينجي" (مز 33: 17)

، كما قيل: "لا يُسر بقوة الخيل" (مز 147: 10؛ راجع هو 14: 3؛ مز 20: 7؛ إش 31: 1، 3).

تستخدم الخيول في الكتاب المقدس لتحمل معانٍ كثرة، منها:

1. **الاحتكال على الكرامة الزمنية** : "قدرأيت عبيدًا على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد" (جا 10: 7). فالعبيد هنا يشيرون إلى

الأثوار المستعبدين للخطية، لكنهم يتشامخون بالواكز الزمنية والكرامة الباطلة.

ب. **تحمل معنى صالحًا** ، كما قيل: "الفوس مُعد ليوم الحرب؛ أما النصوة فمن الرب" (أم 21: 31). الفوس هنا يشير إلى إمكانيات المؤمن

وطاقاته التي تواجه مقاومة إبليس وتغلب خلال عمل الله بها.

ج. **تشير الخيول أيضًا إلى الكارزين** : "سلكت البحر بخيلك، كرم المياه الكثوة" (حب 3: 15).

وي البابا غريغوريوس (الكبير) إن الفوس في هذا الموضع (أي 39: 19) تعني الكارزين الصالحين الذين يكسبون النفوس بعمل الله بهم

وفيهم.

مع ما للفوس من قوة كان الإنسان يعتمد عليها في الدفاع عن نفسه وعن بلده وممتلكاته، لكن يمكن لصبي صغير أن يقودها دون تمرد من

جانبه.

أَتُوْبُهُ كَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مَنْوَرِهِ مُرْعَبٌ [20].

يسأل الله أيوب إن كان يقدر أن يخفيه كراداة صغيرة، فإن نفخات أنفه في المعرك موعبة! يهجم على العدو ولا يخشى الخطر على حياته.

يَبْحَثُ فِي الْوَادِي وَيَقْفُزُ بِبَأْسٍ.

يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الْأَسْلِحَةِ [21].

سبق أن تحدث عن وحيد القرن الذي بقوته يسخر بالإنسان، ولا يقوم بخدمته، أما هنا فيقدم الفوس الذي مع قوته العظيمة يخضع للإنسان،

ويعمل لخدمته على حساب حياته نفسها. يخرج للقاء الأسلحة بلا خوف من الموت!

جاء النص في الترجمة السبعينية: " **يضوب بحافوه في أرض السهل مبتهجا**". إنه كمن يطلب السماويات فيضوب الأرض بحافوه بكل قوة

وجسلة، غير خاضع لشهوات جسده. بحق يقول سليمان الحكيم: "هيئ عملك في الخرج، وأعدّه في حقلك، بعد تبني بيتك" (أم 24: 27).

يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ وَلَا يَرْتَاعُ

وَلَا يَوَجُعُ عَنِ السَّيْفِ [22].

عَلَيْهِ تَصِلُ السَّهَامُ وَسِنَانُ الرُّمْحِ وَالْحَرْبَةُ [23].

من أجل الإخلاص لصاحبه يضحك الفوس على الموت، ولا يرتاع من هجمات الأعداء، سواء بالسيف أو الرمح، ولا يرتاع بل يستمر في

تقدمه إلى الأمام وسط المعركة، يبعث في راحته روح الشجاعة!

حقًا يقف الإنسان في حري حينما لا يستهين بالموت من أجل إخلاصه وحبه لخالقه!

يقدم لنا الرسول بولس نفسه مثلًا رائعا للحب حتى الموت، إذ يقول: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم هوع أم

عوي أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب من أجلك ثمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح" (رو 8: 35-36).

فِي وَثْبِهِ وَعَضْبِهِ يَلْتَهُمُ الْأَرْضُ،

وَلَا يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ [24].

إن كان الفوس في المعركة مملوء حمية وحماسًا ورباطة جأش، يلتهم الأرض، أفلا يليق بالمؤمن في معركته الروحية أن يتسم بالشجاعة

واليقين في عمل الله معه.

وَلَا يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ " ماذا يعني هذا؟ عندما كرز الوسل بالإنجيل ضوب رئيس الكهنة بالبوقة، لا للعمل لحساب الرب، وإنما لإبطال عمل

الكورة بالملكوت. "ودعوا الرسل وجلوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع" (أع 5: 40). أما الرسل فأدركوا أن هذا ليس بصوت البوق الحق، لذا قالوا: "لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بمارأينا وسمعنا" (أع 4: 20).

عِنْدَ نَفْحِ الْبُوقِ يَقُولُ: هَهْ!

وَمِنْ بَعِيدٍ يَسْتَرُوحُ الْقِتَالَ صِيَاحَ الْفُؤَادِ وَالْهَتَافِ [25].

❖ حينما يحصل (المؤمن) على سلاح الرب، فإنه بمجرد أن يسمع بوجود الحروب ويشعر بها يتقدم "بصياحٍ وهتافٍ" كما يقول في أيوب (أي 25: 39) [1360] لأن نفس صوت صلاته يوقع الأعداء ساقطين على الأرض.

القديس مقاريوس الكبير

6. العقاب والنسر

أَمِنْ فَهْمِكَ يَسْتَقِلُّ الْعُقَابُ،

وَيَنْشُرُ جَنَاحِيهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ؟ [26]

يتسم العقاب بسوعة طوانه وقوته، وهو من الطيور الجارحة، ينشر جناحيه ويطير نحو الجنوب، هرباً من المناطق الباردة في الشمال، خاصة عندما يزعر ريشه ويستبدله بريش جديد. من الذي وهبه هذه الحكمة سوى الله؟ [1361]

❖ ما هو إذن الصقر الذي يتمتع بريشه (الجديد) في الجنوب إلا كل قديسٍ يلتهب عندما يتلامس مع نسمة الروح القدس، فيطوح عادة الحوار القديم، ويأخذ شكل الإنسان الجديد؟ ينصح بولس قائلًا: "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد" (كو 3: 9-10). وأيضًا: "وإن كان إنساننا الخرج يفنى، فالداخل يتجدد يومًا فيومًا" (2 كو 4: 16).

أن ننشر أجنحتنا نحو الجنوب يعني أن نفتح قلوبنا في الاعتراف، بحلول الروح القدس، فلا نجد بعد مسرتنا في إخفاء أنفسنا بالدفاع عنها، بل نفضحها باتهامنا لها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من يقدر أن يميز طبيعة طيور السماء؟! كيف يتمتع بعضها بأصوات ملحنة، وآخر موقش بكل الألوان في أجنحتها، والبعض يهيم في الهواء كأنه بلا حراك مثل النسر. فإنه بأمر إلهي 'ينشر' (العقاب) [1362] (جناحيه نحو الجنوب " من يقدر ان روى الارتفاع الشامخ للصقر؟!... فكيف تريد ان تفهم خالق الكل؟! [1363]

القديس كيرلس الأورشليمي

أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَوَهْ؟ [27]

يقدم لنا النسر - ملك الطيور - مثالاً للإمكانيات الجبلة التي يقدمها الله حتى لهذا الطائر، كرمز لإمكانيات الإنسان الذي يستطيع أن يستخدمها للبناء لحساب ملكوت الله في داخله وفي قلوب الآخرين، أو للهدم والعنف والافتراس.

يبرز هنا سمات النسر، وهي:

1. تحليقه عاليًا جدًا أثناء طوانه بقوة أجنحته. من أين جاء بهذه الإمكانية، هل هي عطية من الإنسان للنسر؟ لكنها غزوة طبيعية وهبه الله

ياها.

الذي خلق النسر بين الطيور لأجل الإنسان ووهبه إمكانية التحليق في العلاء، ألا يهب الإنسان أن يرتفع بروح الله القنوس لينعم بالإنطلاق نحو

السمويات؟

يستخدم النسر الطوان عاليًا لكي يختفي عن الأنظار، وبقوة بصوه وسوعة حركته ينقض فجأة على الفريسة. هكذا الإنسان الشوير يستخدم الإمكانيات المقدمة له لأذية الآخرين عوض معاونتهم ومساندتهم.

2. يجعل وكره في الصخور العالية على سن الصخر، حتى لا يصل أحد إلى صغره.

يَسْكُنُ الصَّخْرَ وَيَبِيْتُ عَلَى سِنِّ الصَّخْرِ وَالْمَعْقَلِ [28].

يليق بالمؤمن أن يجعل عشه في المسيح يسوع، الصخرة الحقيقية، فلا يقترب إليه الشر.

أما الذي في تشامخ وكبرياء يتعالى ويظن أنه أقام لنفسه صخرة لا يقترب منها أحد، فيسلك في الشر آمنًا، يسمع الصوت: "إن رفعت كنسرٍ عشك، فمن هناك أحرك يقول الرب" (إر 49: 16)

3. حدة بصوه ، فالمؤمن تفتح بصيرته الداخلية لوى عربون السماء ويتمتع بها. أما الشوير فيستخدم حدة بصوه للتطلع إلى أسفل، وقلبه مملوء بالعنف والافتراس.

مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوَّتَهُ.

تُبْصِرُهُ عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ [29].

4. تمتص فواحه الدم منذ صباها وتعيش مع النسر الكبير على الفريسة.

فُؤَاخُهُ تَحْسُو الدَّمَ،

وَحَيْثُمَا تَكُنِ الْقَتْلَى فَهَنَّاكَ هُوَ [30].

يتعطش الكل إلى سفك الدم كطعام يومي لهم. أما المؤمنون فيجتمعون كالنور المقدسة حول السيد المسيح الذبيح لأجل إقامتهم أبدًا. يصير المسيح طعامهم الروحي: "حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النور" (مت 24: 28).

❖ في الكتاب المقدس كلمة نسر تشير أحيانًا إلى أرواح حقودة، مفسدة للنفوس؛ وتشير أحيانًا إلى قوات العالم الحاضر. لكنها أحيانًا تشير إلى مفاهيم القديسين الحاذقة، أو إلى الرب المتجسد، تطير بسوعة فوق السفليات وتطلب العلويات.

يشهد رميا للأرواح الراقدة في ترقب: "طردونا أخف من نسور السماء" (هراي 4: 19) ... يرمز أيضًا إلى القوة الأرضية، كما قيل بالنبي حزقيال: "نسر عظيم كبير الجناحين، طويل القوائم، واسع المناكب ذو تهويل، جاء إلى لبنان وأخذ فرع الأرز، قصف رأس خرايبه" (حز 17: 3-4). فإنه بهذا النسر الذي بالحقيقة إلى من يشير إلا نوحذنصر ملك بابل؟...

بكلمة "نسر" يُشار إلى فهم القديسين الحاذق، أو طوان صعود المسيح. لهذا فإن النبي عينه (حزقيال) عند وصفه الأربعة الإنجيليين الذين رأهم، تحت مظهر خلائق حية أعلن أنها ظهرت له في شكل وجه إنسان وأسد وثور ونسر، بالتأكيد أشار بالنسر المخلوق الرابع الحي، يوحنا، الذي في طوانه ترك الأرض، وخلال الفهم الحاذق اخترق أسورًا داخلية برويته للكلمة...

لنتطلع إلى مبنى النسر نفسه، عش الوجاء في العلويات. يقول بولس: "سيرتنا نحن هي في السموات" (في 3: 20). وأيضًا: "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات" (أف 2: 6) ... فكما أن من يصعد جبلًا يتطلع إلى أسفل، فوى الأمور السفلية صغوة، هكذا كلما تقدم الإنسان إلى توجات عليا، مجاهدًا أن يثبت اهتمامه في العلويات، يجد بذات الجهد أن مجد الحياة الحاضرة كلا شيء، ويوقع فوق أماكن الأرض.

البابا غريغوريوس (الكبير)

خليقتك تدعوني للقاء معك!

- ❖ من أجلي خلقت الأرض وكل ما عليها.
هوذا حتى الحيوانات والطيور تدعوني لألتقي بك!
هب لي مع وعول الصخور ، أجري إليك،
وأختفي فيك يا صخر الدهور.
- ❖ هب لي مع الأيائل أعطش إليك.
فأضرب بك رأس الحية.
ولا يتسلط إبليس عليّ.
بك أسحقه، إذ أسقطته من السماء كالبرق،
وإن بدا منوًا، لكن إلى لحظة وينكشف خداعه.
- ❖ هب لي أن أكون إبلة ولود.
أنجب بالإنجيل لك أبناء!
إنه عملك ياراعي الكل!
- ❖ لأتلم حتى من الحمار الوحشي حربة البرية.
لماذا أحبس نفسي في مريض الحيوانات.
لأنطلق إلى برية الروح،
ولتطر نفسي بالفوح والتهليل إليك.
- ❖ رى وحيد القرن، فترتعب نفسي من السقوط في الكرياء.
لماذا أتشامخ بما وهبتي من قوة وقنرات ومواهب؟
لماذا لا ألتم بروح التواضع أن أقرب من المنود.
أنت طعام نفسي.
أنت شعبي وسوروري!
- ❖ رى النعامة الجميلة الضخمة،
فأخشى أن أنشغل بالمظاهر الخرجية دون حكمة الروح.
أخشى أن أسلك في غبلوة، فأترك الصغار في الزاب.
لا أقدم للضعفاء دفاء الحب وقوة الروح!
- ❖ احسبني كفوس مقدس ، أملك في قلبي يا أيها الفرس الفويد.
لا أخشى المعرك الروحية، ولا أضع لموت الجسد حسابًا.
لا أرتبك من رماح العدو،

ولا أخشى سيف إبليس!

بك أغلب وأكل!

❖ لأجدد مع الصقر على النوار ريشي.

أخلع على النوار الإنسان القديم وكل أعماله،

وألبس نوماً الإنسان الجديد.

ليتجدد كل يوم بعمل روحك القوس.

لأتغنى بك قائلاً:

هوذا الكل قد صار جديداً!

❖ لأطير مع النسر في السماويات.

لنتطلق أعماقي إلى عربون الأبدية.

لنتطلع عينا قلبي إلى الأكاليل المعدة.

لأرتمي في أحضانك وأحيا بك ومعك!

<<

الأصْحَاحُ الأَرْبَعُونَ

هزيمة إبليس "بهيموث" المتشامخ

لا نجد أحياناً نفسواً لخلقة بعض المخلوقات، لكن تبقى حكمة الله عاملة فوق إيراكنا [١٦-١٨: ٣٩]، لهذا يليق بأيوب ألا ينسب خطأ ما إلى طرق الله [١-٢].

كاد أن يقف أوب صامتاً، وإن أجاب ففي اختصار شديد. لقد أراد أن يكون صامتاً إلى حين [٣-٥]، لكنه لم ينل إجابات مباشرة على أسئلته. استمر الله في الحديث، سائلاً أوب إن كان يريد أن ينال السلطان الإلهي ليقوم بتدبير أفضل للحياة، الفكر الذي أهلك الأثوار [٩-١٤]. ليس من الصعب على الله أن يسحق الأثوار، كما يظهر من تقديم عينة لحوانٍ مفترسٍ يتسم بالقوة: بهيموث [١٥-٢٤].

1. الإجابة الأولى لأيوب 1-5.

2. الحديث الثاني لله 24-6.

1. الإجابة الأولى لأيوب

أعطى الله الفرصة لأيوب لكي يجاب على تساؤلاته، لكن أوب لم يكن ممكناً أن يجيب على أي سؤال. لقد عرف قدر وزنه. ففي أيام عظمته وغناه "العظماء أمسكوا عن الكلام، ووضعوا أياديهم على أفواههم. صوت الشرفاء اختفى، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم" (9:29-10). الآن أوب حقيقة وزنه. قال: "ها أنا حقير، فماذا أجوابك؟ وضعت يدي على فمي" (4:40). جاءت كلمة حقير هنا بالعبوية لتتوهم تافهاً أو خفيف الوزن (بلا وزن

lightweight). لم يكن ما يشغله خطاياها، فلم يقل: "أخطأت"، إنما كان كمن قد أختطف في السرّ الإلهي، فأدرك حقيقة نفسه أمام خالقه ومدبّر حياته.

وَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ: [1]

هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ،

أَمْ الْمُحَاجُّ اللهُ يُجَازِبُهُ؟ [2]

يسأل الله أيوب: هل للمخلوق أن يملي رادته على خالقه؟ أو يعترض على حكمته ومشينته؟ يليق بالشخص أن يجاب سريعاً مستنكراً أن يخاصم القدير أو يقف أمام حكمة الخالق.

كأن الله يقول له: إنك إلى الآن لم تترك حكمتي من جهة سماحي بالتجربة أن تحل عليك. إنك تتطلع إلى سموك وبرك ولم تضع في اعتراك حكمتي ورعايتي لك. أما تعلمت من حيوانات البرية والطيور الجلحة أن تلتصق بي؟

فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: [3]

لقد اقتنع أيوب، فرويته لله قد تجاوزت كل الحدود وأصبح لديه تقدير جدير لعالم الله بما فيه من آفاق جديدة وتوافق وانسجام.

يعترف أيوب الآن بأن الله يستطيع أن يفعل كل شيء وإن مقاصده تتم وقد أذاب قلب أيوب، وأي نفسه مدعواً إلى أن ينحني تحت يد الله القدوة. والآن يخضع بتواضع لحكمة الله، ويدخوله إلى الشوكة معه لينقل إلى دائرة النور والوجاء. تكلم الرب وجاءت قنوته، فأدخلت عجز الإنسان في الحكمة الحقيقية. حين كشف الله عن نفسه لأيوب، جعل أيوب يكشف نفسه. تخلى أيوب عن حكمته البشوية فتوك صورة الإله المحارب ورجع إلى صورة الإله الصديق الذي جاء إليه وسط العاصفة. وصمت الله من جديد بعد أن رآه أيوب.

هَآ أَنَا حَقِيرٌ فَمَاذَا أَجْلِبُكَ؟

وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي [4].

لقد فاق أيوب كل أهل زمانه في الفضيلة، واستطاع في الحوار أن يغلب أصدقاءه، لكن إذ تحدث الله معه اعترف بحقلته وضعفه، واضطر أن يضع يده على فمه ليصمت في سكون رهيب.

يقدم لنا أيوب درساً في الحوار مع الله، فإننا حتى وإن كنا في عينيهِ أورا نصمت حتى لا نبرر أنفسنا بالكلام، بل نترك حياتنا أو سلوكنا العملي بنعمته أن يتكلم معه. الحديث معه بلغة العمل أفضل منه باللسان.

❖ تعلم القديسون أن يضبطوا فلتات اللسان أمام عيني الله، بتقديم حياة صالحة. إنهم يتعلمون الامتناع عن الكلمات المبالغ فيها وذلك بتقل أعمالهم الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ [\[1364\]](#) أيوب نفسه لم يصمت بخصوص خطاياها.. إذ هو عابد حقيقي لله، فبلا شك قدم اعترافه في الحق.

القديس أغسطينوس

❖ لتأمل ما هو الإنسان: يقول الوثنيون إنه حيوان عاقل، مانت، قادر على التعقل والمعرفة. دعونا لا نأخذ تعريفنا له منهم بل من أين؟ من الكتب المقدسة... اسمع كلماتها: "كان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر (أي 2:1). هذا بحق هو الإنسان! مرة أخرى يقول آخر:

"الإنسان عظيم، الإنسان الوحوم ثمين" (ام LXX 6:20). الذين لا يتجاوزون مع هذا الوصف، فإنهم لن يقروا على نوال المعرفة، ورفض الكتاب المقدس أن يتعرف عليهم كبشر، بل يدعوهم كلاباً، وخيلاً، وحيات وطحالب وذئب، أو أي حيوان خسيس. إن كان هكذا هو الإنسان، فإن من يحيا في الملذات ليس بإنسان، لأنه كيف يمكنه أن يكون هكذا ذاك الذي لا يفكر في شيء يليق به؟ الترف والوقار لا يمكن أن يفتونا معاً، الواحد يدمر الآخر.

حتى الوثنيون يقولون: "البطن التخمّة لا تحمل ذهنًا بلعاً" [\[1365\]](#).

مَوْءَةً تَكَلَّمْتُ فَلَا أُجِيبُ،

وَمَوْتَيْنِ فَلَا أُرِيدُ [5].

في توبة صادقة يقول أيوب إنه تكلم مرة بخصوص ما حلَّ عليه من تجارب دون القفزة على تفسير الحكمة منها.

لقد عانتب الله، ورُدت أن أدخل كما في محاكمة، فأعرض قضيتي عليه. وربما كررت ذلك عوض المرة موتين، لكنني الآن "لا أريد"، لا أعود

أكرر ما سبق قلته.

أيوب الذي كان يلح في طلب اللقاء مع الله ليحلوه، الآن إذ رأى الوب حلَّ به صمت رهيب.

❖ إن فحصنا كلمات الطوبولي أيوب السابقة نجد أنه لم ينطق بشرٍ قط... لكنه إذ قيّم نفسه بموزان الله الكلي الدقة اعترف أنه أخطأ في حديثه للمرة الثانية...

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن اعترفت أنك خاطي، يكون الحق فيك، فإن الحق نفسه هو نور. حياتك لا تشرق ببهاءٍ كاملٍ، لأنه توجد خطايا فيك، لكنك إذ تبدأ تستنير يصير لك الاعتراف بالخطايا... قبل كل شيء إذن الاعتراف ثم الحب. لأنه ماذا يُقال عن الحب؟ "المحبة تستر كثرة من الخطايا" (1 بط 4: 8)... الكروياء يطفئ الحب، والتواضع يقويه، الحب يطفئ الخطايا، والتواضع يسير في صحبة الاعتراف.

أخبر البشر من أنت، أخبر الله من أنت. فإن لم تخبر الله من أنت، فسيدينك على ما يجده فيك... أتريده يغفر لك؟ اعرف أن تقول لله: "احجب

[1366]

وجهك عن خطاياي". قل له أيضاً كلمات الموتل نفسه: "أنا علف بآثامي" (مز 51: 3، 9).

القديس أغسطينوس

2. الحديث الثاني لله

في حديثه الثاني مع أيوب أوضح له أنه ليس من وجه للمقارنة بين المخلوق وخالقه، فليس من حق المخلوق أن يستجوب خالقه.

فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: [6]

الآن شدَّ حَفْوَيْكَ كَرَجُلٍ.

أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي [7].

جاءت الترجمة السبعينية للآية 8: "ألا تظن إنني تعاملت معك لهدف آخر سوى إعلان برك؟" كأن الله يكشف لأيوب بكل قوة عنايته الفائقة وحبه

له، فإن كان قد سمح له بتجربٍ هذه مقلدها فإنما غايتها أن يتبرر أيوب ويتمتع بالنصوة على إبليس.

حينما يدافع أيوب عن نفسه ضد الضربات التي سمح له بها الله يتهم العدالة الإلهية، لكن إن قبل التجربة بشكرٍ يبهره الله ويمجده، وتُحسب لا

لتأديبه بل لتوكيته.

❖ من يصلح مدافعاً عن نفسه ضد ضربات الله يسعى أن يتجاهل أحكام الله التي أوقع الضربات. وعندما يقول إنه لم يُضوب من أجل أخطائه ماذا

يفعل سوى اتهام الضرب؟ ضربات السماء لم تصب الطوبولي أيوب لتتوع أخطائه، بل بالحري لتضيف إلى استحقاقاته، حتى أن ذلك الذي في وقت

الهوء أشوق بقداسة عظيمة هكذا يعلن فضيلة الصبر المخفية داخله... لكنه ظن أنه ضُوب ظلاماً عندما لم يجد في نفسه ما يتطلب إصلاحه. فلئلا في

وآته ينتفخ بالكروياء انتهوه الصوت الإلهي بينما كان ذهنه متحرراً من الشر، ولكنه كان مثقلاً بالضربات، فاستدعي إلى أسوار الأحكام الإلهية...

فالقديس لم يكن على خلاف مع الله في أية خطية، بل على اتفاق معه ولكن في شيء من الصعوبة بسبب الضربات.

لَعَلَّكَ تَنَاقُضُ حُكْمِي.

تَسْتَدْنِبُنِي لِتَتَبَرَّرَ أَنْتِ! [8]

❖ في نهاية الصواعات أعلن (الله) نصوة المصروع في إعلانٍ سامٍ، وكشف سرَّ أخوانه، قائلاً: "ألا تظن إني تعاملت معك لهدف آخر سوى إعلان [1367] برك؟ هذا هو بلسم حواحاته، هذا هو إكليل الصواع، هذه هي مكافأة صوه.

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ يحتمل الصديقون التجربة هنا، لأنهم ولاء وغباء، وفي مدينة أجنبية. يحتمل الأوار تلك الأشياء من أجل الامتحان. ماذا قال الله لأيوب: "أما LXX تعتقد إني أنزرك إلا لكي تظهر بلا؟" (أي 3:40) أما الخطة فإنهم إذ يعانون من أية محنة، إنما يعانون من العقوبة عن خطاياهم. لذلك ففي كل الظروف سواء كانت مرة أو غير مرة فلنقدم الشكر لله. فكلما الحالين هما مفيدان. فإن الله لا يفعل شيئاً عن كراهية أو عدوة من نحن، إنما ما يفعله هو من قبيل رعايته واهتمامه بنا. [1368]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لو لم يحرب أيوب في المعركة وينال النصوة لما نال إكليل البر، ولما سمع قول الرب: أما تظن أنني أتحدث معك لأطلب شيئاً سوى أن تظهر أنك بار؟ (أي 40: 8 LXX) [1369]

القديس جيروم

❖ أظن أن الريح يعني التجرب. فالتجرب تُظهر أن في كومة المؤمنين يوجد البعض كقش والآخر حنطة. عندما تُغلب نفسك من تجربة ما، لا تحولك التجربة إلى قش. بالحيوي لأنك أنت قش، خفيف الوزن، وغير مؤمن، لذا تكشف التجربة عما أنت فيه وكنت مختقياً. وعلى النقيض، عندما تحتمل التجرب بشجاعة، فالتجرب لا تجعل منك مؤمناً وصبيراً، بل بالحيوي تكشف فضيلتي الصبر والشجاعة اللتين كانتا مختفتين فيك. يقول الرب: "هل تظن إني أنزرك لسبب آخر سوى أن تظهر بلا؟" (أي 40: 8 LXX) [1370]

العلامة أوريجينوس

هَلْ لَكَ فَوَاحٍ كَمَا لِلَّهِ،

وَبِصَوْتٍ مِثْلَ صَوْتِهِ وَوَعْدٍ؟ [9]

❖ يعاتب الله أيوب، بأنه ليس من وجه للمقارنة بين فواح الرب وصوته، وفواح أيوب وصوته. فإن الله قدير في عمله وقدير في كلماته. عند الحديث عن صوت الله وفواحه لنحذر جداً لنلا يتخيل ذهننا شيئاً مادياً فيه. فإن من يحده في إطار الجسم ذاك الذي هو غير مادي يملأ الكل ويحتضن الكل، فإنه يسقط في بدعة الانثروبومرفيت (تشبيه اللاهوت بالإنسان). لكن الله القدير إذ يؤبنا إليه، يتواضع ليعلمنا الأمور العالية ويتنزل إلى الأمور السفلية... لهذا ففي كتابه المقدس يستخدم أحياناً تشبيهات ترة من أجسام البشر، وأحياناً من أذهاننا، بل وأحياناً من الطيور...

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَرَيْنِ الْآنَ بِالْجَلَالِ وَالْعَزِّ

وَالْبَيْسِ الْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ [10].

❖ قد يترين الإنسان بلباس المجد والبهاء، فوهب غوه من البشر، ويجتذب العظماء كأصدقاء له، لكن هذا لا يسوي شيئاً أمام مجد الله وجلاله. يحيط الله نفسه بالجمال، الذي كُتب عنه: "الرب قد ملك، لبس الجلال" (مز 93: 1). إنه يرتفع عاليًا فينا، عندما نتأكد أن طبيعته لا تُفحص بأذهاننا.

إنه مجيد، هذا الذي يهوي فوحًا وليس في حاجة إلى مديح. إنه ملتحف بثياب جميلة، إذ يخصص طغمات الملائكة القديسين لخدمة جماله. لقد خلقهم وأقام كنيسة كثوبٍ مجيدٍ، ليس فيه دنس أو غضن. لذلك قيل له بالنبي: "جلالاً لبست. اللابس النور كثوبٍ" (مز 104: 1-2).

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَرَّقُ فَيْضَ غَضَبِكَ

وَأَنْظُرْ كُلَّ مُتَعَطِّمٍ وَآخْفِضُهُ [11].

كأنه يقول له: "ليس من وجه للمقرنة بيني وبينك؛ فإن كنت في حالة سخطٍ وغضبٍ، هل تستطيع بنظرة منك أن تحطم مقاوميك المتشامخين؟" فقد قيل: "فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظمٍ وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع" (إش 2: 12). ليس من متشامخ يقدر أن يقف أمام نظراته. إن كان أيوب قد أبكم أصدقاءه إلى حدٍ ما خلال الحوار الطويل ولفترة طويلة، فإن نظرة واحدة من الله تهز كل كيان المتكبرين المتشامخين عليه.

أَنْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَطِّمٍ وَدَلِّلْهُ

وَدُسِ الْأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمْ [12].

كأن الله يقول لأيوب: "أنا أعلم أن طلبتك لم تكن عن تشامخٍ وكبرياءٍ. أنا أعرف قلبك المتواضع، حتى وإن عاتبنتني وقت ضيقتك وطلبت تفسواً لما حلَّ بك. إن كنت قد تضايقت بسبب تشامخ أصدقائك عليك واتهامهم لك ظلماً، فلا تخف. إن أردت فقد سمحت لك أن تنتظر إليهم بعين الإيمان فستغلبهم. تستطيع أن تغلب الأشرار المتكبرين في أماكنهم قبل أن يتحركوا لمواجهة نظراتك.

إن ظنوا أنهم أكثر منك كرامة أو غنى أو سعادة، لأنه لم يحل بهم ما حلَّ بك، فسينسحقون دون أن تتفهم أمجادهم الزمنية وإمكانياتهم المادية ونسلهم.

❖ يرتبك المتعظمون عند نظرة الرب، سواء هنا حيث ورحمته يكشف عن أخطائهم ويدينها، أو هناك حيث يعاقبهم بعدله. لكن الكبرياء نفسه هو مكان الأشرار . مكتوب: "الكوياء بدء كل خطية" (سواخ 10: 13)، حيث يقطن في الموضع الذي يقيم فيه الشر، وإن كان يصعب جداً التمييز بين الشر والكبرياء. من يكون متكوراً جداً يفكر بالشر في خالقنا. الشوير يَداسُ إذن في مكانه، إذ يتحطم بذات الكبرياء الذي رفعه... غالباً، بينما يتقدم المتكبر في مجده الباطل ضد الله، ينحدر داخلياً في بؤس حقيقي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لست لديك أن تكوني متكورة بسبب، بل بالحري أن تكوني خائفة. إنك تسافرين كصبيةٍ معها ذهب. لتخش اللص. هذه الحياة الزمنية هي سباق. هنا نتنافس لكي نكلل فيما بعد. لا يدخل أحد بين الحيات والعقرب وهو متأكد أنه يكون في أمان. [1371].

❖ ليس فقط الزنا والدعرة هما اللذان يندسان من يملسهما، لكن الكوياء أيضاً يندس الإنسان أكثر منهما. [1372].

❖ يُوهب التواضع لكل شخص حسب درجة عظمته. الكوياء مضر لكل أحدٍ. إنه يطلب أن يفسد بالذات من هم عظماء! [1373].

القديس جيريوم

❖ واضح أن الفخر المبالغ فيه كان من سمات الرسل الكذبة. [1374].

❖ التتشمخ مع الخطية طامة كوي... إن كان الذي يعمل صلاحاً يفقد تعبته إن انتفخ، فكم يكون إثم الذي يضيف إلى خطايه خطية التتشمخ؟ لأن مثل هذا لا يقدر أن يملس التوبة. [1375].

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَطْوَهُمْ فِي الرَّابِّ مَعًا

وَأَحْبَسَ وُجُوهُهُمْ فِي الظَّلَامِ [13].

إذ يظن المتكبرون أنهم قد غلبوا وانتصروا يطلب الله من أيوب ألا يخاف منهم، بل يطوهم في الرَّابِّ، يدفنهم كما في قبرٍ مظلمٍ ولا تعود أسمؤهم تُذكر. وذلك كما طمر موسى النبي المصري المتكبر في الرمل (خر 2: 12).

تُحْبَسُ وُجُوهُهُمْ فِي الظَّلَامِ حيث لا يستطيعون الوقوف أمام الله النور الحقيقي، بل يهبطون إلى الظلمة الخرجية، ظلمة الهاوية.

❖ الله، بحكمه العادل يخفي المتكبرين والأثوار في الرَّابِّ، إذ يسمح لقلوبهم أن تبتلعها الأمور الأرضية حسب اختيلهم، مستخفين بحب خالقهم. بلباقة يضيف: " وفي نفس الوقت أحبس وُجُوهُهُمْ فِي الحُفَاةِ "... إذ يُحْدِرُ نِيَّةَ قُلُوبِهِمْ عِنْدَمَا تَوِيدُ أَنْ تَتَشَامَخَ عَلَى البَشَرِ. فَإِنْ مِنْ يَنْحَدِرُ وَجْهَهُ نَحْوَ الهَاوِيَةِ يَتَطَّلِعُ إِلَى الأُمُورِ السُّفْلِيَّةِ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1376]

❖ يا للجنون؟ ألا يرى هذا الإنسان المتكبر أن مجده يزول ويتبخر كالحلم، وأن العظمة والسلطان ليست هي إلا سواب خداع .

القديس باسيليوس الكبير

فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ،

لَأَنَّ يَمِينَكَ تَخَلَّصَكَ [14].

الله يريد أن يمدح خليقته، إنه يعتز بها، ويطلب كرامتها، لكن هل يقدر أيوب بالرغم من شهادة الله عن استقامته أن يخلص نفسه بفراعه أو يمينه، أي بقوته الذاتية؟ من يستخف بمساعدة الله له، إنما يعتمد على قوته الذاتية فلا ينال مديحًا من الله.

يليق بالمؤمن أن يتوهم: "لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا فراعهم خلصتهم، لكن يمينك وفراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم" (مز

44: 3).

❖ في اللحظة التي فيها لا زال وسط المعركة تُحْرَبُ وُجُوهُهُمْ، نسأل أنفسنا: من الذي يغلب؟

الغالب أيها الإخوة هو ذاك الذي يعتمد على الله الذي يسنده وهو يحرب، ولا يعتمد على قوته . للشيطان خوته في الحرب، لكن إن كان الله

معنا فسنگلبه. يحرب الشيطان بذاته، فإن حاولنا أن نفعل ذات الأمر، فسيغلبنا. إنه مُحْرَبٌ مُخْتَبِرٌ، لهذا يليق بنا أن نستدعي القدير ليقف ضده.

[1377]

ليقطن فيك ذاك الذي لا يُغلب ، فستغلب ذاك الذي اعتاد أن ينتصر. من هم الذين يغلبهم؟ أولئك الذين قلوبهم فرغة من الله .

[1378]

❖ يعرف الله سعيكم وإرادتكم الصالحة، وينتظر جهادكم، ويسند ضعفكم، ويكفل نصرتكم .

القديس أغسطينوس

هُؤَدَا فَرَسُ البَحْرِ (بهيموث) الَّذِي صَنَعْتَهُ مَعَكَ.

يَأْكُلُ العُشْبَ مِثْلَ البَقَرِ [15].

جاءت بهيموث في صيغة الجمع "بهيمة behemah " أي حيوان. ولا زال تستخدم في مصر لتعني حيواناً أليفاً مثل الغنم والحمير والخيول الخ،

وهي تختلف عن الكلمة العبرية chaytow الخاصة بحيوانات الوية المتوحشة.

وى البعض أنه يشير هنا إلى فرس البحر أو الونيق أو جاموس البحر hippopotamus.

وى آدم كلارك أن هذا الحيوان من الحيوانات المنقوضة، ويدعى mammoth.

يتسم هذا الحيوان بضخامة جسمه مع قوته، فلا يقدر إنسان أن يدخل معه في مصرعة، فكيف يريد مقاومة خالقه.

ظن البعض أنه يشير هنا إلى الفيل بسبب ضخامة جسمه وقوته، لكن كثير من الدارسين رفضوا ذلك.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن بعض المفسرين فسروا هذه العبارة بمفهوم روحي، وأن هذا الحيوان يشير إلى الشيطان.

إن كان يشير إلى الشيطان، فإنه يأكل عشبًا كالبقرة، بمعنى إنه إذ يسيطر الجسد على النفس البشرية يصير الإنسان كعشب الحقل، مأكلاً

للشيطان!

أفاض الله في حديثه مع أيوب عن بهيموث رمز عدو الخير إبليس. ولعله أراد أن يوجه نظره إلى هذا العدو. فعوض التذمر على أحكام الله يليق بأيوب أن يدرك وجود عدو خطير يود أن يفترس البشرية كلها. وأنه هو الذي طلب السماح أن يجربه، لكن هذه التجربة تحول إبليس إلى العوبة يسخر بها حتى الأطفال الصغار.

❖ يثير شيطان الرضا الشهوة الجسدية، ويشن هجومه على النساك، ويجاهد لكي يتخلوا عن نسكهم، زرعًا في نفوسهم بأن نسكهم هذا بلا نفع.

فإذا ما استطاع أن يندس النفس، يبتدئ يهيئها لقول وسماع بعض الأحاديث (الثروة) حتى يبدو كما لو أن العمل (الثوير) ذاته مائل أمام

[1379]

أعينهم .

القديس مار أوغريس البنطي

ها هي قُوَّتُهُ فِي مَتْنِيهِ،

وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ [16].

يشير هنا إلى قدرته الفائقة بالرغم من ضخامة جسمه قوته في متنيه (الحقوين) وشدته في سوة بطنه.

قوة الفيل في رقبتة، والأسد في مخالبه، والفرس والنور في صديهما، أما القوة الرئيسية لهذا الحيوان ففي متنيه. قيل في ناحوم: "شدد الحقوين،

مكَّن القوة جدًا" (نا 2: 1).

يليق بالمؤمن أن يميت حقيقه، فلا يسمح للجسد أن يشتهي ضد الروح (غل 5: 7).

❖ إن أردنا أن نأكل لحم الحمل، يلزمنا أن نميت أحقادنا، أي أعمال الجسد، ونحطم فينا ما قاله أيوب عن الشيطان: "ها هي قوته في متنيه، وشدته في

عضل بطنه" (أي 40: 16). يليق بنا ألا نسمح للجسد أن يشتهي ضد الروح (غل 5: 17)، بل بالروح نميت أعمال الجسد، وبهذا التطهير نتمتع

[1380]

بجسد الحمل .

القديس جيروم

في رسالة إلى أوستوخيوم كتب القديس جيروم موضحة أن التقشف ليس بذات قيمة في ذاته، إنما هو وسيلة هامة لضبط النفس والعفة.

❖ الخالق رب الكل لا يسر بالدمدمة والمعدة الفلرعة.... إنما هذه أمور لازمة كوسيلة لحفظ العفة. كان أيوب له مغزته لدى الله، كاملاً ومستقيماً أمامه

(أي 2: 3)، ومع هذا اسمعوا ما يقوله عن الشيطان: "قوته في حقيقه (أعضائه الجنسية)، وشدته في السوة" (أي 40: 16). اختوت هذه العبرات من

أجل الرقة في التعبير، لكن المقصود بها الأعضاء الجنسية التناسلية للجنسين. سليل داود، الذي يجلس على عرشه حسب الوعد، قيل أنه من ثروة بطنه

(حقيقه) (مز 132: 11). والخمسة وسبعون النفوس التي من سلالة يعقوب والتي أتت إلى مصر قيل عنها أنها خرقة من صلبه (تك 46: 26).

هكذا عندما انخلع حق فخذ يعقوب عندما صلح مع الرب توقف عن إنجاب أبناء. موه أخرى أمر الإسرائيليين أن يحتفلوا بالفصح بأحقاء ممنطقة

ومماته (خر 12: 11). قال الله لأيوب: "أشد حقيقك كرجل" (تك 38: 3). يوحنا لبس من منطقة من جلد (مت 3: 4). والقرم الوصل أن يمتنقوا

أحقاءهم ليحملوا سواج الإنجيل (لو 12: 35). عندما أخونا حرقبال عن أورشليم أنها وجدت في سهل التيه، مغطاة بالدم، استخدم الكلمات: "سرتك لم

تقطع" (جز 16: 4-6). لذلك فإن الشيطان في هجومه على الرجال قوته في متته، وفي هجومه على النساء شدته في سوته. أتويدون وهان على

تأكيداتي هذه؟ خنوا أمثلة لذلك. كان شمشون أكثر شجاعة من الأسد وأثبت من الصخرة.... لكن في حضرة دليله زالت مقاومته وانمحت. داود كان

إنساناً قلبه على مثال قلب الله، شفتاه كانتا دائماً تسبحان للقدس، المسيح القادم، ومع هذا إذ تمشي على سطح بيته فتنة عوي بتشبع وأضاف القتل إلى

جريمة الزنا. لاحظوا كيف أن الإنسان حتى في بيته لا يقدر استخدام عينيه دون أن يحدق به خطر [1381].

القديس جيروم

❖ ومن الواضح أيضاً للجميع أن الزنا لا يتم إلا بعمل جسدي، إذ يقول الله عن هذا الزوج الطوبوي أيوب: "ها هي قوته في مَتْنِيهِ وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ" (أي 16:40) [1382].

الأب سوابيون

يَخْفِضُ ذَنْبَهُ كَأَرَّةٍ.

عُرُوقُ فَخْذَيْهِ مَضْفُورَةٌ [17].

يحرك ذيله (ذنبه) كشجرة أرز قوية، وقد قيل عن اللتين: "ذنبه يجر ثلث نجوم السماء، فطرحها إلى الأرض" (رؤ 12: 4).
قوي، متى وطأ إنساناً بقدميه سحقه، إذ "عروق فخذيه مضفورة".

يصور لنا القديس مار يعقوب السروجي كيف لا يطيق إبليس خلاص الإنسان، فإذا مارأى خاطئاً يسلك طريق التوبة يطلب من جنوده أن يكتفوا جهودهم لتحطيمه بالأفكار الثروة والمجد الباطل، وبكل وسيلة ممكنة. لقد كتب القديس إلى زانيتين تدعيان لانطيا ومليا، تابتا وصلرتا حبيبتين يحزهما من حروب إبليس ومقاومته لهما بكل عنف.

❖ الآن يأمر قائد جند اليسار المؤذية (يأمر إبليس جنوده) بسبب عداوته لكما:

لا تحلروا الطاهرين ولا الكاملين، ولا أحد أعدائي الأفياء، لكن هاتين اللتين هما من خاصتي، واحتقناني، وسخرنا مني. وهما قائمتان في درجة القديسين.

أجلوا عليهما قطع الرجاء، املأوهما بالكسل.

لزرعوا فيهما الحسد لبعضهما البعض لتخضعوا للضعف، وتحترقا بشهوة الطعام.

أيقظوا أفكلهما ليحبا أعمالهما الأولى. أقلقوهما بأفكار الزنى.

أعيقوا صلواتهما، لئلا تكون قوية لتكملا عهدهما...

أوقفوهما على جرف العظمة، وربطوهما بمحبة المجد...

احملوهما على الظن أنهما صلرتا صالحتين.

[1383] سلوا المرضى عندهما لتصليا عليهم، واحملوا الآخرين ليقولوا: إننا شقينا بصلواتكما، اخذوهما بأنهما ليستا تائبين بل هما فاضلتان.

القديس مار يعقوب السروجي

عِظَامُهُ أَنَابِيْبُ نَحَاسٍ،

وَأَضْلَاعُهُ حَدِيدٌ مُطْرَقٌ [18].

ليس من يقدر أن يحطم عظامه ولا من يمزق ضلوعه، فعظامه أشبهه بأنابيب نحاس، وأضلاعه حديد مطوق.

❖ ماذا يقول سفر أيوب عنه هو مخيف ومرعب (أي 18: 40؛ 7: 41). جنباه نحاس، وظهوره حديد مسبوك، أحشؤه من حجرة صنوفة. هذا وأكثر منه يقول عنه الكتاب المقدس. هذا هو قائد الفوق الشيطانية العظيم والتقدير. ولكن ماذا يدعوه صاحب القوة الحق والويد؟ إنه "تغلب صغير!" (نش 2:

[1384]

15). كل الذين مع الشيطان، قواته بكاملها هي موضع سخرية. الله يدعوهم بذات الاسم "الثعالب الصغرة" ويحث الصيادين ضدهم.

القديس غريغوريوس النيسي

هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللَّهِ.

الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ [19].

جاء النص في الترجمة السبعينية: "هذا هو أول أعمال الرب، والذي جعله سخرية ملائكته". وقد اعتمد البعض على هذه العبارة في ادعاء أن الشيطان خلق شرواً، ولم يسقط برادته. وقد فند القديس أغسطينوس هذا الرأي في كتابه "التفسير الحرفي للتكوين" [1385].

من ينكر أن الله خلق إبليس من أعظم الطغمت السماوية، لكنه برادته صار أضحوكة وموضع سخرية الملائكة.

❖ يُقال عن الشيطان "بدء أعمال الرب، الذي جعله سخرية ملائكته" ليس لأنه هو أول خليفة أوجدها، ولا لأنه منذ البداية كان مخلوقاً شرواً. لكن الله إذ يعلم أنه ستصير له رادة شوية تميل إلي أذية الصالحين، خلقه ليكون نفعاً للصالحين. هذا هو معني الكلمات "يسخر به ملائكته"، إذ يُسخر بالشيطان وذلك عندما يحاول أن يحطم الذي اختزه برادته نافعاً لخدام الله بالرغم من سوء نيته. حقاً لقد رأى الله ذلك عند خلقته إياه [1386].

القديس أغسطينوس

كان إبليس كوكباً عظيماً ومومقاً بين السمايين "زهرة بنت الصباح" (إش 14: 12)، لا يتمتع بالنور فحسب، وإنما كان يشوق بنوره على الغير كأنه نور مشرق في الصباح، وذلك كعطية إلهية، لكنه تشامخ على الله خالقه وواهبه النور، وظن أنه يقدر أن يرتفع على مستوى الله نفسه، بل وبصير أعظم منه، فسقط ليصير ظلاماً عوض النور، إذ عزل نفسه بنفسه عن الله مصدر النور. أراد أن يجلس على جبل صهيون (مز 48: 2)، جبل الله المقدس، حسب نفسه كالله في العظمة فتعالى فوق السحاب!

❖ الذين يقولون إن الشيطان ليس خليفة الله مخطئون. فيقدر ما هو شيطان ليس خليفة الله، أما الكائن نفسه (كمخلوق) فهو خليفة الله. وذلك كالقول بأن القاتل ليس خليفة الله، لكنه كإنسان هو خليفة الله [1387].

❖ واضح تماماً من هذه الكلمات (إش 14: 12) أن ذاك الذي كان قبلاً لوسيفر، والذي ظهر في الصباح سقط من السماء. فلو أنه - كما يدعى البعض Lucifer - كان كائناً من الظلمة، لماذا قيل عنه أنه كان مثل لوسيفر أو حامل النور؟ أو كيف يقوم في الصباح من ليس فيه نور قط؟ [1388]

العلامة أوريجينوس

❖ قول السيد المسيح: "لأن رئيس هذا العالم"، يعني به إبليس، وقد دعاه الناس الأشرار بهذا الاسم، ليس لأنه رأس السماء والأرض، وإلا لقلب الخلائق وعكسها، وإنما رأس الذين قد أسلموا إليه نواتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نفهم من هذه الكلمات أنه يوجد ملك واحد، وهو خالق الكون كله. بينما على الجانب الآخر يوجد رئيس هذا العالم الذي يسمى نفسه ملك الظلمة. تخدم ربوات من الملائكة الملك الحقيقي، بينما يلتف حول رئيس قوى الظلمة ربوات من الشياطين (كو 13: 1). تتبع الرئاسات والسلطين والفضيلة ملك الملوك ورب الأرباب. وفي الآخرة حين يُسلم المسيح الملك لله الأب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة للعدو، فإنه لا بد أن يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت موطئ قدميه (1 كو 15: 24، 25).

القديس غريغوريوس النيسي

لأنَّ الجِبَالَ تُخْرُجُ لَهُ مَوْعَى،

وَجَمِيعُ وَحُوشِ الْبَرِّ تَلْعَبُ هُنَاكَ [20].

وى البعض هنا صلاح الله العجيب، فمع ضخامة جسم هذا الحيوان، ومع قوته لكنه ليس مفترساً كالأسد أو النمر. لو كان مفترساً يعيش على لحوم الحيوانات، فمع ضخامة جسمه لاحتاج إلى افتراس الكثير من الحيوانات، لأنه يحتاج إلى كمية هائلة من الطعام. لكن طعامه هو العشب الذي يوجد بوفرة على الجبال. وإذ يعيش على الخضروات لا تخشاه وحوش البر الأضعف منه جسمانياً، بل تلعب معه.

تَحْتَ السَّمَوَاتِ يَضْطَجِعُ فِي سِتْرِ الْقَصَبِ وَالْغَمِقَةِ [21].

❖ الأشجار العظيمة تستظل به (بالشيطان) وهو ينام بجوار القصب والأسل والورد (أي 40: 21). إنه ملك على كل الأشياء التي في المياه أي على كرسي اللذة والتوف . [1390]

القديس جيروم

تُظَلِّلُهُ السَّمَوَاتُ بِظِلِّهَا.

يُحِيطُ بِهِ صَفْصَافُ السَّوَاكِي [22].

إذ تلعب معه وحوش البر لا يحتاج أن يكمن في أماكن مظلمة أو يختبئ في كهوف حتى ينقض فجأة على فويسته. إنما في أمان يضطجع تحت الأشجار المظلمة (السوات). ينام في سلام، وتلتف حوله الحيوانات متلهلة، تلعب معه.

إذ لا يؤدي أحدًا لا يحتاج إلى كهوف تحميه، بل يستتر بالقصب وغوه من المزروعات التي بجوار المياه.

يقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيرًا رمزيًا لهذه العبارة، فيقول: [يجد بهيموث نوعًا من الراحة في أولئك الذين بصيرون بلدين

بانسحابهم من نور الشمس الحقيقي، لذلك يقول عنه "ينام تحت الظل" ... أما الأماكن الرطبة (صفصاف السواقي)، فهي أذهان الناس الأرضيين، حيث رطوبة الشهوات الجسدية. في هذه الأذهان يغرس بصمات شوه، ويغطس في أذهانهم كما في أرض رطبة. الأماكن الرطبة هي الأعمال الشهوانية. فالقدم لا تتحلق على أرض جافة، وإنما عندما تسير على أرض زلقة، حيث يصعب مسانديتها. فالذين لا يقرون أن يقفوا باستقامة يعبرون هذه الحياة في مواضع رطبة].

هُوَذَا النَّهْرُ يَفِيضُ فَلَا يَفِرُّ هُوَ.

يَطْمئنُّ وَلَوْ اِنْدَفَقَ الْأُرْدُنُّ فِي فَمِهِ [23].

إذ يحتاج هذا الحيوان الضخم إلى كمية ضخمة من الماء يُخَيَّلُ للوئ أنه قادر على شوب نهرٍ بأكمله. إذا فاض النهر لا يهرب، بل في روية يشوب منه بغير خوفٍ أو وُج.

يظن بهيموث أنه قادر أن يشوب نهر الأردن كله إن اندفق في فمه.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن المياه تشير إلى الشعوب، فقد فتح إبليس فمه ليشوب النهر كله، أي كل الجنس البشري، بكونهم شوابه، ومن حقه أن يبتلعهم. وإذ جاء السيد المسيح إلى نهر الأردن فتح العدو فمه ليشوب الأردن النزل فيه السيد. باطلاً حاول العدو أن يقتنص السيد المسيح، إنما سحق السيد المسيح رأس التنين في مياه الأردن.

مؤال العدو يفتح فمه ليبتلع نهر الأردن كله، أي ليقتنص الذين نالوا سرَّ العماد وصلوا أبناء الله، لكنهم في تهاونهم يخدعهم ليرتوا إلى البوة لإبليس.

تحدث القديس كيرلس الأورشليمي عن عطية المعمودية كتحرير من سلطان إبليس - الوحش الساكن في أعماق المياه، قائلاً: [جاء في أيوب

أنه كان في المياه الوحش الذي "اندفق الأردن في فمه" (أي 40: 23)، وكان يجب تحطيم رؤوسه (مز 74: 14). لهذا قول (السيد) وربط القوي في المياه حتى ننال فيها القوة، إذ يكون لنا السلطان أن ندوس على الحيات والعقرب (لو 10: 19). كان الوحش عظيمًا وموعبًا "لا يقدر إناء سميك أن

يحتمل حرفة واحدة من ذيله" [1391] (أي 41: 7 LXX)، ثأراً ضد كل من يلتقي به. لقد قول "الحياة" إليه ليلتقي معه فيسد هناك فم الموت، وعندئذ

نخلص نحن، قائلين: أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا قبر؟! (1 كو 15: 55). لقد زعت شوكة الموت بالمعمودية! ها أنتم تدخلون المياه حاملين خطاياكم، وبابتهاال النعمة إذ نختم نفوسكم، لا يعود يبتلعكم الوحش الموعب [1392].

هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟

هل يُنقَبُ أنفهُ بِرَؤَامَةٍ؟ [24]

ما هي الرَؤَامَةُ التي تنقَبُ أنفَ عدو الخير؟ يقول البابا غريغوريوس (الكبير) [ما هي إلا مشورات القديسين الجادة؟ إنها تنقَبُ أنوفَ بهيموث هذا... الرب يتقَبُ أنوفه بِرَؤَامَاتٍ، إذ يزِعُ عنه قوته، محطماً حيلة المخادعة بمفاهيم القديسين الحزومة].

يا للعجب الله يسمح بوجود إبليس، ولا يأخذني من أمامه. فهو يعلم أنني به أنتصر عليه. أضرب بحربة الصليب أنفه المتشامخ فأحطمها. بروح الرب أعيش غالباً ومنتصراً. أتغنى بروح النصوة على الشيطان الساقط من السماء كالوق!

❖ يصبو الشيطان سهاماً ضدي، لكن أنا معي سيف.
هو معه قوس، أما أنا فجندي أحمل سلاحاً ثقيلاً...

[1393]

❖ إنه حامل قوسٍ لكنه لا يجسر أن يقترب إليّ، إذ يلقي بسهامه من بعيد .

❖ لقد فقدتم الفودوس، لكن الله وهبكم السماء، حتى يؤكد حنوه، وأنه يهزم إبليس، مظهرًا أنه حتى إن أتقن عشت الأوف من الخطط ضد الجنس البشري، فإنها لن تفيده، حيث يقودنا الله دائماً إلى كرامة أعظم.

أنتم فقدتم الفودوس (جنة عدن)، والله فتح لكم السماء.

لقد سقطتم تحت الدينونة بالتعب إلى حين، وقد كُومتُم بالحياة أبدياً.

[1394]

يأمر الله الأرض أن تنبت شوكةً وحسكاً، أما تربة الروح، فتنبت لكم ثورًا. ألا ترون أن الريح أعظم من الخسلة؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يخوهم بولس أن يكونوا شجعانًا وأقوياء مثل المصلوع وجندي المسيح، يفعلون كل شيء بالحب لله ولبعضهم البعض.

القديس ديديموس الضيرير

❖ لنضع على رؤوسنا خوذة الخلاص، لكي لا نُوح ونموت في المعركة.

لنمنطق أحقاعنا بالحق، فلا توجد ضعفاء في القتال.

لنقم ونوقظ المسيح، فيهدئ الأمواج عنا.

لنأخذ الترس تجاه الشرير، كاستعدادٍ لإنجيل مخلصنا (أف 6: 15-16).

لنقبل من ربنا السلطان أن نسود على الحيات والعقرب (لو 10: 19)...

لنوح في رجائنا في كل وقتٍ (رو 12: 12)، حتى يوح بنا ذلك الذي هو رجاؤنا ومخلصنا...

لنأخذ لأنفسنا سلاحًا للمعركة (أف 6: 16)، هو الاستعداد للإنجيل.

لنقوع باب السماء (مت 7: 7)، فيُفتح أمامنا وندخل فيه.

لنسأل الرحمة باجتهاد، فننال ما هو ضروري لنا.

لنطلب ملكوته ووه (مت 6: 33).

لنتأمل في ما هو فوق، في السماويات، حيث المسيح صاعد ومجدد.

لكن لننسى العالم الذي هو ليس لنا، حتى نبلغ الموضوع الذي نحن مدعوون إليه.

لنرفع أعيننا إلي العلا، لنرى الضياء المتجلي.

لنرفع أجنحتنا كالنسر، لنرى حيث تكون الجثة (مت 24: 28)...

إذ عدونا حاذق يا غزوي، ومحتال ذلك الذي يقاثلنا. يُعد نفسه للهجوم على الشجعان الظافرين، ليجعلهم ضعفاء. أما الواهون الذين له فلا يحل بهم، إذ

هم مسبيون مُسلمون إليه.

من له جناحان يطير بهما عنه، فلا تبلغ إليه السهام التي يقذفها نوره؟

واه الروحيون يحرب، ولا يتسلط سلاحه على أجسادهم.

لا يخافه كل أبناء النور، لأن الظلمة تهوب من أمام النور. أبناء الصالح لا يخشون الشويز، لأنه أعطاهم أن يبطؤا عليه بأقدامهم (تك 3:

[1395] (15).

القديس أفراهام

❖ لم تستطع أية خطية صاورة عن بلاء شيطاني أن تقرب من جسم الرب. صمد الرب أمام تجرب العدو، لكي يرد النصوة للبشوية. جعل من الشيطان ألعوبة، كما أعلن داود: "لويثان هذا خلقته ليلعب فيه" (مز 104: 26)، وأيضًا: "يسحق المتهم الباطل" (مز 72: 4). وأيضًا "كسوت رؤوس لويثان على المياه" (مز 74: 13-14). وفي سفر أيوب أعلن الرب أن لويثان هذا سيصير ألعوبة ويصطاد في هذه التجربة، قائلاً: "تصطاد لويثان بشص" (أي 41: 1) [1396].

الأب خروماتئوس

من وحي أيوب 40

من ينقذني من إبليس سواك؟

❖ في وسط ضيقتي تتمرر نفسي.

أدخل معك في عتاب مرّ.

أنسى حقيقة نفسي،

إني زاب حقير أمام خالق عظيم.

❖ لقد أخطأت في تفكوي كما في كلماتي.

تكلمت هرة وموتين،

تساءلت: لماذا تُنجح طريق الأشوار؟

لماذا تسمح لي بالضيق؟

لكنني لا أعود زُيد الكلام.

صمت أمامك،

فواعك قوي وصوتك وعد.

جلالك وبهاؤك من يقدر أن يصفهما

❖ اكتشفت حقيقة نفسي الضعيفة،

وعرفت عنف إبليس عوي.

من يقيمني سواك؟

من يخلصني من هذا العدو إلا أنت يا محب البشر؟

❖ لتشددني فأमित حقِّي،

ولا أسمح لشهوات الجسد أن تحطم شهوات الروح.

قوة العدو في حقويه وسوء بطنه!

احفظني منه، وقدس حقِّي وبطني.

❖ خلقتَه كوكبًا منوًا،

وفي ثوبه انحدر إلى الهلوية.

يود أن يسحبني معه.

من يخلصني منه سواك؟

يفتح فمه، ليبتلع كل بني البشر.

ليبتني أختفي فيك، فلا يقترب إليّ.

لأنعم بصليبك، فأثقب أنفه.

أحيا بروحك القفوس،

فأكسر أنفه المتشامخ!

⏪

الأصْحاحُ الحَادِي وَالْأَبْعُونُ

التين الذي لا يُروض

يُفتتح هذا الأصحاح بحديث ممتع لله موجه لا إلى أيوب وحده، بل إلى كل البشرية، ليكشف لها عن الإمكانيات الجديدة التي صلت لنا بالمسيح

يسوع. فإن كان عدو الخير "لويثان" يفتخر على البشرية بقواته وسلطانه، فإن مسيحا اصطاده بصنرة، وجعله كعصفورٍ صغيرٍ يلعب به الأطفال ولا

يخشونه.

في هذا الأصحاح يعاتب الله أيوب الذي في أكثر من مرة يطلب الوقوف أمام الله وجهًا لوجه لكي يحلّره فيما حلّ به من ضيقات. هنا يقدم الله

لأيوب تساؤلات كثرة محورها: هل تستطيع أن تواجه تمساحًا في النهر وتصطاده، فكيف تطلب مواجهة الخالق؟

إن كان لويثان أو تمساح النهر موعب للغاية، ومدمر لحياة الإنسان، فإنه يرمز لإبليس العدو الحقيقي للإنسان. فليس من إنسان يقدر أن يدخل

في مواجهة ضد إبليس دون مساندة الله له، فكيف يقدر أن يدخل في معركة مع الله نفسه واهب الغلبة للإنسان حتى على إبليس وكل قواته؟

1. من يقف أمام لويثان 10-1.

2. وصف لويثان 11-34.

1. من يقف أمام لويathan

أَتَصْطَادُ التَّمْسَاحَ بِشَيْءٍ،

أَوْ تَضَعُ لِسَانَهُ بِحَيْلٍ؟ [1]

في حديث الله مع أيوب عن الشيطان يريد أن يؤكد له أنه مع كل ما اتسم به من قوة وعنف، لكنه بالنسبة للمؤمن ليس إلا شبه سمكة يمكن اصطياده بصنلة صغيرة.

لويathan ، ويقصد به هنا الشيطان، وقد كثرت الآراء من جهة هذا الاسم نذكر منها:

- 1 . حيوان مائي ضخم، عنيف ومفترس، وقد جاء في الترجمة السبعينية Dralaonate ، أي تتين dragon ، كما جاء في السريانية والعربية القديمة. وقد شبه النبي الكذاب وضد المسيح بالتين البوري والتين الوي (رؤ 13).
- 2 . نوع قاتل وفريد من الحيات السامة. ورد في بعض القصص اليهودية أن حية ضخمة تلتف حول الأرض كلها تثبت سمومها.
- 3 . نوع من الحيتان الفتاكة.
- 4 . يُقصد به تمساح نهر النيل، كما قال Bochart.
- 5 . وى Hasaeus أنه ليس بحوت، بل Orca وهو مسخ (حيوان مهول غريب الشكل) مائي، مسلح بأسنان حادة وُعب الحيتان.
- 6 . وى Grotius أنه سمكة ضخمة جداً تدعى mular أو musar ، وُجِدَت في البحر الأبيض المتوسط.
- 7 . وى البعض مثل Schultens أنه اسم رمزي يمثل حيوانات مربعة قديمة، يقصد به الشيطان.
- 8 . وى البابا غريغوريوس (الكبير) أن اسمه يمكن أن يُدعى Leviathan كوعٍ من السخرية، إذ تعنى الكلمة شيئاً ضخماً رهيباً. يعتمد القائلون بأنه التمساح على الآتي:

- 1 . لا توجد حيتان بالبحر المتوسط والأنهار في تلك المنطقة، وإنما وُجد التمساح في نهر النيل وبعض أنهار آسيا وأفريقيا، فغالباً لم يكن لدي أيوب معرفة بالحيتان، وإنما بالتمساح. حقاً أن المتكلم هو الله وهو عالم بكل ما خلقه، لكنه لا يحدث أيوب عن حيوان لم يسمع عنه ولا عرفه.
- 2 . السمات الواردة هنا عن لويathan تنطبق على التمساح بكونه متوحشاً وعنيفاً ولا يمكن السيطرة عليه. فمه مخيف وحجمه ضخم للغاية، مسلح بصفٍ ضخم من الأسنان، ومُغطى بحواشيف متقلبة معاً، يتميز بعينه الهميتين. لا يمكن اصطياده بالطرق العادية لاصطياد الوحوش المفترسة. طوله عادة ما بين 18 و 20 قدماً، لكنه يبلغ أحياناً الثلاثين قدماً. تبلغ عدد أسنانه الحادة جداً 30 فأكثر في كل فك. يُعتبر من رُعب الحيوانات البحرية. غالباً ما يسبح على سطح الماء ليقتنص أي حيوان يجده، وإذا لم يجد طعاماً يقرب من الشاطئ ويختبئ بين أوراق الوددي، حتى متى اقرب أي حيوان ليثوب هجم عليه وسحبه في الماء ليغرقه ويأكله. يشتهر باصطياده النمر القادمة لتثوب.
- 3 . مما يؤيد افراض أنه التمساح ما ورد في (أي 40: 15) عن بهيموث، وهو حيوان بحري. ولعل الاثنان كانا يقطنان في ذات المنطقة فإن كان بهيموث هو فرس البحر أو البهيموت أو ملرد البحر hippopotamus الذي كان في نهر النيل، فإن لويathan هو التمساح الموجود في ذات النهر. جاء في بعض الوسومات في Herculaneum مناظر طبيعية مصرية حيث نرى التمساح راقداً بين القصب (المائي) وفرس البحر على النباتات في جزرة. وأيضاً الموزييك الشهير في Praeneste يمثل نباتات وحيوانات مصر وأثيوبيا. يشير فرس البحر والتمساح معاً في مجموعة واحدة في نهر النيل. يشير هيرونوت إلى أن بعض المصوبين يعتبرون التمساح مقدساً، وآخرون يهاجمونه. أحياناً يعاملونه بتكريم زائد ويقدمون له أسماك وأطعمة ثمينة، ويزينون رأسه بأواظٍ وقدميه بأسلورٍ وحلقانٍ ذهبية مطعمة بحجر ثمين. يروضونه بلطفٍ شديد، وبعد موته يطيبونه بأطياب ثمينة، هذا في مناطق مثل طيبة و Owbite و Arsinoite و Maabdeh مقابل مدينة منفوط الحالية. وفي مناطق أخرى كانوا يتعاملون معه بشيء من الاشمواز الشديد، فلا يتكون فوصة يمكنهم فيها تدموه.

وى Gesenws أن لويائان مشتقة من لوي Laowah ، حيث ينحني كائن ما حول آخر ويلتف حوله، ربما ليدوره أو يفترسه.

يذكر هيرودوت أن من بين طوق اصطياد التماسح أن يضخوا قطعة لحم ختوير في شصي (صنلرة)، ويلقونها على الماء لتطفو ثم يأتوا بختوير حي على الشاطئ ويضوبونه حتى يصوخ. فيأتي التماسح على صوت صواخه نحو الشاطئ ليقتصه، وإذ يجد قطعة اللحم يبتلعها فيسحبونه بالصنلرة نحو الشاطئ، وأول ما يفعلونه به هو أن يملأوا عينيه بالطين حتى يمكنهم السيطرة عليه.

ليس للتمساح لسان، أو له لسان صغير جدًا ملتصق بالفك السفلي، ولكن كما أنه في اصطياد السمك تسحب السمكة الصنلرة التي بها الطعم خلال لسانها، هكذا يسأل الله إن كان يمكن سحب لويائان بلسانه.

وى Thevenot أن البعض كانوا يحفرون بعض الحفر على الشاطئ ويغطونها بعصي، وإذ يسقط التماسح في إحداها لا يقدر أن يخرج منها. يتكونه لمدة عدة أيام بلا طعام، وبعد ذلك يربطون فكه بحبال يعقونها حوله ثم يقومون بسحبه.

يوجه الله أنظرنا إلى عدو البشوية كلها، فإنه إن كان يصعب صيد لويائان بصنلرة وسحبه من لسانه بحبل، فماذا يفعلون مع إبليس؟

إبليس عنيف للغاية ويصعب الغلبة عليه، لكن ابن الله الحي قول إلى أرضنا، وإذ تجسد صار جسده هذا أو ناسوته هو الصنلرة التي يصطاده بها. ظن إبليس في المسيح أنه مادام يحمل جسدًا كسائر بني البشر، وله نفس بشوية، فله سلطان عليه، يدخل به إلى مملكة الظلمة التي له. هيح أتباعه على صلبه، حاسبًا هذا نصوة عليه، ولم يترك الشص الموضوع له، إذ بالصليب شهر به، وأفقدته سلطانه، وسحب منه الأسرى الذين سقطوا تحت سلطانه. ترك الرب لعدو الخير وأتباعه أن يجدوا عليه، ويقدموا اتهامات ضده، ولم يترك العدو أنه بهذا انسحب بلسانه لينحدر إلى جهنم هو وملائكته الذين شلروه تجديفه على مخلص العالم.

❖ أصطيد لويائان بصنلرة صيد، وذلك عندما أمسك بطعم جسد مخلصنا، إذ بالوخرة الحادة للاهوته قد طعنته للحال. لقد أمسكت السنلرة كما بحنوة من يبتلعها، عندما ظهر طعم الجسد للمفترس كي يمك به في وقت آلامه، فقبض اللاهوت عليه ليقتله.

❖ لتفهم يا أيوب ما أفعله أنا، إذ أرسل ابني وحيد الجنس في الجسد لموت المُفسد، ففي ابني يظهر الجسد القابل للموت، بينما لا تظهر قوة خلوده، هذا فوع من الصنلرة التي تحطم من يبتلعه، وذلك بإخفاء حذاقه القوة التي بها يجرحه.

"تضغظ لسانه بحبل".... فإن الخطايا تُرمز لها بالحبل كقول النبي: "ويل للجاذبين الإثم بحبال البُطل" (إش 5: 18).... أيضًا "الحبل" يعبر عن الإيمان، كما يشهد سليمان القائل، "الخيوط المثلوث لا ينقطع سويًا" (جا 4: 12). فإن الإيمان بالحق الذي ينسجه فم المبشرين بمعوفة الثالث يبقى ثابتًا في المختلرين. إنه ينقطع فقط في قلب الشرير. هنا يمكن أن تفهم كلمة الحبل الإيمان أو الخطية. لأن ربنا المتجسد ربط فم لويائان بحبل، إذ ظهر في شبه جسد الخطية ودان كل تعاليمه الخاطئة... خلال شبه جسد الخطية بود الحوار المخادع في الجسد ربط لسان لويائان إذ عُرف الحق الذي له صممت التعاليم الباطلة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الآن يا أحبائي قد ذُبح الشيطان، ذاك الطاغية الذي هو ضد العالم كله... لا يعود يملك الموت، بل تتسلط الحياة عوض الموت، إذ يقول الرب: "أنا هو الحياة" (يو 6: 14)، حتى امتلأ كل شيء بالفوح والسعادة، كما هو مكتوب: "الرب قد ملك فلتنوح الأرض"... الآن إذ بطل الموت وتهدمت مملكة الشيطان امتلأ الكل فوحًا وسعادة.

❖ إن كان الشيطان عدو جنسنا قد سقط من السماء وتحول إلى مجالنا السفلي، فقد صار له سلطان على الأرواح زملائه الذين يستخدمهم كأتباعه يعملون بالخداعات لأجل المعصية. لا يعملون فقط في الذين يندعون، وإنما يحاولون إعاقة المتقنين إلى فوق، وكما يقول الرسول: "حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف 2: 2). لقد جاء الرب ليطرده الشيطان ويظهر الهواء منه ، مهينًا الطريق إلى السماء وذلك "بالحجاب أي جسده" (عب 10: 20). كقول الرسول: أي فوع من الموت يقدر أن يحقق هذا، إلا الموت الذي يتم في الهواء، أقصد بالصليب!... لقد

لاق جداً أن يحتمل الرب هذا الموت، فرفعه (على الصليب) طهر الهواء من شر إبليس وكل أنواع الشياطين، إذ يقول: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو 10: 18)، بهذا صنع افتتاحاً جديداً لطريق السماء، إذ يقول أيضاً: "لرفعوا أبوابكم أيها الرؤساء ولتفتح الأبواب الدهوية" (مز 24: 7 - السبعينية). فإن الكلمة لم يكن في حاجة إلى فتح الأبواب إذ هورب الكل، ولا يُغلق شيء من أعماله أمامه، إنما نحن الذين في حاجة إلى فتح الأبواب، إذ حملنا في جسده. لقد قدم الموت لحسابنا، ممهداً لنا الطريق إلى السموات [1397].

❖ لأن الرب تلامس مع كل جزء من الخليقة وحررها وأعتقها من كل خداعات الأييف والوهم كما يقول القديس بولس إذ **جود بنفسه الرياسات والقوات، ظافراً بهم على الصليب.** حتى لا يندفع أحد بعده بل يجد في كل مكان كلمة الله الحقيقي [1398].

القديس البابا أثناسيوس الرسول

❖ صمد الرب أمام التجرب التي من العدو لكي يرد النصوة للبثوية. بهذا جعل الشيطان ألعوبة، وكما أعلن داود: "الويثان الذي خلقته ليلعب فيه (مز 104: 26) ... وأيضاً: "كسوت رؤوس لويثان على المياه" (مز 73: 13-14). يعلن الرب في سفر أيوب أن لويثان هذا يصير ألعوبة، ويُمسك في هذه التجربة "تصطاد لويثان بشص" (أي 41: 1).

الأب هرموتيس

❖ يُخدع الشيطان إذ يوح نفسه بذات لدغته، ويُحصن ذلك الذي يظن أنه يضعفه، يحصنه ضده. فقد حُصن القديس أيوب بالأكثر عندما جرحه، ذلك الذي غطى كل جسمه بالقروح، فاحتمل لدغات الشيطان ولم يؤثر فيه سمه. لذلك حسناً قيل له: "تصطاد التتتين بشص"، وتلعب به كطائر. تربطه كما LXX يفعل صبي بعصفور، وتضع يدك عليه" (أي 1: 41، 5، 8).

إنكم ترون كيف سخر به بولس، كصبي كما ورد في النووة، وضع يده على حوة الثعبان، ولم تؤذ الحية. لقد سحبه من موضعه الخفي، وجعل من سمه نواءً، فصار السم لتحطيم الجسم نواءً لشفاء الروح. فما يؤذى الجسم يفيد الروح (1 كو 5: 5).

إذاً، لآ ترك الحية تضرب ما هو أرضي في (جسدي)، أتركها تعض جسدي وتُسبب زرقاقاً فيه، فيقول الرب عني: "ها هو في يدك، ولكن احفظ نفسه" (أي 2: 6).

يا لقوة الله! إنه يسلم حفظ نفس الإنسان في يد الشيطان الذي يريد هلاكه!... فيوصايا السيد جعل الشيطان حافظاً لغنمه، فبغير رادته صار ينفذ وصايا السماء، وبقسوته يطيع وصايا الوداعة! [1400]

❖ **شدة عظيمة هكذا وحزن جسيم حلّ بالشياطين وجنودهم في يوم صلب إلهنا** ، لأنه عند موته ونزوله إلى الجحيم صنع فيهم ما صنعه بوعون والمصريين، وعتق بني آدم من حبسهم كما عتق بني إسرائيل من أرض مصر [1401].

القديس أمبروسيو

❖ على الوغم من كؤة افتخار (إبليس) في الكلام والواقحة، قبض عليه المخلص بصنرة كتتين عظيم (أي 41: 1)، وكداية وضع الرسن في فكها، وكهلب أوثق منحوه بخطام، وثقب شفثيه بوة (أي 41: 2)، فأوثقه الرب كعصفور حتى نسخر منه (أي 41: 5)، ومعه الشياطين رفقائه كالحيات والعقرب (لو 10: 19) كي نسحقها وننوسها تحت أقدامنا [1402].

البابا أثناسيوس الرسولي

أَتَضَعُ أَسْلَةً فِي خَطْمِهِ،

أَمْ تَتَقَبَّبُ فَكَّهُ بِرِقَامَةٍ؟ [2]

"أَتَضَعُ أَسْلَهُ فِي خَطْمِهِ" جاءت في الترجمة السبعينية: "أَتَضَعُ طَوْقاً فِي فَتْحِهِ أَنْفِهِ". وروى البابا غريغوريوس (الكبير) أن فتحتي أنفه تشوان

إلى خداعه، بينما يشير الطوق إلى كلية القوة للقوة الإلهية.

إن كان عدو الخير لا يكف عن أن ينفث بخداعاته وحيله كما بأنفه، كي يسقط الإنسان في سلسلة من الخطايا، فيحل به اليأس ولا يقوم، فإن مراحم الله القدوة تبطل هذه الخداعات فيمتلئ الإنسان رجاءً في غفوان خطاياها، ويقوم بنعمة الله العاملة فيه. وي البعض أنه يتحدث هنا عن أوتار الأمانة التي كان المصوبون يؤمنون بها التماسح كإله. لكن واضح أن الحديث هنا ليس عن تأليه التماسح وزينته، إنما عن عنفه وعدم القوة على ترويضه.

أسلة agmon ، والترجمة الدقيقة تعني نوعاً من الحبال. وكأنه يعني هنا أن لويathan يحمل قوة عجيبة حيث يستحيل وضع حبل حول أذنه لويط فكيه. كانت العادة في الشوق أن يضعوا حلقة في أذن الثوان والجاموس، ويجرونه بها.

قوامه choach ، وهي في حقيقتها طوق. كان ولا زال توجد عادة أن يوضع طوق حديدي قوي في فك السمكة الكبيرة حال اصطليادها، ويربط الصياد حبالاً في الحلقة، ويترك السمكة في الماء، حتى يسحبها متى وجد من يشوبها [1403].

أَيُّكَ النَّصُوعَاتِ إِلَيْكَ،

أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللَّيْنِ؟ [3]

حين يسقط الإنسان في السبي ينسحق ويتذل، لكن ليس كذلك عدو الخير، الذي لا يستسلم ولا يتذلل بتوسلات كثرة، فإنه لا يخضع سويحاً. وكأنه أشبه بحوان مفترس، حتى بعد اصطلياده لا يهدأ مؤججاً أن يفترس من اصطاده. عدو الخير شوس لا يعرف لغة الحنو.

❖ إن كانت هذه الكلمات موجهة إلى شخص الابن، فإن (الشیطان) ينطق بكلمات لينه موجهة للمتجسد، إذ يقول: "أنا أعرفك، من أنت؟ قدوس الله" (لو 4: 34). لويathan هذا يكثر التصوعات إليه حين قيل له بواسطة لحيون: "إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنزير" (مت 8: 31).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ [1404] الشيطان دائماً مجتهد حتى عندما يحل به الخطر أن يفقد غنيمته.

❖ لماذا يعود ليهاجم؟ ماذا نتعلم من هذا؟ فإننا وإن سقطنا ألف مرة، فإن الشيطان لن يتوقف، بل يستمر في الحرب دون أي تردد.

❖ لاحظوا أنه يطوف في كل لحظة في العالم. يعلمنا زكريا أن الملائكة تجول على الأرض (رك 10: 1-11). أما هذا البائس فلا يكتفي بالطواف، فإن العناية الإلهية أيضاً تملس هذا العمل، إنما يطوف لكي يُدان بالأكثر (شوره)، ولكي نكون نحن في أكثر حذر. لهذا السبب دُعي رئيس ظلمة هذا الدهر " (أف 6: 12)؛ أي رئيس الشر.

تكلّم أيها الشيطان، ماذا فعلت؟ يقول: لقد قمت بجولة في الأرض، لقد روت فيها، وها أنا هنا.

ماذا جلبت؟ لم يجلب شيئاً نافعاً أو صالحاً، لهذا لم يجب لماذا قام بالجولة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن كان عدو الخير لا يعرف الخوع، لن يهدأ عن المقاومة، حتى وإن غلب مرة وموات، لكن السيد المسيح أخرج شياطين من كثيرين، وفي مذلة كانت الشياطين ترة تعترف به أنه قدوس الله لعله لا يعذبهم، وترة أن يسمح لهم بالدخول في الخنزير، كما كانوا يقول: لماذا أتيت لتعذبنا؟ هكذا من يحمل السيد المسيح في داخله، ترتبك أمامه الشياطين، وكأنها تتضوع إليه أن يكف عن محاربتهم بصلواته وشركته العميقة مع المخلص.

إذ نقطع عهداً عملياً متجدداً مع الله ينهار عدو الخير حيث يتحرر المؤمنون من العهد الذي سبقوا فقطعوه معه. والعجيب عوض أن كانوا عبيداً لإبليس، يصير هو عبداً لهم، حتى إن بث سموه وحيلة وخداعه ضدهم، إذا بهذا كله يتحول لبنيانهم وتركيتهم وتمجيدهم.

❖ خلال الآلام صعد الرب إلى العلي وسبى سبياً، وأعطى الناس عطايا (مز 68: 18؛ أف 4: 8)، ووهب الذين يؤمنون به سلطاناً أن يديسوا على

[1405]

الحيات والعقلب وكل قوة العدو، أي سلطان على الارتداد.

القديس إيريناوس

❖ هنا الحماية الواقية تسير جنباً إلى جنب مع السماح بالضرب، ويتحقق التدبير الإلهي خلال الحماية، وخلال التخلي عن العبد المختار، فبينما يتخلى عنه يرحسه... هكذا سلم القديس في يد الخصم (أي 2: 6)، أما نفسه فمحفوظة في يد (الله) معينه، فإنه من ضمن القطيع الذي قال عنه الحق في الإنجيل: "لا يخطفها أحد من يدي" (يو 10: 28).

علوة على هذا، فإنهم لا يرون لوسيفر يقوم، هذا الذي قال عنه إشعياء: "لوسيفر الذي أشرق في الصباح"، ثم يكمل: "قُطع إلى الأرض" (إش 12: 14)، مشيراً إلى أنه لا يعود يستعيد كرامته السابقة. بسقوطه من السماء على الأرض رُاد دمار الإنسان، لكن الله يُعطي من لا يُخدع سلطاناً أن يدوس على الخائن بقدميه، ويحطمه إلى أجزاء.

الأب هيسخيوس الأورشليمي

هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا،

فَتَتَّخِذُهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟ [4]

يشير إلى الحيوان المذكور، أنه حتى وإن سقط في الفخ لن يدخل مع الإنسان في ميثاق، ولن يقبل أن يخدمه كعبد؛ إنه لا يُروض.

كثوفاً ما نظن أننا أقوىاء، لن تضرونا الخطية، ولا يقدر العدو أن يخدعنا، فنتهلون مع الخطية ونفتح الباب لعدو الخير، طانين أن مُستعبد ويمكن أن يخدمنا.

لقد فتحت حواء الباب للويثان، ودخلت في حوارٍ مع الحية، ورأدت أن تقيم عهداً ومعها زوجها ونسلها مع إبليس وجنوده. ظنت أنه سيخدمها العدو، إذ يكشف لها الطريق للتمتع بالألوهة والمعرفة، فإذا بها تسقط في مذلة العبودية له. الحوار مع عدو الخير والدخول معه في عهود لن يجدي، بل ينحدر لنا إلى الهلاك الأبدي.

لقد قدم إبليس عروضاً كثيرة للسيد المسيح أثناء التجربة على الجبل، وإذ ارفض كل عروضه، "توكله إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصلت تخدمه" (مت 4: 11).

❖ لست وحدك صانع الشر، بل يوجد من يدفعك إليه بعنف. إنه الشيطان الذي يقترح عليك الشر دون أن تكون له سيادة إلهية على من يقبله. لذلك يقول المبشر: "إن صعَدت عليك روح المتسلط فلا تتوك مكانك" [1406].

أغلق بابك واطرده بعيداً عنك فلا يصنع بك سوءاً، أما أن قبلت فكر الشهوة بغير مبالاة فستتغلغل جنوره فيك، ويُفتن ذهنك بحيله، ويهوي بك في هاوية الشرور.

قد تقول: أنا مؤمن، لا تقدر الشهوة أن تصعد إليّ حتى وإن فكرت فيها كثوفاً!

أما تعلم أن جذع الشجرة بالمقاومة المستمرة يستطيع أن يحطم حتى الصخرة؟! فلا تسمح للبقرة أن توجد فيك حتى لا تنزق إيمانك وتحطمه. اقتلع الشر بجذره قبل ما زهر، لئلا بإهمالك في البداية تحتاج بعد ذلك إلى فؤوس ونار.

عالج عينيك في الوقت المناسب عندما يلتهبان، لئلا تصير أعمى وتحتاج إلى طبيب! [1407]

القديس كيرلس الأورشليمي

أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُصْفُورِ،

أَوْ تَرْبِطُهُ لِأَجْلِ فَتَيَاتِكَ؟ [5]

الطير الذي يُروض يمكن اللعب به لأجل التسلية والترفيه، لكن الأمر ليس هكذا بالنسبة للويثان. لأجل التسلية تُصطاد الطيور وتوضع في أقفاص لتقف حولها الفتيات الصغيرات يتمتعن برويتها. في بعض البلاد غير المتقدمة يقوم الآباء بربط الطيور بخيط لكي ما يلهو به أطفالهم كوعٍ من

يظن عدو الخير في نفسه أنه رئيس هذا العالم، ليس لأحد سلطان عليه، ولم يدرك أن الكلمة المتجسد، إذ يقدم نفسه ذبيحة عن العالم كله، فقد ملكوته، وصار كأسير لا حول له ولا قوة يسحبه الأطفال الصغار بشجاعة ليطوئه بأقدامهم.

يقيم الله من المؤمنين جيش الخلاص الروحي، الذي لا عدو له سوى إبليس وملانكته. يرب مؤمنيه على القتال الروحي، ويهب حتى الأطفال الصغار إمكانية النصوة، فيقال عن الكنيسة التي كانت كعظام جافة مُلقاة في وسط بقعة: "فدخل فيهم الروح، فحيوا، وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً" (زمنية 37: 10)؛ كما يُقال عنها: "كورشليم موهبة، كجيش بألوية" (نش 6: 4).

رى البابا غريغوريوس (الكبير) أن الشيطان في خداعه يستخدم كل وسيلة لخداع الإنسان، فيظهر بكونه الذي يأكل عشبًا مثل الثور، وكأنه حيوان ذو أربع أرجل، موه أخرى يظهر بكونه لويثان في المياه يُصطاد بصنزة، وأخوًا يظهر كطائر في الجو. إنه يتعقب الإنسان أينما وجد سواء على الأرض، أو في البحر، أو طائرًا في الجو. إنه في غبوة الحيوانات بالوغم من حيله الخطوة القاتلة والجذابة، لكن في غبوة فقد مجده وأبديته، وهو خبيث كالتنين في البحر لا يكف عن أن يؤذي بكل وسيلة، وهو متكبر يرتفع قلبه ويتشامخ كمن يطير في الأعالي.

❖ بالتأكيد لعب به الرب كطائر إذ أظهر له الطعم بآلام ابن الله الوحيد، لكن اصطاده في الشبكة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ نجد في أيوب هذا المخلوق يلهو به الملائكة السماويون، وقد أعطى الرب تلاميذه سلطانًا أن يدوسوا على الحيات والعقرب وكل قوة العدو [1408].

ثيودورت أسقف قورش

❖ إننا نتطلع في دهشة أمام محبته التي بلا حدود ولا يُنطق بها، وطول أناته اللانهائية، وغوانه في كل لحظة لخطايانا التي نعترف له بها بلا حساب، ودعوته لنا بالوغم من عدم استحقاقنا السالف بل بنعمته ورحمته. كذلك فرص الخلاص التي يقدمها لنا بغير حدود، واهبًا لنا التبني، متعهدًا إيانا منذ الطفولة بالنعمة ومعرفة نواميسه. ووهب لنا أن نغلب به العدو (الشيطان) خلال رادته الصالحة فينا، مقدمًا لنا السعادة الأبدية والأكاليل الدائمة. كذلك تعهده بتدبير التجسد من أجل خلاصنا واتساع عجائب أسوره التي يقدمها للأمم جميعًا [1409].

الأب موسى

❖ في المعرك العادية لا يقوم القادة بتسليح النساء أو الأطفال أو الشيوخ، أما قائدنا الرب المسيح، فيزرع هذا السلاح الملوكي (الذي هو اقتناء المسيح نفسه) على الكل بالتسليوي. عندئذ يعلمهم حيل إبليس العسكرية [1410].

الأب ثيودورت

❖ اتبع العيس السملوي، لتصمد أمام الأعداء غير المنظورين. لنثر حربًا ضد الرئاسات والسلطين (أف 6: 12)، فتسحبهم ولأ عن نفسك، فلا يكون لهم نصيب فيك، وبعد ذلك تطردهم عن أولئك الذين يطهرون إليك طالبين الحماية بمشورتك.

اطرحهم تحت قدميك كقائدٍ لهم ومدافعٍ عنهم.

هل تجدد تلك المجادلات التي ضد الإيمان بالمسيح.

حرب بكلمة التقوى ضد المشورة الشؤرة الودينة. وكما يقول الرسول: "هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (2 كو 10: 5). ضع

تفتك فوق الكل، في نواع الملك العظيم، الذي بمجرد رؤيته يخاف أعدؤه وبرتعدون [1411].

القديس باسيلوس الكبير

هَلْ تَحْفَرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِينَ لِأَجْلِهِ حُفْرَةً،

أَوْ يَفْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكُنْعَانِيِّينَ؟ [6]

إذ كان لويثان مصدر رعب، ويمثل خطراً عظيماً، لم يهتم الصيادون باقتناصه بأية وسيلة، إذ متاعب صيده لا تولي مكاسبهم إن قسموه بين

التجار.

يقصد بالجماعة هنا جماعة الصيادين الذين يشتركون معاً لاقتناصه في شبكة أو فخ معين.

"يَفْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكُنْعَانِيِّينَ؟" جاء في الترجمة السبعينية: "هل تتغذى الأمم عليه؟" وجاء في الفولجاتا: "هل يقطع الأصدقاء؟"

عُرف الكنعانيون كتجار، فهل يقومون بتقسيمه أخراً، لبيعه؟

أَتَمْلَأُ جِدَّهُ حَوَابًا،

وَرَأْسَهُ بِإِلَالِ السَّمَكِ؟ [7]

يُصطاد السمك الكبير عادة بالحواب، لكن يصعب صيد التمساح بالحواب، لأنه لا يمكن حرقه بالحربة إلا إذا أصابته في بطنه التي يصعب

بلوغها. فظوه مغطى بحواشيف قوية للغاية لا يمكن للحربة أن تخترقها.

هنا يلمح إلى آلة تمثل حربة على شكل سمكة لها لسانان، كثوفاً ما توجد منقوشة على الآثار المصوية. هذه الحربة كانت عبلة عن عصارفيلة

طولها ما بين عشرة وأنتى عشرة قدماً، بهاريش مزوج في النهاية مثل السهم الحديث. ولها طرفان حادان طولهما حوالي قدمين يطوقهما سمكة. يدفع

صياد السمك بها في نهر النيل وهو في قرب مسطح بين قصب الوددي ونبات اللوتس عندما يرى فريسته التي بهازعانف ويسحب الآلة بيده اليمنى

[1412]

ويحركها على شكل قوس بيده اليسرى .

ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ.

لَا تَعُدْ تَذَكُرُ الْقِتَالَ! [8]

يُؤم الطوبوي أيوب مهمما كان وه أن يتذكر المعركة التي دلت بينه (في شخص أبيه آدم وحواء ونسلهما) وبين الشيطان، فبسبب هورتها لا

يحاول الإنسان أن يدخل موة أخرى في معركة مع هذا التمساح. يقول له: ألمسه إن كنت تجرؤ على ذلك. جيد لكن تتذكر المعركة السابقة قبل أن تبدأ

في المحاولة للقيام بمعركة جديدة، وإلا كانت النتائج وخيمة.

❖ تتبأ أيوب القديس عن مجيء الرب، الذي قال عنه بالحق أنه يهزم لويثان العظيم (أي 41: 8)، وقد حدث! فقد ضرب لويثان الوعب، الشيطان،

[1413]

وطوحه إلى أسفل، وأذله في آخر الأرمنة بالأم جسده المكوّمة .

القديس أمبروسيوس

يحذر الله الطوبوي أيوب من الدخول في معركة بقوته الذاتية ضد إبليس، ظاناً أنه قادر أن يضع يده عليه، أي يتسلط عليه ويغلبه.

❖ ماذا لو أن الله القدير خفف الانتقال التي نحملها، لكنه يسحب عنا عوننا، ويتركنا وسط تجرب لويثان هذا؟ إلى أين نذهب عندما يثور عدو قوى

ضدنا، إن لم نحتم بأية حماية لخالقنا؟

إن رأيت سيف المقاوم يهاجمك لا ترتعب من ضربات أب لك. فإنك ترى أن الضربات التي أضربك بها، لكنك لا تترك خطورة العدو الذي

أحررك منه بواسطة ضرباتي لك... إذن لتحتفظ أكثر فأكثر بالصمت وأنت تحت تأديب أب، قوى بالأكثر أنك ضعيف بالنسبة لهجمات العدو. عندما

تُضرب بإصلاحي لك، لكي ما تقتني الصبر وأنت تحتمله، تذكر عدوك ولا تحسب ما تعانیه بالأمر الشاق، فبالآلام الخرجية تتحرر أنت من الآلام

الداخلية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُؤذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَادِبٌ.

أَلَا يُكَبُّ أَيْضًا بِرُؤْيَيْهِ [9].

ليس من رجاء للغبلة عليه، إذ هو رجاء باطل. فما أن يتطلع الإنسان إلى هذا العدو حتى يسقط. مجرد التطلع إليه يزعج عن الإنسان رجاءه وشجاعته. هذا ما يحدث عند التطلع إلى التمساح.

❖ لا تتحقق النصوة بكمية المال ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الوب عونه مجاناً للذين يطلبونه بالأخوان المكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أخوانه، موضوع فخوه. لهذا صار قارواً أن يقول: "حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي"...
[1414] أترون إلى أين تفودكم الأخوان؟ إلى الرجاء الذي لا يخيب (رو 5 : 3).

القديس باسيليوس الكبير

❖ لا ندع اليأس يملكنا، إذ لنا حوافز كثرة في رجاء صالح، حتى وإن أخطأنا كل يوم، فلنتقرب إليه، متوسلين ومنتضعين، طالبين المغفرة من خطايانا، لأنه هكذا نبتعد عن الخطية أكثر، كلما حان الوقت العتيق الآتي، وهكذا نطرد الشيطان، ونستدعي محبة ورأفات الله، وننال بركات الدهر الآتي بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبهه للإنسان [1415].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَيْسَ مِنْ شَجَاعٍ يُوقِظُهُ،

فَمَنْ يَقِفُ إِذَا بَوَّجِهِي؟ [10]

ليس من إنسان حكيم يثير التمساح، وإن يدخل معه في معركة، فكيف يقف أمام الله نفسه كخصم ويقاوم خطته وأحكامه وحكمته. إن كان هذا هو الموقف مع مخلوق أوجده الله ليكون تحت قدمي الإنسان الذي وهبه الله سلطاناً على الخليقة، فكيف يأخذ الإنسان موقف التمرد على خالقه؟ من يقدر أن يقف أمام الله في غضبه؟

❖ يقصد بالقوي الشيطان، وما هو بيته إلا مملكته على الأرض، وأما أمتعته فهي أولئك الناس الذين يتشبهون ببليس أبيهم في شئونهم وأعمالهم. وكما أننا ندعو القديسين وأن مقدسة وأمتعة مكوسة، كذلك يمكن تسمية الأثوار أمتعة إبليس وأنيته، لأنهم يشتركون معه في الخبث والشر. دخل المسيح الكلمة وحده بيت إبليس، هذا العالم الأرضي، وربط الشيطان، في "سلاسل الظلام وطوحه" (2 بط 2 : 4). خلص لاري فلم يعد بعد أسوأ في مملكة الشيطان، وأصبح بتوبته جدواً بالبركات الإلهية، فنتعلم أن التوبة هي السبيل السوي للخلاص والفداء، فقد قيل: "التقوا إلي وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض" (إش 45 : 22) [1416].

❖ حسبك ما أشار به بحق وهو يندد بأعداء الرسل: "ويل للمكثر ما ليس له، وللمتقل نفسه رهوناً، ألا يقوم بغتة مقرضوك، ويستيقظ مزعوعوك، فتكون غنيمة لهم" (حب 2 : 6). فقد جمع الشيطان في حظوته كل سكان الأرض وهم ليسوا له، وجعلهم يسجدون له، ويعبدونه، فنتقل وتعظم، ولكن استيقظ البعض ليسلوه غنائمه، فقد ألقى الرسل بشبكة تعليمهم على المأسورين والخطاة، فوجعوا بها إلى الله مملوءة بأهل العالم قاطبة [1417].

القديس كيرلس الكبير

❖ "يقضي لمساكين الشعب، يخلص بني البائسين، ويسحق المفتوي" (مز 72 : 4). بحق يُدعى الشيطان "المفتوي"، فقد افتوى على كل من الله، فيسبب الحسد ادعى أن الله، منع الأكل من شجرة (معرفة الخير والشر)، وافتوى على أيوب بأكاذيب، قائلاً "هل حقاً مجاناً يتقى أيوب الله؟... أبسط يدك الآن، ومس كل ما له، فإنه في وجهك يجدف" (أي 1 : 9، 11). في الزمور الثامن أعطاه اسمي "عدو ومنتقم"، بينما يدعوه هنا (مز 72 : 4) [1418] مفترياً.

2. وصف لويثان

مَنْ تَقَدَّمَ نِي فَأُوفِيَهُ؟

مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَوَاتِ هُوَ لِي [11].

وى البعض أن العبرة هنا تعني: "من يصنع إحساناً فُردَه له؟"

وى آخرون أنه يقصد من يستطيع أن يتنبأ مقدماً عما سيحدث. فإن كان الإنسان لا يقدر أن يتنبأ مقدماً بما سيحدث وهو يصطاد وحشاً كاسواً، فكيف يظن أنه قادر أن يخضع الخالق نفسه، أو يرد له إحساناته؟ من يظن أن قادر أن يهني شيئاً، وأنا مالك كل شيء؟ يليق بالإنسان أن يخضع للخالق، ويقبل كل شيء بشكرٍ.

لَا أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ،

وَحَبِرَ قُوَّتِهِ وَبَهْجَةَ عُدَّتِهِ [12].

هنا يبدأ في تقديم وصف تفصيلي عن لويثان الذي سبق فتحدث عنه في هذا الأصحاح بصفة عامة. يقول: إنني لا أستطيع أن أصمت عن الحديث عن فمه وأسنانه وحواشيفه وجفون عينيه وفتحات أنفه، ورقبته، وقلبه. لم يُصِفِ الحيوان المشار إليه هنا لإوازن جماله، وإنما كمن له قوة عظيمة وشوس للغاية: "خبر قوته، وبهجة (نعمة) عدته"، أو جمال أسلحته. موضوع حديثه ليس جمال الحيوان، وإنما أسلحة دفاعه.

مَنْ يَكْشِفُ وَجْهَ لَيْسِهِ،

مَنْ يَدْنُو مِنْ مَثْنَى لَجَمَّتِهِ؟ [13]

ليس من يقدر أن يكشف وجه لباسه أو غطاءه، إي يزوع ثوبه القاسي المخادع، لكي وى جلده الداخلي، ولا من يجسر أن يضع لجاماً لفكيه كما يحدث مع الحيوانات الأخرى عند تلجيمها. ليس ممكناً أن يجسر ويأتي بلجام مضاعف لضبط صفي أسنانه.

❖ لويثان هذا يجرب أذهان المتدينين بطريقة ما، وأذهان الذين تكرسوا لهذا العالم بطريقة أخرى. فهو يقدم علانية للأشوار الشرور التي يشتهونها، ولكنه يلقي خفية الشباك للصالحين، ويخدعهم تحت مظهر القداسة... لهذا فإن الرسول بولس، إذ رأى البعض يكوسون أنفسهم لخدمة بطونهم تحت ثوب الكورة، يقول: "لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر" (2كو 11: 14). خشي يشوع هذا التغيير عند رؤيته ملاكًا فسأله من أي جانب هو، قائلاً: "هل لنا أنت أو لأعدائنا؟" (يش 5: 13).

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَنْ يَفْتَحُ مِصْوَاعِي فَمِهِ؟

دَاوَةُ أَسْنَانِهِ مُوعِبَةٌ [14].

يدعو فمه "مصواعي فمه"، فإنه كباب له مصواعان.

ينطبق هذا بالأكثر عن التمساح، فيقول Bochart أن أسنان التمساح تبلغ الثلاثين، وهو عدد كبير وأحجامها كبيرة أن قورنت بحجم جسمه، بعضها يبرز من الخرج، والبعض مسنن كالمنشار، متى امسك بالفريسة لا تقدر أن تتجو منه.

جاءت الترجمة السبعينية: "من يفتح مصواعي وجهه؟"

❖ "مصواعاً وجهه" هم المعلمون الأشوار الذين يدعون أبواب وجهه، إذ يدخل كل واحدٍ خلالهم حتى وى لويثان هذا كما لو كان قوته الملوكية... فإذ

تُقبل كوزتهم الباطلة، ينفث باب الهلاك للسامعين البائسين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَعُوهُ مَجَانُ مَانِعَةٌ مُحَكَّمَةٌ مَضْعُوطَةٌ بِخَاتِمِ [15].

صفوف حواشيفه مثل دروع تغطيه، يضم جسمه 17 صفًا، ليس من إمكانية لاختراق جسمه إلا عن طريق عينيه أو حنجرته (حين يفتح فمه)، أو بطنه.

وى Prof. Lee و Umbreit إن كلمة "فَعُوهُ" هنا في الأصل العوي geewoh وهي مثل gewah أو gevah التي تعني ظهورًا back حيث يغطي ظهر التمساح بالحواشيف.

إذ يغلق التمساح فمه يصير كما لو كان مختومًا بالشمع، فلا يتسرب هواء من بين فكليه ومن بين أسنانه.

❖ الشيطان قاسٍ وعديم الشفقة، وفي أعماقه لا يهدأ أبدًا، لأن الكتاب المقدس يقول عنه: " قلبه قاسٍ كالحجر، وهو يقف مثل سندان الحداد الصلب" LXX (أي 41: 15). لكن القديسين وطوّه تحت أقدامهم بقوة المسيح، لأنه قال: "ها أنا أعطيك سلطانًا لتوسوا الحيات والعقرب. وكل قوة العدو، ولا يضوكم شيء" (لو 10: 19). لذلك يقول المسيح "الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" [1419].

القديس كيرلس الكبير

أَوَاحِدُ يَمَسُّ الْآخَرَ،

فَالرَّيْحُ لَا تَدْخُلُ بَيْنَهَا [16].

كُلٌّ مِنْهَا مُلْتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ،

مُتَجَمِّدَةٌ لَا تَنْفَصِلُ [17].

❖ حواشف الخطة صلبه ومزايطة معًا، حتى تبدو أنه لا تقدر أية نسمة حياة أن تخترق فم الكارزين. فإن الذين يملسون ذنوبًا مشابهة يجتمعون معًا، في دفاع شوير، يصيرون معًا في اتفاقٍ عنيدٍ، حتى يحمي الواحد الآخر بدفاعٍ مشتركٍ عن خطاياهم. إذ يخاف كل واحدٍ على نفسه عندما وى غوه يُنتهر أو يُقوّم... وإذ يحمون بعضهم البعض في شوكة في شرورهم بدافعهم الشوير لا يسمحون لنسمة النصح المقدس أن تبلغ إليهم بأية وسيلة... الاتحاد يقوي الانحراف، ويجعلهم بالأكثر غير قابلين للتقويم، وبالتالي يصيرون متفقين معًا بالإجماع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عَطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا،

وَعَيْنَاهُ كَهْدَبُ الصُّبْحِ [18].

الحيوانات الومائية تغطس في المياه تكتم أنفاسها لمدة طويلة وفجأة تننفس بقوة فتكون كما لو كانت تعطس، بينما توجه أعينها نحو الشمس فتبدو كما لو كانت تشع نرًا، أو تطرد النفس فيبدو كما لو كان أشعة شمس.

"هدب (جفون) الصباح": يبرز المصريون عيني التمساح إلى قدام وكأنها تشير إلى الصباح المبكر. عندما يصعد التمساح إلى السطح أول ما

يبرز منه هو عيناه قبل كل جسمه فيكون كظهور الصباح.

وى البعض أنه إذ يبقى التمساح مدة طويلة تحت الماء يصعد إلى السطح ليطرد باندفاع قوي الماء من فتحتي انفه، فتظهر كأنها قوس قزح.

حين يكون التمساح في الماء تظهر عيناه باهتتين أو كليئتين أما عند صعود نحو السطح فتظهوران متألقتين جدًا.

❖ قال أنطونيوس: تظهر الشياطين غالبًا على هذا النحو، كما كشف الرب لأيوب بقوله: عيناه كهذب الصباح، ومن فمه تخرج مصابيح مشتعلة، وشار نارٍ يتطاير منه. من منخره يخرج دخانًا من قدرٍ منوخٍ أو من موجلٍ. نَفَسُهُ يشعل الجمر، واللهيب يخرج من فمه" (أي 41: 18-21).

هكذا يظهر رئيس الشياطين، كما قلت سابقاً، موعباً، ومتمكلاً بافتخارٍ وعجرفةٍ، كما أدانه الرب حين قال لأيوب: "يحسب الحديد كالتين، والنحاس كالعود النخر" (أي 41: 27). "يحسب البحر كأنه حمام ماءٍ، وقعر الهالوية كأنه أسير له، واللجة كأنها ممر له (أي 41: 24-25). وكما قال على لسان نبي: "وقال العدو: أتبعهم فألحقهم" (خر 15: 9). وقال على لسان نبي آخر: "سأقبض بيدي على المسكونة كلها، مثلما أقبض على العشب، وسلّفعها كما يرفع المرء البيض المهجور" (إش 10: 14). هذه الأمور تفتخر بها الشياطين، ويعنون بها الذين ينتقون الله ليخدعهم. لذا لاق بنا نحن المؤمنون ألا نخاف من ظهورات (إبليس) ولا نأبه بكلماته، لأنه كذاب ولا يتكلم بالصدق أبداً [1420].

القديس أثناسيوس الرسولي

مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحُ.

شَوَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ [19].

يوصف الحيوان هنا كمن يتقيأ نراً، فإنه إذ يفتح فاه وتظهر أنيابه، يبث نراً على من هم حوله. أو كمن يتنفس فيخرج نسيمات عنيفة نارية تقتل الفويسة وتحرقها.

❖ تصدر المصابيح عن فمه، إذ يشعل (المعلمون الأثوار) عقول سامعيهم بمحبة الآراء الخاطئة، وبينما يبدو كأنهم مشوقون بالحكمة إذا بهم يحرقون بالشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مِنْ مَنَحْرِيهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ،

كَأَنَّهُ مِنْ قَدْرِ مَنفُوحٍ، أَوْ مِنْ مَرَجَلٍ [20].

ينطبق هذا التشبيه على الفوس المستخدم في المعرك، أنها تُخرج من أنوفها دخان نار حرق.

❖ نسمة لويathan المكثفة تخرج من فتحتي أنفه، لأن شر كويائه يصدر بقوة من نفخات خبثه الواضحة... يُقال عن الدخان أنه يخرج من فتحتي الأنف، وذلك بخداع معجزاته، الذي يولد شكاً إلى لحظة، حتى في قلوب المختلرين. يخرج الدخان من فم لويathan من أجل العجائب الكاذبة حتى يوجد ضباب منذر يفسد أعين حتى أصحاب العقول الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

نَفْسُهُ يُشْعَلُ جَمْرًا،

وَلَهَيْبٍ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ [21].

استخدم ذات الوصف الشعوي عند الحديث عن غضب الله (مز 18: 8).

❖ ما هو هذا الذي يدعوه جمرًا إلا أذهان الناس الفاسدين، الملتهبة بالشهوات الأرضية؟ إنهم يكونون على نارٍ عندما يطلبون أي أمرٍ زمني، بالتأكيد لأن اشتياقاتهم التي لا تسمح لأذهانهم أن تكون في هوءٍ وَاوَانٍ تلهبهم. نسمة لويathan تلهب الجمر عندما تقوي اقتراحاته السرية عقول البشر نحو الملمات الشورية.

إن نسمة أشعلت البعض بمشاعل الكوياء، وآخرين بالحسد، وآخرين بالشهوة، وآخرين بالطمع. ألهب مشعل الكوياء في ذهن حواء، عندما اقترح عليها أن تستخف بكلمات وصية الرب. وأشعل ذهن قايين بلهيب الحسد عندما حزن لقبول ذبيحة أخيه، حتى بلغ إلى ارتكاب خطية قتل الأخ. أشعل قلب سليمان بمشاعل الشهوة، هذا الذي غلبه بمحبة النساء، وقادته إلى عبادة الأصنام، ونسي تقديم الكرامة اللاتقة بخالقه عندما اجتذبتة ملذات الجسد. أيضًا ألهب ذهن أخاب بحب الطمع عندما حثه - في تعجلٍ - أن يطلب كرم الغير، ودفعه هذا إلى جريمة القتل. لهيب الفم بالحق هو بعينه تقديم اقتراح سوي.

في عُنُقِهِ تَبَيَّتُ الْقُوَّةُ،

وَأَمَامَهُ يَتَوَسَّلُ الْهَوَلُ [22].

"فِي عُنُقِهِ تَبَيَّتُ الْقُوَّةُ"، أي أن القوة تقيم على النوام هناك. بينما تستقر القوة حول عنقه، إذ ينفث رعباً يتهلل الرعب ويرقص طرباً قدامه،

ينشر الوعدة على من هم حوله.

❖ نفهم من هذه الكلمات أنه يوجد ملك واحد، وهو خالق الكون كله. بينما على الجانب الآخر يوجد رئيس هذا العالم الذي يسمى نفسه ملك الظلمة.

تخدم روايات من الملائكة الملك الحقيقي، بينما يلتف حول رئيس قوى الظلمة روايات من الشياطين (كو 13:1). تتبع الرئاسات والسلطين والفضيلة

ملك الملوك ورب الأرباب. وفي الآخرة حين يُسلم المسيح المُلك لله الآب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة للعدو، فإنه لا بد أن

[1421]

يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت موطن قدميه (1 كو 15:24، 25).

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ماذا تعني الرقبة التي للويثان هذا سوى بسط كبريائه، حيث يتشامخ على الله، مع التظاهر بالقداسة، كما ينتفخ بكبرياء السلطة؟ يشهد النبي إشعياء

عن هذا الكبرياء المُعبر عنه بالرقبة هذا الذي وبخ بنات أورشليم قائلاً: "يمشين ممدودات الأعناق" (إش 3: 16). يقال إن القوة تبقى (تنبت) في

الرقبة التي للويثان هذا، وبسبب السلطان الذي أضيف إلى كبريائه. فإنه يواصل كبريائه المتشامخ وكل خططه الخبيثة بقوة سلطانه الزماني.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بمثل هذه الكلمات (يو 12:31؛ 14:30؛ 16:11) يشير إلى الشيطان كـرئيس ليس على خلائق الله، بل على الخطاة، هؤلاء الذين يشير إليهم هنا

باسم "هذا العالم". عندما يستخدم اسم "العالم" بمعنى الشرير. يشير السيد فقط إلى محبي هذا العالم، الذين كُتبت عنهم في موضع آخر: "محبة العالم

عدوة لله" (يع 4: 4). حاشا لنا أن نفهم الشيطان أنه رئيس العالم كمن يسيطر على تدبير أمور كل العالم، السماء الأرض وما فيهما. مثل هذا

العالم قيل عنه عندما تحدثنا عن المسيح الكلمة: "كُون العالم به" (يو 1: 10). العالم كله من أعلي السموات إلى أسافل الأرض يخضع للخالق ليس

[1422]

للهرب؛ للمخلص لا للمخرب؛ للمنقذ لا للمستعبد؛ للمعلم لا للمخادع.

❖ أما رئيس هذا العالم (الشيطان)، المسيطر حيثما وجد الضلال والاضطراب، فيبتعد عن إنسان تسود حياته السلام والترتيب الكامل ويسيطر عليها

ابن الله. فعندما ينشأ هذا السلام من الداخل ويثبت، فإن جميع الاضطرابات التي يثورها رئيس هذا العالم من الخرج، لا تستطيع أن تهز شيئاً من ذلك

البناء الداخلي، بل تؤدي قوة البناء من الداخل إلى فشل مكائد إبليس من الخرج. لذا أكمل الرب قائلاً: "طوبى للمطرودين من أجل البر. لأن لهم

[1423]

ملكوت السموات".

❖ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلام الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدر أن تخدموا الله والمال. [1424] فمن يعبد المال يخدم الشيطان

الذي لقبه ربنا (رئيس هذا العالم) وذلك لسيطرته بضلاله على الأشياء الأرضية فالإنسان إما أن يبغض "هذا الواحد ويحب الآخر" أي الله. أو يلام

الواحد "الشيطان" ويحتقر الآخر "الله". لأن من يخدم المال يخضع للشيطان القاسي المهلك. فإذا برتبتك بشهوته للمال يخضع للشيطان ويلزمه رغم

عدم محبته له، لأنه من منا يحب الشيطان؟! ويكون بذلك يشبه إنساناً أحب خادمة لدى شخص عظيم، فبالرغم من عدم محبته لسيدها إلا أنه يخضع

[1425]

لعبوديته القاسية بسبب محبته للخادمة.

القديس أغسطينوس

مَطْوِي لَحْمِهِ مُتَلَصِّقَةٌ،

مَسْبُوكَةٌ عَلَيْهِ لَا تَتَحَرَّكُ [23].

عادة طبقات اللحم التي عند العنق وعند البطن رخوة وضعيفة، أما هذا الحيوان فإن طبقات اللحم عند رقبتة متلاصقة، مسبوكة كما من الحديد، قوية.

يا لها من صورة بشعة، فكما ينمو جسد المسيح ليضم كل يوم نفس تتمتع ببرّ المسيح وقداسته وتصير شريكه معه في المجد، هكذا ينمو أيضًا جسم إبليس ليضم من هم أكثر شؤًا من السابقين، ويتلاحم الكل معًا كمطوي لحم إبليس المتلاصقة معًا، وكأنها صلت كتلة واحدة كالحديد مسبوكة معًا لا تتحرك نحو التوبة والروح إلى الله. اتحاد الأشرار معًا مفسد للنفس، يغلق الباب أمام الكثوين للتفكير في جدية نحو التمتع بالحق الإلهي. إن كان السيد المسيح قد ضمنا إليه لنكون أعضاء جسده الواحد، وذلك بتمتعنا بالإيمان به، وولادتنا بالروح أبناء الله في مياه المعمودية. رسالتنا أن نضم بالحب كل يوم الذين يخلصون ويتمتعون معنا بالشوكة معه في الحياة الجديدة المقامة التي وهبنا إياها. هكذا فإن مطوي جسم الشيطان هم الذين قبلوا البتوة له ، واتحدوا معه خلال أعماله، وهم لا يكفون عن سحب الكثوين معهم ليكونوا أعضاء في جسم إبليس يشلكونه مصوه الأخير أكثر منهم فالشوير يُسر حين يضم معه من يصير أشر منه.

❖ جسم لويثان (الأشوار فعلاً) كله فاسد، إذ ليس لديهم اشتياق نحو مدينتهم الروحية. مطوي جسم لويثان هم الذين ينضمون إلى هؤلاء الأشخاص في حياة شوية، بل ويسبقون الأولين في طريق الشر... في جماعة لويثان هذا الشوية، هؤلاء هم أعضاء جسمه الذين بأفعالهم الشوية يضمون إليه من هم يصيرونهم أكثر شؤًا منهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

قَلْبُهُ صُلْبٌ كَالْحَجَرِ،

وَقَاسٍ كَالرَّحَى [24].

يقول السيد المسيح: "إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجرة أولاداً لإبراهيم" (مت 3: 9). ما هي هذه الحجرة التي تهب لإبراهيم أولاداً سوى عبدة الأصنام، الذين يعبدون الحجر، وأبناء إبليس الذين يحملون قلبه الصلد الحجري (أي 41: 24)، ليصيروا أولاد الله حاملين إيمان إبراهيم. روى البعض أن الحيوانات المفترسة الضخمة، مشاعرها ضعيفة، وقلبها قاسٍ إن صح التعبير، لا تبالي بصرخات الفيسة، والدماء المسفوكة منها وهي بين أنيابها.

يختار هنا حجر الرحي السفلي، لأنه يؤرم أن يكون أقسى وأثقل من الحجر العلوي، حتى يحتمل حركة الحجر العلوي وضغطه عليه. ربما يتساءل البعض: ألا تُعطى فرحته للشيطان أن يتوب؟ منذ سقوطه وهو ليس فقط في تصميم على مقاومة الله، وإنما يوايد عنقاً في موقفه، بل ويثير البشوية للتشبه به، ومشركته عنفه وقسوة قلبه، فمع الزمن يمتلئ بالأكثر كأس شوه ولا يبالي بالعقاب الأبدي إنما يجد مسوته أن يشركه بنو البشر هذا المصير.

❖ قلب العدو القديم سيبقى كالحجر، فإنه لن يلين بأية ندامة للتوبة. إنه سيتهياً فقط لنفخات العقوبة الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنه عنيف، لا يعرف الشفقة ولا يمكن تهدئته في القلب. وكما يقول عنه الكتاب المقدس: " قلبه قاسى كحجر، يقف كالسندان لا يُضوب" LXX (24:41). لكن المسيح يضعه تحت أقدام القديسين. يقول: "ها أنا أعطيك سلطاناً لتوسوا الحيات والعقرب وكل قوة العدو، ولا يضوكم شيء" (لو 10:19) [1426].

القديس كيرلس الكبير

❖ هكذا أيضاً يُغير الشيطان نفسه في شكل ملاك نور (كو 14:11)، لا لكي يصعد هوة أخرى إلى حيث كان، إذ قلبه صلب كالسندان [1427]،

ما يشغل فكر إبليس ليس مصوه المر، وإنما كيف يجتذب نفوس البشر إلى الشر، خاصة نفوس المؤمنين، فإن رأى نفساً قوية كالحديد وصلدة كالنحاس، يوجه سهام شوه حتى يتحول الحديد إلى قش (تبني)، والنحاس إلى عود خشب هزيل. يركز العدو ضوابطه بالأكثر من الكارزين والشاهدين للحق الإنجيلي، والعاملين في كرم الرب.

❖ عندما يمسك لويثان هذا بذاك السيف الذي تدعوه الأسفار المقدسة "ضد المسيح"، لممرسة شوه، يحول الحديد إلى قش، والنحاس إلى خشب، ما لم تتدخل النعمة الإلهية لتذهب حماية منه، حتى لا يحول قوة الكارزين إلى قش ويهلكهم بنار شوه، ويجعلهم كالأوب بتحويل صوهم إلى خشب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَا يَسْتَوُّهُ نُبْلُ الْقَوْسِ.

حَجْرَةُ الْمَقْلَاعِ تَرْجِعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ [28].

يمكننا تفسير هذه العبارة أنها تخص المؤمن، فإن كان عدو الخير يبذل كل الجهد لحث المؤمنين على الشر، معوكته لا تتوقف قط ضد كنيسة المسيح، فإن المؤمن من جانبه لا وهب هذه الحروب الشيطانية مادام مستوّاً بالسيد المسيح، حاملاً سلاح الإيمان الحي. لا يرتعب من نبال قوس إبليس، ولا حجرة، فحجرة مقلعه التي تصير أشبه بالقش، لن تصيبه بأذية ما.

❖ إن قلت إن القوة المضادة قوية جداً، وإن للشر سيادة كاملة على الإنسان، فإنك بهذا تنسب لله الظلم حينما يدين البشر بسبب خضوعهم للشيطان، لأن الشيطان قوي جداً ويخضع البشوية بقوة لا تقاوم. بهذا تجعل الشيطان أعظم وأقوى من النفس، ثم تقول لي لا تخضع للشيطان. هذا مثل معركة بين شاب وطفل صغير، فإن ينهزم الطفل يُدان على هزيمته. هذا ظلم عظيم! [1431]

القديس مقاريوس الكبير

❖ لا تخف إذن من الشيطان، حتى وهو بلا جسد، حين يقترب من الجسد. فإنه ليس من هو أضعف من ذلك الذي يقترب بهذه الكيفية مع أنه غير ملتحف بجسد، وليس أقوى من ذلك الشجاع الجريء حتى وإن حمل جسمًا قابلاً للموت! [1432]

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَحْسِبُ الْمِطْرَقَةَ كَقَشٍّ،

وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِزَاجِ الرُّمَحِ [29].

لا يمكن لأية أداة أو سلاح أن يوح التماسح، ولا لقوة بشوية أن تلحق به. ❖ وي البابا غريغوريوس (الكبير) إن هذه العبارة تنطبق على إبليس الذي ينتهوه الرب ويوبخه، وكأنه يُضوب بمطوقه، لكن في إصوار على شوه لا يبالي بضوابط المطوقه بل يحسبها كالقش، بل يضحك في سخوية بهذه الضوابط.

هذا ينطبق أيضاً على الأثوار المتمسكين بشورهم في عناد، فإن الله يسمح بتأديبهم لعلمهم ورجوعهم إليه، لكن هذه الضوابط بمطوقه التأديب تصير بالنسبة لهم كالقش، ولا ورجعون إلى الحق الإلهي. إنهم كسيدهم الشير - إبليس - لا يباليون باهتزاز الومح الإلهي لتأديبهم.

❖ يهز الرب الومح ضد لويثان، إذ يهدده بحكم قاسٍ لدموله. فإن اهتزاز الرمح هو إعداد الموت الأبدي له بعقوبة صرامة. لكن الروح المعاند، إذ يستخف بخالق الحياة، حتى وهو يُهدد بموته يضحك على ذلك الذي يهز الرمح. مهما كانت رؤيته المسبقة لمصوه الوعب القاسي يقترب إليه بحكم حزم، فإنه لا يخشى حلوله عليه. وإنما كلما أرك أنه عاجز عن الهروب من العذابات الأبدية رُداد في ممرسته الشر بأكثر عنف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مرة أخرى إذ تنطبق هذه العبارة على المؤمن الحقيقي، فإن عدو الخير الذي يود أن يضعه على السندان ويضوبه بالمطوقه، يشكله على حسب هواه، فإن الله لا يمنع المطوقه، ويسمح له بوضعه على السندان، لكن تتحول ضوابط المطوقه إلى قش لا قيمة له، ولا تأثير له على فكر المؤمن وحياته.

الله لا يمنح تجرب الشيطان وإغوائته، لكنه يهب مؤمنيه قوة، فتتحول التجرب إلى هباء، وينال المؤمن نصوة وإكليلاً.

تَحْتَهُ قُطْعُ خَرْفٍ حَادَّةٍ.

يُمَدِّدُ نَوْرَجًا عَلَى الطَّيْنِ [30].

ربما يشير هنا إلى حواشيف حادة وقاسية مثل قطع الخرف الحادة. يوجد في بعض أجزاء جسم التمساح حواشيف حادة، حتى عندما يستريح على الوحل الموجود على الشاطئ النهر يكون كمن هو مستقر على أسنان نرج حادة. ولعله يقصد أنه إذ يستريح على قطع صخرية حادة أو حجرة مسكورة لا يشعر بتعبٍ أو أذية منها، إنما يكون كما لو كان مستريحاً على وحلٍ. ووى بعض الدلسين أنه إذ تصوب حوله الوماح وغوها من الأسلحة تتكسر وتتبعثر حوله، وكأنها قطع خرفية حادة ملقاة حوله. ووى آخرون أن هذا الحيوان أن استراح على وحلٍ، فإنه عندما يترك المكان يترك آثار الحواشيف وكأنها أسلحة تركت آثارها على الوحل.

يَجْعَلُ العُمُقَ يَغْلِي كَالْقَدْرِ،

وَيَجْعَلُ البَحْرَ كَقَدْرِ عَطْرَةٍ [31].

بحركته السريعة تحت الماء يجعل النهر أو البحر أشبه بقدرٍ يغلي. إنه يجعل البحر أشبه بوعاء به عطور؛ هنا إشارة إلى رائحة المسك Musk التي تخرج من التمساح كما كانوا يظنون. وى البعض أنه إذ يتحرك بقوة في أعماق البحر يثير الوحل الذي به، وذلك كما يحرك الإنسان وعاء العطر لكي يحمل الطيب الرائحة من الرواسب التي بالوعاء.

كلمة "بحر" هنا تشير إلى نهر النيل وذلك لاتساعه، فإلي يومنا هذا يُدعى في كثير من بلاد الصعيد "البحر". كما ينطبق أيضاً على نهر الفوات.

❖ ماذا يعني بالبحر سوى حياة المحيين للعالم، وماذا يعني بالعمق سوى أفكلهم العميقة الخفية؟ فإن لويثان هذا يجعل هذا البحر العميق يغلي مثل قدرٍ، فإنه واضح جداً أنه في أيام الاضطهاد الأخوة يعمل على إثارة أذهان الأشرار ضد المختلزين بلهيب القسوة. حين تغلي الأطياب تخرج منها رائحة ذكية. سيخدع لويثان قلوب الأشرار فيظنون أن مهما فعلوا من شرور عدم الإيمان، يحسبون أنهم يفعلونها من اجل الحق والإيمان المستقيم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يا لخداع العدو الخبيث، إنه يثير الأشرار الذين يشبهون البحر ويسيطر على أفكلهم الدفينة ليحتهم على مقاومة ولاد الله بكل وسيلة، وإذ يقتلونهم يحسبون أنفسهم يقدمون خدمة لله، كقول السيد المسيح نفسه (يو 16: 2).

تغلي أعماقهم بالشر، ويحسبون أنهم يقدمون أطياب الحق ورائحته الذكية، مقابل ما يقدمه السيد المسيح - الحق - في حياة ولاده ليقولوا مع الرسول بولس: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله" (2 كو 2: 15).

يُضِيءُ السَّبِيلَ وَرَاءَهُ

فِي حَسْبِ اللُّجِّ أَشْيَبَ [32].

بسبب سوعة حركته يتوك وراءه رغوى foam بيضاء، وذلك كما يحدث عند سير السفن السريعة وسط المياه. أثره تبدو كشر الإنسان المسن الأشيب.

كما يجعل السيد المسيح مؤمنيه الحقيقيين "تور العالم" يضيئون به على المحيطين بهم ليدخلوا بهم إلى مملكة النور، هكذا يخدع العدو أتباعه. إنه يظهر كملاك نور (2 كو 11: 14)، ويوحي لأتباعه أنهم يعرفون الحق ويضيئون السبيل، وصلرت لهم حكمة خفية فصلرت لحجمهم أو أعماقهم أشبه بالإنسان الأشيب صاحب الخوة الطويلة والحكمة العملية.

❖ لا يستغرب أحد للهطقات الموجودة اليوم، إذ أنها كانت منذ البدء وذلك لأن الشيطان يحول بمهارة الخط بين الكذب والحقيقة. وكما أن الله منذ

البدء وعد الإنسان بخوات كثرة، كذلك الشيطان يُغوي دائماً بوعده المخادعة. الله زرع لهم جنة عدن، وجاء الشيطان وقال لهم: "ستكونون مثل آلهة" وفي الواقع لم يقدر أن يعطيهم شيئاً، كل ما في الأمر أنه بهوهم بوعده فقط. وهذا ما يفعله المخادعون [1433].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَيْسَ لَهُ فِي الْأَرْضِ نَظِيرٌ،

صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ [33].

جاء في العبرية "على الطين" . ليس من حيوان نظوه، أو أن الأرض لم تخرج حيواناً موعباً من جهة قوته وعنفه وشجاعته وشواسته. كأنه خُلِقَ لكي لا يخاف ولا يهرب أحداً.

حقاً ليس لإبليس نظير على الأرض، وكما يقول البابا غريغوريوس (الكبير) مع معرفة البشر بسقوطه بسبب أفعاله، مع هذا فإنه لم يفقد إمكانياته الملائكية (قواته التي حولها للشر)، فاجتذب الجنس البشري وأخضعه له. إنه يفاخر بقوة طبيعته التي استطاع بها أن يسيطر على البشر. ❖ هذا هو العدو الذي يجب أن نهرب منه. فمن هو هذا الأسد الذي يتتبعنا؟ ينبهنا القديس بطرس ويقول لنا: " إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتصقاً من يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان" (1بط 5: 8-9).

إذاً يوجد أسد قد صعد من غابته: فأين هي هذه الغابة؟ إنه سقط إلى أسفل. لقد قتل إلى أسافل الأرض، إلى أعماقها.

أنت إنسان، أنت أعلى من الشيطان، لأنك على أي حال من الأحوال أفضل منه. أما هو فبسبب فساده قد هبط إلى أسفل.

إذاً ما خرج هذا الأسد من غابته أي من مكان عقابه (الجحيم)، فسيفال: " قد صعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم. خرج من مكانه ليجعل لرضك خواباً" (إر 4: 7). إنه يريد أن يدخل إلى لرضك، ويريد أن يفترس كل واحد منا.

"تغرب مدنك فلا ساكن. من أجل ذلك تنطقوا بمسوح ح". إذاً، بما أن الأسد قد صعد إليك ليهددك وليبيد لرضك، ألبس المسوح، وابك وتتهاد وتضوع إلى الله بالصلوات أن يُفني هذا الأسد ويهلكه حتى تتخلص منه، ولا تسقط بين أنيابه. لأنه يحاول أن يصطادك عن طريق أذنك، حين يلقي إليك بكلمات كاذبة محببة إلى نفسك، ليجعلك تحيد عن طريق الحق. وهو يريد أيضاً أن يفترس قدميك، ويوعهما من فوق أرض الحق. ليكن! تنطق بمسوح، واقع صدرك، ابك، واصوخ صرخات الحرب حينما ترى العدو يهددك، حتى يرتد حمو غضب الرب عنك، لأنك تكون قد دخلت إلى المدينة الحصينة. فلنشكر الله الذي ينقذنا في المسيح يسوع الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبدين أمين [1434].

العلامة أوريجينوس

يُشْرَفُ عَلَى كُلِّ مَتَعَالٍ.

هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ [34].

يختم وصفه بأنه في تشامخ يتطلع إلى كل الحيوانات الشوسة والعنيفة المتعالية أنها أقل منه، فهو يشرف عليها كملكٍ صاحب سلطان، ليس من حيوان يقدر أن يقاومه. الكل يخضع له، وهو لا يخضع لأحدٍ.

يُدعى الأسد ملك الغابة أو ملك الحيوانات، إنه أحد أبناء الكبرياء، حيث يتشامخ بقوته وإمكانياته. لكن أمام الحيوان المذكور هنا يفقد الأسد لقبه.

❖ إنه يتطلع إلى أسفل كمن هو فوق الكل، الذين هم تحته. في صواحه ضد خالقه يستخف بأن يُحسب أحد مثله... في هذا حسناً قيل بالنبي: "ويل للحكام في أعين أنفسهم، والفهماء عند نواتهم" (إش 5: 21). هكذا يقول بولس: "لا تكونوا حكما عند أنفسكم" (رو 12: 16).

❖ "هو ملك على كل بني الكبرياء". لويثان هذا لكي يسقط في كل الأمور السابق ذكرها، ضوب نفسه بالكبرياء... لقد هاجم مسحة خلودنا بذات السلاح، وذلك كما حطم حياته المطوبة. لكن الله قدم هذا في نهاية حديثه، إذ بإشترته لكبرياء لويثان هذا بعد ذكر كل شروره يشير إلى أنها أشر

الخطايا جميعها...

الإنسان الذي يتشامخ بلا خجل في ذهنه، يحل به الدمار سريعاً. مكتوب: "قبل الكسر الكوياء" (أم 16: 18).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد سقطنا تحت سلطان أعدائنا - أي "ملك هذا الدهر" وأعرانه من قوى الشر. نتيجة لهذا نشأت حاجتنا إلى الفداء بواسطة ذلك الذي يشترينا حتى نعود من حالة التعرب عنه. لذلك بذل مخلصنا دمه فدية عنا.... وإذ أن "مغفرة الخطايا"، وهي تتبع الفداء تصبح مستحيلة قبل أن يتحرر الإنسان، فلا بد لنا أولاً أن نتحرر من سلطان ذلك الذي أخذنا أسرى واحتفظ بنا تحت سيطرته، وأن نتحرر بعيداً عن متناول يده، حتى نتمكن من أن نحظى بغفران خطايانا وبالوئء من حراحت الخطية، حتى ننجز أعمال التقوى وغورها من الفضائل.

❖ والحق؛ أما إذا فضّلنا الشهوة عن الله فتملك الخطية علينا، حيث يقول الرسول: "إذاً لا تملك الخطية في جسدك المائت" (رو 6: 12).
إذن ملكان يباوان لكي يملكاً، تملك الخطية أو الشيطان على الأثوار، ويملك العدل أو المسيح على الأوار.

إذ كان إبليس يعلم أن المسيح جاء ليغتصب ملكوته، ويخضع لقوته وسلطانه أولئك الذي كانوا قبلاً خاضعين للمخادع، "رأه جميع ممالك المسكونة" وكل سكان العالم، رأه كيف يملك على الواحد بالشهوة، وعلى الآخر بالبخل، وثالث بحب المجد الباطل، ويأسر آخرين خلال جاذبية الجمال... وكان الشيطان يقول له: أتريد أن تملك على كل الخليقة؟! ورأه الجوع غير المحصية التي تخضع له، والحق يُقال لو قبلنا أن نعرف في بساطة بؤسنا ونؤرك مصيبتنا لوجدنا الشيطان يملك في معظم العالم، لذلك يسميه الرب "رئيس هذا العالم" (يو 12: 31؛ 16: 11). وعندما يقول إبليس ليسوع: أؤى جميع الشعب الخاضع لسلطاني؟ يكون قد رأه ذلك "في لحظة من الزمان"، إذ يحسب الوقت الحالي لحظة أن تهرن بالأبدية... حينئذ قال إبليس للرب: أجت لتصلح ضدي، وتترع عني كل الذين هم تحت سلطاني؟ لا، لا تحلوا أن تقلن نفسك بي، ولا تعرض نفسك لصعاب هذه المعركة. انظر كل ما أطلبه منك، "إن سجدت أمامي يكون لك الجميع".

بدون شك يود ربنا ومخلصنا أن يملك، لكن بالعدل والحق وكل فضيلة... لا يريد أن يكمل كملك بدون تعب (الصليب)...

أجابه الرب قائلاً: "مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (تث 6: 13). رادتي هي أن يكون الكل لي يعبدونني، ولا يسجدون لغوي. هذه هي الرغبة الملوكية. أتريدني أن أخطئ أنا الذي جننت لأبيد الخطية وأحرر الناس منها؟!

لنوح ولنبتهج نحن إذ صونا له، ولنصل إليه ليقتل الخطية التي ملكت في أجسادنا (رو 6: 6) فيملك وحده علينا [1435].

العلامة أوريغينوس

من وحي أيوب 41

بك أغلب من غلب البشرية!

❖ ليس لي ما أقدمه لك سوى ذبيحة التسبيح، يا محب كل البشرية!

جننت إلى عالما والتحفت بناسوتنا،

صوت إنساناً حقيقياً، فطمع إبليس فيك.

ظنك كسائر البشر تتحني له في مذلة.

❖ قدمت له جسدك طعماً، فوثب ليلتهمه على الصليب.

أمسكت الصنلة الإلهية به،

وصار من ظن في نفسه ملك العالم العوبة.

سقط في الفخ، وربط لسانه كما بحبل الإيمان!
سخرت به الفتيات الصغوات. سقط من سماء قلوبهن كالورق.
انحط ليصير تحت أقدامهن.

ظن أنه بكلمات اللين المخادعة يفلت من يدك.
اعترف أنك قنوس الله وأترك أنك جئت لتقصيه عن مملكته.
لرتبك العدو، لكن في طغيانه استمر في شوه.

❖ مزقت بصلييك عهدي مع عدو الخير.
حررتني من هذا الذي ظن أنه يستعبدني أبدياً.
عوض مذلتني له، صار هو ذليلاً،
لم تبطل مقاومته لي، لكنها لم تعد تحطمني، بك أغلب من غلب البشرية!

❖ لن أعود أثق في وعوده.
لن أدخل بعد في حوارٍ معه.
لن أفسد وقتي بكلماته!
يكفيني عهدك العجيب معي!
قدمته لي مكتوباً بدمك على الصليب.

❖ في خداعه يتقدم لي أينما وجدت.
على الأرض رآه يأكل العشب كالثور.
وفي البحر رآه كالتمساح يسبح.
وفي الجو يزأى كالطير منطلق إلى الأعالي!
إنه يستخدم كل وسيلة ليضمني إليه.
يثير الشهوات ليجد الإنسان فيها لذة.
ويبيت روح الكوياء لينفخ المؤمن بوه الذاتي.
يزأى كأسدٍ لوعب ناظريه.
ويظهر كملاك نورٍ ليخدع المؤمنين.

❖ يربط الأثوار به كأنها حواشف تمساح.
كل يتحد مع البقية ليكونوا جماعة صلبة مؤابطة.
لا عمل لهم إلا أن يضموا كل يوم حواشف جديدة.
تهداً ضمائرهم حيث يعمل الكل معاً.
باتحادهم معاً لا يتكون أحداً منهم يفلت من أيديهم.
إذ لا يسمحون لنسمة النصح المقدس تتخللهم.

- ❖ ينفث العدو شر كبريائه من أنفه.
وتصدر مصابيح خادعة من فمه.
يملاً الجو بدخان الخداع بمعزواته الكاذبة.
ويتسلل إلى عقول الفاسدين بنوره الكاذب.
- ❖ ينفث نوراً على أذهان الأثوار، فيجعلها نوراً مدموة،
تلهب الملذات الشروية فيهم.
يتشامخ ورقبته الممدودة كصاحب سلطانٍ.
يبث روح البغضة والكراهية في العالم،
فيحول له قلوب الكثرين إلى حجرة تحمل سمات قسوته.
- ❖ يا للعجب، فإن حربته ضد الكنيسة لا تهدأ. يريد أن يحول النفوس الحديدية إلى قشٍ تافهٍ،
والقلوب الصلدة كالنحاس إلى خشبٍ هزيلٍ.
يركز ضرباته على الكارزين بالحق،
ويوجه سيوفه ورماحه ضد العاملين في كرم الرب.
لم يتعظ من معركة الصليب.
إذ صار الأطفال بالصليب جنوداً أبطال،
وتحولت نبال قوسه إلى تبنٍ واهنٍ!
- ❖ يا لحماقة إبليس! إنه لم يتعظ من درس الصليب!
في عنادٍ يحث أبناءه الأثوار على اضطهاد ولاد الله.
يسيطر على أفكلهم الدفينة ويخدعهم.
وفيما هم يقتلون الأوار، يظنون أنهم يخدمون الله.
وهم يقاومون الحق يحسبون أنفسهم حاملين رائحة الحق الذكية.
- ❖ يلقي بالمؤمنين على السندان، ويضرب عليهم بكل قوته بالمطوقه،
يظن أنه قادر أن يَشكلهم ليصيروا على شبيهه.
لا يمنعه المصلوب من أن يضرب، لكن يحول مطوقته إلى قش بلا قوة!
وتصير تجلبيه علة نصوة وأكاليل مجدٍ لأولاد الله.

<<

الباب السادس

أيوب يستعيد ضِعْف ما فقدَه

أي 42

<<

الأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالْأَبْعُونَ

عودة أيوب إلى المجد!

المشهد الأخير

جاء الأصدقاء الثلاثة إلى أيوب ليعزوه، وعض التقرية كانوا أن يحطموا نفسه، ويفقنوه سلامه الداخلي. هذه هي تغريات البشوية، إنها باطلة! أما الله وإن تحدث مع أيوب في شيء من الحزم، لكنه هو المغزي الحقيقي الذي وإن سمح بالتجربة يقدم المنفذ، وإن سمح بالحوارات فهو يشفي، بل ويمجد المرابين. إن كانت كلمات الله لأيوب دفعته لممارسة التواضع، فقد فتح له التواضع أبواب مخزن الحب الإلهي. ردَّ الله لأيوب أكثر مما كان يتصور، إذ لم يببره فحسب، بل وأقام منه شفيحًا عنهم، فصار رمزًا للسيد المسيح الشفيح عن البشوية المقاومة له.

نهاية مفرحة

- 1 . إذ أظهر أيوب في إجابته على الرب خضوعًا عظيمًا، تجلى الرب أمامه. أجاب الرب على أسئلته عمليًا ، فإن كان أيوب قد احتار بسبب ما أصابه من محنٍ وضيقاتٍ، جاءت الإجابة إنها طريق الغلبة على الشيطان وكل حيله، ونوال إكليل المجد مع التمتع بروية الرب خلال نقلة القلب. لقد وجد أيوب نفسه وهو في المذلة كزه الحقيقي المُشبع لكل احتياجاته الداخلية، ألا وهو رؤية الرب!
2. رد الرب على كل الاتهامات الموجهة ضده من أصدقائه ، إذ شهد الرب له أمامهم، كما سبق فشهد له أمام الشيطان نفسه. "لم تقولوا في الصواب كعبدي أيوب" [7] . انهم الأصدقاء أنه شيرير وموائي، تقدماته عن أبنائه غير مقبولة لدى الله، وهذا الرب نفسه يعلن عن كهنوته، مطالبًا أصدقائه أن يطلبوا منه الصلاة من أجلهم وتقديم محرقات، لكي يزيل الله عنهم حماقتهم.
- 3 . لقد طلب أيوب أن يلتقي مع الله وجهًا لوجه ويعرض قضيته. الآن قد التقى معه في الوقت المناسب ، ولم يجد شكوى يقدمها للرب، فقد قبل

أيوب سمو الله الفائق، وأدرك أن تصرفات الله لها أعماقها التي لا يمكن للعقل البشري أن يحدها.

4. أدرك أيوب حقيقة نفسه ، فقدم توبة في تواضع أمام الله [5-6] . إذ أعلن أيوب أنه ليس لديه دعوى نحو الله، عرف طريق إصلاحه، إنه يتحقق خلال نعمة الله المجانية، لا عن استحقاقه الذاتي.

5 . تحقق إصلاح أيوب في اللحظة التي فيها نسي آلامه، وتشفع في إخوته . لقد قبل الأصدقاء أن يظهروا أمام المشهد كله أنهم في مركز الخطاة، وأنهم محتاجون إلى صلوات أيوب عنهم وشفاعته من أجلهم لدى الله. لم يضم الله أليهو إلى الأصدقاء الثلاثة حين دانهم، فمن أجل نقلة قلبه وغيورته الصادقة نحو برّ الله، كان يكفيهم أن يروى أيوب يتمجد في عيني الله وأن الأصدقاء الثلاثة يتشفعون به.

6 . إذ انتهت المحاكمة لم يترك الله أيوب ليموت في وسط آلامه. فقد وهبه ضعف ما فقد من ممتلكاته وأيضًا ما يعادل أبنائه وبناته، لأن الذين رفقوا هم أحياء عنده. لقد أراد الله بنهاية حياة أيوب أن يعلن أنه يود أن يُسر الإنسان بعطايا الله ويتنعم بها ما دامت عيناه تتطلعان إليه وقلبه يقدم ذبيحة شكر وتسبيح.

7 . خاب أمل الشيطان في أيوب، فقد نال صفة مرة.

1 - تواضع أيوب 4-1.

2 - رؤيته للرب 5-6.

3- إدانة الأصدقاء 7.

4- أيوب الشفيع 8-9.

5 - رالة سبي أيوب 10-12.

6 - بنين أيوب وبناته 13-15.

7- مات أيوب شيخًا 16-17.

1 - تواضع أيوب

ليس من طريق للمجد سوى التمتع بروح التواضع المملوء حبًا، أي الشوكة في سمات السيد المسيح بكونه المحبة الذي يدعونا. "تعلموا مني لأني وديع ومواضع القلب، فتجنوا راحة لنفوسكم" (مت 11: 29).

فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: [1]

بينما كان الأصدقاء مصممين أن يعترف أيوب بخطايا الخفية التي سببت له هذه الكوارث المتلاحقة، وأن يسأل الله المغفرة عنها، إذا بالله لم يوبخه على خطايا خفية، وإنما قدم له أسئلة ليبرك عزه عن فحص حكمة الله وخطته وتدبوه. كان يليق بأيوب أن يثق في رعاية الله الفائقة حتى حين يسمح له بتجربٍ تبدو غير محتملة.

مهما بلغت حكمة الإنسان فإنه ككائنٍ خاضعٍ للزمن لا يقدر أن يبرك فكر الله، وأن يتعرف على مقاصده من جهة أبديتنا.

قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ،

وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ [2].

بعد أن اعترف بقوة الله الفائقة، اعترف أيوب بجهله لخطة الله، وأنه كان يليق به أن يثق فيه دون تردد أو تساؤل. كأنه يقول له: "توكت لا تحد، وحكمتك مطلقة، ألا يليق بي أن أسلمك كل حياتي بلا جدال!؟"

حقًا عندما تحل بنا التجرب، خاصة إن كانت ثقيلة ومفاجئة ومتلاحقة، يدور في أذهاننا الكثير من التساؤلات، منها:

- هل هذه التجرب هي تأديب لنا عن خطايا معينة؟ لنفحص ونتأمل في الله مخلصنا، فهو غافر الخطايا، ولا يعود يذكوها.
- هل هي حوب من الشيطان لتحطيمي؟ لست أخشى عدو الخير وكل حيله، فإن الله وهبني سلطاناً عليه، وصار موضعه تحت قدمي المؤمن.
- هل هي لامتحاني، كما حدث مع أيوب؟ فلأثق في السيد المسيح الذي يقويني ويهيني روح النصوة.
- هل هي لأسباب لا أعرفها؟ لأتواضع أمام الله، واثقاً في حكمته الإلهية غير المتركة.
- ❖ بعد أن أظهر الرب لخادمه الأمين كيف أن لويانان عدوه قوي ومخادع، أجاب أيوب على الأميين، قائلاً: "لقد علمت أنك تستطيع كل شيء"، أما عن مكائده الخفية فقد أضاف "وليس من فكر مخفي عنك" [1436].

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ!

وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ.

بِعَجَائِبِ قُوِّي لَمْ أَعْرِفْهَا [3].

هذه العبارة مُقتبسة من كلمات الله القدير (أي 38: 2)، نطق بها ليوبخ أيوب على الطريقة التي استخدمها في شوحه لمعاملات الله. نطق بها الرب لأنه كثراً ما نخفي مشورة الله أو نشوهها بكلمات نطق بها في جهالة...

كأنه يقول: أنا هو الرجل الذي بلا معرفة، فقد صلت خطيتي أمامي، ففي عدم معرفة لم أترك مقاصدك الإلهية من جهة التجرب التي حلت

بي.

في تواضع حقيقي وندامة يعترف أيوب أنه قد أخطأ في كلماته تحت ثقل ضغط الألم، ودخل في حوار بخصوص خطة الله كمن هو الند للند،

مع أنه لا يستطيع اوارك خطة الله. كأنه يقول له: "أنا إنسان، نطقت بما لم أفهمه، أقحمت نفسي في أمور إلهية عجيبة تفوق إراكي!"

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن أيوب ينتقد لويانان بهذه العبارة: [مع أن لويانان يعمل في الخفاء ضد من يجربهم، لكنه لا يقدر أن يخفي

شيئاً عن الدافع عن المجريين].

❖ "لذلك قد نطقت ببغوة، بأمور تفوق معرفتي" . كل حكمة بشوية، مهما كانت دقيقة تُحسب غبوة متى قرنت بالحكمة الإلهية. فإن كل الأفعال

البشوية العاملة والجميلة، متى قرنت بعدل الله وجماله، لا تكون عادلة ولا جميلة، بل ولا وجود لها نهائياً.

هكذا مع أن موسى قد تنرب على كل حكمة المصويين، إلا أنه عندما سمع الرب يتكلم للحال اكتشف أنه إنسان متردد وتقبل اللسان، قائلاً:

"أسألك أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر 4: 10) ... هكذا أيضاً

لرميا، إذ سمع كلمات الله، وجد نفسه ليس لديه كلمات ينطق بها، إذ يقول: "أه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" (إر 1: 6) ...

انظروا كلما وبخ أيوب نفسه تقدم بالأكثر، واعتقد أن معرفته وايدت بلا مقياس، لأنه تبين في كلمات الرب أسرار حكمته، فوق تصوره.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِسْمَعِ الْآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ.

أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمْنِي [4].

لم يعد أيوب يتكلم لكي يحتج على ما حلّ به، وإنما في تواضع يتوسل لكي يكشف له الله عن حكمته، فإنه مشتاق أن يتعلم.

تغيرت لهجة أيوب، لم يعد يحلور الله كمن هو عالم بكل شيء، لكنه يعترف أنه محتاج إلى الله نفسه ليشرح له ما لا يبكره. إنه لا يكف عن أن

يسأل لكي يهبه الرب فهماً. يطلب في تواضع أن يتعرف على الحق الإلهي.

الكلمة العبرية "shaa'al" سأل" تحمل تواضعاً عميقاً ورغبة جادة في التعلّم. إنه يتوسل إليه لكي يعلمه.

لم يعد أيوب يطلب أن يدخل في حوارٍ وجدالٍ مع الله، لكنه يسأل أن يسمح له أن يجلس عند قدميه ويتعلم منه ما هي طوقه الإلهية غير

المركبة.

❖ "السمع" بالنسبة لنا يعني أن نهيب أذننا في موضع معين لتسمع صوتاً قادمًا من موضع آخر. أما بالنسبة لله الذي ليس فيه شيء خلجي، فالسمع هو أن يتطلع أن اشتياقاتنا التي تصعد إليه من أسفل. بالنسبة لنا الحديث مع الله العرف بقلوب حتى الساكتين، فهو ليس أن نتوه بكلمات صاورة عن حنجرتنا، بل أن نشاق إليه وغبات حرة. ولأن الشخص يسأل سؤالاً حتى يستطيع أن يتعلم شيئاً مما يجله، فبالنسبة للإنسان أن يسأل الله تعني أن يدرك أنه جاهل في عيني الله. أما إجابة الله لكي يعلم إعلاناته السوية لمن في تواضع يعوف جهله...
أيوب نفسه كان يسأل الله خلال اشتياقاته وفي تواضع، وكان يطلب الإجابة من الله بتعليمه بإعلان يقدم في الكلمات التالية. أعلن أيوب أنه يريد أن يقدم سؤالاً ومع هذا لم يقدم شيئاً على شكل سؤال.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2 - رؤيته للرب

بِسْمِ الْأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ،

وَالآن رَأَيْتُكَ عَيْنِي [5].

يعترف أيوب أنه ما كان قبلاً يعرفه عن الله هو خلال السماع عنه، فكانت معرفته عنه غامضة ومظلمة. لكن الآن واه ويتمتع ببهائه، فينال معرفة مباشرة خلال الرؤيا. معرفته له صلت واضحة وبهية خلال استنارة عينيه الداخليتين.
يعترف أيوب أنه قد جاءت الإجابة إليه على غير ما يتوقع. ربما كان ينتظر من الله أن يكشف له خلال رؤيا أو حلم عن سبب ما حلّ به، فيستريح قلبه. ربما انتظر من الله أن يخوه بأن ما حلّ به لا يُقرن بجانب ما يعده له في الدهر الآتي. أما أن يظهر له الله ويتجلى أمامه، ويتحدث معه، فهذا ما لا يمكن أن يتصوره.

حقاً أن رؤية الله سواء بالقلب خلال الإيمان أو وجهاً لوجه في يوم الرب العظيم لمكافأة فائقة! إن أقصى ما يبيغيه الإنسان هو أن رى الله.

❖ بهذه الكلمات يعلن بتأكيد واضح جداً أنه كما أن النظر أسمى من السمع، هكذا أيضاً صار التقدم الذي صار إليه خلال الألم، إذ جعله يختلف عن حاله السابق. وإذ رى نور الحق بالعين الداخلية بأكثر وضوح صار يميز بوضوح ووى ظلمة بشريته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِذَلِكَ رُفِضُ وَأُنْدَمُ فِي التَّوَابِ وَالرَّمَادِ [6].

إذ رأى أيوب الرب اكتشف أيضاً نفسه أنه خاطي وذنس، كما حدث فيما بعد مع إشعياء، فإنه إذ رأى السيد تملأ أذنيه الهيكل أترك أنه نجس الشفتين (إش 6: 5). في دفاعه عن نفسه أمام أصدقائه كثراً ما حسب نفسه بلّواً، إذ كان يقرن نفسه بالبشر المحيطين به. لكنه الآن استخف بنفسه أمام قداسة الله ووه وجلاله. هذا ما فعله القديس بطرس الرسول حين صنع الرب معجزة وأترك الرسول لاهوته، فصوخ: "يارب أخرج من سفينتي، فإني إنسان خاطي" (لو 5: 8).

باطلاً بذل الأصدقاء كل جهدهم لإقناع أيوب أنه خاطي عظيم، أما حضرة الله فدفعت أيوب إلى التوبة من كل القلب بتواضع وانسحاقٍ.

❖ كلما عجز الشخص عن رؤية نفسه يعجز عن الاستياء من ذاته. وكلما ميّز نور النعمة العظمي، أترك أنه ملوم بالأكثر... أن يندم الإنسان في التَّوَابِ والرَّمَادِ بعد تأمله في الكائن الأسمى هو أن يعرف الإنسان نفسه أنه لا شيء سوى تَابِ ورماد. لذلك فإن الرب يقول في الإنجيل عن المدينة الجاحدة: "لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في الموح والرماد" (مت 11: 21). فإن الموح تعلن عن

خشونة الخطية ووجعها، وأما الرّواد فهو رّاب الموتى. لهذا يُستخدم كلاهما عادة في الندامة، حتى نعرف ما نفعله خلال الخطية، وذلك يوجعنا
المسوح، وبأن نكون في رّاب الرّواد، فنترك ما بلغناه خلال الحكم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بعين الإيمان يتطلعون إلى عدل الله، فلا يشتاقون إلى إقامة رّهم الذاتي. إنهم يستهينون بأنفسهم، كما يقول أيوب، وينحلون ويحسبون أنفسهم رّابًا
ورمادًا (أي 42: 6). هذا ما تعنيه العبارة: "يعودون إلى رّابهم"، ولكن إذ ينالون روح الله يقولون: "لا أحيأ أنا، بل المسيح يحيأ فيّ" (غل 2: 20).

[1437]

هكذا يتجدد وجه الأرض بمجوع القديسين خلال نعمة العهد الجديد .

❖ سيكون للعين قوّة سامية متسعة. ليس قوّة البصر الحاد، مثل تلك التي توصف بها الحيات والنسور، فإنها مهما بلغت حدة بصوها لا تقدر أن تميز إلا

المواد الجسدية، وليس قوّة إبصار غير الجسديات. هذه القوّة العظيمة للرؤية التي ربما وهبت لعيني القديس أيوب وهو بعد في الجسد المائت، حين
قال لله: "بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيناى، لذلك لرفض وأندم في التراب والرّواد" (أي 42: 5-6). هذا بالرغم من أنه ليس من سبب
به نرفض فهم هذا بخصوص عين القلب التي يقول عنها الرسول: "مستنوة عيون قلوبكم" (أف 1: 18). أما عن كون الله سؤى بهذه العيون فهذا

ليس من مسيحي يشك فيه، هذا الذي بالإيمان يقبل أن إلهنا وسيدنا يقول: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8)، لكن سؤالنا هو هل

[1438]

سؤى الله أيضا في الحياة المقبلة بالعين الجسدية؟

القديس أغسطينوس

3- إدانة الأصدقاء

وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ،

أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِيفَازَ التِّيْمَانِيَّ:

قَدْ اخْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ،

لَأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ [7].

إذ كان أيوب يعاني من ثقل الآلام، فإن ما نطق به عن الله يُحسب أفضل بكثير مما نطق به أصدقؤه وهم غير مجربين ولا متألّمين. ربما قد
صدرت بعض كلمات غير لائقة من أيوب، لكن الله كان يسمع كلمات قلبه وتنهاته وصوراته الخفية، فحسبه أبرّ منهم.

أعلن الرب لأليفاز - أكبر الأصدقاء وأحكمهم - أن حكمهم على أيوب خاطئ، ليس فيه صواب، لأنهم كانوا عاجزين عن إرواك حقيقة البار

أيوب. إدانتهم لأخيهم أثار عليهم الغضب الإلهي.

بحسب المظهر الخرجي كان أيوب يبدو كمن هو متذمر على الحكم الإلهي بينما كان أصدقؤه يدافعون عن أحكام الله. لكن بلغة القلب كان

أيوب مبررًا أمام الله، وأما هم فكانوا مُدانين.

❖ يستمر الله في دعوة أيوب عبده، لكي يشير أنه قد مسح كل ما قد عبر من جهته. تكلم أيوب بالصدق عندما نطق بخصوص أعماله الصالحة، أما أنتم

فإدانتكم له لم تتطقوا بالصواب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد فضل أيوب لدى الحكم الإلهي عن أولئك الذين كانوا يدافعون عن الحكم الإلهي...

بإشترته إلى أيوب أنه "عبد" أشار الله أنه في كل دفاعه لم ينطق أيوب بكوبياء متشامخ، إنما بالحق المواقف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4- أيوب الشفيح

وَالآنَ فَخُنُوا لِأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثَوَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ،
أَذْهِبُوا إِلَى عِبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعُبُوا مَرْقَةَ لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ،
وَعِبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ،
لَأْتِي رَافِعُ وَجْهَهُ لِيَلَّا أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حِمَاقَتِكُمْ،
لَأَنْتُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعِبْدِي أَيُّوبَ [8].

تصوف الرب العجيب يذهل الإنسان! فإنه وإن عاتب أيوب في حديثه الشخصي معه، وكشف له عن عجزه عن إرواك قوة الله وحكمته وخطته، إلا أنه أمام الأصدقاء الذين قاوموا أيوب بمجده. يحسبه شفيحاً عنهم أمامه.

هذه هي مسرة الرب أن يمجد مؤمنيه ويرفعهم أمام إخوتهم كما أمام السمائيين، ويدخل بهم إلى الأحضان الإلهية.

كان رقم 7 يُنظر إليه كرمز للكمال، فكان رقماً عاماً عند تقديم ذبائح حيوانية (لا 23: 18، عد 29: 32). حتى عند غير اليهود نجد بلعام يطلب من بالاق، ملك موآب، أن يعد هذا العدد من الذبائح (عد 23: 1، 29).

عجز الأصدقاء عن تقديم تغوية لصديقهم وسط شدة تجربه، أما أيوب فقد زكاه احتمال التجرب لا ليتبرر في أعين أصدقائه فحسب، وإنما وهو بعد وسط الضيق، وقبل شفاء جسده واسترداد الممتلكات الزمنية وتمتعه بأبناء قادر أن يشفع أمام الله في أصدقائه الذين كانوا أن يحطموه! ظن أصدقاء أيوب أنهم قادرون على إصلاح أيوب بحكمتهم وفلسفتهم البشوية، والآن يؤكد لهم الرب أنهم محتاجون أن يصلح أيوب من حياتهم بالصلاة.

❖ استخدم الله أصدقاء أيوب ليقدم شهادة عن فضيلة شخصية. وبنفس الطريقة أوضح خطورة خطأهم باستخدام هذه الوسيلة الاستثنائية لتقديم الذبيحة. فإنه ما كان يدعو إلى هذه الذبائح الضخمة لو لم تكن الخطية التي استوجبت هذا خطوة. أبرز أيضاً أن الذبيحة وحدها غير كافية، إذ يقول من أجله لم رد أن أعفيكم من خطيتكم. بهذا أيضاً أظهر أنه يغفر لهم من أجله... بهذا نتعلم أن اتهام البار ليس بالخطية الهينة لكي يُكفر عنها.

❖ الصلوات (التي للآخرين عنا) لها نفع عظيم عندما نساهم نحن أيضاً من جانبنا. أتريدون أن تعرفوا مدى نفع الصلوات؟ أقول، تأملوا كورنيليوس وطايبيثا (أع 10: 3، 9: 36). اسمعوا أيضاً يعقوب قائلاً للابان: "ولا مهابة أبي كانت معي لكنك الآن قد صوفتني فرغاً" (تك 42: 31). اسمعوا أيضاً الله قائلاً: "أحامي عن هذه المدينة من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (2 مل 6: 20). ولكن متى؟ في أيام حزقيا الذي كان بلاً. إذن إن كانت الصلوات تفيد حتى بالنسبة للأشوار جداً، فلماذا لم يقل الله هذا عندما جاء نبوخذنصر، ولماذا سلم المدينة؟ لأن الشر غلب بالأكثر. أيضاً صموئيل نفسه صلى عن الإسرائيليين وانتصر. ولكن، متى؟ عندما هم أيضاً سورا الله، عندئذ حلوا الأعداء. تقولون: وما هي الحاجة إلى صلاة الغير إن كنت أنا نفسي أسر الله؟ لا تقول هذا يا إنسان. نعم توجد حاجة وحاجة إلى صلاة أكثر. اسمعوا الله يقول عن أصدقاء أيوب: "عبدى أيوب يصلي من أجلكم فتغفر خطاياكم" (اجع أي 42: 8). حقاً لقد أخطأوا، لكن ليست خطية عظيمة. لكن هذا البار الذي أنقذ أصدقاءه بالصلاة، في الوقت الذي فيه لم يكن اليهود قادرين على إنقاذ الهالكين. لقد تعلموا هذا؛ اسمعوا الله يقول بالنبى: "إن وقف فوح ودانيال وأيوب، إنهم لا يخلصون بنبيهم وبناتهم" (اجع حز 14: 14، 16). فقد انتصر الشر. موه أخرى: "وإن وقف موسى وصموئيل...". (إر 1: 15). أنظروا قيل هذا عن النبيين، لأن كليهما صليا عنهم، ولم ينتصروا. [1439]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا إلى الله العادل الرحيم، فإنه لم يترك أخطاءهم دون أن يوبخهم، ولا ترك جريمتهم دون هداية. فإنه إذ هو طبيبنا الداخلي، يظهر أولاً فساد جرحنا، وبعد ذلك أشار إلى العلاج لنوال الصحة. وقد سبق فقلنا أن أصدقاء الطوبوي أيوب يمثلون الهواطة، الذين يقاومون الله، بينما يسعون للدفاع

عنه. فإنهم بكلماتهم يثورون ضد الحق وهم يظنون أنهم يخدمونه بزاعمهم الباطلة.

يجب ملاحظة أنهم قد أمروا أن يقدموا للرب ذبيحة عن اهتدائهم، لا يقدمونها بأنفسهم، بل خلال أيوب. بلا شك عندما يرجع الهواطة عن خطأهم، لا يستطيعون أن يهدئوا سخط الله من نحرهم بتقديم ذبيحة بأنفسهم... ما لم يرجعوا إلى الكنيسة التي يشير إليها أيوب... كأن الله يقول للهواطة بصراحة: لا أقبل ذبائحكم. لا أستمع إلى كلمات توسلاتكم إلا من خلال شفاعة الكنيسة التي كلمات اعترافها بخصوصي حقيقية... خلالها وحدها يقبل الله الذبيحة وهي وحدها تشفع بثقة في الذين يخطئون.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَدَهَبَ أَلِفَاؤُ النَّيْمَانِيِّ وَيَلْدُ الشُّوْحِيِّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيِّ،

وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ.

وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ [9].

"قبل الرب أيوب"، أي قبل صلواته وتقدماته لصالح أصدقائه.

يقول الحكيم: "نهاية أمر خير من بدايته" (جا 7: 8). لم يمنع الرب الشيطان من أن يعرب أيوب، ولا منع زوجة أيوب وأصدقائه من مقاومته والسخرية به واتهامه ظلماً، لكنه في الوقت المناسب رفع وجهه أمام العالم كله، بل وبقي وجهه مرفوعاً عبر الأجيال، ويرفعه بالأكثر في يوم الرب العظيم.

لم يوسل له ملاكاً ولا رئيس ملائكة ولا شاربياً أو سلروف ليغويه ويطمئنه، بل قول الرب بنفسه ليرفع وجهه.

❖ عندما فقد أيوب كل ثروته، وعندما فقد بنيه، بدت كل الأشياء تعمل ضده (أي 1: 13-21)، ولكنه إذ أحب الرب عملت كل الشرور التي حلت به معاً لصالحه (أي 42: 9-17). قروح جسمه أعدته لإكليل السماء. قبل زمن التجربة لم يتحدث الله معه قط؛ أما بعد التجربة فقد جاءه الله وتحدث معه في ود، كصديق مع صديقه. لتحل الكثرة، ولتأت كل فاجعة، مادام المسيح قادم بعد الكثرة [1440].

القديس جيروم

يليق بنا التدقيق في عبرة: "رفع الرب وجه أيوب"، فإذا غفر الله لأصدقائه من أجل صلواته عنهم، حسب الله هذه العطية مقدمة لأيوب نفسه.

كان قلب أيوب بسيطاً وامتسحاً بالحب حتى لمقاوميه، فخرجت الصلاة عنهم كما لو كانت تخصه هو، فهم موضوع حبه!

❖ يليق ملاحظة أن العفو الذي نالوه قد تم بحرص هكذا كما أعلن الرب، فإن الرب لم يرفع وجههم بل وجه أيوب الطوبوي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5 - زالة سبي أيوب

وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لِأَجْلِ أَصْحَابِهِ،

وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لِأَيُّوبَ ضِعْفًا [10].

هذا التعبير يستخدم عندما يستود الإنسان وضعه وإمكانياته فيكون كمن تحرر من السبي ورجع إلى بلده يملس حياته في حرية وكرامة.

لا يعني هذا انه نال ضعف ما كان يملكه فجأة، وإنما يمكن أن يكون ذلك قد تحقق تدريجياً.

ليس عجباً أن يُقال عن أيوب: "رد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه". فإنه تمتع بالحرية الداخلية عندما رفع قلبه وفكوه كما يديه من

أجل مقاوميه كي يصفح الله عنهم. ليس من طريق للتمتع بالحرية سوى انفتاح قلوبنا بالحب، ليس فقط لأحبائنا وأقربائنا، وإنما حتى لمقاومينا ومضطهديننا.

إذ احتمل أيوب التجرب دون أن يجدف على الله، بل كان مشغولاً بملكوت الله، لذا نال مكافأة مضاعفة حتى في هذا العالم. يقول السيد المسيح:

"الحق أقول لكم، إن ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو أهوة أو أولاداً من أجل ملكوت الله، إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية" (لو 18: 29-30).

الله الذي لا ينسى من يقدم كأس ماء بارد، حتماً يود لنا أضعاف ما تقدمه بطريق أو آخر في هذا العالم كما في العالم الحاضر. قد لا يهبنا مكافآت مادية لكنه وسط الضيق يهبنا فرحاً داخلياً وسلاماً سمولياً وتغويات إلهية وشبعاً للنفس، وسعادة دائمة!

"رد الرب سبي أيوب": تعبير شرقي يعني أن الرب رد له زدهله السابق. كانوا يتطلعون إلى من فقد نجاحه وخواته كمن صار في سبي أو سجن يود التحرر منه. يقول المرتل: "أخرج نفسي من الحبس، فأصبح اسمك" (مز 142: 7) [1441].

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله كرم عبده أيوب حيث غير طبيعة الأرض، فصلت تنتج له ثمرًا مضاعفة على غير العادة. هكذا يغير الله قوانين الطبيعة لأجل تكريم الذين يكومونه.

[عرفت الأسود دانيال فانضبطت. جاء ابن الإنسان إلينا ونحن لم ننضبط!]

لقد فضلت الأسود أن تموت جوعاً ولا تلمس جسم القديس، ونحن زى المسيح يتعوى ويموت جوعاً (في إخوته) ولا نقدم لهم ما هو فائض عنا، بل نحيا في ترفٍ ونتجاهل القديسين. موة أخرى الأرض قدمت لصديق آخر لله (أيوب) عطايا كثيرة هكذا من أحشائها، فقدمت محصولاً لم يحدث من قبل [1442].

❖ أما ترون ماذا يعني أن نفقد شيئاً من أجل الله؟ إنها تعني أن تستوديه مضاعفاً. تعدكم الأناجيل بما هو أكثر. "مائة ضعف" بجانب الحياة الأبدية (مت 19: 29) في المسيح يسوع [1443].

العلامة أوريجينوس

❖ جعل صلواته أكثر فاعلية لحسابه عندما قدمها لصالح الآخرين. فإن ذبيحة الصلاة تُقبل بالأكثر في عيني الديان الرحيم عندما تحمل نسمة الحب لل قريب. ويضيف الشخص من فاعليتها إن قدمها لأجل أعدائه. فإن الحق الذي هو معلمنا يقول: "صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (لو 6: 28). موة أخرى يقول: "ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم" (مز 11: 25).

❖ قيل ليهودا المتألماً: "حيطة توكتك، وبواحم عظيمة سأجمعك" (إش 54: 7) ... فإن الذى ضُوب بسماح من الله تألم بكلمات أصدقائه أيضاً، وعندما تعوى بواسطة عطايا الرحمة الإلهية تأهل أيضاً أن يتعوى بالحب البشوي، فكما أن الآلام ومتاعب الألم جرحته من الجانبين هكذا أفرح التعويات تتقابل من كل جانب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد وَا (الرسول بولس) أن إواهيم عندما اعترف أنه نفاية ورماد وجد نعمة الله في تواضعه الشديد (تك 18: 27). وقرأ أن أيوب إذ جلس في كومة مزبلته استود كل خسائه (أي 2: 8، 42: 10-17) وقرأ نبوة داود: "يقيم الله المحتاجين من الأرض، ويرفع البائس من المزبلة" (مز 113: 7) [1444].

القديس أمبروسيو

❖ كما قلت، كثيرون دعوا لله وأنقذوا للحال دون انتظار الحياة العتيدة. أيوب كمثل سلم إلى الشيطان بناء على طلبه مبتلياً ومملوء نوداً، لكنه نال في هذه الحياة صحته واستعاد ضعف ما خسوه. بينما الرب جلد ولم يوجد من يعينه [1445].

القديس أغسطينوس

ما تمتع به أيوب يحمل صورة أروفاً لما نتمتع به نحن في المسيح يسوع، حيث رد سببنا نحن الذي استعبدنا أنفسنا لإبليس، وقدم لنا أمجاداً

مضاعفة.

فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعْرِفِهِ مِنْ قَبْلُ،
وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ،
وَرَبُّوا لَهُ وَعَزَّوْهُ عَنْ كُلِّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ،
وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطةً وَاحِدَةً،
وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ [11].

أظهر أصحابه ومعارفه أن مقاومتهم له كانت عن جهلٍ، إذ وجههم الرب إلى الحق خضعوا من كل القلب بإخلاص، واعترفوا بخطأهم، وجاءوا بتقدمات لأيوب رجل الله.

واضح من هذا النص أن إخوته وأخواته لم يأتوا إليه طوال فترة تجريبته، مما جعل التجربة أكثر مرارة. فإنه حتى أقرب من له لم يفتروا إليه لتجريبته ومساعدته (راجع أي 19: 13-14).

قدم كل شخص له قطعة من الفضة؛ جاءت في الترجمة السبعينية "قدم حملًا".

كانت عادة قديمة أن يقدم الأصدقاء هدايا لمن خرجوا من ضيقة، كما حدث مع حزقيال (2 أي 32: 23).

لا زال في بعض مناطق الشرق عندما يسقط إنسان في ضيقة يفقده أصدقائه وأقربائه ويقدمون له هدايا ليعوضوه عما فقد منه ويسنوه في ضيقته، وكتعبير عن اشتياقهم للعودة إلى ما كان عليه من زدهار [1446].

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن إخوة أيوب وأخواته الذين استخفوا بأيوب أثناء محنته رجعوا إليه يقدمون هدايا عندمارد الرب سببه، هؤلاء يشيرون إلى اليهود الذين استخفوا بالسيد المسيح عند آلامه وصلبه ولم يؤمنوا، فإنه إذ يأتي إيليا في آخر الأيام يود الكل إليه (رو 11: 25-26).

وَبَرَكَ الرَّبُّ آخُوَةَ أَيُوبَ أَكْثَرَ مِنْ وُلَادِهِ.
وَكَانَ لَهُ رُبْعَةُ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ النِّعَمِ
وَسِتَّةُ آلَافٍ مِنَ الْإِبِلِ
وَأَلْفُ زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ وَأَلْفُ أَتَانٍ [12].

في اختصار شديد ختم السفر بتحويل نوان التجربة المحرقة إلى نوان مجد سماوية، هذا هو سرّ الألم العجيب! إنه سرّ المجد الحقيقي.

6 - بنين أيوب وبناته

وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ [13].

آخر مرة أشير فيها إلى زوجته هي في (أي 19: 17)، حيث يئن أيوب بأن نفسه كان غريبًا بالنسبة لها. هذا دفع البعض إلى الاعتقاد بأن أبناء وبنات أيوب كان من زوجة ثانية (ربما بعد وفاة الأولى).

وي العلامة أوريجينوس أن الأبناء والبنات يشيرون إلى عطايا الله للمؤمن؛ الأبناء يرمزون لأعمال الروح الصالحة، والبنات أعمال الجسد المقدسة في الرب. فولادة البنين والبنات تشير إلى عمل روح الله الذي يقدس الروح والقدس، ليحمل المؤمن ثمار الروح في كل كيانه.

في يوم الرب العظيم يقف أيوب أمام الرب قائلاً:

"ها أنا والأولاد الذين أعطاهم الرب". هكذا يليق بكل مؤمن أن يكون ولودًا، لا يكف عن أن يلد - في الرب - أولادًا مقدسين.

وَسَمَى اسْمَ الْأُولَى يَمِيمَةً،
وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعةً،

وَاسْمُ الثَّالِثَةِ قَرْنٌ هَفُوكَ [14].

ذكَوت أسماء البنات هنا للتعبير عن جو السعادة والفرح الذي ساد العائلة:

"يميمة"، جاءت في السبعينية Heameram وتعني نهلاً، فكان جمالها كنور النهار. جاءت في النسخة الكلدانية الملاحظة الآتية: "أعطاها اسم يميمة، لأن جمالها مثل النهار". لاحظت النسخة السبعينية والفولجاتا والكلدانية أن "يميمة" مشتقة من الكلمة العبرية "يوم Yowm". فقد انتقل أيوب من ليل التجرب إلى نهار الفرح. فقد أشرق النور على خيمته.

جاءت الملاحظة التالية في الكلدانية: "كانت ثمينة مثل الكاسيا". وقد وردت الكاسيا في (مز 45: 8) بين الأطياب الثمينة.

الثالثة تحمل اسماً لطلاء يستخدم لومش العين eye-lashes لكي تظهر العين أكثر اتساعاً وجمالاً، حيث أن العيون المتسعة إحدى علامات الجمال في الشرق.

يقول Rosenmuller في تعليقه هذه على العبرة أن كاتباً يهودياً يدعى سليمان يركي Solomon Jarichi يلاحظ أن أسماء بنات أيوب تشير إلى جمالهن كما جاء في الآية 15. الاسم الأول يميمة Jemima ويمثل يوماً صافياً يحمل بهاء جماله. وبحسب هيسخيوس يعني يوماً وهو كناية عن ديانا. الاسم الثاني قصية Kezia ويعني كاسيا Cassia وهي من أثنى العطور القديمة. الاسم الثالث قرن هفوك Keren-Happuch ويعني قرن دهن اللعين يغطي على العين جمالاً. بمعنى آخر إنها إناء مصفوع من القرن تحتفظ فيه النساء الشرقيات بمادة لتجميل عيونهن. لاحظ توماس رو Thomas Roe في سؤياته أن الفرسيين اعتالوا أن يعطوا نسائهم أسماء تعني عطوراً أو أطياب أو لآلى أو حجلة كريمة أو أي شيء جميل ومبهج. وى Gesenius أن يميمة مشتقة عن الكلمة العربية "يمامة" أو حمامة. ود. الكسندر في Kitto Cyclopedia يعرف قرن هفوك بأنها قرن الأوبنة أو الجمال [1447].

وى القديس غريغوريوس النيسي [1448] أن بنات أيوب الثلاث دعين هكذا:

"يوم" وكما يقول الرسول أننا صونا أبناء نهار نعيش في طهارة (أف 5: 8).

كاسيا cassia حيث تظهر نقرة وعبوراً طيباً.

قرن ألماثيا Almatheia ، وقد جاء في الروايات اليونانية أنه كانت توجد ألماثيا التي لها ماعز وي يُشغف بالماعر الكريتي الذي سقط قرنه، وقد فاض منه كل أنواع الثمار.

وى البابا غريغوريوس أن الجنس البشري يمر بثلاث مراحل:

1 . المرحلة الأولى عندما خُلق الإنسان فكان نهلاً كالابنة الأولى.

2 . المرحلة الثانية عندما يتمتع الإنسان بالخلص فتوح فيه رائحة المسيح فيصير كاسيا.

3 . المرحلة الثالثة عندما نلتقي بالله وجهاً لوجه ونشرك السمائيين، فنحسب أشبه بألة موسيقى "القرن".

❖ cornustibii ما هو السبب أن الابنة الأولى لأيوب تُدعى يوماً، والثانية كاسيا والثالثة قرن هفوك ، إلا أن كل الجنس البشري الذي أُختر بحوة خالقه، ووحمة ذات المخلص ليشار إليهم بهذه الاسماء... يشوق الجنس البشري ببهاء على الخليفة بنور الراء. وبعد ذلك عندما يخلصون تفيح منهم رائحة عذبة بممارسة الأعمال الصالحة. لهذا دُعيت الابنة الأولى نهلاً والثانية ليس بدون لياقة كاسيا. حسناً دُعيت كاسيا حيث يوح منهار رائحة الحياة السامية بقوة. وأيضاً قيل بالنبي عن ذات المخلص عند مجيئه: "كل ثيابك مرّ وعود وخليخة (كاسيا)، من قصور العاج سرتك الأوتار" (مز 45: 8) ... ولكن لأن الجنس البشري، في حالته الثالثة، حتى عندما يتشكل من جديد لقيامه الجسد، ينشغل تناغم التسبحة الأبدية، تدعى الابنة الثالثة "قرن هفوك". ماذا يعني بـ cornustibii . إلا تسبحة الوحين؟ فإنه بالحق يتحقق ما يُقال بالنبي: "سبحوا الرب تسبحة جديدة" (مز 149: 1). بالحق تتحقق عندما يُسبح بتسبحة الحمد لله، ليس بعد بالإيمان بل بالتأمل في شخص ذاك الذي جعل الجنس البشري نهلاً، بخلقته إياه وكاسيا بتقديم الخالص له،

وقرن هفوك باقتائه له. فنحن الذين كنا نوراً عندما خلقنا، الآن صونا كاسيا بخلصنا، وأخوًا نصير قون هفوك عندما ننشغل بالتسييح الأبدى.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَلَمْ تُوَجَدْ نِسَاءً جَمِيلَاتٍ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ.

وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ [15].

عند اليهود كانت الابنة توث والديها متى لم يكن لها أخ ولد (عد 27: 8).

❖ نفوس المختلرين تفوق بجمالها الباهر كل الجنس البشري، الذين على الأرض.

❖ عندما يأتي مخلصنا الرؤوف، لا ييأس أحد قط بسبب ضعفه من نواله الموات السملوي. فإن أبانا يهب للنساء أيضًا حق الموات مع الذكور، فيجمع

الضعفاء والمواضعين مع الأقرباء والكاملين لينال الكل نصيبًا في الموات السملوي. يقول الحق نفسه في الإنجيل: "في بيت أبي منزل كثوة" (يو

14: 2).

البابا غريغوريوس (الكبير)

7- مات أيوب شيخًا

وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَرَبْعِينَ سَنَةً،

وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى رُبْعَةِ أَجْبَالٍ [16].

حسب الترجمة السبعينية عاش أيوب 170 سنة بعد التجربة، فكانت كل أيام حياته 240 سنة، أي حلت التجربة في سن السبعين من عوه.

رؤية الأحفاد كانت علامة من علامات البركة الممنوحة للاتقياء كما جاء في مزمو 128: 6.

تَمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الْأَيَّامِ [17].

أختبر أيوب في حياته كيف يعيش مع الله وهو أعظم رجال المشرق في ذلك الحين، وكيف يعيش مع وسط الآلام العرة، جالسًا في المذبة

يغطيه الدود، ويهاجمه الأصدقاء، ولا يسأل عنه أقرب من له. ذاق الحزن والفقر والضيق بصورة لم يختوها أحد من قبله ولا من بعده. ذاق حياة الرخاء

وحياة العرة، وكأنه قد عاصر في حياته رعاية الله للإنسان في كل الظروف.

من وحي أيوب 42

لأراك وسط أتون التجرب

❖ شهدت لأيوب أنه بار ومستقيم،

أفضل كل أهل زمانه،

لكنه لم يتمتع بروياك سوى في أتون التجرب.

أعترف لك بضعفاتي وخطاياي.

في حبك لي سمحت لي بضيقات مرة،

فإنك تود أن تتجلى لي،

رَأَاكَ فَأَتَهَلَّلُ بِكَ.

- ❖ تَعْرِياتِ النَّاسِ كَثِيرًا مَا تُرِيدُ أَلَامِي.
ليس من يقدر أن يشلكني آلامي سواك.
كلماتك تدخل كالسهم في قلبي،
تروحني جراحات حب فائق.
أكتشف حقيقتي كزأب ورماد،
وأترك أنك تقيم من زأبي سماءً،
وعوض الرماد يصير قلبي هيكلًا مقدسًا لك.
- ❖ كلماتك تعني لأراك بعيني قلبي.
فتتهلل نفسي مع أيوب الجريح قائلاً:
بالسمع سمعت عنك، الآن رأيتك عيناى!
هب لي مع أيوب المجرب أن أفتح قلبي للساخرين بي.
- ❖ لا أكف عن الصلاة من أجلهم بحب صادق.
بل وتتسحق نفسي أمامك،
لكي يتمتع العالم كله برؤياك،
ينعمون معي بعطاياك الفائقة.
- ❖ وهبت لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات،
هب لي أن أكون أبًا لكثيرين.
أينما وجدت يعمل روحك لجذب الكثيرين إليك!
لن تستريح نفسي حتى أرى العالم كله أبنائك وبناتك!
- ❖ هب لي شيخوخة مقدسة،
لكل يوم من أيام غربتي ثوة روحى،
يُحسب في عينيك كألف سنة حسب وعدك الإلهى!

◀◀

[1] Homilies on Philippians, homily 4.

[2] Commentary on Paul's Epistles (Rom. 9: 10).

[3] ترجمة هرجس كامل. De interpellatione Job et David, Book 1:1:1.

[4] ترجمة هرجس كامل. De interpellatione Job et David, Book 1:1:3.

- [5] *Letters to Olympias*, 8.
- [6] *The Long Rules*, Question 55.
- [7] *Letters* 2: 3.
- [8] *Sermons*, 131: 1.
- [9] *Epistle 20 to his sister*, 14
- [10] *Cassian: Conference* 6:4:2.
- [11] *Cassian: Conference* 6:9:1.
- [12] *Cassian: Conference* 6:10.
- [13] *Rev. J. Stafford Wright: Bible Study Books: Job*, 1968, p. 27.
- [14] *Letter*, 240. ترجمة دكتورة ايفا اولد بدمياط.
- [15] *Ep. 61*: 5.
- [16] *Ep. 93*:33.
- [17] *St. Augustine: On the Grace of Christ* 54.
- [18] *Epistle to Philippians* 4:21.
- [19] *In Hebr. hom* 10: 7.
- [20] *Hom. On Ephes. Hom* 1
- [21] *City of God* 17: 4.
- [22] *Commentary on Song of Songs*, homily 5.
- [23] *Hermas: The Shepherd*, Command 12:6:2.
- [24] *Yoma* i. 4 (18 b).
- [25] *The Jewish Encyclopedia*, NY, 1904, vol. 7, p. 193 ff.
- [26] Section "Shemot", P 110 a, ed. Leghorn, 1870.
- [27] *Sefer ha – Yashar* L. C. P 111a,
- [28] *ba'at*; *Midr. Teh.* XXVi.
- [29] *The Jewish Encyclopedia*, vol. 7, P. 194.
- [30] *John Howard Raven: Old Testament Introduction*, N.Y., 1906, p. 275.
- [31] *Commentary*, vol. 1, p. 32.
- [32] *John Howard Raven: Old Testament Introduction*, N.Y., 1906, p. 279.
- [33] *John Howard Raven: Old Testament Introduction*, N.Y., 1906, p. 282.

[34] للتعرف على شخصيته وأفكاره وكتاباتةراجع كتاب: "الرعاية"، 2004.

[35] cc راجع كتابنا: قاموس سير الآباء - حوف هـ.

- [36] *Second Instruction*, 1.
- [37] *Homilies on Job*, homily 1.
- [38] *Two Letters of Pelagius*, 3:19.
- [39] *Duties of the Clergy*, 3:2:11.
- [40] cf. *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible*, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 207.
- [41] *Fragments*, 222, on *Luke* 16: 19.

- [42] *On the Judgment of God.*
- [43] *Against the Pelagians 1: 33.*
- [44] *The Gospel of St. Matthew homily 42:3.*
- [45] *The Gospel of St. Matthew homily 86:4.*
- [46] *Paschal Letters, 2.*
- [47] *On the Good of Marriage, N. & P-N Frs, vol 3, p. 409.*
- [48] *Resisting the Temptation of the Devil, homily 2:2.*
- [49] *Commentary on Ps.72.*
- [50] *Sermons, 21: 5.*
- [51] *Commentary on Ps. 91.*
- [52] *Homilies on Ephesians, Homily 19.*
- [53] *Cassian: conferences 4:6:2.*
- [54] *Confessions, 8:1:1.*
- [55] *On Divine Providence, Discourse 6: 36.*
- [56] *On Ps. 98.*
- [57] *On Ps. 97. (96).*
- [58] *On Ps. 34, Discourse, 1: 7.*
- [59] *Homilies on Thessalonians, homily. 4.*

[60] هذا النص من ضمن النصوص التي جعلت البعض يتهمونه بالـ *Semi – pelagianism* غير أنه يظهر من المقال في مجمله أنه لا يقصد تجاهل نعمة الله وقوته. لكن خاف البعض لنلا يقتطف البيلاجيون بعض عباراته منقودة عن المقال ويعتمدون عليها في تأكيد انكاهم على أعمال الإنسان فقط..

- [61] *Cassian: conferences 13:14:1.*
- [62] *Exposition of the Orthodox Faith, 29.*
- [63] *On Ps. 29, Discourse, 2,6.*
- [64] *On Genesis, homily 1.*
- [65] *On Ps. 26 Second Discourse,1.*
- [66] *On Ps 55 (56).*
- [67] *On Ps. 56 (55)*
- [68] *Letters, 130:14:26.*
- [69] *Ascetical Homilies, homily 39.*
- [70] *Treatises, 4:26.*
- [71] *Sermon 26:7.*
- [72] *Sermon on the Mount, 2:10:32.*
- [73] *Exposition of the Orthodox Faith, 4.*
- [74] *Cassian: Conference 7:22:1.*
- [75] *Duties of the Clergy, 2:5:20.*
- [76] *Homilies on 1 Corinthians, homily41:9.*
- [77]

Letters, 117 to Julian, 2.

- [78] *Concerning the Status, 16:2.*
- [79] *Paralytic Let Down through the Roof, 8.*
- [80] *Concerning Statues, homily 1:18.*
- [81] J. A. Crammer, ed. *Catena in Epistolas Catholicass. Oxford 1840, 35.*
- [82] *On Ps 111.*
- [83] *Homilies on Hebrews, homily 20:8.*
- [84] *Sermon 5: 7.*
- [85] *On Ps. 32, Discourse, 2: 5.*
- [86] *On Ps. 33, Discourse, 2: 4.*
- [87] *On the Creed, 10.*
- [88] *On the Creed, 10.*
- [89] *On Ps. 30, Discourse, 4, 12.*
- [90] *On Ps. 56 (55).*
- [91] *Sermons on N.T. lessons. 57:9.*
- [92] *Sermons on N.T. Lessons, 63:4.*
- [93] *Sermons on N.T. Lessons, 76:11.*
- [94] *Sermons on N.T. Lessons, 41:4.*
- [95] *On Ps. 38 (37)..*
- [96] *On Ps. 69 (68).*
- [97] *On Ps. 98 (Latin 97).*
- [98] *The Long Rules, Preface..*
- [99] *On Detachment..*
- [100] *On the death of his Father, 24.*
- [101] *On Detachment..*
- [102] *Sermons, 54: 4.*
- [103] *Sermons, 114: 6.*
- [104] *Commentary on Luke, homily 40.*
- [105] *Homilies on Thessalonians, homily. 3.*
- [106] *Homilies on 2 Corinthians, homily1:6.*
- [107] *Homilies on 2 Corinthians, homily 7:4.*
- [108] *the Epistle to the Romans, homily 9.*
- [109] *Letter 39: 2.*
- [110] *Sermons, 131: 1.*
- [111] *On Ps, 12.(v. 5).*
- [112] *On Ps 128.*
- [113]

On Ps. 50.

[114] On Ps. 13 (12).

[115] James M. Freeman: *Manners and Customs of the Bible*, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 207- 208.

[116] Letters, 118:3.

[117] *Resisting the Temptation of the Devil*, homily 2:4.

[118] St. Cassian: *Conferences* 7:12:3.

[119] Letters, 118:3.

[120] On Repentance.

[121] Cf. *On Exodus*, homily 7.

[122] On Ps., homily 6.

[123] Epistle 20 to his sister, 16.

[124] On Ps., homily 73.

[125] On Detachment..

[126] Sermons, 114: 6.

[127] *Resisting the Temptations of the Devil*, homily 3:5-6.

[128] *Concerning the Statues*, homily 5: 1-2.

[129] *Concerning the Statues*, homily 5: 3.

[130] في الترجمة البيروتية "بلك" كوع من الحياء ألا يُقال "جذف".

[131] On Ps., homily 73.

[132] On Ps. 30, Discourse, 4, 12.

[133] The Gospel of St. Matthew homily 13:6.

[134] *De interpellatione Job et David*, Book 1:2:4. ترجمة هرجس كامل

[135] *Homilies on 1 Corinthians*, homily 28:5.

[136] *Concerning the Statues*, hom. 4:4.

[137] *Demonstration 6, of Monks*, 3.

[138] On Patience, 9.

[139] On Ps. 31, Discourse, 2: 26.

[140] On Ps. 29, Discourse, 29, 7.

[141] On Exodus, homily 8.

[142] On Ps 128.

[143] *Homilies on Hebrews*, homily 20:8.

[144] Homily 4 on, John 2.

[145] *Concerning the Statues*, homily 11:2.

[146] Epistle 2: 7, 8, 10.

[147] الأب الياس كوينتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 72.
Epistle 2; Hom. *Regulae fusius tractatae* 5, 13, 38; *Regulae brevius tractatae* 25, 38, 208; Hom. on Ps. 33, 28.

[148] الرسالة التاسعة والثلاثون.

[149] PG 13:1599.

[150] Cassian: Conf. 16: 18.

[151] عن بستان الرهبان.

[152] عن بستان الرهبان.

[153] A Dictionary of Early Christian Beliefs, 1998, p. 69- 70.

[154] In Jerm. hom. 14:5.

[155] عن دير سيدة حماطيرة بكوسبا لبنان، عطات في ميلاد السيدة ورقادها للقديس يوحنا الدمشقي، 1997، ص 58.

[156] Concerning the Statues, hom. 5:5.

[157] On the Belief in the Resurrection, 2:32.

[158] Death is Good, 2: 3.

[159] مقالاتان عن "الناموس الروحي"، 18.

[160] عن "الأفكار الثروة الأخرى"، 16.

[161] Catechetical Lectures, 5:4.

[162] Ser On N. T.55: 7.

[163] Cf. St Augustine: Faith, Hope and Love

[164] In Ioan. tr 111: 1.

[165] Letter, 55.

[166] Comm. On Romans 12:12.

[167] St. Chrysostom: In Colos., hom 4

[168] ستعود بقوة أعظم للقديس يوحنا الذهبي الفم.

[169] In Rom. hom 21.

[170] Oration 39 on the Holy Lights, 16.

[171] Sermon 261:1.

[172] Matthew Henry: Comm. On Job.

[173] Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 7.

[174] Demonstration 22 Of Death and the Latter Times, 8.

[175] Treatise 7 On the Mortality, 4.

[176] Treatise 7 On the Mortality, 7.

[177] On Ps 111.

[178] Treatise 7 On the Mortality, 26.

[179] Letter 139.

[180] Letter 219

[181] Letter 256.

[182] On Ps. 39 (38).

[183] Ep. 101.

[184] Letter, 240. ترجمة دكتورة ايڤا ادوارد بدمياط

- [185] On Ps 10.
- [186] Ep. to Adelphius 8; De Incarn. 25.
- [187] De incarnatione Verbi, 27.
- [188] De coem. et cruce. PG 49:394 B.
- [189] Baptismal Instructions, 12:57.
- [190] De coem. et cruce. PG 49:396D-397A.
- [191] City of God, 15:6.
- [192] On Corinthians, homily 33;5.
- [193] Homilies on Corinthians, 13:4.
- [194] To Those Who Had Not Attended The Assembly.
- [195] Pastoral Care < 1:2.
- [196] Concerning the Statues, homily 2.
- [197] Concerning the Statues, homily 15.
- [198] Concerning the Statues, homily 18.
- [199] W. W. Wiersbe: Treasury of the World's Great Sermons, 1993, p. 130.
- [200] Duties of the Clergy, 3:2:11.
- [201] Two Letters of Pelagius, 3:19.
- [202] Pauline Comm. From the Greek Church.

[203] مناظرات يوحنا كاسيان، طبعة 1968، ص 150.

- [204] De interpellatione Job et David, Book 1:4:10. ترجمة جرجس كامل
- [205] Homily 60 on Ps 11 (10).
- [206] Homily 63 on ps 84 (83).
- [207] Homily, on Ps.1.
- [208] Homily 14 on Ps.82 (81).
- [209] Commentary on Romans (3:4).
- [210] Homily 53 on Ps 143 (142).
- [211] Letters, 67:8.
- [212] Catena Aurea.
- [213] On Ps. Homily 14.

[214] الأرشمندريت أنريانوس شكور: المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي للقديس يوحنا الدمشقي، بيروت 1991، كتاب 2، مقال 17.

- [215] Against Jovinianus, Book 2, 4.
- [216] In Ascensione, PG 50.
- [217] Homilies on Acts, hom. 53.
- [218] The Institutes, Book 5:22.

[219] *St. John Cassian: Conferences*, 16:7.

[220] *In Matt. hom* 10:7; 15:4.

[221] *The Life of Moses*: 2:258, translated by Magdy Fahim Hanna.

[222] *Demonstrations*, 6:8 (Of Monks).

[223] رسالة 33.

[224] مقال 3.

[225] رسالة 43.

[226] *Escape from the World*, 9:55.

[227] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate* 46: 4.

[228] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate*, 89: 1.

[229] *Comm. on John*, 1:10.

[230] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 208.*

[231] *In Jer. hom.* 14:12, 13.

[232] *Cassian: Conferences*, 7:6:3.

[233] *Homily 20 on Ps.* 92 (90).

[234] *On Ps* 37 (36).

[235] *On P.s* 91 (90).

[236] *On Man's Perfection in Righteousness* 20:43.

[237] *On Man's Perfection in Righteousness* 20:40.

[238] *Confession* 1:1:1.

[239] *Catechetical Lectures*, 8:8.

[240] *On Ps.* 9.

[241] *On Ps.* 77 (76).

[242] *On Ps.* 89 (88).

[243] *Homily 56 on Ps.* 147 (146).

[244] *Homily 73 on Ps.* 97 (96).

[245] *Homily 66 on Ps.* 89 (88).

[246] *De hom. Opif.* 2.

[247] *Homilies on 1 Corinth.* 10:3.

[248] *Commentary on Luke, homily* 122.

[249] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 307. عظة 11.

[250] *Homily 89, for Epiphany on Ps.* 29 (28).

[251] *Homily 76 on Mark* 13:31.

[252] *Homily 60 on Ps.* 11 (10).

[253] *Demonstrations*, 5:25 (Of Wars).

[254] *The Life of Moses*, 1:193.

[255] *The Life of Moses*, 1:206.

[256] *Homilies on Jeremiah, homily 1: 16: 2.*

[257] *Fragments from Catena on Jerm. 70.*

[258] *Homilies on Jer.,7.*

[259] *Homilies on Jer. ,L II*

[260] *Comm. On Song of Songs, book 2:9.*

[261] *Comm. On John 1:20.*

[262] *In Josh. Homily 12:3..*

[263] *Comm. On John 2:26 (21).*

[264] *Contra Celsus 2:77..*

[265] *De Principiis 4:1:2, Contra Celsus 2:52;3:7.*

[266] ربما يقصد داود النبي(مز 39 :7).

[267] *Duties of the Clergy, 1:2:6.*

[268] *Homilies on Jer., 6.*

[269] *Homilies on Jer., 18.*

[270] *The Institutes,9:8.*

[271] *In 2 Cor. hom 10:3.*

[272] *Sernon 5:10.*

[273] *Adv. Haer. 5:37:1.*

[274] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 208.*

[275] عظة 4 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جرج فوار.

[276] *On Ps. 37, Discourse, 5.*

[277] *On Ps.38 (37).*

[278] *Comm on John, book 1, ch. 10:17.*

[279] *PG 82:394.*

[280] *In Exodus hom. 7:3.*

[281] *In Jer. hom. 10:2.*

[282] *Demonstrations, 6.*

[283] *Demonstrations, 7: 1.*

[284] *Demonstrations, 22:4.*

[285] *In Rom. hom. 21.*

[286] *In Ephes., hom. 9.*

[287] عظة 1:17.

[288] *De Spir. Sanc. 9.*

[289] ميمر عن المعمودية المقدسة.

[290] *Cassian: De institutis caenoboum, 8:5.*

[291] *De interpellatione Job et David, Book 1:2:5. ترجمة جرجس كامل*

[292] *De interpellatione Job et David, Book 1:3:6. ترجمة جرجس كامل*

[293] *De interpellatione Job et David, Book 1:3:7. ترجمة جرجس كامل*

[294] *On Ps., homily 7.*

[295] *Letter 130 to Demetrias, 7.*

[296] *Homilies on Exodus, homily 5: 3.*

[297] *Death is Good, 3: 12.*

[298] *On Ps. 29, Discourse, 2: 8.*

[299] *Confessions 10:28:39*

[300] *Letter 189 to Boniface, 8.*

[301] *On Ps. 69 (68).*

[302] *On Ps. 77 (76).*

[303] *Of Holy Virginity, 40.*

[304] *Confession, 10:32 (48).*

[305] *Letters, 95:3.*

[306] *On the Gift of Perseverance, 62.*

[307] *On the Gift of Perseverance, 33.*

[308] *On the Trinity 4:3:5.*

[309] *On Virginity, 48.*

[310] *City of God, 19:27.*

[311] *Cf. Sermons on N.T. Lessons 7:9*

[312] *On Ps. 119 (118).*

[313] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 208.*

[314] *On Ps. 143 (142).*

[315] *Homilies on Psalms, 6.*

[316] *Catechetical Lectures, 5:4.*

[317] *Catechetical Lectures, 18:14.*

[318] *On Humility..*

[319] *In Luc 15: 11-32.*

[320] عظة 5 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جرجس نوار.

[321] عظة 10 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جرجس نوار.

[322] *In Luc 11:15 -13.*

[323] *The Gospel of St. Matthew homily 33:7.*

[325] *Hom. In Ps 48, 8, PG 29:450 b.*

[326] *2 Cor. hom 10. PG 61: 507.*

[327] *Divine Providence 1-2.*

[324] ميمر "على العظمة" يُؤأ يوم الأربعاء من الأسوع الثاني من الصوم الكبير.

[328] *The Sacraments* 4:6:29.

[329] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate*12:13.

[330] *De Nat et Grat*

[331] عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد.

[332] سلم السماء 11: 2.

[333] أي القديس يوحنا سابا: عن بستان الرهبان.

[334] *Sermon on the Mount* 2:66.

[335] *The Unity of the Catholic Church*, 3.

[336] PG 82:442.

[337] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate* 45: 3.

[338] *Sermon on N.T. Lessons*, 87:5.

[339] *Tr. on 1 John* 4:6.

[340] *On Ps.* 76:2.

[341] *Tr. on 1 John* 2:11.

[342] *Sermon* 91:3.

[343] *Sermon* 331:4.

[344] *Sermon* 304:3.

[345] *Confession* 4:12:18.

[346] *On Ps.* 53:10.

[347] *On Ps* 72:32.

[348] *Demonstrations* 4:16.

[349] للمؤلف: بدء الأدب المسيحي الأبائي، 1995، ص 15-17.

[350] *St. Augustine: Contra Julian, II* 9.

[351] *Ibid* 37.

[352] *Athanasius: Ep. ad Afros* 6.

[353] *Kelly: Early Christian Doctrines*, p. 48-49.

[354] *Ad Monach* PG 77:12,13.

[355] *In Joan. evang.* 4 11: PG 74:216.

[356] *Adv. Nest.* 4:2.

[357] *De recta Fide ad regin; apol. contr. Orient* PG 76:1212 For; 316.

[358] *E. Shwartz: acta conciliorum oecumenicorum* 1:1, 7:89 F.

[359] *Les Eclgae*, 7.

[360] *Expositio Evangleii Secundum Lucan*, 2:38.

[361] *Adv. Judaeos*, 8.

[362] *Treatise* 10:15.

[363] *In Luc Ser* 86.

[364]

In Acts, hom., 5.

[365] [Baptismal Instructions, 7:14.](#)

[Paedagogus 3:12.](#) [366]

[367] [On Prayer 26:1.](#)

[Paedagogus 2:5.](#) [368]

[369] [In 1 Tim. hom 2. \(ترجمة سعاد سوربال المحامية\)](#)

[370] [De Prop. Sec. Deum.](#)

[371] [Fragments, 110 on Luke 6: 21.](#)

[372] [On Forgiveness of sins and Baptism, 14.](#)

[373] [مجموعات نجمية \(الوب\).](#)

[374] [De interpellatione Job et David, Book 1:4:11. ترجمة جورج كامل](#)

[375] [Sermon 18:1,2.](#)

[376] [City of God 21:24.](#)

[377] [Confessions, N& PN Frs, vol. 1, p 47.](#)

[378] [Confession, 1:5 \(5\).](#)

[379] [City of God 17: 4.](#)

[380] [On Ps. 130.](#)

[381] [Hom on Ps.,33.](#)

[382] [Marius Victorinus: Epistle to the Ephesians 1:2:14-15.](#)

[383] [The Prayer of Job and David, Book 1, 5:12.](#)

[384] [Contra Cels. 5:50.](#)

[385] [Contra Celsus 4:42.](#)

[386] [In Jos. hom 5:5.](#)

[387] [On Ps. 18.](#)

[388] [The Prayer of Job and David, Book 1, 5:13.](#)

[389] [Baptismal Instructions, 7:11.](#)

[390] [Baptismal Instructions, 7:14.](#)

[391] [Paedagogus 3:12.](#)

[392] [Against Eunomius, lib. 12. PG 45:940 A – 941 D.](#)

[393] [On Prayer 26:1.](#)

[394] [In Matt. hom., 19:7.](#)

[395] [In Matt. hom., 22:4.](#)

[396] [Paschal Ep. 29.](#)

[397] [Homilies on St. John, homily 43:2.](#)

[398] [Of the Christian Faith, 5:2:30.](#)

[399] [The Prayer of Job and David, Book 1, 5:15.](#)

[400]

Chromatius: *Tractate on Matthew*, 52:2.

[401] *Letters, 101, to Cledonius the Priest against Appolinarius.*

[402] *The Divine Providence, 2.*

[403] *Letter, 77:4.*

[404] *In Jer. hom 3:49; In Luc. hom 18.*

[405] *On Man's Perfection in Righteousness, 26-27.*

[406] *Grace & Freewill, 24.*

[407] *St. Augustine: 10 Homilies on 1st Epistle of St. John.*

[408] *On Jacob and the Happy Life 6:21.*

[409] *The City of God, 20:17.*

[410] *CSEL 81:227.*

[411] *Eighty Three Different Questions, 27.*

[412] *On Ps. 26.*

[413] *Cf. On the Gospel of St. John, tractate 28:2.*

[414] *On the Great Athanasius, 17.*

[415] *On Ps. 36, Discourse, 3: 13.*

[416] *On Ps. 37 (36).*

[417] *On Ps. 41 (40).*

[418] *On Psalm 4. On Feast of the Martyrs, 9.*

[419] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 208- 209.*

[420] *Letters to the Fallen Theodore, 2:3.*

[421] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:16.*

[422] *On Ps. 29, Discourse, 2: 8.*

[423] الرسالة الثامنة والثلاثون.

[424] الرسالة الثامنة والثلاثون.

[425] العفة للقديس أغسطينوس، 13.

[426] *Against the Pelagians, 1:2.*

[427] *Bishop Nicolai Velimirovich: The Prologue from Ochrid, May 25.*

[428] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:7.*

[429] *In Matt. hom 34:2.*

[430] في مديح بولس: عظة 2.

[431] يسوع والمفلوجان: للقديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطي، 1966، ص 35 الخ.

[432] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:17.*

[433] *On Ps. 125.*

[434] راجع تعليق البابا غريغوريوس (الكبير) على هذه العبارة، وأيضًا القديس كولس الأورشليمي (عظة 12: 26).

[435] *In 2 Cor. hom 10:3.*

[436] *Concerning Statues, homily 11.*

- [437] *The Prayer of and David, 6:17, 18.*
[438] *The Holy Spirit, 3: 5:33.*
[439] *Commentary on Ps. 139.*
[440] *The Prayer of Job and David, Book 4: 6: 22.*
[441] *Death is Good, 3: 12.*
[442] *Catechetical Lectures, 12:26.*
[443] *Catechetical Lectures, 9:15.*
[444] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:18.*
[445] *The Divine Providence, 5.*

[446] عظة للموعظين عن قانون الإيمان.

- [447] *Catech. Lect. 10:5.*
[448] *Catech. Lect. 10:13.*
[449] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:19.*
[450] *The Prayer of Job and David, 6:19-20.*
[451] *Alfred Edersheim: Sketches of Jewish Social Life, 1994, ch. 10.*
[452] *Ber 28b.*

[453] للواسة بتوسع راجع كتابنا: رجائونا في الحياة ما بعد الموت؛ الكتاب الثاني: الأخرويات في الكتاب المقدس وفي الفكر اليهودي؛ 1998.

- [454] *Demonstrations, 22:6.*
[455] *Treatise 7 On the Mortality, 15.*
[456] *Treatise 7 On the Mortality, 4.*
[457] *In Rom. hom. 31:4.*
[458] *In Matt. hom. 43 (44):4; cf. In Hebr. hom. 31:4.*
[459] *In Phil. hom 13:4; In Matt. hom. 23(24):8; In Eph. hom. 3:3.*
[460] *In Matt. hom. 75 (76):5.*
[461] *In 1 Cor. 23:4; In 2 Cor. 10:4; In 2 Thes. 3:1.*
[462] *In 1 Thes. hom.; cf. 2 Cor. 10:4; In 2 Thes. 3:1.*
[463] *In 1 Tim hom. 15:3.*
[464] *In Rom. hom. 31:4.*
[465] *In Ps 7:12.*
[466] *De Principiis 2:9:8 (Cf. Butterworth).*

[467] عظة 3:40.

[468] عظة 4:40.

- [469] *Epistle 1.*
[470] *Epistle 16.*
[471] *In Matt. hom 78:3.*

[472] عن بستان الوهبان.

[473] PG 13:1599.

[474] عظاته على إنجيل لوقا: عظة ٣٢، ٣٣.

[475] CSEL.

[476] Concerning Faith.

[477] The Song of Songs, Comm., Book 3:13. (ACW)

[478] Catech. Lect. 6:9.

[479] Oration 28:17.

[480] Concerning Faith.

[481] ميمر على الصلاة وعلى قوات الطباع الروحانية وعلى معرفة الله.

[482] Cassian: De institutis caenoboum, 8:2-4.

[483] A. J. Wensinck: Mystic Treatises by Isaac of Nineveh, 1923, p210.
Dana Miller: The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, 1984, p.223.

[484] Homily 1:21-24

[485] On Man's Perfection in Righteousness 20:43.

[486] On Man's Perfection in Righteousness 20:40.

[487] On Nature and Grace, 71.

[488] Sermon 304:3.

[489] رسالة 51 (ملحق 15).

[490] ميمر عن شيطان الزنا.

[491] Stromata, 2:10.

[492] Louis Bouyer: The Spirituality of the N.T. & The Fathers, 1960, P 265f.

[493] Walther Volker: Der Waher Crostiker nach Clemens Alexandrinus, Berlin - Lepzig, 1952.

[494] Stromata, 7:13.

[495] Strom 4:6.

[496] Strom 4:15.

[497] Paed 1:1:1.

[498] Strom. 6:8.

[499] Ibid. 6:7.

[500] Ibid 6:7.

[501] Strom 4:21.

[502] Paed. 1:28:1.

[503] Strom. 5.

[504] CSEL.

[505] CSEL.

[506] City of God 9:20.

[507] City of God 9:20.

[508] Sermon on the Amount 1:1:3.

- [509] Ep. 55:39.
[510] Ep. 167:11.
[511] *Commentary on Song of Songs, Homily 2.*
[512] *Hom. In Ps 48, 8, PG 29:450 b.*
[513] *On the Trinity, 5:21.*
[514] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 1.*
[515] *Second Instruction, 1.*
[516] *Paedagogus 1:5:31.*

[517] مناظرات يوحنا كاسيان، مناظرة 14:14.

[518] مناظرات يوحنا كاسيان: 7 ،راجع مناظرة: المعوفة الروحية.

[519] رسالة 3:50.

- [520] *On Christian Doctrine, 1:34 (38).*
[521] *Concerning Faith.*
[522] *In 1 Corinth., hom. 34:2.*
[523] *The Song of Songs, Comm., Book 4:14. (ACW)*
[524] *On Prayer 11 :2.*
[525] *The Song of Songs, Comm., Book 3:13. (ACW)*
[526] *In Ephes., hom. 11.*
[527] *In 1 Corinth., hom. 34:2.*
[528] *In 1 Cor., hom., 36:2.*
[529] *In 1 Corinth., hom. 34:2.*
[530] *On the Trinity 103:2.*
[531] *Oration 28:17.*
[532] *On His Brother Satyrus, 2:103.*
[533] *In Gal. hom1:16.*
[534] *CSEL 81:134.*
[535] *Durkheim E.: Education et sociologie, P.U.F. Paris 1966, Introd. P. 1-2.*
[536] *Reg. Brev. Question 96, 180, 307.*
[537] *City of God, 19:18.*
[538] *Strom. 5:68.*
[539] *Strom. 2:10.*
[540] *Strom. 7:10.*
[541] *Strom. 6:8.*
[542] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:9.*
[543] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 9.*
[544] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 37:1.*

[545] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 37:2.*

[546] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 75: 4.*

[547] *Homilies on St. John 54: 1.*

[548] *Ep. 234: 3.*

[549] *Ep. 235:3.*

[550] *Introductory Commentary on 1 John.*

[551] *Commentary on John, Book 19:22 - 24*

[552] *Commentary on John, Book 19:13, 15.*

[553] *Commentary on John, Book 19:7, 10.*

[554] *On the Christian Faith, Book 1:19:127.*

[555] *Sermon on N.T. Lessons, 38:4.*

[556] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 70: 3.*

[557] *In Ioan hom. 60:1.*

[558] *On Ps. hom 1.*

[559] *In Ioan 49:20.*

[560] *Vita S. Antonii 38.*

[561] *In Ps. Hom 1.*

[562] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 49:20.*

[563] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 49:20.*

[564] *Commentary on John, Book 32: 154 – 155.*

[565] *Hom 25. Forty Gospel Homilies, 193.*

[566] *In Matt. hom 45:1.*

[568] *In Luc 9.*

[567] صلاة توريك للشعب.

[569] الأب الياس كوينر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 136.

[570] الأب الياس كوينر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 136.

[571] *Stromata, 1:13.*

[572] *Stromata, 1:4.*

[573] *W. Fairweather: Origen & Greek Patristic Theology, Edinburgh 1901, p. 15.*

[574] *Stromata, 1:98.*

[575] *Stromata, 1:15.*

[576] *Stromata 1:7.*

[577] *Stromata, 1:7.3.*

[578] *Stromata, 1:5:28.*

[579] *Stromata, 1:7:37.*

[580] *Tollinton, Clement of Alexandria, London 1914, P IX.*

- [581] *Stromata*, 2:5.
- [582] *Stromata*, 2:4.
- [583] *Stromata*, 2:4:5.
- [584] *Stromata*, 2:2:8.
- [585] *Stromata*, 6:10.
- [586] Hans von Campenhausen, P 30, *Stromata* 1:28.
- [587] *Stromata* 7:3. ANF, vol 2, p. 528.
- [588] *Stromata* 1:5 (A.N. Frs, vol 2, P 305).
- [589] *Stromata* 1 :11..
- [590] *Stromata* 1:11.
- [591] *Stromata*, 6:8.
- [592] *Stromata*, 6:8.
- [593] *Stromata*, 6:15.
- [594] Lebreton, *History of the Primitive Church*, London 1946, vol. 3, p. 745.
- [595] *Apology* 46.
- [596] *Tertullian: De Prescriptione* 7:9.13.
- [597] *On the Trinity*, 8:53.
- [598] *On the Trinity*, 1:13.
- [599] *Stromata* 1:11.
- [600] *Sermon on the Mount*, 25.
- [601] *In 1Tim. hom* 20.
- [602] *In 1 Tim. hom* 17.
- [604] *In Rom. hom* 5.

[603] رسالة 51 (ملحق - صلاة 3).

[605] ميمر على الصلاة وعلى قوات الطبائع الروحانية وعلى معرفة الله.

[606] ميمر على الصلاة وعلى قوات الطبائع الروحانية وعلى معرفة الله.

[607] رسالة 4:50.

[608] رسالة 5:50، 6.

[609] رسالة 7:50.

[610] رسالة 16:50.

[611] رسالة 18:50.

[612] رسالة 19:50.

[613] رسالة 2:51.

[614] رسالة 5:51.

[615] رسالة 8:51.

- [616] رسالة 10:51.
[617] رسالة 1:27.
[618] رسالة 3:31.
[619] رسالة 11:39.
[620] رسالة 4:40.
[621] رسالة 3:45.
[622] رسالة 6:51.
[623] رسالة 51 (ملحق 13).

- [624] *Institutes*, 4:41.
[625] *In 2 Cor. hom* 23:3.
[626] *In 2 Cor. Hom*22:3.
[627] *The Unity of the Catholic Church*, 3.

[628] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 2.

[629] تعريب الأرشيمندريت اولم كريكوس: القديس نوروثلوس: التعاليم الروحية، مقال 2.

- [630] *Patience*, 17.
[631] *Demonstrations*, 21: 1.
[632] *Demonstrations*, 21: 2.
[633] *Demonstrations*, 21: 9.
[634] *Demonstrations*, 21: 9.
[635] *Demonstrations*, 21: 10.
[636] *Demonstrations*, 21: 11.
[637] *Demonstrations*, 21:21.
[638] *Ep.* 93:33.
[639] *On Ps.* 89.
[640] *On Ps.* 50.
[641] *Hexamaeron* 1:11.
[642] *Cf. Reg. Brev.* 32.
[643] *Catechetical Lectures*, 11:11.

[644] ترجمة الأب ج. عقيقي اليسوعي. *Hexamaeron* 7:4.

- [645] *In 1 Sam., Homily* 2.
[646] *Comm. in Ep. ad Rom.* 4:5 [See *Drewery*].
[647] *De Principiis* 2:9:2 [See *Drewery*].
[648] *Comm. in Ep. ad Rom.* 3:6.

[649] الحديث في المناظرات عن الرهبان وقد استبدلت كلمة "راهب" بـ "إنسان".

- [650] *Cassian: Conferences*, 1:1-2.

[651]

[652]

[653]

Commentary on Rom 9:16.

[654]

In Mat, In Gen. PG 57: 30 ; 53: 228.

[655]

In Mat PG 57: 303.

[656]

In Paralyt. PG 51: 54.

[657]

In Mat PG 58: 720.

[658]

In Act PG 60: 124.

[659]

In Mat PG 58: 720.

[660]

Second Theological Oration, 28.

[661]

De Baptismo 2.

[662]

Ecol. Proph 7.

[664]

Praktikos 13,14.

[665]

In Jer. hom. 3.

[666]

Contra Cels. 5:50.

[667]

In Num. Num. 10:2; Michael Green: Evangelism in the Early Church, p. 111.

[668]

Homilies on St. John, 35:2.

[669]

In Jos. hom. 17:1.

[670]

Gift of Perseverance 66.

[671]

Paedagogus 1:1.

[672]

Paed. 2:9.

[673]

Sermon on N.T. Lessons, 67:18.

[674]

On the Holy Spirit, 8:17.

[675]

Eph. 7:2.

[678]

St. Augustine: On Ps. 141.

[679]

St. Augustine: On Ps. 55.

[680]

St. Augustine: On Ps. 120.

[681]

On Ps. 37.

[682]

In 2 Tim. hom 8.

[663] إلى أناتوليس عن الأفكار الثمانية، 8.

[676] مقال 12 : 1.

[677] مقال 10 : 13.

[683] للمؤلف: الحب الوعوي، الإسكندرية، 1965.

[684] عن مقالتين عن أتروبيوس، طبعتا تحت اسم "الكنيسة تحبك"، سنة 1968، ص 35، 36.

[685] الفيولوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 44.

[686] للمؤلف: القيم الروحية لعيد النيروز، ص 18.

[688] *Exhortation to Martyrdom*, 42.

[689] *Ep. 209:10*.

[690] راجع الأب الياس كوينتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 256. تعريب الدكتور نجيب حجار.

[691] *In Luc Ser 86*.

[692] *On Man's Perfection in Righteousness*, 24.

[693] *Cassian: Conf.*, 7: 21.

[695] *Cassian : Conf. 3 : 7*.

[696] *Comment. on Ps. 139*.

[697] *St. Augustine: On Ps. 90*.

[698] *St. Augustine: On Ps. 92*.

[699] *St. Augustine: On Ps. 102*.

[700] *St. Augustine: On Ps. 103*.

[701] *The Prayer of Job and David, Book 1, 7:21*.

[702] *St. Augustine: On Ps. 25*.

[694] عظة 6:3.

[703] الفيوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 67.

[704] الفيوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 124.

[705] *The Prayer of Job and David, Book 1, 7:22*.

[706] *On the Gospel of St. John, tractate, 124:5*.

[707] *Enchiridion*, 33.

[708] *In Rom. hom 5*.

[709] *Cassian: De institutis caenoboum*, 8:2-4.

[710] *Answer to Eunomius' Second Book*.

[711] *Death is Good*, 11: 49.

[712] *Sermons*, 91:4.

[713] *Jerome against Jovinian, Book 2*.

[714] *Jerome on Jonah, ch .3*.

[715] *Letter 166 to Jerome (A Treatise on the Origin of Human Soul, ch 3:6.)*

[716] *On Forgiveness of Sins. and Baptism. ch. 12 (6)*.

[717] *Letter 144: 9*.

[718] *Letters*, 144:90.

[719] *The Lord's Prayer. Sermon 5*.

[720] *Concerning Baptism, Book 1, chapter 2*.

[721] *Cf Homilies on Leviticus, homily 8: 3: 5*.

[722] *Homilies on the Gospel of Luke 14:4-5*.

[723]

Homilies on Leviticus, homily 12: 4: 1.

[724]

On Ps., homily 39.

[725]

On Mark, homily 84.

[726]

On Ps. 51 (50).

[727]

Homilies on Luke, homily. 2: 2.

[728]

Homilies on Luke, homily. 14: 4.

[729]

Cf Homilies on Leviticus, homily 8: 3: 2.

[730]

Catechetical Lectures, 18:12.

[731]

St. Gregory Nazainzus: Oration 39: 17.

[732]

PG 39:692.

[733]

In Joan. hom 19.

[734]

The Prayer of Job and David, Book 1, 7:25.

[735]

The Prayer of Job and David, Book 1, 7:24.

[736]

cf. The Prayer of Job and David, 1:; 8: 26.

[737]

The Prayer of Job and David 1: 8: 26- 27.

[738]

Letter to a Young Widow, 3.

[739]

تفسير رومية 10:6 (ترجمة مار سويريوس اسحق سكا، 1997).

[740]

Cat. Lect. 13.

[741]

Letters, 261, to the Citizens of Sozopolis.

[742]

On His Brother Satyrus, 2:91.

[743]

Adv. Haer. 1: 1.

[744]

The Jewish Encyclopedia, vol. 7, P. 194.

[745]

Epistle 6.

[746]

On Ps. 82:1.

[747]

On Ps., homily 9.

[748]

Epistle to Eph. 1:1:22-23.

[749]

St. Augustine: Contra Julian, II 9.

[750]

Ibid 37.

[751]

Prayer of Holy Job, Book 2.

[752]

رسالة 51 (ملحق 4).

[753]

رسالة 32:1.

[754]

In 2 Tim. hom. 6.

[755]

In Matt hom 41

[756]

In Matt. hom 56:6.

[757]

On Ps. 129 (128).

[758]

On Ps. 46 (45).

[759]

إبيلشبية شبه جزوة سيناء: السلم إلى الله، درجة 4:99.

[760] 170 نصًا عن حياة القداسة، 33 (الفيلوكاليا).

[761] 170 نصًا عن حياة القداسة، 107 (الفيلوكاليا).

[762] 170 نصًا عن حياة القداسة، 108 (الفيلوكاليا).

[763] توجيهات منتخبة عن أحاديثه الأخرى، 81 (الفيلوكاليا).

[764] 226 نصًا إلى أولئك الذين يظنون أنهم بأعمالهم (الذاتية) يتبررون، 31 (الفيلوكاليا).

[765] *Ascetical Homilies*, 48.

[766] *Ascetical Homilies*, 48.

[768] *Epistle to the Ephesians 3:6:13*.

[769] *Epistle to the Ephesians 2:2:6:11*.

[770] *Epistle to the Ephesians 6:11*.

[771] *Epistle to the Ephesians (on 6:12)*.

[767] الرسالة الثامنة عشر إلى الحمويين بنحوان راجع ترجمة دكتور بهنام سوني.

[772] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غيغوريوس كما هي.

[773] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غيغوريوس كما هي.

[774] الرسالة الثلاثون راجع ترجمة دكتور بهنام سوني.

[775] الرسالة الأربعون راجع ترجمة دكتور بهنام سوني.

[776] الرسالة الحادية والثلاثون راجع ترجمة دكتور بهنام سوني.

[777] *De coem. et cruce. PG 49:394 B*.

[778] *Baptismal Instructions, 12:57*

[779] *De coem. et cruce. PG 49:396D-397A*.

[780] *On Man's Perfection in Righteousness, 25*.

[781] الرسالة الثامنة والثلاثون راجع ترجمة دكتور بهنام سوني.

[782] *The Prayer of Job and David 1: 8: 27*.

[783] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 10*.

[784] *The Saying of the Desert Fathers (Mowbrays, London, 1975): Sisoës, 14*.

[785] *De Compuntione 1:10 PG 47:409 f*.

[786] *PG 46:829 D*.

[787] *Sermones Exegetici, In Is. 26:10*.

[788] *Oratio 16:14 PG 35:952 B*.

[789] *Oratio 4, Contra Julianum 1. PG 35:593 C*.

[790] قمت بترجمة النص كما ورد في نص الأب نفسه.

[791] *Ascetical Homilies 64*.

[792] *Ascetical Homilies, 48*.

[793] *The Armenian version of Apophthegmata, L. Lelorr, ed. Paterica Armenica, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Louvain, 1974 - , 1, p. 547*.

[794] Ernest Latko: *Origen's Concept of penance*, Laval 1949, p. 82.

[795] *In Num. hom. 10:1* PG 12:638.

[796] *Homilies On Leviticus 11:1*.

[797] *Homilies On Leviticus 12:3*.

[798] *Contra Celsus 1:54f*.

[799] *Comm. on Eph. 4 on 1*.

[800] *Comm. on Rom. 4:8*.

[801] *On Ps. 94 (93)*.

[802] *On Ps. 123 (122)*.

[803] *The First Epistle of St. Makarios of Alexandria on the Discipline*.

[804] PG 31:257 D.

[805] *In Epis, ad Phil. 3:4*.

[806] *Paschal Epistles, 10*.

[807] *Letters, 62:1*.

[808] *Letter 40 to Jerome*.

[809] *Homilies on Genesis, 57*.

[810] *On Ps 37 (36)*.

[811] *On Ps. 73*.

[812] *Ascetical Homilies, 62*.

[813] للمؤلف: الفيولوكاليا، 1966، ص 136.

[814] د. عدنان طرابلسي: شوح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم، 1996، ص 5.

[815] القديس يوحنا كاسيان: المؤسسات لنظام الشوكة، 5، النهم 18.

[816] *Homilies on Epistles to the Corinthians, Homily 10:2*.

[817] *Commentary on 1 Cor. 3:19*.

[818] *Ascetical Homilies, 6*.

[819] القمص تادرس يعقوب ملطي: الزمور المائة والتاسع عشر (118) غنى كلمة الله ولذتها، 1996.

[820] رسالة 15:19 راجع ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي.

[821] القديس يوحنا كاسيان: المؤسسات لنظام الشوكة، 12 في روح الكوياء، 12.

[822] *Baptismal Instructions, 7:18, 19*.

[823] *Baptismal Instructions, 12: 12*.

[824] تأملات في مديح للقديس غريغوريوس القوي.

[825] *Cassian: Conf., 23: 16–18*.

[826] *On Psalms, Homily 7*.

[827] *Sermon On the N.T. 10*.

[828] *Epistle to the Ephesians, 1:2:1*.

[829] *Homilies on the Ephesians, 1:4:13*.

- [830] *Homilies on Josh., 3.*
- [831] *Unity of the Church, 8; Epistle 75:4.*
- [832] *Unity of the Church, 8; Epistle 75:4.*
- [833] *Epistle 40 to Cornelius.*
- [834] *Epistle 43 to Antonius.*
- [835] *Epistle 42 to Cornelius.*
- [836] *Unity of the Church, 6.*
- [837] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 210- 211.*
- [838] *On Perfection.*
- [839] *On Ps. 91 (90), homily 68.*
- [840] *On Ps. 5, homily 2.*
- [841] *Ascetical Homilies, 37.*
- [842] *Additional Homilies, 2.*
- [843] *Commentary on Paul's Epistles (1 Cor. 7:31).*
- [844] *Homilies on Genesis, 9.*
- [845] *Questions, 68:3.*
- [846] *Questions, 66.*

[847] التّومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غيغوريوس كما هي.

- [848] *Apology, 1:14.*
- [849] *Homilies on Corinthians, 43:5.*
- [850] *Homilies on Corinthians, 4:5.*
- [851] *Pauline Commentary from the Greek Church, on 2 Cor. 2:11..*
- [852] *City of God, 10:10..*
- [853] *City of God, 19:9..*
- [854] *Paschal Letters, 2.*
- [855] *Paschal Letters, 3.*
- [856] *Homilies on Ps. 33:7.*
- [857] *Homilies on Luke, 28:5.*
- [858] *On Ps. 45.*
- [859] *Demonstration 22 Of Death and the Latter Times, 8.*

[860] القمص تانوس يعقوب ملطي: الزمور المئة والتاسع عشر (118) غنى كلمة الله ولذتها، 1996.

- [861] *Treatise 7 On the Mortality, 14.*

[862] عظة 4:14.

[863] الرسالة السادسة.

[864] رسالة 2:21 راجع ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي.

[865] مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير آباء الولاية، 24:7.

- [866] *On, Ps. 9.*
- [867] *On Ps. 34. (33).*
- [868] *PG 10:796 F.*
- [869] *PG 10:797B-C.*
- [870] *Ibid A 13-B10.*
- [871] *In Rom. hom. 31:4.*
- [872] *In Matt. hom. 43 (44):4; cf. In Hebr. hom.31:4.*
- [873] *Ad Theod. Laps 1:10; In Hebr. hom. 1:4.*
- [874] *Ad Theod. Laps.*
- [875] *In Matt. hom. 75 (76):5.*
- [876] *In 1 Cor. 23:4; In 2 Cor. 10:4; In 2 Thes. 3:1.*
- [877] *In Ps 7:12.*
- [878] *In 1 Thes. hom.; cf. 2 Cor. 10:4; In 2 Thes. 3:1.*
- [879] *Cf. In 1 Tim hom. 15:3.*
- [880] *In Rom. hom. 31:4.*
- [881] *Sermon 362:9.*
- [882] *The Faith of the Early Fathers Vol 2, p.163.*
- [883] *Catena.*
- [884] *Comm. on Sermon on the Mount, 55: 2.*
- [885] *Sermons, 41. FC 48, p. 306.*
- [886] *Sermons, 86, FC 57, P. 204.*
- [887] *Catena.*
- [888] *Catena.*
- [889] *Catena.*
- [890] *On Nature and Grace, 15 (16).*
- [891] *Introductory Tractate on James.*
- [892] *Catena.*
- [894] *Sermon on the Mount 2:64.*
- [895] *Sermon on the Mount 2:66.*
- [896] *The Spiritual Counsels of Fr. John Kronstadt, 1966, p. 189.*
- [897] *Ep. 51: 52.*
- [898] *Sermon on the Mount 2:63.*
- [899] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 211.*
- [900] *Letters, 140 to Honoratus, 5*
- [901] *Of the Christian Faith, 2: 7: 56.*
- [902] *On Matt., 33: 6.*

[893] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [903] *Catechetical Lectures, 13:17-18.*
- [904] *Commentary on Luke, Sermon 98.*
- [905] *Catechetical Lectures, 10:7.*
- [906] *The Mysteries 8:48.*
- [907] *Hymns on Paradise 5:1.*
- [908] *Life of Moses, 1:35.*
- [909] *Life of Moses, 2:136.*
- [910] *In Ioan., tr. 28: 9.*
- [911] *Baptismal Instructions, 2:7.*
- [912] *In Matt. hom. 2.*
- [913] *Contra Celsus 2:78.*
- [914] *Resisting the Temptations of the Devil, homily 3:6.*
- [915] *In Luc. hom 33:3.*
- [916] *In Jos. hom. 17:1.*
- [917] *Duties of the Clergy, 3:22:130.*
- [918] *Eric P. Wheeler: Dorotheos of Gaza: Discourses and Sayings, 1977, p. 131F.*
- [919] *Ladder 10:14.*
- [920] *To Pammachius against John of Jerusalem, 30.*
- [921] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 211-212.*
- [922] *Homilies on 2 Cor., homily 3.*
- [923] *On Nature and Grace, 72.*
- [924] *On Ps. 104 (103).*
- [925] *St. John Cassian: 10:6.*
- [926] *Sermons 10 FC 86, P. 74.*
- [927] *Lessons in Job 5: 78. PL 79: 1096.*

[928] عظمات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكلين سمير كوستي، عظة 1: 15-16.

[929] للعلامة أوريجينوس آراء خاصة بالملائكة سبق لنا نشرها في كتاب "الملائكة عند العلامة أوريجينوس" تختلف عن فكر كثير من آباء الكنيسة.

[930] يفكر أوريجينوس مثل بقية الفلاسفة الذين كانوا في عصوره أن الكواكب حية، وتوجه حياتها إلى ملاك يسكن في كل كوكب منها.

[931] عظمات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكلين سمير كوستي، عظة 10: 6.

[932] عظمات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكلين سمير كوستي، عظة 12: 3.

[933] *Sermon 109: 3 FC 94, p. 149.*

[934] *On Ps. 73 (72).*

[935] *On Ps. 54 (53).*

[936] *On His Brother St. Caesarius, Oration 7:9.*

[937] *Letter 27 (58): 16.*

[938] *City of God 10: 8.*

[939] *Sermons, 47: 5.*

[940] *homilies in, Corinth; 42: 2.*

[941] *Homilies on Rom., 40.*

[943] *Paedagogus, 2: 9.*

[944] *The Prayer of Job and Daird, 2: 5: 18.*

[946] *Homilies 16: 10.*

[947] *Homilies on Colossians, 3.*

[948] *Sermon 92: 3.*

[949] *Paedagogus 2:5.*

[951] *In Luc Ser. 89.*

[952] *Ep. 43: 2.*

[955] *Letter, 15.*

[956] *Commentary on Luke, Homily. 140.*

[957] *Catena on Genesis, 3: 1110.*

[958] *Homilies on Matt., 79: 2.*

[959] *Letter 67: 3.*

[960] *Commentary on Cor. 2: 26: 57-59.*

[961] *Letters, 52.*

[965] *Homilies on Luke, 35: 10: 13.*

[966] *Homilies on Cor. 40:3.*

[967] *Commentary on Paul's Epistles (2 Cor 1:4).*

[968] *Hom. On Cor 4:3.*

[969] *Homilies on Cor. 13:2.*

[970] *Homilies on Cor. Hom. 13:2*

[971] *Homilies on Cor. Hom. 12:6.*

[972] *Epistle to Gal. 1:1:10.*

[973] *Epistle to Gal. 5 PL 35:2109.*

[974] *Oration 12 on Song of Songs 5:7.*

[975] *Hom. On Ephes. 9:4:1-3.*

[976]

[942] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[945] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[950] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[953] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[954] التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[962] الفيوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 13.

[963] عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكلين سمير كوستي، عظة 12: 9-10.

[964] عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكلين سمير كوستي، عظة 19: 15.

[\[977\]](#) *Homilies on Ephesians, homily 17:4.*

[\[977\]](#) *Homily on Eph. 20:5:25.*

[\[978\]](#) *Homilies on John, homily 28:2.*

[\[979\]](#) *Letter 147:1.*

[\[980\]](#) *cf Against the Pelagians, Book 3:6.*

[\[981\]](#) *cf Duties of the Clergy, Book 3:12.*

[\[982\]](#) *Duties of the clergy, 1: 12.*

[\[983\]](#) *Homilies on Philemon, 2.*

[\[984\]](#) *Homilies on Ephesians, 8.*

[\[986\]](#) *City of God, 22:29.*

[\[988\]](#) *Duties of the Clergy 1:12:4.*

[\[989\]](#) *St. Ambrose: The Prayer of Job and David, 5: 17, 18.*

[\[990\]](#) *Duties of the Clergy, 1:12:44.*

[\[992\]](#) *Homilies on Acts, homily 7.*

[\[994\]](#) *Homilies on Ephesians, homily 19.*

[\[995\]](#) *Homilies on 1 Timothy, homily 16.*

[\[998\]](#) *Homilies on 1 Timothy, homily 16.*

[\[999\]](#) *Concerning Virginity, attributed to him, chapter 12.*

[\[1000\]](#) *Grace and Free Will, ch. 46 (24).*

[\[1002\]](#) *On Ps. 5.*

[\[1004\]](#) *Treatise 9 on the Advantage of Patience, 9.*

[\[1005\]](#) *Selected Lessons on N.T., Sermon 42.*

[\[1006\]](#) *Homilies on Colossians, homily 6.*

[\[1007\]](#) *Concerning Repentance, book 2.*

[\[1008\]](#) *In Luc 15: 11-32.*

[\[1009\]](#) *Quaest Evang. 2: 33.*

[\[1010\]](#) *Sermon 351:1.*

[\[1011\]](#) *In Rom. hom. 22.*

[\[1012\]](#) *Fr. Methedius: on the Palms, 3.*

[\[985\]](#) راجع مقاله عن "تنشئة الأطفال والمجد الباطل" في كتاب "الحب الأخوي".

[\[987\]](#) ترجمة الدكتورة نورا العجمي.

[\[991\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[993\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[996\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[997\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1001\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1003\]](#) التزمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [1013] *Homilies on Hohn, homily 7:2.*
- [1014] *Homilies on 2 Corinth., homily 4:7.*
- [1015] *Homilies on John, homily 9:3.*
- [1016] *Commentary on Hosea, 3:11. PG 25:962.*
- [1017] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [1018] Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 28.*
- [1019] *Sermon 170:9.*
- [1020] Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 78.*
- [1021] الرسالة الثانية والثلاثون راجع ترجمة الدكتور بهنام سوني.
- [1022] يسوع والمفلوجان للقديس ذهبي الفم، ترجمة القمص تادرس ملطي، 1966م، ص 35.
- [1023] *The Shepherd, visions 3:1.*
- [1024] *Sermons, 283:6.*
- [1025] *On Ps. 119.*
- [1026] *The Ascetical homilies of St. Isaac the Syrian, homily 52.*
- [1027] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [1028] *Matthew Henry Commentary.*
- [1029] *On Ps 62.*
- [1030] *On Ps 72.*
- [1031] *On Ps. 140.*
- [1032] *On Ps 140.*
- [1033] الدستورية، باب 14.
- [1034] *Epistle to Philipians, Ch. 6:1.*
- [1035] *On The Duties of the Clergy, 2: 28: 149.*
- [1036] *On Ps. 10.*
- [1037] لعازر والغني، عظة 2.
- [1038] *On Ps. 54.*
- [1039] *On Ps 73.*
- [1040] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [1041] *Comm on the Song of the Songs, 3:4. PG 33:179.*
- [1042] Henri De Lubac: *Origen, On First Principles, NY., 1966 (Koetschau text together with an introduction and notes by G.W. Butterworth, p. XIV*
- [1043] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [1044] *Paschal Letters, I.*
- [1045] *Paschal Letters, 4: 3.*
- [1046] مقالاته لطالبي العماد: مقال افتتاحي.
- [1047] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [1048]

Matthew Henry: *Commentary on Job*.

[1049] *On Repentance, Book 2*.

[1050] *Demonstrations, 6: 2 (of Monks)*.

[1051] الترمتم بالنصوص الولدة في كتابات القديس كما هي.

[1052] *Duties of the Clergy, 1:14:54*.

[1053] Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 70*.

[1054] *On Continnence*.

[1055] *Duties of the Clergy, 1:14:54*.

[1056] لعزر والغني، عظة 2.

[1057] James M. Freeman: *Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 213*.

[1058] لعزر والغني، عظة 1.

[1059] *Duties of the Clergy, 1:14:54*.

[1060] Matthew Henry: *Commentary on Job*.

[1061] *On Ps. 99*.

[1062] *On Ps. 125*.

[1063] *Homilies on St. John, homily, 75*.

[1064] *Methodius: Oration on Palms, 6*.

[1065] *Homilies on Ephessians, homily 18*.

[1066] *Tractate 2: 4*.

[1067] *On The Spirit, 15: 36*.

[1068] الترمتم بالنصوص الولدة في كتابات البابا غيغوريوس كما هي.

[1069] *On Ps. 143*.

[1070] *On Ps. 51*.

[1071] *Origen: de Principiis, 7:2-3*.

[1072] مز 32: 1 ، لازالت الكنيسة اليونانية تستخدم هذه التسبحة بعد العمامد.

[1073] مقال افتتاحي، 15.

[1074] *Epistle to Eph. 1:1:22-23*.

[1075] *On Forgiveness of Sins, and Baptism. ch. 12 (6)*.

[1076] *Of the Christian Faith, 2 : 2 : 24*.

[1077] *On the Gospel of St. John, tractate 1:13*.

[1078] *Pastoral Care, 2:6* . ترجمة: مجدي فهيم حنا.

[1079] *Pastoral Care, 2:6* . ترجمة: مجدي فهيم حنا.

[1080] *Commentary on Paul's Epistles (2 Cor 1:4)*.

[1081] *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 30-31)*.

[1082] *Pastoral Care, 2:9* . ترجمة: مجدي فهيم حنا .

[1083] *Pastoral Care, 2:10* . ترجمة: مجدي فهيم حنا .

[1084] *In Ephes., hom. 6.*

[1085] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1086] *Homilies on Statues, homily 9: 9.*

[1087] *Hexaemeron, homily 4: 3.*

[1088] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1089] *St. Ambrose: The Prayer of Job and David, 5:21.*

[1090] *Homilies on Helreus, homily 1: 2.*

[1091] *Homilies on Statues, homily 9: 2.*

[1092] *Homilies on Matthew, homily 56.*

[1093] *Four Discourses against the Arius, Discourse 2: 72.*

[1094] *Commentary on Ps. 104.*

[1095] *Concerning the Status, 9:8.*

[1096] *On Ps 135.*

[1097] *Theological Orations 28: 28.*

[1098] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1099] *On Ps. 97.*

[1100] *On Virginitv, chapter 18.*

[1101] *Letter 244: 9.*

[1102] القمص تادرس يعقوب ملطي: الغمور المئة والتاسع عشر (118) غنى كلمة الله ولذتها، 1996.

[1103] *Second Theological Oration, 27.*

[1104] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1105] *The Holy Spirit, 2:5: 55.*

[1106] *On Christian Doctrine 7.*

[1107] *City of God 22:29.*

[1108] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1109] *Stromata 1 :49.*

[1110] *Cassian: Conferences,6:11.*

[1111] الرسالة الثانية والثلاثون.

[1112] *The Holy Spirit, 2:7: 67.*

[1113] *Of the Holy Spirit, Book 2:7:67.*

[1114] *Commentary on Rom 8:9.*

[1115] *Sermons, 91:4.*

[1116] *Homilies on Rom., 40.*

[1117] *In Luc Ser 86.*

[1118] الترتت بالنصوص الولدة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1119] *Demonstrations, 4:10 (Of Prayer).*

- [1120] *In Matt., hom., 19:4.*
- [1121] *Cassian: Conferences, 9:35.*
- [1122] *Cf. Barnes' notes on this verse.*
- [1123] *Cf. Matthew Henry Commentary.*
- [1124] *Osborn : The Philosophy of Clement of Alexandria, Cambridge 1957, p 5.*
- [1125] *Paedagogus 1: 1.*
- [1126] *Strom 5: 1.*
- [1127] *The Prayer of Job and David. (Frs. of the Church vol. 65, p. 366).*

[1128] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1129] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1130] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[1131] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [1132] *On Ps 12.*
- [1133] *In Rom. hom 32.*
- [1134] *On Ps 37.*

[1135] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [1136] *Oration 2. In Defense of His Flight to Pontus, 40.*
- [1137] *Catech. Lectures 18:18.*

[1138] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [1139] *Catech. Lectures 9:10.*
- [1140] *Cf. Matthew Henry Commentary.*
- [1141] *Adam Clarke Commentary..*
- [1142] *Cf. Adam Clarke Commentary.*
- [1143] *Barne's Notes.*
- [1144] *Commentary on 1 Corinthians 1: 7: 1-7.*
- [1145] *Stromata 1: 90: 1.*
- [1146] *Theodoret of Cyrus: Commentary on, Corinthians, 171.*
- [1147] *Stromata 1: 100: 1.*
- [1148] *Homilies on Corinthians, homily 4: 6.*
- [1149] *Ibid, 5: 5.*

[1150] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 9.

- [1151] *Of the Holy Spirit 1:16:177-178.*
- [1152] *Hom 51. PG 59:300-301.*
- [1153] *Hom. In Ps 48, 8, PG 29:450 b.*

[1154] التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

- [\[1155\]](#) *Homilies on Corinthians, homily 7: 1.*
- [\[1156\]](#) *Theodoret of Cyrus: Commentary on. Corinth., 175.*
- [\[1157\]](#) *The Sacrament of Incarnation of our Lord, 4: 42.*
- [\[1158\]](#) *Commentary on Paul's Epistles (1 Cor. 2: 7).*
- [\[1159\]](#) التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [\[1160\]](#) *St. Augustine: Sermon 51: 5.*
- [\[1161\]](#) *The Fourth Theological Oration, 2.*
- [\[1162\]](#) *Epistle to Galatians, 1: 1: 3.*
- [\[1163\]](#) *Epistle to the Ephesians, 3: 6: 17.*
- [\[1164\]](#) *Com. On Paul's Epistles (1 Cor. 12: 8).*
- [\[1165\]](#) *Ascetical Homilies, 72.*
- [\[1166\]](#) راجع للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم، 1981.
- [\[1167\]](#) *Divine Providence.*
- [\[1168\]](#) سيصدر قريبًا بمشيئة الله كتاب: ماذا يقول الآباء عن رؤية الله؟
- [\[1169\]](#) *Epistle to the Ephesians, 3: 6: 17.*
- [\[1170\]](#) *St. Augustine: On the Spirit and the Letter ch. 18 (11).*
- [\[1171\]](#) *cf. Augustine: On the Spirit and the Letter, ch 19 (12).*
- [\[1172\]](#) *On the Trinity 12:14:22.*
- [\[1173\]](#) *Confession, 8:1:2.*
- [\[1174\]](#) *Letters, 167:11 (To Jerome on James 2:10).*
- [\[1175\]](#) *On the Trinity 14:12:15.*
- [\[1176\]](#) التومت بالنصوص الواردة في كتابات القديس يوحنا الذهبي الفم كما هي.
- [\[1177\]](#) *Divine Providence.*
- [\[1178\]](#) *Homilies on Leviticus, homily 13: 2: 4.*
- [\[1179\]](#) *On Vainglory and the Right Way for Parents to Bring up Their Children.*
- [\[1180\]](#) التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [\[1181\]](#) التومت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.
- [\[1182\]](#) *The Long Rules, Question 15.*
- [\[1183\]](#) *Death is Good, 8: 37.*
- [\[1184\]](#) *Duties of the Clergy, 1:30:148.*
- [\[1185\]](#) *On Man's Perfection in Righteousness, 27.*
- [\[1186\]](#) *Jacob and the Happy Life, 5: 22.*
- [\[1187\]](#) *Letter 167:3:13.*
- [\[1188\]](#) *Duties of the Clergy 1:11:39.*
- [\[1189\]](#) *Catechetical Lectures, 7:8-9.*
- [\[1190\]](#) *Cassian: Conferences, 23:5:1.*
- [\[1191\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1192\]](#) *In 2Cor. Hom. 2:3*

[\[1193\]](#) *Pauline Commentary from the Greece Church.*

[\[1194\]](#) *On Ps. 55.*

[\[1195\]](#) *Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*

[\[1197\]](#) *Contra Celsus 5:60.*

[\[1198\]](#) *In Lev. hom. 1:1.*

[\[1199\]](#) *Comment on Osee, Pusey I:85, 25ff.*

[\[1202\]](#) *Commentary on John, Book 6:105.*

[\[1203\]](#) *Epistle to Eph., 9*

[\[1204\]](#) *Ser on N.T. 39: 4.*

[\[1207\]](#) *On Ps147 (146).*

[\[1211\]](#) *The Gospel of St. Matthew homily 33:7.*

[\[1212\]](#) *The Gospel of St. Matthew homily 15:14.*

[\[1217\]](#) *On Genesis, hom 57.*

[\[1218\]](#) *On the Soul and its Origin. 19.*

[\[1219\]](#) *The Gospel of St. Matthew homily 17:2.*

[\[1220\]](#) *Sermon on the Mount, Book 1, ch 12 (33-34).*

[\[1221\]](#) *Fragmenta in Ioanem. 9.*

[\[1222\]](#) *Cf. H. Crouzel: Theologie de l'image de Dieu chez Origen, Pains, 1956, p. 239f..*

[\[1223\]](#) *Comm. on John 32:19; R. Cadiou: Origen, Herder, 1944, p. 131-2.*

[\[1225\]](#) *The author: Origen, chapter 15 "The Spiritual Life."*

[\[1226\]](#) *Philokalia, Book 1.*

[\[1196\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1200\]](#)

عظات على نشيد الأناشيد، عظة 10، تعريب: الدكتور جرج نوار.

[\[1201\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1205\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1206\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1208\]](#)

الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 96.

[\[1209\]](#)

الرسالة الثامنة والثلاثون.

[\[1210\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1213\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1214\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1215\]](#)

الترمت بالنصوص الواردة في كتابات البابا غريغوريوس كما هي.

[\[1216\]](#)

في مديح القديس بولس، عظة 2.

[\[1224\]](#)

عظة 3:7.

[1227] Hom 54. PG 59:319.

[1228] Ibid.

[1229] Homilies on Corinthians, 5: 4.

[1231] Contenance, 4.

[1233] Epistle to Philadelphians.

[1234] On Ps. 4.

[1235] Constitution of the holy Apostles 8: 32

[1236] Chrysostom: Homilies on Philemon.

[1237] The Gospel of St. Matthew homily 33:7.

[1238] The Gospel of St. Matthew homily 21:2.

[1230] إلى أناتوليس Anatolius عن "الأفكار الثمانية"، 2.

[1232] رسالة إلى الرهبان.

[1239] أي 26:31، 27. كان التعبد للشمس والقمر منتشرًا في المسكونة تحت أسماء مختلفة.

[1240] الإله Gaea أو Tellus هو الأرض، وزيروس أو جوبتر هو السماء. كما عبد البعض الأنهار والينابيع.

[1241] لقد عبدت الموسيقى والطب والصيد والحرب والزراعة والتعدين... فابلو إله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى. واسكولايوس أو عقولاف إله الطب عند الإغريق. وديانا إلهة

الصيد وملس إله الحرب عند الرومان. وفلكان إله النار والمعادن عندهم.

[1242] ذكر هيروديت أن المصريين يتعبون لطيور معينة وأسماءك وبهائم.

[1243] مثل عروس Eros إله الحب عند الإغريق.

[1244] إلهة العشق والجمال عند الإغريق.

[1245] مثل افلوطس Blutus إله الثروة عند الإغريق

[1246] Catechetical Lectures, 4:6.

[1247] Sermons, 36: 2.

[1248] Homilies on 1 Corinthians, homily 4:7.

[1249] Homilies on St. John, homily 46:3.

[1250] Duties of the Clergy, 1:32:167.

[1251] Concerning the Status, 15:11.

[1252] Concerning the Statues, 1:26-27.

[1253] On Humility..

[1254] Wycliffe Bible Commentary.

[1255] Adam Clarke Commentary,

[1256] On Ps.61:4 .

[1257] Maruis Victorinus: Epistle to Ephesians 1:1:8.

[1258] Epistle to Ephesians, 3:6:17.

[1259] الفيولوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 44.

[1260] Cf. Barnes' Notes on Job 32: 17.

[1261] In 2 Cor. hom 23:1.

[1262] In 2Cor. hom 23. PG 61: 595.

[1263] 170 نصًا عن حياة القداسة، 33 (الفيلوكاليا).

[1264] 170 نصًا عن حياة القداسة، 107 (الفيلوكاليا).

[1265] 170 نصًا عن حياة القداسة، 108 (الفيلوكاليا).

[1266] Homilies on Romans 2:11.

[1267] Commentary on Romans 2:11.

[1268] Homilies on the Psalms,14.

[1269] Of the Holy Spirit, book 2, 5:44.

[1270] Oration 41 on Pentecost, 14.

[1271] Barnes' Notes.

[1272] Concerning the Statues, 1:21.

[1273] In Praise of St. Paul, Homily 2.

[1274] In Num. Hom. 14:2.

[1275] Comm. On the Song of Songs.

[1276] Who is the rich man..... 10

[1277] Ser. on N.T. 54:1.

[1278] Ser. on N.T. 54:4.

[1279] Cassian : Conf. 1:8.

[1280] Barnes' Notes on Job 33: 18.

[1281] Cf. Barnes' Notes on Job 33: 23; Jamieson, Fausset and Brown Commentary, on Job33: 23.

[1282] Cf. Adam Clarke's Commentary on Job 33: 27.

[1283] Barnes' Notes on Job 43: 1.

[1284] Homilies on Hebrews, homily 8:7.

[1285] من تعاليم الشيخ الروحاني للمبتدئين.

[1286] عظات عن الزوامير.

[1287] Homilies on Cor, Homily 29:4.

[1288] Commentary on Paul's Epistles (2 Cor.13: 5).

[1289] Catena.

[1290] Cassian: Conferences, 1:20..

[1291] Strom. 4:130.

[1292] Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 54.

[1293] Cf. Adam Clarke's Commentary.

[1294] Commentary on 1 Peter 1:17.

[1295] On Ps.7.

[1296] Adv. Haer.4.33:15.

[1297] Sermons, 101:5.

[1298]

[1299] On Ps. 29, Discourse, 2: 8.

[1300] Cf. Barnes' Notes on Job 34: 15.

[1301] Concerning Baptism, Book 2, Q. 4...

[1302] The Prayer of Job and David, 2: 5: 18.

[1303] On Ps. 36: 9.

[1304] On Ps. 125.

[1305] St. John Cassian: Conferences, 6:1.

[1306] لا يستطيع أحد أن يؤذي إنساناً ما لم يؤذِ هذا الإنسان ذاته.

[1307] لا يستطيع أحد أن يؤذي إنساناً ما لم يؤذِ هذا الإنسان ذاته.

[1308] Reg. Brev. 261.

[1309] Commentary on Job 35.

[1310] On Ps. 94 (93).

[1311] On Exodus, homily 8.

[1312] In Acts, hom., 5.

[1313] الحب الأخوي، 1964، ص 129.

[1314] Paedagogus 1: 4.

[1315] Paedagogus 1:1.

[1316] Paed. 2:9.

[1317] Catech. Lect. 10:5.

[1318] Hexameron, homily 3: 5.

[1319] Catechetical Lectures, 6:4.

[1320] الرسالة الخمسون: 6 (ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي، سلسلة الزاآث الروحي، بيروت 1992).

[1321] تفسير خروج (20: 18-19).

[1322] الميمر 2 على نزول العلي على جبل سيناء وسر الكنيسة (إجع نص الدكتور بهنام سوني).

[1323] الرسالة الثانية والعشرون (إجع نص الدكتور بهنام سوني).

[1324] On Ps. 9.

[1325] Homilies on Philippians, homily 4.

[1326] Prayer of David, Book 4:9:35.

[1327] Apology, 1:14.

[1328] Homilies on Ps. 2.

[1329] عظة 10 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جرج نوار.

[1330] The Second Theological Oration, Oratio 28: 28.

[1331] St. Augustine: On Ps, 48 (47).

[1332] Cf. Matthew Henry Commentary on Job 38.

[1333] Cf. Adam Clarke's Commentary.

[1334] *Homilies on the Psalms, 5.*

[1335] *On the Great Athanasius, 18.*

[1336] *Commentary on Luke, Homily 150.*

[1337] *Homilies on Ephesians, 23.*

[1338] *The Long Rules, Question 23.*

[1339] *Oration 41 on Easter, 18.*

[1340] المظمار هو خيط البناء الذي يضمن به استواء الحائط ووضعه الرأسي.

[1341] *Sermons on N.T. 39: 4.*

[1342] *Hom for Epiphany, Ser. 204, PL 38: 1037.*

[1343] *Cassian: Conferences, 8:7:2.*

[1344] *Cf. Homilies on Matt., Homily 76:3.*

[1345] *On the Spirit, 16: 38.*

[1346] *City of God, 11:9.*

[1347] *Catechetical Lectures, 9:11.*

[1348] *On Divine Providence, Discourse 2: 18.*

[1349] يعلق Lightfoot (ص ٨٤) على هذه العبارة بأنه من المحتمل أن يكون اكليميندس متوقعًا لرضا في أقصى الغرب وراء المحيط مثل جزوة اثلنتس الخرافية التي ظن أفلاطون

وجودها في المحيط الأطلسي، أي ربما قصد أمريكا الحقيقية التي لم تكن مكتشفة بعد.

[1350] لوزان الرياح (أي ٢٨ : ٢٥).

[1351] *1 Epistle, 20.*

[1352] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p.214-5.*

[1353] *Adv. Haer. 4:28:3*

[1354] *Catechetical Lectures, 9:9.*

[1355] *Second Theological Oration, 30.*

[1356] *cf. St Ambrose: Of the Christian Faith, Book 2: 10.*

[1357] استعار البابا غريغوريوس ما ورد عن الأيائل من القديس أغسطينوس في تفسيره الزمور 42.

[1358] *In Matt. hom 50:1.*

[1359] *Cassian: Conferences, 18:6:3.*

[1360] *Sermon 2: 23.*

[1361] *Matthew Henry's commentary.*

[1362] hawk أي الصقر.

[1363] *Catechetical Lectures, 9:12.*

[1364] *On Nature and Grace, 73.*

[1365] *Homilies on Timothy, homily13.*

[1366] *Homily, on 1 John.*

[1367] *On the Great Athanasius, 18.*

[1368] *Homilies on Timothy, homily8.*

[1369] *Letter 108: 18.*

- [1370] *Homilies on Luke, hom. 26: 4.*
- [1371] *Letter to Eustochium. PL 22:395 ff.*
- [1372] *In Ioan 16:4.*
- [1373] *On Vriginity, ch 31 PL 40 ; 413.*
- [1374] *In 2 Cor. hom 22:2.*
- [1375] *In Rom. Hom. 5.*
- [1376] راجع الأب الياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 309. عظة 20.
- [1377] *Com. on 1 John, 4:3.*
- [1378] Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 56.*
- [1379] القديس مار أوغريس البنطي: إلى أناتوليس Anatolius عن "الأفكار الثمانية"، 3.
- [1380] *On Exodus, The Vigil of the Pasch, homily 91.*
- [1381] *Letter 22, to Eustochium, 11-12.*
- [1382] *Cassian: Conferences,, 5:4..*
- [1383] الرسالة السابعة والثلاثون.
- [1384] *Commentary on Song of Songs, homily 5.*
- [1385] *St. Augustine: The Literal Meaning of Genesis, Book 11. Ch 20 ff.*
- [1386] *Literal Meaning of Genesis, 11: 22.*
- [1387] *In Job. tome 2. c 7.*
- [1388] *De Principiis 1:5.*
- [1389] *Homilies on Song of Songs, 14. ترجمة الدكتور جورج فوار.*
- [1390] *Against Jovinianus, 2:4.*
- [1391] عرض أي 26:40.
- [1392] *Cat. Lect. 3:11,12.*
- [1393] *Baptismal Instructions, 3:11.*
- [1394] *Sermon in Gen. 7, PG 5: 614 C –D.*
- [1395] *Demonstrations, 6.*
- [1396] *Chromatius: Tractate on Mathew, 14:5. صديق القديس جيروم وروفيينوس.*
- [1397] *De Incar. 25.*
- [1398] *De. Incarn. 45*
- [1399] *Tractates on Matt. 14: 5. (صديق روفينوس وجيروم)*
- [1400] *On Repentance 1: 13:64-65.*
- [1401] *On Belief in the Resurrection 2:110.*
- [1402] *Vita antonii, 24.*
- [1403] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p.215.*
- [1404] *Homilies on Corinthians, 43:5.*
- [1405] *Adv. Haer 5:24:2:20:3.*
- [1406]

[1407] *Catechetical Lectures, 23:3.*

[1408] *Commentary on Ps. 104.*

[1409] *Cassian: Conferences 1:15.*

[1410] *Epistle to the Ephesians 6:11.*

[1411] *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 10-11).*

[1412] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p.215.*

[1413] *Of the Christian Faith, 5:2:30*

[1414] *Hom. 20 On Ps. 59.*

[1415] *Homilies on Matthew, 22:8.*

[1416] *In Luc hom 21.*

[1417] *In Luc hom 23-24.*

[1418] *Commentary on Ps.72.*

[1419] *Commentary on Luke, Homily 144.*

[1420] *Vita antonii, 24.*

[1421] *Homilies on Song of Songs, 14. ترجمة الدكتور جورج فوار*

[1422] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 79: 2.*

[1423] *Sermon on the Mount, Book 1:2:9.*

[1424] *إله المال.*

[1425] *Sermon on the Mount, Book 2:47.*

[1426] *Commentary on Luke, homily 144.*

[1427] راجع أي 24:41 الترجمة السبعينية، وقد أستخدم هذا النص في الورد على الأفكار الأوريجانية القائلة عن الشيطان أنه يمكن أن يخلص.

[1428] *Catechetical Lectures, 4:1.*

[1429] *Homilies on Jeremiah 27:3.*

[1430] *Fragments from Catena (on Jerm.), 30.*

[1431] *عظة 3:6.*

[1432] *Resisting the Temptation of the Devil, homily 2:4.*

[1433] *In 2 Tim. hom. 8.*

[1434] *عظات على لرميا، عظة 5:14 ترجمة جاكولين سمير كوستي.*

[1435] *In Luc. Hom 30:1-4.*

[1436] *كما جاء في النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير).*

[1437] *Literal Meaning of Genesis, 10: 8 (14).*

[1438] *City of God 22:29.*

[1439] *Homilies on Thessalonians, homily. 1.*

[1440] *Homilies on Ps. 6.*

[1441] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 215-216.*

[1442]

On Ps.12

[\[1443\]](#) On Genesis, homily 8.

[\[1444\]](#) On Penitence, 2:1:4.

[\[1445\]](#) On Ps. 21, Discourse, 2, 8.

[\[1446\]](#) James M. Freeman: *Manners and Customs of the Bible*, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 216.

[\[1447\]](#) James M. Freeman: *Manners and Customs of the Bible*, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 216.

[\[1448\]](#) Cf. *Commentary on Song of Songs*, homily 9.